

حوار حول تثقيف الكادر والجماهير

« ندوة الطليعة »

- عام الحسم .. عام الوحدة الوطنية
- ماذا ينتظر العالم من نيكسون ؟
- قضية فلسطين .. وحقوق الانسان
- حول المؤتمر الخامس لحزب العمال البولندى الموحد
- يوميات أزمة الشرق الأوسط عام ١٩٦٨
- وثائق : حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية

شوقى .. الوجه والقناع « ملف خاص »



طـريق المنـاضلين الى

الفـكر الثورى المعاصر

مجله شهريه
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :

لطفى الخولى

مستشارو التحرير :

د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د.اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطفيه الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :

ميشيل كامل

سكرتير التحرير :

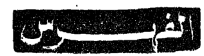
عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :

« الطليعه » :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء
القاهرة تليفون ٤٦٤٦١ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

الاشتراكات .

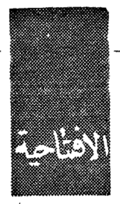
لسنة بالبريد العادى ٠ج٠ع٠م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١١٥ قرشا .



العدد الاول — السنة الخامسة — يناير ١٩٦٩

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



عام الحسم .. عام الوحـــدة الوطـــنيــة

الحرب والسلم

يتساءل الملايين من جماهيرنا مع مطلع هذا العام الجديد متى تشرق الشمس ؟ متى ترفرف رايات الحرية على أرضنا المحتلة ، ويستأنف شعبنا تقدمه على طريق التحرر الكامل والوحدة القومية ، ومجتمع الاشتراكية السعيدة ؟ وبين الغيظ المكظوم ، والالم المضطرم ، والعزة الجريحة ، والسخط المتقد ، والامل الذى نرفض أن تخبو جذوته ، يتنازع الناس حديث الحرب والسلم ، ويشتد الجدل حول الحل السلمى ومبرراته وامكانياته ، والحل العسكرى ودوافعه ومقتضياته . وما أصعب الجمع فى مثل هـــذه الظروف بين وضوح الرؤية وضبط النفس والعزم الذى لا يلين . . .

والحق أننا لسنا فى موقع يسمح لنا بالاختيار . ان هدفنا العاجل والواضح لا يمكن أن يكون محل خـــلاف . اننا لا نملك بديلا للتحرير الكامل للارض التى احتلها العدو فى حرب يونيو سنة ١٩٦٧ ، والتنازل عن أى بقعة منها ليس فقط تفريطا فى أقدس حقوقنا لا يملكه اى شخص ، ولكنه فوق ذلك اغراء للعـــدو فى استـــمرار منطق القوة واذكاء لشهوته التوسعية . لقد ولدت اسرائيل بالقوة ، وعاشت بالعنف ، وتوسعت بالعدوان . وما لم يتحطم الزحف الصهيونى أمام سد منيع من أجسادنا ، وكل ما نملك من أســـباب

القوى ،فليس ثمةحدا لاهدافه التوسعية . ان خريطة اسرائيل الكبرى تمتد حدودها من النيل الى الفرات ليست مجرد صورة فى مخيلة حفنة من الصهاينة المتعصبين ، بل انها مرسومة فى مبنى «الكنيست» برنامجارسسميا يعلنه « المتطرفون » ، ولا ينكره « المعتدلون » . اننا نريد فى هذه المرحلة من نضالنا استرداد الارض المحتلة . ولو نجحنا فى استردادها دون قتال لكان ذلك نصرا عظيمــا ، لانه يعنى ان منطق القوة لم ينفع ، وأن اسرائيل رغم نصرها العسكرى لم تتمكن من فرض ارادتها فى التوسع . ومثل هذا النصر السياسى يشد من أزر شعب فلسطين ، ويمكن العرب من مسـاندته فى نضاله العادل والمشروع ، من اجل حقه فى الوجود والمستقبل . اننا لا نريد الحرب لذاتها ، ولا نؤمن بأن لها فضيلة فى تربية الشعوب تفوق بها معارك البنــاء والتصـنيع والتحول الاجتماعى . ولكن الحقيقة التي يجب الا تغيب عن الاذهان ، هى ان النصر العسكرى قد أعطى اسرائيل فرصـــة الاختيــار التى لم نعد نملـكها . انها تملك ـــ هى والقوى الاستعمارية التى تساندها ـــ ان تختــار بين الحرب والســلم . أما نحن فلا نملك الا التصميم على تحرير أرضنا المحتلة . ولما كان الحل الســياسى يعنى فى التحليل الأخير هزيمة لسياسة اسرائيل العدوانية ، فانه من الطبيعى ان ترفضه وتصر على اجتناء ثمار العدوان .وابتداء من هذا الفهم يبدو استئناف القتالحتما مقضيا ، وتبدوفرص السلام أوهى من خيط العنكبوت . ان الديبلوماسية العربية لا ينبغى ان تهمل ادنى فرصة فى نضالها من أجل الحل السياسى الذى يضمن استرداد الارض دون مساومة على حقوق شعب فلسطين ، ولو كانت تلك الفرصـــة مجرد تغيير فى حـــكومة الولايات المتحـــدة الامريكية . ولكن القيادات الوطنية والجماهير الشعبية يجب الا تغفل لحظة واحدة انه قد كتب علينا القتال صداما مروعا ، سلاحنا الاساسى فيه التضحية بكل شىء فى سبيل أهم شىء : حقنا فى الحياة الحرة ..

صدام حضارى

نعم صدام مروع . لان « حرب الشرق الاوسط » لم تكن مجرد حلقة جديدة فى صراع مزمن على الحدود ، كما يحلو لبعض صحف الغرب أن تصورها . بل كانت عدوانا مدبرا داخل المنطقة وخارجها ، ذا أهداف متعددة ومتشابكة . لقد كان هدفها المباشر اســقاط النظم التقدمية فى البلاد العربية ، ضــمن خطة الامبرياليسة الامريكية التى نجحت فى السنوات الثلاث الاخيرة فى ضرب الدول المتحررة فى العالم الثالث . والوجه الاخر لهذا الهدف الامبريالى ، هو التوسع الصهيونىواسرائيــل الاولى فى نظــر الامبرياليـــة الامريكية ، وهى بالدقة القوة الضاربة منداخل المنطقة ، تتحرك دون توريط مباشر للولايات المتحدة ، وتتيح لحكام واشنطن ان يحاربوا دون ان يقتل جنود امريكيون يثير مصرعهم الرأى العام الامريكى . ويجد حكام اسرائيل فى هذا الدور ، الفرصة الذهبية لتحقيق أطماعهم التوسعية .

ولكن نظم الحكم العربية التقدمية ، ليست مجرد عدد من النظم التقدمية . ان بينها رابطة موضوعية ، انها طلائع لحركة التحرر العربى ، للثورة العربيـــة . ولذلك فان ضربها يهدف ـــ فى مستوى آخر ـــ الى حماية المصالح الاستعمارية فى الوطن العربى من تيار التحرر . وفى مقدمة تلك المصالح يأتى البترول ، ولامريكا ـــ كما هو معروف ـــ

حوالى ٥٦ ٪ من الاســـتثمارات الاجنبية فيه . وهنــا يبرز دور اسرائيل ككلب حراسة شرس ، يتصدى لحماية أرباح الاحتكارات العالمية ، ويستأدى كأى « بلطجى » ثمن تلك الحماية صنوفا لا تحصر من المساعدات . ان الجيش الاسرائيلى يقوم بدور «الانكشارية» فى خدمة الامبريالية . وكل انكشارية تطمع فى نصيب متزايد من التنمية، بل انها من الممكن أحيانا ان تتمرد على السلطان .

وفيما وراء تلك المصـــالح المادية الملموســـة ، يلوح الهـــدف الاســـتراتيجى للغرب الاستعمارى ، الا وهو الحيلولة دون الثورة العربية ، ودون تحقيق وحدة الامة العربية فى دولة متحررة ، ديمقراطية وتقدمية . وهنا يرى الغرب فى اسرائيل جزءا منه زرعه زرعا فى قلب الوطن العربى ليقسم الارض العربية ، ويكون ركيزة أمامية تحد من انطلاق الثورة ، وتضيق من مجال حركتها ، وتســـتنزف الكثير من مواردها ، ان الجو الذى صاحب العدوان الاسرائيلى فى الغرب ،كان جو « حرب صليبية » ، يعيد الى الاذهان أيام بربروسه وقلب الاسد ولويس التاسع . اننا كثيرا ما ننسى حقيقة الصدام الحضارى بين الغرب والوطن العربى . ان دعاة الحضارة الغربية يرون انها الحضارة الاسمى ، ولدت فى اليونان وانتصرت وانتشرت على يد روما ، ثم تفجرت ينابيعها من جديد بعد ظلمات العصور الوسطى فى أوروبا الغربية ، وبلغت أوجها اليوم فى الولايات المتحدة الامريكية . ولكن بلادنا هى التكذيب الصارخ لهذا التبسيط العنصرى لتاريخ البشرية . فقد ولدت أقدم الحضارات على ضفاف النيل والفرات وفى شـــمالى ســـورية وجنوبى الجزيرة العربية . وحين سيطرت أوروبا الرومانية على هذه المنطقة ، لم تستطع أن تغير من وجهها ، ولا أن تطمس حضارتها او تصبغها بصبغة الرومان . بل ان المسيحية التى ظهرت فى أرض فلسطين هى التى غزت الإمبراطورية وقوضت أسس حضارتها القائمة على الرق . وحين صادرت الدولة الرومانية المسيحية لحسابها ،وحاولت استغلالها فى فرض السيطرة الاجنبية ، قاومها « مسيحيو الشرق » ، وفى مقدمتهم اقباط مصر . ثم ظهر الاسلام نورا وقوة فتحررت الارض وقامت دولة كبرى ذات حضارة زاهرة رفضت التعصب العنصرى ، وعرفت من التسامح ما لم يسبقها اليه أحد ، تمثلت ما سبقها من حضارات ، وأخرجت للبشرية أعلاما فى الفكر والفلسفة والعلم . وما ان دب التفكك فى الدولة العربية الاسلامية ، حتى سارعت أوروبا الى غزو الشرق متسترة وراء الصليب وغلبت العرب فى مواقع كثيرة ، ولكنهم نجحوا فى النهاية فى رد الصليبيين على أعقابهم مدحورين . ولم تنس أوروبا الهزيمة ولافتقدت الطمع . وحين دخـــل المارشال اللنبى القدس فى نهاية الحرب العـــالمية الاولى ، كانت أول كلماته : « الان قد وضـــعنا حدا للحروب الصليبية » .

ان بلادنا كانت آخر بلاد وقعت فى قبضة الاستعمار الغربى ، وكانت أول بلاد تمردت عليه وتخلصت منه . وهى من البلاد النادرة التى لم يســـتطع ان يغير من شـــخصيتها القومية ، او يقتلع لغتها ، او يضيع معالم حضارتها . ونجاح الثورة العربية يعنى قيام دولة كبرى ، لها من عدد السكان واتســـاع الرقعـــة والموقع الجغرافى وغنى الموارد والتراث الحضارى ما يجعلها قادرة ، رغم ما تعانى من تخلف فى الحاضر ، على ان تتبوأ فى السياسة العالمية مركزا مرموقا ، وان تقطع فى طريق التقدم شوطا بعيدا فى زمن قصير . وتجربة الصين الشعبية ، التى دخلت عصر الذرة ، فى أقل من عشرين عاما ، من انتصار ثورتها ، دليل ساطع على القدرات الكامنة لدى الشـــعوب الكثيرة العدد ، العريقة الحضارة . والغرب الاستعمارى يدرك هذا كله ، ولذلك فهو لا يألو جهـــدا فى التربص بحركة التحرر العربى ، ويستخدم كل ما تحتوى ترسانته من أسلحة الاستعمار القديم والاستعمار الجديد ، لينال منها داخليا وخارجيا ، يستنزف قواها ومواردها ويفرق صفوفها ، ويحاول النيل من عزيمتها .

مسئوليات الشعب المصرى

ولقد كان قدر الشعب المصرى ، ان يتحمل العبء الاكبر فى كل صدام حضارى تعرض له الوطن العربى . فمن القاهرة وبموارد مصر ، بدا صلاح الدين أسطورة النضال المجيد النبيــل ، التى بدات بوضع حد لتقــدم الصليبيين، بعد ان احتل قائدهم أمورى بلبيس وهدد القاهرة ، وتوجت ، بعد سبعة عشر عاما ، بتحرير القدس ، بعد احتلال دام قرابة تسعين عاما . والى القاهرة لجأت الخلافة العباسية ، بعد سقوط بغداد ، ومنها خرجت الجيوش التى سحقت لاول مرة جحافل المغول وحررت فلسطين ثم سورية . ولا عجب أن يكون هذا قدر مصر ، فان لها من عدد السكان والموقع الجغرافى والموارد والتاريخ ، ما يؤهلها له . وقد ادرك الخصوم هذه الحقيقة . ولهذا قاد لويس التاسع آخر الحملات الصليبية مباشرة ضد مصر ، لانه ادرك انه لا يمــكن ان يستقر حكم أجنبى فى الشــام ما دامت مصر مستقلة . وبنفس الاحساس اشترك جى موليه فى عدوان سنة ١٩٥٦ ، ليضرب فى القاهرة ثورة الجزائر .

وحين تحالفت أوروبا كلها ضد محمد على سنة ١٨٤٠ ، لم يكن هدفها شخص الحاكم الالبانى الاصل ، اليونانى المولد ، التركى اللغة ، وانما كان هدفها حركة الاحياء العربى التى بدأت فى مصر غداة طرد الحملة الفرنسية . ان الدول الاوروبيــة تعللت « بحماية السلطان العثمانى ضد تمرد أحد اتباعه » . وكان تلك حجة واهية ومفضوحة . والامر الملفت للنظر ، انه لم يكن لدولة منها مواقع استعمارية فى مصر تريد حمايتها . ومن ناحية أخرى كان غريبا تحالفها ، رغم ما بينها من صراع شــديد حول المســتعمرات ، وحول انقسام تركة الرجل المريض بالذات . ولكن كل شىء يصبح مفهوما ، حين نرى فى تحالفها اتفاق الغرب على ضرورة تصفية النهضة التى بدأت على ضفاف النيل وامتدت الى السودان وسورية والحجاز . حقا ان محمد على كان حاكما مستبدا . ولكن العالم آنذاك لم يكن يعرف الجمهوريات . وفى عهده تمت تصفية الاقطاع المملوكى وســلطة الحكام الصغار ، واستردت مصر لغتها العربية ، واخذت البلاد بأسباب التقدم الحقيقية : التحرر من السيطرة الاجنبية ، التطور الثقافى ، والتصــنيع ، وكانت هزيمة جيوش ابراهيم أمام التحالف الغربى نكبة كبرى فتحت الابواب للاستعمار الاوروبى حتى سيطر سنة ١٩١٩ ، على كل بلاد العرب فيما خلا أجزاء من الجزيرة العربية .

وقد كانت ثورة ١٩٥٢ ، نقطــة التحول فى إتجــاه التحرر وتصــــفية الســيطرة الاستعمارية ، والاخذ بأسباب التطور الاقتصادى والثقافى والتقدم الاجتماعى . ومن ثم كان طبيعيا ان يركز الاستعمار هجومه على مصر ، وكان طبيعيا ان تصبح قضــية التحرر الوطنى للشــــعب المصرى هى فى الوقت ذاته واجبه القومى الاكبر فى خدمة الثورة العربية .

الوحدة الوطنية هى الحصن المنيع

وهكذا يبدو مهددا مصيرنا كأمة وكوطن وكأفراد ، وازاء هذا التهديد ؟ ليس ثمة من سبيل للصمود والمقاومة والانتصار ، الا سبيل الوحــدة الوطنية ، الا تراص كل القوى

والعناصر الوطنية كتفا الى كتف سدا عاليا تتحطم عليه أعتى أسلحة العدوان . ان نداء الوطن كان دائما المحرك الاعظم للجماهير ، وشعبنا يجيب من اعماقه لبيك لبيك . ولكن لابد ليتحول الشعور الوطنى الجارف الى وحدة وطنية قوية وفعالة من عمل سياسى واع يدرك أبعادها ويناضل من اجلها ، ويوفر لها الاطر التنظيمية . وهنا لابد من التأكيد على خطوط عريضة ، ربما تطمس معالمها حدة المناقشات او انفعالات الهزيمة .

١ — ان كل وطنى حق لا يملك الا ان يلبى نداء الوطن أيا كان رأيه الخاص فى حتمية الحل الاشتراكى . وهو لا يمكن ان يغلب مصلحة شخصية او طبقية على مصلحة الوطن العليا . ان الحرب الوطنية هى فرصة حسم المواقف بالنسبة لمن يضر التطور الاشتراكى بمصالحهم الطبقية ، فاما تغليب لهذه الاخيرة ، وتردد سافر فى هوة الخيانة وخدمة الاستعمار ، واما اعلاء لمصلحة الوطن والتقاء بقوى الشعب العاملة فى نضال كريم يفضى الى حياة كريمة .

٢ — ان دائرة القوى الوطنية اوسع من دائرة القوى الاشتراكية . واقدس واجبات الاشتراكيين فى مرحلة الصراع الوطنى ، هو حشد كل القوى الوطنية فى جبهة عريضة تناضل من أجل تحرير الارض المحتلة . فلا أحد يملك أن يرفض مقدما لاى مصرى صفة الوطنية . ولا يمكن ان يحيل الاشتراكيون بارادتهم من بعض القوى الوطنية قوى سلبية يمكن ان تلعب دور الاحتياطى للاستعمار والثورة المضادة .

٣ — ان المحور الرئيسى للوحدة الوطنية ، هو وحدة القوى الاشتراكية ، لان عليها يقع العبء الاكبر فى النضال والتضحية . فالقوى والعناصر الوطنية لا تتجمع فى خلاء ، ولكنها تتجمع حول نواة صلبة من اخلص العناصرواكثر القوى ثورية . فاذا تنابذت القوى الاشتراكية وتبادلت الشك ، وتفرد بعضها بالرأى ، وانكر على البعض الاخر دوره الطبيعى ، انعكست خلافاتها على الصف الوطنى كله : فتفرق الطليعة وتخاصمها معناه عدم وضوح الطريق امامها ، ونتيجة ذلك الطبيعية شيوع الشك والتردد ، بل واليأس فى الصفوف التى تسير خلفها .

٤ — ان وحدة القوى الاشتراكية والوحدة الوطنية لا تتحقق بترديد الشعارات وابتداع النظريات وتدبيج التقارير والمقالات . ولكنها تتحقق بالعمل السياسى الايجابى بين الجماهير ، وتبنى من خلال العمل الجماهيرى . ولذلك فان السبيل لبنائها ودعمها هو حرية الحركة المنظمة لجماهير شعبنا ، واشراك تلك الجماهير فى مناقشة أهم القضايا نقاشا ديمقراطيا حرا،قوامه الايمان بالجماهير واحترام ارادتها ، والارتباط بها ، بل والتعلم منها وتبصيرها بحقائق الامور . وهذا يقتضى فى المحل الاول « تشغيل » التنظيمات القائمة : وحدات ولجان ومؤتمرات الاتحاد الاشتراكى ، منظمة الشباب ، اللجان النقابية والنقابات العمالية ، النقابات المهنية، الهيئات والجمعيات العلمية..الخ.
ان هذه التنظيمات يجب ان تدرس وتناقش القرارات الاساسية ،وهى فى مرحلة الاعداد وتبدى فيها الرأى قبل اتخاذ القرار ، ولا تكتفى بنقده بعد اتخاذه .

التناقض الرئيسى والتناقضات الثانوية

وعلينا الا ننسى ان التناقض الاساسى الذى يحكم حركة الثورة فى بلادنا الآن ، هو: الإستعمار والصهيونية من جانب آخر . وان ما عدا ذلك من تناقضات يتأتى فى مرتبة التناقض بين القوى الوطنية ، وفى مقدمتها القوى الاشتراكية من جانب ، وبين

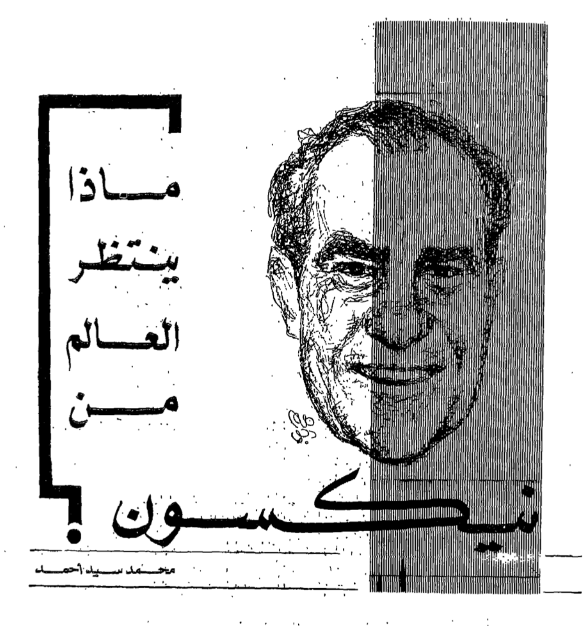
تالية من حيث الاهمية ، ويجب ان يخضع حله لمقتضيات التناقض الرئيسى . ولكن يجب التحذير من توهم امكان تجاهل التناقضات الثانوية او القدرة على الغائها ، او حتى طمسها . فالتناقض من طبيعة الحياة نفسها . ومظهره خلاف فى الراى مرده خلاف فى المصلحة حقيقى [كالتناقض بين العامل والرسمالى]، او متوهم [كالتناقض بين العامل والفلاح الفقير] او اسس فكرية واقتصادية مختلفة [كالتناقض بين العمل اليدوى والعمل الذهنى] ، او علاقة القهرجتى ولوكانت لصالح المجتمع [كالتناقض بين المحكومين والحكام] . ولكن القوى الاجتماعية التى يجمعها تناقض رئيسى مع عدو مشترك تدرك ان القضاء على ذلك العدو هو شرط تحقيق مصالح كل منها . ومن ثم تتحالف تلك القوى .

ولكن التحالف يفقد صفته كتحالف اذا سيطرت عليه احدى تلك القوى وسيرته فى خدمة مصالحها وحدها ، مهدرة مصالح القوى الاخرى . ومن ثم تصبح المشكلة الرئيسية أمام تحالف قوى الشعب العاملة عندنا : هو كيف تتمكن كل منها من ان تعبر عن رأيها وتلعب دورها فى اطار التحالف ، ومن اجل دعمه وصيانته . وهذا يعنى التسليم بضرورة الاختلاف فى الرأى ، او بعبارة اخرى ، بضرورة الصراع الفكرى . ان تحالف قوى الشعب العاملة قائم على مبدأ الإلتزام بحل التناقضات الطبقية بالطرق السلمية . وجوهر الحل السلمى هو الصراع الفكرى والاقناع والاقتناع .

ان الوحدة الوطنية لا يمكن ان تكون الا حقيقة حية خصبة بالفكر والحوار ، غنية بالجدل المثمر ، اساسها الادراك العميق لهدف كل طرف فيهما ، انه عبر الخلافات ، وبالرغم من انتصار فكره احيانا وهزيمته احيانا اخرى يستطيع ان يحقق من خلالها مصلحته على افضل وجه ممكن . انها لا يمكن ان تكون انصياعا صامتا ، ولا حتى تأييدا سلبيا .

وبعد ، ان كل الدلائل تشير الى ان عام ١٩٦٩ ، سيكون عاما حاسما فى مصير وطننا وشعبنا ، ولما كنا نريد ان تحسم الامور لصالحنا ، فان واجبنا الاول ان نجعل منه عام الوحدة الوطنية .

الطليعة



ماذا ينتظر العالم من نيكسون!

محمد سيد أحمد

ماذا تنبىء به ادارة نيكسون الجديدة ؟ سؤال تنطوى الاجابة عليه ، على اكثر من لغز ، لاكثر من سبب . فعلى الرغم من ان نيكسون ليس بالشخصية السياسية المجهولة للرأى العام ، بعد ان احتل منصب نائب رئيس الجمهورية فى عهد ايزنهاور طوال ادارتين متتاليتين [١٩٥٢ — ١٩٦٠] ، وتحددت له خلال مباشرة مهام وظيفته ، قسمات سياسية معروفة . الا ان ملابسات الموقف داخل الولايات المتحدة ، وملامح الوضع الدولى ، قد تغيرت كثيرا منذ ذلك الوقت . ومن المفارقات الملفتة للانظار فى حملته الانتخابية ، التى انتهت بفوزه بكرسى الرياسة ، ان نيكسون لم يفصح عن أى برنامج واضح ، او اية نقاط محددة ، لعلاج الاخطاء الخطيرة التى تورطت فيها ادارة جونسون السابقة . واكتفى بتصريحات مائعة ، لا تلزمه بخطوات محددة ، وتجد آذانا صاغية لدى كتل من الناخبين ، شديدى التباين فى مواقعهم السياسية ، عن «**ضرورة احداث تغيير**» ، انطلاقا من عدم ارتباطه السابق بما انزلقت اليه سياسة جونسون . وظل الناخب الامريكى لا يملك فى نهاية المطاف ، ما يمكنه من التمييز بشكل قاطع بين مرشحى الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى القضايا الجوهرية .

وقد عقدت الامال بعد ذلك على ان يلقى **تشكيل الوزارة** ، بصيصا من النور على الخط الذى ينتظر ان تنتهجه الادارة الجديدة . ولكن جاء هذا التشكيل مخالفا لكثير من التنبؤات . واستبعد معظم وجوه الحزب الجمهورى ، ذات الملامح السياسية المعروفة ، وأسماء الشخصيات المتمرسة فى دهاليز السياسة الامريكية ، مثل

نيوى وريجن وروكفلر وسكرانتون . واستعيض عنهم بشخصيات قد تملك كفاءات مشهودة لها فى مجال تخصصها ، ولكن يظل أغلبها غرباء على المناصب التى اسندت اليها . وزاد هذا التشكيل — وهذا التجديد — من غموض الموقف ، ومن صعوبة التنبؤ بما ينبغى توقعه من مبادرات أمريكية فى هذه المرحلة الحساسة التى تطلق ظلالها على الصعيد الدولى ، وفي داخل امريكا على حد سواء .

تظل بعد ذلك « مؤشرات » ، لا نرى سبيلا الا ان نستمدها من واقع نتيجة الانتخابات ، كانعكاس لواقع الموقف الراهن داخل امريكا ، ومن واقع القسمات الملحوظة للموقف الدولي . وقد تسهم هذه المؤشرات فى تحديد اطار « حرية الحركة المتاحة » للادارة الجديدة ، فى ضوء ما هو معروف عن شخصية نيكسون ، وما ينتظر منه عمله في الملابسات الدولية والمحلية الراهنة .

معركة انتخابية تختلف عن سابقتها

من ابرز ما يستوقف النظر في المعركة الانتخابية الاخيرة ، هو الفرق الشاسع الذي يميزها عن المعركة السابقة ، التي خرج منها **ليندون جونسون** ، بأغلبية ساحقة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الانتخابات الامريكية ، وأتاحت له ادعاء انه يملك ثقة الامة بأسرها . وكان جونسون قد أحرز هذا النصر الحاسم على منافسه الجمهورى **بارى جولدووتر** ، ليس فقط لانه خاض المعركة ، متظاهرا بأنه حريص على مواصلة « الانفتاح » الذى ادخله سلفه ، الرئيس المغتال **جون كيندى** ، على السياسة الامريكية ، ولا لمجرد ان جولد ووتر نادى فى حملته الانتخابية ، بخط متطرف في عدوانيته وتعصبه ، أعاد الى الاذهان « **المكارثية** » المقيتة ، ولكن كذلك لان جونسون وعد ناخبيه بانتهاج سياسة خارجية معتدلة ، وبخاصة فى قضية فيتنام . كما وعد بادخال اصلاحات داخلية بعيدة المدى ، تستهدف اقامة « **المجتمع العظيم** » .

وأثبتت ادارة جونسون فى التطبيق ، انها انتكست على كل هذه الوعود ، واتبعت سياسة تناقضها تماما . فقد صعدت حرب فيتنام ، دون ان تحرز فيها النصر المرتقب ، رغم كل ما تكبدته امريكا من خسائر فادحة في الارواح والمعدات ، ومن نفقات باهظة ، بلغت ثلاثين الف مليون دولار كل عام . ومع تفاقم الطابع المغامر لسياسة امريكا الخارجية ، أخذت القروح الداخلية تتقيح . تفجرت ثورة الزنوج . وتلاحقت مسيرات الفقراء الى واشنطن ، وتظاهرت ربات البيوت ضد ارتفاع الاسعار . وانفجرت ثورة الطلاب والشباب ضد التجنيد لحرب فيتنام ، واختلال كل القيم الاجتماعية ، والبعث والعدم اللذان أصبح ينبىء بهما مستقبل معرض لاعمق الاهتزازات .

وافضت هذه الاحداث الى صدع عميق فى وحدة الامة ، والى تعدد مواطن الانفجار ، وتلاطم اتجاهات شديدة التنابذ والتفتت ، تهدد بين كل حين وآخر بدفع الموقف الى حافة الحرب الاهلية ، والفوضى الشاملة . ودخل **العنف** السياسة الامريكية من اوسع الابواب ، وتلاحقت الاغتيالات السياسية ، وظهرت « **سلطة الطلاب** » ، بعد «**السلطة السوداء**» ، وتفاقمت اساليب العصابات فى ادارة السياسة الرسمية ، لمحاولة قمع هذه الاتجاهات الجارفة ، وردعها قبل ان تصل الى حد هدم المجتمع من داخله . **وكان قرار جونسون الذى اعلنه فى مارس الماضى ، بتخليه عن خوض المعركة الانتخابية القادمة ، اشهارا لافلاسه السياسى ، وتسليما من جانبه بأن الخط الذى انتهجه طوال فترة توليه الرياسة ، قد بدد تماما كل الرصيد الذى تجمع فى شخصه عند انتخابه .**

ارتفاع رصيد نيكسون

غير ان الرصيد الذى بدد لم يكن رصيد جونسون الشخصي فحسب ، ولا مجرد رصيد حزبه واحتمالات نجاحه فى انتخابات الرياسة الاخيرة ، ولكن فوق هذا كله ، ترتب على هذا العجز فى ادارة الديمقراطيين مفارقة خطيرة ، ربما لم يسبق لها مثيل ، تمثلت فى **بلوغ اقوى أمة فى العالم أعمق أزمة شهدتها فى تاريخها** ، واصبحت تتعرض — على الرغم من ثرواتها الطائلة ، ورغم كل تفوق قدراتها — لاخطر محنة عانتها فى أى وقت . وهو أمر بالغ الخطورة فى عالمنا المعاصر ، **الذى لم يعد يحتمل وقوع أزمة تصل الى هذه الابعاد في واقع امريكا الداخلى ، دون ان يترتب عليها انعكاسات بعيدة على مقدرات** البشرية جمعاء .

وفى وجه هذا الافلاس الشامل الذى كشفت عنه ادارة جونسون — وهو موقف يختلف جذريا من الموقف الذى خلفه كيندى ، واتاح لجونسون نجاحه الباهر فى انتخابات عام ١٩٦٤ — لم يعد لزاما على الحزب الجمهورى المنافس ان يلجأ — ليتميز في مواجهته — الى خط موغل فى تعصبه وعدوانيته وتطرفه اليمينى . وهو الخط الذى جسده جولد ووتر فى الانتخابات السابقة — **بل اصبح من مصلحة هذا الحزب — على العكس — ان يعمل على استمالة فئات عريضة من العناصر المتذمرة ، وأن يستهدف استيعاب حركة الطبقات الوسطى المحافظة ، التى ابدت انزعاجها الشديد**

من تفاقم الصراع الاجتماعي في شتى صوره الطبقية والعنصرية ، وحتى من صراع الاجيال ، وتمرد الشباب على المؤسسات الامريكية القائمة .

وفي الوقت الذي اعلن فيه جونسون تخليه عن خوض المعركة الانتخابية في مارس الماضي ، انسحب فجاة **جورج رومني** — احد مرشحي الحزب الجمهوري للرياسة ، واحد وزراء نيكسون الحاليين — تحت ضغط يرمي الى توحيد الصفوف ، ولتترك المعركة داخل الحزب الى التنافس بين **نيكسون** من جانب ، **ونيلسون روكفيللر** — اكثر ممثلي الحزب ليبرالية — من الجانب الاخر . الا ان نيكسون بكفاءاته كسياسي محنك ومتمرس ، كان اقدرهما على حشد اوسع تجمع داخل جهاز الحزب وخارجه حول شخصه ، في اتجاه يرمي الى كسب قطاعات عريضة من الفئات الوسطى المتذمرة والساخطة ، ودون ان يلتزم ببرنامج محدد ، يقيد حركته بعد انتخابه .

وتخلي الحزب الجمهوري — رسميا — عن منبره السابق اليميني المتطرف [الذي عبر عنه جولد ووتر] ، المرشح للرياسة هو **جورج والاس** ، محافظ الاباما ، وقد واصل تمثيل هذا الخط — والاعلان عنه بشكل سافر — في حزب جديد انشأه ، واسماه « **الحزب الامريكي المستقل** » . وهذا الحزب الجديد الذي جذب ١٤ ٪ من عدد الذين ادلوا باصواتهم ، لم يكن يخفي برنامجه ، [على حد تصريحات جنرال الجو **ليماي** ، والمرشح بجوار والاس لمقعد نائب الرئيس] ، وهو برنامج ينادي صراحة باستخدام الاسلحة الذرية في فيتنام ، ومعارضة وقف الغارات الجوية ضد فيتنام الشمالية . وقد استقطب هذا الحزب بالفعل قوى اليمين المتطرف ، والجماعات ذات الاتجاهات العنصرية ، والميول الفاشية ، والتشكيلات الهتلرية النزعة . وهي في اغلبها عناصر كانت تدلي باصواتها في الماضي لمرشحي الحزب الجمهوري في ولايات الجنوب . وقد اجمع المراقبون على ان نسبة الاصوات التي تجمعت حول هذا الحزب تعتبر بحق صحوة مخيفة لليمين المتطرف . ودلالة على ان القلاقل التي تواجه المجتمع الامريكي حاليا ، تخلق ارضية سانحة لوثوب الاتجاهات الفاشية الى السلطة .

وكانت كل التنبؤات قبل ظهور نتيجة الانتخابات ببضعة اسابيع تنتظر نصرا ساحقا لنيكسون . لا لانه كان يحوز لشخصه تاييدا واسعا ، ولكن كتعبير عن ادانة ادارة جونسون ، ولاحساس جارف بضرورة تغيير الادارة القائمة ، ولشعور عارم بالسخط وعدم الرضا ، وعدم ظهور بديل غيره . فلا يوجد في المجتمع الامريكي تنظيم سياسي قادر على احتواء هذا الفيض من التذمر والضيق ، بعيدا عن الحزبين التقليديين . وما زالت قوى التقدم واليسار ضعيفة ومفككة . وهي لا تقدر على استيعاب كافة حركات المعارضة التي تجتاح المجتمع الامريكي ، على اختلاف اسباب انطلاقها في حركة واحدة [حركة الزنوج من اجل الحقوق المدنية ، وضد التفرقة العنصرية . حركات المثقفين المتمردين . الحركة المعادية لحرب فيتنام ، ومن اجل السلام . مسيرات الفقراء . حركات الشباب . مطالب الاتحادات النقابية العمالية .. الخ ..] . وكانت هذه القوى في اغلبها تدلي عادة باصواتها لمرشح الحزب الديمقراطي ، ولكن تجربة ادارة جونسون خيبت الامال الى ابعد حد في قدرة هذا الحزب على نصرة هذه القضايا ، وايجاد حلول مقبولة لها ، حتى مع افتراض تخلي جونسون لغيره بمنصب الرياسة . ولم يستطع هيوبرت همفري ان يحتفظ بقدر من الشعبية — بوصفه مرشح الحزب الديمقراطي — الا لادراك هذه القوى ان كل بديل في السلطة لهذا الحزب ، هو بالحتم « بديل الى يمينه » ، ومع ذلك لم يجد **همفري** مناصا — تدعيما لمركزه — الا ان يعلن تنصله من الخط الذي انتهجه جونسون . واضطر — قبل انتخابات الرياسة باسبوعين — ان يدلي بتصريحات يؤكد فيها انه لم يكن موافقا على بدء الغارات الجوية على فيتنام الشمالية في فبراير عام ١٩٦٥ ، ولم يكن تاييده المعلن لسياسة جونسون بعد ذلك الا بحكم الالتزام الذي فرضه منصبه الرسمي كنائب للرئيس ! ووجد كل اقطاب الحزب الديمقراطي ، ان الظروف قد اصبحت تستدعي تجميع كل قواهم لمناصرة همفري في حملته ، رغم الحساسيات التي اعقبت اختيار مرشح الحزب للرياسة ، والا تعرض الحزب كله للهزيمة المؤكدة امام نيكسون . فأصدر جونسون قراره بوقف الغارات الجوية على فيتنام الشمالية . ووافق على دعوة جبهة تحرير فيتنام الجنوبية للاشتراك في مباحثات السلام الدائرة في باريس . واعلن منافس همفري على الترشيح عن الحزب الديمقراطي ، **يوجين مكارثي** ، تاييده لهمفري ، بعد ان وقف من معركة الانتخابات موقفا سلبيا ، اثر اختيار همفري كمرشح للحزب في مؤتمر شيكاغو . وقد اسهم هذا الجهد الذي بذل في الاسبوعين الاخيرين من المعركة في تغيير الصورة بشكل محسوس ، كاد ان يكون حاسما . فقد استطاع الحزب الديمقراطي ان يحتفظ بالاغلبية في كل من مجلسي النواب والشيوخ . ولكن فاز نيكسون ، رغم ذلك بكرسي الرياسة . غير ان فوزه كان بنسبة ضئيلة للغاية ، بلغت فقط ٤٣ر٤٥ ٪ من عدد الذين ادلوا باصواتهم . ولم تتجاوز هذه النسبة ربع مجموع الناخبين . وهي اقل نسبة منذ انتخاب **وودرو ويلسون** في عام ١٩١٢ . ولم يحرز نيكسون هذا الانتصار على منافسه الا بـ ٤٣ في الالف من البنط ، اي بـ ٣٠٩ر٩٥٣ صوتا فقط ! ..

حرية الحركة المتاحة

لم يعد فى وسع نيكسون — او غيره من المرشحين — ان يمجدوا من « **اسلوب الحياة الامريكية** » ، او ان يتحدثوا باعتزاز عن التزامات الولايات المتحدة فى « **الدفاع عن العالم الحر** » . فكل هذه العبارات البراقة التى طالما رددت — واستهلكت — فى خطب المعارك الانتخابية السابقة ، اصبحت اليوم تصطدم اصطداما لايملك احد انكاره مع واقع حملات العنف ، وحركات « الهيبيز » ، وتمردات الزنوج ، والاغتيالات السياسية ، وغيرها من الظواهر الصارخة التى اصبحت حقائق يومية ممزقة فى الحياة الامريكية المعاصرة . والتعفن الذى اصبح يحيط بحرب فيتنام ، واستنزافها لمعظم انشغالات رجال السياسة ، فى عملية تزداد احتمالات النصر فيها ابتعادا ، كلما زادت امريكا تورطا ، يلقى ضوءا غير ذلك الذى اريد تصويره لمعنى « **التزامات امريكا فى الخارج** » ، ومعنى « **الدفاع عن العالم الحر** » . وزادت هذه المعانى تعثرا ، وكشفت عما تنطوى عليه من تناقضات ضمنية ، بتمرد اوربا على السيطرة الامريكية ، وبتفاقم ازمات النقد ، وببروز شخصيات مثل **ديجول** تطالب بمراجعة « الاستراتيجية الغربية » برمتها ، وتنسحب فعلا من حلف الاطلنطى . ولم يعد لهذا « الدفاع » **توته** على الحشد والتعبئة ، بعد ان اصبحت ضرورة **التعايش السلمى** تفرض اساليب جديدة للتعامل بين الشرق والغرب ، وبعد ان تغيرت ملامح العالم ، وطبيعة التحالفات ، ومعنى المصطلحات السياسية كلما ارتدت الى الخلف صورة العالم كما بدت للدوائر الحاكمة فى امريكا عقب الحرب العالمية الثانية ، وفى احلك لحظات الحرب الباردة . وحتى « **شبح الشيوعية** » ، و « **خطر الغزو الاحمر** » ، وغير ذلك من الاخطار التى صورتها هذه الدوائر محدقة ، ونهضت كمبرر « للمكارثية » ، ولحملات طغت على كل قيم المجتمع الامريكى ، وعمت واستبدت فى الخمسينات ، واطلقت ظواهر مماثلة لحملات محاكم التفتيش ضد جواسيس شيوعيين مزعومين ، وكان لنيكسون شخصيا دور فيها بملاحقته موظفا كبيرا بالخارجيةيدعى **الجر هيس**، حتى هذهالتصورات التى طالما استخدمت كسلاح للحيلولة دون حرية الرأى وممارسة النقد ، ولاضطهاد المثقفين الاحرار ، ولمطاردة اليسار ، دفاعا عن المؤسسات القائمة ، ومصالح الاحتكارات التى تقف خلفها ، وهى المؤسسات التى لم تجد غضاضة من تجنيد الطلبة ونقابات العمال واساتذة الجامعات فى حبائل وكالة المخابرات المركزية . ان كل هذه القيم ، والنظم التى افرزتها ، لم تعد مقبولة ، واصبحت مفضوحة ، وأفضت الى عكس ما كانت تهدف اليه، وأصبحتشخصية مثل (شي جيفارا) ، مثلا اعلى يحتذيه الشباب ؟ ويتطلع اليه كبطل ، ولا يخشى **ستوكلى كارميكل** اعلان انه يقف الى يسار « ماوتسى تونج » ! . .

ان الازمة التى تعترى المجتمع الامريكى الان ، هى ازمة النظام ذاته ، بكل الاسس التى ينهض عليها هيكله الاجتماعى والسياسى والاقتصادى . هى ازمة المؤسسات الامريكية ، وصلاحية قياداتها وتنظيماتها الحزبيةالتقليدية على مسايرة مقتضيات التحول داخل المجتمع ، وعلى الصعيد العالمى .
ان هذه المؤسسات فى ممارستها السياسية قد تجمدت عند مفهوم محدد لحقائق عالم ما بعد الحرب ، وعند اسلوب محدد فى علاج قضايا العصر . وربما عاش هذا المفهوم عصره الذهبى ، ووجد اتساقه الامثل ، فى سياسة رجل مثل **جون فوستر دالاس** . وكان فى ذلك الوقت تعبيرا ناطقا عن اسلوب لمواجهة الاستقطاب القائم وتتذاك فى القوى العالمية . غير ان المؤسسات الامريكية عجزت عن ان تتكيف لمتطلبات التغيير الذى طرا على ملامح العالم منذ ذلك الحين . وبعد التعثر الذى اصاب محاولة الرئيس الراحل **كيندى** لادراك ابعاد الحقائق الجديدة ، والانفتاح عليها ، **ظلت المفهومات والتصورات التقليدية تختزن من القوة ، رغم افراغمحتواها منكثير مما كان يبرر وجودها ، ما مكنها من الاستمرار فى امتصاص محاولات التجديد ، ومحاصرة كل جهد يسعى جادا الى تقديم نمط للانطلاق بديل .**

وكان **لثورة التكنولوجيا الخارقة خلال السنوات الاخيرة** ، بتأثيراتها فى انطق صورة على اقوى واغنى مجتمع فى العالم ، آثارها البعيدة لا فى الحد من عمق هذه الظواهر ، بل فى دفعها الى حد ابعد واخطر . فقد انطوت هذه الثورة على تغيير واسع فى هياكل المجتمع ، وزادت من عوامل القلق والحيرة حول احتمالات المستقبل ، فى مجتمع تسخر انجازات التكنولوجيا فيه لتدعيم الاحتكارات العملاقة وزيادة ارباحها ، بدلا من ان يخطط استخدامها لصالح المجتمع بأسره . وجاءت وعود ادارة جونسون ، فى اقامة « **المجتمع العظيم** » ، وفشله فى وضع مخططه موضع التطبيق ، تعبيرا صارخا عن ان القضية لا تقتصر ابعادها على ما تتيحه الاستكشافات الرائدة فى التكنولوجيا من امكانيات فحسب ، بل تتصل قبل ذلك بالقضية **الاجتماعية** ، ولمصلحة من تخطط هذه الانجازات ، وما هى السلطة التى تنجزها . وطرحت القضية مرة اخرى طبيعة المؤسسات القائمة ، وصلاحيتها أصلا فى التعرض لمثل هذا المشروع . **وتجاوزت الوعود امكانيات التطبيق بالقدر الذى اصبح فيه استرضاء تصاعد موجة السخط يتطلب المزيد من الوعود ، بغض النظر عن التطبيق . وبرزت كحقيقة صارخة مفارقة بروز اعمق محنة تعترض اقوى مجتمع فى العالم .**

استكشاف فرص توسيع الحركة

ان المجتمع الامريكي لم يكن في اى وقت منقسما على نفسه كما اصبح منقسما اليوم . وطغيان عنصر التفتيت ، واحتدام الصراع الاجتماعى ، وتعدد وجوهه وتنوع مظاهره ، عوامل كلها من شأنها اصلا ان تحد كثيرا من الحرية المتاحة للرئيس الجديد .

وقد امتد الانقسام الى صميم المؤسسات الحاكمة . فقد انتخب رئيس جمهورى — وبنسبة ضئيلة فى الضآلة — لاغلبية ديمقراطية فى كل من مجلسى الشيوخ والنواب . وهذا « بعد » مضاف فى الحد من حرية الحركة .

وهذه جميعها عوامل « موضوعية » ، تفرض نفسها ، بغض النظر عن « شخصية » نيكسون ، ومواهبه السياسية وكفاءاته الخاصة .

وهذا الحد من القدرة على الحركة فى ظرف « موضوعى » ملتهب ومتفجر ، امر غاية فى الخطورة ، وهو المناخ الذى يهيىء لاخطر المغامرات ، خروجا من المآزق ، متى تفرض . والمعلوم عن نيكسون ان تجربته السابقة فى مباشرة مسئوليات سياسية تيادية — كنائب لرئيس الجمهورية — كانت تجربة حكمتها فلسفة « جون فوستر دالاس » ، فى دفع الامور الى حافة الهاوية . والملفت للانظار ان كافة الاطراف الدولية — على غير العادة فى مثل هذه الظروف — قد امتنعت عن التعليق رسميا على نتائج الانتخابات بعد ظهورها . وحرصت على عدم ابداء رأى مسبق ، لتدارك اضافة « قيد آخر » على حرية حركة نيكسون ، واستعدائه قبل ان تتاح له فرصة التحرك . وهذا الامتناع ينطوى ضمنا على تسليم اجماعى بخطورة الموقف واحتمالاته .

وبديهى ان فكر نيكسون ، بمجرد ان تولى مسئولياته الجديدة ، فى « التوسيع » من قدرته على الحركة ، وربما كان حرصه على عدم الارتباط ببرنامج محدد ، ووعود محددة طوال حملته الانتخابية ، تعبيرا عن هذه المشكلة ، حتى لا يقيد يده فى حالة انتخابه ، وليس هناك شك فى ان نيكسون بذل جهودا قدر طاقته ، وقدر ما تسمح له الظروف اثر المعركة ، لضم عناصر قيادية من الحزب الديمقراطى الى ادارته ، وشخصيات لها شأنها لدى قطاعات المجتمع التى تجتاحها موجات السخط ، وربما بخاصة بين الزنوج . ولكن من الواضح ان هذه الجهود لم تكلل بالنجاح المنشود . ولم يستجب لدعوته سوى بعض العناصر ذات الشخصية المستقلة على هامش الحزب الديمقراطى ، مثل **موينيهان** لشئون الاسكان ، او **يوست** كمندوب امريكا الى الامم المتحدة . غير ان كافة الشخصيات البارزة فى الحزب احتفظت باستقلالها التام عن الادارة الجديدة ، استعدادا للمعركة الانتخابية القادمة . وينطبق ذلك ايضا على كل اقطاب حركة الزنوج ، وكافة العناصر القيادية لحركات المعارضة . وليس هذا من شأنه تيسير مهمة نيكسون ، بخاصة فى الظروف الراهنة ، ومع وجود اغلبية للديمقراطيين فى مجلسى النواب والشيوخ .

وبعد فشل هذه المحاولة الاولى ، لجأ نيكسون — توسيعا لحريته فى الحركة — الى تشكيل وزارته ، مستبعدا كافة الشخصيات البارزة فى حزبه ، التى تملك منازعته السلطة ، والكلمة المسموعة . وحرص على ان يتولى أهم مناصبها رجال من اقرب المقربين اليه ، مثل **روجرز** للخارجية ، و**فينش** للصحة والتعليم والخدمات . وجميعهم لا يهددون ببروزهم كأقطاب فى مواجهته . والطابع العام لوزارته يتسم بوجوه جديدة ، مشهود لها بالكفاءة فى مجال تخصصها ، ولكن اغلبها تنقصه الخبرة السابقة فى الاعمال التى اسندت اليها . وهى فى اغلبها عناصر تستطيع ان تكسب اعجاب الفئات الوسطى المحافظة ، دون ان تنظر اليها الدوائر المسئولة كعناصر غريبة عليها . **ويكشف هذا التشكيل للوزارة عن نية نيكسون فى ان يتولى بنفسه البت فى اخطر القرارات ، دون ان تعترض ارادته رجال ادارته المسئولين . ولذلك ركز فى اختيار مستشاريه على شخصيات واسعة الدراية بشئون السياسة ، مطبقا فى اختيارهم قاعدة تختلف تماما عن قاعدة اختيار وزرائه .**

شخصية نيكسون واهدافه المعلنة

ولهذه الاسباب ، تبرز شخصية نيكسون كعنصر هام فيما ينبغى ان ينتظر منه . وهو يصف نفسه « بالواقعية » ، و « البراجماتية » . وقد عرف عنه فى ممارسته السابقة لمسئوليات كبيرة ، بأنه كان من غلاة الاتجاهات اليمينية المتطرفة . ولكن لا ينفى احد انه من الساسة المحنكين ، المتمرسين فى فن المناورة ، المحيطين بأسرار اساليب السياسة الامريكية ، ومن العناصر الشديدة الحساسية للمناخ السائد وتموجاته ، والقادرة على السباح فى كافة المياه .

وقد ظل الى الآن مبهما وغامضا فيما ينوى عمله لمواجهة المشاكل الداخلية المتفاقمة . وقد ردد طوال حملته الانتخابية انه رجل يحرص على « **النظام** » و « **الشرعية** » . ومنذ ان انتخب ، وجد لزاما عليه ان يركز كل احاديثه على اهمية « **الوحدة القومية** » .

□ وفى مجال الاقتصاد ؟ أبدى نيكسون شكه فى جدوى تدخل الحكومة الفيدرالية فوق الطاقة فى مجريات النشاط الاقتصادى ، وأبدى تحبيذه للامركزية ، ولتدعيم الحكم المحلى . وأعلن ايمانه بفكرة « **التنافس الحر** » ، باعتبارها مبدأ اساسيا فى تقاليد امريكا الاقتصادية . ولكن هذه التصريحات لا تأتى بردود شافية على المشاكل الحقيقية التى تواجه الاقتصاد الامريكى اليوم . وهى لا تلقى اضواء على الاجراءات التى تنوى الادارة الجديدة اتخاذها لمواجهة المشاكل النقدية المتفاقمة ، ومشكلة الاحتفاظ بربط الدولار بالذهب او فصله عنه ، والاختلال فى ميزان المدفوعات ، وكذلك ظاهرة التضخم وهى تنبىء ببلوغ ابعاد خطيرة . وان كان من المعلوم عن نيكسون انه من أنصار الحد من تفاقم التضخم ، حتى اذا ترتب على ذلك انكماش فى العمالة ، وزيادة فى البطالة ، الى ما يفوق الحد الاقصى الذى حرصت ادارة جونسون الا تتجاوزه .. وهذا من شأنه ان يزيد بدوره من احتدام الصراعات الاجتماعية ، ومن سوء حالة القطاعات الفقيرة فى المجتمع ، مقابل تدعيم مركز الاحتكارات .

□ **وفى مجال الخدمات** ، التى انصرفت عنها ادارة جونسون الى حد بعيد فى السنوات الاخيرة ، بسبب انشغال الرئيس السابق بحرب فيتنام واجتذابها معظم وقته واهتمامه ، فيتحدث نيكسون عن زيادة الانفاق على بناء المستشفيات ، وزيادة كفاءة الخدمات ، وزيادة الاهتمام بقضايا التعليم والصحة ، عن طريق زيادة عدد الاطباء والممرضات . وقد اختار لوزارة الصحة والتعليم والخدمات احد اصدقائه المقربين ، **هوفينش** ، ومثل هذه الاجراءات تنبىء — هى الاخرى — بخدمة المشروعات الخاصة فى هذه القطاعات ، قبل ان تعبر عن انصراف بالجهود الى رفع مستوى المواطنين بشكل عام .

□ **أما عن أهم القضايا المحتدمة ، التى اصبحت تواجه المجتمع الامريكى** ، فلم يدل نيكسون بتصريحات محددة حول خطة عمله فى هذا الصدد . وظل يردد تعبيرات مبهمة من نوع انه يعتز بانتمائه الى عائلة اسهمت تاريخيا فى تحرير العبيد ! .. ويعلن نيكسون انه من أنصار الحقوق المدنية للزنوج . ولكنه يرى احالة الموضوع برمته الى الهيئات القضائية ، لتحكم فى النزاعات القائمة حول تطبيق القانون فى صدد هذه الحقوق . ويرفض نيكسون تماما اى تحرك للزنوج يتجاوز حدود الالتزام بهذا "الاطار" ، رغم كل تجاربهم المتكررة بأن القانون لا يطبق . ويهدد نيكسون بقوله ان « الحق المدنى الاول الذى يجب ان يتمتع به كل امريكى ، هو ان يكون آمنا من أعمال العنف » ! **ومعنى هذا المنطق فى الملابسات الراهنة للتفرقة العنصرية ، هو الاقدام حتما على صدام مع الزنوج ؟ وعلى زيادة ثورتهم المشروعة من أجل حقوقهم المهضومة خطورة !**

سياسة خارجية تقليدية

الا ان نيكسون قد ادلى بتصريحات قبل انتخابه الى أحد كبار معلقى مجلة «الاويزرفر» البريطانية ، كينيث هاريس ، تضمنت نقاطا هامة تلقى بعض الاضواء على الخط الذى ينوى انتهاجه بالذات ، فى سياسته الخارجية .

ويسلم نيكسون بأن **قضية فيتنام** ، هى القضية الاولى التى تشغل بال ادارته فى هذا الشأن . ويصرح بأن هذه التجربة لا ينبغى ان تتكرر ابدا . وان القضية اصبحت الان ، ايجاد مخرج فى اسرع وقت مستطاع ، وعلى اساس مشرف . ويدين نيكسون هذه التجربة ، على اساس انها افضت الى « امتصاص المزيد من النفقات والرجال والعتاد ، لمساعدة دولة اخرى على ان تحمى نفسها من العدوان الشيوعى » . ويجب — فى نظره — استبدال هذه السياسة ، بأخرى تقوم على « **نظام للأمن الجماعى** » ، حيث تنهض الدول ذاتها فى مناطق مختلفة من العالم ، بتحمل مسئولياتها فى مساعدة بعضها البعض ، بدلا من الاعتمادعلى الولايات المتحدة لتقوم خلال أتفاقات ثنائية بالعبء الاكبر فىهذه المساعدات . ولاينطبق ذلك فى تقدير نيكسون على جنوب شرقى آسيا فحسب ، بل على افريقيا وامريكا اللاتينية كذلك .

والمعنى الذى يشير اليه نيكسون فى هذه التصريحات ، هو محاولة تجديد الاحلاف المتعددة الاطراف ، مع عدم الزام أمريكا بالعبء الاعظم فيها . وينطوى هذا المعنى على رغبته فى الانسحاب من بعض ما تورطت فيه امريكا بصورة اصبحت تستنزف امكانياتها ، وتهدد استقرارها الداخلى ، ولكن بدون التخلى عن اطماعها فى الاحتفاظ بدور قيادى فى تقرير مصائر العالم خارج حدودها ، وبالاعتماد على الوسائل الاقتصادية اساسا . ويقول نيكسون انه ينتمى الى المدرسة « **الاممية** » [!] ، ويرفض العودة الى سياسة « **العزلة** » .

ولا يوافق نيكسون على الاعتراف **بالصين الشعبية** . ويرى ان سبيل مواجهة التحدى الذى تمثله ، ينبغى — بعد فشل تجربة فيتنام — ان يقوم على اساس احياء وتدعيم مركز الدول المحيطةبالصين اقتصاديا ، وبالذات اليابان وكوريا الجنوبية وتايلاند وفيتنام الجنوبية — ويرى ان هذه السياسة تحقق افضل وسيلة لالزام الصين بالخط الذى اصبح الاتحاد السوفيتى — فى نظره — يلتزم به ، وهو الاعتراف بضرورة التخلى

من « اطماع استعمارية » « وقبول التعايش » ووقتئذ فقط تصبح الظروف سانحة لقبول الصين عضوا فى الامم المتحدة .

وبنفس المنطق ، يرى نيكسون تدعيم الوجود الامريكى **فى أوربا** ، تعبيرا عن سياسة الاحتكارات الاوربية فى زيادة استثماراتها الموجهة الى هـذه المنطقة من العالم . ويتحـدث عن اهمية تدعيم **حلف الاطلنطى** بصورة تلائم مقتضـيات العصر ، وعلى اســس تختلف عن تلك التى اقيـم الحلف بمقتضـاها منذ ١٩ عاما . ويرى فى احـداث تشيكوسلوفاكيا ما يفسح المجال لتجديد الجهود فى هذا الشأن . كما يحرص نيكسون على ابداء اعجـابه بشـخصية **ديجول** ، آملا فى ان تغيير الادارة يجدد الفرصة فى بدء صـفحة جديدة مع فرنسا .

وان دلت هــذه التصريحات على شيء ، فهى تؤكد ان نيكسون لا ينبىء بتغيير فى الخط العام ، يختلف عن الســياسة الامريكية التقليدية . وهو يواصل جوهر هذه السياسة ، مع محاولة الحد من تماديها الى ما أصبح يهدد مصالحها الاساسية ، وكيانها واستقرارها . والتجديد الذى يعد به لا يمس صـميم المؤسـسات القـائمة ، وتعبيرها الصادق عن مصـالح الاحتـكارات الكبرى . بل يقتصر هذا التجديد على ما يزيد من كفاءة هـذه المؤسسات فى خدمة هذه المصالح ، وضعا فى الاعتبـار حرية الحركة المتـاحة ، وزيادة تفجر الاوضاع الداخلية . وهو لا يعدو ان يكون محاولة — فى التحليل الاخير — لصـون هذه المصـالح وحمايتها ضد الرياح التى اصبحت تهب ، لتهددها فى جذورها ، وفى بنيانها الهيكلى نفسه .

أزمة الشرق الاوسط

يظل بعد ذلك موقف نيكسون وادارته من ازمة الشرق الاوسط ، ومن الاهمية بمكان ان نشير الى خطر الانزلاق الى اوهام حول احتمالات وابعـاد « التغيير » الذى يملك نيكسون احداثه فى هـذا الصدد . وربما كان الباعث على هذه التصورات ، ومن جانبنا نحن العرب بالذات ، هو موقف ادارة جونسـون السابقة فى مساندة اسرائيل وعدوانها بلا قيد او شرط ، وتماديها فى سياسة العداء للحق العربى بصـورة توحى بأن كل سـياسة امريكية بديلة ، لابد ان تكون اقل ضررا ، ولابد ان تنطوى على قدر من التصحيح ، يتلاءم مع مصالح امريكا ذاتها فى المنطقة . ويصـعب اغفـال أن ادارة **ايزنهاور** السابقة استنكرت العدوان الثلاثى فى عـام ١٩٥٦ ، ومارسـت نفوذها لالزام اسرائيل بالتراجع . كما لا يجوز اغفال ان اصوات اليهود فى امريكا تركزت كلها على انجاح منافس نيكسون فى الانتخابات — مرشـح الحـزب الديمقراطى للرياســة — **هيـوبرت همفرى** . وكان لبعض التصريحات التى ادلى بها **سكرانتون** اثناء تجواله الاخير كمبعوث لنيكسون الى عواصم الدول فى المنطقـة ، الاطراف فى النزاع ، ما يشـجع على الاعتقاد بأن ثمة تغييرا محسوسا ، من المنتظر ان يطرأ على موقف امريكا من اسرائيل ، فى عهـد الادارة الجديدة .

وبديهى انه من السخف بمكان استبعاد كل احتمال لحدوث تغيير بالفعل ، ومن الواجب بذل كل جهد سياسى ممكن من اجل استكشاف فرصه الى أبعـد قدر مسـتطاع . غير ان الذى ينبغى التحذير منه ، هو توهم آفاق لهذا التغيير تتجـاوز طاقاته ، وتلوين الموقف بتقديرات تنبعث من دوافع «ذاتية» تحجب حقائق الامور ، وأبعادها الواقعية ، بما يفضى فى نهاية المطاف الى عكس ما ننشده .

ويجدر بنا فى هذا الصدد ان ننبه — على سبيل المثال — الى تصريحات نيكسـون التى سـبق الاشارة اليها ، الى **كينيث هارس** ، وقد جاء فى هذه التصريحات بالحرف الواحد :

« ان مشكلة الشرق الاوسط ، ليست فقط ذات اهمية حيوية ، ولكنها مسالة تتصل بمشاكل اوربا وافريقيا ، وبصدد الشرق الاوسط ، فالمسالة معروفة ، وهى فى الاساس مسالة توتر ، وغضب ، ومشاعر انسـانية متفجرة .

« وعلينا فى الامد القصير ان نزيل رائحة البارود . واعتقد ان العمل مع الدول العربية المعتدلة ، يمكن ان يكون مفيدا للغاية . واعتقد فى الامد الطويل ان الحل يكمن فى برامج عامة للمساعدة ، ومماثلة لمشروع ايزنهاور — ستراوس لتنمية ثروات الشرق الاوسط ، حتى نسحب الارض من تحت اقدام العناصر المتطرفة ، وكان للضغوط التى مارستها هذه العناصر ، دور هام فى الاحداث التى ادت الى نشوب الحرب العربية الاسرائيلية فى يونيو عام ١٩٦٧ .

« وليس بالمهمة اليسيرة التوصل الى سلم عادل فى منطقة من العالم لم تعرف سوى اتفاقات هدنة وحروب ثلاث كبيرة مدمرة فى مدة لا تتجاوز جيلا واحدا . ولكن الولايات المتحدة لا تعوزها القـدرات الدبلوماسـية والاقتصادية ، ورجالها الذين يملكون صفة خاصـة او عامة ، لا تنقصهم الافكار النيرة الكفيلة بالتوصل مباشرة الى حلول للمسـائل الرئيسـية كمسالة اللاجئين او الماء ..

« وينبغى ان نحبط كل اغراء لشن العدوان ، وذلك بمساعدة اسرائيل على ان تحتفظ بقدراتها الدفاعية . كما ينبغى ان نخوض مفاوضـات عنيدة ومبـاشرة مع الاتحاد السوفيتى لازالة الاسباب العميقة التى تنشىء حالة التوتر .. وينبغى ان نبادر باجراء محـادثات مع القـادة العـرب المعتـدلين اولا ، ثم بعد ذلك مع المتطرفين . ويجب ان نكشف عن آفاق النمو والتطوير ، تستطيع بالتدريج ان تضع حدا لحالة المرارة والغيرة الموجودتين .

« وهذه الخطة قد تبدو طموحة . ولكن السبيل الوحيد الى النجاح – او النجاح جزئيا – هو ان ننهض بهذا الجهد . فان حربا جديدة بالشرق الاوسط لن تؤدى الى اصطدام بين دول الشرق الاوسط وحدها ، بل قد تمتد الى مواجهة بين الدول العظمى فى الشرق والغرب ايضا . ولا يجب ان نسمح للمنطقة التى كانت مهدا للحضارة بأن تضيع لحد ما » .

وهذه التصريحات رغم انها لا تعبر عن **خط رسمى** ، الا انها تنطوى على أكثر من نقطة خطيرة ، تكشف عن **ملامح اتجاه** ، وهى تستحق من جانبنا ان نتمعن معانيها بعناية .

□ **فمن الواضح فى المقام الاول** ، ان ازمة الشرق الاوسط مطروحة فى اطار قضايا **الاستراتيجية العالمية** ، والمواجهة بين الدول العظمى فى الشرق والغرب . وازمة الشرق الاوسط تهدد فى نظر نيكسون – اذا ما نشب القتال من جديد – بأن تتجاوز حدود المنطقة الى مواجهة ساخنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى . وان المفاوضات المباشرة مع الاتحاد السوفيتى عنصرا اساسيا فى الموقف للتوصل الى حل .

□ **ثانيا** – ما زالت تختزن الولايات المتحدة قدرات « دبلوماسية » و « اقتصادية » ، تملك استثمارها . وهى قدرات تمكنها من النهوض **بدور قيادى** ، وبمبادرات عن طريق رجالها ذوى الصفة الخاصة والعامة على حد سواء ، من اجل الوصول الى تسوية . وهذه القدرات لن تقتصر على العمل « تجاه » **اسرائيل** وحدها ، بل ينبغى – فى نظر نيكسون – ان تمتد الى اعمال ازاء **الجانب العربى** كذلك . وربما يبرز فى ذلك اختلاف خط نيكسون عن خط جونسون السابق ، الذى لم يكن يملك نفس القدر من « حرية الحركة » ازاء « الطرف العربى » ، بسبب ارتباطه الوثيق باسرائيل ، وانكشاف موقفه على انه موقف يناصر اسرائيل دون ادنى تحفظ .

□ **ثالثا** – ان هذا « الانفتاح » الذى يقترحه **نيكسون على العالم العربى** ، **لا يعنى تغييرا فى** النظرة الى « معطيات القضية » وترتيب المسئوليات فى بلوغها حد « التفجر » . فليست اسرائيل هى « المعتدية » ، ولكن ينبعث خطر « العدوان » من الجانب العربى . وبالذات ، من جانب « العناصر » و « الاتجاهات » **المتطرفة** . والمقصود بها طبعا هى الاتجاهات التقدمية . ولذلك كان لزاما على امريكا ان تواصل مساعدتها لاسرائيل ، بما يكفل لها الاحتفاظ بقدراتها « الدفاعية » . اى بتفوقها فى المنطقة والانتهاء من صفقة الفانتوم الاخيرة تؤكد هذا الاتجاه .

□ **رابعا** – ينهض مخطط نيكسون – كما طرحه – ازاء **الجانب العربى** على عناصر سياسية واقتصادية واضحة .

فالمخطط السياسى ، يستهدف اعمال الدبلوماسية الامريكية ، وكذلك المبادرات السياسية والاقتصادية ، من اجل « عزل » العناصر « المتطرفة » و « سحب الارض من تحت اقدامها » . ويتم هذا المخطط – خلافا لخطط جونسون السابقة التى كانت تعتمد أساسا على اسرائيل – على توسيع خط العداء للاتجاهات «المتطرفة» : [اقرأ النظم التقدمية العربية ، الى « الدول العربية المعتدلة » .

اما المخطط الاقتصادى ، فهو لا يخفى انه مستوحى من **المشروع الذى طرحه ايزنهاور فى اعقاب العدوان الثلاثى** ، **ورفضته الشعوب العربية آنذاك** ، وهذا المخطط ينسجم مع المنطق العام الذى ينادى به نيكسون فى سائر انحاء العالم الاخرى . وهو مخطط متسق مع مشروعات الاستعمار الجديد فى مناهضته التحول نحو الاشتراكية بأساليب الغزو الاقتصادى . **وأيا كانت المساهمات التى تستطيع ان تقدمها الادارة الجديدة فى الحد من تفاقم الازمة وانحياز امريكا الى جانب اسرائيل ، لادراكها مصالحها البترولية فى مناطق واسعة من الارض العربية ، الا أن هذه المساهمات لا ينبغى ان تحجب محاولات تحويل الدفاع عن مصالح مشروعة ، الى موقف يمس صميم ما استهدفته اسرائيل من عدوانها فى الاصل .**



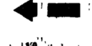
حوار

حول تثقيف الكادر.. والجماهير

عقدت الطليعة ندوة حول « التثقيف الاشتراكى » تستهدف دراسة اهدافه وطبيعته خلال المرحلة الراهنة .

وقد اسهم فى هذه الندوة عدد من المسئولين عن اجهزة التثقيف فى بلادنا وشارك معهم عدد آخر من اساتذة الجامعات ومحررى الطليعة .
ومن هنا فان « الطليعة » تقدم هذه الندوة كمحاولة للتعرف على آفاق واهداف عملية « التثقيف الاشتراكى » من خلال دراسة انتقادية للمرحلة السابقة والمؤثرات التى لعبت دورها فيها .

و « الطليعة » اذ تقدم هذه الندوة لتأمل ان تواصل فى المستقبل القريب تقديم دراسات أخرى حول هذا الموضوع الهام .



حضر النــــــدوة :

- عبد الهـادى ناصف عضو اللجنة المركزية ومقرر لجنة التثقيف الاشتراكى .
- محمد صـبرى المبدى عضـو اللجنة المركزية ومقرر لجنـة الاعـلام .
- د. رياض الشــيخ استاذ مسـاعد بكلية الاقتصـاد جامعة القاهـرة .
- د. عمرو محيى الدين مـدرس بكلية الاقتصـاد جامعة القـاهرة .
- د. نورالدين علي حسن عميـد المعهد العالى للدراسات النقابيـة .
- عبـد الغفار شـكر المسئول السابق للتثقيف بمنظمـة الشباب .
- يحـيى السيــد المعهـد العالى للدراسات النقابيـة .
- يسرى محـمد فائق المعهـد العالى للدراسات النقابيـة .

وحضر عن الطليعة :

د. محمــــد الخفيـف
د. اسماعيل صبرى عبد الله
محـمد عباس سـيد أحمـد
عبـد المنعـم الغــزالى
رفـعت السعــــيد

دكتور محمد الخفيف :

باسم الطليعة نرحب بكم جميعا فى هذه الندوة الخاصة بالتثقيف الاشتراكى والتى تضم بعض السادة المسئولين عن التثقيف فى الاتحاد الاشتراكى وعن الاعلام وبعض السادة أساتذة الجامعة ثم أسرة الطليعة. ومعروض على سيادتكم ورقة عمل أعدت بالاشتراك مع الاخ عبدالهادى ناصف وهى خاضعة بطبيعة الحال للتعديل من جانبكم.

[وافق الحاضرون على النقط الواردة بورقة العمل] .

النقطـــــة الاولى هى **معنى التثقيـف الاشتراكى وأهدافه** ويخيل لى ان المتكلم يعالج البنود الاربعة الواردة تحت هــذه النقطة مرة واحدة ، وأقترح أن يبدأ الاخ عبد الهادى .

عبد الهادى ناصف :

الواقــع أنه فى دراســتنا بالاتحــاد الاشتراكى لخطة التثقيف وضعنا فى اعتبارنا كل الظروف المحيطة بهذه العملية . وكان أول تأثير طرح نفسه بالنسبة لهذه الظروف هــو الظروف النفســية التى نجمت عن النكسة . ونحن نتصور هذه الظروف فى عدة نقط :

النقطة الاولى ان هنــاك صراعا نفسيا فى نفــوس الجمــاهير يدور بين قطبين متنافرين الاول هو الاحساس بالمرارة والالم الناجم عن النكسة ، والثانى هو احساس الثقة والامل الناجم عن مشهد يومى ٩ و١٠ يونيو ، وفى تصورى ان عملية الصراع الدائر فى النفس ده خلق بعدا ثالثا لهذا الصراع وهو شعور القلق الناجم عن ترقب المعركة وانتظارها .

النقطة الثانية هي ، أن جماهير الشعب تقع بصــفة مستمرة تحت ضغوط الحرب النفسية التى يشنها العدو من الخارج . والتى تساعد عليها أيضا قوى الثورة المضادة من الداخل .

النقطة الثالثة ، أن الجماهير فى هذه الفترة تتطلع دائمــا الى مدد مستمر من الرؤية الواضحة والفهم السليم لحقــائق

الموقف الى جانب مدد روحى ينبعث من ايمانها بوطنها وثورته .

النقطة الرابعة ، ظاهرة العزوف الى حد كبير عن القضايا النظرية البحتة . وتلك ظاهرة تلازم دائما الجماهير فى ظروف الضائقة ، اذ تميل أكثر الى تلمس الاساليب والمناهج العملية التى تساعدها على الاداء المنظم لواجباتها حيال هذه الظروف الاستثنائية .

هذا بالنسبة للظروف النفسية التى تحيط فىالوقت الحاضر بالقاعدة . وعملية التثقيف تتناولها سواء كانت فى اطارات تنظيمات الاتحاد الاشتراكى أو فى القاعدة الجماهيرية الواسعة . يأتى بعد ذلك ، الظروف الموضوعية للتنظيم السياسىنفسه فى هذه المرحلة . وأول شىء يطرح نفسه فى مثل هذه الظروف ، هو طبيعة تكوين الاتحاد الاشتراكى فى المرحلة الجديدة ، حيث نجد أن التنظيمات الجديدة تضمنسبة كبيرة من العناصر الجديدة تماما علىالعمل السياسى ، وقد دخلت التنظيم بمفهومذاتى دون أن تكونمرتبطة بأى فكر سابقخاص .

الى جانب هذا ، نجد أيضا نسبة كبيرة من الاعضاء الذين كانوا فى التنظيم فى مرحلته السابقة . وبين هؤلاء وهؤلاء هناك اختلاف كبير جدا فى خلفيتهم الفكرية . وربما كانذلك نتيجة لاختلاف مناهجالتثقيف الاشتراكى فى المرحلة السابقة التى أدى تعددها وتعدد مناهجها واعتمادها فى كثير من الاحيان على الاجتهاد والجهود الذاتية ، الى حدوث تناقض وعدم وضوح وحدة الفكر بين أعضاء التنظيم .

الىجانب هذا نتصور أيضا أن الاعضاء الجدد والقدامى — ربما يتصورون طبيعة عملهم فى هذه المرحلة وواجباتهم بشكل غير واضح . ومن الممكن أن يتنازع الكثير من الاعضاء الان تساؤل هام يقول : هل عمل الاتحاد الاشتراكى فى هذه المرحلة ينصب كلية على متطلبات المعركة ؟ أم أن المفروض أن هذا العمل يسير جنبا الى جنب الوفاء بمتطلبات المستقبل .

هذا بالنسبة للظروف المحيطة بالتنظيم فى هذه المرحلة واللى بتفرض نفسها امام الجماهير أيضا وبتفرض نفسها على عملية التثقيف الاشتراكى ، واعتقد أن أى خطة للتثقيف الاشتراكى لابد وأن تضع فى اعتبارها كل هذه الظروف .

الجزء الثالث من الظروف هو أجهزة التثقيف الاشتراكى نفسها والتى كانتقائمة بوضعيتها الحالية .

وفى الواقع كان هناك عدةجهات تتناول عملية التثقيف الاشتراكى . أولها طبعا **المعهد العالى للدراسات الاشتراكية** فنجد فى الوقت الحالى ان هذا المعهد متوقف عن العمل تماما من شهر مارس على ماأظن . أيضا معاهد الدراسات الاشتراكية الاقليمية وكان منها معهدان اثنان : معهد فى القاهرة ومعهد فى السويس وهو المعهد الذى يغطى منطقة القناة كلها . وهذه المعاهد أيضا متوقفة ومعهد السويس متوقف منذ بدء العدوان . ومعهد القاهرة أيضامتوقف منذ مدةلااعرفها بالضبط . وهو فى الظروف الحالية متوقف تماما .

يأتى بعد هذا **جهاز التثقيف السياسى** أو التدريب السياسى لامانة العمال . وهذا جهاز كانله منهجهالخاص ويعتمد فىاعداد كوادر الموجهين والمدربين ، على نظامتثقيف مستقل بذاته ، والواقعانهخرجأعداداكبيرة جدا من الموجهين ومن المدربين سياسيا . وفى الوقت الحالى الجزء الاكبرمن نشاطه متوقف .

يأتى بعد ذلك **جهاز التدريب أو التثقيف لمنظمة الشباب الاشتراكى** . وكان يعتمد أيضا فى اعداد موجهيه وبرامجه علىنظام أو منهج خاص به . وكان له أيضا نظامه فى التثقيف الذى يعتمد على المعسكرات . وهذا الجهاز أيضا متوقف تماما عن العمل فى الوقت الحاضر .

ثمنجد بعدذلك أجهزةأمانة الدعوةوالفكر . أمانة الدعوة والفكر فى تنظيم الاتحاد الاشتراكى القديم كان لها نشاط فى عملية التثقيف الاشتراكى . هذا النشاط متوقف تماما فى الوقت الحاضر ولا يعمل منها سوى مكتب النشر والمطبوعات الذىيتولى اصدار نشرة « **الاشتراكى** » . أما الاجهزة الاخرى التى كانت تعتمد فى الاساس على البحوث ، فهى متوقفة فى الوقت الحاضر .

ثم نصل الى **الجهود الذاتية لتنظيمات**

الاتحاد الاشتراكي في الاقاليم . وتلك عملية كانت واضحة جدا في المحاولة السابقة حيث كان كل مكتب تنفيذي في المحافظة يحاول أن يبتكر أسلوبا خاصا به في التثقيف الاشتراكي ، فيعمل برامج ودورات وندوات ويستعين في هذه البرامج والندوات بأي ناس . ولم يكن هناك تحر دقيق لصلاحية المناهج أو لكفاءة من يتولونها . وانما كانت المسألة تعتمد الى حد كبير على الاجتهاد الذي قد ينجح مرة ويخفق مرات .

وفي الواقع اننا لانعرف تماما ، مدى الجهود الذاتية التي تبذل الان . وفي الواقع كان فيه محاولات لبدء هذه العملية ولكننا نحاول أن نبدأ بداية سليمة بخطة مركزية وبمناهج موحدة عشان نوصل الى **وحدة الفكر** المستهدفة من كل التنظيمات .

بعد ذلك نجد **المؤسسة الثقافية العمالية** التي كانت تشتمل مناهجها على جزء من الموضوعات السياسية . وكانت تقوم بها مراكز الثقافة العمالية المنتشرة في أغلب محافظات الجمهورية والذين يشرفون عليها مثقفون عماليون . وقد كانت تعقد دورات تستعين فيها بمحاضرين يتم اختيارهم وفقا لما يراه المثقف العمالي المشرف على المركز أو الذي يتولى عملية الاتفاقيات للتثقيف مع الشركات . وكان الاختيار في أغلب الاحيان غير موفق . فكان أي انسان يحضر ويقول أي كلمتين في الاشتراكية وأي كلمتين في الديموقراطية ويقول أي كلمتين في الميثاق بدون وجود منهج واضح بالنسبة للتثقيف السياسي الذي يجب أن تتضمنه برامج الثقافة العمالية . وهذه المؤسسة ماتزال مستمرة حتى الان وبرامجها تتناول التثقيف السياسي بنفس الاسلوب الذي شرحته من قبل، والذي لانستطيع اطلاقا أن نقيمه تقييما موضوعيا بسبب عدم وجود منهج واحد نستطيع أن ندرسه ونقول اذا كان منهج صالح أو غير صالح . كذلك لايوجد كادر من الموجهين أو المدربين أو المحاضرين نستطيع أن نعتمد على وجود وحدة فكر بينهم مرتبطة أساسا بمنهج ؛ يعني المسألة اجتهادية .

الجزء السابع من هذه الاجهزة وهو جزء خطير جدا ولابد أن يوضع في الاعتبار في أي خطة مركزية للتثقيف السياسي ، هو **المواد القومية في مناهج التعليم في مراحل التعليم المختلفة سواء في المدارس أو الجامعات** . وتلك مسألة في الواقع لا أدعي العلم بتفاصيلها . ولكني لم أسمع حولها حتى الان الا صيحات تطالب باعادة النظر في المناهج وأسلوب تدريسها واعداد المدرسين القائمين بها . سواء كان ذلك في المدارس أو الجامعات ، ويبدو أن المسألة محتاجة فعلا الى أن يكون هناك اعادة نظر في المواد نفسها واستحداث أسلوب جديد في تدريسها بدلا من أن تكون عملية تلقين قائمة على الحفظ من جانب التلميذ بمجرد أن يجيب على سؤال بنص يأخذ نمرة تزيد مجموعه في الامتحان .

لذلك فاننا نتصور أنه لابد أن نقطة البداية بالنسبة لعملية التثقيف كلها في كل مجالاتها، هي أن يكون هناك منهج للتثقيف الاشتراكي في كل مراحله ومستوياته. موضوع مركزي وعلى أعلى مستوى في التنظيم السياسي. وأن تكون هناك خطة متكاملة للاشراف على كل نواحي التثقيف الاشتراكي في المجالات التي ذكرناها وفي غيرها . وأن يقوم عليها جهاز فني متخصص أيضا متساو أو مواز لأعلى مستوى قيادي في الاتحاد الاشتراكي. وأن توضع المناهج كلها على هذا المستوى. وخطط اعداد الموجهين وتنفيذ البرامج أيضا على هذا المستوى .

هذه في الواقع صورة عامة للواقع الذي تواجهه عملية التثقيف ، وتلك هي وجهة نظرنا حول نقطة البداية بالنسبة لها . وطبعا أرجىء الدخول في تصورنا لصلب المنهج نفسه ومضمونه حتى ننتهي من مناقشة الظروف المحيطة بعملية التثقيف وبالاجهزة القائمة .

دكتور محمد الخفيف :

الاخ عبد الهادي ناصف قدم صورة سريعة للظروف التي تواجه عملية التثقيف في المرحلة الحالية في ضوء الاجهزة التي كانت قائمة ، أو في ضوء مطالب المرحلة الحالية بكل ظروفها . ولكن كان ينبغي أن ندخل في التفاصيل بمشاكلها . ولذلك فانا أعيد نفس السؤال : في ضوء الظروف العامة هذه التي تكلم عنها الاخ عبدالهادي ناصف ، والتي سنعود اليها مرة ثانية عند وضع منهج . لان من المفروض أن نعرف أثر كل ظرف من هذه الظروف ومتطلباته من المناهج ، في ضوء هذه الظروف عندما أتحدث عن التثقيف الاشتراكي ماذا نعني به؟

محمد صبرى :

لاشك فى اتفاقنا مع الاستاذ محمد الخفيف فى أن المدخل الطبيعى لمناقشة الليلة هو أن نؤكد قليلا على التساؤل الاول فى ورقة العمل المطروحة امامنا والذى يقول ماذا نقصد بالتثقيف الاشتراكى ؟ ولنكن صرحاء مع انفسنا ، فالذى يبدو فى مرحلة التحول الاشتراكى التى يمر بها المجتمع أن هناك قصورا واضحا لعملية التثقيف الاشتراكى ، باعتبار انها جزء لايتجزأ من عملية التحول ذاتها .

والشيء الذى يؤكد هذه القضية هو القول المشهور للمناضل جمال عبد الناصر « اننا نطبق اشتراكية بلا اشتراكيين » حقيقة حصل لدى هذه الجماهير انبهار بالانجازات التى ترتبت على القرارات الثورية التى صدرت فى سنة ٦١ وكانت بداية الانعطاف الواضح نحو التحول الاشتراكى انما عملية استقطاب وعى هذه الجماهير بشكل علمى وموضوعى يحصنها ضد اى مؤثرات قد تحدث نتيجة اى هزة من الهزات ، هذا الامر لم يحدث بالشكل المطلوب ولا بالصورة التى يتوق اليها الثوريون الاشتراكيون الذين يدركون معنى الاشتراكية سواء فى الشكل او فى المضمون وهى للاسف تمثل فى مجتمعنا فى هذه المرحلة قلة بالقياس للاغلبية الساحقة المستفيدة من عملية التحويل الاشتراكى . وفى بساطة ودون دخول فى متاهات فقهية او لغوية فاننى أرى ان مانقصده بالتثقيف الاشتراكى هو أن نبحث عن الوسيلة التى تهيىء ذهنية الجماهير العريضة ، الجماهير صاحبة المصلحة فى التحول الاشتراكى وهى العمال والفلاحون اساسا تهيىء ذهنيتها لتدرك أن الاشتراكية فى صالحها وبالتالى لتحصن نفسها ضد اى شكل من أشكال التأثير أو اى محاولة من محاولات الاجهاز على تعلق هذه الجماهير بالاشتراكية . ومن هنا فان الهدف من التثقيف الاشتراكى هو تحويل احساس الجماهير العريضة ، تحويل الاحساس البدائى الى ادراك واع وعلمى ، ادراك بأن الاشتراكية تعنى المصلحة ، وتعنى المصير ، وهذا هو المدخل الحقيقى لاى عملية نضالية قد تفرضها الظروف على الجماهير وتدعوها الى أن تناضل ضد أى شكل أو اى محاولة للنيل من مكتسباتها .»

عبد الغفار شكر :

« انا اعتقد ان الاخ صبرى قد تكلم عن الهدف من عملية التثقيف ، وفى تصورى ان التثقيف الاشتراكى المطلوب ببساطة هو ارساء طريقة للتفكير ولدراسة الاشياء بمعنى التعرف على القوانين العامة التى تحكم حركة المجتمعات ، وهذا هو أول جانب من عملية التثقيف ، والجانب الثانى هو محاولة استخدام هذه القوانين فى التعرف على الظروف الخاصة والوضع الخاص لكل مرحلة من مراحل تطور هذه المجتمعات ، والجانب الثالث من هذه الجوانب هو ان عملية التثقيف باعتبارها عملية تستهدف دراسة واقع معين فى ظروف معينة وبواسطة قوانين محددة فهى بالضرورة ليست عملية نظرية بحتة وليست دراسات نظرية فقط وانما هى عمل ترتبط فيه الدراسة النظرية بالواقع ، بمعنى ان عملية التثقيف يجب ان لاتتم داخل غرف او داخل حجرات وانما يجب أن تتم فى واقع المجتمع نفسه باجراء دراسات فى هذا المجتمع وبتحليل الظروف والاوضاع اللى بتسود هذا المجتمع فى كل مرحلة من المراحل ، بالطريقة دى بنصل الى ان عملية تدريب الكوادر ليست فقط لتخريج مدرسين وانما تثقيف الكادر اساسا لقيادة الجماهير ، ومن هنا نقول ان عملية تثقيف الكوادر لاتتم داخل معاهد وانما تتم بدفع هذه الكوادر بالتأكد من الدراسات النظرية اللى بتعطى لها فى الواقع نفسه .»

يسرى فايق :

فى الواقع اننا لكى نقول تثقيف يجب ان نسأل تثقيف لمن ، من نريد ان نثقف ، هل المثقفون أم العمال والفلاحون ، وهذه مسألة يجب أن نبدأ بحسمها ، وانا ارى ان نوجه تثقيفنا اساسا للعمال والفلاحين .

وهذه هى القضية التى اثارها الزملاء والتى تقول ان الاشتراكية تطبق من غير الاشتراكيين ، وفى كثير من الاماكن نجد ان الفكر اساسا ليس له منطلقات اشتراكية واضحة تمكننا من ان نقول ان هذا صحيح

والحقيقة ان العمال والفلاحين يأتون الى الاشتراكية عن طريق التوعية بالمكاسب التى حققوها ». أما المثقفون فيمكن كسبهم الى الاشتراكية عن طريق الشرح النظرى ». فاذا انطلقنا من هذا الواقع الموضوعى نستطيع ان نحدد ماهى البرامج اللازمة للعمال والفلاحين وماهى اللازمة للمثقفين.

عبد الهادى ناصف :

الواقع اننى تقدمت فى مبدأ كلامى بعرض سريع للظروف الموضوعية المحيطة بعملية التثقيف الاشتراكى والتى تفرض فى نفس الوقت اهدافها . اما عن هدف التثقيف الاشتراكى فى هذه المرحلة بالذات فأنا اعتقد ان علينا ان نتجه الى هدفين : الهدف الاول هو تهيئة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى لاداء دورها الاساسى بالقدوة والقيادة فى تعبئة الجماهير تعبئة تساعد على مواجهتها لاعبائها والقيام بتبعاتها وتحمل تضحياتها وتعزز من نضالها فى سبيل النصر وتحصنها ضد حملات الحرب النفسية التى يقوم بها العدو الخارجى وتغذيها القوة المضادة للثورة من الداخل . اما الهدف الثانى فهو احداث تغيير فى المناخ الفكرى اولا داخل تنظيمات الاتحاد الاشتراكى وكوادره باعتبارها القوة التى ستتولى او المفروض فيها ان تتولى قيادة العمل وقيادة الجماهير فى الاتجاه الذى يكفل للتحول الاشتراكى استمراره بصورة اقوى ويرسى داخل التنظيم الاشتراكى تقاليد عمل حزبى ملتزم على اساس وضوح نظرى كاف وايضا التدريب والتربية النضالية لهذه الكوادر.

هذا فى نظرى هدف ومضمون عملية التثقيف الاشتراكى فى هذه المرحلة بالذات وهو هدف تفرضه الظروف الموضوعية التى تحدثت عنها فى مبدأ كلامى .

محمد سيد حمد :

فى الوضع الذى نمر به، من المهم الا تكون نقطة البداية فى تفكيرنا هى الظروف الحالية لابد عند التفكير فى برمجة او وضع اسس للتثقيف الاشتراكى ان نحاول تجاوز المؤثرات المباشرة الى الاسس العامة للتثقيف الاشتراكى، وبعد هذا وعندما تصبح الأسس العامة واضحة نستطيع فى ضوء هذه الاسس العامة ، ان نبحث عن التطبيق للظروف المرحلية التى نمر بها والا فاننا سوف ننجرف الى ارضية يمكن ان تكون مضرة لاسس التثقيف الاشتراكى ذاته .

فأنا فى تصورى ان عددا من العناصر الأساسية والافكار الاساسية لابد وان تحكم تفكيرنا فى هذه المسألة : النقطة الاولى هى ان هناك عناصر ثابتة للتثقيف الاشتراكى ايا كانت الظروف وهى فهم القوانين العامة ودراسة هذه القوانين العامة كأساس للتطبيق . وعلاقة هذه الموضوعات الثابتة بالظرف الطارىء تربطنا بفكرة النظرية والتطبيق . والنقطة الثانية ، هى مشكلة الكم والكيف ولايمكن فى مشكلة التثقيف الاشتراكى اننا نحقق ذلك بمجرد ان يكون هناك تصور مجرد عند بعض الناس ، او ان هناك قوانين موجودة ونكتفى بوجود هذه القوانين حتى نضمن ان هذه القوانين تستمر فى عملها وتحكم الحياة والنشاط فى داخل حياتنا السياسية ، اذن المشكلة الثانية هى مشكلة الكادر والكادر هو فى نهاية الامر هو الذى يستطيع ان يقوم بتحقيق الاستمرار ايا كانت الظروف الطارئة وهو فى نفس الوقت ضمان لوجود اسس ثابتة لاتهتز وفقا للظروف . والنقطة الثالثة هى انه ليس هناك تثقيف مجرد أو منفصل عن العملية النضالية ذاتها ، فليس من الممكن تصور التثقيف كعملية مجردة او ادراك قوانين دون اتاحة الفرصة لهذه القوانين كى تكتسب حيويتها من خلال عمليات تطبيقية ونضال يومى وهذه المشكلة ترتبط بالكلام الذى قاله الاخ يسرى ، وانا ارى انه ليس صحيحا القول بأن فيه فئات اجتماعية معينة او طبقات معينة او شرائح اجتماعية معينة تأتى الى الاشتراكية على ارضية مصلحية فقط ، بينما آخرون يأتون عن طريق التوعية اساسا او النظرية اساسا وفى حقيقة الأمر يمكن للمثقف الاشتراكى ان يأتى من اية فئة اجتماعية ولكنه يكتسب صفة جديدة عندما يتحول الى مثقف اشتراكى ، وربما كان هذا التصور ناتجا من اننا ليست لدينا تجربة كافية فى عملية التثقيف الاشتراكى.

النقطة الاخيرة اللى اريد التكلم فيها هى ان المشكلة الكبرى اللى واجهتنا فى الواقع ان الارتباط بالاشتراكية فى تجربتنا كان ارتباطا لاحقا بمعنى ان الامر قد بدا بالتطوير الاقتصادى للمجتمع ، واعقب التحول الاقتصادى تحول اجتماعى بمعنى ان الوعى جاء متأخرا بعض الشيء عن التطبيق »

وقد ادى هذا الى عدم تفهم دور الوعي في المعركة ، ولعل هذا هو الدافع الى ادراك اهمية التثقيف الاشتراكي ، ففي الظروف التي نمر بها يمثل التثقيف الاشتراكي ليس مجرد عملية تثقيف بحتة ولكنه يرتبط بحركة الكادر ثم ان حركة الكادر في نهاية الامر هي عملية نضالية وليست عملية تثقيفية مجردة ».

رفعت السعيد :

لدى ملاحظة مبدئية وهي ملاحظة برزت في هذه الندوة .. فنحن بعد عدة اعوام من ممارسة عملية التثقيف الاشتراكي ومن ممارسة عملية البناء الاشتراكي لازال هناك نوع من الاختلاف حتى حول مجرد التعريف بماهية التثقيف الاشتراكي وانا اعتقد ان هناك سببين لذلك اولا هناك بشكل عام عدم وضوح نظرى اى عدم وضوح فى آفاق الاتجاه النظرى والفكرى للمجتمع . وثانيا اننا كما قال الاخ عبد الهادى اطلقنا ايدى كثيرة من مختلف الاتجاهات وتمثل مصالح طبقية متباينة ، اطلقنا ايديها بلا رقيب ولا حسيب فى عملية التثقيف الاشتراكى وكانت النتيجة ان كل فئة او كل شخص وضع التعريف الذى يجده ملائما لمصلحته في عملية التثقيف الاشتراكى وهناك مسألة اخرى : هى انه يخيل لي ان هناك نوعا من الخلط بين عملية التكوين النظري اى عملية التثقيف الاشتراكي وبين عملية التعبئة السياسية لجماهير الشعب، فالتكوين النظرى عملية ذات اهداف محددة تستمر ويجب ان تستمر في مختلف الظروف ومهما كانت الاسباب اما التعبئة الجماهيرية فهي عملية ، تتغير تكتيكيا وفقا لاحتياجات المعركة وتقلباتها. والظاهرة الغريبة عندنا ان كل اجهزة التثقيف الاشتراكي قد توقفت فجأة عقب النكسة وهذا يوحي باننا لسنا مدركين لاهمية التثقيف الاشتراكي ولماهيته واهدافه ففي فيتنام مثلا وفي مختلف تجارب حرب الانصار في الحزب العالمية الثانية وحركات التحرر الوطني الحالية نجد ان المقاتلين يحاربون ويتكونون نظريا في نفس الوقت وفقا لنفس الاسس الكلاسيكية ،وقد قرانا كثيرا كيف كان بعض المقاتلين يتساءلون مامعنى ان ندرس اسس الاقتصاد السياسى او ماالى ذلك ونحن معرضون للموت فى اية لحظة ومع ذلك قد ثبت ان عملية التكوين النظرى هذه كانت مفيدة جدا لانها لم تؤد فقط الى تكوين كوادر مثقفة وانما استطاعت ان تمنح هؤلاء الكوادر مزيدا من الشجاعة ، لانها منحتهم مزيدا من الفهم لافاق المعركة التى يخوضونها ،فعملية التثقيف الاشتراكى هى فى الاساس عملية تكوين نظرى ذات اسس استراتيجية تعتمد على منهج استراتيجى قد يتغير مرحليا لكن دون الحيدة من هذا الاساس الاستراتيجى ».

يحيى السيد :

فى الواقع اننا فى حديثنا عن التثقيف الاشتراكى النظرى الذى نريده لابد ان نربط بينه وبين وجود تطبيقات عن طريق القوانين فى صورة تشريعات . ونحن فى امس الحاجة الى ان يكون هناك دفع من اسفل الى اعلى لكى تتحرك هذه الافكار وهذه القوانين فى صورة واقع يلمسه الجميع وهنا تصبح عملية التثقيف السلاح الذى يمكن المثقفين من عدم الانحراف بالفكر او بالخط الاشتراكى او بخط آخر مضاد ». العملية اذن هى عملية تهيئة المناخ الصالح لوجود افكار اشتراكية لابد لها اولا من عملية فرشة نظرية لتحديد ابعاد بعض القضايا الرئيسية التي يثيرها الفكر الاشتراكى حتى تكون العملية واضحة امام الجميع . وهنا ايضا عندما نتكلم عن الاسلوب سوف نتكلم ايضا عن توعية الطبقات او الفئات الاجتماعية الموجودة وضرورة توافق اسلوب التثقيف مع كل فئة من هذه الفئات ».

نور الدين حسن :

الحديث الذى سمعته يحتاج اساسا الى مقدمة ربما تكون قد وردت في احاديث الاخوة . ولكنى اختلف معهم الى حد بسيط انا متفق تماما على ان تكون لعملية التثقيف اهدافا بعيدة يتطلبها المجتمع الجديد ولكن في مراحل معينة من التثقيف توجد مواجهات نتيجة لظروف بناء المجتمع الجديد،ولا بد ان تكون هناك خطط مرحلية لمواجهة مثل هذه الظروف . ولكن يجب ان ترتبط هذه الخطط بالفكر العام المتفق عليه . فاذا ناقشنا موضوع التثقيف والهدف منه كما قال الاخوة

نجد انه محاولة لايجاد رأى عام وكادر قوى يستطيع ان ينظم حركة الاثر ادبالاقناع، نحو متطلبات هذا الراى العام الذى يخدم بناء المجتمع الجديد . فلو نظرنا مثلا الى الثورة وقلنا ان الثورة تقوم من اجل تغيير المجتمع وتحقق احتياجات ومطالب الجماهير فان هذه المتطلبات ليست مادية فقط ولكنها ايضا متطلبات فكرية وثقافية تستطيع ان تلعب دورا هاما فى حماية المنجزات المادية واذا كان للمجتمع القديم مفاهيم بالية ومتخلفة ، فان هناك بعض القيم القديمة التى لايمكن رفضها ، فعندما نناقش موضوع التثقيف الاشتراكى فى مجتمعنا لابد ان نحدد مقومات المجتمع المصرى ، وما هى الفترات التى مرت بهذا المجتمع وادت الى ظاهرة السلبية . وماهى الظروف الموضوعية التى ادت الى قيام الثورة . ثم الانتقال مرحليا الى وضوح الخط الاشتراكى . كذلك لابد ان نعى ان مجتمعنا ليس مجتمعا مغلقا .

اما الكادر السياسى فهو طليعة ، اى الجزء المتقدم من الجماهير كلها . وهذا يعنى نتيجتين هامتين جدا : اولا ضرورة تسليحه بالمفاهيم السياسية الاساسية . ثانيا ضرورة انفتاحه على المستقبل وعدم حصر نفسه فى الحاضر فقط . فلو حصر الكادر السياسى كل خياله فى مشاكل اليوم ، لفقد طبيعته كطليعة . وانما مهمته الاساسية هو ان يتطلع الى المستقبل لانه هو اداة تشكيل هذا المستقبل ولايمكن ان يشكله الا اذا بدا يتصوره .

عبد الهادى ناصف :

انا متفق تماما مع الدكتور اسماعيل صبرى فى تحديده لافاق التثقيف الاشتراكى سواء من ناحية تربية الكادر او من ناحية التثقيف الجماهيرى او من ناحية التربية الاساسية للمواطن فى سن صغيرة فى معاهد التعليم . ولكنى اختلف معه فى نقطة واحدة ، وهى ان التثقيف الجماهيرى يأتى ضمنا داخل خطة اعداد الكادر . واعتقد ان الكوادر المعدة هى التى تتولى عملية التثقيف الجماهيرى بالاتصال المباشر وبعملها وبانفعالها وتلاحمها مع الجماهير . ولذلك عندما حددت تصورى لاهداف عملية التثقيف الاشتراكى ، قلت ان مهمتها اعداد كوادر تتولى القيادة الفعلية للجماهير فى اتجاه بناء الاشتراكية وضمان استمرار اقوى واكثر فاعلية للتحول الاشتراكى .

ولا زلت عند وجهة نظرى من أنه لابد ان نركز اهتمامنا اولا على اعداد الكوادر ووضع خطة التعبئة الجماهيرية من خلال الاعداد للكوادر . بحيث تتولى هذه الكوادر عملية التعبئة الجماهيرية حتى فى مرحلة اعدادها . بمعنى الانتظر حتى تعد الاعداد الكافى وتتسلح بكل المقومات التى تؤهلها لهذه العملية . ولكن من الممكن مرحليا وفى ظروف طارئة ان تسلح هذه الكوادر بالقدر الذى يكفى لقيادة عملية التعبئة الجماهيرية فى نفس الوقت الذى تنمو فيه باستمرار فى اتجاه اعدادها للعمل فى المستقبل .

نور الدين حسن :

لاشك ان اعداد الكوادر امر مطلوب ، ولكن نظرة موضوعية لمجتمعنا ونحن نأخذ بتحالف قوى الشعب وبحل الصراع سلميا، فان ذلك يتطلب منا دراسة الكوادر الموجودة .

فى رايى ان الكوادر المؤثرة ليست كلها فى الاتحاد الاشتراكى . ولكن هناك كوادر اخرى موجودة فى اجهزة التعليم [نقطة نظام بتأجيل مناقشة هذه النقطة حتى يأتى دورها فى جدول الاعمال] .

نور الدين حسن [مستطردا] :

اذا اذنت لى ، يمكن لو قلنا مثلا نعمل تربية اساسية او كذا من داخل الاتحاد الاشتراكى ، نجد ان فيه قوى مؤثرة قد لاتكون موجودة فى الاتحاد الاشتراكى . فلا بد لكل هذه القوى ان يكون لها وعاء واحد لابد ان ترتبط بشكل او آخر . وتوضع بعد ذلك خطة واضحة لعملية مشاركة هذه الكوادر التى تؤثر على الشباب وعلى الشعب .

انا لاافهم مثلا ان يكون فيه خط واضح داخل الاتحاد الاشتراكى وخط آخر فى الصحافة لان الصحافة تؤثر على الراى العام ، لابد لكل هذا ان يدرس حال الحديث من اعداد الكوادر او عن احلال كوادر تستطيع ان تؤدى الرسالة فى كل المجالات التى تؤثر على الفكر .

هناك نقطة اخرى احاول ان استوضحها من حضراتكم . اذا اعتبرنا ان التعليم اداة نضال تمكن الطالب حالة تخرجه لمواجهة الحياة . واذا اعتبرنا ان التثقيف هو اداة نضال تتفق مع المجتمع حتى يستطيع ان يناضل بهـا لاحداث التغيير من خـلال الجماهير .

وقد اتفقنا على ان ادوات النضال وهذه الاداة معنوية بمعنى انها فكرية ولابد ان نبحث فى مجتمعنا عن اصول فكرية . هذه الاصول الفكرية واضحة ترتبط بها كل المفاهيم او الافكار التى تأخذ صيغة النضال لتغيير المجتمع .

يسرى فائق :

انا اخشى اذا قلنا كوادر فقط فى هذه المرحلة . فذلك غير سليم فى رايى . اننا فى حاجة لان نسير فى خطوط متوازية . بمعنى ان الكادر اذا لم يجد المنـاخ الذى يستطيع ان ينشر فيه فكره ، سيكون هذا الكادر قد سبق الجماهير بمسافات كبيرة . وبالتالى اما ان تلهث الجماهير وراءه،واما انها تتركه . المطلوب ان نعمل فى خطوط متوازية . نربى الكادر والى جانب ذلك نثقف الجماهير . انمـا هى اربى الكادر فقط واترك الجماهير العريضة لنوع آخر من التثقيف مختلف عن التثقيف الذى يتلقاه الكادر من خلال اجهزة مختلفة ، تـكون النتيجة ان يجد الكادر المناخ غير مهيأ له للعمل .

سيد احمد :

فى حقيقة الامر لايوجد شيء اسمه تربية كادر بمعزل عن تربية الجماهير . فلنيربى الكادر الا من خلال وجوده بين الجماهير . المشكلة كلها انه فى فترة معينة التركيز الاساسى بيكون على تربية الكادر ولكنحتى والكادر بينزل للجماهير علشان يقومبعملية نضالية هى استكمال وتعبير عن التثقيف الاشتراكى لهبتم العمليةبالنسبة للجماهير ، فىفترة اخرىاكثر تقدما لماتستكملعمليةبناء الكادر فتصبح عملية تثقيف الجماهيربالمعنى العريض دى ظاهرة اساسية .. القضيـة ماهياش قضية انفصال الكادر يعنى فيـه فترة مغلقة تشكل فيها كادر وبعدين الفترة التالية بنربى فيها جمـاهير . حتى فى فترة تربية الجماهير فيه استمرار لتربية الكادر . والعكس فهى عمليتين مع بعض . لكن مهم جدا فى فترة معينة ان احنا نركز على جانب من الجانبين . لاشك فىالمرحلة الحالية التركيز المطلوب على تكوينالكادر .

محمد صبرى :

لو اذنتم انا اتفق مع الاخ يسرى فى تأكيده على قضية تثقيف الجماهير فى هذه المرحلة بالذات وده نابع من الاحساس بأن هناك شكل من اشكال الاحجام عن الالحاح على فكر الجماهير بقضايا التحول وقضية الاشتراكية سواء فى الشكل او المضامين او ماالى ذلك على نحو مخالف على ماكان عليه الامر بعد حدوث نكسة ٥ يونيو . يمكن هى دى القضية اللى بتحكم فكر الاستاذ يسرى .

عاوز اخلص من هذا حتى نحدد انفسنا الخاص بالبند اولا فى ورقة العمل اناحنا يجب ان نأتى الى صيغة تحدد معنى ماذا نقصد بالتثقيف الاشتراكى . هو لو اذنتم انا اقترحصيغة قد يكون فيها بعضالقصور انما مطروحة للمناقشة .

المقصود بالتثقيف الاشتراكى هو احداث التحول الفكرى لدى الجماهير على نحـو يتواءم مع التحول المادى الذى احـدث فى الاساس الاقتصادى للمجتمع ويسايره مع تهيئة واعداد هذه الجماهير لمزيد منالتحرك نحو مزيد من التحول نحو الاشتراكية .

محمد الخفيف :

مفيش اختلاف كبير على الصياغة ، مع التنبيه بأن الصياغة بتغفل الجانب الثانى ، الخاص بتربية الكادر ، لان تثقيف الجماهير وجعلها تتواءم فكريا مع ما تم من منجزات مادية ، وتعد ايضا لتغيرات المستقبل غير ممكن طبعا ان يتم تلقائيا ، اذ لا يتم بمعزل عن اعداد كادر ، الذى هو الوجه الاساسى او الحلقة الرئيسيـة فى عمليـة التثقيف الاشتراكى .

ثم لى تعـليق على كـلام الاخ يسـرى ـ بحكم خبرتى السابقة ـ هو ان البعض احس ان بعض الكادر الذى تكون ، واقول البعض فى المعـاهد الاشـتراكية والمعهد الاشتراكى ، وبسبب نقص فى هذا البعض انه تصور ،انه اصبحكادرا ، وفهم انهاصبح

فوق الجماهير ؟ ولهذا عندما نزل للجماهير مش وجدها غير مستعدة او مفيش المناخ اللى يمهد له عمله ، بالعكس هو أوجد المناخ المناهض لعمله ككادر . البعض الاخر وبيننا اثنان منهم الان على العكس تماما يعنى فيما يختص بالاخ عبد الهادى والاخ صبرى عندما نزلوا بعد اعدادهما الى الجماهير مش بس وجدوا المناخ ، بل زادوا من هذا المناخ فى مناطق عملهم بين الجماهير ليرتفعوا او ليقودوا حركة الجماهير الى حركة واعية ، فالمسألة تتوقف اساسا على طبيعة العنصر اللى احنا بنعده ، وكيفية موالاة التنظيم له ، ودى كانت مشكلة من مشاكل التثقيف فى المرحلة اللى فاتت وماوصلناش لحل ، لان حتى اللى بيتخرجوا هم كانوا بييجوا يقولوا يعنى ما علاقتنا بالمعهد الاشتراكى او بالتثقيف بعد ما بنسيبه . هو المفروض طبعا التنظيم بيتولى المسألة دى ، يعنى احنا بنعد كادر للتنظيم مفروض التنظيم بعد كده بيتولى عملية استمرار تربية الكادر ده وتوجيهه والاشراف عليه ، بحيث مش بس لا ينفصل عن الجماهير لا اللى اخطر من كده ان يتخذ من السلاح اللى اخذه فى المعهد سلاح ضد الجماهير ، أو يقصد به الجماهير . نفس الشىء احسسنا به ايضا فى بعض معاهد الشباب ، اذ ان بعض الذين تخرجوا فيها كان عنده هذا النقص ، انهم نزلوا فى وسط الشباب وبدلا من أن يزيدوا تدريبهم ويدعموا صلاتهم بالشباب عن طريق سلاح الفكر اللى اخذوه ، استخدم السلاح ده لتنفير بعض الشباب من حواليهم ، ونرى ما قال محمد مفيش انفصال اطلاقا .. بالعكس فجزء هام من تربية الكادر ، ومن تثقيفه اشتراكيا هو ان يعيش فى وسط الجماهير لان التثقيف الاشتراكى فى صورة من صوره هو عملية سياسية لتغيير المجتمع ، ولن يغير المجتمع الا الجماهير ، ولن تستطيع الجماهير التغيير الا بالقيادة ، ولن تبرز القيادة الا من بين الجماهير ، ومن بين مشاكلها . فبالتالى العملية متصلة .

أعود تانى للصياغة التى اقترحها الاخ صبرى على اساس اننا لا نبحث عن صيغة رسمية ، بل محصلة النقاش او تلخيص للنقاش الذى دار :

عبد الهادى :

اذا سمحتوا لى أطرح على حضراتكم الصيغة الموجودة عندى بالنسبة لتحديد الهدف من عملية التثقيف الاشتراكى ؟ ويمكن هى على تصورها بتجمع بين الهدفين ، وماتفصلش بينهم ، بل بتعتبرهم عملية واحدة نامية ومستمرة .

الهدف من عملية التثقيف الاشتراكى هو اولا ، وبالنسبة للظروف الحاضرة ، تهيئة تنظيمات الاتحاد الاشتراكى لاداء دورها الاساسى بالقدوة والقيادة فى تعبئة الجماهير وراء اهداف المعركة ، تعبئة تساعدها على مواجهة اعبائها والقيام بتبعاتها ، فتحمل تضحياتها وتعزز نضالها فى سبيل النصر ، وتحصنها ضد حملات الحرب النفسية التى يشنها العدو الخارجى وتوزيع علاقة قوى الثورة المضادة من الداخل .

وبالنسبة للهدف العام والمستمر ، احداث تغيير فى المناخ الفكرى داخل الاتحاد الاشتراكى العربى اولا ، يساعد على ايجاد تقاليد سليمة لعمل حزبى ملتزم ، وامداد كوادره فكريا ونضاليا بقيادة العمل من داخله فى الاتجاه الذى يكفل التحول الاشتراكى . ده الهدف البعيد والمستمر بالنسبة لعملية التثقيف، وهى اعداد الكوادر فكريا ونضاليا لعملية قيادة مستمرة فى سبيل التحول الاشتراكى المستمر .

محمد صبرى :

هناك فقط تحفظ ، هو التحفظ الخاص بالاعداد الآنى الذى يتفق مع ظروف المرحلة الحالية ، وهو ضرورة ان نؤكد فيه ونبرز قضية الاشتراكية ، ومدى ارتباطها بقضية النضال الوطنى ضد الاحتلال . ويمكن كما قال الدكتور الخفيف ، ان قضية التحرر او قضية ازالة العدوان القائم بتبرز بشكل يحجب عن أعين الجماهير قضية الاشتراكية بالرغم من ان العدوان اساسا بيستهدف قضية الاشتراكية فى المجتمع العربى ، او فى مجتمع الجمهورية العربية المتحدة .

النقطة الاخرى تعليقا على كلام الدكتور الخفيف فيما يتعلق بنوعيات الكادر اللى كان بيعد فى المعهدالعالى للدراسات الاشتراكية اتفق معه تماما فى التحليل اللى اعطاه ، ويمكن ده بيقودنا الى ضرورة ان نناقش فى هذه الجلسة مسألة الاختيار ، كيف نختار النوعيات التى تعد وتهيأ لتتولى القيادة الفكرية بين الجماهير ، بحيث اننا نضمن ان لا يتكرر ما حدث ، وهو عملية الاستعلاء

والانفصال عن الجماهير ، التى هى بقعة اساسا لتقودها وتتحرك بها وبينها .

محمد سيد احمد :

اقترح استكمالا للتعريف ان يكون من ثلاثة عناصر . العنصر الاول تأكيد فكرة استمرار التثقيف الاشتراكى فى كل الظروف كهدف استراتيجى عام . العنصر الثانى ، وهو الحلقة الرئيسية ، واعنى بها اعداد الكادر . والعنصر الثالث ، ما للظروف الحالية من اثر خاص على التثقيف .

رفعت السعيد :

انا متفق بشكل عام على الصيغة ، لكن الفت النظر الى ان عملية التثقيف الاشتراكى وعملية تكوين الكوادر ، هى فى الدرجة الاولى واجب سياسى ونضالى ، وان اختيار الكادر ومراقبته ومحاسبته وتطويره ، هو عملية فى الاساس عملية سياسية تتم من داخل التنظيم السياسى ، وده يؤدى بنا الى الحديث عن ان عملية التثقيف الاشتراكى فى اطار الاتحاد الاشتراكى ، هى فى الاساس عملية لاحياء القيم التنظيمية ، ويؤكدها لاحياء العمل التنظيمى وتاكيده لدفع العمل الحزبى الى الامام ، وابراز كوادر ملتزمة وتخضع للرقابة الحزبية ، وتخضع لرقابة الجماهير ، يعنى فى الاساس نحن نثقف الجماهير ونتخير من بينها الكوادر ونبنى الحزب فى آن واحد .

الدكتور الخفيف :

يخيل الى ان الصورة بالنسبة الى مفهوم التثقيف واهدافه ، اصبحت اكثر وضوحا لنا ، وانا مقدر تأكيد الاخ عبد الهادى للظروف التى تواجهنا جميعا وتواجهه هو بوجه خاص ، كأحد المسئولين عن التثقيف وبوصف ان التثقيف هدف من الاهداف العاجلة التى تواجه التنظيم بوجه عام ، وبالتالى الجهاز المسئول عن تثقيف الكادر فيه بوجه خاص .

واذا سمحتم احاول ان الخص ما دار بيننا من نقاش الى الآن :

التثقيف الاشتراكى اولا عملية مستمرة فى جميع الاحوال ، وتحت كل الظروف ، بوصف انها عملية سياسية دائمة تتصل بالعملية الثورية المستمرة لتغيير المجتمع والانتقال به الى مجتمع اشتراكى ، وان ما يجد من ظروف طارئة او غير طارئة لا يوقف التثقيف ، وانما يعدل من خطته ويضيف الى اهدافه ، بل ان مواجهة هذه الظروف عن طريق العمل السياسى لا يمكن ان تنجح بدون التثقيف .

والتثقيف الاشتراكى ثانيا ، هو بالدرجة الاولى عملية تكوين كادر سياسى ونضالى يتولى قيادة العمل السياسى من اجل الانتقال بحركة الجماهير الى حركة واعية لتحقيق الهدف النهائى ، وهو بناء المجتمع الاشتراكى ، وعملية التكوين هذه لا يمكن لهذا السبب ان تتم بمعزل عن الجماهير والارتباط بها وبمشاكلها وآمالها .

وهذا ينقلنا الى النقطة الثالثة ، التى تتصل بالتثقيف الاشتراكى ، وهى احداث التحول الفكرى لدى الجماهير على نحو يتواءم مع التحول المادى الذى حدث فى الاساس الاقتصادى للمجتمع ، ويسايره مع تهيئته واعداد هذه الجماهير لمزيد من التحرك نحو مزيد من التحول نحو الاشتراكية .

اما النقطة الرابعة ، وهى اثر ظروفنا الحالية على عملية التثقيف ، فهى النقطة الثانية فى ورقة العمل ، والتى اقترح ان ننتقل الى مناقشتها فنبدأ بالبندين الاول والثانى ، وهما طبيعة مرحلة التحول الى الاشتراكية بوجه عام ، ثم خصائص هذه المرحلة فى الظروف الموضوعية لبلادنا بالذات .

الدكتور اسماعيل صبرى :

فى الواقع اذا ازدنا تحديد طبيعة مرحلة التحول الى الاشتراكية بصفة عامة ، فممكن نقول انها استمرار المرحلة التى تشهد ميلاد مجتمع جديد من احشاء مجتمع قديم حاملا خيرا ما فى المجتمع القديم ومتجاوزا له الى آفاق جديدة تماما .

ابتداء من هذه القضية العامة نواجه نتيجتين هامتين جدا ، الاولى فى المستوى الاقتصادى ، وهى تعايش قطاعين اقتصاديين مختلفين جوهريا من حيث طبيعة القوانين الاقتصادية التى تحكمها ، وهما القطاع العام من ناحية ، والقطاع الرأسمالى من ناحية اخرى ، الاشياء التى تخدم القطاع

العام احيانا بتمشي في نفس الاتجاه الذي يخدم القطاع الخاص ، او القطاع الراسمالي ، الاشياء التي من شانها انها تشجع القطاع الراسمالي احيانا تصطدم مع مقتضيات التنمية التي يخدمها القطاع العام ـ طبعا فيه حلول لهذا كله ، لكن ابتداء ، هناك هذا التناقض وكل ما ينتج عنه من اجراءات متضاربة ، وممكن اضرب لهذا مثلا بسيطا جدا . في نظام اشتراكي كامل المصدر الوحيد للدخول هو العمل ـ الدخول كلها اجور ، فاذا اردنا تحديد الاستهلاك لنتفادى مشكلة الخطة الخمسية الاولى ، وهي زيادة الاستهلاك ، فعندنا الرقم الاجمالي للاجور موزعة في المجتمع بيتحدد مركزيا فبالشكل ده نبقى حددنا الاستهلاك مباشرة ، في مرحلة التحول فيه ملكية رأسمالية ، فيه دخول غير موزعة عن طريق الدولة ، وغير موزعة عن طريق الاجور ، وبالتالي تحديدها التحديد الدقيق مسألة صعبة ونقدر نحددها عن طريق غير مباشر ، بالالتجاء الى الضرايب ... الخ . مع امكانية التهرب من الضرايب الى آخر هذا كله .

اذا انتقلنا من الناحية الاقتصادية الى الناحية الفكرية العامة ، بنجد ايضا تعايش مجموعتين من القيم جنبا الى جنب ، مجموعة القيم والافكار المبنية على ملكية الشعب ، وعلى العمل وأهمية العمل وتقديس العمل ومجموعة الافكار التي ما زالت مرتبطة بالملكية الراسمالية وبالثروة ، والتي نراها في حياتنا اليومية ، مثلا عندما يختار احد زوجا لابنته يفضل من عنده شيء من الملكية رغم انه راجل عايش في مجتمع بيتحول الى الاشتراكية ، والمفروض انه يكون فيه تغيير في هذه الاهداف في تفكيره ، لكن هذا ما زال قائما .

مرحلة التحول اذن بيعيش فيها القديم والجديد ، وبيبقى فيه صراع بين هذا القديم وبين هذا الجديد ، وبيتوقف تطور المجتمع كله على حسن ادارة هذا الصراع ، يعنى هذا الصراع ممكن ان يكون مدمرا ، وممكن ان تكون محصلته النهائية تقدم المجتمع . وبدون الدخول تفصيلا في طبيعة مرحلة التحول عندنا ، اريد ان اقول ان هناك فكرة اساسية تحكم التحول عندنا ، وهي الفكرة التي اشار اليها الاخ نور الدين حسن ، وهي فكرة الحل السلمي لقضايا الصراع الطبقي في داخل تحالف قوى الشعب العاملة ، فيه عمال وفيه رأسماليين بينهم تناقضات ، الالتزام الذي قبله جميع الاطراف عند قبولهم الميثاق ودخولهم الاتحاد الاشتراكي ، هو النضال من اجل حل هذه التناقضات حلا سلميا ، وهذا ما يعبر عنه الميثاق بعبارة اخرى هي تذويب الفوارق بين الطبقات .

واحب ان أضيف ان الحل السلمي لقضايا الصراع الطبقي تفترض تدعيم جانب الصراع الفكري من اجل الافكار والقيم الاشتراكية ، لان لما يكون مجتمع بيتحول بطريق العنف ، ومن خلال حرب أهلية الاستقطاب بيتم في ساحة القتال ، والافكار التي لا تتناسب مع معسكر الثورة بتصفى حتى في شخص حامليها ، والافكار المعادية للثورة بتتجمع بشكل واضح في المعسكر المضاد .

في عملية تحول سلمي ، هذا الاستقطاب مبيتمش بطريقة تلقائية من داخل الصراع نفسه ، وبالتالي يكتسب الصراع الفكري اي عملية النضال من اجل توضيح وغرس المفاهيم والقيم الاشتراكية يكتسب اهمية حاسمة ، والا اصبح ممكنا ان تحل قضايا الصراع الطبقي ضد مصلحة الاشتراكية ، ومن هنا ، في ظروفنا بالذات للتثقيف الاشتراكي اهمية قصوى .

د. عمرو محيي الدين :

الحقيقة انا كنت عايز اشير الى نقطتين اولا : ان الجمهورية العربية المتحدة دخلت الاشتراكية من خلال تجربتها في عملية التنمية ، يعنى عملية التنمية قضية كانت السبيل لدخول مصر الى الطريق الاشتراكي وبالتالي انا أرى ان نجاح عملية التنمية الاقتصادية احد الاسس الرئيسية التي يجب ان يدور حولها عملية التثقيف الاشتراكي ، لان نجاح هذه العملية هي التي تقف ضد كل هؤلاء الناس الذين يدعون أن التجربة الاشتراكية في مصر ، من ناحية التنمية الاقتصادية ، تجربة فاشلة .

الواقع ان التنمية الاقتصادية تفرض نوعا او تخلق من خلالها نوعا من الضغوط كلنا جميعا بنحس بيها ، وكل الشعوب التي مرت قبلنا بتجارب عملية التنمية بتشعر بهذه الضغوط ـ تحمل الناس لهذه الضغوط التي تتولد من خلال عملية التنمية الاقتصادية تتطلب وجود كادر سياسي واع ، قادر على اقناع الجماهير بالضغوط دي وتحملها لفترة معينة الى ان تؤتي عملية التنمية آثارها ، والواقع انه من خلال عملية

التنمية فى مصر ؟ ظهر عدوان او حدث عدوان سنة ١٩٦٧ ، وهذا ادى الى ان عملية التنمية لم تصبح عملية تتم بمفردها ، انما اصبحت عملية تتم مع اعداد او تعبئة الموارد الاقتصادية للحرب ، وبالتالى ده من شأنه ان يؤدى الى زيادة الضغوط ، والى زيادة ربط الاحزمة على البطون ، وبالتالى فانه فى اعداد البلد لاقتصاد الحرب او تعبئة مواردنا للحرب ، لا يصح اطلاقا ان تهمل عملية التنمية ، بالعكس عملية التنمية من شأنها ارساء البناء الاشتراكى وتدعيمه ، وهذا يتطلب انواعا اكثر وكميات اكثر من التضحيات ، ومن هنا تبرز اهمية عملية التثقيف الاشتراكى فى ان الكادر او القيادات فى الاتحاد الاشتراكى العربى تكون قادرة على اقناع الجماهير وقيادتهم لتحمل هذه التضحيات فى عملية التنمية ، وفى تعبئة مواردنا الاقتصادية .

رفعت السعيد :

انطلق من هذا الكلام الذى قاله الدكتور اسماعيل ، ثم الدكتور عمرو ، الى ان مجتمعنا الان يتعايش فيه نوعان من القيم ، بل ونوعان من عملية الانتاج وعملية التكوين الاقتصادى ، احنا بنكون كوادر اشتراكية ، هذه الكوادر الاشتراكية بنكونها على اساس المفاهيم الاشتراكية الصرفة ، يعنى نقدم لهم القيم الاشتراكية والمفاهيم الاشتراكية والنظريات الاشتراكية ، ثم نطلقهم الى المجتمع ، حيث يوجد داخل هذا المجتمع الصراع بين القيم المختلفة ، ولكن فى ظل النكسة ثم فى ظل ضعف العمل السياسى ، وفى ظل عدم تبلور رؤية واضحة يمكن ان يجد بعض الكوادر انفسهم فى تناقض بينهم ككوادر اشتراكية ، وبين ماهو قائم فعلا فى المجتمع وهذا قد يؤدى بهم الى التمرد على هذا المجتمع او الى التردد او الى الشعور بأن المسألة كانت مجرد كلام ، او قد يؤدى الى ان البعض قد يستخدم هذا التكوين الاشتراكى كوسيلة للصعود درجة اعلى فى السلم الاجتماعى .

الاساس فى اعتقادى هو انه من خلال عملية تكوين الكادر نظريا وسياسيا ، لابد من تكوينه ايضا نضاليا ، وان نعده لا كمجرد أداة للتوعية ، وانما كأداة للتغيير كطليعة للتغيير ، تدرك طبيعة ما هو موجود فى المجتمع فعلا ، ومسئولياتها فى احداث عملية التغيير ، وهذا يضع على التنظيم السياسى عبء احتضان هذه الكوادر وان يحملها مسئولية التغيير ، وان يمكنها من عملية التغيير .

د. رياض الشيخ :

فى صدد مناقشة الوضع الحالى ، وبالذات الفترة الاولى التى بدأنا بها الاخذ بعملية التحول الاشتراكى ، عايز ابرز اساسا ضرورة سد الفجوة التى تفصل ما بين النظرية والتطبيق — او ما بين رفع الشعارات وتطبيق اهداف النظام الاشتراكى والسير قدما نحو تنفيذ أهداف المجتمع الاشتراكى — أنا يمكن بأؤكد هذا او ضرورة مراعاة هذا فى عملية التثقيف نفسها ، لانه من واقع دراستنا فى الجامعة للمواد القومية ، لاحظنا أن من مناقشاتنا مع الطلبة فيه فجوة بين الكلام اللى بنقولوا لهم عن مزايا التخطيط ومزايا الملكية العامة ، وما بين الاحساسات التى يأتى بها الطالب الى المحاضرة يوما بعد يوم — ومابين الانجازات التى يراها فى حياته وفى مجتمعه — فأنا بالشوف ان الفجوة دى بالذات يمكن قد تكون نتيجة طبيعية للمرحلة الماضية ، حيث رفعنا بعض الشعارات الاشتراكية ، سواء كان السبب الاشتراكية للتنمية زى ما قال الدكتور عمرو ، او الاشتراكية لمواجهة بعض الضغوط الخارجية — السياسية الخارجية او الداخلية ... الخ — أيا كان السبب ، رفعنا هذه الشعارات فى خلال المرحلة السابقة ، ولكن كان ينقصنا الوضوح المناسب والكافى لبلورة هذه الشعارات لعامة الناس ، وكان ينقصنا ايضا الوضوح فيما يتعلق بالعلاقة بين الاهداف المتعددة وبين الشعارات المختلفة التى رفعناها — وكان ينقصنا كذلك الوضوح فيما يتعلق بالامكانيات التى يمكن الاعتماد عليها وما بين الاهداف التى أردنا الوصول اليها عن طريق الاخذ بالنظام الاشتراكى .

والواقع هو ان القيم التى تنتمى الى المجتمعات السابقة — بعضها قيم اقطاعية وبعضها قيم قبلية وبعضها قيم رأسمالية — لم تختف بمجرد رفعنا بعض الشعارات ، او اصدار بعض التشريعات او بعض القوانين او بعض الاجراءات الادارية أيا كانت — هذه القيم بالتأكيد وجدت ، كما وأن الظروف التى مرت فى هذه المرحلة لم توجد فى المجتمع صور النضال التى تؤدى الى بلورة القيم الجديدة والتمييز بينها وبين القيم

القديمة — ومن ثم اختلطت المرحلة بالقيم المختلفة التى تنتمى الى مراحل مختلفة .

وهـذا الخلط فى الواقع بين القيم لم يحسم ، واستمر موجودا بشكل او بآخر على مختلف المستويات — ده فى الواقع كان بيجعل مهمة التثقيف الاشتراكى داخل الجامعة من اصعب ما يمكن ، زى ما قلت كان فيه باستمرار فرق كبير بين اللى الواحد بيقوله بالنسبة لمزايا التخطيط ، وبالنسبة للشكل اللى احنا عايزينه للمجتمع الاشتراكى وما بين المواجهة التى تتم يوميا لمختلف المشاكل .

النقطة الثانية ، هى اننا لم يكن عندنا وضوح فى السياسات المتبعة ، وهكذا يبرز السؤال : هل هذه المشاكل التى واجهتنا ترتبط بمرحلة التحول ذاتها ؟ أم هى ترتبط بأننا لم يكن لدينا الوضوح بالنسبة لمختلف السياسات ؟

اذا عرفنا التثقيف الاشتراكى بأنه تعميق القيم والمفاهيم الاشتراكية — فلا يمكن أتصور ان التعميق يحدث بمجرد رفع الشعارات ، التعميق يجب انه يوجد من التصرفات فى جميع المناطق ، وفى جميع المواقع ، وبالطبع الوضوح فيما يتعلق بالتصرفات التى تعطى سياسات معينة يساهم الى حد كبير فى تهيئة الجو المناسب لاعطاء التقديم — لشرح المفاهيم الجديدة ، ولشرح القيم الجديدة ، وبالتالى يمكن ان تنال قبولا حسنا بين كافة المواطنين .

أيضا فيما يتعلق بأثر الظروف الحالية ؟ هناك نقطة اخرى هى اننا نتبع باستمرار حلولا يومية للمشاكل التى هى بطبيعتها مشاكل طويلة الاجل — وانعكس هذا عندنا فى الجامعة فى صورة ان المواد القومية فى سنة من السنين كانت بتدرس كلها فى مادة واحدة ، سنة اولى او فى سنة ثانية ، مش فاكر ، تحت اسم المجتمع العربى ، وكان بيدرس فيها بعض الاقتصاد على بعض من الثورة — اقتصاد على اجتماع — على سياسة . وفى السنة التالية مباشرة تم تجزئة هذه المواد الى ثلاث مواد ، وبدون اى اعداد سابق تدرس على ثلاث سنوات ، وقام البعض بالتدريس ايا كان بشهادات خاصة وبمفاهيم لم تكن موحدة ، وانما كان يمكن بعضها منافيا تماما لما اتفق عليه فى كل بلاد العالم بين ما هو اشتراكى ؟ وما هو غير اشتراكى . وانا لا اقول ان الخطأ فى الناس فى حد ذاته ، بقدر ما هو فى ان العملية تمت بين يوم وليلة بدون اى اعداد ، مجرد قرار طلع من اى مسئول ايا كان بأن فيه تقسيم للمادة القومية الى ثلاث مواد ، وهذه المواد يقوم بتدريسها فى الجامعة وتبقى خلصت العملية عند هذا الحد . وكذلك انا لا اعترض على الطريقة التى تم بها ، سواء تقسيم المادة الى ثلاث مواد ، او اختيار الناس اللى قايمين بالتدريس ، او اختيار المنهج الى آخره ، لكن الذى حصل فعلا انه تمت العملية بهذه الصورة ، قرارات وبعدين الواحد فى يوم وليلة وكلف ان يدرس المادة دى وراح ثانى يوم علشان يدرس المادة دى الى آخره ، يقول اى كلام ، والمسألة مشيت الى حد ما بهذه الصورة لغاية الصيف الماضى ، اذ تكونت بعض اللجان على مستوى الجامعات كلها لمناقشة المناهج ومناقشة المشاكل ، واعتقد انه بذل مجهودا لابأس به فى هذه الندوات ، ولكن يمكن برضه الاثر او الصورة القديمة اللى احنا ماشيين برضه بها وضعنا قرارات فى هذا المجال ، ووجد انه لا يمكن تنفيذ هذه القرارات فورا ، وكان من بين هذه القرارات بالذات ان المواد القومية يجب ان تكون بقدر الامكان دراسة للمشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى مجتمعنا ، وبالتالى الجزء النظرى او الجزء المجرد فيها يكون بقدر الامكان فى حدود معينة والتركيز اساسا ينصرف الى الجوانب التطبيقية الخاصة بالمجتمع المصرى ، سواء فى جانبه الاقتصادى او فى جانبه السياسى او فى جانبه الاجتماعى .

بطبيعة الحال لم يكن هناك منهج او دراسة معدة لكل هذه الجوانب ، وبالتالى كان تنفيذه معتمدا اساسا على الفهم الشخصى او التقدير الشخصى للشخص الذى سيقوم بتدريس هذه المادة .

أرى انه لابد من ان التطبيق الاشتراكى يأخذ صورا اكثر وضوحا مما اخذها حتى الان ، ودون هذا تبقى العملية من الصعب جدا ان تثقف ، ومن الصعب جدا ان توضع مفاهيم سليمة الى آخره .

كما يجب ان يقوم بالدراسة التطبيقية أناس متخصصون فى مراكز بحث متخصصة بمعنى اننا لانكلف بها اساتذة الجامعة على أنها مجرد عمل اضافى اضفناه اليهم .

محمد سيد احمد :

ونحن على السمات التى ميزت مرحلة التحول الى الاشتراكية فى تجربتنا ، ابرزنا زاويتين ، ولابد من دراستهما فى ارتباطهم بمشكلة الوعى والتثقيف ، ابرزنا جانب الحل السلمى ، يعنى الطابع السلمى للتحول ، وقلنا ان الطابع السلمى للتحول يفترض تأكيد جانب الصراع .

الدكتور الخفيف :

بس لو سمحت لى انا عايز استبدل يكلمة يفترض كلمة يستلزم .

محمد سيد احمد :

بالضبط هذا ما اردته ، لان هذا شىء مطلوب وليس شيئا محققا ، فهو لا يوفر فى حد ذاته الوعى ، ولكن يجعل الوعى ضرورة .

النقطة الثانية هى مشكلة التنمية كسمة اخرى مميزة ، او محركة لعملية التحول الى الاشتراكية . التنمية عملية لا تؤتى نتائجها الا فى الامد الطويل ، وبالتالى لا يمكن تحقيقها الا بعنصر الوعى . وهنا مرة اخرى مشكلة الوعى بتبرز كضرورة وليس كشىء محقق اتوماتيكيا . فسواء فى النقطة الاولى او النقطة الثانية الوعى ليس ظاهرة تنبثق من التطور الطبيعى ، ولكن ظاهرة لابد من ان يبذل جهد خاص فى غرسها .

انتقل الان الى الزاوية الثالثة التى لا هى التنمية ولا هى الحل السلمى ، بل هى مشكلة الجانب الوطنى فى التحول الى الاشتراكية . فى حقيقة الامر العملية عندنا العنصر الدافع لضرورة الحل الاشتراكى ، هو الجانب الوطنى فى العملية ، ان المعركة الوطنية التى بلغت القمة فى عام ١٩٥٦ ، اكدت ان لا سبيل للحفاظ على المكاسب الوطنية الا بالحل الاشتراكى ، يعنى العملية اتت ايضا كضرورة ، وهذه الضرورة لا تعنى فى حد ذاتها استبدال القيم التى كانت سائدة قبل هذا الحل بالقيم المطلوبة لتنفيذ هذا الحل .

يعنى كون اننا نحدث تغييرا فى الاساس الاقتصادى للمجتمع ، لا يعنى اتوماتيكيا اننا نحقق الوعى بما يستلزمه هذا التحول من وضوح فى سبيل ان يأتى بثماره . هذه هى المشكلة فى حقيقة الامر . كل مرة لما تكلمنا عن الوعى ، تكلمنا عن الوعى فى مجال الضرورة لا فى مجال الظروف التى تحقق ذلك . هذه هى المشكلة التى ادت الى نوع من التفاوت ما بين ما انجز فى الاساس المادى وما هو مطلوب فى الاساس الفكرى ، فى سبيل ان يواصل هذا الاساس المادى ويدفعه الى الامام ، ويمنع التعثرات التى ادت مثلا الى النكسة .

القضية ايضا هى ان تحقيق الاساس المادى بدون الاساس الفكرى ، قد يجعل التغييرات المادية تؤدى الى نتائج غير المطلوبة فى الامد الطويل ، ان ظواهر عارضة تفرض نفسها ، لان الوعى او الضابط او الرقابة او الحركة الجماهيرية غير متوافرة بالقدر الكافى ، لان توقف هذه الظواهر او تمنع هذه الظواهر من انها تضر العملية الطويلة الامد .

فاذن قضية الوعى او طريق التثقيف ليست قضية عارضة ، قضية ممكن ترجأ للسنة القادمة او للسنة التى بعدها ، بل فى الفترة الحالية تعبر فعلا عن مشكلة اساسية فى كل البنيان ، وتوفير كل هذه العناصر فى الامد الطويل . ليست المسألة هل نقوم بالعملية او لا نقوم بها ، لاننا اذا لم نقم بها فهناك قيم اخرى بتفرض نفسها وبتفسد العملية ولا تحقق الاهداف الحقيقية لها ، وتجرد العناصر الحقيقية بتحولها لشعارات او انها تجعل الناس بعيدة عن الوعى ، ويبحثون عن حلول تكنيكية ، عن حلول فنية ، حلول اقتصادية بحتة ، التى هى اقرب الى حلول رأسمالية فى نهاية الامر ، باعتبار ان هذا هو البديل العاجل ، لان الوعى عملية طويلة الامد الى آخر هذه الحاجات .

محمد صبرى :

الحقيقة انه فضلا على السمات الخاصة او المصاعب الخاصة التى بتكتنف مرحلة التحول الى الاشتراكية فى المجتمع المصرى ، كما ابرزها الاخوة الذين سبقونى فى الحديث ، أود ان اشير الى مصاعب اخرى كان لها اثر مباشر وغير مباشر على عملية التثقيف المتواضعة التى كانت تجرى فى المجتمع المصرى ، والتى توقفت بعد احداث يونيو .

الصعوبة الأولى برزت فى غياب التنظيم السياسى القادر على النضال . وغياب هذا التنظيم مكن لفئة جديدة فى ان تبرز وتمكن لنفسها هى الاخرى بامتيازات غريبة عن معنى الثـورة ، وغريبـة عن معنى الاشتراكية ، وهذا البروز ، وهذا الظهور ، أدى الى احداث فجوة كبيرة بين محـاولة تعميق الوعى بالتحـول الاشتراكى ، وبين واقع كان قائما ، وهذه هى القضـية التى طالما الح عليها المناضل جمال عبد الناصر ، وجاءت النكسة لتجهز عليها تماما بالتالى .

الصعوبة الاخرى تمثلت فى ان النظرية جاءت متأخرة عن بداية التطبيق . احنـا بدأنا مرحلة التحول الى الاشتراكية من خلال قرارات اصدرتها القيادة السياسية .

هذه النظرية التى جاءت متأخرة عن بداية التطبيق ، والتى تمثلت فى الميثاق ، جاءت بشكل مرن ، وهذا بدوره جاء نابعا من غياب نضج سياسى وعقائدى تخلف نتيجة تخلف الإعداد المسبق للكوادر ، من خلال تنظيم قائم ومنظم ، استطاعت القوى المناوئة ان تستغل هذه المرونة التى هى سـمة من سمات الميثاق فى محاولة لتجميد الميثـاق والارتداد من خلال عجلة التقدم الى الخلف ، متى سنحت لها الفرصة ، وقـد برزت فى هذا المجال محـاولات كثيرة من النـاحية الفكرية أو من الناحية التطبيقية . وهـذا أدى بدوره الى تعميق الفجوة أيضـا بين واقع التطبيق وواقع محـاولات التحويل الفكرى التى كانت تجـرى بتواضـع فى المجتمع المصرى .

عبد الغفار شكر :

فيما يتعلق بطبيعة المرحلة الحالية وأثرها على التثقيف الاشـتراكى – فى رأيى ان الـكلام الذى قيل حتى الان ، اقتصر على ما يجرى فى مصر بالداخل . ومطلوب منا نظرة على علاقـة ما يجرى بالداخل وامتـداداته الخارجية – ما يحدث اليوم فى العالم هو صراع بين الاستعمار الجديد وحركة التحرر الوطنى – واقول ان الاسـتعمار الجديد وتحول الاستعمار التقليدى الى استـعمار جديد ، اسـتطاعت الشـعوب ان تواجهه بسـلاح آخر وهو **تحـول حركات التحرر الوطنى الى حركات تحرر او حتى ذات آفاق اشتراكية** . اى محاولة منا لتتبع الاحداث فى منطقة الشرق الاوسط ، وخاصة بعـد عدوان يونيو ١٩٦٧ ، تؤكد ان ما يجرى فى منطقة الشرق الاوسط ليس مجرد نزاع بين اسرائيل وبعض الدول العربية ، وانما هو مواجهة مصيرية حاسـمة بين الاسـتعمار العالمى ، والاحتكارات الامريكية – على وجه التحديد كقيادة لهذا الاستعمار الجديد ، وبين حركة التحرر الوطنى العربية ، ذات الافاق الاشتراكية . واى محـاولة للاعتقـاد بأن المعركة يمكن ان تحسم من الجانب المصرى فقط ، او على اساس انها مواجهة لاسرائيل فقط ، اعتقد انها نظرة قاصرة ، والتثقيف الاشتراكى فى بلدنا مطالب فى هذه المرحلة بالذات بالتأكيد على مجموعة من المسائل الاساسية :

اولا : ان المعـركة التى نواجهها طويلة المدى .

ثانيا : التعـريف بطبيعـة العدو الذى نواجهـه ، وهو انه ليس اسرائيل فقط ، وانما هو الاحتكارات الدولية ، وعلى راسها الاحتكارات الامريكية .

ثالثا : نوعيـة القوى المؤهلة تاريخيـا لخوض هذه المعركة . واعنى بذلك ان طول المعركة سـيؤدى الى خروج بعض القوى التى تقف الان فى الصف الوطنى . وسيؤدى ايضا الى دخول قوى جديدة بشكل مباشر فى مواجهة الشـعب العامل فى المنطقـة العربية كلها . التثقيف مطالب ايضا فى هذه المرحلة بالتأكيد على ان المهمة الاسـاسية فى هذه المرحلة لا تقتصر على انهـا تحرير الارض فقط ، وانما هى **بناء حزب طليعى او تنظيم طليعى** ، باعتباره القوة القـادرة والمؤهلة لقيـادة حركة التحـرير الوطنى العربية . فى نفس الوقت اقول ان عمليـة النظرة المجزأة الى هذه القضـية ممكن ان تضر اكثر مما تفيد ، وبالتالى لابد من التركيز على **دور المقاومة الفلسطينية** فى المرحـلة الحالية ، وبهـذه الطريقة يكون فيه نظرة قومية او بعد قومى الى الوضع الحـاضر بالنسبة للتثقيف .

ومن هنا اعتقد اننا نكون فى اتجاه سليم او فى طريق سليم . كل هذا فى اطـار علاقة المعـركة بالتحول الاشـتراكى فى الجمهورية العربية المتحدة .

يسرى فايق :

حتى ننطلق من الواقع ومن الميثاق ، ان اذ لقيت اشتراكية حقيقية فرضها الواقع او التاريخ والامال العريضة لقوى الشعب بتاعنا فكنا عايزين نشوف ازاى بنختلف يعنى فى النظرة مع الاخ محمد ، كيف كان من الممكن اجتذاب قطاعات كبيرة من الناس وخصوصا الطبقة العاملة الى النظام الاشتراكى فكريا ، قبل ان تمسك هذه القطاعات الكبيرة الاشتراكية وتلمسها حقيقة .

أرضية الفكر الاشتراكى للتثقيف كان اساسها المكاسب الاشتراكية اثناء التحول الاشتراكى ، وبالتالى كانت كل الحوافز السياسية التى اعطيت للجماهير العاملة حوافز سياسية اساسا ، لخلق ارضية نتمكن من خلالها ان نحدث تثقيفا اشتراكيا ووعيا اشتراكيا . اما ان ننظر للاشتراكية دون ان تلمسها هذه القطاعات وتعى بها أولا ، ثم بعد ذلك تحدث التغييرات الاشتراكية ، فأعتقد ان هذا لم يكن ليحدث التمسك بالنظام فى ظل الظروف التى كانت موجودة بكل ما فيها من تناقضات . ولم يكن من الممكن على الاطلاق ان يحدث اذابة الفوارق ما بين الطبقات سلميا . وربما هذا هو الذى احدث الموازنة فى المجتمع اثناء فترة التحول . واقول ان الارضية اذا كان اساسها فى الاول حوافز سياسية مادية منحت لقطاعات كبيرة من العمال ، ومن الفلاحين ، فقد ادت الى التمسك بالنظام وقبول النظرية الاشتراكية لانها هى بالاساس المحققة للامل . وذلك يمكننى من مزيد من وضوح الرؤيا لكيفية التحرك على ارضية استطيع ان اثقف من خلالها الجماهير .

الواضح من تجربة التثقيف السياسى نفسه ، أن الذى كان يثور باستمرار حول النظرية هو التطبيق . ولم نكن نناقش النظرية كنظرية ، فكان باستمرار اذا تكلمنا عن حتمية الحل الاشتراكى ان تثور باستمرار التساؤلات حول ان التطبيق الاشتراكى لا يواكب الاشتراكية فى شىء على الاطلاق . وكان نتيجة هذا ان جماهير كثيرة فقدت الثقة من ناحية ، لان التطبيق لا يواكب الواقع ، وان الجماهير التى خرجت بالشحنات نتيجة عملية التثقيف ، حصل فيه قصور من ناحية احتوائها تنظيميا وعدم متابعتها . اى نتيجة لتجربة الواقع ، حدثت اعمال ميدانية لبعض القطاعات المثقفة ، كان اساسها الوعى ، وكان اساسها الشحنة الفكرية التى أخذتها من خلال التثقيف نفسه ، لم نستطع ان نستمر بهذه الشحنات ، فالشحنة التى اتخذت بعد فترة من الفترات ، نظرا للعلاقات الاجتماعية الرأسمالية والاقطاعية ، التى كانت لاتزال قائمة فى المجتمع ، فوجدت الناس نفسها تسير فى واد والآخرون يسيرون فى واد آخر ، فالفرق الطليعية للشباب، والفرق الطليعية للعمال استطاعت ان تحدث انجازات بعد مواعيد العمل وبدون اجر . واصبح عندها هدف العمل — قيمة جديدة داخل المجتمع . ولكن نظرا لان حافز العمل لم يكن هو الاساس بين جميع القطاعات الموجودة من الفئات المختلفة يئست هذه الجماهير من امكان الاستمرار . ونظرا لعدم الرعاية من ناحية التنظيم ، وعدم احتوائها ، انصرفت هذه الجماهير عن التجربة التى نتكلم عنها .

واذا كنا سننطلق من الواقع ، فلابد ان نأخذ موضوع التنمية كأساس . موضوع التنمية كأساس هو الذى يمكن الحافز المادى السياسى من التمسك بالنظام ، مزيدا من اتاحة فرص العمل — مزيدا من المكاسب الاشتراكية — مزيدا من التطبيق الاشتراكى الصحيح — هو الذى سيجعل ارضية الفكر الاشتراكى مناخ صالح تتقبل فيه الناس النظرية بكل سهولة ،ويجرنا ذلك الى النقطة التى قالها الاخ عبد الهادى ناصف والزميل محمد سيد احمد — ان المطبقين للاشتراكية يفقدوا الاشتراكية كل مضمونها الاجتماعى اساسا ، لان منطلقاتهم الفكرية منطلقات غير اشتراكية — اذ اننا لا زلنا نعتمد على الكادر الفنى والتنفيذى القديم صاحب الخبرة وصاحب المعرفة السابقة ، ونقص الكوادر الفنية والكوادر الادارية يجعلنى اتمسك بهذه الكوادر حتى نندفع اكثر بالتنمية — ويفرض ذلك واقع موضوعى ان هذه القيادات لابد وان تأخذ من الفكر الاشتراكى ، ومن العمل الاشتراكى ما يمكنها من الادارة الاشتراكية للمرفق الذى تديره ، هذا اولا . وثانيا : لابد وان يأخذ التنظيم السياسى ايضا دوره فى تحمل المسئولية ، وأخذه للسلطة ، لان لا يمكن اطلاقا ، فى ظل التناقضات الموجودة داخل المجتمع الا وان تكون للقيم الصاعدة من يدعمها ، ومن يكون له السلطة فى تدعيمها ، حتى نستطيع ان نقضى على كل قيمة من القيم المتخلفة سلوكا وعملا .

ولن يقوم بذلك الا كادر قادر على تحمل

مسئولية السلطة ، كادر قادر على ان يحقق هذه المفاهيم والقيم الاجتماعية الجديدة .

وانا لا انظر فقط لطبقة الادارة العليا الموجودة حاليا فى الاجهزة التنفيذية ، ولكنى انظر ايضا الى البيروقراطية المتفشية التى بدات تظهر فى الادارة الوسطى ، واصبحت تعوق عمليات التحول ، نظرا لان مفاهيمها لا زالت مفاهيم ديوانية مكتبية ، لا تريد ان تتحمل المسئولية . ربما لكثرة تعدد الاجهزة الرقابية عليها ، هذا كله يدفعنا الى ان نعيد النظر مرة ثانيـة فى الاجهـزة الادارية الوسطى للتثقيف والتى يجب ان تكون منطلقاتها الفكرية منطلقات اشتراكية ، حتى نستطيع ان نطبق التطبيق الاشتراكى بما يخدم الجماهير اساسا .

عبد المنعم الغزالى

أريد ان اتكلم فى نقطتين — **النقطة الاولى** : ان نفس المفهوم الذى قدمه الدكتور اسماعيل صبرى ، من ان طبيعة مرحلة التحول تفرض ان يكون هناك تعايش بين نظامين ، وتعايش بين قوتين موجودتين فى المجتمع . وفى ظل هـذا التعايش ، فيه قضية التثقيف الاشتراكى ، وربما كان هنا بعض الخطر ، اذا كان التطبيق يخلط بين فكر النظامين ، بين فكر القوى الطبقية المكونة للنظامين — واذا اخذنا مجالا كمجال الثقافة العمالية مثلا ، سنجد ان عملية التثقيف تتم فى هذا المجال على اسـاس التوفيق بين الفكرين ، بينما المفروض ان الثقافة العمالية جزء من عملية التثقيف الاشتراكى لا ينفصل عنهـا ، وهى عملية تكوين وتثقيف الطبقة العاملة . ومن المفروض ان يتسم بالنقـاء الفـكرى ، وان يكون تثقيفـا اشـتراكيا حقيقيا ، وليس خليطا بين نظريات الطبقات المختلفة ، المشوشة عن الاشتراكية .

وفى مرحلة التحول بالذات ، الافـكار المشوشة للطبقات المختلفة موجودة وسائدة فى المجتمع ، ومن هنـا فان عملية التثقيف الاشتراكى فى هذه المرحلة بالذات ، التى تواجه فيها الضـغوط الخارجية ، ونواجه فيها الثورة المضادة من الداخل ، يجب ان تتخلص تمـاما من كل اتجـاهات التوفيق الفـكرى ، وان يكون هنـاك ايديولوجية واضحة محددة ، ويكون فيه مناهج واضحة محددة ، وبالذات فى مجال التثقيف بالنسبة للطبقة العاملة .

النقطة الثانية : بالنسـبة لمجال الثقافة العمالية ، حدث ان فكرية الفئات الجديدة التى ارست لنفسـها فى مرحـلة التحول قواعد ثابتة ، وتمكنت فعلا من ان توجد فى مراكز السلطة ، وفى مراكز الاعلام ، وفى مراكز الثقافة ، وفى دور النشر .. الخ . ان فكرية هذه الطبقة الجديدة قد امتدت الى الطبقة العـاملة نفسـها ، وفى تنظيمهـا الاسـاسى الموجود حاليـا ، وهو التنظيم النقابى .

ومن هنا تصـبح مهمة الثقافة العمالية جزءا من الثقافة الاشتراكية . وجهازا من أجهزة التثقيف الاشتراكى ، الذى يجب ان لا ينفصم عن التثقيف الاشتراكى .. لا ان يكون ملحقا لوزارة العمل او اى جهاز من الاجهزة الادارية . واذا كنت وانا أشارك فى الادارة بممثلين عمـاليين مثـلا ، هؤلاء الممثلون العماليون الموجودون فى الادارة أصبحت الان تربيتهم السـياسية السـابقة معوقا من المعـوقات الموجـودة فى وجـه التثقيف الاشـتراكى فى مرحـلة التحـول الى الاشتراكية .

نور الدين حسن :

اذا نظرنا الى طبيعة مرحلة التحول فانا متفق فى الاساس على ان المجتمع الجديد ينبع من احشاء المجتمع القـديم ، لكن بالنسبة للاشتراكية لابد من وجود منظمات عمل اشتراكية ، بمعنى ان جماهير تعمل وقلة تأخذ مثلا مكسب هذا العمل او ناتج هذا العمل . وبالنسبة لمجتمعنا ، فمجتمعنا كان فيه أكثر من سـمة من سمات المجتمع القديم ، يعنى كان فيه مجتمع جزء منـه اقطاعى، وجزء آخر رأسمالى، وعندما تحولنا أو دخلنـا مرحـلة التحـول ، لم تكن كل القطاعات الاقتصـادية فى مجتمعنا تعمل بالطريقة التى تؤهلها للدخول فى الاشتراكية ولكن هنـاك مثلا المجتمع الاقطـاعى فى الزراعـة مجتمع متخلف ، ادوات الانتـاج متخلفة ، ولا يمـكن اطلاقا ان نقول انهـا جاهزة للتحول الاشتراكى ، واحنا اخـذنا ببعض تجارب التجميع الزراعى والتسويق التعاونى ، ومحاولة احداث الميكنة بقصد احداث تجمع العمال الزراعيين داخل قطعة الارض بقصـد تأهيلهم للدخـول فى الاشتراكية . هذا جانب مهم لابد للتثقيف الاشتراكى للمجتمع الجديد ان يتناوله ، وكما اتفقنا فى الاول ، بأن هناك فكرا رائدا ، من خلال هذا الفكر الرائد تعالج المشاكل التى يتعرض لها المجتمع .

وبالنسبة لما ورد بخصوص الثقافة العمالية ، كأداة لتفهم العمال للاشتراكية ، فاننا نعود مرة اخرى لما اتفق عليه فى مجتمعنا ، بأنه مجتمع تحالف قوى الشعب ، هذا التحالف يفرض اساسا ان يكون للمجتمع فكر ، ومن خلال فكر المجتمع بتأخذ كل الطبقات فكرها ، ولا يحدث اطلاقا تعارض ما بين الفكر الطبقى لاى طبقة من الطبقات وفكر المجتمع . ده معناه ان الثقافة او التثقيف الاشتراكى لا يجب ان يكون تثقيفا فئويا ، بمعنى ان نعطى العمال ثقافة معينة واداة نضال معينة،والفلاحون والمثقفون كذلك. ولكن لابد للجموع المتحالفة ان تعطى ثقافة تخدم بالاساس قضية التحالف ، ومن هنا نستطيع ان نقول انه بالنسبة للثقافة العمالية ، اساس الدراسات فيها هو الميثاق ، صحيح ان بعض الدراسات فى الجانب الاقتصادى مثلا فيما يتعلق بأعضاء مجالس الادارة تعطى بعض الدراسات الاقتصادية ، ولكنها ليست بالضرورة دراسات راسمالية ، ولكن بيغطى فيها الاساس الاشتراكى ، النقطة المهمة التى اريد ان اركز عليها ان الفكر الذى يقدم للجماهير ، ان لم يكن هناك واقع يخدمه فلن يلتصق هذا الفكر بالواقع ، ولن يؤتى بثمار جديدة ، وبمعنى آخر لابد ان تكون هناك اجراءات لتغيير الواقع المادى لكى يكون مؤهلا لنضال الاشتراكية ، وذلك يدفعنا لان نسأل من جديد : كيف تكون القيم ؟ ان القيم الرأسمالية او القيم الاقطاعية ليست اصيلة فى الشعب ، ولكن القيم الرأسمالية والقيم الاقطاعية هى موجودة لدى البعض الذى يحاول تغيير هذا العمل لمصلحته ، وليس لصلحة الشعب ، اذن فان الحديث عن كل قيمة اشتراكية بتقديس العمل وتكافؤ الفرص او خلاف هذا ، هو اساسا مطلب من مطالب الشعب ، ولكنه ضد ارادة الذين يحاولون التميز على الشعب والذين يعتقدون انهم ورثة النظام السابق .

اذا كان هناك تثقيف اشتراكى ، لابد اساسا ان يضرب فى الواقع المادى ويغيره ، وهذا التغيير سيثرى الفكر الاشتراكى .

بالنسبة للنقابات ، كانت هناك دراسات تعطى لها من خلال المجتمع . وأؤكد مرة أخرى ضرورة الا نعطى العمال آداة نضال تختلف عن آداة نضال الفلاحين ، وتختلف عن آداة نضال المثقفين . ولكن لابد ان ينهل الجميع من منهج واحد ، والكل يدرس دراسة واحدة ؟ حتى يمكن تدعيم جبهة التحالف .

ولا شك ان مناقشة التثقيف السياسى ، لابد وان تكون مرتبطة بواقعنا المحلى ، لابد ان ترتبط فعلا بالوطن العربى كله وبالمواجهة مع الاستعمار العالمى ، هذا الاستعمار الذى لا يريد لنا الخير . اذن تبقى وضوح الفكرة وان المعركة ليست سهلة ، وان المعركة طويلة الامد ، وان الجانب الوطنى لا ينفصم ولا يبعد اطلاقا عن الجانب الاشتراكى . بمعنى ان اى تجمع لمواجهة العدوان ليس بالمعنى السابق انه تجمع وطنى ، فنجمع اعداء التحالف وندخل بهم معركة ضد الاستعمار . لا .. لا اطلاقا ، انما التجمع اساسا تجمع التحالف ، تجمع اصحاب المصلحة فى الاشتراكية ، من اول المعركة الى نهايتها . وهذه المسألة لابد وان تكون واضحة تماما ، وان كنا ننادى بالحل السلمى ، فانه داخل التحالف ، وليس خارجه ، بمعنى اننا نسيلها دماء فى حالة ما حاولت القوى المضادة ان تعرقل مسيرة المجتمع نحو الاشتراكية ، ولذلك يجب الا تكون هناك مصالحة فى حالة مواجهتنا للعدو والاستعمار العالمى . لا مصالحة بين القوى المضادة والقوى صاحبة الثورة . ولكن القوى صاحبة الثورة وصاحبة المصلحة من العمال والفلاحين والمثقفين والجنود والرأسمالية الوطنية ، هم جميعهم اصحاب القضية ، وهم بالتالى المدافعون عنها بقيادة طليعتهم العمال والفلاحين لا وليس للفكر الطبقى .

رفعت السعيد :

لى تعليق بسيط على كلام الاخ نور الدين حسن ، حول قضية التحالف وثقافة التحالف . ان قضية التحالف فى رأيى ، هى معركة سياسية يتم فى اطارها تحالف بين عديد من الطبقات ، تستهدف فى مرحلة معينة تحقيق اهداف وبرامج محددة . لكن هذا لا يعنى ان عملية التثقيف الاشتراكى التى تكون من خلالها طلائع المجتمع الجديد ، لا تكون عبارة عن تجميع لثقافات وأفكار ومناهج فكرية لطبقات التحالف ، والا فالقيادة الثورية للمجتمع تتنازل بذلك عن طليعتها ، وتتنازل ايضا عن امكانية احداث تغيير كيفى فى المجتمع ، وتتنازل عن قدرتها على الانتقال من مرحلة التحول التى تعيشها الى مرحلة المجتمع الاشتراكى الحقيقى ، وبالتالى فعملية

التثقيف الاشتراكى هى ليست تجميع للافكار والمناهج والاساليب التى تنتمى اليها الطبقات المختلفة ، وانما هى ثقافة طليعية بهدف تكوين وعى وكادر طليعى يتمكن من انجاز مهام التحول الاشتراكى . ويتعين على عملية التثقيف هذه ان تضع فى اعتبارها التحالف والطبقات المنتمية اليه ، وان تفهمها جيدا ، وان تفهم مستقبل كل منها فى عملية التغيير .

نور الدين حسن :

لا . انا كنت اريد ان اقول كلمة لو سمحتم . ما هى القضية ؟ التحالف اساسا مرحلة للوصول الى مجتمع الشعب العامل . اذا اتفقنا على هذا الاساس يكون معنى هذا ان كل الثقافة يجب ان تخدم بالاساس هذا الهدف البعيد . هذا أولا .

وثانيا : ان من داخل جهاز الاتحاد الاشتراكى الام ، هناك جهاز طليعى ، هذا الجهاز الطليعى غير مطلوب ان نقدم له دراسات فئوية اطلاقا . هذا الجهاز الذى يضم من العمال والفلاحين والمثقفين الطليعة الاشتراكية ، يأخذ فكر التحالف بهدف الوصول الى مجتمع الشعب العامل ، كان ذلك هو هدفى من الحديث وقد اوضحته .

د. اسماعيل صبرى عبد الله :

الكلمة التى اريد ان اقولها متصلة بموضوع الطبقة الجديدة ، فى الواقع المفهوم غير محدد تماما . ومن الممكن ان يضم اشياء مختلفة متناقضة جدا ابتداء من كادر فنى وادارى على مستوى عال من الكفاءة . المفروض ان نسعى لكسب القضية الاشتراكية ، وفى الطرف الآخر عناصر بيروقراطية عفنة يمكن موضوعيا تنضم للثورة المضادة او تشكل احتياطيا لها ، ويطرح هذا فورا قضية كيف نميز بين العناصر — وهى الاكثر عددا — التى يجب ان تكسبها الاشتراكية ، وبين العناصر التى يجب ان نعزلها . واقول ان من اهم الواجبات التى يمكن ان يصادفها التثقيف الاشتراكى بالمعنى العام — العدد الاكبر من الناس فوق سن الـ ٤٠ الموجودين فى الادارات العليا للشركات تربوا تربية رأسمالية كاملة — فعندما كنا طلبة فى الجامعة، كان عندنا استاذ احترمه واجله جدا كان يقول لنا العبارة الاتية « هذا الرأى اشتراكى ، اذن فهو خاطىء » . هذه التربية التى تربى جيلنا كله عليها ، هذا الجيل الذى وصل بكفاءته الفنية الى مستوى الادارة العليا ، لم تتح له اى فرصة جدية لدراسة الاشتراكية ، وبالتالى هو يحكم بأحكام مسبقة . ومن واجب تحالف قوى الشعب العاملة ان تتيح لهذه العناصر فرصة الاختيار الحر الواعى بين الاشتراكية وبين الرأسمالية ، بأن يعطى لهم فرصة معرفة الاشتراكية فى مستوى خاص يتناسب مع مستواهم من الثقافة الفنية والثقافة العامة ، ومع الاهتمامات التى تشغلهم . ان كل ما قدمناه لهم حتى الان معاهد كثيرة للادارة تعلمهم تكنيك الادارة على الطريقة الامريكية ، لكننا حتى الان لم نعمل اى معهد لكى يعلمهم ما هى الاشتراكية . وهذه نقطة من اهم النقط ، لان هؤلاء لا نريد ان ندينهم بالجملة ، الجزء الاعظم منهم موضوعيا رأسمالى كبير بالنسبة للشعب المصرى ، والشعب المصرى صرف عليهم كى يتعلموا . واذا لم يكونوا موجودين كنا سنستورد خبراء اجانب بدلا منهم ، وطالما ان هؤلاء موجودون ، لابد ان نحاول كسبهم لقضية الاشتراكية . وتلك مهمة التثقيف الاشتراكى . كما انها من الحالات الخاصة التى يجب ان يرعاها التثقيف الاشتراكى ، ويجب ان تلقى عناية متميزة .

محمد صبرى :

انا عاوز اسأل سؤال ، يمكن الدكتور اسماعيل صبرى يعطى اجابة فتكون تتمة للقضية . فى الواقع ان ما اثاره الدكتور اسماعيل صبرى ، يجسد حقيقة قائمة فى واقعنا الحالى . ولكن هناك تساؤل يطرح نفسه باستمرار ، وفى مجالات عديدة ، هل من الاوفق ومن الاحسن لمرحلة التحول ان أعطى الجهد لكادر جديد يعد اعدادا فنيا وعقائديا وسياسيا ثم أغزو به المواقع المختلفة التى يشغلها هؤلاء الذين تربوا فى احضان المجتمع الرأسمالى وتشبعوا بفكره ؟ ام اعطى هذا الجهد لهذه الفئة التى اشار اليها الدكتور اسماعيل صبرى، هذه قضية. الحقيقة هى فى حاجة الى مزيد من الوضوح وبعض الحسم .

د . اسماعيل صبرى عبد الله :

فى الواقع ان الواجبين متكاملان وليسا متناقضين ، لاننا فى الوقت الذى نحاول فيه

تثقيف الكادر الادارى العالى الموجود ؟ وهذه عملية ترقيع وعملية محاولة للاستفادة الى اقصى حد مما هو موجود ، يجب ان نستغل نفس هذه الفترة باعداد الصف الثانى ، بتربيته تربية عقائدية أكثر أصالة حتى اذا حل محله ، يتحول من يبقى فى منصب ادارى هام الى خبير فنى ، ونأخذه كخبير فنى . لكن الادارة تكون فى يد العنصر الذى يجمع ما بين الخبرة الفنية والتربية العقائدية . ولكنك لا تستطيع ان تكون هذه الفئة من الاداريين على مستوى الادارة العالى ، وفى نفس الوقت عقائديين فى ستةاشهر فقط ،ولا فىسنةولا فىاثنين ولا فى تقديرى خمسه — فماذا تفعل فى خلال هذه الفترة ؟ لابد من ان تكون هناك الى جانب الخط الاصيل الذى تعمل من اجله ، عملية لاعادة تثقيف الموجودين حاليا .

محمد صبرى :

علميا ، مهما اعطيته هل من الممكن ان يتغير هذا هو السؤال ؟

د . اسماعيل صبرى :

هذه نقطة اساسية بالطبع ، واقول ان الراسمالية الوطنية جزء من تحالف قوى الشعب العاملة ، معنى هذا اننا ندعو الراسمالية الوطنية الى ان تساهم فى عملية التحول الاشتراكى ، وتساهم فى بناء الاشتراكية ، هذا قد يبدو تناقضا لاول وهلة ولكن الراسمالية الوطنية ابتداء من الارضية الوطنية التى تقف عليها ، يمكن ان يعاد تثقيفها ، وان تتقبل شيئا فشيئا المثل العليا للاشتراكية . هناك من الفئات الراسمالية الوطنية موضوعيا او فكريا ، قطاعات اقرب الى قضايا الاشتراكية ، لانهم هم المشتغلون بالانتاج بالفعل ، وخاصة المثقفين منهم والتكنيكيين منهم ، لان عندهم العقلية العلمية ، وهذا اساس مفيد جدا للمناقشة معهم ، كما انهم مرتبطون معك بقضايا محددة جدا هى جوهر قضايا التنمية الاقتصادية ، هذه ارضية لقاء اساسية بينك وبينهم ، وبما اننا مؤمنون بأن الاشتراكية أقوى فكريا من الافكار التى فى ذهنهم ، فيجب الا نخاف هذه المعركة .

د . محمد الخفيف :

فيه نقطة هامة يمكن تكون فرعية ، لكن احب ان اقولها بناء على واقع تجربة خاصة . انا كنت منذ سنتين او سنة ونصف من اشد الناس تذفا فى حق رجال الادارة العليا فى بلدنا ، فى جميع الندوات اللى حضرتها ، وفى جميع البرامج ، والواقع ان السؤال الذى اثاره الاخ محمد صبرى مهم جدا ومفيد جدا ، ولكن التجربة اوضحت لى العكس ، حتى اننى فكرت مرة ان اكتب مقالة بعنوان مديرنا معذور . نفس الكلام الذى كنا نشكوا منه على نطاق كل جماهير الشعب عن التناقض بين التطبيق وبين الشعارات .

هذا التناقض عكس صورة اشد عند رجال الادارة . لماذا ؟ لانه كما اوضح د . اسماعيل صبرى ، مرتبط بقضايا محددة . انا كدولة اطلب منه زيادة تنمية . ولا شك ان زيادة التنمية فى شركة معينة ، قد تتطلب عدم زيادة العمالة ، بل تستدعى خفض العمالة . ولكن المدير يفاجأ بقرار بزيادة العمالة الى جانب توجيه زيادة التنمية . هذا المدير يجد نفسه فى حيرة ، ويجد نفسه يتساءل أين الاشتراكية هنا ؟ هل أزيد العائد ، لكنى لكى ازيد العائد يجب الا ازيد العمالة . وفى نفس الوقت انت بتقول ان الاشتراكية هى خلق فرص جديدة للعمل ، ولابد ان يكون عندك جزء من هذه الفرصة . هذه مشكلة ، وفيه مشكلة اخرى : مسألة الربح وعدم الربح والتذبذب بين الفكرتين فلسفيا او فكريا او دعائيا .

فى الواقع كل هذه المسائل تحدث عند رجل الادارة بلبلة فكرية غريبة جدا ، والذى اريد ان اضيفه ، وهذه نقطة هامة وخطيرة جدا ، انه ثبت لى بالتجربة ان المدير فوق الـ ٤٠ سنة فعلا ، الذى يعمل ، او فوق الـ ٣٥ سنة فى القطاع العام ، هم اكثر الناس عملا فى القطاع العام مأساة ، انا اعتبرها مأساة كل الشباب ، لانه لا يعمل اطلاقا ، ولا يريد أن يعمل ، الذى يرهق نفسه فى العمل هو الرجل العجوز الذى نقول عليه هذا معوق وغير اشتراكى . تلك مسألة خطيرة جدا .

محمد سيد أحمد :

اريد ان اوضح نقطة صغيرة تتعلق بهذه المسألة . حقيقة .. الحل الاشتراكى الذى

يفترض الكادر العقائدى كى يقوده ؟ وحتى يكون المناخ ملائما له ، لابد ان يتوفر مناخ اشتراكى وقيم اشتراكية . وهذه العملية يجب الا تتم فقط من فوق ، ولكن لابد ان تمتد فى داخل الجماهير ، وفى حالة عدم توفر هذا المناخ ماذا يحدث ؟ ان التكنوقراطى الذى لا يرى الا الحلول الراسمالية ، يكون اكثر انجازا واكثر قدرة ، اما غيره من الكادر العقائدى ، فلا يستطيع ان يتحرك او ينتج او ينجز فى المناخ غير الاشتراكى . هذه هى المشكلة . وعندما تقول لماذا يعمل اكثر ؟ لانه تعود على اسلوب معين ، وما دامت القيم البديلة او المقابلة غير متوافرة ، يكون هذا الاسلوب اكثر انجازا . وليست هناك طريقة للتغلب على هذه المشكلة الا عن طريق خلق قيم جديدة ، تمتد الى ما يتجاوز الافراد .

ومشكلة العمالة مثلا لن تحلها فى مصنع واحد ، هذا الموضوع لن يحل الا على نطاق اوسع ، وتلك مشكلة عامة لم نضعها فى اطار العملية العامة ، فسوف نجد انفسنا امام مفارقات من هذا النوع .

هذه نقطة ، النقطة الثانية ان العنصر الفكرى وحده لن يلعب وحده الدور الحاسم . اذ لابد ان يكون فيه عنصر اجتماعى عام . ومن هنا أقول اننا لا نستطيع ان نكون الناس من تلقاء نفسها ، او ان نعيد تكوينهم او تثقيفهم دون ان نضع فى اعتبارنا ان المسألة مرتبطة بخلق جيل جديد . وبقدر ما يستطيع هذا الجيل الجديد ان يفرض وجوده ، ويخلق قيما جديدة ، بقدر ما يمكن ذلك من اجتذاب الاخرين وكسبهم .

عبد الهادى ناصف :

فى الواقع ان الاخ يسرى فايق له آراء اعتقد ان من المهم ان ابدى فيها بعض الملاحظات ، وهى قضية : هل اساس عملية التثقيف يكون واقع التطبيق . أم النظرية المتكاملة . وضرب مثلا لذلك بأننا بدانا عملية التثقيف من واقع المكاسب التى حصلت عليها الجماهير العاملة ، وقال فى كلامه ان هذه الجماهير كانت مؤمنة بالنظرية الاشتراكية ، ولكنها اصطدمت بمشاكل التطبيق . فأحدثت هذه الصدمة هزة عند هذه الجماهير ، واصبحت القيم الاشتراكية محل شك او تساؤل عند قطاعات كبيرة منهم . وانا اسأل : هل الاخ يسرى فايق كان يعنى بايمان هذه الجماهير بالنظرية ان النظرية كانت متكاملة وواضحة عندها ؟ أم ان الجماهير آمنت بالشعارات والاهداف البعيدة للنظرية الاشتراكية ؟ ولكن هل النظرية عبارة عن شعارات واهداف ؟ أم ان الفهم والوعى فى النظرية لا يتكامل الا اذا وعت الجماهير كل الخصائص المرتبطة بهذه النظرية ، والتى تبرز عند التطبيق . ونحن نناقش الان طبيعة المرحلة ، مرحلة التحول ، وما يحدث فيها من تناقضات ، فهذه المشاكل التى أشير لها من طبيعة مرحلة التحول الاشتراكى . وأنا اقول انه لو كانت عملية التثقيف لم تأخذ جزئية فى التطبيق ، وركزت عليها فقط دون ان تهمل النظرية المتكاملة ، من المحتمل ان تؤتى ثمارا أحسن ، وكان من الممكن ان نتلافى عمليات ردود الفعل الناتجة عن اصطدام واقع التطبيق بعدم الوضوح النظرى الكامل . والذى اتصوره ان اى عمليةتثقيف لابد ان يكون الجانبان متكاملين . لابد ان تكون النظرية متكاملة مع التطبيق . وليست النظرية مجرد اهداف او شعارات وانما لابد من ايضاح كامل لكل خصائص مرحلة التحول ، والجانب التطبيقى بكل ابعاده ، وارتباط هذه الابعاد بالنظرية . وفى رايى ان هذا هو المنطلق الذى نستطيع منه ان نقوم بعملية تثقيف سليمة ومتكاملة . نحن نقول اننا نقوم بعملية تثقيف حتى نتفادى التناقضات الموجودة ، او لكى نحل التناقضات الموجودة . ومن غير المتصور ان تكون عملية التثقيف فى ذاتها هى من مسببات هذا التناقض .

يسرى محمد فايق :

انا ردى على الاستاذ عبد الهادى ناصف رد بسيط ، كان فيه فعلا قصور فى التثقيف فى المرحلة الماضية . لان عندما كنت اقدم النظرية ، كان المفروض ان أربى هذا الكادر نضاليا . كيف يصل الى الامل ، وكيف يحقق النظرية على المراحل المختلفة من خلال الارضية التى يقف عليها ، ومن خلال طبيعة المرحلة التى يمر بها . وانا اعتقد ان ذلك كان قصورا منهجيا . والمفروض ان نتلافاه . ما من شكوى من الشكاوى التى تقدم الا وتتهم الناس بالبيروقراطية وبالرجعية ، وبأنهم ضد الاشتراكية . وترفع الشعارات والشعارات .. والشعارات . ثم فى الاخر لا نجد ان هذا الرجل يريد ان يقول لماذا يشكو ومن ماذا ؟ ما هو اساس شكوته . وخصوصا عندما يكون خريج اى معهد من المعاهد ، وخصوصا المعاهد الاساسية .

انا تصورى لعملية اسلوب الادارة ، المقصود به كيف احقق مبدأ توسيع قاعدة العمل الوطنى والنضالى . كيف احمل كل فرد فى المجتمع مسئولية العمل والبناء . كيف استطيع ان اضع كل فرد فى اطارات عمل محددة يرتبط بها ، ولابد من تحقيقها . ذلك هو الاساس المفروض ان أمارسه واطبقه . هل الادارات فى تنظيمها للعمل وفى علاقاتها تحقق هذا المبدأ ؟ هذا هو الاساس فى الادارة الاشتراكية . وكما يقول الدكتور الخفيف ان الذين عندهم ٣٥ او فوق الـ ٣٥ سنة ، يعملون بجدية ، ذلك لانه كان من المفروض ان يوزع هؤلاء العمل لنخلق جنبا الى جنب معها قيادات تستطيع ان تتحمل مسئولية العمل . ولكن الذى حدث ويحدث ان هناك عملية استحواذ . وهذه مسألة من طبيعتهم ، وقد تعودوا عليها . لكن تحقيق مبدأ الادارة الاشتراكية بفكر اشتراكى تعنى اساسا كيفية تحقيق مبدأ توسيع قاعدة العمل . والنضال الوطنى اساسا ، بأن كل فرد فى المجتمع يتحمل مسئولية العمل ومسئولية البناء ، وانا باحمله مسئولية العمل ومسئولية البناء ، اقول له نتيجة عملك حتاخذ . وأنا اضع بذلك قيمة للعمل ، وان الجهد المبذول ستكون نتيجته طيبة . والمفروض عندما أقدم تثقيفا ، حتى على هذه الارضية ، تبقى ارضية صحيحة ، وتمكننا من ان ننطلق من واقع موضوعى .

يحيى السيد :

اريد ان اقول بالنسبة للنقطة التى اثارها الاستاذ عبد الهادى ناصف ، ان التثقيف فى المرحلة الماضية ارتبط بشكل اساسى بالتطبيق وبالانجازات . ولو رأينا الفئة العريضة ، خصوصا فى عملية الانتشار من ناحية التثقيف فى معسكرات العمال ومعسكرات الفلاحين ، كان التثقيف مطالبا فى هذه المرحلة بالذات ، بأن يربط الفكر النظرى بواقع تم انجازه فعلا ، لاننى عندما اقدم للعامل او الفلاح فكرا نظريا مجردا ، لابد وان اراعى تكوينه الفكرى نفسه . لانه غير مستعد لان يتقبل فكرا نظريا مجردا . انما لابد من عملية ربطه بواقع محسوس ، ومن هذا الواقع اعطيه الدفعة الاكثر الى ان ينطلق الى مزيد من الانجازات ومزيد من النجاح فى عملية التطبيق . اما ان انطلق من الفراغ ، بالعكس انا اعتقد ان الانجازات الاشتراكية التى تمت فى المرحلة الماضية ساعدت كثيرا

على تهيئة المناخ الملائم لبث الوعى الاشتراكى بين جماهير العمال والفلاحين .

محمد صبرى :

فيما يتعلق بالبند الثالث من النقطة ثانيا [طبيعة التنظيم السياسى] ، فى الحقيقة ان هذا يفجر أمامنا قضية هى مدى انعكاس التكوين الخاص للاتحاد الاشتراكى ، باعتبار ان التحالف بين قوى وبين طبقات ، على عملية التثقيف ذاتها . ومن خلال هذا يجب ان نتساءل لمن اتوجه بالتثقيف ؟ وهل هناك اولويات يجب ان أتبعها ؟ وهل يجب ان ارى فى هذا بين واقع تاريخى ملموس فى تاريخ النضال الوطنى المصرى ، وهو ان اكثر الناس اقترابا من النضال واكثر الناس تضحية هم من الطبقات الكادحة ، ومن المطحونين بالذات . نريد ان نخرج من ذلك باتجاه معين . هل هناك اولوية يجب ان توضع فى مجال التثقيف فى هذه المرحلة ؟ واذا كانت فلمن تكون ؟ اما ان الامر يجب ان يجرى على مواجهة تتسع لكل القوى داخل التحالف فى الاتحاد الاشتراكى ...

د . محمد الخفيف :

هذه القضية تعرضنا لها على خفيف ، عندما تكلم الاخ نور الدين حسن ورد عليه الاخ رفعت السعيد . واظن اننا متفقون على ان الهدف الاساسى ، او من أهداف التثقيف الاساسية هو تكوين كادر . او ان التثقيف الاشتراكى كسلاح من اسلحة تكوين الكادر . واتفقنا على ان الهدف المستمر امامنا هو الوصول الى مرحلة الاشتراكية .. الوصول الى البناء الاشتراكى . وان عملية الوصول الى البناء الاشتراكى ما دامت هى هدف التحالف ، فمن المفروض اذن ان الكادر الذى نعده انما نعده لهذه العملية بالذات ، عملية اتمام مرحلة التحول وبناء الاشتراكية ، من هنا تأتى القضية . من من الطبقات ، او من قوى التحالف هو صاحب المصلحة الحقيقية والاساسية والاصيلة فى اتمام مرحلة التحول . من هنا لابد من التركيز فى رأيى على ان يكون الكادر الذى يقود عملية اتمام التحول هو من هذه الطبقات ، لانها هى التى تريد فعلا ان تبنى الاشتراكية ، والتى بدأنا فى الاصل عندما قلنا فى الميثاق ان الاشتراكية العلمية هى الحل الحتمى لمشاكل الجماهير .. الذى قال هذا الكلام قائد يعرف الاشتراكية ،

وعندئذ فكر نظرى عن الاشتراكية ؟ وقد وضع هذه الصيغة وتبنتها الجماهير عن طريق انجازات تمت . وقد تبناها اكثر طبعا العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون . اذن ما من شك فى انه لكى نصل الى الاشتراكية العلمية ، او نصل الى البناء الاشتراكى ، لابد من ان الكادر الذى يقود هذه المرحلة يكون منبعه الاساسى هذه الطبقات،اوهذه القوى .. عمال وفلاحون ومثقفون ثوريون .

يعنى المشكلة اصلا هى اختيار العناصر التى ارتبطت مصيريا بقضية بناء الاشتراكية ، والتى هى فى الاساس والجوهر قضية الفلاحين والعمال او قضية الاغلبية الساحقة من الشعب ، وطبعا مسألة الارتباط بمصير القضية ، لا يعنى الارتباط النظرى فقط . كما انه ليس ارتباطا شعاريا اعلاميا، وانما ارتباط على أساس قضايا ومواقف وتضحيات .

ولو سمحتم لى فيه نقطة صغيرة كنت اريد ان اضيفها للموضوع . ان ظروف المرحلة الحالية الخاصة ببلدنا فى النهاية ابرزت قضية هامة جدا ، خاصة بالنسبة لتجربة التثقيف التى كانت قائمة قبل النكسة .. فى تثقيفنا قبل النكسة لم نغفل — على الاقل فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية — مسائل طبيعة مرحلة التحول وتعايش النظامين ، ووجود قيم مختلطة بين الاثنين ، والصراع الدائر بينهما . لكن فى الحقيقة كنا نتصور ان هذا الصراع من السهل حسمه ، وان العناصر الثورية الموجودة فى المجتمع قادرة على تصفيته .
ويمكن بتجربتى الخاصة كنت الاقى صعوبة فى وسط الشباب اكثر من المعهد ، بحكم سنه ، وكان يفزع جدا للتناقض بين الكلام وبين الواقع . وذلك لقلة خبرته . لم يكن يقبل برضى القول بان هذا من طبيعة مرحلة التحول فى المعهد العالى للدراسات الاشتراكية نتيجة لسن الطلبة وخبرتهم ، واحساسهم ونضجهم اكثر من المستساغ مثل هذا القول الى حد ما .. وقد كنا متصورين بالفعل ان القيم المتخلفة من الماضى من السهل تصفيتها ، الحقيقة العدوان والنكسة اثبتا عكس ذلك ، اثبتا فعلا — وهذا هو الجديد فى مسألة التثقيف فى رأيى — اثبتا انه لابد للتثقيف الاشتراكى بعد النكسة ان يدخل فى حسبانه هذه القضية ، لانها لم تعد فقط مجرد ان تكون من طبيعة مرحلة التحول ، ان يوجد كذا وكذا . لا .. لابد ان نوضح ان من طبيعة مرحلة التحول ان يوجد كذا وكذا ، ولكن لو تركت على هذا النحو ، فان القيم القديمة والقوى المضادة ستسود ، وبالتالى لابد من اعداد الكادر اعدادا نضاليا اكثر . وهذا ينقلنا لنقطة ثانية لابد ان نتعرض لها . هى ظن الناس ، حتى العناصر المثقفة ، ان كل مسئول فى هذا البلد اشتراكى . هذه قضية هامة لابد ان يتناولها التثقيف . لابد ان يفهم انه ليس بالضرورة ان يكون كل رئيس مصلحة او كل مسئول من القوى الدافعة لتطور المجتمع وبناء الاشتراكية . وهذه قضية اعتقد بأهمية ان يضعها التثقيف فى اعتباره والا فسوف نفاجأ بنفس الحكاية .. لانه سيظل يجد بعض الفروق بين الكلام وبين الواقع .

والحقيقة ان القضيتين ترتبط ببعضهما . قضية ان القوى المعوقة ثبت انها أقوى مما كنا نظن . ويجب الا نتركها بدون صراع حقيقى . والقضية الثانية هى القدوة أو المثل . والناس لابد ان تفهم انه ليس من الضرورى ان تفترض الاشتراكية فى كل المسئولين ، كما لابد أيضا من الاتفاق حول مقاييس تحديد « الاشتراكية » من التصرفات .

محمد سيد أحمد :

لا اريد ان اطيل فى هذه النقطة . ولكن النقطة التى اريد توضيحها ، ان النكسة كشفت عن ظاهرتين : ظاهرة داخلية، وظاهرة عامة . الظاهرة الداخلية يمكن ان تندرج تحت العنوان العام **الفئة الجديدة** ، المستفيدة من الشعارات العامة ، من اجل امتيازات فئوية تحت شعار الاشتراكية . بخلاف الطبقات القديمة . التى كانت تقف صراحة ضد الاشتراكية ، هذه هى النقطة الاولى .

النقطة الثانية ، وهى المشكلة الاعم ، ان اساليب الاستعمار الجديد لا نعرفها كلها بشكل كاف ، اوبالوضوح الكافى ، ودى مشكلة كبيرة عايزه توضيح كبير . وان الصهيونية تدخل كفصيلة نشطة فى المخططات العامة للاستعمار الجديد . ولكننا للاسف عندما نتناول الصهيونية نراها دائما

من زاوية مشكلة فلسطين فقط . ولا نرى البعد العام للصهيونية ، والدور العالمى الذى تقوم به اليوم. وتحديد هذا الدور مفيد جدا حتى فى مواجهة الاستعمار الجديد وأساليب الاستعمار الجديد . انا لا اريد ان ادخل فى التفاصيل ، لان هذه مشكلة اخرى . لكن الذى اريد ان اقوله بشكل عام، ان هذه المشكلة تندرج تحت عنوانين: فيه مشكلة خاصة داخلية ، اللى هيه بعض الفئات التى تطلعت الى أعلى وحاولت تستفيد من الشعارات العامة فى الاشتراكية من اجل اغراض فئوية ، ده عنصر ، والعنصر الثانى ، يعنى حقيقة اساليب الأستعمار الجديد اللى احنا لسه متخلفين عن فهمها تماما .

رفعت السعيد :

اود ان اشير الى نقطتين متعلقتين بهذا الموضوع : **النقطة الاولى** ، هى ان النظام بدأ فى عملية التحول الاشتراكى ، وهو نظام فى السلطة يتمتع بالتأييد والظفر وبالنجاح المستمر والمتواصل ، وقد ادى هذا الى التفاف عناصر ذات طبيعة معينة حول الشعارات التى رفعها ، وحول منابره للتثقيف الاشتراكى ، لكن المعركة الجديدة نخوضها ، بينما النظام يتعرض لنكسة ، وبالتالى فان قضية الاشتراكية ، وهى مرتبطة ارتباطا وثيقا بقضية التحرر الوطنى بحاجة الى الطبقات والفئات والعناصر الاكثر اقتناعا بالاشتراكية ، وصاحبة المصلحة الاولى فى الاشتراكية ، ليس هذا فحسب ، وانما ايضا العناصر الاكثر استعدادا للتضحية من اجل الاشتراكية ، وللدفاع عنها ضد اى معتد يحاول ان ينقص من المكاسب التى حققها الشعب ، بمعنى ان بعض الناس الذين اصبحوا اشتراكيين او تثقفوا اشتراكيا او التفوا حول راية الاشتراكية فى الفترة الماضية قد التفوا حولها على اساس انها تعنى مكسبا عاما ومغنما شخصيا ، اى مكسبا عاما للمجتمع ومغنما شخصيا لهم ايضا ، ولا بأس أن يمتزج الاثنان ببعض ، لكن اليوم فان معركة التحول الاشتراكى او الدفاع عن الاشتراكية تتطلب اشخاصا يعتبرون الاشتراكية معتقدا من الممكن ان يضحى الانسان من اجله بمستقبله وحياته ان لزم الامر ، وبالتالى فاننا بحاجة الى ان نتخير كوادرنا من بين الفئات والطبقات والاشخاص ليس فقط اصحاب المصلحة الحقيقية ، وانما أيضا القادرون على التضحية والمستعدون لتحمل تبعاتها .

النقطة الثانية : هى ان عملية التحول السلمى للاشتراكية تعنى بالتحديد احداث تحول كيفى فى جهاز الحكم يعنى احلال مستمر لطلائع العمال والفلاحين محل العناصر الاخرى الموجودة بكثرة فى السلطة وذلك لان التحالف يقوم بين العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين والرأسمالية الوطنية ، فاذا تأملنا طبيعة تركيب الجهاز الادارى والجهاز الاوسط فى السلطة ، احدى هذه الفئات ، وهى الطبقة الوسطى تستحوذ على الغالبية العظمى منه ، وبالتالى فلانجاز عملية التحول ، ولتحقيق التكافؤ فى عملية التحول ، يجب ان نعطى الفرصة الاكثر للعمال والفلاحين ، لكى يحلوا تدريجيا محل القوى الاخرى ، وذلك حتى يحصلوا على النصيب الذى يؤهلهم لهم ، ليس فقط دورهم الثورى ، وانما ايضا حقيقة وزنهم فى المجتمع ، وفى عملية الانتاج ، ومن ثم فعلينا ايضا التركيز على تثقيف وتربية كوادر من العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، كاجزاء ضرورى لانجاز عملية التحول .

نور الدين حسن :

بالنسبة للاتحاد الاشتراكي فى تكوينه الجديد ، فلا شك فى ان عملية التثقيف لابد وان تستهدف هذه الكوادر المنتخبة ، لان هذه الكوادر بالاساس تمثل سلطة التنظيم السياسى فى مؤتمرها القومى ، اعلى سلطة فى الدولة ، ولا شك فى انه اذا كانت هناك بعض الكوادر الفنية والادارية التى لم تستطع الى الان ان تتجاوب حسب ما قيل ، فمن الممكن ان تلعب هذه القوى الجديدة الممثلة فى التحالف فى المؤتمر القومى دورا ايجابيا فى تلافى هذا النقص ، وذلك حتى لا يتصور بعض المسئولين ان بامكانهم ان يفرضوا فكرهم الخاص فى هذا المجتمع ، ولكن مجتمعنا بالأساس يخطط وينظم من خلال تنظيمه السياسى الذى يمتلك فيه العمال والفلاحون اكثر من نصف قواه ، ولو تمت عملية التثقيف وسط كوادر المؤتمر القومى بالشكل السريع والمؤثر ، بحيث ان الاتجاهات العامة والرأى العام داخل المؤتمر يكرس بالاساس لخدمة قضية الاشتراكية ، فاننى اعتقد ان كثيرا من هذه المشاكل يمكن ان تحل .

أما عن توقف اجهزة التثقيف الاشتراكى بعد النكسة ، فأنا اعتقد ان السبب هو احداث تغيير شامل فى الاتحاد الاشتراكى

نفسه ، واجراء انتخابات له ، وكان طبيعيا اتاحة الفرصة للكوادر المنتخبة ان تتولى بنفسها عملية التثقيف الاشتراكى ، وان يوضع الامر فى يدها .

عبد الهادى ناصف :

لى تعقيب على كلمة الاخ نور الدين ، حول توقف اجهزة التثقيف الاشتراكى بعد النكسة ، قبل ان ادخل فى صلب النقطة المطروحة للنقاش . فأنا اعتقد ان توقف اجهزة التثقيف بعد النكسة ، كان رد فعل طبيعى ، لان برامج التثقيف فيما قبل النكسة ركزت على التضخيم من صلابة الواقع ، وقدرته او استحالته على ان تحدث له نكسة بالحجم الذى حدثت ، فكان رد الفعل الطبيعى انها لو استمرت من حيث انتهت ، ستتكلم فى قضايا اصبحت محل شك واعادة نظر فمن هنا كان توقفها يعنى عدم الاستمرار فى الخط الذى كانت تسير فيه ، وهذا توقف طبيعى ورد فعل طبيعى لما حدث .

ندخل بعد هذا فى موضوع احتدام القضية الوطنية من جديد ، واثر ذلك على محتوى عملية التثقيف .

والواقع ان الجماهير لم تكن قد انتهت من القضية الوطنية ، فقد ظل فى وعى الجماهير انها حققت انتصارها فى القضية الوطنية بتحقيق الاستقلال ، ولكنها كانت تشعر دائما بأن هناك تآمرا على استقلالها ، وبأن قوى الاستعمار ما زالت تحاول ان تضعف من هذا الاستقلال بشكل أو بآخر ، وان تفرض سيطرتها على المنطقة — ايضا كان التهديد الصهيونى ماثلا فى كل وقت ، ويهدد واقع استقلالنا ، وهذا يعنى ان القضية الوطنية كانت قائمة وماثلة فى الاذهان . بمعنى اننا حصلنا على الاستقلال ولكنه كان استقلالا معرضا باستمرار بالتهديد من جانب القوى الاستعمارية . فالقضية الوطنية ، باعتبارها مواجهة لاحتمالات المستقبل ، كانت موجودة ، وكانت تفرض نفسها على تفكير الناس ، ليس بمعنى تحقيق الاستقلال ، ولكن بمعنى الحفاظ على الاستقلال .

وأنا اعتقد ان من واجب التثقيف ، او من الواجبات الاساسية للتثقيف فى هذه المرحلة ان نركز على ان كسب القضية الوطنية ، بمعنى حماية الاستقلال وصيانته ضد اى تهديد ، مرتبطة اساسا بالنظام الاشتراكى ، وان هدف الاستعمار بتهديده لاستقلالنا الوطنى ان يحتل بقواته العسكرية اراضى وطننا ، وأن يستهدف فى الاساس ان يفرض علينا سيطرته اقتصاديا وسياسيا ، بدون قوات احتلال ، وهذا يعنى فى الواقع فقدان الاستقلال ، كذلك فان الانتصار فى قضية الاشتراكية يحقق فى نفس الوقت ، والى جانب الهدف الاجتماعى ، الهدف الوطنى ، بتأكيد الاستقلال وصيانته وتدعيمه وحمايته من اى خطر قد يتهدده فى المستقبل . وباختصار فان معنى الاستقلال يجب أن تتضح ابعاده الحقيقية فى اذهان الجميع ، وأنه ليس مجرد التخلص من احتلال عسكرى ، ولكنه تخلص من اى سيطرة أجنبية فى أى شكل من الاشكال ، وهذا يربط القضية الوطنية بقضية الاشتراكية عمليا ونظريا عند الجماهير .

بالنسبة للنقطة الاخرى ، وهى التناقض القائم بين قيام حالة الحرب وعدم وجود قتال ، هذه ايضا حالة تنتج عنها حالة نفسية كما اشرت اليها فى اول كلامى ، وهى عملية الصراع النفسى الموجودة عند الناس وهذا يفرض علينا فى عملية التثقيف ، ان نراعى هذا الظرف النفسى ، وان نعمل على توضيح الامور وتنمية النظرة العلمية الى هذا الواقع ، الامر الذى يمكن ان يقضى الى حد ما على حالة القلق الموجودة ، لان النظرة العلمية الى هذا الواقع تؤكد ان توقف القتال لا يعنى عدم وجود حالة الحرب ، حالة الحرب قائمة ، ولكن لظروف خاصة مرتبطة بواقعنا ، يتحتم ان يكون هناك توقف للقتال استعدادا لاستئناف هذا القتال بالصورة الفعالة التى تؤدى الى حسم القضية ، هذا المعنى فى الواقع يختفى الى حد كبير عند الجماهير . وكثيرا ما يسأل الناس لماذا لا نحارب؟ فى الواقع ان توقف القتال لا يعنى انتهاء الحرب ، ولكن لابد ان يعى الناس جميعا ان الاستعداد للحرب هو فى الواقع انجاز لـ ٧٥٪ او ١٠٠٪ من عملية كسب الحرب .

محمد سيد أحمد :

بطبيعة الحال يتعين الربط بين الطابع الوطنى والطابع الاشتراكى للمعركة التى نخوضها فى المرحلة الحالية . فنحن نواجه اساسا الاستعمار الجديد وليس الاستعمار التقليدى ، واذا اردنا مواجهة الاستعمار الجديد فاننا لا يمكن ان نواجهه فى اطار الرأسمالية ، حتى بصورها المخففة ، او حتى بصورها التى تستخدم شعارات

اشـــتراكية ؟ وهى فى حقيقة الأمر ليست اشتراكية ، لا سبيل لمواجهة الاســتعمار الجديد الا بتعميق الاشتراكية ، وهنا ترتبط القضية الوطنية بالقضـــية الاشتراكية فى أبرز صورها . واعتقد ان هذه مسألة هامة جدا ، وتوضيحها هو احدى المهام الرئيسية لعملية التثقيف فى المرحلة الحالية .

محمد صبرى :

انا قد أتفق مع الاخ عبد الهادى فى ان الجمــاهير المصرية فعــلا كانت تتخــوف باستمرار من احتمال وقوع اعتداء خارجي عليها ، ولــكن هــذا التخوف كان محاطا باستمرار بضباب ، جعل السبب الاساسى لهذا التخوف يغيب عن اذهان الجماهير ، وانا موافق على رأى الاخ محمد سيد احمد فى ان السبب الحقيقى للاعتداء او للتخوف من وقوع هذا الاعتداء هو قضية الاشتراكية فى داخل الجمهورية العربية المتحدة ، حتى فى عدوان عام ١٩٥٦ ، كان السبب اساسا هو التحول غير المنظور للاشتراكية ، والذى جسدته عملية تأميم قناة الســويس ، لان هذا كان ارهاصا لخطوات كان من المتوقع ان تحدث ، وقد حدثت فعلا ، هذا التوضيح يغيب الان عن الجمــاهير ، ومن المفيد ان يركز عليه التثقيف فى المرحلة الجديدة حتى يظل الربط بين الســبب الاساسى ، وبين توقع العدوان واحتمالاته قائما بوضوح فى اذهان الجماهير وأمام اعينهم . نقطة اخرى أود ان اشير اليها ، وهى الجزء الخــاص بعملية مرحــلة الانتقــال بين الاســتعداد للمعركة وبين المعركة التصادمية او المعركة الحية ، هذه المرحلة يجب ان تستثمر فى جانب التثقيف من خلال الالحاح على الكوادر التى ستنظم او التى انتظمت فى منظمــات الدفاع الشعبى وتسليحها بالفكر الاشتراكى والربط بينه وبين المعــركة ، والربط بين الفكر وبين البندقية او بين التحرك فى اى مجال من مجالات الخدمة من اجل المعركة .

رفعت السعيد :

بالنسبة لموضوع التناقض القــائم بين قيام حالة الحرب وعدم وجود القتال ، ارى اننا اتفقنا على انهــا حالة نفســية لدى الجماهير ، وانا أرى ان هذه الحالة النفسية قد وجدت نتيجة لعدم الحاحنا على ايجــاد حالة نفسية مخططة بديلة للحالة الســائدة الان . والحقيقة ان فترة الاستعداد للقتال كان من الممكن ان تصبح فترة نشطة جــدا للتعبئة الجمــاهيرية ، ولحشـــد جماهير الشــعب اســـتعدادا للمواجهـــة ، يجب على الاقتصــاد القومى ان لا يتحمل اعباء الاغداق على الجماهيرفى هذه الفترة ، بالعكس علينا ان نضــع الجمــاهير امام مسئوليتها ، ان نشعرها انها تواجه معركة مصيرية ، وان عليها ان تتحمل — طبعــا التحمل ده مسألة سياسية — ولن يمكن ان نجبر قطاع من الجماهير على ان يتحمل ، بينما لايتحمل قطاع آخر، واود ان اشير الى تجــربة شاهدتها بنفسى فى كوبا ، لقــد استطاعت كوبا ان تســتخدم الحصــار الاقتصادى المرير جدا والقاسى جدا، الذى تفرضه عليها الامبريالية . فاذا كان هناك نقص فى الشاى عباوا الجماهير تعبئة تامة خلف شعار يدين الامبرياليين الذين يحاصرون كوبا ، وهكذا تستخدم المتاعب الاقتصادية كوسيلة لشحذ عزيمة الجماهير ، وانا أرى ان هذا احد الواجبات الاساسية والضرورية التى يتعين اننــا نواجههــا ، مراعين ان لا تتحمل فئة من الشعب عبء هذه التضحية دون فئة اخرى ، ومراعين ان على الكادر السياسى الرئيسى ان يبدأ بالقدوة ، واعتقد ان هذا سيحقق تعبئة سياسية ناجحة جدا ، لن تخدم فقط عملية تصفية آثار العدوان ، وانما ستحقق انطلاقة جديدة لعملية التحول الاشتراكى ، ولانجاز مهام لما بعد تصــفية آثار العدوان .

د . محمد الخفيف :

الحقيقة الاخ رفعت قال كلام انا لا اوافق عليه ، لانه ليس فى صلب هذه الندوة ، ولانه ينقلنا لنقطة ثانية يمكن ان تناقش فى ندوة مقبلة . وانا كنت انوى ان اثيرها فعلا، فهى تثير ســؤالا هاما .. هل من واجب التثقيف او القــائمين على التثقيف طلب احداث بعض اجراءات معينة او تغييرات معينة فى الواقع لكى تخدم قضية التثقيف ؟ والحقيقة ان هــذه النظرية تحمل التثقيف مهمة شاقة عليه . وهى هل يمكن فعــلا المســئولين على التثقيف ، التقدم بطلبات

او مقترحات يرون انه لابد من تنفيذها لاتمام عملية التثقيف ونجاحها ؟ وهذا السؤال رغم اهميته اقترح تأجيله الى ندوة مقبلة .

عبد الغفار شكر :

فيما يتعلق بالكلام الذى قاله الزملاء ، حول مسألة احتدام القضية الوطنية من جديد ، انا اقول ان التثقيف في هذه المرحلة مطالب ان يتنبه الى احد مظاهر الصراع الفكرى الذى يدور في مجتمعنا اليوم حول قضية الوحدة الوطنية ، فهناك فكرة ترى ان الوحدة الوطنية عبارة عن تجميع لكافة طبقات المجتمع فى مواجهة العدوان الخارجي ، انا اقول ان ارتباط القضية الاجتماعية بالقضية الوطنية يحتم علينا ان نلح فى التثقيف ، على ان هذه الوحدة الوطنية يجب ان تتم فى اطار تحالف قوى الشعب العاملة ، ليس هذا فحسب ، وانما نصل بها الى جذورها الاصلية ، وهى اننا نواجه فعلا الاستعمار الجديد كعدو رئيسى في هذه المعركة ، ومن الواضح ان الاستعمار الجديد سيجد فى داخل المجتمع المصرى او المجتمعات العربية عموما قوى تميل الى المساومة معه ، وتميل الى المهادنة وتميل الى انصاف الحلول ، لكن عبء الحل الثورى فى نهاية الامر على عاتق الكادحين في هذه المجتمعات ، وهم الشعب العامل . اما فيما يتعلق بالتناقض القائم بين مسألة قيام حالة الحرب وعدم القتال ، فأنا اعتقد ان المسألة النفسية ليست هى الحل ، وانما يكمن الحل فى مسألة ابعد ، وهى الوعى ، الوعى بطبيعة العدو والتعريف بطبيعته والاساليب التى سيواجهنا بها العدو ، وامكانياته ، وان المعركة القائمة بيننا وبينه هى معركة طويلة ، ومن هنا فانه لا يشترط العمل العسكرى وحده لمواجهة هذا العدو . والعمل العسكرى ليس الشكل الوحيد للعمل الوطنى ، وانما هناك اساليب اخرى يواجهنا بها هذا العدو ، منها اساليب نفسية ، واساليب اقتصادية ، واساليب عسكرية وسياسية وهكذا . يمكننا ان نحل التناقض القائم الان فى اذهان الجماهير بين قيام حالة الحرب وعدم وجود قتال .

يسرى محمد فائق :

هناك كلمة قصيرة حول موضوع التنظيم وهذا يثير قضية أساسية هي ان التنظيم فعلا محتاج الى ان يكون هناك تثقيف يحدد منطلقاته الفكرية فى حل القضايا الاساسية الموجودة داخل المجتمع ، وفى حل مشاكل الجماهير اثناء التطبيق ، وهذا التثقيف لابد وان يكون له الدور الاساسي عقائديا ، بما يسمح بأن تبقى منطلقات التنظيم وافراده ، منطلقات واضحة تحدد الحل السياسى الثورى لكل القضايا التى تعرض عليه ، وهذا قد يجرنا الى موضوع النضال داخل التنظيم نفسه ، اى نضال افراد التنظيم مع بعضهم لتأكيد المفاهيم الثورية ، هذا الصراع الذى يجب ان يتم داخل التنظيم السياسى نفسه . اما بالنسبة لاحتدام القضية الوطنية ، فانا لا اريد ان اتناسى مرحلة ما بعد النكسة ، وما قامت به الثورة من نقد ذاتى ، الامر الذى هز الكثير من المفاهيم التى كانت موجودة عند الناس ، وهز الثقة فى امكان احراز النصر فى المرحلة القادمة . والحقيقة ان المرحلة التى نمر بها — على خطورتها — ليس فيها خط واضح ، فالناس متشككة وبدات تفقد الثقة ، وهكذا تقع فريسة للثورة المضادة .

وامامنا واجب اساسى هو تحريك حماس الجماهير وكسب ثقتها عن طريق دعم وتعزيز العمل الفدائى فى سيناء ، وعن طريق القيام بتحرشات مستمرة مع العدو ، حتى يمكن استنزاف جهده الذاتى ، وكذلك تحريك الجماهير . وعلى اية حال فاذا كانت بتتسم بالحرج ، واذا كانت بتتسم بعدم وضوح الرؤية ، فلابد ان يكون هناك خط واضح يمكن ان ننطلق منه حتى يؤتى التثقيف بالنسبة للجماهير التى نسعى لتثقيفها ثماره .

نور الدين حسن :

التناقض القائم بين حالة الحرب وعدم وجود قتال ، اعتقد ان له سببين ، سبب داخلى ، وهو اننا بعد النكسة فقدنا ٨٠ ٪ من معداتنا العسكرية ، وفى اى حالة حرب عندما نعبىء الدولة للحرب معناها اننا نعبئها عسكريا واقتصاديا ومعنويا ، ولا يمكن ان تسبق التعبئة المعنوية او الفكرية تعبئة عسكرية بصورة كاملة ، وربما كانت الظروف التى نعيشها ، واعادة بناء القوات المسلحة قد تفرض واقعا ان التعبئة المعنوية

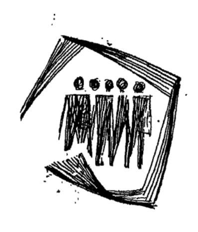
او اعاشة جماهير الشعب فى واقع المعركة قد يجرنا لمعركة قبل الاستعداد العسكرى لها ، وهناك ايضا سبب خارجي ، فيجب الا ننسى اطلاقا الصراع القائم بين الدول الكبرى ، ومحاولة استخدام الامم المتحدة او محاولة استخدام القانون الدولى لحل المشاكل .

عبد الهادى ناصف :

لى تعقيب قصير على بعض الاراء التى طرحت بالنسبة للتناقض بين قيام حالة الحرب وعدم وجود القتال ، الاخ رفعت السعيد اشار الى ضرورة تعبئة جماهيرية تؤدى الى ان الناس تعيش باستمرار فى جو الاحساس بالحرب ، وبشكل متصاعد ، وانا اختلف معاه ، لان رد الفعل مع طول المدة واثارة الناس واثارة انفعالهم ثم بعد ذلك لا قتال ، فان ردود الفعل قد تأتى بآثار عكسية ، ويكون رد الفعل هو فتور هذا الحماس ، ويصبح من الصعب اثارته مرة اخرى ، ولكن المسألة محتاجة الى معادلة فى منتهى الصعوبة ، بحيث يمكن ان نعبىء وعى الناس ولا نثير انفعالهم فى هذه المرحلة ، بمعنى اننا نوضح ونعمق فى وعى الناس طبيعة المرحلة ولا نثير الحماس الانفعالى الا فى آخر مراحل التصعيد التى تسبق قيام القتال مباشرة . وانا اختلف مع الاخ يسرى فى ان موضوع التثقيف بيطرح قضية او بيضع استراتيجية عسكرية ، لاننا اذا قلنا للناس اننا لابد وان نبدأ عملا فدائيا فى ارض سيناء فالواقع أن اى تحرك عسكرى على اى نطاق وفى أى مستوى لا ينفصل عن الاستراتيجية العامة التى ترسمها القيادة العسكرية لادارة المعركة ، ولا نستطيع ان نعبىء الناس اليوم للمطالبة بالقيام بعمل فدائى على ارض سيناء ، واعتقد ان هذا العمل وارد فى ذهن القيادة ولكن له توقيت وله جرعات معينة مرتبطة بالاستراتيجية العامة لادارة المعركة عسكريا ، ولا يجوز اليوم ان نثيره كقضية جماهيرية او نطالب به اطلاقا لانه ليست لدينا صورة الوضع كاملة . فالمهم هو عملية تعميق وعى الناس بكل صور المرحلة وابعادها ، وطبيعة العدو ، وطبيعة المعركة واننا فى معركة طويلة المدى ، وان اساليبها او ميادينها ليست ميادين القتال فقط ، ولكن هناك ميادين عديدة لابد ان نكسب الحرب على صعيدها قبل ان نكسب هذه الحرب على صعيد ميدان القتال .

محمد الخفيف :

باسم الطليعة نشكركم جميعا على اسهامكم المثمر فى هذه الندوة ، ونأمل ان تعقبها ندوة اخرى تتناول مصادر التثقيف ووسائله ومناهجه .



حول المؤتمر العربى

الاقليمى لحقوق الانسان

بيروت ٢-١٠ ديسمبر ٦٨



المضمون الإنسانى لقضية فلسطين

يحيى أبو بكر

كان مؤتمر حقوق الانسان فى بيروت لقاء فكريا ، ونقطة انطلاق جديدة، على المستوى العالمى ، لقضية فلسطين ، وتحديدا موضوعيا ، فى ضوء ميثاق الامم المتحدة ، والاعلان العالمى لحقوق الانسان ، ومبادىء القانون الدولى ، والقرارات التى اتخذتها الامم المتحدة ، لدور اسرائيل كقاعدة استعمارية عدوانية ، وللجرائم التى ارتكبتها ضد الانسانية فى فلسطين ، وبقية الارض العربية المحتلة ، كما فتح اول باب قانونى لملاحقة هذه الجرائم دوليا ، حتى لا تذهب جريمة

« ان خلق اسرائيل وتوسعها أدينا الى اهدار حقوق الانسان بالنسبة لملايين البشر »

[برتراند راسل]

■

« اذا أمعن عضو من اعضاء الامم المتحدة فى انتهاك مبادىء الميثاق جاز للجمعية العامة أن تفصله من الهيئة بناء على توصية مجلس الامن » .

[المادة ٦ من ميثاق الامم المتحدة]

■

« اسرائيل قاعدة استعمارية عنصرية »

« الجرائم التى ترتكبها جرائم ضدالانسانية وابادة للجنس واجبة التحريم دوليا .. »

« تأييد حركة المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي » .

[من قرارات مؤتمر بيروت]

■

والرأى العام العالمى

بغير عقاب . وأولا وقبل كل شىء أكد هذا المؤتمر العربى الاقليمى أمام العالم اجمع ، شرعية المقاومة العربية فى الارض المحتلة ، دفاعا عن الحقوق الاساسية للانسان .

وقد سمعت من كبار المفكرين ورجال الصحافة الاجانب الذين اشتركوا فى المؤتمر كمراقبين ، وأسهموا بنصيب وافر فى بحوثه ومناقشاته تقديرا موضوعيا ، لم تتدخل فيه عواطفهم ، للنتائج التى وصل اليها ، والاسلوب الذى اتبعه فى معالجة المشاكل الناجمة عن العدوان الاسرائيلى وتوضيحه للعلاقة الوثيقة بين الصهيونية والامبريالية . وكان هناك اجماع على ان المؤتمر لم يترك سؤالا بلا جواب ، وأن الاجوبة كانت صريحة وموضوعية وواقعية .

ومجموع الاوراق التى عرضت على المؤتمر ، مع المناقشات التى دارت فى لجانه ، وفى حلقة البحث ، وفى جلساته العامة ، يتكون منه فى الحقيقة ملف كامل للقضية الفلسطينية وللعدوان الصهيونى الامبريالى ، مؤيد بالوثائق والمستندات وتدعمه الحجج المنطقية والقانونية .

ودون اى مبالغة ، استطيع أن أؤكد ان المؤتمر قدم خدمة كبيرة للقضية العربية على المستوى الدولى ، وأقام حوارا مفتوحا مع مفكرى العالم حول المضمون الانسانى لهذه القضية . وكما قيل فى المؤتمر ، كان ختام أعماله يوم الذكرى العشرين لصدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، بداية ، وليس نهاية ، لنشاط واسع النطاق ، يستهدف وضع الحقيقة كاملة واضحة بجميع أبعادها أمام الرأى العام العالمى ليحمل مسئوليته فى دعم نضالنا ، الذى نخوض معاركه فى كل ميدان وبكل سلاح ، دفاعا عن حقوقنا المشروعة ، وعن مصير أمتنا ، وعن أمل البشرية فى السلام والحرية والتقدم .

فى القدس وغزة

وهذا المؤتمر الاقليمى الذى اقامته جامعة الدول العربية فى بيروت ، جاء بديلا لثلاثة مؤتمرات كان مقررا ان تقيمها الجامعة العربية فى اطار العام الدولى لحقوق الانسان ، أحدها فى بورسعيد ، والثانى فى غزة ، والثالث فى القدس . وقد حالت ظروف العدوان دون ذلك ، فاكتفت الجامعة بمؤتمر واحد ، دعت اليه فى بيروت ، وحددت له الفترة من ٢ الى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٨ ، ليكون ختام اعماله فى يوم حقوق الانسان ، وليصدر عنه نداء بيروت فى يوم الذكرى العشرين لصدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان .

وعلى الرغم من ان الجامعة العربية نظمت هذا المؤتمر ، تلبية لنداء الجمعية العامة للامم المتحدة الى الدول والمنظمات الاقليمية ان تعقد لقاءات وطنية ودولية ، احتفالا بالعام الدولى لحقوق الانسان ، فالحقيقة ان الجامعة كانت قد قررت من قبل ان تتخذ من يوم ١٠ ديسمبر من كل عام ، وكذلك من يوم ٩ ابريل مناسبتين لتذكير العالم باهدار حقوق الانسان فى فلسطين ، والمناسبتان هما يوم صدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، ويوم مذبحة دير ياسين . واثناء اتخاذ الخطوات للدعوة الى مؤتمر عالمى فى كل من المناسبتين ، قررت الامم المتحدة ان يكون عام ١٩٦٨ عاما دوليا لحقوق الانسان . وفى هذا الاطار عادت الجامعة فقررت أن تعقد مؤتمراتها فى بورسعيد وغزة والقدس ، ثم وقع العدوان فى يونيو عام ١٩٦٧ ، فأدمجت المؤتمرات الثلاثة فى مؤتمر واحد أقيم فى

بيروت . وكان هذا فى حد ذاته دليلا حيا امام الذين اشتركوا فى المؤتمر من غير العرب على اهدار حق اساسى من حقوق الانسان العربى نتيجة للعدوان .

خلق اسرائيل وتوسعها

وقبل ان امضى فى تحديد الاتجاهات التى سارت فيها بحوث المؤتمر ، والنقط التى انتهت اليها قراراته ، يهمنى ان أشير الى بعض المعالم الهامة فى الافكار التى عرضت على المؤتمر ، وخاصة من جانب رجال الفكر الاجانب الذين شاركوا فى مناقشاته .

وعلى الرغم من ان الفيلسوف البريطانى المعروف برتراند راسل ، لم تمكنه صحته من تلبية دعوة جامعة الدول العربية الى حضور المؤتمر ، فقد بعث برسالة اوضح فيها وجهة نظره . وقال راسل فى مقدمة رسالته ، ان خلق اسرائيل وتوسعها أديا الى اهدار حقوق الانسان بالنسبة لملايين البشر ، وتساءل ما معنى حقوق الانسان اذا لم يكن من بينها حق الانسان فى ان يعيش فى بلده فى سلام . ودعا الى حملة عالمية لتأكيد حق شعب فلسطين بأكمله فى وطنه .

اما البروفسور ماليسون استاذ القانون الدولى فى جامعة جورج واشنطن الامريكية ومستشار المجلس اليهودى الامريكى المناهض للصهيونية ، فقد عرض تطبيقا قانونيا لاتفاقيات جنيف الخاصة حماية ضحايا الحرب على العدوان الاسرائيلى .

كما بدأ سير أوزموند وليامز ، ممثل منظمة العفو الدولى ، دراسة التحقيقات الخاصة بمعاملة المدنيين فى الارض المحتلة ، تمهيدا لتحقيق تجريه منظمته بشأنها .

واستمع المؤتمر الى آراء قيمة من المستشرق الفرنسى جاك بيرك ، ومن تيرنوار رئيس جمعية الصداقة الفرنسية العربية ، وعضو الجمعية الوطنية الفرنسية ، ووزير الاعلام السابق ، ومن مايكل آدامز الصحفى البريطانى المعروف ، وبروفسور ستيفنس الاستاذ بجامعة لينكولن الامريكية ، ومدام اجام ممثلة رابطة الحقوقيين الديمقراطيين ، وماك براید السكرتير العام للاتحاد العالمى للحقوقيين ، ومن كثير غيرهم من المفكرين الذين شاركوا فى أعمال المؤتمر .

ومن الاتجاهات الهامة فى المؤتمر ، اثارة نقطتين فى مجال مواجهة العدوان الاسرائيلى ، واصرار اسرائيل على تحدى قرارات الامم المتحدة تعتبران أكثر من مجرد الاستنكار او الادانة :

الاولى تطبيق اتفاقية لندن لعام ١٩٤٥ ، وهى خاصة بعقاب مجرمى الحرب ، والثانية تطبيق المادتين ٥ و ٦ من ميثاق الامم المتحدة ، وهما خاصتان بايقاف العضوية فى الامم المتحدة او الطرد منها عقابا على انتهاك مبادىء الميثاق .

المشتركون فى المؤتمر

وكان تنظيم المؤتمر وفقا لقرارات مجلس جامعة الدول العربية ، على اساس ان يضم جميع الدول الاعضاء فى الجامعة ، وهى الدول العربية الاربع عشرة ، ومعها مراقبون من البلاد العربية التى لم تصبح بعد اعضاء فى الجامعة ، وقد حضر عنها ممثلون لامارات ابو ظبى والشارقة وقطر فى الخليج العربى ، وكذلك مراقبون من دول منطقة الشرق الاوسط ، وهى تركيا وايران وافغانستان وباكستان والهند والصومال واليونان وقبرص ، وممثل للفاتيكان . وحضره ايضا ممثلون للامم المتحدة واجهزتها ووكالاتها المتخصصة ، والمنظمات الاقليمية الحكومية ، والمنظمات غير الحكومية ذات الطابع الدولى والمشتغلة بحقوق الانسان ، الى جانب عدد من المفكرين ورجال الصحافة العالميين دعتهم الجامعة للاشتراك فى أعمال المؤتمر كمراقبين بصفتهم الشخصية . وقد نص نظام العمل على ان يكون للمراقبين مثل ما للاعضاء من حقوق عدا الاشتراك فى التصويت . ونتيجة لذلك اتيح لهم ان يتقدموا بدراسات ، وان يدلوا ببيانات وأن يشتركوا فى مناقشات المؤتمر ولجانه ، وفى حلقة البحث التى عقدت لتناقش ، على مستوى علمى ، الاسس والمبادىء المتعلقة بحقوق الانسان واحترامها او اهدارها .

جدول الاعمال

اما جدول الاعمال ، كما اقر مشروعه مجلس جامعة الدول العربية ، ووافق عليه المؤتمر فى جلسته الاولى ، فقد تضمن بندا خاصا باهدار حقوق الانسان فى الارض العربية المحتلة ، الى جانب بنود أخرى عن استعراض ماقامت به الدول العربية وما احرزته من تقدم فى ممارسة حقوق الانسان ، وما اعدته من خطط ومشروعات للمستقبل .

وفى ختام المؤتمر اعلنت الى جانب قراراته ، ونداء بيروت الذى اصدره بمناسبة الذكرى العشرين للاعلان العالمى لحقوق الانسان ، نتيجة المسابقة العالمية التى اجرتها الجامعة العربية ، حول الكتابة فى موضوعات حقوق الانسان ، واشترك فيها باحثون من عدد كبير من دول الشرق

والغرب والدول العربية . وقد فازت بالجوائز بحوث تقدم بها باحثون من ايطاليا والهند والجمهورية العربية المتحدة وسوريا ».

وفى بداية اجتماعات المؤتمر انتخب لرياسته الدكتور جورج حكيم رئيس الوفد اللبنانى ، وكان الامين العام للمؤتمر هو السيد عبدالخالق حسونه الامين العام لجامعة الدول العربية وتولى مهام السكرتير التنفيذى الدكتور شارل رزق المدير العام لوزارة الانباء اللبنانية . وانتخب المؤتمر الدكتور حازم نسيبه وزير الانشاء والتعمير والمسئول عن رعاية اللاجئين والنازحين فى الاردن رئيسا للجنة الاولى الخاصة باهدار حقوق الانسان فى الارض المحتلة ، كما انتخب السيد المجدى وزير العدل الليبى رئيسا للجنة الثانية المختصة برعاية حقوق الانسان فى الدول العربية ، وانتخب السيد يحيى درويش وكيل وزارة الشئون الاجتماعية فى الجمهورية العربية المتحدة ورئيس وفدها فى المؤتمر رئيسا لجنة الصياغة . اما حلقة البحث فقد انتخبت السيدة زاهية قدورة رئيسة لها . وشكلت لجنة التحكيم التى فحصت بحوث المسابقة من الدكتور سيد نوفل والدكتور وليد الخالدى والدكتور احمد موسى والدكتور عز الدين فوده .

شهود العيان

تميزت الدراسات والبحوث التى قدمت الى المؤتمر بأنها لم تكن مجرد بحوث فقهية وقانونية، بل كان من بينها عدد من الدراسات الميدانية المعتمدة على أقوال شهود العيان فى المناطق المحتلة وفى السجون والمعتقلات الاسرائيلية . وقد تم تحليل المعلومات والحقائق الواردة فى الافادات التى تضمنتها ملفات هذه الدراسات الميدانية تحليلا علميا على اساس مبادىء حقوق الانسان .

وعرضت على المؤتمر معلومات تفصيلية من اوثق المصادر عن معاملة المدنيين واسرى الحرب فى المعتقلات الاسرائيلية ، كما استمع اعضاء المؤتمر الى شهادة السيد اسعد عبدالرحمن رئيس اتحاد طلبة فلسطين فى لبنان الذى اعتقل فى السجون الاسرائيلية حوالى عشرة اشهر .

قدم الى اعضاء المؤتمر ملف يضم مجموعة الوثائق التى اصدرتها الامم المتحدة [الجمعية العامة ومجلس الامن ولجنة حقوق الانسان ومؤتمر حقوق الانسان فى طهران] لتكون اساسا للمناقشات التى تتعلق بدور الامم المتحدة . ومن بينها قرار طهران الذى بنى على اساسه قرار الجمعية العامة الاخير بتأسيس لجنة ثلاثية للتحقيق فى اهدار حقوق الانسان فى الاراضى العربية المحتلة ».

مجموعة البحوث التى وزعت على اعضاء المؤتمر فى مختلف النقط التى تضمنها جدول الاعمال قدمتها بعض الدول الاعضاء ، او اعدتها الامانة العامة لجامعة الدول العربية بالتعاون مع معهد الدراسات العربية ومؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز البحوث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية . وقد وزعت معها ترجمة انجليزية وفرنسية .

حق تقرير المصير

برز الجانب السياسى من قضية فلسطين من خلال مناقشات المؤتمر على انه قضية من قضايا حق تقرير المصير ، كما وضحت حقيقة الصراع بين الامة العربية وبين الاستعمار والامبريالية ، والارتباط الوثيق بين الاستعمار الاستيطانى العنصرى فى فلسطين وفى افريقيا ».

اعلن المؤتمر تضامنه مع الشعوب الاخرى المكافحة من اجل حقوق الانسان ومن اجل الحرية فى آسيا وافريقيا ، ونصت قراراته بصفة خاصة على كفاح الشعوب التى تقاوم الاستعمار والتفرقة العنصرية فى جنوب افريقيا ، وجنوب غرب افريقيا ، وروديسيا الجنوبية ، وانجولا ، وموزمبيق ، وغينيا البرتغالية .

اتخذ المؤتمر موقفا حاسما ازاء ادانة اسرائيل واعمالها العدوانية والجرائم التى ترتكبها ضد حقوق الانسان . وكان قراره الاول قبل ان تبدا مناقشاته للمسائل الواردة فى جدول الاعمال ادانة للغارة الاسرائيلية على مدينة اربد والقرى المجاورة لها فى الاردن ، اذ قامت اسرائيل بهذا العمل الاجرامى فى اليوم الاول لانعقاد المؤتمر، كما اتخذ قرارا استنكر فيه اعتقال اسرائيل للسيدات العربيات فى مدينة القدس واصدار احكام سجن تعسفية عليهن لقيامهن بواجبهن المشروع فى مقاومة الاحتلال الاسرائيلى للارض العربية .

درس المؤتمر انتهاك اسرائيل لحقوق الانسان فى الارض العربية المحتلة بمختلف صوره ومن بينها القتل الجماعى والتعذيب والتخريب ونسف المنازل ، واعتداء اسرائيل على المقدسات والقيم الثقافية ، وكذلك جرائم التمييز العنصرى التى تمارسها السلطات الاسرائيلية ضد العرب فى الارض المحتلة منذ عام ١٩٤٨ الى جانب سياسة

السلطات الاسرائيلية العنصرية فى معاملة اليهود الشرقيين داخل اسرائيل ، واتخذ فى ذلك قرارات تطالب بالادانة والتجريم الدولى لاسرائيل وفقا لاحكام اتفاقية لندن لعام ١٩٤٥ الخاصة بعقاب مجرمى الحرب ، كما تطالب بتوقيع العقوبات المنصوص عليها فى ميثاق الامم المتحدة .

شرعية المقاومة

واعلن المؤتمر بعد دراسة لشرعية المقاومة العربية فى الاراضى العربية المحتلة وفقا للمبادىء الدولية تأييده الاجماعى لحركة المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال الاسرائيلى بشتى الوسائل، ودعا الدول والهيئات والمنظمات الدولية الى اعتبار قوات المقاومة الفلسطينية فى حكم القوات النظامية بالنسبة للقانون الدولى وامتداد صفة المحاربين الى اسراهم وجرحاهم بوصفهم مناضلين من أجل الحرية .

العمل العربى المشترك

وتناول المؤتمر بالتفصيل جهود الدول العربية فى ميدان رعاية حقوق الانسان ، واتخذ قرارا بدعم العمل العربى المشترك فى هذا المجال ودعوة الامانة العامة للجامعة العربية الى عقد اللجنة العربية الدائمة لحقوق الانسان فى اقرب وقت للقيام بمهامها مع انشاء لجان وطنية فى الدول العربية تتعاون مع اللجنة العربية الدائمة

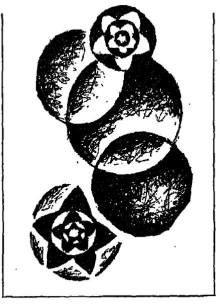
الخطوة التالية

وبعد ، فهذا النوع من المؤتمرات الذى يحقق اتصالا وتفاعلا مع قيادات هامة فى الراى العام العالمى ، وتخرج منه دراسات تتصف بالعمق والشمول لايمكن ان تنتهى بانتهاء جلساته ولا ان تكون الغاية منه مجرد صدور هذه القرارات، مهما بلغت اهميتها ، بل هو فى الواقع بداية وركيزة لموجات متتالية من العمل الايجابى على مختلف المستويات ، داخل الامم المتحدة وخارجها . ومتابعة هذه القرارات فى طريقها عبر القنوات السياسية والاعلامية ، ونقل الجو العلمى الذى ساد المؤتمر الى مجالات اخرى من النشاط ، واعطاء الفرصة لنشر المعلومات والحقائق التى تجمعت بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر على اوسع نطاق ، هذه كلها فى مقدمة المهام التى تتشكل منها الخطوة التالية فى العمل الكبير الذى بدا بدعوة مؤتمر عربى اقليمى لحقوق الانسان الى الاجتماع فى بيروت .





بين القطاع العام والقطاع التعاونى



د . اسماعيل صبرى عبد الله

القطاع التعاونى فى اطار اشتراكى هو ذلك القطاع الذى يتميز **بالملكية المشتركة** لوسائل الانتاج ،كلها أو معظمها ، وتوزيع العائد على أساس **كمية العمل** الذى قام به العضو . ومرجع الخلاف بين القطاع العام والقطاع التعاونى ليس مجرد الوضع القانونى ، وانما الطبيعة الاقتصادية (١) . فالوحدة الانتاجية التى تدخل القطاع العام ، وحدة بلغ فيها الطابع الجماعى للانتاج حدا بعيدا يبرر أن تصبح ملكية عامة ، اى ملكا للشعب كله . أما فى القطاع التعاونى فنقطة البدء هى وحدات انتاجية صغيرة لم يتحول فيها الانتاج الى انتاج آلى كبير ، صاحبها يمارس العمل اليدوى ، وسمته المميزة اتقانه الصنعة وليست الملكية . وهذه الوحدات تكون عادة مهددة بالافلاس ازاء التطور الكبير فى الانتاج الحديث داخل الوحدات الكبرى . والتنظيم التعاونى هو الحل الذى تقدمه الاشتراكية لتطوير انتاج هؤلاء المنتجين الصغار ، عن طريق تجمعهم فى تعاونيات تساندها الدولة. وتعمل على تحسين الانتاج كما ونوعا . ولذلك فان المنتج الصغير يتميز فى البداية عن الراسمالى بأنه يجمع فى شخصه بين عنصرى العمل اليدوى وراس المال اللذين تميز بينهما الراسمالية تمييزا حادا . والتعاونية حين تنشأ من تجمع عدد من صغار المنتجين انما تستهدف ان توفر أهم وسائل الانتاج التى يعجز كل منهم عن اقتنائها منفردا . ولذلك تكون تلك الوسائل ملكية مشتركة لاعضاء

(١) هذه صفحات من كتاب « تنظيم القطاع العام » الذى تصدره «دار المعارف» فى فبراير ١٩٦٩ .

التعاونية . وبتطور التعاونية تتأكد تلك الملكية المشتركة على حساب الملكية الفردية ، ويتأكدتبعا لذلك مبدا توزيع ماتحققه التعاونية من فائض اقتصادى صاف على اعضائها على اساس كمية العمل التى قدمها كل منهم وليس على اساس نصيبه فى راس المال . ويكمل هذا ان تكون التعاونية **ذات عضوية مفتوحة** تقبل دائما فى صفوفها كل من تتوافر فيه شروط العضوية . وهكذا يكون اساس التعاونية هو **الملكية المشتركة** وليس الملكية العامة ، كما فى وحدات القطاع العام . ويترتب على هذا الفارق فى طبيعة الملكية ، فارق فى طبيعة دور الدولة . ففى القطاع العام تمارس الدولة النشاط الانتاجى باسم الشعب ، تكون الدولة منتجا بنفسهاكنتيجة منطقية لتملكها وحدات الانتاج نيابة عن الشعب . اما فى القطاع التعاونى فالملكية لاعضاء التعاونيات، والتعاونية هى المنتج ، والدولة تتدخل بسلطتها السياسية فى مستوى التخطيط والتنظيم القانونى للنشاط التعاونى وضمان احترام ذلك التنظيم فى التطبيق ، والمساندة المالية والفنية . ومن ثم لايتصور ان توجد علاقة تنظيمية عضوية بين القطاع العام والقطاع التعاونى . فهذا الاخير ترتيبا على الملكية المشتركة يقوم على مبدا **الادارة الذاتية** التى يمارسها اعضاء التعاونية مباشرة حين يجتمعون فى جمعية عمومية ، او بطريق غير مباشر حين ينتخبون مجلس ادارة الجمعية التعاونية . والهرم التعاونى يبنى ابتداء من قاعدته فتنشأ الجمعيات المشتركة ثم المركزية او العامة ثم الاتحادات التعاونية تعبيرا عن روابط اقتصادية حقيقية قائمة بالفعل بين التعاونيات . ولاموضع اطلاقا فى هذه الصورة « للمؤسسة العامة » . والعلاقات بين القطاع العام والقطاع التعاونى علاقات اقتصادية يجب ان تتخذ بصفة عامة شكل التعاقد : البيع والشراء والتوريد والاقراض والتأمين والنقل . . الخ . اما المساعدات الفنية والاعانات المالية التى لايترتب عليها اى التزام بالسداد فيجب ان تتولاها الدولة صاحبة السيادة وليس الدولة المنتج . واخيرا فان الرقابة على نشاط التعاونيات تتولاها هيئات الرقابة العادية وفى مقدمتها الجهاز المركزى للمحاسبات والجهاز المصرفى (عن طريق البنك التعاونى) .

قانون متخلف

ولكن الوضع عندنا يخالف هذه الصورة التى رسمناها ابتداء من المفاهيم العلمية . فالتنظيم التعاونى يحكمه فى الاساس القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ « بشأن الجمعيات التعاونية » وواضح ان هذا القانون قد صدر قبل بداية التحول الاشتراكى . وقد سبق ان اشرنا الى الفروق بين التعاون فى ظل الراسمالية والتعاون فى ظل الاشتراكية .

ونود ان نؤكد هنا حقيقة ان التعاون فى البلدان الراسمالية عجز عن حل المشكلة الرئيسية التى توهم دعاته الاولون انه بحلها يصبح بديلا للنظام الراسمالى الا وهى مشكلة التعاون الانتاجى . فالبلدان الراسمالية ازدهر فى بعضها التعاون الاستهلاكى ، وعرف معظمها مااسميناه «تعاون صغار الراسماليين » وهو فى حقيقته يبعد كثيرا عن الفكرة التعاونية اذ انه يعتمد على الملكية الفردية وتنحصر فيه الملكية المشتركة فى اضيق الحدود ، ويوزع العائد بطريقة تجعله فى الواقع اقرب الى الربح المنسوب الى راس المال منه الى العائد المحسوب على اساس كمية العمل . ومثاله الواضح عندنا الجمعيات التعاونية الزراعية فى غير مناطق الاصلاح الزراعى . فشرط الانضمام اليها ممارسة الملكية الفردية للارض وزراعتها على أساس فردى [عائلى أو رأسمالى] ، والملكية المشتركة فيها تقتصر على جرار او آلة رى او مخزن . وهى لاتمارس زراعة تعاونية اصلا . وفى التسويق التعاونى يعود ثمن المحصول الى كل عضو بحسب ماقدم من كمية منه ، تلك الكمية التى هى حصيلة الملكية الفردية وراس المال ، وفى أحوال كثيرة ، العمل الاجير . أما فى النظام الاشتراكى فالهدف الاساسى للتعاون هو تجميع صغار المنتجين فى وحدات تمارس انتاجا مشتركا ، هو بالضرورة اكثر تقدما من الانتاج الفردى ، معتمدا على ملكية مشتركة فى معظم وسائل الانتاج بحيث يصبح المقياس الوحيد الاساسى لاسهام العضو فيما تحرزه التعاونية من نجاح هو مقدار ماقدم لها من عمل .

ولم يكن من المتصور ان يخدم قانون صدر سنة ١٩٥٦ الاهداف الاشتراكية التى لم تتحدد الا سنة ١٩٦٢ بصدور الميثاق الذى جعل من القطاع التعاونى قطاعا متميزا عن كل من القطاع العام وقطاع الراسمالية الوطنية . وكان طبيعيا ان يلمس المسئولون قصور قانون التعاون عن الوفاء باحتياجات تطور التنظيم التعاونى فى اطار التحول الاشتراكى . وهنا مارس نجاح المؤسسة الاقتصادية تأثيره مرة اخرى . فبدلا من اعادة النظر فى قانون التعاون حتى يستجيب للمستلزمات الجديدة لجأت الدولة الى محاولة تطوير التعاون على اساس تنظيمى مستوحى من تجربة المؤسسة الاقتصادية . ولم يكن معقولا ان توجد مؤسسة واحدة تشرف على آلاف من الجمعيات التعاونية . ومن ثم كان لامفر من التفكير فى انشاء عدة مؤسسات عامة تشرف كل منها على جانب من تلك الجمعيات . وبعد ان صدر القانون رقم ٣٢ لسنة ١٩٥٧ بشأن « المؤسسات العامة » الذى وفر الاطار القانونى لتكرار تجربة المؤسسة الاقتصادية

فى القطاع الرأسمالي والقطاع العام ، صدر القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ بشأن « المؤسسات العامة التعاونية» .

المؤسسات العامة التعاونية

وقد نص القانون المذكور على انشاء مؤسسات عامة تعاونية نوعية « تتولى كل مؤسسة بوجه خاص الاشراف على فرع من فروع النشاط التعاوني الزراعى او الانتاجى او الاستهلاكى ». والى هذا الحد تبدو المسألة مجرد مسألة اشراف ادارى . ومن المعروف انه فى ظل قانون سنة ١٩٥٦ كان الاشراف على « الحركة التعاونية » فيما عدا تعاونيات الاصلاح الزراعى بيد وزارة الشئون الاجتماعية باعتبارها فى المفهوم القديم من اجهزة التخفيف عن اصحاب الدخول الضعيفة فتشرف عليها الوزارة التى تشرف على الجمعيات الخيرية والضمان الاجتماعى .. ! ولكن يلاحظ انه فى نفس اليوم الذى صدر فيه القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ الخاص بالمؤسسات العامة التعاونية صدر قرار رئيس الجمهورية رقم١٤٣١ لسنة ١٩٦٠ « بتحديد الجهات الادارية المختصة بالاشراف على الجمعيات التعاونية » وهو ينص فى مادته الاولى على ان يتولى هذا الاشراف « وزارة الاصلاح الزراعى بالنسبة الى الجمعيات التعاونية الزراعية » ووزارة التموين بالنسبةالى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية، ووزارةالصناعة بالنسبة الى الجمعيات التعاونية الانتاجية » . وقد اعطى هذا القرار للوزارة المختصة سلطة الرقابة على الجمعيات التعاونية والتفتيش عليها ودعوة الجمعيات العمومية للانعقاد ووقف تنفيذ قرارات الهيئات القائمة على ادارة الجمعيات والاتحادات التعاونية . هذا فى حين نص القانون رقم ٢١٧ لسنة ١٩٦٠ على ان المؤسسات العامة التعاونية لها سلطة « الإشراف على هذه الجمعيات بما يكفل لها الاستقرار والبعد عن الاستغلال » كما انها تعمل على « تنمية القطاع التعاونى بتوفير المعونة الفنية والمالية للجمعيات التعاونية » . وهكذا تكون «سلطة الاشراف» موزعة بين الوزارة والمؤسسة العامة التعاونية ، بالاضافة للاختصاصات المماثلة التى يمنحها قانون ١٩٥٦ للاتحادات التعاونية . ولكن يبدو ان المشرع كان يريد ان يمنح الوزارة المختصة سلطة اشراف عامة على كل الجمعيات التعاونية تماثل سلطة مصلحة الشركات ازاء الشركات على اختلاف نوعها ، والتى ينظمها فى الاساس القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤ . اما المؤسسات العامة التعاونية فهى تتدخل فقط فى توجيه الجمعيات التعاونية التى تساهم فيها . وهذا مايتضح من بقية احكام القانون رقم ٢٦٧ المشار اليه . ومع ذلك فان القانون المذكور اعطى المؤسسة العامة التعاونية حق الاشتراك فى راس مال الجمعيات والاتحادات التعاونية بكل انواعها (فيما عدا الجمعيات الاستهلاكية المقفلة) بقرار منفرد منها . وبالتالى فانه من المتصور ان تدخل المؤسسات العامة التعاونية فى كل التعاونيات القائمة بالفعل او التى تنشأ مستقبلا فيما عدا النوع السابق الاشارة اليه [٢] . وعلى اية حال فدور المؤسسة التعاونية ازاء الجمعية التى تساهم فيها مرسوم على صورة دور المؤسسة الاقتصادية فى الشركات التى تساهم فيها مع شىء من التوسع ، اذ يجيز لها القانون تعيين ممثل فى مجلس ادارة جمعية تعاونية لاتساهم فى راس مالها اذا كانت قد قدمت لها قروضا او معونات او ضمنتها فى قروض . ولكن الامر الملفت للنظر حقا هو ان المادة الرابعة من القانون رقم ٢٦٧ تجيز للمؤسسة العامة التعاونية ان **تنشىء بمفردها جمعية تعاونية** .. ! فهل بعد هذا نفى لفكرة التعاون من جذورها ؟

المؤسسة العامة التعاونية الزراعية

ومهما يكن من امر فقد صدرت بالتطبيق للقانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ اربعة قرارات جمهورية تنظم اربع مؤسسات عامة تعاونية . ففى ٧ ديسمبر ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهوريه رقم ٢١٣٧ « بشأن المؤسسة العامة التعاونية الزراعية» الذى ادخلت عليه عدة تعديلات لاحقة. ووضع هذه المؤسسة غريب حقا . فهى من ناحية لها رأس مال يتكون من « الاعانات التى تعتمدها الدولة للمؤسسة ، وانصبة الحكومة فى رؤوس اموال الشركات المساهمة التى يصدر بتعيينها قرار من رئيس الجمهورية ورؤوس اموال المؤسسات العامة والجمعيات والهيئات المشار اليها فى المادة (٣) » وهنا يكون لنا ان نتساءل : **كيف تكون رؤوس اموال الجمعيات التعاونية جزءا من راس مال المؤسسة مع انها ملك لاعضاء كل جمعية ؟** ومن هو قانونا صاحب الحق فى التصرف فى تلك الاموال . ومن ناحية اخرى تنص المادة السادسة من القرار المشار اليه على ان يكون للمؤسسة «ميزانية شاملة ايراداتها ومصروفاتها» اى ميزانية تشبه ميزانيات المصالح الحكومية ولاتقيم وزنا لراس المال والاستهلاكات والاحتياطى .. الخ مما يجب ان يظهر فى ميزانيات قطاع الانتاج . ويزيد الامور تعقيدا ان نفس المادة

---

(٢) وفى التطبيق — كما سنرى — اعطى لبعض المؤسسات العامة التعاونية سلطة اشراف على الجمعيات التى لاتساهم فيها . انظر بعده الحديث عن المؤسسة العامة التعاونية الزراعية .

تضيف انه يتبع فى وضع ميزانية المؤسسة القواعد المعمول بها فى المشروعات التعاونية..! والواقع ان مهمة المؤسسة التعاونية الزراعية هى فى جوهرها مهمة اشراف ادارى كان يمكن ان تتولاه مباشرة مصلحة متخصصة فى وزارة الزراعة والاصلاح الزراعى . ومحاولة محاكاة نموذج المؤسسة الاقتصادية فى هذا المجال لاتغير شيئا من حقيقة الامور ، وانما تؤدى الى خلط تشريعى والى اوضاع معقدة ليس لها ادنى مبرر. وليس ادل على ذلك من ان قرار انشائها قد جاء مخالفا لروح القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ . فذلك القانون كما راينا يقصر اشراف المؤسسة التعاونية على الجمعيات التى تساهم فيها او تقرضها او تضمنها تاركا الاشراف على بقية الجمعيات للوزارة . اما قرار انشاء المؤسسة الزراعية فيمد اشرافها على كل الجمعيات الزراعية بلا استثناء ودون شرط المساهمة . ولا تقف الامور عند هذا الحد . فهذه المؤسسة تشرف على شركات قطاع عام الى جانب اشرافها على الجمعيات التعاونية . وهى فى تطورها الاخير تشرف على «الشركة المصرية الزراعية العامة» التى تكونت من اندماج اربع شركات مساهمة زراعية مؤممة. وليس للشركة المذكورة اى علاقة بالتعاون . بل انها المثل الفريد للقطاع العام فى الزراعة فى الاراضى القديمة (تمييزا لها عن الاراضى المستصلحة) . وقبل ان نترك قطاع الزراعة والتعاون الزراعى نشير الى وضع **بنك التسليف الزراعى والتعاونى** . فقد الحق هذا البنك بالمؤسسة العامة التعاونية الزراعية لدى انشائها . ثم فصل عنها ليتحول الى مؤسسة مستقلة باسم « مؤسسة الائتمان الزراعى والتعاونى» . واول مايلاحظ بشأنه هو انه ليس بنكا تعاونيا بالمعنى المألوف ، لان راس ماله ليس مكونا من اكتتاب الجمعيات والاتحادات التعاونية، كما انه لايعتمد فى موارده على ودائع الهيئات التعاونية . كل ماهنالك انه يتخصص فى اقراض الجمعيات التعاونية الزراعية . اما تحويله الى مؤسسة فلم يكن يعنى الا تحويل فروعه فى المحافظات الى بنوك . ولم يكن ذلك امرا املته ضرورات العمل المصرفى بقدر مادفعت اليه رغبة المحافظين فى ان يكون لهم كلمة فى ادارة شئون فروع البنك . وسنعود لابداء الراى فى وضع هذه المؤسسة عند الحديث عن الجهاز المصرفى .

المؤسسة العامة التعاونية الاستهلاكية

وفى ٢٦ ديسمبر ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٣٤٧ لسنة ١٩٦٠ بانشاء « المؤسسة العامة التعاونية الاستهلاكية » ، وفيه احالة صريحة على القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ . ولكنه ايضا يتضمن احكاما تثير الدهشة .فالمادة الثالثة منه تنص على ان راس مال المؤسسة يتكون من : « الاعانات التى تمنحها الدولة للمؤسسة ، التبرعات والهبات ، القروض .. » واقل مايقال هو ان هذا مفهوم غريب لراس المال .. ! ثم تضيف نفس المادة ان « الشركة العامة للتجارة الداخلية » تتحول الى جمعية تعاونية يؤول راسمالها للمؤسسة . وليس بعد هذا خلط بين مفهوم الشركة ومفهوم الجمعية التعاونية . ومن ناحية اخرى اهدر القرار المذكور اعتبارات المحاسبة المترتبة على وجود راس مال للمؤسسة فجعل ميزانيتها ميزانية ايرادات ومصروفات فقط ، ولكنه لم ينص ــ كما هى الحال فى قرار انشاء المؤسسة العامة التعاونية الزراعية ــ على انها تعد وفقا للقواعد المتبعة فى المشروعات التعاونية .. ! هذا وقد انشأت المؤسسة عددا كبيرا من المجمعات الاستهلاكية درجت على تسميتها « بالجمعيات التعاونية الاستهلاكية » بالرغم من عدم وجود تعاونيين نظرا لان تلك « الجمعيات » مجرد منشآت مملوكة للمؤسسة وليس بها اعضاء ، بل ولم تأخذ قانونا شكل الجمعيات التعاونية ولم تصدر لها اية اسهم. وقد جرى سنة ١٩٦٧ تصحيح هذا الوضع العجيب . فنفصلت « محلات عمر افندى » والحقت بالمؤسسة العامة الاستهلاكية ، وتحولت المؤسسة التعاونية الاستهلاكية الى مؤسسة عامة للسلع الغذائية تضم عدة شركات ، واصبح الاسم الرسمى «للجمعيات» التابعة لها هو « المجمعات الاستهلاكية » .

المؤسسة العامة للتعاون الانتاجى

وفى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٦٠ صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٣٤٨ لسنة ١٩٦٠ بانشاء « المؤسسة العامة للتعاون الانتاجى » . وهنا نجد فيما يتعلق براس المال احكاما تختلف عن الواردة فى القرارات السابقة وتخالف القانون رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٠ . فالمؤسسة « العامة التعاون الانتاجى » ليس لها ــ بمقتضى القرار المذكور ــ راس مال . والمادة العاشرة منه تكتفى بالنص على ان « تتكون اموال المؤسسة .. » واذا اضفنا ذلك الى نص المادة ١١ الذى يقضى بأن « يكون للمؤسسة ميزانية مستقلة عن ميزانية الدولة » وحساب ختامى ، اقتنعنا بأن المشرع يريد ان تطبق المؤسسة مايسمى « بحسابات الحكومة ». وهذا مايخالف نصوص قوانين المؤسسات ، ويجعلها اقرب الى النظام المنصوص عليه فى قانون الهيئات العامة . ويفهم من نص المادة الثانية ان للمؤسسة ان تنشىء بمفردها او مع الغير جمعيات تعاونية . ولما ادت حركة التأميم واجراءات الحراسة الى ايلولة بعض المصانع الصغيرة (التى تتخذ فى الغالب شكل المنشآت الفردية او شركات الاشخاص) الى القطاع العام اصبحت هذه المؤسسة تسمى « المؤسسة العامة

للتعاون الانتاجي والصناعات الصغيرة » والحق بها بعض تلك المصانع بالرغم من ان ليس لها اى شكل تعاونى . وهى تشرف حاليا على شركة واحدة و ٢٣٨ جمعية تعاونية وعددا من مراكز التسويق ووحدات التدريب .

المؤسسة العامة التعاونية للاسكان

واخيرا صدر قرار رئيس الجمهورية رقم ٣١٩ لسنة ١٩٦١ « باشراف وزارة الشئون البلدية والقروية على الجمعيات التعاونية لبناء المساكن ، وبانشاء المؤسسة العامة التعاونية للاسكان » . وهنا يتأكد ان المؤسسة التعاونية تسير على «حسابات الحكومة» فليس لها راس مال ، وانما لها موارد ، وميزانيتها تتكون من ايرادات ومصروفات ، شأنها شأن اى هيئة عامة . وبالطبع يكون لها حق انشاء جمعيات تعاونية بمفردها او بالاشتراك مع الغير . وفى سنة ١٩٦٦ عهد اليها بالاشراف على « الجمعيات التعاونية الحرفية » المكونة من العمال الحرفيين المشتغلين فى صناعة البناء . والملاحظ ان معظم الجمعيات التعاونية للاسكان جمعيات مقفلة على افراد فئة معينة او طائفة معينة (المهندسون ، اساتذة الجامعة ، ضباط الشرطة .. الخ) وقد سارت الجمعيات المذكورة امداطويلا على سياسة بناء «فيلات» . ولم يكن ثمة مبررا لان تعين الدولة هذا النشاط الذى تستفيد منه الطبقات الوسطى وهى اقدر من الطبقات الشعبية على مواجهة مشكلة الاسكان . كما ان بناء «الفيلات» عمل غير اقتصادى من وجهة نظر الاقتصاد القومى لما فيه من تبديد للارض ولمواد البناء . وقد تضاءل هذا النشاط الى حد كبير واصبح الدور الاساسى للجمعيات المذكورة هو تحصيل المستحقات على الاعضاء . وليس فى كل هذا حركة تعاونية جادة، وليس فيه مايبرر وجود مؤسسة . اما الجمعيات التعاونية الحرفية فهى جمعيات تعاون انتاجى بالفعل ويجب تشجيعها ودعمها بكل الوسائل ، وليس من بين تلك الوسائل اخضاعها لاشراف بيروقراطى .

مبادىء تنظيم جديد

ودون ان نخوض تفصيلا فى مشكلات القطاع التعاونى التى تحتاج الى مؤلف كامل لبحثها ، نريد ان نؤكد هنا بعض المبادىء الاساسية . فقد ذكرنا فى مستهل هذه الفترة **ان القطاع التعاونى يختلف بطبيعته عن القطاع العام . ولهذا يجب فصله تماما عن القطاع العام وان يكون له تنظيمه الخاص .** [٣] وهذا التنظيم يجب ان يستوحى المبادىء الاتية :

— **الديموقراطية** ، التى تتمثل فى حرية اعضاء الجمعية التعاونية فى ادارتها على النحو الذى يرون فيه تحقيقا لمصالحهم وفقا لاحكام القانون. والاساس الاقتصادى لهذا الشكل من الديمقراطية هو ان الانتاج هنا متخلف لم يكتسب الطابع الالى الكبير مما يجعل المنتجين المباشرين اقدر الناس على ادارته . والسند القانونى لها هو الملكية المشتركة .

— **حرية الانضمام للجمعية والانفصال عنها** ، فهذه الحرية ضمان لاهتمام العضو بنشاط الجمعية، وهى مرجعه الاخير اذا لم ترقه ادارتها .

— **الاصل هو أن التعاون يستهدف خدمة صغار المنتجين الذين يعملون بايديهم ولهذا يجب الا تدخله الراسمالية الوطنية** ، او على الاقل يجب الا تضم الجمعية الواحدة راسماليين ومنتجين صغارا فى نفس الوقت لتعارض المصالح بين الفئتين ، ونظرا لخطر سيطرة العناصر الراسمالية على الحركة التعاونية .

— **تتجمع الجمعيات بارادتها ورغبتها الحرة** فى جمعيات مشتركة او مركزية .

— **تتكون ايضا بالاختيار الحر اتحادات نوعية** فى مختلف فروع الانتاج كما يمكن ان يوجد اتحاد نوعى او اكثر للتعاونيات الاستهلاكية .

— **تقتصر الرقابة الادارية للوزارات المختصة على ضمان احترام الجمعيات للقوانين .**

— **تقدم الدولة، عن طريق الوزارات المختصة، المعونة الفنية ، كما يمكن ان تقدم معونات مالية،** وان تصحبها بشروط معينة لتكون حافزا على تنشيط وتطوير التعاون .

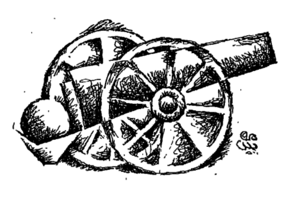
— يجب ان **تساهم الحركة التعاونية فى تمويل نفسها** عن طريق ايداع فائض مواردها فى البنك الذى يتولى اقراضها .

وكل هذا يقتضى اصدار قانون جديد للتعاون يستوحى المفاهيم الاشتراكية ويتضمن فى صدره المبادىء العامة التى تحكم التعاون فى مجتمعنا ايا كان موضوع النشاط التعاونى ، ثم ابوابا يعالج كلا منها نوعا خاصا من التعاونيات : الزراعية، الصناعية ، التسويقية .. الخ .

---

(٣) لابد من اشارة عابرة هنا الى ماتم من تصحيح وضع «الجمعية التعاونية للبترول» التى تحولت بذلك الى شركة قطاع عام عادية وحصل اعضاؤها السابقون مقابل اسهمهم على شهادات استثمار .





الحرب العالمية الأولى: التكتيك والاستراتيجية

نتابع نشر سلسلة المقالات « عن الحرب » التي يكتبها طارق شرف ، لما تتضمنه من خبرات ثمينة في مجال الفكر والتطبيق العسكري . وقد نختلف مع الكاتب حول بعض التفسيرات التي يقدمها عن العوامل التي تتحكم في مسار التاريخ وتكمن وراء الاحداث ، والدوافع التي تحركها ، لكن المحور الرئيسي الذي تدور حوله هذه الدراسات هو الاستراتيجية والتكتيك الحربي من خلال مدارس الحرب المتعددة .

طارق شرف

دارت جولتنا الصراع على السيادة العالمية بين نظم الحكم في غرب اوربا ، الممثلة لديمقراطية سياسية في ظل نظام اقتصادى يقوم على الرأسمالية ، وبين نظم الحكم القومية المتطرفة في وسط اوربا بزعامة ألمانيا التي تقوم على السلطان المطلق للحاكم ، سواء كان وارثا للملكه ، مثل **غليوم الثانى** ، او مستوليا بالقوة على الحكم ، وباستخدام أساليب الدعاية المكثفة ، ثم في استخدامه للطاقات المتيسرة ، في محاولة ادراك غايات سلفه الامبراطورى ، واقصد بالطبع **ادولف هتلر** .

واعتقد انه من الضرورى ان نبدأ بالقاء نظرة على التطور الذى طرأ على تنظيم وتسليح الجيوش ، وما يفرضه هذا من تغيير في أسلوب الحرب .

تطور تنظيم الجيوش في أوربا حتى بداية الحرب العالمية الاولى

سبق أن قلنا أن الجيوش الفرنسية كانت أول من أوجد الفرقة أو بالاحرى الجيش الصغير بشكلها المعتاد ، اى مجموعة متكاملة من كل الاسلحة البرية : المشاة والمدفعية والفرسان تحت قيادة موحدة ، وكان هذا في عصر **نابليون** ،

لكى يســاعد جيوشــه على الحــركة بسرعة والاشتباك بكلاجزائها بدلا من التجميع فى حشود كبرى ثم محاولة توزيعها داخل ميدان القتــال ، بينما قد لا يسمح عامل الزمن بهذا .

والان لنبدأ فى شرح ما هى الفرقة : الفرقة فى أى جيش من الجيوش الحــديثة هى تشــكيل متكامل ، اساسه المشاة ، وتتواجد معها الاسلحة الاخرى [المدفعيــة والفرســان] لمســاندتها . وبالاضافة الى هذا توجد هيئة ادارية بما يتناسب مع العصر ، ولكنها عموما تختص بنواحى التغذية والملابس والاسلحة والذخيرة ومعــدات الحركة من دواب وعــــربات . وفى الفتـــــرة التى تبدأ من حوالى ١٨٧٠ ، أخذت كل الدول الاوروبية تقلد كل ما هو المانى وعليه اذا ما اتخذنا الجيش الالمانى اساسا للتقدير فيكون الموقف عموما كما يلى :

أولا : نضع فى حسباننا ان سلاح المشـــاة هو اســـاس الجيوش ، وباقى الاســلحة البرية تعتبر « أســـلحة معـــاونة » ، وذلك يرجع لكون المشاة هى السلاح الوحيد القادر على احتـــلال الارض بعنصرى تـــكوين الجيــوش : الافراد والنيران .

وهنا نجد أن أول تجميع للافراد فى المشـــاة تصاعديا ، هو ما يسمى « بالجماعة المشــــاة » وعددها عموماًيتراوحبين ١٠ الى١٥ فرداحسب الجيوش ، وثلاث جماعات مشاة تكون الفصـيلة المشاة التى يقودها ضابط صــغير برتبة ملازم ، وثلاث فصائل مشــاة تتجمع فى سرية مشـــاة ، وهنا تتوقف تكوينات المشاة الصرفة عند هـــذا المستوى ، لان اى مســتوى اكبر من ذلك تدخل ضمنه اسلحة اخرى : فسرايا المشاة تتجمع فى « كتائب » ، وعدد السرايا التى تكون كتيبة مشاة يتوقف على اساس تنظيم الجيوش ، فهناك فى هذه المرحلة مدرستان : مدرسة التنظيم الرباعى وفيها تتجمع اربع سرايا مشاة ، ومعها سلاح معاون واحد ، هو مدفعى ماكينة [ويســمى فى الجيوش بالرشاش المتوسط] ، ومعها رئاســة وهذا هو الشكل العام للكتيبة المشاة . ثم تتجمع فى بعض الجيوش ثلاث كتائب ، وفى بعضــها الاخر اربع كتائب ، لتكون لواء مشاة ، وبعدها تتجمع ثلاثة الوية لتكونالفرقة المشاة، بالاضافة الى عناصر من المدفعية تكون داخل تنظيم الفرقة ولكنها تخضع فى توزيعها واستخدامها لســلطة قائد الفرقة ، وتجتمع بعد هذا فرقتان او ثلاث لتكون الفيلق المشاة ، وتتجمع عدة فيالق لا يقل عددها عن اثنين بالطبع لتكون الجيش ، وأخيرا اذا تجمعت عــدة جيوش ســويا تكون مجموعة جيوش .

والملحوظة الوحيدة التى يجب ان اذكرها هنا هى ان كافة المســتويات التى ذكرتها ابتــداء من الفرقة المشاة فأكبر ، تضم داخل تنظيمها وحدات ثابتة من المدفعية والفرسان، وبذا رغم تسميتها بالفرقة المشاة او الفيلق المشاة ، فانه فى الواقع يضم مختلف أنواع الاســلحة البرية من مدفعية وفرسان وخدمات ادارية .

ثانيا : بالنسبة للمدفعية ، فليس هنـــا مجال يتتبع تطورها الفنى عبر العصور، ولكن اود ان أشير لاهمية اثر التقدم العظيم الذى تحقق خلال القرن التاسع عشر فى انواع واساليب استخدام المدافع ، وهو ما ســأتعرض له بالتفصـيل فى المرحلة التالية من المقالة ، عندما نتكلم عن تطور تسليح الجيوش . ويكفى ان نعرف فى مجــال تنظيم المدفعية ان اصغر اقســامها كان يسمى « تروب » ، وهو يعادل فصيلة مشـــاة من حيث مستوى القيادة ، ويتجمع «تروبان» ليكونا بطارية مدفعية ، وحتى الحرب العــالمية الاولى كان يتم تجميع ثلاث بطــاريات مدفعيـــة لتــكون لواء مدفعية . اما بعد هذا فقد تغير اسمه ليصـبح آلاى مدفعية ، وهو اكبر تشكيل مدفعية مستقل ما عــدا بالنســبة للجيش الروسى الذى يجمع مدفعيته احيانا فى فرق او حتى فيالق ، وسنعود الى هذا فيما بعد .

ثالثا : بالنسبة للخيالة ، فاذا ماادخلنـــا فى حســابنا التطور العظيم فى كميــة النيران التى تنتجها الاســلحة الحديثة ، فلم يعد من الممكن استخدامها فى هجوم بالمواجهة أو عمليات صدام مع الجيش المعادى ، واصبح واجبها يقتصر على الاستطلاع واعمال حراسة الجوانب أثناءالتقدم، وفى حالة نجاح الجيش فى استغلال هذا النجاح ثم القيام بعمليــات المطــاردة التى هى النتيجة المنطقية لاستغلال النجاح .

تطور تسليح الجيوش

ان أهم اركان التطور فى التســليح كانت فى عنصرين اساسيين ، أولهما اختراع الاســلحة التى تعمر من طرف الســلاح ، اى فوق الزناد مبــاشرة ، بدلا من فم الماســـورة ، اى مقدمة السلاح ، وهذا مكن الافراد من استخدام بنادقهم من الوضع الراقد ، وبذا لم تعد اصــابتهم امرا ســهلا ، لانهم ظلما اضــطروا للوقوف لاعـــادة التعمير فستتعرض أجسامهم للاصابة . اما اذا رقدوا ، فلن يعرضوا سوى حوالى ثمن الجــزء المتعرض قبل هذا . والركن الاخر الاســاسى فى التطور ، هو اختراع البنادق ذات الخزن ، بعد ظهور المقــذوفات ذات العبوة الــكرتون أولا ثم النحاس فيما بعد ، وصــحب هذا ظهور المدافع الرشـــاشة التى زادت من نيران المشـــاة زيادة

مخيفة ، لدرجة ان كل مدارس الحرب في هذا الحين بدأت تستخدم المشاة وحدها في الهجوم ، دون استخدام المدفعية والفرسان في واجبات معاونة مباشرة ، حيث لم تكن فكرة غلالات المدفعية التمهيدية قد ظهرت بعد . وما دمنا قد ذكرنا المدفعية ، فنتكلم عن ظهور مدافع سريعة الضرب ، بعد ان تم صنع انواع تعمر من الخلف . وطريقة تحميلها على العجل تسمح باعادة تعمير المدفع بسرعة ، وصحب هذا ظهور انواع ذخيرة مخروطية الشكل ، اى انسيابية ، مما يسمح بالتعمير والضرب بسرعة . بالنسبة لكل من الاسلحة الصغيرة والمدفعية ، فقد ظهر مع كل هذا التطوير آخر اركان سلاح التدمير المثالي : .. المواسير « المخشخنة » . والمقصود بها تجاويف حلزونية داخل ماسورة السلاح تجبر المقذوف على ان يدور حول نفسه في بداية اندفاعه ، ويحافظ على هذا الدوران اثناء اتجاهه نحو الهدف ، مما يكسبه صفتين .. **الاتزان** : مما يؤدى الى دقة في الاصابة ، **وزيادة في المرمى** : نظرا لعدم ضياع اى جزء من طاقته في حركات ذبذبة اثناء سيره في الهواء . وبالطبع فان حركة الدوران تمكنه من زيادة القدرة على الاختراق مثل البريمة .

وبالطبع فنحن لسنا في مجال بحث فنى لخواص الاسلحة ، ولكنى اتناول منها ما يؤثر تأثيرا مباشرا على تطور اساليب القتال ، فقد نجم عن زيادة كمية نيران المشاة ، ان لجأ المدافعون لوضع جيوشهم في حفر وخنادق ليحموا افرادهم من نيران العدو ، ولجأوا الى وضع موانع ـ أسلاك شائكة ـ امام مواقعهم لتعطيل العدو المهاجم ، بحيث يعطوا جنودهم اكبر فرصة لايقاع اكبر نسبة ممكنة من الخسائر بافراد العدو المضطرين للبقاء في العراء ، نظرا لقيامهم بالهجوم ، مما يجعلهم متعرضين لسياط نيران أخطر سلاح على المشاة ، وهو المدفع الرشاش الذى كان يحصدهم حصدا .

وبالنسبة للمدفعية ، فقد كان هناك ثلاثة انواع اساسية من المدافع في الجيوش :

أ ـ **المدفع** : ويمتاز بالمرمى الطويل وخط مرور مسطح .

ب ـ **الهاوتزر** : Hawitzer ويمتاز بقوة الانفجار وخط مرور عال .

جـ ـ **المدفع الهاوتزر** : ويجمع بين الصفتين . وبالنسبة لأحجام المدافع ، فقد كان لدينا اربعة انواع اساسية :

أ ـ **مدفعية الميدان** : وتصاحب المشاة بطريقة مباشرة .

ب ـ **مدفعية متوسطة** : تتبع تشكيلات كبرى ومرماها بعيد .

جـ ـ **المدفعية الثقيلة** : تتبع أكبر التشكيلات الموجودة .

د ـ **المدفعية فوق الثقيلة** : وكانت تحمل على عربات سكة حديد وتضرب من فوقها .

ويقدر حجم المدفع تبعا لعنصر من اثنين : اما عياره ، وهو قطر ماسورته من الداخل بالمليمتر ، او السنتيمتر او البوصة او بذكر وزن دانته [المقذوف] ، كأن نقول مدفع ٢٥رطلا أو١٧ رطلا وهكذا . وفي المرحلة السابقة للحرب العالمية الاولى واثناءها ، كان اشهر انواع المدافع هو المدفع الفرنسي عيار ٧٥ مليمتر.وآخر ما نذكره في مجال التسليح ظهور الهاونات الصغيرة ، وهى سلاح قليل الحجم رخيص الثمن يستعمله عدد قليل من الافراد ، ويمكن ان يقدم معاونة فعالة لو احسن استخدامه في اذعاج مصادر نيران العدو القريبة ، بل وتدميرها اذا لم تكن في مواقع قوية التحصين ، ومثله في هذا سلاح زهيد الثمن ايضا ، ولكن قيمته كبيرة بالنسبة لجندى المشاة ، وهو القنبلة اليدوية بأنواعها .

تطور أساليب القتال الى ما قبل الحرب العالمية الاولى وفي مراحلها الابتدائية

كان الاساس في المرحلة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن التالى ، هو الدروس التى خرجت بها مدارس الحرب من الحرب السبعينية بين فرنسا والمانيا ، مضافا اليها ما تعلمه الانجليز من حرب البوير [١٨٩٩ ـ ١٩٠١] ، وما تعلمه الجميع من معارك الحرب بين اليابان وروسيا في عام ١٩٠٤ .

وباختصار ، فان محور الاسلوب هو اعتماد المشاة على وسائل نيرانها الذاتية ، دون ان تدخل في حسابها معاونة باقي الاسلحة.وكان التشكيل للمعركة يتميز بانعدام العمق ، ويقوم على خطين متتاليين ، أولهما يمثل مجموعة النيران ، والثانى للتدعيم والمعاونة . وينحصر عمل الخط الاول في التقدم بوثبات الى العدو الى مسافة الاقتحام ، اى حوالى مائة وخمسين مترا ، وهنا ينضم اليه الخط المعاون لتكثيف موجة الهجوم ثم يتم الاقتحام بالسونكى ، اى انه يمكن للجانب المدافع ان يتوقع بكل بساطة اسلوب الهجوم ، ويعمل على ملاقاته بما يضمن له تدميره ، أو على الاقل حرمان الجانب المهاجم من تحقيق غرضه ، وهنا اذكر كل المهتمين بالحرب ان النجاح في القيادة لا ينحصر في تدمير العدو فحسب ، وانما ايضا في دفع اقل

ثمن ممكن من الأفراد والمعـدات للحصول على النصر .

وبالنســبة للمدفعية ، فقد خرج الالمــان من عملياتهم فى حربهم ضد فرنسا بعدة نتائج ، أهمها وجوب زيادة عدد المدافع المستخدمة مع وضعها فى أقصى الامام اثنـــاء التحرك ، حتى يمكن ان تشتبك بالعدو فور الاتصال به . كما نشأ فى هذا الحين مبـــدأ مبارزة المدفعية Artillery Duel الذى يقضى بمحـــاولة مدفعية الجـــانب المهاجم اسكات مدفعية العدو قبل بدء الهجوم الفعلى . وتلا ذلك ان طبق اليابانيون فى عملياتهم ضـــد الروس فى عام ١٩٠٤ ، مبدأ تجميع المدفعية او مركزية القيادة فيها ، بحيث يمـــكن للقيـــادات الكبرى ان تجمع نيران عدة تشكيلات ضد غرض بالذات ، بحيث يســـهل تدميره عمـــا اذا كانت المدفعية مبعثرة وموزعة على وحدات المشاة او ضـــد اغراض متعددة محـــاولة ضربها فى وقت واحد ، تبعا لرغبة القيادات التى تتبعها .

وأخيرا فبالنسبة للفرسان ، بقى هذا السلاح يعمل فى ظل الاساليب المتبعة فى عهد نابليون ، ولذا فانه لم يقم فى حرب المانيا وفرنسا ولا فى حرب البوير ، ولا فى الحرب الروسية اليابانية بأى دور يذكر ، لانه افتقر للقـــدرة على مواجهة كميـــة النيران المخيفة التى تســـتطيع المشـــاة انتاجهـــا فى وجه كافة محـــاولاته للاستطلاع او الاختراق ، ولذا فانه كان ينســـحب فور تمـــام الاتصـــال الى الاجنـــاب ، وينتظر نتيجة معركة النيران ، وحتى اذا ما تم فيها النصر فانه لم يكن يستطيع ان يستغل النجاح ، ولا ان يطارد طالما استمرت وحدات العدو المهزوم المنسحب محتفظة بتماسكها ، وطالما ظلت تحت سيطرة قادتها وعلى قدرتها على القتال .

والان لنلق نظرة على مسرح الاحداث العالمى عشية الحرب العالمية الاولى . ولكى تكون نظرتنا واضحة ، يجب ان نرجع للخلف قليلا الى العصر الذى كان فيه **بسمارك** هو الذى يدير ســـياسة اوروبا من وراء الستار : كان غرض بســـمارك ان يوطد السلام الذى ساد فى اوروبا بعد انتصار بروســـيا فى ١٨٧١ على فرنســـا ، وكان محور ضمان الســلام هو الا تضطر المانيا للقتـــال فى جبهتين ، او بالاحرى ضد روسيا وفرنســـا فى نفس الوقت ، ولذا فانه عمـــــل على كسب ود روسيا ، واستمرت سياسته ترمى لهذا الغرض طوال مدة حكمه ، مع تمســـكه بعدم اغضـــاب انجلترا وجرها للمعسكر المعادى . ولكن حـــدث ان تولى **غليوم الثانى** العرش فى ١٨٨٨ ، وهو رجل متكبر ومندفع ، وكان كل اهتمامه متركزا فى التخلص من بسمارك ، ونجح بالفعل فى اقصائه فى عام ١٨٩٠ عن منصبه ، وبدأ سياسة جديدة عنيفة ، ترمى لتوكيد سيادة المانيا على اوروبا ، وبالتالى على العالم كله . وبمجرد تبـــاعده عن روسيا ، اسرعت فرنســـا تعقد معها معـــاهدة ثنائية ، مما هدم كل مجهودات بسمارك . ولم يكتف غليوم بهذا ، فقـــد نجم عن توســـعه فى التجارة الخارجية ان توسع فى اسطوله التجارى وبالتالى اســـطوله الحربى لحمـــايته ، مما اقلق انجلترا للغاية . وهنا نتوقف برهة لنلقى نظرة لاول مـــرة على الموقف البحرى فى العـــالم : لم يسبق لى الكلام عن اثر القوة البحرية على الحرب ولـــكن يمكن القول بأن القوة البحـــرية تنحصر اهميتها فيما يلى :

١ ــ حماية التجارة الخارجية للدولة ، سواء بحماية الاسطول التجارى أو الموانى والسواحل .

٢ ــ نقل الجيوش الى سواحل العدو لمهاجمته فى عقر داره ، ثم معاونة هذه الجيوش معـــاونة مباشرة اثناء عملياتها ضد العدو مع تأمين عمليات امدادها بالرجال والمعدات .

٣ ــ مهاجمة اســـطول العدو وتدمير خطوط مواصلاته البحرية ، ومنع جيوشـــه من الحركة الاستراتيجية .

وهنا يجب ان الفت نظر القارىء لعنصر هام فى اســـتخدام اى ســـلاح من اســـلحة القوات المسلحة : عندما نذكر الواجبات النابعة من القدرة الهجومية لهذا الســـلاح ، لا يجب ان نتمســـك بترتيب معين للاولويات ، وانما ظروف العمليات هى التى تقدم أو تؤخر واجبا بعينه ، ومعنى هذا ان تحديد مراكز الثقل الاستراتيجية للعدو ، هى التى تحدد الاولوية لاى واجب بالذات .

والان لنلقى نظرة سريعـــة على الاســـطول الحربى من ناحيـــة ناتج تطوره مع وضـــعنا فى الاعتبار ان كل الدول التى سادت العالم فى يوم من الايام ، أو كان لهـــا شأن يذكر فى مأســـاة تاريخ البشر ، كان لها اسطول قوى على الدوام . نتج عن اســـتغلال الطاقة التجـــارية توفر قدرة ضخمة على تحريك كتل ثقيلة ، مما نجم عنه ظهور السفن الحديدية ، وبالتالى فكرة تدريع الســـفن لاغراض القتـــــال ، وبمجـــرد ظهـــور المدافع المشـــخشخة فى القطع البحـــرية زادت عمليـــة التدريع ، مما استوجب زيادة مولدات الطـــاقة البخارية ، وبذا بدأ السباق بين العناصر الثلاثة : المدافع القوية ، والدروع الثقيلة ، وقدرة المحركات فى السفن .

وبدون ان نتدخل فى تفاصيل بحرية ، فاهم ما يجب معرفته هو التقسيم الفنى لانواع السفن مع بيان واجباتها ، وبعد هذا بيانا للتوازن البحرى فى العالم فى مطلع القرن العشرين .

وبالنسبة لانواع السفن المستخدمة ، فقد شملت ما يلى :

زوارق الطوربيد : سفن سريعة جدا ورشيقة وتعتمد على سرعتها فى مواجهة اعداء اقوى وأضخم كثيرا .

كاسحات الالغام : سفن خفيفة وسريعة حمولتها فى حدود الالف طن .

المدمرات ، الحمولة تتراوح بين الف والفين طن ، ومسلحة بعدد من المدافع الخفيفة وبأنابيب طوربيد ، وتتميز بسرعتها الكبيرة وقدرتها على المناورة ، وواجبها الاساسى العمل كحرس للقوافل وكستارة للقطع الثقيلة ، كما انها تقوم بحماية طرق الاقتراب للموانى والقواعد البحرية وتعاون العمليات البرية بنيران مدافعها .

الطرادات : ويوجد نوعان ، « الخفيفة » ، والمقصود بالخفة عنصرى التسليح والتدريع ، وعموما فان حمولتها تتراوح بين اربعة آلاف وسبعة آلاف طن، وتسليحها من عدد من المدافع تتراوح أعيرتها بين خمسوسبع بوصات .وتتميز الطرادات بنفس مواصفات المدمرات من حيث السرعة وخفة الحركة ، ولكن نظرا لقوة نيرانها الكبيرة، فانها تكلف بعمليات هجومية أصعب من واجبات المدمرات ، ولكنها تستطيع القيام بكل واجباتها .

أما الطرادات الثقيلة ، فانها اول ما يمكن تسميته بسفن الخط Ship & the line أى انها تدخل ضمن تشكيل خط القتال الرئيسى للاسطول . فحمولتها ١٠ آلاف طن فاكثر ، وتسليحها الرئيسى من مدافع عيار ٨ بوصات ، وسرعتها كبيرة بالنسبة لحجمها ، وبذا نستنتج ان عنصر الثقل غير واضح فى التدريع .

البوارج : وهى ما كانت تعتبر حتى الثلاثينيات من القرن العشرين سيدة البحار ، وكانت كل الدول البحرية الكبيرة تحاول ان تنمى عددها وقدرتها القتالية ، والمفروض انها بالفعل اقوى ما ظهر فى البحر ، فحمولتها أكثر من ٢٥ألف طن وتسليحها الرئيسى عدد من المدافع من عيار ١٣، أو ١٤ أو ١٥ أو ١٦ بوصة ، وتدريعها ثقيل للغاية ، ومع هذا فلم تكن بطيئة ، حيث زودت بمحركات قوية تستطيع منحها سرعة كبيرة رغم حجمها .

وفى أواخر القرن التاسع عشر ، وأوائل القرن العشرين ، ظهر شبح جديد يضيف لكل الذعر الذى تحدثه آلات الدمار التى ذكرناها الان ، اذ بدأ الجميع فى ادخال الغواصات داخل تنظيم الاساطيل ، ولا ابالغ ان قلت ان الغواصة احدثت فى أول الامر ذعرا يشابه الرعب النووى فى عصرنا ، وبالمناسبة ، فقد كان هذا شأن كل سلاح جديد ظهر ، وعلى ما اظن كل سلاح فى طريقه الى الظهور ، الى ان يتم استخدامه فعلا تحت ظروف قتال فعلية تمكننا من تقييمه بطريقة صحيحة . وهنا اذكر ان العالم كله حاول ان يقيد اسلوب استخدامها ضد السفن غير المسلحة ولكن لم يؤد هذا لاى نتيجة تذكر .

وبالنسبة للتوازن البحرى العالمى ، وقد كانت انجلترا سيدة البحار ، وبالتالى صاحبة اكبر امبراطورية استعمارية ، تليها كل من المانيا وفرنسا واليابان ، ثم تجىء ايطاليا وامريكا وروسيا ، اما الباقون فلم يكن لديهم ما يبرر ادخالهم فى حسابنا عند التكلم على التوازن البحرى العالمى .

والان نعود الى موضوعنا الاصلى، وهو موقف الدول الكبرى من بعضها قبل الحرب العالمية الاولى مباشرة . فقد نجم عن اطماع وغرور العسكرية الالمانية المتمثلة فى غليوم الثانى، ان تحالفت فرنسا وروسيا ضده ، وبدأت انجلترا فى مراقبة تصرفاته بقلق بالغ ظل يتزايد حتى انتهى الامر بانضمامها هى الاخرى لفرنسا لاول مرة منذ حروب المائة عام.وكانت الامبراطورية العثمانية ، او رجل أوروبا المريض فى حالة احتضار ، وكان الجيران ينتظرون الوفاة لكى يتنازعوا التركة ، وكانت منطقة البلقان تغلى بسبب الحركات القومية المتطرفة التى ظهرت فى الولايات العثمانية هناك ، وبسبب محاولات النمسا ، او بالاحرى امبراطورية النمسا ــ المجر ، التدخل هناك للخروج بأى نصيب ، وارتطم بكل هذا رغبة روسيا الظهور بموقف المدافع عن الشعوب السلافية من ناحية ، وبصفتها ايضا وريثة الكنيسة الارثوذكسية بعد سقوط القسطنطينية. وبذا أصبح الوقففى هذا القطاعمتفجرا للغاية.

وكانت الدول الاوروبية الاستعمارية قد تقاسمت افريقيا كلها من اقصى الشمال لاقصى

الجنوب . وفى الشرق الاقصى كان الجميع يلعبون بامبراطورية الصين المتداعية المترامية الاطراف، كما لو كانت كرة للقدم . فكل من يستطيع الاستيلاء على اى جزء كان يأخذه ببساطة ثم يؤيد دعواه بقوة السلاح ، وانتهى الامر بارتطام روسيا العملاق الابيض مع اليابان الشاب الاسيوى الناشىء ، ولذهول العالم اكتسحت اليابان روسيا وهزمتها هزيمة نكراء فى البر والبحر ، وظهرت فجأة على مسرح الاحداث وسط اضواء التاريخ والقوة ، واصبحت عنصرا هاما فى ميزان القوة العالمية ، فأسرعت انجلترا تخطب ودها لتضعها داخل دائرة الاصدقاء والحلفاء . ونعود الى اوروبا ، ونبدأ فى التكلم عن آخر عناصر التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى الذى ادى للصراع العسكرى المسلح الذى نعرفه باسم الحرب العالمية الاولى .

وفى اواخر القرن التاسع عشر ، ظهرت آلة قدر لها ان تقلب تاريخ البشرية راسا على عقب ، وقدر لها ان تدمر امبراطوريات وممالك ، وتمهد الطريق لثورات وانقلابات فى موازين القوة ، وتلعب اهم دور فى تاريخ البشر ، حتى هذا الحين .. آلة الاحتراق الداخلى او السيارة والطائرة واخيرا الدبابة ، ولكن لا يجب ان نسبق الاحداث الان ، فيكفى ان اذكر القارىء بوجودها كعنصر فعال داخل اطار تطور الجنس البشرى الديناميكى .

الحرب العالمية الاولى

أغسطس ١٩١٤ — نوفمبر ١٩١٨

فى اواخر يونية ١٩١٤ كان ولى عهد النمسا يزور بلدة **سراييفو** التابعة فى هذا الحين لملكة الصرب [التى هى جزء من يوغسلافيا الحالية] ومعه زوجته ليموتا فاغتيل بيد طالب صربى شاب

وبعد شهر من وقوع حادث الاغتيال ارسلت النمسا انذارا نهائيا لصربيا، ونحن نعلم جيدا انه لايمكن لدولة تحترم نفسها وتعتبر انها ذات سيادة ان تقبل ماجاء به ، وبالطبع رفضت صربيا الانذار واعلنت التعبئة العامة واعلنت النمسا التعبئة العامة فأرسلت روسيا للنمسا تسألها وتحاول ارهابها واعلنت التعبئة الجزئية حتى لاتخل بالتزاماتها كحامية للشعوب السلافية ، وطلبت المانيا بدورها من روسيا أن توقف عمليات التعبئة .

وتجاهلت النمسا المذكرة الروسية ، فاعلنت روسيا التعبئة العامة وتلتها المانيا ، مما دفع فرنسا الى اعلان التعبئة العامة . وفى وسط هذا الغليان الاوربى الذى يهدد باشتعال العالم كله طلب السفير البريطانى من وزير خارجية المانيا أن يضمن له حياد بلجيكا تنفيذا لمعاهدة عقدت قبلها بثمانين عاما ضمن فيها الموقعون وضمنهم بروسيا حياد البلجيك . ورد وزير خارجية المانيا بقوله مامؤداه انه يتساءل عما اذا كانت بريطانيا ستدخل الحرب ضد المانيا بسبب قصاصة ورق لاتساوى ثمن الحبر الذى كتبت به فى رأيه . وهكذا اعلن الجميع الحرب على بعضهم . وظاهر كل هذا غير مفهوم مالم تحاول التوصل لما دار وراء الستار طوال الفترة مابين اعتزال بسمارك لوظيفته كحاكم المانيا الفعلى الى يوم اغتيال ولى عهد النمسا ، وصلت المانيا الى كيانها فى اوربا فى وقت متأخر لم يسمح لها بدخول السباق الاستعمارى مع باقى دول أوربا وبذا كان الموقف من وجهة نظرها انه لايجوز لدولة صغيرة مثل بلجيكا او البرتغال يستطيع الجيش الالمانى ان يقضى عليها فى نزهة أن يكون لها امبراطورية استعمارية شاسعة فى افريقيا وليس لدى المانيا مثلها ، رغم تقدمها الصناعى الهائل واحتياجها لهذه المستعمرات سواء كمورد للمواد الخام أو كأسواق للاستهلاك للمواد المصنعة . وبذا تعارضت « احتياجات المانيا الاقتصادية » وسياسة التوسع باعادة تقسيم المستعمرات لمصلحة احتكاراتها . . مع اتجاهات بسمارك التى كانت تفترض تقاربها مع انجلترا أو على الاقل عدم القاء هذه الاخيرة أو دفعها داخل صفوف اعدائها ، فاذا ما اضفنا لهذا برنامج بناء الاسطول الحربى الذى اعتزم غليوم بناءه ليؤيد به حقه فى منافسة بريطانيا على سيادة البحار أو على الاقل حماية لمصالحه فى المستعمرات ومناطق النفوذ وايضا صلفه وغروره الشخصى الذى دفع الكثيرين من الساسة لمعاداة المانيا نكاية فيه فقد انتهى الموقف بأن أصبحت نوايا المانيا فى طريق مباشر نحو الصدام مع المصالح الانجليزية ، وكان هذا هو ثانى أركان العداء بين وسط أوروبا وتقوده المانيا وغرب اوروبا متمثلا فى بريطانيا وفرنسا . وبالطبع لست فى حاجة لبيان اسباب العداء بين فرنسا والمانيا فهى موغلة فى القدم . خاف الفرنسيون على الدوام قيام دولة على حدودهم الشرقية تضم كل الولايات الالمانية وتستطيع ان توجد طاقة عسكرية مخيفة لاقبل لهم بمواجهتها الا بثمن فادح لايستطيعون الاستمرار فى دفعه طويلا .

اما ماحدث وراء الستار خلال يولية ١٩١٤ فأهم ما فيه حدثان بالذات : قيام وزير خارجية المانيا باملاء صيغة الانذار النهائى الذى وجهته النمسا للصرب بحيث يضمن رفضه ومن ثم ايجاد مبرر لتحقيق رغبات القيصر غليوم من حيث تبرير الهجوم على فرنسا وتدمير روسيا لخلق « مجال حيوى » لالمانيافى اتجاه الشرق : وقد ظلت مطامع المانيا طوال الاربعين عاما الاولى من هذا القرن متمثلة

في هذا الاتجاه ؟ أي حقول أوكرانيا السوداء الخصبة ولكن يجب ان تكون البداية بتدمير الخط العسكرى الفرنسي الذى قد ينتهز فرصة اشتباك المانيا مع الدب الروسى الخطير ويحاول الانتقام لما جرى لهيبة فرنسا من الناحية الادبية وتعويض خسائرها الاقليمية والاقتصادية فى حرب ١٨٧٠ .

والحدث الثانى هو قيام **ونستون تشرشل** وزير البحرية البريطانى الشاب بالتذرع باجراء تدريبات للاسطول البريطانى خلال هذا الشهر الحاسم ، وتحت هذا الستار قام بما يوازى اجراء تعبئة جزئية للاسطول البريطانى الضخم مما أكسبه وقتا ثمينا سيظهر أثره فيما بعد عند دراستنا لسير العمليات. وكل مايهمنا أن نعرفه الان هو انه بمجرد اعـلان الحرب استطاع الاسطول البريطانى أن يخرج بكل قوته فى المكان والزمان المناسبين ، وهذا من أهم عوامل تمهيد الارض للنصر الحاسم ويقـوم على التقدير السليم وبعد نظر القيادات .

بعد أن بحثنا فى جوانب الموضوع السياسيـة والاقتصادية نبدأ فى استعراض الجانب العسكرى المنفذ للضرورات المذكورة اعـلاه من حيث نوايا الجانب الالمانى المهاجم والجانب الفرنسى المدافع : توفرت للقيادة الالمانيـة الاداة الممتازة المتمثلة فى جيش من اعظم الجيوش التى كونت فى التاريخ كله من حيث التسليح والتدريب والقيادة ، وبقى شىء واحد تحويل أطماع المانيا السياسية والاقتصادية الى خطة عسكرية يمكن تنفيذها لتحقيق الغايات ، وهنا يبدأ دور هيئة الاركان العامة الالمانية المختارة، وخير مايقال عنها هو أن نعبر عن صفاتها على لسان الجنرال **فون زيخت** الذى قام فيما بعـد باعادة تكوين جيش المانيا من العدم بعد الحرب العالميـة الاولى تحت ظروف ابسط ما يقال عنها انها مستحيلة

يقول **فون زيخت** ان واجب هيئة الاركان الالمانية لم يكن خلق جيل من عباقرة القادة العسكريين وانما فى ايجاد طاقم أو مجموعة حديثة من الضباط بحيث ينتهى الامر بايجاد جيل يفكر فى حل مشاكل بلاده العسكرية بطريقة متشابهة فى أسسها ويستطيع أى منهم أن يقوم بواجبات أى زميل من رتبة مساوية بحيث لايكون لخسارة الافراد أو لتغييرهم اثر يذكر فى تخطيط العمليات أو ادارتها فيما بعد . ويخضع هذا الطاقم كله لارادة القائد الاعلى التى يعبر عنها بلسان رئيس هذه الهيئة الذى يحول رغباته الى خطط قابلة للتنفيذ وهو وحده الذى يملك القـدرة على أى اجتهـاد أو ابتكار ولا يجب لمرؤوسيه أن يفعلوا اكثر من تحـويل افكاره الى عمليـات بما لا يمس روحها .

ولنلق نظرة سريعة على هذا الجهاز الذى تركزت على امتيازه وفاعليته مصائر البشر والتاريخ : قام الفيلد مارشـال **فون مولتكه** الكبير بخلق هذا الجهاز وايجاده ؟ وحدد الاسس التى يعمل عليها فى تعليماته التى اصـدرها فى ١٨٦٨ ــ ١٨٦٩ بخصـوص العمليـات :

تقضى خطة العمليات الخاصـة بهجومنا على فرنسا فى العثـور على القوة الرئيسية للعـدو ومهاجمتها اينما وجدت . والصعوبة تكمن فى تنفيذ هذه الخطة البسيطة بحشود كبيرة . نقطة التعبئة مجهزة بكل تفاصيلها . وهناك ستة خطوط حديدية جاهزة لنقل جيوشنا الى المنطقة مابين نهرى الموزيل والراين . وجداول التحركات التى تحدد لحظـة التحرك بالضبط ومناطق تجمع كل الوحدات جاهزة ، واذا ماامتلكنا معابر على الانهار فسنكون فى موقف يسمح لنا بالهجوم بعد اليوم الرابع عشر للتعبئـة بوقت قصير بتفوق عددى اكثر من الضعف .

وهكذا نرى ان اسلوب مولتكه فى تنفيذ عقائد **كلاوز فيتز** يعتمد على العثور على جيش العـدو وتدميره بقوات متفوقة توفرها تعبئة القوة البشرية لامة باكملها وتخطيط دقيق فى وقت السلم قبـل العمليات . وبالطبع لايجب أن ننسى وسائل النقل الالمانية الدقيقة وعامل وجود قسم خاص بالسكك الحديدية ضمن تنظيم هيئة الاركان يتولى السيطرة الفعلية على المواصلات زمن الحرب .

وبمجرد اتخاذ **القيصر** لموقفه المتعنت فى مجال السياسة الخارجية وادراك هيئة الاركان العامة انها ستواجه الموقف الذى كانت تخشـاه وتعمـل على تجنبه أى انها ستقاتل فى الجبهتين الشرقيـة والغربية ، بدات هذه الهيئة بما تفرضه تقاليدها واساليبها العسـكرية الصـارمة تدرس الموقف بطريقة عقلية لا عاطفة فيها ولا مجال فيهـا لاى مشاعر انسانية ، سواء بالنسبة للشعب الالمانى أو بالنسبة للشعوب المجاورة ، وانما الاساس هو « مصـالح » المانيا وحدها .

ودون التوسـع باكثر مما فعلت فى تفاصيـل التطورات المؤدية للموقف العسكرى فى صـورته النهائية فاكتفى بأن اذكر أن رئيس هيئة اركان حرب القوات المسلحة الالمانية فى المرحلة الحاسمة كان الكونت **الفريد فون شلايفن** اكبر عقلية عسكرية فى مطلع القرن العشرين .

وعندما بحث شلايفن فى سجلات التاريخ عن موقف مشابه وقفته المانيا وجد أن فريدريك الاكبر استغل خطوط مواصلاته الداخلية وموقعه المتوسط بين اعدائه احسن استغلال فقـد هزم الجيوش الفرنسية والنمسوية فى معركة روسبا فى نوفمبر ١٧٥٧ ثم اسرع الى سيليزيا بجيش قوته اثنين وثلاثين الفا وبعملية التفاف باهرة هزم ثمانين الف نمسوى فى معركة لويثن . وكما يقـول استاذنا الدكتور **والتر جيرلتيز** فى كتابه عن تاريخ هيئـة الاركان

العامة الالمانية فان هذين التصرفين لم يهيئا الحرب.
ولكن الذى سيطر على فكر شلايفن هو فكرة ضرب عدو ثم استغلال خطوط المواصلات في الانتقال بسرعة لضرب الاخر ، فاذا ما اضفنا لهذا الانفصال الجغرافى بين فرنسا وروسيا وهما العدوين المحتملين فان هذا وجهه صوب حل المشكلة على اساس يقارب اجراءات فريدريك لملافاة الموقف الدقيق .

وكان اساس الخطة بسيطا فهو يقضي بضرب أحد العدوين بحشد اغلب القوى المتيسرة ضده ثم الاندفاع باقصى سرعة وعنف نحو الاخر . وكان مولتكه قد ضمن سرعة الضربة بتحويله خطوط شبكة السكك الحديدية الى سلاح عسكرى خطير دقيق التنظيم . وبقي على شلايفن ان يضيف عنصر الكتلة الي عنصر السرعة ولذا فانه طالب بتدعيم الجيش . ورغم عدم نجاحه في هذا الا انه مابين ١٨٩٣ ، ١٩٠٥ استطاع ان يشكل ثلاثة فيالق جديدة كما تم تطوير كبير في الاسلحة الفنية : فقد اهتم شلايفن بتطوير الوسائل العسكرية للمواصلات بواسطة التلغراف والتليفون والهليوجراف [جهاز يعكس اشعة الشمس] ولكنه لم يلتفت للامكانيات العسكرية الكامنة فى آلة الاحتراق الداخلي واهم تجديد ادخله هو فى تزويد الجيش بمدفعية ثقيلة العيار [١٥٠ مم ، ٢١٠ مم] ولكنها خفيفة الحركة.

وكانت المشكلة الاساسية في اعداد خطة الهجوم هي اختيار الجبهة التي توجه اليها الضربة الاولى باقصى احتمالات للنجاح . وفي اول الامر استمر شلايفن في تمسكه بوجهة نظر سلفيه مولتكه ووالدرسي فى توجيه الضربة الاولى للجبهة الشرقية اي لروسيا . ولكن شلايفن وجه نظره بمرور الزمن الى الجبهة الغربية : فقد جاءته فكرة أن يتحرك حول سلسلة الحصون الفرنسية الى ماورائها ويجبر بذلك العدو على القتال بعد أن يعكس اتجاهه أو يغير مواجهته بما فى ذلك من اعباء تحريك واعداد للقتال اثناء المعركة وليس قبلها وهي عملية خطيرة للغاية . واذكر القارىء بأن آريبلا كانت مبنية على اساءة تحريك القوات وليس على تقصير أو انعدام الكفاءة القتالية للوحدات الصغرى . وبعد تطورات كثيرة لا داعى لمتابعتها بالتفصيل الان ، وصلت خطة شلايفن الى صورتها النهائية كما نعرفها اليوم ، وكان هذا في عام ١٩٠٥ . وتبعا للخطة الاصلية كانت القوة الاساسية للجيش الغربي ستتجمع في مواجهة بلجيكا مع وضع سبعة جيوش على يسارها نحو الجنوب لتغطي باقي حدود المانيا حتى سويسرا وباختصار فقد كان على قوة ضخمة ان تقوم بحركة التفاف هائلة عبر بلجيكا مرتكزة على الخط الممتد من دايد نهوفن ، فى المانيا الى متز وتشتبك بالاعداء فى حوض نهر السين بحيث يدفع للخلف حتى يواجه ماكان مفروضا أن يكون مؤخرته ويقاتل وفى مؤخرته الجديدة سلسلة حصونه الدفاعية على الحدود .

وبالنسبة للجبهة الشرقية كان سيقوم جيش ضعيف من ثلاثة فيالق مشاة ومعها اربع فرق احتياطية وفرقتان الى اربع من الخيالة وبعض قوات الحرس الوطنى بتغطية بروسيا الشرقية ، وفي نفس الوقت يقوم الجيش النمسوى بمشاغلة الروس وجذب انتباههم فى غاليسيا .

وعيب هذه الخطة أن شلايفن كان يتوقع أن تتحرك كل هذه القوات الضخمة بدقة مثل قوة صغيرة في استعراض . كما أن الخطة تجاهلت كل ما اشار اليه كلاوز فيتز من احداث غير متوقعة وتطورات طارئة وهو ما كان يعتبره شيئا لامفر منه فى كل حرب .

ولكن لم يقدر لا للخطة ان تنفذ كما وضعها شلايفن ولا لصاحبها ان يراها وهى تتحول الى سلسلة من الاخطاء تنتهي بتحويل مايعتبر خطة من أفضل ماوضع في تاريخ الحروب الى فوضى بسبب ضعف القائمين بالتنفيذ ، أو بالاحرى عدم بلوغهم المستوى المطلوب لتنفيذ مثل هذه الخطة الممتازة ، ومع هذا فيجب أن نقول عنها أنه عندما نضع فى اعتبارنا امتياز الاداة العسكرية الالمانية التي دخلت الميدان في ١٩١٤ فلا شك أنها لو نفذت بواسطة قائد قوى لحققت نجاحا مبدئيا حاسما ولخرجت فرنسا من الحرب ولاصبح الحال يتوقف على خروج انجلترا او روسيا من النزال ولكن فى ضوء العلم بالاحداث الذي توفره النظرة للخلف يمكن القول بأن هذا لم يكن ممكنا أن يحدث . وهنا نصل الى حقيقة هامة لاجدال فيها :

فالفكرة العسكرية البحتة القائلة بأن نصرا عسكريا واحدا يمكن ان يحقق تسوية سياسية دائمة كانت من اخطر الافكار الخاطئة التى انتشرت فى هذا الحين . فلم يكن من المعروف بعد ان الحرب في مجالها الحالي تطلق كل طاقات الشعوب من القماقم التي تدخلها في ازمنة السلم وانعدام الخطر وزيادة الترف وزيادة اهتمام الافراد بمصالحهم الشخصية ، وكل هذا ينعدم عندما يبرز الخطر وتكشر الهزيمة بكل ماتحمله من معان لاى شعب عن انيابها . ونظرا للتطورات الحديثة في مجال التكنولوجيا والاقتصاد وزيادة السكان فان هذه الطاقات ضخمة بحيث تمكن اى أمة تعرضت لهزيمة حاسمة من استعادة قدراتها بطريقة مذهلة .

ولم تلق خطة شلايفن ولا اسلوبه في اعداد الجيش لتنفيذها التأييد الذى قد يتخيله البعض من هيئة الاركان ولا من زملائه القادة الكبار . واهم معارضيه كان الجنرال **فون شليختينج** وكان من كبار الكتاب العسكريين فى المانيا . وكان يعارض

خريطة تبين توزيع الجيوش الالمانية والفرنسية فى اغسطس ١٩١٤ وتبين من اتجاه تحرك الجيش الاول الالمانى فى اقصى الشمال انه كان من المفروض ان يقوم بحركة التطويق بحيث تنتهى غربى باريس ولكن وجود الجيش الانجليزى بطريقة مفاجئة اجبر القائد الالمانى لهذا الجيش (فون كلوك) على ان يضغط حركة التطويق بحيث انتهت على نهر المارن شرق باريس مما وضع العاصمة الفرنسية وبالتالى الاحتياطى الاستراتيجى الفرنسى فى جنب الجيش الاول وبذا اصبح موقفه التكتيكى صعبا للغاية .

اتجاه الهجوم الأصلى للجيش الأول الألمانى حسب الخطة .

التعديل الذى حدث ونجم عنه فشل الخطة .

بشدة الاعتماد الاعمى على خطة تغطي كل تفاصيل ادارة المعركة مقدما . ورفض فكرة ان النصر ماهو الا نتيجة لمجموعة من القواعد او الوصفات التي تؤدي للنجاح . وقد دافع عن ضرورة وجود مبادىء اكثر مرونة وأهم منها حق المرؤوسين في التفكير وتحمل المسئولية . ولكن هذا كان يستدعي وجود مجموعة من قادة التشكيلات الذين يتم اعـدادهم للقيام بتنفيذ هذا الاسلوب، ولكن عصر غليوم الثاني لم يكن يشجع مثل هذه الروح ولم يحاول شلايفن ان يعالج هذا النقص .

واساس فكرة شلايفن واضح انها قائمة على كلاناي أو التطويق ولو انه من جانب واحد ونسي ان هذه المعركة في حد ذاتها التي ابيد فيها الجيش الروماني كله هي دليل حاسم على ان معركة واحدة لاتنهي الحرب .

وخلف شلايفن في ١٩٠٥ في منصبه **فون مولتكه** الصغير[وهو ابن أخ الفيلد مارشال مولتكه العظيم] ولم يكن به أي من صفات عمه وكل الذي تميز به منظر مهيب وطلعة بهية في حلته العسكرية بل انه هو نفسه لم يكذب على القيصر وصارحه منذ بداية الامر بأنه لايظن نفسه كفؤا للقيام بالمهمة المطلوبة .

وعند موت شلايفن كانت آخر كلماته : « **لاتنسوا ان تقووا الجناح الايمن** » وعندما اخذت الظـروف والاحداث تسرع بأوروبا نحو الحرب كانت هنـاك تعديلات جذرية تتم في صمت في خطة شلايفن ، فمولتكه لم يكن من الجراة بحيث يقبل المخاطرة بان يضع كل قوته في جناحه الايمن ويترك باقي الخط مكشوفا خصوصا وان الجيش الفرنسي بسـواء بطبيعة تكوين افراده وقياداته أو بتعاليمه في القتال كان سيقوم بالهجـوم كما سنرى عنـدما تعرض الخطة الفرنسية . ولذا فان مولتكه رفض فكرة ترك الالزاس وحوض الراين العلوي دون قـوات ساترة كافية . وبالطبع كان هناك سببا وجيها، فقد كان هناك خطر قيام جيش فرنسي قوي بالهجوم داخل جنوب المانيا وبذا يصبح في جنب الجناح الذي يقوم باجتياح بلجيكا ويهدد بعزله . وكان هناك قمم اقليم السار وكل هذه الاعتبارات انتهت بتعديل خطـة شلايفن بطريقة جذرية بحيث تم تقليل قوة الجناح الايمن حتى انتهى الامر بعدم قدرته على القيـام بالواجب المكلف به .

خطـــة مسـبقة تهـدمهـا
أحــــداث غير متوقعــــة

اما بالنسبة للجيش الفرنسي بقيادة **جوفر** فان الحكومة الفرنسية التزمت باحترام حياد الاراضي البلجيكية ،مما اجبر القيادة الفرنسية على الهجوم المبـاشر في اتجاه الحدود الالمانية في المنطقـة المحصورة بين متز وسويسرا ،وكما تبين الخريطة المرفقة قام الفرنسيون بتوزيع جيوشهم في مواجهة الالمان بحيث تنفذ خطتهم الهجومية داخل المانيا .

وبالنسبة لميزان القوى العسكرية : دفعت المانيا بسبعة جيوش للهجوم على فرنسا تضم ٢١ فيلقا عاملا ، ١٣ فيلقا احتياطيا مجموعها ٦٨ فرقة .وفي مواجهتها الجيش البلجيكي الصغـير من ستة فرق والحملة البريطانية من اربعة فرق مشاة وفرقة خيالة، والجيش الفرنسي من ٤٢٠ فرقة عاملة ومعها ٢٧ فرقة احتياطية، وبذا تجمع للحلفاء الغربيين قوة تفوق اعداءهم . ولكن الموقف على الورق اختلف عنه في الواقع فالجيش البلجيكي كان يمكن اكتساحه قبـل ان يستطيع الفرنسيـون نجدته وبذا يخـرج من الصورة وبالنسبة للجيش البريطاني فلم يكن الالمان يتوقعون تدخله بسرعة أو بقوة تذكر .

وعندما نقارن بين تجميع الجيوش للجانبين نفهم على الفور عقلية القادة الفرنسيين والالمان والمبادىء التي تحكم تصرفاتهم .وكما نتوقع فان هذه المبادىء ناتجـة عن الدراسـة الدقيقة لمسائل تهم كلا الامتين وتبين ايضا اثر الفكر والخلق القومي . فالاستراتيجية ليست بالعلم المعنوي الذي يدرس تجميع وتحريك قطع من الشطرنج على لوحة ثابتة وانما يجب ان تدخل في اعتبارها المسائل السياسية ومعها دراسات دقيقة للغاية عن طبوغرافية [تحليل الارض] لمسرح العمليات المحتمل، وعن الزمن اللازم لتحريك اي قوة من مكان لاخر بواسطـة قواتنا والعدو وأهم من هذا كله :

الاستراتيجيـة صراع بين العقـول البشرية والناميتين لاتدريان الكثير ممـا يدور في الجانب الاخر ، وكلاهما تتعامل مع بشر من لحم ودم طاقة احتمالهم محدودة ويجب تغذيتهم والباسهم ومدهم بكل الوسائل التي تمكنهم من القتال تحت افضل الظـروف .

فالالمان كما راينا يحتاجون لتحقيق نتائج حاسمة بسرعة وكانوا يعتمدون في تحقيقها على ان يتمكنوا منذ البداية من حشد قوات متفوقـة عـدديا في القطاعات التي ينوون محاولة حسم المعركة فيها اي ضد الجناح الايسر للحلفاء والاثر السريع للهجوم من الجنب بالنسبة للهجوم المباشر بالمواجهة.ومع هذا فقد عاب المدرسة الالمانية انها كانت تغرس في الضباط شيئا من الجمود الفكري بسبب طول الدراسات وتفصيلها بحيث اصبح كل التحضـير آليا بحيث ان اي خروج عما هو مرسوم قد يخـل بالخطـة كلها .

واخيرا بدات العمليات وكل مايجب ان نذكره هنا ان الالمان لم يعلموا بوصول الجيش البريطاني وانه اتخذ مواقعـه على يسار الجيش الفرنسي

الخامس الا بعد ان اشتبك بأقصى جناحهم الايمن بالفعل .

وبدا الهجوم من الطرفين ، بينما كان الجيش الالماني الاول في اقصى اليمين ما يزال يشق طريقه عبر تحصينات بلجيكا في منتصف أغسطس كانت خطة الفرنسيين على حدودهم المباشرة مع المانيا قد بدات واستمرت حتى ٢٥ اغسطس حيث انتهت بصد الفرنسيين على طول الخطة وتكبدهم لخسائر فادحة بلغت حوالي ثلاثمائة الف بين قتيل وجريح ومفقود، وهذه الهزيمة في الواقع خدمت الفرنسيين خدمة جليلة لانهـا ردت بقلب هجومهم وجناحهم الايسر نحو باريس ،وبذا اصبحت قواتهم غير بعيدة عن نقطة التفاف الجيش الالماني في الجناح الايمن عما هو كان مفروضـا أن يكون مؤخرة الجيوش الفرنسية .



ولكن مولتكه الغبي ابتهج بهذه النتائج التكتيكية لدرجة أنه اعتقد أنه كسب المعركة الحاسمـة في فرنسا بالفعل ، ولقلقه من الانباء التي كان يتلقاها من قواته في بروسيا الشرقية من الجيش الروسي ،فقد قرر ان يدعمها بفيلقين من المشاة وفرقة خيـالة يسحبها من الجبهة الفرنسية وبدلا من أن يأخذها من جناحه الايسر فقد سحبها من الجيشين الالمانيين الثاني والثالث اللذين كانا يكونان جزءا من الجناح الايمن القائم بحركة الالتفاف والتطويق وكانا قد تركا قبلها ثلاثة فيالق اضافية لتقوم بمراقبة الجيش البلجيكي الذي لجأ بعد الصدمة الاولى الى دفاعاته في انتويرب . هذا التخفيض الكبير في قوة الجناح الايمن بالاضافة لفقدان مولتكه لاي سيطرة على جيوشه نتج عنه انكماش خطير للداخل في حركة الالتفاف أدت لان ينجذب الجيش الالماني الاول في اتجاه جنوب الشرق بحيث وصل قبالة باريس من الشرق بدلا من أن يتقدم ليطوقها من الغرب كما تقضي الخطة الاصلية،وهكذا ترك العاصمة الفرنسية وهي مركزا هاما للخطوط الحديدية دون عزلها .

وفي هذه الفترة الحرجـة كان جوفر قد كون بالفعل جيشا جديدا لحماية العاصمة هو الجيش السادس وهذا الجيش خرج بالفعل من العاصمة في الرابع من سبتمبر وضرب اقصى يمين الخطـة الالمانية من الجنب وتطور القتال في ميمنة الالمان لدرجة ان قائد الجيش الاول بدا يسحب قوات من مواجهته لكي يدعم جنبه الايمن المعرض للهجـوم القـادم من باريس ، وهذا فتح ثغرة بينه وبين الجيش الذي عـلى يمينه دخـل فيها الجيش البريطـاني عـلى الفـور . وانتهى الامـر بانسحاب عام للجيش الالماني بعد أن فشل في تنفيذ الخطة الممتازة ولكنه توقف على نهر الآين وواجه المطاردين ، وبدأ سباق بين الطرفين نحو البحر محاولين تطويق خصومهم وانتهى الامر بتكوين خط مستمر من الخنادق من حدود سويسرا حتى بحر الشمال .

وبذا بدات حرب الخنادق التي ظلت اربعة اعوام تبارى فيها الطرفان في تقديم الضحايا لاله الحرب في معارك بشعة يشوبها جمود عقلي وتكتيكي لم يحدث له نظير طوال التاريخ العسكري وهو شيء طبيعي فالرصاص والقنابل اقسوى من الاجساد البشرية بالطبع . وانحصرت المشـكلة في اعادة عنصر الحركة الى المعركة الرهيبة . وكان الحـل يتوقف على التغلب على عامـل مكون مـن ثلاثة عناصر : الرصاصة أو المقذوف عموما بغض النظر عن عياره والمعول والاسلاك الشائكة . وحاول القادة العسكريون في محاولة حلها بالطرق التقليدية فقد اتجهوا صـوب استخدام حشـود هائلة من المدفعيـة بغرض فتح ثغرة في جبهة الخنـادق المعادية .ولكن في خريف عام ١٩١٤ لم يكن متيسرا مايلزم من مدفعية أو حتى كمية الذخيرة المطلوبة لمثل هذا العمل . ولم يكن التطور التكتيكي قد وصل الى مستوى يسمح بالتفكير في اساليب التغلغل والتسرب . كما أن القيادات لم تقدر قوة المدفعية تقديرا سليما ونسوا أيضا أن كميات الذخيرة تتوقف على القدرة الانتاجية للمصانع .

اما بالنسبة للجبهة الروسية فان ماحدث فيهـا كان سريعا وحاسما ومؤلما للغاية : تقدم الروس بجيشـين مرتكزين على البحـيرات المازورية في بولندا وبدأوا في غزو بروسيا الشرقية بالفعـل وانسحب الجيش الالماني الضعيف امامهم وهنا حدث شيء يجب ان نفحصه بعناية اذ قام القيصر بارسال **هندنبورج** ليتولى القيادة وارسل معه ضابطا برتبة عقيـد اسمه **لودندورف** كان قد برز في عمليـات اجتياح الحصون البلجيكية ليعمل كرئيس لهيئـة اركانحربه . وتلى هذا معركة قصيرة حاسمة، اجملها في أن القيادة الالمانية الممتازة الجديدة قامت باستغـلال ستارتها من الخيالة وبعـض وسائل التمويه في خداع أحد الجيشين الروسيين ثم سحبت ماوراء الستارة من قوات وحشدتها مع القـوات التي كانت تواجه الجيش الاخر وقضت عليه بسرعة ثم استغلت امتياز السكك الحديدية في اعادة نقل القوة المحشودة كلها نحو الجيش الاخر واصابته،

وابيد تماما وتسمى المعركة بناحيةتاننبرج وبعدها ظل الموقف على الجبهة الشرقية متجمدا من الناحيتين التكتيكية والاستراتيجية ولم يحدث فيه أى شيء يستحق الذكر على الاطلاق سوى خسارة الجنس البشرى لعدة ملايين من ارواح الشباب وهى لاقيمة لها طبعا فى نظر شهوة السلطان والطموح المجنون ، وظل الموقف على ماهوعليه هناك حتى ثورة مارس ١٩١٧ ، ثم ماتلى ذلك من احداث أنتهت بخروج روسيا من الحرب .

بدأت بعد هذا فى الجبهة الغربيه مرحلةجديدة من القتال تسمى فى اللغة العسكرية معارك التعرية Battles of Attrition

وطوال عام ١٩١٥ ، ١٩١٦ كانت الفكرة هى القيام بهجمات محلية يسبقها قصفا تحضيريا عنيفا بالمدفعية المحشوده باعداد ضخمة ليتمكن المشاة من احتلال اجزاء من الجبهه المعاديه او القطاع الذى يتم عليه الهجوم كله . وبالطبع لم يمكن لهذا الاسلوب إن يحقق اى نتائج تذكر سوى الخسائر الفادحة فى الارواح التى بلغت حدودا فلكية فى أرقامها . فقد فشل العسكريون فى تقدير انه كلما زادت كمية القنابل المقذوفة على خنادق العدو كلما أدى هذا لجعل الارض مليئة بالحفر وبذا كانوا يوجدون فىوجه جنودهم عائقا خطيرا فىمحاولتهم ازالة العائق الاصلى .

احياء عنصر الحركة

الغازات والدبابات

يجبان نفهم انهبدون جنود المشاةفان الخنادق لاتزيد عن كونها حفرا لاقيمة لها ،اى انكل قيمتها التكتيكيه تتوقف على الرجل المسلح الذى يحتلها بالفعل . ومنهنا ينوقف الحلعلى قتله او تعجيزه عن أستخدام سلاحه . ويجب ان يكون الوصول الى احدى الغايتين سريعا دون تحضيرات طويلة تنفى عنصر المفاجأة ودون تحضيرات كثيفة من المدفعية تقلب الارض التى ستتقدم عبرها القوات المهاجمة ، وكان الالمان اولمن اتبعوا الاتجاه المؤدي لحل سليم : فقد قرروا استخدام غاز الكلور الخانق فى شل حاميات خنادق اعدائهم .وهو منتج تجاري رخيص واستخدموا فى اطلاقه اسطوانات معدنية توضع امام الخنادق الامامية . ولكن لحسن حظ الحلفاءفان الالمانلم يدركوا انهم حصلوا ابذلك على سلاح حاسم بالفعلولذا فانهم بدلا من ان ينتظروا حتى يتم تخزين كميات كبيرة تكفى للهجوم على جبهة واسعة فانهم اعتبروا العملية تجربة ثانوية . وقاموا بها فى قطاع محدود وكان اثره مخيفا بالفعل فكل الجنود القريبون من الجبهة اختنقوا حتى الموت وارتد الباقون للخلففى حالة ذعر . ورغم إستخدام الالمان للغاز مرة اخرى على نطاق محدود ، ولكن الحلفاء لجأوا لاستخدام الوسائل المضادة مثل الكمامات والاقنعة المشبعة بمواد تقاوم تأثيره .

وكان للهجوم بالغازات عيوب كثيره فقد كان يعتمد فى تاثيره كليا على اتجاه الريح وسرعتها : وهنا لجا الطرفان لصناعة دانات الغاز لاطلاقها بواسطة المدفعية وهى سلاحمستقل تماما عن تأثير الرياح يمكن من قذف تجمعات مفاجئة على اغراض مختارة معاستخدام غازاتاخطر من الكلور مثل الخردل والفوسجين ، وانتهىالامر بأن استخدمه الطرفان بكميات كبيره . اما الحل الثانى لانهاء الجمودفقد كان فىنزع سلاح المدافعين وذلك بجعل اسلحتهم غير فعالة بالنسبة للمهاجمين وذلك بان يقوموا باستخدام الدروع التى لاتخترقها النيران وحيث أن الدرع سيكون ثقيلا فيجب تحميله على هيكل ذاتى الحركة، ومكنت آلة الاحتراقالداخلى منحلهذهالمشكلة ،وحيثإن الغربة كانتستتحرك بعيدا عن الطرق ، وعبرارضتغطيهاالخنادق،فان العجلات كانت غير مناسبة ولا بد من تزويدها بجنزير وهذه الشروط الثلاثةادتلاختراع الدبابة.

ودون الدخول فى تفاصيل فنية فقد كان الانجليز اول من صنعها وتلاهم الفرنسيون بفارق زمنى طفيف . وقد استخدمها الاولون فى ١٥ سبتمبر ١٩١٦ فى معركة السوم ، ولكن نتيجة للاعطال التى تسببت عن الخنادق وحفر الميدان فلم يدخل المعركة منها سوى عدد قليل ولكنه كان كافيا لان يقول عنه التقرير الالمانى عن المعركة : « أن الجنود شعروا بعدم جدوى مقاومتهم للدبابات إى انهم شعروا بأنهم مجردون من السلاح ! »

أما اول معركة استخدمت فيها الدبابات استخداما سليما يناسب إمكانياتها الهائلة ، فهى كامبراى ، يوم ٣٠ نوفمبر ١٩١٧ . وكان الغرض من هذه العملية تحقيق اختراق مفاجيء لاربعة اميال من الخنادق فى الاثنتى عشرة ساعة،دون اى تمهيد من المدفعية . وقد أستخدمت تسع كتائب من الدبابات ، تضم ٣٧٨ دبابة لقيادة الهجوم الذى قام به فيلقان ، اى اربع فرق من المشاة عبر خط سيجفريد ، وهو من امنع الخطوط الدفاعية فى الجبهة الغربية . ونجح الهجوم الذى بدأ فى السادسة صباحا نجاحا باهرا للغاية ، وحقق اغراضه .

وفى معركة اميان الناجحة فى ٨ اغسطس ١٩١٨ ، اثبتت الدبابة قدرتها على اعادة الحركة ، وبالتالى القدرة على القيادة الى الجبهة المشلولة او بالاحرى اعادت الدبابات لضباط العمليات صفاتهم . وأنهت عهد سيطرة فرع الشئون الادارية الذى تسيد الجيوش يوم ان كانت المدفعية هى سيدة المعارك ، حيث ان المدافع

تتطلب كميات كبيرة من الذخيرة ، وهذا بالاضافة الى عمليات نقلها من مسئولية الشئون الادارية .

وفى معركة اميان قامت ٤٦٢ دبابة بقيادة ثلاثة فيالق انجليزية الى المعركة ، ومرة أخرى كانت المفاجأة كاملة ، وساد الذعر خطوط الدفاع وامكن اختراق الجبهة الالمانية . وكان عنوان التقرير الالمانى عن هذه المعركة : « كارثة ٨ اغسطس ١٩١٨ » . وبدون الدبابة لم تكن المفاجأة ممكنة ، وكانت هى التى بثت الذعر ، بالاضافة للشعور الكلى بالعجز والشلل لجندى المشاة ، عندما يواجه خصما لاتؤثر فيه رصاصاته .

وفى مارس ١٩١٧ ، شبت الثورة فى روسيا ولكن الحكومة الجديدة قررت التزامها بمساندة الحلفاء ، والاستمرار فى الحرب ، وفى نوفمبر استولى الحزب الشيوعى على الحكم فى روسيا ومنذ هذا الحين يمكن اعتبار ان روسيا خرجت من الحرب فعلا . ورغم ان هذا مكن المانيا من نقل قوات ضخمة من الجبهة الشرقية الى الجبهة الغربية فان هذا لم يتم الا فى اوائل عام ١٩١٨ ، وكانت امريكا قد دخلت الحرب قبلها بزمن طويل فى ابريل ١٩١٧ ، نتيجة لضغوط كثيرة من حيث التجاء المانيا لحرب الغواصات وضربها لبعض السفن الامريكية ، وللنفوذ الصهيونى فى امريكا وهو عنصر حقيقى، ولا أكتبه فى مجال الدعاية ، وانما كان وعد بلفور المشئوم هو الثمن الحقيقى للقيام بهذا الضغط من جانب الصهاينة الامريكيين.

وقررت القيادة الالمانية ان تقوم بالهجوم فى ربيع عام ١٩١٨ ، لتحسم الحرب قبل ان تبدأ المصانع الامريكية فى اغراق الجبهة بسيل انتاجها الضخم . وحقق الهجوم نجاحا مبدئيا ، ولكنه لم يدم طويلا ، وانتهى الامر بتوقفه دون الوصول لأى نتائج استراتيجية تذكر . ولا يهمنى فى هذا المجال ان ادعى للجانب العسكرى البحت انهاء الحرب ، لان الذى حسم المرحلة الاخيرة من الحرب العالمية الاولى ، هو انهيار الجبهات الداخلية للشعوب المهزومة ، وليس اى عمل عسكرى بحت .

فاهم العوامل التى يمكن ان نرجع اليها انهيار المانيا والنمسا ، كانت فى عمليات الحصار البحرى الذى ضربه الاسطول الانجليزى وشمل به كل واردات المانيا من الموارد الاستراتيجية الحيوية بالنسبة للمجهود الحربى ، بالاضافة الى قيام الحكومة البريطانية بحملة دعاية بارعة .

كانت كل الاطراف المتحاربة فى ربيع عام ١٩١٧ ، مرهقة من الحرب لدرجة ان عدوى الثورة الروسية انتشرت غربا بسرعة البرق . فقد انتشرت حالات التمرد فى الجيش الالمانى المواجه لروسيا ، وانتقلت الى الجيش الفرنسى نفسه . وفى ايطاليا التى تخلت عن تحالفها مع المانيا فى اول الامر ، ثم دخلت الحرب ضدها فى ١٩١٥ ، قام اربعمائة الف جندى ايطالى بالتخلى عن ميدان المعركة فى كارثة كابوريتو .

أما الحصار البحرى البريطانى فقد انتهى بأن ردت المانيا عليه بأنها ستستخدم غواصاتها ضد السفن التى تدخل المياه المحيطة ببريطانيا وايرلندا . وانتهى هذا بأن اغرقت غواصة المانية السفينة لوزيتانيا فى ٧ مايو عام ١٩١٥ ، وغرق معها ١٢٨ مواطنا امريكيا . وادى ذلك بتغير نفوس الامريكيين ، بل ومطالبة بعضهم بدخول الحرب . وحاول القيصر ان يتلافى اغضاب امريكا فأمر بايقاف الهجوم على سفن الركاب والسفن المحايدة . واستمر هذا الحال حتى ٣١ يناير عام ١٩١٧ ، حين عادت الغواصات الالمانية للهجوم على كل السفن دون تمييز . وفى ابريل من نفس العام اعلنت الولايات المتحدة الحرب على المانيا .

اثر الحصار البحرى على سكان دول الوسط ، وعلى الصناعة والزراعة ، ولولا قمح رومانيا واوكرانيا فى صيف عام ١٩١٨ ، لاضطرت المجاعة هذه الدول للاستسلام .

وحتى الحرب العالمية الاولى لم يكن من اهداف اى نظام حاكم ان يوجد فوضى اجتماعية فى دولة معادية . اما حرب الدعاية فهى بما يمكن من التأثير فى عقول الجماهير ، واهم أغراضها :

- تحريك المشاعر الجماهيرية وتحميسها فى الجبهة الداخلية .
- كسب الرأى العام فى الامم المحايدة .
- تضليل الرأى العام فى الجبهة الداخلية للعدو .

ويمكن تحقيق الغرض الاول بايقاظ الغرائز الكامنة فى الافراد ، ولكى يمكن توجيه طاقة هذه الغرائز ، فيجب تحويل الاعداء الى شياطين .

أما الغرض الثانى فيتم بجعل الدول المحايدة تقبل ، بل وتؤمن بالكلام المغرض الموجه لعقول شعوبها ، كما فعلت الدعاية البريطانية بنجاح فى الولايات المتحدة . وهى لم تتورع فى ان تصور للشعب الامريكى ان الجنود الالمان يقطعون ايدى الاطفال فى بلجيكا .

أما الغرض الثالث ، فهو تخريب العدو نفسيا بتدمير الولاء الشعبى للحكم ، واذكاء روح التمرد فى صفوف الجيش، وبذلك تنزع سلاحهم نفسيا .

وكان اثر المنتصرين — الحصار البحرى والدعاية — لدرجة ان الجنرال **لودندورف** رئيس هيئة الاركان العامة فى المانيا فى سنوات الحرب الاخيره يكرر الاشارة اليها فى مذكراته ، على انها اهم عوامل هزيمة المانيا .. اذ يقول « ان الحصار البحرى الذى حرمنا من المواد الغذائية ، ودعاية الاعداء ضدنا سارت قدما مع القتال ضد جيوشنا ، وكانت عبئا ثقيلا على الشعب والجيش زاد اثره كلما استمرت الحرب » .

ونتيجة لمعركة اميان فى ٨ اغسطس ، والهزائم التى تلاحقت بعدها على الجيش الالمانى فقد اخطر لودندورف قائده هنستبورج يوم ٢٨ سبتمبر بانه لا يستطيع تأجيل طلب الهدنة اكثر من هذا . وفى الثالث من اكتوبر ، وجه المستشار الالمانى مذكرة للرئيس الامريكى **ويلسون** ، اخطره ان الحكومة الالمانية قررت قبول « الاربع عشرة نقطة » التى كان قد اعلنها كأساس لانهاء الحرب فى ٨ يناير ١٩١٨ . ولكن الرئيس الامريكى رفض فكرة التفاوض مع الحزب العسكرى الالمانى او القيصر ، وابلغ الحكومة الالمانية انه لو اضطر للتفاوض معهم فانه سيطالب المانيا بالاستسلام غير المشروط بدلا من التفاوض على الصلح . وهذا كان يعنى سقوط نظام الحكم فى المانيا . وفى ٣ نوفمبر تنازل القيصر عن العرش ، وفى ١١ منه وقعت شروط الهدنة فى غابة كومبيين فى فرنسا .

وسقطت امبراطورية النمسا — المجر وسادت الفوضى بذلك أوروبا كلها .

وهنا اعتذر للقارىء عن عاملين : اذ اننى لم اصف الحرب بشىء اكبر من التفصيل ، وذلك يرجع لان الاساليب المستخدمة كانت عتيقة ، ولو انها مصدر لكل المدارس التى ظهرت فيما سأكتب عنه بتفصيل اكبر فى التمهيد للحرب العالمية الثانية . والامر الثانى هو عدم تعرضى فى هذا المقال للثورة الروسية بتفصيل اكبر ايضا ، رغم ما لها من آثار عميقة الاثر .

والآن ننتقل الى اسس الصلح الذى انهى الحرب العالمية الاولى ، ومهد الارض للحرب العالمية الثانية : مأساة فرساى .

يقول الاستاذ **فيريزو** مدرس القانون الدولى الضليع فى محاضرة له القاها عام ١٩٣٠ : « ان حضارتنا تعرف الحرب بدرجة كافية ، ولكنها نسيت معنى السلام » . وهذا ينطبق على معاهدة فرساى بالفعل التى خير ما يقال عنها ان الجانب المنتصر فرض ارادته فيها على المهزوم دون اى اعتبار للمصلحة او الكرامة ، او ان المنتصر حول السلام الى اداة للسيطرة . فقد استمر الحلفاء فى حصارهم البحرى لالمانيا بعد الهدنة حتى يوليو عام ١٩١٩ ، وبذا وضع المنتصرون سيفهم على عنق المهزوم ، حتى وافق على توقيع معاهدة صلح مملاة عليه املاء . وكان هذا عملا غبيا للغاية ، فكما قال القانونى **فاتيل** قبلها بأكثر من قرن ونصف ، ان الصلح غير العادل ظلم لا تتحمله اى امة الا لافتقارها لوسائل نقضه واحقاق حقها بالسيف .

وفى الخامس من نوفمبر عام ١٩١٨ ، بعث الرئيس الامريكى للالمان بشروطه التى اتفقت عليها حكومات الحلفاء واعلنوا فيها رغبتهم فى مصالحة المانيا على اساس شروط الرئيس الامريكى التى حددها للكونجرس فى خطابه فى ٨ يناير عام ١٩١٨ .

وقد قبلها الالمان على الفور ، لان شعبهم كان يتضور جوعا ، ووقع مندوبوهم الشروط فى ١١ نوفمبر . ومع هذا فعندما فرضت عليها معاهدة فرساى فى ٢٨ يونيه عام ١٩١٩ ، حدث تجاهل فاضح لتسعة عشر شرطا من ثلاثة وعشرين قدمها ويلسون كأساس للصلح . وكما يقول الجنرال **فولر** فى كتابه الممتاز Conduct of War ادارة الحرب — ان هذا حدث نتيجة لتفاعل المثل العليا فى اسمى صورها مع ادنا واخس المبادىء ، وانه ناتج عن اختلاف شخصيات المأساة الرئيسيين ، وهم : الرئيس الامريكى ويلسون والرئيس الفرنسى كليمنصو ، ورئيس الوزراء البريطانى **لويد جورج** ، الذين صمموا — كل على طريقته — على ارضاء عواطف جموع الشعوب الديمقراطية . فقد كان ويلسون خياليا فى افكاره ، ويعيش فى برج عاجى يسمح له بأن يتصور كثيرا من الامور التى لا تتناسب اطلاقا مع طباع وانفعالات الجموع البشرية .

اما كليمنصو ، فقد كان رجلا عجوزا ، ويكفى لكى نفهم دوافعه انه عندما سمع بقبول المانيا لشروط الهدنة قال بحماس : « لقد حل احيرا اليوم الذى ظللت اترقبه طوال نصف قرن — لقد حان وقت الانتقام » . وكان محور سياسته ارجاع عقارب ساعة الزمن للخلف ، وتدمير كل ما حققته المانيا منذ عام ١٨٧٠ . وكان هو المسيطر على المؤتمر وليس الرئيس الامريكى .

اما دافيد لويد جورج ، فقد كان يعرف جيدا ما يتطلبه السلام ، ولكن بسبب الموجة الحماسية الناتجة عن النصر ، فانه وضع القوة فى المقام الاول ، وقرر الرجوع لجموع الشعب البريطانى وبذلك يضمن لنفسه حكما على اساس متين يقوم على استغلال موجة المد العاطفى للشعب . وبذا سادت مشاعر التعصب القبلى البدائية مؤتمر الصلح ، ووجدت الديمقراطية فى شخص

كليمنصو داعية للعواطف الملتهبة بجنون النصر »

اجتمع المؤتمر فى فرساى بصفة رسمية فى ١٨ يناير ١٩١٩ ، وحيث ان واجبه كان رسم الخطوط التى تقوم عليها معاهدة السلام ، فان عمله كان يجب ان ينحصر فى ازالة الاسباب المؤدية للحرب . ويقول اللورد **كينز** : « ان اخطر المشكلات التى واجهت المؤتمر لم تكن سياسية أو أقليمية وانما كانت مسائل مالية اقتصادية . ولم تكن الاخطار نابعة من تحديد الحدود ومناطق السيادة وانما فى المواد الغذائية والمواد الخام ووسائل المواصلات » . ولكن بدلا من ان يعمل المؤتمر على تخفيفها فان القرارات زادت من حدة المشاكل . ومن المفيد فى هذا المجال ان نذكر اهم القرارات لانها فى الحقيقة تعتبر الاسباب الجذرية لكل ما حدث للعالم من ويلات انتهت بالحرب العالمية الثانية ، وبالتالى ماتعيشه البشرية من كابوس نووى لم يسبق له مثيل فى تاريخها . **فمن الناحية الاقليمية** : تقرر اعادة الالزاس واللورين الى فرنسا مع اعطاء الجزء الاكبر من مقاطعة بوزنان بسكانها الذين يبلغون ثلاثمائة الف المانى الى بولندا . وجعل ميناء دانتزيج مدينة حرة تحت سيطرة عصبة الامم رغم ان اغلبية سكانها المان . والتنازل عن اقليم يميل لليتوانيا وعن الين ومالميدى لبلجيكا . ونتج من هذه التنازلات نقل ملكية ٢٨ الف ميل مربع من الاراضى الالمانية يسكنها سبعة ملايين المانى الى سيادة دول اخرى . واخيرا تقرر حرمان المانيا من امبراطوريتها الاستعمارية وكانت الثالثة فى العالم من حيث المساحة .

ومن الناحية الصناعية : تقرر ان تتنازل المانيا عن اقليم السار لفرنسا لمدة خمسة عشر سنة مع تسليم مناجم الفحم فى سيليزيا العليا لبولندا . وكل هذه الاقتطاعات بالاضافة الى خسارة الالزاس واللورين حرمت المانيا من اكثر من ستين مليون طن من الفحم سنويا . كما انها اجبرت بعد كل هذا على توفير اربعين مليون طن أخرى من الفحم توزع لمدة عشر سنوات على كل من فرنسا وايطاليا وبلجيكا ولكسمبورج .

ومن الناحية التجارية : تقوم المانيا بتسليم ما يلى للدول المتحالفة : كل السفن التجارية التى تتعدى حمولتها ألف وستمائة طن ونصف السفن التى حمولتها ما بين الف طن والف وستمائة . وربع كاسحاتها واسطول سفن الصيد وعشرون فى المائة من مجموع حمولة اسطول النقل النهرى . ويضاف الى هذا خمسة آلاف قاطرة سكة حديد ومائة وخمسون الفا من عربات السكة الحديد فى حالة جيدة .

ومن الناحية المالية : تتم مصادرة كل رؤوس الاموال الالمانية المستغلة فى الخارج وكل ممتلكاتها العامة والخاصة وتشكل لجنة للتعويضات لتقدير ديون المانيا للحلفاء . وقد تم تحديدها فى عام ١٩٢١ بمائة واثنين وثلاثين مليارا من الماركات الذهبية وهو ما يوازى ستة آلاف وستمائة مليون جنيه استرلينى . وهذا يساوى ثلاثة وثلاثين ضعف التعويضات التى فرضتها المانيا على فرنسا فى ١٨٧١ .

ومن الناحية العسكرية : تعتبر منطقة الراينلاند منزوعة السلاح ، ويحرم الاسطول الالمانى الحربى من حيازة البوارج والغواصات وتحديد الجيش بقوة لا تتجاوز مائة الف جندى على اساس مدد خدمة طويلة مع عدم تطبيق نظام التجنيد الاجبارى . وحيث ان الجيش الالمانى حرم من امتلاك الدبابات والمدافع الثقيلة والطائرات والمدفعية المضادة للطائرات فانه لم يكن يزيد عن قوة لحفظ الامن الداخلى .

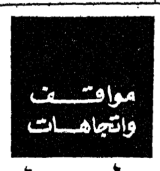
ومن الناحية الادبية : تقرر محاكمة كل القيادات فى مجالات الحياة المختلفة بما فى ذلك



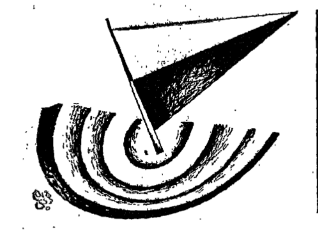
اغلب الامراء والقادة العسكريون امام محكمة مجرمى الحرب .

وكاهانة ختامية طالبت المعاهدة المانيا بان تعترف بجرمها ومسئوليتها عن الحرب .

قام كينز بفحص هذه الشروط وهو يحدد ان اهتمامه كان منصبا على النتائج التى تمخضت عنها وليس على مدى عدالتها ، وبالطبع هدم كل الاسس التى قامت عليها . وفى ديسمبر ١٩٢٢ عجزت المانيا عن دفع اقساط التعويضات . ولكى يتم اجبارها على الدفع فقد قامت فرنسا وبلجيكا باحتلال منطقة الروهر الصناعية . وتلا هذا انخفاض مروع فى قيمة المارك وفى نوفمبر التالى كان قد بلغ حدا خياليا وصل الى ان الدولار أصبح يساوى اربعة بليون مارك . ثم صار تثبيت سعر العملة على اساس بليون مارك للمارك الجديد . وفى ابريل ١٩٢٤ قامت لجنة امريكية بفحص الموقف واوصت بمنح المانيا قرضا قدره ثمانمائة مليون مارك ذهبى بغرض تغطية عملتها . وبمجرد الموافقة انهالت رؤوس الاموال الاجنبية على المانيا ، وحتى عام ١٩٢٩ وصلت صادراتها الى ضعف قيمة مدفوعات تعويضاتها . وبذا أصبحت التعويضات تدفع بواسطة اموال المستغلين الاجانب وليس عن طريق مدخرات الشعب الالمانى والضرائب المفروضة عليه .



حول المؤتمر الخامس لحزب العمال البولندى الموحد



ابو سيف يوسف

فى نوفمبر الماضى ، عقد حزب العمال البولندى مؤتمره العام الخامس. وقد تابع ابو سيف يوسف جلسات هذا المؤتمر الهام ، فى رحلة الى عدد من البلاد الاشتراكية . وفى هذا المقال ، يعرض ابو سيف يوسف رؤيته لاهم الاتجاهات والمواقف الفكرية والسياسية التى برزت خلال جلسات المؤتمر .

هذا المقال محاولة اولى للتعرف على عدد من القضايا الرئيسية التى طرحت فى المؤتمر الخامس « لحزب العمال البولندى الموحد» الذى عقد فى ١١ نوفمبر ١٩٦٨ . تلك القضايا التى اضفت على ذلك المؤتمر اهمية خاصة ، بحيث يجوز القول بانه اذا كان المؤتمر الخامس يمثل انعطافة حقيقية فى حياة بولندا ، فانه يعتبر — على النطاق الدولى — مؤشرا هاما لاحداث جرت ولا تزال تجرى فى العالم الاشتراكى ، بل ولاحداث هامة قادمة على صعيد الحركة الشيوعية والعمالية فى عامنا الجديد : عام ١٩٦٩ .

وقبل ان نعرض لهذه القضايا التى نوقشت نؤكد ان هذا المقال لا يغنى بحال عن قراءة الوثائق الكاملة للمؤتمر بما فى ذلك نصوص الكلمات التى القاها رؤساء وفود احزاب البلدان الاشتراكية: الاتحاد السوفياتى والمانيا الديموقراطية والمجر وبلغاريا . . الخ . والمهم بعد ذلك ان ندرس وثائق المؤتمر الخامس وان نوضع القضايا التى طرحت فيه داخل اطارين رئيسيين : الاطار الدولى ، والاطار القومى او المحلى .

وفيما يتعلق **بالاطار الدولى** ، فان المؤتمر تم انعقاده فى مرحلة من التطور العالمى تتسم بتعقيد شديد فى الاوضاع الدولية . وهو الامر الذى عكسه تقرير اللجنة المركزية ، وخطاب جومولكا الافتتاحى ، وخطب عدد من رؤساء وفود الاحزاب التى دعيت الى حضور المؤتمر . وهكذا نجد انه اذا كان ميزان القوى — على الصعيد العالمى — لا يزال يتغير لصالح الاشتراكية ولصالح قوى السلم والتحرر الوطنى

والديموقراطية ، الا ان الطابع العدوانى للامبريالية العدوانية يتزايد فى اتجاه :

— زيادة حدة التوتر الدولى فى فيتنام واوربا والشرق الاوسط .

— المحاولات المحمومة لنسف وحدة وتضامن البلدان الاشتراكية .

وفى هذا كله تجد بولندا نفسها امام اخطار حالة حقا : فازدياد النشاط العدوانى للامبرياليين ودعاة الانتقام فى المانيا الغربية هو واقع حى على الحدود البولندية يتهدد امنها الوطنى وسلامتها كبلد مستقل . اما المحاولات المحمومة للايقاع بين البلدان الاشتراكية فتتخذ اكثر من شكل واسلوب ، من الهجوم الايديولوجى السافر على الاشتراكية ، الى العمل لتفكيك معاهدة حلف وارسو ، مع ما يمثله هذا من خطر على النظام الاشتراكى فى هذا البلد او ذاك وعلى الاستقلال القومى سواء بسواء .

وفيما يتعلق بالاطار القومى للمؤتمر الخامس فقد انعقد مؤتمر حزب العمال « والتطور الاشتراكى — على حد تعبير جوموكا — **يجرى فى البلاد مصحوبا بصراع طبقى تفاقمت حدته فى الفترة التى انقضت منذ المؤتمر الرابع** » . لكن علينا ايضا ونحن نتحدث عن الاطار القومى للمؤتمر ان نضع فى الاعتبار ان حركة **الصراع الطبقى** تلك انما تحمل بالضرورة فى طياتها كل ثقل تاريخ الشعب وتقاليد الامة البولندية ، وكل كفاح القوى الاشتراكية والديموقراطية فى بولندا بما صاحبها من انتصارات وهزائم .

وتتطلب دواعى الوضوح ان نبدأ بالتعرف على ملامح الوضع الداخلى فى بولندا وذلك وفقا لما جاء فى وثائق المؤتمر ، ثم نعرض بعد ذلك وجهة نظر المؤتمر فى بعض المشكلات الدولية [الكفاح ضد الامبريالية ومن اجل السلم] وفى المشكلات المتصلة بالعلاقات بين الدول الاشتراكية والاحزاب الشيوعية والعمالية [الكفاح من اجل وحدة القوى الاشتراكية] .

[١]

وفى اعتقادنا ان اهم القضايا الداخلية التى جرى التركيز عليها فى المؤتمر هى :

— مشكلات التطور الاقتصادى .

— حركة الصراع الاجتماعى فى المجتمع البولندى واتجاهاته .

وفيما يتعلق بمشكلات التطور الاقتصادى فقد حظيت قضايا الاقتصاد القومى باوسع اهتمام من جانب المتحدثين الرئيسيين فى المؤتمر ، الامر الذى نجده بوجه خاص فى خطابى جوموكا السكرتير الاول للحزب ، وفى خطاب سيرانكيفتش عضو المكتب السياسى ، ورئيس الوزراء .

وقد عولجت قضايا الاقتصاد القومى تحت شعار :

متابعة التطوير الاقتصادى هو العامل الرئيسى الحاسم فى بناء الاشتراكية فى بولندا .

وهذا الشعار يعكس صورة الوضع الاقتصادى بوجهيه : التقدم الذى تحقق ، والاختناقات او الصعوبات القائمة .

وليس من شك فى ان بولندا حققت فى ظل الحكم الشعبى وفى اقل من ربع قرن تقدما ملحوظا نقلها من بلد زراعى فقير ومتخلف الى بلد يملك طاقة صناعية كبيرة . وهذا يفسر كيف ان الدخل القومى قد زاد ٤ر٥ مرة عما كان عليه عام ١٩٣٨ ، وهذه الزيادة تعزى اولا الى ان الانتاج الصناعى زاد تقريبا بمقدار ١٣ر٥ مرة عما كان عليه عام ١٩٣٨ ، وقد نشأت صناعات جديدة ، وتدعم باضطراد الصناعة الثقيلة . [وكمثال سوف تنتج بولندا عام ١٩٧٠ من الصلب كمية تتراوح بين ١١ر٥٠٠ر٠٠٠ طن — ١١ر٧٠٠ر٠٠٠ طن اى بزيادة تتراوح بين ٢٠٠ الف طن و ٤٠٠ الف طن عما هو مستهدف فى برنامج السنوات الخمس الذى ينتهى عام ١٩٧٠ .

ويزداد الانتاج الزراعى باضطراد . واذا كانت بولندا لم تنجح حتى الان فى تغطية احتياجاتها من الحبوب الغذائية ، فقد وصلت اخيرا الى انتاج نصف الكمية التى تلزمها سنويا .

واذا كانت بولندا لم تصل بعد ايضا الى حد العمالة الكاملة ، الا انه حدثت زيادة ملحوظة فى دخل الاسرة خلال السنوات الخمس الماضية . وترجع هذه الزيادة اساسا الى زيادة متوسط العمالة بالنسبة لكل عائلة على حدة ، كما ترجع الى سياسة تعديل اجور العاملين فى القطاع الاشتراكى للاقتصاد .

واخيرا فان التقدم الاقتصادى الذى تحقق فى الفترة بين المؤتمر الرابع وبين المؤتمر الخامس تنعكس فى بعض الوقائع التالية :

● ان عدد سكان المدن زاد لاول مرة عن ٥٠٪ بالنسبة لمجموع سكان الريف .

● وباستثناء قطاع الزراعة يعمل فى مختلف فروع الاقتصاد القومى ١٠ ملايين شخص ، وزاد

عدد الطبقة العاملة فى الفترة بين المؤتمرين بمقدار ٨٠٠ الف عامل .

● وفى مجال التعليم زاد عدد طلاب المدارس بمقدار ١٤٠ الفا وعدد تلاميذ المدارس الثانوية والفنية باكثر من مليون تلميذ ،ويتلقى ٤٢٪ من طلاب المدارس العليا منحا . وهذه المنح يتلقاها ايضا ٣٠٪ من تلاميذ المدارس الثانوية والفنية .

● وبانجاز مشروع السنوات الخمس ٧٠ — ١٩٧٥ ستتمكن المدارس الفنية من تقديم ٩٠٪ من عدد العمال الفنيين الذين يحتاج اليهم الاقتصاد القومى كما سيصل عدد الموظفين الذين يحملون مؤهلات جامعية الى ٦٧٠ الف موظف عام ١٩٧٥ .

ولكن اذا كانت صورة الاقتصاد القومى بين المؤتمرين هى — بشكل عام — ايجابية . الا ان جومولكا اعلن ان فى الصورة نواقص كبيرة ركز النقد عليها فى مقدمتها :

— النقص فى انتاج سلع الاستهلاك الذى يرجع اساسا الى العجز فى طاقة الصناعات الخفيفة وتخلفها ، الامر الذى ينعكس ايضا فى التخلف الواضح فى مستوى جودة بعض هذه المنتجات وهذا يشكل عقبة فى سبيل التصدير .

— العجز فى الميزان التجارى .

— انخفاض انتاجية العمل .

والواقع ان وثائق المؤتمر تفادت تماما ان تقدم صورة غير واقعية عن الاقتصاد القومى ، كما تفادت ان تزرع الاوهام فى نفوس الشعب . ومن ثم فقد اعلن جومولكا ان الحزب يضع اهدافا واقعية يسعى الى تحقيقها وفى مقدمتها :

— تحقيق زيادة مقدارها ٨٪ سنويا فى الانتاج الصناعى .

— وزيادة مقدارها ٩٪ فى انتاج وسائل الانتاج .

— وزيادة مقدارها ٦٫٥ [كمتوسط سنوى] فى سلع الاستهلاك .

لكن تحقيق هذه المهام وغيرها — كما اوضح المؤتمر — يتطلب رسم سياسة متكاملة واتخاذ خطوات مترابطة فى مقدمتها :

١ — تحسين اساليب التخطيط والادارة وتأكيد الدور المتزايد للعلم ، اى « المزج بين الثورة الاشتراكية والثورة العلمية والتكنولوجية » . وهو الامر الذى يؤكد الرابطة الحتمية والتاريخية بين العلم وبين الاشتراكية . ووحدة المصلحة بين الطبقة العاملة وبين المثقفين .

٢ — تدعيم علاقات بولندا بالدول الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى [الكوميكون] على اساس توفير المواد الخام ، وتعميق التخصص والاستفادة الى اقصى حد من تقسيم العمل الدولى . [وعلى اساس ان دعم التعاون الاقتصادى بين البلدان الاشتراكية يمثل العنصر الاساسى فى دعم الوحدة السياسية بين هذه البلدان] .

٣ — لكن المؤتمر لم يفته ان يؤكد ان اجراء تحولات عميقة فى الاقتصاد وادارة المشروعات وفق احدث الاساليب يتطلب فى الوقت ذاته ايقاظ اوسع المبادرات الجماهيرية .

والواقع انه من الصعوبة بمكان ان نعرض للوضع الاقتصادى بكيفية متكاملة كما حدث فى المؤتمر . لكن من المهم — رغم ذلك — ان نشير الى اتجاهين رئيسيين جرى التأكيد عليهما فى داخل المؤتمر :

الاتجاه الاول : هو ما عبر عنه رئيس الوزراء جوزيف سيرانكفتش عندما لخص الاهمية القصوى لحل المشكلات الاقتصادية بقوله ان دعم الاقتصاد القومى واجب وطنى ، يرفع من مكانة بولندا الدولية داخل الاسرة الاشتراكية ، ويدعم استقلالها ، ويمكننا من الدفاع عن حدودها بالتعاون مع بقية البلدان الاشتراكية .

الاتجاه الثانى : هو ما اشارت اليه فى المؤتمر خطب ليونيد بريجنيف وفالتر اولبرشت من ضرورة اتخاذ خطوات حاسمة للعمل من اجل تطوير اقتصاد الدول المشتركة فى مجلس التعاون الاقتصادى . هنا اكد بريجنيف على اهمية التعجيل بدراسة مسائل تحسين وتوسيع العلاقات الاقتصادية بين البلدان الاشتراكية وما يتطلبه هذا من عقد مؤتمر من قادة الاحزاب وحكومات الدول الاعضاء فى الكوميكون . اما اولبرشت فقد اعلن ان بلاده قدمت بالفعل الى اعضاء الكوميكون خطة مدروسة لدعم وانهاض اقتصاد البلدان الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى .

واذا كان لنا بعد هذا ان نقيم هذه الاتجاهات امكن ان نقول ان التأكيد على علاج المشكلات الاقتصادية فى بعض البلدان الاشتراكية اذا كان قد قفز الى المقدمة فى هذه الايام ، فلاشك ان التطورات التى وقعت فى تشيكوسلوفاكيا قد جعلت الاصلاحات الاقتصادية قد باتت مهمة عاجلة ورئيسية فى عدد من البلدان الاشتراكية ، وذلك

على الرغم من اختلاف الظروف وآفاق التطور فيما بينها .

[٢]

انصبت النقطة الثانية في خطاب جومولكا على حركة الصراع الاجتماعي في المجتمع البولندي، فأشار الى ان «التطور العام والاشتراكي في بلادنا يصاحبه صراع طبقي تزايدت حدته في الفترة التي انقضت منذ المؤتمر الرابع » .

وربما بدا هذا القول الان غريبا عندما نتحدث من بولندا التي سلخت حوالي ربع قرن من الحكم الشعبي . لكن حركة الصراع الطبقي واشكاله قد حظيت في المؤتمر الخامس بمعالجة ضافية، نجدها في تقرير اللجنة المركزية لحزب العمال البولندي ، وهو التقرير الذي طرح على قواعد الحزب في مايو ٦٨ ، كما نجدها في الخطاب الافتتاحي لجومولكا .

ويبدأ تقرير اللجنة المركزية بتحليل للطبقات الرئيسية في المجتمع البولندي . فهناك اولا الطبقة العاملة « وهي القوة القائدة للامة بحكم وضعها الاجتماعي ومكانتها في عملية الاجتماع ، ووعيها الاجتماعي ودرجة تنظيمها » . وهي الدعامة الرئيسية للاشتراكية ، والعامل الحاسم في سلطة الدولة .

وهذا العامل الحاسم هو في جوهره دكتاتورية البروليتاريا وذلك اذا ما نظرنا الى ان بولندا لا تزال تجتاز الطور الاول من اطوار بناء الاشتراكية . وتوجد دفة القيادة بين ايدي حزب الطبقة العاملة ، حزب العمال البولندي الموحد.

والطبقة الرئيسية الثانية هي طبقة الفلاحين. وتتكون في غالبيتها من منتجين زراعيين يملكون مزارع فردية . ويرتبط الاقتصاد الفلاحي اكثر فاكثر بالنظام الاشتراكي المخطط من ناحيتين : في مجال الانتاج وفي مجال التبادل . والموقف الاجتماعي للفلاح البولندي يتحدد وفقا للتقارب بين مصلحته كمنتج صغير وفردي وبين مصالح دولة العمال والفلاحين . وتؤيد كتلة الفلاحين السلطة الشعبية للدولة .

والمثقفون هم الفئة الاجتماعية الثالثة في الامة . وهم اكثر الفئات نموا في المجتمع البولندي . ولهم تأثير كبير في جميع مجالات الحياة . ويحتل رجال العلم والفنيون مكانا هاما في صفوفهم . وقد نشأت الغالبية العظمى من المثقفين البولنديين ونمت وكسبت التعليم ومراكزها المهنية في ظروف بناء الاشتراكية . ومن ثم يرتبط المثقفون ايضا بالنظام الاشتراكي .

ولكن اذا كان الامر كذلك فمن اين تنشأ الصراعات الاجتماعية الحادة في بولندا ؟

يجيب تقرير اللجنة المركزية على ذلك بقوله: انه من الخطأ ان نتوهم ان تصفية الطبقات المعادية في بلد اشتراكي معين يؤدي الى اختفاء الصراع الطبقي خلال عملية البناء الاشتراكي . وهذا راجع الى سببين :

الاول : هو ان بناء الاشتراكية في كل بلد انما هو تعبير عن الصراع الطبقي ضد الرأسمالية العالمية . لكن الرأسمالية بدورها تخوض صراعا حادا بهدف تدمير الاشتراكية ، متسلحة باحدث وسائل الاتصال بالجماهير ، وباساليب اخرى متنوعة .

الثاني : وهو انه بعد ان يصفى الاساس المادي والاقتصادي للطبقات المالكة ، وبعد ان يتم نقل جميع وسائل الانتاج في جميع مجالات الاقتصاد القومي الى الملكية الاشتراكية تظل الايديولوجية البرجوازية قائمة تحت صور واشكال شتى . وهذه الايديولوجية لا تصفى بكيفية آلية، وتبقى مترسبة في وعي المجتمعات التي تبنى الاشتراكية . وبقاء هذه الايديولوجية هو الذي يسهل على اعداء النظام الاشتراكي ممارسة عمليات التخريب السياسي والنشاط الفكري المعادي .

ومن هذا كله ، نخطىء عندما نستنتج ان النظام الاشتراكي لا يمكن ان يهدد في البلدان التي لا تظهر فيها صراعات طبقية عدائية . ذلك ان الحياة نفسها تبين ان بناء الاشتراكية — على الاساس السليم — عملية محكومة بالصراع الدائم على نطاق عالمي بين الاشتراكية والرأسمالية [الامبريالية] ، وهذا الصراع هو ايضا صراع طبقي في جوهره ، وذلك بغض النظر عن الاشكال والصور التي يتبدى فيها .

وفي السنوات الاخيرة ، وبعد التغييرات التي طرأت على الوضع السياسي ، لجأت الامبريالية — هي ايضا — الى تغيير استراتيجيتها وتاكتيكها ضد البلدان الاشتراكية . ذلك ان ساسة الامبريالية قد اصبحوا يعون هذه الحقيقة : وهي ان الاشتراكية تضرب بجذور عميقة في وعي الجماهير العاملة . ومن ثم فليست هناك فرصة حقيقية لنجاح اى هجوم سافر على اسسها الاجتماعية والاقتصادية . هذا من ناحية . ومن ناحية اخرى فان الوضع الراهن بين القوى العسكرية للنظام الاشتراكي وبين القوى العسكرية للامبريالية قد جعل من « تحرير » بلدان اوربا الاشتراكية بالسلاح مغامرة غير مأمونة العواقب . ومن هنا لم يعد النمط الكلاسيكي

للثورة المضادة المسلحة والمسنودة بتدخل من قوى اجنبية فى الخارج — هذا النمط لم يعد واقعيا » .

فى ظل هذا الموقف ، يركز قادة الامبريالية — فى المحل الاول — على التخريب الايديولوجى ، فى شكل حرب الدعاية التى توجه الى كل بلد اشتراكى على حدة . وتتجه هذه الدعاية الى نسف اسس النظام الاشتراكى ، والى زعزعة ثقة الطبقة العاملة والشعب فى بناءالاشتراكية ، والى اثارة النعرات القومية المتعصبة ، والى اضعاف احزاب الطبقة العاملة فكريا وتنظيميا ، والى تخريب العلاقات بين البلدان الاشتراكية. فاذا ما نجحوا فى تحقيق اهدافهم امكن ان تنشأ فى البلد الاشتراكى المعين « **تغييرات سلمية من الداخل** » ، حتى لو احتفظ هذا البلد الاشتراكى المعين باشكال من الصناعة الاشتراكية .

وفى هذه المحاولات المحمومة تمثل **التحريفية** الحليف الاول للاستراتيجية الامبريالية . وفى ظروف البلدان الاشتراكية يهاجم التحريفيون قبل كل شيء البنيان الفوقى السياسى للدولة الاشتراكية تحت شعارات « الحرية » و « اشاعة الديموقراطية » فى هذه الدولة . ثم يهاجمون الدور القيادى للحزب فى جميع مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية . ويسعون الى احلال ميكانزم السوق الراسمالية محل التخطيط الاقتصادى على النطاق القومى . وتثير التحريفية الشكوك حول النظرية الماركسية عن الطبقات ، وتعمل على طمس الفروق بين المجتمع الراسمالى المعاصر وبين المجتمع الاشتراكى على زعم انه فى كل من المجتمعين يقوم حكم من الناس المتازين [النخبة] .

واخيرا يستغل التحريفيون مبدأ التعايش السلمى بين النظامين الاشتراكى والراسمالى ليكون تعايشا سلميا مع الايديولوجية البرجوازية .

وفى ظروف بولندا تبدو التحريفية فى صورة نزعة قومية ضيقة ونزعة عالمية [كوزموبولاتية] تنكر الوطنية ، واتجاه لعبادة اسلوب الحياة فى الغرب الراسمالى .

والواقع ان بناء الاشتراكية يتم فى بولندا فى ظروف صراع حاد ضد القوى والاتجاهات المعادية للاشتراكية . صحيح ان الاشتراكية تخلق الظروف لبناء مجتمع لا طبقى ، اى لقيام دولة تخلو من الصراعات العدائية . لكن المجتمع البولندى لم يصل بعد الى هذه النقطة من التطور . اذ لاتزال هناك بقايا الطبقات المستغلة ، والعناصر الطفيلية الراسمالية . ولا يزال هناك ركام من العادات واساليب التفكير البرجوازى تتفشى بين اوساط اجتماعية مختلفة تنتمى الى البرجوازية الصغيرة . ومن المعلوم ان هذه الطبقة كانت كثيرة العدد فى بولندا وانها كانت واقعة تحت نفوذ العادات والعقلية البرجوازية . وباختصار فان ميراث النظام الراسمالى لا يزال يؤثر على قطاع معين فى المجتمع البولندى ، خصوصا على دوائر معينة من المثقفين الذين تتميز مواقفهم التقليدية بالتباعد عن الجماهير العاملة .

ولما كانت الاوساط الامبريالية تملك آلة دعاية جبارة ، فانها تستطيع ، مستندة الى مخلفات النظام الراسمالى ان تمد يد المساعدة الى القوى المتخلفة والرجعية . وبالفعل يتعرض الشباب فى بولندا وانها كانت واقعة تحت نفوذ الضار الذى يفاقمه ضعف النشاط التربوى والتعليمى للحزب ولمنظمات الشباب الاشتراكية .

ولعل هذا كله يلقى الضوء على الاضطرابات التى وقعت فى مارس ١٩٦٨ عندما حاولت قوى اليمين بين المثقفين ان تدفع الطلاب الى اعمال العنف والفوضى وانضمت الى هذه القوى عناصر صهيونية متعصبة انتهزت فرصة العدوان الاسرائيلى على البلدان العربية . وبدأت جميع هذه القوى الهجوم على السلطة تحت شعارات « الحرية » و « الدفاع عن الثقافة » . لكن هذه الاضطرابات كشفت عن ظاهرتين :

الاولى : درجة كثافة الصراع الذى تشنه قوى التحريفية والرجعية ضد الحزب ومدى نفوذها فى الاوساط الاجتماعية المختلفة .

والثانية : هى النواقص والثغرات فى عمل الحزب ، وضرورة دعم التأثير الايديولوجى للحزب على وعى المجتمع ، ومضاعفة العمل الايديولوجى والتربوى بين الشباب — خاصة — بين شباب المدارس والمعاهد العليا .

وصحيح ان الطبقة العاملة تصدت لهذه الاضطرابات ووادتها وعاونها فى ذلك الفلاحون وعدد كبير من المثقفين ، الا ان الحقيقة تظل كما كانت وهى ان **النشاط الايديولوجى فى الحزب كان اضعف الحلقات فى الفترة التى انقضت منذ المؤتمر الرابع** . ووقعت من الحزب اخطاء فى العمل فى اوساط المثقفين والشباب ، خاصة فى اوساط الطلاب . لقد كانت قيادة الحزب — باختصار — على علم بالنشاط الضار الذى يجرى فى صفوفهم وفى داخل التنظيمات الحزبية . وعندما تحركت لعلاج الموقف بالاساليب العادية كان الوقت قد فات ، واضطرت الى ان تلجأ الى سلاح الاجراءات التنظيمية والقانونية والى عمليات البتر بين كوادر الحزب .

وبعد ان نفذ تقرير اللجنة المركزية اسلوب عمل الحزب فى المجال الايديولوجى اكد على انه لابد من التركيز بشكل خاص على تربية الشباب وان يتم هذا فى روح الوطنية وروح التضامن الاممى . وبعد ان حدد التقرير عددا من المهام الرئيسية التى تدعم العمل الايديولوجى جاء خطاب جومولكا فى المؤتمر ليركز على الوسيلة الرئيسية فى مكافحة التحريفية . هذه الوسيلة انما **تتمثل فى اعلاء شأن المناقشة على اوسع نطاق وفى جميع الميادين الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية** . وشرح جومولكا هذه الفكرة بقوله :

ان المهام الايديولوجية للحزب تتطلب مناقشات نزالية لا تتوقف مع خصومنا ، وصراعا ايديولوجيا ضد القوى الرجعية فى الخارج . لكنها تتطلب فى الوقت ذاته تقديم اجابات صحيحة على المشكلات التى تطرحها الحياة . ومن الخطأ ان نتوهم ان دق طبول الحرب ضد التحريفية سوف يحل المشكلة . وما يريده الحزب هو مناقشات حية . وهذا ما نحتاج اليه فى مختلف ميادين العلم والتطبيق . وضرب مثالا لذلك ميدان علوم الاقتصاد واشار الى انه لابد وان يجرى فى هذه العلوم حوار مفتوح ، شجاع وجسور . وينبغى ان يدار دون خوف من ظهور آراء معارضة بل وخاطئة . ولابد وان يدور صراع طويل وحقيقى مع هذه الاراء ، وهذا النوع من الصراع والمناقشة هو اهم واجدى بما لا يقاس من الاجراءات التنظيمية والادارية .

والواقع ان هذا المنهج الذى جرى التركيز عليه فى المؤتمر الخامس يعتبر من المؤشرات الهامة لا فى حياة حزب العمال البولندى فحسب بل وفى الحياة الثقافية للامة البولندية فى الوقت ذاته ، خاصة بعد ان طرحت اللجنة المركزية للحزب تقريرها فى مايو ١٩٦٨ . ففى عدد من الاوساط العلمية والثقافية طرحت قضايا هامة ، ودار جدل مستفيض . وعلى سبيل المثال دار فى اوائل عام ٦٨ نقاش بين المشتغلين بالفلسفة فى بولندا حول الفلسفة الماركسية وتأثيرها على انسان العصر الحديث ، خاصة على الشباب . وفى ٢ و٦ يونيو نشرت جريدة الحزب « تريبونالودو » المناقشات التى دارت فى مدرسة الحزب المركزية عن « مهام الفلسفة البولندية اليوم » .

ولم تقف هذه المناقشات عند حد نقد الاتجاهات التحريفية فى تدريس العلوم الانسانية بل تناولت بالنقد الشديد ايضا جميع المحاولات التى قدمت المذاهب الفلسفية الاخرى [البرجماتية ، والوضعية .. الخ] بكيفية مشوهة وغير امينة وعرضت قضاياها عرضا خاطئا » [١] .

[٣]

واذا كان اصبع الاتهام قد اشار الى العناصر الصهيونية داخل الحياة الثقافية وحملها مسئولية المشاركة فى اثارة الاضطرابات بين المثقفين . فان هذا ينقلنا الى التعرف على ابعاد النشاط الصهيونى فى بولندا وموقف الحزب منه . وهنا نكتشف ان بولندا الاشتراكية تقف ايضا مناضلة فى جبهة الصراع ضد الصهيونية العالمية المسنودة من الامبريالية .

لقد اشار جومولكا الى ان « بولندا قد وقفت « موقفا واضحا منذ ان بدأت الاشتباكات فى « الشرق الاوسط . فادانت المعتدى الاسرائيلى « وسادته الامبرياليين وعبرت عن تأييدها للنضال « العادل للشعوب العربية . وكان موقفنا هذا « سببا لان تشن علينا الاوساط الامبريالية ، « والرجعية العالمية ، خصوصا الاوساط الصهيونية « حملتها القذرة المعادية لبولندا ، وان ازالة آثار « العدوان وسحب قوات المعتدى من الارض « المحتلة انما يمثلان الشرط الذى لا معدى عنه « لتامين السلم فى هذه المنطقة من العالم » .

على ان هذا الموقف الذى اعلنه جومولوكا فى المؤتمر واشار اليه من قبل تقرير اللجنة المركزية فى مايو قد سبقته مناقشات كثيرة تعرضت للمسألة اليهودية فى بولندا وللنشاط الصهيونى الذى كان ولا يزال جزءا لا يتجزأ من نشاط رجعى ويمينى واسع تخفى تحت شعار « الدفاع عن الثقافة » . وجدير بالذكر هنا ان نعود الى الخطاب الذى القاه مباشرة رئيس الوزراء سيرانيكفتش فى البرلمان البولندى عقب احداث مارس . فى هذا الخطاب تحدث رئيس الوزراء طويلا عن النشاط الصهيونى وفند الحملات المعادية لبولندا ، هذه الحملات التى تتهم الشعب البولندى بالتعصب العنصرى ضد اليهود . واذا اضفنا الى ذلك بعض المقالات التى نشرتها المجلات الثقافية وتحدثت فيها عن « تقاليد التسامح الدينى عند الشعب البولندى » امكننا ان نضع ايدينا على الخط العام الذى تنتهجه بولندا الاشتراكية فى معالجة المسألة اليهودية وفى مقاومة الصهيونية . وهذا الخط يتلخص فى النقاط التالية :

١ — عندما كانت محاكم التفتيش تحرق اليهود كانت بولندا منذ ٦٠٠ عام هى الارض التى قدمت الملاذ ، لليهود الهاربين من الاضطهاد فى البلدان الاوربية الاخرى .

---

[١] راجع التعليق الذى نشرته مجلة « آفاق بولونية » — اكتوبر ١٩٦٨

وفي بولندا عاش اليهود متمتعين بكافة حقوقهم فكانت لهم ثقافهم ومدارسهم الخاصة ومعابدهم، وكانت القوانين تمنع اضطهادهم وتعاقب من يفعل ذلك .

٢ — وعندما اجتاحت جيوش هتلر بولندا واخذ النازيون يبيدون اليهود تضامن الشعب البولندى معهم وفقد آلاف البولنديين ارواحهم بسبب تصديهم لحماية مواطنيهم من اليهود . وعندما قام اليهود بثورة « الجيتو » المشهورة ضد النازيين قدر الشعب البولندى لهم هذا العمل واحتفل به ولايزال يحتفل به في كل المناسبات .

ووجد اليهود فى بولندا الاشتراكية المساواة الحقيقية ، وكل الفرص لينموا ثقافتهم وليساهموا في بناء المجتمع الجديد .

٣ — غير انه مع قيام دولة اسرائيل وقع ارتباك عقلى شديد بين اقسام من اليهود البولنديين ، هؤلاء الذين اخذ يتوزعهم الولاء بين وطنهم بولندا وبين اسرائيل . وكان من رابع المستحيلات ان يجمع انسان بين الولاء لوطن اشتراكى هو بولندا وبين الولاء لقاعدة استعمارية هى اسرائيل . ومن ثم فقد اصر عدد من يهود بولندا على التمسك بمعتقدات صهيونية متعصبة واصبحوا موالين — من الناحية العملية — لاسرائيل . وباختصار لقد شب فى عقول هؤلاء القوم المتعصبين صراع حول قضية الانتماء الى القومية والدولة والايديولوجية .

٤ — لكن الامر لايمكن ان يدوم على هذا الحال . اما اليهود البولنديون الذين اختاروا بولندا وطنا لهم ومستقرا فهؤلاء مواطنون شرفاء ، وهم بولنديون كغيرهم من المنتمين الى القومية البولندية . اما هؤلاء الذين امتلأوا زهوا عندما علموا بانتصار اسرائيل فان عليهم ان يختاروا . لن تقف السلطات فى وجههم اذا ارادوا ان يغادروا الوطن البولندى ، ولكن عليهم اذا ارادوا البقاء ان يبرهنوا على انهم مكافحون واعداء حقيقيون ضد الصهيونية .

٥ — وهذه بالفعل مسألة حاسمة ان يقفوا بحزم ضد الصهيونية ، لان بولندا تتعرض الآن لضغوط فظيعة من هذا الثالوث الرجعى : الصهيونية العالمية والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية . وجميعهم قد واجهوا بولندا بغضب مجنون متهمين اياها عقب عدوان اسرائيل « بالعداء ضد السامية واضطهاد اليهود » . لكن الشعب البولندى لم يكن معاديا للسامية ، ويدلل تاريخه على مواقفه المتسامحة من هؤلاء الذين يختلفون عنه فى المعتقد الدينى بل وفى المذهب السياسى . وهنا يحق لحزب العمال البولندى ان يصور الحملة الصهيونية ضد بولندا على الوضع التالى وهى انها نوع من :

« **الصراع الطبقى الذى تخوضه الوكالة الصهيونية للامبريالية ضد بلد اشتراكى** » [٢]

[٤]

وكانت وحدة الحركة الشيوعية والعمالية من القضايا الرئيسية التى شغلت المؤتمر الخامس لحزب العمال البولندى الموحد . وفى الخطاب الافتتاحى الذى القاه جومولكا حدد عددا من المواقف الخاصة بهذه المشكلة .

١ — لقد اوضح ان فعالية وكفاءة النضال ضد الامبريالية ومن اجل السلم والاشتراكية انما تتوقف على تلاحم معسكر الاشتراكية وتعاونه مع حركة الطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية ومع حركة التحرر الوطنى .

٢— ووضح ان العمل من اجل وحدة القوى الاشتراكية لن يكون من المهام السهلة . فقد يتعين على قوى الاشتراكية ان تنخرط فى المستقبل فى حل طائفة من المشكلات ، وان تجاهد لكى تتغلب على الاتجاهات السلبية التى برزت داخل الحركة الشيوعية وفى مقدمة هذه الاتجاهات التعصب القومى . وفى هذا الصدد اشار الى ان النشاط الانقسامى للصين قد تحول الى انقسام سافر فى الحركة الشيوعية وان هذا الانقسام انزل بمعسكر الاشتراكية وبقضية الاشتراكية اضرارا لايمكن اصلاحها . لكنه عاد فأكد ان نضال الحركة الشيوعية والعمالية ضد هذا النشاط الانشقاقى قد انتهى بعزل مجموعة ماو عن الحركة الشيوعية والعمالية الدولية .

---

[٢] خطاب سيرانيكفتش فى البرلمان — مجلة آفاق بولونيه — مايو ١٩٦٨.

٣ – غير ان هناك صعوبات اخرى داخل الحركة الشيوعية والعمالية تعكسها الخلافات بين الاحزاب التى فى السلطة فى اوربا ، وبين الاحزاب التى لاتزال تكافح فى ظل النظام الراسمالى . واشار جومولكا انه فى الحالة الاولى لابد من الربط ربطا صحيحا بين المصالح القومية لكل بلد اشتراكى وبين مصالح الاسرة الاشتراكية فى مجموعها ، وان الخلاف فى التاكتيك بين هذه الاحزاب التىفىالسلطة لايبرر على الاطلاق ان يتخلى حزب من الاحزابالحاكمة عن مسئوليته الدولية او يستغرق فى النزعة القومية الضيقة .

وفى الحالة الثانية : فان موقف الاحزاب فى البلدان الاشتراكية يختلف اختلافا اساسيا عن موقف الاحزاب فى البلدان الراسمالية . لان الاولى تتحمل مسئولية سياسة الدولة ، اماالثانية فهى فى المعارضة وتكافح من اجل السلطة . ولما كانت كل مجموعة من هذه الاحزاب تواجه مشكلات تختلفعنالتى تواجهها المجموعة الاخرى فان خط نشاط كل مجموعة لابد وان يختلف عن خط المجموعة الاخرى .

ولا شك ان الظروف التى تكافح فيها الاحزاب فى البلدان الراسمالية تكون لها نوعية خاصة تماما . ولا شك ايضا أن الطرق الى الاشتراكية تتعدد ، **لكن هناك اشتراكيةواحدة جوهرها حكم الجماهير العاملة ، تحت قيادة الطبقة العاملة واقتصاد مخطط .**

وللاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الراسمالية خطها الاستراتيجيوالتاكتيكى الخاص النابع من الظروف التى تعمل فيها . لكن هذه الاحزاب لاتستطيع مع ذلك ان تطالب الاحزاب التى فى الحكم بأن تكيف نفسها مع خطهاالسياسى الذىتطبقه فى بلدان اوربا الغربية ، ولاتستطيع ان تطلب الى الاحزاب الحاكمة ان تطبق تاكتيكها فى النضال ضد البرجوازية . ان هذا ليس سليما وليس ممكنا ، ولو فعلت الاحزاب الحاكمة فى البلدان الاشتراكية لكان معنى هذا انها تنقل مضمون الديموقراطية البرجوازية الى جسم الديموقراطية الاشتراكية ، ولفتح هذا الطريق امام تحولات راسمالية فى البلد الاشتراكى المعين .

٤ – ومع التعصب القومى هناك الخطر الداهم من التحريفية التى اصبحت الحليفةالاولى للامبريالية . فالامبرياليون قد باتوا يخشون نتائج المواجهة العسكرية فى حرب نووية . ومن ثم فهم يركزون علىوسائلالتخريب الايديولوجى. وهدف هذا التخريب تشويه النظام الاشتراكى ليأخذ « سلميا » اتجاها بورجوازيا ويضع البلد الاشتراكى المعين فى وضع التبعية السياسية والاقتصادية للدول الراسمالية ،وهكذا ففىغمار الازمة التشيكية هاجم التحريفيون المعطياتالاولى التى تحكم عمل الحزب ونشاطه . وعلى هذه الصورة يلعب التحريفيون الدور الاول فى فتح الطريق امام الجناح اليمينى والقوى المعادية للثورة . وكان لابد من ان تتطور الامور الى كارثة تهدد بانتزاع تشيكوسلوفاكيا من اسرة البلدان الاشتراكية . وعند هذه النقطة انتقد جومولكا موقف يوغوسلافيا من احداث تشيكوسلوفاكيا فقال انه لاشىء يشجع العدوان ويغرى الامبرياليين بتعديلحدود الدولالاشتراكية مثل تفكك منظمة حلف وارسو . واذا مافكرتكل دولة من دول حلف وارسو ان تحذو حذو يوغوسلافيا فان معنى هذا ان كل دولة من هذه الدول تفتح الباب لكل انواع التدخل الامبريالى والرجعى ولكافة انواع الضغوط والانقلابات السياسية .

٥ – وفى موضوع الوحدة داخل الحركة الشيوعية والعمالية اعترف جومولكا بأن عملية التغلب على الخلافات الراهنة ستكون طويلة وصعبة . لكن حزب العمال البولندى يقدم هذا المنهج الذى يساعد على فتح الطريق امام دعم الوحدة وهو :

– لا طريق غير طريق المناقشات الصريحة والمفتوحة الخلافات وهذه المناقشات قد بدات بالفعل منذ شهور وتطورت . ويجب ان نرفض اى محاولة لطمس اى خلاف ، وعلىهذا الطريق سوف يتم تقدم تدريجى .

يجب ان نضع امامنا اهدافا واقعية تتجمع حولها قوى الاشتراكية . وهذا يعنى ان نكتشف القضايا الاساسية التى تتحقق حولها الوحدة .

وفى مقدمة هذه القضايا فى رأى الحزب :

– النضال ضد الامبريالية ، وضد سياستها العدوانية .

– النضال من اجل سلام دائم بين الامم .

[٥]

لقد حدد المؤتمر الخامس اهدافا سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ، وسبق عقده مناقشات واسعة شاركت فيها كل الجماعات الوطنية ولم تقف عند حدود تنظيمات حزبية

العمال الموحد . فما هى الشروط التي تضمن تحقيق هذه الاهداف ، ولماذا يعتبر البولنديون المؤتمر الخامس انعطافة في حياة امتهم ؟

من وثائق المؤتمر نستطيع ان نستخلص الشروط التى يراها الحزب كفيلة بضمان تقدم ثابت للمجتمع البولندى وفى مقدمتها :

● عمل ايديولوجي جاد وواسع يعمق الوعى الاشتراكى فى وجدان اوسع الجماهير وخصوصا الشباب ويمكنها من ان تصمد فى حرب الصدام الفكرى مع الراسمالية .

● اجراءات محددة لتوسيع الديموقراطية الاشتراكية وتمكين المنظمات الاجتماعية المختلفة فى القرية والمدينة من المشاركة فى ادارة شئون البلاد ، وهذه الاجراءات هدفها ان تقنع الجماهير بان المؤسسات السياسية والاجتماعية فى بلد اشتراكى هى مؤسسات حقة للحرية وللديموقراطية

● اصلاح جذرى لنظم التعليم يربط المدرسة بالمجتمع والشباب والطلاب بقضية بناء الاشتراكية ، ويضع بولندا فى ركب الدول التى تعيش عصر الثورة العلمية والتكنولوجية .

وهذه الشروط توضع بالضرورة — فى اطار سياسة خارجية وداخلية تقوم على مبادىء ثابتة .

فى السياسة الخارجية : التزام بولندا بسياسة التضامن الوثيق مع الاتحاد السوفياتى وسائر البلدان الاشتراكية ، وتؤمن حدود بولندا ، وتكافح ضد اخطار التوسع الامبريالى والخطط العدوانية من جانب المانيا الغربية ، وتساند حركات التحرر الوطنى فى كل مكان ، وتناضل ضد خطر الحرب النووية .

وفى السياسة الداخلية : الترابط الوثيق بين السياسة وبين الاقتصاد ، بحيث تحدد السياسة الاهداف الاقتصادية ويوجه النشاط السياسى الى توعيه وتعبئة الجماهير فى عملية البناء الاقتصادى، وبحيث تعرض الانجازات الاقتصادية بالكيفية التى تثير الحماس الوطنى وترفع من مستوى الوعى الاشتراكى .

لكن تبقى بعد ذلك الاداة المنفذة والقائدة لكل هذا العمل . وهنا يتعرض المؤتمر لقضية تأكيد الدور القيادى لحزب العمال الموحد باعتباره العقل الجمعى للطبقة العاملة وللقوى الاشتراكية . وتشير وثائق المؤتمر الى ان قوة الحزب العددية قد نمت نموا كبيرا فى الفترة بين المؤتمرين بحيث اصبح يضم مليونين من الاعضاء والمرشحين يعملون فى اكثر من ٧٠ الف منظمة من المنظمات القاعدية . وذكر جومولكا ان هناك عضوا للحزب بين كل ستة مواطنين يعملون فى القطاع الاشتراكى للاقتصاد ، وان كل ثمانية من العمال بينهم عضو للحزب ، ويوجد عضو للحزب بين كل ثلاثة من المهندسين والفنيين ، ومن بين كل ستة اطباء فى بولندا هناك طبيب عضو فى الحزب.

غير ان هذه القوة السياسية المنظمة والكبيرة لا يمكن ان تترك فرصة للعمل التلقائى ، او عرضة للتفكك التنظيمي والضمور الفكرى ، ومن هنا فان اضطرابات مارس ٦٨ واحداث تشيكوسلوفاكيا التى تلت بعد ذلك قد فتحت صراعا حادا داخل الحزب ضد الاتجاهات اليمينية ووضعت قياداته امام اختبارات حاسمة . ويمكن ان نقدر ابعاد هذا الصراع اذا علمنا ان عددا كبيرا من الكوادر فى مختلف المستويات قد اقصى من منصبه وان التجديد شمل ٥٠ ٪ من اعضاء اللجنة المركزية وثلثى الاعضاء الاصليين والاحتياطيين فيها .

على ان هذه الاهمية التي يكتسبها المؤتمر الخامس على المستوى المحلى تطرح ايضا الاهمية الدولية لهذا المؤتمر . وتتضح هذه الاهمية فى ان كلا من وثائق المؤتمر وخطب قادة الاحزاب الشيوعية والعمالية قد طرحت القضايا الايديولوجية التى تشغل الحركة العمالية والشيوعية وتثير الجدل فى صفوفها كما قدمت المواقف السياسية المحددة للاحزاب الحاكمة فى دول اوربا الاشتراكية خاصة فيما يتعلق بالنضال ضد الامبريالية وخطر التوسع الامبريالى من قبل المانيا الغربية واخطار الثورة المضادة داخل البلدان الاشتراكية . وفى هذا الصدد حددت خطابات بريجنيف وجومولكا واولبرشت وجيفكوف المواقف الاساسية التالية :

١ — ان الدعاية الامبريالية لم يسبق لها من قبل ان اهتمت بقضايا الحركة الشيوعية كما تفعل اليوم . ولما كانت القوة العسكرية للبلدان الاشتراكية تمثل رادعا حقيقيا لاى مغامرة عسكرية ضد البلدان الاشتراكية فى اوربا فان جبهة النضال الرئيسية اليوم هى الجبهة الايديولوجية .

٢ — ومع ذلك فان الخط الذى سارت عليه البلدان الاشتراكية فى الدفاع عن تشيكوسلوفاكيا يوضح الموقف الذى يلتزم به الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية الاخرى وهى انه اذا كان الاجراء الذى تم فى تشيكوسلوفاكيا من الاجراءات الاستثنائية ، الا ان دول حلف وارسو لن تسمح بأى حال بوقوع غزو من الخارج ، ولن تسمح بأى حال بوقوع غزو من الداخل ضد الدول الاعضاء فى حلف وارسو .

٣ ـ ان احتدام الصراع بين الامبريالية والاشتراكية يستدعي بكيفية جوهرية انجاز تعاون اقتصادى من نوع جديد بين الدول الاعضاء فى مجلس التعاون الاقتصادى فى مجالات العلم والتكنولوجيا وفى المجالات الاقتصادية . وان خططا قد تدمت بالفعل لتحقيق هذا الهدف .

٤ ـ لاحياد بازاء هؤلاء الذين يبتعدون بكيفية واضحة عن مواقف الماركسية اللينينية والاممية البروليتارية ، ولاحياد بازاء من يدمرون وحدة البلدان الاشتراكية . واذا كان هذا الموقف يتعلق باحزاب وقوى اشتراكية وشيوعية فان خطابات رؤساء الوفود قد حددت ايضا موقفا واضحا فيما يتعلق بقضية التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة المختلفة . واعلن جومولكا ان البلدان الاشتراكية عازمة على منع سوء استغلال مبدا التعايش السلمى . فالتعايش السلمى مفهوم سياسى فى المحل الاول يخدم قضية تهدئة التوتر الدولى ، وبناء نظام للامن الجماعى ، ويسند الطريق امام الحروب ، ويحول دون وقوع كارثة نووية . بيد ان التعايش السلمى بين الدول ذات الانظمة المختلفة لايغير ولن يغير من طبيعة الاشتراكية ادنى تغيير ، ولن تسمح الاحزاب فى البلدان الاشتراكة بان يستخدم مفهوم التعايش السلمى لبلد شيئا غريبا لا هو بالاشتراكية ولا هو بالراسمالية .

واخيرا فاذا اضفنا الى ماتقدم المواقف السياسية المحددة من ازمة الشرق الاوسط ومن الادانة الحازمة للعدوان الاسرائيلى والمساندة المستمرة للبلدان العربية فى معاركها ضد الامبريالية والصهيونية امكننا ان نقول ان المؤتمر الخامس سمع لغة جديدة وتبلورت فيه مواقف حاسمة ، وان هذا كله مؤشر حقيقى لاحداث ومواقف هامة فى العالم الاشتراكى ، هذه الاحداث والمواقف التى تنتظر الاجتماع العالمى للاحزاب الشيوعية والعمالية بعد ان اتفق ان يتم عقده فى موسكو وفى مايو ١٩٦٩ .





■ انتخابات لمجلس أمة جديد
■ خطوة الى الامام فى تاريخ الجامعة العربية
■ من بودابست ٦٨ الى موسكو ٦٩
■ « كى » الى باريس .. والثوار الى سايجون
■ العناقيد المرة التى تركها « شتاينبك »

■ الجمهورية العربية المتحدة :

دورة طارئة للمؤتمر القومى العام

جاءت اعمال ومناقشات ونتائج الدورة الطارئة التى عقدها المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى فى مستهل الشهر الماضى — مؤكدة لما اعلنه المناضل جمال عبد الناصر فى خطابه الافتتاحى للدورة من ان الهدف من عقد المؤتمر لم يكن « اعطاء سند للسلطة التنفيذية لكى تقوم باجراءات قمع للشباب » — وانما كانت دعوة المؤتمر للانعقاد ومناقشاته المفتوحة المذاعة على الشعب — تعبيرا عن « التغيير فى الاسلوب والتغيير فى المناخ والتغيير فى الطريقة التى كنا نعالج بها مثل هذه الامور فى الماضى والطريقة التى نعالج بها هذا الامر الان . »

لقد اعطى المؤتمر لجماهير الشعب — التى عمها السخط والاستنكار لاعمال التخريب — ثم جاءت المناقشات الواسعة داخل المؤتمر لتحاول أن تحلل الاسباب ، وتحاول ان تكشف الارضية التى مكنت قوى الثورة المضادة من استغلال تحرك عدد قليل من الطلاب .

وانتهى المؤتمر الى مجموعة من القرارات كاساس ومنطلق لمواجهة احتمالات المستقبل .

ويرى المراقبون ان الدورة الطارئة للمؤتمر القومى العام كانت مواجهة سياسية معفكر الثورة المضادة التى حاولت ان تستغل حالة القلق التى تعيشها البلاد ، وهى حالة وصفها الرئيس بأنها ليست بحالة حرب وليست بحالة سلم ، الامر الذى يخلق جوا كئيبا . وفى هذا الجو ، وبسبب جمود الجبهة الداخلية ، ركز الاعداء الامبرياليون والصهاينة كل التركيز ، وبكل الوسائل النفسية على الجبهة الداخلية .

فى هذا الجو استغلت قوى الثورة المضادة قلق بعض الطلاب بعد صدور قانون التعليم الجديد الذى احسوا انه يمس وضعهم كطلاب متخلفين عن النجاح عدة سنوات . وفاقم هذا الوضع ان القانون على مافيه من نواح ايجابية لم يشرح للرأى العام شرحا كافيا . وسرعان ماتمكنت عناصر الثورة المضادة والعملاء المباشرون للعدو من تحويل تذمر بعض الطلاب إلى اعمال تخريب

واشاعة للفوضى . وارتفعت شعارات تصل كما وصفها بعض المراقبين الي تنفيذ تعليمات اسرائيل لعملائها والقيام بأعمال تخريب حتى يمكن تغيير الحكومة وتشكيل حكومة تتعاون مع الدول الغربية» .

وفى مناقشات المؤتمر كان هناك اتجاهان واضحان فى نظرتهما للاحداث واسبابها واسلوب علاجها :

اتجاه حاول ان يفرغ حوادث نوفمبر الاخيرة من مدلولها السياسي والطبقي ملقيا عبء ماحدث على ماأسماه « بتدليل الطلاب » وعلى الاتجاه الديمقراطي في لوائح الاتحادات وفي تطوير المناقشات والحوار مع الطلاب . وحاول هذا الاتجاه والتشكيك في وضع الطلاب كقوة وطنية كاملة الاهلية للعمل السياسي الجاد والمسئول واعتبار اعمال القلة القليلة المنحرفة هي عمل الحركة الطلابية كلها ويطالب بوضعهم دائما تحت الوصاية . وكان من بين ممثلي هذا الاتجاه من دعا الى ايقاف العمل بتشكيلات الاتحادات الطلابية والمطالبة باستخدام « العصا » فى تأديبهم — والالحاح على فكرة العودة الى ان يصبح الاساتذة اولياء الامر بالنسبة للطلاب ونشاطاتهم الاجتماعية والسياسية والناطقين باسمهم

على ان المراقبين يتفقون على ان هذا الاتجاه بلغ القمة السيئة عندما نقل المعركة الي ارضية الديماجوجية السياسية على زعم ان ماتشكو البلاد منه ليس هو الفراغ السياسى بل الفراغ الدينى

اما الاتجاه الاخر وكان الغالب فى المناقشة — فقد حاول ان يصل الي جذور المشكلة ، والى الظروف التى مكنت قوى الثورة المضادة من استغلال الطلاب .

وفى اطار الوضع العام الذى تعيشه البلاد — يعانى الواقع الطلابى من مشكلات موضوعية حددت المناقشات اطارها فى ثلاث قضايا :

١ — العمل السياسى فى صفوف الطلاب
٢ — المواد القومية التى تدرس فى الجامعات
٣ — الاساتذة

والمتتبع للحركة السياسية للشباب داخل الجامعات — يجد انها مرت بمراحل مختلفة ،

الا انه يمكن القول بأنها لم تجد أمامها خطا سياسيا واضحا حتى صدر الميثاق . اما النشاط السياسى للطلاب كنشاط مشروع تشجعه الدولة فقد سبقته فترة ركود تقرب من عشر سنوات .

وعندما بدا تكوين التنظيم السياسي للشباب بقيام « منظمة الشباب الاشتراكى » عام ١٩٦٢ — بدات المنظمة عملها داخل الجامعة فى مناخ غير ملائم : فالمناهج — مثلا — كانت بعيدة عن حركة المجتمع ، وكان « اتحاد الطلاب مهلهلا » لان عددا من قيادات الاتحادات الطلابية لم يكن يمثل جموع الطلاب تمثيلا كاملا .

وعلى الرغم من الانجازات التى حققتها منظمة الشباب كحركة سياسية تحاول — لاول مرة — ان تنظم الشباب على اساس علمى فى بلادنا — فقد استغلت اخطاء بعض اعضاء المنظمة الذين تصرفوا بوصفهم قادة متميزين عن غيرهم من اقسام من الطلبة لاتسلم لهم بهذه القيادة . استغلت الاخطاء لشن حملة « تشويه ضخمة لتحطيم العمل السياسى واصبح العمل السياسى في صفوف الطلاب نهبا لصراعات ومراكز قوى عديدة لم تحقق شيئا سوى زيادة تمزق الطلاب وقلقهم .

ولقد كان هناك تأكيد على اهمية تمكين التنظيم السياسى من ابراز قدراته فى مواجهة مسئوليته عن اعداد الشباب وقيادتهم . واكدت قرارات المؤتمر على تدعيم العمل السياسى بين شباب الجامعات والمعاهد والمدارس وربط هذا العمل بقوة الاتحاد الاشتراكى ، ووضع التنظيم المتكامل لذلك تدعيما لحرية وفاعلية الحركة السياسية الطلابية فى اطار التقدم الاشتراكى ، ومن خلال التنظيم السياسى القائد المتمثل فى الاتحاد الاشتراكى العربى .

وقد تم تشكيل لجنة وزارية من الوزراء الذين كانوا اساتذة فى الجامعات لتحديد كيفية الربط بين تنظيمات اتحادات الطلاب والتنظيم السياسى ممثلافى الاتحاد الاشتراكى ، ومناقشة اسلوب ممارسة العمل السياسي داخل قطاع الجامعات على ضوء عدم الحجر علي حرية الحركة السياسية للطلاب وكذلك اسلوب تدعيم العلاقة بين اعضاء هيئات التدريس والطلاب وتحديد مهام الاستاذ الجامعى كموجه ورائد للشباب .

وعندما عرض المتحدثون للمواد القومية التى تدرس فى الجامعات اكدوا على فشل هذه المواد

في اداء مهمتها خاصة في الكليات العملية . فالساعات المخصصة لتدريسها تأتي في نهاية اليوم الدراسي . يضاف الى ذلك ان هذه المواد لارسوب فيها مما يدفع الطلبة الى التخلف عن خضورها والتهاون في استذكارها واعتبارها مواد للدعاية ، ذلك فضلا عن الخطأ الاساسي المتمثل في الاتجاه الى توحيد دراسة هذه المواد في جميع كليات الجامعة سواء في الكليات الانسانية أو الكليات العملية . دون مانظر الى طبيعة ونوعية المواد التي تدرس في كل منها ، وان دراسة المواد القومية تكون اجدى واكثر فاعلية اذا مادمجت في مواد الدراسة الاصلية واجدى واكثر فاعلية في تطوير مضمون المواد الاصلية ذاتها يجعلها متفقة مع تطور مجتمعنا .

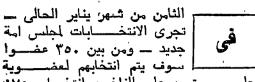
وقد اكدت قرارات المؤتمر على ضرورة ارساء اسس منهج علمي سليم للتربية السياسية الفعالة في جميع مراحل التعليم ومراعاة الدقة في اختيار القائمين على تدريس المواد القومية على اساس ان هذه المواد تتمتع باهمية كبرى وتتطلب في القائم بتدريسها مواصفات خاصة ، على ان يتيسر لهؤلاء لقاءات دورية مع القيادات السياسية في البلاد .

ويرى المراقبون ان احداث نوفمبر قد كشفت عن اهمية العمل السياسي المنظم وان محاصرة الاحداث وعدم امتدادها الى القاهرة انما يعود الفضل الاول فيه الى الوعي العام والشعور بالمسئولية في صفوف الجماهير . كما يسجل المراقبون لامانة القاهرة انها عبأت كل الجهود ونظمت قواها في معاهد التعليم لمنع اي محاولة لتكرار ماحدث في المنصورة والاسكندرية .

ان ما دعا اليه الرئيس عبد الناصر من «ضرورة التصدي في كل موقع من المواقع لحزب الثورة المضادة — حزب اعوان الاستعمار — ان تتصدي لهذا الحزب ، وان تقضي على افكاره وعلى آرائه ، وتقضي ايضا على قواه التي تمثل الخطر الكبير الذي يهدد الشعب — **هذا كله لن يتحقق الا اذا وضع قرار المؤتمر « باتخاذ كافة الوسائل التي تحقق لتنظيمات الاتحاد الاشتراكي فاعلية اكبر في قيادة الجماهير قيادة واعية ، وفي تنمية قدراتها على التصدي للقوى المضادة للثورة وكشف اساليبها والقضاء عليها وعلى ان يبدا في ذلك مباشرة بعملية تدريب الكوادر السياسية ! »**

■

انتخابات لمجلس امة جديد



في الثامن من شهر يناير الحالي — تجرى الانتخابات لمجلس امة جديد — ومن بين ٣٥٠ عضوا سوف يتم انتخابهم لعضوية المجلس — يتعين على الناخبين انتخاب ١٧٥ عضوا على الاقل من العمال والفلاحين .

ويرى المراقبون ان هذه الانتخابات تكتسب اهمية خاصة بسبب الظروف التي تعيشها البلاد — ولانها ايضا اول انتخابات تجرى في ظل تنظيم سياسي منتخب بكافة مستوياته .

وفي المناقشات الواسعة التي اثارها قرار اجراء الانتخابات لمجلس امة جديد — والتي اشتركت فيها اللجان الاساسية للاتحاد الاشتراكي ومؤتمرات الاقسام والمحافظات والصحافة — والتي توجت بقرارات اللجنة المركزية المنظمة لعملية الترشيح — تبلورت المناقشات حول ثلاث قضايا اساسية :

١ — الضرورة لاجراء الانتخابات .

٢ — دور الاتحاد الاشتراكي في هذه الانتخابات .

٣ — علاقة الاتحاد الاشتراكي بالمجلس الجديد .

لقد اظهرت المناقشات ان هناك اتجاها واسعا بين الجماهير يرى انه في ظل عدم اتمام الدستور الدائم وفي ظل الظروف الدقيقة التي خلقتها حالة الحرب واستعداداتنا المستمرة لتحرير الارض المغتصبة — وخوفا من خلق تناقضات وتعقيدات معرقلة — فانه كان من الانسب تاجيل انتخابات المجلس الى ما بعد

ازالة العدوان — والاكتفاء بوجود المؤتمر القومى العام واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى — اللذين تم تشكيلهما بالانتخابات الديمقراطية من القاعدة للقمة .

الا ان الاتجاه الغالب فى المناقشة كان متفهما ومتقبلا للمبررات التى استندت اليها القيادة السياسية فى قرارها باجراء الانتخابات .

أ — ان التغيير قد وصل الى الكثير من نواحى الحياة السياسية ولابد من ان يمتد الى المجلس .

ب — ان التعريف الجديد للعامل والفلاح سوف يدفع بعناصر جديدة الى صفوف المجلس.

ج — تنفيذ ما اعلنه الرئيس عبد الناصر فى خطابه بالمنصورة يوم ١٨ ابريل الماضى — خلال لقاءاته مع الجماهير لشرح بيان ٣٠ مارس — عندما اكد سيادته على « اننا لن نعيش بدون دستور او مجلس امة » وان دستور ٦٤ سوف يبقى معمولا به لحين ازالة آثار العدوان واعداد الدستور الدائم — وانه فى حالة « انتهاء مدة المجلس السابق قبل ازالة اثار العدوان — سوف تجرى انتخابات لمجلس امة جديد » .

وفى المناقشات حول دور الاتحاد الاشتراكى العربى فى انتخابات مجلس الامة — كان هناك اتجاه غالب يلح على ضرورة ان يكون للتنظيم السياسى القائد — وهو الاتحاد الاشتراكى دوره الواضح فى الانتخابات — وان عدم تدخل التنظيم معناه أن ينعزل التنظيم السياسى عن حركة الجماهير وان يجمد ويتخلف عن خدمتها ،وتصبح الانتخابات فرصة تستغلها القوى المضادة لفرض ارادتها على الجماهير .

ومع التأكيد على ضرورة تدخل التنظيم السياسى فى الانتخابات كان هناك حرص على ضرورة مراعاة توافر حرية الاختيار الديمقراطى للناخب . وتطبيقا لهذا فقد استبعد اسلوب الاعتراض على المرشحين — وتأكد حق اى عضو عامل فى الاتحاد الاشتراكى فى ان يتقدم للترشيح مادامت تنطبق عليه الشروط المطلوبة على ان يقوم الاتحاد الاشتراكى بعملية تنسيق بين اعضائه القياديين المنتخبين فى تنظيماته الشعبية ابتداء من لجنة الوحدة الى اللجنة المركزية وذلك لكى لا يحدث انقسام وتضارب بين هذه القيادات بما يؤثر على وحدة التنظيم ذاته .

وقامت مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى فى كل دائرة انتخابية باختيار اثنين من المرشحين القياديين احدهما من العمال او الفلاحين — ويعتبر الاثنان بمثابة قائمة ترشيح للاتحاد الاشتراكى فى الدائرة يخوضان الانتخابات مؤيدين بكافة الامكانيات السياسية للتنظيم .على ان تلتزم كافة القيادات المنتخبة من لجنة الوحده حتى اللجنة المركزية بهذا القرار وان تسقط عضوية الاتحاد الاشتراكى عن اى عضو قيادى يخرج على القرار . ولا ينطبق هذا الحظر على باقى الاعضاء غير القياديين والذين تنتظمهم القاعدة الجماهيرية العريضة — والذين يحق لهم ان يتقدموا للترشيح معتمدين على امكانياتهم الخاصة .

وخلال المؤتمرات التى عقدتها الدوائر الانتخابية مارس المواطنون النقد بالنسبة للمرشحين ،وبالنسبة لعمل مجلس الامة .واكدوا على ان مهمة المجلس الاولى والاساسية هى معاونة القيادة الثورية فى ازالة العدوان كما وضحت الرغبة الواسعة بين الجماهير فى عدم الجمع بين المراكز القيادية — لاتاحة الفرص امام القيادات الجديدة ، كما تأكد فى المؤتمرات أن حركة التنظيم السياسى يجب ان تسير على اساس ان كسب المعركة الانتخابية ليست فى فرض ارادته على الجماهير او فرض مرشحين على الجماهير بل هى فى كسب ثقة الجماهير وفى الالتحام بالجماهير والتفاف الجماهير بالوعى والارادة الحرة حول تنظيمها السياسى . وان المعركة الانتخابية هى معركة بناء للتنظيم وحشد لقوى الشعب فى معركة التحرير . كما كان هناك حرص واضح على تأكيد الطابع السياسى للمعركة ورفض اى تدخل ادارى فى المعركة لصالح مرشحى التنظيم .

والقضية الثالثة التى دارت حولها المناقشات — كانت هى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى ومجلس الامة الجديد . وكان هناك اتجاهان واضحان :

اولهما : يرى ان السيادة فى مجتمعنا للشعب العامل وان السلطة فيه هى سلطة قوى الشعب العامل متجسدة فى تنظيمها السياسى — الاتحاد الاشتراكى — الذى يوجه ويقود المجتمع فى جميع مجالاته الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية . وفى هذه الحالة فان الحكومة تعتبر الجهاز التنفيذى للاتحاد الاشتراكى ويصبح مجلس الامة هو الجهاز التشريعى او الاداة التشريعية للاتحاد الاشتراكى .

واعضاء مجلس الامة ملتزمون بوصفهم اعضاء فى الاتحاد الاشتراكى وهم يشكلون الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكى — وللاتحاد الاشتراكى حق حل مجلس الامة واسقاط العضوية عن احد اعضائه فى حالة انحرافه — ولا يعنى هذا ان يكون اعضاء مجلس الامة بدون ارادة — وانما هم « طليعة مفكرة وقائدة وشريكة ومسئولة عن سياسة واحدة » .

اما الاتجاه الثانى : فيرى « ان الاتحاد الاشتراكى بوضعه الحالى فى الميثاق والدستور

ليس سلطة دولة ، ووصفه بان السلطة العليا الممثلة للشعب او سلطة السيادة او السلطة الام او وعاء السلطات — لا يجعل منه سلطة دولة — اى سلطة منظمة فى الدستور — بل انه تنظيم سياسى يقوم [خارج] نطاق التنظيم الدستورى لسلطات الدولة ويترتب على اعتباره قوة سياسية موجهة لا سلطة دولة ان تكون اختصاصاته جماهيرية سياسية وليست اختصاصات حكم دستورية ولا يجوز له ان يتدخل فى سلطة الدولة بوظائفها التشريعية او التنفيذية مباشرة — ولكنه يؤثر فيها بتحريكه الجماهير لتجرى ضغطا على سلطة الدولة فيما يراه واجبا عليها .

ويرى هذا الاتجاه ان هناك اختلافا «بين طبيعة» الاتحاد الاشتراكى بوصفه تحالفا سياسيا خارج التنظيم الدستورى لسلطة الدولة وبين طبيعة مجلس الامة بوصفه الجهاز الاعلى لسلطة الدولة — وبالتالى فلا يتصور هذا الاتجاه ان يكون للاتحاد الاشتراكى سحب الثقة من الحكومة او ان يحل مجلس الامة « كما لا يتصور ان يكون قراره مثلا ملزما دستوريا لرئيس الدولة بحل مجلس الامة او ملزما لمجلس الامة بسحب الثقة من الحكومة » .

ولكن التوصية التى يصدرها الاتحاد الاشتراكى وهو التنظيم السياسى يمكن ان يحدث اثرها على سلطة الدولة فتستجيب لما يطلبه وبقدر فاعليته وبقدر نشاطه بين الجماهير والتحامه بها وتعبئته لها — بقدر ما يتحقق له التأثير فى سلطة الدولة .

ولم تحسم اللجنة المركزية هذه القضية فقد اعلن السيد أنور السادات ان العلاقة بين اللجنة المركزية وبين مجلس الامة سوف يترك تحديدها للممارسة العملية .

على ان الامر الذى لا خلاف عليه بين المراقبين هو ان انتخابات مجلس الامة انما تمثل نوعا من الامتحان للاتحاد الاشتراكى فى تشكيله الجديد — امتحان لوحدته — امتحان لمستوى الالتزام بين اعضائه امتحان لحسن قيادته لحركة الجماهير .

■

طلاب العالم يلتقون فى القاهرة

تعقد اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمى اجتماعها فى ١١ يناير ١٩٦٩ فى القاهرة بدعوة من اتحاد الطلاب العام فى ج٠ع٠م٠ وجاءت هذه الدعوة بعد ان طلب اتحاد طلاب ج٠ع٠م الانضمام الى اتحاد الطلاب العالمى .

وهذا الاجتماع هو الاجتماع الثانى للجنة التنفيذية منذ انعقاد المؤتمر التاسع لاتحاد الطلاب العالمى فى مارس — ابريل ١٩٦٧ فى المباثور — منغوليا . ولهذا الاجتماع أهمية خاصة فى الحركة الطلابية العالمية ، سيبحث الاجتماع قضية كفاح شعب فيتنام بعد التطورات الاخيرة وسينظم العمل للمشاركة فى اللقاء الدولى لتأييد شعب فيتنام ، والذى سينعقد فى ١٩ مارس ١٩٦٩ فى هلسنكى ويشترك طلاب العالم وشبابه وكثير من المنظمات الدولية — مجلس السلام العالمى — المؤتمر الافروآسيوى — وجميع القوى المختلفة التى تؤيد كفاح شعب فيتنام .

ويدرس الاجتماع دور الطلبة فى الكفاح ضد الامبريالية والاستعمار الجديد وضد الاحتكارات الرأسمالية . ولاول مرة فى تاريخ اتحاد الطلاب العالمى يضمن برنامجه النضالى هدف الكفاح ضد الاحتكارات الرأسمالية . كما يدرس التقرير الرئيسى المعروض على اللجنة التنفيذية قضايا النضال من أجل الديمقراطية والحريات الاكاديمية ومن أجل التقدم الاجتماعى والسلام العالمى . وتقدم سكرتارية اتحاد الطلاب العالمى فى تقريرها تحليلا شاملا لنشاط طلاب العالم منذ الدورة السابقة للجنة التنفيذية والتى عقدت ببرلين فى مارس ١٩٦٨ — حيث سيركز التقرير على التطورات الهامة فى الوضع الدولى والتى ساهم فيها الطلبة بنشاط ، فيناقش كفاح طلبة وشعوب البلدان العربية لتصفية آثار العدوان الاسرائيلى الاستعمارى وتزايد العمل الفدائى فى الاراضى المحتلة . ويقدم الاجتماع دراسة خاصة عن التمردات الطلابية فى اوروبا الغربية وتطور كفاح الطلاب

ويدرس الاجتماع التطورات الجديدة فى الحركة الطلابية فى امريكا اللاتينية وفى افريقيا — وخاصة وانه سيسبق عقد هذا الاجتماع ندوة دولية للاتحادات الطلابية الافريقية ينظمها اتحاد الطلاب العالمى مع اتحاد طلاب جامعة الخرطوم فى ٢٦ ديسمبر ١٩٦٨ فى الخرطوم .

وبمناسبة انعقاد اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمى سيوضع الحجر الاساسى لبناء عمارة سكنية للطلبة كهدية من اتحاد الطلاب العالمى لاتحاد طلاب ج٠ع٠م .

ويعقب الاجتماع ندوة يدعو لها اتحاد الطلاب العالمى واتحاد الطلاب فى ج٠ع٠م حول مسائل بناء الاشتراكية فى الدول النامية — وبعدها سيشترك اعضاء اللجنة التنفيذية وعددهم حوالى ١٦٠ مندوبا من ٤٧ بلدا فى يوم التضامن مع

الشعوب العربية والذى سينظمه اتحاد طلاب الجمهورية العربية فى ٢٢ يناير ».

ويشترك فى اجتماع اللجنة التنفيذية من الاتحادات الطلاب العربية بالاضافة الى اتحاد طلاب ج.ع.م اتحادات الطلبة العراقية والاردنية والسودانية والمغربية والجزائرية والفلسطينية واتحاد طلاب الكويت ».

ان انعقاد اجتماع اللجنة التنفيذية لاتحاد الطلاب العالمى فى القاهرة يعتبر حدثا هاما فى تاريخ حركة الطلبة العالمية وعلامة من علامات ازدياد النضال الجاد من أجل التضامن الاممى مع الشعوب العربية فى نضالها ضد الامبريالية والاستعمار الجديد واسرائيل . وان انضمام الاتحاد العام للطلاب فى ج.ع.م لاتحاد الطلاب العالمى يعبر عن موقف ايجابى فى الارتباط بطلاب العالم ارتباطا واعيا فى النضال الشريف الذى يخوضونه ضد الامبريالية ومن اجل الديمقراطية والتقدم الاجتماعى والسلام ».

■

قرارات مجلس السلام العالمى انعكاس لجهد مخلص

عقد رؤساء مجلس السلام العالمى دورة اجتماعاتهم الثانية لهذا العام فى لاهتى بفنلندا، وحضر الاجتماع كمراقبين ممثلو عديد من المنظمات العالمية والاقليمية مثل اتحادات النساء والطلاب، والشباب العالمية ، ومنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا .. الخ . وناقش أعضاء الرئاسة خلال اجتماعاتهم عددا من المشاكل الدولية الهامة .. من بينها ، المشكلة الفيتنامية ، والامن الاوروبى ، وازمة الشرق الاوسط ..

وقد استمع الرؤساء قبل مناقشتهم لازمة الشرق الاوسط ، الى تقرير تقدم به خالد محيى الدين رئيس المجلس القومى للسلام عن تطورات الموقف فى المنطقة .. اشار فيه الى تفاقم الموقف فى الشرق الاوسط .. وفند المزاعم الاسرائيلية التى تدعى رغبة حكام اسرائيل فى التوصل الى تسوية سلمية ، واشار الى الطبيعة العدوانية للسياسة الاسرائيلية ، والى تحالفها الوثيق مع القوى الامبريالية فى الولايات المتحدة ، والمانيا الغربية . ولفت النظر الى رفض اسرائيل هى والمانيا الغربية التوقيع على اتفاقية منع انتشار الاسلحة النووية ..

وكشف التقرير أيضا انتهاك اسرائيل لقرارات الهيئات الدولية ، وتحديها للرأى العام العالمى ، وأكد على ضرورة حشد أوسع القوى فى العالم لادانة اسرائيل ، واجبارها على التراجع ..وقال « ان علينا ان نحدد لانفسنا شعارا محددا،ندعو كل انصار السلم فى العالم الى التمسك به ، وحشد الجهود لتنفيذه ، هذا الشعار هو تنفيذ قرارات مجلس الامن وسحب القوات المعتدية من الاراضى التى احتلتها » .

هذا ، وقدم رئيس المجلس القومى للسلام فى النهاية تقريرا عن نتائج جولته فى عدد من دول أوربا الغربية هى فرنسا ، وايطاليا ، وبريطانيا، وبلجيكا ، حيث التقى بعدد كبير من ممثلى الهيئات والمنظمات والجماعات العلمية ، والصحفية ، والدينية ، والسياسية ، والنقابية ، من مختلف الاتجاهات .. شارحا وجهة النظر العربية ، داعيا كل هذه القوى للاشتراك فى **المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية المزمع عقده فى القاهرة فى الفترة من ٢٥ — ٢٨ يناير ١٩٦٩**

وقد اشار فى هذا التقرير الى انه قد لمس خلال جولته تفهما عميقا من اوساط واسعة لحقيقة الاوضاع فى الشرق الاوسط . واوضح أن كثيرا من القوى قد بدأت تكتشف خداع وتضليل الدعاية الصهيونية ، واشار الى ان ابرز مظاهر التحول الايجابى الذى يطرأ على الرأى العام العالمى ، هو قبول عدد كبير من الشخصيات الهامة ذات الشهرة العالمية ، القيام بتوجيه الدعوة لعقد المؤتمر باسمهم ، ومن بين هؤلاء كريشنامينون وفالنتينا تيريشكوفا رائدة الفضاء السوفيتية الاولى ،



● كريشنا مينون ●　　● ارنولد توينبى ●

و «ارنولدتوينبى» المؤرخ البريطانى المشهور، والسير «جون ريشموند» سفير بريطانيا السابق بالسودان و «كريستوفر مايهيو» العضو العمالى البارز بمجلس العموم ، و «مايكل ادامز» الصحفى والكاتب المعروف . وجورج كارى النائب المحافظ فى مجلس العموم .

ومن ايطاليا «سيمون جاتو» نائب رئيس مجلس الشيوخ ، و «لوتزاتو» نائب رئيس مجلس النواب و «ليليو باسو» رئيس الحزب الاشتراكى الايطالى للوحدة البروليتارية ، و «رانيشيو بيانكى باندنيللى» عضو أكاديمية العلوم الايطالية .

ومن فرنسا «لوى ثيرنوار» وزير سابق ، و «بيير كوت» وزير سابق ورئيس اتحاد الحقوقيين الديمقراطيين العالمى ، و «روبير بورون» وزير سابق ، و «مارك أورجون» سكرتير الحزب الاشتراكى الموحد ، والبروفسور «جاك بيرك» ، و «فانسان مونتى» ممثل فرنسا فى لجنة الهدنة عام ١٩٤٨ . ومن بلجيكا البروفسور «سالمون» أستاذ القانون الدولى بجامعة بروكسل ، و «ارنست جلين» عضو البرلمان الاوربى ، والبروفسور «بيير نوتومب» مدير العلاقات الخارجية بالجامعة المسيحية بلوفان ، و «جان جابيو» سكرتير اتحاد نقابات عمال بلجيكا ، والبروفسور «آبيلا» الاستاذ بالمعهد العالى للعلوم الاجتماعية بجامعة بروكسل ، و «ديباج» الرئيس السابق لهيئة اغاثة اللاجئين بعمان . هذا بالاضافة الى شخصيات هامة أخرى من الدول الاشتراكية .

والحقيقة ان قيام هذا الحشد الكبير من الشخصيات العالمية ذات المكانة

تعليق

البضائع المهربة وحماية الصناعة الوطنية

تبحث وزارة الصناعة بالاشتراك مع وزارة الاقتصاد قضية البضائع المهربة والتى اغرقت السوق المصرى بشكل متزايد خلال العام الماضى بصفة خاصة . فانه ما من ركن فى القاهرة والاسكندرية وفى معظم المدن الاخرى الا وهو يعرض مئات الاصناف من البضائع الاجنبية المستوردة .. وفى الشهور الاخيرة شهدت الاسواق افتتاح حوانيت جديدة متخصصة فقط فى بيع هذه السلع ..

والملاحظ أن هذه السلع أولا : ترضى رغبات وطلبات طبقات اجتماعية متميزة أو طبقات صغيرة ذات تطلعات اكبر من قدراتها الاقتصادية والاجتماعية — وهى سلع ليست اغلبية الشعب فى حاجة اليها وهى لاتمثل اى ضرورة اجتماعية . ثانيا : أن ٩٩٪ من هذه السلع يوجد له بديل تنتجه المصانع المصرية مثل الجوارب والملابس الصوفية والحريرية ومعاجين الاسنان والصابون .. وغيرها ..

ثالثا : ان التجارة فى هذه السلع أصبحت ميدانا رحبا لتحقيق أرباح خيالية ساعدت على ظهور فئات اجتماعية ذات تفكير رأسمالى وتطلعات رأسمالية ، كما انها سحبت وتسحب من مجال الادخار والعمل المنتج مبالغ طائلة .

إن قضية البضائع المهربة تثير فى واقعنا الثورى مجموعة من القضايا الهامة ..

القضية الاولى : أن هذه البضائع تمثل منافسة مع صناعتنا الوطنية الناشئة والتى هى فى حاجة الى دعم وتطوير وحماية . والقضية الثانية : انها تمثل عبئا ثقيلا على خطة التنمية فهى من ناحية تستنزف قدرا كبيرا من العملة الصعبة المخزونة بكميات كبيرة لدى تجار السوق السوداء وعصابات المهربين وهى مبالغ تخرج من البلاد بطريق غير مشروع ومن ثم فهى تشجع وتنمى السوق السوداء فى العملة الصعبة ، ومن ناحية أخرى فانها تستنزف كذلك قدرا من العملة الصعبة يصرف من خزانة الدولة كمصروف جيب لكل مسافر . وهذه المبالغ لاتفيد البلاد منها اية فائدة .

والقضية الثالثة : أن التجارة فى السلع المهربة ترضى تطلعات الطبقة الوسطى والطبقة الجديدة وهوامشها الطبقية، وتنمى ايمان هذه القوة الاجتماعية وثقتها بالصناعة الرأسمالية — وهذه القوى الاجتماعية اذا ماتركت تطلعاتها الطبقية حرة من كل قيد فانها تتحول الى قوة مدمرة لكل تطور تقدمى يهدف الى القضاء على الطبقات المستغلة .

والقضية الرابعة : أن كل اتساع فى سوق السلع المهربة هو معول هدم لكل نضال من أجل تكوين وتشكيل القيم الوطنية والاشتراكية الخاصة باحترامها صناعة الوطن العربى وانتاجه . وهى سلاح تستخدمه القوى المعادية لتطورنا لاضعاف قدرة القطاع العام على الانتاج وللتشهير بقيمة وكفاءة منتجاتنا والتصغير من شأنها فى نظر المواطنين — وخاصة اذا علمنا أن جزءا كبيرا من هذه السلع مصنع فى اسرائيل ومهرب منها عن طرق مختلفة بعد دمغه بأنه صنع فى ايطاليا أو فرنسا .

والقضية الخامسة : ان هذا العمل غير المشروع يساعد على تكوين قيم واخلاقيات بورجوازية ويشجع على استخدام أسلحة الغش والرشوة والخداع

ان مواجهة سوق البضائع المهربة يجب وان يكون على رأس جدول أعمال كل عمل اقتصادى وسياسى واجتماعى .. باعتبار هذه المواجهة مهمة ثورية لحماية اقتصادنا الوطنى ولحماية القيم الاجتماعية والاخلاقية لمجتمع جديد يولد من أحشاء مجتمع قديم — وهو مجتمع يولد بصعوبة ومعاناة فى مواجهة كل القوى المعادية لتقدمنا . أن واجب القيادات الوطنية والثورية الحقيقية فى اى موقع من مواقع العمل السياسى او الاقتصادى أن تحول دون أن يأتى المولود الجديد مخلوقا مشوها يعانى من عاهات وأمراض المجتمع الاستغلالى القديم .

عبد المنعم الغزالى

الدولية ، بالدعوة لعقد مؤتمر لنصرة الشعوب العربية ، هو فى حد ذاته انتصار كبير للحق العربى وتتويج موفق للجهود التى بذلت فى الدعوة للمؤتمر ، وفى توضيح وشرح حقائق الامور فى الشرق الاوسط .

هذا وقد اصدرت رئاسة مجلس السلم العالمى قرارا اجماعيا يدين العدوان الاسرائيلى ، ويناشد كل انصار السلم فى العالم بذل مزيد من الجهد والعمل لتوضيح حقائق الامور فى الشرق الاوسط .

وقد أكد القرار ان الرأى العام العالمى الذى استطاع أن يجبر الامبرياليين الامريكيين على التراجع فى فيتنام ، ويجبرهم على ايقاف غاراتهم على جمهورية فيتنام الديمقراطية ، قادر أيضا اذا ماوحد صفوفه ، على أن يجبر اسرائيل على الرضوخ لصوت العقل ، وسحب قواتها من الاراضى المحتلة ، وعلى الرضوخ لقرارات المنظمات الدولية » .

وأكد أيضا « ان تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ تنفيذا كاملا ، هو السبيل الوحيد — المتاح فى الوقت الحاضر — لاقرار السلم فى المنطقة » وأعلن « ان انصار السلام فى العالم أجمع يؤيدون حركة النضال الشعبى الفلسطينى السياسية والمسلحة ، باعتبارها جزءا لايتجزأ من حركة التحرر الوطنى العالمية المعادية للاستعمار والعنصرية » .

وناشد الرؤساء فى قرارهم كل أنصار السلام فى العالم ، أن يبذلوا قصارى جهدهم من أجل انجاح المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية » .

■ الصراع العربى — الاسرائيلى

أزدياد النشاط السياسى والدبلوماسى وآفاق نجاحه

فى منتصف الشهر الحالى سوف يغادر جونار يارنج موسكو مرة أخرى لمعاودة مهمته فى الشرق الاوسط من جديد ، وذلك بعد ان يكون نيكسون قد تسلم مهام منصبه رسميا كرئيس للولايات المتحدة . وبين الفشل السابق لمحاولات يارنج فى الشرق الاوسط وبين المحاولات المقبلة التى سيقوم بها جرت تطورات ، وبذلت جهود ، وواجهت البلدان المختلفة فى المنطقة ضغوطا مختلفة . ودارت مشاورات على نطاق واسع ، وكل ذلك بهدف زحزحة الاوضاع عما تركها يارنج ، ومحاولة الانتقال الى نقطة قد تكون مفتاحا نحو الوصول الى حل للموقف او على الاقل لمنع تدهور الاوضاع فى المنطقة نحو حرب جديدة .

وعلى اثر فشل يارنج فى مهمته فى اواخر نوفمبر الماضى بدأ جو من التوتر يخيم على المنطقة ، وازداد الوضع تدهورا ، وانعكس ذلك بشكل ملحوظ فى ازدياد اعمال خرق الهدنة من جانب القوات الاسرائيلية وتصاعد الاعمال العدوانية ضد الاردن وقيام الطائرات الاسرائيلية بغارات انتقامية على المدن الاردنية تحت دعوى الانتقام لنشاط الفدائيين ، او ردا على قصف المستعمرات الاسرائيلية بالمدافع . ومع تصاعد العمليات العسكرية فى المنطقة صرح موشى ديان وزير دفاع اسرائيل فى حديث تليفزيونى بامكانيات انفجار حرب جديدة فى الشرق الاوسط . كما اعلن من معارضته لفرض اية تسوية للمشكلة . واعلن محمود رياض عندما سئل عما تحقق بعد عام من قرار مجلس الامن فقال « بصراحة لسنا فى نفس المكان السابق ولكننا تقهقرنا خطوات الى الوراء . واذا كان هناك تحرك فانه تحرك الى الخلف وذلك بسبب تصريحات اشكول التى تتضمن الاصرار على الاحتفاظ بقوات فى الضفة الغربية وسيناء » .

كما اعلن الملك حسين فى حديثه الى التليفزيون الامريكى « ان نشوب حرب فى الشرق الاوسط امر محتم اذا ظل الموقف على ماهو عليه الآن » .

كما اكد الملك حسين « بان سلسلة الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة على الاردن ما هى الا محاولة جديدة من جانب اسرائيل للضغط على الاردن اقتصاديا وعسكريا » وقال « ان هذا الموقف الخطير والمعقد يؤدى الى زيادة التعاون بين جميع الدول العربية للعمل على ازالة آثار العدوان » .

وازاء هذا التدهور قالت الاسوشيتدبرس ان كبار الدبلوماسيين فى واشنطن يرون ان ازمة الشرق الاوسط هى اكثر القضايا حساسية وخطورة وذلك بعد ان بدا ان الجهود التى تبذلها الامم المتحدة عن طريق وسيطها لتسوية الازمة قد انهارت » .

وذكرت اليونيتدبرس انه ازاء هذا الوضع الخطير « فان هناك تحركات دبلوماسية على نطاق دولى شامل تجرى لايجاد حل لمشكلة الشرق الاوسط . وقالت ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وفرنسا وبريطانيا والدول العربية واسرائيل تشترك فى هذه التحركات والاتصالات » .

وصرح مصدر فرنسي كبير « بأن الموقف في الشرق الاوسط يزداد خطورة وانه ينبغي انيكون هناك حل دولي بانعقاد مؤتمر قمة رباعي تحضره الدول المعنيـــة في الشرق الاوسط كمراقبين ، وتكون مهمة هذا المؤتمر شرح قرار مجلس الامن والعمل على تنفيذه بالاتفاق معالاطرافالمعنية ».

وابدتبريطانيا اهتماماكبيرا بالازمةوتطوراتها فارسلت وكيل وزارةالخارجية البريطانية دينيس جرين الى القاهرة لاجراء مشاورات حـــول مشكلة الشرق الاوسط ومن اجل العمل بسرعة على اعادة فتح قناة السويس . كمـــا ارسلت فرنسا جورججورسبصفته مبعوثا خاصا للرئيس ديجول الى القاهرة للتشاور في الامر . وفي الوقت نفسه حضر الى القـــاهرة وفد حكومي ايطالي لاجراء مشاورات للغرض نفسه .

وخلال هذا النشـــــاط الدبلوماسي الواسع

تعليق

ماذا وراء الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة ؟

اذا كانت الاهداف التقليديةللاعتداءات الاسرائيليـــة على الاردن هي ارهاب الشعب الاردني ودفعه للرضوخ وقبول الخطط المتجددة لتصـــفية القضـــية الفلسطينية والتسليم بالمطالب التوسعية الاسرائيلية في الضفة الغربية ،واقناعه ان القوات العراقيةلنتحميه من العدوان بل ستكون هي نفسها عرضة للعدوان الى جانب استمرار الاستعداء علىقوات المقاومة واحراج ج.ع.م في الظروف الحالية ، فان الاعتداءات الاخيرةترتبط بشكل مباشر بجولة سكرانتون فيالشرق الاوسطمنناحية ورحلة ديان اليالولايات المتحدة للمشاركة في حملة التبرعات لاسرائيل من ناحية اخرى .

ان تركيز البلاغ الاسرائيلي المصـــادر عن العدوان على خط القوات العراقية ومانشرته الصحف من انذار اسرائيلي للملك حسين بشأن وجود هذه القوات لا يمكن عزلهما عن تصريح سـكرانتون بأن تعهدات نيكسون الانتخابية مرتبطـة بوجود خطر يهدد اسرائيل . ولقـــد ارادت اسرائيل ان تبرز وفي اثنـاء جولة سكرانتون استعدادات الـــدول العربية الدفاعية ووجود القوات العراقية على خطوط وقف اطلاق النار على الجبهة الاردنية ومن هنا الحاح الصـــحفيين الاسرائيليين على سكرانتون ليوضحمدى اقتناعه بوجود خطر على اسرائيل .

ومن جانب آخـر فان خلق حـالة من التوتر على الحدود والتضخيم من الاخطار التي تواجه اسرائيل من الامور الضرورية لانجاح حملته نهاية العام لجمعالتبرعات لاسرائيل والتي يذهب موشي ديان الى الولايات المتحدة للمساهمة فيها كجزء من الاهداف الاساسية لرحلته .

ولكن يجـــدر بنـا الا ننسى انه اذا كانت هذه هي الاهداف التكتيكيـة المباشرة للاعتـــداءات والبـــلاغات الاسرائيليـــة فان لاسرائيـل مـرامي استراتيجية ابعد من ذلك .

لقد لخص ديان نظريته في المحافظة على الوجود الاسرائيلي ومكاسباسرائيل التوسعية بقوله « ان النصر الـــذي يتحقق يحتاج الى نصر جديد لتدعيمه ». وانطلاقا من نظريته هذه فهو اذا كان قد صرح في فترة الاعداد لعـــدوان سنة ١٩٦٧ « ان الضفة الغربية هي ورم سرطاني في معدة اسرائيل » فانه لم يتردد في ان يصرح في ٥ يوليوسنة ١٩٦٨ امام اتحـاد شباب الكيبوتز في اجتماع عقده في الاراضي الســورية المحتلة « ان هذه ليست النهاية لانهناك بعد خطوط وقف اطلاق النار الحاليـة خطوطا جديدة تصل الى ماوراء نهـر الاردن وتصل الى لبنـــان واواسط سوريا » ، وسرعان ما ارتفعتصيحات المؤسسات العسكرية في المسـتعمرات الاسرائيلية عن « مرتفعات » الضفـة الشرقية التي تصوب منها المدافع على « السكان المسالمين » في المســتعمرات الاسرائيلية ، ويبدو ان الجبهة الاردنية « التي تلقت من الانذارات اكثر ممـا تلقت من السلاح بعد عدوان ٥ يونيو » على حد تعبير الملك حسين ، تعتبرها السياسة الاسرائيلية البطن الطـــري للجبهة العربية وتاتي كالهدف الاول في المخططات التوسعية الاسرائيلية التي تستحق ان يوجه اليها الضغط الاكبـر وتخلق المبررات المستمرة للعدوانعليها.

ولا شك ان من اهداف اسرائيـــل بعدوانها الجديد وبلاغاتها العسـكرية وانذارها للملك حسين امداد اخطبـوط الدعاية الصهيونية بالادوات الدعائيـة لاعداد الراي العام العالمي لاي توسع اسرائيلي جديد نحو الشرق فيالمستقبل، وذلك بابراز ان هناك خطرا يتهـدد اسرائيل يتمثل في وجود القواتالعراقية على الضفة الشرقية الى جانب وجود قواعد المقاومة الفلسطينية ، والتضخيم من هذا الخطر الذي « تضطر اسرائيل للقيام باعمال عسكرية لدرئه » « وذلك كجزء من المخطط الاسرائيلي الذي يبدا باختلاق مبرر ماللتوتر ، ثم الالحاحعليه، لياتي بعده الاعداد واستغلالالتناقضات، واستعداد القوى الامبريالية ، وتجميع الحلفاء وعقد الصفقات وحبك المؤامرات الدولية وانضاج الظروف لتنفيذ العدوان وتحقيق التوسع الجديد لتدعيم التوسع القديم .

ولكن مهما بلغت دقة التخطيط والتآمر فان سياسة التوسع الاسرائيلي لن تكون ابرع ولا ادق من خطط كل من سبقها من قوى عدوانية ولابد من حفرة تسقط فيها فتضيع كل ماسـبق وما لحق . واضطرار البلاغ الاسرائيلي عن العدوان الجوي على الضفة الشرقية الىالتركيز على وجود القوات العراقية كمبـــرر للعدوان وعدم اكتفائهبالحجة التقليدية عن وجود قواعد المقاومة انما يعـكس حساسية السياسة الاعلامية الاسرائيلية بازاء الوصفية الجـديدة للراي العـام العالمي ، فبعد ان اخـذت المقاومة الفلسطينية تكتسب شرعيتها وعدالتهـا امام العالم لم يعد التركيز على وجودها سلاحا كافيا في يد اسرائيل او مبررا للعدوان ، بل هو يتحول ليصبح سلاحا ضد اسرائيل ، ســلاحا يزعزع كل ماتحاول تاكيده في وعي الراي العام العالمي من قبول توسعها كامور واقعة ليس لها منازع . وهو مايمثل نقطة تحول هامةعلىطريق النهاية للتوسعالاسرائيلي العدواني .

وديع وهيب



● جونار يارنج ● ● سكرانتون ● ● ايبان ● ● ديان ●

النطاق ارسل نيكسون مبعوثه الخاص الى الشرق الاوسط لاستطلاع الموقف وتقديم تقرير اليه . وحضر المستر سكرانتون مبعوث الرئيس نيكسون واجرى مشاوراته لاستطلاع وجهة نظر الدول العربية واسرائيل . وصرح سكرانتون لدى وصوله الى روما بان الحكومة الامريكية الجديدة لديها مشروع جديد لحل ازمة الشرق الاوسط وبان نيكسون سيذيع المشروع الجديد بمجرد توليه السلطة ، كما صرح بان الولايات المتحدة ينبغي ان تكون غير منحازة لأى طرف فى الشرق الاوسط . وقد علق د . محمد حسن الزيات المتحدث الرسمى باسم ج.ع.م على هذا التصريح بقوله : اننا نطلب الدليل العملى لسياسة عدم انحياز امريكا .

غير ان موجة التفاؤل التى صاحبت زيارة سكرانتون لدول المنطقة ، على اساس التصريحات التى ادلى بها سرعان ما بدأت تنحسر على اثر التطورات التى حدثت عقب عودة سكرانتون الى الولايات المتحدة .

فقد صرح ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل قائلا « ان الولايات المتحدة قدمت تأكيدات بان السياسة الامريكية ستظل مخلصة للمبادىء التى اعلنها الرئيس جونسون فى خطابه الذى القاه يوم ١٠ سبتمبر » . ولفت ايبان النظر الى تصريحات سكرانتون فى بيروت التى اكد فيها ان السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط لم يطرأ عليها اى تغيير . وعقب ذلك سافر ديان وزير دفاع اسرائيل الى الولايات المتحدة واجتمع بنيكسون وصرح عقب اجتماعه به « اننى لا اشعر بمخاوف كبيرة من احتمالات تغيير السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط خصوصا بعد اجتماعى بالرئيس نيكسون » .

ويرى كثير من المراقبين السياسيين انه من السابق لاوانه تعليق آمال كبيرة على امكانية التوصل الى نتائج سريعة من خلال الجهود الدبلوماسية المبذولة من اجل الضغط على اسرائيل لتسوية مشاكل الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن ، وهذا يتفق مع ما صرح به المستر اندرسون وزير المالية الامريكى السابق عقب جولته فى بلدان الشرق الاوسط على ذلك عندما قال : « **ان الفترة اللازمة لتحقيق اى تقدم فى مشكلة الشرق الاوسط عن طريق الجهود السياسية لن تقل باى حال من الاحوال عن ستة اشهر** » .

على انه مهما يكن من امر فان اوساط الراى العام العربى قد اصبحت مقتنعة بان مساعدة الجهود الدبلوماسية فى الوصول الى نتائج تصفى آثار العدوان قد باتت متوقفة — بالدرجة الاولى — على درجة صمود وتساند الجبهة العربية وعلى الجهود التى تبذلها الشعوب العربية لوضع قادة اسرائيل وجها لوجه امام هذه الحقيقة البسيطة وهو ان العدوان لن يفيد .

من هنا تأتى الاخبار الخاصة بوجود ونشاط منظمة سيناء العربية لتدعم النشاط الفدائى ولتركز مرة اخرى على خط الصمود والمقاومة ضد الاحتلال الاسرائيلى باعتباره الوسيلة الفعالة والايجابية لمساندة الجهود السياسية والدبلوماسية من اجل الوصول الى تسوية لمشكلة الشرق الاوسط على اساس قرار مجلس الامن ، وهو القرار الذى لم تتقبله اسرائيل حتى اليوم .

■ لبنان ■

خطوة الى الامام في تاريخ الجامعة العربية

في الفترة من ٢ — ١٠ ديسمبر سنة ١٩٦٨ انعقد في بيروت ، المؤتمر الاقليمي العربي لحقوق الانسان وكان انعقاده بمناسبة عام حقوق الانسان والذى اقرته الامم المتحدة بمناسبة مرور عشرين عاما على صدور الاعلان العالمي لحقوق الانسان . ولعل أول ملاحظة على هذا المؤتمر هي أنه لم يقتصر على الدول الاعضاء فقط في الجامعة العربية بل امتدت الدعوة الى دول وهيئات وشخصيات دعيت لحضور المؤتمر بوصفهم مراقبين وعلى ذلك وجهت الدعوة الى ■

١ — دول منطقة الشرق الاوسط ■ تركيا واليونان وايران وأفغانستان ... الخ .

٢ — المنظمات الملحقة بهيئة الامم المتحدة مثل منظمة الاغذية ، ومنظمة الصحة العالمية ، ومنظمة اليونسكو ... الخ ■

٣ — ممثلو تنظيمات شعبية عالمية واقليمية مثل اتحاد المحامين الديمقراطيين . ومنظمة تضامن الشعوب الاسيوية الافريقية واتحاد العمال العرب ومنظمة الصليب الاحمر الدولي ، والاتحاد الدولي للمشتغلين بالعلوم ... الخ ■

٤ — بعض اساتذة الجامعات الاجانب ، وبعض الصحفيين الاجانب والمصريين .

ولهذا رأينا في المؤتمر ستيفنس والبسون والحاخام المربيرجر من الولايات المتحدة الامريكية وجاك بيرك و « أندريو » ومدام سولانج من فرنسا وماكيرايلد ومايكل آدمز من انجلترا ، وكارانجيا من الهند ... الخ .

ومن الواضح أن الجامعة العربية قد وجهت الدعوة الى عدد من الهيئات والشخصيات التي لها اهتمام بحقوق الانسان من ناحية وبمشاكل الشرق الاوسط من ناحية أخرى .

ويرى المراقبون أن توجيه الدعوة الى هيئات وشخصيات خارج النطاق الرسمي للجامعة العربية ، يمثل تطورا جديدا في أسلوب الجامعة العربية ، فبعد أن كانت الجامعة تنظيما مغلقا على نفسه ■ نراه الان يعود الى الانفتاح على العالم ■

وفي الحقيقة فلقد كان لحضور هؤلاء المندوبين المراقبين اثر كبير في اثراء الموضوعات التي طرحت للبحث وتعميق المناقشات التي دارت في الاجتماعات العامة أو في اجتماعات اللجان الفرعية أو حلقة البحث ■

وتقليد آخر محمود استنته الجامعة العربية وهو توزيع جوائز لموضوعات البحث التي طرحت على المؤتمر ، سواء من الكتاب الاجانب أو العرب

وفي الحقيقة ، فقد عرضت على المؤتمر موضوعات بحث قيمة حول القضايا العربية والقضية الفلسطينية على وجه الخصوص ، ولقد ساهمت مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية بالعديد من هذه البحوث القيمة والتي مثلت مناقشة موضوعية علمية لعدد من موضوعات القضية الفلسطينية ■

ولقد شملت الموضوعات التي عرضت على المؤتمر ممارسة البلاد العربية لحقوق الانسان واهدار الاستعمار لحقوق الانسان العربي في فلسطين ، والمقاومة العربية للاحتلال الاسرائيلي والخطة الاعلامية الواجبة للتحرك العربي .

وفيما يختص بممارسة البلاد العربية لحقوق الانسان نص القرار الرابع للمؤتمر على دعوة أمانة الجامعة الى « اتخاذ الاجراءات لانعقاد اللجنة العربية الدائمة لحقوق الانسان » والتي صدر قرار الجامعة بتشكيلها في ٣ سبتمبر سنة ١٩٦٨ . وسيكون اختصاص هذه اللجنة « مكملا لنشاطات الامم المتحدة في مجال حقوق الانسان وان تتعاون مع الوكالات المتخصصة والهيئات الدولية ولجان حقوق الانسان الدولية والاقليمية في تطبيق البرامج المتصلة بحقوق الانسان ، وعلى الاخص في المناطق المحتلة » ■ كما دعى القرار الدول الاعضاء الى انشاء لجان وطنية لحقوق الانسان تتعاون مع اللجنة العربية الدائمة ونص القرار الثالث للمؤتمر على « تأكيد ما ورد في الاعلان العالمي لحقوق الانسان : من حق المواطنين في التمتع بكافة الحريات والحقوق دون تمييز ، والاعتراف بالشخصية القانونية لكل مواطن ، والمساواة التامة في التمتع بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية المتكافئة ، ومساواة الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات ، وحماية الاسرة والبيت ورعاية الامومة والطفولة ، وحق المواطنين في تكوين المنظمات الاجتماعية والجمعيات السلمية في حدود القانون ، وحق التمتع بأنظمة التأمينات

الاجتماعية ، والضمان الاجتماعي ، وحق المواطنين في التعليم والعمل والرعاية الصحية ، وحق المعوقين والمحتاجين في رعاية الدولة وفي فرص متكافئة في العمل » .

وفيما يختص باهدار الاستعمار لحقوق الانسان العربي في فلسطين ، استعرض المؤتمر كافة القرارات والاجراءات السابقة للامم المتحدة ومجلس الامن ، والاعلان العالمي لحقوق الانسان وقرارات مؤتمر طهران سنة ١٩٦٨ لحقوق الانسان . كما استعرض كافة أعمال القتل الجماعي والتعذيب والتخريب والتشريد التي تتبعها سلطات الاحتلال الاسرائيلية . واصدر قراره الخامس والذي ينص على « أن اسرائيل قاعدة استعمارية عنصرية تقوم على انتهاك حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره وممارسة حقوقه الطبيعية في وطنه مما يتنافى تماما مع ميثاق الامم المتحدة ، والاعلان العالمي لحقوق الانسان » وأن « الجرائم التي ترتكبها اسرائيل ضد الانسانية وابادة الجيش واجبة التحريم دوليا وفقا لاحكام اتفاقية لندن سنة ١٩٤٥ الخاصة بمعاقبة مجرمي الحرب » .

وفيما يختص بحركة المقاومة العربية للاحتلال الإسرائيلي ، جاء في القرار السادس « تأييد حركة المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال الاسرائيلي بشتى الوسائل » و « دعوة الدول والهيئات والمنظمات الدولية الى تطبيق احكام اتفاقية جنيف لسنة ٤٩ باعتبار رجال المقاومة الفلسطينية في حكم القوات النظامية بالنسبة للقانون الدولي وامتداد صفة المحاربين الى أسراهم وجرحاهم » .

وفي معرض مناقشة أوضاع اليهود الشرقيين داخل اسرائيل ، ومعاملتهم من السلطات الاسرائيلية ، اخذ المؤتمر قرارا هاما [القرار الثامن] اذ نصت الفقرة «٢» على ماياتي : « تقوم النظرة العربية في مواجهة التمييز العنصري الصهيوني في اسرائيل ، على اساس الدفاع عن الوضع المهين لليهود الشرقيين اسوة بالعرب في داخل اسرائيل ، تأكيدا للنظرة العربية من عداء للاضطهاد العنصري بكافة اشكاله ، وشجبا لاي انحراف بالصراع بين العرب والصهيونية نحو اية نزعة عنصرية ، وتأكيدا بانه ليس هناك اى عداء بين العرب واليهود ، ولكن العداء التاريخي هو بين الصهيونية والحركة العربية التي تبغي التحرر والتقدم ، وتقاوم جميع اشكال الاستعمار والتمييز والاضطهاد العنصري» كما تضمنت الفقرة «هـ» من نفس القرار على « أن العرب يتخذون الموقف ذاته في الدفاع عن اليهود المعادين للصهيونية في البلاد الأخرى والحيلولة دون فرض الولاء الاسرائيلي عليهم ، والخلاص مما يقاسون من أسباب الاضطهاد والدعاية الصهيونية تمشيا مع الكفاح العربي ضد الصهيونية ، وكونه كفاحا انسانيا عالميا لا يفرق بين العرب وغير العرب في هذا المضمار ».

وفي مجال الخطة الاعلامية ، كان التركيز واضحا من المتكلمين على ضرورة اعطاء عناية كبيرة للاعلام العربي وخاصة في الدول الغربية ، وان يكون ذلك على أساس مخاطبة عقل الانسان الاوروبي ، أو الامريكي وتوضيح القضية الفلسطينية له ، وبذل الجهد في ازالة تراكمات الدعاية الصهيونية السابقة ، وقد اقر المؤتمر الخطة الاعلامية في هذا الشأن واحالها الى الامانة العامة لاتخاذ الاجراءات اللازمة لتنفيذها . وفي العاشر من ديسمبر سنة ١٩٦٨ صدر « اعلان بيروت » عن المؤتمر الاقليمي العربي لحقوق الانسان ، متضمنا المبادىء السابق الاشارة اليها مستنكرا مبادىء الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، ومستعرضا نضال المنطقة العربية التاريخي في سبيل تثبيت حق الانسان ، وما احرزته البلاد العربية من تقدم في ممارسة حقوق الانسان ، ومتدارسا ببالغ القلق الوان العدوان الاجرامي على حقوق الانسان وحريات الشعوب في الوطن العربي ، وفي جنوب أفريقيا وجنوبها الغربي ، وأنجولا وموزمبيق وروديسيا الجنوبية ، وجميع الشعوب المكافحة في آسيا وأفريقيا « ومثبتا الترابط الوثيق والتعاطف التام بين الاستعمار العنصري الاستيطاني في فلسطين ، وفي افريقيا ، واتفاق مقوماته الاساسية مع مقومات النازية والفاشية المستندة الى غرور التفوق العنصري بشروره وويلاته » .

وهكذا اختتم المؤتمر أعماله في هذا اليوم بهذا الاعلان ، ويرى المراقبون ان هذا المؤتمر بحكم تكوينه وبحكم ما أنجزه من قرارات يعتبر خطوة الى الامام في تاريخ الجامعة العربية .

■

■ ايطاليا

هل تنجح حكومة « يسار الوسط » الجديد ؟

بعد اكثر من شهر عاشت فيه ايطاليا بدون حكومة ، وبعد مفاوضات بطيئة ومتعثرة استمرت حوالي الثلاثة اسابيع ، تمكن **ماريانو رومر** من تشكيل الحكومة الجديدة وتقدم ليحوز بها الثقة من البرلمان الايطالي .

ومع وزارة **ماريانو رومر** تشهد ايطاليا تجربة جديدة لوزارات اليسار الوسط ، بعد ان انهارت التجربة الاولى على اثر الانتخابات العامة الماضية .

وتتكون وزارة اليسار الوسط الجديدة من ١٦ من الديمقراطيين المسيحيين و ٩ من الاشتراكيين ووزيرا واحدا من الجمهوريين [٣٦٤ صوتا فى مجلس النواب مقابل ٢٥٥ صوتا] .

وقدتم اختيار **بيترو نينى** زعيم الحزب الاشتراكى وزيرا للخارجية ، كما اختير **فرانشسكو دى مارتينو** الرجل الثانى للحزب الاشتراكى ، والذى وقف مدة طويلة ضد الانضمام لوزارة يسار وسط جديدة ، نائبا لرئيس الوزراء . كما تم تمثيل الاجنحة اليسارية فى الحزبين الديمقراطى والمسيحى بثلاثة وزراء ، واحتفظ ماريانو رومر لحزبه الديمقراطى المسيحى بمركز وزير الدفاع الذى اختير له لويجى جى .

ومع ان «الهيرالد تريبيون» نشرت خبر اختيار نينى لوزارة الخارجية تحت عنوان « ماريانو يعهد بتوجيه السياسة الخارجية الى مناصر قوى لقضية الفيت كونج فى فيتنام » الا انها استدركت قائلة « ان نينى رغم انه ظل لفترة حليفا للشيوعيين ، وانه معارض سابق لدور ايطاليا فى التحالف الغربى ، ومازال مناهضا بشكل ثابت لسياسة امريكا فى فيتنام ، فليس من المتوقع ان يفرض اى تحويل جذرى فى السياسة الخارجية الايطالية فلقد عدل موقفه من التحالف الغربى منذ ان فض تحالفه مع الشيوعيين واصبح ينتقد بعض اعمال الشيوعيين بعنف كما حدث بالنسبة لغزو تشيكوسلوفاكيا » .

وبالنسبة لبرنامج الحكومة فلقد توصلت الاحزاب الثلاثة الى الاتفاق على بنود خاصة برفع المعاشات ، وقد كان الاشتراكيون يطالبون برفعها بشكل جذرى ، لكن الديمقراطيين لم يوافقوا بحجة ان البلاد لا تستطيع ان تتحمل عبء ارتفاع كبير بهذا الصدد وقد تم التوصل الى حل وسط . كما اتفقوا على اجراء تحقيق حكومى فى فضيحة المخابرات التى تعود الى عام ١٩٦٤ [والتى كشفها الشيوعيون الايطاليون] ويصر الاشتراكيون على اجراء تحقيق حكومى واسع النطاق يشمل بحث حقيقة الانقلاب اليمينى الذى كان يعد بواسطة عدد من ضباط الجيش ، كما طالب الاشتراكيون باصلاحات جذرية فى مجال التعليم .

ومن الواضح ان تشدد الاشتراكيين انما يرجع الى تجربتهم فى وزارة يسار الوسط الماضية والتى ادى تقاعسها عن تنفيذ اى اصلاحات جذرية الى الانفضاض الجماهيرى الواسع من حولهم والذى ابرزته الانتخابات العامة .

ولقد ولدت حكومة رومر فى احضان ازمة كبرى « لم تشهد لها ايطاليا مثيلا فى السنوات العشر الماضية على حد تعبير مراسل جريدة التيمز الذى وصف الوضع فى جزع بقوله « لقد سارت فرنسا فى نفس الطريق عام ١٩٥٨ ، ثم نصبت حكومة على دست الحكم فى اليوم الذى حدث فيه الانقلاب فى الجزائر .. ولكن ليس هناك جزائر ايطالية ، واكثر من ذلك فليس فى ايطاليا ذلك الشخص الذى يمكن ان يتجمع حوله محافظيها فى لحظة الازمة مثلما حدث فى فرنسا فى ١٩٥٨ و ١٩٦٨ ... ولكن حالة التشتت فى البرلمان بين السياسيين قد وصلت الى الحد الذى لا يمكن ان يتحمله اى نظام ديمقراطى الى ما لا نهاية ، وامام السياسيين الايطاليين بضعة ايام فان اعياد « الكريسماس » ليست بالوقت المناسب الذى يمكن ان يختاره الثوريون للقيام بانقلاب ولكن لو فشل ماريانو فلسوف يتردى الوضع بشكل حاد من مجرد ازمة الى كارثة حقيقية » .

ولقد تمثلت هذه الازمة العنيفة فى تلك الاضرابات والمظاهرات الشاملة التى عمت ايطاليا طوال الاسابيع الماضية والتى اتسع نطاقها بشكل خاص على اثر مقتل اثنين من العمال الزراعيين المضربين قرب سيراكوس بصقلية . لقد عمت



● ماريانو رومر ●

الاضرابات معظم المرافق فتوقفت جميع وسائل المواصلات واغلقت المدارس والمصانع وتوقف العمل في المزارع واقتصر العمل في المستشفيات على الحالات العاجلة وتوقفت الصحف عن الصدور كما توقفت الاتصالات التليفونية والتلغرافية وحركة الشحن والتفريغ في ميناء جنوا واغلقت جميع الاسواق المالية بسبب اضراب الموظفين والسماسرة فيها .

وشملت الاضرابات والمظاهرات كل المدن الكبرى ومعظم المناطق : روما ، نابولي ، كالابريا سردينيا ، صقلية ، برجليا ، اميليا ، ابروزو ، توسكانيا ، وفينيتو . وتميزت بوحدة الاتحادات العمالية الثلاث في مواقفها ومطالبها وباشتراك العمال الصناعيين والزراعيين جنبا الى جنب ، وبتميزها بالعنف في مناطق الجنوب الايطالي التي تعتبر اكثر مناطق اوروبا الغربية تخلفا او التي مازالت في بداية التصنيع وما زالت غالبيتها مناطق زراعية فقيرة ، كما تميزت كما يشير مراسل الهيرالد تريبيون « بالصلابة والتصميم اللذين كانت تفتقر اليها الاضرابات الايطالية في السنوات الاخيرة ، على خلاف الاضرابات الفرنسية » .

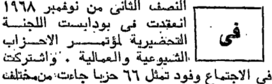
وكانت مطالب العمال هي رفع المعاشات [من ١٨ جنيها في الشهر الى ٢٥ جنيها] وبرفع الاجور ، وضمان فرص عمالية اكبر ، وتدخل الحكومة لمساعدة برامج التطوير الاقتصادي ، كما طالب الطلبة بتنفيذ « الاصلاحات الضرورية الواضحة في الجامعات ، التي تكرر تأجيلها المستمر .

ويرجع مراسل التيمز اسباب الخطر الذي عم جميع الاوساط في ايطاليا الى « ان الايطاليين يدركون « ماذا يجب عمله » لتحقيق النجاحات الاقتصادية المطلوبة ولكنهم يجدون ان «الروشتة» المطلوبة تتحطم كما حدث دائما من قبل على صخرة عناد المحافظين من جانب وعدم كفاءة الراديكاليين من جانب آخر » .

ومع ان نجاح **رومر** في تجميع الاحزاب الثلاثة حول برنامجه السياسي وفي تشكيل الوزارة يمكن ان يجتاز بايطاليا قمة الازمة التي واجهتها فان المعارضة الشديدة التي ووجه بها من قبل الشيوعيين في البرلمان واعلان اتحادات العمال والطلبة عن استمرارها في الدعوة للاضرابات لدفع الحكومة الى الاسراع بتنفيذ مطالبهم انما يوضح ان حظ حكومة يسار الوسط الجديدة من التفاف الجماهير ورضائها اقل بكثير من حظ حكومة يسار الوسط السابقة التي كان يتزعمها **الدو مورو** . وسوف يتوقف نجاحها على مدى قدرتها على التخلص من الداء التقليدي للحكومات الايطالية التي تعودت ان تعلن عن برامج تفصيلية طويلة ثم لا تنفذ منها الا اقل القليل .

■ المجر

من بودابست ٦٨ الى موسكو ٦٩



في النصف الثاني من نوفمبر ١٩٦٨ انعقدت في بودابست اللجنة التحضيرية لمؤتمر الاحزاب الشيوعية والعمالية . واشتركت في الاجتماع وفود تمثل ٦٦ حزبا جاءت من مختلف انحاء العالم .

ولهذا الاجتماع التمهيدي اهمية خاصة تتضح اذا عرفنا ان المشتركين فيه اتفقوا على ان يعقدوا اجتماعا تمهيديا آخر في مارس ١٩٦٩ . وهذا الاجتماع الاخير سيضع الترتيبات النهائية لاجتماع موسكو الذي اتفق على ان يعقد في مايو ١٩٦٩ .

واذا رجعنا الى الاجتماع التمهيدي الذي عقد في بودابست امكننا ان نقول ان وفود الاحزاب الشيوعية والعمالية ذهبت الى بودابست وبينها خلافات كثيرة ، وان مناقشات مستفيضة وواسعة دارت بين المجتمعين . ولعل طبيعة الموضوعات التي دارت حولها المناقشة تشير الى حقيقة الخلافات الايديولوجية داخل الحركة الاشتراكية والعمالية . وعلى سبيل المثال تعرضت المناقشات لعدد من القضايا من بينها على سبيل المثال :

- الاممية .
- الاستقلال الذاتي للاحزاب الشيوعية والعمالية .
- التطور السلمي للاشتراكية .
- دكتاتورية البروليتاريا ... الخ .

وعلى الرغم من ان المناقشات دارت في جو تسيطر عليه رغبة اجماعية وقوية في الوصول الى وحدة في الفكر والعمل بين مختلف فصائل الحركة الاشتراكية ، الا ان المراقبين يرون ان الاجتماع التحضيري لم يتوصل الى حسم الخلافات الايديولوجية القائمة . **والواقع انه لم يكن مطلوبا**

من هذا الاجتماع التحضيرى ان يحقق هذا الهدف .

ويرى المراقبون من البلدان الاشتراكية ان احداث تشيكوسلوفاكيا على خطورتها لم تكن العائق الرئيسى فى سبيل تحقيق وحدة الفكر والعمل بين الاحزاب . ولكن لابد من الاعتراف — فى الوقت ذاته — بان قضية تشيكوسلوفاكيا قد القت بظلها الكثيف على الاجتماع وانها اضافت الى الخلافات التى كانت موجودة بالفعل قبل التطورات الاخيرة فى تشيكوسلوفاكيا . ومن المعروف — فى هذا الصدد — ان الاحزاب الشيوعية والعمالية فىفرنسا وايطاليا وبريطانيا والنمسا وسويسرا قد عارضت بشدة اجراءات حلف وارسو فى الازمة التشيكوسلوفاكية . وانها كانت — ولا زالت — غير مقتنعة بالخطوات التى اتخذها حلف وارسو هناك وبالتفسيرات التى قدمت من قبل الدول الاشتراكية التى ارسلت قواتها الى تشيكوسلوفاكيا .

على ان جو المناقشات كما قلنا كانت تسيطر عليه الرغبة فى تمهيد الطريق الى دعم نوع من وحدة الفكر والعمل بين تلك الاحزاب خصوصا وان قوى الامبريالية العالية لاتقفولنتقف عندحد الهجوم على البلدان المستقلةحديثا [او ما اصطلح على تسميته ببلدان « العالم الثالث »] ، وانما تنشط نشاطا محموما الى ضرب مجموعةالبلدان الاشتراكية من الداخل ، وذلك اما بتهديد النظام الاشتراكى فى بلد معين ، او باستغلال الخلافات القائمة بين هذا البلد الاشتراكى او ذاك لعزله عن مجموعة البلدان الاشتراكية . ولما كانتعاظم القوة العسكرية لحلف وارسو يجعلمنالمستحيل تقريبا ان تنفذ الامبريالية اهدافها باللجوء الى الاسلوب الكلاسيكى للثورة المضادة : الانقلاب المسلح من الداخل مدعوما بالتدخل الخارجى ، فقد ركزت الامبريالية اساسا على الجبهة الايديولوجية بهدف تمزيق العلاقات بين البلدين الاشتراكية بعضهاوالبعض منناحية ، ومنناحية أخرى بهدف تمزيق الوحدة الداخلية لهذا البلد الاشتراكى او ذاك .

وازاء هذا الخطر تبادل المجتمعون الراى حول بعض نقاط الخلاف . وعلى سبيل المثال ظهرت هناك خلافات بين الاحزاب التى تحكم فىالبلدان الاشتراكية [الاتحاد السوفياتى ، بولندا ، بلغاريا ، المجر ، المانيا الديموقراطية] وبين الاحزاب الشيوعية والعمالية [خصوصا فىغرب أوربا] هذه الاحزاب التى تقف موقف المعارضة من النظم الراسمالية التى تعيش فى ظلها .

حقا لقد كان الاتفاق بين المشتركين فى المؤتمر التحضيرى ان النقطة الرئيسية هى النضال ضد الامبريالية . ولقد بدا لبعض الاحزاب ان مجرد جلوس الاحزاب الى مائدة المناقشات كفيل بان يحسمقضية : كيف تقود هذه الاحزاب النضال ضد الامبريالية ؟. لكن بعض الاحزاب الاخرى وفى مقدمتها بعض الاحزاب الحاكمة فى البلدان الاشتراكية وضحت انه يرتبط بالنضال ضد الامبريالية قضايا ايديولوجية تحتاج الى توضيح. وفى راى هذه الاحزاب الحاكمة ان الخطر الذى يهدد وحدة الحركة الشيوعية والعمالية كامن اساسا فى انحرافين او ظاهرتين :

الاولى : خطر المراجعة او التحريفية .

والثانية : النزعة القومية الانعزالية .

وفيما يتعلق بخطر المراجعة تشير الاحزاب الحاكمة فى البلدان الاشتراكية — وفى المحل الاول — الى ظاهرة اهدار المعطيات الاولى والمبادىء الاساسية التى تحكم نشاط احزاب الطبقة العاملة .

وفيما يتعلق بالنزعة القومية الانعزالية تشير بعضهذه الاحزابالحاكمة فىالبلدان الاشتراكية الى ان تعمق واستشراء النزعة القوميةالانعزالية معناه فى التطبيق وضع المصالح القومية فى تعارض مع المصالح الأممية ، واهدار الثانية لحساب الأولى ، بالكيفية التى تهدد وحدة البلدان الاشتراكية فى النضال ضد الامبريالية العالمية ، وتهدد وحدة الحركة العمالية فى العالم كله .

هذا عن الخلاف الاول .

اما عن **الخلاف الثانى** فقد حركته وايقظته احداث تشيكوسلوفاكيا . ووجهة نظر بعض الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية ان الاحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الراسمالية تطالبها بان تؤيدها فى مواقفها وتكتيكاتها الداخلية . فمثلا يطالب الحزب الشيوعى فى البرازيل الاحزاب فى البلدان الاشتراكية بان تسحب حكوماتها اعترافها بالنظام القائم فى البرازيل . وبشكل عام تقول بعض الاحزاب فى البلدان الاشتراكية اننا كثيرا ما نستجيب لرغبات الاحزاب الشقيقة فى البلدان الراسمالية على الرغم من انه قديكون من المفيد احيانا — وعلى المستوىالتكتيكى — ان تتخذ موقفا مختلفا .

ففي حالة البرازيل فان تنفيذ رغبات الحزب البرازيلي بسحب اعتراف الدول الاشتراكية بالنظام القائم هناك لن يفيد الشيوعيين البرازيليين في شيء او يحسن موقفهم .

لكن — والكلام هنا ايضا — لبعض الاحزاب في البلدان الاشتراكية — اذا كانت بعض الاحزاب الشقيقة في البلدان الراسمالية تطالبنا بان نساندها في مواقفها الداخلية ، فلماذا تخلى هذا البعض عنا اثناء الازمة التشيكوسلوفاكية . واذا كنا نؤيد الاحزاب الشقيقة في هذا الموقف او ذاك فنحن نطالبهم بالمثل .

وهكذا ، يستمر الجدل في الحقيقة حول قضايا رئيسية وحيوية .

على ان بعض الامثلة عن الخلافات التي اطلت براسها في المؤتمر التحضيري تبين انه اذا كان من الصعب التنبؤ بآفاق حل هذه المشكلات فان الوجه الاخر من الصورة يرسى بالفعل اسسا موضوعية لمزيد من التفاؤل والامل في

تعليق

انتخابات الجمعيات التعاونية الزراعية والاسس التى تتم عليها

ابتداء من أوائل ديسمبر الحالي وحتى أواخر يناير ، ستجرى انتخابات جديدة لاختيار أعضاء مجالس ادارة الجمعيات التعاونية الزراعية [حوالى ٤٢٤٠ جمعية] ، يشترك فيها ٣ ملايين فلاح ..

ولا شك أن لهذه الانتخابات اهمية خاصة ، فهى أول انتخابات لتلك الجمعيات منذ سنة ١٩٦٣ ، كما انها ستجرى بعد ان مرت الجمهورية العربية المتحدة ، وخاصة في مجال التطوير الزراعي ، بعدة اجراءات هامة ، على راسها التوسع الكبير في مجال التعاون ومفهومه . فلم يعد التعاون الزراعي كما كان من قبل مقصورا على مهام التسليف ، ومد الفلاحين بالبذور ، بل امتدت آفاق العمل التعاوني حتى أصبح من مهامه الرئيسية تسويق محاصيله وتنظيم الاستغلال الزراعي ، وحماية الفلاح من جشع التجار والعناصر الطفيلية ، كذلك فمن مهامه أيضا التوسع في استخدام الميكنة والوسائل العلمية في الزراعة .

كذلك ، ومن الناحية السياسية والاجتماعية ، فالجمعية التعاونية تلعب ، او المفروض ان تلعب دورا رئيسيا في هذا المجال ، باعتبارها خلية انتاجية نشطة ، فالهدف من التعاون الزراعي في النهاية هو زيادة الانتاج الزراعي من ناحية ، ومن ناحية اخرى ضمان مكاسب اكثر وعائد اكبر للفلاح ، وذلك هو ولا شك الهدف النهائى لاى عمل سياسي في القرية المصرية ..

والسؤال المطروح الان هو على اى اساس ستجرى الانتخابات ، فمن المعروف ان قانون التعاون الذى تمت على اساسه انتخابات سنة ١٩٦٣ ، كان ينص على ان يكون ٥/٣ أعضاء مجالس ادارة الجمعيات الزراعية ممن يملكون خمسة أفدنة فاقل ، ولا شك ان هذا القانون يستهدف في الاساس ضرب سيطرة كبار الملاك على الجمعيات ، كما انه يعطي الضمان لسيطرة صغار الفلاحين على العمل التعاوني ، وهم اصحاب المصلحة الحقيقية في التعاون بالاضافة الى انهم يمثلون الغالبية العظمى من الحائزين [٨٦٪] .

ووفقا لما نشر في الصحف المصرية وتصريحات السيد وزير الزراعة ، فان هناك ثلاثة اسس رئيسية ستتم عليها تلك الانتخابات :

اولا : توحيد جهة الاختصاص المسئولة عن العمل التعاوني متمثلة في المجلس التعاوني الاعلى .

ثانيا : ان يكون نصف اعضاء مجالس الادارة ممن يملكون عشرة افدنة فاقل .

ثالثا : اعطاء مكافآت شهرية لاعضاء مجالس الادارة كحافز لهم للاهتمام بالعمل التعاوني .

ومع اتفاقنا على ضرورة توحيد جهة الاختصاص ، الا ان المعلومات التى لدينا حتى الان لا تحدد وضعية المجلس التعاوني الاعلى ، وهل سيكون تابعا لوزارة الزراعة ، ام سيكون له شبه استقلال ذاتي ؟ ..

أما شروط العضوية ، فتلك اخطر ما في الموضوع ، فهذا الشرط يلغي القانون القديم الذى كان يعطي للفلاحين الصغار الأغلبية في مجالس الادارة [٥/٣] ، وفي نفس الوقت يضمن لمتوسطي الملاك وكبارهم فرصة واسعة لاعادة سيطرتهم على الجمعية ..

بل اننا نخشى ، ولدينا من واقع التجربة ما يؤيد ذلك ، ان هذا الاساس الجديد للانتخابات قد لا يعطى الفرصة على الاطلاق

تصفية اهم الخلافات القائمة . ولعلّ نقطة البدء فى هذا السبيل اقتناع جميع الذين حضروا المؤتمر بان نوعية المشكلات المطروحة تحتاج الى جهد لايتوقف والى سنوات حتى تحل حلا جذريا .

وبالاضافة يسجل المراقبون انه على الرغم من الازمة التشيكوسلوفاكية التى عمقت بعض الخلافات الا ان قائمة حساب مؤتمر بودابست تشتمل فعلا على عدد من الايجابيات فى مقدمتها:

١ — ان مجرد اجتماع هذا العدد من الاحزاب يعد انتصارا لفكرة اللقاء ، هذه الفكرة التى لقيت فى السنوات الماضية وبعد موقف الصين معارضة شديدة . ومن ثم يعتبر عزل الراى القائل بعدم اللقاء نقطة تحول فى سبيل ايجاد حلول جادة وبناءة .

٢ — ان عدد الوفود المشتركة يوضح — فى نظر بعض المراقبين — ان خط الصين الانشقاقى قد عزل . ويدللون على ذلك بان عددا كبيرا من الاحزاب التى ابدت — فيما مضى — تعاطفا مع

لدخول الفلاحين الصغار فى مجالس ادارة الجمعيات ..

وخلال الخمس سنوات الماضية دارت مناقشات عدة حول هذه القضية ، وقد كان هناك دائما اتجاه يطالب بتعديل القوانين الخاصة بعضوية مجالس الادارة ، على اساس ان الفلاح الصغير اثبت فشله فى ادارة الجمعيات .. ويعطون امثلة على ذلك من الفساد الذى انتشر فى عدد من الجمعيات ، والذى ادى الى حلها ..

ولا شك ان ثمة اخطاء كثيرة شابت العمل التعاونى فى الفترة الماضية ، ولكن السؤال .. هل المسئول عن ذلك هو الفلاح الصغير ، ام ان هناك عوامل واسبابا اخرى ؟ ..

ان ملامسة لواقع التجربة تؤكد ان هذه اول مرة يمارس فيها الفلاح الصغير المسئولية ، بعد ان ظل مبعدا عنها طوال عدة قرون قاسى فيها الكثير من الكبت والضغوط الاقتصادية والسياسية ، ومن الطبيعى ان تحدث بعض الاخطاء فى اول تجربة له لتلك الممارسة ، ولكن ذلك لا يؤدى بالطبع الى ابعاده عن المسئولية التعاونية ، فهو صاحب المصلحة الاساسية فى ذلك العمل ، وانما يحتاج الامر الى تشجيعه وتدريبه ومساندته باقتناع تام بأنه هو الوحيد القادر على المضى بالتعاون الى الافاق المرجوة ..

كذلك فمن المعروف ان الفلاح الصغير [خمسة افدنة فاقل] ، غالبا ما يكون مشغولا بالبحث عن لقمة العيش ، وليس لديه فى الغالب « وقت فراغ » يعطيه للعمل التعاونى ، ومن هنا كان المطالبة باعطائهم مكافآت تشجيعية .. والغريب ان مبدا المكافأة يقر فى نفس الوقت الذى يبعد فيه الفلاح الصغير عن مجالس الادارة ، ومعنى هذا اننا سنعطى المكافآت لمن لا يحتاج ولا يستحق ..

وثمة سبب آخر ادى الى اضعاف دور الفلاح الصغير فى ادارة الجمعيات فى الفترة الماضية ، وهو تسلط المشرف الزراعى على الجمعية بالدرجة التي جعلت منه ، باعتبار ان له حقّ « الفيتو » السلطة الحقيقية فى الجمعية ، مع ان الغرض من الاشراف الزراعى فى تلك الجمعيات ، هو ان تتضافر الخبرة العلمية التى يمثلها المشرف مع الخبرة العلمية للفلاحين، من اجل تحقيق اهداف التعاون ، مع التأكيد ان الفلاحين اصحاب المصلحة الاولى ..

ولقد اثبتت التجارب فى بعض المناطق انه حين يكون المشرف متفاهما مع الفلاحين متعاونا معهمفغالبا ماكان العمل التعاونى يندفع الى الامام ويحقق نجاحات ملموسة ..

القضية اذن لم تكن ولا يمكن ان تكون ، ان الفلاح الصغير عاجز عن العمل التعاونى ، ولكن الامر يحتاج الى مزيد من تدريب هؤلاء على العمل التعاونى والسياسى وتنسيق العمل بينهم وبين المشرفين الزراعيين ، فذلك هو السبيل الوحيد لتأكيد الثقة التى حرموا منها فترة طويلة .. وذلك ايضا هو السبيل الوحيد لازدهار التعاون الزراعى فى بلدنا ..

أما الاتجاه الى تشكيل مجالس الادارة على اسس جديدة ، [نصف الاعضاء ممن يملكون عشرة افدنة فاقل ، والنصف الاخر اكثر من عشرة] ، فهذا يعني بوضوح تسليم التعاونيات الى متوسطى وكبار الملاك ، الأمر الذى يهدد العمل التعاونى نفسه ، لانه سيكون متناقضا مع مصالح الغالبية العظمى للمنتجين الزراعيين ..

ولا يسعنا هنا الا ان نرحب بما اعلنه الدكتور لبيب شقير عضو اللجنة التنفيذية العليا ، فى ١٧ نوفمبر فى مؤتمر عام عقد فى طنطا : « انه قد تقرر العودة الى الفلاحين قبل اقرار قانون التعاون .. » .

ان العودة الى الفلاحين ، اصحاب المصلحة الحقيقية فى التعاون ، هو ولا شك الاسلوب السليم لوضع قانون للتعاون يتمشى مع واقع العمل الانتاجى والاجتماعى فى القرية المصرية .

فتحى عبد الفتاح

خط الصين عادت لتنظر نظرة ناقدة الى مواقفها السابقة .

٣ ــ ومن النتائج الايجابية ان المؤتمر التمهيدي اتفق على تاريخ ومكان الاجتماع القادم [فى موسكو ــ مايو ١٩٦٩] كما اتفق أيضا على جدول الاعمال .

٤ ــ ان حزبا كالحزب الشيوعي الفرنسي ــ على الرغم من مواقفه المعارضة للاجراءات التى اتخذت فى الازمة التشيكية ــ عاد فى مؤتمر بودابست وبذل جهودا بناءة من اجل دعم الوحدة بين جميع الاحزاب الشيوعية والعمالية منطلقا من هـذه النقطة ، وهى انه لاينبغي ان يتحول الخلاف حول هذا الموضـوع الى حملة معادية للاتحاد السوفياتي .

٥ ــ واخيرا تنطلق غالبية الوفود المشتركة فى اجتماع بودابست فى سبيل تحقيق الوحدة من مبادىء تسهل عملية الالتقاء والتقارب . فمثلا هناك المبدأ القائل بان تحقيق الوحدة بين الاحزاب الشيوعية والعمالية لا يعني الاجمـاع على كل القضايا والآراء . مثل آخر : هو ان ما يوحد بين هذه الاحزاب اكثر مما يفرق صفوفها .

ويرى المراقبون ان نجاح المؤتمر القـادم فى موسكو فى تحقيق مهامه سوف تكون له انعكاسات بعيدة المدى لا فى تشديد النضال ضد الامبريالية العالمية والتضامن مع بلدان العالم الثـالث فحسب ، بل وايضا فى دعم قوى الاشتراكيـة والديموقراطية فى بلدان كفرنسا وايطاليا حيث تستعد الامبريالية لتجديد معاهدة حلف شـمال الاطلنطي مع ما قد يقترن بهذا من تشـديد الهجوم على الاحزاب والقوى السياسية التى تطالب ــ فى تلك البلدان ــ بالانسحاب من هذه المنظمة العدوانية .

على انه مهما يكن من امر فان المراقبين فى البلدان الاشتراكية يجمعون على انه اذا ماتمكنت الاحزاب الشيوعية والعالمية من ان تقطع المسافة بنجاح من مؤتمر بودابست التحضيري ٦٨ الى مؤتمر موسكو ٦٩ ، **فان حركة هذه الاحزاب فى العام الجديد سوف تكتسب طابعا هجوميا على اكثر من جبهة** ، وفي مقدمتها جبهة النضال ضد الامبريالية : النضال العملي والايديولوجي على حد سـواء .

■ **فيتنام :**

« كى » الى باريس والثوار الى سايجون

انتقد « تران فان هـوانج » رئيس وزراء فيتنام الجنوبية قرار الرئيس الامريكى « **جونسـون** » بوقف الغـارات الامريكية على فيتنام الشمالية وقفا تاما ، وحذر الحكومة الامريكية من التسرع فى التوصل الى ما اسماه « بتسوية سلمية زائفة » . واوضح ان الثوار بدأوا ينفذون المراحل الاولى لهجوم عسـكري شامل جديد . كما اشار الخبراء العسـكريون الامريكيون فى فيتنام الى ان هناك دلائل تشير الى ان قوات كبيرة من جيش فيتنام الشمالية تتحـرك نحـو سـايجون وتتجمع فى منطقة تقع الى شمال العاصمة الفيتنامية الجنوبية، ويرى بعض المراقبين السياسيين ان هذه ليست هي المرة الاولى التى يعتبر فيها الامريكيون أي تجمعـات ضـخمة لقوات ثوار جبهة التحـرير ، قوات قادمة من فيتنام الشمالية، وعلى أية حال فلم تتحدد بشكل قاطع طبيعة هذه القوات المحتشدة ، وان كان من المقطوع به ان القيـادات العسـكرية لجبهة التحرير الوطنى ، قد ادلت سـابقا بأحـاديث يستفاد منها : ان قوات التحرير الوطنية تستهدف سـايجون فى نهاية المطـاف ، كما استهدفت قوات جبهة « ميت مينه » هانوي من قبل .

ولذا فقـد قامت قاذفات القنابل الامريكية من طراز ب ــ ٥٢ بأكثر غاراتها الجوية كثافة منذ وقف الغارات على فيتنام الشمالية ، واسقطت نحو مليون كيلوجرام من القنابل فى مدى اسبوع واحـد ، على مراكز تجمع الثوار فى المنطقـة الممتدة بين سايجون ، وحدود كمبوديا ، وذلك بهدف عزل الطـرق التى قد يستخدمها الثوار فى شن هجوم على سـايجون . كذلك اتخذت اجراءات جديدة لحماية العاصمة ، منها استدعاء فرقة الخيالة الامريكية الاولى لتقوم بدورياتها فى غرب سايجون ، على ان تجوب دوريات بحرية اخرى فى الانهار غرب سايجون ، ومما هو جدير بالذكر بهذا الصـدد ان **كلارك كليفورد** وزير الدفاع الامريكى قد أعرب فى حديث تليفزيونى له عن اعتقاده بأن أي هجوم من جانب الثوار لن يؤثر على محادثات باريس ، واوضح ان الولايات المتحدة تخسر نحو ٢٠٠ رجل كل اسبوع ، ولذا دعا كليفورد الى اجراء المفاوضـات فورا بشأن

الجانب العسكرى المشكلة مع ترك الجانب السياسى ليناقش فيما بعد .

وعلى أية حال ، فان مقترحات كليفورد لا تقدم حلا عمليا للمشكلة لانه مادامت القوات الامريكية والعميلة تقوم بأعمالها العدوانية فى فيتنام الجنوبية فسيستمر النشاط المسلح للثوار حتى يتحقق اهداف جبهة التحرير .

على انه اذا كان الواقع ، هو ان قوات الثوار تطبق اكثر فأكثر على سايجون ، فان السؤال المطروح هو ، هل ستكون الولايات المتحدة على استعداد « لبلع » هزيمة عسكرية واضحة وكلاسيكية مثل سقوط سايجون فى ايدى الثوار دون ان تلجأ الى تصعيد الحرب ثانية ضد فيتنام الشمالية ، حفظا لماء الوجه ولكرامة الولايات المتحدة الدولية . الامر المعتقد انه ليس من السهولة بمكان على الولايات المتحدة ، تصعيد الحرب مرة اخرى فى فيتنام فى وجود الهياكل السياسية القائمة الان فى الولايات المتحدة والتى تعد أضعف من ان تأخذ قرارا بالغ الخطورة على هذا النحو ، ذلك ان حكومة فاشية مباشرة فى الولايات المتحدة ، هى وحدها التى يمكن ان تقدم على مثل هذا الاجراء الخطير الذى قد يؤدى الى اصطدام الولايات المتحدة بالصين الشعبية ، والى اندلاع حرب برية ، وربما نووية رهيبة فى القارة الاسيوية . فمثل هذه الحكومة هي التي يمكن ان تقمع حتى بالعنف الدموى الحركة الجماهيرية المعادية لحرب فيتنام فى الولايات المتحدة نفسها ، وهى التى يمكن ان تصل الى اقصى درجات الاستهتار باتجاهات الرأى العام العالمى . والامر الذى تؤكده الدلائل — حتى كتابة هذا التقرير — ان حكومة الرئيس نيكسون ستجد نفسها امام امتحان عسير بالنسبة للحرب الفيتنامية .

ومما يزيد الامر خطورة ان للرئيس نيكسون نائبا هو سبيرو اجنيو المعروف بتعصبه العنصرى واتجاهاته العدوانية نحو فيتنام . ولا شك ان نائب الرئيس بافكاره ومواقفه انما يعبر عن اتجاه قوى داخل الحزب الجمهورى ، وهذا ما يجعلنا نقول ان نيكسون يواجه امتحانا قاسيا .

أما فيما يتعلق بمحادثات باريس ، فيعتقد بعض المراقبين انها لن تبدأ حقيقة ، حتى يتم تنصيب الرئيس الامريكى المنتخب نيكسون ، وتعيين الوفد الامريكى الجديد فى المحادثات الذى قد يحل فيه **هنرى كابوت لودج** سفير الولايات المتحدة فى المانيا الغربية ، محل **افريل هاريمان** الرئيس الحالى للوفد الامريكى . كذلك فان الانقسام حول الشروط الخاصة يبدء المحادثات الموسعة قد تقضى على كل امل فى ان تبدأ المحادثات قبل نهاية عام ١٩٦٨ . ويعتقد عدد من المراقبين ان محور مؤتمر باريس الموسع سيكون هدف الوقف الشامل لاطلاق النار ، وهو موضوع معقد قد يستغرق عدة اشهر من المفاوضات حتى يتم حسمه . والحقيقة ان ما اعلنه **رونالد زيجلر** المتحدث الصحفى بلسان نيكسون يمكن ان يلقى لنا الضوء بشكل من الاشكال على موقف نيكسون من محادثات باريس ، فقد حث نيكسون الرئيس الفيتنامى الجنوبى **ثيو** على اشتراك حكومة سايجون اشتراكا فعالا فى المفاوضات الموسعة وعبر عن أمله فى ان تتعاون حكومة سايجون مع الحكومة الامريكية فى التوصل الى حل سلمى لمشكلة فيتنام . وبالرغم من ذلك فقد اشارت النيوزويك الامريكية الى انه لو تمسكت حكومة كى — ثيو فى سايجون عقبة امام تقدم محادثات باريس ، فلن تجد الولايات المتحدة وسيلة اخرى ، سوى اسقاط هذه الحكومة كما فعلت من قبل مع نجودينه ديم ، الا ان «الايمانيتيه» الفرنسية قد استبعدت اقدام حكومة سايجون على التمرد على خط الولايات المتحدة واشارت الى حقيقة « ان نزوات « كاوكى » ليس لها وزن فى واشنطون » « لان حكومة سايجون المزعومة ليست سوى مجموعة من الدمى تحركها اصابع امريكية . انهم خونة يعملون لصالح الغزاة . واذا ارادت الولايات المتحدة ان تجلسهم فى أى مكان حتى ولو كان هذا المكان تحت مائدة المفاوضات لقبلوا رغبتها » وعلى أية حال فان تحليل الايمانيتيه السليم عن حكومة سايجون ، لا ينفى اقدام الولايات المتحدة على اسقاط هذه الحكومة لتأتى بحكومة عملاء آخرين يكونون اكثر اذعانا وطاعة للولايات المتحدة وللخط العسكرى والسياسى الذى تراه لحل مشكلة الحرب الفيتنامية .

■ الولايات المتحدة الامريكية

مستشارون اكفاء ووزراء غير معروفين

دعا

وليام سكرانتون ، المبعوث الخاص للرئيس الامريكى المنتخب **ريتشارد نيكسون** الى الشرق الاوسط ، الولايات المتحدة الى منع وجود استقطاب فى الشرق الاوسط بين الدولتين الكبيرتين فى العالم . واشار الى ان

الولايات المتحده كانت تركز على الشرق الأقصى، وتغفل القليل للشرق الاوسط ، خصوصا فى خلال العامين الماضيين . وربما كانت رحلة سكرانتون فى الحقيقة ، عاملا من العوامل الرئيسية التى سيحدد الرئيس المنتخب ، على اساسها ، سياسة حكومته المقبلة بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط .

ولقد حظيت حكومة نيكسون الجديدة باهتمام كبير من جانب الصحف العالمية ، التى اكد اغلبها، انها لا تضم — ما يمكن ان يطلق عليه عادة — « شخصيات الدرجة الاولى » ، او حتى شخصيات معروفة جيدا للرأى العام الامريكى والعالمى . وربما كان الجمهورى **جورج رومنى** وزير الاسكان وتطوير المدن ، ابرز وزرائها قاطبة .

واذا كانت « الطليعة » قد اشارت فى تقريرها السابق عن الولايات المتحدة ، الى الخطوط المتوقع ان يسير عليها الرئيس المنتخب نيكسون ، واوضحت انه سيسعى — وهو المحافظ الموثوق فيه — الى زيادة نفوذه بين الليبراليين من ناحية، وتطعيم حكومته باحد الديموقراطيين من ناحية اخرى ، فاننا نجد انه نجح فيما يتعلق بالجانب الاول ، فقد ضم اثنين من ابرز الليبراليين فى الحزب الجمهورى الى قوى حكومته ، وهما **جورج رومنى** كوزير للاسكان ، **ووليم سكرانتون** كمستشار للرئيس ، علما بانه عرض كذلك على **نيلسون روكفلر** وهو من كبار الجمهوريين الليبراليين ايضا ، منصبا وزاريا ، بيد ان الاخير رفضه . الا ان نيكسون لم يحقق من ناحية اخرى توفيقا مماثلا فى محاولته تطعيم حكومته بوزير ديموقراطى . فقد اشارت « الايكونوميست » البريطانيه فى ١٠ الماضى الى ان نيكسون عرض على الديموقراطى **هيوبرت همفرى** منصبا فى حكومته، ولكن الاخير رفضه ، كذلك عرض منصب وزير الدفاع على السناتور الديموقراطى **هنرى جاكسون** ورفضه هذا ايضا . ومع ذلك فلم تتوقف جهود نيكسون بهذا الصدد . واعلن المتحدث الصحفى باسمه اخيرا ، انه سيتم اختيار رئيس الوفد الامريكى فى الامم المتحدة من الديموقراطيين . على انه اذا كان نيكسون لم ينجح حتى الان فى اسناد احدى وزاراته الى احد الديموقراطيين ، فقد نجح تماما فى الاستعانة « بكفاءة ديموقراطية ضخمة » هى الدكتور **باتريك دانييل موينيهان** ، الذى اتخذه مساعدا له فى الشئون الداخلية . وقد ذكرت « الايكونوميست » البريطانية فى ٢٠ الماضى ، انه ربما يكون اهم مستشاريه قاطبة . والملاحظ ايضا على حكومة نيكسون انها لا تضم قط اى زنجى ، وان كانت وكالات الانباء الغربية قد اشارت فى منتصف ديسمبر الماضى الى ان نيكسون عرض على السناتور الزنجى **ادوارد بروك** منصبا وزاريا ، ولكنه اعتذر عن عدم قبوله . وبالنسبة للديموقراطيين والزنوج عامة اشارت « الايكونوميست » ايضا الى انه من غير الممكن العثور على واحد من هؤلاء على استعداد للعمل [كوزير] مع نيكسون » ، كذلك لم يعين نيكسون فى حكومته شخصا واحدا من ذوى الروابط مع الجماعات الثائرة فى الولايات المتحدة مثل الشباب والزنوج وعمال المصانع .

وقد اوضحت الايكونوميست البريطانية ، «ان وزارة نيكسون تبدو اشبه بجماعة من التكنوقراطيين ، وليست بجماعة من المبتكرين » لكنها تحفظت موضحة « ان الصورة قد تتغير بمجرد توليهم السلطة » . واشارت عديد من الجرائد العالمية الى « الطابع الباهت » لتلك الحكومة ، وذلك على الرغم من انها تضم خيرة الجمهوريين فى اواخر الخمسينات ، من الذين يتعين عليهم ان يعالجوا مشاكل تتعلق باواخر الستينات . الا انه برغم ذلك « الطابع الباهت » اكدت بعض مصادر الانباء الغربية والامريكية على الميزات الحقيقية التى يتمتع بها عدد من مستشارى نيكسون مثل الدكتور **هنرى كيسنجر** الاستاذ فى هارفارد ، الذى سيصبح مساعده لشئون الامن القومى ، والشئون الخارجية ، ودكتور **موينيهان** مساعده للشئون الداخلية ، ودكتور **دوبريدج** للمسائل العلمية ، ودكتور **ماكراكين** للسياسة الاقتصادية ، وهم من رجال الجامعات ، الذين تربطهم « علاقات قوية بالمثقفين والاكاديميين » وهى العلاقات التى يفتقر اليها نيكسون . ويعتقد كثير من المراقبين السياسيين ان هؤلاء المستشارين هم الذين يمكن ان يضمنوا « الاندفاع والحركة » لسياسة نيكسون ، ربما اكثر من وزرائه انفسهم ، وانهم هم وليس الوزراء ، سيكونون مصدر اى تجديدات ذات اهمية قد تأتى بها حكومة نيكسون الجديدة .

على ان عددا من المراقبين السياسيين قد اتخذوا من تعيين نيكسون **لوليم روجرز** وزيرا للخارجية ، وهو محام ليست له خبرة بالشئون الخارجية ، اتخذوا منه دليلا على انتواء نيكسون الاضطلاع بدور رئيسى وشخصى فى رسم السياسة الخارجية وتنفيذها . هذا فى حين عزا نيكسون اختياره لروجرز الى انه « يريد افضل مفاوض فى العالم ، بينما تدخل الولايات المتحدة فترة مفاوضات لا مجابهات » . ووصف روجرز بانه « مفاوض ممتاز » ، وعلى اية حال يعتقد عديد من المراقبين السياسيين ان هنرى كيسنجر سيصبح اقوى شخصية فى رسم السياسة الخارجية بعد نيكسون . ومما هو جدير بالذكر

ان الايكونوميست البريطانية قد اشارت فى ١٤ الماضى الى حقيقة ان تعيين « مستر روجرز ، فضلا عن تعيين دكتور كيسنجر ، ومستر **ملفين ليرد** كوزير للدفاع ، ربما يؤكد ان اولئك المسئولين عن سياسة واشنطون الخارجية فى عام [١٩٦٩] مقتنعون بان افضل مستقبل بالنسبة للولايات المتحدة يتمثل فى انهاء الحرب الفيتنامية ، وفى ايجاد نوع من الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى حول فرض رقابة على الاسلحة ، وفى اقامة علاقات مع الصين فى المدى البعيد » . اما فيما يتعلق بسياسة نيكسون ازاء حلف الاطلنطى فقد اوضحت « الكومبا » الفرنسية فى ١٢ الماضي اننا « على وشك ان نشهد تغييرات عميقة داخل منظمة حلف شمال الاطلنطى » و « ان الامر لن يقتصر على مجرد اعادة بناء الحلف عقب — « ما يسمى » — « بغزو تشيكوسلوفاكيا » ، وانما سيتم ايضا القيام ببعض الاصلاحات ذات الطابع التكتيكي والنفسى والسياسي ، وربما يعين جنرال اوربى ، بدلا من الجنرال **ليمنيتزر** القائد الاعلى للقوات الغربية فى اوربا . وتقوم فكرة كيسنجر فى هذه الناحية على حقيقة ان عصر « الدول المتفوقة » يقترب الان من نهايته ، وانه لمواجهة هذا الواقع ، ينبغى ان تكون لحلف الاطلنطى قوته السياسية الى جانب قوته العسكرية . وقد استنكر تبعا لذلك عدم وجود اقطاب كثيرين فى حلف الاطلنطى . وعلى اية حال ، فان موقف نيكسون ورجاله من مطلب الزعماء الاوربيين بضرورة عقد مؤتمر دولى عاجل لمناقشة المشكلة النقدية العالمية ، يمكن ان يلقى ضوءا على الاسلوب الذى سيعالج به نيكسون ورجاله القضايا الحيوية التى تهم مستقبل الولايات المتحدة ، ذلك انهم يميلون الى اعتبار مشكلة التضخم الاقتصادى فى الولايات المتحدة ذاتها ، هى المشكلة الاكثر الحاحا .

على أنه اذا كان كبير المعلقين السياسيين الامريكيين **والتر ليبمان** قد اشار فى النيوزويك الامريكية فى ١٦ الماضى الى « ان المهمة التاريخية الاولى للحكومة الامريكية الجديدة ، هى خفض تورطها الزائد فى المجال العالمى » ، فقد اعرب فى نفس الوقت عن اعتقاده بان ذلك لا يعنى بحال ، العودة الى سياسة العزلة فى خط الولايات المتحدة الخارجى ، « وانما هو تمييز بين المصالح الامريكية ، التى تنتشر فى جميع انحاء العالم والتى تقبل التفاوض ، وبين المصالح الامريكية الحيوية التى قد يقتضى الامر ، خوض حرب دفاعا عنها » .

وعلى اية حال ، فالامر الملاحظ بوضوح ، ان معظم اعضاء الحكومة الامريكية الجديدة ينتسبون الى النصف الشمالى للولايات المتحدة ، او يقيمون فيه ، وتاتى نسبة كبيرة منهم من وسط الغرب ، والغرب . ولذا فان بعض المراقبين السياسيين يرون ان ما حدث من هزيمة ساحقة للعنصرى المتطرف **بارى جولدووتر** المرشح الجمهورى السابق للرياسة ، ثم قرار **ليندون جونسون** النصير المتطرف لسياسة العنف والعدوان ، بعدم ترشيح نفسه للرياسة مرة اخرى ، بالاضافة الى ذلك الطابع المذكور لرجال حكومة نيكسون الجديدة ، كل ذلك انما يوضح تراجع الجنوب ، والجنوب الغربى عن افق السياسة القومية فى الولايات المتحدة الامريكية ، وان كان هذا لا يعنى بحال انتهاء السمات الطبقية والتاريخية المحافظة التى ارتبطت وما تزال ترتبط بسياسة ريتشارد نيكسون وسياسة ومواقف الحزب الجمهورى .

■

■ **ثقافة**

١٥٠ عاما على مولد ترجنيف

احتفل العالم فى التاسع من نوفمبر الماضى بمرور ١٥٠ عاما على مولد الكاتب الروسى ايفان ترجنيف . ولقد كان من أهم مظاهر الاحتفال ان اصدر المعهد الروسى للادب « بيت بوشكين » ٢٨ مجلدا تحتوى على مجموع المؤلفات الكاملة والرسائل التى تركها ترجنيف ، وهى المؤلفات التى اشرفت على طبعها احدى لجان اكاديمية العلوم السوفيتية . ولقد ضمت « المؤلفات » اعماله الروائية وقصصه القصيرة ومسرحياته ومقالاته النقدية ، وضمت « الرسائل » خطاباته الى أصدقائه وذكرياته وأحاديثه الصحفية ومختلف أوجه علاقاته الخاصة واتصالاته الاجتماعية ، ولقد أصبح فى الامكان دراسة هذه النصوص دراسة اقرب الى التكامل والصواب ، الامر الذى كان يتعذر حدوثه قبل صدور هذه المجلدات الثمانية والعشرين ، فلقد كانت الدراسات النقدية عن اثر ترجنيف فى الادب الروسى قاصرة عن الاحاطة الموضوعية الشاملة لان الوثائق الهامة لم تكن تحت أيدى الدارسين . ولعله من أخطر الاحكام التى صدرت على ترجنيف قبل تيسير هذه الوثائق للتناول النقدى العام ما قيل من أن التقاليد الرئيسية فى أدبه هى التقاليد الاوروبية ، بينما يبدو الان واضحا وهذه الوثائق بين أيدينا مدى التأثرات الروسية الصميمة التى تأثر بها ترجنيف .

ولقد اغتنت المعارف النقدية الان بآثار ترجنيف المسرحية سواء عن طريق مسرحياته التى لم يتم كتابتها أو الاسكتشات التى عثر عليها بين اوراقه الخاصة . وكذلك يكتشف المرء من هذه الطبعة الشاملة لتراث ترجنيف أنه كان شاعرا ، لا فى اسلوبه الرقيق العذب الذى تحفل به أعماله النثرية ، ولكنه كان شاعرا كبيرا بما كتب من قصائد غنائية تستلهم اصالتها من حصيلة الشعر الغنائى الروسى .

وهذا لايعنى أن ترجنيف كان معزولا عن ثقافة أوروبا ، بل لعله من أكبر الكتاب الروس الذين اتصلوا بالثقافات الاوروبية اتصالا وثيقا . ولكن هذا الاتصال لم يلغ قط شرعية نسبه الى الادب الروسى وتقاليده العريقة . وربما كانت « المسودات » التى الحقت بأعماله الكاملة فى طبعتها الجديدة ، من الادلة الحاسمة فى هذا الصدد ، فهو يكتب الى جانب التصميم العام لاحدى رواياته ملخصا بأهم المراجع الفنية والفكرية والاجتماعية التى قرأها قبل أن يخطط الهيكل الروائى . وكذلك اختياره للشخصيات التى يبعث فيها الحياة ، فلقد كانت شخصيات روسية صميمة . وفى روايتيه « الاباء والابناء » و « الارض العذراء » أمثلة واضحة على معنى الاختيار « الروسى » للشخصيات الفنية ، مهما استعان ترجنيف بالمناهج التعبيرية فى الادب الاوروبى خلال القرن التاسع عشر .

ومما كشفت عنه الطبعة الجديدة ذلك المخطوط الذى أحرقه ترجنيف بنفسه . وقد اشار اليه اشارة عابرة ، ولكنها متكررة ، فى رسائله الى باتل انتكوف وسيرجى وكونستانتين اكساكوف وفاسيلى بوتكين ، وكان المخطوط — فيما يبدو — يحمل عنوان « جيلان » .. وترجح الهوامش والملاحظات التى أبداها ترجنيف على المخطوط المحترق والتى وردت فى رسائله الى أصدقائه انه استبدلها بقصتين اسماهما « مكتب السيد الخاص » و « الرفيق » .

وعندما يحتفل الاتحاد السوفيتى بآثار ترجنيف بعد مرور ١٥٠عاما على ميلاده — هذا الاحتفال العالمى ، فانه يشارك أدباء العالم والتراث الانسانى أجمع مشاركة حية وايجابية ، احتفالهم بهذا الفنان الرقيق الحالم . كانت رقته نفاذا للبصيرة ، وكانت أحلامه شفافية للوجدان . واذا كان النقاد السوفيت يؤكدون دوره البالغ الاهمية فى تعميق ارادة الانسان ، فان هذا التأكيد يجسد همزة الوصل بين الفنان وشعبه — وبقية الشعوب — فى مختلف العصور .

«العناقيد المرة» التى تركها شتاينبك

بدلا من ان يستريح فى الظل بعد رحلة شاقة مضنية ، اختار أن يختتم حياته اسوأخاتمة يمكن ان يختارها انسان لنفسه . فمنذ أن تحول العدوان الامريكى على الشعب الآمن فى فيتنام الجنوبية الى حرب مجنونة استنكرها الشعب الامريكى مع بقية الشعوب ، بالمظاهرات الدامية والامتناع عن التجنيد .. بدأ جون شتاينبك [١٩٠٢ — ١٩٦٨] مرحلة معتمة غاية من الغموض من مراحل حياته المضيئة فى كثير من جوانبها . فقد جند نفسه — متطوعا أو مرغما يستوى الامر — مقاتلا فى صفوف سفاكى الدماء مدافعا بضراوة عن « شرعية » الوجود الامريكى فى فيتنام و « قدسية » الحرب ضد الثوار . واذا كان موقف شتاينبك — فكريا وسياسيا — قد اخذ فى التدهور أبان الحملة المكارثية ضد الكتاب الاحرار ، الا ان وقفته الجديدة — والاخيرة — الى جانب الحرب العدوانية تكاد ان تكون فى حد ذاتها مرحلة مستقلة عما عداها تستوجب البحث والتفسير .. فكم من الكتاب الذين انحنوا للمكارثية فى مجدها عادوا الى احضان الشعب الدافئة ، او على اقل تقدير لم يشاركوا فى جرائم جديدة بل وقف معظمهم الى جانب الانسانية جمعاء فى مواجهة العدوان الامريكى البشع .

وقد افصح شتاينبك عن اتجاهه الجديد فى تأييد الامبريالية الامريكية منذ بدا يكتب سلسلة من المقالات المعادية للاشتراكية وحق الشعوب فى تقرير مصيرها متخذا من فيتنام حقلا لتجاربه الفكرية الجديدة . وفى احدى هذه المقالات حاول ان يستعدى الادباء الشباب فى الاتحاد السوفيتى على السلطة الاشتراكية هناك عندما تخيل ان الصراع الفكرى الحر بين الاتجاهات القديمة والاتجاهات الجديدة من الممكن ان يهز ايمان الشباب بالاشتراكية نفسها ، فكتب يقول « اين انيابكم ايها الشباب » فرد عليه **يفتوشنكو** « اين انيابك انت ايها الذئب العجوز .. فى حرب فيتنام مثلا » . وتشاء الظروف أن يعيش شتاينبك ليرى بعينيه شباب العالم اجمع وهو يحمل صور الابطال الفيتناميين ، ثم يرى بعينيه ويسمع بأذنيه عن مفاوضات السلام فى باريس . ويموت شتاينبك بأزمة قلبية ليترك وراءه فى مرحلة من اخطر مراحل التطور الانسانى ، اسوا انطباع يمكن لانسان — لاللكاتب فحسب — ان يخلفه عند الرحيل الابدى .

وتزداد مرارة الشعور السيء الذى تركه شتاينبك لانه لم يكن قط كاتبا عاديا فى حياة الانسانية والشعب الامريكى على الاخص . وانما

هو الكاتب الذى بدا حياته المضطربة عاملا اجيرا فى الحقول ومعامل تكرير السكر الى ان كرس حياته ـ الشطر الاكبر منها ـ للتاليف الادبى عن حياة اولئك التعساء الذى تعرف عليهم فى صباه بكاليفورنياحيثولد فى٢٧ فبراير ١٩٠٢من أصل بعضه المانى وبعضه ايرلندى. ولم يستطع شتاينبك ان يتم تعليمه الجامعى بعد حصولهعلى الشهادة الثانوية ، فالتحق بجامعة ستانفوردعام ١٩١٩ لاليدرس دراسة منتظمة وانمـا ليحضر مايروقه من المحـاضرات . وظل كذلك حتى عام ١٩٢٥ حتى ترك الجامعة بغير الحصول على درجة علمية ، وتوجه الى نيويورك يحبوه الامل فى العثور على عمل يناسب هوايته الادبية فاشتغلصحفيابعض الوقت، وبناء فيوقت آخر،

ماذا عن تجربة سوق الفنون التشـــكيلية ؟

بقدر ما استبشر الفنانون والمهتمـون بحركه الفن التشكلى مى بلادنابقيام سوق الفنون التشكيليه فى العام الماضي ، بقدر مابتحفظ اليوم الكثيرون ازاء هذه التجربة التى لم تحط بقدر مناسب مـن عناصر تضمن لها التطور ثم النجاح .

لقد تكررت التجربة ولكن بصـورة اسوأ . فمستوى المعروضات بشـكل عام اقل كثيرا منه فى العام الماضى . وتنظيم المرض والمعروضات صـورة للازدحام الذى يسىء الى الاعمال نفسها.

وحتى حركة « البيع والشراء » مهما قيل عنها فانه لايمكن السكوت على مظاهر عديدة تصاحبها ولا تليق بالفن والفنانين ولا تليقأيضا بالعلاقة المقدسة التى يجب ان تقوم بين الفنان وجمهوره.

الاصل فى فكرة السوق ، ان الفنان يقدم اعماله متنازلا عن بعض قيمتهـا المادية فى سبيل تعريف الجمهور بالقيمة الفنية ، ومعنى ذلك انه يختار القيمة الفنية فى الدرجة الاولى اى انه يختار احسن اعماله احتراما منه لهذا الجمهور

ولكن يبدوان الكثيرينمن بينالعارضين قد احتفظ لنفسه باحسـن اعمـاله لمناسبات اخرى !! وذلك اعتمادا على ان السوق لايحكمها نظام للعرض ولا وسيلة لتحديد طريقة البيع والشراءوتركت المسألة للتلقائية و « الشطارة » بعض العارضين الامر الذى اوقع البعض فى حرج شديد ، لقد انتفى عنصر الانتقاء والاختيار فى طوفان الاعمال التى تزدحم بها حوائط المعرض .

ان المشكلة التى تؤرق ضمير الفنان الجاد هي احترام القيمة «الفنية» اولا وقبلالسعي وراءدريهمات ببيعبهاانتاجه. بل ولن نتجاوز الحقيقة اذا قلنا آنبعض الفنانين ـ وان كانوا قلة ـ كان برابط بجوار معروضاته محاولا اجتذابمشترين لهابدلا منانتقوم المعروضاتبهذاالدور. واحتفظ البعض الاخر باكوام مناللوحات «كاحتياطى» لما يباع . وبدا الامر وكان الفنان يقف فى دكان يبيع فيه لوحاته !!

وبعض هذه المظاهر كان ملحوظـا فى العام السابق .. وكان التجاوز عنها بغرض تشجيع التجربة . ولكن كان من المفروض ايضا ان يقوم سوق هـذا العام على اسس مدروسة واكثر تطورا تضمن تعريفا للجمهور بالفن والفنانين وتشجعه على تذوقالفن واقتناءالاعمال الفنية ، كمـا تضمن مى نفس الوقت المحافظة على كرامة الفنان وكل مايمس ضميره الفنى .

ومهما قيل من ضرورة خلق سـوق للانتاج التشكيلى [وانا مع هذا] فانه ينبغى الا يكونذلك على حسابالنهضة الفنية او ان يكون طريقا للهبوط بها.

ومن هنا فمن الضرورى تقرير عـدد من المبادىء والنظم التى تحمى هـذه التجربة وتضمن لها التطور والتخلصمن الشوائب .

[اولا] يجدر فى هذا الصدد ان تتم عملية البيع والشراء بواسطة الهيئة التى تنظم لاقامة هذا السوق ـ منحسن الحظ انها هيئة رسمية لها موظفوهـا وذلك حتى يمكن تجنيب الفنان عمليـة الوقوع فى مظاهر غير لائقة .

[ثانيا] ان يوجد نوع من الاشراف والتنظيم [لجنة مثلا] تسمح بتواجد كافة الاتجاهات الفنية ولكن تعمل بقـدر المستطاع على الاحتفاظ بمستوى فنى معين تتحقق معه قيمه فنية .

[ثالثا] توفير حملة اعلانية واعلامية تدعو الجمهور بوسائل متعددة ومقبولة الى الاقبال على مشاهدة الاعمـال المعروضة والي اقتناء بعضها مع توفير فرصة التعرف على هذه الاعمال [نوعها، مادتها ، مساحتها ، ثمنها] وذلك نظير اقتطاع نسبة ضئيلة من الاثمان لصالح الهيئة المشرفة على السوق . وهـذا بدوره يخلق اساسا لتنظيم تجـارة الاعمال الفنية .

[رابعا] تحديد عدد المعروضـات لكل فنان بحد اقصى مع بقاء الاعمال المباعة معروضة حتى انتهاء فترة السوق وهذا يضمن من ناحية اعطاء فرصـة البيع لاكبر عدد من العارضين كما يضمن حق الجمهور فى مشاهدة الاعمال التى بيعت ايضا .

ومن المؤكد ان مثل هذه الاجـراءات سوف تحفظ للفنانين كرامتهم ومستواهم وسوف تساعد على تدعيم الصله بين الجمهور والفنان على اسس سليمة . واكثر من هذا فانها سوف تساعد على عقد مثل هذا السوق اكثر من مره مى السنة ، بل وعقده على مدار السـنة بانتقاله الى المحافظات والمدنالكبرى . بل ويجدر ايضا التفكير فى انشاء ادارة خاصة بالسوق ، تتولى دراسة عملية تنظيم تجارة الاعمال الفنية على اسس علمية وتملأ فراغا حقيقيا في هـذا المجال .

ويمكن لمثل هذه الادارة ان تـدرس علاقة السوق الداخلية بالسوقالخارجي وامكانيات تبادل المقتنيات الفنية فىالداخل والخارج . وتشرع فى الترويج الواسع للانتاج الفنى عن طريق « المستنسخات» وما يصاحب ذلك من تطور للخبـرات التكتيكية التى تحتاجها بلادنا .

ينبغى اذن ان تكون نظرتنا الى فكـرة السوق نظرة بعيدة تستهدف المستقبل، وان تتطـور بالتجـربة دون ان تقف بهـا عنـد حـدود ضيقة تستجيب للتلقائية وتقع فى سوءالتنظيم. وينبغي فوق كل هذا كله ان نـدرك جيدا ان بعض المبيعات مرة فى السنة وباسعار زهيدة لن تحل مشكلة الفنان المادية حلا جذريا . فالمشكلة اعقد مـن ذلك . وهى رهن بعوامل عدة . انهـا رهن بتحويل مجهودات الفنانين الفردية الىمجهودات كبرى جماعية « رهنبربط مشكلة الفن التشيكى بمشكلة النهضـة الثقافية فى بلادنا . وتلك قضية اخرى.

داود عزيز



● جون شتاينبك ●

ثم عاد الى كاليفورنيا خائب الامل ليشتغل حارسا حينا وعاملا فى حقل للاسماك حينا آخر . وقد وجد حينذاك من ينشر له بواكير اعماله « **الكأس الذهبية** » ١٩٢٩ وهى رواية تصور حياة هنرى مورجان راعى البقر الشهير ، وفى عام ١٩٣٢ نشرت له مجموعة قصصية عنوانها « **مروج السماء** » وكتاب آخر عنوانه « **الى اله مجهول** ».

ولقد كان عام١٩٣٥ بمثابة نقطة التحول الاولى فى حياة شتاينبك الادبية ، اذ انه لم يجن ارباحا تذكر من اعماله السابقة على هذا التاريخ ، فقد نشر فى ذلك العام روايته « **تورتيلا فلات** » التى احدثت دويا عند ظهورها لاول مرة . فهى تحكى قصة فلاح يدعى «دانى» اختلطت فى عروقه الدماء الانسانية والهندية والمكسيكية والقوقازية ، ولكنه يفضل القول بأنه اسبانى مهما تكلم الاسبانية بلكنة انجليزية او العكس . وقد ورث دانى عن جده ثروة قوامها بيتان فى تورتيلافلات يؤجر احدهما لمجموعة من المشردين وهم بيلون وبابلو وبورتاجى جو ورجل يدعونه القرصان . ولايعلم احد ماذا يعمل هؤلاء الصعاليك منذ تركوا الحرب فهم يشتغلون يوما ويبطلون ــ لكسلهم ــ العمل اياما ويعيشون على سرقة الدجاج والنبيذ ، ويتصورون يوما ان العذراء غضبت عليهم لصعلكتهم فأحرقت البيت الذى يقيمون فيه ومن ثم فقد استأجروا احد بيتى دانى بغير ان يدفعوا له اجرا . وانضم اليهم القرصان بكلابه الخمسة ، ولم يرفض دانى استقبالهم جميعا بشرط واحد ان يتركوا لهفراشه الخاص . ويكتشف الجميع ان القرصان يملك مائتى دولار يخبئها فى مكان ما نذرا منه للعذراء فيبدون من الشهامة حدا يثير استغراب دانى ، فهم يذهبون معه الى الكنيسة ، وحين تقتحم الكلاب ابهاء الكنيسة يثور القرصان عليها ولكن القسيس يهدىء من روعه قائلا ان القديس فرنسيس يحب الحيوانات . ويذهب القرصان بكلابه الى الغابة حيث يبدوا عليها انها ترى هذا القديس فى رؤياء.

وفى عام ١٩٣٦ اصدر «الحرب السجال» التى تدور حوادثها حول الخلاف على الاجور بين العمال واصحاب العمل فى بساتين التفاح بكاليفورنيا . فقد اضرب العمال على اثر انخفاض اجورهم الى مادون الكفاف . وتبدو هذه الرواية وكأنها تمهيد لاعظم اعماله « عناقيد الغضب » التى تدور حول نفس الموضوع . ولكن بينهما صدرت احدى قصصه العظيمة ١٩٣٧ « **رجال ونيران** » التى تدور حول صداقة عميقة نشأت بين عاملين من عمال التراحيل هما جورج ولينى . وكان حلمهما ان يدخرا مالا قليلا يشتريان به حقلا صغيرا يزرعانه فى سلام ، وقد تم لهما ما ارادا ، ولكن مأساتهما الحقيقية ان احدهما وهو لينى كان قوى البنية حقا ضعيف العقل الى حد يثير الاسى . غير ان صديقه جورج لم يتخل عنه فى كافة مراحل حياتهما المشتركة . الى ان جاء يوم بلغت فيه المأساة ذروتها عندما قتل لينى فتاة صغيرة دون ان يقصد الى ذلك قصدا اذ كان يداعبها ــ كما يداعب الكلاب الصغيرة ــ ولكن قوته العضلية غير المحكومة بعقل يضبط حركتها قد افلتت منه وماتت الفتاة . وبالطبع ثارت ثائرة الاهل والجيران وهموا بالامساك به لولا جورج الذى سبقهم واجهز عليه حتى ينقذه من مصير افظع .

ثم صدرت مجموعته القصصية « **الوادى الطويل**» عام ١٩٣٨ وبعدها بعام واحد صدرت الملحمة الدامية «**عناقيد الغضب**» وفيها يؤرخ لحياة اسرة من اوكلاهوما نزحت كغيرها من آلاف المزارعين الى كاليفورنيا على اثر العواصف الترابية المدمرة التى اتلفت محاصيلهم وكل مايملكون فقد انتزعت اراضيهم بنوك الاستثمار التى صفت الملكيات الصغيرة . وخلال الرحلة المريرة من اوكلاهوما الى كاليفورنيا يصور شتاينبك مأساة الانسان الامريكى الكادح فى سبيل لقمة الخبز .. حتى اذا وصلوا الى « الجنة الموعودة » تجرعوا غصص الخيبة والضياع . وتعد «عناقيد الغضب» سواء فى معمارها الفنى او فى مضمونها الفكرى من اعظم الاعمال الروائية التى جادت بها الارض الامريكية منذ ثلاثين عاما . ولكن هذه الاعناب المرة التى قطفها آل جود فى الرواية العظيمة لم تترك لكاتبها وقرائه من بعده سوى المرارة والالم . فقد استطاعت الاعوام الثلاثون ان تغير من هذا الكاتب الاشتراكى العميق الايمان بمستقبل الانسان ، وان تتحول به الى بوق هزيل للاستعمار الامريكى .. على انه اذا كان شتاينبك قد خان ماضيه وشعبه وانسانيته ، فان البشرية المناضلة ضد الاستعمار الامريكى ، تجد فى تراثه القديم دائما زادا لاينفد .

يوميات

أزمة الشرق الأوسط

عام ١٩٦٨

يناير ١٩٦٨

١ : هاجم رجال المقاومة العربية مستعمرة اسرائيلية فى أول ساعات العام الجديد ، واستخدموا فى ذلك مدافع الهاون

٥ : حددت الجمهورية العربية المتحدة موقفها من مشكلة اخراج البواخر المحتجزة فى قناة السويس بأنها لاتقبل اتمام هذه العملية من طريق اتفاق مع اسرائيل حتى ولو كان بالوساطة . كما انها ترفض رفضا مطلقا اقتراح القيام بالعملية تحت علم الامم المتحدة ، ولاتقبل اتمامها الا تحت علم الجمهورية العربية المتحدة .

٦ : طلبت القاهرة رسميا تأجيل مؤتمر القمة العربى . وتقدمت بمذكرة الى الدول العربية تدعو الى افساح المجال امام مزيد من المشاورات لاشتراك جميع الملوك والرؤساء فى المؤتمر استمرارا لوحدة العمل العربى .

● جرت محاولة اسرائيلية لانزال قارب صغير فى القناة . وابلغ قائد الجبهة المصرية الرقابة الدولية بأنه قد يترتب على ذلك نتائج خطيرة . وأوقفت المحاولة .

○ شن رجال المقاومة العربية أول هجوم لهم على ميناء ايلات بمدافع البازوكا كما هاجموا محطة توليد الكهرباء بالميناء .

٧ : وصل الى القاهرة كيريل مازوروف النائب الأول لرئيس الوزراء السوفيتى على رأس وفد كبير لاجراء محادثات مع المسئولين فى القاهرة . وفى المساء استقبله الرئيس جمال عبد الناصر .

٩ : جاء فى البيان الرسمى عن محادثات جونسون ــ اشكول [بدأ زيارته لامريكا فى ٣ يناير] أن الولايات المتحدة «ستجعل احتياجات اسرائيل العسكرية موضع بحث ونظر بصورة فعالة وبعين العطف » وانه « سوف تكون هناك دراسة دائمة لامكانيات اسرائيل العسكرية وسوف تحصل اسرائيل على كل مايلزمها » .

١١ : تقرر وقف العمل بقانون الاحكام العسكرية فى الجمهورية العربية المتحدة ، وذلك على ضوء ماكشفت عنه بعض الظروف ــ وبينها قضية الدكتور الشرقاوى ــ من أوضاع خطيرة ترتبت على هذا القانون . وقد تقرر تعديل القانون .

١٢ : بدا يارنج مبعوث الامم المتحدة ، المرحلة الثانية من مهمته ليعرض « أول مقترحات مبدئية للتحرك نحو حل الازمة » كان يارنج فى المرحلة الاولى مستمعا فقط .

١٣ : وصل الملك حسين الى القاهرة فى زيارة سريعة لمدة يوم واحد واجرى محادثات مع الرئيس جمال عبد الناصر تناولت الموقف السياسى والعسكرى .

○ تبين أن أمريكا أضافت ٢٠ طائرة من طراز سكاى هوك المقاتلة القاذفة الى ماكان مقررا تسليمه الى اسرائيل من قبل [٥٠ طائرة] .

١٩ : أعلنت لجنة اليمن الثلاثية [اتفق عليها فى مؤتمر القمة العربى بالخرطوم] عجزها عن عقد مؤتمر للمصالحة فى اليمن . أحالت اللجنة المشكلة على القاهرة والرياض للبت فيها على ضوء اتفاق الخرطوم .

٢١ : بدأت محكمة الثورة برئاسة حسين الشافعى محاكمة المتهمين فى قضية المؤامرة وعددهم ٥٥ متهما .

٢٣ : تم تبادل آخر دفعة من اسرى معارك يونيو الماضى .

٢٦ : صدر قانون باعادة تنظيم القيادة العليا للقوات المسلحة فى الجمهورية العربية المتحدة . يقضى القانون بتوزيع السلطات على رئيس الجمهورية [بوصفه القائد الاعلى للقوات المسلحة] ، ومجلس الامن

الوطني (الذي يتولى التخطيط) ووزير الحربية [الذي يتولى القيادة العامة] .

٢٩ : اتهم اليكسي كوسيجين رئيس الوزراء السوفيتي ، في حديث له ، الولايات المتحدة بأنها « تلعب بالنار حين تعرقل تسوية أزمة الشرق الاوسط » ويقول انه « لو ابدت امريكا الاتحاد السوفيتي لانسحبت اسرائيل خلال يومين » واكد مساندة بلاده للدول العربية .

● تقرر في الجمهورية العربية المتحدة ، وقف العمل بالقانون الذي يخول الشرطة العسكرية صفة الضبطية القضائية بالنسبة للمدنيين .

٣٠ : اطلقت القوات الاسرائيلية مدافعها الرشاشة على قاطرات هيئة القناة التي خرجت لمسح قاع مجرى القناة فردت المدفعية المصرية بأعنف ضرب مركز على مواقع العدو الذي بلغت خسائره ١٩ نقطة ملاحظة ـ ٩ دبابات ـ وحدة مدفعية مضادة للطائرات ـ ٧ مناطق ادارية ـ تدمير وحدات مدفعية كاملة ..

● قررت الجمهورية العربية المتحدة وقف العمل في اخراج السفن المحتجزة في القناة .

فبراير ١٩٦٨

٨ : جاء في البيان المشترك لمحادثات الرئيسين جمال عبد الناصر وجوزيب بروز تيتو التي جرت في مصر انهما وصلا الى اتفاق تام في وجهات النظر بشأن الموقف في الشرق الاوسط .

١٠ : جاء في البيان المشترك للمحادثات التي جرت بباريس بين الرئيسين شارل ديجول وعبد الرحمن عارف انهما متفقان على أن انسحاب قوات اسرائيل خطوة اولى ضرورية لايجاد حل لازمة الشرق الاوسط .

● وصل الرئيس عارف الى القاهرة ليستعرض مع الرئيس عبد الناصر نتائج محادثاته مع الرئيس الفرنسي ديجول ■

١١ : وصلت الى الاسكندرية ٣ وحدات من البحرية السوفيتية احداها سفينة امدادات وورشة ووحدتان صاروخيتان .

● انضمت حاملة طائرات سوفيتية الى الاسطول السوفيتي في البحر الابيض المتوسط .

١٥ : شنت اسرائيل عدوانا على الاردن بالمدافع والطائرات. اذاع راديو عمان ان المدفعية الاردنية اسقطت ٦ طائرات اسرائيلية .

٢٠ : اصدرت المحكمة العسكرية العليا احكامها في قضية المسئولين عما حدث للطيران في ٥ يونيو .

٢١–٢٢ : شهدت حلوان مظاهرات تعترض على احكام الطيران . كما شهدت جامعات القاهرة وعين شمس والاسكندرية مظاهرات للطلبة تعترض على احكام الطيران وخرجت المظاهرات في القاهرة من الجامعة الى مجلس الامة ثم طافت بالدور الصحفية .

٢٤ : اصدر مجلس وزراء منظمة الوحدة الافريقية [يضم ٢٨ وزير خارجية] قرارا بالاجماع ـ يطالب فيه بانسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية فورا وبدون شروط .

٢٥ : تقرر اعادة محاكمة قادة الطيران حيث ان الفريق فوزي لم يصدق عليها بوصفه الامر بتشكيل المحكمة .

● قرر مديرو الجامعات ايقاف الدراسة في كل الجامعات والمعاهد العليا .

٢٩ : اصدر وزير الداخلية الاسرائيلي قرارا باعتبار سيناء والضفة الغربية والمرتفعات السورية .. مناطق اسرائيلية . وعلق المراقبون الدوليون على ذلك بقولهم ان القرار قد نسف فرصة اي حل سياسي .

مارس ١٩٦٨

٢ : قام رجال المقاومة العرب بنسف مخزن اسرائيلي للجرارات والسيارات في قرية تقع بالقرب من القدس. فقامت اسرائيل بفرض حظر التجول على قرى منطقة القدس كلها .

● جرت اتصالات بين عواصم عربية للتشاور في اجراءات مواجهة الموقف الناشيء من قرار اسرائيل بضم المناطق العربية المحتلة .

٣ : القى الرئيس عبد الناصر خطابا في المؤتمر العمالي بحلوان عن المعركة المزدوجة التي يخوضها النضال الشعبي ضد العدوان ومن اجل التغيير. واعلن الرئيس انه سيقدم برنامجا للعمل الداخلي في خطاب يوجهه فيما بعد للامة. أعلن الرئيس ان قرار اسرائيل بضم الاراضي المحتلة ليس جديدا بالنسبة لنا . واتسم اهتمام الجماهير على تحرير الارض المحتلة مهما كانت التضحيات وقدم الرئيس عرضا للتفاصيل الكاملة لعمليات سوء التفاهم التي أدت الى حوادث الايام الاخيرة المتعلقة بالمظاهرات .

٥ : شاهد الرئيس جمال عبد الناصر عملية تدريب عسكري كبيرة، وكان معه وزير الحربية ورئيس اركان الحرب وقائد السلاح الجوي . وبعد اتمام عملية التدريب ، تحدث الرئيس عبد الناصر الى القادة والضباط مؤكدا لهم « أن الوطن كله يعتمد عليكم ويثق في مقدرتكم على تحرير الارض العربية والدفاع عن كرامة العرب » .

● وجهت منظمة « فتح » بيانا أنذرت فيه بالانتقام من الارهاب الذي تمارسه السلطات الاسرائيلية ضد المدنيين العرب . وقال البيان ان « المقاومة ستضرب اهدافا مدنية في اسرائيل ردا على عمليات القمع ضد المدنيين العرب » .

٧ : اعلن المتحدث الرسمي باسم حكومة الجمهورية العربية المتحدة عن موقف القاهرة من موضوعين كثر الحديث عنهما وهما : ١ ـ العلاقات بين القاهرة وواشنطن ـ ٢ ـ ايفاد مندوبين من الدول العربية واسرائيل الى قبرص لاجراء ماقيل عنه « محادثات غير مباشرة يشترك فيها يارنج مبعوث الامم المتحدة » فأكد ان القاهرة لم ترسل ولن ترسل اي مبعوث الى قبرص ، وان مايتردد عن ذلك في الخارج ليس الا شائعات

تروج لها اسرائيل ـ أما موضوع العلاقات العربية الامريكية ،فتلك مسألة ليست مطروحة للبحث الان وليست موضع تشاور مع اية جهة .

● اكد الرئيسان جمال عبد الناصر وجوليوس نيريرى رئيس جمهورية تنزانيا، ضرورةانسحاب القوات الاسرائيلية ، انسحابا كاملا من الاراضى المحتلة .

● وصل جونار يارنج الى القاهرة وغادرها فى نفس اليوم وقد ابلغه محمود رياض وزير الخارجية موقف الجمهورية العربية المتحدة النهائى فى ازمة الشرق الاوسط . كما اثار معه قرار اسرائيل بشأن الاراضى المحتلة .

● ركزرجال المقاومة منمنظمة «فتح» هجماتهم على مراكز القيادات العسكرية لاسرائيل .

٩ : هاجم رجال المقاومة العربية عدة مستعمرات اسرائيلية فى منطقة وادى بيسان فى وقت واحد بمختلف انواع الاسلحة . وتلت الهجمات اشتباكات متعاقبة فى جميع مناطق الضفة الغربية بين رجال المقاومة وقوات اسرائيلية حاولت تعقبهم . ثم قامت المدفعية الاسرائيلية بقصف الاردنبالنيران بحجة ان بعض مراكز المدفعية الاردنية قامت بتغطية انسحاب الفدائيين العرب .

١١ : أمضى الرئيس جمال عبد الناصر يومى ١٠ ، ١١ ـ ثانى وثالث أيام العيد ـ مع الضباطوالجنود فى جبهة القتال وتحدث اليهم وناقشهم فىكلمايتعلق بمستويات التسليح والتدريب والدروس المستفادة من المعارك التى خاضوها . كما التقى الرئيس بالقوات العربية ـ الجزائرية السودانية ، العراقية، الكويتية والفلسطينية ـ المرابطة مع القوات المصرية على خط النار.

● شن رجال المقاومةالعربية هجمات شملت كل الاراضىالمحتلة وركزوا بشكل خاص على ايلات وغزة ووادى بيسان .

● القى دافيد بن جوريون رئيس وزراء اسرائيل السابق كلمة قال فيها « ان المعركة الاخيرة لم تحارب بعد . وانحرب يونيو لم تكن هى المعركةالاخيرة»

١٥ : استؤنفت الدراسة فى جميع الكليات والمعاهد فى الجمهورية العربية المتحدة . واصدرت اتحادات الطلاب بيانات اكدت فيها حرصها على تأمين الجبهة الداخلية .

١٩ : عقد قادة جيش اسرائيل مؤتمرا صحفيا وجهوا فيه تهديدا سافرا بالانتقام منالاردن رداعلىهجمات رجال المقاومة العربية التى تزايدت فى الفترة الاخيرة .

٢٠ : تم اعادة تشكيل الوزارة فى الجمهورية العربية المتحدة .وقد عقدت الوزارة الجديدة اجتماعا برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر لمناقشة خطة العمل السياسيفى المرحلة المقبلة التىسوف يتضمنها بيان الرئيس الى الامة .

● اعلن فى تل ابيب انموشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى قد اصيب بجراح ، وذلك فى بيان مقتضب . واتضح بعد ذلك بأيام من بيان اذاعته منظمة « فتح » ان ديان قد اصيب فى كمين اعده له رجال المقاومة التابعينللمنظمة

● اعلن مندوب الاردن فى مجلس الامن ان لدى حكومته انباء تفيد بأن اسرائيل تعد لهجوم ضخم على الضفة الشرقية للاردن .

٢١ : قامت القوات الاسرائيلية بعبور نهر الاردن فى عملية عسكرية كبيرة فقد تقدمت ٣ الويه تعززها ١٠٠ دبابة وتغطيها عشرات الطائرات وعبرت جسور نهر الاردن الثلاثة متجهة الى منطقة «كرامة» التى تعتبرها اسرائيل مقرا لقيادة قوات المقاومة الفلسطينية . وتفيد الانباء عن وقوع عمليات قتل واسعة .ولان القوات الاردنية كانت تعلم مسبقا بنية الهجوم فقد تمكنت منالحاق الخسائر بالعدو فى المعدات والارواح .

وقد وجه الملك حسين نداء بالدعوة الى عقد مؤتمر عربىعلى مستوى القمة لبحث الموقف « قبل ان يفوت الاوان » . وجاء فى رد الرئيس عبد الناصر على رسالة الملك حسين « ليس هناك بديل الان من وقفة عربية واحدةتجعل الارض العربية كلها جبهة واحدة وشعوب الامة العربية كلها جيشا واحدا . » وتقول الانباء ان يوثانت تقدم بتقرير الىمجلس الامن ـ فى اجتماع طارىء ـ يقطع بأن اسرائيل كانت تبيت للعدوان .

٢٢ : أصدرت الحكومة السوفيتية بيانا طالبت فيه بضرورة تنفيذ اسرائيل لقرار مجلس الامن الصادر فى ٢٢ نوفمبر الماضىوان تسحب قواتها قبل اى شىء من الاراضى المحتلة . واكد البيان ان الاتحاد السوفيتى مستمر فىتقديم مساعداته ودعمه للشعوب العربية .

● أعلنت ٨ دول عربية [الجمهورية العربية المتحدة ـ العراق ـ لبنان ـ الكويت ـ السودان ـ اليمن ـ اليمن الجنوبية ـالاردن] عن عقد اجتماع عاجل للقمة العربى .

● اشترك اكثر من ٥٠ الف شخص فى تشييع شهداء معركة « كرامة » فى جنازة عسكرية وشعبية ضخمة .

٢٣ : قامت قوات المقاومة العربيةبشن هجوم بالمدافع على مستعمرات اسرائيلية وضد بعض مراكزها العسكرية فى الارض المحتلة .

● بذلت امريكا كل جهودها لتعطيل مجلس الامن من اصدار قرار يدين اسرائيل . وقد أعلنت الوفود العربية رفضها لاىمشروع لايتضمن ادانة صريحة لاسرائيل او يتضمنتعريضا بعمليات المقاومة العربية .

● عقد الملك حسين مؤتمرا صحفيا اكد فيه صمود الاردن وصرح بأنه اذا تكرر العدوان « فسنتحول جميعا الى فدائيين»

٢٤ : وافق مجلس الامن على قرار بادانة اسرائيل فى عدوانها على الاردن . وحذر القرار اسرائيل باتخاذ اجراءات « اكثر فاعلية» اذا تكرر عدوانها .

● امتدت اعمال المقاومة العربية على طول الضفة الغربية للاردن وفى قطاع غزة . وقد قامت السلطات الاسرائيلية فى

اعقاب ذلك بشن حملة اعتقالات جديدة فى الاراضى المحتلة .

● وافقت ليبيا على عقد مؤتمر للقمة العربى .

[وبذلك بلغ عدد الدول العربية الموافقة على عقد المؤتمر ٩ دول] .

٢٥ : شن رجال المقاومة هجمات بالمدافع والقنابل وبث الالغام شملت منشآت حيوية لاسرائيل كما تخللتها اشتباكات عنيفة فى الضفة الغربية . وفى غزة هاجم رجال المقاومة المطار العسكرى فى غزة .

● اعلنت اسرائيل رفضها لقرار مجلس الامن متحدية بذلك الرأى العام العالمى . وجاء على لسان مندوبها فى المجلس ان حكومته « تحتفظ لنفسها بالحق فى اتخاذ اى خطوات تراها لتأمين سلامتها » .

● وصل المارشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتى الى دمشق على راس وفد عسكرى فى زيارة لسوريا تستغرق ٦ أيام .

٢٩ : تم تبادل اطلاق النار بالمدفعية والرشاشات بين الاردن واسرائيل استمر طول النهار على جبهة تمتد ١٠٠ كيلومتر . ودخل الطيران الاسرائيلى المعركة بغارات على المواقع الاردنية واسقط الدفاع الاردنى بعض الطائرات الاسرائيلية وطلب الاردن عقد اجتماع طارىء لمجلس الامن لبحث العدوان الاسرائيلى الجديد .

● اعلن المتحدث باسم الخارجية الامريكية ان حكومته قد رفعت الحظر عن ارسال الاسلحة للاردن .

٣٠ : قدم الرئيس جمال عبد الناصر الى الامة « بيان ٣٠ مارس » متضمنا برنامج العمل السياسى للمرحلة القادمة . على ان يجرى استفتاء عام على البرنامج فى ٢ مايو القادم . ويتضمن البرنامج بندين اساسيين : تحرير الارض المحتلة واشاعة الديمقراطية فى الحياة الداخلية للبلاد . ويعد البرنامج لاجراء انتخابات لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخابات من القاعدة الى القمة ، على ان يجتمع المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى يوم ٢٣ يوليو .

● وصل الى القاهرة المارشال اندريه جريشكو وزير الدفاع السوفيتى على راس وفد عسكرى

● عقد الرئيس الامريكى جونسون مؤتمرا صحفيا قال فيه انه يأمل ان تجرى مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل . وقال انه لايزال يرى ان النقاط الخمس التى اعلنها فى يونيو الماضى هى افضل اساس لتسوية الازمة .

أبريل ١٩٦٨

١ : اعلن يحيى حمودة رئيس منظمة تحرير فلسطين ان المنظمة ترفض اية محاولة لوضع قوات دولية على خط وقف القتال

٦ : وصل الى القاهرة الملك حسين واجرى محادثات مع الرئيس جمال عبد الناصر حول الموقف فى الشرق الاوسط .

● وصل الى دمشق سرب من ناقلات القنابل السوفيتية فى زيارة لسوريا تستمر ٧ ايام .

٧ : اسرائيل تحشد ٦٠ الف جندى على الضفة الغربية للاردن .

● وصل الى القاهرة سرب من الطائرات السوفيتية فى زيارة ودية مدتها عشرة ايام .

٨ : اسرائيل تخترق نهر الاردن بطائرات الهليكوبتر فى عملية عسكرية واسعة النطاق ضد رجال المقاومة .

٩ : القى الرئيس جمال عبد الناصر كلمة فى وفد الصيادلة العرب تحدث فيها عن الموقف العربى قائلا « قبول التفاوض مع اسرائيل معناه قبول الاستسلام لاسرائيل » .

١٠ : تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى وفد المكتب الدائم للمحامين العرب وقال « لابد ان نحرر ارضنا بايدينا ونحن لا نعتمد على الامم المتحدة ولكن لاينبغى لنا تجاهل الرأى العام العالمى »

١٢ : وصل عدد السفن السوفيتية التى عبرت البوسفور الى البحر الابيض المتوسط خلال الايام العشرة الاخيرة ١٧ سفينة بعد ان عبرت المضيق اليوم ثلاث سفن حربية احدها طراد

١٥ : تحدث الرئيس جمال عبد الناصر الى وفد المكتب المركزى لاتحاد العمال العرب ، وقال ان « المسالة الاهم امام النضال العربى الان هى تنظيم طاقات القوة العربية وحشدها فى المعركة الواحدة » .

١٦ : اعلنت قيادة حركة التحرير الوطنى الفلسطينى انها قررت اختيار ياسر عرفات متحدثا رسميا باسم الحركة وممثلا لها على كافة المستويات الرسمية والشعبية والتنظيمية والمالية والاعلامية .

١٨ : الرئيس عبد الناصر يلتقى بالشعب فى المنصورة ويعلن « اننا لن نكون فى اى وقت من الاوقات بغير دستور أو بغير مجلس امة »

١٩ : الاردن يرد ٣ اعتداءات اسرائيلية فى ٢٤ ساعة .

٢٠ : وصل الى الرياض قادما من طهران الملك الحسن الثانى ملك المغرب لاجراء محادثات فى السعودية وينضم اليها الملك حسين .

٢١ : الزوارق الاسرائيلية المسلحة تعتقل ٣ سفن صيد مصرية وتحتجز فيها ٢٦ صيادا بسفنهم

٢٣ : بدات اسرائيل فى اقامة حاجز من الالغام والاسلاك المكهربة لمواجهة المقاومة ، وقد تعهدت امريكا باقامة الحاجز وتمويله

٢٤ : تطور الموقف فى القدس الى ازمة خطيرة حيث اعادت اسرائيل الى يوثانت رسالة مقفولة كان قد بعث بها الى المسئولين محذرا من العرض العسكرى المزمع اقامته فى المدينة المقدسة .

٢٥ : تحدث الرئيس جمال عبد الناصر فى جامعة القاهرة عن المثقفين

وضعهم فى المجتمع ومشاكلهم ودورهم فى الثورة .

● نجا الرئيس الجزائرى بومدين من محاولة لاغتياله فى العاصمة .

٢٦ : ديان يهدد بضرب الضفة الشرقية للاردن اذا استمرت عمليات المقاومة العربية وقال « انه لايوافق ابدا على خطوط وقف القتال الحالية لانها تسمح لافراد المقاومة العربية بتحويل المستعمرات الاسرائيلية الى ميدان قتال مستمر » .

٢٨ : اعلن متحدث عسكرى اسرائيلى ان لديه ادلة دامغة على وجود فدائيين مصريين ضمن قوات المقاومة فى الاراضى المحتلة .

٢٩ : الرئيس عبدالناصر يتحدث الى الجنود فى احد معسكرات المدرعات ويقول « اننا نرسم استراتيجيتنا على اساس احتمال المواجهة المنفردة مع اسرائيل وحدنا اذا اقتضى الامر » .

مايو ١٩٦٨

١ : الرئيس عبد الناصر يلتقى بالعمال فى كفر الدوار ويقول « العمل مصدر كل قيمة وصانع الوحدة بين قوى الشعب ومحقق الانسجام بين الجانب المادى والمعنوى للحياة » .

٥ : اغلقت جميع المدارس العربية فى الضفة الغربية احتجاجا على العرض العسكرى الاسرائيلى فى القدس .

٢ : تم الاستفتاء على بيان ٣٠ مارس .

● تم العرض العسكرى الاسرائيلى فى القدس فى ظل حماية مشددة من جميع قوات الاسلحة الاسرائيلية وفى ظل مقاطعة كاملة من الدبلوماسيين الاجانب وفى ظل اضراب شامل من جميع المواطنين العرب .

٣ : ظهرت النتائج النهائية للاستفتاء على بيان ٣٠ مارس وكانت نسبة الذين قالوا « نعم » هى ٩٩٫٩٨٩ ٪

٦ : وصل الرئيس السورى الدكتور نور الدين الاتاسى على راس وفد ليجرى مباحثات مع المسئولين فى القاهرة حول متطلبات العمل العربى .

٧ : رفضت اسرائيل اعتبار اسرى المقاومة كاسرى حرب . حدث ذلك عندما بدأت المحاكمة العسكرية الاسرائيلية لوليم نصار احد مناضلى المقاومة الفلسطينية فى منظمة «فتح».

● قطعت تونس علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا .

٩ : صدر القانون الاساسى للاتحاد الاشتراكى العربى .

١١ : اعلن وزير البحرية الامريكية « ان حرية الولايات المتحدة فى استخدام منطقة البحر الابيض المتوسط اصبحت — لاول مرة منذ الحرب العالمية الثانية — تنازعها فيها البحرية السوفييتية التى تملك الان اكثر من ١٠٠ غواصة حاملة للصواريخ » .

١٢ : تم اول تبادل للنيران بين قوات اسرائيل ولبنان .

١٥ : اضربت مدن الضفة الغربية وقطاع غزة اضرابا عاما وشاملا فى مناسبة مرور ٢٠ عاما على اغتصاب فلسطين

٢١ : وافق مجلس الامن بالاغلبية على قرار باعتبار جميع الاجراءات الادارية والقانونية التى اتخذتها اسرائيل لضم القدس لاغية

● صرح المتحدث الرسمى لمنظمة « فتح » بان « اى حل سياسى لا يصفى الوجود الصهيونى مرفوض من اساسه »

٢٢ : اعلنت اسرائيل فى مجلس الامن رفضها لقراره بشأن مصير مدينة القدس .

٢٣ : اكد ياسر عرفات فى تصريح صحفى ان قواعد المقاومة الفلسطينية كلها فى داخل الارض المحتلة »

٢٤ : اعلن اليوم رسميا اتفاق المنظمات الفلسطينية على تشكيل المجلس الوطنى الفلسطينى .

● قدم النائب الامريكى وانتى فاسل عضو لجنة العلاقات الخارجية فى الكونجرس مشروع قرار يهدف الى اقامة معاهدة دفاع مشتركة بين الولايات المتحدة واسرائيل .

٢٨ : اسرائيل ترفع درجة الاستعداد وتستدعى قوات الاحتياطى لتزايد هجمات قوات المقاومة.

يونيو ١٩٦٨

٣ : اعلن بن جوريون ان اسرائيل لن تتخلى عن المرتفعات السورية والقدس عند اجراءاية مفاوضات مع العرب بشأن الانسحاب من بقية الاراضى التى احتلتها القوات الاسرائيلية فى حرب الايام الستة .

٤ : شنت القوات الاسرائيلية هجوما على الاردن استخدمت فيه المدفعية والدبابات .

● اعلنت منظمة فتح عن استشهاد مهندس فرنسى هو « جوزيف روجيه » وهو يؤدى واجبه فى صفوف المقاومة الفلسطينية .

٥ : الرئيس عبد الناصر يتحدث الى الامة العربية فى ذكرى ٥ يونيو ، ويقول . ان القوات المسلحة تعيد بناء نفسها رجالا وعلما وتدريبا ، وان الامة العربية بالاجماع تدرك انها تواجه معركة يتقرر فيها المصير العربى الى عشرات السنين وربما مئات السنين ، وان المقاومة الفلسطينية هى علامات تحول هامة واساسية بالنسبة للنضال الفلسطينى ، وان الرأى العام العالمى اصبح يرى من حقائق الصراع العربى الاسرائيلى ومن ابعاده اكثر مما كان متاحا له ان يرى .

٧ : سلطات اسرائيل تفرض حصارا كاملا حول القدس .

١٥ : قوات اسرائيل تخترق المنزلة لبنانية فتصيب ٤ اشخاص وتدمر ٥ منازل .

● حاولت اسرائيل إنزال بعض جنودها فى القنساة عند الفردان فاشتبكت معها القوات العربية واحبطت المحاولة .

١٦ : أكد يحيى حموده رئيس منظمة تحرير فلسطين « اننا نؤمن بوحدة فلسطين بحدودها الطبيعية مع الاردن » وأن العرب ليسوا ضد اليهود كشعب وكدين ولكنهم ضد الصهيونية .

١٧ : قام الرئيس عبد الناصر بزيارة للتشكيلات المقاتلة فى الجبهة المصرية .

١٩ : اتخذ المؤتمر الصهيونى العالمى المنعقد فى اسرائيل قرارا مؤداه العمل على تجميع يهود العالم فى اسرائيل .

● اعلن موشى ديان امام اللجنة البرلمانية لحزب العمال « ان حدود اسرائيل تمتد من نهر الاردن الى البحر المتوسط ، وانه يعارض اي محاولة لتغيير هذه الحدود » وقال : ان قرار مجلس الامن يتعارض ومصالح اسرائيل وان موقف الولايات المتحدة له بالنسبة لاسرائيل اهمية اعظم بكثير من قرارات مجلس الامن .

٢٠ : صرح ياسر عرفات بأن منظمة « فتح » التي تحدث باسمها قد اجرت اتصالات ايجابية مع ثوار جبهة التحرير الفيتنامية وكوبا .

٢٣ : معركة عنيفة عند الاسماعيلية بين المدفعية العربية ومدفعية العدو على جبهة طولها ٣٠ كيلو مترا .

٢٤ : بدأت انتخابات اعضاء لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى .

٢٦ : قدم النائب ريمون اده رئيس حزب الكتلة الوطنية اليمينى ، الى لجنة الشئون الخارجية فى البرلمان اللبنانى اقتراحا « بوضع بوليس دولى للمرابطة على حدود لبنان الجنوبية مع اسرائيل » .
وقال ان الفدائيين يتسللون من سوريا الى لبنان ، وان لبنان بلد يعتمد على السياحة ولايمكنه ان يسمح لرجال المقاومة بالتسلل عبر حدوده ، وطالب بمنع الفدائيين رسميا من المرور واستخدام الاراضى اللبنانية .

يوليو ١٩٦٨

٣ : مصادر الامن الاسرائيلى تعلن عن وجود اكثر من ١٤٥٠ معتقلا عربيا فى القدس المحتلة ، وان ١٥٣منهم اعتقلوا فى الضفة الغربية ، بينما اعتقل نحو ٥٠٠ من قطاع غزه .

٤ : وصل الرئيس عبد الناصر الى الاتحاد السوفيتى لاجراء مباحثات مع الزعماء السوفيت .

٦ : اعلنت وزارة الدفاع الامريكية ان الولايات المتحدة باعت كمية من الصواريخ المضادة للطائرات من طراز « هوك » لاسرائيل .

٧ : اجتماع مغلق بين عبد الناصر والزعماء السوفيت فى موسكو ، جرى فيه تبادل الرأى حول تصفية آثار العدوان والعلاقات الثنائية

٩ : ٣ اشتباكات مع العدو الاسرائيلى عند السويس ، اذ فتح نيرانه على حى الاربعين ، دمرت للعدو ٥ دبابات ومواقع للرشاشات .

١٠ : صدر البيان المشترك عن محادثات الرئيس مع الزعماء السوفيت ، وتعهد السوفيت بالاستمرار فى تعزيز قدرة مصر الدفاعية وكل أنواع العون السياسى والاقتصادى

١١ : وصل الرئيس عبد الناصر الى يوجوسلافيا وبدأ محادثاته مع تيتو بشأن الشرق الاوسط ومؤتمر الصلح والتنمية ، والقضايا العالمية الكبرى .

● مقعد المجلس الوطنى الفلسطينى الجديد اولى دوراته فى القاهرة لاعادة تخطيط العمل الوطنى الفلسطينى وفى مقدمته المقاومة .

١٢ : عاد عبد الناصر من يوجوسلافيا ، البيان المشترك مع تيتو ، ركز على أزمة الشرق الاوسط وضرورة انسحاب اسرائيل .

١٣ : وصل روبرت مكنمارا رئيس البنك الدولى الى القاهرة ، وتقابل مع الرئيس عبد الناصر واعلن تقديم البنك « المساعدات لمصر دون انتظار لحل مشكلاتها » .

● اعلن اليكسى كوسيجين فى مؤتمر صحفى عند انتهاء زيارته للسويد ، انه « لا سلام فى الشرق الاوسط حتى تنسحب اسرائيل » .

١٤ : اجتمع محمود رياض بسفراء الدول العربية فى القاهرة ، واطلعهم على نتائج مباحثاته فى الدول الاسكندنافيه ، وبخصوص تحريف بعض وكالات الانباء للتصريحات التى ادلى بها فى مؤتمره الصحفى فى الدنمارك ، وكان محمود رياض قد صرح : ان محادثاته فى الدول الاسكندنافية كانت ناجحة وان الصورة فى الدول الاسكندنافية تغيرت تدريجيا خلال هذا العام وانه على اثر العدوان مباشرة لم تكن لدى الرأى العام فى هذه الدول فكرة « صحيحة عن المشكلة الفلسطينية لانه كان متأثرا بالدعاية الصهيونية .

١٥ : وصل المارشال «اندريه جريتشكو» وزير الدفاع السوفيتى الى الجزائر وستتركز محادثاته على موضوعات التعاون العسكرى الثنائى .

● تقرر المجلس الوطنى الفلسطينى تشكيل مجلس عسكرى للتنسيق بين منظمات المقاومة ، ويعمل من داخل الارض المحتلة .

١٦ : اجرى جورج بول رئيس الوفد الامريكى فى الامم المتحدة محادثات مع الجنرال ديان والجنرال ياريف ومدير العمليات ومدير المخابرات الاسرائيلية : تناولت ما وصف بأنه « توازن القوى فى المنطقة » وحاجة اسرائيل الى طائرات الفانتوم .

١٧ : انقلاب عسكرى فى العراق ، واسقاط حكومة طاهر يحيى ، واقصاء عبد الرحمن عارف ، وتعيين احمد حسن البكر احد اعضاء قيادة الانقلاب ، رئيسا للجمهورية العراقية .

● اجتمع جورج بول مع بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن وعبد المنعم الرفاعى وزير خارجيته ، ومحمد الفرا رئيس وفد الاردن فى الامم المتحدة .

● استقبلت المظاهرات الشعبية المبعوث الامريكى جورج بول فى مطار بيروت بالهتافات المعادية

والزجاجات الحارقة، وقبض على بعض الاشخاص بتهمة التحريض على المظاهرة والإعتداء على المبعوث الامريكى .

١٨ : قرار المجلس الوطنى الفلسطينى برفض فكرة الكيان الفلسطينى المزيف فى الوطن المحتل ، واعتبار النضال المسلح طريق للتحرير .

● قدم الاردن مذكرة الى يوثانت مدعمة بخريطة تثبت ان اسرائيل تقيم ٣٥ مستعمرة شبه عسكرية فى الاراضى التى احتلتها .

١٩ : طلب مجلس النواب الامريكى من جونسون مفاوضة اسرائيل لتزويدها بطائرات الفانتوم .

٢١ : قبض البوليس اللبنانى على المتظاهرين الفلسطينيين ضد جورج بول رئيس الوفد الامريكى الذى وصل الى بيروت فى ١٧ يوليو .

٢٢ : اوقع رجال المقاومة قافلة عسكرية اسرائيلية فى كمين منطقة البحر الميت، ونسفوا خطا لانابيب المياه، واشتبكوا مع قوة اسرائيلية فى شمال اريحا .

● تقدم يارنج تقريره الى يوثانت بشأن مشكلة الشرق الاوسط ، وسافر الى نيقوسيا .

٢٣ : القى الرئيس عبد الناصر خطابا هاما بمناسبة ٢٣ يوليو ، وافتتاح المؤتمر القومى الاول للاتحاد الاشتراكى .. اعلن فيه ان استقلال مصر ليس للبيع او الشراء او الرهن ، وانه لا توجد سلطة فوق المؤتمر القومى ، ولا قيد على اعماله ، ولا دعوى تمنعه من التعرض لكل ما يشاء ، وان السلام فى الشرق الاوسط لا يتحقق بمجرد ازالة آثار العدوان ولكن السلام الحقيقى يرتبط بالحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، وان ج.ع.م. تتحول الى بناء الجيش الهجومى القومى ، وان العمل الفدائى الفلسطينى نقطة تحول فى النضال العربى ، وشرح عبد الناصر دور الاتحاد السوفيتى فى مساعدة الجمهورية ، ونقطة اللقاء الاساسية معه وهى الاشتراك فى مقاومة الاستعمار .

● انتخب المؤتمر القومى بالاجماع ، الرئيس عبد الناصر رئيسا للاتحاد الاشتراكى .

● استولى رجال المقاومة الفلسطينية على طائرة ركاب اسرائيلية تقل ٣٨ راكبا ، و١٠ ملاحين وارغموها على الهبوط فى الجزائر بدلا من اللد . واحتجزت الجزائر الطائرة وملاحيها . وقد اعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسئوليتها عن هذه العملية

٢٥ : هددت اسرائيل باتخاذ اجراء عنيف ، اذا لم تفرج الجزائر عن طائرتها . الاتحاد الدولى للطيارين اوفد بعثة الى الجزائر لبحث المشكلة .

٢٦ : وصل الرئيس عبد الناصر الى جمهورية جورجيا السوفيتية للعلاج

● قتل الكولونيل ارييه ريجيف القائد الاسرائيلى لقطاع وادى الاردن فى اشتباك مع رجال المقاومة شمال البحر الميت .

● نقلت اسرائيل الى القدس، المقر الرئيسى لادارة البوليس .

٢٧ : افرجت الجزائر عن النساء والاطفال الاسرائيليين المحتجزين فى حادث الطائرة وتم ترحيلهم الى سويسرا .

٢٨ : اعلن سيزوف رئيس وفد الحزب الشيوعى السوفيتى اثناء زيارته لسوريا ، ان الاتحاد السوفيتى سيواصل جهوده لرفع القدرة الدفاعية لسوريا .

٢٩ : مفاوضات مع الصليب الاحمر لمبادلة اسرى الطائرة الاسرائيلى برجال المقاومة العرب .

● صدر قرار جمهورى بزيادة ضريبة الامن القومى بنسبة تتراوح بين ١/٤٪ و ١٪

٣٠ : انقلاب جديد فى العراق - جناح حزب البعث القديم الذى اشترك فى انقلاب ١٧ يوليو ، يصفى جناح الضباط الشبان الذين اشتركوا معه فيه ، عزل الداوود وزير الدفاع وابعاد رئيس الوزراء عبد الرزاق النايف الى الخارج .

● العثور على لغم مستغير بقرب منزل ليفى اشكول .

رجال المقاومة نسفوا سيارة اسرائيلية بركابها الثلاثة .

● اعلن يوثانت انه سيرسل مبعوثه يارنج فى محاولة جديدة لبحث الازمة مع دول المنطقة .

● رفضت الجزائر اتخاذ قرار بشأن الطائرة الاسرائيلية واعلنت عدم تحملها اية مسئولية عنه وذلك فى ردها على طلب اتحاد الطيارين الدولى للافراج عن ركاب وملاحى الطائرة الاسرائيلية المحتجزة فى الجزائر .

أغسطس ١٩٦٨

١ : اصدرت المحكمة العسكرية التونسية احكاما بالسجن لمدد تصل الى ٢٠ سنة على ٥٤ تونسيا من العمال والطلبة بتهمة الاشتراك فى المظاهرات الشعبية التى اجتاحت تونس يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وهاجم فيها المتظاهرون السفارات والمنشآت الامريكية والبريطانية احتجاجا على العدوان على الدول العربية .

● رفضت اسرائيل طلب يوثانت التحقيق فى وضع الفلسطينيين فى المناطق المحتلة .

٢ : نسف رجال المقاومة مطعما اسرائيليا فأثاروا الذعر فى اهم احياء القدس . الصحف تتحدث عن سلسلة عمليات متجددة لقوات المقاومة ضد القوات الاسرائيلية .

● ابلغ يوثانت مجلس الامن عجزه عن ارسال مبعوث الى الشرق الاوسط للتحقيق فى الظروف التى يعيشها العرب فى الاراضى المحتلة ، بسبب رفض اسرائيل ذلك الطلب ، بحجة ضرورة بحث وضع اليهود فى الدول العربية .

٤ : اغارت الطائرات الاسرائيلية طوال ظهر اليوم على منطقة السلط فى الضفة الشرقية للاردن ، واطلقت الدبابات الاسرائيلية نيرانها على الخطوط الاردنية . البيانات الاسرائيلية تتذرع بوجود قواعد للمقاومة ، لتبرير هجومها الجوى اعلن الاردن اسقاط طائرة اسرائيلية واصابة عدد آخر من الطائرات

● اجتمعت الوزارة الاسرائيلية لمناقشة مسألة الطائرة المحتجزة فى الجزائر .

● حاصرت قوات اسرائيلية قلب مدينة غزة بعد اشتعال اعمال المقاومة فيها ، وقام الاسرائيليون بحملة تفتيش فى غزة .

٥ : اجتماع مجلس الأمن بناء على طلب عاجل من الاردن بعد ان قامت اسرائيل بهجوم اشتركت فيه ٥٠ طائرة .

● هاجم رجال المقاومة بعد ساعات من عملية اسرائيل ضد [السلط] ٣ مستعمرات في وادي الاردن ، ونسفوا مزرعة تجريبية اقامتها اسرائيل في غزة

٦ : طالب مندوبا فرنسا والاتحاد السوفيتي في مجلس الامن بادانة اسرائيل واتخاذ اجراءات ضدها

٨ : الولايات المتحدة تضغط لمنع مجلس الامن اصدار اي قرار رادع ضد اسرائيل .

● تم تبادل النار ٨٥ دقيقة بين الاردن واسرائيل . دمرت سيارة عسكرية اسرائيلية واصابة اسرائيليين .

● اعلنت المنظمات الفدائية انها ستوجه ضرباتها ابتداء من اليوم الى المدنيين الاسرائيليين وتتبع « سياسة العين بالعين والسن بالسن » وذلك ردا على سياسة الابادة للمدنيين وعمليات القتل بالجملة للفلسطينيين .

● نسف رجال المقاومة مركزا للمحولات الكهربائية في القدس .

١٢ : هبطت طائرتان عسكريتان لسوريا من طراز ميج ١٧ خطأ في اسرائيل الغموض يحيط بالحادث ، واسرائيل لاتذيع اي تفصيلات رسمية عن ظروفه .

١٣ : اشارت دلائل عديدة الى ان اسرائيل خطفت الطائرتين العسكريتين السوريتين جوا ، اذ لم تصدر اسرائيل بعد هبوط الطائرتين ب ٢٤ ساعة اي توضيح رسمي للحادث .

● اعلن الاتحاد الدولي للطيارين مقاطعة الجزائر حتى تفرج عن الطيارين الاسرائيليين .

١٥ : طلب بوتفليقه من يوثانت التدخل في ازمة الطائرة ووصف قرار اتحاد الطيارين الدولي بانه متحيز

١٦ : وصل الرئيس عبد الناصر الى القاهرة بعد اجتماعات هامة عقدها مع الزعماء السوفيت في تسخالطوبو .

● اعلنت الدول العربية مقاطعة شركات الطيران التي تقاطع الجزائر .

١٧ : عدل الاتحاد الدولي للطيارين عن قرار مقاطعة الجزائر بعد محادثات رئيس الاتحاد مع المسئولين الجزائريين ، وتم الاتفاق على الافراج عن الطيارين الاسرائيليين في موعد يحدد فيما بعد .

● قرر مجلس الامن ادانة العدوان الاسرائيلي على منطقة السلط واعرب الاعضاء عن قلقهم لان الضغط الامريكي يقيد سلطة المجلس .

١٩ : ليلة من الاضطراب والرعب في القدس اذ وضع رجال المقاومة التابعين لمنظمة « فتح » قنابل امام دور السينما وفي محطات الاتوبيس ، ظلت انفجاراتها تتوالى لساعات ، وقام مئات من الاسرائيليين بالهجوم على الاحياء العربية ونشروا فيها الدمار وحطموا اكثر من ٥٠ سيارة وعشرات المتاجر ، وضربوا الناس في الشوارع . وفتشت القوات الاسرائيلية طول الليل في تفتيش مداخل المباني وصناديق القمامة

● هجمات مركزة للعاصفة على مواقع العدو في النقب ، تدمير اجزاء من مصنع للفوسفات ونسف خط حديدي .

٢١ : تجري اسرائيل تحقيقات محمومة مع المعتقلين العرب عقب انفجارات القدس ، اذ لم تستطع التوصل الى مصدر هذه القنابل .

٢٢ : قام السكان العرب في القدس القديمة باضراب عام ونظموا مظاهرة غضب احتجاجا على اعمال التخريب التي قام بها اليهود في المدينة .

● اشتعال النار في مستعمرتين اسرائيليتين ونسف انابيب البترول ؟ وقيام رجال المقاومة بـ ٥ عمليات عسكرية في النقب ووادي عربة .

٢٤ : اعلن بهجت التلهوني رئيس وزراء الاردن ان طائرات حربية اسرائيلية حلقت فوق عمان والقت منشورات تحذر فيها من مساعدة الغارات التي تشنها قوات المقاومة العربية ضد اسرائيل .

● افتتح محمود رياض مؤتمر العربية واوضح ان من اهدافه ، بحث وسائل تقوية الجبهة العربية وزيادة تماسكها من أجل العمل على ازالة آثار العدوان ، والبحث عن كافة وسائل التعاون وتقوية العلاقات الثنائية والجماعية مع الدول العربية والدول الصديقة .

٢٥ : وصل الى القاهرة محمد احمد محجوب رئيس وزراء السودان وطالب بعقد مؤتمر قمة عربي ، لانه قد حدثت تغييرات منذ انعقاد مؤتمر الخرطوم ، تستدعي من العرب تبادل الرأي ودراسة موقفهم من جديد .

٢٧ : اعلنت اسرائيل عن مصرع جنديين وفقد ثالث على الضفة الشرقية للقناة .

٣٠ : وجه موشي ديان في تصريحات ادلى بها تهديدات سافرة الى الجمهورية العربية المتحدة ، وقدم تقريرا الى مجلس الوزراء الاسرائيلي عن حادث مقتل جنديين اسرائيليين واختفاء ثالث شرق قناة السويس ، وقد اصبح الموقف شديد التوتر على طول خط وقف اطلاق النار ، بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل .

٣١ : افرجت الجزائر عن الـ ١٢ اسرائيليا [ركاب الطائرة المحتجزة] ، اسرائيل ستفرج عن ٣٠ اسيرا من رجال المقاومة العربية ، قبل ان تسمح الجزائر بسفر الطائرة الاسرائيلية المحتجزة لديها .

١ : بدأ وزراء الخارجية العرب اجتماعاتهم لاول مرة منذ مؤتمر الخرطوم ناقشوا فيه الموقف على خطوط وقف القتال وخطط العمل العربى المشترك ، ومهمة يارنج ، والتنسيق العسكرى ، ومسألة القدس ، والوضع فى الاراضى المحتلة .

● طلبت اسرائيل عقد اجتماع عاجل لمجلس الامن لبحث شكوى تقدمت بها ضد مصر عن حادث نسف الدورية الاسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة .

● افرجت الجزائر عن الطائرة الاسرائيلية وقادهـا طيـارون فرنسيون الى روما ومنها عادت الى تل ابيب .

٢ : قرر وزراء الخارجية العرب فى اجتماعهم بالقاهرة تقديم عون عاجل للجبهة الاردنية ، واستبعاد موضوع عقد مجلس الدفاع العربى المشترك ، والاعتماد على التنسيق العسكرى فى المرحلة القادمة .

● انسحب الوفد التونسى من اجتماع وزراء الخارجية العرب ، وأدلى عقب انسحابه بتصريحات هاجم فيها الجامعة العربية . وقد لاقى تصرف تونس استنكارا جماعيا فى الاجتماع .

٣ : اضرب ٣٠٠ من رجال المقاومة فى سجون نابلس عن الطعام .

● قرر وزراء الخارجية العرب دعوة جميع الحكومات العربية الى الاتصال بالاردن بقصد المساهمة الفورية فى تعزيز الجبهة الاردنية باقصى ما تستطيع تقديمه كل دولة .

(اجماع على انقاذ القدس ودعم المقاومة) .

٤ : ٣ انفجارات فى قلب تل أبيب ٣ منها فى المحطة الرئيسية لخطوط الاتوبيس ، الخسائر الاولية تقدر بـ ٤٩ قتيلا وجريحا وتدمير سيارتى اوتوبيس تماما .

● بدأ مجلس الامن مناقشة شكوى اسرائيل ضد الجمهورية الجزائرية فى حادث الدورية الاسرائيلية ، ولكن الجمهورية نفت اى علم لها بالحادث ورفضت أى مسئولية منه .

● اعتقال اسرائيل لـ ١٦ بحارا مصريا ومركبين للصيد داخل المياه الاقليمية للجمهورية العربية .

● : قوات الجيش الاسرائيلى تغلق جميع الطرق حول تل ابيب بينما امتلأت شوارعها بالدوريات المسلحة خوفا من انفجارات جديدة . عصابات من مئات الاسرائيليين شسنت بعد الانفجارات هجوما محموما على يافا ، تضرب وتدمر وتحرق كل ما هو عربى ، وقد اكتشفت قوات الامن قنبلة فى مطار اللد اثناء سفر الون نائب اشكول الى امريكا .

٧ : قامت القوات الاسرائيلية منذ انفجارات تل ابيب الاخيرة بعملية اعتقالات واسعة ، ساقت فيها العرب بالمئات الى السجون . قام رجال المقاومة بهجوم على ناد ليلى فى القدس فهدموه على ما يقرب من ٥٠ اسرائيليا كانوا بداخله .

٨ : قتال عنيف بالمدافع على طول جبهة قناة السويس مع العدو ، تم تدمير ١٤ دبابة للعدو فى موقع واحد ، قبلت القيادة العامة وقف اطلاق النار على اساس شرطين : عدم تعزيز الخط التكتيكى الاول للعدو ، والاحتفاظ بحق الدفاع الوقائى ضد الوحدات المعادية التى تطلق النار على المدنيين .

تذرع العدو بحادث نسف دورية اخرى له فى منطقة راس الجندى وفتح النار على مدينة السويس . جاء الرد المصرى عليه فى معركة استمرت ٤ ساعات فقد فيها معظم مراكز خطه الاول .

● اجمع المراقبون على اعتبار هذه المعركة علامة هامة فى المواجهة العربية الاسرائيلية .

٩ : اتخذ مجلس الامن قرارا ناشد فيه مصر واسرائيل الالتزام بقرار وقف اطلاق النار .

١١ : اجتمع مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة وكان الموقف العسكرى هو الموضوع الاساسى فى الاجتماع — تقدم محمد فوزى وزير الحربية تقريرا تفصيليا عن أسباب التصاعد على خط النار كما تعرض لسياسة « الدفاع الوقائى الجديد » التى اعلنها بيان القيادة العامة للقوات المسلحة يوم معركة المدافع .

● استقالة جماعية لمجلس بلدية نابلس بعد نسف اسرائيل للبيوت فيها .

١٢ : تكشفت أزمة بين المراقبين الدوليين التابعين للامم المتحدة وبين القيادة الاسرائيلية ، بعد أن ثبت أن القوات الاسرائيلية تعمدت ضرب برج المراقبة الخاص بالمراقبين الدوليين والمرفوع عليه علم الامم المتحدة فى منطقة كبريت لمنع المراقبين من اداء عملهم واثبات من الذى بدأ باطلاق النار .

١٤ : اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر باعضاء المؤتمر القومى ، واوضح فى كلمته اجتياز الجمهورية العربية لمرحلة الصمود ومرورها بمرحلة الردع ومنها الى مرحلة النصر .

١٥ : قدم الفريق فوزى فى الجلسة السرية للمؤتمر القومى تقريرا كاملا عن عملية اعادة البناء العسكرى .

١٦ : اطلقت المدفعية المضادة العربية نيرانها على طائرتين معاديتين

فوق بورتوفيق تهريبًا مع احتمال اصابة احداهما .

١٧ : أعلنت اسرائيل أن قوات المقاومة العربية ، شنت هجوماً استخدمت فيه صواريخ ثقيلة بعيدة المدى من نوع تستخدمه بعض الجيوش العربية ، حدث الهجوم فى بيت شيعان ، بلغت خسائر اسرائيل فيه ١٢ شخصا بينهم ٤ قتلى وانتقمت اسرائيل لذلك بقصف مدينة اربد بالمدفعية البعيدة المدى

١٨ : وصلت الى مستوانى اسرائيل شحنة من الدبابات الأمريكية عدد ١٠٠ دبابة .

١٩ : اصدر مجلس الامن قرارا دعا فيه كلا من مصر واسرائيل الى الالتزام بدقة بقرار وقف اطلاق النار . وطالب الاطراف المتصلة بالازمة بالتعاون مع يارنج لتنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ بشأن الازمة وقد تعرض قرار المجلس لهجوم عوض القونى رئيس وفد مصر على أساس انه لم يعالج السبب الرئيسى للتوتر وهو رفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن .

٢٢ : وصل الـ ١٦ صيادا مصريا الذين كانت اسرائيل قد اسرتهم الى ميناء بورسعيد ، بعد أن استجوبتهم السلطات الاسرائيلية واساءت معاملتهم .

٢٣ : وصل الملك حسين الى القاهرة لاجراء مباحثات مع الرئيس جمال عبد الناصر تتناول تطورات الموقف العربى ، وقد تم بحث الوضع على الجبهة الاردنية والتنسيق العسكرى على الجبهة الشرقية.

● أعلن متحدث عسكرى اسرائيلى أن وحدة فدائيين مصرية عبرت قناة السويس ونصبت كمينا لدورية اسرائيلية اصيب فيه افرادها .

٢٤ : بعث مندوب اسرائيل فى الامم المتحدة ، رسالة احتجاج الى رئيس مجلس الامن على أساس أن مصر « تتجاهل قرار مجلس الأمن » وقال المندوب الاسرائيلى أن وحدة عسكرية مصرية عبرت قناة السويس وهاجمت دورية اسرائيلية .

٢٥ : اصدر الاتحاد السوفيتى مع بداية الدورة الجديدة للجمعية العامة للامم المتحدة ، بيانا رسميا حدد فيه موقفه من مشكلة الشرق الاوسط على أساس أن التطورات التى حدثت خلال الاسابيع الاخيرة تؤكد خطورة الموقف فى المنطقة نتيجة لاستمرار العدوان ضد الدول العربية ، وان اسرائيل تعمل على زيادة التوتر وتوسيع نطاق المغامرات العسكرية ، وتتحدى بتأييد من الولايات المتحدة كل قرارات الامم المتحدة ، وأعلن البيان ان الشعوب العربية سوف تلقى فى كفاحها من أجل تحرير الأرض كل تأييد ومساعدة من الاتحاد السوفيتى .

٢٦ : قدم يوثانت تقريرا الى الجمعية العامة للامم المتحدة أعلن فيه « خيبة أمله » لانه لم يحدث أى تقدم فى الاطلاق فى تطبيق قرار مجلس الامن ، وانتقد اسرائيل على أساس أن اصرارها على المفاوضات المباشرة يمنع يارنج من الوصول بجهوده الى نتائج ايجابية .

● أعلن موشى ديان فى خطاب القاه فى بعض سكان مستعمرات النقب أن الحرب أصبحت اقرب مما كان يعتقد الكثيرون منذ بضعة أشهر ، لان الموقف تدهور على طول خطوط وقف اطلاق النار وخاصة على جبهة قناة السويس

٢٧ : اجتمع الملك حسين فى لندن مع هارولد ويلسون رئيس وزراء بريطانيا وناقشا تطورات الموقف فى الشرق الاوسط .

٢٨ : اصدر مجلس الامن قرارا يطالب فيه باجراء تحقيق فى الظروف التى يعيش فيها العرب فى الاراضى المحتلة ، نص فيه على ارسال « بعثة انسانية » على الفور لدراسة الظروف التى يعيش فيها المدنيون العرب ، وقد اثار القرار أزمة لان اسرائيل اعلنت انها سوف تتجاهله ، ومن ناحية اخرى ظهر فى الامم المتحدة اتجاه قوى دعا الى ضرورة عمل شىء ما لانقاذ الموقف لان مهمة يارنج لايمكن ان تطول أكثر من ذلك .

٢٩ : أعلن مناحيم بيجن رفضه لمقترحات الاتحاد السوفيتى لحل أزمة الشرق الأوسط ، ووصفها بأنها « ميونيخ جديدة » .

● حدوث سلسلة هجمات للمقاومة ، تركزت فى وادى بيسان الملىء بالمستعمرات الاسرائيلية ، سلطات اسرائيل تقوم ببناء مخابىء فى مستعمرات بيسان بعد تزايد هجمات المقاومة .

أكتوبر ١٩٦٨

٨ : تقدمت اسرائيل الى الجمعية العامة للامم المتحدة بمشروع من تسع نقاط يتعلق باجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية ، واقامة حدود آمنة معترف بها ، والمرور فى قناة السويس ، والاعتراف بالسيادة القومية لاسرائيل على الاراضى الفلسطينية وأن يتم حل مشكلة اللاجئين فى مؤتمر يضع برنامجا مدته خمس سنوات لحل هذه المشكلة .

٩ : طلب الرئيس الامريكى جونسون رسميا الى دين راسك الاتصال باسرائيل لاجراء مباحثات لبيع طائرات الفانتوم لاسرائيل .

١٥ : بعث يوثانت بتقرير عاجل الى مجلس الامن ، يعلن فيه انه لم

يتمكن من ايفاد مبعوث الى الشرق الاوسط للتحقيق فى أوضاع العرب فى الارض المحتلة تنفيذا لقرار مجلس الامن ، يعلن فيه انه لم استقبال مبعوث دولى بهذا الشأن

١٨ : هدد الرئيس اللبنانى شارل حلو بتقديم استقالته من رئاسة الجمهورية ، بعد ان وصلت ازمة الحكم الى درجة بالغة الصعوبة والتعقيد ، بسبب سياسة الحلف الثلاثى اليمينى [شمعون ، اده الجميل] فى تصعيد الازمة السياسية فى البلاد ، وقد عدل الرئيس حلو عن الاستقالة بعد موافقة زعماء الكتل السياسية على اقتراح الرئيس حلو بتشكيل وزارة رباعية جديدة برئاسة الدكتور عبد الله اليافى .

٢٣ : وقع اشتباك جوى فوق منطقة السويس وقد تم تدمير ثلاث طائرات للعدو من نوع الميراج واصابة رابعة .

٢٦ : نشبت معركة كبيرة فى منطقة السويس والاسماعيلية ، واستطاعت المدفعية العربية تدمير واصابة جميع قواعد الصواريخ التى حشدها العدو الاسرائيلى أمام السويس والاسماعيلية .

٣٠ : دخلت المظاهرات فى مدن الضفة الغربية وغزة اسبوعها الثانى وقد ابعدت السلطات الاسرائيلية ٩ شخصيات من الضفة الغربية وغزة فى محاولة لوقف المقاومة المدنية ، كما القت القبض على عمدة مدينة رام الله بعد مهاجمته لموشى ديان فى مقابلة عاصفة معه .

٣١ : الوزارة الاسرائيلية توافق على استمرار اسرائيل فى سياستها فى عدم الالتزام بقرار مجلس الامن وعدم تحديد معنى الحدود الامنة الا على مائدة المفاوضات مع العرب .

● قامت طائرة اسرائيلية بعدوان على قناطر نجع حمادى ومحطة محولات للكهرباء ، فاصابت جزءا منها واشتعلت النار فى جزء آخر

نوفمبر ١٩٦٨

٢ : اجتاحت المظاهرات كافة مدن الضفة الغربية وقطاع غزة فى ذكرى وعد بلفور وتوقفت الاعمال واغلقت المتاجر واعلنت الجماهير تحديها للسلطات الاسرائيلية . اطلقت القوات الاسرائيلية النار على المتظاهرين وفرضت حظر التجول فى كافة مدن الضفة الغربية وقطاع غزة واستولت على المتاجر التى اغلقها اصحابها .

● هاجم حوالى ٢ الف من المتظاهرين فى الاردن السفارة الامريكية فى عمان وحطموا نوافذ مبنى السفارة وانزلوا العلم الامريكى فى مناسبة ذكرى وعد بلفور ، وقد تصدت لهم قوات حرس البادية الملكى الاردنى ونشبت معركة رهيبة بين الجانبين ، اسفرت عن مقتل واصابة عدد كبير من المواطنين .

● وقعت احداث دامية فى الاردن ، راح ضحيتها عشرات القتلى والجرحى من الفدائيين واللاجئين الفلسطينيين وتحطيم معسكراتهم ومخيماتهم بالمدافع الثقيلة والدبابات ، واعتقال حوالى ٢٠٠ من رجال المقاومة . أستمرت هذه الاحداث حتى يوم ٦ نوفمبر

١١ : الرئيس جمال عبد الناصر يحضر مناورة ضخمة للمدرعات والطيران فى مكان ما فى الصحراء وراء خطوط القتال ..

١٢ : تجرى اتصالات عربية واسعة فى الوقت الحالى لتبادل الرأى فى الموقف وتنسيق خطوات العمل المشترك فى ضوء التطورات الاخيرة فى الامم المتحدة .

١٦ : الرئيس جمال عبد الناصر يزور جبهة ميدان القتال ويتفقد المواقع الامامية ويلتقى مع الضباط والجنود الواقفين على خط النار

● اتفقت المنظمات الفدائية الاربع [فتح ، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، والصاعقة ، ومنظمة تحرير فلسطين] على تنسيق العمل بينها فى المجالين السياسى والعسكرى .

١٧ : اعلن ليفى اشكول رئيس وزراء اسرائيل ، انه لم يتم احراز اى تقدم فى الاتصالات التى جرت مع الزعماء الفلسطينيين لخلق كيان فلسطينى فى الضفة الغربية .

١٨ : بهجت التلهونى رئيس وزراء الاردن وعبد المنعم الرفاعى وزير الخارجية يصلان الى المملكة السعودية لاجراء محادثات بشأن عقد مؤتمر قمة عربى ، وقد حمل التلهونى رسالة من الملك حسين الى الملك فيصل .

● اعلن فى القاهرة ان مصر ترحب بعقد مؤتمر قمة عربى اذا اجمعت الدول العربية على ضرورته ،

● حكومات الاردن والسودان والكويت تبذل جهودا دبلوماسية للدعوة الى عقد مؤتمر قمة عربى لمواجهة احتمالات الموقف فى الشرق الاوسط .

٢٢ : صرحت المصادر العربية ، ان الاتصالات والمشاورات بين العواصم العربية ستظل مستمرة لبحث الموقف العربى ، وبشأن عقد مؤتمر قمة عربى ، بعد ان تجاوزت المرحلة الجديدة اهداف ومقررات مؤتمر القمة بالخرطوم، ومن اجل ان تحدد كل حكومة عربية موقفها من العدوان والاتفاق على خطة عمل مشتركة فى المرحلة القادمة .

● قوات العاصفة تنسف السوق اليهودية بمدينة القدس ، الانفجار يؤدى الى تدمير عدد كبير من المنازل وقتل ١٢ اسرائيليا واصابة ٧٠ آخرين .

٢٣ : اعلن يوثانت ـ بمناسبة مرور عام على صدور قرار مجلس الامن ان تسوية ازمة الشرق الاوسط سلميا ليست الان اقرب منها منذ سنة مضت ، وان النقطة الوحيدة التى يتفق عليها جميع الذين يعنيهم الامر ، هى ان

جونار يارنج يجب ان يواصل جهوده .

٢٦ : هاجمت قوات فدائية مشتركة مطار « جسيتوه » الاسرائيلى بالصواريخ .

٢٩ : القوات الاسرائيلية تنسف عددا من المنازل فى الخليل انتقاما من رجال المقاومة .

● اعلنت منظمة فتح ان منظمات المقاومة قامت بـ ٨٥ عملية عسكرية داخل الاراضى المحتلة فى خلال شهر نوفمبر .

ديسمبر ١٩٦٨

● : طالب موسى ديان وزيردفاع اسرائيل بضم الضفة الغربيةوغزة اقتصاديا الى اسرائيل ، وقال انه لايريد ضما سياسيا ولاتحويل سكان هذه المناطق الى رعايا اسرائيليين . وان مستعمرات التوطين سوف تقام فى مناطق ترفض اسرائيل ان تتخلى عنها.

٢ : عقد المؤتمر القومى دورة اعماله الطارئة لبحث موضوع الطلبة والجامعات ، وقدم الرئيس جمال عبد الناصر تقريرا الى المؤتمر حدد فيه أسلوب معالجة الموضوع ، وموقف الثورة من شبابها فى الجامعات .

وقدم وزراء التربية والتعليم العالى ، والعدل ، والداخلية الى المؤتمر تقارير تفصيلية عن تطورات الاحداث ، كشفت عن وقائع خطيرة وعن وجود عميل للمخابرات الاسرائيلية قاد بنفسه عمليات التخريب ضد المنشآت العامة والخاصة فى مدينة الاسكندرية .

٤ : اختتم الرئيس عبد الناصر اعمال الدورة الطارئة للمؤتمر القومى بحديث عن قضايا العمل الداخلى ومن التطورات السياسية والعسكرية والمعارك الضرية على الجبهة الاردنية وعنارادة الجماهير العربية فى الصمود وتحقيق النصر ، كما أعلن رفض الجمهورية العربية المتحدة للمشروع الامريكى الاخير » ثم اعلنت القرارات التى وافقعليها المؤتمر ، وتتضمن تحديدالاجراءات الضرورية لحماية الوطن فى هذه الظروف .

● اعلن محمود رياض عقب اجتماعه بجونار يارنج، انالموقفلم يطرا عليه جديد وان اسرائيل تتهرب من الاجابة على سؤال يتضمن موقفها من قرار مجلس الامن ، ورغبتها فى ايجاد مواقف منفصلة لكل دولة عربية من النزاع العربى الاسرائيلى . وقال : ان الوضع الحاضر يكشف عن تنظيم واسع للضغط على الدول العربية والتهرب من تنفيذ قرار مجلس الامن .

٥ : اعلن الرئيس العراقى احمد حسن البكر ، ان هناك عناصر مشبوهة تعمل داخل العراق بتحريضمن الولايات المتحدة واسرائيل لحمل العراق على سحب قواتها من الاردن ، واكد ان العراق لن تسحب جنديا واحدا من ميدان المعركة ولن تخضع للضغوط والمؤامرات التى تحاك ضدها .

٦ : وصل وليام سكرانتون مبعوث الرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون الى القاهرة واجتمع مع محمود رياض وزير الخارجية ، ثم استقبله الرئيس جمال عبدالناصر

٨ : اذاعت المخابرات العامة فى الجمهورية العربية المتحدة تفاصيل ٤ قضايا تجسس ثلاث منها لحساب اسرائيل والرابعةلحساب دولة اجنبية .

٩ : نسف الفدائيون العرب قطارا اسرائيليا يحمل ذخيرة وعتادا حربيا على طريق يافا طولكرم وقتلوا واصابوا ٧٢ من ضباط وجنود العدو .

١٠ : قالت صحيفة الاهرام ان الملك حسين صرح لضباط القيادة الشرقية ؟ انه تلقى مايشبه الانذار من اسرائيل عن طريق احد السفراء الغربيين المعتمدين فى عمان .

١٢ : وافقت اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة للامم المتحدة على قرار بدعوة اسرائيل لانتخذ فورا خطوات لعودة الفلسطينيين الذين طردوا من ديارهم ومعسكراتهم بعد حرب يونيو .

١٥ : اعلن وليام سكرانتون مبعوث الرئيس الامريكى فى نيويورك: ان على الولايات المتحدة انتدعم صداقتها مع الدول العربية ، وتدعمفى نفس الوقت ايضا روابطها مع اسرائيل .

١٦ : اعلن عن وجود منظمة « سيناء العربية » للمقاومة فى منطقة سيناء كانت تعمل ضد العدو منذ بضعة اشهر وتلتزم السرية فى عملياتها .

٢٠ : توقفت الاتصالات التى تقوم بها الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا بشأن الحل السياسى لازمةالشرق الاوسط — بعد ان اعلنت مصر عن رفضها للمشروع الامريكى بفصل موقف الدول العربية عن بعضها فى مواجهة اسرائيل وتمزيق وحدتها وتضامنها .

٢١ — جروميكو يصل الى القاهرة ويجتمع بالرئيس عبد الناصر لاجراء مباحثات حول ازمةالشرق الاوسط .

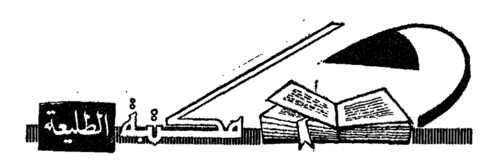
— الفدائيون ينسفون الخط الحديدى فى غزة للمرة الثانية خلال ٢٤ ساعة .

٢٤ — صدر البيان العربى السوفيتى بعد زيارة جروميكو .

٢٥ — سفير الاردن فى القاهرة يصرح بأن الاتحاد السوفيتى مستعد لمساعدة الاردن سياسيا واقتصاديا وعسكريا .

— فدائيان من عرب فلسطين يدمران طائرة اسرائيلية فى مطار اثينا .

٢٩ — اسرائيل تقوم بغارة على مطار بيروت وتدمر ١٠ طائرات .



■ الكويت نموذج من التطور الاقتصادى والتعاون الاقليمى
■ الثورة والثقافة فى آسيا وافريقيا

الكويت نموذج من التطور الاقتصادى والتعاون الاقليمى

- تاليف : د . رجائى الملاخ
- عرض وتعليق : حمدى عبد الجواد

مؤلف

هذا الكتاب الدكتور **رجائى الملاخ** تخرج فى كلية التجارة فى الجمهورية العربية المتحدة وحصل على ماجستير فى الاقتصاد السياسى فى كلية الحقوق ، واشتغل موظفا فى شركة ورق كرافت بالاسكندرية ثم هاجر الى امريكا حيث استقر هناك منذ ١٧ عاما وحصل على درجة الدكتوراه . وهو يعمل الان استاذا للاقتصاد السياسى بجامعة كولورادو ومستشارا للبنك الدولى . وللمؤلف عدد من الكتب حول مشاكل التنمية فى البلدان العربية .

ويحاول المؤلف فى هذا الكتاب ان يتعرض لمشاكل النمو الاقتصادى السريع فى الكويت من جوانبه المختلفة . محاولا الربط بين هذه المشاكل وقضايا التطور الاقتصادى والتنمية بصفة عامة . ثم يحاول بعد ذلك ان يوضح الدور الذى يمكن ان تلعبه الكويت فى المنطقة باعتبارها بلدا مصدرا لرأس المال ، وذلك فى مجال التعاون الاقتصادى الاقليمى .

وفى مقدمة الكتاب يحاول المؤلف ان يحدد ملامح الاقتصاد الكويتى ومكانته . ولكنه يخرج بالنتيجة انه لا يستطيع ان يضعه فى اطار التقسيم التقليدى « لاقتصاد متطور » او « اقتصاد متخلف » . فالاقتصاد الكويتى يحمل ملامح كلا الاقتصادين . ومعدل دخل الفرد فى الكويت من اكبر المعدلات فى العالم ، ومدخرات الكويت تكاد تكون من اكبر معدلات المدخرات السنوية ، ومعدل النمو الاقتصادى السنوى مرتفع للغاية يصل الى مصاف اكثر البلدان تطورا . ونصيب الفرد من الخدمات يعادل نصيبه فى اكثر الدول تطورا ، وكل تلك الخصائص تشير الى خصائص اقتصاد متطور . وفى نفس الوقت نجد ان الاقتصاد الكويتى يعتمد تقريبا على منتج واحد هو **الزيت الخام** تقريبا . كما ان السوق الداخلى محدود للغاية . والموارد الداخلية محدودة للغاية . والقوى البشرية والمهارات الفنية محدودة للغاية ، كما تعتمد البلاد بشكل كبير على الواردات بالنسبة للسلع الاستهلاكية والراسمالية وتلك كلها خصائص اقتصاديات التخلف .

وتمتلك الكويت معدلا عاليا للمدخرات يفوق امكانيات الاستثمار الداخلى الذى لا يمتص سوى جزء محدود من المدخرات الكويتية . ويرجع مصدرهذا التراكم الرأسمالىالسريع الىالبترول، اذ يعتبر البترول مصدر اكثر من ٤٩٪ من دخل ميزانية الكويت . كما يمثل ٦١٪ من مجموع الناتج القومى . وقد شهد اقتصاد الكويت تطورات سريعة ، على اساس اقتصاد يقوم على صناعة البترول فحسب . ففى عام ٤٦ انتجت ٨٠٠ر٠٠٠ طن من الزيت الخام وصلت الى ١٧ مليونا عام ١٩٥٠ ثم ٥٤ مليونا عام ١٩٥٥ ، ثم ١٠٥ ملايين عام ١٩٦٤ . وتعتبر الكويت الان ثانى بلد فى العالم يصدر البترول ورابع بلد ينتجه . كما تملك وحدها حوالى ١/٤ احتياطيات العالم المعروفة. وسرعة نمو صناعة الزيت فى الكويت ليس لها مثيل فى نمو الموارد . ولكن نقص الموارد الاخرى داخل الكويت يعوق امكانية تنوع التطور وتوزيعه بين قطاعات مختلفة . ولذلك لا تجد الكويت بديلا لذلك سوى الاستثمار على النطاق الاقليمى والدولى . وتقدم الكويت حوالى ١٠٪ من دخلها القومى سنويا كمعونات وقروض ، وهذا يضعها فى مصاف الدول الاولى المقرضة فى العالم بالنسبة لثروتها القومية . وفيما يتعلق بحجم القروض يأتى ترتيبها كالدولة السابعة المقرضة فى العالم . ويتخذ ذلك دلالة خاصة فى منطقة يمثل فيها نقص راس المال عنق الزجاجةبالنسبة لتقدم التنمية الاقتصادية .

وتجارة الكويت متطورة جدا فى الزيت . اما المنتجات الاخرى فان لها طبيعة التجارة العابرة. وقد بدأت الصناعة فى الفترة الاخيرة تحظى ببعض الاهتمام وفى الحدود التيتسمح بهالموارد الداخلية الضيقة . ان غيابالزراعة فىالاقتصاد الكويتى ادى الى عدم وجود مشكلة اصلاح زراعى تقليدية كما فى معظم الدول المتخلفة . لان توزيع الدخل يعتمد على الحدث ،وتواجه الكويت عجزا فى قوة العمل التى تتطلبها التنمية السريعة ويتم تغطية ذلك العجز عن طريق الهجرة .

فى نهاية الحرب العالمية الثانية كان دخل الفرد فى الكويت ٢١ شلنا . بلغ عام ٦٥/٦٦ ، ٣٢١٥ شلنا . وهذا تطور لم يحدث له مثيل فى العالم . وتضاعف سكان الكويت فى تلك الفترة خمس مرات وذلك يعود اساسا الى الهجرة . فمعدل النمو السنوى من٥٩حتى ٦٣ كان ٧ر٧ ٪ ، زاد من ٦٣ حتى ٦٥ ليصل الى ٣ر٨٪ . والمدخرات تبلغ ٤٤ ٪من الناتج القومى .وهناك عاملان لعبا دورا تاريخيا فى توجيه انظار الكويت نحو التجارة الخارجية ، وهما نقص الموارد فى الارض وموقعها الجغرافىالمتوسط .

ولذا نشطت قبل صناعة الزيت التجارة وصيد السمك واللؤلؤ ، بعد النمو السريع لصناعة البترول من ٥٧ ـ ٦٥ ارتفع عدد السكان من ٢٠٦ آلاف الى ٤٦٧ الفا بمعدل سنوى ١٦ ٪ ، ومنذ ١٩٦١ بدأت الحكومة تشارك راس المال الخارجى لمساعدته على المخاطرة الصناعية واكتتبت فى اسهم ١٠ شركات من بين ١٤ شركة تأسست حتى بداية ١٩٦٥ واهم هذهالشركات :

شركة البترول الوطنية الكويتيةللحكومة ٦٠٪ من رأسمالها البالغ ٢١ مليون دولار سنة ٦٥ .
شركة الصناعاتالبتروكيماوية للحكومة ٨٠٪ منرأسمالها البالغ ٨ر٤٤ مليوندولار سنة ٦٥ .

شركة السماد الكيماوى الكويتية للحكومة ٤٨ ٪ من رأسمالها مجولف اويل كومبانى ٢٠ ٪ وبريتيش بتروليم ٢٠ ٪ .

وبلغ مجموع رأسمال الشركات المساهمة الاربع عشرة فى يناير ١٩٦٥ ما يزيد على ١٢٣ مليون دولار . ويمكن تلخيص العقبات التى تعترض طريق التنمية فيما يلى :

١ ـ نقص المواد الاولية فيما عدا البترول .
٢ ـ ضيق السوق المحلى .
٣ ـ نقص البناء التحتى والتسهيلاتاللازمة.
٤ ـ احجام الافراد عن الاستثمار والمخاطرة فى السوق الداخلى .
٥ ـ النقص فى العمل الماهر .

ونظرا لنمو المدخرات ووجود فائض رأسمالى ضخم وضيق السوق المحلى تتجه الكويت نحو الخارج وتتلخص علاقاتها التجارية بالعالم الخارجى فى :

١ ـ ان جزءا كبيرا من اقتصاديات الكويت يعتمد على قطاع البترول الذىيقوم علىالتجارة.

٢ ـ يعتمد اقتصاد البترول اساسا على الاستيراد للاستهلاك .

٣ ـ الاستثمارات الخارجية سواء من قبل الافراد او الحكومة تمثل جزءا كبيرا من مدخرات الكويت ، وعائد الاستثمارات يتوقف على الوضع الاقتصادى الدولى .

٤ ـ تشكل سياسة الاستثمار فى البلدان المتخلفة من خلال تطوير برامج المعونة وخاصة فى المنطقة واجهة هامةلسياسة الكويتالدولية.

ثم ينتقلالمؤلفبعد ذلك الىمناقشةاقتصاديات البترول فى الكويت ، فيقول ان هناك خمس

شركات تستغل البترول الكويتي اليوم ؟ اهمها شركة نفط الكويت المحدودة ، وتنتج حوالي ٩٢٪ من المجموع الكلى لانتاج الزيت الخام في الكويت اليوم . والشركات المؤسسة لهذه الشركة هي : شركة البترول البريطانية المحدودة وشركةجولفكويتالامريكية . ولقداعطى حق استغلال المنطقة المحايدة لشركة البترول الامريكية المستقلة [امينويل] التى تملكها ٨ شركات امريكية ، كما اعطيت امتياز التنقيب فى المياهالاقليمية وذلكلمدة ٦٠ سنة ،ثم اعطى امتياز التنقيب فى داخل المنطقة المحايدة للشركةالعربية للبترول [وتتكون من عدة شركات يابانية] .وفى عام ١٩٦١ اعطيت شركة شل لتنمية البترول امتيازا فى المنطقة القريبة من العراق . وفى عام ١٩٦٠ تأسست شركة البترول الوطنية الكويتية برأسمال كويتي دفعت الحكومة ٦٠٪ منه ، من اجل تسويق البترول الذى تنتجه شركة نفط الكويت فى الداخل . ولكنها دخلت ميدان التكرير بمصنع التكرير فى « الشعيبة » اخيرا بعد أن تنازلت شركة نفط الكويت عن جزء منالاراضى الواقعة فى امتيازها .

ثم ينتقل المؤلف الى التعرض لاسعار البترول العالمية ، فيقرر ان سعر البترول العالمى يميل الى التدهور باعتباره احد المواد الخام . هذا بالاضافة الى ان البترول الكويتي تتناقص نسبة الكبريت فيه بمرور الزمن مما يؤدى الى خفض سعره . والعامل الثانى الذى يعوق تحسن الاسعار هو قيود التجارة التى تفرضها الدول لحماية سوقها الداخلى . وقد بدأ بترول شمال افريقيا فى منافسة البترول الكويتي . فقد كان نصيب اوروبا من صادرات النفط الكويتي الخام ٦٤٫٨٪ عام ١٩٦٠ فانخفض الى ٥٩٫٦٪ عام ١٩٦٤ ، وعوضت الكويت ذلك بالتصدير الى اليابان والدول النامية فى الشرق . ويجب ان نضع فى الاعتبار ان انتاج الكويت من النفط قد تضاعف اربع مرات منذ ٤٥ حتى ٥٤ . بالاضافة الى ان تكاليف انتاج النفط الكويتي تعتبر اقل التكاليف بين الدول المصدرة للبترول . والكويت لها مصلحة فى ثبات اسعار البترول من زوايا عديدة . فالاقتصاد الكويتي يعتمد كلية على البترول ، بالاضافة الى ان لدىالكويتاحتياطيات ضخمة فى الانتاج . كذلك فان الكويت بلد صغير لا يتحمل هزات اقتصادية كبيرة .

ان هذه الاوضاع قد فرضت على الكويت اتباع سياسة متعددة الوجوه . فقد اشتركت الكويت فى مؤتمرات البترول العربى للدفاع عن مصالح البلاد المنتجة للبترول فى المنطقة من اجل تبادل المعلومات والخبرة . غير ان هذا المؤتمر ليس له فعاليات . كما تشترك الكويت كذلك فى منظمة « **الاوبك** » (منظمة الدول المصدرة للبترول) والتى تأسست لتوحيد سياسة البلاد الخمس المؤسسة لها ومن بينها الكويت والتى تشكل ٨٠٪ من تجارة العالم فىالزيت وهى الكويت والعراق والسعودية وايران وفنزويلا وذلك بهدف : ١ — محاولة العمل على تنظيم انتاج الزيت — ٢ — تنظيم التطور الاقتصادى للدول المنتجة للزيت — ٣ — محاولة ضمان ثبات الاسعار لتحقيق مزيد من الاستقرار الاقتصادى لهذه الدول .

وبعد ذلك انتقل المؤلف الى مناقشة مشكلة التنمية الداخلية فى الكويت وتمويلها وحدودها . ان دخل الكويت من البترول بلغ ٧١٩٫٦ مليون دولار عام ٦٤/٦٥ بعد ان كان ١١٫٤٨ مليون عام ٥٠ . وهذا بالاضافة الى مشتريات الشركات من السوق الداخل مما ادى الى تزايد هجرة السكان حتى اصبح المهاجرون اكبر عددا من سكان الكويت الاصليين . وقد فرض ذلك الوضع على الحكومة ضرورة حل مشاكل الخدمات والتنمية الداخلية . ولا توجد فى الكويت مشكلة اصلاح زراعى لعدم وجود اراض زراعية ،وانما تستثمر الاموال فى الاساس فى بيع وشراء الاراضى العقارية حول المدن الرئيسية لكثرة اعمال الانشاءات والتعمير والمرافق العامة . ولهذا السبب ارتفعت اسعار الاراضى بشكل جنونى حتى بلغ سعر القدم المربع فىوسط مدينةالكويت ١٦٠ دولارا .

ويلاحظ بالاضافة الى ذلك وجود فائض راسمال يتمثلفى الفارق بينالدخل والمصروفاتفىالميزانية الحكومية والذى بلغ ١٢٩ مليون دولار عام ٦٣/٦٤ كما يتمثل هذا الفائض فى الفارق بين مجموع المدخرات ومجموع الاستثمارات المحلية . وكذلك فى فائض ميزان المدفوعات . ولا توجد ضرائب على الدخل فى الكويت الا على رؤوس الاموال الاجنبية التى تزيد عن ١٫٠٥ مليون دولار . ويلاحظ ان الجهاز الحكومى متضخم للغاية اذ ان حوالى ١/٧ الشعب موظفون يتقاضون اجرا منالحكومة بينما لا توظف شركات البترول فى مجموعها سوى حوالى ٧٠٠٠ شخص . ويبلغ عدد الموظفين بالحكومة ٧٣٫٧٧٩ موظفاوهويماثل عشرة اضعاف الموظفين فىصناعة البترول . وتستنزف مرتبات الموظفين ٦٢٫٦ ٪ من مصروفات الميزانية الحكومية عام ٦٥/٦٦ . بعد عام ١٩٦٢ بدا التحول من استثمار الاموال فى شراء وبيع الاراضى الى الاستثمار فى اعمال الانشاء والمرافق العامة ومن بين المشاريع الهامة التى يتم انشاؤها بناء مطار ومنطقة صناعية فى « الشعيبة » .

وقد ساهمت الحكومة فى عديد من مشروعات القطاع الخاص بسبب التداخل بين رجال الاعمال والحكومة .وهم يعتبرون تدخل الحكومة نوعا من المساندة للمشروع الخاص وليس اشتراكية ، هذا بالاضافة الى ان الحكومة اكبر مستهلك للمنتجات والخدمات .

ويتعرض المؤلف للاقتصاد الكويتي موضحا انه يختلف عن الاشكال النمطية للاقتصاديات المتخلفة حيث لايتوفر رأس المال عادة وحيث ينمو دخل الفرد ببطء وحيث يكون تخطيط التنمية قائما على الاولويات . ويوضح ان النمط الكويتي يختلف تماما اذ يتوفر فائض من رأس المال نتيجة للبترول ويصبح جوهر المشكلة التي تواجه البلاد هو الموازنة بين احتياجات الموارد للوصول الى احسن النتائج . ومثل هذا النمط الاقتصادي يواجه اخطار التبديد الرأسمالي نتيجة لوفرة رأس المال . والاقتصاد الكويتي بشكل عام له ملامح اقتصاد متخلف رغم تراكم المدخرات وتوفر فائض من رؤوس الاموال . فالى اى حد يمكن التغلب على مشكلة التنمية المتوازنة في الداخل ؟

ان حدود الموارد الطبيعية والارض والخامات (غير البترول) والقوى البشرية يضع عائقا طبيعيا امام نمو اقتصاد متوازن في الكويت . ولكن من الممكن ان تتقدم التنمية خطوات نحو الامام في اتجاه التنوع الصناعي . فمن الممكن ان يتم التوسع حول النفط في صناعات افقية باقامة سلسلة من الصناعات حول البترول ومنتجاته ومشتقاته ومخلفاته . ولذلك فمن الممكن ان يتم التوسع في الصناعات البتروكيماوية الى جوار التوسع في صناعة الاسمدة والزجاج والصابون والاطارات اعتمادا على بعض الخامات المحلية . ونظرا لضيق السوق المحلي فان الصناعة المحلية يجب ان تقوم على اساس سد احتياجات السوق المحلي وعلى اساس التصدير في نفس الوقت . وهذا ما يفرض على الكويت سياسة خارجية تجارية تجاه المنطقة . من الممكن كذلك اقامة صناعة تجفيف الاسماك واللحوم والنسيج ومواد البناء وتقطير مياه البحر وما يترتب عليها من صناعات كيماوية تنتج الاحماض والاملاح . وتلك هي الحدود الممكنة للتوسع الصناعي في الكويت .

اما في مجال الزراعة فلا تكاد توجد زراعة تذكر ، وتبلغ المساحة المنزرعة في الكويت حوالي ١٠٠ آكر . وتحصل الكويت على المياه اللازمة للشرب وللاحتياجات الضرورية عن طريق تقطير مياه البحر . ويوجد بها ٥٥ ميلا من الانابيب تحمل ٦ ملايين جالون مياه عذبة في اليوم لمدينة الكويت . وهناك اتجاه للتوسع في عمليات تقطير المياه لتحويلها الى الاستثمار الصناعي والزراعي اى استخدامها في توسيع الرقعة الزراعية وفي اقامة صناعات جديدة . وفي مجال صناعة الاسماك توجد ٣ شركات كبرى تسيطر على هذه الصناعة وكلها تملك مصانع لتعليب السمك .

ان توفر رأس المال وصغر حجم السكان ادى الى رفع مستوى الخدمات وبشكل خاص التعليم ، ومن الملاحظ أن هناك علاقة واضحة بين ارتفاع الدخل من البترول وبين تزايد اتساع الانفاق على الخدمات . والتعليم في الكويت اجباري من سن الرابعة الى السادسة عشرة ، ومجاني لكل من يقيم في البلاد ، وفي عام ١٩٦٥ كان هناك اكثر من ١٠٠٠ طالب في منح دراسية جامعية في الخارج ، كما تم افتتاح جامعة الكويت عام ١٩٦٦ .

وفي عام ١٩٦٧ بدأت الحكومة تنفيذ مشروع السنوات الخمس الاول للتنمية الاقتصادية في البلاد ، ومن أهم أهداف هذا المشروع بناء اقتصاد متنوع مع التركيز على قطاعات اخرى غير البترول ، والعمل على رفع مستوى التعليم والتدريب ، وضمان معدل عال للنمو ، وخلق توازن جغرافي بين المدن والمحافظات بتحسين وسائل النقل ، وزيادة سكان الكويت وزيادة القوى العاملة ، والعمل من أجل تدعيم التعاون العربي والاقليمي .

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك لمناقشة التعاون الاقتصادي الاقليمي ودور الكويت كبلد مقرض في المنطقة . فيوضح أن أشكال الوحدة والتعاون الاقتصادي عادة ماتكون ذات فائدة للدول الصغيرة التي تعتبر من الناحية الاقتصادية غير قادرة على استيعاب الوحدات الاقتصادية الحديثة لضيق سوقها بالاضافة الى ضيق امكانياتها التمويلية والاستثمارية . والكويت بلد صغير ولكنه يتمتع بمركز جغرافي متوسط في المنطقة مما يعطيه امتيازا تجاريا من الناحية الاقتصادية . كما أن قدراته الشرائية الضخمة وامكانياته الاستثمارية والرأسمالية تعطيه مكانة كبيرة في الشرق الاوسط. ان الوضع القائم في المنطقة بين البلدان العربية يفرض عليها ضرورة التعاون الاقتصادي لان معظم هذه البلدان لاتزال في بداية مرحلة التصنيع كما أن محاصيلها الزراعية ومواردها الخام غير تنافسية كما يوجد فيها تنوع كبير في الموارد البشرية . ومن المتوقع أن تقوم الكويت في هذا التعاون الاقليمي بدور الممول نتيجة لتوفر رأس المال لديها . وهناك حاجة في المنطقة الى التعاون الاقتصادي الاقليمي خاصة وأن هناك امكانيات ضخمة لانطلاق التنمية ، كما أن هناك حاجة الى تنوع الاقتصاديات الاحادية الجانب . وذلك ليس مقصورا على الكويت [البترول] وانما يوجد ايضا بالنسبة لمصر وسوريا والسودان [القطن] . ومعظم البلاد العربية متخلفة الانتاجية ولا يتوفر بها رأسمال كاف للتنمية . كما نلاحظ في البلدان العربية سوء توزيع القوى العاملة . ففي بعض البلدان الزراعية حيث تعطى الزراعة أكثر من نصف الناتج القومي يعمل بها اكثر من ٨٥٪ من الايدي العاملة . بينما نجد العكس في البلاد المنتجة للبترول مثل الكويت والسعودية فقطاع البترول الذي يدر أكثر من نصف الناتج القومي

لايعمل به أكثر من ٥ر١٪ من القوى العاملة .
ومن هنا تنشأ الحاجة الى تخطيط اقليمى بسبب:

١ ــ الحاجة الى زيادة معدل التنمية الصناعية .

٢ ــ ندرة الموارد الفنية والفنيين .

٣ ــ القيود التى تفرضها السوق المحدودة على الانتاج الكبير .

ومن خلال التعاون الاقتصادى الاقليمى يمكن انطلاق التنمية لكثير من المشاريع الضخمة فى كثير من القطاعات الهامة للصناعة . وسيكون دور الكويت دون شك هو دور الممول لهذه العملية الضخمة .

وبالاضافة الى ذلك تسعى الكويت لتوسيع اتفاقياتها الثنائية مع دول المنطقة التى كان من أهمها الاتفاق مع الجمهورية العربية المتحدة لتشجيع حركة راس المال بين البلدين ، واتفاق لانشاء منظمة للنشر والطباعة برأسمال ٧ملايين دولار فى المنطقة الحرة ببورسعيد للمساهمة فى نشر الكتب للمؤلفين العرب والافريقيين وكذلك توفير الكتب الدراسية للمنطقة .

أما تجارة الكويت فان وارداتها تأتى فى الاساس من اوروبا وأمريكا . ويتعاظم دور الولايات المتحدة فى واردات الكويت يوما بعد يوم حتى اصبحت عام ١٩٦٥ أكبر مصدر لواردات الكويت . أما واردات الكويت من الدول العربية فمحدودة . ولا يوجد صادرات غير البترول سوى التجارة العابرة .

ويتميز موقف الكويت من التعاون الاقتصادى الاقليمى بأنها كانت دائما فى صف الاجراءات الجماعية التى زادت منذ ١٩٦١ . غير أن التعاون الاقليمى كما عبرت عنه قرارات جامعة الدول العربية ركز فقط على الجوانب السلبية كالغاء القيود على التجارة والرسوم . ولم يكن لذلك من اثر يذكر على تجارة الكويت لان الكويت كانت تنهج سياسة ليبرالية فى تجارتها من قبل . ومع ذلك فهناك زيادة فى التجارة بين بلدان المنطقة متمشية مع التطورات الاقتصادية الاخيرة فيها . ان التعاون الاقليمى لايحل مشكلة ضيق السوق المحلية الا اذا ارتبط ذلك بدرجة معينة من التطور الصناعى . ودور الكويت فى اطار هذا التعاون الاقليمى ان تتحول الى بلد مقرض باعتبارها بلدا يملك فائضا رأسماليا .

وتدخل الكويت ميدان الدول المقرضة فى وقت تتزايد فيه حاجة الدول النامية الى القروض ، بينما لم تزد نسبة قروض الدول المتقدمة منذ ١٩٦٠ عن ٩ بلايين جنيه سنويا . وتستطيع الكويت ان تقدم سنويا ١٠٪ من دخلها القومى كقروض ، وقد بلغ حجمها فى السنوات الاربع الماضية ١/٢ بليون دولار . وتقدم الكويت هذه المعونة فى ٤ أشكال :

١ ــ صندوق التنمية الاقتصادية العربية لاقراض بلدان المنطقة العربية . ويتبع نفس قواعد البنك الدولى فى الاقراض . الا أن الفارق أن الفوائد تتراوح بين ٣ ، ٤٪ ولا تزيد عن ذلك . وميزانية هذا الصندوق ٥٨٠ مليون دولار . وقد عقد عدد من الاتفاقيات الهامة لاقراض الدول العربية لمساعدتها فى خطط التنمية كان من بينها : فى مارس ٦٢ عقد اتفاقية مع السودان لتغطية احتياجات المرحلة الثانية من التوسع فى السكك الحديدية . فى نفس العام عقد اتفاقية مع الاردن لتنمية صناعة الفوسفات ومشروع اليرموك . فى ٦٣ عقد اتفاقيتين مع تونس بلغتا ٨ر١٦ مليون دولار لمشاريع التنمية الاقتصادية . فى ٦٤ أعطى قرضا للجزائر بلغ ٢١ مليون دولار بفائدة ٤٪ يسدد على ١٥ عاما . فى يوليو ٦٤ وقع اتفاقية مع هيئة قناة السويس بقرض قدره ٥ر٢٧ مليون دولار لتحسين القناة بفائدة ٤٪ يسدد بعد ١٦ سنة .

٢ ــ الهيئة العامة للجنوب العربى ودول الخليج العربى ، وتقوم هذه الهيئة بتقديم المنح للمشيخات والامارات الفقيرة فى شبه الجزيرة والخليج لانشاء المستشفيات والمدارس وتوفير الاغذية الضرورية .

٣ ــ البنك العربى الافريقى ، ويهدف الى تطوير الاقتصاد العربى والافريقى . تأسس بالاتفاق بين الكويت والجمهورية العربية المتحدة اذ دفعت كل منهما ١/٢ الاسهم عام ١٩٦٦ . ولا يخضع البنك لقوانين الجمهورية العربية المتحدة

ويقوم بتمويل مشاريع التنمية في البلدان العربية والقارة الافريقية — ورغم حداثة تأسيسه وصلت استثماراته الى حوالى ٣٠ مليون دولار .

٤ — القروض التى تقدمها حكومة الكويت بشكل مباشر والتى وصلت الى ٣٨٥ مليون دولار فى منتصف ١٩٦٦ .

ان تقدم الكويت كبلد مقرض يمثل عاملا ايجابيا جديدا فى المنطقة ، اذ انه سيخلق توازنا جديدا بدلا من التوازن الامريكى السوفيتى . ولا شك أن الكويت تستطيع أن تلعب دورا متزايدا فى المنطقة اذا ماتمكنت من أن تلعب دورها الحقيقى فى اطار التعاون الاقتصادى الاقليمى .

تعليق

وانا اختلف في الاساس مع الاتجاه الذى عرضه الدكتور الملاخ فى كتابه لمشاكل الكويت والتنمية الاقتصادية والتعاون الاقليمى . بل واقف مع الدكتور الملاخ على أرضية متعارضة تماما . واعتقد ان الدكتور الملاخ بحكم تربيته وتفكيره ومنصبه انما يدافع فى كتابه عن وجهة نظر الاحتكارات الامريكية والمصالح الامريكية فى الكويت والمنطقة العربية . ففى خلال عرضه الطويل لم يتعرض الدكتور الملاخ على الاطلاق للاستعمار فى المنطقة ولدور الاستعمار فى التنمية . ولم يوضح الدكتور الملاخ أن السبب فى النمو الاقتصادى الاحادى الجانب فى البلدان المتخلفة سواء فى البلاد المنتجة للمواد الخام [البترول] أو المنتجة [للقطن] فى المنطقة ، انما يرجع الى السيطرة الاستعمارية فى المحل الاول والى بحث الاحتكارات الاستعمارية عن مصالح أرباحها فحسب مما جعلها تنمى تلك القطاعات من الاقتصاد التى هى فى حاجة اليها . وان النمو الاقتصادى المتوازن يستحيل أن يتم الا بعد التحرر من السيطرة الاستعمارية على اقتصاديات البلدان المتخلفة . ولكن يبدو أن الدكتور الملاخ لايقيم وزنا لسيطرة الاستعمار تلك الفترة الطويلة على الوطن العربى ولا للاثار التى ترتبت على هذه السيطرة فى اقتصادياته . وعلى هذا الاساس فاذا ما انتقلنا الى مناقشة الوضع فى الكويت فيجب أن تكون نقطة انطلاقنا من أن الكويت رغم انه كسب استقلاله السياسى الا انه لايزال من الناحية الاقتصادية يعانى سيطرة الاحتكارات البترولية الاستعمارية والامريكية منها بشكل خاص التى تنهب موارد البلاد وثرواتها لصالح المستعمرين . وعلى سبيل المثال اسوق للدكتور الملاخ مثالا : شركة جولف كويت كومبانى الامريكية التى تمتلك معظم البترول الكويتى مع الشركة البريطانية . لقد حققت الشركة الامريكية ربحا سنويا صافيا يقدر بمبلغ ١٢١ مليون دولار . وبالطبع تذهب تلك الملايين الى جيوب السادة الاحتكاريين فى واشنطن نهبا من ثروات الوطن العربى . وانى لاعتقد انه يكاد يكون من المستحيل على بلد متخلف أن يطور اقتصاده بشكل متوازن ومستقل فى ظل سيطرة الاحتكارات الاجنبية على اقتصادياته والكويت بحكم موارده الاقتصادية المحدودة وقواه البشرية المحدودة وسوقه الداخلية المحدودة يستحيل عليه بناء وتطوير هذا الاستقلال ، بالاضافة الى التحرر الاقتصادى ، دون شكل من أشكال التعاون أو الوحدة مع غيره من دول المنطقة المتحررة . لكن يبدو أن الدكتور الملاخ مقتنع بأن هذا التطور الاقتصادى يمكن أن يتم كما هو حادث اليوم فى ظل سيطرة الاحتكارات الامريكية وبالتعاون الوثيق مع الولايات المتحدة التى أصبحت على حد قوله عام ١٩٦٥ « الدولة الاولى المصدرة لواردات الكويت » . وانا على العكس منه أرى ان تحرير الاقتصاد الكويتى وبالتحديد البترول من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية يعتبر خطوة هامة لابد منها لضمان تطور اقتصادى مستقل ومتوازن للكويت يعتمد على تعاون أقليمى مع الدول العربية المتحررة . ان تحرير اقتصاديات البلاد المتخلفة من سيطرة الاستعمار هو نقطة انطلاق أساسية نحو تطورها الاقتصادى المتوازن .

والدعوة التى يروج لها الدكتور الملاخ لان تبرز الكويت على مسرح المنطقة كدولة مقرضة تلعب دورها فى التنمية الاقتصادية الاقليمية دعوة ماكرة لانها لاتعنى سوى

فتح الطريق الخلفى لتسريب المصالح الامريكية الى المنطقة بالدعوة الى التعاون الاقليمى فى ظل سيطرة الاحتكارات الامريكية التى لايمكن أن تكون راغبة حقا فى تطور مستقل متوازن للمنطقة العربية.

وهناك كثير من النقاط التفصيلية التى كنا نود ان نناقشها فى عرض الدكتور الملاخ لكننا نظرا لضيق المجال اكتفينا بعرض الخط الاساسى لخلافنا معه فى نظرته الى التنمية والتعاون الاقليمى فى المنطقة العربية .



الثــورة والثقافة فى آســيا وأفريقيا

مجلة « الادب الافريقى الاسيوى »
العـــددان الثـــانى والثـــالث

ربما كانت مجلة « **الادب الافريقى الاسـيوى** » ، فى مقـدمة النجـاحات التى حققتهـا رابطة الـكتاب الافريقيين الاسيويين المنبثقة عن مؤتمر التضامن الافريقى الاسيوى .. وذلك لانها حققت حلما راود اذهان المناضلين على جبهة الفـكر الثورى طويلا ، وهو أن يجمع شملهم منبر مشترك يعلى كلمة النضـال ضـد الامبريالية والاستعمار الجديد فى مختلف اشكالهما الفكرية والفنية . ولقد اتخذت المجلة لنفسـها خطا سياسيا واضحا منذ البداية ، هو ان تكون تعبيرا أمينا عن كافة الاتجاهات التقـدمية فى ثقافة القارتين العظيمتين ، مهما تعارضت هـذه الاتجـاهات فى ينابيعها الاولى ، او تفاصيل خط سيرها . فلا ريب أن « **التقدم** » و « **الثورة** » هما محور هذه الاتجاهات جميعها ومصـبها فى النهاية . وليست الاختلافات الا انعكاسا للسمات والخصـائص الذاتية المستقلة لكل شـعب من الشعوب..وهى السمات والخصائص التى تترك بصماتها على الثقافة ، فتعدد الوانها واشـكالها تعـددا يؤدى الى مزيد من خصـوبتها وحيويتها وصلابتها ـــ من ثم ـــ فى الصـمود على جبهة المقاومة .

ويفتتح **يوسف السباعى** ، هذا العـدد الجديد من « الادب الافريقى الاسـيوى » ، بدراسـة مستفيضة حول **المثقفين والدفع الثورى** ، ينبه فيها الى انه لابد من جلاء المعنى المبـاشر والدقيق لعبـارة « قوة الدفع الثورى » حتى لا تتحول مع الزمن ـــ كغيرها من الاخطاء الشـائعة ـــ الى عبارة ضبابية لا تعنى شـيئا . ثم تناول الكاتب حقيقة الثورة التى يمثل المثقفون « قوة دافعة » لها ، فقال ان هناك مرحلتين للثورة ، اولهما مرحلة تمهيدية ، والاخرى مرحلة رئيسية . اما المرحلة الاولى فهى تلك التى يشارك فيها المثقفون بأدنى نصيب ، حيث يمارسـون دور التحضـير للثورة بأنفسهم فكرا أو دما . واما المرحلة الثانية فهى تلك التى تنتقل فيها السلطة من النظام الرجعى القديم الى النظام التحررى الجديد ، وفيها تستقر الامور نوعا ، لان الثوار ينتهـون من مشـكلة « **تحطيم القيـود** » ، التى واجهتهم فى المرحـلة الاولى ، ويبدأون ـــ أو تبدأ معهم ـــ مشـكلة « **البناء** » ، وهى المشكلة التى يشارك المثقفون فى

حلهـا جنبا الى جنب بقية القوى المتجهة فى المجتمع الثورى من عمال وفلاحين وجنود .

ومن المتفق عليه — كما يقول الكاتب — ان المثقفين فى كلا المرحلتين الثوريتين ، لا يشكلون طبقة متميزة من طبقات المجتمع بالتعريف العلمى للطبقة ، ومن ثم « **فان كل طبقة لها مثقفوها الذين يحـدد لهم انتمـاؤهم الطبقى بوقفهم من الدفع الثورى** » ، ولكن الكاتب يعود الى القول بأن هناك جماعة من المثقفين آثروا التوفر على عملهم الفنى فى مختلف قطاعات النشـاط فى مجتمعـاتهم ، « **دون ان يتخذوا موقفا سياسيا او طبقيا واضحا محددا** » .. وهذا يشكل تناقضـا بين التعريف المبدئى الذى أقره يوسف السباعى فى المقدمة ، والنتيجة التى انتهى اليها . ولكن الكاتب يحـاول ان يجد لهذا التناقض حلا بعد ذلك ، فيفرق بين الثقافة والسياسة العملية المباشرة ، وان هناك تبعا لذلك مثقفين يشتغلون بالسـياسة ، ونحن نحكم عليهم حينئذ كسياسيين لا كمثقفين . غير ان هذا لا يمنعنا — فيما يقول يوسف السباعى — من القول بأن « هناك نوعا معينـا من المثقفين يثير وجودهم ازمة لا شك فيها بين صفوف المجتمعات الثورية النـامية . وهـذا النوع هم اصـحاب الثقافة السياسية ، الذين اسـتطاعت الامبريالية والطبقات الرجعية والاحزاب الرجعية ان تجتذبهم اليها ، قبل ان تنـدلع نيـران الثورة . ذلك ان الاستعمار ، والطبقات المتحالفة والمتعاونة معه ، قد استطاعت ان تجتذب اليها جماعات من المثقفين من طبقـات اخرى ، انسـلخت عن طبقاتهـا الاصلية ، واتجهت بولائها الى قوى الاسـتعمار والاستغلال والرجعية ، ودانت بعقائدها وافكارها وتبنت موقفها المعادى للشعب ، المحتقر لامكانياته ، المستهين بقدراته ، المتشائم من اى خير يرجى منـه ، والمؤيد لاجراءات الاضـطهاد والقمع او الاغفال والاهمال فى شـأنه » .. ولكن الكاتب يدرج هذا النفر من المثقفين فى خانة «السياسة» ويستبعد ان تكون مسئوليتهم « ثقافية » .

ويـناقش يوسف السـباعى فى صلب مقاله عنصر « **الاصالة الحضارية العريقة** » فى قارتى آسيا وافريقيا ، وكيف ان هذا العنصر يشـكل عاملا ثوريا مناضلا ضمن بقية العوامل الصانعة للنضال الافريقى الاسيوى . والثقافة الاصـيلة هى الثقـافة القـادرة على ان تكون « رادار » الوجدان الثورى للامة المناضلة ، يلتقط ذبذبات العـدوان عليها ، حتى قبـل ان يجىء « فالمثقف الاصيل هو الانسان الاصيل اولا وقبل كل شىء . وهو الانسـان الذى تقع عليه بعـد ذلك تبعة موهبته ، ومقدرته ، وحساسيته بازاء ما يضطرب فى المجتمع حوله من احداث ، وما يعتمل فى قلبه وفـكره ، وفى قلوب وعقول النـاس من آراء ومواقف ، وأشواق وافراح ، وامان وآلام . وهو يحكم هـذا الامر الواقع الذى يجعله جـزءا لا يتجزأ من مجتمعه ؟ وبحكم احسـاسه واخلاصه وضميره انسان ملتزم ، ومفكر ملتزم » .

ويختتم الكاتب دراسته بقوله ان قارتى آسيا وافريقيا أشد ما يكونان احتياجا الى هذا النوع من المثقفين المناضلين ضـد اعتى قوى الشر فى عصرنا .

ويقدم العـدد الجـديد من « الادب الافريقى الاسـيوى » ثلاث قصـائد من انجولا للشـاعر **أوجوستينو نيتو** ، يستلهم فيها التراث الافريقى فى الرقص والموسيقى والفن التشكيلى ، وهو يصوغ شعره « الصارخ فى البرية ان نعد طريق الثورة » فهو الطريق الوحيد امام الانسان الافريقى المناضل ليستعيد وجوده المسلوب وحياته المغتصبة :

أغنيتى بما فيها من برحاء الالم
وأحزانى
على الكونغو ، وفى جيورجيا
وعلى نهر الامازون
تشتد قواها ، وتتأيد عراها
أحلامى بالرقصات السود
فى ليالى البدر المكتمل
....
....
فى الاكواخ
فى البيوت
فى ضواحى المدن
فيما وراء البيوت الزجاجية
فى الاركان المعتمة
حيث غمغمات الزنوج
تزداد قوتها وتترابط عراها

ويلاحظ فى هـذه القصيدة « أشـواق » ان الشاعر الانجولى يقيم الرابطة بين مختلف مقاطع قصيدته عن طريق « التقابل » و « التنـاقض » ، و « التنـاظر » ، وهو منهج حـديث فى التعبير الشعرى ، لا ريب انه من رواسب التأثر الفنى العميق بالتراث الغربى . ولكن الشاعر الافريقى لا يقتصر على « التناقض » الشعرى ، فليس هذا الا مظهرا من مظاهر التناقض الحضارى الاعتق ، الذى يعيش اهواله حتى النخاع ، « هو » مطالب بالثورة على الوجود الغربى فى افريقيا ، و « هو » نفسه ، مطالب مرة اخرى بالثورة على بعض جوانب الوجود الافريقى فى افريقيا . وهو لذلك ، يحل التناقض ، بالتفرقة بين الاستعمار والحضارة ، فالاستعمار وصمة فى جبين الحضارة الغربية ، ولكنه ليس الحضارة الغربية نفسها .

ينبض فى داخلى
صوت الطبول
وايقاعات موسيقى « البلووز »
تخامرها الكآبة
آه .. ايها الاسود الممزق فى هارلم
آه .. ايها الراقص فى شيكاغو

وهكذا هو « صنسنوت الدم » ؟ كما عنون أوجستينو قصيدته . انه الصوت الاصيل العميق في وجدانه الممزق بين الماضي والمستقبل ، بين اوروبا وافريقيا . ولكن « الدم » يتخذ عند الشاعر الاسود ابعادا اكثر غورا من السطح الملتهب ، انه يشير الى الثورة حقا ، ولكنه يشير بنفس المقدار الى الثورة المركبة ، البعيدة كل البعد عن ان تكون احادية الجانب ، احادية النظرة :

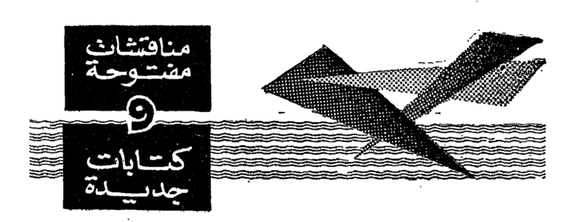
ايقاع النور
ايقاع اللون
ايقاع الصوت
ايقاع الحركة
ايقاع الاصفاد الدامية
والاغلال ، في الاقدام الحافية
ايقاع الاظافر المنزوعة
ولكنه الايقاع
ايقاع
اصوات افريقيا التي تمضها الالام .

هكذا يغني الشاعر الانجولي «النار والايقاع» ، النار التي تأتي على « الشر » بكل الوانه ، الغربية والافريقية على السواء . والايقاع الذي يرن في النخاع وبين الضلوع ، هو ايقاع الاصفاد الدخيلة والمكتسبة ، من الزمن ، ومن الاجنبي ، من كل ما هو عرضي وطارىء وعابر .. فلن يبقى للشاعر ، لكي يفرح ويغني أغنية العمر سوى الاصيل النابع من أرض افريقيا وارض البشر في كل زمان ومكان .

وحول هذه القضية التي صاغها اوجستينو من انجولا شعرا ، كتب في نفس العدد من « الادب الافريقي الاسيوي » ، الشاعر والناقد اللبناني **أدونيس** ، بحثا موضوعه « **الشاعر وثلاثة مواقف بازاء الحرية** » ، تساءل في مقدمته « كيف التحرر من السيادة الاجنبي ؟ كيف اوفق بين التراث والتجاوز ؟ كيف اوحد بين الحلاج ولينين ؟ » . وقال أدونيس ان هذه في رايه اهم الاسئلة التي تشغل الشاعر العربي المعاصر ، فالسؤال الاول يطرح مشكلة الاستعمار ، والسؤال الثاني يكشف عن مشكلة العلاقة بين الابداع والتراث ، ويكشف السؤال الثالث عن كيفية التوحيد بين الثورة كفكر يغير ، والثورة كنظام يبني .

ولا يفرق ادونيس بين معركة الشاعر العربي مع السيادة الاجنبية ، وبين معركته مع القوالب السلفية التي تحاول بدورها ان تشله وتعزله عن حركة التاريخ ، وعن التغيير ، وتبقيه في ابدية الثبات « هذه القوالب السلفية في الفكر والحياة معا ، تتحول الى دعائم تشارك ، بشكل او بآخر ، في الحيلولة دون تحقيق التحرر الكامل ، اى تشارك في تمكين السيادة الأجنبية من الاستمرار بشكل او بآخر » ، وتجد قوى الرجعية والتقليد — يستطرد أدونيس — في نظرية الشعر لذاته ما يفيدها لانها تجد في كثير من الشعر الذي يصدر عنها ما يوفر المتعة والتسلية ، وما يلهي . فالشعر ، بحسب هذه النزعة ، لا يكتب لكي يقدم رؤيا جديدة ، او يفتح افقا جديدا ، او يعبر عن تجربة انسانية جديدة . وانما يصنع خصيصا لكي يقدم طرفا ومصوغات . وهو ، لذلك ، يدور في اطار ذهني تجريدي ، خارج الحياة والتاريخ . الشعر هنا لا يعبر او يشارك او يرى ، بل يمنطق ويصف ويصطنع . وقوام الشعر هنا هو اللعب لا الواقع ، والكلمة لا الانسان . واذ تنعزل الحركة عن الواقع تصير تكرارا فارغا.واذ تنعزل الكلمة عن الانسان تبطل ان تكون وسيلة ابداع وتفجر لتتحول الى وسيلة صنع وزخرفة .

وتاريخ الشعر عند ادونيس هو اشكاله الجديدة « تاريخ الحساسيةالشعرية هو تغيراتها. حيث لا يكون تغير ، يكون الانسان واقفا : يكون الانحطاط . والتغير هنا كلي . أفقي وعمقي في آن ،تغير في البناء والعبارة والتركيب الخارجي . وتغير في النظرة والرؤيا . ويبدو لي ان البعد الاساسي الذي يتخذه هذا التغير في الشعر العربي المعاصر ، هو ما يمكن ان اسميه التخييل. وأعنيّ بالتخييل القوة الرؤياوية التي تستشف ما وراء الواقع فيما تحتضن الواقع . اى التي تطل على الغيب وتعانقه ، وتتمازج معه فيما تنغرس في الحضور . الشعر هنا رباط خلاق بين الحاضر والمستقبل ، الحضور والغيب ، الزمن والابدية ، الواقع وما وراء الواقع » . وبقدر ما تكون الشاعر فريدة — يقول ادونيس — اى بعيدة من الماضي ، ستكون علامة على الاصالة والتغير ، اى قريبة الى الماضي في الوقت ذاته . فبين الشعر العربي الجديد ، والشعر العربي القديم صلات اعمق واغنى مما بينه وبين الشعر العربي المعاصر الذي ينسخ القديم ويكرره . أن تجاوز الماضي ، كما يقول أدونيس ، انما يعني تجاوزا لاشكاله ومواقفه ومفاهيمه وقيمه التي نشأت كتعبير تاريخي عن الحالات والأوضاع الروحية والثقافية والانسانية الماضية ، « والتي يتوجب اليوم ان يزول فعلها لزوال الظروف التي كانت سببا في نشوئها » ، ولكن الشاعر العربي الجديد يأخذ من اصوات الماضي تلك التي تعانق المستقبل فيما كانت تعانق حاضرها وتعبر عنه « فمثل هذه الاصوات مفتوحة ابدا للحوار والنمو والفعل ، بحيث اننا لا نقدر في تفكيرنا اليوم الا ان نتلاقى بها ، ونفيد منها ، ونتفاعل معها . وفي هذا لا نعاكس المجرى الذي يحفره الابداع في اتجاه المستقبل ، وانما تصبح كمن يسير في هذا المجرى بفتوة ابدية » .



سؤال الطليعة ؟

تبدأ الطليعة ـ ابتداء من هذا العدد ـ في نشر الاسئلة التي يبعث بها الاصدقاء ، طالبين الاجابة عليها . ولسوف تهتم الطليعة بتقديم الحقائق الاساسية في الاجابة على السؤال ، معتمدة في ذلك على ارشيفها للمعلومات والمراجع المتاحة . وترجو الطليعة من اصدقائها ان يكون السؤال ـ بقدر الامكان ـ متصلا بالاحداث السياسية الجارية .. الدولية والعربية والمحلية ..

■ في نوفمبر من عام ١٩٦٧ ، رحلت القوات البريطانية عن جنوب اليمن المحتل . وتكونت جمهورية جنوب اليمن الشعبية . هل يمكن ان اعرف عدد المستعمرات البريطانية التي لم تحصل على استقلالها السياسي بعد ؟ .

صلاح ابراهيم الدسوقي
مهندس بالشركة الشرقية للبترول

كانت المستعمرات البريطانية ، تمتد ـ حتى عشية الحرب العالمية الثانية ـ فوق مساحة ١٤٫٩٥٤٫٠٠٠ كيلو متر مربع يقيم عليها ٤١٩٫٣٦٠٫٠٠٠ نسمة. وقد تغيرت هذه الصورة بشكل كبير بعد اندلاع ثورات التحرر الوطني في العالم غداة الحرب الثانية ، وحقق كثير منها استقلال بلادها السياسي .

ومن الممكن ان نقول ، ان معظم المستعمرات البريطانية المتبقية ـ بعد استقلال جمهورية جنوب اليمن الشعبية ـ تمثل مصدرا للمواد الخام واسواقا لتصريف منتجات بريطانيا ومواقع كثيرة من القواعد العسكرية البريطانية .. بحرية وجوية .

ويمكن ان نقول كذلك ، ان بريطانيا ـ برغم تحرر معظم المستعمرات التي كانت تسيطر عليها ـ لا تزال أكبر دولة استعمارية تحتل اراض خارج حدودها . سواء في افريقيا او آسيا او امريكا اللاتينية أو في المحيطات بل وفي اوربا .

ومجموع الاراضى التي تستعمرها بريطانيا فى افريقيا : ٧٤٥ر٩٨٧ كيلومترا مربعا يسكنها ٣ر٧٢٨ر٥٢٤ نسمة . وتتضمن : روديسيا الجنوبية [١] وسوازيلاند وجزر سانت هيلانة وسيشيل وموريس .

وروديسيا الجنوبية هى اكبر هذه المستعمرات [المساحة : ٧٢٦ر٠٠٠ كيلومتر مربع وسكانها ٢ر٧٠٠ر٠٠٠ نسمة] ، وبها ثروات معدنية ومساقط للمياه ، تتحكم فيها شركات بريطانية وامريكية . اما سوازيلاند فتبلغ مساحتها ١٧ر٣٦٥ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ٢٨٠ر٠٠٠ نسمة . وتقع سوازيلاند فى داخل اراضى جنوب افريقيا على الساحل الشرقى .

اما جزيرة موريس التى تقع فى الجزء الجنوبى الغربى من المحيط الهندى فتبلغ مساحتها ٢ر٠٩٦ كيلومترا مربعا وسكانها ٦٩٩ر٩٠٠ نسمة وتقع جزر سيشيل فى شمال جزيرة موريس . وتبلغ مساحتها ٤٠٤ كيلومترات مربعة ، وسكانها ٤٤ر٠٠٠ نسمة . اما جزيرة سانت هيلانة فتقع فى جنوب غرب افريقيا فى المحيط الاطلنطى وتبلغ مساحتها ١٢٢ كيلومترا مربعا وسكانها ٤ر٦٢٤ نسمة وتقوم الحياة فى معظم هذه الجزر على زراعة قصب السكر والموز والذرة والكتان وصيد السمك وشحن وتفريغ السفن وتتركز السلطة فيها كلها [ماعدا روديسيا الان] فى يد الحاكم البريطانى لكل منها .

وفى امريكا اللاتينية ، تحتفظ بريطانيا باراضى منها هندوراس البريطانية [حكم ذاتي] التي تقع فى منتصف المسافة بين امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية . وتبلغ مساحتها ٢٢ر٣٠٠ كيلومتر مربع ويسكنها ٩٦ر٠٠٠ نسمة . وتعد الاخشاب الثروة الرئيسية للبلاد كما يوجد بها البترول . وتحتكر انتاج الاخشاب والبترول ، شركات بريطانية . وبالاضافة الى ذلك ، فهناك بعض الجزر الصغيرة التى تستعمرها بريطانيا سواء في البحر الكاريبي او في المحيط الاطلنطي . وهذه الجزر هي : انتيجوا [المساحة ٤٤٢ كيلو مترا مربعا — السكان : ٦٥ر٠٠٠ نسمة] . باهاماس [المساحة ١١ر٤٠٦ ، السكان : ١١٢ر٥٥٦] . باربادوس [المساحة : ٤٣٠ كيلو مترا مربعا . السكان : ٢٣٥ر١٣٢] . برمودا [المساحة : ٥٣ كيلو مترا مربعا . السكان : ٤٥ر٨٧٢] . الجزر العذراء [المساحة : ١٥٤ كيلومترا مربعا . السكان : ٧ر٣٣٨ نسمة] . جرينادا [المساحة : ٣١١ . السكان : ٨٨ر٦٧٧] . دومينيكا [المساحة : ٧٢٨ — السكان : ٦١ر٠٢٩] . جزر تيركس وكايكوس [المساحة ٤٣٠ — السكان ٥ر٧١٤] . كايمان [المساحة ٢٥٩ — السكان : ٧ر٦١٨] . مونتسيرات [المساحة : ٨٣ — السكان : ١٢ر١٥٧] — سانت لوشيا [المساحة : ٦١٦ — السكان : ٩٤ر٧١٨] . سانت فينسنت [المساحة : ٣٨٩ — السكان : ٨٠ر٠٠٠] . سانت كيتس نيفيس انجويللا [المساحة : ٣٩٦ — السكان : ٥٦ر٦٤٤] . وتستخدم بريطانيا هذه الجزر فى الحصول على مواد خام ومنتجات زراعية . ولكن اهميتها الاكثر حيوية تكمن في مراكزها الاستراتيجية . ولذا فانها تضم كثيرا من القواعد البحرية والجوية والبريطانية . وتحاول بريطانيا خلق اتحاد فيما بين هذه الجزر .

وفى آسيا تبقى محميات مسقط وعمان والبحرين وقطر ، في شبه الجزيرة العربية . واراضيها ثرية بالبترول الذى تستغله شركات انجليزية وامريكية .

وعلي سواحل جنوب شرقى آسيا ، تسيطر بريطانيا على بعض المناطق هى جزيرة برونى [المساحة : ٥ر٧٦٥ كيلومترا مربعا — السكان : ٨٣ر٨٧٧] ، ومستعمرة هونج كونج [المساحة : ١ر٠١٣ — السكان : ٣ر٥٢٦ر٥٠٠] ، وجزر والديث [المساحة : ٢٩٨ — السكان : ٩٠ر٠٠٠] ويوجد بهذه المناطق بعض القواعد البريطانية .

وفى شرق استراليا — فى المحيط الهادى — تسيطر بريطانيا على عديد من الجزر هى : فيجى [المساحة : ١٨ر٢٠٠ — السكان : ٤٢٧ر٨٥١] وتونجا [المساحة : ٧٠٠ — السكان : ١٣٠ر٠٠٠] وجيلبرت وايليس [المساحة : ١٥٦ — السكان ١٧٢ر١٤٨] وبيتكيرن [المساحة : ٥ كيلومترات مربعة

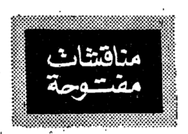
---

[١] اعلنت حكومة الاقلية البيضاء برئاسة ايان سميث استقلال روديسيا فى نوفمبر ١٩٦٦ ، ولكن الامم المتحدة والقانون الدولى وحركات التحرر الافريقي لا يعترفون بشرعية هذا الاستقلال .

السكان : ١٢٧ نسمة] وهى مواقع للقواعد العسكرية البريطانية والامريكية .

اما فى اوربا ، فتسيطر بريطانيا على جبل طارق

— فى الطرف الجنوبى لشبه جزيرة ايبيريا ، والمدخل الغربى للبحر المتوسط — وتبلغ مساحتها: ٥ر٦ كيلومتر مربع وسكانها : ٢٤٥٠٢ نسمة وتستخدمها بريطانيا كقاعدة بحرية وجوية .



الاتحاد الاشتراكى .. ومجلس الامة

يبدى المواطن **فاروق احمد عفيفى** — امين مساعد شياخة الدمرداش قسم الوايلى — رايه فى قرار اشتراك الاتحاد الاشتراكى فى انتخابات مجلس الامة ، فيقول :

ان اهم ما فى قرار اشتراك التنظيم السياسى فى انتخابات مجلس الامة ، هو انه جاء بعيدا عن سلطة الدولة — بل جاء من السلطة الشعبية الممثلة لتحالف قوى الشعب العاملة . وان قرار القيادة السياسية بتأكيد دور الاتحاد الاشتراكى فى الانتخابات ، يعد وضعا للامور فى نصابها حيث ان جميع التنظيمات السياسية فى العالم — فى الشرق والغرب على السواء — يكون للحزب فيها رأى فى مرشحين للمجالس النيابة سواء كان حزبا واحدا او كان اكثر من حزب .

ان تأكيد دور الاتحاد الاشتراكى فى انتخابات مجلس الامة الجديد يحقق كثيرا من المزايا اهمها:

١ — عدم استغلال القوى المضادة والانتهازية لهذه الانتخابات وفرض ارادتها على سير ونتائج الانتخابات .

٢ — تلافى عزل التنظيم السياسى عن حركة الجماهير وتخلفه عن قيادتها .

٣ — اتاحة الفرصة لتعميق مفهوم العمل السياسى بين الجماهير لكى تعبر عن رأيها تعبيرا اقوى . ولكى يختبر الاتحاد الاشتراكى قدرته كقائد وموجه لحركة الجماهير العريضة .

٤ — ان قرار عقد مؤتمرات سياسية لاختيار المرشحين يؤكد مفهوم عملية الانتخابات كعمل سياسى ويخرج به عن نطاق المزايدة والمتاجرة باصوات الجماهير .

٥ — تأكيد فاعلية المفاهيم التنظيمية من حيث وحدة التنظيم وحركته مع اعضائه .

مؤتمر « نصرة الشعوب العربية »

وكتب المواطن **السيد شعراوى** ، من الاسكندرية ، يقول فى رسالة له يعلق حول انعقاد مؤتمر نصرة الشعوب العربية :

٢٥ يناير ١٩٦٩ ، هو موعد انعقاد المؤتمر الثانى لنصرة الشعوب العربية فى القاهرة . وكان المؤتمر الاول قد عقد فى نيودلهى فى اعقاب عدوان يونيو . ولا شك انه سيتواجد فى القاهرة — فى المؤتمر — جمع من القيادات التى تمارس فى بلادها مختلف النشاطات السياسية والاقتصادية .. الخ . وتلك فرصة هامة فى تعريف هذه القيادات — بل واقناعها — بالابعاد الحقيقية لعدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ومن الابعاد التى ينبغى تأكيدها ، "ان العدوان الصهيونى الامبريالى ، لم يكن مجرد هزيمة عسكرية للشعوب العربية وحدها ، وانما اصابت ايضا جميع قوى التقدم والاشتراكية فى العالم".

وليس ادل على ذلك مما روجت له الصحف الاستعمارية فى المانيا الغربية بقولها ان احداث القدس ، « نموذج رائع لتوحيد برلين » . اما احداث تشيكوسلوفاكيا ومحاولات الثورة المضادة فيها .. ففى غنى عن اى تعليق .

وعندما انعقد المؤتمر الاول لنصرة الشعوب العربية بنيودلهى ، لم تكن المقاومة الفلسطينية قد بلغت ما بلغته اليوم من القوة والنضج . فلقد بانت اعمال المقاومة ، تغطى معظم الاراضى المحتلة بما فى ذلك داخل اسرائيل نفسها .

ويدل هذا ، على ان الشعب العربى فى فلسطين قد اكتشف طريقه السليم اخيرا . وانه اليوم وبارتباطه بقوى التقدم فى العالم لم يعد منعزلا . فلقد التقى مع شعوب سبقته الى النضال والكفاح المسلح ضد الاستعمار ، فى فيتنام وانجولا وموزمبيق ، جنبا الى جنب ابطال جبال امريكا اللاتينية .

وان اعضاء المؤتمر يعلمون اكثر من غيرهم ان حركة المقاومة حركة مشروعة للشعب الفلسطينى الذى طرد وشرد من دياره منذ عشرين عاما . فلقد اصبحت بداية لحركة تحرير وطنية استوعبت المناخ العربى الفلسطينى وتعلمت واستفادت من تجارب شعوب اخرى مناضلة سبقتها على نفس الطريق .

ان انعقاد مؤتمر القاهرة لنصرة الشعوب العربية لدليل حى على ان قوى التقدم والاشتراكية فى العالم قد وعت اليوم حقائق عديدة جديدة عن القضية الفلسطينية . وانها قد استشعرت الخطر من حركة عالمية استعمارية وهى الصهيونية التى طالما حاولت ان توهم العالم ان القضية الفلسطينية ما هى الا مشكلة اقليمية بين دول مستقلة .

●

دعوة الى وحدة القوى الوطنية الفلسطينية

تحت هذا العنوان ، كتب **عبد القادر ياسين** — عضو **الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة** — يقول بالحرف الواحد :

- **وضوح فكرى .**
- **وحدة وطنية شاملة .**
- **قيادة ثورية صلبة .**

تلك شروط اساسية لضمان نجاح العمل الثورى . وفى العمل الفلسطينى لا زالت بعض تلك الشروط غير متحققة بشكل كلى ، وبعضها الاخر بشكل جزئى .

ولقد تنادى كثير من الوطنيين الفلسطينيين ، من اجل تحقيق وحدة وطنية فلسطينية . الا ان اصواتهم ذهبت ادراج الرياح ، نتيجة للتشتت الجغرافى والفكرى الذى يعيشه الفلسطينيون ، ونتيجة لتعنت بعض قيادات العمل الفلسطينى .

ولقد قامت تحالفات هنا وهناك ، الا انها لم تكن فعلا اصيلا . بل رد فعل عاطفيا مما اوصلها الى التفتت والتشرذم من جديد ، ذلك انها قامت على اسس وشروط سلبية .

وقيام حوار بين مختلف المنابر الوطنية الفلسطينية من شأنه ان يحقق **وحدة فكر** بين القوى الوطنية الفلسطينية ، وصولا الى **وحدة عمل** لتلك القوى . وقد يستطيع الخندق الواحد صهر المناضلين الفلسطينيين فى **وحدة عضوية.** ويضع بذلك حدا للتشتت الذى طال امده بين القوى الوطنية الفلسطينية .

والوحدة التى تنادى بها ، يجب ان لا تقوم على مساومة فكرية ، او على تشكيلة من المواقف النظرية المتنوعة . كما لا يجب ان تكون قائمة على فرض مفاهيم بعض المنابر على المنابر الاخرى .

كثيرة هى القضايا الفكرية التى تختلف حيالها القوى الوطنية الفلسطينية ، الا ان الوصول الى صيغة مشتركة لهذه القوى امر ليس بالعسير .

ولابد من تحديد القضايا التى تلتقى فيها وجهات النظر بحيث تشكل [القاسم المشترك] لمواقفنا . اما القضايا التى لا يتوصل الى رأى موحد فيها ، فلابد من ان تتراجع الى الصف الثانى ، لتقول الممارسة اليومية كلمتها الاخيرة بصددها .

وتحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية من شأنه ان يجر بقية الحلقات . فيفرز النضال **قيادة ثورية** حقيقية ، ويوفر **الوضوح الفكرى** على ضوء طلقات الجبهة المتحدة .

ان الخلافات يجب ان لا تقف عقبة فى طريق الوطنيين الفلسطينيين ونضالهم المشترك ضد الاستعمار والصهيونية وعملائهما . فوحدة الوطنيين الفلسطينيين هى اكثر الشروط اهمية لاحراز النصر . وبدون هذه الوحدة تتقلص وتبتعد امكانيات هذا النصر .

العدو واحد ، والقضية التى نناضل من اجلها واحدة ، والخلافات مهما بدت شديدة ، الا ان مواصلة الحوار الجاد ، سيوصلنا الى هدفنا النضالى الملح .. « الوحدة الوطنية الشاملة » .

عبد القادر ياسين
[الجبهة الوطنية المتحدة بقطاع غزة]

ملف الطليعة



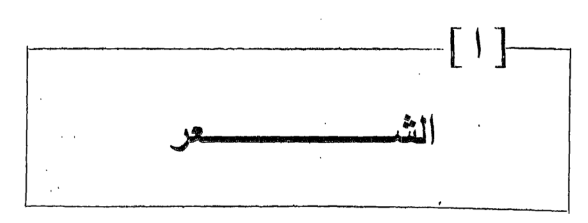
شـــوقى .. الوجـــه والقنـــاع

غـــالى شـــكرى

يختلف المؤرخون فى تحديد ميلاد شوقى تحديدا علميا دقيقا ، فقـد نشر الاهرام فى عدده الصادر بتاريخ ٦ /١٢/١٩٦٨ صورة بالزنكوغراف لشهادة الليسانس التى نالها من كلية الحقوق بجامعة باريس وفيها نص صريح بأنه ولد فى ١٦ اكتوبر عام ١٨٧٠ . هذا بينما تجمع الغالبية الساحقة من النقاد والباحثين .. ومن بينهم سكرتيره الخاص الذى أصدر كتابا يضم ذكرياته عن الاثنى عشر عاما التى امضاها معه ــ انه قد ولد عام ١٩٦٨ . على أن واحدا من اهم هؤلاء النقـاد هو الدكتور شوقى ضيف يفتتح كتابه « شوقى شاعر العصر الحديث » الذى يعد مرجعا أساسيا لدراسة شوقى بأنه ولد عام ١٩٦٩ .

وبقـدر اختلاف المؤرخين على تحـديد ميلاد شـوقى ، يختلف الدارسون ايضا اختلافات حادة حول قيمة انتاجه الشعرى ، فمنهم من رفضه رفضا صارما ونهائيـا ومنهم من جعل منه صنما يتحلق حوله العابدون . ولكنه فى جميع الاحوال اثار عددا من القضايا والمشكلات فى فترة عصيبة من تاريخنـا القومى [١٨٦٨ ــ ١٩٣٢] تجعل من اعادة تقييمه على ضوء جديد ضرورة علمية . ذلك أن شوقى بين انصاره

واعدائه ظلّ دائما « قناعا » من المبالغة سواء فى رفضه أو فى قبوله ، وظلّ وجهه الحقيقى بعيدا عن اضواء المنهج العلمى والنقد الموضوعى . والملف الذى تقدمه « الطليعة » فى الذكرى المئوية لميلاده ـ سواء صح التاريخ الذى يجمع عليه دارسوه أو لم يصح ـ هو اعتراف بالمكانة البارزة التى احتلها فى تاريخ الادب العربى من ناحية ، ومحاولة لتقييم دوره فى الشعر المصرى الحديث تقييما جديدا من ناحية أخرى .



[١]

الشعر

لعل شاعرا عربيا على طول تاريخنا الادبى ، لم يحظ بما حظى به احمد شوقى من تكريم فى حياته وبعد مماته على السواء ، ولعل شاعرا عربيا كذلك لم يحظ فى الحياة والممات بما حظى به شعر احمد شوقى من اختلاف فى التقدير والتقييم . وربما كان هذا السبب بالذات هو اول الاسباب التى تغرى الدارسين جيلا بعد جيل الى « اعادة النظر » فى الشاعر وشعره ، وربما كان هذا السبب ايضا هو الذى يخلق مناخا من الرهبة والخوف امام كل دارس جديد وهو يجوس فى هذه الغابة الشاقة المضنية من الخلافات الحادة .

وبالرغم من ان الخطوط العامة فى حياة شوقى ليست من الالتواء والتعقيد بحيث يضل الناقد فى متاهاتها ، الا ان بساطة هذه الحياة ووضوحها تدعو الى الحيرة الشديدة ، حين تبدو فى تناقض يبلغ حد التمزق مع انتاجه الشعرى . ومن الممكن لاى باحث ان يجمل حياه شوقى وسيرته الشخصية فى عبارة واحدة هى انه « **ولد بباب اسماعيلا** » كما قال هو نفسه . وان يولد شاعر فى ساحة قصر وينشأ فى معية ملك ، لا ينبغى ان نتوقع منه ان يكون شاعر الشعب وقد تهيأت له كل الظروف لان يكون شاعر الأمير . وهكذا ـ فيما اتصور ـ ينبغى ان تكون نقطه الانطلاق ، لا خاتمة المطاف . فليكن شوقى شاعرا للخديو اولا ، ولنناقش شعره بعد ذلك ، اما ان نناقش هذا الشعر لننتهى الى انه كان شاعرا للخديوى ، فان بحثنا لن يكون الا من قبيل « تحصيل الحاصل » ولن نأتى فيه بجديد .

ولقد يكون من حسن حظ الاجيال المعاصرة انها تحيا فى ظل عصر بعيد نسبيا عن العصر الذى عاش فيه شوقى ، ولذلك فانها تمتلك قدرا من الموضوعية فى النظر لم يمتلك ناصيته نقاد شوقى المعاصرين له ، ولكن هذا الحظ الحسن محاط بدائرة الخطر من « تكريم الموتى » الذى يهدد النظرة الموضوعية بكل صفات رد الفعل والمبالغة .

الكلاسيكية والثورة

من اهم الوثائق الفنية فى حياة شوقى وشعره ، تلك المقدمة التى صدر بها الطبعة الاولى من الشوقيات [١٨٩٨] اى انه كان قد بلغ الثلاثين من العمر وتزود من خبرة الحياة وثقافتها بزاد كبير .. كتب فى هذه المقدمة يقول بالحرف « ان انزال الشعر منزلة حرفة تقوم بالمدح ولا تقوم بغيره تجزئة يجل عنها ويتبرأ الشعراء منها ، الا ان هناك ملكا كبيرا ما خلقوا الا ليتغنوا بمدحه ، ويتفننوا بوصفه ذاهبين فيه كل مذهب آخذين منه بكل نصيب . وهذا الملك هو الكون ، فالشاعر من وقف بين الثريا والثرى ، يقلب احدى عينيه فى الذر ويجيل اخرى فى الذرى ، يأسر الطير ويطلقه ، ويكلم الجماد وينطقه ، ويقف على النبات وقفة الطل ، ويمر بالعراء مرور الوبل ، فهنالك ينفسح له مجال التخيل ، ويتسع له مكان القول .. او لم يكن من الغبن على الشعر والامة العربية ان يحيا المتنبى حياته التى بلغ فيها الى اقصى الشباب ، ثم يموت على نحو مائتى صحيفة من الشعر ، تسعة اعشارها لمدوحيه ، والعشر الباقى هو الحكمة والوصف للناس ، هنا يسأل

سائلٌ : وما بالكَ تنهى عن خُلقٍ وتأتي بمثله ؟ **فأجيب بأني قرعت أبواب الشعر ، وانا لا اعلم من حقيقته ما اعلمه اليوم ، ولا اجد امامي غير دواوين الموتى ، لا مظهر للشعر فيها ، وقصائد للاحياء يحذون فيها حذو القدماء، والقوم فى مصر لايعرفون منالشعر الا ما كان مدحافيمقام عال،** ولا يرون غير شاعر الخيديوى صاحب المقام الاسمى فى البلاد ، فمازلت اتمنى هذه المنزلة ، واسمو اليها علىدرج الاخلاص فيحب صناعتي، واتقانها بقدر الامكان وصونها عن الابتذال ، حتى وفقت بفضل الله اليها، ثم طلبت العلم فى اوروبا، فوجدتفيها نور السبيل من اول يوم، وعلمت انى مسئول عن تلك الهبة التى يؤتيها الله ولا يؤتيها سواه ، وانى لا اؤدى شكرها حتى اشاطر الناس خيراتها التى لا تحد ولا تنفد » . ان هذه الاسطر من تلك المقدمة ، تعد من اخطر الاعترافات الفنية فيتاريخنا الادبى الحديث، فان شوقى لم يكن جاهلا باغراض الشعر على النحو الاوروبى وهو لا يزال فى الثلاثين من عمره ، بل هو يكاد يضع تعريفا للشاعر والشعر لم يقل به احد من مؤرخي الادب العربى ونقاده الاقدمين . ومع ذلك لم تكن سن الثلاثين هذه سنا فاصلة بين عهدين فى حياة شوقى وشعره . ولقد كانت له محاولتان باكرتان فى تجسيد هذا التصور الجديد للفن ، اولاهما مسرحية **«علي بك الكبير»** التى ارسلها من باريس الى الخيديوى، فرد عليه رشدى باشا قائلا « **أما روايتك فقد تفكه الجناب العالى بقراءتها** » وأدرك شوقى على الفور ان عمله المسرحى الاول قد باء بالفشل، لانهم عودوه على نشر كل ما يُعن له اذا طاب الامر لصاحب العرش . وكانت المحاولة الثانية قصيدة مدح للخيديوى قال فى مطلعها :

خدعوها بقولهم حسناء والغوانى يغرهن الثناء

فلم تنشر ايضا ، واستدعى الامر ان يذكر شوقى فى مقدمة ديوانه انه تأكد يقينا من ضرورة « احتراسه » من الشعر الجديد . على ان هذا الموقف من جانب السراى كان يقابله موقف آخر يدعو الى التأمل ، ذلك ان رشدى باشا فيخطابه الى شوقى حول مسرحية على بك الكبير لم ينس ان ينقل اليه نصح الخيديوى بأن « **لا تشغلك دروس الحقوق التى يمكنك تحصيلها وانت فى بيتك بمصر عن التمتع من معالم المدنية القائمة امامك ، وأن تأتينا من مدينة النور باريز بقبس تستضيء به الاداب العربية** » . ان هذه الكلمات وحدها كانت « جواز المرور» لشوقى بين آداب فرنسا وفنونها، فحاول محاكاة بعضها فيما انشأه من حكايات شعرية قلد فيها اقاصيص لافونتين ، وكذلك ما ترجمه من عيون الشعر الرومانسى كقصيدة «البحيرة» للامرتين . وهكذا كانالتناقض **بين التقليد والتجديد ، بين الوجه والقناع ، هو** العمود الفقرى لحياة شوقى الشعرية فى اوج اكتمالها .

ولم يبدأ شوقى حياته هذه بمعزل عن المناخ الثقافى العام فى مصر عند نهاية القرن الماضى . فلقد كان البعث الكلاسيكى فى ذروة النضج على يدي محمود سامى البارودى وشعره ، وعبد الله فكرى ونثره ، والشيخ حسين المرصفى ونقده . ولا شك ان الثورة العرابية كانت اكبر الاحداث التى ظللت اللوحة التاريخية آنذاك،بشتى الالوان والخطوط والظلال . وربما كان الفرق الجوهرى بين شاعر كالبارودى وشاعر كشوقى هو ان موقف كليهما من الثورة قد حددته الظروف السابقة على ملكة الابداع الشعرى . فالبارودى كان ضابطا فى الجيش ، وشوقى كان موظفا فى المعية الخيديوية . ومن الطبيعى اذن – وليس من الغريب،او مما يدعو الى الدهشة – ان يقف البارودى الى جانب الثورة فى شعره ، وان يقف شوقى الى جانب العرش . ينعكس الموقف السياسى – السابق على الشعر – فى ان البارودى قد اختار منذ البداية ، واختارت له الظروف ، ان يستهدف بشعره « **أملا** » يحتمل التحقيق .. أما شوقى فقد اختار ، واختير له ، ان يستهدف بشعره « **أملا** » متحققا بالفعل . وبمعنى آخر فقد كان محور شعر البارودىمحورا ديناميكيا ، اما محور شعر شوقى فقد كان محورا ستاتيكيا . ولذلك كان البارودى رائدا للكلاسيكية المصرية فى حقل الشعر ، بعد قرون عديدة من الانحطاط الذى آلت اليه الدورة الحضاريةللادب العربى . فالدور التاريخى الذى قام به البارودى هو ابتعاث اعظم تقاليد الشعر العربى فى عصور ازدهاره [الجاهلية وصدر الاسلام] ليعيد اليها ماء الحياة الجديدة التى فجرت نبعها الثورة على الاحتلال البريطانى والسلطة العثمانية معا . فقد كانت الثورة العرابية فجرا لعصر حضارى جديد – لا من الناحيةالسياسيةوالاجتماعية فحسب – لان افكارها الاساسية كانت تغييرا جذريا لعقليتنا السائدة . ومن هنا التقت الثورة كالهام فكرى وروحى معفكرة البعثالكلاسيكى عند البارودى، ذلك انها فى التطبيق على الشعر كانت ثورة على الجمود والانحطاط والقحط الذى انتهت اليه حياتنا الادبية .

على ان البارودى من ناحية اخرى لم يكن صوت الثورة فى انتصارها ، وانما كان صوتها وقت احتدامها وانكسارها .. اى ان ديناميكيته التى اثمرها ذلك « الامل » الممكن التحقيق قد استكانت فياحضان السكون الابدى الذى اثمرته « **خيبة الامل** » او النهايةالفاجعةللثورة العرابية. وهو اذا كان يختلف مع شوقى فى نقطة البداية، فانهما يلتقيان اخيرا ، فشوقى الذى بدأ من «امل متحقق بالفعل » انتهى به الامر الى تحطيم هذا

الأمل . ولذلك فهو اذا كان قد بدأ على النقيض من البارودى ستاتيكيا فى شعره ، فانه انتهى على النقيض ايضا من نهاية البارودى ،ديناميكيا. لقد تهالك العرش وسقط الخديوى ونفى الشاعر الى الاندلس وعاد بعد ان تغير نسبيا وجه مصر بعد الحرب العالمية الاولى وثورة ١٩١٩. ومن ثم كان لابد من أن يحدث التمزق الكبير فى وجدان شوقى وقناعه ، وان يظهر جليا وجهه الحقيقى، ذلك الوجه الذى اسفر عنه قليلا فى مقدمة الطبعة الاولى من الديوان ، ثم عاد فاحتجب تحت اثقال القيود الملكية ، واخيرا حانت الفرصة للسفور المطلق . غير ان شوقى — وتلك هى مأساته — عاش الجزء الاكبر من حياته فى مرحلة « القناع » فالحيز الزمنى الذى تبدى فيه وجهه الحقيقى كان حيزا ضيقا قصيرا قرب نهاية العمر، ولذلك فان انتاج هذه المرحلة — رغم قلته — يشكل الملامح الحقيقية لوجه احمد شوقى شاعرا، اما انتاج المرحلة السابقة رغم غزارته فانه ينسج خيوط القناع الذى تلثم به شعر شوقى طيلة الجزء الاكبر من حياته. ولا يعنى هذا اننا نستطرد الى القول بأن ثمة جوهرا اصيلا فى شعر شوقى عزلته عن الضوء قشرة سميكة من الزيف، فكثيرا ما اختلط الوجه بالقناع اختلاطا يصعب معه الفصل بينهما. بل لطول ما ارتدى هذا الوجه ذلك القناع تلونت دماءه الاصيلة بلون الخيوط المسدلة عليه والمزيفة لحقيقته . والعكس ايضا صحيح، فكثيرا ما تشكل القناع بوجه صاحبه. فلسنا اذن بصدد عنصرين مستقلين عن بعضهما تمام الاستقلال ، كتلك الثنائية التى اشار اليها الدكتور محمد حسين هيكل فى مقدمة الجزء الاول من الشوقيات ، وانما نحن بصدد وجهين لعملة واحدة ان جاز التعبير ، او مرحلتين فى امتداد زمنى واحد ان جاز القول فى عبارة اخرى.

مرحلة القناع الذهبى

خرج شوقى الى ساحة الوجود الشعرى ، ومصر فى اوج اضطرامها بالاحداث ، ومصر ايضا فى ذروة بعثها الكلاسيكى على يدى البارودى . وعندما اصدر الجزء الاول من ديوانه عام ١٨٩٨ هبت فى وجهه رياح التقليد والجمود والانحطاط ، رياح الماضى الكئيب التى خان اصحابها روح العصر فقادوا حملة ضارية على محاولات التجديد الضئيلة فى شعر شوقى كتلك الحملة التى قادتها مجلة «مصباح الشرق» زاعمة ان الشعر العربى ليس فى حاجة الى تجديد ،مندة بعثرات لغوية رافقت هذا الاتجاه الى التجديد [١] . وكذلك الحملة التى حمل لواؤها اليازجى عندما اصدر شوقى قصته النثرية «عذراء الهند » [٢] ، فقد تأكد له حينذاك ان الخروج على السلف ضرب من المحال ، وانه لكى يتخذ سمة الشعراء المعترف بهم لابد له من ان يطرق الابواب المطروقة وان يسير على الدرب الذى سلكه من قبله الكثيرون ، لابد له من المديح والهجاء والرثاء حتى يستطيع ان يتيه بين الناس شاعرا « ومعنى ذلك ان هذا النقد اعد شوقى نفسيا لان ينساق فى تقليد الشعر العربى الذى تقدمه ، وخاصة امثلته الممتازة ، وبرز التقليد فى معارضاته ، وحتى قصائده الاخرى التى لم يعارض بها احدا صاغها على الانماط الموروثة . وبذلك كان للتقليد عنده هيئتان : هيئة معارضة حين يعمد الى المتنبى او البحترى او غيرهما فيتلد بعض قصائدهم، وهيئة اخرى كانت أعم من ذلك، فانه كان دائما حين يصنع شعره يعتمد الصورة العامة للشعر العربى ويبنى على صياغاتها. وبذلك بدأ شوقى محافظا محافظة شديدة على المثال العام لهذا الشعر ، على الرغم من اختلاف ذوقه وحسه وشعوره ، واختلاف ثقافته وما اطلع عليه من الادب الفرنسى ، فكل ذلك راى ان يدعه خلف المسرح او وراء الستار » [٣]

اى ان الصدام الأول فى حياة شوقى — وهذه نقطة فى غاية الاهمية — كان مع المحافظين ، ولقد انتهى الصدام بالهزيمة التى نالت الشطر الاكبر من عمره ، وهذه نقطة لا تقل عن الاولى اهمية . ذلك انه يمكن القول بأن المناخ الادبى السائد ، ورائحة الهزيمة العرابية تشيع فى الجو السياسى ، والارتباط الشخصى بالقصر. كل ذلك اسهم فى ان يتوجه شوقى قبلة «القديم» فى الفكر والشعر والوجدان ، ولكن القديم الذى اتبعه البارودى ليقول شيئا جديدا : هل استطاع ان يقول شيئا على قيثارة شوقى ؟

ان جوهر الازمة الكبيرة التى احتدمت بين شوقى من جانب ، والعقاد وطه حسين والمازنى من جانب آخر ، هى انه لم يستطع فى نطاق الكلاسيكية ان يؤدى دورا شبيها بالدور الذى قام به البارودى ، لان البعث الشعرى الذى نفخ فيه البارودى من روح الثورة لم يكن ليستطيع ان يتكرر قيامه بغير هذا المضمون الديناميكى . ولذلك

---

(١) مختارات المنفلوطى ص ١٢٦ وما بعدها .
(٢) « شوقى » لشكيب ارسلان ص ٤٥ وما بعدها .
(٣) د. شوقى ضيف : « شوقى شاعر العصر الحديث » دار المعارف . (ص ٩٧) .

بأنه اذا كانت الكلاسيكية قد وصلت الى ذروة نضجها على يدى البارودى بفاعلية الثورة فانها قد اختتمت مطافها على يدى شوقى بفاعلية طاقته المبدعة وحدها . ولولا هذه الطاقة لافتقر شوقى الى القدرة على تثبيت اسمه بين الشعراء . فالحق ان موقفه الذى قدر له ان يقفه من الثورة — اى من الاتجاه المتقدم لحركة التاريخ — قد أصاب شعره بخواء روحى حقيقى . ولكن موهبته الفطرية الهائلة هى التى انقذت هذا الشعر من البوار لانه من حيث الصنعة — كما يقول العقاد — ارتفع الى اعلى الذرى [٤] . وتلك هى المزية التى تفوق بها شوقى على اقرانه من المعاصرين له ابان المرحلة الاولى من مرحلتى انتاجه . فلقد ارتدى قناعا ذهبيا من فضائل التراث القديم بغير ان يبث فيها روحا من فضائل العصر الحديث . وكانت الثورة العرابية هى «فضيلة» مصر الحديثة بالرغم من انتكاسها ، لانها بكل سلبياتها كانت صدى عميقا لما يحس به المصريون فى حياتهم وواقعهم . الا ان مصر لم تكن فحسب مصر — الشعب ، وانما ايضا كانت مصر العثمانية ، واذا كان شوقى قد ارتبط شكلا بالتراث فقد ارتبط مضمونا بالعرش العثمانى . ولقد عرف المجتمع المصرى فى بعض طبقاته وفئاته العليا ارتباطا روحيا، واحيانا مصيريا بالسيادة العثمانية . ومن هنا كان شوقى شاعرها الاول والاكبر ، فهو لم يكن قط شاعرا بلا جمهور ، ولم يكن قط شاعرا بلا مضمون ، وانما كان شوقى شاعر الدولة العثمانية والطبقات الاجتماعية المصرية المرتبطة بها .. فاسلامياته كلها ليست تهجدا دينيا عميقا وانما تمجيدا سياسيا مباشرا للخلافة ، وكذلك هجائياته لعرابى لم تكن فى واقع الامر هجاء شخصيا كهذا الذى عرفناه عند الشعراء القدامى ، وانما كان انحيازا سياسيا مباشرا الى جانب السلطة الخديوية . ولا شك ان شوقى كان صادقا الصدق كله حين جعل معظم مراثيه لاولئك الذين وقفوا الى جانب تركيا ضد الانجليز ، كما انشد معظم تهانيه لاولئك الذين اتخذوا موقف السلطة الخديوية .

وهذا الموقف الفكرى المحدد ، هو الذى دفع ذلك النفر من رواد الجيل المصرى الجديد — العقاد ، طه حسين ، المازنى — أن يشنوا عليه تلك الحملات العنيفة التى جاوزت الحدود فى بعض مظانها . وكان طه حسين اكثر صراحة وجلاء من بقية زملائه حين كتب يقول « لن يحس شوقى ما كان يحس حافظ من حياة الشعب ، وان احسه فلن يستطيع الا الاعراض عنه ، ليس شوقى ترجمان الشعب ولسانه ، وانما هو ترجمان الامير ولسان الامير . وما أشد ما كانت تتسع مسافة الخلف بين الشعب وبين الامير » [٥] .

اما العقاد فقد اختار طريقا آخر ، فى ظنه هو الطريق الاصوب ، وهو طريق النقد الفنى للشعر ، ولكنه لم يسلك هذا الطريق على الاطلاق فى كتابه المشترك مع المازنى « الديوان » وحاول ان يسلكه فوفق بعض التوفيق فى كتابه « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » . والحق ان العقاد لم يغير رأيه فى شوقى كما يحلو للبعض ان يقول ، مناصرة لشوقى او عداء للعقاد .. وانما استطاع العقاد فى كتابه الجديد ان يحيد مشاعره السياسية الطاغية على كتابه الاول ، وان يكون موضوعيا بقدر المستطاع . فلم يكن « الديوان » فى الحقيقة الا « ما نفستو » الادب المصرى الحديث الذى يتناقض شكلا ومضمونا مع شعر شوقى وموقفه الفكرى ، واذا كان الدكتور طه حسين قد اكتفى بالايماءة الحيية الى ان شوقى فى ارتباطه بالامير كان بعيدا عن الشعب ، فقد اراد العقاد ان يقول — بالتواء وتعقيد شديدين — ماهو ابعد: ان شوقى العثمانى لا يستطيع ان يكون شاعرا مصريا . فالمدرسة الحديثة فى الادب والنقد المصريين كانت فى جوهرها مدرسة مصرية ، بالمعنيين القومى والاجتماعى . وتلك هى نقطة الانطلاق الحقيقية فى الخلاف الحاد الذى نشب بين شوقى من ناحية ، وبين العقاد وطه حسين والمازنى وهيكل وسلامة موسى من ناحية اخرى . كان هؤلاء على اختلاف اتجاهاتهم وتطلعاتهم ومصادرهم ابناء البرجوازية القومية الناشئة ، بمختلف درجات نموها الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .. وكان شوقى ربيب السلطة الخديوية المتحالفة مع كبار الملاك فى مصر والخلافة العثمانية فى تركيا ، اقول ان هذا الاختلاف فى الموقفين ووجهتى النظر ، انعكس بشكل حاد على مناهج النقد الجديد فى هجومها على شوقى . واذا كان الصدام الاول مع المحافظين قد انتهى بشوقى الى الهزيمة لان وضعه الاجتماعى أسهم فى صنعها ، فان صدامه الجديد مع المجددين لم يلق نفس الخاتمة .. وظل شوقى ابان مرحلة القناع الذهبى على الطرف النقيض من الاتجاهات الحديثة فى الشعر . .

---

(٤) نفس المرجع .
(٥) د. طه حسين « حافظ وشوقى » — الطبعة الثانية ١٩٥٣ (ص ٢١٥) .

يضم ديوان شوقى باجزائه الاربعة عددا من الموضوعات السياسية والحزبية والاجتماعية والحضارية ، فالجزء الاول يحتوى على مثل هذه العناوين « كبار الحوادث فى وادى النيل ، توت عنخ آمون ، محمد على، كرومر، حادثدنشواى، اسماعيل ، حسين ، مشروع ملنر ، تصريح ٢٨ فبراير ، الاندلس الجديدة ، رومية ، الدستور العثمانى ، نكبة بيروت ، تكليل انقره ، تحية الملوك ، الاسطول العثمانى ، الانقلاب العثمانى، انتصارات الترك ، خلافة الاسلام » . اما الجزء الثانى فيضم امثال هذه القصائد « شكسبير ، مسجد ايا صوفيا ، المراة العثمانية ، السفور ، دمشق ، البحر الابيض ، نكبة دمشق ، جسر البسفور ، لبنان ، البرلمان المصرى ، مؤتمر الاحزاب المصرية، صقر قريش » . والجزء الثالث يشتمل على المراثى التى ودع بها الشاعر اعزاءه فىهذه الدنيا مثل « مصطفى كامل، سعد زغلول، قاسم امين ، اسماعيل صبرى ، تولستوى ، هيجو ، جورجى زيدان ، محمد فريد ، حافظ ابراهيم ، فيردى » . ويختتم شوقى ديوانهالكبير بالجزء الرابع الذى جمع بين دفتيه قصصاخفيفة قصيرة وحكايات على السنة الحيوان والطيور .

ولعل النقد التقليدى والتجديدى على السواء قد اساء الى شوقى حين قدمه الاول من وجهة نظر شديدة التخلف اكتفت بوصف هذه القصيدة بالهمزية ، وتلك بالسينية اشارةالى القافيةوحرف الروى الذى تنتهى به أبيات القصيدة . بينماقدمه النقاد المجددونمنوجهة نظر بالغةالتقدم فقارنوا بينه وبين الشعراء الاوروبيين من ناحية وقالوا باستحالة ترجمته الى اللغات الحية من ناحية اخرى [٦] وتطرف بعضهم تطرفا عنيفا حين غير من وضع ابيات بعض القصائد ليثبت غياب الوحدة العضوية بينها [٧] . وهكذا فقد تاهت الملامح الحقيقية لوجه احمد شوقى وضاعت بين نقد أو غل فى التخلف ونقد آخر او غل فى التقدم .

ولا ريب اننا قد افدنا الكثير من النقدالتقليدى، ذلك انه النقد الذى امدنا بالروافد التراثية فى شعر شوقى : مصادره وتأثراته . كما اننا افدنا الكثير من نقد المجددين لانه النقد الذى امدنا بروح العصر الجديد وهى تضطرم مع خيوطالفجر لنهضتنا الحديثة .

وربما كان العقاد هو اكثر النقاد المجددين تطرفا فى تقييم شوقى وشعره . ونحن نستطيع ان نغفل فورة الشباب وانتاجها الذى تبلور فى الانتاج الباكر للعقاد بكتابه المشترك مع المازنى « الديوان فى الادب والنقد » . ولكننا نتوقفكثيرا امام كتابه الاخر الذى صدر بعد خمسة عشر عاما من ذلك التاريخ ، واعنى به كتاب « شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى » .. فهو فى هذا الكتاب اكثر نضجا وموضوعية وان لم يغير من موقفه الاساسى الذى بسطه فى سن الشباب . يقول العقاد فىبداية الفصلالاخير الذى خصصه لدراسة شعر شوقى « **فى احمد شوقى ارتفع شعر الصنعة الى ذروته العليا ، وهبط شعر الشخصية الى حيث لا تتبين لمحة من الملامح ولا قسمة من القسمات التى يتميز بها انسانبين سائر الناس** » . والمعروف ان مايسمى بشعر الشخصية لم يكن السمة الرئيسية فى الشعر العربى ، وبالتالى فانالعقاد كان يطلبالى شوقى منذ البداية ان يكون شيئا غير هذا الشعر . ولقد نال البارودى تقييماكريما من العقاد بالرغممن ان شعره تمتد جذوره الفنية الى المتنبى ولا علاقة له بشعر الشخصية . وفى معظم الاحيان يبدو نقد العقاد لشوقى من هذه الزاوية وكأنه نقد للشعر العربى كله لا لشاعر بعينه ، فيقول « .. وانما يستحق الشعر ان يسمع ويحفظ حين يكون كهذا الشعر الذى يرينا ما فى الدنيا وما فى نفس انسان ، ونعرف فيه الطبيعة على لون صادق ولكنه لون بديع فريد لانه لون القائل دون سواه، فتجتمع لنا غبطة المعرفة من طرفيها ، ويتسع امامنا افق الفهم وافق الشعور. اذ يتكرر الشعور الواحد كأنه مائة شعور ، ويتكرر فهم الحقيقة الواحدة كأنها مائة حقيقة ، وتلك هى الوفرة التى تتضاعف بها ثروة الحياة ، ونصيب الاحياء منها» ومن الواضح ان العقاد فى هذه الاسطر القليلة انما يصف الوانا من الشعر لم يعرفها العرب ، وانما عرفها هو من قراءاته فى الشعر الغربى ، فمن التعسف اذن انيطبق هذا التعريف على شوقى وحده دون غيره « .. **فاذا عرفت شوقيا فى شعره فانما تعرفه بعلامة صناعته واسلوب تركيبه كما تعرف المصنع من علامتهالمرسومة على السلعة المعروضة ، ولكنك لا تعرفه بتلك المزية النفسية التى تنطوى وراء الكلام وتنبثق من اعماق الحياة** » . اى ان شوقى فى عرف العقاد ليس الا عبقرية فى الشكل والصياغة ، وهى ليست عبقرية الفطرة والامتياز الخاص ، وانما « متى اراح الشاعر قريحته من الخاص والممتاز فتجويد الصنعة على طول المرانة ليس بالمطلب المتعذر،

---

(٦) المازنى ؟ ؟ ؟ ؟
(٧) العقاد فى « الديوان فىالادبوالنقد » .

عليه ، ولا سيما من كان لا يتقيد في معانيه العامة بمعنى يريده دون غيره ولا يدعه وان استعصى عليه . بل يؤثر من تلك المعاني ما يسلس اداؤه ويروق صداه ولو انتقل بــه من النقيض الى النقيض » . ومعنى ذلك ان لا شخصية لشوقي في شعره ، بل هو اقرب الى الاجهزة الاوتوماتيكية التي لا تحس ولا تشعر وان برعت في التجميع والترتيب والتبويب . وهكذا تخلو اشعار شوقي — عند العقاد — من «الروح» التي تميز بين شاعر وشاعر وبين قصيدة واخرى « **ولم يخلع شوقي كسوة التشريفة قط في قصيدة من قصائده ولا بيت من ابياته ، فليست الصفات ولا الاخلاق ولا الاراء التي يثنى عليها هي التي تمثله في حقيقة نفسه ودخيلة ضميره ، ولكنها هي الصفات والاخلاق والاراء التي يلبسها المرء يوم التشريفة ويتقلدها وهو قائم على منصب الوظيفة** » .

والحق ان نقد العقاد يثير قضيتين على جانب كبير من الاهمية : اولاهما معنى « **الصناعة** » في الشعر اى قضية الشكل والمضمون في شعر شوقي . والقضية الثانية هي معنى «الشخصية» في الشعر وعلاقته بما يسميه اليوت بالمعادل الموضوعي ، اجل ، نحن نستطيع ان نمد الجسور بين ابي نواس وشوقي حين يقول :

حف كاسها الحبب	**فهي فضة ذهب**
أو فم الحبيب جلا	**عن جمانة الشنب**
ليلة لسيدنا	**في الزمان ترتقب**
انجم مطالعها	**عابدين والرحب**
سيدي لها فلك	**وهي منه تقترب**
فالقدود بان ربى	**بيد انها تثب**
والنهود هامدة	**والخدود تلتهب**
والخصور واهية	**بالبنان تنجذب**
والمدام اكؤسها	**مانقيض والعلب**

ولكننا اذا استثنينا ادوات التعبير العمودي في هذه القصيدة ، وعبيرها الفواح بالخمر والمرأة واللهو ، فان ذات الشاعر وموضوعه واضحان في القصيدة غاية الوضوح . ان شوقي يرتبط بتقليد عريق في التراث العربي يمتد الى ابي نواس وغيره من الشعراء العرب . ولكنه في نفس الوقت يتجاوز هذا التراث برنينه الموسيقي الخاص، واخيلته الجمالية الخاصة التي لا يمكن نسبتها الا الى شوقي نفسه . ان ذاتية الشاعر نتلمسها في اختياراته لمفردات اللغة وترتيب الابيات وتنسيق المعاني الى غير ذلك من البصمات التي لابد منها لكل شاعر موهوب . وان يبلغ شوقي « ذروة » في الشكل كما يعترف العقاد ، فان هذا لاينفي ان ثمة علاقة بين الشكل والمضمون تعكس بالضرورة ذروة الشكل في ذروات اخرى موازية لها في النفس والفكر والوجدان . وكذلك فاننا لانستطيع ان نفترض الذاتية الخالصة او الموضوعية الخالصة في علم الجمال ، فالاتجاهات الموغلة في الذاتية كالرومانسية والرمزية والسوريالية تتضمن قدرا لاشك فيه من الموضوعية، والاتجاهات الموغلة في الموضوعية كالواقعية والطبيعية تتضمن قدرا لاشك فيه من الذاتية. ومن هنا يمكن القول بانه رغم البناء الكلاسيكي الشامخ في شعر شوقي فان هذا البناء لا يخلو من المواد الذاتية كاختيار الموضوع وزاوية التفكير من ناحية المضمون ، واختيار البحر العروضي والاخيلة الصورية من ناحية الشكل . فليس «الموضوع» نفسه الا صورة للذات ، وليس الشكل الذي صب فيه الا صورة اخرى لهذه الذات . فحين يقول شوقي :

وانا المحتفى بتاريخ مصر
من يصن مجد قومه صان عرضا

فانه لا يربط فحسب بين شرف الرجل وشرف الوطن ، ولا هو يربط فحسب بين ايمانه بالعرش الخديوي ومصر ، وانما هو يعبر في الاساس عن تلك الازمة الروحية العميقة التي سببها ازدواج ولائه لتركيا ومصر ، والا فهو لم يكن بحاجة الى الدفاع عن نفسه سواء بهذا البيت من الشعر او ببقية « مصرياته » الكثيرة التي مجد فيها التاريخ الفرعوني . فان هذا التمجيد ليس وصفا موضوعيا لاثار مصر القديمة ، بقدر ماهو تعبير ذاتي عن ازمة شخصية عاناها شوقي في الصميم . اجل ، لقد ارتدى قناعا عثمانيا على وجه مصري اصيل . تلك هي القضية « الموضوعية » التي يتهدج بها شوقي تهدجا ذاتيا عميقا فيخاطب « النيل » :

من اى عهد في القرى تتدفق
وباى كف في المدائن تغدق
ومن السماء نزلت ام فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق

وعن هياكل الفراعنة يقول :

هي من بناء الظلم الا انه
يبيض وجه الظلم منه ويشرق

وحول الفتح العربي يقول :

والفتح بغي لا يهون من وقعه
الا العفيف حسامه المترفق

فليست هذه الابيات وغيرها كثير مجرد « مناسبات ارتدى فيها الشاعر بدلة التشريفة ، لان الشعر كله بهذا المعنى يصبح شعر مناسبات اذا كانت المناسبة تعني الدافع الاول لقول هذه القصيدة او تلك . اما اذا خرجنا عن المناسبة بمعناها السلبي اى ان تكون الزاما — خارجيا — للشاعر وليس التزاما — داخليا — منه ، فاننا نرى شوقي في امثال هذه القصائد

« المصرية » قد اتخذ موقفا قوميا اصيلا لا زيف فيه . وعندما نقول **موقفا** انما نقصد ذلك الجانب «**الذاتى** » فى كل فن ، اى وجه صاحبه الحقيقى، وعندما نقول **قوميا** فانما نقصد ذلك الجانب **الموضوعى** فى كل فن اجتماعى اى وجه الوطن الذى ينتمى اليه الشاعر . وفى القصيدة الطويلة التى سرد فيها شوقى « **كبار الحوادث فى وادى النيل** » وهى تتألف من مائتى وتسعين بيتا ــ وقد القاها فى مؤتمر المستشرقين بجنيف عام ١٨٩٤ــ يقول عن الهكسوس :

ما الذى داخل الليالى منا
فى صبانا ولليالى دهاء
فعلا الدهر فوق علياء فرعــ
ــون وهمت بملكه الارزاء
اعلنت امرها الذئاب وكا
نوا فى ثياب الرعاة من قبل جاءوا
ومضى المالكون الا بقايا
لهم فى ثرى الصعيد التجاء
فعلى دولة البناة سلام
وعلى بنى البناة العفاء
واذا مصرشاة خير لراعى السـ
ــوء تؤذى فى نسلها وتساء
ان ملكت النفوس فابغ رضاها
فلها ثورة وفيها مضاء
يسكن الوحش للوثوب من الاســ
ــر فكيف الخلائق العقلاء

فلا ريب ان موقف شوقى هنا ، او دافعه الداخلى الى قول هذا الشعر ، لم يكن احدى المناسبات الخارجية المقحمة على وجدانه المبدع ، ولا شك انه لم يقل هذا الشعر مضطرا لانه يخلو تماما من كل طلاء خادع للنظر ، ومن كلمة نغمة منافقة للجالس على العرش آنذاك ، بل هو نظرة « مؤسية » الى الماضى المجيد فيها قدر لاشك فيه من الذاتية حتى لتدفع الشاعر الى هذا الختام التراجيدى للقصيدة :

واذا فاتك التفات الى الما
ضى فقد غاب عنك وجه التأسى

وهو من اعمق ابيات الشعر العربى التى تمس وترا اصيلا فى نفس كل فنان معذب ، ولقد تعذب « ولاء » شوقى عذابا مضنيا ، اتخذ حينا شكل التناقض بين الماضى والحاضر ، فيخاطب ابا الهول،

تحرك ابا الهول ، هذا الزمان
تحرك ما فيه حتى الحجر

واتخذ حينا آخر شكل التناقض فى المواقف السياسية ، فهو يقف الى جانب الدستور والبرلمان المصرى الاول وينعى سعد زغلول ومحمد فريد الى غير ذلك من « الوطنيات » التى لا سبيل الى نكرانها ، ولكنه من ناحية اخرى يقول فى عرابى وثورته مالا سبيل الا الى استنكاره، حتى انه نشر معظم قصائده المضادة للثورة العرابية بغير توقيع(٨) مما يؤكد هذه الازدواجية المريرة فى حياة شوقى وفكره السياسى . وهى تختلف تماما عن الثنائية التى اشار اليها الدكتور هيكل فى مقدمة الشوقيات ، والتى اجاب طه حسين بشأنها والواقع انى لا اعرف لامير الشعراء عقيدة صريحة فى الشعر ، ومارى انه قد حاول ان يكون لنفسه هذه العقيدة ، وما ارى انه فكر فى الشعر الا حين يقوله ، وانما هو ــ كما يقول هيكل فى شىء من الدهاء ــ مجدد حينا ومقلد حينا آخر . وهو فى تجديده وتقليده لا يصدر عن عقيدة فنية واضحة ، وانما يتأثر بالساعة التى يتهيأ فيها لقول الشعر ، وبالظرف الذى يقرض فيه الشعر ليس غير» (٩) . وربما كانت هذه الكلمات هى اعمق التحليلات التى قيلت فى شعر شوقى من رواد الجيل الماضى . على ان ابلغ الاشارات الى ذلك التناقض فى حياة شوقى وشعره كانت هذه الاشارة الذكية التى قالها مندور « **قد يمكن ان نختلف فى الحكم على بعض المواقف التى وقفها شوقى فى النصف الاول من حياته او بعض الاتجاهات التى اتجهها راضيا او مكرها ، ولكننا من السهل ان نتفق على انه شاعر من اكبر شعراء العربية** » (١٠) وهكذا انتصف الجيل التقدمى التالى لجيل الرواد لاحمد شوقى انتصافا موضوعيا امينا . ولقد كانت وجهة النظر التقدمية الجديدة تيارا امتد الى جيلنا الحاضر ، فيستكمل صلاح عبد الصبور ما بدأه مندور قائلا « **كان شوقى سلفيا ، ولم يكن محافظا . والفرق بين السلفى والمحافظ هو ان السلفى يريد العودة الى عصور الماضى الزاهرة ، فيلبس لباسها ويتحدث بلغتها ويفكر بطريقتها ، أما المحافظ فهو يريد الجمود على التاخر . وذلك هو الفرق بين شاعر كشوقى وشاعر كالشيخ الليثى نديم اسماعيل . والعودة الى السلف الصالح ، وهم فى الشعر ابو نواس والمتنبى وابن الرومى وابو تمام والبحترى وغيرهم ، سبيل سار فيه البارودى**

---

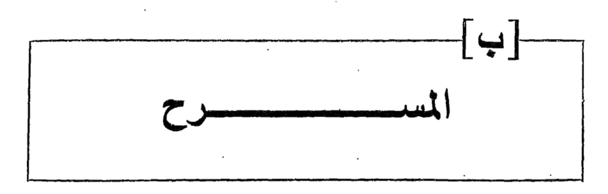
(٨) مهرجان احمد شوقى ــ المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب ــ « التاريخيات والوطنيات فى شعر شوقى » للدكتور محمد صبرى (ص ٢٢٨ ــ ٢٣٢) .

(٩) « حافظ وشوقى » ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٥٣ ــ (ص ١٤) .

(١٠) جريدة « الجمهورية » ١٧ اكتوبر ١٩٦٢ .

خطوات قبل شوقي ، ولكن خطى شوقي كانت اكثر اتساعا واحر شبابا » (١١) . هذه النظرة التقدمية الى شعر شوقي اقرب الى المنهج العلمي السليم في النقد الادبي من النظرات المتطرفة للعقاد والمازني الذي قال : « .. وليس شوقي عندي بالشاعر ولا شبيهه ، وانه لقطعة قديمة متلكئة من زمن غابر لاخير فيه ، يغني عنه كل قديم ولا يضيف هو الى قديم او حديث ، وما اعرفني قرأت له شيئا الا احسست اني اقلب جثة ملئت صديدا وشاع فيها الفناء علوا وسفلا »(١٢)

ولم تؤد هذه المبالغات المتطرفة الى تيار نقدي يهجو شوقي على هذا النحو المسف ، لانه في صميمه كان نقدا « انطباعيا » من حيث اراد ان يكون نقدا علميا ، فحيث يزيد حجم السباب والهذر يقل العلم وتندر الموضوعية . والحق ان شوقي اخطأ كثيرا في حياته السياسية سلبا وايجابا ، ولكنه في حياته الشعرية كان نموذجا لمأساة الفنان الممزق بين الوجه الحقيقي والقناع المزيف ، هذا القناع الذهبي الذي ارتداه طيلة النصف الاول — والاكبر — من حياته .



[ب] المسرح

انتهت المرحلة الاولى في حياة شوقي وشعره بنفي الخديوي عباس الى تركيا ومطاردة الانجليز لشوقي واضطراره الى المثول في نهاية الامر والرحيل الى اسبانيا والبقاء فيها طيلة الحرب العالمية الاولى . وبالرغم من صيحة الثبات على جانب العرش التي صرخ بها شوقي قائلا :

أأخون اسماعيل في ابنائه
ولقد ولدت بباب اسماعيلا

الا ان نفيه الى الاندلس كان بداية مرحلة جديدة تماما في حياته وشعره ، بل وفي تاريخ الادب العربي ، ذلك انها كانت بداية الانسلاخ عن القصر والانعتاق من اغلاله والتحرر من غالبية القيم التي يمثلها في الفن والحياة . ولقد ساعد شوقي الى هذا التغيير بلا ريب ، انه حين عاد الى ارض الوطن كانت ثورة ١٩١٩ قد استطاعت ان تبدل في الوجوه السياسية والعلاقات الاجتماعية بما يتسق مع السيادة النسبية للشعب . ولذلك ظلت مدائح شوقي في هذه الفترة بانغماسه في العمل السياسي الى جانب الدستور وبنك مصر البرلمان . ولم يتجه وجدانه بطبيعة الحال الى الطبقات الدنيا التي صاغ بؤسها وتعاستها عبدالله النديم ابان الثورة العرابية ، وبيرم التونسي وسيد درويش ابان ثورة ١٩١٩ ، وانما اقصى ما استطاع ان يصل اليه شوقي هو مشاركة الفئات العليا من الطبقات الوطنية همومها السياسية الجديدة الوافدة مع الاستقلال الشكلي الذي حصلت عليه البلاد . غير ان هذه المشاركة ذاتها كانت تحولا عميقا من جانبه كشاعر للامير ، الى ان يصبح — فخورا — شاعرا لمصر .

وفي عام ١٩٢٧ اتخذ هذا التحول وجهته الرئيسية حين فاجأ شوقي الادب العربي باولى محاولات الدراما الشعرية في تاريخنا ، فقد اعاد الى تجربته الاولى التي كتبها في باريس عام ١٨٩٣ ، وارسلها الى الخديوي توفيق فتفكه بها على حد تعبير رشدي باشا في رسالته الى شوقي . عاد الى هذه التجربة ليعيد صياغتها من جديد ، وكانت هذه العودة بمثابة « الشفاء » من اهوال التناقض المرير بين وجهه الحقيقي وقناعه المزيف . فلاول مرة يستطيع ان يكتب شيئا لا يحتمل « **اغراض** » الشعر التقليدية من مديح وهجاء ورثاء . وانما هو يستطيع ان « **يخلق** » اشخاصا واحداثا ومواقف تتصارع فيما بينها على نحو من الانحاء فتمنح المتلقي — قارئا ومشاهدا — انطباعا

---

(١١) جريدة « الاهرام » ٢٢ اكتوبر ١٩٦٤ .
(١٢) عن العدد الخاص الذي أصدرته « السياسة الاسبوعية » عن شوقي (٣٠ ابريل ١٩٢٧)

موضوعيا الى حد كبير يخلو من ذاتية «المناسبة» السريعة الزوال وينجو من افتعال العاطفة المحركة لملكة الابداع .

والحق ان المسافة الزمنية بين المسودة الاولى لمسرحية « على بك الكبير » عام ١٨٩٣ ومآلت اليه عام ١٩٢٧ تؤرخ لذلك الصراع الذى نشب فى ضمير شوقى وفنه وانتهى فى اطار الظروف الموضوعية الكثيرة التى احاطت بمصر الى هذه الثورة العاتية التى ارتادها شوقى فى الادب العربى . فمهما قيل بان مسرحيات شوقى التى تتالت منذ ذلك التاريخ تفتقد الى الغوص فى اعماق الشخصيات ، والى الاصول العريقة فى الفن المسرحى ، وانها تكاد ان تكون مجموعة من القصائد الغنائية .. مهما قيل ذلك عن مسرحيات شوقى فانه سيبقى له شرف الريادة للمسرح الشعرى فى اللغة العربية بما تعنيه هذه الريادة من « **وحدة عضوية** » افتقر اليها شعره السابق، ومن « **حس درامى** » افتقر اليه شعر الاقدمين فى غالبيتهم ، ومن « **نظرة موضوعية** » للكون والاشياء افتقر اليها التراث العربى فى مجموعه. تلك هى الانجازات الكبيرة التى حققها المسرح الشعرى لشوقى . وهى الانجازات التى تغفر له الزلات الكثيرة التى تورطت فيها ابنيته الدرامية، مضافا اليها انه كان يحرث ارضا بكرا ، ظن بها الجدب والبوار امدا طويلا .

ثورة شاملة حتى الجذور

ويبدو الامر الان كما لو ان شوقى وقد تزاحمت من حوله ومن فوقه الاحداث ركاما بعد ركام ، كما احتشدت له اقلام النقاد من كل حدب وصوب ، يبدو انه فى عام ١٩٢٧ عزم على ان يكون « **التجديد** » الذى يدعونه اليه وتدعوه الظروف ، لابد وان يكون تجديدا جذريا عميقا يتصف بكل سمات الثورة الحقيقية ، فهو لم يثر على « **اغراض الشعر** » كما حددها السلف الصالح فحسب ، ولم يثر على « **ادوات التعبير** » كما استخدمها السابقون عليه فحسب ، وانما بلغت ثورته تخوم « **التصور العربى للشعر** » على طول تاريخه . فلم يكن الخيال الدرامى من الخيالات الفنية فى اللغة العربية ، سواء لهذا السبب أو ذاك من الإسباب التى اجهد المؤرخون انفسهم لاحصائها وتبرير خلو الادب العربى من هذا الفن الذى رآه اسلافنا عند الاغريق ولم يلتفتوا اليه. ولقد عرفت مصر والعالم العربى هذه الاشكال الفنية الغريبة فى الاداب الاوروبية من قصة ورواية ومسرح فحاكوها بالاقتباس والتمصير والترجمة والتأليف النثرى العاجز ، ولم يجرؤ على اقتحام هذا الخيال الدرامى العجيب الا شاعرنا الجسور احمد شوقى الذى ظن بادىء الامر انه « تجديد فى الشعر » ولم يدر انه « ثورة فى الادب » تغير كثيرا مما درجنا على قوله محاكاة لبعض الاوروبيين من ان العقلية العربية تفتقد « الخيال التركيبى » وتجنح الى « الخيال البسيط » وهو الخيال الذى لا يثمر سوى الشعر الغنائى .

وبهذه الثورة الشاملة العميقة حتى الجذور، تمكن شوقى من ان يفتح صفحة جديدة فى تاريخ الادب العربى ، مزق فيها قناعه الذهبى الزيف ، واسفر فيها عن وجهه الحقيقى الصادق . ذلك ان الامل — المتحقق بالفعل — قد انهار ، وبزغ فى الافق امل جديد ، ممكن التحقيق . فمن « على بك الكبير » الى « مصرع كليوباترة » الى «قمبيز» الى « مجنون ليلى » الى « عنتره » الى « اميرة الاندلس » الى « الست هدى » استطاع شوقى فى فترة وجيزة — هى السنوات الخمس العظيمة من عمره — ان يقدم نفسه لاول مرة تقديما صريحا مباشرا بغير بهرج ملكى ولا اصباغ خيديوية .

بين الرومانتيكية والكلاسيكية

اذا كان شوقى خاتمة المطاف فى البعث الكلاسيكى للشعر العربى ، فانه كان فاتحة التجديد الدرامى لهذا الشعر . ولكن هذا التجديد لم يهبط بطبيعة الحال من فراغ مطلق ، بل كانت ثقافة شوقى فى صباه الباكر بمصر وشبابه الغض فى فرنسا مصدرا هاما ورئيسيا من مصادر التجديد الذى اختزن بذوره اكثر من ربع قرن حتى واتته الفرصة للنمو والازدهار . ولاشك ان التيار الرئيسى فى ثقافة شوقى الى جانب التراث العربى ، كان الادب الفرنسى . ولقد كانت الرومانتيكية الفرنسية من اهم الاتجاهات الفنية فى هذا الادب حين سافر شوقى الى فرنسا عند اواخر القرن الماضى . ولكن شوقى لم يكتف بالثمار الرومانتيكية وحدها ، بل نهل من مختلف الثمار التى صادفته . ومعظم اعماله المسرحية تؤكد اطلاعه على عيون المسرح الفرنسى الكلاسيكى ، وبخاصة اعمال كورنى . والواقع ان شوقى لم يأخذ اصول الادب المسرحى عن كاتب واحد ، ولا عن مذهب بعينه ، بل جمع بين عدة اتجاهات غربية ، واضاف اليها اتجاهات

اخرى شرقية عربية » (١٣) فلقد تأثر شوقى بالمذهب الكلاسيكى بشكل عام ، ولكنه كثيرا ماامال الى الاتجاه الرومانسى ،سواء فى الحوار الغنائى أو موضوعات الغرام . ولقد تأثر شوقى بكورنى بشكل عام حيث يدور الصراع فى مسرحه بين القيم الاخلاقية المطلقة ونزعات الانسان النسبية، ولكنه ايضا كثيرا ما يدور حول علاقات البشر واغوارهم الداخلية .

وتبدو الكلاسيكية فى اوضح صورها عند شوقى فى اختياره للمآسى التاريخية التى شغل بها فى معظم مسرحياته . وهى المآسى التى تستبعد الصراع اليونانى القديم بين الانسان والكون ، لتستبدل به الصراع « البشرى » بين الحق والواجب ، أو بين الانسان والقيم الاجتماعية السائدة . كهذا الصراع الذى دار فى قلب « نيتيتاس » بين مأساة حبها وفدائها للوطن ، والصراع الذى دار فى قلب « ليلى » بين حبها لقيس ورضوخها للتقاليد ، والصراع الذى دار فى قلب « كليوباترة » بين غرامها بانطونيو وحرصها على استقلال مصر ، والصراع الذى دار فى قلب « عبلة » بين حبها لعنترة والتقاليد العربية . تلك هى المحاور الكلاسيكية — التى دارت من حولها صراعات شوقى الدرامية .

وتبدو الكلاسيكية مرة اخرى فى مسرح شوقى باتخاذه الشعر اداة رئيسية فى التعبير . ولعل المفارقة الوحيدة التى تصادفنا فى هذا الصدد ان شوقى اجرى حوارا شعريا خالصا فى مسرحية « الست هدى » بالرغم من جريان احداثها فى حى الحنفى بالسيدة زينب ، بينما اجرى حوارا نثريا خالصا فى مسرحية «اميرة الاندلس» وبطلها الشاعر الملك « المعتمد بن عباد » .والوجه الاخر للمفارقة هو ان « الست هدى » كوميديا اجتماعية يناسبها النثر بل والنثر العامى كما قال مندور ، بينما « اميرة الاندلس » دراما تراجيدية يناسبها الشعر فى المقام الاول . وربما كانت المزاوجة بين الشعر والشعر المرسل هى الحل الامثل لهذا التناقض الذى تورط فيه شوقى ، وهو الحل الذى اقدم عليه شكسبير فانجز لاعماله العظيمة : وحدة عميقة بين الشكل والمضمون .

ولكن شوقى من ناحية اخرى لم يخضع فى بنائه الدرامى خضوعا كاملا للمذهب الكلاسيكى، فلم يأخذ بنظام الوحدات الثلاث بل حاكى شكسبير فى تحطيم وحدتى الزمان والمكان ، وان تطرف شوقى فى تحطيم هذه الوحدات حتى انه لم يأخذ احيانا بوحدة الموضوع مما تسبب فى ظاهرة « التفكك» الواضحة على معظم اعماله . وخرج شوقى كذلك على الفكرة الكلاسيكية بشأن « النهايات » المسرحية حيث ان الكلاسيكيين يصرون على خاتمة حزينة تماما للتراجيديا ، وخاتمة مضحكة تماما للكوميديا . . وقد يزاوج بعضهم بين الخيط التراجيدى والخيط الكوميدى فى النسيج الواحد ، ولكن النهاية الكلاسيكية ينبغى ان تكون « خالصة » لوجه التراجيديا أو الكوميديا . اما شوقى فقد « ميع» نهايات بعض اعماله من وجهة النظر الكلاسيكية بتخليص المأساة من ذروة التراجيديا كما هو الحال فى « عنترة » و « اميرة الاندلس » وتخليص الملهاة من ذروة الكوميديا كما هو الحال فى«الست هدى ». ولقد خرج شوقى اخيرا على المعجم الكلاسيكى الذى ينص على استقلال فن المسرح عن غيره من الفنون وبخاصة فنون الرقص والغناء ، فادخل الشىء الكثير من هذه الفنون على اعماله حتى ان الدكتور مندور يقترح لو أن هذه الاعمال قد لحنت وتحولت الى اوبرات غنائية .

وهكذا فقد تأرجح مسرح شوقى بين الرومانسية والكلاسيكية ، ويذهب بعض النقاد الى انه حقق للشعر الغنائى — فى هذا المسرح — انجازات لم تحققها قصائده غير الدرامية . ويذهب آخرون الى ان هذا الشعر الغنائى هو الذى « جمد » الحركة الدرامية فى البناء المسرحى بحيث اصبح هذا البناء مجموعة من القصائد يربطها خيط واه من الاحداث . والحق ان الارض البكر التى حرثها شوقى — ارض الادب العربى الخالية من جذور درامية — هى التى اثمرت هذا الشكل المركب من الخيال الرومانسى البسيط ، والخيال الدرامى المعقد ، بحيث اننا نظلم شوقى ظلما فادحا اذا طالبناه وهو يرتاد طريقا مجهولا أن يعطينا مسرحا متكامل القسمات . كما اننا نظلم الحقيقة ظلما فادحا كذلك اذا اعتبرنا مسرح شوقى مسرحا دراميا خالصا . فلاشك ان الشاعر الغنائى قد غلب صوته على كثير من المشاهد بحيث ان موضوع المسرحية بدا وكانه « مناسبة» للغناء كالمناسبات التى تغنى بها شوقى خارج المسرح . ولكن الكاتب المسرحى ايضا قد اثبت وجوده فى خلق هذا التصور الدرامى للحياة ، وهو التصور الذى يبدو لنا بدائيا الان ، وان كان ثورة حقيقية على التصور الادبى السائد على اللغة العربية آنذاك .

---

(١٣) د. محمد مندور « مسرحيات شوقى » — الطبعة الثالثة — (ص ١٩).

افكار شوقى على خشبة المسرح

هل صاحب انتقال شوقى من ساحة القصر الملكى ، الى خشبة المسرح انتقال مماثل فى عواطفه وافكاره ؟ تلك هى القضية التى شغلت الكثيرين من مؤرخى الشعر والمسرح على السواء. وتجيب الخامة الاولية التى اختارها شوقى نسيجا دراميا لاعماله بأن ثورة شوقى لم تكن قط ثورة شكلية قاصرة على القالب الفنى دون محتواه ، فلا ريب ان هذا الشكل كان انعكاسا بصورة او باخرى للتحولات العاطفية والفكرية التى طرأت عليه فى اواخر حياته . ولكن خصوم شوقى يثيرون سؤالا مبدئيا هو : لماذا اختار شوقى من بين عصور مصر واحداثها عصور الضعف واحداث الهزائم ؟ الا يقيم هذا دليلا قويا على ان شوقى لم يتغير قط وانه لا يزال على موقفه من مصر ، يكمن لها العداء ؟ اليس هو القائل عن شعب مصر انه « **ببغاء عقله فى اذنيه** » ويفتتح « مصرع كليوباترة » بان الشعب المصرى يصفق « **لمن شرب الطلا فى تاجهم واحال عرشهمو فراش غرام** » ؟

وما لاريب فيه ان شوقى لم يتخلص تماما من رؤيته الفكرية السابقة على كتابته للمسرح ، ولكنه ايضا — وبنفس المقدار — قد اضاف الى هذه الرؤية ، وحذف منها ، مايجعل لتاليفه الدرامى رؤية جديدة . ولعل اختياره للحظات الهزيمة فى تاريخ مصر لا يشكل بالضرورة موقفا معاديا للشعب المصرى ، وكذلك التقاط هذا البيت او ذاك من مجموع مسرحياته لايقيم دليلا حاسما على معاداته لهذا الشعب . اقول ذلك بالرغم من ان شوقى لم يتحول قط الى موقف الشعب ، وان تحول الى حد كبير عن موقف القصر . ان شوقى الذى ارتبط تاريخيا باكثر القوى رجعية وتخلفا لم يكن ليستطيع ان ينتقل دفعة واحدة الى صف الشعب . وانما اختار شوقى ان يقف الى جانب الطبقة البرجوازية التى شاركت فى عرش السلطة بنصيب غداة ثورة ١٩١٩ . وتدل قصائده عن بنك مصر والدستور والبرلمان والائتلاف الحزبى على هذه الوقفة الجديدة التى تختلف بغير شك عن تخصصه السابق فى مدح الخديوى . ولقد كانت البرجوازية المصرية — طبقة وحضارة — خطوة اكثر تقدما فى حياة الشعب المصرى . وكان المسرح فنا برجوازيا متقدما فى تاريخ الادب العربى . ولذلك كان مسرح شوقى — شكلا ومضمونا — بمثابة التعبير الفنى الناجح عن تطلعات الطبقة الجديدة . اما اختياره للحظات الهزيمة فى تاريخنا فقد كان اختيارا فنيا دقيقا لمعنى « المأساة » فالهزيمة ومناخها من اصلح المواد لبناء التراجيديا . ومما يرجح هذا الاختيار « الفنى » اختياره كذلك للاسطورة الشعبية — فى مسرحية قمبيز على سبيل المثال — بدلا من الواقع التاريخى . فهذه الاسطورة اكثر جمالا — من الناحية الفنية — من ذلك المناخ السياسى والاقتصادى الذى ساد مصر آنذاك وادى الى الهزيمة . وتقول الاسطورة فى حالة قمبيز انه استعد لغزو مصر وبادر الى اذلالها لان فرعون خذله حين طلب منه يد ابنته فأعطاه ابنة اخيه المقتول . وعلم قمبيز الحقيقة من احد الضباط الجواسيس من الاغريق حيث كان جيش مصر فى معظمه من المرتزقه . وكذلك خرج شوقى على النصوص التاريخية فى مأساة كليوباترة فراح يربط بين حبها لانطونيو وحبها لمصر ، وكان الحل فى نظرها ان تفنى الرومان بأيدى بعضهم البعض لتحتفظ هى بمصر واستقلالها بل وسيادتها على العالم .

ولقد كان جنوح شوقى الى جانب الاسطورة اكثر من لجوئه الى التاريخ بمثابة الاجابة الشافية على شك المتشككين ، فهو لم يقصد الى فقدان الثقة فى مصر وشعبها ونضالها بقدر ما استهدف العكس. ضحت «نيتيتاس» بنفسها فدية لوطنها فى « قمبيز » وضحت « كليوباترة » بقلبها فدية لمصر فى «مصرع كليوباترة» على ان هذه التضحيات لا تأتى فى أعمال شوقى من جانب الشعب فى مجموعه ، وانما من جانب اصحاب الدماء الزرقاء، على اية حال لم تكن هذه المسرحيات « حفلات تتويج » للملوك والسلاطين والخلفاء العثمانيين ، وانما كانت هزائم متلاحقة لهم ، واملا وليدا فى طبقة جديدة ، ليست هى الشعب وليست هى العرش ، ولكنها بين بين .

ويتضح ذلك ايما وضوح فى « القيم الاخلاقية » التى يدعو اليها شوقى فى تضاعيف مسرحياته ، انها القيم الجديدة التى تدعو اليها البرجوازية بغير زيادة ولا نقصان . وليس من تناقض بين ان تتزوج ليلى من ورد الثقفى وان يسمح زوجها لقيس ان يخلو بها .. هذا « الشذوذ » فى تصور العلاقات الاجتماعية فى القبائل العربية بالحجاز ليس الا تبشيرا بذلك اللون الجديد الوافد على العلاقات الاجتماعية المصرية حيث يصبح « الحب والزواج » من القضايا « البرجوازية » المطروحة للبحث . ولم يكن قبول « عبلة » الزواج من عنتر الا ثورة عاتية على القيم القبلية المستحكمة فى بناء المجتمع . كيف يتزوج العبد الاسود ابن الامة السوداء احدى بنات الاشراف ؟ ان صياغة شوقى وانحيازه المطلق الى جانب عبلة ليس الا صياغة « برجوازية » لفكرة الاخلاق وانعتاقا من قيم القبيلة التى كانت تحكم مصر ».

وربما كانت آخر مسرحيات شوقي « الست هدى » الدليل الاكبر على تحوله الجديد ، فكريا وعاطفيا ، نحو افكار طبقات جديدة وعواطفها . فالست هدى هي الزوجة الثرية التي يهرول خلفها الازواج بغية الحصول على ثروتها ، فما كان منها الا ان سخرت منهم جميعا فلم تمت بل مات بعضهم وهي لا تزال حية ترزق . وحين ماتت اكتشف زوجها الاخير انها أوصت بكل ثروتها لجهات البر وبعض الاهل . وليس من شك كما يقول الدكتور محمد مندور « في ان هذا الموضوع قد كان اكثر مواتاة لاتجاه شوقي الاخلاقي بحيث يمكن القول انه لو امتدت به الحياة واستمر في تصوير واقعنا الاجتماعي والاخلاقي على هذا النحو لاصاب من النجاح اكثر مما اصاب في مآسيه التاريخية »(١٤)

[ج]

حياته في سـطور

● يختلف المؤرخون حول تحديد ميلاد شوقي بين عامي ١٩٦٨و١٩٧٠ ، وكان والده علي شوقي وشهرته « النجده لي » نسبة الى نجد احدى قرى الاناضول بتركيا .. ويرجع اصل اسرته الى الاكراد فالعرب الذين هاجروا الى بلاد الاكراد شمالي العراق ، وقد حضر جده لوالده الى مصر مشفوعا بوصاية احمد باشا الجزار والى عكا الى والى مصر محمد على باشا . وكان جده يجيد الكتابة والحديث بالعربية والتركية ،فالحقه محمد على بحاشيته ، وصار يتدرج في المناصب الهامة ، حتى عينه سعيد باشاامينا للجمارك المصرية

● وانتقل احمد شوقي وهو في المهد ليعيش في كنف جدته لامه الغنية الوصيفة بالسراي، ويروى احمدشوقي نقلا عن جدته انها دخلت به على الخديو اسماعيل وهو في الثالثة من عمره ، وكان بصره لاينزل عن السماء ،من اضطرابفياعصاب عينيه ، فطلب الخديو حبات من الذهب تم نثرها على البساط عند قدميه ، فراح الصبي يلعب بها ، وقال الخديو : « اصنعي معه مثل هذا فانه لن يلبث ان يعتاد النظر الى الارض»، فقالت الجدة هذا دواء لايخرج الا من صيدليتك يامولاي . فقال : « جيئني به الى متى شئت اني آخر من ينثر الذهب في مصر » .. ومما يؤثر علىاحمدشوقيقوله : « ولدت بباب اسماعيل » . للتدليل على مدى صلته وعلاقته بالسراي .

● وقد توفي الجد عن ثروه كبيرة بددها ابوه في شبابه ، وفي عهد الخديو توفيق صدر قرار بتعيين ابيه مفتشا في الخاصة الخديوية ، وقد تركت حكاية تلك الثروة التي بددها الاب اثرها في نفسية احمد شوقي ، وكان ذلك باعثا على اذكاء طموحه الى الثروة والجاه في حياته .

● وحصل شوقي على الشهادة الابتدائية من مدرسة الشيخ صالح ، والثانوية من المدرسة الخديوية ، ودخلمدرسة الحقوقعام ١٨٨٣فوجد معارضة من ناظرها بسبب صغر سنه ومكث بها مدة سنتين ، ثم انتقل الى قسم الترجمة بنفس المدرسة وحصل منهاعلى الشهادة النهائية بعد سنتين .

● وقرا شوقي في صباه تاريخ الادب وتراث الشعر العربي ، وقد تأثر بشكل خاص بالمتنبي والبحتري وابي نواس والبارودي ، وظهرت موهبته الشعرية في فترة مبكرة ، اذ كان يحول المعلومات في دروس الجغرافيا والتاريخ الى شعر قوي جميل غني بالصور والموسيقى ، ممايكشف عن خياله الواسع وذوقه الادبي في تلك السن المبكرة .

● واستدعاه الخديو توفيق بعد تخرجه والحقه بالحاشية ، وعينه مترجمافي القسم الافرنجي بالديوان ، وكان ذلك في حوالي عام ١٨٨٨ ، ومكث به مدة عام ،

(١٤) المرجع السابق (ص ٤٥) .

ثم سافر بعد ذلك الى فرنسا لدراسة الحقوق على نفقة الخديو توفيق ـــ وكانت رغبة الخديو ان يتوفر شوقى على دراسة الادب الفرنسى .

● ومكث شوقى فى فرنسا اربعة اعوام وبعث اليه الخديو عباس حلمى الثانى الذى خلف والده الخديو توفيق فى ذلك الوقت يطلب منه البقاء فى باريس مدة ستة شهور اخرى على نفقته الخاصة ، يقضيها فى التعرف على معالم المدينة والثقافة الفرنسية ، وقد افاد شوقى من وجوده فى فرنسا وتأثره بالحياة والثقافة الفرنسية ، وبخاصة أدب لافونتين ولامرتين وفكتور هيجو .

● وكان شوقى اثناء وجوده فى فرنسا يكتب الشعر فى مدح الخديو توفيق والخديو عباس من بعده ويبعث به الى السراى فى المناسبات المختلفة ، كما نظم الشعر فى وصف الحياة الباريسية مثل قصيده « غابة بولونيا » ، وقد حاول شوقى ان يستجيب فى فنه للدعوة القائمة حينذاك الى التجديد فى اوجه الحياة الاجتماعية والثقافية فى مصر ، وذلك بما استحدثه من الاساليب والمعانى الجديدة فى شعره والابتعاد قدر الامكان عن الصيغ المطروقة والمعانى الجامدة المكررة ، ووضع شوقى اولى محاولاته الشعرية المسرحية وهى رواية « على بك الكبير » ، فى عام ١٨٩٢ ، وبعث بها الى السراى ، وقد ضاعت اجزاء من هذه المسرحية ولكنه احتفظ بمقطوعات منها ضمها ديوانه الاول ، وترجم قصيدة «البحيرة» للشاعر الفرنسى « لامرتين » ونظم مجموعة من الحكايات الشعرية للاطفال عن الحيوانات ظاهرها الطرافة والتسلية وباطنها الحكمة والموعظة ، مقتفيا بذلك اسلوب الشاعر الفرنسى « لافونتين » فى حكاياته الطريفة البسيطة ، وذلك فى محاولة لايجاد شعر للاطفال قريبا من اذهانهم .

● ورجع شوقى الى مصر فى اوائل عام ١٨٩٣ وعين رئيسا القسم الافرنجي بمعية الخديو ، وازدادت اواصر الصداقة بينه وبين الخديو عباس الثانى ، واصبح يلقب بشاعر الامير والمعبر عن سياسته .

● وفى عام ١٨٩٥ ندب شوقى لتمثيل مصر فى مؤتمر المستشرقين الدولى الذى عقد فى جنيف ، والقى امام المؤتمر قصيدته الطويلة الشهيرة بعنوان « كبار الحوادث فى وادى النيل » عرض فيها لتاريخ تطور الحضارة المصرية منذ ايام الفراعنة حتى ظهور الاسلام .

● وفى عام ١٨٩٧ نظم شوقى قصيدته الطويلة الثانية بعنوان « صدى الحرب » يسجل فيها وقائع الحرب العثمانية ـــ اليونانية ، ويمجد فيها الدولة العثمانية والخليفة الاسلامى السلطان عبد الحميد ، وقد لقيت القصيدة ترحيبا شديدا فى الاوساط الادبية فى القاهرة والعالم العربى لما حوته من دقة الوصف وروعة التصوير .

● وفى عام ١٨٩٨ ظهرت الطبعة الاولى من ديوان « الشوقيات » متضمنا القصائد التى نظمها شوقى خلال الفترة من عام ١٨٨٨ ـــ ١٨٩٨ ، وقد تولى شوقى فى مقدمة ديوانه الرد على معارضيه بالنسبة لاكثاره من شعر المديح ، بالرغم مما عرف عنه من انتقاده وتبرئه من الشعراء العرب القدامى لاغراقهم فى مدح الملوك والامراء واتخاذهم من الشعر حرفة وتجارة فقال : « هنا يسأل سائل ، وما بالك تنهى عن خلق وتأتى مثله . فأجيب ، انى قرعت أبواب الشعر وانا لا اعلم من حقيقته ما اعلمه اليوم ، ولا أجد امامى غير دواوين للموتى من الشعراء لامظهر للشعر فيها ، وقصائد للاحياء منهم يحذون حذو القدماء ، والقوم فى مصر لايعرفون من الشعر الا ماكان مدحا فى مقام عال ولا يرون غير شاعر الامير ، فما زلت اتمنى هذه المنزلة ، واسمو اليها على درج الاخلاص فى حب صناعتى واتقانها وصونها عن الابتزال حتى وفقت بفضل الله اليها » .

● ومع بداية القرن العشرين كان شوقى قد بلغ قمة الشهرة فى كافة ارجاء العالم العربى ، ولم يكد يتجاوز الثلاثين بقليل ، وصار يلقب بأمير الشعراء تمجيدا لموهبته ونبوغه .

● وبين عامى ١٩٠٤ و ١٩٠٥ وضع شوقى قصة نثرية طويلة بعنوان « عذراء الهند » ونشرت مسلسلة فى جريدة الاهرام فى ذلك الوقت ، كما كتب ايضا فى تلك الفترة اربع قصص اخرى هى «دل» و«تيمان» و« لادياس » و « بنتاءور » .

● وفى اواخر عام ١٩٠٦ نظم شوقى قصيدته الشهيرة عن حادثة « دنشواى » ويرجع اهتمامه بالسياسة الى طبيعة عمله كشاعر للامير وكهمزة للوصل بين السراى والحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل .

● وبعد وفاة مصطفى كامل فى عام ١٩٠٨ ، ساءت العلاقة بين شوقى وبين القوى الوطنية نتيجة وقوف شوقى الى جانب الخديو عباس والدفاع عن سياسته فى مهادنة الانجليز وتنكره للقوى الوطنية ، التى كانت تنادى فى ذلك الوقت بالدستور وبتحقيق الجلاء والاستقلال عن بريطانيا . هذا فضلا عن عشرات الابيات من الشعر التى كان يكتبها شوقى فى جريدة « المؤيد » فى ذلك الوقت ويسخر فيها من احمد عرابى والعرابيين بدون توقيع .

● وفى عام ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الاولى ، واعلنت

الحماية على مصر ؟ وفى عام ١٩١٥ اقال الانجليز الخديو عباس عن العرش لميوله لتركيا والمانيا ، وولوا السلطان حسين كامل مكانه ، واعلن شوقى سخطه ومعارضته لهذه السياسة من جانب بريطانيا وعبر عن ذلك فى شعره ، فأثار سلطات الاحتلال ضده ، وصدر قرار بنفيه الى مالطه ، ثم توسط له بعض ذوى الشأن لدى دار المندوب البريطانى ، فسمح له بالسفر الى اسبانيا ، ورحل شوقى عن مصر ومعه اسرته وبعض الخدم .

● وخلال اقامته فى المنفى لم يفارقه الشعور بالوحدة بعيداً عن الوطن والحنين الى الاقارب والاصدقاء ، والشوق الى امه العجوز التى تركها فى حلوان ، فكان ينفق معظم اوقاته فى زيارة معالم الآثار العربية بالاندلس والجلوس ساعات طويلة فى حدائقها ومطالعة الكتب ودواوين الشعر التى استحضرها معه من القاهرة ، وعبر شوقى فى معظم قصائده التى كتبها فى المنفى عن حبه وحنينه الشديد الوطن ولنهر النيل ، وشوقه لامه العجوز ، ومحنة المنفى ولوعة الغربة ، والتغنى بامجاد الحضارة العربية الخالدة فى الاندلس . وكتب مسرحية نثرية بعنوان « أميرة الاندلس » وهى مأساة من وحى تاريخ الاندلس عن الاميرة بثينة بنت الملك المعتمد ابن عباد ملك اشبيلية ، ولم تنقطع صلته بمصر خلال اقامته فى المنفى ، فكان يتبادل الرسائل مع اصدقائه فى القاهرة وخاصة الشاعرين حافظ ابراهيم واسماعيل صبرى شيخ الشعراء .

● وفى عام ١٩١٩ وبعد انتهاء الحرب وهزيمة تركيا والمانيا ، عاد شوقى الى مصر ، بعد ان سمح له السلطان احمد فؤاد بذلك ، وليساهم فى الحياة السياسية والاجتماعية وقد بدى واضحا الاهتمام فى شعره بالقضايا الوطنية ، وتأييد السياسة البورجوازية الاصلاحية فى مجالات الاقتصاد والتعليم وفى تمجيد العروبة والاسلام ، وعين عضوا بمجلس الشيوخ فى عام ١٩٢٤ .

● وفى شهر ابريل عام ١٩٢٧ عقد بالقاهرة مهرجان شعرى ضخم حضره عدد كبير من الشعراء والسياسيين من كافة انحاء الوطن العربى ، بايعوا فيه احمد شوقى بامارة الشعر العربى .

● وفى عام ١٩٢٧ وضع شوقى رواية « مصرع كليوباتره » اولى اعماله المسرحية الشعرية ، وقد مثلت على مسرح الاوبرا الملكية فى ذلك الوقت ، وكان ظهور الرواية الشعرية فى هذا الوقت على المسرح العربى حدثا ادبيا خالدا فى تاريخ الادب واللغة العربية ، ويعتبر ردا على مزاعم القائلين بأن الشعر العربى على عكس الشعر الاجنبى لا يتسع للرواية المسرحية ، وقد اراد شوقى ان يحقق رسالة الشعر العربى وان يخلد فى اللغة العربية ما خلده شكسبير فى اللغة الانجليزية .

● وكان الاقبال العظيم الذى لقيته رواية مصرع كليوباتره ، ان دفع شوقى الى مواصلة الطريق بالرغم من ضعف صحته فى تلك السن المتأخرة ، فوضع مسرحياته الشعرية مجنون ليلى ، وقمبيز ، وعنتره ، والست هدى ، والبخيلة ، واخيرا رواية على بك الكبير التى اعاد كتابة فصولها من جديد ، وفيما عدا روايتى الست هدى والبخيلة اللتين كتبهما بأسلوب النثر ، فان بقية الروايات تقوم على الاحداث التاريخية ، وانه على الرغم من ضعف المضمون والاخطاء التاريخية والبناء الدرامى بشكل عام فى كل من هذه المسرحيات ، حسب الاصول المرعية فى الفن الدرامى ، فهى تكشف عن مقدرة شوقى الشعرية والغنائية العظيمة ، وتعد هذه المسرحيات فى نظر كثير من الكتاب والنقاد مثل المرحوم الدكتور محمد مندور الذى من رأيه : بأن هذا الفن قد دخل بفضلها ضمن تراثنا الادبى الخالد » .

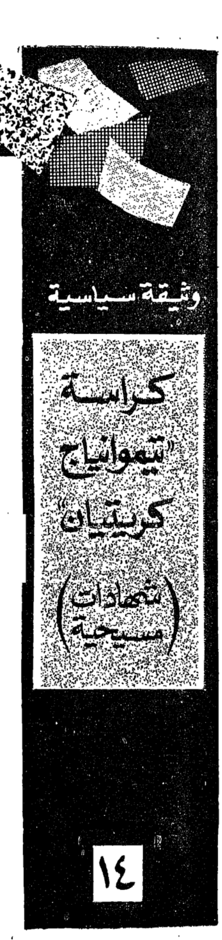
● وكانت صحة شوقى قد ساءت كثيرا فى السنوات الاخيرة ، نتيجة السهر والمجهود الادبى المتواصل ، كما اصيب فى اواخر ايامه بمرض تصلب الشرايين ، وكان يعانى طول حياته من ضعف اعصابه .

وكانت آخر اعمال شوقى الشعرية قصيدة نظمها لجمعية مشروع القرش ، وكان من المقرر ان تلقى فى حفل افتتاح مصنع الطرابيش فى يوم ١٤ اكتوبر عام ١٩٣٢ . وفى مساء ١٣ اكتوبر عاد شوقى الى داره « كرمة ابن هانىء » بالجيزة ليلفظ فى تلك الليلة انفاسه الاخيرة على اثر نوبة قلبية حادة ، وتوفى متأثرا بمرضه تصلب الشرايين ، بعد حياة استمرت ٦٤ عاما حافلة بالجاه والثروة والمجد .

مؤلفات شوقى

الشوقيات اندلسيات اسواق الذهب	دواوين شعر
مصرع كليوباترا مجنون ليلى عنترة على بك الكبير قمبيز	مسرحيات شعرية
اميرة الاندلس الست هدى البخيلة	مسرحيات نثرية
عذراء الهند دل تيمان لادياس بنتاءور ورقة الآس	قصص طويلة





جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية

فى هذا العدد تواصل الطليعة نشر الوثائق التى صدرت عن « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » وهى جماعة تستهدف توضيح الحقائق وتجميعها أمام الرأى العام العالمى بهدف فهم اكثر عمقا للمشكلة الفلسطينية ، وبهدف اتاحة الفرصة للكثيرين للتعرف على الابعاد الحقيقية لها .

وترجع أهمية هذه الوثائق الى صدورها عن عدد من كبار الكتاب والمفكرين الفرنسيين الذين يرفضون الدعاية الصهيونية ، وان كان بعضهم لا يلتقى تماما مع الموقف العربى ..

ان « الطليعة » اذ تنشر هذه الوثائق بالرغم من احساسها ببعض الاختلاف مع بعض وجهات النظر التى أبديت فانها تشعر انها تقدم للقارىء العربى نموذجا من التفكير الاوربى تجاه القضية الفلسطينية .. وأنها

 ↑

تقدم فى نفس الوقت عددا من الوثائق والافكار والآراء التى لا غنى عنها لاى بحث جاد عن القضية .

انها محاولة لتفهم حقيقة الافكار التى تحرك الرأى العام فى اوربا ، وهى بلا شك الخطوة الاولى لكسب هذا الرأى العام .

■■■

جوانب ثلاثة أساسية

م. جانتى

لا أريد أن أكرر ما قاله غيرى من قبل بشكل أفضل مما أستطيع . ولكنى انتهز هذه الفرصة لكى الفت نظركم الى آن هناك ثلاثة جوانب فى القضية الاسرائيلية تبدو لى أساسية:

أولا :أن دولة اسرائيل هى بلا منازع ثمرة استعمار بالمعنى الكامل للكلمة . فقد نمت الهجرة الصهيونية بينما كان عرب فلسطين تحت سيطرة الاتراك،ثم الانجليز ولا يتمتعون بالسيادة فى أراضيهم . ولو أن عرب اسرائيل كانوا سادة بلادهم ، لمنعوا هذه الهجرة ، ربما استطاع أحد أن يأخذ ذلك عليهم . الم يفعل الامريكيون ذلك بالنسبة للاسيويين ، وبالنسبة لليابانيين بالاخص ، لخوفهم من أن يكون الغزو السلمى بداية لغز عسكرى ؟

ومن جهة اخرى فمن المحتمل بل ومن المؤسف أيضا ، أن معاداة الصهيونية لم تتميز دائما عن معاداة السامية . ومن الواضح تماما أن الهجرة الصهيونية التى اتخذت شكلا منتظما ابتداء من عام ١٩١٩ كان لابد وان تثير ردود فعل عاطفية من جانب العرب وأن نشوب النزاع بين الدولة الجديدة وجيرانها كان لابد وآن يجعل وجود اليهود المقيمين فى البلاد العربية صعبا . لانهم لابد وأن يشتبه فى تعاطفهم مع دولة أجنبية ومعادية . وعى هذا الاساس لا يمكن أن نضع على نفس المستوى مشكلة اللاجئين العرب الناجمة أصلا عن قيام دولة اسرائيل ومشكلة اللاجئين اليهود ، وهى قضية ثانوية جاءت كرد فعل غير مباشر لقيام اسرائيل .

وأخيرا ، اذا كان زوال اسرائيل كدولة أمرا غير معقول - حتى ولو سعى اليه بعض اليهود غير الصهيونيين ، واذا كان الرأى العام العالمى فى أغلبيته الساحقة يعترف بحقها فى الوجود ، فيجب أن نقر بأن قيام اسرائيل الناتج من نشاط اليهود وعن قرار الامم المتحدة ، ثم ضد ارادة العرب أصحاب المصلحة الاولى . واذا كانت تريد ان تعيش فى أمن ، فعليها أن تقوم هى من جانبها بالتنازلات الضرورية التى تجعل العرب مستعدين باخلاص على قبولها . ولن نتوصل الى حل ذى قيمة ، وبالتالى حل دائم ، اذا كان مفروضا على العرب من الخارج سواء بقوة السلاح من جانب اسرائيل ، أو بالضغوط السياسية أو المعنوية من جانب الامم المتحدة أو من جانب الدول الصديقة .

■■■

ضرورة تعويض المظالم الفادحة

موريس دى جاندياك

فى بداية سبتمبر ، ألقى العميد لاحبابى ، من كلية الاداب بالرباط محاضرة فى جناح الشباب بالمعرض الدولى بمونتريال ، مما سمح لى بشرح موقف جماعتنا وايضاح الحقيقة حول بعض النقاط التاريخية غير المعروفة جيدا . لم تكن محاضرة لاحبابى سياسية فى شىء ،ولكن

الاسئلة التى وجهت اليه مست القضايا الحيوية ، أشار المتكلمون الباكستانيون الى وقوف الرأى العام « الغربى » بالاجماع الى جانب اسرائيل . وقد طلبت الكلمة لكى ألفت النظر الى أن عددا كبيرا من المتخصصين لدينا فى دراسة الشؤون الاسلامية ، ومن المثقفين الموضوعيين الذين يعرفون المغرب والشرق الادنى يعملون منذ شهور من أجل تبصير الرأى العام لايجاد حل بالمفاوضات ، لا يلقى الشر على جانب واحد ولا يتعرض لقضية وجود اسرائيل ، ولكنه يؤكد خطورة القضية الفلسطينية ، وضرورة التعويض عن المظالم الفادحة . وقد لفت الانظار الى أن هناك علماء يهودا يعملون فى هذا الاتجاه ، وأنه يبدو لنا أنه من الضرورى ان نبحث عن حل بعيد تماما عن أى انحياز عاطفى أو أى استشهاد بالتوراة أو التلمود لاتخاذه حجة من أجل التعصب القومى الجديد . ويبدو لى ان هذه الملاحظات المختصرة قد لاقت صدى فى جناح الشباب بمونتريال ».

■■■

حلان ممكنان

أ . ج « باريس »

يبدو أن هناك حلين ممكنين : **الاول** يتمثل فى القول بأن اسرائيل كدولة ، تمثل خرقا للعدالة والحقوق . واذا كان من حق الشعب الاسرائيلى ان يعيش فى أرض اسرائيل ، فان حكومته غير شرعية (استبعد الحل المتمثل فى القاء اليهود فى البحر)

وفى هذه الحالة يجب اقامة دولة فلسطينية (منظورة) VIRTEL ذات حكومة حقيقيه تكافح من أجل تحررها . وعلى الذين يتكلمون عن فيتنام فى الشرق الاوسط أن يتدارسوا ظروف كفاح الشعب الفيتنامى . وبوسعهم أن يتذكروا ايضا حرب الجزائر ؟ ،ولكن يبدو لى ان هذا المطلب أكثر من اللازم واذا كان العرب يسمحون للشقيرى بالتشدق الديماجوجى ، فانهم يأبون عليه أن يكون منطقيا وأن يكون بالتالى واقعيا .

وهذا الحل سياسى فى رأيى ومن المكن الدفاع عنه ولو أنى لا أؤيده .. اما الحل الاخر فهو على النقيض ويتمثل فى اقرار السلام . وانا لا اتعرض للجانب الدبلوماسى ، فكل حكومة تختار سياستها بنفسها . وقد تبدل اوراقها بسرعة أو على مهل ، وهذا من شأنها ، ولايؤثر اطلاقا على الهدف النهائى .

يجب ان نبدأ اذن من الواقع (١) :

١ — لن تقبل اسرائيل أى مشروع لايصمن لها امنها بشكل ملموس (لا شفويا فقط) .

٢ ـ لايمكن أن يتخلى حسين عن الضفة الغربية للاردن دون أن يحكم على نفسه وعلى شعبه بالفناء .

٣ ـ الرأى العام العربى معبأ تماما بحيث لا يمكن أن يقبل بسهولة أى تحول فى سياسته .

٤ ـ اسرائيل دولة متقدمة تكنيكيا .

٥ ـ العالم العربى يضم ثروات كامنة ، ولكنه فقير بالفعل . ويجب أن نرسى ايضا قواعد اساسية :

ـ حق الفلسطينيين فى أن يعيشوا كآدميين فى أى مكان يرغبونه .

ـ حق الاسرائيليين فى ان يعيشوا حيث يريدون بسلام .

ـ حق الجميع فى التطور .

ولايمكن التوفيق بين كل هذه الاعتبارات الا باقامة نظام كونفيدرالى يضم أكثر من قومية . ولايمكن تصور ذلك فى المدى القريب . ولذا لابد من المرور بمراحل : يجب تثبيت حدود ما قبل ٥ يونيو ، وخلق علاقات خاصة تؤدى الى وحدة اقتصادية اردنية اسرائيلية . ومن المكن ان نتصور :

ـ كيان يشمل اسرائيل والاردن

ـ كيان اسرائيل الذى يضم (الضفة الغربية للاردن والضفة الشرقية) .

(١) أى محاولة لوضع مشروع للسلم غيرذات معنى ، ما لم تكن مقبولة من الطرفين، اى يحترم ما يعتقد كل منهما انه حق مشروع له ، واذا نعذر الاتفاق على مشروع مشترك... لا نجد امامنا سوى الحل الاول .

مع اعتبار الضفة الغربية اقليما مستقلا من الاردن، وذات علاقات اقتصادية مع اسرائيل ومنزوعة السلاح . فانه من الممكن العمل على تحييد هذه المجموعة ».

وتستطيع اسرائيل أن تساهم في تطوير هذه المناطق ، وهنا سيقوم عرب اسرائيل بالذات بدور أساسي ».

واسرائيل وحدها هي التي تستطيع أن تقوم بدور المحرك الذي يدفع الحركة في المنطقة . واذا لم تتمكن اسرائيل من ذلك فلا بد من الانتظار طويلا ، لان نجاحات الاغنياء في تطوير الفقراء مشكوك في نتائجها .

اما بالنسبة للقدس فانها تصبح عاصمة للدولة الكونفدرالية . والمسألة عسيرة في الذي القصير ؟ ومن الممكن التوصل الى حل باعلان القدس القديمة « مدينة حرة » . اما اقتراح السيد شابيرا (٢) فيصطدم بمشكلة تكنيكية .

وستكون القدس عاصمة مزدوجة ذات عملتين قابلتين للتبادل بحرية او عن طريق عملة ثالثة . واذا كانت العملتان قابلتين للتبادل فان العملة الرديئة ستطرد العملة الجيدة فورا لتكتنز أو تستثمر في بلاد اكثر رخاء. وستجذب الثروة، أما اذا لم تكونا قابلتين للتبادل فان العملة الرديئة توصل الى حل للتغلب على المشكلة .

وقد يكون هذا الاقتراح مغريا جدا اذا امعنا فيه النظر. غير ان المشكلة النقدية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالحل السياسي المرتقب. فامكانية تبادل العملات يستدعي تنسيقا بين السياسات الاقتصادية وقد يكون مثمرا في النهاية . ولكن لابد من رسم هذه السياسات بوضوح حتى لاتنشأ عنها توترات ناتجة عن عدم التوازن في المنطقة .

واسرائيل من اكثر البلاد رخاء، وستجتذب الاستثمارات . اما الاتجاه العكسي فلن يكون تلقائيا، بل يجب ان يعمل الطرفان من اجله . ونجاح مثل هذا النظام الكونفيدرالي يتوقف على رغبة الطرفين في التعاون لكي تتمكن الاردن من التطور . ويتوقف ذلك على اسرائيل اكثر مما يتوقف على الاخرين ، خاصة اذا كانت رءوس الاموال غير كافية ، لابد من توفر مساعدات فنية وخبرات قادرة على البذل لكي تحول الصحراء الاردنية الى مزارع . وليس هناك مايدعو الى اليأس ».

■■■

كل الأجناس توجد في إسرائيل

ر. ديمون « باريس »

الحدث في مونتارجيس على استحالة تعريف اليهودي عندما يتخلى عن ديانته . وفي هذه الحالة فان المعادى للسامية هو وحده الذي يستطيع تعريفه . وتوجد في اسرائيل كل الاجناس ، ابتداء من الارى الكبير الاسكنديناڤي الاشقر حتى الهندي الصغير الاسمر . وهذا مهم لان دولة اسرائيل تقول انها مفتوحة لكل يهودي . ولايمكن تعريفها اذا استبعدنا الديانة .. ومن جهة اخرى فان التعصب الديني في اسرائيل لا يقل عن التعصب عند العرب ولكن اليهود يدعون انهم اكثر تقدما ».

■■■

حقوق الانسان

مادلين تريفو

أن المحادثات الدائرة منذ يونيو وقراءة النصوص الواردة في هذه النشرة، وبالاخص صدى ما جاء على السنة بعض الاصدقاء اثر عودتهم من فلسطين ، كل ذلك يدفعني الى تاكيد ثلاث نقاط اعتقد أنه من الضروري اخذها في الاعتبار في الظروف الراهنة:

---

(٢) المنشور فيما بعد

١ ـ لقد غدت المأساة التى يعانى منها الشرق الاوسط منذ أمد طويل ، شديدة التعقيد حتى ثبطت همم العديد من المخلصين ذوى الرؤية الواضحة فكادوا يفقدون الامل تماما . ولما كان هؤلاء يدركون ، بالرغم من ذلك أن أى حل عادل يحقق السلم الدائم لا يمكن التوصل اليه وتطبيقه الا بعد معرفة حقيقية وكاملة بالاحداث منذ القدم ، وبالاخص فى السنوات الاخيرة فقد عقدوا العزم على بحث القضية « من أعماقها » على حد ما أوصى به جاك بيرك .

وقد تقدم البعض بعدد من التوضيحات ، وهيأت بعض الكتابات للناس فرصة التفكير ، واثبتت بعض التصريحات أن هناك [بالرغم من كل شيء ، وفى أيامنا هذه] رغبة فى تخليص العالم من تناقضاته وفى اللجوء الى التضامن . ولا غنى لنا عن هذا التضامن حتى لايكتب النزاع على الشعوب ويظل بعضها مستغلا من البعض الاخر . أليس ذلك مدعاة للامل وان لم يصبح بعد مدعاة للتفاؤل ؟

فهناك عدد كبير من اليهود ، فى فرنسا وفى غيرها من البلدان لديه من الشجاعة فى التصدى للصهيونية . والموقف العام للعرب يثير القضية من زاوية التعويض والمساواة ، بلا تعصب معاد للسامية [١] وفى داخل الجالية الاسرائيلية ترتفع الان بعض الاصوات تدعو الى المصالحة على أساس المبادرة بتقديم تنازلات ، آخذة فى اعتبارها مساوىء الحرب . وكل ذلك يدعو الى تجديد الامل .

٢ ـ تخرج اغلب الدول العربية من فترة استعمار طويلة شلت قواها وثقافتها و «فرغت» اقتصادها وعطلت نموها ، هذا اذا كنا نعتبر أن تطور أى مجتمع يتم بفضل حركته الداخلية التى يشارك فيها كل أفراده بشكل ايجابى . ولا شك أن عملية التطور كانت ستتسم بالبطء ، على انه كان من الممكن الاسراع بها لو أن الشعوب العربية حظيت بتعاون دولى أكثر جدية وتنزها من الاغراض . [فالامداد بالسلاح ليس منزها من الاغراض وكذلك أيضا المعونة الفنية فى اغلب الاحوال ..] . وقد أصبح من حق هذه الشعوب الان الحصول على معونة تعوضها عما فاتها بعد أن حصلت على حريتها . ومن الواضح تماما أن المعونة الفنية والمالية التى حصلت عليها الشعوب العربية لا تقاس ابدا بالمساعدات الهائلة التى تلقتها اسرائيل خلال الخمس وعشرين سنة الماضية . فهل هناك ما يدعو للدهشة من غضب هذه الشعوب ؟

ومن جهة أخرى يؤخذ على العرب [ونكرر مرة اخرى أنهم لا يضمرون أى تعصب ضد اليهود تماما كما كان « شى » جيفارا لا يضمر أى تعصب ضد الامريكيين الشماليين] وقوفهم ضد قرارات اتخذها آخرون رغما عنهم ودون أن يكون لهم أى رأى فيها . لقد ذاقوا الهوان من جراء حرب ظالمة كان من الممكن تفاديها لو انهم شاركوا فى القرارات السابقة . وقد عقدوا العزم الان على رفع اصواتهم أليس هذا حقا شرعيا لهم ؟ ألم يحن بعد الوقت لكى لا تكون الكلمة وقفا على الاقوياء اقتصاديا فى المعترك الدولى ؟

٣ ـ لقد أقصى العرب الفلسطينيون من أراضيهم ولاقوا أسوا المعاملة وذاقوا المهانة وجردوا من كل أملاكهم ، بل لقد سلبت منهم حريتهم ، أى أثمن شيء لدى الانسان . ويجسد هؤلاء الملايين الثلاثة قمة الضياع لان الامل فى بقاء جماعتهم أصبح هو أيضا عرضة للسلب . ويجب ان ندرك أن هذا الوضع الذى يعانى منه الفيتناميون وغيرهم من الشعوب المضطهدة **لم يعد محتملا** ، والا لتعين علينا أن نفقد الامل فى انسان القرن العشرين « المتحضر » وأن نعترف بأن امكانيات الرفاهية المادية التى يتيحها تقدم التكنيك لهذا الانسان جعلته أكثر انانية ، وأمعنت فى انطوائه على نفسه حتى أنه لم يعد قادرا على رفض الظلم أو المشاركة فيه ، وأصبح يتقبل الواقع الانسانى دون أن يستثير ذلك مشاعره .

يجب أن نفكر وأن نفكر **جيدا** فى عرب فلسطين ، ونحن نعيش المأساة القائمة . ان أول مطلب لهم هو حقهم فى تقرير مصيرهم بأنفسهم . وما لم يتح لهم ذلك فلن تتوفر الحلول الممكنة . لم يهتم احد سواء فى عام ١٩٤٥، أو فى عام ١٩٥٦ بأن يتفهم افكارهم أو نواياهم أو آمالهم أو ارادتهم . ان تجاهل حقوق الانسان يؤكد مرة أخرى أن « اعلان حقوق الانسان » لايزال مجرد حبر على ورق . **لقد آن** الاوان لان تعطى الكلمة للفلسطينيين قبل فوات الوقت ، كى لا يتحمل العالم تبعة ابادة شعب له قيمته التى لا غنى عنها للبشرية ، وحتى لا يتدعم الاستغلال الابدى للضعيف من جانب القوى .

(١) يعتبر العربى ان اليهودى اخ له، وهو يعادى توسع اسرائيل على حسابه ، ولذا فهو معاد تماما للصهيونية ، وهى شيء آخر غير اليهودية .

لازالت المصالحة هى الكلمة الأولى

تيودور مونود

أن كلمة العقل غير المنحازة لا تزال مفيدة بل انها ضرورية حتى ولو جاءت فى مؤخرة المعركة الدائرة فى هذا العالم الذى لا يزال نهبا للعنف والقسوة والغرور .

أنتم تدعوننا بكل حكمة الى « التعقل » . فعندما تنطلق التحزبات والمشايعات سواء بصراحة أو بالتواء غير شجاع يتخذ شكل التذبذب بين معسكر وآخر ، وعندما تنساق العقول وراء التقسيم الباتر بين الخير والشر وبين الابيض والاسود ، أو تتبنى التعصب الاعمى السهل يكون من المرغوب فيه أن يرفض الاخرون أن يدرجوا فى قائمة « انصار كذا » أو « اعداء كذا » .

واذا كان لا بد لنا أن نكون « ضد » شيء أو « مع » شيء ، فلنكن اذن « **ضد** » الحرب وضد حماقة الالتجاء الى العنف والاغتيال ، تلك المخلفات المخجلة الجديرة بالعصر البرونزى . ولنكن ايضا مع العدالة حتى ولو فرض على هذا الجانب أو ذاك التجاوز عن « شرعية » قضية لكى يصغى الى الاصوات الطيبة الاصوات الاكثر واقعية فى المدى الطويل والمتخلية عن كل النصائح السيئة التى تمليها العواطف أو القوانين .

ان الكلمة الاساسية التى لا يتجاسر أحد على الادلاء بها والتى لا تعترف بها مصطلحات السياسيين ورجال الحرب ، لا تزال هى **المصالحة** لانها الامل الوحيد عند كل ذوى النوايا الطيبة . فاما المصالحة الصعبة والبطولية واما المجازر والمذابح ولا طريق ثالث بينهما .

■■■

من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط

كاود كوهين

لم تكف أزمة الشرق الاوسط من اثارة الافكار والتصريحات التى لاتدل بأى حال من الاحوال على أن هناك وعيا مفيدا فى حد ذاته . وقد أعقب الانفعال الشديد الذى استبد بالناس عندما اعتقدوا أن هناك هجوما عربيا شاملا لابادة الاسرائيليين اعتراف بوجود مشكلة خطيرة ، لم يتمكن النصر الاسرائيلى من حلها ولايتوقف بالضرورة التوصل الى مخرج منها على مواقف الحكومة الاسرائيلية . وقد حاولت الدول الاجنبية أن تتدخل بعد أن أحست بهبوب ريح الحرب العالمية ، ولكن لم تتخذ أى منها سياسة واضحة . واذا كنا لا نبنى أوهاما حول دور المثقفين ، الا أننا نعتقد أنهم يستطيعون على الاقل أن يحددوا مجموعة من الاسئلة يمكن أن تدور حولها مناقشات متروية من أجل التوصل الى حل مؤقت ، ذلك ان الحل المؤقت يتحول فى أغلب الاحوال الى واقع نهائى .

ومن الممكن أن يقال للعرب ما يأتى :

نحن ندرك تماما اعتبارهم أن خلق اسرائيل ووجودها هو استيلاء أجانب على أراضيهم القومية دون اى جريرة ارتكبوها تبرر هذا العمل لانهم غير مسئولين عن المذابح الروسية والنازية . ونحن ندرك تماما أن الظروف التى تأسست فيها هذه الدولة تجعلها تبدو كواحدة من اخريات محاولة الاستيطان من جانب الاستعمار الغربى فتكون بالتالى احد الاعمال المضادة لاتجاه التاريخ لوقوعها فى عصر التخلص من الاستعمار . ولكن يجب أن يدركوا بالرغم من ذلك ،

ويبدو لى ان هناك حلين ممكنين فى هذه الحالة :

أ ــ التمسك بالتشدد الحالى على أمل حدوث تحول فى الموازين الدولية فى يوم من الايام ، أو على أمل أن يسأم الشباب الاسرائيلى فتفضل العناصر الاوروبية منه الهجرة مرة أخرى تحت تهديد الحصار الخانق ، فلا تبقى الا العناصر المنتمية الى أصل شرقى . وهذه السياسة مفهومة تماما ولكنها تستدعى الحفاظ على حالة التوتر وبذل تضحيات مادية قد لاتقبل تحملها الشعوب العربية نفسها .

ب ــ ايجاد ظروف تعايش مع اسرائيل ، اى احداث تحولات تسمح بقيام هذا التعايش . وللاسلام تاريخ طويل فى حسن معاملة الاقليات المعتنقة لاديان أخرى . ولذا فان اقتراح مثل هذا الموقف يعنى مطالبة المسلمين بالتمسك بتعاليم دينهم ولكننا ندرك تماما انه من الممكن أن تنطبق هذه المعاملة على اهالى اسرائيل دون دولتهم وهى فى وضعها الراهن . وقد أعلن رجال الحكم المسئولون فى البلاد الاسلامية مرارا أنهم لا يكنون أى عداء لليهود بل للصهاينة وللامبريالية المتخفية وراءها بشكل مفضوح . ولذا يجب ان يتقدموا بشروط « التخلص من الصهيونية والاستعمار » التى يقبلون على أساسها الكيان الاسرائيلى الجديد كعضو فى اسرة دول الشرق الاوسط ولا يستطيع احد أن ينكر التقدم الذى حققه الاستيطان الاسرائيلى فى فلسطين ، ولكن اليس من الافضل ان يستفيد منه الشرق الاوسط بأسره بدلا من تحطيمه ؟

أما الاسرائيليون فنستطيع أن نقول لهم ما يلى :

نحن ندرك تماما أنه لا بد من اعادة النظر فيما قصد منه بانشاء وطن قومى لليهود ، ثم وجود دولة اسرائيل . ونحن ندرك للاسف أنهم أصبحوا يعتمدون على القوة للدفاع عن أنفسهم . ولكن يجب أن نستحلفهم باسم القيم التى يعتنقونها ، ومن أجل صالحهم الخاص ، بأن يدركوا انهم استقروا فى بلد لم يفعل شيئا يستحق من اجله أن تبتر اراضيه . ولذا كان يجب ، ولا يزال يجب أن تتجه جهودهم الاساسية نحو ايجاد ظروف تسمح بتقبل وجودهم من جانب جيرانهم فى الشرق الاوسط . وهناك بالطبع اتجاهان محتملان :

أ ــ التمسك بالتشدد الحالى على امل احداث انقلابات فى سياسة الدول العربية . وهذه السياسة مفهومة ولكنها تؤدى الى أزمات دورية والى احتمال احتلال مزيد من الاراضى ، والى احتمال ملل مؤيديها الغربيين وغيرهم . ولا يوجد اى ضمان لانتصار نهائى لهذه السياسة فى المدى الطويل .

ب ــ ايجاد ظروف تسمح بالتعايش مع العرب . ولا شك ان اسرائيل لم تعلن ابدا عكس ذلك ، ولكنها ترى أن تحقيق هذا التعايش عمليا يتم على الوجه التالى : يجب ان تقبلونى على حالى حتى نعيش معا فى سلام . على أن المطلوب هو ، على عكس ذلك : الاعلان صراحة عن رغبة اليهود الموجودين فى اسرائيل فى الاندماج كأفراد فى أسرة الشرق الاوسط بعيدا عن مساندات وتناقضات الدول الكبرى . ولا يعنى ذلك تخليهم عن شخصيتهم بل التخلى عن جزء من سيادة دولتهم لصالح سلطة أكبر فى الشرق الاوسط تعلو على القوميات . ولقد اقترحوا بالفعل انشاء دولة فلسطينية فيدرالية تساعد فى حل مشكلة اللاجئين ، وهى مشكلة خطيرة وذات طابع خاص .

ولكن العالم العربى فى مجموعه لن يقبل ابدا مثل هذا النظام الفيدرالى الذى ستهيمن عليه اسرائيل بالضرورة . ولكن من الممكن تصور قيام نظام فيدرالى رحب يضم كل شعوب الشرق الاوسط على ان تكون اسرائيل من بين اعضائه على غرار لبنان . وفى هذه الحالة لن تكون اسرائيل جسما دخيلا أو طليعة لدولة كبرى معينة أو وسيطا استعماريا ولا شك أن هذا الحل يستلزم ايضا حدوث تطورات فى الدول العربية تتوق اليها الشعوب العربية ، ويعمل زعماؤها من أجل فرضها .

وباختصار ، يمكننا ان نوجه السؤالين التاليين لكل من الطرفين :

هل تقبل فكرة البحث عن حل للمشكلة الاسرائيلية العربية فى اطار وجود دولة اسرائيل بين مجموع دول الشرق الاوسط على ان تكون سيادتها محدودة ؟ ما هو شكل هذه السيادة وما هو التعويض والثمن المقابل لذلك ؟

ولاسباب واضحة ، لاتستطيع الدول الكبرى ان تفرض حلولا تقترحها من جانبها ، واذا قامت دول أجنبية بوساطات ، فلايمكن أن يتم ذلك الا عن طريق دول غير مشكوك فى اغراضها . ولكن يجب أن تضمن الدول الكبرى الحلول التى قد تتوصل اليها الاطراف المعنية .

(نقلا عن عدد « الموند » الصادر فى ١٧ اكتوبر ١٩٦٧)

يجب أن نبحث عن جذور المشكلة

ايف موارو

يجب اذن أن نتناول المسألة من أصولها ، خاصة اذا أخذنا فى اعتبارنا حركة التحرر من الاستعمار التى انطلقت فى بلاد أفريقيا وآسيا منذ عام ١٩٤٧ . فهذه الاوضاع تجعل من قيام اسرائيل أمرا معاكسا لخط سير التاريخ ، وتقضى بالتخلص فى المدى الطويل من تلك الدولة الاستعمارية التى أقامها اليهود الغربيون فى أراضى الشرق . وتناول المسألة من أساسها يعنى الانطلاق من افتراض وجود كيان فلسطينى واثارة قضية الحدود الجغرافية لهذا الكيان . وتخص هذه القضية المؤرخين ورجال علم الاجتماع وعلم الاقتصاد . وكفكرة مبدئية ، أميل شخصيا الى أن تكون حدود فلسطين التاريخية هى نفس الحدود التى تسلمتها بريطانيا من أيدى الامبريالية العثمانية نظرا لان شرق الاردن بوضعه الراهن لا يمكن أن يستمر فى الوجود من الناحية الاقتصادية . على أن اعادة جمع شمل فلسطين مرة أخرى يثير مشكلة دولة اسرائيل الى جانب قضية مستقبل الاسرة الهاشمية التى نقلتها دولة استعمارية من الحجاز الى اطار السياسة العامة للنفوذ والحماية فى الشرق الاوسط . ومن الواضح أنه فى حالة انتقال زمام الامور الى الفلسطينيين ليقرروا بأنفسهم مصير بلادهم ونظام دولتهم [وهى الحالة الوحيدة التى تتفق — فى رأيى — مع العدالة] فانه يتعين اعادة النظر فى الامتيازات الخاصة التى تتمتع بها حاليا الاسرة الهاشمية ، اذ ان ارتباطاتها التاريخية بفلسطين كانت مجرد ارتباطات طارئة .

ويبقى بعد ذلك تحديد معايير الشخصية « الفلسطينية » ما دمنا بصدد بناء مجتمع الفلسطينيين . أعتقد أن الحد الادنى لهذا المعيار هو أن يعتبر فلسطينيا كل من ولد فى فلسطين وذلك بالرغم من أن المعيار الحقيقى يجب أن يكون مولد الشخص فى فلسطين ومن أم فلسطينية . على انى اعتقد أن الامر الواقع الذى نشأ منذ عام ١٩٤٧ يدعونا الى تقبل التنازل عن الشرط الثانى ، واذا تقرر أن مولد الفرد فى فلسطين يمنحه الحق فى الجنسية الفلسطينية أيا كان انتماؤه الدينى أو الاتنولوجى ، فانه يتعين البدء فى عملية التوصل الى حل نهائى يتقبله تماما أفراد الجاليتين المتنافستين . ومن الممكن أن يمهد لذلك تكوين هيئتين انتخابيتين مؤقتتين تكلفا بتحديد أعضاء المجلسين الممثلين للجاليتين اليهودية والعربية ، على أن يصبح من اختصاص المجلسين التفاوض حول النظام الكفيل بتحقيق التعايش بين الاسرتين الاتنولوجيتين ، اللتين يتعين عليهما الحياة معا على أرض فلسطين . ويعتبر عضوا فى أى من الهيئتين كل فرد بالغ ذكرا أو أنثى ، ولد فى فلسطين . ومن الممكن أن تتم اجراءات انتخاب اعضاء المجلسين المنوط بهما التفاوض ، تحت اشراف هيئة دولية مكلفة بضمان حرية الانتخابات وسلامتها . ويمكن اختيار اعضاء هذه الهيئة من مندوبين من الامم المتحدة ومنظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لايجاد نوع من التوازن يعادل النفوذ الغربى فى هيئة الامم المتحدة .

وعلى اثر تكوين المجلسين الممثلين للجاليتين اليهودية والعربية ، تبدأ عملية التفاوض من أجل وضع نظام للتعايش بينهما . واذا كان يحق لى أن أتنبأ بنتائج هذه المفاوضات الا أنه يبدو لى من الوهلة الاولى أن تقسيم فلسطين بين الجاليتين ليس أفضل الحلول . وفى رأيى أن أفضل أشكال التوحيد يمكن أن يتم على مستوى المراكز على أن يتحقق ضمان تمثيل مصالح كل من الجاليتين لا على مستوى الوطن ولكن على مستوى نوع من الفيدرالية التى تضم الجاليتين . أما المشاكل التى تهم الامة الاسرائيلية بأسرها فيجب أن تناقشها جمعية وطنية فلسطينية على الا تتخذ أى قرار الا اذا كانت الاغلبية تشمل فى نفس الوقت الاغلبية المطلقة لممثلى كل من الجاليتين . ومن الممكن تحديد تكوين الوزارة عن طريق تنظيم فيدرالى مناسب .

ويعرض نص هذا الاتفاق — عند التوصل اليه — على الجمعية العمومية للامم المتحدة بوصفها المعبر عن الجماعة العالمية ، لكى تصدق عليه وتقره علنا بعد أن توافق عليه منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . ومن الممكن أن تتم بعد ذلك انتخابات عامة، تحت اشراف دولى ، يشترك فيها كل فرد بالغ ، ذكر أو انثى، ولد فى فلسطين . وتكون المهمة الاولى للمنتخبين هى صياغة نظام للتعايش المتفق عليه فى شكل دستور يمنح استقلالية واسعة للتجمعين الفيدراليين اللذين يضمان الجاليتين اليهودية والعربية . ويكون لكل من التجمعين الفيدراليين الحق فى وضع نظم تمثيله الفيدرالى وفقا لقواعد الديمقراطية الداخلية .

وعلى أثر تكوين الدولة الجديدة التي سيدلي كل فلسطيني برأيه في انشائها ، واعتراف الدول بها ، تبدأ عملية اقامة علاقات سليمة مع بقية دول الشرق الاوسط ، على أساس حسن الجوار والتعاون الاقتصادي .

ومن الممكن أيضا اللجوء الى المعونة المالية الفنية من جانب بلاد العالم الاخرى . ومن الافضل الا تقدم هذه المعونة من خلال اتفاقات ثنائية ، ولكن من خلال جهاز دولي يتبع منظمة الأمم المتحدة وتشترك فيه منظمة تضامن شعوب آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، حتى يمكن تفادي سيطرة الدول الكبرى عليها وتدخل الاستراتيجيات الدبلوماسية في صياغتها .

■■■

خطـــأ أدبي وســـياسي

أوليفيه لجوزودي بورجو

١ – لا يوجد «يهودفرنسيون» فالى جانب الفرنسيين الكاثوليك واللوثريين .. الخ ، والى جانب الفرنسيين الذين يحملون أسماء كلتية أو جرمانية أو سلافية ، يوجد فرنسيون يحملون أسماء يهودية ينتمون الى اليهودية اصلا أو يدينون بها . ومن هؤلاء مارك بلوك ، وكان من كبار مؤرخينا . وقد انفعل بترسيم ملوك فرنسا في كاتدرائية ريمس ، كما انفعل أيضا برواية الاحتفال بذكرى الاستيلاء على الباستيل . وقد رفض دائما أن يجعل صفته اليهودية محل « خزي او فخار » وعندما حاولت « الحكومة » الفرنسية ان تستبعد الفرنسيين اليهود من اراضيها ، كتب يقول ان فرنسا ستظل دائما « الوطن الذي لم أتمكن أبدا من انتزاع قلبي منه : لقد ولدت فيها ونهلت من مصادر ثقافتها وجعلت من ماضيها ماضي ، ولا أشعر اني أتنفس بعمق الا تحت سمائها ، كما قمت بدوري في الدفاع عنها بقدر ما أتيح لي » [١] وقد واصل بلوك جهاده من خلال المقاومة وعذبه البرابرة الجدد [النازيون] . وفي يونيو ١٩٤٤ أعدموه رميا بالرصاص بعد أن قتلوا من قبل اثنين دورف وبوليتزير وسكامارونى والمهندس ستوسكوف وغيرهم وغيرهم من المدافعين عن قيم حضارتنا ، ومن بين هذه القيم تساوى الفرنسيون أمام القانون .

وقد أحس تحرير فرنسا هذا المبدأ من جديد فلم يرحل سوى عدد قليل من الفرنسيين ليستولوا على وطن جديد لهم على حساب العرب .

٢ – ولكن قد يقول قائل ، في بلاد أخرى وبعد مرور عدة سنوات ، أن معاداة السامية لا تزال متفشية وانه كان يتعين خلق وطن قومي للمضطهدين ، ويرفض العرب هذا المنطق .

يقول العرب انهم يعترفون للمضطهدين بحقهم في انشاء دولة لهم في أراضي شعب آخر [وان كان هذا القول غريب من الناحية القانونية] ولكن عقيدة تفوق الجنس الآري ، والاوضاع التي فرضت على اليهود ونقلهم الى معسكرات الابادة بالجملة وغرف الغاز ، كل هذه الجرائم من صنع الغرب . لماذا لا تقيمون اذن دولتكم اليهودية في مقاطعة الراين أو في اوفرني أو في صقلية؟ لماذا لا تستقبل أمريكا كل اليهود المضطهدين او المهندسين (٢) لقد فضلتم أن تقدموا لهم أراضينا نحن هدية لهم بدلا من أن تتنازلوا لهم عن بعض ما يتوفر لكم من وسائل رفاهية مادية او أدبية . نحن ابناء الجارية آجار ، ولم يكن من حقنا أن نتكلم . فليكن الامر كذلك . أنتم أقوى منا ، فويل لكم يوم الا تظلوا الاقوى .

٣ – يجب أن نعترف بأن الصهيونية خطأ ادبي وسياسي فهي تعتمد على فكرة الشعب المختار الذي يحق له فرض حكمه على أرض مقدسة في نظره . لقد قال الرب لابرام [الذي أصبح فيما بعد ابراهام أي « أبا الجموع »] : لنسلك أعطي هذه الارض من نهر مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات » (٣) وقد

---

[١] مارك بلوك « الهزيمة الغريبة »مطبوعات « الانصار » ١٩٤٦ ص ٢٣ : وملحق بهذه الدراسة نص وصية بلوك [ص ١٩٢]

[٢]بدأت الهجرة اليهودية نحو امريكا في عام ١٩٦٧ ، وهي هجرة العلماء والفنيين الذين تجتذبهم الولايات المتحدة من اسرائيل

[٣] سفر التكوين الاصحاح الخامس عشر [١٨] وقد ردد عدد كبير من الكتاب الصهيونيين تعبير « نهر النيل الى نهر الفرات » مذكرات ت هرتزل – الجزء الثاني ص ٧١١ » .

تحقق الوعد باستعادة فلسطين وبفرض حكومة دينية تفرض الشريعة الموسوية على الجميع سواء كانوا من المؤمنين به أو لم يكونوا كذلك . وهذه الشريعة تنظم مسرات الحياة وقواعد المائدة كما تحرم الزواج المختلط.

وفضلا عن أن هذا الوعد ، ينتمى الى الاسطورة أكثر مما ينتمى الى التاريخ [فاسرائيل لم تعرف الكتابة الا بعد الفعام من عهد ابراهام] فان كل غريب على الديانة اليهودية لا يمكنه أن يتقبل الفكرة التى تقول أن الرب « قطع ميثاقا » مع شعب مختار واقطعته ارضا تخصص له وحده دون البشر .

هل نحن بصدد منح كل شعب الحق فى العودة الى اراضى اسلافه الاقدمين [باستثناء سكان الضفة الغربية للاردن بالطبع !] ولكن اليهود طردوا هم أيضا شعوبا من أرض المعاد ، ومن حق هذه الشعوب اذن أن تطالب بها . وهناك عدد كبير من الماليطاليون بحدود عام ١٩٤٧ باسم « المطالبة Rechtaf Harmat بأرض الوطن » وباسم حقهم فى وطنهم الاصلى . وقد تستخدم أى جماعة هذا المبدأ بدعوى حقها فى اى شىء ، حتى انه يفتح من جديد عهد الهجرات الكبيرة الذى كنا نعتقد أن بابه قد أغلق فى عام ١٩٤٥ .

ومن جهة أخرى فان يهود القرن العشرين لا « ينحدرون » فى اغلبهم من اليهود الذين عاشوا فى فلسطين منذ عهد طويل . كانت اليهودية ديانة قومية أصلا وأصبحت اليوم ديانة مغلقة بعد أن مرت بمرحلة وسطى وتميزت بتفتحها على نطاق واسع . وقد انضمت الى اليهودية جماهير عريضة فى عالم حوض البحر الابيض المتوسط ومن بينها جماهير الاتراك — الخوازار والسلاف ، حتى أنه بفرض صحة العقيدة السخيفة التى تقرر توارث الخطايا والحسنات ، فانه لايمكن أن ننسب لهؤلاء اليهود اى مسئولية فى موت المسيح ولاأى حق فى أرض فلسطين .

٤ — لقد حولت الصهيونية الديانة اليهودية الى جنس يهودى فأوقعت نفسها فى شرك العنصرية واله اليهود « رب الجنود » اله ظالم وقاس ، لايعترف بأى جنس بشرى خارج القبيلة التى اصطفاها وميزها دون الخلق بشكل متعسف . والجنرال ديان يتعرض للهجوم ولكنه لا يتزحزح من مكانه لان أفكاره تسبق دائما الوضع القائم . الم يقل لنا «لقد حل مليون يهودى محل العرض [فى الاراضى المحتلة] وسواء كان ذلك عملا اخلاقيا او غير اخلاقى ، فلم يعد هناك مكان لهم» [سبتمبر ١٩٦٧] .

العرب اول ضحايا الصهيونية وقد يصبح اليهود ضحاياه التاليين : فالصهيونية تخاطر بتأجيج معاداة السامية لان اعلان اسرائيل وطن أول أو ثان لليهود المشتتين فى انحاء العالم والزامهم بدفع ضريبة العشور يجعلهم محل ريبة ويجلب لهم فى بلاد الشرق نفس نظام الرقابة البوليسية الذى تفرضه اسرائيل على العرب . وفى فرنسا ، يؤكد انصار هذا الاتجاه بكل براءة مزيفة أن هناك مشكلة يهودية يجب أن تحلها اى أمة بأن تعترف لليهود الذين يأوون اليها ، بوضعهم الحقيقى اى تمنحهم جوازات سفر اسرائيلية وبطاقة تحقيق الشخصية الخاصة بالاجانب (٤) .

٥ — لا يزال جزء من اليسار الفرنسى يؤمن باسرائيل كما كان يؤمن من قبل بالجزائر الفرنسية عندما كان يهتف لمنديس فرانس وهو يعلن فى الجمعية العمومية :

« ان مقاطعات الجزائر مقاطعات فرنسية منذ أمد طويل ولا يمكن الرجوع عن ذلك » [١٢ نوفمبر ١٩٥٤] على أنه من المؤسف حقا أن مليونا من الفرنسيين كان يحكم ٩ ملايين من العرب عن طريق نظام الهيئتين الانتخابيتين . ويوجد الان حوالى ١٥ مليون يهودى فى انحاء العالم . أما فى اسرائيل فان تعدادهم لايكاد يبلغ المليونين والنصف مليون [كانوا ٨٠ الفا فى سنة ١٨٨٠] فى مقابل ٦٠ مليونا من العرب . وقوة اسرائيل ضعفت فى المدى الطويل ، كما أن الانتصار الذى احرزته كان فاشلا . ولن يكتب البقاء لاسرائيل الا بتخليها عن الصهيونية فى مقابل اعتراف العرب بالوجود الاسرائيلى .

ومنذ عشرين عاما وقضايا الحدود وحرية الملاحة وهجرة اليهود واللاجئين والمعونة الاجنبية تجعل اليهود فى صدام مع العرب ساعد اسرائيل بالاخص على التوسع . ولابد من وساطة وضمانات واشراف دولى لتسوية كل هذه المشاكل من أساسها .

على ان الولايات المتحدة ستتشدد أكثر من اليهود انفسهم فى الوقوف ضد تحويل اسرائيل الى سويسرا حرة ، محايدة ومتمتعة بالرخاء ، لان الصهيونية تحولت [ربما بالرغم منها] الى نموذج حى لتفوق العالم الحر والى رمز لحقه فى السيادة .

[[« الموند » ٦٨/١/٢١]]

[(٤)] من مقال لجزافيين فالا المدير السابق للشئون اليهودية (١٩٤١ — ١٩٤٢) نشر فى ١٥ يوليو ١٩٦٧ تحت عنوان « مظاهر فرنسية » .

آراء متقاربة

بيـــان من المكـتب السـيـاسى للحـــزب الشـــيوعى الفـــرنسى

أن المسئولية الاساسية عن حالة التوتر القائمة تقع مرة أخرى على الامبريالية الامريكية . ان الاسباب العميقة للنزاع تتلخص فى ادعاء الولايات المتحدة امتيازات مجحفة للاحتكارات الامريكية على موارد الشرق الاوسط ، ومحاولاتها المتكررة تحطيم الحركة الوطنية والديمقراطية لشعوب هذه المنطقة وغيرها من مناطق العالم ، واصرارها على جعل المنطقة ركنا اساسيا فى « استراتيجيتها الشاملة » العدوانية . وعبثا تحاول الامبريالية الامريكية هنا ، وفى فيتنام واليونان وامريكا اللاتينية وافريقيا ، أن تعيد الماضى بالتدخل ضد حريات الشعوب وآمالها فى التقدم ».

لقد تحول حكام اسرائيل الحاليون الى أدوات لهذه السياسة الاستعمارية برفضهم قرارات الامم المتحدة طوال تسعة عشر عاما وباعلانهم عزمهم عن اثارة « صدام مباشر » مع النظام الديمقراطى فى سوريا ، متجاهلين بذلك أمن شعبهم ومصالحه الحقيقية .

وفى فرنسا ، تشن اكثر العناصر رجعية حملة حقد عنصرية ضد الشعوب العربية وتدعو للحرب، وهى تحاول فى نفس الوقت أن تبث بذور الخلاف بين قوى اليسار ».

ولابد من العمل على فشل هذه الاهداف الامبريالية

ويؤكد الحزب الشيوعى الفرنسى أن النزاع العسكرى ستكون له أخطر العواقب على الشعوب المعنية بالامر ، فهو ضربة قاسية موجهة ضد جهودها من اجل التنمية الاقتصادية وضد سعيها نحو التقدم الاجتماعى . ومن الممكن ان يؤدى هذا النزاع الى صدام دولى » .. وكل القضايا مثار النزاع [حقوق اللاجئين الفلسطينيين ، الملاحة فى خليج العقبة ، علاقات اسرائيل بجيرانها] قابلة للحل بل وواجبة الحل بطريقة عادلة وسليمة فى اطار مفاوضات جامعة قائمة على رفض كل تدخل امبريالى ، وعلى احترام الاستقلال الوطنى لكل البلاد والشعوب المعنية ».

ويدعو الحزب الشيوعى الديمقراطى وانصار السلام الى التعبير عن عزمهم على أن ينتصر هذا الحل الذى يأخذ فى اعتباره ، حق دولة اسرائيل فى الوجود وحقوق الشعوب العربية المشروعة ، فى آن واحد ».

■■■

تصـــريح كـوف دى مـورفيـل

ما هو موقف فرنسا ازاء القرار الذى اتخذته مصر ؟ لقد عابوا علينا عدم اصدارنا بيانا رسميا يؤكد تمسكنا بمبدأ حرية الملاحة فى خليج العقبة ولم يكن هذا التصرف عسيرا علينا فضلا عن أنه كان سيقابل ببعض الثناء . ولكن ما هى النتيجة المترتبة على مثل هذا الموقف ؟ أما أن يكون الامر مجرد بيان افلاطونى لا فائدة منه ، واما اننا نريد أن نقول ان اسرائيل تستطيع أن تبدأ المعركة فى أى وقت وأن الحكومة الفرنسية قد تقدم لها مساعدة عسكرية . وقد بدا لنا أنه يتعين علينا أن نتصرف على نحو ما فعلنا ».

لقد بدا لنا انه ليس من المعقول أن تحل المشكلة باستخدام القوة . وقد اتجهت كل جهودنا نحو الحيلولة دون تردى هذا الجانب أو ذاك فى التطرف، وبدا لنا أن القضية أخطر من مشكلة خليج العقبة أو مشكلة العلاقة بين مصر والدولة اليهودية ».

فنفوذ الدول الكبرى المتصارعة من أجل المصالح من العناصر الاساسية فى وضع الشرق الاوسط ، وليس من مصلحة بلدان الشرق الاوسط أن تتحول الى أدوات فى ايدى الدول الكبرى ، كما أنه ليس من صالح الدول الكبرى ذاتها أن تؤجج العداوات المحلية ، ولو استدعى الامر ترك المشاكل التى تتنازع عليها دول الشرق الاوسط بلا حل ». هذا اذا كانت هذه الدول تريد حقا ان يستتب السلام .

وبرر الوزير موقف فرنسا يوم ٢٤ مايو فأعلن : « لم يكن المطلوب تنظيم أى مؤتمر له رنين ، بل مناقشة وسائل الحد من التوتر على أمل أن تبدأ دراسة المشاكل بعمق على هذا الاساس »».

واستطرد الوزير فى سرد الاحداث فقال :

« من العدل أن نعترف ان نشاط الدول الكبرى طوال فترة التوتر كان يتجه نحو ضبط النفس لادراكها ان قيام حالة حرب فى مثل هذه المنطقة الحساسة من العالم يمكن أن يعرض السلام العالمى لمخاطر شديدة ، أى الى تصاعد الحرب .

كان هذا احساس فرنسا ، وبشكل اعمق . وقد اتجه نشاطها كل يوم فى هذا الطريق . ومع ان الاخرين يشاركوننا فى عواطفنا ، الا انه من الواضح أن الضغط لم يكن من المستطاع أن يكون فعالا على الأطراف ما لم يكن نتاج تدابير مشتركة . ونحن نذكر جميعا مظهر العجز الذى يبدو به مجلس الامن عندما لا يتمكن الاعضاء الدائمون من الاتفاق . ولما كانت التهديدات تتزايد فقد اتخذ رئيس الجمهورية والحكومة موقفا فى البيان الواضح الذى نشر على اثر انفضاض اجتماع مجلس الوزراء فى الثانى من يونيو .

ويلخص السيد كوف اهم ما جاء فى هذا البيان ثم يستطرد قائلا :

« أما بخصوص حق كل دولة فى الوجود ، وبالاخص دولة اسرائيل ، فلا داعى لان نؤكد ذلك . أما فيمايتعلق بالدعوة الى ضبطالنفس واستهجان كل عمل حربى ، فان موقفنا هو الموقف التقليدى لفرنسا الذى يعتبر أن اللجوء الى القوة ليس وسيلة لتسوية الخلافات . وينطبق ذلك على كل من الطرفين » .

ويلاحظ وزير الخارجية عرضا ان ايا من الطرفين لم يحمل نفسه مسئولية العدوان واضاف « العرب والاسرائيليون ، اليهود والمسلمون ، مكتوب عليهم الحياة معا ، ولا بدان يتعايشوا ،ولا يمكن أنتفرضعلى أىمن الطرفينحلول تقرربالرغم منه ، ويعاد النظر فيها بالتالى : يجب أن يتم التوصل الى تفاهم . وقد يقول البعض أن هذا الكلام غريب وابعد ما يكون عن الحقيقة . وانا لست من السذاجة بحيث أتصور انه سيقوم حوار حقيقى غدا او بعد غد ، ولكن الدول الاخرى تستطيع ، بل ويتعين عليها ، أن تقوم بدور فى هذا المجال بمجرد ما تتمكن من التعاون »

■■■

مشروع قرار حول فلسطين قدمه اتحاد F. G. E. L. وأقره المؤتمر السادس والخمسون للاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين

بعد الاطلاع على التقرير المقدم من اللجنة الدولية بخصوص القضية الفلسطينية والنزاع الاسرائيلى العربى ،وبعد مناقشة هذاالتقرير يرى مؤتمر الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين ، وهو مدرك تماما مدى خطورة اتخاذ مثل هذا القرار ، انه يجب تحديد موقف من القضية فى أساسها ،ولا يكتفىبمجرد ادانة عامةللعنصرية .

ويتعين على الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين أن يعترف بأن الاسباب العميقة للنزاع تكمن فى ظروف اقامة دولة اسرائيل وفى مناورات الدول الاستعمارية فى الشرق الاوسط . ويجب أن يعترف الاتحاد ايضا بوجود الامة الفلسطينية التى سلبت حقوقها منذ اكثر من عشرين عاما .

وقد صاحب اقامة دولة اسرائيل رحيل الآلاف الفلسطينيين واعقبت ذلك :

أ ـ سياسة ثابتة تهدف الى توسع اسرائيل فى الشرق الاوسط .

ب ـ سياسة ثابتة تقوم على التفرقة العنصرية وعلى تجريد العرب المقيمين فى اسرائيل من أملاكهم .

جـ ـ سياسة تكفل التفرقة العنصرية بيناليهود الشرقيين واليهود المنتمين اصلا الى أمم غربية وتطوروا داخل الدولة الاسرائيلية .

د ـ سياسة دابت تدريجيا على تأييد الانظمة الرجعية العربية بوصفها الضمان الوحيد لبقاء اسرائيل .

هـ ـ واستتبع ذلك سياسة وقفت فى وجه كل المحاولات وكل الاجراءات الايجابية من جانب الشعوب العربية من أجل تحررها السياسى والاجتماعى . لقد تحولت اسرائيل شيئا فشيئا الى بطل السياسة الغربية الموالية لامريكا فى الشرق الاوسط وافريقيا [حملة السويس ،تهديد سوريا ، مساندة حسين والانظمة الرجعية فى افريقيا]

ومن جهة أخرى انتهت المعارك الاجتماعية والسياسية داخل الشعب الاسرائيلى نفسه الى

لتدعيم القوى الرجعية والمعادية للغرب . وأصبح كل تطور فى الاتجاه المعاكس مستحيلا بسبب الاساس الذى قامت عليه اسرائيل ، الا وهو الصهيونية ».

فالصهيونية ايديولوجية قومية تقدم حلا خاطئا لمعاداة السامية ، وقد ادت الى نشأة دولة تقوم على أساس دينى وعنصرى . ولا يمكن اتخاذ موقف أساسى فى هذه القضية الا بادراك طابع الصهيونية وطبيعة فكريتها ، وبادراك دور الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودى الدولى، وهى مؤسسات مرتبطة ارتباطا وثيقا بدولة اسرائيل .

على انه ايا كان حكمنا على الصهيونية وعلى مشروع اقامة دولة يهودية فى فلسطين ، الا اننا يجب أن نعترف بواقع وجود جماعة قومية يهودية فى فلسطين ، وبالتالى بشرعية حقوقها القومية .. ولكى يجب ان نؤيد فى نفس الوقت الكفاح الوطنى التحررى لشعب فلسطين .

فهناك اذن واقع قومى مزدوج ، يتمثل احدهما فى دولة مستقلة ، ولا يستطيع الاخر ان يعبر عن نفسه لان اسرائيل رفضت دائما الاعتراف بالامة الفلسطينية وعملت كل مافى وسعها للحيلولة دون وجودها ، وتاريخ السنوات العشرين الماضية هو تاريخ كفاح الشعب الفلسطينى لاستعادة حقه فى الوجود القومى . وتاريخ المقاومة العدوانية من جانب اسرائيل ضد هذا التحرر . وقد دفع تأييد مجموع القوى التقدمية العربية لهذا الكفاح ، اسرائيل الى الكفاح ضد حركة التحرر الاجتماعى والسياسى فى العالم العربى .

على أن حركة التحرر الوطنى للشعب الفلسطينى صادفتها معوقات من جراء مظاهر التطرف العنصرى والوطنى عند عدد من القادة العرب ، وقد استخدمت بعض الانظمة العربية قضية فلسطين كستار تخفى وراءه الوجه الحقيقى لحكوماتها .

واذا كان الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين يؤيد القضية الفلسطينية فهو لايساند ولا يؤيد النظم الاقطاعية القائمة

وبالنظر الى :

— الحملة الواسعة المشايعة لاسرائيل والصهيونية فى فرنسا ، بلا أدنى قيد او شرط ، والتى تجمع ، فى خلط شديد ، بين اقصى اليمين واقصى اليسار غير الشيوعى على تأييد اسرائيل ».

— الضعف الذى الحقه هذا التجمع بالحركات المعادية للامبريالية والحركات التى تكونت فى فرنسا ضد العدوان الامريكى فى فيتنام ».

— المظاهرات وأعمال العنف العنصرية التى حدثت فى فرنسا بحجة الكفاح ضد السامية والدفاع عن اسرائيل ».

— سياسة العدوان والاحتواء الدائمة التى تتبعها دولة اسرائيل ضد الشعوب العربية ، وبالنظر الى أن هذه السياسة لاتنفصل عن الاسس العنصرية والدينية لدولة اسرائيل ، أى الصهيونية ، ولا تنفصل عن المساندة التى تقدمها لها الدول الامبريالية ».

— طابع كفاح التحرر الوطنى لمنظمات شعب فلسطين [وبالاخص منظمة العمال الفلسطينيين، والاتحاد العام لطلبة فلسطين] ، يرى الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين انه :

١ — لايمكن ايجاد حل لقضية فلسطين لايقوم على أساس معاداة الامبريالية والتطرف العنصرى .

٢ — لايمكن حل النزاع الاسرائيلى العربى دون الاعتراف بالحقوق القومية لشعب فلسطين.

٣ — لايمكن اقرار السلام فى الشرق الاوسط دون توقف هجمات اسرائيل ضد البلاد العربية ».

٤ — لايمكن ايجاد حل دون الاعتراف بوجود واقع قومى مزدوج فى فلسطين ، وبالرغم من أنه لامجال « لالقاء اليهود المقيمين فى اسرائيل الى البحر » فان الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين يرى انه ليس عدلا أن يفرض الاعتراف بدولة اسرائيل كمقدمة قانونية تسبق أى مناقشة باعتبارها مؤسسة ذات صفة قانونية وسياسية محددة .

٥ — لايمكن ايجاد حل الا باندماج الجالية القومية اليهودية الفلسطينية فى مجموع عالم الشرق الاوسط ، أى بالقضاء على تبعيتها للاقتصاد الامريكى والغربى واقامة تعاون بينها وبين بقية شعوب الشرق الاوسط . وهذا يستدعى أيضا تصفية الوكالة اليهودية والغاء القوانين المنظمة لاولوية هجرة اليهود الى اسرائيل ، وأيضا اى نظم عنصرية ودينية لاسرائيل .

٦ — اقامة دولة فلسطينية وعودة اللاجئين الى اسرائيل ، أو اى اجراء آخر يخصهم لايمكن

أن يبت فيه الا الفلسطينيون أنفسهم دون أى تدخل من الخارج ».

٧ ـ التزام الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين بتأييد كفاح الشعب الفلسطينى من اجل التحرر الوطنى لا يحول دون ان نطالب المنظمات الممثلة للشعب العربى بأن تحدد من وجهة نظرها ، مستقبل الجالية اليهودية فى اسرائيل .

ويرى مؤتمر الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين أن يتخلى الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين عن موقفه الحيادى المتناقض ، ويدين العدوان الامبريالى الاسرائيلى على سوريا وعلى الجمهورية العربية المتحدة .

ويشجب الدعايات والاستفزازات العنصرية التى صاحبت حملة تأييد اسرائيل فى فرنسا . ويقرر أن يتجه نشاط الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين وكذا أجهزته الاعلامية نحو التضامن الشامل مع حركة التحرر الوطنى والاجتماعى والسياسى للشعب الفلسطينى وللشعوب العربية ضد الامبريالية والصهيونية .

كما يوافق على انضمام الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين الى « جماعة البحث والعمل من اجل تسوية القضية الفلسطينية » التى اسسها السيدان بيرل وورودنسون .

وكما كان المؤتمر يدرك أهمية بذل الجهود للشرح ولتبديد الخرافات والاوهام .

فهو يطالب الـ F.G.E.L الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين بأن يقوم على هذا الاساس بنشر واسع للمعلومات بين الاوساط الطلابية عن طريق المطبوعات والمناقشات مساهمة منه فى تبديد نواحى الخلط القائمة الان .

■■■

الحزب الاشتراكى الموحد
قرار حول الشرق الاوسط

موقفنا

المبدئى العام يعتبر ان التسوية الشاملة لكل القضايا المعلقة فى الشرق الاوسط لايمكن أن تقوم الا على الاعتراف المتبادل بالحقوق والامانى القومية لكل من الشعب الاسرائيلى والشعب العربى فى فلسطين ، وعلى استقلال بلاد الشرق الاوسط وتطور القوى الاشتراكية واقصاء المصالح الامبريالية الاجنبية عن هذه البلاد .

.. وإلى أن تتوفر امكانيات التعاون الحقيقيى بين القوى التقدمية فى اسرائيل وفى العالم العربى ضد العدو الامبريالى المشترك ، فانه يتعين اتخاذ الاجراءات الوقائية اللازمة لتوفير نوع من التهدئة ولمنع تجدد الصدام .

ـ يجب أن تجدد اسرائيل علنا التزامات حكومة اسرائيل قبل نشوب النزاع وان تمتنع عن أى توسع وأى ضم لاى جزء من الاراضى العربية أيا كانت المبررات الاقتصادية أو العسكرية أو الدينية .

ـ يجب أن تنسحب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراضيهم ، مما يفترض بالتبادل ، ضمان الحدود الاسرائيلية بارسال قوات أمن دولية على جانبى هذا الخط أو بأى وسيلة أخرى .

ـ يجب أن يتم النقاش بين دولة اسرائيل من جانب ومجموع الدول العربية وممثلى الشعب العربى فى فلسطين من جانب آخر ، تحت اشراف الامم المتحدة أو عن طريق اى وسيط آخر من أجل أن تحل فى آن واحد :

ـ القضايا التى يثيرها الاعتراف بدولة اسرائيل والتعريف الحالى للجنسية الاسرائيلية القائمة على مفهوم دينى للدولة .

ـ قضايا اللاجئين العرب واللاجئين اليهود من الشرق ومن شمال افريقيا .

ـ قضية التطور الاقليمى المتناسق الذى تموله الامم المتحدة فى مجموعها بعيدا عن اى تدخل امبريالى ، ويشمل ذلك بالاخص استخدام المجارى المائيه وموارد الماء .

ونحن نعتقد ان مثل هذه الاجراءات وحدها قادرة على ضمان اقرار السلام فى المستقبل العاجل كما تسمح بالوصول الى مشروع حل دائم .

وهكذا يمكن ان تتحقق شروط تخطى الصراعات القوميه والعنصريه والدينيه التى تساهم اليوم فى طمس معالم الصراع الحقيقى حول المصالح ، وهو صراع لايفصل بين مصالح الشعب العربى والشعب الاسرائيلى ، بل يفصل بين مصالح الكادحين الاسرائيليين والكادحين العرب من جانب ومصالح الامبريالية العالمية من جانب آخر . وهكذا يمكن ان تتهيا فى المدى البعيد امكانيات تاليف اتحاد كونفدرالى اشتراكى واسع فى الشرق الاوسط تتلاشى فيه بالضرورة الحواجز القائمة على أساس الاصل الانتولوجى أو العقيدة السياسية ، كما يزول فيه أيضا التفاوت فى التطور الاقتصادى والاجتماعى ، بوصفه الاساس المادى للنزاع .

نداء الطلبة اليهود المعادين للصهيونية

على اثر صدور البيان المنشور فى جريدة « الموند » بتاريخ ١٥ يونيو، تكونت « لجنة اتصال بين الطلبة اليهود غير الصهيونيين » [وعنوانها المؤقت : السيد/سلومو اسيدو، ٢٧ شارع فنلون ، مونروج ، ٩٢] .

وقامت اللجنة على الاسس الاتية :

١ — لاتقدم الصهيونية سوى حل خاطىء لمشكلة معاداة السامية .

٢ — اضطرت الصهيونية الى وضع نفسها فى خدمة القوى الامبريالية لكى تحقق هدفها ، وهو اقامة دولة اسرائيل . وتدخل السياسة العدوانية الحالية التى تنتهجها اسرائيل فى اطار هذه الضرورة .

٣ — ترتب على اقامة دولة اسرائيل حرمان الشعب الفلسطينى من حقوقه .

٤ — يجب الاعتراف بحقوق الجماعة القومية اليهودية الفلسطينية ونطالب زملاءنا العرب التقدميين بتحديد أنظمتها .

■■■

نداء من أجل احترام الانسانية فى الشرق الاوسط

يدعو الموقعون ادناه كل الناس الى :

١ — التفهم الحقيقى لاوضاع اللاجئين العرب الذين تزايدت اعدادهم من جراء الحرب القائمة ، ويتضمن هذا التفهم احترام اللاجئين مع المبادرة بتقديم المعونة المادية لهم على أن تكون منزهة من الاغراض [بلا لون سياسى] .

٢ — يدعون حكومة اسرائيل الى احترام المساجد والاماكن المقدسة عند المسلمين التى أصبحت الان تحت سيطرة اسرائيل وأن تخصص هذه الاماكن المقدسة ليمارس فيها المسلمون قاطبة طقوسهم الدينية .

٣ — يدعون الدول اعضاء الامم المتحدة الى اعتبار رفاهية الشعوب المعنية ذات أولوية فى كل المداولات الخاصة بأزمة الشرق الاوسط وأن يحال دون ترك هذه المنطقة من العالم نهبا لمناورات ومؤامرات الحرب الباردة .

٤ — يتكلمون بالاخص باسم شعوب العالم الثالث ويعلنون تضامنهم الاخوى مع كل المتمسكين باخلاص بتقاليدهم وبأهدافهم الخاصة .

(نداء وقع عليه ١١٠ جامعيين امريكيين وانجليزيين وانضم اليهم بعض الفرنسيين)

■■■

نداء عربى اسرائيلى مشترك حول أزمة الشرق الاوسط

فى الوقت الذى يتردى فيه الشرق الاوسط فى حمام الدم الثالث خلال السنوات العشرين الماضية ، قمنا ، نحن اليهود والعرب المثلين للمنظمات السياسية الاسرائيلية والفلسطينية المتجمعة تحت رعاية مؤسسة برتراند راسل للسلام ، بمناقشة الازمة الراهنة وحللنا تاريخها، ونتقدم بحل ونوجه النداء التالى :

لقد مل الجيل الجديد فى العالم بأسره الايديولوجيات والسياسات والصراعات العنصرية والقومية . وقد اغرقت هذه السياسات فى مناسبات عديدة ، مناطق كاملة من العالم فى حروب غير مجدية ودموية ، لتؤكد للانسانية الخائبة الظن أن هذه السياسات عاجزة فى صميمها عن حل المشاكل الناجمة عن وجودها . وتقدم لنا الهند وباكستان ، واليونان وتركيا ، والعراق وكردستان ، وأخيرا دولة اسرائيل والعرب ، امثلة لحالات من النزاع قد تختلف

جذورها السياسية ولكنها تتفق كلها فى أن وقائعها الاساسية غارقة فى سيول من التعصب القومى المتنافس. وكانت النتيجة الوحيدة لهذه السياسات تحويل المضطهدين [بفتح الهاء] الى مضطهدين وتحويل الطغاة الى ضحايا ».

.. والنزاع العربى الاسرائيلى استمرار « للمشكلة الفلسطينية » فى شكل جديد . و « المشكلة الفلسطينية » هى نزاع بين الصهيونيين السياسيين والفلسطينيين العرب . وهى نتاج تجريد السكان العرب ، ابناء فلسطين ، من اراضيهم عن طريق الاستيطان الصهيونى ، ولا شأن لذلك بمشكلة معاداة السامية اللهم الا أن الصهيونية نفسها نتاج المعاداة الاوروبية للسامية. والمواقف المعادية لليهودية غير معروفة فى العالم العربى حيث ازدهرت جاليات يهودية كبيرة خلال قرون من الزمن [...]

.. ويجب أن يحقق الحل الذى نقدمه هنا الضرورات الاساسية التالية :

١ — لابد من حدوث تغيير عميق وثورى فى اسرائيل ، ولا بد من تصفية نظم القوة الصهيونية اليهودية ، ولا يمكن أن يتم ذلك الا من خلال صراع داخلى يشترك فيه كل من هم غير صهيونيين أو معادين للصهيونية داخل اسرائيل ويرغبون فى اندماج هذه الدولة فى الشرق الاوسط .

٢ — تعيد اسرائيل غير الصهيونية كل اللاجئين الفلسطينيين الى وطنهم ماداموا يرغبون فى ذلك وتقدم التعويضات لمن يفضلون البقاء خارجها فى مقابل فقدانهم أملاكهم واراضيهم وفى مقابل آلامهم .

وتعلن اسرائيل غير الصهيونية استعدادها للتنازل عن بعض أراضيها للفلسطينيين وتساعدهم على اقامة دولة فلسطينية مستقلة اذا رغبوا فى ذلك ».

٣ — وسواء انتظم الفلسطينيون فى دولة أم لم ينتظموا فى دولة للحفاظ على وحدتهم فان الدولة الاسرائيلية غير الصهيونية والمتغيرة ستنتهج سياسة ترمى الى تكوين دولة فيدرالية اشتراكية ، غير متعصبة قوميا ، لكل من اليهود والفلسطينيين، على أن يتمتع فيها كل من اليهود والعرب بكافة حقوقهم المدنية وبحرية ممارسة الطقوس الدينية.

٤ — تساهم هذه الدولة الفيدرالية فى عملية التوحيد السياسى والاقتصادى للشرق الاوسط فى مجموعه .

ويتوقف بالضرورة ، تطبيق هذه المبادىء على الظروف ، ولكن يجب أن نعلن جهارا اننا لن نقبل بأى حال من الاحوال فرض اجراءات تفرقة قومية أو هيمنة عنصرية [...] .

.. ونعلن لكل القادة الاسرائيليين والعرب المتعصبين أو العنصريين : لم تنجحوا خلال ١٩ عاما فى التقدم خطوة واحدة فى طريق التفاهم ». وقد خضتم حربين وتستعدون للثالثة وهى لن تجلب السلام بل الموت ».

ونحن الاشتراكيين الاسرائيليين والعرب قد وضعنا حلا للمشكلة . ونحن ندعوكم الان الى تقديم حلكم ». واذا فشلتم فان التاريخ سيحكم عليكم لا كمحررين تكلل جباهكم أكاليل الغار أو كمواطنين معادين للامبريالية ، بل كضحايا لدعاياتكم وكأسرى لايديولوجيات بالية ولانفعالات عاطفية قمتم باثارتها . لماذا استطعنا نحن أن نتوصل الى حل مشترك بالرغم من تعقيدات القضية ولم تتوصلوا أنتم لذلك ؟ هل يرجع السبب فى ذلك الى اننا نتكلم أولا وقبل كل شىء كأعضاء فى الجماعة الانسانية ، ثم نتكلم بعد ذلك بوصفنا افرادا فى هذه الامة أو تلك ، فى حين انكم تفعلون العكس تماما ؟».

نواصل نشر دراسة جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية فى العدد القادم

الطليعـــة عـــام ١٩٦٨

فهرس كامل بما نشر من مقالات وتقارير ووثائق

« يناير — ديسمبر ١٩٦٨ »

■ الجمهورية العربية المتحدة

سياسة عامة

تنظيم سياسى

قضايا فكرية وأيديولوجية

قضايا اجتماعية

اقتصــاد

العدد الصفحة

تاريخ

الوطن العربى

الصراع العربى الاسرائيلى

العدد الصفحة

سياسة دولية

قضايا عسكرية

ثقافة ـ أدب ـ فن ـ علوم

مكتبة الطليعة

من المجلات الفكرية والعالمية

تقارير

الجمهورية العربية المتحدة

سياسى عام

قضايا اقتصادية

ثقافة ــ أدب ــ فن ــ علوم

الوطن العربى

آسيا

أفريقيا

العالم العربى

العالم الشيوعى

أمريكا اللاتينية

ثقافة ـ أدب ـ علوم ـ رياضة

وثائق



سياستنا.. الاعتماد على أنفسنا
في تدعيم نهضتنا
وسماد بلدنا.. يحقق الخير والرخاء
ويوفر آلاف العملات الصعبة
التي كنا نستورد بها احتياجاتنا
من الخارج
نتروكيما
٢٦٪ آزوت
السماد الأصيل.. لجميع المحاصيل
شركة الصناعات الكيماوية المصرية
كيما
بأسوان

الثمن ١٠ قروش
مطابع مؤسسة الاهرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٢

فبراير ١٩٦٩ - السنة الخامسة

١٩٦٩ : عام النضال العربى المشترك

- حول الحل السلمى
- الأبعاد الدولية لمخطط اسرائيل

القاهرة ١٠٠٠ : الماضى .. الحاضر .. المستقبل

- الجزء الأخير من وثائق حوار فرنسى حول القضية الفلسطينية
- حوار .. حول ندوة الطليعة عن تثقيف الكادر والجماهير

أبطال المقاومة فى المسرح المصرى

الفهرس

العدد الثانى ـ السنة الخامسة ـ فبراير ١٩٦٩



طـريق المناضلين الى
الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
عبد المنعم القصاص

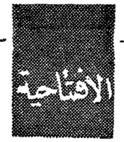
■

عنوان المراسـلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجـلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسـنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحـاد البريد العـربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الاراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحده فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى اطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك » .



١٩٦٩ : عام العمل العربي المشترك

مع مطلع كل شمس ، وعند انقضاء كل يوم تؤكد جماهيرنا بوقفتها الصامدة اصرارها على النضال ، ورفضها للاستسلام لاهداف العدو ، الذي يأبى الا ان يجعل من هزيمة يونيو العسكريه فرصة سانحة لتصفية الثورة العربية ، وتحقيق سيطرة اسرائيل والاستعمار السياسية والاقتصادية والعسكرية على منطقة الشرق الاوسط ...

ورغم العنف الاسرائيلي والدعم الاستعماري تصر شعوبنا على الصمود ، وتناضل من اجل تحقيق هدفها المباشر الذي لاترضى عنه بديلا ، أي التحرير الكامل للارض التي احتلها العدو في حرب يونيو ١٩٦٧ دون اي تنازل عن الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني الذي انبعث نضاله المسلح من جديد ليؤكد حقه في تحرير وطنه وتقرير مصيره بنفسه ورفض التشرد في الارض كلاجئين ، كما ارادت وتريد له قوى الاستعمار والصهيونية .

ان اسرائيل والقوى الامبريالية التي تقف من خلفها توسع نطاق العدوان ليشمل اجزاء جديدة من الوطن العربي مستهدفة غرس الفزع والرعب واليأس في قلوب العرب ، وتزيد من وحشية اساليب قمعها في محاولة يائسة لسحق الاصرار العربي على رفض الاستسلام . والشعب العربي يتلقى مثل هذه الضربات بمزيد من الاصرار على ضرورة التحرك الايجابي على كل الجبهات ليحقق يوما بعد يوم تغييرا حاسما في ميزان القوى

فى المنطقة ، هذا التغيير الذى يقرب يوم تحقيق الامل الذى لاتخبو جذوته • وتندفع الشعوب العربية فى بعض الجهات محققة تقدما بطوليا : ففى نفس الوقت الذى تعيد فيه شعوبنا بنـــاء قوتها العســــــكرية النظامية ـ التى انهارت فى اعقاب الهزيمة العسكرية فى يونيو ـ يشتد ساعد حركة النضال الفلسطينى المسلحة مسددة للعدو الصهيونى ضربات هامة ، وتتسع مقــاومة الجماهير العربية فى المناطق المحتلة مبرزة للعالم كله ولقوى التحرير والسلام ان قضـــــية الشعب الفلســـطينى هى قضـــية تحـــــرير وطنى ، وان كفاحه انما هو جـــزء من الكفاح العـــــالمى ضد الامبريالية وبذلك يساهم النضـــال الوطنى لشعب فلسطين مساهمة فعالة فى القضاء على اهداف اسرائيل والاستعمار فى السيطرة على الشعوب العربية •

على ان النصر النهائى يتطلب مزيدا من العمل لا فى جبهة واحدة بل على جبهات متعددة • ان الدور التحريرى للجيوش النظامية لابد وان يمتد الى جبهة وطنية متحدة فى كل بلد عربى • وكفاح الشعب الفلسطينى لابد لكى يحرز النصر ان يكون جزءا من كفاح الامة العربية كلها فى مواجهة الاستعمار والصهيونية • واذا كانت وحدة وتراص كل القوى الوطنية ووقوفها كتفا الى كتف هو السبيل الوحيد لصد وتحطيم اسلحة العدوان فى مواجهة كل بلد عربى فان تحقيق وحدة القوى الوطنية على الصعيد العربى هى سبيلنا الوحيد لتحـرير كل الارض العربية المحتلة واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى •

واذا كان تحقيق الوحدة الوطنية فى كل بلد من البلاد العربية ذات الانظمة التقدمية قد طلب كأساس له وحدة القوى الاشتراكية لتصبح هذه الوحدة النواة الصلبة التى تتجمع حولها كل القوى والجماعات الوطنية المختلفة الراغبة فى تحقيق الاســـــتقلال والحرية لشعبها وامتها ، فان وحدة القوى الثورية والتقدمية على النطاق العربى هى ايضا شرط اساسى لامكان تحقيق عمل عربى مشترك وفعال تتضامن فيه كل القوى الراغبة فى القضاء على العدوان وازالة آثاره .

لقد حددت قوى الثورة العربية مهمتها فى اجتماع الجزائر قبيل العدوان الاسرائيلى مباشرة • واعتبرت ان تحقيق وحدتها فى النضال ضد الاستعمار ضرورة حاسمة من اجل صد التحدى الاستعمارى ومن أجل تخليص بلادها من السيطرة الامبريالية • ومن عجب ان العـدوان الاســتعمارى الاسرائيلى والهزيمة العسكرية التى واجهتها الأمة العربية قد ادت الى مزيد من الفرقة بين القوى الثورية بدلا من ان تعمل علـى توحيدها • وادى ذلك الى عدم وضـوح الطريق وشاع التـردد والتشكك وتسرب اليأس احيانا الى صفوف الجماهير التى تسير خلفها •

لقد اثارت الهزيمة قضية اختيار الطريق الاسلم من اجل تحقيق الصمود وازالة آثار العدوان • وتنازعت قوى ثورية مختلفة حول دور النضال السياسى والسلمى ، وحول دور الجيوش النظامية ودور المقاومة المسلحة وحرب التحرير الشعبية • كما اختلفت حول اهمية العمل العربى الموحد ، وطبيعتـه ومداه ؟ وما اذا كانت وحدة العمل العربى

هي وحدة بين القوى الثورية او بين القوى العربية كلها • وذهبت المناقشات احيانا الى افتراض ان هذه الوسائل بدائل يقوم بعضها مقام البعض الاخر وليست وسائل مختلفة وطرق للوصول الى نفس الهدف الواحد ،هذا الهدف يتطلب استخدام كافة الوسائل في نفس الوقت •

على أن تجربة الشعوب العربية من خلال الشهور الثمانية عشر الماضية قد ابرزت خطر تفاقم هذه الخلافات كما ابرزت بالمثل ضرورة تصفيتها • ان قبول بعض الحكومات العربية لقرار مجلس الامن وتعاونها مع هيئة الامم المتحدة وسفيرها جونار يارنج من اجل وضع هذا القرار موضع التنفيذ لم يؤد الى المساومة على حقوق العرب الاساسية او تصفية قضية فلسطين ، وان اعادة عرض القضية العربية في الميدان الدولي بشكل يعزل اسرائيل ويحرم العدو الاسرائيلي من العطف الدولي الذي استطاع ان يحرزه في ابان العدوان ذاته ، لم يمنع من نمو حركة المقاومة المسلحة للشعب الفلسطيني : بل على العكس كانت هذه الحركة ذاتها هي السند الاساسي لكل عمل سياسي واعلامي يستهدف تعبئة كل القوى المعادية للامبريالية لتاييد الحق العربي ، ولكشف المخطط الصهيوني الاستعماري والقضاء عليه •

ولم يحل النمو المستمر لحركة المقاومة المسلحة دون اعادة بناء القوات العربية النظامية لكي تصبح القوة الاساسية التي يستند اليها في المواجهة العربية الاسرائيلية المحتملة • وفي تدعيم الجهود السياسية المبذولة لحل الازمة • كذلك فان العمل من اجل تصفية اثار عدوان يونيو ١٩٦٧ لم يؤد الى فرض حل على الشعب الفلسطيني او الى محاولة لفرض حل على هذا الشعب المجاهد • وعلى العكس فان الجمهورية العربية المتحدة والتي كانت من اولى الدول التي قبلت قرار مجلس الامن وسعت الى تنفيذه أعلنت على لسان الرئيس عبد الناصر في الدورة الافتتاحيه لمجلس الامه الجديد ان قبولها لقرار مجلس الامن لايتعارض مع رفض منظمات المقاومه الفلسطينيه لهذا القرار • فالقرار وان كان كافيا لتصفيه الاثار التى ترتبت على عدوان يونيو ١٩٦٧ • الا انه لايعتبر كافيا لحل قضيه الشعب الفلسطيني واستعادة حقوقه المشروعة • كما ان الجمهوريه العربية المتحدة تتخذ خطا ثابتا هو دعم منظمات المقاومة الفلسطينية ، وتاييدها تاييدا كاملا في نضالها المسلح لاستعادة حقوق شعب فلسطين ، وترى انه ليس لاحد حق الوصاية على الشعب الفلسطيني الذى تعبر عنه منظماته السياسية وقواته المناضلة •

واخيرا فان العمل العربي المشترك الذى تمثل فى مؤتمر الخرطوم واتفاقية الدعم العربي لم يصبح قيدا بصورة او اخرى على حركة القوى التقدمية او الثورية فهو لم يمنع قوى الثورة اليمنية او القوى الوطنيه في الجنوب العربي من دحر المرتزقة والقوى الموالية للاستعمار • واتاح فى نفس الوقت للشعوب العربية التى تقف فى خط المجابهة مع اسرائيل دعما مكنها من تحقيق الصمود في الجبهة الاقتصادية واتاح لها بالتالى القدرة على استعادة امكانية الحركة والنضال •

ان حماية حركة النضال المسلح للشعب الفلسطيني ودعمها ، والانتقال الى مرحلة تحرير الارض التى احتلها العدو عقب عدوان يونيو ١٩٦٧ يتطلب عملا عربيا مشتركا فى اكثر من جبهة ومازالت هناك امكانيات عربية للضغط السياسي والاقتصادى لم تستخدم لدعم الجهود من اجل حل سلمي يضمن حقوق العرب الاساسية ويحرر الارض المحتلة دون مساومة • •

وفى المجال الاقتصادى لم تحشد شعوب الامة العربية الا النذر اليسير من قواها فى سبيل الاستعداد لمعركة التحرير واستعادة الارض المغتصبة .

ان مفتاح الموقف بالنسبة للعمل فى هذه الجبهات جميعا هو تحقيق وحدة أوثق بين جميع القوى الثورية والوطنية ، وحدة لاتكون بديلا عن عمل عربى مشترك أوسع بل تكون نواته الصلبة ، وحدة تستند الى وحدة القوى الوطنية فى كل بلد عربى ، وتعبىء القوى الشعبية لمواجهة العدو الرئيسى ،وتدعم النضال المسلح لشعب فلسطين وتحميه . وحدة تستهدف تحرير الارض العربية المحتلة وتناضل بكل وسائل النضال ، بالعمل السياسى والدبلوماسى ،بتهيئة القوة المتزايدة لجيوش أمتنا النظامية لتصبح قادرة على ان تلعب دورها الهام فى معركة التحرير ، بالدعم المستمر للمقاومة فى الاراضى المحتلة ، بتهيئة جيوش الدفاع والمقاومة الشعبية فى كل بلد عربى معرض للعدوان للحد من امكانيات اسرائيل الانتقامية ، ولتشترك جماهير شعبنا اشتراكا فعليا فى مقاومة العدوان والقضاء على مخططاته ، بالعمل على انشاء جبهات عربية عسكرية مشتركة لحماية قواعد المقاومة المسلحة للشعب الفلسطينى ، ثم استرداد الارض المحتلة بالتعبئة الاقتصادية لكافة قوى امتنا وتوجيهها لخدمة المعركة .

ان كل الدلائل تشير الى ان العدو الصهيونى يتعجل الحصول على نتائج نصره العسكرى فى يونيو ١٩٦٧ ، وانه على استعداد لمغامرات جديدة تستهدف حسم الامور لصالحه . وقوى الثورة العربية مطالبة بان تواجه مسئولياتها ، وان تجعل من عام ١٩٦٩ عام التغيير الحاسم لصالح الثورة العربية ، وسبيلها الوحيد لذلك هو العمل الجاد ، المبادر والمسئول من اجل تحقيق وحدة كل القوى الثورية والوطنية .

« الطليعة »



حــــول الحـــل الســـــلمى

أبوسيف يوسف

يجرى فى هذه الايام نشاط دبلوماسى دولى متزايد الايقاع والاتساع . فبعد أن بادر الاتحاد السوفييتى بتقديم مشروعه الخاص بايجاد تسوية سلمية لازمة الشرق الاوسط التقطت فرنسا الخيط وابدت من جانبها ردود فعل ايجابية تؤيد المشروع السوفييتى فى خطوطه العامة . واذا كانت المؤسسة العسكرية الصهيونية قد أعلنت عن رفضها للمشروع السوفييتى ، واذا كانت حكومة جونسون أيضا قد ساندت اسرائيل وبعثت برد يرفض المشروع من الناحية الموضوعية ويتبنى مطالب الصهيونية التوسعية ، فان أوساط الراى العام العالمى لم تكف — مع ذلك — عن الضغط المتواصل فى اتجاه ان تلتقى الدول الاربع الكبرى لتتفق على حد ادنى من المواقف يمنع كارثة حقيقية تتمثل فى تجدد القتال مرة اخرى مع مافى هذا من احتمالات جدية لاتساع هذا القتال بكيفية تهدد السلم العالمى تهديدا خطيرا . وان نيكسون نفسه يعترف فى تصريحاته الاخيرة « بانه اذا لم يقطع شريط الانفجار فان الانفجار التالى قد يسبب مواجهة بين الدول النووية » .

هنا نجد لزاما أن نتوقف عند موضوع «التسوية السلمية » او «الحل السياسى» محاولين ان نصل الى وضوح حول معنى الحل السلمى ، طبيعته وشروطه . يدفعنا الى ذلك ان اقساما وطنية من

الراى العام فى كافة ارجاء الوطن العربى تواجه كل حديث او مسعى عن التسوية السلمية للنزاع العربى الاسرائيلى بحذر شديد وبتحفظ يتساوى — احيانا — فى صرامته مع الرفض المسبق لمناقشة اية قضية من هذا القبيل .

وهذا الموقف ليس غريبا — مع ذلك — وهو نابع من شعور وطنى ، ومن احساس بالكرامة الوطنية جريح ، ومن مرارة الهزيمة ، ومن الرغبة المتأصلة فى ردع العدو وانزال العقاب العادل به . غير ان هذا الدافع الوطنى الذى يزحزح الجبال ويحقق المعجزات — كما يعلمنا تاريخ الانسانية — يجب الا ينتهى الى ان يكون مجرد موقف مناف للتفكير العلمى ، ومعارض لوقائع الحياة وللمعطيات السياسية والصلبة فى الحياة الدولية وفى الوطن العربى ، وفى داخل كل بلد عربى على حدة .

ومنذ ٥ يونيو مباشرة ترددت بعض شعارات فى بعض الاوساط الوطنية ترفض « وقف القتال على اية صورة » وارتفعت اصوات اخرى ترفض كل شىء وكل عمل ، وتصر على ترديد شعارات « الحرب الثورية او الشعبية الشاملة » فى كل البلاد العربية وعلى كافة الجبهات . على اعتبار ان « الحرب هى مدرسة الشعوب .. الخ » .

على انه اذا وضعنا اعيننا على الدروس التى يقدمها تاريخ الانسانية فسوف نجد انه لم يحدث قط ان وقعت حرب من الحروب دون ان يكون للاطراف المتنازعة هدف محدد من وراء الاشتباك فالحرب هى امتداد للسياسة ، ولكن بوسيلة اخرى . والسياسة هى التى تحدد الهدف ، وتحدد الوسائل ، ثم تستخدم فى النهاية ووفقا لشكل ظرف موضوعى ، هذه الوسيلة او تلك ، العمل المسلح او العمل الدبلوماسى .

[١]

ثم ندخل الى الموضوع مباشرة لنسأل ماهو الهدف الرئيسى الذى تضعه امام ناظريها القوى الوطنية والتقدمية فى الوطن العربى . والاجابة نستمدها من تحليل لطبيعة العدوان الذى وقع علينا فى ٥ يونيو ، ولطبيعة الاطراف التى دبرت هذا العدوان ونفذته وشاركت المعتدين وساندتهم . وهنا نرى ان هذا العدوان موجه فى الاساس ضد حركة الثورة العربية : ضد آفاقها القومية والوطنية وضد محتواها الاجتماعى والتقدمى . اما الاعداء الذين قاموا بالعدوان فهم الصهيونيون التوسعيون الذين دابوا منذ ان وطئت اقدامهم فلسطين على تنفيذ مخطط اسرائيل الكبرى « من النيل الى الفرات » ، وهم يمضون فى تنفيذ هذا المخطط معتمدين اعتمادا مباشرا على الامبريالية العالمية ، وقد نفذوا عدوانهم الاخير معتمدين فى الاساس على الامبريالية الامريكية والالمانية الغربية ، ومدعمين بكل الامكانيات الجبارة للاحتكارات العالمية بما فى ذلك الوكالة الصهيونية العالمية .

وهكذا ، فاذا كنا نرفع منذ ٥ يونيو شعار تصفية آثار العدوان ، هذا الشعار الذى يعنى انسحاب الغزاة من كل شبر استولوا عليه من الارض العربية بعد ذلك التاريخ ، وعدم التفريط فى حقوق شعب فلسطين ، فان الهدف الرئيسى سيبقى كما كان : وهو دعم الثورة العربية وتحقيق نهوض مجدد فى الحركة المعادية للامبريالية والصهيونية ، والمضى بعزم اشد فى طريق تصفية مواقع المستعمرين القدامى والجدد وامتيازاتهم وهو طريق الديموقراطية والتقدم الاجتماعى ، والاشتراكية .

من هنا فان اساليب العمل والكفاح يجب ان تخدم — سواء فى ذلك المواقف التاكتيكية او الاستراتيجية — ذلك الهدف وهو دعم حركة التحرر العربى فى كل ارجاء الوطن العربى وتأمين انطلاقة حاسمة لها بعد نكسة يونيو .

واختيار الاسلوب الدبلوماسى او الاسلوب العسكرى ليس مسألة ذوق شخصى او رغبة خاصة . ولكن تحديد الاسلوب تحكمه اعتبارات موضوعية وحقائق صلبة يؤدى تفهمها والاعتراف بها ومحاولة الاستفادة منها الى دعم حقيقى للموقف العربى ، كما يؤدى تجاهلها الى مزيد من التدهور والتفكك على الجبهة العسكرية وفى داخل الصف الوطنى برمته .

ولنضرب مثلا على ذلك موقف ج.ع.م. بعد ٥ يونيو . لقد قبلت القيادة السياسية قرار وقف اطلاق النار وشرعت منذ ذلك التاريخ — وفى المحل الاول — تنهج اسلوب العمل السياسى والدبلوماسى . والقيادة السياسية لم تفعل هذا بدافع من الرغبة فى الاستسلام وقبول شروط العدو الصهيونى والخضوع لضغوط الامبريالية الامريكية . بل لقد قبلت قرار وقف اطلاق النار منطلقة من واقع مرير ، وهو ان القوات المسلحة قد ضربت ضربات قاتلة ، وكان الاستمرار فى القتال فى ذلك الوقت يعنى — عمليا — فتح طريق القاهرة امام قوات العدو الاسرائيلى . وفى خلال ثمانية عشر شهرا واعتمادا على اسلوب العمل السياسى ، امكن لبلادنا ان تعيد بناء القوات المسلحة ، وان تقصى من السلطة قوى

الاستسلام والخضوع للامبريالية ؟ وكل هذا حقق مايلى :

— احبط خطة اسرائيل فى فرض شروط الاستسلام على البلاد العربية .

— احبط خطة الامبريالية فى الاطاحه بالنظم التقدمية بفضل الدور الحاسم الذى لعبته الجماهير ومبادراتها ونزولها منذ ٩ يونيو الى ساحة المعركة

— دعم موقف الاردن الذى اختصه العدو ولايزال يختصه بأكبر قدر من هجماته .

— فتح طريقا حقيقيا لنمو العمل الفدائى المسلح الذى بدا يفرض وجوده منذ ذلك الوقت

فاذا لخصنا محصلة هذا العمل السياسى والدبلوماسى امكن القول بأنه كان عاملا رئيسيا من عوامل تحقيق الصمود على الجبهة العسكرية ذاتها .

وفى الوقت ذاته فان الجمع بين الصمود ورفض الاستسلام لشروط اسرائيل وبين التدليل العملى على رغبة بلادنا فى تسوية سلمية شريفة قد حقق مايلى :

— مكن خلفاء الثورة العربية وأصدقاءها وفى مقدمتهم الاتحاد السوفييتى والبلدان الاشتراكية من ان يقدموا مساندتهم المادية والادبية . ونشأ بوجود الاسطول السوفييتى فى البحر الابيض المتوسط وضع جديد حرم الاسطول السادس الامريكى عمليا من ميزة التسلط فى هذه المنطقة وحد من ارهابه لحركة التحرر العربى .

— ساعد على فتح ثغرة خطيرة فى جبهة الدعاية الصهيونية خصوصا فى اقسام هامة من الرأى العام الاوربى الغربى .

— اتاح لعامل الوقت ان ينضج الخلافات داخل جبهة الدول الرأسمالية ، ليتطور موقف فرنسا — لاول مرة — ضد العدوان الصهيونى من ادانة للعدوان الى حجب السلاح عن اسرائيل .

واذا لخصنا هذا كله — بعبارة اخرى — قلنا ان العمل الدبلوماسى والسياسى هو الذى خدم قضية الثورة العربية . وقد تم ذلك بالتجديد فى ظروف موضوعية محددة كان الاصرار على القتال فيها يعنى امتدادا محققا لنكسة ٥ يونيو لتكون كارثة اشمل .

وعلى ضوء هذا ايضا ، علينا ان نواجه قضية « التسوية السلمية » .

[٢]

ولكن هنا يثور سؤال : ماطبيعة التسوية السلمية التى يمكن قبولها . وماهى شروطها ؟

نستطيع ان نقول بايجاز ان التسوية السلمية التى تخدم قضية الثورة العربية وتؤمن تقدمها هى التسوية التى تتم عندما تثبت الشعوب العربية لاسرائيل ان سياسة القوة واساليب العنف والسلب التى اتبعتها لا ولن تحقق اهدافها فى التوسع — وفى فرض شروطها على العرب .

واذا وصلنا الى هذه التسوية ، وعلى الصورة التى ذكرنا فاننا نكون قد حققنا بأقل الخسائر المطلب الملح : تصفية آثار العدوان ، ونكون قد فوتنا على الامبريالية الامريكية فرصة تصفية القضية الفلسطينية لحساب اسرائيل ، ونكون بالتالى قد زودنا حركة التحرر العربى بطاقة حقيقية تمكنها من الانتقال من مواقع الدفاع الى مواقع الهجوم على الامبريالية والصهيونية .

الا ان تحقيق مثل هذه « التسوية السلمية » يعد فى الواقع من الامور التى لايمكن تصورها الا استنادا الى عدة عوامل او شروط موضوعية اساسية فى مقدمتها :

الشرط الاول : هو ان نقنع الاصدقاء وان نضع الاعداء امام هذه الحقيقة وهى ان الشعوب العربية قد بدات تملك القوة والاستعداد لان تخوض ضد الصهيونية حربا طويلة ، وان تقدم كل التضحيات المطلوبة . وهنا تطرح قضية الجبهات الداخلية نفسها كأولى القضايا واكثرها حيوية . ومن الخطأ ان نضع انفسنا امام اختبارات غير واقعية : الجبهة الداخلية أم الجبهة العسكرية فالواقع ان دعم ورفع كفاءة القوات المسلحة للبلدان العربية المقاتلة قضية لا تحتمل التأجيل ولا يختلف عليها اثنان . واذا كان للشعوب العربية ان تتعلم من الهزيمة التى حاقت بها وان تتعلم ايضا من عدوها ، فان عليها ان تتلقن هذا العلم الشاق ، علم تكوين جيوش لها وزن حقيقى اذا ماوضعت موضع الاختبار .

لكن الجيوش تظل مع ذلك الفصائل المسلحة التى تنبع من جيش اكبر وهو الشعب . ومن هنا فان دعم الوحدة بين كل القوى الوطنية والتقدمية — خصوصا بين الطلائع المناضلة من اجل الاشتراكية — هو الدرس الاول الذى يجب ان

يعية العدو الامبريالى والصهيونى ليقتنع بأنه لامل فى تنفيذ مخططه المباشر وهو اسقاط النظم التقدمية فى البلدان العربية . ويتطلب دعم الجبهة تثقيف الجماهير من خلال عمل سياسى يومى بطبيعة المعركة وابعادها واحتمالاتها المختلفة ومواقف الاصدقاء وخطط الاعداء . واعداد الشعب ليتجاوز الاثار النفسية للنكسة بحيث لا يفقد الاتجاه امام الصعوبات القادمة ، ولا تدير رأسه الانتصارات . وان يتم تحول حقيقى فى مجال زيادة الانتاج وفى تخطيط الاقتصاد ليكون تماما فى خدمة متطلبات المعركة ، وحتى يقدم الشعب التضحيات المطلوبة بدافع الحافز الوطنى ، وبشعور ان هناك مساواة فى التضحية بين جميع الطبقات الوطنية .

انطلاقا من هذا ، ومن العمل الحقيقى لدعم الجبهات الداخلية ، تستطيع الشعوب العربية ان تغلق فى وجه الامبريالية والصهيونية باب الامل فى حدوث انهيار داخلى لنظم الحكم التقدمية .

والواقع ان الامبريالية قد علمتنا انها لا تتراجع الا مكرهة وتبدأ فى التراجع عندما تعجز عن تنفيذ مخططاتها ، وعندما يتضح لها ان الاستمرار فى تنفيذ هذا المخطط يكلفها من الخسائر اكثر مما يحقق من المكاسب . وتجربة شعب فيتنام الذى اضطر الامبريالية الامريكية الى وقف الغارات الجوية والتقدم الى مائدة المفاوضات تثبت ان فى مقدور الشعوب ان ترغم اعداءها على التراجع ، دون ان يعنى هذا التراجع ان الامبرياليين قد غيروا طبيعتهم وتنازلوا عن أهدافهم الرئيسية .

وكما ان العمل على دعم الجبهة الداخلية وبناء وحدة حقيقية بين كل القوى الوطنية والتقدمية يقطع الطريق على الاعداء ، فانه يمكن الحلفاء — ايضا — والاصدقاء من ان يقدموا مساعداتهم فى افضل الظروف ، ويتيح لهم قدرا اكبر من حرية الحركة ومن المبادرات التى تخدم نضال الامة العربية . ولعل تجربة شعبنا ايام العدوان الثلاثى فى ١٩٥٦ انتكون هاديا ومرشدا . فعندما تحققت وحدة كل القوى الوطنية والتقدمية خلف القيادة السياسية ، وعندما اعلنت القيادة السياسية عن عزمها الذى لا يلين على استمرار الكفاح ضد الغزاة المعتدين وعدم الخضوع لشروطهم ، تمكن الاتحاد السوفيتى فى ظروف دولية مواتية فى ذلك الوقت ان يقدم انذاره المعروف الى المعتدين ، مقصرا بذلك اجل العدوان . **لكن هذا يؤكد مرة اخرى ان مفتاح الموقف ليس بالدرجة الاولى فى يد الاصدقاء وليس فى يد الاعداء بل فى يد الشعوب العربية** . وبمقدار ما نقنع الاصدقاء — من باب اولى بالطبع — والاعداء بنمو وحدتنا وقوتنا الذاتية ، بمقدار ما نفتح الطريق امام تسوية سليمة عادلة تؤمن الانطلاق وتؤمن الثورة العربية ضد النكسات المضاعفة .

الشرط الثانى : ان ينجح العرب فى توحيد كل القوى المعادية للاستعمار والصهيونية حولهم ، وهذه القوى هى قوى البلدان الاشتراكية وقوى البلدان التى تقاتل من أجل استقلالها ضد الامبرياليين والمستعمرين الجدد . وهى ايضا قوى الرأى العام العالمى الديمقراطى ، والاوساط التى يمكن اقناعها بالاهداف الحقيقية للصهيونية كحركة عنصرية وتوسعية تهدد اعمالها المغامرة السلم العالمى .

وعلينا ان نعترف بأن ما تم فى هذا الاتجاه قليل ازاء الواجبات المفروضة علينا ، وازاء عدو يملك وسائل دعاية واعلام رهيبة يسلطها فى كل ساعة على عقول الملايين فى مشارق الارض ومغاربها . وفى هذا المجال ربما يحسن ان نؤكد على ملحوظتين :

الملحوظة الاولى : هو انه اذا كانت مجموعة البلدان الاشتراكية قد وقفت معنا وساندتنا منذ اللحظة الاولى ، الا ان هذه البلدان الصديقة قد تعرضت بعد ذلك لحملة مركزة من الافتراءات من قبل الصهيونية العالمية والامبريالية وصلت الى حد العمل التخريبى المباشر فى بعضها . ومن هنا فان التفتيش عن مواقف واعمال مشتركة لمقاومة الخطر الصهيونى ، والتوجه الى هذه الشعوب لشرح قضيتنا شرحا مستمرا ، كل هذا ضرورة لا يعفينا منها ان البلدان الاشتراكية تقف فى صفنا . وهذه الضرورة تؤكدها ان شعوب البلدان الاشتراكية فى مساندتها لنا انما تتحمل هى نفسها اعباء وتضحيات لا مفر منها .

والملحوظة الثانية : هى ان التحولات التى بدأت فى البلدان الرأسمالية ضد مواقف اسرائيل ومع الشعوب العربية ، هذه التحولات لا تزال محدودة وليست فى المستوى المطلوب لعزل اسرائيل كبؤرة عدوان مستمر عنصرى واستعمارى . وتحتاج الشعوب العربية — وعلى وجه ادق — القيادات السياسية التقدمية ان تستخدم التاكتيك القائم على النفس الطويل ، وان تتحدث الى كل قسم من اقسام الراى العام الغربى بل والامريكى باللغة التى يفهمها وان يقوم هذا التاكتيك ايضا على الافادة من النزاعات والتناقضات بين القوى الامبريالية ، وعلى تجميع القوى الصديقة والعاطفة على مهل . وعلينا فى هذا ان نتعلم — مرة اخرى — من اعدائنا ايضا . وان قصة اقامة «الوطن الصهيونى» الذى كان فى القرن التاسع عشر مجرد فكرة من الافكار تعلمنا ان نخطط لمستقبل طويل يستهدف تصفية الكيان الصهيونى ، وان ننفذ هذا المخطط فى اناة وخطوة بعد خطوة

آخذين فى الاعتبار فى كل مرة معطيات الوضع الدولى والعربى آخذين بعين الاعتبار دائما انه فى ظل انتصار السلام العالمى والمحافظة عليه تتضاعف انتصارات ومكاسب حركة التحرر العربى

على اننا اذا اردنا ان نضوغ محصلة الكلام من الشروط التى تضمن تحقيق تسوية سلمية مشرفة . قلنا ان المهمة **المباشرة والمجسمة فى هذا السبيل هى دعم الانظمة التقدمية والدفاع عنها لانها ركائز اساسية لانطلاق الثورة العربية ولردع العدوان** .واذا كانت هذه هى مهمة كل القوى والفصائل التقدمية — فى المحل الاول — فان هذه النظم التقدمية تتحمل أيضا مسئوليتها المباشرة التى تتلخص فى تمكين جماهير الشعب والمنظمات الشعبية على اختلافها من ان تتحرك بمبادرات ديمقراطية تكفى لردع الثورة المضادة فى الداخل وفى العادة يصبح النظام اى نظام قويا عندما يثقف الجماهير بحقائق الموقف ، وعندما يصبح فى مقدور الجماهير ان تحكم على كل شىء ، وان تفعل كل شىء بوعى .

[٣]

بعد الكلام **عن شروط التسوية السلمية** ، يصبح السؤال فى هذه المرة : هل نقبل تنازلات ام لا فى سبيل الحل السياسى او التسوية السلمية ؟ من الناحية المبدئية نحن نقبل تنازلات ولكن — فى نفس الوقت — تحديد هذه التنازلات يجب ان يتم على ضوء اثرها على حركة الثورة العربية ومستقبلها هل تدفعها الى الامام ام تكون بداية انتكاس مضاعف ؟ وبالطبع فان الحل او التسوية السلمية التى نريدها لن تكون الا نوعا من الحل الثورى ، لان الهدف كما قلنا هو دعم حركة الثورة العربية . ولا يدعم الثورة الا حل ثورى . ويكون الحل السلمى ثوريا عندما يصبح اساسا لانطلاق جديد لا مجرد عودة الى اوضاع قائمة . ويتم هذا بالتحديد برفض اى حلول تقدمها الامبريالية او الصهيونية على حساب : شعارات الحرية والاشتراكية والوحدة . ذلك ان لهذا الشعار — فى بلد كالجمهورية العربية المتحدة تطبيقاته فى سياستها الداخلية والخارجية . ففى الداخل هناك الاتفاق على مبدأ الاقتصاد المخطط ، وتأكيد الدور القيادى فى الاقتصاد القومى للقطاع العام ، وتحديد الملكية ، من هنا لا يمكن مثلا ان يضحى الشعب بهذه المنجزات فى مقابل ان تعلن الامبريالية الامريكية ان فى مقدورها ان تضغط على اسرائيل لتنسحب . وعلى العكس فان ابسط مقتضيات الصمود — فضلا عن تحقيق النصر — تتطلب المزيد من الدعم لهذه المنجزات لسد الثغرات والنواقص وتخطى العقبات والعيوب التى ظهرت فى التطبيق

وعلى سبيل المثال ايضا فان شعار الوحدة العربية بالنسبة لبلد كالجمهورية العربية المتحدة قد حملها على الدوام مسئوليات والتزامات قبل النضال الوطنى والتحريرى فى البلاد العربية . ولا نتصور ان تتم تسوية « سلمية » على حساب هذا الشعار أيا كانت وعود الامبرياليين وضغوطهم لان مثل هذا الحل ينتكس بقضية الثورة العربية ولا يخدمها .

واذا كان الحل السلمى من الناحية المبدئية هو حل يؤمن مسيرة ثورة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فكيف يكون هذا الحل من الناحية الموضوعية .

الواقع اننا نستطيع أن نستمد الشروط الموضوعية الاساسية لهذا الحل من خطب واحاديث الرئيس عبد الناصر . فهناك — على اقل تقدير — شرطان :

الاول : عدم التفريط فى شبر من الارض التى احتلت بعد ٥ يونيو « لن نوافق على ان تضم اسرائيل أى بوصة من أراضى اى دولة عربية » .

الثانى : رفض اى مساومة على حساب شعب فلسطين وتأييد نضال شعب فلسطين بكل صورة لاسترداد حقوقه وتقرير مصيره .

وانطلاقا من الاصرار الكامل على هذين الشرطين ، يمكن فى — نطاق التسوية السلمية — ان تقبل الاجراءات التى **لا تمس بحال قضية الثورة العربية بوجهيها الوطنى والاجتماعى** . وعلى سبيل المثال يمكن ان يقبل النظر فيما يتعلق بمرور اسرائيل من مضايق تيران وخليج العقبة تحت اشراف دولى لان

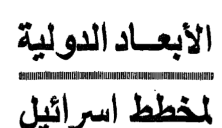
هذا المرور لم ينجح في السنوات الخمس الماضية في وقف نمو حركة التحرر الوطنى العربية. بل ان الثورة العربية نمت فى الواقع كمياوكيفيا وتحولت فى بعض البلدان العربية من ثورة ـ وطنية ـ الى ثورة تحدد اهدافا اشتراكية . وحتى بعد نكسة يونيو التى الحقت اضرارا سياسية واقتصادية ببعض البلدان العربية لم يثبت ان الثورة العربية فقدت القدرة على الحركة وعلى تحقيق المزيد من المنجزات . الم تكسب جمهورية جنوب اليمن الشعبية استقلالها وتتخلص من الاحتلال البريطانى الم توجه الى المصالح الامريكية فى اكثر من مكان فى الوطن العربى ضربات غير هينة ؟ بل كيف ننسى ابرز الحقائق بعد نكسة يونيو وهى تلك الحقيقة المتصلة بالميلاد الجديد لشعب فلسطين العربى ، هذا الميلاد الذى خرج عبر مخاض دموى وآلام لا توصف من احشاء الثورة العربية .

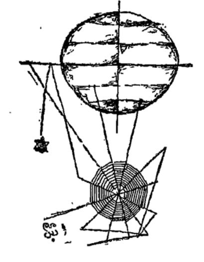
هكذا تظل القضية الاساسية فى البحث عن الحلول والاساليب سواء كانت سلمية امعسكرية هى قضية مستقبل ومصير الثورة العربية . وذلك فى مقابل الاستراتيجية الامبريالية التى تريد « تسوية شاملة للنزاع تضرب به الثورة العربية وتكافىء اسرائيل .

ولقد يبدو غريبا ان نتحدث فى هذه الايام من « الحل السلمى » على الرغم من ان العدو الاسرائيلى يصعداستفزازاته وعدوانه . لكن تظل القضية فى تقديرنا قضية الوضوح المطلوب والثقة فى ان جماهير شعبنا تستطيع ان تفهم وان تعي ، وان التوعية بطبيعة الحل السلمى وشروطه الاساسية ضرورة حتى تكون الجماهير فى وضع الاستعداد الحقيقى لتنفذ ما يطلب منها فى السلم والحرب على حد سواء .

لكن الامر الذى ينبغى الا يغيب عن اذهاننا هو ان المتطلبات والشروط الاساسية للحل السلمى : هى دعم الثورة العربية ، بالكفاح على الجبهات الداخلية والعربية والدولية هذه الشروط هى بعينها شروط النصر اذا مادقت الساعة لتحرير أرض الوطن بحد السلاح .







محـمـد سـيـد أحمـد

ان الابعـــاد الدولية لازمــة الشرق الاوسط مسألة لا يمكن اغفالها ، لا لمجرد ان اى تفجــر جــديد فى الموقف يــكاد يفضى بالحتم الى تجاوز الصــــدام حـــدود الشرق الاوسط الى مواجهـــة بين الدول الكبرى ، ولــكن كذلك لان مجــرد وجـــود اسرائيل داخل المنطقة ، ككيان صهيونى له أطماع توسعية وأهداف مرسومة يعمل على تنفيذها خطوة بعد أخرى ، هو فى حد ذاته وطيد الصلة بالاوضاع الدولية الراهنة ، وبالمواجهة القائمة بين قوى التحرير والاشتراكية وقوى الاستعمار فى العالم • وقد بلغ المخطط الاستعمارى الذى تجسده اسرائيل درجة بعيدة من الخطورة ، الى حد يمكن ان يفضى فى الملابسات الدولية الراهنة ـ الى نتائج لم تعد تفيد مصالح الدوائر الاستعمارية ذاتها ، تلك الدوائر التى ظلت طوال السنوات الاخيرة تغذى كيان اسرائيل ومخططها العدوانى والتـوسعى • وأصـبحت المواجهة تكتسب ابعادا ، تختلف فى ملامحها من تنبؤات كثيرة ، رددها انصار اسرائيل والعاطفون على نصرها عقب حرب يونيو مباشرة •

اسرائيل بوصفها « مشروعـا استثماريا » للاحتكارات الدولية

تتسم اقتصاديات اسرائيل بطابع شاذ ربما لايقابله وضع مماثل فى أية بقعة أخرى من العالم • فان اسرائيل تعتمد بشكل أساسى على مصادر التمويل الاجنبية ، ويكفى فى هذا الصدد ان نشير الى أن متوسط المساعدات الخارجية التى تلقاها الفرد الاسرائيلى طوال الاعوام العشرين الماضية بلغ ٢١٣ دولارا سنويا (أى أكثر من ضعف نصيب الفرد من الدخل القومى فى مصر ، وهو رقم اكبر بخمس مرات من أى رقم احتسب على نفس الاساس فى العالم كله ، بما فى ذلك المساعدات التى تتلقاها دول مثل الصين الوطنية ، وفيتنام الجنـوبية ، وحكومة سايجون • ولـو كانت مصر تلقت مساعدات على أسس مماثلة ـ وهذا مجرد فرض خيالى بالطبع ـ لاستغرق المبلغ المطلوب ثلاثة أضعاف كل المساعدات الامريكية لجميع أنحاء العالم فى سنة ١٩٦٨ !!) •

وتقدر المساعدات الخارجية التى تلقتها اسرائيل مابين ١٩٤٩ و ١٩٦٧ بمبلغ أجمالى قدره ٨٠٩٢ مليون دولار ، أى بمعدل سنوى قدره ٤٢٦ مليون دولار • هذا مع افتراض أن المبالغ التى تسلمتها اسرائيل خلال عام حرب يونيو لم تتجاوز ٦٥٠ مليون دولار ، وهو تقدير متواضع للغاية • ويكفى دليلا على ذلك ماأعترف به البروفيسور **بن شاهار** من أساتذة الاقتصاد بجامعة تل أبيب ، فى مقال نشره بصحيفة « الفاينانشال تايمز » [٣٠ أبريل ١٩٦٧) ، جاء فيه أن اسرائيل تلقت فى يونيو فقط مساعدات قيمتها ٥٠٠ مليون دولار ! ••

ولعل المانيا الغربية هى اكبر مصدر حكومى منفرد قدم مساعدات لاسرائيل ، وقد قدمتها باسم « اتفاقية التعويضات العامة » التى حصلت اسرائيل بموجبها ــ حسب ماأعلن رسميا وهو اقل من الواقع ــ على حوالى ٨٥٠ مليون دولار ، فضلا عن اتفاقية ثانية متعلقة بالتعويضات الشخصية ، ولم ينته أجلها بعد ، وقد حققت لاسرائيل دخلا الى الان يقدر بـ ١٫٠٧٠ مليون دولار •

وتتلو المانيا الغربية حكومة **الولايات المتحدة** ، وقدرت المساعدات الامريكية ــ العامة والخاصة ــ من ١٩٤٨ الى ١٩٦٥ بمبلغ اجمالى يصل الى ٣٥٠٠ مليون دولار • وبلغت عمليات **التمويل الخاص** لاسرائيل مبلغا يقدر ب ٦٥٠ مليون دولار • وحقق **بيع السندات** دخلا يقدر بعدة مئات من ملايين الدولارات ، فضلا عن مصادر أخرى أسهم فيها رأسماليون من عدة دول ، وفى مقدمتها كندا وجنوب أفريقيا وانجلترا وهولندا •

ويتولى انفاق هذه المبالغ الطائلة على اسرائيل أكبر الاحتكارات الدولية • والواقع أنه لم يكن من المتصور انفاق هذه المبالغ على دولة أجنبية ، الا بتدبير من هذه الاحتكارات • وتجرى العملية عن طريق « أجهزة وسيطة » ، تنهض « **الوكالة اليهودية المتصلة اتصالا وثيقا بالمنظمة الصهيونية العالمية** وبمراكز المال الدولية بدور بارز بينها • وتحتل « **الوكالة اليهودية** » بمساندة احتكارات أمريكية ضخمة ــ مراكز حيوية فى الاقتصاد الاسرائيلى ، وتكاد تشكل « دولة داخل الدولة » • ولها سلطة الاشراف على مؤسسات صناعية وزراعية اسرائيلية متعددة • فهى تملك الاشراف على « **بنك ليومى** » الاسرائيلى بفروعه الـ ١٦ • وبرأسماله الذى يبلغ ثلاثة آلاف مليون جنيه اسرائيلى ، وتملك ٨٠٪ من الاراضى المزروعة فى اسرائيل ، و ٦٠ مؤسسة صناعية ، يبلغ رأسمالها أكثر من ١١٥ مليون جنيه اسرائيلى • و « الوكالة اليهودية » من ناحية أخرى لها صلاتها الوطيدة ــ خلال مجموعة المقاولين الامريكيين « راسكو » ــ ببنوك واحتكارات متعددة تمت الى الولايات المتحدة وكندا وانجلترا وسويسرا والمكسيك والارجنتين الخ •

وقد ذكرنا « الوكالة اليهودية » كنموذج ضمن نماذج متعددة • ويمكن ذكر أمثلة عديدة أخرى ، مثل الشركة الاسرائيلية « **آسكور** » الوطيدة العلاقة برأس المال الامريكى فى صناعة الالكترونيات ، وشركة « **كايزر الين** » بصناعات السيارات [**كايزر** جيب وستوديوبيكر باكار] • ومجمع الصناعات الكيماوية فى منطقة البحر الميت الذى أنشىء برءوس أموال أمريكية ، والشركة الامريكية « **روجوزين** » التى اقامت المصنع الوحيد داخل اسرائيل لانتاج الالياف الصناعية • ويبلغ انتاجها مليون طن من مواد النايلون سنويا •

واسرائيل على صلة وطيدة بشركات بريطانية ضخمة مثل « **بريتيش بتروليوم** » **وصناعات السيارات البريطانية**، وبنك روتشايلد **وباركليز وبنك بريطانيا للشرق الاوسط** • **والترست الكيماوى الامبريالى** ، **وشركة الكهرباء البريطانية** وشركات تجارية متعددة مثل « **ماكس آند سبنسر** » وشركات تأمين مثل « **رويال** » و « **ايجل ستار** » و «**نورويش يونيون** » الخ ..

وتملك اسرائيل علاقات لاتقل قوة بشركات **تيسن ومانسمان الالمانية الغربية** وشركة « **فولكسفاجن** » التى وضعت تحت تصرف اسرائيل مبلغ ٢٥ مليون مارك لاجراء أبحاث الخ ••

وبديهى أن هذا التداخل الصناعى المصحوب بدعم مالى لم تنله دولة اخرى فى العالم ، لا يقدم هبا فى سواد عيون اليهود ، ولا للتكفير عن ذنوب العداء للسامية ، وجرائم ابادة اليهود بالجملة ، كما تدعى صحافة « شبرنجر » الاحتكارية فى المانيا الغربية ــ وذلك بدليل بسيط ، وهو أن نفس هذه الاحتكارات الالمانية التى تسند اسرائيل اليوم هى التى كانت تشكل عصب اقتصاديات المانيا الهتلرية التى استهدف ابادة اليهود عن بكرة أبيهم • ولذلك كان لهذا الاغداق غرض آخر يتصل بصميم مصالح هذه الاحتكارات الدولية • وتبرز اسرائيل فى صلتها العضوية بهذه الدوائر بوصفها جزءا لا يتجزأ من مخطط يتجاوز حدود الاطماع الاقليمية للصهيونية ، وفى ارتباط اصيل بخطط الاستعمار العالمى •

مؤتمرات أصحاب البلايين

وربما كان أوضح تجسيد لطبيعة هذا الترابط العضوى، ولحقيقة وصاية دوائر استعمارية واسعة على مقدرات اسرائيل، هذه المؤتمرات لاصحاب الملايين التى انعقدت فى القدس فى أعقاب حرب يونيو لتقرير مصاير اسرائيل فى ضوء الحقائق الجديدة التى أصبح يسفر عنها الموقف.
فقد أفتتح المؤتمر الاول فى ٩ أغسطس ١٩٦٧ .

وضم ٦٠ من اصحاب البلايين اليهود من ١٥ دولة مختلفة، وعلى رأسهم **ادمون دى روتشيلد** الذى تملك عائلته ٤٧ مليار فرنك ــ أى مايقابل ١٣٪

من الناتج القومى الفرنسى ــ وكان له دور بارز فى تمويل اسرائيل وفى مساندتها بالدعاية على اتساع أنحاء أوربا أثناء حرب يونيو . وكان هذا المؤتمر أول لقاء لاثرياء اليهود خارج اسرائيل للتداول فى مخططاتها مستقبلا بعد الحرب .

وبرزت أهداف هذا المؤتمر بوضوح أكبر بعد أن أنشأ **ادمون دى روتشيلد** فى نهاية سبتمبر بقصر **بريجيني** قرب جنيف معهدا، أطلق عليه اسم « **معهد من أجل السلام فى الشرق الاوسط** » (!) خطط له أن ينهض بعدد من المهام، منها استئناف الجهود من اجل اشراك اسرائيل فى السوق الاوربية المشتركة، ومنها كذلك دراسة احتمالات التطور الاقتصادى بالشرق الاوسط بعد

تسوية الموقف وانهاء حالة الحرب [!!] ، والبحث عن وسائل « اقامة علاقات تجارية مثمرة بين بلدان المنطقة » . وفى بداية ابريل ١٩٦٨، انعقد بالقدس **المؤتمر الثانى لاصحاب البلايين اليهود**، وقرروا تخصيص ألف مليون جنيه استرلينى كى تستثمره

اسرائيل خلال السنوات العشر القادمة « لتهيئة الاراضى التى احتلتها اسرائيل فى حرب يونيو، ولاقامة مشروع أنابيب البترول من ايلات الى أشدود .
والواقع أن هذه الهيئة من كبار أثرياء اليهود هم سادة أسرائيل الحقيقيون . وهم الذين يملكون كل كلمة تكاد تكون فاصلة فى تقرير مصائرها

وهم جزء لا يتجزأ من مواقع البت والحسم فى أقوى احتكارات العالم . وهم يديرون الخطوط العريضة لسياسة اسرائيل . ويجعلون منها ــ فى نظر الاستراتيجية الشاملة الامريكية التى مازالت تحتفظ بمركز القيادة فى مخططات الاستعمار العالمى ــ نقطة الارتكاز الرئيسية لهذه المخططات فى منطقة الشرق العربى ــ تماما كما تشكل المانيا الغربية، نقطة ارتكاز مقابلة لها فى قلب أوربا . وحكومة بريتوريا العنصرية نقطة ارتكاز ثالثة لها فى جنوب أفريقيا . وليس من باب الصدفة هذه الصلة الوطيدة التى تربط بين الدول الثلاث .



مشروعات اسرائيل الكبرى

ان اسرائيل كمشروع استعمارى داخل المنطقة العربية، وفى خدمة أكثر دوائر الاستعمار العالمى عدوانية، تنفذ منذ حرب يونيو سياسة متسقة قوامها هو تثبيت مرحلة جديدة فى تحقيق « أسرائيل الكبرى » ، بمحاولة استيعاب الاراضى العربية المحتلة، وتحويلها الى مكاسب دائمة .

وفى اعقاب حرب يونيو مباشرة، كان موشى ديان قد أعلن أن اسرائيل لن تعيد قطاع غزة الى مصر ولا الضفة الغربية الى الاردن . ولا مرتفعات جولان الى سوريا . وأضاف أشكول بعد ذلك بأيام أن « أفضل حدود طبيعية لاسرائيل بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة هى قناة السويس » .

وظل ديان يؤكد المرة بعد الاخرى فى اجتماعات حزبه « رافى » « أن التخلى عما أبداه من تطلعات هو اغفال لمبادىء صهيون الاساسية » . ومع تصاعد جو الهستريا الذى غزا دوائر عريضة من الرأى العام الاسرائيلى عقب الحرب، برزت اتجاهات تحت عنوان « **حركة اسرائيل الكبرى** » أخذت تعارض ماأصبحت تسميه « تنازلات أمنية كثمن لبلوغ السلام » !! .. والمقصود من هذه « التنازلات الاقليمية » ماهى بالطبع الا الاراضى المحتلة . وبذلك أصبحت أصوات ترتفع للمطالبة باملاء الشروط دون قيد أو شرط ! .

ومنذ نهاية فبراير من العام الماضى، بدأت اسرائيل تجسد هذه التطلعات فى خطوة عملية، وذلك باصدار قانون يضم الاراضى المحتلة تحت التشريع الاسرائيلى، ويعلن ان هذه الاراضى لم تعد « ملك العدو »، الامر الذى أفسح المجال للاستيطان الفعلى الاسرائيلى فى هذه الاراضى، ولطرد سكانها الاصليين بشتى الوسائل . وكان من الاهداف الرئيسية التى طرحتها اجتماعات اصحاب الملايين هى تهيئة هذه الاراضى للغزو الاسرائيلى الجديد .

واسرائيل بهذه الاجراءات تخطو خطوة مماثلة لما فعلته المانيا النازية من قبل فى أطماعها للسيطرة على أوربا، وتثبيت وجودها التوسعى داخل المنطقة العربية، ترمى الى تحقيق أهداف الاستعماريين فى زيادة اضعاف النظم العربية التقدمية، والى تعميق أسباب الخلاف بين أرجاء الوطن العربى، بأمل ان هذا المخطط يحقق أنسب الظروف لفرض الاستسلام وتحقيق مآربها السياسية كامتداد جغرافى ومادى للغرب الاستعمارى فى قلب الارض العربية، والانتفاضات الثورية التى

تجاحها • وبمجرد أن تكون قد توصلت الى أهدافها فى هذا الصدد ، تنفتح أمامها فرص غزو المنطقة اقتصاديا • ويكون المشروع الاستعمارى الذى ابتلع بلايين الدولارات قد حقق غرضه على اتساع المشرق العربى ، وتحققت الظروف التى تكفل استمرار السيطرة على موارد البترول لاجيال طويلة قادمة ، دون ان تهددها اخطار جدية •

الولاء المزدوج

الا ان المخطط لا تقتصر ابعـــاده على منطقة الشرق العربى وحده • وكما كانت المانيا الهتلرية تستندالى « **طابور خامس** » [وهو المصطلح الذى حيك اثناء حرب اسبانيا واصبح شائعا فى وصف عملاء هتلر فى مختلف بلدان أوربا) ، كذلك تستند اسرائيل فى امتداداتها على اتساع العالم الى صورة مبتكرة لنفس الممارسة وأصبحت الصهيونية تملأ هذه الصورة بمحتوى « ايديولوجى » بـات يعرف « **بالولاء المزدوج** » ، وتنهض هذه الفكرة بدوربارز فى **الحرب النفسية الحديثة** ، وكذلك فى نشاطات **أجهزة المخابرات الغربية** على تنوعها •

« **والولاء المزدوج » احد التجسيدات البارزة لما يملكه الكيان الاسرائيلى ـ خلافا للدول الأخرى ـ من أبعاد دولية ـ وينهض هذا** « الولاء المزدوج » على فكرة تشيعها الصهيونية لتـزعم أن كل يهودى ـ أياكانولاؤه لوطنه الاصلى ـ فهو لا يملك التنصل من ولاء آخر ، له طابعه الروحى والدينى ، ويربطه باسرائيل •

وفكرة « الولاء المزدوج » تقف خلف ما هـو معروف عن كفاءة المخابرات الاسرائيلية ، ونجاحها فى تشغيل عملاء قابلين للاذابة فى أى مجتمع ، دون أن يميزهم عن أهلها شىء ، وبرزت هذه الكفاءة فى اختطاف **ايخمان** منذ سـنوات من الارجنتين ، وتسرب **ايلى كوهين** الى موقع يملك النفاذ الى أدق الاسرار فى سوريا قبيل حرب يونيو • ولهذه الاسباب ، أصبحت المخـابرات الغربية تستعين بالمخابرات الاسرائيلية فى عمليات لها ، لا تخص اسرائيل مباشرة ، ربما كان ابرزها فى السنوات الاخيرة ما كشفته صحف اسرائيلية عن مشاركة مخابراتها فى اختطاف بن بركة •

الا ان فكرة « الولاء المزدوج » قبل ان تفيد أعمال المخابرات ، تنهض بدور واسع المدى ، له فعاليته الخطيرة فى الحرب النفسية التى تطلقها الدوائر الاستعمارية العالمية ، والتى لا تقتصر أبعادهاعلى منطقة الشرق العربى وحدها • وهذه زاوية من المشكلة تجعل من وجود اسرائيل وطابعها الصهيونى ، كيانا له أهميته القصوى والحيوية لمصالح الاستعمار العالمى •

فبتحريك لعنصر « ضرورة ولاء كل يهودى لاسرائيل » ، استطاعت الصهيونية أن تغذى تحرك قوى استهدفت تفتيت التماسك فى داخل عدد من الدول الاشتراكية ، وحاولت الحد من حرية حركتها فى مساندة الحق العربى ضد عدوان اسرائيل • وربما برزت هذه الظاهرة بصورة واضحة فى **بولندا وتشيكوسلوفاكيا** بالذات •

فى بولندا : حيث اتخذت السلطة الاشتراكية بالاستناد الى حركة العمال ، تدابير رادعة كشفت على الفور طبيعة التحركات المعادية ، وحقيقـة القوى التى وقفت خلفها ، ومنها تجمعات مـن الشباب اليهودى فى اندية مثل نادى « **بابل** » ، وهىتجمعات لم تخف عطفها على مغامرة اسرائيل فى ٥ يونيو •

وفى تشيكوسلوفاكيا : حيث برزت الصورة العكسية ، ونشأت ظروف بعد تغييرات يناير أتاحت لقوى تعادى الاشتراكية ان تنادى لرأيهـا دون تحفظ ، وقد حاولت الصهيونية إستثمار هــذه الظروف ، واستغلت بالذات موجة النقد الموجه ضد تصرفات القيادة السابقة ، لتعميمها وسحبها الى مواقف وقفت فيها هذه القيادة موقفا سليما ، ومنها تأييدها الحاسم للعرب ضد عدوان اسرائيل ، أسوة بغيرها من القيادات الاشتراكية • واستندت قلة من العناصر ذات الميول الصهيونية الى اتجاهات كانت تطمع فى استغلال ظروف الاصلاح بهدف اعادة الرأسـمالية ، وظلت تعكس تطلعـات فئـات من البرجوازية ـ كبتت ولم تستأصل ـ فى ان تستعيد تشيكوسلوفاكيا موقعها فى ركب « الحضـارة الغربية » ، وراحت تغذى فكرية الحقد على التطبيق الاشتراكى ، والعداء الدفين لمناصرة قضايا تتصل بتحرير شعوب العالم الثالث •

وقد ذكرنا بولندا وتشيكوسلوفاكيا كأبـرز نموذجين ضمن محاولات عديدة مماثلة كان يمكن ذكرها ـ والواقع أن جهود الصـهيونية ـ ببث فكرة « الولاء المزدوج » ـ قد حاولت التأثير فى كافة المجتمعات الاشتراكية الاوربية بعد حرب يونيو ، ولكنها قوبلت فى أغلبها بالرد المناسب ، بخاصة بعد أن بلورت تجربة بولندا مدى خطورتها فى « **محاولة نسف وحدة وتمـاسك القـوى الاشتراكية ، وتسريب فكرية وقيم الاستعمار اليها** » •

ولم تقتصر هذه المحاولات على المجتمعـات الاشتراكية ،وحدها ، بل امتدت الى كافة الدول التى تقف من اسرائيل موقفا لا يتسم بطابع التأييد الذى لا يشوبه تحفظ • وكان ابرز نموذج لذلك حملةالصهيونية ـ مستندة الى تحريك قوى داخلية أساسا ـ ضد ديجول ـ **وبهـذه الحملة برزت**

فكرة « الولاء المزدوج » كأداة في يد الاستعمار الامريكي بالذات ، لضرب كل من يحاول أن يتطاول في أن يواجهه • وتلقى ضوءا جديدا على دور اسرائيل في المخطط العالمي لاخطر قوى الاستعمار العالمي المعاصر •

ردود أفعال مخطط اسرائيل

والواقع أن تمادي اسرائيل في مخطط التوسع والعدوان – رغم كل عبارات ابا ايبان المعسولة عن السلام – أصبح ينقل مواقعها كي تتطابق مع أكثر دوائر العالم رجعية وعدوانية ، وافضى الى تعديلات واسعة في خريطة القوى العالمية وموقفها من القضية •

● فان اصرار اسرائيل على تثبيت احتلالها للاراضي التي اغتصبتها في حرب يونيو ، ورفضها الانسحاب حتى الان ، اصبح يطرح قضية **قناة السويس** في ضوء جديد ، وبصورة تلحق الاضرار الجسيمة بكل الدول المنتفعة من الملاحة عبرها ، وعلى رأسها انجلترا وفرنسا وأيطاليا والهند • وظلت شركات الملاحة الامريكية وحدها هي المنتفعة باستمرار اغلاقها • وبالذات الشركات التي تنتج ناقلات البترول الضخمة التي تأمل أن يفضي هذا الموقف الى التعجيل باللجوء الى هذه الناقلات •

● ويرتبط بمشاريع اسرائيل التوسعية احتلالها **للقدس** ، وتصميمها على أن تظل كلها اسرائيلية . بل وعاصمة لاسرائيل ، رغم كل قرارات الامم المتحدة في هذا الصدد • وهذه قضية لها ابعادها الدينية ، وهي قضية أثارت وما زالت تثير استنكار الدوائر الاسلامية والمسيحية في ارجاء مختلفة من العالم • وتسهم هي الاخرى في عزل مخططات التوسع الاسرائيلي عن قطاعات عريضة من الراي العام العالمي •

● **وقضية** تثبيت مكاسب اقليمية عن طريق الصدام العسكري ، حتى بمنطق « الحرب الوقائية » التي تدعي اسرائيل أنها كانت سبب هجومها المباغت في صبيحة ٥ يونيو ، تشكل سابقة دولية خطيرة تعرض مناطق مختلفة من العالم لاخطار مماثلة ، وبخاصة تلك التي ما زال التوتر بها يحول دون استقرار علاقات جيرة طبيعية بين دولها ، ويبرز الخطر ملحا في قلب أوربا وفي الشرق الاقصى على حد سواء •

● ومن الواضح ان مخطط اسرائيل الصهيوني التوسعي الراهن ، المستند الى تأييد قوى عالمية ذات نفوذ واسع ، يحول دون استقرار السلام في المنطقة ، والقضي ... يمكن تصور بغرض التوصل الى حل سلمي للمشكلة ، هو علاقات من نوع تلك القائمة بين الالمانيتين في قلب اوربا ، أو بين الصين الشعبية وعدد من الدول المجاورة التي ما زالت تخضع للنفوذ الامريكي •

وبتسم الموقف بانه يندرج تحت هذا النوع من العلاقات القلقة التي يستحيل فيها استقرار المعاملات والعلاقات المألوفة في وقت السلم ، دون أن تسمح الظروف الدولية الراهنة بتصعيد المواجهة الى حد الصدام الذي يشمل – فوق اطراف النزاع داخل المنطقة – القوى العالمية التي تسند هذه الاطراف المتنازعة ، ويصل بالموقف الى حد المواجهة الساخنة بين الدول الكبرى •

وهذا الموقف « القلق » مشحون بعوامل تفجر متعددة • ابرزها بالطبع هو أن استمرار تصعيد سياسة التوسع والعدوان الاسرائيلية يفضي بالحتم الى تأجيج المقاومة العربية عموما ، والمقاومة الفلسطينية بوجه خاص ، ويزيدها بلورة واشتعالا ، وبخاصة أن مخطط اسرائيل ما زال ينهض على انكار كل وجود للكيان القومي الفلسطيني الذي اكتسب – وبالذات بعد حرب يونيو – وجودا نضاليا متصاعدا لم يعد يستطيع أي طرف انكاره • وهو وجود تتواتر كل الظروف على حتمية استمرار تصاعده وبلورته كقوة ثورية بالغة الخطورة على امتداد الارض العربية •

والتركيب الراهن للكيان الاسرائيلي بابعاده الاقتصادية (بوصفه مشروعا استثماريا للاحتكارات الدولية) وبابعاده السياسية والعقائدية والفكرية (قيامه على العنصرية المفرطة • قيامه على التوسع بطريق العدوان المتكرر • قيامه على استمرار استجلاب قدرات بشرية واقتصادية وتكنولوجية ضد العرب] ان هذا التركيب يتعذر معه التعايش في سلام • كما تعترض ملابسات دولية ومحلية متعددة تصفية خطره المتفاقم بطريق الصدام الشامل وأسلوب الحرب في مستقبل مباشر •

ومن هنا اكتسب هذا الموقف القلق طابعا خطرا لا يقتصر نطاقه على منطقة الشرق الاوسط وحدها ، بل اتسعت بالحتم لتهدد التوازنات والعلاقات الراهنة بين الدول الكبرى • وهذه الاخطار باتت تحرك هذه الدول الكبرى كي تبحث عن صياغة كفيلة بالحد من عوامل الانفجار ، دون أن تتنازل قوى الاستعمار عن سياستها الاصيلة في أن تستثمر الوجود الاسرائيلي بتركيبه الراهن في مخططاتها على اتساع المنطقة ، ولكن

بشكل يكفل عدم توريطها في صدام عسكري هي في غنى عنه .

وتلك هى المفارقة التى تكسب أزمة الشرق الاوسط فى ظروفها الراهنة كل تعقيدها البالغ . وبخاصة بعد أن فشلت اسرائيل ـ وقوى الاستعمار التى تسندها ـ فى تحقيق الاهداف التى كانت تنشدها بطريق الصدام العسكرى فى ٥ يونيو . وظلت الدول العربية صامدة رغم ما اعتراها من معاناة حادة بعد النكسة ، وامكن لها ان تلتقط انفاسها ، وان تستعيد قدراتها الدفاعية ، وأن تحصن نفسها ضد امتداد العدوان . وأن تتهيأ لاحتمالات تصاعد الموقف الى حد التفجر مرة أخرى . بل واسهمت هذه الملابسات فى تحريك المقاومة الفلسطينية ، واطلاقها من عقالها ، ودفعها الى بلوغ أبعاد لم تصل اليها من قبل .

ادراك خطـورة الموقف وتحـول الـرأى العـام

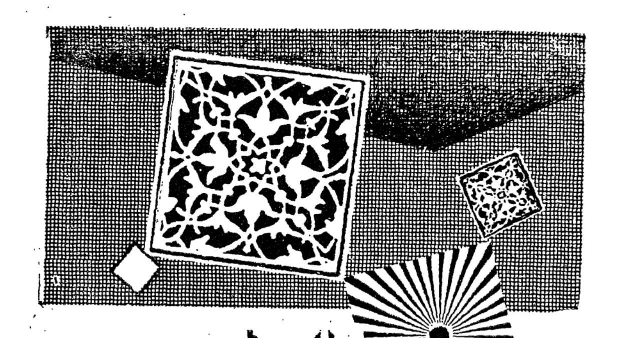
وكان امرا بديهيا ان تفضى هذه التطورات الى تحرك دولى واسع النطاق بهدف الحيلولة دون أن تصل الازمة مرة أخرى الى نقطة تفجر جديدة .

وقد اسهم الاتحاد السوفيتى بجهود كبيرة فى هذه المبادرات ، وهو يواصل بذلك الجهود التى سبق ان بذلهـا من اجل تدعيم جبهة الدفـاع العربية ، وتوفير السلاح الضرورى لمواجهة آثار العدوان ، وتهيئة الظروف لردعه ورده ـ الا أن الاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية الاخرى لم تكن وحـدها هى التى احست بالخطر المتفاقم وربما كان موقف **فرنسا** بالذات ، أو بعبارة أدق ، موقف **ديجول** تعبيرا صادقا عما تعنيه السياسة الاسرائيلية الراهنة فى خدمة أكثر الدوائـر الاستعمارية تطرفا ورجعية ، والتى وجدت تجاوبا تاما مع مخطط ادارة جونسون فى المنطقة ، ولم تسفر ادارة نيكسون الجديدة بعد عن أى موقف محدد يوحى بتغيير حاسم . وعلى الرغم من أن المذكرة الامريكية ردا على المقترحات السوفيتية الاخيرة بشأن جدول زمنى لتنفيذ قرار مجلس الامن جاءت مؤكدة لكل سياسة امريكا التقليدية من الازمة ، الا ان المباحثات الجارية حاليا حول عقد اجتماع قمة للدول الكبرى حول الازمة يؤكد مدى انشغال هذه الدول بالاخطار المحدقة التى ينطوى عليها الموقف .

غير أن التغيير الاكثر وضوحا فى الموقف ، وهو تغير مرتبط ارتباطا أصيلا بادراك دوائر عالمية عريضة لما يمثله المخطط الاسرائيلى الراهن من اخطار ، هو مايجرى من تحول على الصعيد الشعبى عالميا ، رغم كل جهود الصهيونية لوقف نموه وبلوغه قطاعات من الرأى العام تزداد تعددا وتنوعا ، وربما كان أوضح تجسيد لهذا التحول المؤتمر **الثانى لنصرة الشعوب العربية الذى انعقد بالقاهرة** منذ أيام ، والمساندة التى تلقاها **المؤتمر الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب الذى أعقبه مباشرة .**

واوضح مايميز مؤتمر القاهرة لنصرة الشعوب العربية هو خطورة الشخصيات العالمية التـى حرصت على حضوره ، وزيادتها تنوعا الامر الذى يسجل بالفعل أن «نقطة» تحول هامة تجرى حاليا فى الرأى العام الشعبى عالميا . فقد شمل المؤتمر ممثلين عن بريطانيا وايطاليا وبلجيكا بوفود من أحزاب واتجاهات سياسية متعددة ، وهى بلاد كادت اثناء العدوان تنحاز تماما الى جـانب اسرائيل . كما شمل المؤتمر ممثلين عن الاحزاب الاشتراكية الاوربية وحزب العمال والمحافظين فى انجلترا وهى كلها أحزاب ناصرت فى غالبيتها العظمى اسرائيل اثناء العدوان . وجاء الى المؤتمر ممثلون لاتجاهات شديدة التنوع ، امتدت من قوى اليسار الشيوعى التى ناصرت الحق العربى طوال الازمة الى ممثلين لحركات الشباب الثـورية الجديدة ، الى مندوبى انتفاضة الحركات الثورية على امتداد آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، الى ديجوليين من فرنسا ، الى عناصر تناصر الحلول السلمية مثل الكاتب الايطالى **دولشى**، وكل هذه القوى تجمعت لتعلن ضرورة التحرك معا لالزام أسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الامن ، وبالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة ، انطلاقا من أرضيات فكرية وعقائدية شديدة التباين .

ولا يعنى عقد هذا المؤتمر ولا المظاهر الاخرى المعبرة عن هذا التغيير فى المناخ الدولى ، ان كل ما يمكن انجازه لكشف المخطـط الاسـتعمارى الصهيونى وعزله عالميا قد تمت الاستفادة منه بالصورة الملائمة بعد . ولا ينفى ضرورة جهود كبيرة لم تستثمر بعد لمواصلة هذا التحول وبلوغه الحد الفعلى المؤثر فى الموقف . **الا أن الامر المؤكد هو أن الابعاد الدولية لمخطط اسرائيل اصبحت تفضى اليوم الى تحركات مقابلة على الصعيد الدولى ، وهى تحركات لايجوز للعرب التهوين من أهميتها القصوى ، أو اغفال اتصالها العضوى الوثيق بالتحولات التى تطرأ على ملامح الموقف ، وزيادة انكشاف اسرائيل كجزء لايتجزأ من مخطط عالمى**



القاهرة ١٠٠٠

الماضى .. الحاضر .. المستقبل

تخصص الطليعة دراستها ــ هذا العدد ــ عن القاهرة فى احتفالاتها بعيدها الالفى . وتعنى هذه الدراسة بالدور الحضارى والسياسى الذى لعبته القاهرة . هذا الدور الذى لم يكن له آثاره فقط على مصر وحدها وانما كان له أيضا ــ كما يؤكد التاريخ ــ آثاره على المناطق المجاورة عربية كانت أم افريقية .

ولكن هذه الدراسة ، لا تقف عند حدود تأريخ القاهرة القديم أو الحديث ، وانما تعتقد بأهمية دراسة « القاهرة المعاصرة » : اقتصاديا واجتماعيا ، بهدف القاء الضوء على ما يواجه عاصمتنا من مشاكل تتعلق بحياة سكانها ، ووضعيتها الاقتصادية والاجتماعية .



ومن ثم فان هذه الدراسة ، تعنى ايضا بتلمس الاتجاهات العامة لحركة الظروف الاقتصادية والاجتماعية فى القاهرة .. مستقبلا ، نظرا للثقل الخاص الذى تمثله القاهرة فى الحياة السياسية والثقافية لمصر والعالم العربى .

لذلك عنيت الطليعة ، بادارة حوار حول هذه الاتجاهات العامة بين عدد من المختصين والفنيين البارزين .

لهذا تنقسم دراسة هذا العدد الى اقسام ثلاثة :

اولا : تاريخ القاهرة القديم والحديث .. موزع على الوجه التالى :

- حضارة القاهرة فى العصور الوسطى — د. سعاد ماهر .
- القاهرة فى العصر الفاطمى — محمد عمارة .
- القاهرة فى مصر المملوكية — د. وليم سليمان .
- القاهرة الحديثة ومعالم على الطريق — احمد على بدوى .

ثانيا : القاهرة المعاصرة بلغة الارقام التى تضم مجموعة من الاحصائيات عن الاسكان والنشاط الاقتصادى والخدمات .

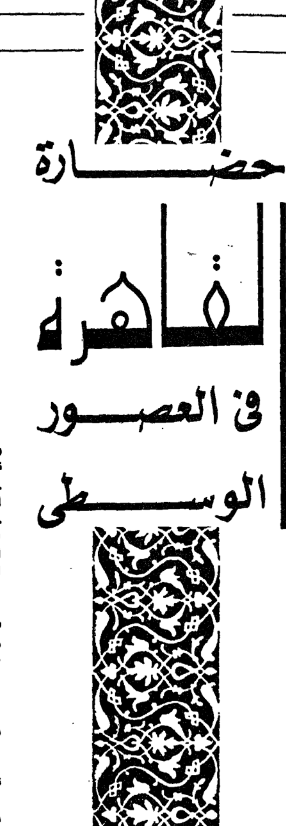
ثالثا : ندوة « قاهرة المستقبل » التى اشترك فيها كل من :

- د. احمد مازن — رئيس مجلس ادارة المؤسسة العلاجية
- د. سعاد ماهر — الاستاذة بكلية الاداب جامعة القاهرة
- مهندس سليمان عبد الحى — رئيس مجلس ادارة هيئة النقل العام
- الاستاذ سيد ياسين — الباحث بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية
- الاستاذ عبد العزيز السيد — عضو امانة القاهرة ووكيل وزارة التربية والتعليم سابقا
- مهندس عز الدين فرج — وكيل الوزارة لمحافظة القاهرة
- الاستاذ فاروق البقرى — مدير عام اتحاد الصناعات
- مهندس كمال الدين صبرى شهيب — مدير عام التخطيط العمرانى بالجهاز التخطيطى والتنفيذى للجنة القاهرة الكبرى
- مهندس محسن ادريس — رئيس الجهاز التخطيطى والتنفيذى للجنة القاهرة الكبرى
- د. محمد عزت حجازى — الباحث بالمركز القومى للبحوث الجنائية والاجتماعية
- مهندس محمد كامل زيتون — مدير عام الادارة العامة للبحوث الفنية بوزارة الاسكان

وحضر عن الطليعة :

- د. ابراهيم سعد الدين
- د. اسماعيل صبرى عبدالله
- د. محمد الخفيف

حضارة القاهرة في العصور الوسطى



د. سعاد ماهر

لقد جرى العرب فى فتوحاتهم على ان يؤسسوا فى الاقطار التى يفتحونها عواصم جديدة يختارون موقعها بما يتفق ومصالحهم العامة والخاصة . ففيما يتعلق بمصر نرى انه بعد ان فتحها العرب اسس عمرو بن العاص حاضرة جديدة سنة احدى وعشرين هجرية فى المكان الفسيح الذى يقع الى الشمال من حصن بابليون، حيث عسكرت قوات العرب للمرة الاولى واسماها الفسطاط . وقد وفق عمرو فى اختيار موقع المدينة ايما توفيق ، سواء من الناحية الجغرافية أو الحربية .

فمدينة الفسطاط تقع عند رأس دلتا النيل، وهو موقع له اهميته من الناحية الحربية والعمرانية ، وبذلك تكون الفسطاط فى مأمن من هجمات العدو وهى فى نفس الوقت قريبة من الاراضى الزراعية الامر الذى يسهل معه وصول المؤن والاقوات . ويحمى الفسطاط من جهة الشرق جبل المقطم فهو درعها الواقى ضد العدو وضد فيضان النيل .

واذا كان من اهم اسباب فناء المدن فى مراحل تطورها ، عجزها عن حل المشكلات الناجمة عن اطراد نموها وازدياد عدد سكانها ، فقد دل عمرو بن العاص على بعد نظره عندما راعى فى اختياره لموقع المدينة ، ان يكون لها جانب يمكن ان يطرد فيه اتساعها الا وهو الجهة



الشمالية الشرقية التي بنيت بها مدينة العسكر والقطائع والقاهرة فيما بعد .

وما كاد عمرو بن العاص ينتهي من تأسيس مدينة الفسطاط حتى اقام في وسطها جامعه العتيق « امام المساجد ومطلع الانوار اللوامع ، طوبى لمن حافظ على الصلوات فيه وواظب على القيام بنواحيه » ، ثم اتسعت ارجاء الجامع حتى بلغ مساحته الحالية في العصر الاموي ،وفي هذا الحقل من الاعمدة والاروقة تكونت اول جامعة في الاسلام ، بلغت حلقات التدريس فيها في القرن الثامن الهجري بضعا واربعين حلقة لا تكاد تنفض منه ، كما قامت به حلقات وعظ وارشاد للسيدات ، تصدرتها في الدولة الفاطمية واعظة زمانها « ام الخير الحجازية » .

وقد اعتاد المسلمون في ذلك الوقت المبكر ان يحتفظوا باموال اليتامى والمساكين في حرم المساجد لما لها عندهم من قدسية وحرمة . ويقع بيت المال في وسط صحن جامع . ولم يكن جامع عمرو مقصورا على اداء الفرائض الدينية وحلقات التدريس فحسب ، بل كانت تعقد فيه محكمة لفض المنازعات الدينية والمدنية .

ولعل لمؤرخي العصور الوسطى العذر في ان يسهبوا في وصف مدينة الفسطاط ، فقد كانت شوارعها مرصوفة مسلوكة ومنازلها فسيحة حسنة التخطيط ، تتكون من خمس طبقات او من ست او من سبع ، وربما سكن الدار الواحدة المائتان من الناس ، كما اشتملت المدينة على المرافق الصحية ، وكان بها عدد كبير من الحمامات العامة تبلغ حصيلة الواحد منها يوم الجمعة خمسمائة درهم .

ومصر التي وصفها عمرو بانها « تربة غبراء وشجرة خضراء يخط وسطها نهر ميمون الغدوات مبارك الروحات يجري بالزيادة والنقصان » ، لم يفت العرب الاهتمام بنيلها العظيم وتنظيم شئونه ، فاقاموا له في العصر الاموي مقياسا في جزيرة الروضة ، وقد اعيد بناؤه في العصر العباسي وهو البناء الذي لا يزال قائما حتى الآن بجنوب جزيرة الروضة .

ولما انتقلت الخلافة الى بني العباس ، اسسوا حاضرة اخرى جديدة لدولتهم الناشئة الى الشمال الشرقي من الفسطاط في مكان عرف في صدر الاسلام باسم الحمراء القصوى ، كان يمتد الى جبل يشكر الذي بنى عليه ابن طولون مسجده ، وفي ذلك المكان اقام العباسيون دورهم واتخذوا مساكنهم وبنوا دار امارتهم وثكن جندهم ، ولذا سميت « بالعسكر » وفي وسطها بنى مسجدها الجامع .

وبمرور الايام اتصلت العسكر بالفسطاط ، واصبحت مدينة كبيرة ، وظل امراء مصر يقيمون في دار الامارة في العسكر حتى بنى جوهر الصقلي مدينة القاهرة .

ولما ضاقت الفسطاط بساكنيها ، اسس احمد ابن طولون مدينة القطائع سنة ٢٥٦ هـ [٨٦٨ م] واقام في وسطها مسجدا جامعا يعد من اكبر مساجد العالم الاسلامي ، اذ تبلغ مساحته مع الزيادة ، أي الفضاء الذي يحيط به من جميع جهاته عدا جهة القبلة ، ستة ونصفا من الافدنة . وهو من الجوامع المعلقة ، اذ يصعد الى ابوابه بدرجات دائرية الشكل .

ويعتبر تخطيط جامع ابن طولون حدثا جديدا بالنسبة للطرز المعمارية التي كانت سائدة في مصر في ذلك الوقت ، فقد كان التخطيط العام للمساجد هو الشكل المستطيل كما هو الحال في جامع عمرو . وكان ذلك امرا طبيعيا ، اذ كان هو التخطيط المقتبس من الكنائس . اما تخطيط مسجد ابن طولون المربع الشكل فمقتبس من المعابد الدينية السائدة في ايران والعراق قبل الاسلام ونعني بها [**الاتش جاه**] أي بيت النار عند الزرادشتيين .

كذلك جرت العادة في العمارة المصرية ، ان تكون الاعمدة من الرخام ، وتيجانها مزخرفة باوراق [الكنكر] ، اما اعمدة مسجد ابن طولون فكانت دعائمه مبنية من الطوب وتيجانها مزخرفة برسوم نباتية محورة باسلوب هندسي اطلق عليه الاوروبيون فيما بعد كلمة [ارابيسك] على اعتبار ان العرب هم مبتدعوه .

وكانت المآذن في مصر تشبه ابراج الكنائس او صوامع الزهاد ، ولكن مئذنة مسجد ابن طولون تشبه ملوية مسجد سمارا بالعراق المقتبسة بدورها من [الزيجوارت] الفارسية .

وقد تأثر احمد بن طولون عند تأسيسه للعاصمة الجديدة بتخطيط مدينة سمارا التي نشأ فيها قبل مجيئه الى مصر . فقد كانت كل منهما مقسمة الى خطط او قطائع تضم كل قطعة منها جماعة من السكان تربط بينهم رابطة الجنس او العمل ، ومن ثم اصبح اسم القطائع علما على مدينة ابن طولون .

وكان للاستقلال السياسي الذي حصل عليه ابن طولون بحنكته السياسية وخبرته العسكرية اثره الواضح في انتعاش اقتصاديات البلاد ، وتطورها الاجتماعي وازدهارها الفني . فبدأت مظاهر الترف والرفاهية تتجسم في عصر خمارويه ابن احمد بن طولون ، فقد كسيت جذوع الشجر

بصفائح من النحاس المذهب ، كما كسيت جدران قصره بصفائح رقيقة من الذهب المكفت بالمينا اللازوردية . وامام القصر انشأ فسقية ملأها بالزئبق ونصب عليها مخدعا خاصا كالارجوحة، يأوى اليه عندما يستبد به الارق .

ولعلنابعد ذلك لانتهم المؤرخين بالمبالغة والاسراف فى وصف جهاز قطر الندى بنت خمارويه عند زفافها للخليفة العباسى .

ومن المظاهر الحضارية الهامة فى ذلك العصر [القرن الثالث الهجرى] انشاء المستشفيات ، فقد انشأ ابن طولون فى منطقة البساتين « بيمارستانا » ادخل فيه ضروبا من النظم جعلته فى مستوى ارقى المستشفيات فى الوقت الحاضر ، وبلغ من عناية ابن طولون لهذا البيمارستان وحرصه على راحة المرضى انه كان يتفقده بنفسه كل يوم جمعة ، فيطوف على خزائن الادوية ويتفقد اعمال الاطباء ويشرف على المرضى ويبالغ فى مواساتهم وادخال السرور عليهم .

القاهرة سنة ٣٥٩ هـ

ولما فتح الفاطميون مصر كانت عواصمها الاسلامية الثلاث السابقة ، وهى الفسطاط والعسكر والقطائع ، قد ضاقت بساكنيها ، فأسس جوهر الصقلى مدينة القاهرة سنة ٣٥٩ هـ بعد استيلائه على مصر بعام ، وبنى حولها سورا من اللبن على شكل مربع طول كل ضلع من اضلاعه ١٢٠٠ ياردة ، وبلغت مساحة الارض التى حددها السور ٣٤٠ فدانا ، وفى وسط هذه المساحة بنى جوهر قصرا كبيرا بلغت مساحته ٧٠ فدانا ، وخص مثل هذه المساحة للبساتين والميادين ، والباقى وقدره مائتا فدان وزعت على الفرق العسكرية فى نحو عشرين خطة ، كما انشأ مسجدا بالقرب من قصر الخليفة .

وقد يكون من المفيد ان نحاول الان تحديد موقع اسوار تلك المدينة الناشئة : فمن الجهة الشرقية يحدها جبل المقطم ، وغربيا الخليج الذى كان يخرج من النيل الى الجنوب قليلا من فم الخليج وينتهى عند خليج السويس ومكانه الان [شارع بورسعيد] اما الجهة الجنوبية فيحدها خط يمتد من ميدان باب الخلق ويتجه شرقا مارا بباب زويله [بوابة المتولى] وينتهى عند جبل المقطم ، وفى الشمال تبدا حدودها عند الجهة الغربية من ميدان باب الشعرية متجها شرقا الى باب الفتوح فباب النصر وتنتهى عند جبل المقطم .

وكأى كائن حى يولد صغيرا ثم يكبر ، كانت مدينة القاهرة ، ولم يكن قصد جوهر الصقلى من انشائها فى بادىء الامر ان تكون قاعدة او دار خلافة ، بل لتكون سكنا للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ، فنشأت مدينة متواضعة محدودة المساحة ، معدودة المبانى والمنشآت . واستمرت حينا بعد قيامها مدينة عسكرية ، تشتمل على قصور الخلفاء ومساكن الامراء ، ودواوين الحكومة وخزائن المال والسلاح ، ثم اصبحت بعد انشائها باربع سنوات ، عاصمة الخلافة الفاطمية حين انتقل المعز واسرته من المغرب واتخذ مصر موطنا له .

ولم يكن لقاطنى مصر ان يدخلوا « المدينة الملكية » الا بعد ان يؤذن لهم ، وكان مفوضو الدول الاجنبية الذين يحضرون الحفلات الرسمية يترجلون عن جيادهم ويسيرون نحو القصر بين صفين من الجنود على النحو المتبع فى العصر الحديث . وكانت اسوار القاهرة العالية وابوابها المحروسة تحجب الخليفة عن شعبه .

ولكن سرعان ما اتسعت المدينة الناشئة ، فنمت نموا ملحوظا وتبوأت مكانتها المرموقة فى ظل الخلفاء الفاطميين ، واتصلت مبانيها بمبانى المدن الاسلامية الثلاث السابقة وصارت تؤلف معا اكبر المدن الاسلامية فى العصور الوسطى .

ومن حسن طالع مدينة القاهرة ان نشأتها كانت نقطة تحول فى حياة مصر والمصريين فى العصر الاسلامى ، فقد اصبحت مصر دار خلافة قاعدتها القاهرة بعد ان ظلت قرابة ثلاث قرون ونصف القرن دار امارة مقرها العواصم الاسلامية الثلاث السابقة .

وبمثل ما قدر للقاهرة كان كذلك حظ الجامع الازهر الذى يعد اول عمل فنى معمارى اقامه الفاطميون فى مصر ولا يزال قائما حتى الآن ، وقد زاد فى بنائه كثير من الخلفاء الفاطميين ، واعيد تجديد اجزاء كثيرة منه خلال العصور الماضية كما اضيفت اليه زيادات عدة ، كل ذلك جعل معرفة التخطيط الاصلى للجامع من الامور الصعبة التى يتعذر الاطمئنان اليها ، الا ان الجامع لايزال يحتفظ ببقية من النقوش والكتابات الكوفية والعقود المدببة التى تعد من ابرز مميزات العمارة الفاطمية .

ولم ينل الجامع الازهر شهرته العالمية ومركزه المرموق فى العالم الاسلامى اعتمادا على صفته الدينية فحسب ، بل على ما قام به ايضا من اعمال مدنية وخدمات اجتماعية وسياسية .

انشىء الازهر ليكون مسجدا رسميا للدولة الفاطمية فى حاضرتها الجديدة ، ومقرا لدعوتها

الدينية ، ورمزا لسيادتها الروحية . أما فكرة الدراسة بالازهر ، فقد كانت حدثا عارضا ترتب على فكرة الدعوة المذهبية . وغلب الحدث العارض شيئا فشيئا على صفته الاولى حتى اسبغ عليه ثوبه الجامعي الخالد . والى جانب المكانة العلمية التى كان يتمتع بها الازهر كانت له فوق ذلك اهمية رسمية خاصة ، ففيه كان جلوس قاضي القضاة فى ايام معينة وفيه مركز المحتسب العام ، وفيه يعقد كثير من المجالس الخلافية والقضائية ».

ويعتبر العصر المملوكي « العصر الذهبى للازهر من حيث الانتاج العلمى الممتاز ، ومن حيث تبوئه مركز الزعامة ، وكان الفتح العثمانى اقسىضربة اصابت المدينة الاسلامية . فمنذ قضى التتار على الدولة العباسية فى القرن السابع الهجرى اصاب الازهر ما اصاب الحياة الفكرية كلها من الانحلال والتدهور ، الا انه استطاع ان يغدو ملاذا اخيرا لعلوم الدين والفقه ومعقلا حصينا للغة العربية .

وفى عصر سلاطين المماليك قام الازهر بدور لا يستهان به فى توجيه السياسة المصرية فقد كان السلاطين يلتجئون اليه تثبيتا لسلطانهم ، او تأييدا لهم على اعدائهم .

ومن المواقف الخالدة للازهر فى العصر الحديث، ذلك الدور الذى قام به ابان الحملة الفرنسية ، فقد تزعم رجاله الحركة الوطنية التى ادت فى النهاية الى خروج الحملة من مصر .

وكانت الحياة الاجتماعية بالقاهرة فى العصر الفاطمى حياة رخاء ومرح وصخب ، وبلغ البذخ الفاطمى حدا فاق كل وصف ، مما اتاح للشعب فرصة احياء تقاليده وعاداته القديمة ، مثل المواكب والاحتفالات الخاصة بالسنة الزراعية واعياد رأس السنة الشمسية ، ثم الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج . وقد تداخلت هذه الاحتفالات مع المناسبات القبطية ، مثل الاحتفال بعيد الشعانين وعيد الغطاس الذى كانت تبدو فيه مدينة القاهرة وكأنها ثريا ضخمة متلائلة .

وابتدع الخلفاء العديد من المواكب والاحتفالات التى جمعت بين عظمة الخلافة وطرب الشعب مثل مواسم رأس السنة الهجرية ومولد النبى عليه الصلاة والسلام ، ومولد الامام على ومولد الحسين وفاطمة الزهراء ، والاحتفال بيوم عاشوراء وشهر رمضان والاحتفال بالعيدين وعيد الفيروز وغيرها من المناسبات الدينية التى تبلغ ما يقرب من الخمسين .

وقد اتسمت تلك الاحتفالات بسمات البر والاحسان ، فكانت توزع فيها الصدقات والهبات والكساوى وانواع الحلوى » وقد وصل البذخ حده ، فكان الخلفاء يوزعون نوعا من الكعك ، عرف باسم « كل واشكر » بداخل كل كعكة منه دينار » كما صنعت الحلوى على شكل اللعب والتماثيل ومنها نشأت فكرة عرائس المولد .

ومثل هذا الترف والابهة وتلك الاعياد والاحتفالات ، كان لابد ان تواكبه نهضة فنية وصناعية تساير الانتعاش الاقتصادى والتقدم الاجتماعى .

ولم تكن الفنون التطبيقية او الحرفية فنا شعبيا بالنسبة للفن الاسلامى كما هو الحال فى غيره من الفنون بل كانت فنا ملكيا ، فصناعة القاشانى فى العصر العثمانى مثلا كانت تخضع خضوعا تاما للسياسة العليا فى الدولة ، فقد كانت تصدر الفرامانات السلطانية الى مركز صناعة القاشانى ، باعداد عدد معين منه يحدده السلطان ، مع ايضاح شكل الزخارف وكافة التفاصيل الدقيقة الاخرى المتصلة به ، وذلك لتغشية جدران وحوائط القصور والمساجد والمقابر الملكية وغيرها من العمائر .

واذا استعرضنا تاريخ مصر السياسى والاجتماعى عبر العصور منذ نهاية العصر الفرعونى وحتى العصر الحديث ، وجدنا ان حكامها لم يكونوا طوال تلك الفترة من بين ابنائها ، بل كانوا دخلاء اتوا من المشرق والمغرب ، الى ان قيض الله للبلاد ابنها البار جمال عبد الناصر ليعيد لها مجدها التالد .

لكن عراقة الحضارة المصرية واستقرار طبيعتها وتدفق حيويتها التى يمدها بها شريانها العظيم نهر النيل ، جعلها تؤقلم هؤلاء الحكام وتصبغهم بالصبغة المصرية . ولم يقتصر الامر على الحكام فحسب بل تعداه الى الشعوب والجماعات الوافدة ، فمن العوامل الهامة التى ادت الى اندماج العرب بالمصريين فى اوائل العصر الاسلامى ، قطع العطاء الذى كان يأخذه العربى من ديوان العطاء ، اثر قيامهم بالثورة ضد الخليفة المأمون وتدخلهم فى النزاع الذى نشب بينه وبين اخيه الامين . وقد ادى ذلك بدوره الى نزول العربى الى ميدان العمل لكسب قوته ، فاحترف الزراعة والصناعة ، وكان عليه فى هذه الحالة ان يستعين بخبرة اهالى البلاد ومن ثم امتزاج العنصرين العربى والمصرى ومنهما معا نشأ الشعب المصرى المسلم .

ولما تولى الفاطميون الخلافة وهم شيعيو المذهب ، اعتمدوا فى تدبير امورهم الدينية على الاقباط وفضلوهم على المسلمين اصحاب المذهب السنى ، وقد ادى هذا الى احياء الحضارة

والفنون الوطنية القديمة وخاصة الفن القبطي وقد ظهر اثر هذا واضحا جليا فى عمـــائرهم وفنونهم الزخرفية .

قاهرة صلاح الدين

واذا اردنا ان نتقصى الدقة فى الحديث عن القـــاهرة وتاريخهـــا ، فيمكننـــا اعتبـــار القـــاهرة الحالية ــ بعد استبعاد ضواحيها ــ هى قاهرة صلاح الدين . فقد اراد صلاح الدين قبل مغادرة القاهرة لمواجهة الصليبيين فى بلاد الشام ، أن يحصن البلاد ، فأحاط عواصم مصر الاسلامية الاربع السابقـــة ، وكذا قلعة الجبل بسور واحد يمتد من قاهرة الفاطميين شمالا الى منطقة اثر النبى جنوب مدينة الفسطاط ، ولاتزال اجزاء كثيرة منه باقية حتى الان ، وخاصـــة من الجهة الجنوبية الشرقية .

وعلى الرغم من قصر الفترة التىقضاها صلاح الدين فى القاهرة فان ماتركه من آثار يشهد بما كان عليه هـــذا القـــائد العظيم من بعد النظر والحنكة السياسية والدراية العســـكرية . ومن اهم هذه الاثار قلعة الجبل التى اراد أن يحمى بها مدينة القاهرة اذا مااعتدى عليها معتد ، وأن يتخذمنهامقرا لملكه الجديد ، فاختارلهامكانا مرتفعا شرق العاصمة وعلى صخرة مفصولة من جبل المقطم .

وأنشئت القلعة فى البقعة التى كانت بها قبة الهواء التى بناها العباسيون فى القرن الثـــانى الهجرى ، وقد أمر صلاح الدين أن يبنى فيها قصر لسكنه الخاص ، كما أمر أن تطهر بئر يوســـف لتغذية القلعة وملحقاتها بالماء فى حالة الحرب أو الحصار .

وعهد بهذا العمل الى وزيره الامير بهاء الدين قراقوش ــ الذى اشتهر فى القصص الشعبى بقسوته المضحكة ــ كما عهد اليـــه أيضـــا ببناء السور ، لكن صلاح الدين توفى قبل اتمام بناء القلعة ، وتمت فى عهد السلطان العادل شقيق صلاح الدين .

وقد اتخذت القلعة منذعهد صلاح الدين الايوبى دارا للملك حتى عصر الخديو اسماعيل ســـنة ١٨٥٠ م حيث نقل الى قصر عابدين ، وقد طرات على مبانى القلعة تغييرات واضافات متعددة .

وفى العصر الايوبى كان للمساجد وظيفة هامة الى جانب الرسالة الدينية وهى التعليم فى غير أوقات الصلاة ؟ ومن ثم بدأ يظهر اسم المدرسة الجامع بل كثيرا ماكان يطلق اسم المدرسة فقط على المسجد . وقد استتبع هذه الوظيفة الرسمية الجديدة ، بطبيعة الحال ، تغييرا فى التخطيط العام للمسجد وهو أن يكون للمسجد أربعة ايوانات خصص كل ايوان منها لتدريس مذهب من المذاهب السنية الاربعة .

وكان الغرض الاساسى من انشاء تلك المدارس هو مناهضة المذهب الشيعى الذى كان ســـائدا فى العصر الفاطمى ، وذلك بنشر المذاهب السنية الاربعة ، وكان الاساتذة والطلبة يسكنون فى معظم الاحيان فى هذه المدارس فى اماكن مخصصة لهذا الغرض ، كما يوجد بها قاعات للمكتبة والمحاضرات وغيرها .

والزائر لمدينة القاهرة لايمكنه تجاهل قبة الامام الشافعى التى يرجع تاريخ انشائها الى العصر الايوبى ، والتى اشتملت على تفاصيل معمارية هامة تعتبر أساسا نسج على منواله وخاصة فى زخرفة القباب من الداخل ، اذ تعددت صـــفوف [حطات] مقرنصاتها كما زينت بالزخارف النباتية والهندسية بأسلوب خاص .

ولا نستطيع أن نمضى عن مدينة القاهرة فى العصر الايوبى قبل ان نذكر لها بالاجلال والتقدير ذلك الدور البطولى الذى قامت به فى الحروب الصليبية للدفاع عن العرب والعروبة وصـــيانة الدين الاسلامى الحنيف ، فلم تكتف القاهرة بتقديم قواتها البرية والبحرية بل قـــدمت للمعركة كل ماتملك من الفضة والذهب ، فقد أجمع المؤرخون على أن « الذهب والفضة قد خرجا من مصر ولم يعودا » .

« جنة عدن لمن قطن »

وقد يظن الكثيرون ان فن الدعاية من شـــئون العصر الحديث ، وهى من الاسلحة الفعالة فى الوقت الحاضر فى السلم والحرب على السواء ، ولكن مصر عرفت هذا الفن ومارسته منذ القرن السابع الهجرى .

فتحدثنا كتب التاريخ عن الامر الذى اصدره السلطان قلاوون الى نوابه بالثغور يأمرهم بحسن معاملة السياح والتجار الوافدين ، وملاطفتهم والتـــودد اليهم وترغيبهم فى الاقامة ، ومراعاة العدالة فيما يجبونه منهم من أموال بحيث لايأخذون منهم سوى الحقوق السلطانية ، وقد جاء فى هذا الامر قوله : « فانهم [اى السياح والتجار] هدايا



البحور وذوابة الثغور ، ومن السنتهم ماتجنه الصدور ، واذا بذر لهم حب الاحسان نشروا له أجنحة مراكبهم كالطيور » .

ولم يكتف السلاطين بالحرص على حسن معاملة الوافدين ، بل بعثوا بمنشورات الى التجار فى المشرق والمغرب لترغيبهم فى المجىء الى مصر ، وتعتبر هذه المنشورات بمثابة اعلانات الدعاية فى وقتنا الحاضر ، وهى بذلك اقدم ماكتب فى فن الدعاية السياحية فى العالم ، كما انها تدل على مبلغ ماوصلت اليه مصر فى فن السياحة والضيافة فى ذلك الوقت المبكر من القرن الثالث عشر الميلادى .

أما اسلوب تلك المنشورات فكان رقيقا لطيفا ، ويعتبر فى حينه نموذجا يحتذى به فى فن الدعاية السياحية ، فقد جاء فيها « ومن يؤثر الورود الى ممالكنا ان اقام او تردد فليعزم عزم من قدر الله له فى ذلك الخير والخيرة ، ويحضر الى بلاد لايحتاج ساكنها الى ذخيرة ، لانها فى الدنيا جنة عدن لمن تظن ، ومسلاة لمن تغرب عن الوطن ، فمن وقف على مرسومنا هذا من التجار المتيمين باليمن والهند والصين والسند وغيرهم فليأخذ الاهمية فى الارتحال اليها والقدوم عليها ، ليجد الفعال من المقال اكبر ، ويرى احسانا يقابل فى الوفاء بهذه العهود بالاكثر » .

وفى الوقت الذى سعى فيه السلاطين جهد طاقتهم وبكافة السبل الى تشجيع تجار الشرق الاقصى بوجه خاص على المجىء ببضائعهم الى مصر ، حرصوا كذلك على الترحيب بالتجار الاوربيين الذين يفدون الى مصر لشراء حاصلات الشرق ، ولا ادل على اتساع افق المصريين وعلى سياحتهم ، من أنهم قدموا كافة التسهيلات لتجار اوربا فى الوقت الذى كانوا فيه يحاربون الصليبيين وتمتع التجار الاوربيون داخل فنادقهم بقسط وافر من الحرية ، اذ سمحت لهم السلطات المصرية بدخول الخمور معهم ونقلها الى فنادقهم .

والقاهرة كعاصمة كان عليها أن تدبر امر اقامة الوافدين ، فانشأت الوكالات والخانات والفنادق ، كما حفلت القاهرة بالاسواق لتوفير الاماكن للمواطنين لعرض بضائعهم سواء المحلية منها او المستوردة . وقد بقى كثير من تلك المنشآت حتى القرن التاسع عشر فيذكر المؤرخ لين بول Sfarely Lane Boole الذى زار مصر سنة ١٨٣٥م انه كان بمدينة القاهرة [٢٠٠] وكالة للتجار ، ولايزال عدد غير قليل منها باقيا حتى الان مثل خان الخليلى وخان الحمزاوى وخان جعفر ووكالة قوصون والنحاسين ووكالة الغورى ، وسوق الغورية والسكرية والخيمية والفحامين وسوق السلاح .

وبلغ بعض هذه الخانات والوكالات فى القرن العشرين من الشهرة أن أصبح مقصد السياح الاجانب الذين يفدون من أقاصى المعمورة لزيارته وشراء منتجاته التى لاتزال محتفظة الى حد كبير بالتراث القديم . نذكر منها : خان الخليلى الذى أنشأه الامير جهاركس الخليلى احد امراء السلطان برقوق .

القاهرة .. والصناعات القديمة

ويعرض هذا الخان المنتجات المصرية الاصيلة مثل المعادن المكفتة بالفضة والذهب والمصنوعة على هيئة اطباق وطسوت وأباريق وقناديل وتنانير ، والمزخرفة برسوم هندسية ونباتية بحتة وتتخللها اشرطة كتابية بالخط الثلث المملوكى ، والشارات المملوكية المعروفة باسم [الرنوك] وكانت صناعة المعادن المكفتة تحتاج الى خبرة فنية دقيقة وذوق فنى أصيل ، الامر الذى جعل اثمان المنتجات منها يصل الى ارقام خيالية . فباب مدرسة السلطان حسن المصنوع من النحاس المكفت بالفضة والذهب مثلا ، دفع السلطان المؤيد ثمنا له مدينة قها — اخصب بقاع محافظة القليوبية — عندما نقله الى مسجده .

والاثاث الذى يطلق على طرازه اسم « ارابيسك » هو كذلك من منتجات خانات واسواق القاهرة القديمة . وينقسم من حيث الاسلوب الصناعى الى قسمين اساسيين : الاول طريقة الحشوات المجمعة المطعمة بالصدف والعاج ، والثانى طريقة الخرط كالتى صنعت منها مشربيات المنازل والبيوت .

واشتهرت مصر منذ اقدم العصور بمنسوجاتها الكتانية ، التى اطلق عليها العرب اسم القباطى نسبة الى اقباط مصر (tapestry) . كما اشتهرت اسواقها فى العصور الوسطى بالمنسوجات الحريرية مثل الديباج الموشى بخيوط الذهب والفضة . والدمقس الذى يعتبر حتى الان ، رغم التقدم الالى — أرقى ماوصل اليه فن النسيج اليدوى والالى على السواء . ولعل تقليد منح الخلفاء والسلاطين الخلع للامراء وكبار رجال الدولة كان من أهم الاسباب المباشرة فى تطور صناعة النسيج ورواجها فى اسواق مدينة القاهرة ، وكان حى الغورية الذى عرف قبل ذلك باسم [سوق الشربين] [نسبة الى نوع جيد من نسيج الكتان يعرف [بالشرب] » يجمع حوانيت صناعة وحياكة الخلع .

وصناعة الزجاج المموه بالمينا ، من الصناعات المصرية التى نالت شهرة كبيرة فى اسواق الغرب ،

وكان يصنع منها المشكاوات والكؤوس والقماقم والاباريق .

ومن الصناعات التقليدية فى مدينة القاهرة ، صناعة الخيام والجلود والسجاد المعقود والكليم المنسوج بطريقة القباطى وكثير غيرها .

واذا أردنا أن نعرف شيئا عن نظام خانات ووكالات القاهرة فى العصور الوسطى ، فلننتقل الى حارة التبليطة بحى الازهر ، حيث تقع وكالة الغورى . وتحتوى الوكالة على فناء كبير مكشوف تتوسطه فسقية ، وفى هذا الفنــاء كانت تعقد الصفقات التجارية ، وهو فى هذه الحالة يشبه الى حد ما [البورصة التجارية] ، ويحيط بالفناء عدد كبير من الغرف يبلغ عددها [٣١] غرفة ذات سقوف معقودة ويتقدم هذه الغرف صف من البوائك . وبالفناء سلم يصعد به الى الطـابق الثانى الذى يتكون من [٢٨] غرفــة معقودة ويتقدمها كذلك صف من البوائك . وكانت غرف الطابق الاول والثانى تستعمل كمخازن يضع فيها التجار بضاعتهم وتجارتهم ، أما البوائك فـكانت تعرض فيها البضائع ، كما يوجد بالفناء باب يؤدى الى دهليز به دورات للمياه ، ومن هذا الدهليز نخرج الى فناء صغير مكشوف يتخـذه التجـار الاجانب حظيرة لدوابهم .

وتحتوى الوكالة على طابقين آخرين لايصعد اليهما من داخل الوكالة كما هو الحال بالنسبة للدور الاول والثانى ، بل يصعد اليهما من باب خارجى مستقل . وهذان الطابقان فيهما [٢٨] بيتا كل طابق منهما مستقل تمام الاســتقلال عن الاخر . وهذه البيوت كانت معدة للموسرين من التجار الوافدين ولعائلاتهم وهى تشبه أحـدث ماوصل اليه فن الفنادق الان .

وعند فم الخليج ، جنوب القاهرة ، تأخـذك روعة وضخامة مبنى مجرى للمياه ، اذ لم يقتصر اهتمام سلاطين المماليك على العمـائر الدينيـة والمبانى السكنية فحسب ، بل شملت حركة البناء والتعمير اقامة مجارى المياه والقناطر والعيون .
ومن اهم هذه المبانى مجرى عيون فم الخليج ، الذى اقامه الناصر محمد بن قلاوون لتوصيل مياه النيل الى قلعة الجبل ، وتعد المجرى من الاثار العمرانيــة التى تفخر بها القاهرة فى العصور الوسطى والتى لاتزال باقية حتى الان .

وكان الناصر محمد اراد ان يمد القلعة بمزيد من الماء فأمر بحفر بئر أخرى عند ساحل النيل ، واقام عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة [سور صلاح الدين] حيث توجد مجرى اخرى للماء ، فيجتمع الماء من بئرين ، بئر سور صلاح الدين، وبئر القناطر ويصير ماء واحدا يجرى الى القلعة .
ويبلغ طول المجرى الموجود الان والذى يمتد من فم الخليج الى باب السيدة عائشة [عند بداية طريق المقطم] ٣١٠٠ متر وينفصل الكورنيش الان بين راس المجرى وبين النيل ثم يمتد المجرى جهة الشرق فى خط منكسر ، الغرض منــه احداث انثناءات طفيفة فى سير مجراه حتى يزيد من قوة دفع المياه ويحتوى راس المجرى على سبع سواق تدار بواسطة الدواب . وقد اثر صوت السواقى السبع فى خيال الشعب المصرى ، فوضع فيــه الشعر والمواويل ، ونسج خياله حولها القصص والاساطير .

والنتيجة الحتمية للازدهار الاقتصادى والتقدم الثقافى والاجتماعى ، هو تقدم الوعى الصحى ، ومن ثم فقد كثر انشاء البيمارستانات فى القاهرة فى العصر المملوكى .

ومن البيمارستانات التى ماتزال بعض أجزائها باقية وتعمل حتى الان ، بيمارستان قلاوون الذى بنى مكان القصر الغربى الفاطمى ، ومن حجج الاوقاف المحبوسة عليه عرفنا أنه كان مستشفى كاملا ومدرسة للطب ، له صيدلية كاملة خصص لمعالجة جميع الامراض ، اذ كانت به اقسام للرمد وللجراحة وللامراض الباطنية والعقلية وأمراض النساء وجميع هذه الاقسام داخلية وخارجيــة ، كما أن الادوية والاغذية كانت تصرف لمن يعالجون فى منازلهم .

وقد ظل هذا البيمارستان يؤدى وظيفتــه من القرن الثالث عشر حتى منتصف القرن التــاسع عشر حيث دب اليه الانحلال ، فلم يبق به سوى المجانين ، الذين نقلوا منه الى العبــاسية ، ثم اقتصر البيمارستان الان على معالجــة أمراض العيون .

ومن المنشــآت الهــامة فى العصر المملوكى الخانقاوات ، وهى مبان خاصة بالمنقطعين للعبادة وهم الذين عرفوا بالصوفية ، واول من ادخل هذا النوع من المبانى فى القاهرة صلاح الدين الايوبى ، فقد أنشأ الخانقاه الصلاحية مكان دار ســعيد السعداء .

والقادم من ميدان صلاح الدين قاصدا جامع ابن طولون يرى على اليسار الخانقاه التى أنشأها الامير شيحو فى القرن الثامن الهجرى ، ونقل اليها رجال الصوفية الذين كانوا يقيمون بمسجده ، وأعد لهم بها مساكن خاصة ، كما أعد منها دارا للحديث ومدرسة للمذاهب الاربعة وعلم القراءات وكان أول درس القى فى مسجد الخانقــاه من العالم الجليل عبد الرحمن السيوطى بحضــور أساتذته .



يقول المقريزى عمدة مؤرخى مصر الاسلامية؟ كان يصرف لكل صوفى من نزلاء الخانقاه فى اليوم من لحم الضأن المطبوخ رطل ومن الخبز النقى اربعة أرطال ويصرف له كل شهر مبلغ اربعين درهما من الفضة ، ورطل حلوى ورطل من زيت الزيتون ، ومثل ذلك من الصابون ويصرف له ثمن الكسوة فى كل سنة ، وتوسعة فى شهر رمضان والعيدين وفى مواسم رجب وشعبان وعاشوراء .

وعين للخانقاه اطباء متخصصون مثل الطبائعى [امراض باطنية] ، والجرائحى [الجراح] والكحال [طبيب العيون] كذلك عين لهم حلاق بالحمام التابع للخانقاه لتدليك ابدانهم وحلق رؤوسهم ، فكان المنقطع بها لايحتاج الى شىء غيرها ، حتى يتفرغ للعبادة .

وعلى الرغم مما اتصف به المماليك من ظلم وتعسف ، وما شاب عهدهم من كثرة الدسائس والمكائد ، فانه مع ذلك يعتبر صفحة زاهرة فى تاريخ القاهرة الفنى ، فقد كانوا جميعا من محبى الفنون ، وآية ذلك واضحة فى عمائرهم ومبانيهم الدينية والمدنية على السواء بل وفى لباسهم وفراشهم،وقد حفظت لنامتاحف العالم والمجموعات الخاصة الكثير من التحف والالطاف والتى تبين مبلغ ماوصلت اليه مدينة القاهرة من ذوق سليم ورفاهة بالغة يعز على ارقى الدول واغناها فى العصر الحالى ان تدانيها فيه .

كذلك اولع الكثير من سلاطين الشراكسة بمجالس العلماء والادباء ، وكان السلطان الظاهر تمربغا ــ مثلا ــ عالما بأصول اللغات والتاريخ والتصوف ، كما كان السلاطين متمسكون بأحكام الدين ويؤدون الفرائض كاملة ويحجون الى بيت الله الحرام .

القاهرة فى العصر العثمانى

ولعل اقسى ضربة اصابت القاهرة خلال تاريخها الطويل ، كانت حالة الركود التى انتابتها فى القرن السادس عشر حين استولى العثمانيون على مصر فتحولت القاهرة من عاصمة امبراطورية مترامية الاطراف ، الى عاصمة ولاية من الولايات التابعة للقسطنطينية .

وظلت القاهرة فى صدر العصر العثمانى تزخر بالاسواق والوكالات والخانات والفنادق والحمامات التى تطلبتها حالة الرواج الاقتصادى فى عصر المماليك ، حتى القرن السادس عشر ، تاريخ اكتشاف البرتغال لطريق راس الرجاء الصالح ، وحتى بعد اكتشاف هذا الطريق لم تهجر بضائع البندقية وجنوة ومرسيليا ، اسواق القاهرة كما بقى جزء كبير من تجارة الهند والشرق بها .

وكان من عادة التجار فى ذلك الوقت ان يجتمعوا أمام حوانيتهم ويجلسوا فوق مقاعد خشبية اسلامية الطراز ، مزخرفة بطريقة الخرط والحشوات المجمعة والمطعمة بالعاج والصدف ويشربون النرجيلة والشبك [اشبه بفم السجاير] والقهوة ، ويعقدون صفقاتهم التجارية مشافهة ، وبطريقة الوكالة ، ومن هنا اخذت الوكالات اسماءها .

ويوم دخل الاتراك مصر وجدوا عاصمتها تزخر بالقصور والعمائر والمساجد والمدارس والقلاع والحصون، وبدلا من ان يحافظوا عليها حتى تصبح درة فى جبين امبراطوريتهم اهملوها وجردوها من معظم صناعها المهرة والمتازين ونقلوا الكثير من كنوزها الى القسطنطينية .

ولم ينل قلب القاهرة تطورا او تغيرا يذكر فقد ظل على ماهو عليه حتى اواسط القرن التاسع عشر ، ولم يعكر صفو ساكنيه سوى معارك الجند والمماليك بين الفينة والفينة .

ولم تقض ظاهرة الركود والاهمال هذه على قدرة القاهرة الدفينة وحيويتها المتجددة فقد استطاعت رغم امكانياتها المادية المحدودة ان تنشىء بعض العمائر مثل تكايا الدراويش والمساجد ذات الطابع والاسلوب العثمانى والاسبلة التى يعلوها كتاتيب لتعليم الاطفال . كما شيد الاغنياء فى القرن السابع عشر والثامن عشر كثيرا من البيوت والقصور الانيقة ، وجواسق النزهة على شاطىء النيل او على الخليج ، ولاتزال بعض تلك القصور قائمة فى القاهرة حتى اليوم . ففى حى الجمالية بيت السحيمى ، وبدرب المسمط قصر المسافرخانة [الذى ولد به الخديو اسماعيل]. وفى حى الدرب الاحمر نجد بيت جمال الدين الذهبى وبيت خاتون بعطفة الازهرى وبحى السيدة زينب يوجد بيت السنارى ، وبحى طولون يوجد بيت الكرتليه الملاصق لجامع بن طولون .

اما الطابع الفنى لمدينة القاهرة فى العصر العثمانى ، فقد بدا يظهر فيه تدريجيا بعض العناصر والتأثيرات الغربية ، ذلك ان تركيا ــ عن طريق مستعمراتها فى شبه جزيرة البلقان ــ اقتبست بعض الطرز الاوربية وخاصة الباروك والركوكو ومزجته بالطراز الاسلامى السائد فى الشرق الاوسط وكونت من هذا المزيج فنها العثمانى الذى انتشر وساد فى البلاد العربية .

وهكذا اصبحت القاهرة ، ولاول مرة فى تاريخها الفنى ، تستورد الطرز الاوربية بعد ان

ظلت ترابة ستة قرون تصدر الى الغرب طرزها وحرفها بل وخاماتها المحلية واستمر الحال على ذلك ، واخذت التأثيرات الاوربيـــة تغطى على اسس وجوهر الفن الاسلامى حتى جعلت منــه مسخا مشـــوها فى النصـــف الاول من القرن العشرين ، ولكن القاهرة ثارت سنة ١٩٥٢ على الاوضاع البالية التى كادت ان تجردها من قوميتها وتراثها وتقاليدها القديمة ، وسرعان ما نفضت عنها غبار تلك الفترة واستطــــــاعت فى فترة وجيزة استرداد شخصيتها وتراثها وحضارتها التالدة .

القاهرة .. والاحياء القديمة

والكثير من احياء القاهرة القديمة لايزال يحتفظ بطابعه التقليدى الاصيل بل ان بعضها لايزال يحتفظ باسمه وباسم بعض شـــوارعه ، فحى الحسينية مثلا يعتبر من اقدم احياء القاهرة اذ يرجع تاريخه الى عهد الخليفة الحاكم بامر الله فقد وفد جماعة من الاشراف الحسينيين من الحجاز ونزلوا المنطقة التى تقع خارج سور القاهرة تجاه باب الفتوح ، فنسبت اليهم .

اما حى بولاق ، فقد عرف باسمه هذا منذ القرن السـابع الهجرى ، ولكن اهل القاهرة اقبلوا على عمارته فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، فسكنها الامراء والجند والكتاب والتجار والعامة حتى لم يبق موضع فيها من غير عمارة ، واصبحت شوارعها مسلوكة وازقتها مطروقة وقصورها عامرة وبساتينها ناضرة واستمرت بولاق ثغرا نهريا لمدينة القاهرة حتى افتتح اول خط حديدى بين القاهرة والاسكندرية فى منتصـــف القرن التاسع عشر .

ونشأ حى الموسكى فى عهد السلطان صـــلاح الدين الايوبى ، وعرف باسم منشئه الامير عز الدين موسك . ومنذ ذلك الوقت عمرت المنطقة بالاسواق والحوانيت واصحاب الحرف . ومازال معظم هذه الحوانيت يحتفظ بطابعه الشرقى القديم ، كما أن الحرف القديمة مازالت تمارس فى هذا الشارع .

وكان حى جاردن سيتى يتكون من مجموعة من البساتين ، تعرف باسم بستان الخشاب وكان من اجمل الميادين لانه يطل على النيل . وكان السلطان الناصر محمد يتردد عليه مدة شهرين من كل عام ، بعد وفاء النيل . وفى اوائل القرن العشرين أعيد تخطيط الحى وترجم اسمه الى الانجليزية فاصبح جاردن سيتى ، اى مدينـــة البساتين بدلا من بستان الخشاب .

وعمرت بركة الفيل وكثرت مبانيها وصـــارت مساكنها من اجمل مساكن القـــاهرة منذ القرن السادس الهجرى . وكان ماء النيل يدخل الى بركة الفيل من الموضع الذى كان يعرف بالجسر الاعظم [ميدان السيدة زينب] وظلت البركة باقية حتى ردمت فى القرن العشرين .

اما حى الازبكية فكان عبارة عن بركة تحيط بها منطقة زراعية ، وقام القائد ازبك قائد السلطان قايتباى بتعمير المنطقة ، ومن ثم فقد اخذت البركة وكذا المنطقة اسم معمرها وعرفت بالازبكية .

وفى القرن التاسع عشر ردمت بركة الازبكية بطمى النيل بارتفاع مترين وانشئت فيها حديقة الازبكية ، اما باقى مساحة أرض البركة فقد اقيمت عليها دار الاوبرا الحالية وميدان ابراهيم باشا والشوارع المحيطة بها من جهة الشرق ذات البوائك .

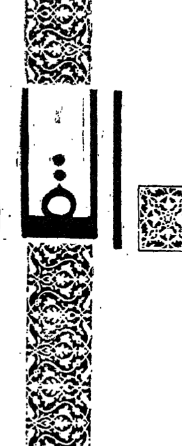
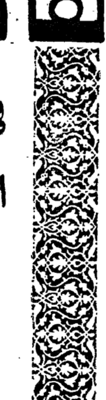
ومن الاحياء الحديثة نسبيا حى الغورية الذى اخذ اسمه من السلطان الغورى آخر ســـلاطين دولة المماليك . وقد انشأ الغورى مجموعة كبيرة من المبانى بهذا الحى تتكون من مدرسة ينتهى طرفها القبلى بمنارة مربعة شاهقة الارتفاع تنتهى بدورة مكونة من اربعة رؤوس . وبجانب المدرسة قبة مكسوة بالقاشانى الازرق . ويقوم فى الطرف البحرى لقبة الغورى سبيل وكتاب . وعند نهاية السبيل منزل كان معدا لسكنى شيخ المدرســـة وتجىء بعد ذلك وكالة الغورى وخلفها حمـــــام معروف بحمام العرائس .

ظهرت فى القرن الخـــامس عشر جـــزيرتان منفصلتان فى مكان جزيرة الزمالك الحالية وفى اواخر القرن الثامن عشر ظهرت جزيرة ثالثة ، ثم اتصلت الجزر الثلاث ببعضها واصبحت جزيرة واحدة عرفت باسم جزيرة بولاق لمواجهتها لبولاق وفى منتصف القرن التاسع عشر اقام محمد على قصرا كبيرا فى الجهة الشمالية من الجزيرة واتخذ للنزهة واقيم بالقرب منه عدة عشش يصطاف فيها رجال الحاشية والحرس ، وعرفت المنطقة منذ ذلك الوقت باسم الزمالك . والزمالك كلمة تركية معناها العشش المصنوعة من البوص او القش لاقامة العسكر بدلا من الخيام .

واذا اردنا ان نجمل تاريخ القاهرة فى كلمات ، فقد نشأت القاهرة وليدا مدللا فى عهد الفاطميين ، أخذ ينمو ويترعرع فى كنفهم حتى شب عن الطوق ونافس عواصم العالم الاسلامى ، بغداد حاضرة العباسيين فى العراق ، وقرطبة قاعدة الامويين فى الاندلس .

وسرعان ما انتزعت القاهـــرة قيادة العـــالم الاسلامى فى عصر صلاح الدين ، فقد كانت الدرع الواقى للعرب والاسلام ، اذ وقع عليها العبء الاكبر فى اخراج الصليبيين من المشرق العربى .

ولما قضى التتار على الخلافة العباسية فى العراق والاســبان على الامـــويين فى الاندلس اصبحت القاهرة الدرة الوحيدة المتلألئة فى سماء العالم الاسلامى .

القاهرة في العصر الفاطمي

محمد عمارة

ليس بغير التجاوز ، والتجاوز الشديد ، نستطيع أن نسلم بأن عمر القاهرة الآن هو الف عام فقط لا غير ؟ ! . ذلك لان البناء الذي وضع أساسه القائد الفاطمي الفاتح جوهر الصقلي في يوليو سنة ٩٦٩ م ، والذي حمل هذا الاسم ، لم يكن بدء ميلاد هذه العاصمة ، بل ان هذا المكان الذي اقام فيه جوهر هذا البناء لم يكن اختيارا مطلقا من جانب هذا القائد الكبير . فمنذ ان وحد الملك الفرعوني العظيم « مينا » شمال البلاد وجنوبها ، وبنى لها العاصمة القديمة « منف » [منفيس] سنة ٣٤٠٠ ق . م وجدنا كل انظمة الحكم التي تعاقبت على مصر ، والتي أراد اصحابها ان يكونوا قريبين من روح هذا الشعب ، وملتحمين بهذه الروح ، قد جعلوا من هذه العاصمة ذاتها ، او من احدى ضواحيها ، او من المناطق التي اصبحت امتدادا لها ، العاصمة التي تحكم منها البلاد ، بحيث نستطيع ان نقول : **ان جميع العواصم التي خفق لها قلب مصر ، والتي منحها الشعب ولاءه انما كانت بمثابة تطورات مستحدثة وصور متجددة لتلك العاصمة التي بناها « مينا » منذ ما يزيد على الخمسة الاف عام . ولعل في هذه الوحدة التي صنعها التاريخ للعواصم المصرية ، والتي زاملت ورافقت عمليات تجددها وتعددها : ما يرمز الى ان تعدد المراحل التاريخية والاطوار الحضارية التي شهدتها مصر انما تعني هي الاخرى وحدة تاريخ هذه البلاد وصمود شخصيتها الاصيلة المتطورة لكل الشدائد والمحن التي رماها بها الاعداء .**

★ فالعاصمة « منف » التي بناها « مينا »

سنة ٣٤٠٠ ق.م كانت تقع على الضفة الغربية للنيل ، في مقابل ضاحية « حلوان » حيث تقع الان مدينة « البدرشين » وقرية « ميت رهينة » جنوبي الجيزة ، وحول هذه العاصمة امتد العمران وانتشرت الاثار ، وبنيت الى الجنوب منها اهرامات سقارة ودهشور وبشـت وميدوم وهـواره ، وأهرامات الجيزة من ناحية الشمال . كما امتد عمرانهـا عبر النيل حيث قامت حـول حصـن « بابليون » الشهير ، تلك المدينة التي وجدها الفاتحون العرب ، والتي كان اسمها « مصر » والتي كان قيامها وعمرانها اكبر تحد من جانب عاصمة مصر الشعب للحكم الروماني الذي صنع للبلاد عاصمة اخرى كما فعل من قبله الغزاة الهكسوس .

★ وعندما جاء الفتح العربي الاسلامي الى مصر ، واقام عمرو بن العاص مدينة الفسطاط سنة ٦٤١ م ، كان موقعها **الى الشمال** من حصن بابليون ، أي الى **الشمال الشرقي** — عبر النيل — من « منف » . وعندما حدث الانقلاب العباسي سنة ٧٥٠ م وبنى واليهم على مصر « ابو عون » مدينة « العسكر » سنة ٧٥١ م كان موقعها الى **الشمال الشرقي** من « الفسطاط » . وعندما جاء احمد بن طولون ليستقل بمصر ، وليبنى عاصمة جديدة تحمل اسم « القطائع » . وجدناها تقع **الى الشمال الشرقي** من مدينة « العسكر » . ثم كانت القاهرة الى **الشمال الشرقي** من مدينة « العسكر » . فاذا ما جاء صلاح الدين الايوبي ليقيم قلعته الشهيرة الخالدة ، وليحيط عاصمة البلاد بالسور الذي بلغ طوله ٢٩٫٣٠٢ ذراعا في سنة ١١٧٦ م ، وجدناه يدخـل في نطـاقه « الفسطاط » و « العسـكر » و « القطـائع » و « القاهرة » مجسدا بذلك **وحدة العاصمة الدالة على وحدة التاريخ العربي الاسلامي لهذه البلاد .**

★ فاذا ما جئنا اليوم لنحتفل بالعيد الالفي لمدينة القاهرة في ظل تصور جديد لابعادها وامتداداتها نعبر عنه « بالقاهرة الكبرى » التي تمتد ، ضمن ما تمتد ، لتشمل آثار الفراعنة عبر النيل ، فاننا نستطيع ان نقول **ان المدينة التي نحتفل بها هذه الايام انما تمثل الامتداد الحضـاري والتاريخي والعماري الحي والمتطور ، وايضا المتحد ، لهذه العاصمة الفرعونية التي بناها « مينا » في سنة ٣٤٠٠ ق . م ، وان هذه الوحدة المتطورة لهذه العاصمة انما هي رمز للوحدة المتطورة لتاريخ هذا الشعب ، وايضا هي المفتاح الذي لا مفتاح سواه لفهم روحه وكنه الحضارة التي صنعها عبر هذا التاريخ الطويل .**

تساؤل يحير الكثيرين

ولكن .. اذا كانت هذه العاصمة التي بناها جوهر الصقلي لم تكن اكثر من امتداد فاطمي لعاصـمة البلاد العتيـدة ، فكيف فتحت هـذه العاصمة ، ممثلة في ذلك مصر كلها ، صدرها للفاتح الجديد ، دون مقاومة تذكر ، وكيف حدث ان « معظـم الزعمـاء المصريين آثروا مهـادنة الفاتحين والتفـاهم معهـم ، وقررايهم على ان يتقدموا الى جوهر بطلب الامان والصلح » ولم يقاوم الجيش الفاتح سـوى قلة من عسـاكر الاخشيدية [١] ؟ ؟ واليس في هذا الموقف ما يلقي ظلالا من السلبية على تاريخ هذه العاصمة وهذا الشعب ؟ ويقدح في نضاليته ومقاومته للغزاة ؟؟

الحقيقة ان هناك عددا كبيرا مـن الحقـائق والاسباب التي جعلت من موقف العاصمة المصرية هذا موقفا طبيعيا لا غرابة فيه ، وذلك على الرغم من انها عاصمة لشعب يقف موقفا « سلفيا سنيا » من عقائد الاسلام ، بينما الغزاة الفاتحون شيعة « يحاربون السلفيين » ، وفي مقدمة هذه الحقائق والاسباب نجد :

١ — ذلك المد الشيعي ، السياسي والفكري ، الذي كان يشهده العالم العربي في ذلك الحين ، والذي اخذ يتعقب السلطة العباسية السلفية في كل مكان ، والذي جعل الدولة «البويهية» الشيعية تبسط سلطانها على المشرق ، بما في ذلك بغداد وخليفتها العباس منذ سـنة ٩٤٥ م ، ودولة القرامطة الشيعية اليسارية التي قامت بمنطقة الخليج سنة ٨٩٩ م تمد سلطانها الى العراق والشام واليمن وتطمع في ملك مصر وتغزوها عدة مرات ، ودولة الزيديين الشيعة تقوم في اليمن على يد الامام الهادي يحيى بن الحسين [٨٥٩ — ٩١٠ م] ، وذلك فضلا عن قيام الدولة الفاطمية الشيعية بالمغرب سنة ٩٠٩ م ، لتفتح مصر سنة ٩٦٩ م ، ولتضم بعد ذلك أغلب أجزاء الوطن العـربي الكبير . فلم يكن اذا الفتح الشـيعي الفاطمي للمجتمع المصري السلفي أمرا فريدا في نوعه ، ومن ثم فليس فيه شبهة يمكن ان يتعلق بها الذين يتوهمون فيه دليلا على سلبية المصريين وخضوعهم المستمر والابدي للغزاة والفاتحين .

٢ — ولقد تلاقت الطبيعـة المتسـامحة لدى الشعب المصري ، والتي جعلته يترك التعصب الاعمى وضيق الافق الطائفي لفئة قليلة من محترفي التجارة بالمذاهب والاديان ، تلاقت هذه الطبيعة الاصيلة مع السياسة الثابتة التي سارت عليها الخلافة الفاطمية » في اسـتمالة اهل السـنة

---

[١] محمد عبد الله عنان [الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية] . ص ٢٩ . ط القاهرة سنة ١٩٥٩ م .

والجماعة وتمكينهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم » [٢] كما يشهد بذلك الامان الذى اعطاه جوهر لاهل العاصمة ، والذى تعهد فيه بكفالة الحرية المذهبية ، اذ الاسلام « **سنة واحدة ، وشريعة متبعة** » [٣] .

٣ ــ كما ان التمهيد الفكرى الفاطمى الذى مارسه دعاة الشيعة الفاطمية فى مصر من قبل الفتح قد لعب دورا كبيرا فى فتح الطريق أمام جيشهم ، فلقد تعلموا من فشلهم مرارا فى فتح البلاد زمن الاخشيديين ، فبذلوا جهدا مضاعفا على الجبهة الفكرية ، واذا كانوا قد بعثوا مع جوهر الصقلى بجيش قوامه مائة الف مقاتل ، وزودوه بألف وخمسمائة صندوق مملوءة بالدنانير ، فانهم قد ارسلوا من قبل ذلك ، وعندما بلغهم خبر وفاة كافور الاخشيدى سنة ٩٦٧م ، الى الدعاة المنبثين فى ارجاء البلاد « بالبنود » [الشارات والاعلام]، فوزعت على الانصار والاتباع ، وبينهم كثيرون من الجنود ، وأمرهم المعز بنشرها عندما تقترب جيوش الفتح من البلاد [٤] .

٤ ــ ولم يكن « الولاء » الذى منحته العاصمة، ومن خلفها مصر ، للفتح الجديد ، اختيارا ناشئا من انحياز فكرى خالص لفكر الفاطميين الشيعى ، بقدر ما كان تقديرا لفتوة هذه الخلافة وشبابها ، والتفضيل لاعلامها وراياتها اذا ما قورنت بذلك التحلل والتفسخ الذى بلغه الحكم المصرى على عهد الاخشيديين ، ويكفى ان نضرب لذلك مثلا فيما يتعلق بالحياة الخلقية والاجتماعية ، تلك القصة التى رواها احد المغاربة للمعز لدين الله الفاطمى [٩٥٢ ــ ٩٧٥ م] ، وكان هذا المغربى قد جاء الى سوق الرقيق بالعاصمة المصرية ليبيع جارية جميلة ، فاشترتها منه امراة شابة بستمائة دينار، ثم علم ان هذه التى اشترت جاريته هى « بنت الاخشيد ، اشترت الجارية **تتمتع بها** .. فلما عاد [المغربى] اخبر المعز بذلك ، فأمر باحضار الشيوخ ، وأمر الرجل فحدثهم بخبر الجارية ، ثم قال : يا اخواننا ، انهضوا اليهم ، فلن يحول بينكم وبينهم شىء ، **واذا كان قد بلغ بهم الترف الى ان صارت امرأة من بنات ملوكهم تخرج وتشترى لنفسها جارية تتمتع بها ، فقد ضعفت نفوس رجالهم !** [٥] .

وعندما نقارن هذا التحلل الاخشيدى ، بتلك الفتوة الفاطمية التى جعلت المعز ينصح رجال دولته بالاقتصار على زوجة واحدة ، والحذر من حياة الحريم وتعدد الزوجات ، ويقول لهم : « الزموا الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرهوا فى التكثير منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا ابدانكم، وتذهب قوتكم وتضعف نحايزكم [انسابكم] ، **فحسب الرجل الواحد الواحدة** ، ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم » [٦] ، ! اذا قارنا بين هذين الموقفين ، كنا قد اضفنا سببا جديدا للاسباب التى جعلت العاصمة المصرية تمنح هذا « الولاء » للفاتح الجديد .

٥ ــ ان الفتح الفاطمى قد كان بالنسبة لمصر ، وبالنسبة للعاصمة بالذات ، فتحا من نوع جديد، فهى هذه المرة لن تكون عاصمة اقليم ، ولن تكون مدينة تابعة لعاصمة اخرى، بل انها ستكون عاصمة الخلافة ، والمركز الذى تتبعه كل العواصم والاقاليم ، وها هو المعز عندما يأتى اليها بعد اربع سنوات من الفتح ، يحمل معه بيت ماله بعد ان سبك دنانيره الذهبية على هيئة طواحين ليتمكن من حملها على الجمال ! ! ، كما يحمل معه كذلك رفات آبائه وأجداده « المهدى » و « القائم » و « المنصور » . [٧] .

٦ ــ اضف الى ذلك كله بل وفوق ذلك كله ، تلك الاسباب الاقتصادية التى مهدت للفتح ، والتى جعلت المصريين يكتبون الى المعز يتعجلونه ارسال جيشه لفتح البلاد ، وذلك بسبب سلسلة المجاعات التى شهدتها مصر على عهد الاخشيديين والتى تكررت فى سنوات ٩٤٩م و٩٥٢م و٩٦٣م و٩٦٤م ، والتى زادت بعد موت كافور الاخشيدى سنة ٩٦٧م حيث « كثر الاضطراب ، وتعددت الفتن ، وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير ، وانتهبت اسواق البلد ، واحرقت مواضع عديدة ، فاشتد خوف الناس ، وضاعت اموالهم ، **وتغيرت نياتهم** ،وارتفع السعر، وتعذر وجود الاقوات ، حتى بيع القمح كل «ويبة» بدينار (٨) ، واختلف العسكر فلحق كثير منهم

---

[٢] المصدر السابق . ص ٢٣٩ .
[٣] المقريزى [اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا] . ص ١٠٥ . تحقيق د . جمال الدين الشيال . ط القاهرة سنة ١٩٦٧ م .
[٤] المصدر السابق . ص ٩٦ ، ٩٧ ، ١١١ .
[٥] المصدر السابق . ص ١٠٠ .
[٦] المصدر السابق . ص ٩٦ .
[٧] المصدر السابق . ص ١٠٠ ، ١٣٤ .
[٨] الويبة تساوى كيلة مصرية حديثة ، والدينار يساوى ٦٠ قرشا مصريا . راجع د . ضياء الدين الريس [الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية] . ص ٢٤٢ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ . ط القاهرة سنة ١٩٦١ م .

بالحسن بن عبد الله بن طغج ؟ وهو يومئذ بالرملة ، وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمى »(٩)

ولذلك كله ، ولغيره من الاسباب المشابهة ، كانت مصر يومئذ ، وعاصمتها ، ثمرة ناضجة فى انتظار القطاف ، وقطاف الفاطميين على وجه التحديد .

عصر القاهرة الذهبي

كان الفاطميون قد اعتبروا ، وهم على حق فى ذلك تماما ، ان فتح مصر قد حسم الموقف لصالحهم فى المعركة الدائرة بينهم وبين العباسيين السلفيين، والقرامطة الشيعة ، وكل المناوئين لهم فى ذلك الحين ، وعبر عن ذلك شاعرهم العملاق ابن هانىء [٩٣٧ — ٩٧٢م] عندما قال :

يقول بنو العباس : هل فتحت مصر ؟

فقل لبنى العباس:قد قضى الامر؟!(١٠)

كما اعتبروا ان قيام القاهرة انما يعنى قيام الحاضرة والمنارة القائدة للعالم العربى والاسلامى، والقلب النابض للحضارة العربية الاسلامية ، وهو المعنى الكبير الذى عاش للقاهرة وعاشت له القاهرة رغم مامر بها بعد ذلك من محن وشدائد عانت منها الكثير . ولقد ساعد القاهرة على ان تجسد هذا المعنى بجدارة استمتاعها بتلك الصفحات الرائعة من المجد والغنى التى مثلت القرن الاول من حكم الفاطميين ، والتى بدات بذلك الموكب الذى صحب المعز لدين الله من المغرب والذى ضم الف جمل من ابل قبيلة«زناته» حملت المتاع والرياش وبيت المال الذى سبك ذهبا على هيئة الطواحين ؟!

١ — الغنى والترف :

واذا كان الناس قد ضربوا الامثال « بذهب المعز » الذى ملك قدرات خارقة فى الاغراء وجلب الولاء ، فان فى صفحات القاهرة المعزية الكثير من المعالم والسطور الناطقة بالمجد والغنى والترف التى سجلها لنا الرحالة والمؤرخون ، فنحن نجد مثلا ، الرحالة الفارس « ناصر خسرو » [المتوفى سنة ١٠٦١م] والذى زار مصر ومكث بها ثلاث سنوات [١٠٤٧ — ١٠٥٠م] يسجل لنا الكثير من صورها وصور الحياة فيها :

● فهو يحدثنا عن الحوانيت التى زاد عددها على العشرين الفا ، والتى كانت **مملوكة لامير المؤمنين** يؤجرها للناس بايجار شهرى بلغ بالنسبة لبعضها عشرة دنانير .

● كما يحدثنا عن المنازل التى كانت **ملكا للخليفة** ، كذلك ، والتى بلغ عددها فى «الفسطاط» وحدها ثمانية آلاف ، وكيف ارتفع بعضها الى اربعة عشر طابقا ، وكيف اتسع بعض المنازل — كما يقول الرحالة « ابن حوقل » [المتوفى سنة ٩٨١م] لسكنى مائتى ساكن ، مما جعل سكان العاصمة يبلغ حسب احصاء ناصر خسرو نصف مليون من السكان .

● كما يحدثنا خسرو عن تعداد الجمال التى خصصت فى القاهرة لحمل مياه الشرب ، الذى بلغ ٥٢,٠٠٠ جمل ، وذلك غير الرجال الذين يحملونه الى الحوارى الضيقة التى لاتسع الجمال .

● وكيف بلغ قصر الخليفة ، بل قصوره ، درجة من العظم والضخامة اصبحت معها اشبه بالمدينة عندما ترى من قرب ، واشبه بالجبل عندما ترى من بعيد ، وكيف ضمت هذه القصور اكثر من ثلاثين الف رجل وامراة، بينهم عدد غير محدود من الجوارى ، واثنا عشر الف خادم ، وكيف بلغ تعداد حرس هذا القصر فى كل ليلة الف رجل نصفهم من المشاة ونصفهم من الفرسان .

● وكيف بلغ الامن والاطمئنان بسكانها ، فى بعض الفترات ، حدا جعل التجار والصيارفة يتركون ابواب متاجرهم وحوانيتهم مفتوحة ، وعليها ستائر فقط ، عندما يذهبون للصلاة وقضاء بعض الحاجات .

● وكيف بلغت ثروتها الى الحد الذى جعل ناصر خسرو يقول : اننى « لم استطع حصر ثروتها ولاتدرها ، ولم يسبق لى رؤية تلك النعمة فى بلد آخر » (١١)

---

[٩] المقريزى [كتاب اغاثة الامة بكشف الغمة] . ص ١١ — ١٢ . تحقيق د . محمد مصطفى زيادة . و د . جمال الدين الشيال . ط القاهرة سنة ١٩٤٠ م .

[١٠] اتعاظ الحنفا . ص ٩٧ .

[١١] راجع [القاهرة : تاريخها وآثارها] . ص٢٤ — ٤٣ للدكتور عبد الرحمن زكى . ط القاهرة سنة ١٩٦٥ م . [والحاكم بامر الله] . ص ١٢٥ : ١٢٧ و [تاريخ العرب] ج ٣ ص ٧٤١ لفيليب حتى وآخرين . ط بيروت سنة ١٩٥٣ م . و [سيرة القاهرة] . ص١٠٥ لستانلى لينبول . ترجمة د.حسن ابراهيم وآخرين. ط القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

فاذا اردنا ان نتحدث عن المنشـــآت التي شهدتها العاصمة في ذلك العصر ، فاننا نجد الى جانب التطور الذي شهدته صناعةالنسيج ،بسبب البذخ الفاطمي واهتمامهم بالتطريز للخلعوالهدايا، والذى جعل من منتجات «الفسطاط» ذلك النسيج الراقي الذي عرفته اسواق اوربا واشتهر فيها باسم «الفستيانى» (١٢) نجد صناعة السفن التى اقام لها المعز ترسانة «بالمقس» [قرب الازبكيه حاليا] والتى شاهد فيها خسرو سنة ١٠٤٧م بعض السفن التي بلغ طولها ٢٧٥ قدما وعرضها ١١٠ اقدام(١٣)، وكذلك المنشآت التي بلغ تعداد ماجدد منها في عهد الخليفة العزيز . [٩٧٥ — ٩٩٦م] الشيء الكثير ، والتى منها : قصر الذهب بالقاهرة ، وجامع القاهرة ، وبستان سردوس ، والفوارة بالجامع العتيق ، والقصور بضاحية عين شمس ، والمصلى الجديد بالقاهرة ، وحصـــن الرسيين ، والمنظرة على الخليج ، وقنطرةالخليج القديمة ، والحمامات ، ودار صـــناعة الســـفن بالمقس ، ودار الفطرة .. الخ .. الخ ..

كما ادت عناية الفاطميين بتاريخ آبائهمو اجدادهم وهو التاريخ الذي كان محل جدل ومنازعات ، الى الاهتمام بالمزارات والقبور ، واتخـــاذ الطقوس والشعائر المرتبطة بها وسيلة من وسائل الدعاية والتثقيف الشيعى لتطويع عقول المحكومين لمذهبية الحاكمين ، حتى تحـــولت « الجبانة المعـــروفة بالقرافة » الى « احدى عجائب الدنيا ، لما تحتوى عليه من مشاهدالانبياء ... واهل البيت ... والصحابة والتابعين والعلماء والزهاد والاولياء » بل لقد نسب الفاطميون بعض هذه المزاراتوالقبور الىكثير من القدماء، فزعموا أن عاصمتهم انماتضم « قبر ابن النبي صالح ، وقبر روبيل بن يعقوب ...وقبر آسيه امرأة فرعون ...ومشاهد اهل البيت ... اربعة عشر من الرجال وخمسة من النساء » واقاموا على كل واحد منها بناء جميلا زينته لوحات الفنانين المصريين من امثال « القاصر » و « ابن عزيز » و « القطامي » حتى غدت هــذه المشاهد«روضاتبديعة الاتقان عجيبةالبنيان»[١٤]

واذا علمنا انه عندما ماتت زوجة العزيز سنة ٩٩٥ م اقامت ابنتها على قبرها العزاء شهرا كاملا لم تغادر القبر فيه ، وكان والدها يحضر لها كل يوم ، وشارك الناس الخليفة حزنه بتوزيع الاطعمة والحلوى كل ليلة ، كما رثاها الشعراء ، ونالوا من الجوائز على رثائهم مابلغ الفي دينار [١٥] اذا علمنا ذلك ادركنا ذلك القدر من الغنى والترف والبذخ الذى افاضه الحكم الفاطمي على هــذا الجانب من جوانب العمران القاهرى فى ذلك الزمان .

بل لقد ادى اهتمام الفاطميين المذهبى بتاريخ اجدادهموبالمناسبات الشيعيةالى اضافةالجديد من المناسبات والاعياد التى انضمت الى اعياد مصر المسلمة السلفية ومصر القبطية ، وكذلك الاعياد القومية القديمة ، ليصبح لمصر فى هذا العهد من الاعياد والمناسبات مالم تحتفل القاهرة بمثله فى عصر من العصور ، ويكفى ان نلقىنظرةعلىتعداد هذه المناسبات ، لنعلم الاثر الذى احدثته في حياة العاصمة يومئذ تلك الاحتفالات التى توزعتها كل شهور السنة ، والتى كان من بينها : ١ — عيد راس السنة الهجرية ٢ — المولد النبوى ٣ — اول رجب ٤ — نصفرجب ٥ — اولشعبان ٦ — نصف شعبان ٧ — اولرمضان ٨ — عيد الفطر ٩ — عيد النحر ١٠ — مولد علي بن ابى طالب ١١ — مولد الحسن ١٢ — مولد الحسين ١٣ — مولد فاطمة بنت الرسول ١٤ — يوم عاشوراء ١٥ — عيدفتح الخليج ١٦ — عيد النيروز ١٧ — عيد الشهيد ١٨ — عيد النصر [ذكرى خروج الخليفة الفاطمى الحافظ منمحبسهفى١٦محرم]١٩ —المواليدالستة ٢٥ — ليالي الوقود الاربع ٢٩ — قافلة الحج ٣٠ — عيد الغدير [ذكرى وصية الرسول للامام علي] ٣١ — كسوة الشتاء والصيف لاهل الدولة وذويهم ٣٢ — ميلاد المسيح ٣٣ — الغطـــاس ٣٤ — خميس العهد ٣٥ — عيدالصليب٣٦ — صلاة الجمعةبالازهر [وكان يركبلها الخليفةثلاثمرات فى العام] ٢٩ — نزهة الخليفة [وكانت تحدث يوم السبت والثلاثاء من كل اسبوع .. الخ .. الخ .. [١٦]

فاذا اضفنا الى ذلك احتفالات ليالي رمضان الثلاثين ، والاستعراضات العسكرية التي كانت تقام بمناسبات كثيرة حيث يستعرض الخليفة من تحت مظلته فرقا رمزية من الاجناد والمقاتلين امام الضيوف ، ورحلات الصيد التى كان يقوم بهـــا امراء المؤمنين ، [١٧] ادركنا كيف كانت اعياد القاهرة الفاطمية سلاحا مذهبيا بيد الشيعة ، وطوفانا حاول الفاطميون به اغراق الجماهير فى الماء الذى يريدون ، ومبلغ الاثر الذى تركته هذه الاعياد فى طابع حياة العاصمة فى ذلك الحين .

---

[١٢] تاريخ العرب . جـ ٣ . ص ٧٤٨ .

[١٣] سيرة القاهرة . ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

[١٤] ابن جبير [رحـلة ابن جبير] ص ٤٩ . طالقاهرة سنة ١٩٦٨ م . و [سيرة القاهرة] ص ١٣٠ .

[١٥] اتعاظ الحنفا . ص ٢٨٩ .

[١٦] خطط المقريزى جـ : ص ٤٩٠ — ٤٩٥ . واتعاظالحنفا . ص ١٤٢ ، ١٧٢ ، ١٧٦ . والحاكم بامر الله . ص ٢٥١ .

[١٧] اتعاظ الحنفا . ص ٢٧٩ ، ٢٧٧ .

فاذا ما شئنا القاء نظرة خاطفة على حجم بعض الثروات الفردية والخاصة لنعلم دليلا جديدا على هذا الجانب من جوانب البذخ والترف التى شهدتها القاهرة الفاطمية، فاننا سنجد أشياء تثير الدهشة والاستغراب ، فاحدى بنات المعز تموت عن ٢٫٧٠٠٫٠٠٠ دينار ؟ .! واختها تموت عن حجرة للمجوهرات بها خمس حقائب من الزمرد ، وثلاثة آلاف صندوق مليئة بالفضة ، وثروة احتاج الذين ختموا عليها بالشمع الى اربعين رطلا من الشمع لاستعمال الاختام ؟ ! [١٨] . أما الوزير يعقوب ابن كلس فان الخليفة العزيز يهدي اليه بمناسبة مولوده الذى رزقه فى سنة ٩٧٩ م هدية قدرت قيمة محتوياتها بمائة الف دينار ؟ ! [١٩] ، وعندما يموت هذا الوزير تبلغ نفقات تحنيطه وتكفينه عشرة آلاف دينار ؟ ! ، ولا عجب فلقد بلغ اقطاعه السنوى ٣٠٠٫٠٠٠ دينار وذلك غير المبانى والرباع ، وغير ثروته الخاصة الاخرى [٢٠] .

فاذا ما عقد الخليفة العزيز قرانه على احدى زوجاته فان صداقها يبلغ ٢٠٠٫٠٠٠ دينار ، والف دينار للقاضى الذى عقد العقد ، وذلك غير الهدايا التى منحت للقاضى والشهود الذين حملوا على البغال فطافوا المدينة بالطبول والبوقات [٢١]

ب ـ حياة القاهرة الفكرية :

هناك زعم يدعى اصحابه ذبول الحياة الفكرية فى القاهرة الفاطمية وانعزالها «عن تقدم الدراسات الاسلامية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر» مرتبين على ذلك أنه « قلما ظهر هناك قادة فى محيط الفكر او الادب العربى تحت الحكم الفاطمى » [٢٢] ونحن نعتقد ان خلف هذا الادعاء غير الصادق تقف الكثير من الاسباب ، التى فى مقدمتها : كتابة تاريخ هذه الحقبة من حياة القاهرة بأقلام كتاب ومؤرخين «سلفيين سنيين» اغمطوا صفحة عاصمتنا التى تشيعت فى ذلك الوقت حقها من الصدق والتقييم الدقيق ، أضف الى ذلك آثار ذلك المرض الذى أصيبت به حركة تأريخنا للحياة الفكرية العربية ، والذى جعل الهم الاكبر منصرفا لتاريخ حياة دمشق وبغداد دون بقية العواصم التى كانت مجرد أقاليم ، ولما كان المؤرخون « السلفيون » قد رفضوا الاعتراف بشرعية الخلافة الفاطمية ، فلقد أصروا على معاملة القاهرة فى عهدها كمجرد اقليم تمرد فيه « دعى » وزعم نفســـــه أميرا للمؤمنين مغتصبا بذلك حق الخليفة العباسى فى بغداد ؟ ! ، أضف الى ذلك ايضا ذلك السبب الهام الذى نتج عن تدمير الاثار الفكرية التى لم يكن لها مثيل فى ذلك العصر ، والتى سجلت آثار الحياة الفكرية فى القاهرة الفاطمية، تدميرها ونهبها وسلبها على يد الدولة الايوبية « السلفية » التى عهدت بهذه الكنوز الى جنودها « الغز والاتراك » واميرهم قراقوش « وهو تركى لاخبرة له بالكتب ، ولا دربة له بأسفار الادب » [٢٣] فأضاع هذه المكتبة التى قدرت كتبها يومئذ بنحو ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ كتاب ؟ !

واذا كانت هذه **الأدلة السلبية** كافية فى نقض ذلك الزعم الذى نناقشه ، فان لدينا الكثير من **الادلة الايجابية** على العمق والشمول اللذين ازدان بهما الازدهار الفكرى فى قاهرة الفاطميين :

١ ـ **فهناك** الكوكبة الكبيرة من **الاعلام والعلماء** فى الشعر والنثر ، والفقه والفلسفة ، والطب والفلك والتنجيم، والهندسة والرياضيات، ورواية الحديث ونقده ، واللغة والنحو والقراءات . وهى اسماء لو اخذنا فى تعداد بعضها لطال بنا الحديث، ويكفى ان نشير الى ان مرجعين فقط من مراجع هذه الفترة هما كتاب [الحاكم بأمر الله] و [القاهرة : تاريخها وآثارها] نجد فى بعض صفحاتهما حديثا عن أكثر من خمسين عالما ومفكرا شهدت حياتهم وآثارهم عاصمتنا فى ذلك الحين .

٢ ـ **والجامع الأزهر** : الذى بدأ تأسيسه فى سنة ٩٧٠ م وافتتح للصلاة بسنة ٩٧٢ م وبدأ قاضى القضاة على بن النعمان يدرس فيه فقه الشيعة سنة ٩٧٥ م ، نجده قد تحول الى جامعة كاملة ، بل « قبلة للعلماء والطلاب دون تمييز فى الجنس او اللغة او الطبقة » على عهد العزيز ووزيره يعقوب بن كلس فى سنة ٩٨٨ م . [٢٤] .

٣ ـ **ودار الحكمة** : تلك الاكاديمية العلمية والفكرية التى اقامها الحاكم بأمر الله سنة ١٠٠٥ م والتى شملت أقساما للعلوم الشرعية ، والالهية ، والفلسفية ، والطب والرياضة والفلك والهندسة

---

[١٨] سيرة القاهرة . ص ١٣٠ .
[١٩] اتعاظ الحنفا . ص ٢٥٢ .
[٢٠] المصدر السابق . ص ٢٦٨ ، ٢٦٩ .
[٢١] المصدر السابق . ص ٢٥٢ .
[٢٢] سيرة القاهرة . ص ١١٨ .
[٢٣] ابو شامة [كتاب الروضتين] ج ١ . ص ٦٨٦ . تحقيق د . محمد حلمى محمد احمد . ط القاهرة سنة ١٩٦٢ م .
[٢٤] سيرة القاهرة . ص ١٢١ . والقاهرة : تاريخها وآثارها . ص ١٧ . واتعاظ الحنفا . ص ٢٢٧ . والحاكم بامر الله . ص ١٥٥ ، ٣٦٣ .



والتنجيم ، الى جانب قسم للنسخ كان يقوم مقام الطباعة فى ذلك الحين . ولقد فتحت هذه الاكاديمية أبوابها لكل الطبقات ، وقدمت للباحثين والدارسين والناسخين الكتب والاوراق والمحابر والاقلام والخدمة بالمجان ، واوقف الحاكم عليها وعلى الازهر الكثير من أملاكه بالقاهرة والفسطاط ، كما خرجت العديد من طبقات المفكرين والدعاة فى مختلف الفنون والفروع [٢٥] .

٤ — ومكتبة القاهرة : التى سبقت اشارتنا اليها ، هى الاخرى دليل مادى على مستوى الحركة الفكرية الرفيع لعاصمتنا فى ذلك التاريخ ، وخاصة اذا علمنا أن رقم كتبها الذى بلغ ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ كتاب انما كان بعد أن نهب منها الكثير جدا فى عهد « الشدة المستنصرية » التى بدأت سنة ١٠٦٦ م ، واذا علمنا كذلك أن مؤرخا « سلفيا » مناصرا للايوبيين ومعاديا للفاطميين هو أبو شامة قد قال عنها « انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب أعظم من الدار التى بالقاهرة » وأن حديثه هذا كان قبل تدمير مكتبة بغداد على يد التتار بأكثر من قرن من الزمان ، واذا علمنا أن هذه المكتبة كانت مفتوحة لكل الطبقات وجميع الباحثين والقراء ، وأن قسم النسخ بدار الحكمة قد استطاع التغلب ، نسبيا ، على صعوبات ندرة النسخ بسبب انعدام الطباعة ، حتى بلغت نسخ كتاب ضخم هو « تاريخ الطبرى » فى هذه المكتبة ١٫٢٠٠ نسخة مخطوطة ؟ ! ونسخ « العين » للخليل بن أحمد ٣٠ نسخة مخطوطة ؟ ! ، ونسخ « جمهرة » ابن دريد ١٠٠ نسخة مخطوطة ؟ ! ، وأن بعض كتب هذه المكتبة قد بلغت عدة مجلداتها « خمسين أو ستين مجلدا » ، وأن خزائنها كانت « مرتبة البيوت ، مقسمة الرفوف ، مفهرسة بالمعروف » [٢٦] اذا علمنا كل ذلك تجاوزنا الايمان بكذب الادعاء الذى ينفى عن القاهرة النبوغ فى هذا المجال ، الى الحزن الشديد على ضياع هذه الكنوز التى لو بقيت لملأت العديد من الثغرات والفجوات فى تاريخ أمتنا الفكرى .

ج — حكومة القاهرة :

كان نظام الحكم فى القاهرة الفاطمية تجسيدا لنظرية « التفويض والحق الالهى » الاقطاعية ، التى ورثتها « الشيعة الامامية » ، والفاطميون فرع منها ، عن التراث الاقطاعى للاكاسرة الفرس الساسانيين ، ولقد تبلورت هذه النظرية لديهم فى فكرة « الوصية » وعصمة الامام ، و « أن طاعة الامام جامعة للملوك والرعايا [٢٧] » ، ودون أمير المؤمنين المطاع كانت تقوم بالعاصمة مجموعة كبيرة من الدواوين [الوزارات] ، مثل :

١ — ديوان الانشاء .
٢ — ديوان الجيش والرواتب .
٣ — ديوان الجهاد .
٤ — ديوان المجلس .
٥ — ديوان النظر .
٦ — ديوان التحقيق .
٧ — ديوان الاوقاف .
٨ — ديوان المواريث .
٩ — ديوان الصعيد .
١٠ — ديوان اسفل الارض [الوجه البحرى]
١١ — ديوان الثغور .
١٢ — ديوان القضاء .
١٣ — ديوان المحتسب .
١٤ — ديوان الشرطة ، وكانت للقاهرة شرطة خاصة تسمى [الشرطة العليا] ، وللفسطاط شرطة تسمى [الشرطة السفلى] .

أما الجانب العسكرى من جهاز الدولة الفاطمية ، فلقد كان مشتملا على طوائف الجند التى كانت كثيرة ومتعددة بتعدد الجهات والقبائل والاجناس والقواد ، مثل « كتامة » ، و « مصمودة » ، و « زويلة » ، و « البرقية » ، و « الروم » ، و « الترك » ، و « الديلم » ، و « السودان » ، و « الجودرية » ، و « العطوفية » ، و « اليانسية » ، و « الوزيرية » ، و « الحمودية » ، و « الباطلية » ، و « المنصورية » ، ولقد كان يلى مرتبة « الاجناد » فى الرفعة ، حرس الخليفة الخصوصيون ، ثم الامراء ، اما القائد العام فكان يسمى « الاسفهسلار » ، أى مقدم العسكر ، ولقد كانت لهذا الجيش قوة بحرية بلغت عدة سفنها أحيانا المائة قطعة ، وذلك غير الاسطول المدنى التجارى الذى كان مملوكا لامير المؤمنين [٢٨] .

---

[٢٥] خطط المقريزى ج ١ ص ٤٥٨ ، ٤٥٩ . والحاكم بامر الله . ص ١٥٥ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٣٩٠ — ٣٩٢ .
[٢٦] كتاب الروضتين ج ١ . ص ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ . واتعاظ الحنفا . ص ٢٧٨ .
[٢٧] الحاكم بامر الله . ص ٣٢٨ . [نقلا عن : راحة العقل لداعى الدعاة حميد الدين الكرمانى . ص ٢١٤] .
[٢٨] المصدر السابق . ص ٣٢٦ — ٣٤١ . واتعاظ الحنفا . ص ٣١٢ . وكتاب الروضتين ج ١ ص ٤٠٨ . وتاريخ العرب ج ٣ . ص ٧٤٢ .

قسمات هامة وطريفة

على ان الذين يتلمسون معالم حياة القاهرة الفاطمية ، لا يمكنهم مقاومة سحر تلك الصفحات الاسطورية التى غلف بها المؤرخون حياتها ، على عهد الحاكم بأمر الله [٩٩٦ — ١٠٢١] ، والذى تراوحت الاحكام عليه ما بين « الشذوذ » ، و «الحمق» ، والوقوعفريسة لمرض «المالنخوليا»، أو « جفاف الدماغ » ، او « المصلح بطريقة بوليسية » ، أو « المكافح ضد الانحلال » ، الذى أصاب القاهرة فى ذلك الحين [٢٩] ؟!

على ان عرض هذه الصفحة منحياة القاهرة، انما تستدعى أهميته البدء بشخصية ذلك الحاكم الاسطورى ، الذى صنعت من حوله كل هذه التهويمات .. فهو أمير قد ولد سنة ٩٨٥ م ، وكانت تبدو عليه منذ حداثته سمات التفوق العقلى ، الى جانب مظاهر التميز فى الخلقة ، مما جعله مهابا مرهوب الجانب ، يعجز الناس احيانا عن الجراة على مخاطبته والحديث اليه ، وعندما يتولى الخلافة وهو صبى فى سنة ٩٩٦م يجد نفسه ، وهو الذى يستشعر التفوق اسير الأوصياء الذين عزلوه عن الناس واستبدوا دونه بكلشيء، وخاصة الغريمان « برجوان » ، زعيم الصقالبة، و«الحسن بن عمار»، زعيمكتامة،ويرى الحاكم نفسه مغلوبا على امره فيغلى ، ثم يرى اهانات برجوان له ، التى بلغت حد السير اليه راكبا ، وثانيا رجله على عنق فرسه ، وجاعلا بطن قدمه ، وفيها الخف ، قبالة وجه الحاكم ، أمير المؤمنين ؟ !

ولكن الحاكم لا يستسلم لهذه الاهانات ، وانما يدفعه تفوقه وتميزه الى أن يبدأ منذ ابريل سنة ١٠٠٠ م ، حملة من القتل والاغتيال ، تخلص بواسطتها من كل المراكز والقيادات التى كانت تنازعه السلطة ، وتتنازع فيما بينها على السلطان ، وفى هذه الحملة قتل « برجوان » ، و « الحسن بن عمار » ، والكثير من رؤساء الجند ، ومتولى الحسبة ، والخراج ، وبعض الوزراء المسيحيين ذوى النفوذ والثراء ، والكثير من اتباع هؤلاء . ولم يصادر الحاكم اموال قتلاه لحسابه ، بل كان يتركها لورثتهم أو يصادرها لحساب الشعب ، بواسطة ديوان خصصه لذلك واسماه « ديوان المفرد » .

وخلال هذه الحملة التى بلغت ذروتها سنة ١٠٠٥ م ، نجد مرسومان هامان أصدرهما الحاكم ، أحدهما عقب اغتيال برجوان ، يطلب فيه من الشعب التعامل المباشر معه ، والكتابة المباشرة اليه ، ونزل هو بنفسه على حماره ، وفى لباسه البسيط جدا للقاء الناس فى الشوارع والمساجد . اما المرسوم الثانى ، فهو الذى أصدره فى سنة ١٠٠٥ م ، والذى بدا فيه حملة لالغاء وسائل التعظيم الوثنية ، التى كانت تمارس فى بلاطات الفاطميين ، مثل عبارات التعظيم ، وتقبيل الارض ، والركاب ، بين يدى الخلفاء [٣٠] .

اما قصة المراسيم العجيبة ، التى طالما أضحكت قراء تاريخ القاهرة فى ذلك العصر ، والتى أصدرها الحاكم سنة ١٠٠٦ م ، فجعلت من تاريخ عاصمتنا على عهده أسطورة مشبعة بالطرافة والغموض ، فنحن نعتقد ان التنازل الجزئى ، والمضطرب ، وغير الجدلى ، قد سبب لهذه الصفحات ما أصابها من الاضطراب والغموض ، ذلك اننا نستطيع ان نرى فى مراسيم الحاكم هذه ، جملة من القوانين القابلة للتصنيف والتفسير ، اللذين يقدمانها لنا فى اطار **الحركة الاصلاحية ، التى حاول بها الحاكم بأمر الله انقاذ الخلافة الفاطمية من ذلك التمزق الذى أصابها بتناحر الجند والقادة ، وشيوع التحلل الذى غزا العاصمة ، بسبب من الغنى والترف عند البعض ، والفقر الناشىء عن المجاعات لدى اغلبية السكان ..**

١ — **فلقد** قام بتثبيت سعر العملة ، وضبط المكاييل والموازين ، كما واجه المجاعة التى اشتدت فى سنة ١٠٠٧ م ، بحزم يستحق الاعجاب ، فعندما استغاث به الشعب ، وتظاهر الناس أمام القصر ، وطلبوا « ان ينظر لهم ، وسألوه ان لا يهمل امرهم » ، خرج اليهم راكبا حماره ، وقال لهم : « أنا ماض الى جامع راشدة [جنوبى الفسطاط] ، فأقسم بالله ، لئن عدت فوجدت فى الطريق موضعا يطؤه حمارى مكشوفا من الغلة ، لاضربن رقبة كل من يقال لى ان عنده شيئا منها ، ولاحرقن داره وأنهبن ماله » . وعندما عاد ، كان الاثرياء والتجار والمحتكرون لاقوات الشعب قد غطوا طريقه بالغلال « فامتلأت عيون الناس وشبعت نفوسهم » . كما قام فى نفس العام بابطال المكوس ، ومنع خزن ما يزيد على الحاجة من الغلال ، وفى العام التالى صادر اموال اهله مدة الازمة المالية ، ثم أبطل فى العام التالى ضرائب « الخمر » ، و « الفطرة » ، و « النجوى » ، وكان الفاطميون يعدونها فرائض كالصوم والصلاة ، وفى سنة ١٠١٢ م ، وزع من أمواله على الناس،

[٢٩] الحاكم بأمر الله . ص ١٦٧ — ١٧٣ .
[٣٠] المصدر السابق . ص ٩١ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٦٠ .

والغى مكوس الحسبة ؟ وفي سنة ١٠١٣ م ؟ اعتق كل رقيقه ووهبهم ما بيدهم من الاموال [٣١] .

٢ — وفي مواجهة الانحلال الخلقي الذي شاع في العاصمة ، وقف الحاكم مواقف شهيرة ضد الخمر والمسكرات ، وضد النساء البائعات للهوى ، وضد مجالس اللهو والغناء ، وازاء المسكرات التي كان يعتبرها « مجمع السيئات ، والقائد الى قبائح الافعال والسوءات » ، تدرج الموقف الى حد تجريم حيازة الزبيب والعسل ، مخافة ان تصنع منه الخمور ، وعندما تقدم أحد التجار الذين اتلفت بضاعتهم بدعواه الى قاضي القضاه ، قائلا ان بضاعته [الزبيب والعسل] ، كانت لصنع الحلاوة لا الخمر ، وطلب التعويض ، قبل الحاكم الخصومة ، ودفع للتاجر الف دينار ، بعد ان اقسم اليمين على دعواه .

كما أصدر مرسوما في سنة ١٠١٠ م ، بتحريم اللهو والغناء ، وخاصة بالنسبة للنساء ، وتحريم الاجتماعات الماجنة ، التي كانت تعقد بالخلاء في الصحراء ، وعند ذلك هوجمت دور البغاء ، وازيلت اوكاره من أنحاء العاصمة .

وكانت حمامات القاهرة أماكن للهو والعبث ، فمنع دخولها الا بمئزر ، وحاول التغلب على الرقاعة والمجون اللذين كانا يتمان في أسواق الرقيق ، فحرم دخولها على غير الباعة والمشترين ، وطلب من تجارها الفصل ما بين النساء والرجال ، وتخصيص يوم للأماء ، ويوم للأرقاء .

اما قصته الشهيرة مع نساء القاهرة ، فلقد بدات بالتدريج ، ففي سنة ١٠٠٤ م ، صدر مرسوم يحرم **التبرج في الطرقات العامة وخلف الجنائز** ، وفي سنة ١٠١١ م ، منعهن **من زيارة المقابر ، والاستحمام في الحمامات العامة ، والركوب مع الرجال في الاحتفالات التي تتم في النيل** ، وفي سنة ١٠١٤ م ، بلغ تشدده الذروة ، عندما **حرم عليهن مغادرة الدور** الا ببطاقات خاصة تصرف للمسافرات ، والمتظلمات ، والذاهبات للحج ، والجواري الذاهبات لاسواق الرقيق ، والقابلات ، وغاسلات الموتى ، والارامل اللائي يتعيشن من بيع الغزل ، وامثالهن [٣٢] .

واذا كانت مراسيم الحاكم بأمر الله في هذا الصدد قد أثارت الاشفاق على نساء القاهرة يومئذ ، واثارت استنكار المؤرخين ، فالامر الذي لا شك فيه ، ان الرجل كان يعالج حالة من التحلل الخلقي الذي هدد حياة مجتمع العاصمة في ذلك الحين ، ويكفي ان نورد وصف المؤرخ السلفي « ابن كثير » ، لتلك الحالة ، عندما يتحدث ، كيف ان الحاكم بأمر الله قد « جهز نساء عجائز يستعلمن احوال النساء » العاشقات ، واخبار العشاق ، وكيف اغرق « خلقا من الرجال والنساء والصبيان ، **ممن يطلع على فسقهم** ، فضاق الحال ، **واشتد على النساء وعلى الفساق ذلك** ، ولم يتمكن احد منهن ان يصل الى احد الا نادرا ، حتى ان إمراة كانت عاشقة لرجل عشقا قويا ، كادت ان تهلك بسببه ، لما حيل بينها وبينه ، فوقفت لقاضي القضاة ، وهو « مالك بن سعد الفارقي » ، وحلفته بحق الحاكم لما وقف لها واستمع كلامها ، فرحمها ، فوقف لها ، فبكت اليه بكاء شديدا ، مكرا وحيلة وخداعا ، وقالت له : أيها القاضي ، ان لي أخا ليس لي غيره ، وهو في السياق ، واني أسألك بحق الحاكم عليك لما أوصلتني الى منزله لانظر اليه قبل ان يفارق الدنيا ، وأجرك على الله ، فرق لها القاضي رقة شديدة » وأمر اتباعه بمصاحبتها للمنزل الذي تريد ، وعندما حضر زوجها وعلم ما حدث ، ذهب الى القاضي وأخبره أنه سيرفع الامر للخليفة ، لان زوجته قد ذهبت لعشيقها ، اذ ليس لها أخ ، فذهب القاضي الى الحاكم بأمر الله ، واخبره بالقصة ، فأمر الحاكم باحضار المراة وعشيقها على حالهما ، فوجدا « متعانقين سكارى » ، فأحرقت المراة ، وضرب الرجل حتى هلك [٣٣] ... لا شك ان هذه القصة تصور الجو العام الذي صدرت فيه هذه المراسيم ، وهي تجعلها **مفهومة** ، وخاصة اذا ما قيمت في اطارعصرها ، وذلك على الرغم من الاختلافات التي يمكن ان تنشأ بصدد التقييم **لاساليب التنفيذ وطرق الاصلاح** .

٣ — وبصدد الاصلاحات الصحية ، اصدر الحاكم مراسيم تحرم اكل « الترمس المتعفن » ، و « الدلينس » [أم الخلول] ، والسمك الذي لا قشر له ، كما أمر بقتل الكلاب الضالة التي لا تستخدم في الحراسة او الصيد .

٤ — واذا كانت هذه المراسيم التي أشرنا اليها مفهومة الدوافع ، ومتبولة على وجه الاجمال ، فان الحاكم قد أصدر مجموعة أخرى

---

[٣١] اغاثة الامة بكشف الغمة . ص ١٤ ، ١٧ ، ١٨٠ . والحاكم بامر الله . ص ١٣٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ — ١٥٩ .

[٣٢] الحاكم بامر الله . ص ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٦ .

[٣٣] ابن كثير [البداية والنهاية] جـ ١١ . ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

من المراسيم مفهومة الدوافع ؟ ولكنها غير مقبولة على الاطلاق ، لانها نابعة من موقف **الغلو في التشيع الى حد الحمق والنزق**، وان لم تصل الى حد الجنون ، وذلك مثل أمره في سنة ١٠٠٤ م ، بسب السلف من الصحابة الذين لم يقفوا مع على بن ابي طالب ، على المنابر وفي الاماكن العامة ، كما سبق للامويين وصنعوا ذلك مع على بن ابى طالب وأهل بيته !! ثم عاد فالغي هذا المرسوم تحت ضغط الرأى العام ، بل وامر بالثناء على كل الصحابة ، وطالب بالتقريب بين المذاهب والفرق الاسلامية ؟ ! ، وحرم اكل الملوخية ، لانها كانت محبوبة لمعاوية بن ابى سفيان ؟ ! والجرجير ، لانه كان اثيرا لدى السيدة عائشة ؟ ! والمتوكلية ، المنسوبة للخليفة العباسي المتوكل ؟ ! وهي المراسيم التي اضحكت الكثيرين من القراء والمؤرخين ، وألقت ظلالا من الغموض والسخرية والاسطورية على صفحات هامة ، وان يكن بعضها طريفا ، من حياة القاهرة الفاطمية في ذلك التاريخ .

وجه العملة الاخر

على ان هذه الصفحات من الغنى والبذخ والترف والرخاء ، لم تكن هي كل صفحات حياة القاهرة الفاطمية، ذلك ان جماهير هذه العاصمة كانت تعانى الكثير من شظف العيش وبؤس الفاقة في تلك الاعوام .. فالخليفة المعز ، الذي حضر « بطواحين الذهب » ، والذي زعم انه فتح مصر « للحج والجهاد » ، لا للمال والاراضي ، قد بدأ حياته بمصر ، بأن اشتد في جمع الخراج، بل لعل تعبير المقريزي اكثر تعبيرا ، عندما يقول انه قد « اشتد **الاستخراج** ، واكد المعز فيه ، ليرد ما انفقه من امواله على مصر ، لانه قدم مصر يظن ان الاموال مجتمعة ، فوجدها قد فرقتها مؤن مصر وكثرة عساكرها [٣٤] » ، حتى بلغت قيمة الضرائب التي تدفعها القاهرة يوميا نحوا من ١٢٠,٠٠٠ دينار معزية ، ولقد رفض الفاطميون تحصيل الضريبة بالعملة القديمة [الدينار الراضي] ، مما هبط بسعره ، الامر الذي اضاف عبئا جديدا على جماهير السكان [٣٥] .

كما ان الحروب الخارجية ، والغزوات التي قام بها القرامطة لمصر ، والتي وصلوا في احداها الى داخل القاهرة في سنة ٩٧١ م ؟ قد اصبحت تكاليف مواجهتها عبئا جديدا على الجماهير ، حتى ليصف المقريزي حالة الاستعداد التي قام بها المعز للقاء القرامطة ، وكيف حدث يومئذ ان « قوى الاستخراج ، ومنع الناس من الحضور الى الديوان لئلا يقفوا على مبلغه » [٣٦] .

وسلسلة المجاعات والغلاءات التي شهدتها البلاد ، بسبب نقصان ماء النيل ، واحتكار التجار والموسرين والملتزمين أمراء الاقطاع للاقوات والغلال ، كل ذلك قد جعل عبء الشدائد والازمات ، وكانت كثيرة ، واقعا كله على كاهل جماهير السكان ، واذا كان المقريزي قد قسم طبقات المجتمع الى :

١ــ اهل الدولة .
٢ ــ أهل اليسار والغنى من التجار والملاك .
٣ ــ متوسطى التجار والحرفيين .
٤ ــ الفلاحين وأهل الزراعات .
٥ ــ الفقراء .
٦ ــ الصناع الاجراء .
٧ ــ المساكين والمتسولين .. فانه يقول لنا ان المحن والشدائد كان يستفيد منها الصنف الاول والثاني ، اما الثالث ، فانه « ينفق ما اكتسبه فيما لابد له منه » ، اما بقية الاصناف « فهم بين فان ، وميت ، ومشته للموت في مثل هذه الظروف » [٣٧] .

ونحن نعتقد ان هذه الشدائد التي مرت بها البلاد ، وهذه المحن التي اناخت على كاهل جماهير العاصمة ، كانت وراء كثير من التمردات والعصيانات والوان المقاومة المختلفة للحكم الفاطمي ، والتي نستطيع ان نلمح من بينها ، فيما يتعلق بالعاصمة ، الكثير من المواقف ، والعديد من الاحداث .

● فعندما تثور مدينة « تنيس » الصناعية سنة ٩٧٠ م ، يوزع سكان العاصمة المنشورات التي تحذر من التعاون مع جوهر الصقلي ، ويلتقون بعضها في مسجد عمرو بن العاص [٣٨] .

● وعندما تتكرر ثورة « تنيس » في سنة ٩٧١ م ، يقبض جوهر على بعض سكان العاصمة ، ويقتل ويصلب اربعة من جنودها ، ويحدد محل اقامة الوزير السابق « ابن الفرات »

---

[٣٤] اتعاظ الحنفا . ص ١٤٦ .
[٣٥] المصدر السابق . ص ١٤٦ ، ١٤٧ .
[٣٦] المصدر السابق . ص ١٤٨ .
[٣٧] اغاثة الامة بكشف الغمة . ص ٧٢ ــ ٧٥ .
[٣٨] اتعاظ الحنفا . ص ١٢٩ .

بأن يخرجه من بيته بالفسطاط الى حيث يسكنه القاهرة ، وسط معسكرات الجند الفاطميين ، ولكن ذلك لا يمنع ان يشهد نفس العام تظاهر بعض سكان العاصمة ضد جوهر واستفزازهم له ، بالهتاف بقولهم : « معاوية خال المؤمنين ، وخال علي ؟!» [٣٩] .

● وفي سنة ٩٧٢ م ، يصل التوتر الى درجة القتال ، عندما هب سكان العاصمة ضد عمليات السلب والنهب التي أخذ يمارسها الجنود المغاربة ، كما ثار « الصيارفة » ، الذين استغنت عنهم السلطة الفاطمية الجديدة ، واعتصموا بديوانهم [رحبة الصيارفة] ، حتى فكر جوهر في احراقها ، لولا خوفه على جامع عمرو بن العاص [٤٠] ، ثم تتكرر مثل هذه المصادمات لعدة أعوام [٤١] .

● ويدخل الشعر والفن ميدان التمرد والمقاومة ، وتجاه النفوذ المتزايد للوزراء المسيحيين ، الذين تقلد الوزارة منهم في العصر الفاطمي أكثر من أربعة وزراء ، نجد الشاعر المصري الحسن بن بشر يسخر من الخليفة العزيز ، ويعقوب بن كلس ، وقائد الجيش « الفضل » ، فيقول :

تنصر فالتنصر دين حق
عليه زماننا هذا يدل
وقل بثلاثة عزوا وجلوا
وعطل ما سواهم فهو عطل
فيعقوب الوزير أب وهذا العز
يز ابن ، وروح القدس فضل [٤٢] !

كما يسخر شاعر مجهول من زعم العزيز وأسلافه علم الائمة بالغيب ، فيضع له على المنبر بطاقة بها بيتان من الشعر يقولان :

بالظلم والجور قد رضينا
وليس بالكفر والحماقة
أن كنت اعطيت علم غيب
فقل لنا كاتب البطاقة [٤٣] !

ويضع الناس التماثيل ويلبسونها الملابس ويحملونها المظالم والشكايات ويوقفونها في طريق الخلفاء ، صنعوا ذلك للحاكم «ولأسلافه» ، وحملوها العرائض التي بها « من الشتم واللعن والمخالفة شيء كثير [٤٤] » ، الى غير ذلك من الوان المقاومة والتمرد على سوء الاحوال .

ولقد استطاعت ألوان المقاومة هذه ان تغير الكثير من السلوك المعوج لكثير من الحكام ، كما استطاعت أحيانا أن تنتزع من الخليفة « وثيقة » ، بلغت في أهميتها مبلغ الدستور في عصرنا الحديث ، كما حدث في سنة ٩٨٧م ، عندما رفعت للعزيز عريضة من سكان العاصمة ، تتهم متولي الشرطة بقتل احد التجار ، وسرقة أمواله ، ثم القاء التهمة على الاهالي واعتقالهم ، فصدرت وثيقة — « توقيع » — من الخليفة « **فنسخ اهل مصر هذا التوقيع ، وصار الصبيان في المكاتب يعلمونه ، كما يعلمون الحمد** » [٤٥] .

أفول النجم الفاطمي

غير ان مظالم النظام الاجتماعي ، الذي كان سائدا في ذلك الحين ، كانت أقوى من « توقيع » العزيز ، وأعظم من جهود الانقاذ التي بذلها الحاكم بأمر الله ، فأخذت المجاعات تتوالى ، والغلاءات تشتد ، حتى كانت المجاعة الكبرى ، التي عرفت بالشدة المستنصرية سنة ١٠٦٦ م ، في عهد الخليفة المستنصر [١٠٣٥ — ١٠٩٤ م] ، والتي بيع فيها الرغيف بخمسة عشر دينارا ؟ ! وأكل الناس فيها الدواب ، والخيل والبغال والحمير ، والقطط والكلاب ؟ ! ثم اكل الناس لحوم بعضهم البعض ، ونهبت قصور الخليفة ومكتباتها ، ولم يبق للمستنصر سوى حصير يجلس عليه وجراية تتصدق عليه بها ابنة أحد العلماء [٤٦] ؟! .. وعند ذلك استدعى المستنصر القائد الارمني « بدر الجمالي » ، بجيشه ، وكان حاكما عسكريا « لعكا » ، فبدأت بمصر منذ سنة ١٠٧٥ م ، فترة نفوذ الوزراء ، الذين افقدوا الخلافة الفاطمية **مضمونها الفكري وروحها الفلسفية** ، واستبدوا بكل شيء حتى بالخلفاء والامراء ، بل لقد وصل الامر بالافضل بن بدر

---

[٣٩] المصدر السابق . ص ١٣٠ ، ١٣١ .
[٤٠] المصدر السابق . ص ١٣١ ، ١٣٢ .
[٤١] المصدر السابق . ص ١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٢٣ .
[٤٢] المصدر السابق . ص ٢٩٨ .
[٤٣] الحاكم بأمر الله . ص ٢٤٦ .
[٤٤] البداية والنهاية ج ١٢ . ص ٩ .
[٤٥] اتعاظ الحنفا . ص ٢٦٣ — ٢٦٦ .
[٤٦] اغاثة الامة بكشف الغمة . ص ١٨ — ٢٧ . و [السجلات المستنصرية] . ص ١٨٣ . تحقيق د . عبد المنعم مجاهد ط. القاهرة سنة ١٩٥٤ م . وتاريخ العرب ج ٣ . ص ٧٤٥ .

الجمالى ، الذى خلف أباه سنة ١٠٩٤م ، الى الغاء المذهب الشيعى ، واغلاق دار الحكمة ، وعندما لم يبق من هذه الخلافة سوى الشكل والشكليات ، ولم تعد لامراء المؤمنين هيبة ساد التطاحن بين الوزراء ، واستمرت عمليات القتل والاغتيال فيما بينهم ، وصادف هذه الفترة التى تقهقر فيهاحكم المنطق والعقل والحكمة، امامسلطان الوزراء المستبدين غير المستنيرين ، وسلطات الاجناد ، قيام الحملات الصليبية ، التى نجحت فى سنة ١٠٩٧ — ١٠٩٩ م ، فى احتلال الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، وشمالى سورية والعراق ، حتى طمع الصليبيون فى مصر ، وحاولوا غزوها أكثر من مرة ، واستعان بهم بعض الوزراء فى صراعاتهم الداخلية ، واضطرت مصر الى ان تدفع الجزية للصليبيين فى عهد الخليفة العاضد [١١٦٠ — ١١٧١ م] ، ووزيره مشاور ، والى ان يقيم على أبواب القاهرة فرسان صليبيون وبأيديهم مفاتيح للابواب ؟ !

كما صادف هذه الفترة كذلك نمو روح اليقظة العربية الاسلامية ضد الغزو الصليبى ، بادئة من الموصل ، على يد عمادالدين زنكى سنة ١١٢٧ م، ثم نور الدين ، الذى خلفه سنة ١١٤٦ م ، واتخذ من حلب عاصمة لدولته التى مدت بصرها لمصر ، على أمل الوحدة التى تضمن للكيان العربى الاسلامى لفظ الصليبيين .. وحدثت ثلاثة لقاءات على ارض مصر ، ما بين جيش نور الدين ، بقيادة أسد الدين شيركوه ، وابن أخيه صلاح الدين الايوبى ، وما بين الجيش الصليبى فى سنوات ١١٦٣ م ، و سنة ١١٦٦ م ، وسنة ١١٦٨ م ، وفى الجولة الاولى والثانية اتفق الطرفان على الجلاء عن البلاد لتوازن قوتيهما ، وفى المرة الثالثة ، انتصر جيش نور الدين ، وكان قد حضر هذه المرة بطلب من الخليفة العاضد ، الذى أرسل اليه طالبا النجدة وانقاذ البلاد من الصليبيين [٤٧] . وهكذا تكررت القصة مرة أخرى ، ففى سنة ٩٦٩م، ارسل الشعب المصرى « السلفى السنى » ، يطلب الى المعز لدين الله الفاطمى الشيعى الحضور لانقاذالبلاد منالتمزق الداخلى ، وفى سنة ١١٦٨ م ، ارسل الخليفة الفاطمى الشيعى العاضد ، الى نور الدين « السلفى السنى » ، الذى كان قد أذل الشيعة واضطهدها بالشام ، يطلب اليه ان يرسل جيشه لانقاذ مصر من التمزق الداخلى ، ومن الخطر الصليبى ، **على ان يكون له ثلث البلاد ، وذلك غير اقطاعات جيش اسد الدين شيركوه** ، الذى طلب اقامته الدائمة فى البلاد . ثم قام العاضد سنة ١١٦٨ م ، بتولية الوزارة لاسد الدين شيركوه ، بمرسوم لقبه فيه بنفس الالقاب التى أطلقها المستنصر على بدر الجمالى سنة ١٠٧٥ م [٤٨] .

وبعد وزارة دامت شهرين وخمسة أيام ، توفى أسد الدين شيركوه ، بسبب كثرة الاكل وشدة « المواظبة على تناول اللحوم الغليظة » ، مما ادى الى ان « اعتراه خانوق عظيم ، فقتله ، رحمه الله [٤٩] !! » ، فخلفه صلاح الدين الايوبى ، الذى أخذ يمهد لتغيير الخلافة الفاطمية وإلغاء « شكلها وشكلياتها » المتبقية ، واعادة مصر « سلفية سنية » من جديد ، فأخذ فى اقامة المدارس السنية السلفية فى البلاد منذ سنة ١١٧٠ م ، وفى العام التالى قطع الخطبة من على المنابر للعاضد واعادها للخليفة العباسى ببغداد ، ثم مات العاضد بعد هذا التغيير بأيام ، فى يوم عاشوراء سنة ٥٦٧ هـ ، سنة ١١٧١ م ، فطويت بذلك صفحة من صفحاتالقاهرة ومصر ، لتفتح صفحة جديدة على يد صلاح الدين الايوبى ودولة الايوبيين .

القاهرة فى العصر الأيوبى

على الرغم من تلك الفجوة التى كانت تفصل ما بين الانسان المصرى العربى ، وبين جيش « الغزو الاتراك » ، الذى قامت على اكتافه الدولة الايوبية فى سنة ١١٧١ م ، والتى نبعت أساسا من الاختلافات الحضارية ، ما بين جيش من الاجناد الاتراك ، وبين شعب عربى متحضر ، وهى حقيقة عبر عنها شاعر الايوبيين « العرقلة أبو الندى حسان بن نمير » ، عندما قال فى جيش أسد الدين شيركوه الزاحف على مصر :

اقول والاتراك قد أزمعت
مصر الى حرب الاعاريب [٥٠]

---

[٤٧] كتاب الروضتين جـ ١ . ص ٣٨٩ — ٤٠٣ .
[٤٨] المصدر السابق . ص ٤٠٢ ، ٤٠٣ . والسجلات المستنصرية . ص ١٠٨ .
[٤٩] كتاب الروضتين . جـ ١ . ص ٤٠٠ ، ٤٠٦ .
[٥٠] المصدر السابق . جـ ١ . ص ٣٦٤ .

ومن التغيرات الاقتصادية الزراعية التى احدثها بمصر هذا الجيش، عندما اقطع اسدالدين شيركوه ارض مصر للعساكر التى قدمت معه ، ولم تعد الارض تمنح للملتزمين الذين يدفعون الضمان ، وانما صارت اقطاعا للاجناد وأمراء الاجناد ، وهى الفجوة التى عبر عنها صلاح الدين بقوله ان جنوده حينما ذهبوا يرون « وجوها هناك بهم عابسة ، وأعينا للمكائد متيقظة وعن الود ناعسة » ، وعلى حد تعبير بعض رجالات هذا الجيش : ان « كل من فى هذه الديار من جندى وعامى وفلاح عدو لنا ، ويودون لو شربوا دماءنا [٥١] » . على الرغم من كل ذلك ، فان شقة التباعد بين هذه الدولة الجديدة ، وبين الانسان المصرى ، قد اخذت فى التقلص ، ووجد الانسان المصرى نفسه مدفوعا ، تحت تأثير الاخطار الصليبية الخارجية ، ورهبة من صور الفوضى الداخلية ، التى كانت عليها الحكومة الفاطمية فى عصرها الاخير ، وجد نفسه مدفوعا نحو منح المحبة والولاء لهذا السلطان الجديد ، وأخذ قلبه ينفتح شيئا فشيئا كى يحتضن صلاح الدين الايوبى ، ثم يتوجه بطلا شعبيا عربيا فى هذا الصراع التاريخي الذى خاضه العرب المسلمون ضد اخطار الصليبيين .

غير ان بقايا النظام الفاطمى الذى دالت دولته ، كان من الصعب عليها ان تسلم بهذا التغيير الذى حرمها ما كان لها من مزايا وامتيازات ، ومن هنا كانت الاشواك الكثيرة التى وضعت على درب صلاح الدين ، والتمردات التى حدثت فى القاهرة والصعيد ، والمؤامرات التى حيكت للعودة الى النظام القديم ، واذا كان حديثنا هنا عن القاهرة أساسا ، فان نصيبها من هذه الاشواك لم يكن بالقليل ..

● فمنذ تولى صلاح الدين الوزارة ، وحتى قبل موت العاضد ، حدث تمرد الجند السودان فى سنة ١١٦٨ م ، بعد قتل الايوبيين لزعيمهم « مؤتمن الخلافة » ، الذى كاتب الصليبيين يستدعيهم وينتصر بهم على صلاح الدين ، واستطاع الجيش الايوبى ان يشتت شمل المتمردين ، وان يحرق الحي الذى كانوا يسكنونه عند باب زويلة ، والذى كان يسمى « المنصورة » .. غير ان بقايا هؤلاء المتمردين الذين كان يبلغ تعدادهم الخمسين ألفا ، قد فروا الى الصعيد ، ليعودوا للتمرد من جديد ، ثم ليهزموا فى سنة ١١٧٤ م .

● وفى سنة ١١٧٣ م ، تشهد العاصمة أخطر مؤامرة تعرض لها النظام الجديد ؟ جمعت أطرافها رؤوس البلاط الفاطمى، ودعاة المذهب الشيعى، وكل الذين كانوا ينتفعون بالاقطاعات والعطايا زمن الفاطميين ، وكاتب هؤلاء المتآمرون الصليبيين ولعبوا نفس اللعبة القديمة التى حسمها جيش صلاح الدين ، وكان الصليبيون يرسلون أحد رجالاتهم «جورج» ، بحجة التراسل مع صلاح الدين ، بينما كانت حقيقة مهمته الاشراف على تنفيذ المؤامرة الجديدة ، واستطاع صلاح الدين كشف المؤامرة ، وقبض على قاضى قضاة الفاطميين ابو القاسم هبة الله بن عبد الله ابن كامل، وداعى الدعاة عبدالقوى ، والعويرس ناظر الديوان ، وشيريا كاتب السر، وعبد الصمد الكاتب ، والشاعر الفقيه الشافعى عمارة اليمنى ، الذى لم يكن شيعيا ، وانما شاعرا لبلاط الفاطميين ، وغيرهم من المتآمرين وقتلوا وصلبوا [٥٢] .

عودة المذهب السلفي

عندما يواجه مجتمع من المجتمعات خطر الابادة والزوال ، وعندما يطرح مصيره أمامه فى صيغةسؤال هو : نكون؟ أو لانكون؟؟ ، كما حدث أثناء الحملات الصليبية للعالمالعربى الاسلامى ، فنادرا ما يلجأ هذا المجتمع للعقل والمنطق والفلسفة والبحث فى العلوم الالهية والابداع فى الانسانيات ، ونادرا ما يتيح لكل هذه العلوم الجو الملائم كى تزدهر ، والحريات الواسعة كى تؤتى اشهى أنواع الثمار ، واذا جاز للبعض ان يفكر اليوم فى مثل هذا الطريق ، طريق الحضارة ، وسيلة يلجأ اليها المجتمع الذى تحدق به الاخطار الكبار ، فما نظن ان فى عصورنا الوسطى من كان لديه الخيال الجامح كى يرى فى هذا الطريق السبيل الامثل لمواجهة بربرية الصليبيين ، **فلم يكن امام العرب المسلمين سوى الجيوش والسلاح، ومن ثم اسكات كل الاصوات حتى لا يتعكر الجو على صليل السيوف ووقع حوافر الجياد ، ومن ثم النظر بريبة وشك وحذر، بل وعداء الى كل الذين يريدون للعقل ان يفكر طويلا وعميقا وكثيرا ، فضلا عن ان يسود .. وهكذا وجدنا الدولة الايوبية تصنع اوسع حركة وأمجد انتصارات على الجبهة العسكرية ، مع اكبر قدر من السكون القاتل على الجبهة الفكرية ، مواجهل السيادة للمذهبالسلفى الذى يكتفى بما هو ظاهر من النصوص ، دون اجتهاد**

---

[٥١] المصدر السابق . ج ١ . ص ٤١٠ ، ٣٦٤ .
[٥٢] المصدر السابق . ج ١ . ص ٥٦١ — ٥٦٨ . والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٥ .

من العقل وملكاته فى التأويل ، فضلا عن البدء فى التفكير والتفلسف من منطلق آخر غير منطلق النصوص .

التصوف اللافلسفي

وهكذا سادت فى الحياة الفكرية على عصر الايوبيين موجة من التصوف غير الفلسفى ، وأخذت الدولة فى فتح «الخوانق» و «التكايا» ، ومن اشهرها « الخانقاه الصلاحية » للتصوفين ، وعاش فى رحابها من أعلام التصوف كوكبة عظيمة ، منها السيد البدوى ، والشاعر عمر بن الفارض ، والبوصيرى ، والشاذلى ، والحريرى ، وعبد الرحيم القنائى ، وأبى الحسن الصباغ .. الخ .. الخ . بينما ضاقت الفكرية السلفية للدولة بمتصوف متفلسف ، هو شهاب الدين السهروردى « المقتول » ، لانه كان صاحب رياضات عقلية ، جعلته يتخذ موقفا من تضية السياسة والامامة ، اقرب الى فكر الشيعة والمتشيعين ، فأصدر صلاح الدين حكما باعدامه وصلبه ، ونفذ ابنه « الملك الظاهر » هذا الحكم على السهروردى ، الذى اختار ان يموت صبرا بلا زاد ولا ماء فى قلعة « حلب » ، حتى تكون موتته استمرارا لما ألف من رياضات ومجاهدات ؟!

المدارس السلفية

واذا كان التصوف غير الفلسفى ، الذى شجعه الايوبيون ، لا يستطيع ان يملأ الفراغ الفكرى ، الذى تخلف عن زوال الحكم المذهبى الفاطمى ، وخاصة بعد ان أغلقت « دار الحكمة » . وأغلق الازهر حينا من الدهر حتى تمت التغييرات المطلوبة فى مناهجه وعلمائه ، فان الجهد المنظم والكبير ، الذى بذله الايوبيون فى هذا الحقل ، قد تجلى فى تلك « المدارس السلفية » ، التى أنشأوها فى البلاد ، والتى بلغ نصيب القاهرة منها خمس عشرة مدرسة خلال دولتهم . ولقد كان صلاح الدين يدرك دور هذه المدارس فى تمهيد الارض لدولته التى اعتبت نظاما شيعيا مخالفا ، وهو الذى لمس اثر المدرسة السنية الوحيدة ، التى كانت قائمة فى مصر ، بمدينة الاسكندرية ، عندما دخلها جيشه فى احدى جولاته الاولى ، وكيف كانت الاسكندرية من اولى المدن التى أيدت جيشه ونظامه وشقت عصى الطاعة على الفاطميين [٥٣] . ولقد كانت كل مدرسة من هذه المدارس مؤسسة كبرى « يخيل لمن يتطوف عليها ، انها بلد مستقل بذاته ، وبازائها الحمام ، الى غير ذلك من مرافقها » [٥٤] ، كما وصف ابن جبير احداها .

سلطان الاجناد المماليك

واذا كان الايوبيون قد اعتمدوا ، فى الحقل الفكرى ، على المدارس السلفية ، وعلى نشاط الطرق الصوفية المزدهر ، فانهم منحوا كل ما يمكن منحه فى البلاد لامراء الاجناد وقواد الحرب وفرق الجيوش ، وذلك انسجاما مع ظروف الخطر الصليبى التى واجهوها ، بل والتى ادت الى قيام دولتهم هذه فى ذلك التاريخ . واذا كانت الارض قد منحت اقطاعات لامراء الاجناد هؤلاء ، فان سلطة جهاز الدولة قد اصبحت فى قبضتهم كذلك ، حتى وصلوا الى منصب نائب السلطان .. ولقد بلغت بهم المنجهية والاستهتار ، الى الحد الذى تطاولوا فيه على مقدسات الناس ، وما تعارفوا عليه من عادات وتقاليد ، مما ولد فى المجتمع القاهرى الوانا كثيرة من المقاومة لهذا السلطان المتزايد للمماليك أمراء الاجناد .

● فعندما يبنى الوزير عماد الدين بن شيخ الشيوخ لنفسه ولندمائه متصفا « ناديا للموسيقى » [طبلخانة] ، فوق احد المساجد ، يتحرك العالم الفذ العز بن عبد السلام — وكان مفتيا،وخطيبا،وقاضيا للقضاة— معتلاميذه، ليهدم هذا « المتصف » بنفسه فى سنة ١٢٤٢ م ، مما اغضب عليه السلطان الصالح نجم الدين أيوب ، واضطره الى الاستقالة من مناصبه .

● وعندما تشيع المسكرات ومجالس اللهو فى القاهرة ، ويشارك فى نشاطها السلطان نفسه ، ينكر عليه ذلك العز بن عبد السلام ، مما يوغر عليه صدر السلطان .

● وعندما يستبد الامراء المماليك بأمور الناس ، يصدر العز بن عبد السلام فتواه الشهيرة ، بأن هؤلاء المماليك عبيد قد اشتراهم

---

[٥٣] كتاب الروضتين . ج ١ . ص ٤٢٦ ، ٤٢٨ هـ
[٥٤] رحلة ابن جبير . ص ٥٠ .

الدولة بأموال بيت المال ، وانه رغم المناصب التى يتولونها ، فانهم لا يزالون أرقاء ، وانه لابد من بيعهم فى أسواق الرقيق لحساب بيت المال !؟ فيغضب السلطان ويرفض ، فيستقيل العالم الشجاع ، ويأخذ طريق الرحيل عن مصر ، ولكن شعب القاهرة رجالا ونساء وأطفالا يلحق به ويحيط به فى مظاهرة شعبية أدرك السلطان مخاطرها الكامنة ، فيركب هو الاخر الى الشيخ ويسترضيه ، ويصر العز بن عبد السلام على موقفه ، غير هياب لتهديد المماليك له بالقتل ، وفى النهاية ينفذ ما أراد ، وعندما يخاطبه الملوك نائب السلطان عن ما هو فاعل بهم يقول : « أنادى عليكم ، وابيعكم . فيقول له : فيم تصرف ثمننا ؟ فيقول : فى مصالح المسلمين .. فتم له ما أراد ، ونادى على الامراء واحدا واحدا ، وغالى فى ثمنهم ، وقبضه ، وصرفه فى وجوه الخير [٥٥] » .

ولكن المقاومة التى تصدت لمظالم الامراء والاجناد ، والتى كان العز بن عبد السلام نموذجا مشرفا من نماذجها ، لم تفلح فى وقف استئثار المماليك بالسلطة والسلطان ، فلقد ظلت الاخطار الحربية الخارجية هى التى تضغط على روح المجتمع ، وتحدد له الطريق ونوع السلطة ونوعية العناصر التى تتولاها ، وكما حملت الحملات الصليبية جيش « الغزو الاتراك » الى السلطة السياسية فى سنة ١١٧١ م ، فاننا نجد قدوم الخطر المغولى وانضمامه الى خطر الصليبيين ، وتهديدهما وجود العالم العربى فى خمسينات القرن الثالث عشر الميلادى ، يجعل الامراء والاجناد وحملة السيوف يتقدمون خطوة الى الامام ، فبدلا من ان يكتفى زعيمهم « عز الدين أيبك التركمانى » ، بمنصب القيم على السلطان الصبى ، ذى الثمانى سنوات «الاشرف موسى» ، الذى أجلسوه على العرش الايوبى بعد « شجرة الدر » ، نجده يخلع « الاشرف موسى » ، ويتزوج « شجرة الدر » ، ويتولى سلطنة البلاد سنة ١٢٥٠ م ، فتنشأ بذلك دولة المماليك البحرية ، تماما كما صنع صلاح الدين ، عندما لم يكتف بأن يكون وزيرا للعاضد ، وقائدا للجيش سنة ١١٧١م ، لان الاخطار العسكرية قد كانت فى سنة ١٢٥٠ م ، كما كانت سنة ١١٧١ م ، تقتضى ان تكون السياسة والجندية فى يد واحدة ، لا موزعة بين الخليفة او السلطان ، وبين أمير الجيوش وقائد الاجناد .



[٥٥] رضوان على الندوى :[العز بن عبد السلام] .ص ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٤٣ ـ ١٤٥ .ط دمشق سنة ١٩٦٠ م

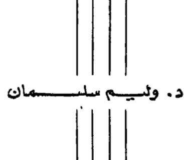
القاهرة في مصر المملوكية

د. وليم سليمان

يشغل عصر المماليك في مصر ، ما يزيد على الخمسة قرون . ويتعذر بالطبع ان نعرض في مقال لكل مظاهر الحياة في القاهرة المملوكية . ومن هنا اختار د . وليم سليمان ، ان يدرس زاوية معينة ، هي : ظاهرة المشروعية في حكم المماليك ، وماذا كان سندهم في تولي السلطة ، ثم كيف بدأ الشعب المصري — تدريجيا — يفرض نفسه على مسار الحوادث ، ليكون له رأي في حكم بلاده ..

بين عهدين : من حكم بني أيوب الى المماليك





في شهر مايو سنة ١٢٥٠ [٦٤٨ هـ] ، سمع المصلون في مساجد القاهرة ومصر ، دعاء لم يصدر عن المنابر من قبل ، ولن يتردد مثله قط فيما بعد :

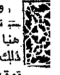
« اللهم أدم سلطانة الستر الرفيع والحجاب المنيع ملكة المسلمين والدة الملك خليل » .

« احفظ اللهم الجهة الصالحية ملكة المسلمين عصمة الدنيا والدين أم خليل المستعصمية صاحبة الملك الصالح » .

كانت هذه الالقاب جميعا لمملوكة الخليفة المستعصم بالله ، الارمنية التي وهبها من بغداد الى الصالح نجم الدين أيوب سلطان مصر ، فتزوجها . وولدت له ابنه خليل ، الذي توفي طفلا .

ونحن نعرف اسم هذه السلطانة المختصر — انها شجرة الدر ، أو شجر الدر كما يدعوها صاحب كتاب « مفرج الكروب في تواريخ بني أيوب » . ولكن الظروف كانت تفرض عليها أن تطلق على نفسها كل هذه الالقاب ، اثباتا لشرعية توليها الملك .

فهي المستعصمية — نسبة الى الخليفة العباسي المستعصم بالله ، مالكها الاول .



، وهى الصالحية ؟ أو صاحبة الملك الصالح - تأكيدا لاستمرار صلتها بالبيت الايوبى . ومن هنا أيضا تمسكها باسم « خليل » ، ولبدها من ذلك الملك . وبهذا اللقب « والدة خليل » ، كانت توقع بخطها المراسيم — على الرغم من ان خليل هذا توفى — كما قلنا — فى طفولته ..

وعلاوة على الدعاء للسلطانة من على منابر المساجد ، وهو مما امتلأت به آذان أهالى القاهرة — فان أيدى هؤلاء أيضا تداولت نقودا نقشت عليها الالقاب السلطانية :

« المستعصمية الصالحية ملكة المسلمين والدة الملك المنصور خليل أمير [وفى قراءة أخرى : أم] المؤمنين » .

وليس من شك فى ان هذه السيدة قد اثبتت كفاءة ممتازة فى تولى مقاليد الحكم . قال عنها ابن اياس : « كانت تدبر أمور المملكة فى حياة أستاذها الملك الصالح ، وكانت ذات عقل وحزم ومعرفة تامة بأحوال المملكة » . واليها يرجع الفضل فى تماسك جيوش المماليك ، وهى تواجه الحملة الصليبية السابعة ، بقيادة لويس التاسع — اذ أخفت نبأ وفاة السلطان زوجها حتى انتزعت الجيوش الملوكية النصر من أنياب الهزيمة . وارسلت الامير اقطاى الى توران شاه ابن الصالح أيوب ، ليحضر من مقره بحصن كيفا بأعالى العراق ، فلما حضر سلمته مقاليد الدولة ومسئوليات القتال ضد الصليبيين .

واذا كان الجند المماليك قد انتصروا فى المعركة الحربية ضد الصليبيين ، فان النتيجة المنطقية لذلك هى ازدياد نفوذهم فى الدولة . وكان طبيعيا ان يدرك توران شاه ذلك ، وان يعمل على اضعافهم . كما اتهم زوجة ابيه ، وهى واحدة من هؤلاء المماليك باخفاء ثروة السلطان المتوفى . وبلغ استياء شجر الدر أشده ، فأرسلت الى امراء المماليك ان « اقتلوا توران شاه وعلى رضاكم » ، وتخلص المماليك من السلطان الايوبى بقتله فى مايو عام ١٢٥٠ بفارسكور .

وبدأت مشكلة البحث عن خلفه . والواقع ان التخلص من السلطان — اى سلطان — طوال القرون التى كانت مصر فيها تحت حكم المماليك ، لم يكن هو المشكلة الحقيقية امامهم ، ولكن الصعوبات واستخدام الحيل والمزور فى مراحل الانتقال — والاستناد الى مبدأ الوراثة ، والى تفويض الخليفة ، وتحريض العامة — ذلك كله كان يحدث وكرسى السلطنة شاغر . ويقدم لنا مسلكهم بعد مقتل توران شاه ، النموذج الاول لما سيحدث بعد ذلك مرات عديدة . ولكم جرت فى القاهرة اجراءات خلع السلاطين ؟ ثم الاحتفالات بتولية السلاطين الجدد العرش . والمتتبع لهذا التاريخ ، يجده سلسلة متصلة من محاولات للبحث عن « الشرعية » فى تولى السلطة . وهنا يثور على الفور السؤال الهام : واين الشعب المصرى من ذلك كله ... الواقع انه لم يكن غائبا عن كل ما يجرى . ولكن وجوده كان يتخذ أشكالا متعددة تتفق وطبيعة الشعب نفسه ، وصراع القوى الذى يحدث ، وامكانيات التحرك المتاحة ...

وتظهر أهمية المرحلة التى بدأت بمقتل توران شاه ، من أن المماليك صمموا على تصفية الدولة الايوبية فى مصر ، واخذوا يحشدون جهودهم للوثوب الى السلطة . ذلك ان تطور وضعهم فى مصر خلال السنوات الطويلة السابقة كان قد وصل بهم الى ذروة القوة . لقد نشأوا فى احضان الاسر الحاكمة السابقة ، وبالذات اثناء حكم السلاطين الايوبيين ، منذ صلاح الدين نفسه . وتدعمت قوتهم ، واصبح طبيعيا ، وقد صاروا هم سند النظام وأداته الضاربة ، ان يتطلعوا الى السلطة ليمارسوها صراحة . ولكن كيف يمكن اسباغ الشرعية على انتقال السلطة اليهم فى مواجهة أصحاب الحق الشرعى فى تولى السلطنة ، واقرار اغتصابهم لها ؟

لقد كانت العقبات على نوعين : فقهية قانونية من ناحية ، وواقعية مادية من ناحية اخرى .

فالاسرة الايوبية ، والخليفة العباسى — لكل منهما حق فى حكم مصر . وكان للاسرة الايوبية مراكز قوية فى الشام ، يقوم عليها امراء من هذه الاسرة . وكان طبيعيا ان تؤيد بغداد حق الايوبيين فى مصر ، وقد أعادوها الى التبعية العباسية بعد ان أنهوا حكم الفاطميين لها . لابد اذن من مرحلة انتقال قبل ان يتولى المماليك سلطنة مصر صراحة فى هذه المرحلة ، تتم تهدئة أصحاب الحق الشرعى ، واستيفاء اركان الشرعية للحكم الجديد فى مواجهتهم .

وكانت اصلح العناصر للقيام بهذه المهمة ، الجهة الصالحية المستعصمية والدة الملك خليل .. فأقامها الامراء المماليك سلطانة ، وحلفوا لها يمين الولاء وقبلوا الارض بين يديها من وراء حجاب ، وخطبوا لها على المنابر . ثم اعطوا اتابكية العسكر [أى قيادة الجند] ، لاحد المماليك المغمورين — ايبك التركمانى . وارسل امراء المماليك الى بغداد يلتمسون الموافقة من الخليفة على هذا الاختيار . ولكن المستعصم اعترض على ما صنعوا . ولم يشأ الخليفة ان يفصح فى اعتراضه عن تأييد

صريح للبيت الايوبى ضد الحكام الفعليين الجدد ؟ نظرا لما كان واضحا من ضعف الايوبيين وازدياد نفوذ الطائفة العسكرية الجديدة . لهذا اختار ثغرة فى تصرف المماليك يمكنه منها ان يعترض عن طريقها — وان كان بطريق غير مباشر — على زوال حكم بنى أيوب دون ان يحرم الحكام الجدد من فرصة الحصول على السند الشرعى من الخلافة ، بعد ان يستقر الصراع لصالحهم .

وهكذا جاء رد الخليفة المشهور : « اعلموا ان كانت الرجال قد عدمت عندكم ، فاعلمونا حتى نسير اليكم رجلا » . وهو اعتراض شرعى على تولى امرأة منصب الحاكم . ولكنه كان اهون عقبة واجهت المماليك . وهم يستطيعون ان يتخطوها ، ان يظهروا بمظهر الخاضعين لحكم الشرع ، المنفذين لارادة امير المؤمنين الخليفة العباسى . فكان ان تزوجت شجر الدر من ايبك التركمانى وتنازلت له عن العرش ، بعد ان امضت ثمانين يوما سلطانة لمصر . وقد اختار كبار امراء المماليك ايبك لهذه المهمة ، لاعتقادهم انه سهل وتسهل تنحيته فى الوقت المناسب .

وواصل السلطان الجديد المعز عز الدين ايبك الجاشنكير التركمانى الصالحى استيفاء اركان الشرعية لحكمه . ففى مواجهة البيت الايوبى اقام ايبك اميرا أيوبيا فى السادسة من عمره ، الاشرف موسى ، سلطانا معه .

وواضح ان الاجراء شكلى محض . وهو تصرف سيتكرر مرارا عديدة اثناء حكم السلاطين .. والقصد منه مواجهة معارضة الاسرة الايوبية .

ثم اتجه المعز أيبك الى الخلافة ، وأمر فسار المنادون فى شوارع القاهرة يعلنون « ان البلاد للخليفة المستعصم بالله العباسى ، وان الملك المعز نائبه بها » .

ولكن الامراء الايوبيين فى الشام بدأوا يعدون للهجوم على مصر . فأرسل ايبك الامير أقطاى على رأس حملة أوقعت بهم الهزيمة . ثم ظهر فى المنطقة خطر المغول ، فسارع الخليفة العباسى الى العمل لتوحيد صفوف المسلمين ، وتم الاتفاق على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن ، وللايوبيين ما وراء ذلك . « ومن الواضح ان هذه الاتفاقية لها اهميتها فى التاريخ ، لانها بمثابة الوثيقة التى اعترف فيها بنو أيوب بشرعية سلطنة المماليك فى مصر » .

وهكذا نجح المماليك فى تخطى الصعوبات الشرعية ، وأصبح توليهم سلطنة مصر مقررا برضاء الاسرة الحاكمة السابقة ، واعتماد الخليفة لذلك .

ولكن عقبة أخرى ظهرت — كان لها ايضا طابع فقهى قانونى . فقد ادى عبث المماليك بالنظام والقانون ، الى اثارة الكراهية ضدهم . وتمخض هذا السخط عن ثورة جامحة قام بها الاعراب ، قدموا لها صياغة قانونية — اذ اعلنوا رفض الخضوع لحكم المماليك الذين « مسهم الرق » ، ونادوا بأن الاعراب « أحق بالملك من المماليك . وقد كفى اننا خدمنا بنى أيوب وهم خوارج خرجوا على البلاد » .

وليست هذه أول مرة يثار فيها هذا الاعتراض ضد المماليك — ففى أيام السلطان الايوبى الصالح نجم الدين كان الشيخ عز الدين بن عبد السلام رئيسا للقضاة فى مصر ، وحكم بأن المماليك ما زالوا أرقاء من الوجهة الشرعية ، ومن أملاك بيت مال المسلمين ، واذا أرادوا الحرية فلابد من بيعهم . وطالما انهم أرقاء ، فلا يسوغ ان يتصرفوا تصرف الاحرار [1] .

اما ايبك ، فقد انفذ ضد الاعراب الثائرين الامير اقطاى — الذى نجح مرة اخرى فى القضاء على هذا التهديد الجديد .

على انه بانتهاء هذه الصعوبات ذات الطابع الشرعى الشكلى ، بدأت العقبات الواقعية المادية — من داخل الطبقة الحاكمة الجديدة . ذلك ان الامير اقطاى أخذ بدوره يستكمل اركان الشرعية لانتفاضته المقبلة ، فتزوج من احدى اميرات البيت الايوبى ، وطلب من أيبك ان يسمح له ولعروسه بسكنى قلعة الجبل — مقر السلطنة — بوصف العروس سليلة البيت الحاكم السابق ، ولكن أيبك لم يعد فى مركز يضطر معه لمداراة المماليك البحرية وزعيمهم اقطاى . فكان أن دعا هذا الى القلعة ، وقطع رأسه . وخرج انصاره هاربين الى الشام .

واستعد أيبك للمعركة المقبلة ، وأرسل يطلب الى الخليفة « يلتمس تشريفه بالتقليد والخلع والالوية ، أسوة بمن تقدمه من ملوك مصر » .

---

(1) رضوان على الندوى ، العز بن عبد السلام ، ص ١٤١

وحاول جمع الانصار لتزوج من ابنة أمير الموصل ...

وتحركت المرأة فى السلطنة السابقة شجر الدر ، التى يقول عنها ابن اياس انها كانت صعبة الخلق شديدة الغيرة قوية البأس ، ذات شهامة زائدة وحرمة وافرة سكرانة من خمرة العجب والتيه » . فدبرت قتله ، ولكن المماليك لم يمهلوها . اذ نادى الامراء المعزية — أى مماليك المعز ايبك — بتولية المنصور على ابن السلطان المقتول . ولم يكن هذا احتراما لمبدأ الوراثة — فهذا المبدأ لم يكن مما يعرفه المماليك سندا شرعيا لتولى السلطنة ، ولكنها المرحلة الانتقالية التى كانت تعقب عادة خلو العرش حتى يسفر الصراع عن الشخص القوى الذى يفرض نفسه على جميع الاطراف ، ثم يزيح ذلك الابن . ولاقت شجر الدر حتفها .

واصبح الامير سيف الدين قطز أتابكا للسلطان الذى لم يكن يتجاوز الحادية عشرة من العمر .

واذ اذكر قطز — فلابد ان تذكر معه عين جالوت ، وهى الموقعة الحاسمة التى هزم فيها المغول فى سبتمبر عام ١٢٦٠ ، ذلك ان هؤلاء ، بقيادة هولاكو ، كانوا يواصلون زحفهم ، وسقطت بغداد فى يدهم [فبراير عام ١٢٥٨] ، وانفتح الطريق للاستيلاء على الشام ومصر . واستغل الاتابك قطز الفرصة ، وقبض على السلطان وأعلن نفسه مكانه [أبريل عام ١٢٥٩] .

واستعدت القاهرة لاستقبال المظفر سيف الدين قطز ، وهو عائد بالنصر الكبير من عين جالوت . وأقيمت الزينات ، وخرج الاهالى مرحبين بمقدم السلطان ، متلهفين لرؤيته . وجاء الموكب . ولكن قطز لم يكن فيه .

ذلك انه اثناء عودة السلطان من ميدان الحرب ، بقى مع بعض خواصه بالصالحية ، احدى قرى مديرية الشرقية ، وانشغل بالصيد ، واتفق المماليك على الاطاحة به . ولم يشفع له ما حققه من نصر عظيم . وانتهز واحد منهم هذه الفرصة وتقدم الى السلطان طالبا ان ينعم عليه ببعض اسرى المغول . فلما وافق ؟ تظاهر الامير برغبته فى تقبيل يد السلطان شكرا — فمد قطز يده ، وعندئذ هوى بالسيف على السلطان [اكتوبر عام ١٢٦٠] .

يقول المقريزى : « لما قتل قطز ، خرج الامراء الذين قتلوه الى الدهليز السلطانى بالصالحية ... فقام ... الاتابك — وكان بالدهليز — وقال للامراء عند حضورهم : من قتله منكم ؟ فقال الامير بيبرس : أنا قتلته . فقال [الاتابك] : يا خوند ! اجلس فى مرتبة السلطان مكانه » .

تطبيق أمين لمبدأ السيادة للاقوى — الاساس الوحيد للشرعية فى نظر المماليك . أما باقى أسانيد الشرعية ، فان المماليك يلجأون لها لتبرير النتيجة أمام الاخرين .

وحلف الاتابك والامراء والجند لبيبرس فى نفس يوم اغتيال قطز — حلفوا له جميعا ان لا يخونوا ولا يثبوا عليه . وكان القاضى قد وصل من القاهرة ليستقبل قطز ويهنئه بالنصر ، فاستدعى ليقوم بتحليف العسكر للملك بيبرس . وبعد ان تمت هذه الاجراءات المبدئية فى الصالحية ، قال الاتابك لبيبرس : « لا تتم السلطنة الا بدخولك قلعة الجبل » ، لذلك سارع بيبرس والامراء الى القاهرة . ودخل الموكب العاصمة ، وصعد الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس البندقدارى الصالحى الى القلعة وتسلمها . ونودى فى القاهرة أن « ترحموا على الملك المظفر ، وادعوا لسلطانكم الملك الظاهر ركن الدين بيبرس [٢] » .

طابع الحكم المملوكى

والواقع ان حكم المماليك يقدم صورة نقية لانفصال الحاكم عن المحكومين . والانفصال هنا ليس أساسه طبقيا وحسب — ولكنه اعمق من ذلك . فالمماليك هم « الرقيق الابيض » ، أجلاب من سوق النخاسة البيضاء بالشام وآسيا الصغرى والجنوب الشرقى من أوربا . خليط من

(٢) انظر فى هذه الوقائع التاريخية.د. محمد مصطفى زيادة، تاريخ الحضارةالمصرية ، المجلد الثانى ، العدد السابع
د. على ابراهيم حسن ، مصر فىالعصور الوسطى من الفتح العربى الىالفتح العثمانى .
على ابراهيم حسن ، دراسات فىتاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصرمحمد بوجه خاص
د. سعيد عبد الفتاح عاشور،مصرفى عصر دولة المماليك البحرية .
د. سعيد عبد الفتاح عاشور ،العصر المماليكى فى مصر والشام .
د. حسين فوزى ، سندبادمصرى.

المغول والاتراك والشراكسة والروم والروس والاكراد ، فضلا عن اقلية من مختلف البلاد الاوربية . وكان تيار الوافدين من أولئك الاجناس بصحبة النخاسين لا ينقطع ، وكان التجار الاوربيون ينافسون التجار الشرقيين فى هذا النوع من التجارة — ويقال ان الاوربيين كانوا يجلبون الى مصر كل عام نحو ألفين تقريبا من هؤلاء الاجلاب ليبيعونهم فى سوق الرقيق ، فى « خان مسرور » بالقاهرة . وهنا نجد الفارق الاول الكبير بين الاقطاع فى مصر ، ونظيره فى أوربا — فلقد كان أمراء الاقطاع فى أوربا فى أغلب الاحيان من الوطن نفسه ، الا انهم كانوا يمثلون الارستقراطية المنعزلة عن الشعب . أما فى مصر ، فقد كان أمراء الاقطاع يكونون الطبقة المسلحة الاجنبية التى تحكم الشعب .

ولقد عاش المماليك اثناء حكمهم مصر كطائفة منفصلة تماما عما حولها ، ولم يختلطوا بأى عنصر من عناصر السكان المصرية ، سواء فى ذلك الاقباط او المسلمين [٣] ، ولم يتزوجوا من أهل البلاد ، بل اختاروا زوجاتهم وجواريهم من بنات جنسهم اللائى جلبهن التجار . وقصروا أعمال الجندية على أشخاصهم ، واشترطوا الا ينخرط فى سلك المماليك الحربية الا من يستوردونه من جديد . فأبناء المماليك ، مهما عظم شأنهم ، كانوا يقصرونهم على الاعمال الكتابية والادارية ، ولا يسمحون لهم بالدخول فى الجيش . وقيل لو ان الجنرال الفرنسى عبد الله مينو ، او سليمان باشا الفرنساوى عاشا فى مصر فى عصر المماليك لما استحال عليهما الوصول الى العرش [٤] .

ومما زاد هوة الانفصال عمقا ، الجو الحربى الذى ساد العالم الاسلامى منذ نهاية القرن الحادى عشر ، حتى مطلع الخامس عشر . وكان طبيعيا ان يصحب ذلك صبغ جهاز الحكم بطابع عسكرى . ففى اعقاب المجتمع المدنى الذى كان فى مصر فى العهد الفاطمى ، نجد ابتداء من عهد الايوبيين مجتمعا تغلب عليه الصبغة العسكرية — نجد دولة عسكرية من نوع الدول البدائية التى قامت فى الغرب بعد سقوط الامبراطورية الرومانية ، والتى قامت فى الشرق على انقاض الامبراطورية العباسية . فى هذا الجو استطاع المماليك ان يصلوا الى الاستيلاء على السلطة ، واحتكار ممارسة الحكم ، وعزل الشعب عن التدخل فيه . حدث هذا « فى وقت تقتضى حالة الحرب .. اثناءه ، ان يعهد بالحكم الى العسكريين ، ويمنع لونه الدينى المحكومين من ان يستهجنوا انتقاله الى أيد غريبة [٥] » . وصحب ذلك كله تفرقة طبقية حاسمة شملت كل نواحى الحياة — فمثلا ، كانت أكثر فئات الشعب تميزا فى هذا العهد هى « طبقة المعممين ، او أهل العمامة » ، منحها الحكام الاجانب ميزات خاصة ، كوسيلة لاكتساب الراى العام فى البلاد لتبرير استيلائهم على السلطة . ومع هذا لم يرض المماليك ان تشاركهم فئة من السكان فى ركوب الخيل . واشترطوا على السلاطين حرمان المتعممين من ركوبها [٦] . وكان رداء الرأس عندهم — التخفيفة — مغايرا لما يلبسه الاهالى — العمامة . وكان عدد كبير من الوظائف التى ليس من الضرورى ان تكون ذات طابع عسكرى محجوزا للمماليك وحدهم . بل اننا كثيرا ما نجد « رجال السيف » ، يعهد لهم بوظائف كانت حسب العرف يعهد بها الى الموظفين غير العسكريين — رجال دين كانوا او مدنيين . وتوارت العناصر المدنية الفذة التى كان النشاط الصناعى والتجارى والعلمى يدفع بها من قبل الى سطح المجتمع .

ونحن نجد فى تكوين الدولة المملوكية بعض تقاليد المغول . فالحكم المغولى لا يعترف بحقوق سياسية لغير حملة السلاح . وهو يدير أمور الدولة ، كما تدار الضياع ، ويجهل حدود القانون العام . و « لا شك فى ان قيام النظام المملوكى على استجلاب رجاله من الخارج ، كان من الاسباب التى وقفت دون تطوره التطور الطبيعى وحفظت عليه الطابع البدائى الذى انفرد به » . وقد انتشرت التقاليد المغولية فى مصر ، ويرجعها المقريزى الى كتاب « ياسة » الذى وضعه جنكيز خان ، وحرف أهل مصر هذه الكلمة « وزادوا بأولها سينا ، فقالوا سياسة ، وادخلوا عليها الالف واللام » ، وكانت المنازعات فيما بين المماليك وبعضهم البعض لا يفصل فيها القضاة طبقا للشريعة الاسلامية ، ولكن قضاة العسكر — الحجاب — هم الذين كانوا يقومون بهذا العمل طبقا للقوانين المبنية على قواعد « ياسة » .

وبطش هذا المجتمع بأفراده يتخذ اشكالا بشعة — كالتوسيط والإجلاس على الخازوق او مزرية بالغة الاهانة . كل هذا لا يظهر الا وقت اغتصاب السلطة . أما قبل ذلك فالذلة فى ارذل مظاهرها .

---

(٣) دراسات فى تاريخ المماليك ، ص ٣١ .
(٤) المرجع السابق ، ص ٣٤
(٥) صبحى وحيده ، فى اصول المسألة المصرية ، ص ٦٥
(٦) بولياك ، الاقطاع فى مصر وسوريا وفلسطين .

ولقد كان التعبير الاقتصادى الحاسم عن الانفصال بين الحاكم والمحكومين متمثلا فى نظام الاقطاع — فالارض ، وهى وسيلة الانتاج الرئيسية ، كانت من نصيب رجال الجيش . يقول القلقشندى « تجرى الاقطاعات فى الدولة الملوكية على الإمراء والجند ، وعامة اقطاعاتهم بلاد وأراض يستغلها مقطعها ويتصرف فيها كيف يشاء » . وكانت الادارة الاقطاعية يشرف عليها ديوان الجيش ، وسمى الاصطلاح ديوان الجيش باسم ديوان الاقطاع كذلك [٧] .

بحث عن الشرعية

وغنى عن البيان ان هذا النظام لا يمكن ان تستمر له الحياة اذا ظهر سافرا على حقيقته . لابد من تبرير يقنع المحكومين بأن من يحكمونهم يستندون الى « شىء » يجعل سلطة القهر التى يمارسها الحكام شرعية . فالجماعة السياسية — اى جماعة — لا يمكن ان تتواصل حياتها ما لم تكن مؤسسة على مجموعة من الافكار الشائعة المقبولة — وتبرر النظم التى يخضعون لها . فقد يكون القهر عنصرا لازما للدولة ، او هو خاصيتها الاساسية . ولكن فاعلية القوة المادية فى المدى البعيد تعتمد على صيرورتها مشروعة عن طريق مذهب عقائدى مقبول بصفة عامة ، يستطيع أن يحول القوة الى حق ، والطاعة الى واجب .

ولقد كان المماليك يدركون جيدا ان الشرعية تنقصهم — لاسباب كثيرة . ولقد رأينا كيف ان جهودهم اتجهت — منذ بدء حكمهم ، لاستيفاء أسانيدها . ويذكر الدارسون ان هؤلاء الغرباء الارقاء « ارادوا بالتغالى أمام الناس فى احترام الدين وشعائره ان يخفوا عنهم بواطن الامور ، أو ان يظهروا بمظهر حماة الاسلام المدافعين عنه [٨] » ... وتطلبت أحوال المماليك فى مصر ان يبالغوا فى اظهار التقوى والورع ، فأكثروا من تشييد الجوامع والمساجد ، وأقاموا « ما لا يكاد يحصى منها » ، على قول القلقشندى [٩] » . وفى هذا المجال ايضا يرد ما منحوه لعلماء الدين خاصة من احترام ، لانهم قوة لها خطرها فى اكتساب الرأى العام فى البلاد . « ومن خواص المماليك جمعهم بين الصلاح فى نظر الشعب والاستمساك بقواعد الدين الحنيف ، من حيث الصلاة والزكاة وتشييد العمائر الدينية وغير ذلك ، بينما تجدهم فى حياتهم الخاصة لا يتورعون عن اتيان اشنع المنكرات والتعسف فى أذى الخلق واهراق الدماء بلا اكتراث بأبسط المبادىء الانسانية [١٠] » . ويرى البعض أن « سلاطين المماليك فى مصر اظهروا حماسة كبيرة لدينهم الجديد ، او ربما كانوا يشعرون — الى حد ما — بنوع من مركب النقص ، بسبب اصلهم غير الحر واغتصابهم حكم البلاد من اصحابها الشرعيين ، الامر الذى دفعهم الى القيام بأعمال كثيرة فى الداخل والخارج تستهدف أظهارهم فى ثوب حماة الاسلام ، وتبرر قيامهم فى الحكم أمام المعاصرين . ولا ريب فى ان عناية سلاطين المماليك وأمرائهم ، ببناء المساجد والمدارس والزوايا ، يعتبر مصداقا لهذا الرأى . كما ان الحروب الطويلة التى قاموا بها ضد المغول من ناحية ، وضد المسيحيين فى الاراضى المقدسة وارمينيا وقبرص والنوبة من ناحية اخرى ، نجحت الى حد كبير فى توطيد مركز المماليك واظهارهم امام العالم الاسلامى اجمع فى صورة « داوية الاسلام » ، وفرسانه الزائدين عنه ، على قول المؤرخ ابن واصل [١١] » . يضاف الى هذا كله ان السلاطين ادركوا اهمية سخط الشعب ورضاه ، بعد ان برز دوره فى غمار الفتن والثورات الداخلية التى اقتضتها محاولات المماليك فى الوصول الى السلطنة . ولم يكن القصد من الاتجاه الى جماهير الشعب ، الا استئذانها تأييدا لهذا الجانب او ذاك ، حتى يصل الى مطمعه الشخصى [١٢] .

على أن أهم اجراء قام به الظاهر بيبرس لاسباغ الشرعية على حكمه خاصة ، وحكم المماليك عامة ، هو احياء الخلافة العباسية بالقاهرة . ذلك انه بعد ان استولى المغول على بغداد سنة ١٢٥٨ ، وقتلوا الخليفة ، سقطت الخلافة ، وأصبحت بغداد مقرا للمغول الوثنيين. وحاول بعض الحكام اقامة الخلافة فى بلادهم — ولكن التوفيق فى ذلك كان من نصيب بيبرس . وهكذا « خدم بيبرس السلطنة المملوكية خدمة لا مثيل لها ... اذ اصبحت مصر مقر الخلافة ومركز الرئاسة العامة على المسلمين ، وأفادت السلطنة المملوكية من ذلك فائدتين هما : ان

(٧) د. ابراهيم طرخان ، مصر فى عصر دولة المماليك الجراكسة ، ص ٢١٧ .
(٨) المماليك البحرية ، ص ٣٦ .
(٩) المرجع السابق ، ص ١٨٥ .
(١٠) دراسات ، ص ٣٢ . المماليك البحرية ، ص ٥٩ .
(١١) د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، الظاهر بيبرس ، ص ٤٦ .
(١٢) طرخان ، ص ٥

سلاطين المماليك من بيبرس فصاعداً ظهروا أمام العالم الاسلامى حماة للخلافة ولأشخاص الخلفاء ، وان السلطنة المملوكية كسبت شرعية ما كانت تكسبها من اى مصدر آخر [١٣] » .

وكان نائب السلطان فى دمشق قد كتب اليه يخبره بأن احد بنى العباس ، وهو الامير ابو القاسم احمد بن الخليفة الظاهر العباسى وصل الى دمشق ، ومعه جماعة من عرب بنى مهنا يشهدون على صحة نسبه . فأمر بارساله الى القاهرة . وكان يوم وصوله اليها يوما مشهودا . ثم عقد مجلس بقاعة الاعمدة فى القلعة شهد فيه العربان بصحة نسب الامير .

وعلى الفور بايعه الظاهر بيبرس وتبعه فى المبايعة جميع الناس . ولم يكد السلطان ينتهى من مبايعة الخليفة العباسى الجديد ، حتى قام الخليفة « وقلد السلطان الملك الظاهر البلاد الاسلامية » ، ومعنى ذلك ان السلطان الظاهر بيبرس » ، غدا منذ تلك اللحظة حاكما شرعيا ، يستمد سلطانه ونفوذه ومكانته من السلطة الشرعية العليا فى حكم المسلمين ، وهى الخلافة.

وبعبارة اخرى لم يعد السلطان الظاهر بيبرس يبدو فى نظر المعاصرين فى صورة مغتصب الحكم من بنى ايوب ، او حتى من قطز ، وانما بدا فى صورة السلطان الذى اختاره الخليفة العباسى لحكم البلاد والعباد ، وقلده فعلا مقاليد الامور لا فى مصر والشام وحدهما ، بل فى البلاد الاسلامية كافة « وما ينضاف اليها ، وما سيفتحه الله على يديه من بلاد الكفار [١٤] » .

ولكن حقيقة الوضع لم تخف على الشعب . يقول الدكتور على ابراهيم حسن « ان الخليفة العباسى فى القاهرة لم يكن الا مظهرا خداعا جهد المماليك لايجاده ذرا للرماد فى العيون ... وأصبح الحوبة فى أيدى السلطان يحركها كيفما شاء . وبذا فقد على توالى السنين قيمته فى نظر الشعب ، باعتباره حامى الدين والمسئول الاول عن شرعية السلطنة المملوكية [١٥] .. » .

ولقد قدم الشاعر الشعبى الساخر محمد بن دانيال نقدا سياسيا لاستقدام الامير احمد العباسى واقامته خليفة فى القاهرة . واتخذ هذا النقد السياسى طابعا فكاهيا ، فى تمثيلية كان بطلها « الامير وصال » ، وهو كما يقول الدكتور عبد الحميد يونس ، الصورة الساخرة لذلك الأمير العباسى [١٦] ، أما السلطان ، فقد اصبح لقبه « قسيم أمير المؤمنين » ، اشارة الى العلاقة الصورية بين سلطان المماليك والخليفة العباسى بالقاهرة ، بوصفهما شريكان فى حكم المسلمين [١٧] . وهى مشاركة صورية يعبر عن ذلك المقريزى ، فيقول عن الخليفة ان خلافته « ليس فيها أمر ولا نهى ، وحسبه ان يقال له أمير المؤمنين » .

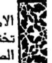
الوراثة أم الزمالة

وثمة مبدأ آخر حاول السلاطين المماليك ان يجعلوه اساسا لتولى الملك — ذلك هو مبدأ الوراثة ولكن جميع محاولاتهم كانت تتحطم على صخرة التقاليد المغولية الاصلية . وكانت اقامة ابن السلطان المخلوع ، او المقتول ، او المتوفى ، مرحلة انتقالية ريثما يفرض الامير القوى سلطته على بقية الامراء ، فعلاقة « الخشداشية » ، اى الزمالة فى الخدمة ، كانت هى الرابطة الرئيسية بين المماليك جميعا . فلا مرجع لواحد على اساس نسبه . بل الطائفة الاقوى تنتخب الاقدم فيها او الاكبر سنا لتولى الملك . على ان سلطانا من بينهم استطاع ان يفرض شخصه واولاده وأحفاده وأحفاد أولاده على السلطنة المملوكية الاولى ، فاذا كانت هذه الدولة استمرت ١٣٢ عاما ، فان اسرة المنصور سيف الدين قلاوون ، استمرت تحكم ١٠٣ اعوام ، باستثناء خمس سنوات متفرقة حاول فيها بعض الامراء اغتصاب العرش ، ولكن محاولاتهم كانت تفشل ويعود الحكم للناصر محمد ابن المنصور قلاوون الذى — اى الناصر — تولى السلطنة ثلاث مرات . ظل فيها على العرش ما يزيد عن اربعين عاما . فما هو السر فى ان الاستثناء اصبح هو القاعدة طوال هذه الفترة ؟ يرجع ذلك لعدة اسباب :

أولا : شراسة الصراع بين الأمراء والفرق المملوكية ، دون ان يسفر عن رجحان كفة أى منها .

---

(١٣) دراسات ، ص ٢٢ .
(١٤) الظاهر بيبرس ، ص ١٣ .
(١٥) د. محمد مصطفى زيادة ، بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك مجلة كلية الاداب ، مايو ١٩٣٦ ، ص ٧٩ .
مصر فى العصور الوسطى ص ٢٨٣ . طرخان : ص ٥٢ .
(١٦) د. عبد الحميد يونس ، خيال الظل : ص ٦٣ .
(١٧) العصر المماليكى ، ص ٣٥١ .



ثانيا : أدى هـذا الوضع غير المستقر بين الامراء الى استطاعة الجماهير الشعبية ان تخترق الحاجز المملوكي ، وان تؤدى دورا في الصراع .»

ومن ناحية ثالثة ــ فان الناصر محمد وقد لاقى من الامراء العسف والاذلال ، حرص في سلطنته الثالثة ان يضرب الفرق المملوكية في السند الاقتصادي الرئيسي الذي ترتكز عليه ــ اى الاقطاع . بحيث لم يستطع امير واحد بعد ذلك ان يقوم بالدور التقليدى نحو ابن السلطان المتوفى ، ويغتصب السلطنة لنفسه . واستمر هذا الوضع الى نهاية الدولة المملوكية الاولى ، حتى اكتمل لفرقة مملوكية اخرى ــ المماليك الشراكسة، او البرجية ــ نشأت في أحشاء الفرقة الحاكمة ، وهي المماليك البحرية الصالحية ، من القوة ما استطاعت به ان تغتصب سنة ١٣٨٢ السلطنة نهائيا من اسرة قلاوون ، بل ومن جماعة البحرية الصالحية كلها .»

أما عن شراسة الصراع ، فيكفى ان نعلم انه بعد وفاة قلاوون ، وخلال مدة لا تزيد عن ثمانى سنوات [١٢٩٠ ــ ١٢٩٨] ، قتل ثلاثة سلاطين وعزل واحد ، وتم هـذا كله وسط صراعات رهيبة ومؤامرات وحمامات دم متعاقبة . فبعد وفاة قلاوون ، تولى السلطنة ابنه خليل ، ولكن الامير بن بيدرا ولاجين استدرجوه وقتلوه . وكما حدث بعد قطز ، تشاور الامراء في مكان الجريمة واتفقوا على تولية القاتل بيدرا ، وقبلوا الارض بين يديه ولقبوه « الملك الرحيم » ، وقيل « الملك الامجد » ، وقيل « الملك القاهر » ، ولكن مماليك السلطان المقتول لم يمهلوه ــ بل قتلوه قبل ان يصل الى القلعة . وولوا الناصر محمد بن قلاوون مؤقتا . ثم عزلوه واعلن كتبغا سلطانا . وطمع نائبه لاجين في السلطنة ، وانتهى الامر بفرار كتبغا وتولية لاجين . ولكن هـذا الاخير قتل . ويقول المقريزى انه بعـد مقتله مد السماط السلطانى ، وقام كرجي وقال : « يا امراء ! انا الذى قتلت السلطان [لاجين] ... ولا يكون سلطانا الا هذا ، واشار الى زميله طغجى ، وأنا نائبه » ، ولكن الامراء قتلوا الاثنين معا . وعاد الناصر سلطانا مرة ثانية .

ووجدت الجماهير فرصتها كي تعبر عن سخطها على ما يجرى بين المماليك من بربرية وسفك للدماء . لقد استقبلوا الناصر اثناء عودته في حفاوة كبيرة وزينوا له القاهرة أجمل زينة . « ومن ذلك الحين اشتد سخط الامراء الطامحين على العامة ؟ لما اظهروه نحو الناصر من الولاء والاخلاص ، وبدأوا يتدبرون الامر فيما بينهم » ، وهكذا استمر الامراء في التضييق على الناصر . « وتداخلت العامة في هذا النزاع ، حين علموا ان الامراء يريدون الغدر بالسلطان ، فتجمعوا حول القلعة وتحمسوا في الذود عن الملك الناصر . ولم ينجح سلار وبيبرس في تشتيت جموعهم بالقوة . فخضعوا لمشيئة الشعب وتبعهما بقية الامراء . .وعقب ذلك دخل الامراء على الناصر وقبلوا الارض ثم قبلوا يده [١٨] » .
ولكن الشعب لم يكن هو العامل الحاسم في النزاع ، اذ ان المماليك واصلوا تحكمهم في السلطان الذى تحايل وفر هاربا.وتولى السلطة بعده ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وصار سلار نائبا له . ولكن هذه السلطنة لم تدم الا سنة واحدة [١٣٠٨ ــ ١٣٠٩] ، واشتد السخط الشعبى مع نقص النيل وارتفاع الاسعار ، وصار العامة يتظاهرون في شوارع القاهرة : « سلطاننا ركين [تصغير ركن ، ويقصدون ركن الدين بيبرس] ، ونائبنا دقين [تصغير دقن . ويقصدون سلار نائب السلطنة ، ولم يكن بلحيته سوى شعيرات قليلة] . يجينا الماء منين ؟ جيبوا لنا الاعرج [الناصر محمد وكان به عرج خفيف] ، يجى الماء ويدحرج » . وبدأ الناصر يعد العدة للرجوع الى مصر ، وحاول بيبرس ان يبقى في الحكم ، فحصل على عهـد من الخليفة يقرأ في المساجد ، ولكن العامة رفضوا الاستماع اليه . وعاد الناصر الى القاهرة وصعد الى قلعة الجبل وبدأت سلطنته الثالثة التى استمرت اكثر من ثلاثين عاما .

وثمة اجراءين اتخذهما الناصر في هذه الفترة هما نتيجة للاحداث التى واجهها منذ وفاة أبيه . فمن ناحية خفف عن العامة المكوس الباهظة التى كانت مفروضة عليهم . وقد اورد المقريزى اربعة عشر مكسا كلها اعباء باهظة على الشعب . ومن ناحية اخرى اعاد توزيع الاقطاعات بين الامراء والجند . وتكشف رواية المقريزى لهـذا التوزيع عن مدى السلطة التى كانت لدى الناصر ازاء المماليك .

« فلما اهل المحرم من سنة ست عشرة وسبعمائة [مارس ١٣١٦] ... جلس السلطان في الايوان الذى استجده بقلعةالجبل ، وقد تقدم لسائر نقباء الاجناد على لسان نقيب الجيش ، بالحضور بأخبارهم ، وجعل للعرض في كل يوم أميرين من الامراء المقدمين ... فكان الامير مقدم الالف يقف ... فاذا مثل بحضرته [السلطان] ،

---

(١٨) دراسات ، ص ٧٩ .

سأله السلطان بنفسه من غير واسطة عن اسمه واصله وجنسه ... فاذا انتهى استفهامه اياه ناوله بيده مثالا [أى ورقة باعطاء اقطاع] ، من غير تأمل بحسب ما قسم الله له ... هذا وقد تقدم الى سائر الامراء بأسرهم ، بأن يحضروا الى الايوان عند العرض ، ولا يعارض احد منهم السلطان فى شيء يفعله ، فكانوا يحضرون وهم سكوت ، لا يتكلم احد منهم ، خوفا من مخالفة السلطان لما يقوله ... ومما امر به فى مدة العرض ، الا يرد احد مثالا اخذه من السلطان ولو استقله ولا يشفع امير فى جندى ، وان من خالف ذلك ضرب وحبس ونفى وقطع خبزه [أى اقطاعه] ، فعظمت مهابة السلطان وقويت حرمته ولم يجسر احد ان يرد عليه مثالا اخذ من السلطان ... وصار كثير ممن كان اقطاعه مثلا الف دينار ، الى اقطاع مائتى دينار ونحوها . وكثير ممن كان اقطاعه قليلا الى اقطاع معتبر ، فانه كان يعطى المثال من غير تأمل كيفما وقعت يده عليه [١٩] » .

وهكذا ضرب الناصر محمد نفوذ الامراء فى الصميم . وبعد ان كان نصيب الامراء والاجناد فى عهد صلاح الدين عشرين قيراطا ، اصبحت فى عهد الناصر ١٤ قيراطا ، بعد ان كانت فى عهد لاجين ١١ قيراطا . اى ان الناصر ، وان رفع حصة المماليك ، الا انه ابقاها ادنى مما كانت لهم فى البداية . بل ان الناصر استحدث وسيلة اخرى لاضعافهم . اذ فرق الاقطاع الواحد فى عدة جهات « فصار بعض الجبى فى الصعيد ، وبعضه فى الشرقية ، وبعضه فى الغربية اتعابا للجندى وتكثيرا للكلفة [٢٠] » .

ولقد حدث فى عهد الناصر ان قامت فتنة دينية ، تبادل فيها المسلمون والمسيحيون هدم الكنائس والمساجد وحرقها . ولم يحدث هذا فى القاهرة وحسب ، بل حدث فى مختلف انحاء البلاد فى يوم واحد من قوص الى البحيرة الى الاسكندرية . واشتد غضب الناصر ، واتخذ اجراءات عنيفة لقمع الفتنة . وكان الامراء يدافعون عن المخربين . ويبدو ان الفتنة كلها كانت من تدبير الامراء ، اضعافا للتأييد الشعبى الذى احيط به الناصر . يتأكد ذلك من ان الامراء كانوا موزعين فى انحاء البلاد ، بحيث اصبح تنفيذ الفتنة فى يوم واحد امرا ميسورا ، لان توزيع الاقطاع جعل للامير الواحد نفوذا فى اماكن متعددة . ويتعجب المقريزى الى الاقباط بحكم خبرتهم ، انهم هم الذين قاموا بهذا التوزيع لكل اقطاع [٢١] . وليس من الغريب ان ينقم الامراء على الاقباط ، خاصة وان يستغلوا هذه الفرصة لضرب التجمع الشعبى الذى كان سند الناصر فى مواجهتهم ، ولقد رأينا من قبل ان الامراء اشتد سخطهم على العامة ، وبدأوا يتدبرون الامر فيما بينهم . ولقد دهش المقريزى من توافق حدوث التخريب فى اقليم مصر كله . ونسب ذلك الى ان المصريين « يتحدثون بالاشياء قبل كونها ، ويخبرون بما يكون وينذرون بالامور المستقبلة ، ولهم فى هذا الباب اخبار مشهورة ... ومن هذا الباب واقعة الكنائس التى للنصارى ، وذلك انه لما كان يوم الجمعة تاسع شهر ربيع الاخر سنة احدى وعشرين وسبعمائة والناس فى صلاة الجمعة ، كأنما نودى فى اقليم مصر كله — من قوص الى الاسكندرية — بهدم الكنائس . فهدم فى تلك الساعة — بهذه المسافة الكبيرة — عدد كبير من الكنائس [٢٢] » .

الاقطاع والحكومة المركزية

كانت القاهرة هى العاصمة التى تحكم منها بلاد مصر كلها حكما مركزيا صارما .

وكان مقر جهاز الحكم هو قلعة الجبل — بدأ صلاح الدين بناءها على رابية مرتفعة فوق المقطم وتشرف على القاهرة من علو مائتين وخمسين قدما . ووصفها المقريزى بأنها بناء عظيم مرتفع ، يحيط بها سور ضخم به عدة ابواب ، وبداخل السور دور وقصور وحمامات واحواض ، كما توجد طباق واسعة للمماليك السلطانية ، وهى اثنتا عشرة طبقة — كل طبقة منها قدر حارة ، تشتمل على عدة مساكن ، بحيث تتسع كل طبقة لالف مملوك . ويجسد موقع القلعة وبناءها والحياة فيها — تجسيدا ماديا ، انفصال الحاكم عن المحكومين وتسلطه عليهم ، وحذره منهم ، واحتياطاته الشديدة ضد ثوراتهم او هباتهم ، كما ان حياة البذخ الشديد فيها تختلف تماما عن حياة جموع الشعب خارجها [٢٣] .

ولم يكن نظام الاقطاع فى مصر عاملا فى اضعاف الحكومة المركزية . على العكس من ذلك كان

(١٩) المقريزى ، الخطط ، حـ١ ص٨٩ طبعة التحرير ١٦٥ .
(٢٠) الخطط ، المرجع السابق .
(٢١) الخطط ، حـ١ ص٨٩ طبعة التحرير ١٦٥ .
(٢٢) الخطط ، حـ١ ص ٤٨ . التحرير ٨٩ .
(٢٣) ستانلى لينبول ، سيرة القاهرة ص ١٥٧ .

من اكبر العوامل التى شمنك لهذه الحكومة سطوتها . بحيث ان التقسيم الطبقى فى مصر لم يكن بين مالك ارض ، وغير مالك لها — بل بين جهاز الحكم ، وجماعات المحكومين . فالارض كلها تحت سيطرة ولي الامر ، والاقطاع لايمنح حق ملكية ولكن رخصة استغلال مرتبطة بالوظيفة التى يشغلها المقطع . والمدن وعلى راسها القاهرة لاتقوم بوظائف اقتصادية تغاير الريف — بل هى قبل كل شيء مراكز سكانية اهم من يقيم بها هم السادة الذين يقطعهم السلطان الارض . فالتمييز اذن بصفة اساسية هو بين الحاكم والمحكوم ، بين متمتع بجانب من الاختصاصات السياسية والادارية وخارج عن دائرة هذه الاختصاصات (٢٤) .

فالاقطاع خاضع تماما للسلطة المركزية — فالسلطان هو الذى يقوم بالتوزيع ، ويستطيع ان يستولى على مامنحه اذا ماخالف المقطع شروط الاقطاع . بل ان الاسترداد يمكن ان يحدث فى مناسبات عديدة : عند تولية سلطان جديد ، او عند عرض الجيش . كما انه حدث استرداد عام للاقطاعات فى عصر المماليك مرتين — عند اجراء الروك [اى مسح الارض] الحسامى ، والروك الناصرى ، بل ان استغلال الاقطاع نفسه خاضع لارادة السلطان . ثم انه كان هناك فصل بين حاكم الاقليم وبين صاحب الاقطاع فيه . ففى القرن الرابع عشر كانت اقطاعات الحكام موزعة كليا او جزئيا خارج المناطق التى يديرونها . ولم يكن اصحاب الاقطاعات يقيمون فى اقطاعاتهم بل فى القاهرة .

كل هذه الاوضاع جعلت الحكم المركزى صارما فى مصر كلها — فمن القاهرة كانت تحكم كل اقاليم مصر ولم يفكر واحد من اصحاب الاقطاعات ان ينتقل باقطاعه ، بل كان النزاع بين الفرق المملوكية يدور حول الاستيلاء على الحكم المركزى والوصول الى قلعة الجبل بالقاهرة .

ولكن القاهرة ليست فقط مدينة السلاطين والامراء والمماليك — ولكنها ايضا — كما عبر عن ذلك ستانلى لين بول — « مدينة الف ليلة وليلة » (٢٥)

وكتاب « الف ليلة وليلة » يشمل على وجه الخصوص مغامرات التجار واصحاب الحوانيت حقيقة نحن نجد فيها الخلفاء والسلاطين والوزراء مع الجن والمردة — الا ان ابطال القصص الحقيقيين هم التجار الذين لديهم حوانيت يتجرون فيها ، والذين لهم مغامرات فى البحار حيث تكثر اسفارهم . والحقيقة ان الرحلات التجارية والثروات الضخمة التى يكثر سرد القصص عنها فى هذه الليالى الطويلة يدل تماما على ماكان يحدث فى حياة شعب لم تقتصر ثروته على تربته الخصبة الطيبة ، وانما كانت تعتمد كذلك على التجارة الاجنبية الواسعة الافاق . ومن هنا اهمية الميناء القاهرة « بولاق » (٢٦) .

ولقد كان لتجارة الترانسيت فى مصر ايام المماليك اهمية ضخمة — ذلك ان اهم تجارة فى العالم وقتئذ كانت هى التجارة بين آسيا — وعلى الاخص الهند — وبين اوربا . وكانت البضائع تنتقل من الخليج الفارسى برا الى سواحل الشام او الى البحر الاحمر ثم بالقوافل عبر ارض مصر الى سواحل البحر الابيض المتوسط ثم الى اوربا وواضح ان سلوك اى من الطريقين كان يؤدى الى زيادة ثروة المماليك لان هؤلاء كانوا يحكمون مصر والشام . على ان التجار كانوا يفضلون ان ينقلوا بضائعهم فى الاراضى المصرية لان المنطقة الممتدة من البصرة الى حلب كانت غير مأمونة .

تدهور حكم المماليك

ولكن هذا الازدهار التجارى لم يدم . فلقد استطاع البرتغاليون أن يدوروا حول القارة الافريقية وان يكتشفوا طريق راس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٨ . وتحولت التجارة عن مصر وحاول سلطانها الغورى ان يقضى على الاسطول البرتغالى ولكنه لم ينجح . ثم كان تكريس هذه الهزيمة نهائيا فى انتصار السلطان سليم على جيش المماليك فى مرج دابق عام ١٥١٧ . وبه تنتهى دولتا المماليك : البحرية ، والجراكسة التى خلفت الاولى عام ١٣٨٢ .

والواقع ان الحكم المملوكى كان يتدهور ، فلقد فقد حكمة قيامه ، وقل معينه من الرجال واختلت نظمه . واذا كانت الحياة المدنية المصرية والاوضاع الاسلامية قد سترت فترة من الزمان عيوبه ، الا ان توالى الازمات المالية الحادة وغلبة الطابع

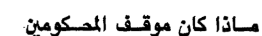
(٢٤) د. زكريا احمد نصر ، جدل فى الفكر الاشتراكى حول نظام الانتاج الاسيوى ، مصر المعاصرة ، يناير ١٩٦٧ .
مكسيم رودنسون ، معركة نظرية حول اسلوب الانتاج الاسيوى . الهلال يوليه ٦٦ ص ٤٤ .
(٢٥) سيرة القاهرة ، الباب الثامن .
(٢٦) د. سعاد ماهر ، القاهرة القديمة واحياؤها ص ٦٧

العسكرى على المناصب العامة جعل هذا الحكم ينخر فى عظام البلاد . واذا اردنا ان نرجع انهيار هذا الحكم الى سبب رئيسى فانه الانفصال الحاسم بين الحاكم والمحكومين — بكل مايترتب على ذلك من آثار رهيبة كانت تنجم عن «اقصاء ابناء الريف المصرى، وهم بعد غالبية اهل البلاد الاصليين عن الطبقة الحاكمة ، التى كان يستحيل عليهم الارتقاء اليها فى حياة البلاد العامة(٢٧). ان عزلة المماليك كطبقة حاكمة عن الشعب منعت عنهم اسباب النمو والتطور. فهذا وصف المقريزى لهم : «صارت المماليك السلطانية ارذل الناس وادناهم واخسهم تدرا واشحهم نفسا واجهلهم بأمر الدنيا واكثرهم اعراضا عن الدين»(٢٨). ويقول عنهم ابن اياس : « وقد صارت المماليك الجراكسة فى غاية الذل من الفقر والعرى ومنهم من سأل الناس فى رغيف يقتات به» ومنهم من يطوف فى الاسواق يسأل التجار والسوقة فى درهم يشترى به كبشة فول يأكلها . فسبحان من يعز ويذل .. » (٢٩)

وحين نتأمل سطوة هؤلاء المماليك فى ايامهم الاولى ، والانتصارات العظيمة التى حققوها ، والتضحيات الباهظة التى قدمها الشعب المصرى لتمويل الحروب ضد المغول والصليبيين ، نــدرك الى اى حد ضيع هؤلاء الحكام قرونا ثمينة على البلاد . ويكفى ان نقارن آثار الهزيمة فى شعوب الغرب ، ونتائج الانتصار فى بلادنا لنعرف اى خسارة لحقت ببلادنا . حين قبض السلطان سليم على الامير كرتباى الجركسى ، اراد ان يجادله ليعرف مدى ماعليه من عقل ، وماسبب الهزيمة. فأجاب الامير بأن الشجاعة لاتنقصه وزملاؤه ، ولكن عسكر سليم يستعملون « الحيلة التى تحيلت بها الافرنج .. وهى هذه البندق .. ولكن نحن قوم لانترك سنة نبينا محمد ، وهى الجهاد فى سبيل الله بالسيف .. » (٣٠) .

هكذا كان يبرر التخلف فى استغلال آثم للدين واعلاء بشع للجهل . ويجنى الشعب ثمار ذلك كله .

اما مصر العثمانية فقد ازداد تدهور جهاز الحكم فيها ، حتى وصل الامر الى ان ايرادات الدولة كانت تصل اليها عن طريق تأييد احد زعماء المماليك لاغتصاب السلطة ، فيرتحلوا للباب العالى اكبر قدر من الحلوان مقابل الاســـتيلاء على املاك منافسيهم .



مـاذا كان موقـف المحـكومين في مصر ازاء الطبقة الحاكمة ؟

لقد راينا الانفصال الحاسم بين الطرفين وابعاد المصريين عن مجال السلطة ، ووصل الانفصال الى درجة ادت ببعض الدارسين الى القول بأن المصريين ظلوا طوال عصر المماليك لايعنيهم شىء من امر الاحداث الكبرى الداخلية والخارجية التى التى احاطت بمجتمعهم» (٣١) .

هنا لجأ المـــصريون الى « باطنهم » — الى التصوف ، فلقد اشتد هذا التاريخ ، واصبح خطير الاثر فى حياة المصريين فى عصر المماليك . فمن ناحية كان شعور الاسى والمرارة الذى عم العالم الاسلامى كله بسبب انتصارات المغول والصليبيين . ومن ناحية اخرى فان الذى « ضاعف من كمد المصريين فى هذا القرن احساسهم بالخضوع لنوع جديد من الحكام هم المماليك . ومهما يقال فى المماليك واعتناقهم الاسلام وجهودهم فى سبيل حمــاية الوطن الاسلامى من الاخطار التى المت به ، فان الحقيقة المرة التى كان يصعب على المصريين ان يتناسوها فى سهولة هى ان المماليك اغراب عن البلاد واهلها وانهم جميعا كانوا رقيقا فى يوم ما وانهم حكموا مصر واهلها بوصفهم ارستقراطية متعالية فصلتها فجوة واسعة عن اهل البلاد وانهم استحوذوا على ارض البلاد وثرواتها .. » (٣٢) . وهكذا اصبح السواد الاعظم من الشعب المصرى «غارقا الى آذانه» فى هذا التيار الجارف (٣٣) .

والواقع ان المصريين وقد فقدوا السلطة فى العالم الخارجى ، فى الحيــاة الاجتمــاعية — عوضوا ما فقدوه بممارسة السلطة على قواهم الباطنة . ويكشف لنا التصنيف الذى يورده الجبرتى فى مقدمة تاريخه عن مفهوم الحيــاة

(٢٧) وحيدة ، ص ١١٢ .

(٢٨) دراسات ، ص ٣٨ .

(٢٩) وحيدة ، ص ٦٠ .

(٣٠) طرخان ، ص ٢٠١ .

(٣١) المماليك البحرية ، ص ١٥٧ .

(٣٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور ، السيد احمد البدوى ، ص ٣٤و٣٦ .

(٣٣) د. عبد اللطيف حمزة ، الحركة الفـــكرية فى مصر فى العصرين الايوبى والمملوكى الاول ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٢ .



السياسية عموما لدى العلماء المصريين فى عصره [•].

ان العدالة لدى الجبرتى — اى السلطة ، « تابعة للعلم باوساط الامور المعبر عنها فى الشريعة بالصراط المستقيم » ولهذا كان ترتيب « اصناف العدل من الخلائق خمسة — رفع الله بعضهم فوق بعض درجات » . واساس الترتيب هو العلم [•] فالصنف الاول الانبياء [•] . والثانى العلماء . والثالث الملوك وولاة الامور . والرابع اوساط الناس . اما الصنف الخامس فهم القائمون بسياسة نفوسهم وتعديل قواهم ، وضبط جوارحهم وانخراطهم فى سلك العدول . لان كل فرد من افراد الانسان مسئول عن رعاية رعيته التى هى جوارحه وقواه كما ورد « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » [٣٤] .

ولكن الحياة الصوفية لم تكن فردية ، بل انتظمت الجماهير فى الطرق المتعددة ، وصار لكل منها تنظيمها الرئاسى . واندفعت الجماهير فى هذه التنظيمات ترتبط فيها بعلاقات اجتماعية متينة تعوضها عن العزلة التى القيت اليها فيما يتعلق بشئون البلاد العامة . وفى نفس الوقت ساهمت « الطوائف الحرفية » فى القيام بنفس المهمة . وشهدت احياء القاهرة حركات شعبية عديدة فى القرن الثامن عشر ، « كان كل حى من هذه الاحياء يكتسب خاصيته المميزة له من ذلك الرباط القائم بين المنظمات الحرفية [الطوائف] والمنظمات الدينية [الطرق الصوفية] ذلك الرباط الذى كان يتضح وقت الازمات بطريقة فريدة » فطائفة الجزارين بحى الحسينية ارتبطت بالطريقة البيومية ، وتجار الفاكهة والحبوب فى باب الشعرية ارتبطوا بالطريقة الشعراوية . كما ان تجار الخضر فى الحى الجنوبى — من القلعة الى الخليج — ارتبطوا بالطريقة الرفاعية [٣٥] . ومن خلال هذه التحالفات كانت الهبات فى القرن الثامن عشر .

وثمة مجالا آخر استطاع المصريون فيه ان يحددوا موقفهم فى حرية نحو جهاز السلطة القائم — نعنى بذلك الادب . وما دمنا نعرض لموقف المحكومين فمن الطبيعى ان يكون مجال الاهتمام هو الادب المعبر عن الطبقات المقهورة . ويواجهنا فى هذا المجال الادب المكتوب باللغة العامية — « الذى يعبر عن ادق خلجات النفس التى تأثرت بالخبرات والتى ساعدتها لغة طبيعة هى اللغة العامية لترسم صورة المجتمع الذى تحيا فيه . وهذا ما نراه فى اللغة العامية فى مصر زمن المماليك الذى جاء ادبها العامى تنفيسا وتصويرا للحياة المصرية الاجتماعية والثقافية والسياسية » ولقد انتشر هذا الادب ايام المماليك وجاء نتيجة الانفصال الاجتماعى ... وكأن الضيق بالحاكمين هو الذى ادى الى ذيوع هذا الادب ، فنحن نرى ان من اهم اغراض الادب العامى فى العصر المملوكى التنفيس عن المظالم التى عاناها الشعب . وقد يكون فيه حنين الى حاكم من جلدتهم لم يمسه الرق ، فبثوا زفراتهم فى ادبهم واصبح هذا الادب بمثابة مقاومة شعبية لظلم هؤلاء الغرباء . ومن ثم ظهر التحامق فى الشعر المصرى المملوكى . واذا كان التحامق يبدو لاول وهلة وسيلة للاضحاك ، الا ان فيه تلميحا وتصويرا للحياة وسلوك المجتمع ، فاذا كانت المصائب قد دفعت بالبعض الى التصوف فان الطبيعة المصرية لا تترك الفكاهة والمجون وقت الضيق الشديد . وهكذا نشأ الادب العامى « ليسد حاجة جميع الطبقات التى يقصر الادب الرسمى دونها ، ومن ثم سهل على القطاع الاجتماعى الكبير ان ينفس عن نفسه ، ويصور حياته ويبرز شخصيته ويستكمل استعرابه من الناحية النفسية ويقاوم بنى الحاكمين » .

وهذا مثل من شعر ابى الحسين الجزار [١٢٠٤ — ١٢٨٠ م] يكشف فيه عن التفاوت الطبقى فى المجتمع مقارنا بين ما يلبسه هو ، وما تكتسى به الطبقة الحاكمة :

اتلقى الشتاء بجلدى وغيرى
يتلقاه بالفرا السنجاب

وأود المشاق [٣٦] والقطن والصو
ف وغيرى لم يرض بالعتابى [٣٧]

جبتى فى الامطار جلدى ولبا
سى ثوبى وبغلتى قبقابى

ونهار الشتاء اطول عندى
من نهار الصوم فى شهر آب

---

(٣٤) عجائب الاثار ، الجزء الاول ، المقدمة .

(٣٥) اندريه ريمون ، احياء القاهرة الشعبية فى القرن الثامن عشر والحركات الجماهيرية التى قامت فيها : الطليعة ، يوليو ١٩٦٨ : ص ٤٦ .

(٣٦) الثوب البالى .

(٣٧) نوع من الثياب الرقيقة .

لو يراني عند الفدوي عدوي
لرثى لي ورق ممـــا يرى بي
اذ يرى ســائر المفاصل مني
راقصـات اذ صفقت انيابي [٣٨]

ويختلف الادب العامي عن الادب الشعبي في ان هذا الاخير يعتمد على المشافهة اكثر منه على التدوين . ومن ناحية اخرى فان هناك فارقـا بين القصص الشعبي والتاريخ – فالاول ينشد ما يجب ان يكون والثاني يفتش عمـا كان . فالسيرة الشعبية تعبير عن وجدان الجماعة ، فهي صورة الشعب التي تحكي ملامحه وقسماته. وتبرز في هذا المجال قصة الظاهر بيبرس لتمثل امل الشعب في منقذه او « المخلص الذي ينتظره الناس بصبر نافذ فيرفع عن كواهلهم الظلم ... ويوزع الامر بينهم بالقسط » ومن هنا كانت وظيفة الملحمة – فهذا الفن ينشأ « صيحة من الشعب والظلم » فيها يفر « الشعب من حاضره البغيض » ويرسم « منقذه من الطغيان » [٣٩].

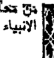
صحوة الشعب

ولكن الشعب المصري كان يشق طريقه تدريجيا ، وببطء – ولكن في ثبات . واخذ يختزن في اعماقه دروسا تاريخية ، واكتشف في النهاية ان منقذه من الظلم لن يكون بطلا اسطوريا يأتيه من خارجه ، بل انه هو نفسه – الشعب الذي يستطيع وحده ان يطرح الحكام الذين لا يرضى عنهم ، وهو وحده مصدر الشرعية ، والتبرير الحقيقي المقبول للسلطة ، الذي في يده ان يلغي الانفصال بين الحاكم والمحكومين .

واول هذه الدروس الاعتزاز الكامل بارض مصر . اننا حين نتابع المؤرخين الذين كتبوا قصة شعبنا منذ عصر المماليك – نجد الحب العميق، بل العشق المتيم لهذه الارض ، ولشعبها ،ونيلها وزرعها وثمرها . وتضيق الصفحات لو اردنا ان نعرض امثلة لما احاطوا به بلدنا من عبـارات المدح واساطير الاعزاز .. منذ المقريزي نقرأ انه « لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا شرقها وغربها وسهلها وجبلها وانهارها وبحارها ... فلما راى مصر وارضها ذات نهر جار ، ومادته من الجنة ، تنحدر فيه البركة .. وراى جبلا من جبالها مكسوا بالنور ... دعا آدم عليه السلام للنيل بالبركة ودعا لارضها بالرحمة .. فقال ايها الجبل الرحوم سفحك جنة ، وتربتك مسـك » .. اما الاسحاقي فنحن نقـرأ في الصفحات الاخيرة من كتابه عن رحلة اسطورية الى منـابع النيل ، منها نعـلم ان ماءه ينزل من الجنة . ثم يقول « ولولا دخوله [اى النيل] في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع احـد شربه لشدة حلاوته [٤٠] » .

وعلى ضفاف هذا النيل اكتملت اروع وحدة وطنية . حين جاء علماء الحملة الفرنسية مـع نابليون الى مصر وسجلوا مظـاهر الحيـاة المختلفة فيها ، قرروا انهم وجدوا في هـذا البلد صورة للوحدة والتوافق – نادرة تماما في هذه الاماكن التي يثقلها الظلم والاستبداد [٤١] وكانت هذه الشهادة هي حصيلة التاريخ المصري بعـد قرون طويلة من الحـكم المتعسف الرهيب . والسبب الرئيسي في هذا النجاح هو هـذه الارض الطيبة التي احبها ابناؤها الحب كله . والحقيقة انه في اشد الاوقات ظلاما لم تنقطع من كنائس مصر صلاة وضعت خصيصا من اجل الارض والنيل والزرع والثمر – فيهـا حديث شعري كله اوصاف خلابة حلوة .. فالارض عروس تريد ان تفرح بمجيء عريسها – النيل السعيد . وهي تتزين له اجمل زينة اثناء الحرث والاعداد كي يأتي ويلبسها تاجا جميلا اخضر تسعد به من اول السنة حتى يتحول في النهاية ثمرا وليـدا مباركا . وتمتليء كتب المؤرخين المصريين تقديرا لشعب مصر كله – لجميع من عاش على هذه الارض واحبها . فهذا الامام الشرقاوي يورد من الاثار ما يشيد بفضل قبط مصر « اكرم الاعاجم كلهم واسمحهم يدا وافضلهم عنصرا » ، والسيد محمد ابى السرور البكري الصديقي يكتب عن مصر واهل مصر ومحاسنهم وفضائلهم . ويورد في السبب الاربعين مما اختصت به مصر والقاهرة

(٣٨) احمد صادق الجمـال ، الادب العامي في مصر في العصر المملوكي ،ص ٧٢ و٨٢ و٩٢ و١٩٦ .
وانظر ايضـا بخصـوص النكتة الشعبية د. نظير حسان سعداوي، صور ومظالم من عصر المماليك ، ص ١١٩ .
(٣٩) د. عبد الحميد يونس ، الظاهر بيبرس في القصص الشـعبي ، ص ١٩ و ١١٦ .
(٤٠) المقريزي ، الخطط ج١ ص كتاب طبعة التحرير ص ٤٧ .
كتاب لطائف اخبـار الاول فيمن تصرف في مصر من ارباب الـدول تاليف العبد الفقير الى عفو ربه الكريم الباقي محمد عبد المعطي بن ابى الفتح بن احمد بن عبد المغني بن علي الاسحاقي، ص٥ .وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين تاليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوي ص ١٤ . بخصوص مؤرخي مصر . انظـر د. عبـد اللطيف حمزة ، الادب المصري من قيـام الدولة الايوبية الى مجيء الحملة الفرنسـية ،ص ٢٨٦ .
(٤١) وصف مصر ، المجلد ١٨ ،الدولة الحديثة ، ص ١٦ .



من محاسن وفضائل ـ ان تبطا مصر من « ذرمة الانبياء [٤٢] » .

هبة من بلبيس

هذا هو الشعب الذي بدأت حركته في القرن الثامن عشر تسرع وتعمق وتشتد . فمن قبل ان يهبط نابليون ارض مصر ، ومن قبل ان تثور القاهرة ضد احتلاله ـ كانت الهبات الشعبية تتوالى . ليس من المدن فحسب ولكن من الريف ايضا . وهذه هي رواية الجبرتي عن احدى هذه الحركات الشعبية التي نبعت من الريف ، واستمرت في القاهرة [٤٣] .

« [وفي شهر ذي الحجة] [سنة تسع ومائتين والف ـ ١٧٩٥ م] وقع به من الحوادث ان الشيخ الشرقاوي له حصة في قرية بشرقية بلبيس حضر اليه اهلها وشكوا من محمد بك الالفي وذكروا ان اتباعه حضروا اليهم وظلموهم وطلبوا منهم ما لا قدرة لهم عليه واستغاثوا بالشيخ فاغتاظ . وحضر الى الازهر وجمع المشايخ وقفلوا ابواب الجامع ، وذلك بعد ما خاطب مراد بك وابراهيم بك فلم يبديا شيئا » . وفي ثاني يوم « امروا الناس بغلق الاسواق والحوانيت . واجتمع عليهم خلق كثير من العامة وتبعوهم . وهكذا اضطر ابراهيم ومراد تحت ضغط التجمع الشعبي ان يتفاوض مع المشايخ . ثم اجتمع الامراء والمشايخ واتفق الجميع على ان المماليك « تابوا ورجعوا والتزموا بما شرطه العلماء ، وان يبطلوا المظالم . وان يكفوا اتباعهم عن امتداد ايديهم الى اموال الناس .. ويسيروا في الناس سيرة حسنة » وسجل هذا الاتفاق في وثيقة مكتوبة ، ذلك ان القاضي كان حاضرا بالمجلس « فكتب حجة عليهم بذلك وفرمن عليها الباشا وختم عليها ابراهيم بك وارسلها الى مراد بك فختم عليها ايضا » .

وكان هذا هو كل مكسب الشعب : وثيقة مكتوبة لا يضمن تنفيذ ما جاء فيها الا توقيع من صدرت عنهم . فلم تكن الى جوارها مؤسسة تضمن تنفيذها وتجبر من صدرت عنهم على احترامها . ويسجل الجبرتي النتيجة الحتمية للحكم المنفصل عن الشعب ، فيقول انه بعد توقيع الاتفاق السابق « فرح الناس وظنوا صحته ، وفتحت الاسواق وسكن الحال على ذلك نحو شهر . ثم عاد كل ما كان مما ذكر وزيادة . ونزل عقب ذلك مراد بك الى دمياط وضرب عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك » .

عزل الوالي

ولكن الحركة تستمر ، وبعد انجلاء الفرنسيين عن ارض مصر نبصر حركة شعبية [٤٤] ، تقتحم جهاز السلطة ولا تكتفي بالعهود والمواثيق، ولكن تفرض ارادتها في شأن الحاكم الذي كان قد استخدم فرقا من الجند لمواصلة قهر الشعب ، الذي ثارت جموعه ضدهم ، وجاء الى الجامع الازهر يشكون ويستغيثون . « فاجتمع المشايخ [في شهر صفر ١٢٢٠ هـ ـ ١٨٠٥] ... يوم الخميس بالازهر وتركوا قراءة الدرس . وخرجت سرية من الاولاد الصغار يصرخون بالاسواق ، ويأمرون الناس بغلق الحوانيت . وحصل بالبلد ضجة . ووصل الخبر الى الباشا بذلك فأرسل كتخداه الى الازهر فلم يجد به احدا فلما لم ير احدا ذهب الى بيت الشيخ الشرقاوي وحضر هناك السيد عمر افندي فكلموه واوهموه . ثم قام [الباشا] وانصرف ، وفي حالة خروجه رجمه الاولاد بالحجارة وسبوه وشتموه . وبقى الامر على السكوت الى يوم الجمعة عاشره . والمشايخ تاركون الحضور الى الازهر وغالب الاسواق والدكاكين مغلوقة ... فحضر الاغا الى نواحي الازهر ونادى بالامان وفتح الدكاكين في العصر . فقال الناس واي شيء حصل من الامان وهو يريد سلب الفقراء ويأخذ اجر مساكنهم ويعمل عليهم غرامات . وباتوا في هرج ومرج .. فلما اصبح يوم الاحد ثاني عشرة ، ركب المشايخ الى بيت القاضي واجتمع به الكثيرون من المتعممين والعامة والاطفال ... وصرخوا بقولهم : شرع الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم . ومن الاولاد من يقول : يالطيف . ومنهم من يقول : يا رب يا متجلي أهلك العثملي ، ومنهم من يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . وغير ذلك . وطلبوا من القاضي ان يرسل باحضار المتكلمين في الدولة لمجلس الشرع ـ فحضر الجميع واتفقوا على كتابة عرضحال بالمطلوبات ففعلوا ذلك . وذكروا فيه تعدى طوائف العسكر والايذاء منهم للناس واخراجهم من مساكنهم والمظالم ... ومصادرة الناس بالدعاوى الكاذبة وغير ذلك . واخذوه « العرضحال ووعدوه بالجواب ثاني يوم » .

---

(٤٢) الكواكب السائرة في اخبار مصر والقاهرة : مخطوط بدار الكتب ، ص١٦٩ .
(٤٣) عجائب الآثار ، ٢ ، ص ٢٥٨ .
(٤٤) الجبرتي ، عجائب الاثار ، ٣ ، ص ٣٢٦ وما بعدها .

وتواصل الحركة الشعبية فى القاهرة مسيرتها ، ويتم خلع الوالى الذى اعترض على ذلك ، مستندا الى السند التقليدى للسلطة ، وقال : « انى مولى من طرف السلطان فلا اعزل بامر الفلاحين ولا انزل من القلعة الا بامر السلطنة » .

ولكن الفلاحين يجبرونه على النزول . فقد ارسل القاضى اليه يقول ان نحو الاربعين الف نفس حضروا بالمحكمة طالبين نزوله او محاربته .

هكذا استيقظ الشعب . لقد حمل الكل سلاحه ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات ويسرحون احزابا وطوائف ومعهم المشاعل . واتفقوا على محاصرة القلعة . ودارت مناقشة بين مندوب الوالى والسيد عمر مكرم . « ومن جملة ما قال — كيف تعزلون من ولاه السلطان عليكم . وقد قال الله تعالى : اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولى الامر منكم . فقال له : اولو الامر العلماء وحملة الشريعة والسلطان العادل . وهذا [الوالى] رجل ظالم . وجرت العادة من قديم الزمان ان اهل البلد يعزلون الولاة . وهذا شىء من زمان حتى الخليفة والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه ويخلعونه » .

بهذا المفهوم النظرى للثورة والسلطة ، واصلت الجماهير حركتها . فى اصرار واستعداد . « والامر مستمر من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل واتخاذهم الاسلحة والنبابيت . حتى ان الفقير من العامة كان يبيع ملبوسه او يستدين ويشترى به سلاحا ... واتفق الحال على [مواصلة] المحاصرة [للقلعة] ... وجمعوا الفعلة والعربجية ... واصعدوا ورافع ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز وروارا الماء تطلع وتنزل كل يوم مرتين . وطلع اليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى ... » وكان بعض من جند محمد على يشتركون فى الحصار . ذهبوا اليه يطلبون علائفهم . ولكنه امتنع ، حينئذ « تركوا المتاريس التى حول القلعة فتفرقوا وذهبوا » ولكن جماهير القاهرة سدت النقص ، « فذهب جماعة من الرعية وتترسوا فى مواضعهم » ورفع الانسان المصرى رأسه « وامر عمر افندى بالمناداة . فمر المنادى يقول حسبما رسم السيد عمر افندى والعلماء لجميع الرعايا بأن يأخذوا حذرهم واسلحتهم ويحترسوا فى اماكنهم واخطاطهم ، واذا تعرض لهم عسكرى بأذية قابلوه بمثلها والا فلا يتعرضوا له » .

واستمر تبادل الرمى بين من فى القلعة ومن يحاصرونها . وفرض الشعب رأيه وعزل الوالى . وكان من الممكن ان تؤتى الحركة الشعبية ثمارا اكثر . ولكن بعض قادتها لم يكن لهم النفس الطويل للاستمرار . وامتلأت نفوس الجماهير بالمرارة .

« فى يوم الخميس ١٢ ربيع الثانى سنة ١٢٢٠ « اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ الامير وغالب المتعممين وقالوا ايش هذا الحال وما تداخلنا فى هذا الامر والفتن . واتفقوا انهم يتباعدون عن الفتنة وينادون بالامان وان الناس يفتحون حوانيتهم ويجلسون بها ، وكذلك يفتحون ابواب الجامع الازهر ويتقيدون بقراءة الدروس وحضور الطلبة . وركبوا الى محمد على وقال له : انت صرت حاكم البلدة . والرعية ليس لهم مشارشة فى عزل الباشا ونزوله من القلعة . وقد اتاك الامر فنفذه كيف شئت . واخبروه برأيهم . فأجابهم الى ذلك » .

لقد كانت فرصة العمر لسر شمشمة محمد على ، الذى كان يضع الخطط لتصفية جميع القوى من حوله ليخلو له الميدان .

« وركب الاغا وصحبته بعض المتعممين ونادوا فى المدينة بالامن والامان والبيع والشراء . وان الناس يتركون حمل الاسلحة بالنهار . واذا دخل الليل حملوا الاسلحة وسهروا فى اخطاطهم على العادة وتحفظوا على اماكنهم . فلما سمع الناس ذلك انكروه وقالوا : ايش هذا الكلام . حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار ، وغفراء بالليل . والله لا نترك حمل اسلحتنا ولا نمتثل لهذا الكلام ولا هذه المناداة . ومر الاغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم واخذ سلاحهم . فازدادوا قهرا . وباتوا على ذلك واجتمعوا عند السيد عمر النقيب واجعوه فى ذلك . فاعتذر . واخبر بان هذا الامر على غير مراده .... وفى يوم السبت فتح الناس بعض الحوانيت ونزل المشايخ الى الجامع الازهر وقرأوا بعض الدروس . ففترت همم الناس ورموا الاسلحة .... وشنع عليهم العسكر وشرعوا فى اذيتهم وتعرضوا لقتلهم واضرارهم ... »

لقد استيقظت الجماهير فى القاهرة ، وفى كل ارض مصر . واذا كانت لم تصل الى هدفها هذه المرة فليس من شك فى انها وضعت اقدامها على الطريق الصحيح ، بل تقدمت . فهذه الحركة الشعبية اكثر تقدما مما حدث اثناء هبة فلاحى الشرقية حين اكتفوا بأخذ تعهد على الامراء .... وطبعا حدث تغير ضخم فى التفكير الشعبى تجاوز كل مخلفات قرون الحكم المملوكى والعثمانى ... فقد اختبر الشعب عمليا كيف يمكن ان يكون سند الشرعية ، ومصدر السلطة ، وسقطت من امام عينيه اسطورة الانفصال بين الحكام والمحكومين .

وسيمضى شعب مصر فى مسيرته — ينحت طريقه الطويل الشاق فى الصخر — تدريجيا ، وفى ثبات . وتقف القاهرة فى المرحلة الالفية الاخيرة من تاريخها « الالوفى » البعيد — رمزا لهذه الحركة المتواصلة ، ومسرحا لاهم احداثها .



القاهرة الحديثة وعلامات على الطريق

أحمد على بدوى

خطان

تاريخيان تأرجح بينهما حكام مصر منذ الفتح العربى حتى عهد **محمد على** يلتقيان فى شخصه ،فقد كان العامل المخلص لامبراطورية وكلته عنها لحكم مصر ، والحاكم المستقل على هيئة شبه مملوكية . والواقع ان محمد على لم يكن يعتقد ان استقلاله بمصر يغضب عليه الدولة العثمانية . الم تقطع بعض ولاياتها الصغيرة لحكام اكفاء من من قبل ؟ فاذا ماانطفأت آماله سنة ١٨٤٠ فى ان يرتقى من منصب حاكم الولاية الى منصب آخر ذى نفوذ فى قلب العاصمة المركزية للدولة التى ارسلته ، او ان يجد لها عاصمة مركزية اخرى، عاد الى مصر المستقلة بنظمه وافكاره الاصلاحية.

وبمجىء محمد على تنتهى اوضاع الاقتصاد المملوكى القائم على التجارة والاقطاع ، والتى كانت تؤدى حتما الى تباعد او « استقلال » اطراف مصر بعضها عن بعض . ويبدا نوع من التخطيط الزراعى رآه البعض قريبا من اشتراكية السانسيمونيه . لقد قام محمد على بضبط رى الاراضى ، ووزع الايدى العاملة فيها ، وارغم من لامورد لهم على العمل فى الارض ، وحاول الملاءمة بين حاصلات الارض وحاجات الاستهلاك المحلى والتصدير . ثم منع الفلاحين من التصرف فى حاصلاتهم ، فعين لهم الانواع التى ارادها واخذها منهم بالسعر الذى كان يقدره ، وقام بتوزيعها فى الداخل والخارج . ولكن هذا النظام قد وجد له شبيها كذلك فى نظام الاحتكارات الذى اتبعته

الامبراطورية العثمانية . ووجد متعينا له فى مبادىء الاقتصاد الاسلامى .

وكانت الاتجاهات الاصلاحية عند محمد على وليدة الحاجة بعد ان اضطرب اقتصاد البلاد تحت وقع الاحتلال العثمانى وحكم المماليك خاصة على عهد مراد وابراهيم معا . فاضطر ان يصنع ويزرع ويتجر ، وكان هذا الجانب الاقتصادى ركنا فى نهضته المقترحة ، اذ نستطيع ان نتلمس عنده مبادىء فكر دولى وسياسة خارجية ذات وجهين: اولهما الحفاظ على استقلال مصر، وثانيهما المنافسة الاستعمارية . ثم سياسة داخلية مهد لها من الناحية المعنوية باضعاف نفوذ المشايخ والعلماء ، وهو الامر الذى اضعف الثقافة الرسمية ، ثم مضى يصفى المماليك بكل ماكانوا يمثلونه اذ ذاك من مجموعات عسكرية متكتلة ومن ذوق فنى خاص . ومن هنا اصبحت الثقافة التقدمية على عهده وليدة نظامه، ولم تكن محركة له . لانه كما اقام القنوات والقناطر والطرق والمواصلات وانشأ المصانع والبيوتات التجارية ، وبنى الجيش الحديث ، فقد انشأ ايضا المدارس العسكرية والفنية والطبية .وكانت

السان سيمونيه

مدرسة فلسفية تنتسب الى الكاتب الفرنسى كلود هنرى دى سان سيمون (١٧٦٠ - ١٨٢٥) المعاصر للثورة الفرنسية ،تنادى باحلال المجتمع الصناعى محل المجتمع الاقطاعى القديم ، وان يسلم المجتمع مقاليد قيسادته السياسية الى رواد الصناعة فيه بدلا من زعماء الاقطاع ، وان تحل مجموعتين الفلاسفة والعلماء محل رجال الدين فى دورهم الروحى القيادى . ولاتقوم الاشتراكية السان سيمونية - كما ستجد عند ماركس فيما بعد - على افتراض نظرى لوجود صراع بين الطبقات، او عداوة اصيلة بين العمل ورأس المال ، وانما على اساس اخلاقى يستلهم المسيحية الاولى فى انقى مبادئها كالعطف على المحتاج ومحاولة اسعاده كما يقول سان سيمون فى كتابه ((المسيحية الجديدة)) وهو اخر ماكتب فى سنة ١٨٢٥ .

ولا تختلف فكرة القانون الاجتماعى عند سان سيمون منها عند ماركس . فسان سيمون يعتقد - كهيجل - ان كل تقدم تكنولوجى يحمل معه افاقه العقلية والاخلاقية الخاصة به ، وهى فكرة نص عليها ماركس ، بينما يشترك المفكرون الثلاثة فى رفضهم تصور حقائق خالدة عن الافراد والمجتمعات تصدق فى كل زمان ومكان بغض النظر عن كافة الملابسات .

العلوم تدرس فيها جميعا باللغة العربية ، وتنظم البعثات العلمية الى اوربا ، واصدر صحيفة الوقائع المصرية التى عهد بتحريرها الى رفاعة رافع الطهطاوى اول اعضاء تلك البعثات ، وقد اهتم **الطهطاوى** بتشجيع من محمد على ، بترجمة الكتب من الفرنسية الى العربية وبنشر المخطوطات العربية القديمة . ولذلك اعتبر المؤرخون عهد محمد على عهدا سبق فيه الحاكم المفكر . ثم كان عهد **اسماعيل** تمثلا ثانيا لتلك الظاهرة ، فتدسبق اسماعيل مفكريه الى تبنى مبادىء الحكم النيابى والمسئولية الوزارية ، فى الوقت الذى كان الشرق اثناءه يموج بأفكار احمد فارس الشدياق . وكان الشدياق اذ ذاك يمثل الجبهة المحافظة والمضادة للطهطاوى ، تلك الجبهة التى ظلت تثمر ثمارها حتى اوائل القرن العشرين فى كتابات عبد العزيز جاويش وغيره .

فالطهطاوى ، مبعوث محمد على الى اوربا ، يطالب فى كتاب ((**تخليص الابريز**)) الذى امر محمد على بتدريسه بالنظام الجمهورى كما تمخضت عنه تعاليم الثورة الفرنسية ، ثم يطالب على عهد اسماعيل بالملكية المقيدة كما نجحت فى انجلترا . واذا كان كتاب ((مناهج الالباب)) الذى نادى فيه بذلك محيرا لانه يتضمن تطورا لارائه فى اتجاه النكوص من الليبرالية المطلقة الى الاعتدال السياسى متمثلا فى الملكية المقيدة ، فان ذلك يرجع تاريخيا الى اختلاف المثل السياسية عند اسماعيل عنها عند محمد على ، فقد كان اسماعيل يصبو الى ان ينصب نفسه ملكا متوجا على مصر ، كان المثل السياسى عند محمد على ان تجسد الارادة الشعبية فى شخصه ، وكان هدف اسماعيل ان تجسد الدولة المصرية المستقلة فى شخصه ايضا . على ان كلا الحاكمين كان سابقا للحركة الفكرية على عهده . ومن محمد على الى اسماعيل ايضا واصل على مبارك تطبيق سياسته التربوية . فأسس دار الكتب المصرية واهتم بانشاء المدارس . ويقول على مبارك عن اسماعيل فى كتابه الكبير الخطط التوفيقية الذى درس فيه القاهرة بالتفصيل :

((وكان الخديوى اسماعيل يود تنظيم مابقى من القاهرة على اسلوب تنظيم الاسماعيلية، وصدرت اوامره لديوان الاشغال بذلك ، وعملت رسومات طبق رغبته ، فكان من اغراضه جعل سراى عابدين مركزا يتفرع منه عدة شوارع منها ماتم وامتد الى الاسماعيلية والى الازبكية ومنها مالم يتم كشارع يمتد من عابدين ويمر تجاه جامع الشيخ صالح ..))

وبين عهدى محمد على واسماعيل خيم على القاهرة ظلام **حكم عباس الاول وسعيد** ، فقد هدم عباس الاسطول ، واغلق المدارس، وقصر ((الوقائع المصرية)) على نشر الاخبار الرسمية دون التعليقات



السياسية كما تصر توزيعها على اصحاب رتب معينة بعد ان اكتشف انها توزع على « جماعة امية وسفلة ، مثل حسن اغا وكيل الخراج وفيض الله اغا الطاهي وموسى اليهودى الالاتى . »

على ان بعض المؤرخين الفرنسيين قد دافع عن عباس الاول ، وقال انه كان يفكر فى تكوين امبراطورية عربية عاصمتها القاهرة ، وانه عقد احلافا سرية مع رؤساء القبائل العربية فى الحجاز . وقد أمر ببناء قصر له فى صحراء السويس ، وآخرفى العقبة ، حيث كان يستطيع استقبال الرؤساء العرب بعيدا عن اعين الرقباء، وان ينضج مشروعاته ويعد العدة لتنفيذها ، وبعون قبائل شبه الجزيرة كان يمكنه ان يملى احكامه لا على مصر فحسب بل على بلاد العرب ، وان يقطع على جيوش السلطان العثماني طريق سوريا ، بينما كانت تحصينات الاسكندرية تحميه من اى محاولة لهجوم بحرى يشنه عليه السلطان . على ان الاوروبيين المعاصرين لم يعرفوا شيئا عن هذا المشروع العريض ، كما لم يعرفوا شيئا عن علاقاته بمسلمى الهند الذين كان فى استطاعته اثارتهم ضد الانجليز كما حدث ذلك فيما بعد بوقت قصير .

ويقول نفس المؤرخ ـ وهو بريس دافن ـ ان عباس كان مصلحا اداريا نشطا اهتم بتحسين طرق المواصلات بين القاهرة والاسكندرية ، على عكس سعيد الذى اهمل مرافق البلاد وساءت حالة المواصلات على عهده وترك مصالح مصر الاقتصادية فى ايدى مجموعة من الاجانب منهم فردينان ديلسيبس الذى اقنعه بالبدء فى مشروع حفر قناة السويس وهو المشروع الذى لم يتم الا على عهد اسماعيل . وعلى عهد سعيد توقفت الوقائع المصرية عن الصدور بعد ان اهدى مطابع بولاق الى احد رجال خاصته ، وكان الطهطاوى قد عزل من رئاسة تحريرها منذ بداية عهد عباس .

ومن عباءة الطهطاوى خرج **محمد عبده** ، نزح الى القاهرة سنة ١٨٦٦ ليطلب العلم فى الأزهر والتقى فيها **بجمال الدين الافغانى** الذى اعلن انه قد جاء يدعو الى الاصلاح الدينى والفكرى فى القاهرة . وعلى عهد توفيق تولى محمد عبده ـ مثل الطهطاوى ـ رئاسة تحرير الوقائع المصرية ، واتهم بالاشتراك فى الثورة العرابية ونفى الى بيروت ، ثم تدخل السلطان عبد الحميد للعفو عنه فعاد الى القاهرة وتولى منصب مفتى الديار المصرية على عهد عباس الثانى . وقد وجد محمد عبده طريقه الى الاصلاح الاجتماعى من خلال الفكر الدينى ، فسار فيه وافتى بجواز خلع عباس ، حتى لقد سمى « بمارتن لوثر » الشرق لارائه التجديدية فى مجال الفقه والاجتهاد الاسلامى .

> **الراديكالية**
>
> يستعمل هذا الاصطلاح للاشارة الى اى معتقد سياسى يمس جذور تغيير اساسى فى النظام الاجتماعى السائد .
>
> والراديكالية تعبير نسبى يختلف مدلوله باختلاف الازمنة والانظمة الاجتماعية المتعاقبة . فكاتب كجان جاك روسو الذى نعتبره الان مفكرا ليبراليا كبيرا كان يمثل بالنسبة الى عصره فكرا راديكاليا ، اذ كان ينطلق فى ليبراليته من مبدأ للمساواة المطلقة غفلت عنه المذاهب الليبرالية السابقة عليه .
>
> ونسبية هذا المصطلح ومدى اختلاف مدلوله كنسبية تعبير الرجعية او المحافظة ومرونة تطبيقه على تفاوت الانظمة الحكومية فى الدول المختلفة .

ولئن كان محمد عبده قد اختلف مع العرابيين ، كما اختلف الافغانى الذى ظل حتى النهاية يقول انه جاء القاهرة « للاصلاح الفكرى لا للعمل السياسى » الا ان شقة الخلاف بينه وبين عرابى كانت اقل من اختلافه مع **مصطفى كامل** ، فقد كانت الحركة العرابية تنظيما عسكريا له اهداف سياسية من بينها الانتصار للشخصية المصرية على التغلغل العثمانى . وكان زعماؤها قد ناقشوا فكرة الطهطاوى فى تطبيق النظام الجمهورى ، واى النظامين اصلح لمصر نظام الجمهورية السويسرية ام نظام الولايات المتحدة الامريكية . وكانت الثورة العرابية العسكرية تخفى وراءها مطالب شعبية ، وتهدف مباشرة الى الاطاحة بعرش توفيق الذى هرب من القاهرة فخلعته الهيئة النيابية وادانته واقام بالاسكندرية الى ان عاونته جيوش انجلترا التى احتلت مصر ، على العودة الى العاصمة . هذا بينما اتجهت دعوة مصطفى كامل الى تذويب الشخصية المصرية فى اطار جامعة اسلامية قطبها الاستانة ، بكل ماتحمله هذه الفكرة من رواسب مجتمع قديم يقوم على الرق والحجاب . وكانت تلك الدعوة تتحرك فى اطار محلى اضيق ، هو الاحتماء بظل عباس الثانى [خليفة توفيق] الذى عاد الى اظهار ولائه للدولة العثمانية لان الاستقلال المنشود لم يعد استقلالا عن الدولة العثمانية مثلما كان على عهد محمد على ولكنه اصبح استقلالا عن بريطانيا التى استفادت من خيانة ابيه للحركة الوطنية ووضعت يدها على البلاد .

وقد ظل هذا الخلاف واضحا على صفحات مجلة المنار التى اصدرها رشيد رضا ، وكتب فيها

محمد عبده ? وعلى صفحات اللواء التي اصدرها ورلس تحريرها مصطفى كامل . ثم برز هذا الخلاف في هجوم محمد عبده الشديد على اقتراح مصطفى كامل ، الاحتفال بذكرى مرور مائة سنة على تولية محمد علي في سنة ١٩٠٥ . حتى جاء سعد زغلول سنة ١٩١٩ فانتصر لمحمد عبده على مصطفى كامل ، مثلما انتصر لفكره من قبل قاسم أمين في كتابيه تحرير المراة والمراة الجديدة . هما اذا جبهتان فكريتان متعارضتان ، احداهما تبدا بالطهطاوي ومحمد عبده وقاسم امين ، والاخرى بالشدياق وتنتهي بمصطفى كامل وعبد العزيز جاويش .

وبين الجبهتين وقف الشعراء المصريون : من ناحية محمود سامي البارودي رائد الشعر المصري الحديث يؤيد الثورة العرابية التي اشترك فيها من داخل الوزارة وخارجها ، ومن ناحية اخرى احمد شوقي يهجو عرابي صراحة في قصيدة مطلعها

صغار في الذهاب وفي الاياب
اهذا كل شأنك ياعرابي

ويشترك مع مصطفى كامل في حملته الشعواء على عرابي في جريدة اللواء ، فهو «شاعر الامير» عباس الثاني وذلك مايجعله اقرب الى مدرسة مصطفى كامل ، اما حافظ ابراهيم فمن مدرسة الافغاني ومحمد عبده ، المدرسة الداعية الى « المصرية » المتحررة من العثمانية ومن الاحتلال الانجليزي الذي كان يؤرق حافظا ابان سفارة كرومر في مصر في نهاية عهد توفيق وعلى عهد عباس الثاني .

وقد تميز عهد عباس الثاني [١٨٩٢ — ١٩١٤] بتحديد اكثر للطبقات الاجتماعية التي سيكون لها دور فعال في ثورة سنة ١٩١٩ . الاولى هي الطبقة العاملة ، فانه وان كثر عدد المشتغلين بالصناعة من المصريين منذ بناء دولة محمد علي فان الطبقة العاملة المصرية لم تبرز فعلا الا منذ الاحتلال الانجليزي وتقدم الصناعة ثم اشتغال العمال الاجانب بمصر ، ومن التناقضات التي طبعت هذه الفترة ان الامتيازات الاجنبية التي كانت تعفي الاجنبي من المحاكمة امام محكمة مصرية اذا ارتكب جريمة في مصر قد كانت من العوامل المساعدة على نجاح جميع الاضرابات التي نظمها عمال مصريون واشترك فيها عمال اجانب او العكس . وكانت طريقة الاعتصاب Strike on Spot انجح من طريقة الاضراب العادي ، اذ انها تحول بين العمال المعارضين في الاضراب وبين الذهاب الى المصنع لتشغيله في غيبة زملائهم ، ولذلك كانت اكثر انتشارا في تلك الفترة ، وقد عرفت القاهرة كثيرا من تلك الاعتصابات في سنة ١٩١١ . وفي سنة ١٩٠٨ تكونت اول نقابة مصرية هي نقابة عمال الدخان ، وكانت ثاني نقابة هي نقابة عمال الترام في سنة ١٩٠٨ ايضا ، ثم في سنة ١٩٠٩ تألفت نقابة ثالثة من اصحاب الصناعات اليدوية . وقد دافع محمد فريد رئيس الحزب الوطني بعد وفاة مصطفى كامل عن مصالح العمال في جريدة اللواء سنة ١٩١٠ و سنة ١٩١١ .

والطبقة الثانية هي طبقة المثقفين . ولابد هنا من الاشارة الى ان عددا من العلماء الاجانب الذين دعتهم الجامعة المصرية التي انشئت في سنة ١٩٠٨ في عهد عباس الثاني واثناء تولي سعد زغلول لوزارة المعارف قد ساهموا في تأصيل المناهج الحديثة للبحث العلمي عند الشباب المصري الذي كان نواة انتلجنسيا سنة ١٩١٩ .

اما الطبقة الثالثة فكانت طبقة الارستقراطية الزراعية . فقد حرص الاحتلال البريطاني منذ ان وضع يده على مصر على تفتيت قوة العنصر العثماني المحتل وقوة اسرة محمد علي ، فاعاد توزيع الاراضي الزراعية على عدد من الاسر المصرية الاصيلة ومن بينها اسر مسيحية ليؤسس قوة ثالثة تقف في وجه تلك القوتين مالكتي الارض المصرية من قبل ، وهي خطة اثبت الوعي المصري في سنة ١٩١٩ فشلها . ولكي يدعم الانجليز هذه القوة اعادوا توزيع

جمال عبد الرحيم

استاذ بالمعهد العالي للموسيقى (الكونسرفتوار) . درس العزف على البيانو والنظريات الموسيقية بالقاهرة على يد الاستاذين ايناس تيجرمان وهانس هيكمان . ثم واصل دراسته الموسيقية في المانيا ، يستوحي التاريخ المصري في مضمون مؤلفاته الموسيقية، ويميل من حيث الشكل الى المدرسة الحديثة التي اسسها كلود ديبوسي وموريس رافل في فرنسا ، والتي ينتمي اليها ايضا شونبرج وبارتوك وبول هندميت . عزف له اوركسترا القاهرة السيمفوني في مناسبات متباعدة « متتابعة للاوركسترا » ، التي عزفها له ايضا اوركسترا السويد السيمفوني في سنة ١٩٦٢

في فبراير سنة ١٩٦٣ عزف له في المانيا الغربية مؤلفه « سوناتا للكمان والبيانو » التي قال عنها بعض النقاد الالمان انها تعتبر من اهم الاعمال الحديثة التي تمزج بين موسيقى العرب ووسط اوروبا .



الخريطة القوى السياسية تبعاً لتوزيع ملكية الاراضي ، كما تبنى ممثلهم في مصر **لورد كرومر** حزب الامة الذي رأسه احمد لطفي السيد والذي تركزت فيه مصالح تلك الطبقة الجديدة وكانت غالبية اعضائه منها .» وكان حزب الامة في نشأته يواجه — من ناحية — الحزب الذي تعتمد عليه القوة العثمانية وهو الحزب الوطني المطالب بالجامعة الاسلامية بزعامة مصطفى كامل ويواجه من ناحية اخرى الحزب الذي تعتمد عليه الاسرة المالكة وهو ، **حزب الاصلاح** على المبادىء الدستورية بزعامة **علي يوسف** .

وفي خلال الحرب العالمية الاولى وبعد خلع الخديوى عباس سنة ١٩١٤، وتولية السلطان حسين كامل الاريكة الخديوية — كانت المكاسب التي آلت الى تلك الطبقة الجديدة هائلة حقا . فمثلا : زادت قيمة الارض بما يزيد عن اثنى عشر ضعفا في خمس سنوات فقط ، ولذلك خرجت تلك الطبقة من الحرب العظمى واحلامها تتجاوز المال الى السلطة .»

اما الطبقة العاملة فقد عانت من الضغوط الاقتصادية اثناء الحرب وتضاعفت مطالبها من تأثيرها .»

واما صغار الفلاحين فقد اثارهم انهم دخلوا الحرب لنصرة عدو لهم لايمت إلى دينهم .. واما طبقة المثقفين وصغار الموظفين فقد تأثروا بالجو الفكري العام الذي كان يسود العالم بعد نجاح الثورة الروسية سنة ١٩١٧ .

ولذلك في سنة ١٩١٩ انصهرت كل هذه الطبقات ، رغم اختلاف الاسباب والدوافع وراء **سعد زغلول** الذي اجمعت الامة بكل عناصرها على الثقة فيه ، بقدر ماشك في قيادته كل عنصر منها . وظلت قوة سعد زغلول وحزب الوفد من بعده تتمثل في القدرة على جمع الطبقات المتباينة وراء مطلب سياسي واحد . ولكن الكفاح السياسي له وجهان ،اما الوجه الاول فيختلف من امة الى امة ومن عصر الى عصر في تاريخ نفس الامة ومن طبقة الى طبقة في داخلها . وهو الذي يتضمن الاهداف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يضمن تنفيذها تحقيق التقدم في البلاد . واما الوجه الثاني فمشترك بين جميع الطبقات فيجميع الامم في جميع العصور ، وهو اجلاء الغاصب . وقد كان خطأ سعد زغلول وطبقة صغار الموظفين والمثقفين الجذري هو اعتقادهم ان مدلول الكفاح السياسي الايجابي مشترك بينهم وبين طبقة المزارعين ، ولذلك كافح المزارعون الى جانبهم . لكن ما كان اهون ان تنفصل عنهم طبقة المزارعين حين وعد الاحتلال كبارهم بتحقيق الجانب الخاص بهم من الاماني السياسية وهو الاحتفاظ والمشاركة في السلطة والاستقلال الاسمي وتجنب الاصطدام مع الاستعمار .

وقد سبب تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذي يعد التتويج النهائي لامال الارستقراطية المصرية خيبة امل للمثقفين الذين ظنوا لفترة ان آمالهم انعقدت بآمال الطبقات الاخرى ، فانطووا على انفسهم في رومانتيكية حزينة بدت آثارها في ظهور **مدرسة ابوللو الشعرية** في الثلاثينات ، وفي الاربعينات في اعمال **العقاد وطه حسين الادبية** واللغوية المتخصصة . واذا قرانا قاهرة الثلاثينات في اعمال **نجيب محفوظ** وجدنا على صفحاتها صورة قاتمة هي صورة ذلك القهر السياسي . والواقع ان القاهرة كانت نموذجا مكثفا لهذه الحالة التي وجدت نموذجا حيا ابان ديكتاتورية صدقي الاولى [١٩٣٠ — ١٩٣٣] التي هاجمها حافظ ابراهيم في قصيدته التي لم تنشر اذ ذاك :

أبو بكر خيرت

ولد بالقاهرة سنة ١٩١٠ وتخرج في كلية الهندسة بجامعة القاهرة في سنة ١٩٣٠ ، قسم الهندسة المعمارية ، وجمع في بحثه المبكر « مشروع تصميم دار اوبرا جديدة بالقاهرة » بين دراساته المعمارية السابقة وخبرته في علم الصوتيات ، درس النظريات الموسيقية اولا في القاهرة على الاستاذ المولوي احمد داده ثم في باريس بمعهد الكونسرفتوار فيما بينسنتي ١٩٣٠ و١٩٣٥. نال جائزة الدولة التشجيعية سنة ١٩٦١على مؤلفه « المتتالية الشعبية » . كتب الحانا شعبية في صورة اوركسترالية كورالية . وقد حاول اثناء ذلك اخضاعبعض الحان سيد درويش لقوالب الموسيقى العالمية . الف للاوركسترا ثلاث سيمفونيات ظهر فيها تأثره بالموسيقيين الاوروبيين في اواخر الحركة الرومانتيكية مثل سان سانس في فرنسا وبورودين والمدرسة القومية في روسيا . والف للبيانو دراسات شاعرية وكونشرتو للبيانو والاوركسترا حيثيبدو تأثرهبالرومانتيكية الاوروبية قبل شوبان ،وخاصةاعمال بيتهوفن وشوبرت .

تولى في سنة ١٩٥٩ عمادة المعهد العالي القومي للموسيقى (الكونسرفتوار) ، وتوفي اثناء قيامه بمهام وظيفته في ٢٥ اكتوبر سنة ١٩٦٣ .

قـد مر عام يا ســعاد وعام
وابن الكنانة فى حمـاه يضام
يا آلـة للقاسـطين ودميـة
فى قبضـتيها النقض والابرام
ودعا عليك الله فى محـرابه
الشيخ والقسـيس والحاخام
لاهم احيى ضـميره ليذوقهـا
غصصا وتنسف نفسه الالام.

واما الاضطرابات التى سادت القاهرة ابان ثورة سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى فقد عادت فى صورة اخرى فى اواخر الاربعينات بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث نجحـت محاولة اغتيـال اكثر من رئيس وزارة : ففى الفترتين تميعت الامانى السياسية الايجابية وبدا حلم تحرير البلاد بعيد المنال الى درجة تحجب اى مطلب سياسى آخر . وافتقر المثقفون الى وحدة فكرية ، وهكذا كان يوم ٢٦ يناير او «محاولة انتحار القاهرة» لحظة من لحظات الشعب اراد فيها ان يهدم ، دون ان يعرف ماذا يريد ان يبنى.

وبقيام الثورة المصرية فى سنة١٩٥٢ والتخلص من الاحتلال رسميا فى سنة ١٩٥٤ ثم فعليا فى سنة ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى بدات تتضح المعالم الايجابية للمتطلبات القومية بعد تجـربة وخطأ ، متبلورة فى الطريق الاشتراكى .

وعلى هذا الطريق تمت فى سنة ١٩٦١خطوتان هامتان ، **القوانين الاشتراكية** ، **واعادة تنظيم جامعة الازهر.** التى اقترنت بالقاهرةمنذ انشائها، فكانتا ضربتين للرجعية التى خططت من قبـل للحركة الانفصالية السورية فى مهدين ، بتفتيت رأس المال الكبير ، وتطوير الجامعة الدينية الى جامعة تتبنى علوم العصر .

وفى سنة ١٩٦٢ صدر **الميثاق الوطنى** الذى يؤكد معـالم ذلك الطـريق ، وقـد حاولت الرجعيـة ان تحتـويه بأن تجتهـد فى تخريج التفسيرات المزيفة لنصوصه ، ثم حاولت التكتل وراء بعض اجهزة الاعلام حتى سنة ١٩٦٥ حين نجحت الدولةفى تصفية محاولات التآمر السياسى، وحين خرج المثقفون على صفحات « **الاهرام** » و«**الاشتراكى**» يدعون الى الدستور الثقافى الذى اتخذ شعاره « نحو وحدة فكرية للمثقفين » ، تلك الوحدة التى لم تتحقق من قبل .

على ان الاختلافات الفكرية فى قاهرةالحاضر مازالت كامنة فى ظواهر عديدة : فى المناقشات التى اثارتها الصحف بعد نكسة سنة ١٩٦٧ ، فى ثورة الفن الحـديث على الفن التقليـدى ، فى الموسيقى بين مدرستى **ابو بكر خيرت** التى تحاول رجعه الى الموسيقى الاوربيـة الكلاسـيكية والرومانتيكية **وجمال عبد الرحيم** التى تقتدى ببول هندميت احد رواد مدرسة التجديد الالمانية فى اوائل القرن العشرين ، فى الصراع بين الشعر الحديث والشعر القديم ، وفى التباين بين صفوف الشعر الحديث نفسه . وهى اختلافات يبدو انها فى المفهوم لا فى المذهب ، وهذا هو الذى يكسبها طابع الراديكالية الحاد .

ومن الليبرالية الى الراديكالية ـ كما يقول **لويس عوض** ـ يتموج الفكر المصرى الحديث ، يبدا عند الطهطاوى بالحرية ، وينتهى عند **يوسف مراد** بالتكاملية .

وان مشكلة مجتمع القاهرة هى مشكلة مجتمع يحتاج الى ان يعرف نفسه ، قبل ان يعرف مايجب ان يريد .





القاهرة بلغة الأرقام

اعداد : محمد صبحى الاتربى
ابراهيم خليل برعى

القاهرة . عاصمة الجمهورية العربية المتحدة ، وهى اكبر تجمع سكانى بها ومن اكبر التجمعات السكانية فى العالم المعاصر . وتتجه القاهرة الى النمو بسرعة متزايدة مما يؤدى الى بروز عديد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية فى مقدمتها مشكلتا النقل والاسكان .

ومع ذلك فالقاهرة تحظى بالنصيب الاكبر من النشاط الاقتصادى ومن الخدمات التعليمية والطبية والترفيهية وغيرها من انواع الخدمات . وتظهر الصفحات التالية حقيقة الاوضاع بالنسبة لبعض الظواهر الاقتصادية والاجتماعية كما تعبر عنها الارقام المتاحة والتى امكن لنا ان نجمعها .

اولا : السكان :

جدول رقم (١)

النمو السكانى لمحافظة القاهرة

السنوات	عدد سكان القاهرة بالالف	معدل النمو السنوى ٪	عدد سكان الجمهورية بالالف	معدل النمو السنوى ٪	نسبة سكان القاهرة الى اجمالى الجمهورية
١٩٢٧	١٠٧١	—	١٤١٧٨	—	٧ر٦ ٪
١٩٣٧	١٣١٠	٢ر١	١٥٩٢١	١ر٢	٨ر٢
١٩٤٧	٢٠٧٦	٤ر٧	١٨٩٦٧	١ر٩	١٠ر٩
١٩٦٠	٣٣٤٩	٣ر٦	٢٥٩٨٤	٢ر٧	١٢ر٩
١٩٦٦	٤٢٢٠	٤ر١	٣٠٠٨٣	٢ر٨	١٤ر٠

■ زاد عدد سكان القاهرة بنسبة حوال ٣٢٣ ٪ خلال الفترة من ١٩٣٧ الى ١٩٦٦ اى خلال فترة ثلاثين عاما بينما زاد عدد سكان الجمهورية بنسبة ١٩٠ ٪ تقريبا خلال نفس الفترة ، وبذلك ارتفعت نسبة سكان القاهرة الى اجمالى السكان الى ١٤ ٪ فى ١٩٦٦ أى نحو ١/٧ سكان الجمهورية .

جدول رقم (٢)

المشتغلون بالنشاط الاقتصادى فى القاهرة

موزعين طبقا لنوع النشاط

	العدد بالالف	نسبة مئوية
زراعة وحديد	١٣ر٥	١ر٥
مناجم ومحاجر	٢ر٤	—
صناعات تحويلية	٣٠٢ر٥	٢٢ر٥
تشييد وبناء	٤٤ر٤	٥ر٠
كهرباء وغاز	١٣ر٥	١ر٥
تجارة	١٥٢ر٣	١٧ر٠
نقل ومواصلات	٦٨ر١	٧ر٥
خدمات	٤٠٦ر٤	٤٥ر٠
الاجمالى	٩٠٣ر١	١٠٠ ٪

■ يعمل حوالى نصف المشتغلين بالقاهرة فى مجال الخدمات اى النشاط غير الانتاجى بصفة عامة ، وباضافة العاملين فى التجارة ترتفع النسبة الى ٦٢ ٪ . ولا يزيد من يعملون فى الانتاج السلعى على ٣٠ ٪ من مجموع المشتغلين .

وقد بلغت نسبة من يعملون بالانتاج السلعى من اجمالى المشتغلين فى الجمهورية ٧٠ ٪ منهم ٥٧ ٪ تقريبا فى الزراعة ونحو ١٠ ٪ فى الصناعات التحويلية . أما العاملون فى مجال الخدمات والتجارة فتبلغ نسبتهم فى الجمهورية ٢٦ ٪ .

جدول رقم (٣)

تقسيم سكان القاهرة (١٠ سنوات فاكثر)

طبقا للحالة التعليمية ومقارنة باجمالي سكان

الجمهورية عام ١٩٦٠

	القاهرة		اجمالي الجمهورية	
	المنقسمة	نسبة مئوية	المنقسمة	نسبة مئوية
أمي	١٠٨٥	٤٦ر٥	١٢٥٨٧	٧٠
يقرا فقط	٢٩	١ر٠	١٣١	٠ر٥
يقرا ويكتب	٧٤٥	٣٢ر٠	٣٩٢٣	٢٢
مؤهل أقل من متوسط	١٠١	٤ر٠	٣٠٢	١ر٥
مؤهل متوسط	٢٧٥	١٢ر٠	٨٢٥	٤ر٥
جامعي	٦٦	٣ر٠	١٤٥	١ر٠
غير مبين	٣٤	١ر٥	١٣٩	٠ر٥
الاجمـــالي	٢٣٣٥	١٠٠ ٪	١٨٠٥٢	١٠٠ ٪

■ تبلغ نسبة الأميين بالقاهرة في عام ١٩٦٠ ٤٦ر٥ ٪ من اجمالي سكان المحافظة مقارنة بنسبة ٧٠ ٪ على مستوى الجمهورية ، ويمثل الاميون من سكان القاهرة ٨ ٪ من مجموع الاميين في الجمهورية . وتبلغ نسبة الجامعيين من سكان القاهرة ٣ ٪ يمثلون حوالى ٤٥ ٪ من الاجمالي على مستوى الجمهورية ، كما تستحوذ محافظة القـاهرة على مايقرب من ثلث المؤهلات أقل من المتوسط ، ونحو ٣٣ ٪ من المؤهلات المتوسطة .

● الهجرة الى القاهرة :

بلغ معدل النمو السكاني لمحافظة القاهرة ٤ر١ ٪ بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٦ ، وهو يعادل ضعف معدل النمو بين عامي ١٩٢٧ ، ١٩٣٧ . بينما بلغ معدل نمو سكان الجمهورية حوالى ٢ر٧ ٪ في المتوسط بين عام ١٩٦٠ وعام ١٩٦٦ . وبذلك يمكن القول بان معدل نمو سكان القاهرة يفوق كثيرا معدل نمو سكان الجمهورية ، مما يؤكد وجود عامل الهجرة بالاضافة الى عامل النمو الطبيعي اى الزيادة الطبيعية في السكان .

وقد بلغت نسبة المواليد الاحياء لكل الف من سكان القاهرة ٤٢ر٦ بينما بلغت نسبة الوفيات ١٨ وبذلك يكون معدل النمو الطبيعي لسكان محافظة القاهرة نحو ٢٤ر٦ في الالف خلال الستينات .

وطبقا للمعدل المذكور يقدر سكان القاهرة ، بافتراض عدم حدوث هجرة اليها خلال ١٩٦٠ — ١٩٦٦ بحوالي ٣٨٨٣ الف نسمة في عام ١٩٦٦ مقابل ٤٢٢٠ نسمة طبقا للتعداد ، ويمثل الفرق بين الرقمين وهو على اساس تقديرى ٣٣٧ الف فرد الهجرة الى القاهرة خلال ١٩٦٠ — ١٩٦٦ أى بمعدل يزيد على ٥٠ الف نسمة في العام .

وتشير نتائج بعض الدراسات الاخيرة للجهاز المركـزى للتنفيذ والاحصاء ان محافظة القاهرة قد هاجر اليها خلال الفترة بين عام ١٩٤٠ وسنة ١٩٦٠ حوالى ٤٦ الف فرد في المتوسط سنويا . ويلاحظ ان معظم النازحين الى القاهرة هم من سكان محافظات المنوفية والقليوبية والغربية بالوجه البحري ثم محافظات مصر العليا ومنها اسيوط وسوهاج وذلك طبقا لبيانات اللجنة العليا لتخطيط القاهرة الكبرى .

جدول رقم (٤)

الكثافة السكانية في الكيلو متر المربع

بمحافظة القاهرة

١٩٣٧ — ١٩٦٦

السنوات	عدد السكان في الكيلو متر المربع
١٩٣٧	٧٩٥٧
١٩٤٧	١١٧٠٤
١٩٦٠	١٥٦٣٤
١٩٦٦	١٩٥٩٤

■ ازداد الازدحام السكاني بالقاهرة زيادة كبيرة في خلال الفترة المبينة بالجدول ، فارتفعت الكثافة السكانية خلال ٣٠ عاما بنحو ٢٤٠ ٪ وكانت اكثر المناطق التالية لها في الازدحام هي مدينة الاسكندرية التي لم تتجاوز الكثافة السكانية فيها ٦٢٢١ نسمة في الكيلو متر المربع في عام ١٩٦٦ . وتفاوت الازدحام باحياء القاهرة المختلفة وبلغ اقصـاه في المناطق الشعبية كما تبين بيانات الجدول التالي :

جدول رقم (٥)

الكثافة السكانية في مناطق

القاهرة المزدحمة عام ١٩٦٦

المنطقـة	عدد السكان في الكيلو متر المربع
باب الشعرية	١٣٥٩٠١
روض الفرج	١٠٤٦٢٣
السيدة زينب	٧٨٤١٧
بولاق	٧٤٧١٦
الساحـل	٦٠٧٥٤
الموسـكى	٦٠٤٦٠
عابدين	٥٧٨٥٣
شـبرا	٥٥٩٩٧
الظـاهر	٥٤٥٠٨

وكما تختلف الكثافة السكانية في القاهرة تختلف حـدة التزاحم بالغرف كما يبينها الجدول التالي :



جدول رقم (٦)

التزاحم السكانى فى اقسام القاهرة الادارية ـــ ١٩٦٠

القسم	عدد افراد الاسر	عدد الغرف	متوسط عدد الافراد فى الغرفة
الازبكية	٦٠٣٦٩	٣٣٠٦٦	١ر٨
الجمالية	١٤٠٩٧١	٤٩٨٣٠	٢ر٨
الخليفة	١٥٨٦٠٠	٥٩٩٠٥	٢ر٦
الدرب الاحمر	١٤٧٠٢١	٥٤٢٧٥	٢ر٧
الزيتون	٩٩٤٤٤	٤٥١٣٠	٢ر٢
الساحل	٣٠٣١٦٤	١٣٢٣٥٦	٢ر٣
السيدة زينب	٢٥٠٧١٠	١١١٣٢٢	٢ر٣
الظاهر	٩٤١١٤	٥٠٩٧٧	١ر٨
المطرية	١٦٠٣١٨	٦٥٥٧١	٢ر٤
المعادى	٧٦١٦٣	٣٤٦٠١	٢ر٢
الموسكى	٣٧٤٥٦	١٦٨١٦	٢ر٢
الوايلى	٢٩٩٣٦١	١٢٥٤٧٠	٢ر٤
باب الشعرية	١٥٢٨٢٢	٥٦٥٩٢	٢ر٧
بولاق	٢٠١٣٧٨	٦٤٤٠١	٣ر١
حلوان	٩٢٦٢٩	٣٨٦٤٠	٢ر٤
روض الفرج	٢٦٤٥٥٧	١١٢٧٩٣	٢ر٣
شبرا	٢٩٥٤٣١	١١٤٧٢٣	٢ر٦
عابدين	٩٣٥٠٣	٤٨٤٣٦	١ر٩
قصر النيل	٤١٢٩١	٤٠٧٣١	١ر٠
مصر الجديدة	١٢٣٦٩٦	٩٥٦٨٨	١ر٣
مصر القديمة	٢٠٩٣٩٧	٨٧٨٣٤	٢ر٤
جملة المحافظة	٣٣٠٢٣٩٥	١٤٣٩١٥٨	٢ر٣

■ تبلغ نسبة الاسر التى تسكن غرفة واحدة اقصاها فى احياء بولاق وشبرا والساحل بينما تبلغ نسبة الأسر التى تسكن فى ٣ غرف أو اكثر اقصاها فى قصر النيل ومصر الجديدة . وبينما تبلغ النسبة الكلية لمن يسكنون ٣٠ غرف أو اكثر فى القاهرة نحو ٣٢ ٪ من الاسر ، فان هذه النسبة تنخفض بحيث تصل الى ٨ر١٥ ٪ فى بولاق ، وعلى العكس من ذلك فانها تصل فى مصر الجديدة الى ٧٤ ٪ ، كما يتبين من الجدول التالى :

جدول "٧" توزيع الأسر فى بعض الأحياء طبقا لعدد الأفراد فى الغرفة الواحدة عام ١٩٦٠

عدد الأفراد / عدد الغرف	بولاق		شبرا		الساحل		قصر النيل		مصر الجديدة		اجمالى المحافظة	
	الأسر	٪	الأسر	٪	الأسر	٪	الأسر	٪	الأسر	٪	الأسر	٪
١	٢٨٥١٤	٦٤	٣٨٨٢١	٦١,٥	٣٢٨٣٨	٥٣	٣١٣٩	٢٨	٥١٠٨	١٩	٣٣٧١٣٠	٤٩
٢	٨٧٨٧	٢٠	٩٣٤٢	١٥	١٠٦٤٦	١٧	٧٨٨	٧	١٨٧٩	٧	١٢٩٥٤٣	١٩
٣	٤٤١٤	١٠	٦٦٨٢	١٠,٥	٧٥٨٨	١٢	١٢٩٦	١١,٦	٤٠٨٥	١٥,٤	٩٥٠٠٨	١٤
٤	١٨٠٧	٤	٤٩٢٨	٨	٦٠٤٣	١٠	١٨٤٤	١٦,٤	٦٤٩٣	٢٤,٦	٧٠٦٢٦	١٠
٥ فاكثر	٧٨٠	٢	٣٤٢٦	٥	٥٠٠٢	٨	٤١٤٢	٣٧	٨٨٢٠	٣٤	٥٥٥٥١	٨
الاجمالى	٤٤٣٠٢	١٠٠	٦٣١٩٩	١٠٠	٦٢١١٧	١٠٠	١١٢٠٩	١٠٠	٢٦٣٨٥	١٠٠	٦٨٧٨٥٨	١٠٠

ثانيا : النشاط الاقتصادى بالقاهرة

جدول رقم (٨)

عدد المنشآت وعدد المشتغلين بها عام ١٩٦٤

اقاليم الجمهوريه	عدد المنشآت	٪	عدد المشتغلين	٪
القاهرة	١١٣٦١٧	٢٣	٤٩٥٤٨٥	٣١ر٢
الاسكندرية	٤٨٨١٨	٩ر٨	٢٤٠٠٠٧	١٥ر١
القنال	١٨٣١٠	٣ر٧	٦٥٧٦٥	٤ر٢
وجه بحرى	١٧٥١٦٥	٣٥ر٥	٤٧٥٣٩٣	٣٠ر٠
وجه قبلى	١٣٧٨٩٨	٢٨ر٠	٣٠٩٢٦٨	١٩ر٥
اجمالى الجمهورية	٤٩٣٨٠٨	٪١٠٠	١٥٨٥٩١٨	٪١٠٠

جدول رقم (٩)

جملة عدد العمال ومتوسطات اجورهم الاسبوعية

من الاسبوع الاول من يناير سنة ١٩٦٤ للمنشآت

التى يعمل بها عشرة مستخدمين فاكثر

	عدد العمال	٪	متوسط الاجر بالقرش
القاهرة	١٥٦٥٥٢	٢٨ر٢	٢٧٤
الاسكندرية	١١٦٧٦٨	٢١ر٢	٢٧٤
السويس	١١٦٤٠	٢ر١	٤٩٩ (أعلى اجر)
المنوفية	٦٢٤٥	١ر١	١٧٠ (اقل اجر)
اجمالى الجمهورية	٥٥٤٩٧٩		٢٧٩

□ ويبلغ عدد المنشآت فى محافظة القاهرة نحو ربع عدد المنشآت التى تعمل فى كافة مجالات النشاط الاقتصادى بينما تبلغ نسبة المشتغلين بالمنشآت المذكورة ٣١ ٪ من اجمالى عدد المشتغلين بها فى جميع انحاء الجمهورية وذلك عن عام ١٩٦٤ . ويبلغ عدد العمال المشتغلين فى المنشآت التى يعمل بها عشرة عمال فاكثر نحو ٢٩ ٪ من عدد المشتغلين فى هذه المنشآت على مستوى الجمهورية .

ويلاحظ ان متوسط الاجر فى محافظة القاهرة يماثل تقريبا متوسط الاجر على مستوى الجمهورية بينما ان اعلى اجر هو بمحافظة السويس وادنى متوسط للاجور فى محافظة المنوفية .

وبلغت نسبة المنشآت الصناعية بالقاهرة حوالى ٤٢ ٪ من الاجمالى العام لعدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها ١٠ مشتغلين فاكثر طبقا لتعداد سنة ١٩٦٠ . وهو مايوضحه الجدول رقم [٣].



جدول رقم (١٠)

عدد المنشآت الصناعية التى يعمل بها

١٠ مشتغلين فاكثر والاجور والقيمة العامة

سنة ١٩٦٠

	عدد المنشآت	عدد المستغلين	الاجور آلاف الجنيهات	القيمة المضافة آلاف لجنيهات
(١) القاهرة	١٤٠٠	٨٨٧٨١	١٠٨٢٤	٢٤٩١٢
(٢) اجمالى الجمهورية	٣٣٣٦	٣٤٤٨٣٠	٥٠٢٨٠	١٤١٠٦٠
(٣) نسبه ١ : ٢	٪٤٢	٪٢٦	٪٢٢	٪١٧

■■■

ثالثا : الخدمات بالقاهرة

● خدمات النقل

يتولى خدمة النقل بمدينة القاهرة هيئة النقل العام عن طريق مرافق اربعة رئيسية بيان وحداتها كالاتى طبقا للبيانات المنشورة عن عام ٦٦/١٩٦٧

جدول رقم (١١)

		اجمالى عدد الوحدات الصالحة للتشغيل		يعمل منها
١ ـ الاتوبيس		١٣٩٦		١٣٣١
٢ ـ الترام	قاطرة	٣٣٠	طراز قديم	٢١٩
		١٣٤	طراز حديث	١٣٤
	مقطورة	٢٠٠		٩٦
٣ ـ التروللى باس		١٦٠		١٣٤
٤ ـ الاتوبيس النهرى		١١		١٠

■ ويعمل بمرفق النقل ١٩١٦٩ عاملا يتقاضون حوالى ستة ملايين من الجنيهات فى العام . وتتولى وحدات الاتوبيس نقل اكثر من ثلاثة ارباع الركاب بينما تساهم باقى وحدات المرافق الاخرى بالجزء الاخر . وقد بلغ عدد الركاب خلال عام ٦٦/١٩٦٧ حوالى الف مليون راكب ، بينما بلغ متوسط عددهم فى الشهر



اكثر من ٨٣ مليون راكب ومتوسط عددهم فى اليوم الواحد اكثر من ٢ر٨ مليون راكب وكان توزيعهم على وحدات النقل كالاتى :

جدول رقم (١٢)

عدد الركاب بالنسبة لكل مرفق عام ١٩٦٧/٦٦

	فى اليوم بالالف	فى الشهر بالالف	فى السنة بالالف	النسبة المئوية %
الاتوبيس	٢٠٧٢	٦٢٠٣٥	٧٥٦٤١٨	٧٥ر٦
الترام	٣٨٩	١١٨٢١	١٤١٨٥٦	١٤ر٢
التروللى باص	٢٦٨	٨١٤٨	٩٧٧٧٩	٩ر٨
الاتوبيس النهرى	١٠٠	٣٠٥	٣٦٥٩	٠ر٤
اجمالى	٢٨٢٩	٨٣٣٠٩	٩٩٩٧١٢	١٠٠

● الخدمات التعليمية

تضم القاهرة ١/٥ عدد تلاميذ الجمهورية فى مراحل التعليم المختلفة فى المدارس والمعاهد الرسمية والخاصة التابعة لوزارة التربية والتعليم ، منها العام والفنى ودور المعلمين والمعلمات ومدارس اللغات . فبلغ عدد التلاميذ فى القاهرة، ابتداء من مرحلة الحضانة حتى بداية مرحلة التعليم العالى اكثر من ٩١٤ الفا من التلاميذ والتلميذات ، بينما بلغ عددهم فى انحاء الجمهورية ٤٥٩٢ الفا فى العام الدراسى ١٩٦٧/٦٦ وبذلك تفوق الاهمية النسبية لعدد التلاميذ فى القاهرة الاهمية النسبية لعدد سكان القاهرة فبلغت فى الاولى حوالى ٢٠ ٪ بينما لم يتجاوز فى الثانية ١٤ ٪ فقط .

ومن الملاحظ ان نصيب القاهرة من التعليم الاعدادى والثانوى يزيد زيادة كبيرة عنه فى باقى المحافظات فبلغ نسبة التلاميذ بالتعليم الاعدادى ٢٣ر٩ ٪ والثانوى ٢٩ر٥ ٪ ، وهى نسبة تفوق نسبة عدد السكان بالقاهرة ، ونفس الظاهرة يمكن ملاحظتها بالنسبة لمدارس المعلمين والمعلمات واللغات . والجدول التالى يبين توزيع عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة على المحافظات فى العام الدراسى ١٩٦٧/٦٦

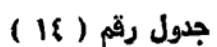
جدول "١٣" عدد التلاميذ وتوزيعهم على أقاليم الجمهورية فى مراحل التعليم المختلفة فى العام الدراسى ١٩٦٧/٦٦

أقاليم الجمهورية	الأهمية النسبية للسكان	مرحلة الحضانة		مرحلة الابتدائى		الاعدادى العام والفنى		الثانوى العام والفنى		المعلمين والمعلمات واللغات		المجموع	
		العدد بالألف	٪	العدد بالألف	٪	العدد بالألف	٪	العدد بالألف	٪	العدد بالألف	٪	العدد بالألف	٪
القاهرة	١٤,-	٤,٧	٢٩,٨	٥٩٥	١٧,٤	١٦٣	٢٣,٩	١٠٥	٢٩,٥	٤٦	٣٨,١	٩١٤	١٩,٩
الاسكندرية	٦,-	-,٧	٤,٥	٢٦٠	٧,٦	٦١	٨,٩	٣٤	٩,٦	٢١	١٧,٤	٣٧٧	٨,٢
القنال	٣,-	١,٧	١٠,٨	١٤٠	٤,١	٣٢	٤,٧	١٦	٤,٥	٥	٣,٩	١٩٤	٤,٣
الوجه البحرى	٤١,٥	٤,-	٢٥,٥	١٢٧٧	٤٠,٣	٢٦٤	٣٨,٧	١٢١	٣٤,٠	٢٩	٢٣,٦	١٧٩٤	٣٩,-
الوجه القبلى	٣٤,٣	٤,٤	٢٨,٠	١٠١٢	٢٩,٦	١٥٦	٢٢,٨	٧٧	٢١,٦	٢٠	١٦,٥	١٢٦٩	٢٧,٦
الحدود	١,٢	-,٢	١,٣	٣٤	١,-	٦	١,-	٣	-,٨	١	-,٥	٤٤	١,-
جمالى الجمهورية	١٠٠,-	١٥,٧	١٠٠	٣٤١٨	١٠٠	٦٨٢	١٠٠	٣٥٥	١٠٠	١٢٢	١٠٠	٤٥٩٢	١٠٠

■ وترتفع بصفة خاصة نسبة تعليم البنات فى القاهرة عن باقى الاقاليم . ففى مراحل التعليم الابتدائى والاعدادى العام والثانوى العام بلغت نسبة البنات ٤٣ ٪ والبنين ٥٧ ٪ بينما بلغت هذه النسبة على مستوى الجمهورية ٣٧ ٪ للبنات ، ٦٣ ٪ للبنين . وفى مرحلة الابتدائى بلغت نسبة البنات فى القاهرة ٤٥ ٪ ، فى حين بلغت على مستوى الجمهورية ٣٩ ٪ . وفى مرحلة الاعدادى العام كانت النسبة ٤١ ٪ للبنات ، ٥٩ ٪ للبنين فى القاهرة مقابل ٣٠ ٪ ، ٧٠ ٪ على مستوى الجمهورية . اما فى مرحلة الثانوى العام فبلغت النسبة فى القاهرة ٣٤ ٪ للبنات ، ٦٦ ٪ للبنين بينما هى على مستوى الجمهورية ٢٩ ٪ للبنات ، ٧١ ٪ للبنين .

وتظهر ظاهرة تركز المدرسين الاناث فى القاهرة التى تضم ٢٨ ٪ من اجمالى عدد المدرسات بالجمهورية . وفى مرحلة الابتدائى تضم القاهرة ٢٧ ٪ من اجمالى عددهن فى هذه المرحلة ، ٢٩ ٪ فى المرحلة الاعدادية ، ٤٢ ٪ من أجمالى عددهن فى المرحلة الثانوية .

ويبين الجدول التالى عدد التلاميذ فى مراحل التعليم المختلفة بالنسبة لكل ألف من السكان فى العام الدراسى ١٩٦٧/٦٦



جدول رقم (١٤)

عدد التلاميذ لكل ألف من السكان موزعة حسب مراحل التعليم المختلفة

اقاليم الجمهورية	مرحلة الابتدائى	مرحلة الاعدادى	مرحلة الثانوى	المعلمين والمعلمات واللغات	المجموع
القاهرة	١٤٢	٣٩	٢٥	١١	٢١٧
الاسكندرية	١٤٤	٣٤	١٩	١٢	٢٠٩
القنال	١٥٧	٣٦	١٨	٥	٢١٦
الوجه البحرى	١١٠	٢١	١٠	٢	١٤٤
الوجه القبلى	٩٨	١٥	٧	٢	١٢٢
الحدود	٩٨	١٨	٨	٢	١٢٦
اجمالى الجمهورية	١١٤	٢٣	١٢	٤	١٥٢

■ ويتركز العدد الاكبر من المدارس الثانوية فى القاهرة والى حد ما المدارس الاعدادية . فمحافظة القاهرة التى يقطن بها ١٤ ٪ من عدد السكان تضم ٢٧٪ من اجمالى عدد فصول المرحلة الثانوية ، ٢٢ ٪ من اجمالى عدد فصول المرحلة الاعدادية مقابل ١٦ ٪ من اجمالى عدد فصول المرحلة الابتدائية .

ويوضح الجدولان [١٥] [١٦] عدد الفصول وكذلك عدد المدرسين فى مراحل التعليم المختلفة موزعا حسب أقاليم الجمهورية .

جدول "١٥" عدد الفصول فى مراحل التعليم المختلفة موزعا حسب أقاليم الجمهورية

أقاليم الجمهورية	الابتدائى: العدد	الابتدائى: ٪	الإعدادى: العدد	الإعدادى: ٪	الثانوى: العدد	الثانوى: ٪	المعلمين والمعلمات واللغات: العدد	المعلمين والمعلمات واللغات: ٪	المجموع: العدد	المجموع: ٪
القاهرة	١٢٩٢٠	١٦	٤١٤٣	٢٢	٢٧٢٤	٢٧	١٥١٨	٣٨	٢١٣٠٥	١٩
الاسكندرية	٥٦٠٢	٧	١٦٤٤	٩	٩٥٣	٩	٧٢٢	١٨	٨٩٢١	٨
القنال	٣٠٥٧	٤	٨٩٠	٥	٤٨٦	٥	١٨٢	٥	٤٦١٥	٤
الوجه البحرى	٣٢٨٢٠	٤١	٧٣١٨	٣٩	٣٦٠٠	٣٦	٨٩٤	٢٢	٤٤٦٣٢	٣٩
الوجه القبلى	٢٥٢٢٠	٣١	٤٤٤١	٢٤	٢٢٥٠	٢٢	٦٣٦	١٦	٣٢٥٤٧	٢٩
الحدود	٩٧٩	١	١٩٩	١	٨٤	١	٢٢	١	١٢٨٤	١
اجمالى الجمهورية	٨٠٥٩٨	١٠٠	١٨٦٣٥	١٠٠	١٠٠٩٧	١٠٠	٣٩٧٤	١٠٠	١١٣٣٠٤	١٠٠



جدول "١٦" عدد المدرسين فى مراحل التعليم المختلفة موزعا حسب أقاليم الجمهورية

أقاليم الجمهورية	الابتدائى		الإعدادى		الثانوى		المعاهد والمعلمات واللغات		المجموع	
	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪	العدد	٪
القاهرة	١٥٠٨٦	١٦	٥٥٩٥	٢١	٥٦٧٤	٢٦	٢٧٠٢	٣٣	٢٩٠٣٠	١٩
الإسكندرية	٦٥١٥	٧	٢٢٣٣	٨	١٧٧٧	٨	١٣٤٦	١٦	١١٨٧١	٨
القنال	٣٥٣٧	٤	١٣٣٦	٥	١١٠١	٥	٣٥٢	٤	٦٣٢٦	٤
الوجه البحرى	٣٧٨٠٧	٤١	١٠٢٢١	٣٨	٧٧١٨	٣٥	٢١١٥	٢٦	٥٧٨٦١	٣٩
الوجه القبلى	٢٩٤١٢	٣١	٦٩٢٨	٢٦	٥٣١٧	٢٥	١٥٩٩	٢٠	٤٣٢٥٦	٢٩
الحدود	١١٣٣	١	٣٧٣	١	٢٠٥	١	٧٨	١	١٧٨٩	١
إجمالى الجمهورية	٩٣٤٩٠	١٠٠	٢٦٦٨٦	١٠٠	٢١٧٦٥	١٠٠	٨١٩٢	١٠٠	١٥٠١٣٣	١٠٠

● **الخدمات الطبية :**

تحظى القاهرة بالنصيب الاكبر من الخدمات الطبية . ففى عام ١٩٦٦ بلغ عدد الاطباء الذين يعملون بالقاهرة حوالى ٤٦٠٠ طبيب يمثلون اكثر من ثلث عدد الاطباء فى جميع انحاء الجمهورية وفى نفس الوقت بلغ عدد الاسرة بالوحدات العلاجية اكثر من ١٨٠٠٠ سرير تمثل نسبة ٢٧٪ تقريبا من اجمالى عدد الاسرة بالجمهورية . وبذلك كان نصيب الطبيب الواحد ٩١٠ أفراد من السكان فى القاهرة بينما بلغ فى الوجه البحرى ٣٤٢٠ فردا وفى الوجه القبلى ٢٩٩٠ فردا . ويبلغ عدد الاشخاص لكل سرير ٢٣٣ فى القاهرة بينما يرتفع هذا الرقم كثيرا فى محافظات الوجه القبلى والبحرى . كما هو موضح بالجدول التالى حسب تعداد سنة ١٩٦٦ .

جدول رقم (١٧)

توزيع الخدمات الطبية فى بعض المناطق فى عام ٦٦

اقاليم الجمهورية	الاهمية النسبية للسكان	الاهمية النسبية للاطباء	الاهمية النسبية للاسرة	عدد الاشخاص لكل طبيب	عدد الاشخاص لكل سرير
	٪	٪	٪		
القاهرة	١٤ر٠٠	٣٣ر٧	٢٦ر٩	٩١٠	٢٣٣
الاسكندرية	٦ر٠٠	١١ر٠	١١ر٥	١٢٠٠	٢٣٣
الوجه البحرى	٤١ر٥	٢٨ر٥	٣١ر٨	٣٤٢٠	٥٨٤
الوجه القبلى	٣٤ر٣	٢٥ر٢	٢٤ر١	٢٩٩٠	٦٣٦

■ ويبلغ نصيب القاهرة من عدد الصيدليات ٣٦٪ من اجمالى الصيدليات وبذلك تخدم الصيدلية الواحدة ٨٨١٠ افراد بينما يبلغ عدد الافراد الذين تخدمهم الصيدلية الواحدة فى الوجه القبلى حوالى ٣٩ الف فرد . والجدول التالى يشير الى عدد الصيدليات موزعة على اقاليم الجمهورية المختلفة .



جدول رقم (١٨)

عدد الصيدليات وتوزيعهم على اقاليم الجمهورية طبقا لتعداد سنة ١٩٦٦

المحافظات	الاهمية النسبية للسكان	عدد الصيدليات	الاهمية النسبية للصيدليات	عدد الاشخاص لكل صيدلية
القاهرة	١٤	٤٧٩	٣٥ر٩	٨٨١٠
الاسكندرية والقنال	٩	٢٤٦	١٨ر٤	١٠٩٤٧
الوجه البحرى	٤١ر٥	٣٤٠	٢٥ر٥	٣٦٧٢٧
الوجه القبلى	٣٤ر٣	٢٦٦	١٩ر٩	٣٨٨٣٨
الحدود	١ر٢	٤	٣ر	٨٨٠٠٠
اجمالى الجمهورية	١٠٠	١٣٣٥	١٠٠	٢٢٥٣٢

● خدمات التليفزيون :

تحتكر القاهرة الجزء الاكبر من اجهزة التليفزيون حيث وصل عدد الاجهزه بها فى عام ١٩٦٧ — ٢٣٩ الف جهاز تمثل حوالى ثلث عدد الاجهزة بجميع انحـاء الجمهورية . وترتب على ذلك ان جهاز التليفزيون الواحد يخدم ١٨ فردا بالقاهـرة أو متوسط ٣ر٥ اسرة بينما بلغ فى مناطق الوجه القبلى ٤٠٧ افراد او حـوالى ٢٠ أسرة كما هو موضح بالجدول التالى :

● الخدمات التليفونية :

كما تستحوذ القاهرة على اكثر من نصف الخطوط التليفونية المتوفرة بالجمهورية حيث يعمل بها اكثر من ١٥٥ الف خـط تليفونى ، وبذلك يخدم الخط الواحد ٢٧ فردا فى المتوسط كما هو موضح بالبيان التالى .

جدول رقم (١٩)

توزيع اجهزة التليفزيون على اقاليم الجمهورية خـلال عام ١٩٦٧

اقاليم الجمهورية	عدد اجهزة التليفزيون	%	جهاز لكل عدد اشخاص	جهاز لكل عدد اسر
القـاهرة	٢٢٨٩٧٦	٦٦ر٢	١٨	٣ر٥
الاسكندرية	٤٤٠٢١	١٢ر٢	٤١	٧ر٩
القنـال	١٥٣٩٦	٤ر٣	٥٨	٦ر٠
الوجه البحرى	٣٧٢٥٨	١٠ر٢	٣٣٥	١٣ر٤
الوجه القبلى	٢٥٣٨٨	٧ر١	٤٠٧	١٩ر٨
اجمالى الجمهوريه	٣٦١٠٣٩	١٠٠	٨٣	٦ر٤

جدول رقم (٢٠)

توزيع الخطوط التليفونية على اقاليم الجمهورية عام ١٩٦٦

اقاليم الجمهورية	عدد الخطوط التليفونية	%	عدد الاشخاص لكل خط
القـاهرة	١٥٥٢٥٠	٥٢	٢٧
الاسكندرية	٥٠٣٠٠	١٦ر٩	٣٦
القنـال	٨١٠٧	٣ر١	١١٠
الوجه البحرى	٤٧٥٨١	١٦	٢٦٢
الوجه القبلى	٣٤٢٨٧	١١ر٥	٣٠١
الحـدود	١٤٨٢	٥ر	٠٠
اجمالى الجمهورية	٢٩٧١٠٧	١٠٠	١٠١



الطـــريق الى قاهـــرة المســـــتقبل

ان اى احياء جاد للذكرى الالفية لتاسيس القاهرة المعزية ، لا يمكن ان ينحصر فى تذكر امجادها السابقة وبيان فضلها الحضارى . بل ان الاهمية الاولى للنظر فى تاريخ القاهرة فى الظـــروف التى تمر بهـــا مصر والوطن العـــربى هى استلهام الدروس واســـتقاء عوامل الثقة . ويبقى بعد ذلك أن نحاول ـــفى ضوء المعرفة بمشكلات قاهرة الحاضر أن نستطلع معـــالم الطريق الى قاهـــرة المستقبل .

ولا يمكن أن يكون ذلك الطريق ثمرة حلم لفنان . أو نتاج الخيال العلمى لمهندس أو مخطط مدن . بل لابد ان يتعاون فى رسم معالمه رجل الصناعة . ومهندس المرافق . والمخطط العمـــرانى وعـــالم الاجتماع والاقتصـــادى .. الخ .. ولهـــذا دعت « الطليعة » الى ندوة لمناقشة « الطريق الى قاهرة المستقبل » حضرها السادة :

محمد الخفيف :

باسم الطليعة نرحب بكم جميعا فى هذه الندوة التى نعقدها بمناســـبة مرور ألف ســـنة على القاهرة تصورا لقاهـــرة المســـتقبل ونشكركم جميعا على مساهمتكم فى الندوة .

المهندس عز الدين فرج :

أنا شاكر لانكم أتحتم الفرصة لاتكلم واقول ما عندى .

لا اعرف هل هناك تخطيط معين للبداية أم ان الموضوع فيه انطلاق بدون قيد .. ؟ .. يعنى هل هناك توجيه معين للندوة .. أم ان المسألة دردشة مفتوحة بلا قيد .. ؟ سؤال أوجهه للندوة .

أجابة من بعض الحاضرين

د . الخفيف :

كل واحد منا بنشاطه وخبراته سيتكلم عن أحلامه وتصوراته لقاهرة المستقبل .

التخطيط للقاهرة والتخطيط القومى

محسن ادريس :

اذا حينا نتكلم عن مستقبل القاهرة فهو مبنى على شىء من التصور أو التخيل وهذا التصور يصل بالطبع الى حد معقول .. فى الواقع شعرت فورا عندما تخيلت هذا الكلام اننا سنتكلم فيما نعبر عنه علميا « بالتخطيط » . والمقصود بهذا التخطيط الشـــامل للمدينة ، الهيئة التى ستكون

عليها المدينة فى خلال فترة مستقبلة • اذا كان هذا هو الهدف وكنا سنتكلم عن مستقبل المدينة من وحى من حاضرنا ونتخيل مطالب المدينة، والعوامل المؤثرة على تصورنا للمدينة خلال فترة مقبلة من الزمن •• فسوف نتكلم فى موضوع « التخطيط للقاهرة » •

أريد أن اقول فى موضوع التخطيط ـ ان التخطيط زمان كانوا بينظروا له على اساس اننا بنجمل المدينة ونشق شوارع أو حدائق أو بنعمل فيها تماثيل أو •• أو •• الخ • لكن التخطيط اليوم تطور وأصبح تخطيطا عمرانيا يتصل بالنواحى الاجتماعية والاقتصادية ، ثم اصبح خطة التنمية للدولة • ومن هنا كان التخطيط لاى اقليم لابد وأن يكون على اتصال بالتخطيط القومى • حتى أننا نربط بين تخطيط المدن وبين الخطة القومية ونربطه على مستوى التخطيط الاقليمى • فالتخطيط يبدأ على المستوى القومى ثم ينزل الى مستوى التخطيط الاقليمى الشامل • أما التخطيط العمرانى للمدينة فيجب على حسب ما وصلت اليه هيئة الامم من النواحى الاقتصادية والاجتماعية •• الى جانب النواحى المعمارية •

فاذا كنا نريد أن نربط أو نتخيل منظر المدينة كما ستكون عليه لازم نخوض فى المسالك المختلفة التى يكون لها انعكاسا على مطالب المدينة . ايضا مطالب المدينة بيبقى لها انعكاس على النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، وهكذا نصل الى تخطيط ما . وبهذه الطريقة نتوصل عن طريق ندوة كهذه الى مستقبل المدينة فى حدود أى فترة يقترحها السادة اعضاء الندوة ، فى حدود ١٥ سنة ٢٠ سنة أو ٢٥ سنة هى عادة الفترة التى تقدر كل الدول تخطيطاتها عليها •

معوقات العمل فى المدى القريب

م • عز الدين فرج :

الاخ محسن تحدث الينا عن موضوع التخطيط ومسمياته ومدى تأثيره على المدينة من ناحية التخطيط الشامل والقومى •• الخ •• وطبعا هذه نظرة فى أى كلام عن مستقبل مدينة لابد أن تؤخذ فى الاعتبار . فلا داعى ان اكرر الفترة الخاصة بالتخطيط • لكن ربما اختلف بعض الشىء فى أن نظرته الى موضوع التجميل لم يكن فيها « العطف » الكافى على المدينة ، واعتبر ان التجميل اساسى، وبصرف النظر عن ان التجميل هذا يعد نظرة قديمة فى موضوع التخطيط ، او يعتبر نظرة حديثة فكلنا مؤمنون بأن تجميل الشارع وتجميل الانارة فى الشارع وتجميل المدينة بالحديقة .. كل هذا من الامور التى تحدد شكل مدينة كالقاهرة •

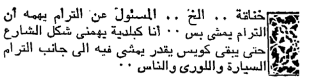
ولكى ننظر الى الموضوع نظرة جدية لابد ان ننظر فى المعوقات التى تعوق العمل من أجل تحديد شكل المدينة .

ومن ضمن المعوقات الموجودة حاليا **تعدد الاختصاصات فى جهات مختلفة ••**

مثلا : قطاع الشرطة ، نجد شرطة المرافق وشرطة السياحة،والشرطة العاديةالتىهىشرطة الامن ــ وعلى الرغممنوجود هذه الانواع الثلاثة من الشرطة نجد برضه الناس « بتتبرز » فى الشوارع ومن عليه أن يمنع ذلك ؟ •• تقول لشرطة الامن تقول لك هذا ليس من اختصاصى وكذلك تقول شرطة المرافق وشرطة السياحة . وهناك امثلة كثيرة تجدالمرافقالمختلفة اللىموجودة فىالعاصمة، مرفق المجارى .. المياه .. النور .. البترول .. التليفونات .. الخ متعددة التبعية ومتعددة الاعمال فى المدينة بما يسىء الى المدينة . وكل مرفق منها همه الوحيد انه يحقق الغرض الذى انشىء من اجله فقط دون النظر الى المدينة ككل . يعنى مرفق التليفونات يهمه انه يعمل كابلات لكى يوفر للمشتركين حرارة ، بغض النظر عما اذا كان فى عملهاساءة « للشوارع » ام لا . المحافظةتحاول ان تعمل تنسيقا بين هذه المرافق وهو تنسيق برضه محدود الافق محدود الامكانيات . كانت النتيجةان المرافقعندنا تمد خطوطها تحتالشوارع،كل واحد على كيفه • واحد يمد على الرصيف والاخر فى وسط الشارع والثالث يمد يمين الشارع • والنتيجة انه عند حفر أى شارع فى القاهرة نجد شبكة من الكابلات والمواسير لا نظير لها فى عواصم العالم •

وهكذا مازلنا متمسكين بطريقة الرصف الخالية دبش وفوقه اسفلت • وبتكون النتيجة ان الدبش والاسفلت بمرور الوقت يصبحوا وحشين بمضى المدة وكثرةالحركة • فى بعض شوارع يجب ان نعملها من الخرسانة ، ولكن يمنعنا من هذا اننا عارفون أن فى بطنها مرافق كل يوم تفتح بطن الشارع ولو عملناها خرسانة مسلحة الخرسانة تتكسر وشكلها يبقى ردىء بعد الاصلاح •• الخ •• يجب توحيد التخطيط لهذه المرافق من ناحية الميزانية وناحية المشروع ومن ناحية كل شىء •• حتى يمشى الجميع فى خط واحد •

الاخ سليمان عبد الحى موجود هنا وهو مرفق من المرافق ومن المرافق الهامة •• الترام عمال يقطع فى البلد كل يوم والتانى عمال يحفر والدبش يتكسر وكل يوم اوقف الشغل وبنعمل مع الترام


خناقة .. الخ .. المسئول عن الترام يهمه أن الترام يمشى بس ٠٠ أنا كبلدية يهمنى شكل الشارع حتى يبقى كويس يقدر يمشي فيه الى جانب الترام السيارة واللورى والناس ٠٠

معوق آخر : اهمال اعتماد مبالغ كافية للصيانة فى ميزانيـــة الدولة فى مراحل معينـــة طبعا اعتمادات التنمية لها تأثيرها. لكن .. النتيجة اهمال الصيانة فى أوانها يؤدى الى تراكم متاعبها ويحل وقت نحاول ان نعالجها فيه بسرعة وبتكاليـف مضاعفة ودون تخطيط سليم لهذا العلاج . ومثال ذلك مشكلة المجارى ٠٠ فضلنا ساكتين عليها من سنوات طويلة، فى سنة ١٩٦٥ على ما اذكر عملنا مشروع المائة يوم لانقاذ ما يمكن انقاذه والآن ، أوشكت المجارى أن تعود الى ما كانت عليه ٠

خلاصة الكلام ان المشاكل التى تطرأ ، يجب ان تعامل من الميزانية معاملة طيبة فى وقتها بيكون العلاج أيسر والمصاريف اقل والمشاكل قليلة .

كذلك نظرة الميزانية إلى الخدمات فى تخطيط الاعتمادات لا تميز بين الخـــدمات التى يمكن نسميها خدمات لها طابع الخدمة فقط والتى نقدر ان نؤجلها فى فترات الزنقة مثـــل فترة التنمية او فترة الحرب كانشاء حديقة مثلا ، فيمكن ان نقول لا داعى لحدايق هذه السنة ، عندنا ما هو اهـــم من الحدايق .. لـــكن شارع فى حاجـــة لاعادة رصفه ، لا يجب تأجيل رصفه لانه بيكسر الاوتوبيســات والعربيات .. ويسىء الى منظر العاصـــمة ، اعـــادة رصف الشوارع يجب الا تعامل معاملة الخدمات ٠٠ يجب أن نقسم الميزانية ميزانية الخدمات الى قسمين ٠٠ خدمة بحتة وقسم خدمات لها تأثير مباشر على الانتاج مثل الطرق مثل هذه الخدمات يجب أن ينظر اليها من الماليين فى الدولة نظرتهم الحنونة الى قطاع الانتاج وقطاع التنمية ٠

ومن المعوقات أيضا قضية الهجرة من الريف الى القاهرة ٠٠ هذا الموضوع أنا بقول انه أكبر صداع للقاهرة الان لان أنا عايش فيه وأعرف الى أى حد هذا الموضوع يتعب القاهرة فى كل مظهر بتعمله ، وما من مظهر بيعمل فى القاهرة أو يحسن الا وتسىء اليه قضية الهجرة من الريـــف الى القاهرة ٠٠ الالاف اللى بتفد الى القاهرة يوميا وبتنزح اليها بلا أى سبب لان أضواء المدينة بتجذبها او البحث عن عمل، وتسكن فى اى عشة صفيح ٠

آلاف العشش الصفيح النهاردة فى القاهرة ٠٠ آلاف فى مداخلها فى أحياء رئيسيـــة زى حى [غمرة] [عـــزبة القـــرود] [المعادى] [حلوان] .

قضية الهجرة يجب أن نعالجها بشىء من الحـــزم والحسم ، ان الحلول التى وضعت لهذه القضية وهى كثيرة ونوقشت فى لجنة رأسها المهندس محسن ادريس فى برنامج القاهرة الكبرى ووضعت حلولا. وكنا فى محافظة القاهرة متقدمين بحلول بعضها عاجل والبعض غير عاجل ٠٠ خرجنا بحلول نظرية لا تودى ولا تجيب وهى الحلول البعيدة المدى ٠٠ لكن أنا بقول فيه هناك حلول جذرية وسريعة وحاسمة يجب أن تبدأ من الان رغم أن فيها متاعب فى تطبيقها ٠

ولو سرنا فى هذه الحلول السريعة وعمل حلول لقضية الهجرة عاجلة وليست الحلول الاجلـة وحدها لابد أن نصل الى هدف ولو بنسبة تتزايد بمرور الوقت ٦٠ فى المائة ٧٠ فى المائة ٨٠ فى المائة الخ ٠٠ انما لابد من حسم مشكلة الهجرة التى تسبب للقاهرة صداعا فى الامن وفى تجارة المخدرات وفى العشش الصفيح الموجودة ، وفى التموين ٠

ومن نتائج الهجرة ايضا كثرة الباعة الجائلين، عددهم اليوم [٣٠] الف بائع جائل ، والشوارع لا تستوعبهم وهم منتشرون خارج المحلات المخصصة لوقوفهم ٠ وجزء منهم بتراخيص والباقى بدون تراخيص وهم يشكلون خطرا على المواصلات فى القاهرة لا يحتمل ٠

اذن قضية الهجرة أيضا من المعوقات اللى موجودة فى القاهرة ، ومن اشد انواع المعوقات واذا لم تزل المعوقات التى اجملتها الان فان اى شىء فى التخطيط سيكون فيه متاعب لاحصر لها ٠

ملامح من قاهرة المستقبل

احلامنا واحلام كل من يريد ان تصبح القاهرة فى المستوى المشرف تريد الى جانب خطة التخطيط التى أشار اليها الاخ [محسن] .. ملامح قد نكون فى بعضها متأخرين عن كثير من دول العالم وكان يجب أن نبدأ فيه من قبل الان بكثير لكن نقدر نقولها ونجملها فى الاتى :

أولا : لو مسكنا قطاع النيل من حلوان لشبرا الخيمة .. النيل الجميل لو موجود فى أى بلد ، فى العالم كان يبقى عليه العشرات من الكبارى ، ومن سافر منا الى الخـــارج رأى فى باريس كل كـــذا متر كـــوبرى ولو كوبرى صـــغير . النيل محروم من هذا العطف وعدد الـــكبارى الموجودة عليه عدد محدود ويجب ان يتكاثر عدد الكبارى على النيل التكاثر الذى يتمشى مع كبر القطاع وجمال العاصمة وجمال النيل ايضا .

ثانيا : موضوع الانفاق وسأترك الكلام فيه للاخ سليمان عبد الحى انما أريد أن أقول أن القاهرة « فاتها القطار » بالنسبة لوجود الانفاق فيها وكان يجب أن يبدأ فيها من قديم فنأمل أن صورة المستقبل يكون القاهرة كلها تحتها شبكة ضخمة من الانفاق ٠

ثالثا : موضوع الحدايق ، القاهرة فقيرة فى الحدائق فقرا غير معقول ويجب ألا نترك المشكلة تتضاعف أمامنا وتبقى فى حاجة الى حل سريع وأعرج ٠ ودائما الحل السريع مهما كانت الدقة فيه فهو حل أعرج ٠ والحدائق الموجودة لا تحظى بالرعاية اوالعناية اللازمة.ويكفى ان اذكر لكم أن ما رصد فى ميزانية القاهرة السنة الماضية للحدائق كان ١٤٠٠ جنيه ٠ ونحن فى التخطيط نتكلم عن الحدائق ونقول الحدائق مهمة والفرد له كذا متر مربع والحدائق تزيد جمال العاصمة . ولكن الكلام يبقى محاضرات ولا ينفذ هذا الكلام ٠

وهذا يمكن أن يقودنا الى أن نقول بأن مشاكلنا هذه يجب أن تتبلور ويوضع تخطيط خمسى أو سبعى لحلها شأنها تماما شأن خطة التنمية ٠ ونعمل خطة للمجارى وخطة للمياه ٠٠٠ الخ ونربطها مع بعض طولا وعرضا،وترصد اعتمادات رصدا متناسقا مع بعضه بحيث نمشى فيه مرحليا الى ان نصل فى خلال السنوات السبع أو السنوات الخمس الى الشكل الذى نستهدفه .

والمساكن القديمة الموجودة فى القاهرة تمثل مشكلة ٠٠ القاهرة زاخرة بالمساكن البالية والمتصدعة ٠ وخطة الاسكان يجب أن تشمل النظرة الى المساكن القديمة الى جانب التى ستبنى جديدة ٠ بحيث يدخل فى خطة المساكن كل سنة اعتمادات لاحلال مساكن جديدة بدل المساكن القديمة ٠٠ وهناك أحياء مثل حى بولاق يجب أن يكون واضحا فى الخطة من الان انها يجب ازالتها نمسك هذه الاحياء ونضع خطة بعيدة المدى لاعادة بنائها ونبحث عن موقع نبنى فيه مساكن لهؤلاء الناس ونرحلهم فيها ، ونهد ونرجع نبنى مكان ما هدمناه قطاعا جديدا باسلوب أو آخر .

واذا لم نضع منذ الان مثل هذه الخطة لن تتخلص قاهرة المستقبل فى سنة [٢٠٠٠] ، مثلا من عزبة القرود وما يشبهها ٠ ولا يجوز ان نمتد عمرانيا فى مناطق مختلفة تاركين هذه الثغرات أو هذه البقع لاتزال موجودة ٠

يجب أن تحظى الخدمات بالاعتمادات اللازمة وان ننظر اليها نظرتنا الى خطة التنمية .. النيل العظيم بجلاله وجماله محروم من أى وسيلة من وسائل المتعة .. قطاع النيل الموجود فى القاهرة لازم يكون قطاع حى فيه تفريج عن أعصاب الناس فيه الدراجات البخارية فيه اللنشات الحلوة فيه الجمال كله،النيل ممكن ان يكون قطاعا راقصا،وانا عايز اقول ان المدن يلزمها الجمال عشان تجذب الناس والسياح وترفه عن أهل المدن لان اعصابهم دائما مشدودة ٠٠ النيل محروم والاوضاع القائمة فى القوانين وفى التشريعات ، وانا هنا عندى جرأة انى اقول هذا الكلام — تجد من هذا يعنى فيه مواطنين يتقدمون بهذه المطالب فعلا ولكن يقال لهم لا ٠٠ لماذا ؟

وسائل النقل القديمة الموجودة فى القاهرة مثل [الكارو] والحمير ، هذه الوسائل بتقلب النظرة الى القاهرة وعيب أن نرى فى شارع رئيسى من الشوارع هذه العربيات رايحة وجاية ٠٠ وبعدين آن الاوان ان نفكر فى حل هذه الوسائل القديمة ووجودها فى مدينة القاهرة ٠

وسائل تنظيف القاهرة ، ما من شك فى أن أى مدينة محترمة لازم تكون نظيفة ٠ العاصمة حتى الان ليست نظيفة ! العاصمة تخرج ثمانية آلاف طن زبالة فى اليوم منهم حوالى ٤ آلاف ينقلها القطاع الخاص ويبيعها وحصيلة مبيعاتها تصل لحوالى ٤ آلاف فى اليوم ٠ والباقى لا يستخرج منه أى شىء وتحمله البلدية بوسائل عتيقة وغير كافية، العاصمة تزايدت وكبرت ولم يتسع جهاز الخدمة معها لدرجة أننا حين نقدر العدد اللازم من الكناسين فى القاهرة نجد انه ينقصها [١٤] ألف كناس ، وقد عينا اخيرا ثلاثة آلاف كناس بعد مشقة. والنظافة تتم بالوسائل البدائية (بالمقشة) وليس لدينا اى وسيلة ميكانيكية ، ولم نشتر سيارات جديدة لهذا المرفق والعربات اللى بتشيل منذ سنة ١٩٦١ .فى القاهرة الان حوالى ٣٠ أو ٤٠ الف سلة قمامة معلقة فى الاعمدة واسبوعيا نضيف اليها سبعين سلة ، ومع ذلك نجد الورق مرمى فى الشوارع والسلال فارغة ٠ وذلك لان توعية الجمهور عندنا فى ناحية الخدمات يجب أن تبدأ من المدرسة ٠ وأنا اكرر هذا بمناسبة وجود الاخ عبد العزيز السيد بجانبى ٠ وقد اخطرنا المدارس باستعدادنا لتزويدها بسلال القمامة مجانا . . انا اقتحم مدارس رياض الاطفال واضع فيها سلال القمامة لكى ينمو وعى بالنظافة ، يغرز فى الطفل من الصغر ٠

وبخصوص القوانين الموجودة : القوانين الموجودة الان ليست رادعة بما فيه الكفاية ٠ لقد عدلنا القانون وياليتنا ماعدلناه ٠ فقد أساء التعديل الى القانون ، عملنا حوالى [١٧] ألف محضر مخالفة نظافة فى أول شهر طلع فيه هذا القانون ٠ تعرفوا سيادتكم ان القضاء رجع لنا هذه الحاضر كلها وطالب بشهود لهذه الحوادث ، طبعا







المهندس كامل زيتون

هذا غيرمعقول كيفنحضر ٣,٤ ألف شاهد،بمعدل شاهدين لكل مخالفة ؟ والنتيجة أنه لامحضر ولا غرامة وبقيت مخالفات النظافة بلا عقوبة . وهناك مثل آخر أنا فوجئت من شهر بجامع في ميدان التحرير جنب محطة الاوتوبيس بنى في خلال الليل فقط .وعلى الصبح وجدتلافتة [انما يعمر بيوت الله ...] وفوقها مسجد ناصر .. أن جهاز المقاولات السريع بهذه الدرجة،انا أريد ان اتعرف عليه لكى استفيد منه في وقت الجد. نعملمحضر ونريد الازالة ، يقال لنا حرام عليكم ، اتركوهم شوية . ليس هناك فاعلية في القانون حاليا ويجب تغيير القوانين بمرحلة ردع . القوانين في أوربا وخلافها شديدةلدرجة انالفرد منخوفهمنالقانون تربى عنده الوعى . عندنا مصالح حكوميةوهيئات كبيرة تبنى بدون ترخيص واخواننا من « دار المعارف » هنا مشرقين . دار المعارف دى كلها طلعت بدون تصريح وكان يجب ان تهدم لانها في منطقة لا تصلحان تكونمطبعة اطلاقا.ويمكن الاخ محسن يعزز كلامنا . وقد أرسلنا اليهم جواب واثنين وثلاثة . ولا فائدة لان القانون ضعيف . وهذا مجرد مثال ..

وطبعا لكى نكون مدينة جميلة يجب أن تكون **الانارة جيدة** والشوارع تتجدد ، وأنا على قدر ما استطيع بحاول تجديد الشوارع الرئيسية .ولم تكن هناك اعتمادات خلال السنوات الثلاث السابقة هذه السنة حصلنا على عشرين الف جنيه وذلك كان برجاء من السيد وزير الادارة المحلية . ويجب تعميم وسائل الانارة الحديثة لان القاهرة من المدن اللى يعاب عليها قلة النور .

وايضا تحتاج القاهرة الجديدة الى **مواقف السيارات** والاخ [محسن] كان قد درس هذا الموضوع أكثر من مرة ولكن الدراسات لم تنفذ لعدم وجود اعتمادات لها .. الجراجات متعددة الطوابق سواء من فوق الارض أو من تحت الارض لامفر منها لان القاهرة في حاجة الى هذا النوع لان الارض الفضاء قلت جدا .

وهناك أماكن تحتاج لتجديد وصيانة مثل **الاماكن الدينية** من جوامع وكنائس لان حالة القديم منها ساءت جدا ، فلابد من ترميمها واصلاحها واظهارها بالمظهر اللائق بالقاهرة موطن القيم الروحية .

وأيضا **المناطق السياحية**من الملاحظ أن وزارة السياحة لا تصرف عليها ولا مليما واحدا .لابد من تجميل هذه المناطق السياحية لاهميتها فلابد من رصد مبالغ لهذه المناطق من الوزارة المختصة وهى وزارة السياحة .

والغرض من كل هذا أن القاهرة تظهر جميلة وبالصورة المشرقة .

الصناعة في قاهرة المستقبل

فاروق البقرى :

أنا لاأستطيع أن أتكلم كثيرا لانى مريض . الزميل المهندس عز الدين فرج تناول تخطيط مدينة القاهرة من جوانب تنفيذية أو محلية . في الواقع أريد أن أرجع للنقط التى أثارها المتحدث الاول المهندس محسن أدريس : هو لم يقصد في الواقع أن يغفل نواحى التجميل في تخطيط المدينة ولكنه كان على وشك ان يعطينا فكرة عامة عن مفهوم تخطيط المدن وأهداف تخطيط المدن . ولذلك يحسن بنا أن نرجعللمفاهيم العامةونحصر انفسنا في المبادىء الاساسية . أظن أنه كان بيقصد ــ لو سمح لى أن أقول هذا ــ أن عملية تخطيط المدن تطورت عن الماضى . وبعد ماكانت ناحية عمرانية فقط اصبحت عملية اجتماعية تتضافر فيها كل الامكانيات في الدولة من اقتصاديين ومهندسين وجغرافيين ومخططين وأصبحت عملية مبنية على تنبؤ سليم بالمستقبلمبنى على دراساتعلمية



د. احمد مازن



اجتماعية وجغرافية تخدم أهداف التطور . وبهذا المفهوم تصبح عملية التخطيط فى الواقع كما هى معروفة اقتصاديا لها أهداف . اما أن الهدف هو خدمة المجتمع أو خدمة أهداف خاصة مثل مايحصل فى عمليات التخطيط لاغراض التوسع للصناعة مثلا ، أو تخدم قطاعات معينة مثل السياحة . وبالتالى يصبح فى بلد فقير موارده محدودة، المفروض ان توضع اولويات لخدمة غرض كل قطاع بحيث يمكن انه يطلب منا ان نركز على قطاع معين فى ضوء الموارد المحدودة . وأنا اعتقد كذلك أن التخطيط له امكانيات وحدود يعنى مثلا فى بلد معين مثل الكويت حين تحاول ان تنشىء مجتمعا جديدا مخططا عمرانيا واقتصاديا وصناعيا تكون الامكانيات من الارض والموارد موجودة . لكن اذا كانت فى مجتمع معين رقعة التوسع فيه محدودة باعتبارات جغرافية او من حيث الموارد لابد من وضع أولويات . كذلك اذا كنا ننشىء منطقة جديدة مثل منطقة حلوان يختلف الوضع عنه اذا كنا نخطط على مستوى القاهرة الكبرى . وهنا يمكن اتباع أساليب شاذة نوعا ما لخدمة أهداف تطوير المجتمع فى الـ ١٠٠ سنة القادمة . على سبيل المثال عملية التخطيط كما هى فى الاقتصاد معروفة تضع حدودا على حريات الافراد فى الانتاج وفى الاجور وفى التسويق ، كذلك فى التخطيط العمرانى تضع حدودا وقيودا على حريات الفرد فى التنقل ، وفى السكن وفى استعمال وسائل النقل . فقد يقتضى الامر مثلا أن أمنع الفرد من أنه يستعمل سيارته الخاصة فى مناطق معينة ، ويستعمل وسائل الانتقال العامة، او ان الفرد يحد من تطلعاته مثلا فى السكن، واطور نظام الاسكان أو .. الخ . يجب الاهتمام بحقيقة الصورة ، يعنى فى بحثنا لا نكتفى بالجوانب السهلة فى عملية التخطيط العمرانى وانما نتطرق للجوانب الصعبة . من وجهة نظر الصناعة عملية التخطيط فى الواقع تخدم اهداف التوزيع الجغرافى للصناعة ـ هذه الصناعة فى التوزيع أو فى التركيز الاقليمى ستتأثر بعاملين ـ العامل الاقتصادى ، فالمصانع والمشروعات الجديدة من مصلحتها ان تتركز فى المناطق الآهلة بالسكان التى تتوفر فيها كل الموارد البشرية وخدمات الاسكان والمرافق والانارة وغير ذلك ـ بينما اذا تركزت فى مناطق بعيدة عن العمران تتحمل أعباء اضافية ـ يعنى ستقيم المساكن على نفقتها والانارة وخدمات الرعاية الطبية وغير ذلك . وكان هذا ملحوظا فى حلوان مثلا . فبعض المشروعات مازالت تصرف على محطات كهرباء أو مياه . وهذا كله يشكل عبئا على المشروع الاقتصادى . ولو ادخلنا تركز الصناعة فى اطار عملية تخطيط متكاملة فاننا نخفف من اعباء الصناعة . وعلى سبيل المثال فى منطقة حلوان وجدنا ان ٢٠٪ فقط من القوى البشرية يقيم فى المنطقة، فلو حصل فى مدى خمس سنوات ان تضاعف عدد المشتغلين وبالتالى تضاعف عدد الاسر ، تكون النتيجة خطرة جدا . ولو ظل هذا العدد الكبير من العاملين يعيش خارج المنطقة الصناعية ، فان هذا يؤثر على المواظبة على الحضور وعلى انتاجية العامل وعلى امور كثيرة أخرى . وانطباعى الخاص هو ان القاهرة الكبرى من وجهة نظر الصناعة تركز فيها نصف مشروعات الصناعة وحوالى ثلث القوى العاملة فى الصناعة. واذا لم نحاول تطوير وسائل الاسكان والنقل بالذات ستنشأ متاعب اقتصادية كبيرة جدا فى خلال السنوات الخمس او السنوات العشر القادمة . وانا كان من رأيى أن أى هدف لتخطيط المدينة المفروض أن يعطى أولوية لقطاع الصناعة أولا لانه هو القطاع المنتج اذ أحسنا من اقتصاديات التشغيل فيه سيحقق زيادة كبيرة فى الدخل القومى . طبعا نحن لا نغفل أهمية القطاعات الاخرى مثل قطاع السياحة او غيره ، لكن مادامت مواردنا محدودة فالمفروض يكون عندنا أولويات والمفروض قبل هذا وذاك أن يكون عندنا كفاءة تامة فى التخطيط على أساس أن الخبرة أثبتت أن تجربة التخطيط عندنا كانت متخلفة من حيث الكفاءة .

ويجب أيضا فى تحديد الانماط المختلفة من وسائل النقل او غيره، ان نتابع التطور، ونأخذ فى الاعتبار ما يطرأ فى الخارج من تغيرات وتطورات سواء فى النواحى التكنولوجية أو التنظيمية التى تحكم أداء الخدمات او تنفيذ عمليات التخطيط فى المدن

محسن ادريس :

الاخ فاروق الحقيقة تفضل وتكلم عن تجميل المدينة واننا لم نقصد تجاهله ـ انما انا فى كلامى الاول كنت بأرمى الى ان نكون كلنا متآلفين فى التفكير خاصة وان ثقافتنا من اتجاهات مختلفة فكنت أبغى أن نتعرض فى كلمة سريعة جدا لمعانى التخطيط فى العصر الذى نعيش فيه، وعليه نربط مابين التخطيط العمرانى وبين خطة التنمية القومية وهذا لشعورى بعدم وجود هذا الترابط فى الجمهورية العربية المتحدة . كنت أود ان الندوة يكون لها مقدمات فيما يختص بمعانى التخطيط وبعدين نتطرق الى مشاكل القاهرة من الناحية العلمية . ثم نستمع لمشاكل القاهرة على الطبيعة كما هى حاليا كما حدثنا عنها الزميل عز الدين فرج ، ثم نبحث كيف يمكن ان نتغلب على هذه المشاكل ومن هنا نقدر نبرز الى القاهرة فى مستقبلها ـ أنا عندى تعليق صغير على كلام الزميلين عز الدين فرج وفاروق البقرى . كل مطالب الزميل عز الدين بوصفه مسئول عن هذه النواحى فى القاهرة او بمحافظة القاهرة كلام سليم وينطبق على القاهرة الكبرى كلها .



عودة الى مشكلة الهجرة

الواقع نفسى اتكلم عن الهجرة · والكلام ليس من فكرى وحدى وانما كان من فكر لجنه كبيرة حضرها عدد من المتخصصين فىنواحىالتخطيط شكلتفى ديسمبر ١٩٦٧ عملت دراسات جيدة ـ خرجنا منها ان معدلات الهجرة الى القاهرة مرتفعة ·

كان فيه ٩ مقترحات لمحافظة القاهـرة كلها اقتراحات تتم فوريا لكن كانت تحتاج لتنفيذها لقوة اكبر من الجيش المصرى ···

ولكن لماذا يهاجر الرجل الى القاهرة ؟ لانه ينتظر ان يجد له عملا·· نحن فىمجتمع اشتراكى نريد ان نوفر العمل للناس ·· واذا كانت الارض الزراعية تضيق بمن عليها فلابد من الهجرة من الريف الى المدينة · ومثل هذا الرجل يوفر لنفسه عملا بالطريقة التى يصل اليها ويعمل اى عمل . مثل هذا الرجل أنا كاشتراكى لابد أن أمجده · ماهو الحل الصحيح اذن ؟ الحل الصحيح هو ان نلجأ الى التخطيط الاقليمى الشامل بمعنى ان نجد فى الاقاليم المختلفة الاعمال اللازمة ؟ الخدمات اللازمة لاستيعاب سكانها ·

فى الواقع اللجنة وصلت الى حاجات مختلفة ·· فيها حل للهجرة ·· نقدر نتحدث فيها بصفة عامة ·· منها التخطيط الاقليمى الشامل ـ منها ضرورة نقل كل الحاجات التى ليس لها علاقة بالقاهرة الى خارج العاصمة .

النقطة الثانية : العالم كله تجتاحه الان موجة من الانفجار السكانى على سبيل المثال كان تعداد العالم ٢٥٠مليوننسمةفى سنة ١٧٠٠ثم اصبح ٦٠٠ مليون نسمة ـ يعنى تضاعف عدد السكان ـ فى سنة ١٧٥٠ . ثم اصبح ١٠٠٠ مليون نسمة مرة اخرى ثم بلغ فى ١٩٣٠ حوالى ٢٠٠٠ مليون يعنى تضاعف مرة اخرى . وفى سنة ١٩٦٢ كان العدد ٢٧٠٠ مليون ـ والقاهرة الكبرى اليوم عبارة عن ٦ ملايين وفىسنة ١٩٩٠ وحتىاذا انخفضتمعدلات الهجرة سيبلغتعداد القاهرة الكبرى٧ر١٤ مليون، ولو ظلت الهجرة على ما هى عليها الآن تصل القاهرة الى ١٦ مليون نسمة فى سنة ١٩٩٠

مثل من حلوان

ولنأخذ مثلا من منطقة حلوان الصناعية · هناك دائما نسب بين عدد العاملين فى الصناعة وعدد الناس الذين يعيشون بجوارهم فى تلك البيئة ويعملون فى أعمال أخرى (تجارة ، خدمات ، نقل ···· الخ] او لا يعملون،وهىنسب تتراوح ما بين ١ الى ٧و١ الى ١٣ · وفى مدينة مبتدئة كحلوان الصناعية هذه تأخذ نسبة ١ الى ٧ · وعلى ذلكفاذا كانعددمن فىهذه المنطقةالصناعيةسيبلغ ١٠٧ آلاف ، فمعنى ذلك ان عدد سكانها سيكون ٧٥٠الفنسمة فاذا قدرنا انمتوسط الاسرةخمسة افراد فان المنطقة تحتاج الى ١٥٠ الف وحـدة سكنية · ويقدر الموجود منها حاليا بعدد ٢٠ الف وحدة سكنية لاننا نتحدث عن حلوان الصناعية المتـدة من المعصرة الى التبين والشـوبك . المطلوب اذن ١٣٠ ألف وحدة سكنية فى سنة ١٩٧٥ وكان من الواجب أن تتم فى سنة ١٩٧٢ ـ بتكلفة حوالى ١٥٠ مليون جنيه كوحدات سكنية بمعدل الوحدة حوالى ألف جنيه بالاضافة الى تكلفة الطرق والمجارى والمياه والنور وجميع الخـدمات من مدارس وصحة وأمن و ·· و ·· الخ ··

المخطط والسياسى

هذا مثال لمنطقة واحدة فى القاهرة الكبرى · وتلك هىالقضايا التىتشغل المخططين. لان هناك فرقكبير جدا بينالمخطط والسياسى،المخطط بينوء بأحمال من الالام ، لا يمكن أن يتخفف منها اذا كان مخلصا لبلده · والرجل السياسى لا يريد ان يسمع هذا الكلام ـ انه يريد ان ينفذ اليوم حاجة ويقول أنا عملت الشىء الفلانى او فى وقتى انا اتعمل كذا دون النظر للمستقبل حتى ولو كانت هذه الحلول من النوع الذى نلجأ اليه ونقول حل عاجل وهناك حل آجل ـ نحقن نفسنا بمخدرات ونقول حل عاجل ثم ننسى الحل الاجل ، مش ده انما التخطيط الذى يلزم أن يكون فهو أن نضع خطة · خطة شاملة تعالج النواحى الاقتصادية والنواحى الاجتماعية وتجمع بين التخطيط لهاتين الناحيتين مع تخطيط عمرانى سليم . ولا نقر اى شىء الا بناء على احصاء سليم ودراسة عددية · لا نشق أى طريق الا لما يكون ثابتا بأرقام وبدراسة مؤكدة انه يستحق الانشاء ·

ولا نقوم بأى عمل الا لما نكون متأكدين منه انه لن يتعارض مع اى شئ للمستقبل . هذه هى آلام المخطط ـ الافكار كلها فى دماغه ولكن الرجل السياسى يريد ان يعمل اليوم ، فعلاج موضوع النقل مثلا لابد وان يرتبط ارتباطا كليا وجزئيا بالتخطيط العمرانى وبالكثافات السكانية الموجودة . لا يجوز ان نتكلم عن النقل منفردا او عن الاسكان منفردا ·· الخ ·

انما كل هذا لازم يكون في بوتقة واحدة ولازم يمشي كله مع بعضه ولازم نطلع بنتائج معينةتعتبر جـزءا من اهـداف خطة التنمية الاقتصـادية والاجتماعية للدولة ·

ومن هنا يحصل الارتباط، خطة التنمية القومية تعد على المستوى القـومي على نطاق الـدولة كلها · والتخطيط العمراني ينطبق على المدن أو القرى · وانما هناك مستوى يتلاقى عنده هذان النوعان من التخطيط وهو التخطيط الاقليمي الذي يرتبطمن ناحيةبالتخطيطالقومي،ومنناحية اخرىمع التخطيط العمراني للمدينة كمدينة او مجموعة من المدن او مجموعة من القرى .

لقد عملنا خطةقومية واحدة .. ولما نقرا تعليق وزارة التخطيط عليها نجد فيها الاعتذار عن كل تقصير بأمور لم نكن متوقعة،مثلالقول بانه حصل تزايد في عدد السكان لم يكن منتظرا ولا مرتقبا · أو أن الخلل في الميزان التجاري يرجع للزيادة في واردات القمح في خلال سنة كذا ، والعمالة زادت والناس بقت تشترى · واذن نخرج من هذا بأن الخطة رغم مابذل فيها من جهد لم تكن خطة بالمعنى الكامل ·

أول عنصر من دراسة عناصر الخطة هو تحديد عدد أفراد المجتمع الذين تخدمهم ، عددهم الحالي وعددهم في كل سنة من سنوات هذه الخطة · في الواقع هذه الامور لم تدرس في الخطة دراسة كافية وجاءت الخطة بتاعتنا على أساس أنها أرقام ميزانية مخصصة لقطاعات محددة · ويجب أن يكون التخطيط لاجل طويل عشرين أو خمسة وعشرين سنة · وهذه فترة معقولة للتخطيط (٢١ سنة) سيبلغ سكان الجمهورية ٥٤ مليون أي ٢٤ مليون زيادة،ماذا سنفعل لمواجهتها ؟ نحن نطالب الان بالخدمات ونطالب بوسائل نقل ، وباعتمادات للاسكان .. الخ .

لنضع أنفسنا في كرسي المسئول · نفضل العمالة نفضل الخدمات ، نأكل رغيف العيش أم نركب الاوتوبيس ونتمتع ؟

كل واحد فينا يفكر في حدود نطاقه ، فرجل الخدمات يريد المزيد من الخدمات · ورجـل الصناعة يريد الصـناعة ، وكذلك المسـئول عن الاسكان .وكل واحد يريد اكثر..الحل السليمفي الخطة الشـاملة التي تعالج العمالة والاعاشة والخدمات على المسـتوى القـومي وبأهـدافها وسياستها المحددة المدروسة في اثناء فترة معينة من الزمن ننزل الى الاقاليم ، ومن الاقاليم الى المدن اذا اردنا ان نتحدث عن مستقبل القاهرة فيجب أن نتحدث قبل هذا عن مستقبل الجمهورية وأهداف خطة التنمية وسياسات خطط التنمية — ومن هنا يمكن ان نعرج الى اقليم القاهرة الكبرى ومن ثم يمكننا ان نتطور الى ماذا سنكون عليه القاهرة التي نحتفل بعيدها هذه الايام .

وجهة نظر علم الاجتماع

محمد عزت حجازى

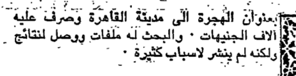
ـ الحقيقة انا في وضع لا يسمح لي ان اتكلم عن الجوانب التنفيذية او مشروعاتتطوير او مواجهة مشاكلالقاهرة لانيأعمـلفيالمركز القوميللبحوث الاجتماعيةوالجنائية فيمكندوريهو ابداءملاحظات باحثعلى مشروعاتواجراءاترجال التنفيذ.ممكن أركز على مسالة التخطيط باعتبارها المدخل لمناقشة الموضوع كله ، وانا طبعا لن اعرف التخطيط لاني لست بصدد التعريف ولانه قيل الكفاية في هذا الموضوع · انما أنا تصوري للتخطيط انه أي خطة سليمة . .أنه يجـبان يقوم على الاسس الاتية :

اولا : يحل المشاكل القائمة .

ثانيا : تمنع ظهور المشاكل الموجودة أو ظهور مشاكل اخرى مماثلة . اضرب مثلا للتوضيح : ازالة الاحياء أو المناطق المتخلفة في القاهرة — مع الاسف الشديد جدا ينظر لهذه المسالة أو هذه المشكلة على أنها نقطة سوداء في جبين العاصمة الجميلة . ونغفل مشاكل الناس الذين يمثلون أغلبية سكان العاصمة ·

العاصمة ليست الزمالك ومصر الجديدة . العاصمة أصلا هي بولاق والسيدة زينب وشبرا · ولما نعمل مشروعات تخطيط في هذه المناطق نغفل عادة احتياجات الناس ، فمثلا تزال المساكن في المناطق المتخلفة وهي وحدات سكنية فقيرة من دور او دورين،ونبنى لهم عماراتمثل مساكنالعمالفي امبابة ٥ و ٦ أدوار · ولهذا نغير حياة هؤلاء الناس ونفرض عليهم انماطا جديدة من الحيـاة يستسيغونها وليسوا على استعداد لها ·

نحن مع الاسف كثيرا ما نغفل العـامل الانساني · في بعض الاحيان يكون هناك وعي بأهمية بعض الجوانب الانسانية ، وفعلا يتخذ اجراءات مثل تشكيل لجنة لدراستها · ومع ذلك نهمل احيانا نتائجالدراسة ،لقد قيلهنا ان مشكلة الهجرة مشكلة خطيرة ، ولم يذكر احد مثلا ان المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية أجرى فيسنة١٩٦٠بحثا ميدانيا استغرقحواليهسنوات



بعنوان الهجرة الى مدينة القاهرة وصرف عليه آلاف الجنيهات . والبحث له ملفات ووصل لنتائج ولكنه لم ينشر لأسباب كثيرة .

جهاز التخطيط يجب أن يرجع الى الاجهزة التي يمكن أن تعطيه التوصيات المعقولة في هذا الموضوع — انا لا اتصور مثلا لجنة تشكل لدراسة ووضع توصيات خاصة بمستقبل القاهرة من غير ما يتمثل فيها هذا المركز ويكون له مسئولية كبيرة جدا — يبقى النقطة الاولى في رأيي هي ارساء العامل الانساني في النظر الى مشاكل .. النقطة الثانية مهمة جدا هي مسألة النظر الى مشاكل القاهرة على انهاء او حل مشاكل القاهرة بحيث أنها تبقى عاصمة جميلة او تبقى منطقة سياحية

قيل الكثير عن العربيات الكارو وعن الزبالة - أنا أعتقد ان تلك هي مشاكل القاهرة - انا في رأيي طبعا قد اكون مخطئا انا بعبر عن رأيي انا - اهتمامنا وخطتنا ومصادرنا تجب على الاجابة على مشاكل الناس وحلها قبل ما نتجه لتجميل القاهرة .

أنا عجبتني جدا الملاحظة الجميلة التي أبداها السيد المهندس محسن ادريس عن الناس القادمين للقاهرة لان مجتمعاتهم تلفظهم ، هؤلاء ليسوا «غاويين» المسألة بعضهم طبعا من امثالنا الدكاترة والمهندسون والموظفون الكبار ، يرفضون العمل في الاقاليم ، انما الناس الذين ضاقت بهم مجتمعاتهم فوضعهم مختلف . لايجوز أن نبقى نحن هنا ولا نذهب للريف ونقول ان من يسعون للعمل يجب أن يخرجوا منها حتى ولو بالقوة؛ انا في رأيي مسألة تجميل القاهرة تأتي في الدرجة العاشرة . والمسألة التي في الدرجة الاولى من الاهمية هي ان تكون القاهرة فيها امكانيات العيش للناس الذين يعيشون فيه على مستويات مختلفة .

الملاحظة الثالثة هي انه أثيرت مسألة الاجراءات مثل ان تدخل في المدارس صناديق قمامة وعندنا ظن اننا لو عملنا هذا سيتعلم الاولاد النظافة ، وناسيين ان الولد اذا وجد في المدرسة سلة القمامة فلن يجدها في أي مكان ثاني .

انا لا اقول ان الاجراء يغني وساخة الناس ، وانما اقول اننا يجب ان ننظر للظروف اللي بيعيش فيها الناس .

النقطة الرابعة وأريد أخلص بسرعة لاعطي فرصة لغيري ، قيل ان المشاكل معروفة — لكن المشكلة هي الاجراءات الادارية والميزانية — انا

مختلف تماما في هذه النقطة — انا من رأيي اننا لا نعرف عن مجتمعنا قدر ما يعرف الاجانب عنه ومع الاسف أنه لم يكتب أحد عن حياتنا الاجتماعية ومشاكلنا في هذا القرن .. نحن نتصور احيانا اننا نعرف بعض المشاكل — انا شخصيا باعتقد ان هذا خطأ كبير جدا لاننا نحاول ان نطبق بعض المفاهيم والحلول التي توصلت اليها مجتمعات أخرى في مجتمعنا لمجرد أنها نجحت هناك وهذا في رأيي من أهم الاسباب في فشل كثير من المشروعات — مشروعات التجميل — مشروعات اثارة الوعي . ويمكن المثل الحاضر حكاية تنظيم النسل — برنامج ضخم خصصت له الدولة ميزانية يمكن لم تخصصها لكثير من مشروعات التنمية . ومع هذا لم تجد دراسة واحدة فيما أعلم لنسأل الناس اذا كانوا يستفيدون منه بالفعل ويقبلون عليه — أنا لا اتصور — مثلا امكان قيام لجنة مثل لجنة القاهرة الكبرى بدون لجنة فرعية لتنظيم النسل .

في تصوري ان اي حل لمشاكل القاهرة الحالية، وتفادي وجود مشاكل مستقبلا ، والوصول بها الى الصورة التي نتمناها هو أن نأخذ في الاعتبار على الاقل ثلاثة أشياء :

الحاجة الاولى : نمو القاهرة والسيد المهندس محسن ادريس قال معلومات جميلة في هذا الموضوع يتغفل في أغلب الاحيان . يعني مثلا في بعض الاحياء الجديدة السكنية نلاحظ ان الشارع ضيق جدا لا يسمح بمرور كاف . وهذا غريب جدا في عصر أصبحت السيارة فيه من مستلزمات الحياة تقريبا ، وهذا موجود في احياء مثل مدينة المهندسين .

الحاجة الثانية : وهي لصيقة بالاولى — هي ان أتصور مستقبل بولاق من خلال تصوري لمستقبل الزمالك - لان هذا خطأ كبير . أتصور وأخطط لمستقبل بولاق على ضوء تصور سكان بولاق واحتياجاتهم في هذا الحي .

الحاجة الثالثة : هي انه لا سبيل اطلاقا الى الوصول الى اي تغيير أساسي في القاهرة بدون ربط خطة تنمية القاهرة أو مواجهة مشاكل القاهرة بخطة تطوير المجتمع . دي العاصمة ومركز جذب لاغلب الناس فيها تركيز في الصناعات . فيها يمكن خمس او اقل من خمس عدد السكان، فلا سبيل اطلاقا الى حل مشاكلها الا في اطار تصوري لمشاكل المجتمع ، وفي اطار تخطيطي لمشاكل مجتمعنا .

أهمية الاجماع الايديولوجى

سيد يسن :

الحقيقة انا متصور ان موضوع من أهم الموضوعات التى ينبغى أن تولى بالعناية مسألة الاطار الاجتماعى الذى تتم فيه عملية التنمية الاقتصادية — فى تصورى أن فيه فرع من فروع الاقتصاد — والدكتور اسماعيل صبرى يصححنا فى هذا — يسمى الاقتصاد الاجتماعى . فانا متصور ان وضع اطار اجتماعى لعمليات التنمية الاقتصادية مسألة بالغة الاهمية . وأساتذة الاجتماع فى الفترة الاخيرة قد اهتموا بدراسة البلاد النامية والمتخلفة — اهتموا بالتركيز على وجهة نظر علم الاجتماع فى تحليل عمليات التنمية الاقتصادية ووصفوا بعض الاطر المختلفة التى تساهم فى تحليل ظاهرة عملية التنمية الاقتصادية وردود افعالها فى المجتمع . ولو حاولنا احنا نطبق مثل هذه الاطر على عملية التنمية الاقتصادية فى الجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال نقول ان هناك اطار يقترحه بعض العلماء يقوم على تحليل اربع نقط اساسية فى الجوانب الاجتماعية لعملية التنمية الاقتصادية . النقطة الأولى متعلقة بالايديولوجية التى يتبناها المجتمع — أو بعبارة اخرى الاهداف القصوى التى يريد ان يحققها — والنقطة الثانية هى النظم الاجتماعية السائدة فى هذا المجتمع — والنقطة الثالثة متعلقة بما يمكن ان نسميه الجانب التطبيقى للنظم الاجتماعية — والنقطة الرابعة متعلقة بما يسمى الدافعية أو دوافع الافراد أو سلوك الافراد — ومن الواضح أن دوافع الافراد بتتأثر المستويات الثلاثة السابقة .

والنقطة الاولى تحكم فى الواقع حاجات كثيرة جدا . فاذا كانت الايديولوجية واضحة ومحددة من شأنها أن تؤثر على كثير من عمليات التنمية الاقتصادية وما يتبعها من عمليات تنمية اجتماعية ، لأنها تحدد الاهداف القصوى التى يسعى المجتمع الى تحقيقها — انا فى تصورى أن هذه الايديولوجية فى الجمهورية العربية المتحدة لم تتبلور بعد على أسس سليمة . وهذا بيؤثر فى مواقف عديدة بتتخذ ، أو قرارات هامة بتتخذ بالنسبة لبعض المشكلات . يعنى من الحاجات العجيبة جدا مثلا التى تثار فى الفترة الاخيرة مسألة الاراضى المستصلحة وما دار حولها من مناقشات وهل تملك أم تبقى فى القطاع العام . انا متصور ان مثل هذه المناقشات تثار فى كل مشكلة جزئية ، معناها اننا نفتقر الى ايديولوجية متماسكة قديرة على أن تضع المشكلات فى المدى القصير والمدى الطويل .. طبعا هناك بعض الناس بيقولون : ان عندنا هنا ما يسمى اشتراكية تجريبية يعنى اشتراكية المحاولة والخطأ . ولكن كما قالت استاذة اقتصاد انجليزية نشرت مقالة ممتازة فى مجلة مصر المعاصرة من مدة . لا اتصور ان الشعب المصرى يستطيع ان يتحمل نتائج الخطأ والمحاولة والخطأ لان المشكلات حادة ومتفاقمة — مشكلة الايديولوجية وثباتها وتبلورها وتحديدها فى تصورى تحكم عمليات التنمية الاقتصادية فى المدى القصير والمدى الطويل . الجماهير يجب أن تعرف بالضبط الذى سيحصل فى الخمس سنوات أو العشر سنوات القادمة ، وما هى السياسة الاجتماعية التى ستطبق . مسألة الايديولوجية فى تصورى تحكم كل المستويات الاخرى التى تكلمت عنها .

فمثلا من ابرز النظم الاجتماعية النظام الاقتصادى أو نظام الملكية فى المجتمع .. الخ . وهو يحدد حاجات كثيرة فى هذا المستوى — مسألة الجانب التطبيقى للنظم الاجتماعية — العمالة والبطالة .. الخ . بتتحدد كذلك على ضوء الاهداف التى يتبناها المجتمع ودوافع الافراد تتشكل كرد فعل لما يتمثلونه من سياسات اجتماعية موضوعة أو مقترحة .

ما هى الوسائل الفعالة لتغيير اتجاهات الافراد ازاء بعض الظواهر ؟ — ما مدى ارتباط الاتجاهات



فاروق البقرى



المهندس كمال صبرى شهيب



المهندس محسن ادريس



عند الافراد بالنسبة لبعض الظواهر مثل تنظيم النسل أو غيره ــ ما مدى ارتباطها بالعامل الاقتصادى أو غيره ــ هل مجرد رفع مستوى العامل ــ هل مجرد تحسين الاحوال الاقتصادية كفيل بتغيير الاتجاهات ؟ أم أن مسألة تغيير الاتجاهات تتحكم فيها عوامل مختلفة .

المسائل الاجتماعية تدخل بطريقة جذرية فى اى عملية فى تطور القاهرة . لازم نعرف بالضبط خصائص السكان من وجهة النظرة الاجتماعية والنفسية، واعتقد انالمركز القومىكان عمل بحثا فى بولاق واعتقد ان البحث سيظهر قريبا وفيه اعتقد بيانات لابأس بها عن مختلف الخصائص الاجتماعية والنفسية لسكان هذه المناطق الذين يجب اولا انننهم الاول اذا اردنا ان نخطط بطريقة فعالة وناجحة ، نقطة اخرى احب اثيرها ــ احيانا نريد أن نحمل الريف أشياء كثيرة ــ علاقة الريف بالمدينة علاقة غريبة جدا عندنا ــ يعنى مثلا من ضمن الحلول الساذجة التى تطرح احيانا مسألة الشحالين او غيرهم ، نقول ان نرحلهم الى قراهم الاصلية ــ مسألة الهجرة الداخلية كذلك نرجعهم الى الريف . نحن لا نريد حل المشكلة ــ لكى يقول السياح ليس بالقاهرة شحالون ، واحمل الريف المصرى كل الجوانب السلبية التى تريد المدينة ان تتخلص منها . مسألة تحديد العلاقة بين الريف والمدينة مسألة تحتاج الى اعادة نظر ــ وكذلك مسألة توطين الصناعة . فهناك ميل شديد الى تركيز الصناعات فى القاهرة وان فى السنين القادمة سيتزايد . ويجب ان نعرف بالضبط ماهى العواملالتى تتحكم فىانشاء المصانع وتركيزهافى منطقةالقاهرة ؟ هلهىعوامل اقتصاديةاو عوامل سياسية أو عوامل ادارية ؟ الكشف عن مثل هذه العوامل يقتضى شيئا كثيرا من البحث .

كمال صبرى شهيب :

التخطيط اليوم اصبح تخطيطا علميا ــ وهو عبارة عن خطة ورفع مستوىالجماعة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والصحية والترفيهية .. الخ .. اىكل ما يتعلق برفع مستوى المعيشة .

الدكتور عزت قال انه **لا ينبغى ان ناخذ** الحلول من المجتمعات الاخرىونحاول نطبقها هنا ــ يعنى نغش من الكتب . هذا لا يحدث . واريد ان اطمئنه على ان الجهاز المسئول عن تخطيط القاهرة الكبرى يراعى ذلك .. نحن مازلنا ندرس .. وربنا يوفقنا ونوصل الى ما يجب عمله بالنسبة لنا . اذا كنا درسنا فى الخارج فليس معنى ذلك اننا نأتى بالموجود فى الخارج ونحاول ان نطبقه فى بلدنا . هناك مشاكل فى القاهرة الكبرى ليس لها مثيل فى الخارج . ومن ضمن الحاجات اللطيفة التى احب ان اقولها لكم ان فى كل بلاد العالم مثلانجد الناس تسكن خارج المدينة الكبيرة . وتحضر اليها بالنهار تشتغل ثم ترجع تطلع منها ــ بعد ما تقضى عملها . وفى القاهرة نجد بالعكس من يشتغل فى الزقازيق او طنطا او بنها او بنى سيف يسكن هنا فى القاهرة . وهذه الظاهرة لها اسباب معروفة علىقدر علمنا ويمكن هناك حاجات كثيرة اجتماعية لم نصل اليها كلها لكن سنوصل وسنستعين بالاخصائيين .

مشكلة النقل

سليمان عبد الحى :

هذه اول مشكلة محددة سنتكلم عنها فالمناقشات كلها فيما عدا كلام الاخ عز الدين فرج كانت على نظريات التخطيط وربط الناحية الاجتماعية والناحية الاقتصادية بالاقتصاد الاجتماعى ــ فيما يختص بالنقل أنا اعتقد ان واجب النقل فى أى مدينة هو نقل الافراد من نقطة الى نقطة من حيث يسكنون الى حيث يعملون . هذا هو الواجب الاساسى ــ والمفروض أن المسئولين عن النقل يأخذون المدينة كما هى بنواحيها الاجتماعية .

فليست مهمتهم تغيير أى ناحية اجتماعية فى نواحى معيشة الاهالى . يعنى مفروض انى انا اخدمهم كما هم ــ قد يتعرض النقل لبعض المصاعب ويطالب بالمساعدة فى حلها ــ ليس بفرض تغيير ، اومطالبة المجتمع بتغيير اساليبه فى الحياة ــ انما بغرض تفادى ان يتحمل المجتمع تكلفة اقتصادية عاليةفى مجال النقل . وعندئذ يعرض المسئولون عن النقل هذه المشاكل على المجتمع ويوضحون اثرها على الناحية الاقتصادية مطالبين بالمساعدة فى محاولة حلها بهدف تقليل التكلفة ، وبالتالى تخفيف العبء الاقتصادى على المجتمع . بمعنى انه حين نطالب مثلا بتوزيع مواعيد العمل ــ فليس غرضنا أبدا أن تفرض على شخص ما يحضر لعمله فى السابعة صباحا فى حين يحضر شخص آخر فى الثامنة ــ واذا كانت ظروف الحياة تستدعى عندنا أن نسهر وبالتالى نحب نستيقظ متأخرين نوعا ما ــ ونروح الى العمل متأخرين ، فان الاستجابة لهذه الناحية استجابة كلية معناها تركيز النقل داخل المدينة فى فترة محدودة جدا من الزمن ، وبالتالى لازم تكون عندنا وحدات نقل عددها كبير جدا، ولا

تعمل الا لفترة قصيرة فى اليوم وبالتالى تكون مصاريف التشغيل عالية - ولما كانت عملية نقل الركاب فى نظر الاقتصاديين عملية المفروض انها لازم تغطى ايراداتها مصاريفها حتى لا يتحمل دافع الضريبة مثلا فى سوهاج من أجل ساكن القاهرة يركب رخيصا - المفروض ان تغطى عملية نقل الركاب بالذات ايراداتها مصاريفها - فاذا مازدنا التكلفة بزيادة رأس المال المستغل وعدم استعماله الا فى فترة قصيرة ستكون النتيجة ان أطالب الجمهور بتكلفة عالية جدا تزيد عن امكانياته وعن متوسط الدخول - لهذا نطالب بتوزيع فترة الذروة • وهذا فيه مساعدة للجمهور على أساس ان أقلل من تكلفة النقل وبالتالى أقلل من أجرة النقل • كذلك موضوع السهر • نحن نريد ان نقلل من السهر نسبيا لكى نسحب عددا كبيرا من الوحدات بالليل - مع العلم بأنه فى الخارج السينما والمسارح تقفل الساعة الحادية عشرة - وليس الغرض مرة اخرى هو اجبار الناس على النوم مبكرا . واننا لو استجبنا الاستجابة المطلقة الى الرغبات وامتد السهر الى الساعة الثانية أو الثالثة تكون النتيجة ان وحدات النقل لاتجد الفرصة الكافية للصيانة فى فترة وقوفها بالليل التى لن تزيد عن ساعتين أو ثلاث ساعات التى تبقى خلالها فى الجراجات • وبالتالى تحتاج لزيادة التكلفة فى شكل زيادة رأس المال لان لازم نوجد العدد الكافى من السيارات الذى يعادل العدد اللازم سحبه للصيانة أثناء النهار • اذن لما نطلب مثل هذه الطلبات لايكون الغرض منها اطلاقا التدخل فى الناحية الاجتماعية لان النقل خدمة تؤدى للمجتمع كما هو - وانما بس المشكلة هى أثر رغبات المجتمع على التكلفة •

مصاعب تواجه النقل

والمصاعب التى نلاقيها فى النقل تستحق الذكر قبل الكلام عن بعض المشروعات المقبلة • وأهم تلك المصاعب هى كما قيل عدم وضوح الرؤية امامنا فيما يختص بتخطيط شامل للقاهرة يمكن فى ضوئه وضع خطة طويلة المدى للنقل فى العاصمة • نحن نفاجأ ببعض الاحياء تنشأ ثم نطالب بتوفير مواصلات لها .بعض هذه الاحياء تكون منظمة فى الانشاء مثل مدينة نصر أو مدينة الاوقاف ، وبعضها غير منظم أصلا مثل المطرية • وأظن الدكتور الخفيف ملاحظ توسع غير معقول وبغير انتظام فى هذه المنطقة • أيضا الشوارع التى قيل انها ضيقة فى مدينة المهندسين فى الواقع أنها لا تتناسب مع التخطيط الحديث للاحياء الكاملة الجديدة • هذا فضلا عن الكثافة السكانية الكبيرة حتى فى الاحياء الجديدة •

فيه نواحى ثانية فى التخطيط ، منها تحسير الاحياء القديمة • وهنا لازم يكون النقل فى الصورة أيضا • أما فيما يتعلق بشراء أوتوبيسات زيادة كأحد الحلول السريعة وهل تقدر الشوارع الحالية أن تتسع لمثل هذه الاوتوبيسات ؟ فوجهة نظرنا هى أنه بتنظيم المرور فى هذه الشوارع يمكن أن تتسع لعدد كبير جدا من الاوتوبيسات • مساحة القاهرة والجيزة الان تصل لحوالى ٤٠٠ كيلو متر مربع - أظن القاهرة لوحدها ٧٥ الف فدان - معاها الجيزة حوالى ١٠٠ ألف يعنى لو ضربنا العملية تطلع حوالى ٤٠٠ كيلو متر مربع • وعدد السيارات المرخصة فى القاهرة حوالى ٨٠ الف عربية . يعنى عدد أوتوبيسات النقل العام حوالى ١١٠٠ أوتوبيس ، ومعاها ٢٢٠ تراما و ١٣٠ ترولى • وهذه الكمية ليست كبيرة بالنسبة للمساحة • فبرلين الغربية مساحتها ٤٨٠ كيلومتر مربع يعنى أقول قريبة من مساحة القاهرة فى حين أن عدد السيارات المرخصة فى برلين نصف مليون . لهذا يبدو لى انه ببعض التنظيم فى المرور - فى الشوارع القائمة حاليا - يمكن أن نصل الى زيادة كبيرة جدا فى كفاءة استيعاب الطرق الموجودة حاليا لوسائل نقل • وبالتالى لاخطر من زيادة عدد الاوتوبيسات التى نطمع فى أن يصل عددها الى ١٦٠٠ وهو رقم متواضع وانما التخطيط الشامل يجب أن يشمل تخطيط المرور نفسه ووسائل المرور الموجودة • طبعا نحن لانقول ان الزيادة التى نريدها فى الاوتوبيسات هى حل المشكلة • وذلك لسبب بسيط • عدد الركاب فى القاهرة (وبأقصد بالقاهرة ، القاهرة والجيزة) حوالى ١٠٠٠ مليون راكب فى السنة • وهذا يمثل تقريبا حوالى ٢٠٠ رحلة لكل راكب داخل المدينة، فى بعض المدن الكبيرة يكون متوسط عدد الرحلات للساكن ٤٥٠ رحلة فى السنة. ولكن الوضع عندنا يختلف من الناحية الاجتماعية ، مثلا فيما يتعلق بعدد السيدات او النساء العاملات فهو أقل منه فى بعض المدن الاخرى . ويمكن ان نقدر ان عدد الرحلات عندنا سيصل تقريبا الى ٣٠٠ رحلة وهذا مايظهر من دراسة معدلات الزيادة عندنا •

يمكن من سنتين أو ثلاث كان المتوسط ١٨٠ رحلة ووصلنا الان الى ٢٢٠ تقريبا ، واذا اخذنا فى الاعتبار زيادة السكان وزيادة شغل السيدات ٠٠ الخ نصل الى ٣٠٠ رحلة فى القريب العاجل • ولكن فى سنة ١٩٩٠ حين تصل القاهرة الكبرى الى الارقام التى اشار اليها الاخ محسن ادريس لن تكفى أى زيادة فى عدد الاوتوبيسات فلن تتسع الشوارع لمثل هذا الرقم الكبير ، خصوصا ولو أخذنا فى الاعتبار فترات الزحام المعروفة وان على



الاقل نصف الركاب يتنقلون فى ساعات الذروة وبذا سيكون عندنا ٦ ملايين راكب سينتقلون فى ساعتين أو فى أربع ساعات من النهار • عدد كبير بيحتاج لتضافر جميع وسائل النقل الممكنة • سواء النقل على مستوى الشارع أو فوق المستوى أو تحت المستوى • يجب اذن التفكير فى النقل على مستوى آخر غير مستوى الطرق ، سواء بـالانفاق أو بالطرق العلوية • وهذا يحدده ليس فقط التكلفة وانما أيضا امكانيات الشارع حيث لايمكن عمل طرق علوية فى أى شارع ، فضلا عن الناحية الجمالية فى المدينة • والملاحظ بصفة عامة أن وسط المدينة المزدحم دايما قديم نسبيا ، وتلائمه الانفاق أكثر من الكبارى العلوية رغم التكلفة العالية فى الانفاق ، لكل هذا لابد من انشاء الانفاق — طبعا تحديد الانفاق مرتبط ارتباطا كليا مع تخطيط المدينة. ويمكن اختصار الانفاق على وسط المدينة (عندنا منطقة التحرير — العتبة — رمسيس) ثم تظهر الخطوط على وجه الارض فى الحيز الخارجى [مثل شارع شبرا] والضواحى بشرط توفير سيارات سريعة لا تعطلها تقاطعات كثيرة ، لان أهم ميزة فى الانفاق هى السرعة • فالقطار الواحد يضم ٨ عربيات و ١٠ عربيات تحمل ١٠٠٠ ، و ١٢٠٠ راكب ، وبين كل قطار والتالى فترة تصل فى لندن مثلا — الى نصف دقيقة — حاجة ثانية تساعد فى تخفيف رأس المال المستغل فى النقل : محاولة ان تكون كل منطقة محتوية على معظم خدماتها داخلها — حتى لايترتب على عدم وجود مثل هذه الخدمات فى المنطقة انتقالات كثيرة او على الاقل تطويل زمن الرحلة • وهذا مبدأ مقرر بالنسبة للمناطق الجديدة • ولكن المناطق القديمة ينبغى أن نعمل فيها المراكز التجارية والمدارس والمستشفيات كى نقلل من النقل او نقلل من طول مسافة النقل. يعنى حلوان مثلا قيل ان ٢٠ فى المائة فقط من العمال الذين يعملون فيها يسكنون فيها • فاذا سكن العمال كلهم فى حلوان فأولادهم وعائلاتهم لابد أن ينزلوا للذهاب للمدارس الثانوية والجامعات والسينما والمحلات التجارية • وهؤلاء عددهم اكبر من العمال بنسبة واحد الى اربعة • فلو عملنا المدارس الثانوية فى المنطقة ، وكذلك المدارس التجارية والسينمات نجعل تنقلاتهم الى داخل البلد أقل مايمكن • طبعا حيبقى طالب الجامعة لانه لايمكن عمل جامعة فى كل منطقة ولكن المشكلة تخف كثيرا • والحكاية فى النهاية ليست مشكلة اعتمادات اضافية بل هى مشكلة توزيع الاعتمادات المخصصة للاسكان والمنشآت الاخرى توزيعا سليما على مختلف المناطق • وهكذا نعود مرة ثانية لتأكيد أهمية التخطيط الشامل علشان الاحتفاظ بدرجة من الصيانة الكاملة • ده موضوع أظن ماهواش قاصر على النقل بس ده تعرض له الاخ عز ، وبتهيأ لى بكده اشكركم واكتفى بهذا

خـدمات التعليم

عبد العزيز السيد :

فى الواقع ان الصورة التى انطبعت فى نفسى من هذه الاحاديث القيمة اختلفت كل الاختلاف عن الصورة التى كانت فى ذهنى عند حضورى — فأنا باسمكم باشكر الطليعة وارجـو لها التوفيق • وأنوه بدور المجلة والصحيفة فى النشر عن هذه المشكلات والتعقيب عليها ودراستها • انا افكر فى القاهـرة وتاريخها ومجدها السابق واثرها فى السياحة •• ولكننى أفكر فى الوقت نفسه فى باقى أجزاء الجمهورية ولا أريد أطبق الاية الواردة فى الانجيل والتى تقول « من عنده يعطى ويزاد ومن ليس له يؤخذ منه » فاذا طالبنا بأن القاهرة تكون فى مستقبلها أسعد مما هى الان فيجب ألا يتم ذلك على حساب القرية وعلى حساب الريف وهذا حرام ويبقى معناه اننا نزيد المشكلة تعقيدا • لان العملية بتغرى الريفى بترك قريته وبيته والحضور للمدينة حيث يلقى كل وسائل المتعة ووسائل الراحة رغم مانشكو منه نحن من مضايقات • أنا أرى ان الانفاق فى القاهرة لاداعى لها اطلاقا الان ، ولو انفقت هذه الاموال على المدن والقرى المجاورة للقاهرة فى هيئة مصانع انتاجية لانصرف عدد كبير من سكان القاهرة أنفسهم الى هذه الاماكن وبذلك نستفيد غرضين يخفف سكان القاهرة أو نبقيهم على العدد الحالى ثم نستفيد زيادة فى الانتاج •

نقطة أخرى مؤسفة ويجب أن يكون لكل منا دور فيها وهى مشكلة التخطيط الشامل وافتقاده ، وقد أثيرت فى المؤتمر القومى فى لجنة المائة وأنا كنت احد اعضائها ، واقترح تشكيل مجلس للتخطيط الى جوار رئيس الجمهورية مباشرة وتعليماته سليمة وموصلة وملتزم بها — ملزمة لكل الاجهزة • احنا بنشكوا من حاجتين — الحاجة الاولى العجز فى المرافق — ويتطلب هذا تربية — يتطلب حسن استخدام •

لسوء الحظ نحن نشكو من عيب آخر مهم جدا وهو اساءة الاستعمال فى المرافق العامة ، ونحن كثيرا ما نلقى اللوم على المدرسة وحدها • ولكن المدرسة وليدة المجتمع — والقيم التى تعلمها الطفل فى المدرسة ينساها فى البيت ولا يجد لها تطبيقا • اذن لابد ان يتبنى المجتمع انماطا فى المبانى ، وفى الاثاث وفى الاكل وفى المعيشة وفى المعاملة •• الخ وفى استخدام الاوتوبيس وفى احترام الملكية العامة •• الخ — انا يؤسفنى ان اقول اننا كثيرا ما نردد فى معظم المستويات شعارات لا نلتزم بها ولا نمارسها وأولادنا يأخذونها فى المدرسة لمجرد النجاح فى الامتحان وارضاء المتحن ، ويطلع بدون

حصيلة، ودون نتيجة ولا يكتسب من هذه الشعارات ومن هذه الاحاديث والايات الكريمة والشعر وغيره الا كلام ينجحه فى الامتحان · ومع ذلك فان المستقبل ليس قاتما بالرغم من تعدد المشاكل ، لنتذكر لندن بعد الحرب العظمى وبرلين وهيروشيما وكل هذه البلاد التى عانت من الحرب، السنا فى وضع اقرب واحسن الف مرة الآن فى القاهرة مما نحن فيه من مشاكل من كل هذه المدن ؟ وكيف تغلبوا هناك على المشـــاكل ؟ — تغلبوا عليها بالعنصر البشرى — العنصر البشرى هو المهم · المدرسة تتلقى اعدادا ضخمة — واظن كثيرين لا يفهمون قصدنا · لما نقول ان مدارس القاهرة تمتص ١١٥ فى المائة من الاطفال · فهذا أحد مظاهر الصداع المقيم المستمر صداع الهجرة من الريف الى داخل القاهرة · نحن نقدر انه بين كل ٦ أفراد يوجد طفل فى المدرسة · ومعنى ذلك انه فى القريب العاجل سيكون فى القاهرة مليون طفل فى المدارس — أى ضعف العدد الموجود حاليا ، وهذا له أثره على المدرسة ، لما بنعوز كمان بنبنى فصـــول كثيرة فى « الحوش » والمدارس تعمل على عدة فترات · وهو نظام لايسمح ببقاء التلميذ بالمدرسة فترة كافية للتحصيل وممارسة الرياضة والحياة الاجتماعية ·

المدرسة ليست مسئولة فى المحل الاول وليست هى المسئولة الوحيدة · فالمجتمع يجب ان يوفر أشياء كثيرة للانسان غير المدرسة وبصفة خاصة دور الكتب ، ودور الكتب العامة الى جانب المكتبة المدرسية — ولابد من ان الولد يتعلم الدخـول واستخدام المكتبة العامة فى مكتبة المـدرسة · وهناك أيضا المتاحف التى لابد من ان نغرس فى الناس عادة التردد عليها ·

وهناك المسارح ودورها · المسارح أصبحت شعبية ، اصبح عندنا فرق كثيرة ، ولكن اين نصيب المدرسة فى الحركة المسرحية ·

ان هذه الندوة يجب الا تقف عند ابراز عدة مشكلات — أنا أقترح أن نصل الى حلول ايجابية لكل هذه المشكلات · وفيما يتعلق بالتعليم أنا لا أقبل اطلاقا ان ابنى يروح ساعتين المدرسة بدل يوم كامل · لا أقبل اطلاقا ان ابنى لما يأخذ نصف نمرة يروح أسيوط ولما يزيد نصف نمرة يروح اسكندرية ولما يزيد واحد ونصف يقعد فى القاهرة ، بما يستتبعه كل ذلك من مشكلات فى النقل وغيره · أنا لا أقبل اطلاقا ان الموظفين الذين يعملون فى جميع أنحاء الجمهورية يسكنون فى القـاهرة ويسافرون كل يوم ·

المدرسة صورة من المجتمع ولا يمكن أن نتطلب مدرسة جيدة من مجتمع سىء ، ولابد لكى نحسن المجتمع لابد ان نبدأ من المجتمع نفسه لكى نغرس قيما ، لان المدرس من المجتمع وخارج من الجامعة وتحسين المجتمع يكون بالقدوة الطيبة على كل مستوى ·

خـدمات الصحة

الدكتور أحمد كامل مازن :

سأتكلم عن الخدمات الصحية فى القاهرة · باستقراء الماضى نعتقد أن المستوى الصحى فى القاهرة وفى الجمهورية العربية المتحدة عموما فى تقدم ·

فيه مقارنة عملت بين الجمهورية العربية المتحدة والبلاد النامية والبلاد المتقدمة ، ووجد أن البلاد المتقدمة مرت بنفس الظروف التى تمر بها الآن البلاد النامية بفروق قد تبلغ ٣٠ سنة أو ٥٠ سنة · وجدنا أن اسباب الوفاه بترتيب أهميتها فى بعض البلاد المتقدمة هى بالضبط أسباب الوفاة بترتيب أهميتها الموجودة الآن فى الجمهورية العـربية المتحدة ·

باستقراء الماضى وباستقراء التاريخ الطبى فى البلاد المتقدمة نتوقع فى الجمهورية العربية المتحدة وبالتالى فى القاهرة ان الامراض الوبـائية والامراض المعدية والامـراض المتوطنة ستقل نسبتها · والحقيقة أننا فى مركز طيب بالنسبة لهذه الامراض عدا الامراض الطفيلية · وسـتحصل زيادة فى الاصابات بسبب إنتشار الصناعة وبسبب وســائل الانتقال من ناحية زيادتها ومن ناحية سرعتها وتحصل زيادة أيضا فى أمراض كبار السن لان التقدم الصحى يؤدى الى ان العمر المتوقع (متوسط العمر المتوقع) بيزيد ، كل ما يزيد متوسط العمر المتوقع تبقى أمراض السن الكبير تظهر فى السكان ، أمراض القلب ضغط الدم وخلافه ، السرطان بأنواعه المختلفة · وفــى كل البلاد المتقدمة هذه الأمراض تمثل الان المشكلة الحقيقية علاوة على اصابات الصناعة وحوادث المرور · وحين نتكلم عن الخدمات الصحية لابد ان نأخذ فى اعتبارنا ان القاهرة كما انها عاصمة الجمهورية العربية المتحدة فلابد أن نعتبرها أيضا عاصمة الشرق الاوسط من الناحية الطبية ولابد أن نحرص على هذا المركز · وعندنا امكانيات فى القاهرة علمية وفنية تجعل القاهرة فى هذا المركز بسهولة ·

والحديث عن التخطيط فى الخدمات الصحية يجرى فى ثلاثة اتجاهات ، الوفرة ، والمستوى ، والتنظيم ·






المهندس سليمان عبد الحى — د. عبد العزيز السيد — الاستاذ السيد ياسين

نقصد بالوفرة . كمية الخدمات الصحية التى يحصل عليها المواطن الواحد . فمثلا اسرة المستشفيات فى القاهرة ازاء عدد السكان ، نعرف ان سنة ١٩٩٠ سيبلغ ١٤ مليونا فانه يتعين زيادة عدد الاسرة الى ثلاثة أضعاف العدد الحالى للمحافظة على نسبة عددها الى عدد المواطنين ، كما هى الان ، مع العلم بأنها ليست فى المستوى العالمى المرجو ، فاذا أردنا التحسين نحتاج الى أكثر من ثلاث أمثال عدد الاسرة الموجودة . وذلك بالاضافة الى عدد الاسرة اللازمة لاستبدال المستشفيات القديمة ، وأظن القاهرة فيها عدد لا بأس به من المستشفيات القديمة .

لابد ان نفكر فى ادخال خدمات طبية جديدة فى القاهرة ، تتعلق بالتقدم أو تساير التقدم الذى حدث فى العلوم الطبية وفى التكنولوجيا الطبية .

طبعا حين نتكلم عن الخدمات الصحية لابد ان نتكلم عن الاطباء والمرضات والفنيين الطبيين والاداريين الطبيين من ناحية العدد الذى يجب أن يزيد ، ومن ناحية مستوى التعليم والتدريب لهذه الفئات . فئات المرضات بنوع خاص فى الجمهورية العربية المتحدة ، مستوى التدريب والاعداد فيها منخفض بشكل واضح وخصوصا مستوى مدارس التمريض . لابد أن نتكلم عن تخصصات الاطباء سواء كان فى مجال الصحة العامة أو فى مجال الرعاية الطبية . هناك اهتمام شديد فى العالم الان بخدمات الصحة العامة يمكن لانها تشمل الخدمات الوقائية . لان الاهتمام بها يقلل من الامراض وبالتالى يمكن تخفيض التكاليف فى خدمات الرعاية الطبية فضلا عن تحسين المستوى الصحى .

الخدمات الوقائية تتصل اتصالا مباشرا بمشكلات الاسكان والمرافق ، فبدون حل تلك المشكلات يصعب تحسين المستوى الصحى .

وفيما يتعلق بموضوع الادارة الطبية نقول أن الجمهورية العربية المتحدة تفتقر افتقارا كاملا للاداريين الطبيين . يمكن عندنا اداريين صحيين لكن الاداريين الطبيين غير موجودين وأقصد بالأداريين الطبيين مديرى المستشفيات . نحن لدينا الان مؤسسات علاجية بعد ان اممت الدولة عدة مستشفيات وبدأنا فى التأمين الصحى ووزارة الصحة تنشىء مستشفيات جديدة وتسير فى نظام لا مركزية الذى يجعل القائد الادارى فى موقعه هو الكل فى الكل وبيده جميع السلطات . ولكن عند التنفيذ نجد ان عددا قليلا جدا من الاداريين الطبيين المؤهلين الصالحين علميا موجودون فى الجمهورية العربية المتحدة . لقد حاولنا منذ عدة سنوات أن نوجه النظر الى هذه النقطة . ولكنها حتى الان لاتصادف اى اهتمام من ناحية الدولة بهذا النوع من التخصص . وليس لدينا معهد نقدر نطمئن اليه لاعداد الاداريين الطبيين .

وأخيرا لابد أن نتعرض فى الكلام عن مستقبل الطب فى مصر للتأمين الصحى ، أنا اعتقد ان التأمين الصحى هو افضل صورة لتقديم خدمات الرعاية الطبية للجمهور . واقصد بالتأمين الصحى ، التأمين الصحى الحكومى الذى تموله الدولة . وهو اقرب ما يكون الى تأميم الطب . وميزة التأمين الصحى الحكومى على تأميم الطب التدرج فى التنفيذ . فالتأمين الصحى الحكومى ممكن انه يطبق تدريجيا على قطاع من المواطنين ثم على قطاع آخر . ومع زيادة الامكانيات المادية والبشرية يمكن للتأمين الصحى الحكومى أن يعم الجمهورية العربية المتحدة ويستفيد منه جميع المواطنين .

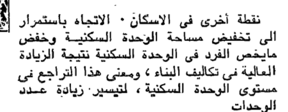
والحقيقة أن مستقبل الخدمات الطبية مرهون بنجاح التأمين الصحى . فهناك موضوع يشغل المشتغلين بالخدمات الطبية ، وهو تعدد الجهات التى تقدم الخدمات الطبية للمواطنين . وزارة الصحة تقدم خدمات مجانية واخرى بمقابل

رمزى ، والتأمين الصحى يقدم خدمات تأمينية وتعاقدية مع الشركات ، كما يقدم خدمات طبية خاصة . والمؤسسات العلاجية تقدم خدمات طبية تعاقدية وخاصة ومجانية ، والمستشفيات الجامعية تقدم خدمات طبية مجانية وايضا تقدم خدمات طبية بمقابل رمزى ٠ ولابد ان جميع هذه التنظيمات تنتهى بأن تصبح أجزاء من خدمات التأمين الصحى ٠ ومن هنا بدأ التفكير فى أن جميع هذه التنظيمات لابد ان تندمج فى تنظيم واحد حتى ان التخطيط فى المستقبل للوصول الى تعميم التامين الصحى ، يكون وفقا لخطة واحدة ، ويكون اسهل ونتجنب التعدد ونتجنب عدم التماثل فى الانظمة الموجودة حاليا ويكون توقعاتنا بنجاح التامين الصحى فى المستقبل اكثر ٠

خدمات الاسكان

المهندس : محمد كامل زيتون :

الحقيقة انا أريد الكلام فى نقطة صغيرة خالص وهى نقطة مشروعات الاسكان الموجودة فى الجمهورية والتى بدأت من سنة ٥٤ تقريبا بعد سنتين أو ثلاث من الثورة . فى تصورى ان مشروعات الاسكان التى تمت حتى الان لم تؤد الى تحسين المدن ، فنحن نختار قطع الاراضى الفضاء فى المدينة ونبنى عليها مبانى سكنية لنتجنب نزع ملكية الاراضى اللازمة لبناء احياء جديدة ٠ وفى تصورى ان المبالغ التى صرفت على مشروعات الاسكان المتفرقة منذ سنة ٥٤ لو كانت قد صرفت على تكوين احياء متكاملة لكانت النتيجة أحسن بكثير ، فلو كنا ركزنا مشروعات الاسكان فى القاهرة على حيين أو ثلاثة ، مثلا منطقة حلوان ، ومنطقة مدينة نصر ، ومنطقة الاميرية لاصبحت كل منطقة منها حيا متكاملا فيه العمارة السكنية وفيه المدرسة وفيه مستشفى وفيه السوق التجارى ٠ وعندئذ كان يمكن أن نعمل عملية خلخلة فى الاحياء القديمة الموجودة داخل المدينة تمهيدا لتجديدها ٠ وفى تصورى أن السبب فى عدم سير مشروعات الاسكان فى القاهرة فى هذا الخط ، خط تكوين احياء جديدة متكاملة ، هو صعوبة الحصول على اراض بأثمان معقولة ٠ فقانون نزع الملكية الجارى العمل به حتى الان قانون لم ينل من الثورة أى عناية ولم يساير القوانين الاشتراكية . وبمقتضاه نحن تدفع التعويض عن ثمن الاراضى وعن ثمن المبانى الموجودة فيها . آراضى اشتراها اصحابها بملاليم وندفع اليوم فيها عشرات الجنيهات ٠ لازم قانون نزع الملكية يأخذ اسلوبا اشتراكيا ككل القطاعات



الثانية فى الاراضى الزراعية وفى الأسهم وفى القطاعات الاخرى ٠

نقطة أخرى فى الاسكان ٠ الاتجاه باستمرار الى تخفيض مساحة الوحدة السكنية وخفض مايخص الفرد فى الوحدة السكنية نتيجة الزيادة العالية فى تكاليف البناء ، ومعنى هذا التراجع فى مستوى الوحدة السكنية ، لتيسير زيادة عدد الوحدات

كذلك نجد أن مشروعات الاسكان الحالية ليس فيها أى نصيب للصيانة ٠ كأننا نبنى المبنى ونتركه دون أى صيانة ٠ وهذا معناه ان الثروة القومية الممثلة فى المساكن تتآكل سنة بعد آخرى ٠ ونجد أن بدل أن يعيش المبنى ٥٠ سنة او ٦٠ سنة بيعيش ٣٠ او ٢٥ سنة فقط ٠ ٠

هناك نقطة اثيرت أمس ويجب أن نفكر فيها جديا وهى كيف ننقل المواطنين الذين يعيشون فى عشش وفى مبان ليس بها اى نوع من الخدمة الصحية الى وحدات سكنية ٠ لازم نعمل عملية تدريب ووعى للاسر التى تنتقل الى سكن جديد . وهذا أمر ليس جديدا فى العالم هذا ، فقد كان من ضمن المشاكل الكبيرة التى كانت موجودة فى السويد بعد الحرب الاولى حين بنوا المساكن التعاونية الجديدة بأساليب جديدة ٠ تمرين او تدريب الاهالى على حسن استعمال وصيانة الوحدات السكنية الجديدة يجب ان الدولة تدخله ضمن البرامج الاسكانية ٠

وأخيرا يجب أن يكون أمامنا خطة واضحة للاسكان .. لازم نحدد الحد الادنى للوحدة السكنية من حيث مكوناتها ومساحة الحجرة ونوع المواد المستعملة فيها بهدف الارتفاع المستمر بمستوى الوحدة السكنية .

أثر التطور الاقتصادى والاجتماعى على القاهرة

د. اسماعيل صبرى عبد الله :

فى الحقيقة الكلمات التى قيلت فى هذه الندوة ألقت أضواء كثيرة على جوانب مهمة ، وتميز عدد كبير من الكلمات بسعة الافق وعمق النظرة ٠ ولا شك أنه مما يطمئن أن نرى مثل هذه القضايا محل دراسة ، وان عددا كبيرا من المسئولين المباشرين عنها عندهم تصور واضح لابعادها الحقيقية ٠ توجد عدد من النقاط أحب لنى أوكد عليها ٠



هناك أولا : الفكرة التى ترددت أكثر من مرة وهى أن القاهرة عاصمة البلاد وبالتالى هى جزء من الجمهورية العربية المتحدة ، مصيرها جزء من مصير الجمهورية العربية المتحدة . وانا لاأتصور ــ أن نتحدث فى تطور القاهرة المقبل وما يجب أن يكون عليه مستقلا عن التطور المقبل لمصر كلها . وإذا كان من الممكن أن أتخيل القاهرة تتجسن وبقية البلاد لاتتجسن أو تتدهور ، فمثل هذه النتيجة تكون سيئة وغير مرغوب فيها . ولكن الواقع أن عاصمة كل بلد صورة مكبرة من المشاكل الموجودة على مستوى البلد كله . بحكم التركز السكانى الموجود فيها تتضخم المشاكل التى تكون مبعثرة فى خارج العاصمة وتظهر بشكل واضح جدا فى العاصمة .

وإذا عدنا بالذاكرة قليلا للقاهرة قبل ثورة (٥٢) نجد أنها كانت عاصمة بلد يسيطر عليه الاستعمار والاقطاع ، عاصمة بلد فى حالة ركود اقتصادى . وكلكم تعرفون الارقام المتعلقة بهذا الموضوع وبالذات الدراسة التى قام بها الاقتصادى السويدى (هانسن) عن الفترة من ١٩١٣ الى ١٩٦٦ وقد تبين منها ان من ١٩١٣ الى ١٩٥٦ أى فى ٤٣ سنة كانت الزيادة الاجمالية فى الدخل القومى تكاد تكون مساوية تماما للزيادة الاجمالية فى عدد السكان . فمعنى ذلك أن دخل الفرد لم يتغير خلال قرابة نصف قرن . وهذا مانسميه اقتصاديا حالة ركود تخللتها حالات كان دخل الفرد فيها ينخفض وبشكل ملموس . وقد انعكس هذا فى حياة القاهرة فكانت المشاكل التى تواجه القاهرة آنذاك اقل من المشاكل التى تواجهها حاليا . وكانت القاهرة فى ذلك الوقت فى الواقع مدينتان تعيشان جنبا الى جنب : قاهرة الاجانب والاغنياء (الزمالك وجاردن سيتى والمعادى) وقاهرة الفقراء ، وبين الاثنتين حاولت الطبقات الوسطى أنها تطلع بمصر الجديدة والدقى . ولكن كان الطابع المميز هو الانقسام الحاد بين القاهرة الغنية والقاهرة الفقيرة . وكانت الحكومة فى ذلك الوقت تعمل نوعا من « الكردون الصحى » لحماية القاهرة الغنية فمثلا كان من مهمات رجال الشرطة منع الباعة المتجولين من دخول الزمالك أو منع فتح محلات بقالين او مكوجية هناك .. الخ .

بعد الثورة ولما بدأت عمليات التنمية وبصفة خاصة من سنة ٥٦ خرج المجتمع من حالة السكون الى حالة الحركة ، مسته ديناميكية التنمية فكان بالتالى لابد ان ينمو كل شىء بمعدلات مرتفعة بما فى ذلك المشاكل نفسها الموجودة فى مدينة القاهرة . ونواحى القصور أو التقصير فى التخطيط ساعدت بلاشك على تفاقم هذه المشاكل ، وعلى هذا اذا كانت قاهرة ما قبل الثورة قد حلت مشاكلها بطريقة ما ، بطريقة الابقاء على الاوضاع الجادة من حيث الفروق ، فالقاهرة عاصمة مصر التى تقوم بعمليات تنمية واسعة وتحاول تغيير هيكلها وبنيانها الاجتماعى وترفع فكرة العدالة الاجتماعية والاشتراكية كان لازم تنعكس فيها فكرة الارتفاع بمستوى الاحياء الفقيرة وتتضخم مشاكل المرافق العامة ، وتتضاعف مشاكل التعليم ومشاكل الصحة .. الخ ..

شروط التخطيط

وكما قال عدد كبير من الزملاء ان مفتاح مواجهة المشاكل هو بلا شك **التخطيط** ، وبالقطع انه مما يثلج صدر كل اقتصادى أن يسمع المتصدين للمسئوليات المباشرة للقطاعات يؤكدون على اهمية التخطيط .. التخطيط كلمة عمرها فى حياتنا لايزيد عن ١٠ ، ١٢ سنة . الكلمة نفسها لم تكن موجوده قبل ذلك . وهاهى قد شقت طريقها . ويمكن اكبر ضمان لان يكون عندنا فى يوم من الايام تخطيط حقيقى هو هذا الوعى الموجود عند عدد متزايد من المواطنين المسئولين بناهمية التخطيط وضرورته ، والذى أريد أن ابرزه فى نقطة التخطيط هو ماهى **شروط التخطيط ؟** **كيف يمكن ان يكون عندنا تخطيط** . التخطيط يفترض اولا المعرفة الشاملة بقدر الامكان بالواقع ، وفى صورته الرقمية الدقيقة . التخطيط ليس عملية خيالية وليس عملية حلم ، وانما هو يبدأ **بمعرفة وثيقة ودقيقة ووافية الى ابعد حدود الامكان بالواقع الراهن** . ثم يفترض التخطيط **تصورا طويل الامد لما يجب** ، **ويمكن ان يكون عليه هذا الواقع بعد فترة طويلة نسبيا** . مثل ١٥ او ٢٠ سنة . ، لماذا أقول « تصور » ؟ لانه لايمكن اطلاقا اسقاط الواقع الحالى على المستقبل ، لا يمكن ان نبدأ من معدلات نمو الظواهر الاجتماعية والاقتصادية المختلفة الموجودة فى القاهرة سنة ٦٩ ونعمل لها اسقاط على سنة ٩٠ . لان المستقبل لايكون ابدا مجرد امتداد ميكانيكى للواقع الحالى .. المستقبل يتضمن التغيير باستمرار . وهدف التخطيط هو ان يؤثر فى هذا التغيير ليحدثه وفقا لصورة يراها أمثل وافضل للمجتمع . يعنى الواقع سيتغير لامحالة ، سيتغير الى اسوأ او الى افضل ولكن سيتغير قطعا ـ وعلينا أن نحاول أن يكون هذا التغيير الى افضل فى ضوء الامكانيات المتاحة . وبالتالى ، وتلك هى النقطة الثالثة من شروط التخطيط ، **يجب ان نحدد الاهداف التى توصلنا من الصورة الحالية للواقع الى الصورة المؤملة أو المنشودة** ، نحدد الوسائل لتحديد هذه الاهداف ونحدد مراحل تحقيق هذه الاهداف ، وهناك اهمية خاصة لهذه النظرة طويلة الامد عند تحديد للوسائل والمراحل . ففى كثير من الاحوال تضر

الحلول السريعة [أو ما نسميه بالاسبرين] بالاهداف الطويلة ، يمكن أننا نعمل عكس ما يجب ان يحدث . وهنا فى لغة التخطيط نستخدم لغة العسكريين فنستعمل تعبير استراتيجية وتكتيك ، فيه هدف استراتيجى يحكم الاهداف التكتيكية .

ففى ضوء هذا الفهم لعملية التخطيط يمكن ان نعرض لبعض المشاكل الخاصة بالقاهرة .. القاهرة فيها حاجة ملفتة للنظر جدا وهى **نموها المبالغ فيه بالنسبة لنمو الجمهورية ككل** . يعنى اذا نظرنا الى عدد سكان القاهرة الكبرى حاليا بالنسبة الى عدد سكان الجمهورية نجد انه فوق المتوسط الشائع فى عواصم الدنيا كلها .. هذا النمو الشاذ معروف فى عدد من الدول النامية . والبعض يسميه « العمران بلا تصنيع » ويعتبر من سمات التخلف الاقتصادى، لان هذا النمو العمرانى غير مؤسس على نمو اقتصادى وانما هو ثمرة درجة من الفقر ساحقة تجعل الناس تهرب من الريف الى المدينة دون ان تحضر للإلتحاق بعمل محدد .. والزيادة فى عدد سكان القاهرة ترجع لعاملين : الزيادة الطبيعية فى السكان ، ومشكلة الهجرة من الريف الى المدينة .

ملاحظات حول موضوع زيـادة السـكان

فى موضوع **زيادة السكان** احب ان اقول كلمتين : ويمكن اختلف ببعض الشىء مع كلام المهندس محسن ادريس عن الانفجار السكانى .. فى الواقع ان الاوضاع الديموجرافية فى مختلف البلاد تعرف نوعين من حالات التوازن الديموجرافى ، التوازن عند مستوى دخل منخفض جدا والتوازن عند مستوى دخل مرتفع بشكل واضح . عند مستوى الدخل المنخفض جـدا يكون معـدل المواليد مرتفعا جدا ، ومعـدل الوفيات مرتفعا جـدا ، فتكون المحصلة معدل زيادة فى السكان منخفض للغاية . والصورة المقابلة يكون فيها معدل المواليد منخفضا ومعدل الوفيات منخفضا ومحصلة ذلك معدل زيادة السكان منخفض . وقد لفت نظرى ان معدل زيادة السكان فى السويد هو نفسه معدل زيادة السكان فى جمهورية [جابون] فى وسط افريقيا [٦ر٪ ولكن طبعا هذا المعدل محصلة معدلات مواليد ووفيات مختلفة تمام الاختلاف ولكن النتيجة واحدة .. وما يحدث فى البلاد النامية هو أنه يبدء عملية التنمية ينخفض معدل الوفيات بسرعة ، لانه من الاسهل أقتصاديا (لانه أقل تكلفة) أن نوفر رعاية طبية وصحية ضد الامراض الوبائية وبعض الامراض المستوطنة ؟ من أن توفر العمل المنتظم لكل مواطن . فيترتب على هذا انخفاض سريع فى معدل الوفيات . ولكن مستوى دخل الفرد لايرتفع فى المراحل الاولى للتنمية الى المستوى الذى يجعله يلجأ بطريقة طبيعية جدا لتنظيم نسله .. وتلك هى الفترة الحرجة فى الظاهرة السكانية . ولكن هذا الوضع بطبيعته — وضع عدم توازن ديموجرافى — وضع مختل لايمكن ان يستمر الى فترات طويلة جدا . لانه لابد أن تحدث احدى ظاهرتين : اما ان يؤدى ذلك الى تعطل التنمية وانخفاض جديد فى مستوى الدخل للفرد فترتفع معدلات الوفيات من جديد ، أى سيتقهقر المجتمع الى التوازن الديموجرافى على مستوى الدخل المنخفض ، وإما ان تنجح الدولة فى تطبيق تنمية معقولة فيرتفع الدخل القومى ، ودخل الفرد الى المستوى الذى يسمح بتخفيض معدلات المواليد ، فنصل الى التوازن على مستوى دخل مرتفع . هذه الفترة حرجة جدا بالنسبة للبلاد التى تمر بها وهى اساسا دول جنوب وشرق آسيا وبعض دول شمال افريقيا وبالذات مصر . ويعقد هذه الظاهرة ان الزيادة فى السكان هنا ليست بشكل مطلق زيادة فى السكان تبدو لاول وهلة ، يعنى زيادة فى الايدى العاملة ، لان الانسان يقضى مدة معينة من مولده الى ان يصبح قادرا على الانتاج وفى مصر ٥ر٥٢ فى المائة من عدد السكان سنهم اقل من عشرين سنة ، المفروض انهم لايعملون فى مواقع عندنا جزء كبير جدا منهم يعمل لانهم فى الريف . ولكن نظريا المفروض ان عندنا أكثر من نصف المجتمع لا يعمل واذا حذفنا ايضا من هم فوق سن العمل ، فنجد ان شريحة قليلة جدا من عدد السكان تتحمل الاغلبية العظمى من السكان ، وهذه فى حد ذاتها عقبة كبيرة جدا فى سبيل التنمية . وفى هذا الاطار تبدو مشكلة تنظيم النسل مشكلة اساسية بالنسبة للدول التى فى مثل حالتنا . واذا كانت تعلن حملات للتوعية فى هذا المجال ، وهذا مهم ومع ذلك يجب الا نعلق آمالا عاجلة على نتائج مثل هذه الحملات ، وانما المشكلة هى ان نخلق الوعى بالقضية ، ونوفر الوسائل اللازمة بحيث انه لما ينشأ الوازع عند المواطن يمكن أن يواجه هذه المشكلة .

بالنسبة لمشكلة **الزيادة عن طريق الهجرة** ، هناك جزء منها وفاه حقه تماما المهندس محسن أدريس حين تكلم عن الهجرة بحثا عن العمل ، وهو أن التخطيط على النطاق القومى يشمل تجزئة الخطة القومية الى مجموعة خطط اقليمية تكون اقاليم متكاملة اقتصاديا وتنشأ فيها فرص عمل تجذب السكان من مناطق أخرى اليها ، وما أريد أن أضيفه هو أنه الى جانب الهجرة من أجل البحث عن العمل هناك قطعا الهجرة لتفضيل المعيشة الحضرية على المعيشة الريفية . وهذا مايدعونى لان أضيف الى الكلام السابق ان فكرة الاقليم



كوحدة اقتصادية تفترض فى الواقع حلا أو حلولا لمشكلة توطين الصناعة ، لان الصناعة فى المستقبل هى التى تستوعب الجزء الاكبر من الايدى العاملة ، وهى التى تسمح بتجمع حضرى ، أى بتكوين مدن يمكن أن تتوفر فيها وسائل المعيشة الحضرية فتجتذب عددا أكبر من السكان • وقد قرأت عن التجربة التى تجرى فى فرنسا منذ ٥ ، ٦ سنوات لما قسموا فرنسا الى ٨ أقاليم كبرى • وهذا التقسيم مرتبط بفكرة مايسمى « عواصم التوازن » لان كل أقليم سيكون فيه مدينة الهدف أن يتوافر لها معظم مايتوافر لمدينة باريس نفسها بحيث أنها تبقى مركز توازن فى مواجهة باريس • طبعا هذا لايمكن أن يتم الا حول منطقة صناعية لان المنطقة الصناعية هى وحدها التى تسمح بالتجمع العمرانى ، وبالتالى يمكن انشاء جامعة جانبها وتوفير وسائل ترفيه وخدمات ثقافية •• الخ ••••••• وتجربتنا فى توطين الصناعة فى خلال سنوات التنمية الاخيرة تجربة غير مشجعة • لان الجزء الاساسى من الصناعة اتجه الى القاهرة وضواحيها ، وحين خرجنا عن هذه القاعدة وزعنا مصانع النسيج فى عواصم المحافظات بلا مبرر كما لو كان مصنعا واحدا فى مدينة صغيرة أهو يكفى لخلق منطقة صناعية ، وتوطن الصناعة يحتاج الى دراسة تكنولوجية واقتصادية متعلقة بالمواد الاولية والصناعات التى يجب أن تنشأ جنب بعضها البعض ، وباحتمالات نموها المقبلة •

العلاقة بين الانتاج والخدمات

والنقطة الاخيرة هى العلاقة بين الخدمات والانتاج • وهناك بعض مفاهيم يجب التحذير منها لانها مفاهيم فى النهاية غير جادة • مفهوم أن الخدمات الاجتماعية تخضع لاعتبارات اجتماعية صرف لا ارتباط لها بالاقتصاد ، أو ما أسميه أنا نظرية أن الدولة وقف لكل مواطن استحقاق عليها • فى الواقع أن المشكلة الاولى لدينا هى أنه قبل مانفكر فى توفير أى خدمة للمواطن يجب أن نوفر له عملا • أى أنه لابد أن نبدأ باعطاء أولوية وأولوية كبيرة للمشروعات الانتاجية • وهذا لايعنى اتخاذ موقف لا انسانى • لاننا حين نحاول غير ذلك سنعجز عن رفع مستوى معيشة الناس كلهم عن طريق الاحسان العام ، وهو أن الدولة تقدم لهم خدمات اجتماعية لان امكانيات اقتصادنا القومى لاتسمح بذلك ، ولانه يؤدى الى تناقض بين عادات ودخل وموارد الناس الذين تؤدى اليهم الخدمة ، وبين الخدمات التى تؤدى اليهم ، يعنى لو عملنا مشروع اسكان محل عشش لنسكن فيه نفس الذين يسكنون فى تلك العشش ، فان هؤلاء الناس فى أدنى مستويات الدخل ودخلهم غير منتظم وبعضهم ليس له مهنة ثابتة • فكيف نطالبهم بأن يسكنوا فى ظروف أفضل لا يستطيعون تحمل مصاريفها ، ونطالبهم برعاية وصيانة المساكن ؟ . المشكلة الاولى هى اذن توفير العمل ، العمل الذى يضمن توفير دخل منتظم ويرتقى بالناس اجتماعيا ويغير عاداتهم الاجتماعية • وأى تخطيط يبدأ من العادات الواقعية ولكنه يهدف الى تغييرها ، وهى فى الحقيقة نقطة مهمة جدا ، ويمكن فيها بعض التفصيلات . من الناحية التنفيذية يمكن أن يكون نمو الخدمات منتظما بطريقة محددة جدا بنمو الانتاج ، لما نعمل منطقة صناعية نوفر السكن الى جوارها ونوفر الخدمات التعليمية والصحية لعائلات العاملين فيها تصبح العملية كلها متكاملة ومرتبطة ببعضها • وطبعا لما يكون فى منطقة سكنية السكان معظمهم أو كلهم من العاملين فى مصنع معين يصبح هناك نوعا من التجانس ، فضلا عن أثر ذلك فى استقرار العمالة داخل هذا المصنع الخ •• ومن ناحية اخرى الخدمات ليست نظرة تحسينية صرفة للمدينة بغض النظر عن سكانها . العقلية التى تريد ازالة عشش الترجمان لان شكلها قبيح يشوه القاهرة عقلية مناقضة للفكر الاشتراكى • لان المدينة هى سكانها أولا وقبل كل شىء ، وقبل التفكير فى ازالة « عشش الترجمان » يجب التفكير فى تدبير عمل لسكانها ، وعندئذ فقط يمكن أن يسكنوا أفضل ، ويمكننا أن نجدد هذا الحى •

وأخيرا بعض ملاحظات خاصة :

بالتخطيط العمرانى بالمعنى الضيق فى داخل القاهرة نفسها •• من المفروض أن أى مدينة كبيرة يجب أن تعالج على اعتبار انها تجمع مدنا ، يعنى مجموعة مدن فى بعضها ، وان كل مدينة لها مقوماتها فى داخلها وان كل مدينة تنقسم الى مجموعة احياء ، والحى ليس مجرد وحدة ادارية ، (أو قسم شرطة) انما وحدة عمرانية واجتماعية له مقومات الحياة المستقلة حتى نقلل التحرك عبر المدينة من أولها لاخرها ونحل مشاكل عديدة • فى هذا الاطار ايضا المدينة تتضمن احياء جديدة واحياء مجددة • والمفروض ان يكون هناك تخطيطا لبناء الاحياء الجديدة ، والاحياء التى يجب أن تجدد نقطة البدء فيها هى امتصاص عدد من سكانها لان عدد سكانها فى المتوسط مرتفع جدا . وبالتالى لابد أن يكون هناك ارتباطا بين الاحياء الجديدة ، والاحياء التى تجدد •

لقد اثيرت نقطة **الاعتبارات الجمالية** فى الواقع أنه كثيرا مانخلط بين الجمال وبين الفخامة أو « الفخفخة » • والجمال ليس بالضرورة بذخا ولا انفاقا ضخما ، وانما الجمال ممكن أن يتحقق



عز الدين فرج

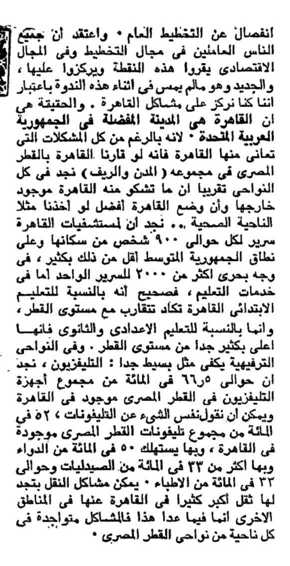
بتكلفة قليلة • وهذه طبعا مسألة تحتاج لرعاية وتربية وتنمية للذوق السليم • مسألة المحافظة على المواقع الاثرية وابقائها ليست مشكلة جمالية فقط ولكنها مشكلة اقتصادية ايضا ومشكلة حضارية من الناحية الحضارية ، مفهوم أن هــذا تراثنا ، والقاهرة لا تنشأ منعزلة الصلة بتاريخها وأصلها • ومن الناحية الاقتصادية الاثار فعلا رأس مال قومى من وجهة نظر السياحة ، ومن ناحية ثالثة نحن نتكلم عن تربية الفروق السليمة ووجود هــذه الاماكن الجميلة بشكل بارز وظاهر ونظيف يؤثر فى الذين يرونها •

النقطة الاخيرة ـ وانا طولت جدا ـ موضوع النظافة . هنا أيضا أقول انه لا يمكن اقناع الناس بالنظافة وأهميتها اذا كانــوا لا يملكون شراء وسائلها (صــابون ... الخ) ،ونقطة البداية فى النظافة هى ايضا مستوى الدخل ايضا • واظن كل الجالسين حول هذه المائدة قد سافروا الى الخارج وانما فى ضوء تجربتى الخاصة اعتبر ان الشــعب المصرى من انظف شــعوب العالم ، وانه فى حدود امكانياته المحدودة جدا لو قورن بامكانيات بعض الشــعوب الاوربية تجده يعنى عاشق نظافة وليس مجرد نظيف .»

خطر التطور غير المتكافىء

ابراهيم سعد الدين :

الحقيقة اننى سأبدأ من بعض النقط النهائية التى انتهى اليها الدكتور اسمــاعيل فى كلامه .. وبالذات النقطة المتعلقة بالعلاقة بين التخطيط العام على مستوى الجمهورية ، وبين التخطيط لمدينــة القاهرة • وهى نفس النقطة التى آثارها فى واقع الامر المهندس محسن ادريس عندما حدد بوضوح انه لايمكــن اجراء تخطيط لمدينــة القاهرة فى

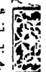


انفصال عن التخطيط العام • واعتقد ان جميع الناس العاملين فى مجال التخطيط وفى المجال الاقتصادى يقروا هذه النقطة ويركزوا عليها ، والجديد وهو مالم يمس فى اثناء هذه الندوة باعتبار اننا كنا نركز على مشاكل القاهرة . والحقيقة هى ان **القاهرة هى المدينة المفضلة فى الجمهورية العربية المتحدة** • لانه بالرغم من كل المشكلات التى تعانى منها القاهرة فانه لو قارنا القاهرة بالقطر المصرى فى مجموعه (المدن والريف) نجد فى كل النواحى تقريبا ان ما تشكو منه القاهرة موجود خارجها وأن وضع القاهرة أفضل لو أخذنا مثلا الناحية الصحية .. نجد ان لمستشفيات القاهرة سرير لكل حوالى ٩٠٠ شخص من سكانها وعلى نطاق الجمهورية المتوسط أقل من ذلك بكثير ، فى وجه بحرى اكثر من ٢٠٠٠ للسرير الواحد أما فى خدمات التعليم ، فصحيح أنه بالنسبة للتعليم الابتدائى القاهرة تكاد تتقارب مع مستوى القطر ، وانها بالنسبة للتعليم الاعدادى والثانوى فانهـــا اعلى بكثير جدا من مستوى القطر . وفى النواحى الترفيهية يكفى مثل بسيط جدا : التليفزيون ، نجد ان حوالى ٦٦ر٥ فى المائة من مجموع أجهزة التليفزيون فى القطر المصرى موجود فى القاهرة ويمكن ان نقول نفس الشيء عن التليفونات ، ٥٢ فى المائة من مجموع تليفونات القطر المصرى موجودة فى القاهرة ، وبها يستهلك ٥٠ فى المائة من الدواء وبها اكثر من ٣٣ فى المائة من الصيدليات وحوالى ٣٢ فى المائة من الاطباء • يمكن مشاكل النقل بتجد لها ثقل أكبر كثيرا فى القاهرة عنها فى المناطق الاخرى انما فيما عدا هذا فالمشاكل متواجدة فى كل ناحية من نواحى القطر المصرى •

« النقطة الثانية ان **داخل القاهرة نفسها بنجد الصورة غير متساوية** • داخل القاهرة هناك توزيع غير متكافىء فى الخدمات • فهناك تركيز وتحسين فى بعض النواحى وفى بعض المناطق ، فى حين توجد بعض مناطق متخلفة تماما • فالقاهرة على الرغم من أنها كانت مدينتين ثم أخذت المدينتان تحاولان



د. محمد عزت حجازى



على الأقل التقارب ، الا انهما أز التالى واتسع الامر من نواح كثيرة مدينتين ، صحيح ابتدأ التداخل فى بعض المناطق التى كانت مميزة فى الماضى ، ولكن جزءا كبيرا من المناطق القديمة لم يزل فى حالة تخلف شديد بالنسبة لباقى مناطق القاهرة .

« وهناك نقطة أخرى تكلم ايضا عنها الدكتور اسماعيل وهى العلاقة بين الخدمات والانتاج وليس عندى اضافة على ما قيل ، ولكن استدراك شيء ، اعتقد انه قصده ولكنه لم يكن واضحا فى كلامه تماما وهو اننا عندما نتحدث عن ضرورة ايجاد العمل انما نقصد ضرورة ايجاد العمل المنتج . وهذه مسألة مهمة جدا . لان احدى الوسائل التى تستخدم لايجاد العمل هى التوسع فى الخدمات غير المنتجة . وحل المسألة عن طريق ايجاد العمل فى الخدمات غير المنتجة ليس بحل على وجه الاطلاق . والصعوبة الاساسية هنا فى مشكلة العمل المنتج وكيف يمكن ايجاد العمل المنتج . ومن الواضح تماما بالنسبة لجمهوريتنا انه فى حدود التكنيك الموجود وفى حدود الامكانيات الموجودة المجال الوحيد تقريبا الذى يمكن التوسع فيه هو المجال الصناعى . نحن ــ كما هو معروف ــ نكاد نستنفد امكانيات التوسع فى الاراضى الزراعية ما لم يحدث تغيير فى التكنيك ، ونستخدم المياه المالحة ونزرع السواحل ودى مسائل ليس هناك ما يؤكد إمكان حدوثها فى وقت قريب على الاقل . ولهذا فانه من المؤكد ان النشاط الصناعى الذى يجب أن يتجه اليه فى الاساس العمل المنتج خلال الفترة القادمة . وهنا يظهر تناقض معين يؤثر فى تخطيط القاهرة وفى التخطيط العام .. هذا التناقض يظهر فى أن زيادة السكان بالنسبة لفرص العمل تظهر فى الريف ويترتب عليها الهجرة الى القاهرة . وامكانيات التوسع فى فرص العمل فى الريف محدودة ، ومن ثم لابد من انشاء مدن اقليمية أخرى بحيث تصبح المشكلة هى الهجرة الى القاهرة أم الى غيرها من المدن . وهنا تواجه المخطط قضية المقارنة بين التكلفة المترتبة على التوسع فى القاهرة بتكلفة التوسع فى المدن الاقليمية الاخرى : ونحن كبلد فقير يحاول أن يسرع بعملية التنمية الى اقصى حد يمكن ان نفضل استخدام الامكانيات المتاحة فى القاهرة بقصد زيادة الدخل فى الاجل القصير ، وهذا بدوره يسمح فى المستقبل بزيادة أخرى فى الدخل . وهكذا تتعثر محاولات اعادة التوطين الصناعى . ان الاختيار الاقتصادى العادى للوحدات الاقتصادية فى ضوء الوضع القائم حاليا يتجه نحو مراكز تجمع السكان القائمة مثل القاهرة والاسكندرية . ومشكلة المقارنة بين المسألة الطويلة الاجل والمسألة القصيرة الاجل وتقرير الى اى حد يمكن اعطاء دفعة للتوطن الصناعى فى خلال المرحلة الاولى للتنمية ، مشكلة تواجه المخطط على النطاق القومى وليس من السهل حلها . ولهذا فانى اعتقد أن الارجح انه على الرغم من احتمالات قيام جهود لاعادة التوطن الصناعى فى خلال المرحلة الاولى من التنمية فان القاهرة ستستمر لفترة عامل الجذب الاساسى للصناعة . وعلينا ونحن نخطط للقاهرة فى اطار القطر المصرى عموما ان نتصور ان الهجرة الى القاهرة فى خلال فترة زمنية محددة ستبقى باستمرار أكثر الى الهجرة من غيرها من البلاد وعلينا ان نواجه هذه الحالة كحالة واقعية على الرغم من رغبتنا فى تغييرها ، وان ايضا بالنسبة للعامل الديمجرافى »

اعود للكلام مرة اخرى عن مشكلة الخدمات والانتاج . ومشكلة الخدمات اساسا انه لايمكن زيادة الخدمات دون زيادة الانتاج . المسألة ليست مسألة تفضيل ، انما هى مسألة واقع مادى . فلن نستطيع أن نبنى مدارس من غير طوب أو أسمنت ولن نوفر خدمة صحية من غير أن نبنى مستشفيات وتعمل فى هذه المستشفيات أسرة ونذبر لها أدوية . وتلك كلها عمليات انتاجية فى النهاية . اذن عملية الخدمة فى فترة من الفترات يمكن انها تسبق الانتاج ، انما بعد فترة لابد ان تقف لا بسبب الاعتمادات المالية وانما القضية هى عدم وجود الانتاج الذى يمكن ان يوفر الخدمة .

وطبعا نحن نتمنى للقاهرة مزيدا من التحسن ومزيدا من التقدم ، انما تصورى فى النهاية ان تلك عملية لا يمكن ان تتم الا بمزيد من التضحيات على مستوى الجمهورية كلها بحيث يتم التقدم ويشمل انحاء الجمهورية كلها .

أسئلة طرقتها المناقشة

محمد الخفيف :

يخيل لى أننا استعرضنا بعض النقط الاساسية . وساثير بعض النقط او الاسئلة من خلاصة ماسمعته امس واليوم . لعلنا فى المناقشة او فى التعقيب نتناولها . ان احساسى كشخص يستمع ولم يشترك فى النقاش طلعت بعدد من النقط وهناك ، أولا ، وبصفة عامة التساؤل : لاى مدى فات الاوان او آن الاوان للعدول عن بعض الخدمات التى توسعنا فيها بدون قاعدة اقتصادية تتناسب معها ، وما اثر هذا العدول من الناحية السياسية ؟ كلكم تكلمتم عن الاولويات ولابد من الاولويات ، والواقع الذى استعرضناه يظهر أن هذه الاولويات لم تكن على الصحة أو الدقة المطلوبة . هل يمكن تصحيحها ؟ السؤال الثانى . تكلم الدكتور ابراهيم سعد الدين عن أن الوحدة الاقتصادية تفضل انفاق الزيادة فى العائد أو فى الدخل حيث يدر عائدا اسرع وفى اقصر وقت .

ولهذا فهى تختار الاماكن التى يمكن تاريخيا لها الامكانيات التى تساعد على هذا . وانى أود ان أسال لاى مدى فى السنوات الماضية كان الانفاق فى سبيل العائد السريع ، وزيادة الدخل يخضع لهذه القاعدة . هل كان الانفاق دائما فى استثمار يدر عائدا باقل تكلفة وفى أسرع وقت ؟

ناحية ثالثة . لقد تكلم الجميع تقريبا عن تعدد الاجهزة والتنسيق بينها . والواقع مامن ندوة شهدتها الا وتثار هذه القضية كانها أصبحت قضية القضايا فى بلدنا . وانى أتساءل : ماالحل اذن ؟ انكم كلكم مسئولون ، وكل الذين يحضرون ندوات مسئولون ويستطيعون ان يلعبوا دورا فى حل مشكلة التعدد والتنسيق .

وهناك تساؤل اثاره الاخ محسن امس حول الفرق بين اتجاه المخطط واتجاه السياسى . وهذه نقطة هامة جدا - كيف ينقل المخطط الواقع كما يراه الى السياسى ليتصرف فى ضوئه ، واذا لم يستطع نقله فكيف يوصله الى الاجهزة المعنية ؟ وهنا نصل الى نقطة وردت فى كلام الدكتور ابراهيم وهى كيف تقنع الجماهير بهذا الوضع حتى نطلب منها التضحيات وضغط الاستهلاك .. الخ طبعا المخطط وحتى السياسى يمكن ان يرى الواقع بشكل والجماهير من حياتها اليومية تراه بصورة أخرى . كيف يمكن ان تحشد كل هذه الجماهير حول الواقع الحقيقى للمشاكل وطرق حلها كما يراها المخطط ، حتى يجد السياسى غضاضة فى اتخاذ القرارات التى تحقق رغبة المخطط ؟ لان السياسى فى الواقع لا يخشى الا عدم تقبل الجماهير مثل هذا الكلام الذى يقوله المخطط .

لقد اكد الاخ محسن ان تخطيط القاهرة مرتبط بتخطيط الجمهورية ، وأريد أن اسال ماهى علاقة الجهاز التخطيطى والتنفيذى للقاهرة الكبرى بجهاز الخطة العامة ؟ هل هناك علاقة ام لا ؟ وان لم تكن هناك علاقة هل ممكن ان توجد علاقة ؟ ومن ناحية أخرى هل يمكن للحكم المحلى اذا طور واصبح حكما محليا ان يساعد فى مسالة التخطيط الاقليمى وايجاد الاقاليم المتكاملة التى تكلم عنها الاخ محسن ؟

تخطيط المدن الاسلامية

الدكتورة سعاد ماهر :

الحقيقة اننى لم اكن اتوقع ان اتكلم الليلة عن موضوع القاهرة فى المستقبل . فهناك تعارض كبير بين واحدة اثرية تعيش فى الماضى وبين الحديث عن المستقبل . ولكن لعل الماضى أن يكون فيه درس يستفاد منه فى المستقبل . والواقع ان السادة الذين اتكلموا قبلى فتحوا لى بعض النقاط :

كيف كان تخطيط المدينة فى الماضى ؟ فى العصور القديمة استعملوا كلمة الخطة بمعنى ايجاد نظام متناسق يبدأ به المدينة قبل ان تتسع . فلو اخذنا على سبيل المثال مدينة الفسطاط وهى اول عاصمة اسلامية نشات فى مصر نجد أن تخطيطها سار على اسس موضوعة لم تتغير ، ليس فى مصر فحسب بل فى العالم الاسلامى . فقد سبقت مدينة الفسطاط مدينة البصرة ومدينة الكوفة وكان التخطيط فيها هو ان تتمركز دور الحكومة او الحكم فى وسط هذا التخطيط ، وكمان مركز الحكومة بمفهوم العصر الاسلامى هو المسجد ، لانه هو كان دار الامارة ، ومكان جلوس القاضى والمفتى . كان المسجد مقر الحكم فى غير اوقات الصلاة ومكان العبادة فى وقت الصلاة . وحول المسجد او حول دور الحكومة المتمركزة فى المسجد كانت تقطع الخطط للاسكان . بالطبع فى ذلك الوقت المبكر لم يكن هناك مشكلة مواصلات . وكان الامر المهم هو القدرة على التجمع ، لان اجتماعهم فى ذلك الوقت ضرورة تقتضيها حالة الدولة الناشئة واستعدادها الدائم لمواجهة اى اعتداء ، أو شىء من هذا القبيل والدرس الذى يمكن ان يستفاد من هـذا هو اهمية تجمع دور الحكومة لتسهيل الاتصال والانتقال من احداها الى الاخرى .

لقد أشار بعض الزملاء الى ضرورة تكامل الحى ، وهناك احداث تاريخية عاصرت نشأة الفسطاط سنة ٢١ مفيدة فى هذا الصدد . فقد كثر عدد الوافدين على مصر مما ادى الى ضرورة توسيع الخطط فى مدينة الفسطاط ، أى زيادة مساحة الارض المبنية . فاشار عمرو بن العاص بعدم السماح ببناء خطط جديدة مالم تكتمل الخطط القديمة ، ومقوماتها بان تكون فى كل خطة كل المرافق التى كانت موجودة فى ذلك الوقت . وعلى ذلك اشار بان يبنوا دورا ثانيا فى البيوت ، وكان هذا حدثا ان يصبح الدار من طابقين . فالحل هنا هو زيادة فى ارتفاع المنزل بدل الزيادة فى مساحته حين تكتمل لكل حى مقوماته كحى متكامل . وقد لاحظ القوم حينذاك ان عددا من الناس يفد على البلاد دون ان يكون هناك حاجة لاقامته الدائمة . فنشات دور الضيافة فى القرن الاول الهجرى ، هى الضيافة المصطنعة مثل الفنادق حتى لا يبنى الوافد مبنى له خارج الخطط ، فيفقد المدينة الشكل الذى خططت عليه

لقد اختار عمرو بن العاص البقعة التى بنى فيها مدينة الفسطاط مراعيا توفير مكان لنمو المدينة



التزايد فى المستقبل حتى لا تموت هذه المدينة • وكان الشمال الشرقى هو المكان المتسع الذى نستطيع فيه ان تمتد ، وهكذا لما جاءت الدولة العباسية وارادت أن تبنى مساكن للجند سارت على نفس النمط السابق لبناء آماكن لاقامة الجيش الجديدفاقيم الجامع — وهوالمركز — ثم بنيتحول هذاالجامع خطط للوافدين واغلبهم من الجيش ومن هنا أطلق أسم العسكر على هذا المكان

وهذا النمط الثابت فى تخطيط المدن القديمة كثيرا مايساعد الاثريين فى ابحاثهم • فمثلا لما قيل ان السيدةزينب دفنت فىالمكان المقام به مسجدها قلنا لا يمكن اطلاقا لان المدافن كانت كلها فى سفح جبل المقطم ، ولم تكن فىهذا الجزءالقريب من خليج امير المؤمنين

ولما جاء جوهر الصقلى بدأ ببناء قصر للخليفة ولم يكن غرضه أن يبنى مدينة القاهرة على الاطلاق • سواء للجند آم لغيرهم ، وانما قصر للخليفة فحسب . فكانت القاهرة فى نشأتها مدينة ملكية ، عبارة عن قصر الخليفة والجامع بجانبها [الجامع الازهر] ثم الحاشيةاوكمانسميه الان البلاط بدليل ان مساحة القاهرة فى ذلك الوقت كانت ٣٤٠ فدانا فقط وكان ٧٠ فى المائة منها حدائق والباقى القصر والمسجدوكان سفراء الدول الاجنبية يخلعون نعالهم عند سور القاهرة لانهم يدخلون الحرم الملكى ولم يسمح للشعب المصرى ان يسكن هذه المدينة الا بعد سقوط الدولة الفاطمية .

واخيرا نحن الاثريين نحس بخطورة مشكلة الصيانة الان • فآثار القاهرة معرضة للتلف بسبب عدم الصيانة . ونحن نحذف سنويا من جدول الاثار حوالى ٢ فى المائة من آثار الجمهورية كلها والقاهرةبصفة اخص لان من هم اقل وعيا بآثارهم هم القاهريون • ولو سارت الامور على هذا النحو خمسين سنة ستندثر آثار القاهرة نتيجة لعدم الوعى •

كذلك نجد ان عملية بناء مساكن جديدة وتخطيط الشوارع لا يراعى فيها وضع الاماكن الاثرية ، فمن المزعج مثلا ان نرى فى ميدان صلاح الدين عمارات الاسكان الشعبى وراء السلطان حسن والرفاعى والقلعة • مثل آخر ، يوجد بجوار مدينة الفسطاط منطقة أبو السعود وهى جزء منها العسكر وجزء الفسطاط وكلها حفائر بالغة الاهمية فى دراستنا للمدن القديمة • وكثير من السياح يقبلون على زيارتها ليروا كيف كانت مصر فى العصور الوسطى ، هل فيه حقا حمامات بلغ عددها ١٨٠٠٠ حمام ، هل شوارعها كانت مسقوفة ، هل كان فيها فنادق ، هل الاساسات الموجودة كانت فعلا تحتمل ١٤ دورا ؟ والاثار تدل على وجود كل ذلك .

هذه المنطقة الحافلة بالذكريات العزيزة أصبحت « مزبلة » القاهرة • اذ تحتلها مدابغ الجلود • وكان الاجدر آن نكشف عنها الاتربة ونحيطها بسور كما فعل الايطاليون ببقايا مدينة « بومبى » •

وكان أولى بوزارة السياحة ان تهتم قليلا بهذه النقطة فالسياح يفدون الى بلادنا لزيارة مثل تلك الاثار قبل كل شىء • بالعكس لقد اعتدت وزارة السياحة على بعض الاثار مثل بيت هدى شعراوى [وكان متحف الفن الحديث] الذى كان تحفة فى منطقة تكاد تكون خالية من الاثار الاسلامية ، لقد هدمته وزارة السياحة لكى تقيم فندقا ، مع ان المنطقة مكتظة بالفنادق .

بعض الاجابات

محسن ادريس :

احب ان أشير الى بعض النقط على أمل أن يكون لنا جلسات وندوات اخرى يمكن من خلالها أن نتعمق فى كل نقطة من هذه النقط .

بالنسبة للاثار وأهميتها فى اقليم القاهرة الكبرى ، اعتقد اننا وفيناها حقها فى اللجان التى عقدت بين الجهاز التخطيطى للقاهرة الكبرى وبين المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب وعلى الاخص مع لجنتى العمارة والتاريخ والاثار فى هذا المجلس • وهناك توصيات عديدة وصلنا اليها بالصراحة اللازمة والاحساس الكامل بمعانى الاثار من حيث الثقافة ومن حيث الناحية الاقتصادية ومن حيث انها دلالة على التحضر • وهى ترسل لجميع الجهاتوينتدر له اعتمادات بلغت فى العام الماضي حوالى اكثر من مليونى جنيه لصرفها على صيانة الاثار •

التساؤلات التى اثارها السيد الزميل الاستاذ محمد الخفيف وهى هل يمكن تصحيح الاوضاع القائمة بالنسبة للتخطيط وهل يمكن التنسيق بين مختلف الجهات القائمة على التخطيط ثم كيف ينقل المخطط ما يراه الى الرجل السياسى ، وكيف يقنع الجماهير بالواقع القائم وهل يمكن لى أنا كرئيس للجهاز ان أوجد العلاقة اللازمة بين التخطيط وبين الرجل السياسى • هذه النقط جميعا الجهاز عالجها فى مذكرة مرفوعة لمجلس الوزراء وفيها تقول الطريقة التى نقترحها لاجراء هذا التنسيق بين مختلف الجهات •

موضوع الهجرة وموضوع زيادة عدد السكان وموضوع توطن الصناعة ... الخ كانت هى أيضا محل دراسة فى الجهاز وبطريقة عميقة وعلى اساس علمى عاون فيها زملاء من مختلف الاختصاصات واثمرت عن : أولا ، مذكرة عن موضوع التزايد الخطر فى عدد سكان القاهرة الكبرى . وهناك ثانيا دراسة وبحث كامل بالنسبة لموضوع الهجرة ونخرج منها بتوصيات نأمل منها أن تكون فى حدود فترة معقولة من الزمن قادرة على الحد من تيار الهجرة الى القاهرة . وهناك ايضا العديد من المذكرات والدراسات فى موضوعات الاسكان والنقل والخدمات .

لقد تليت الليلة كلمة اعجبتنى عن علاقة الخدمات بالانتاج ، والواقع انه ليس امامنا باب مفتوح الا ان نزيد انتاجنا بحيث يمكن ان نوجه فائض هذا الانتاج نحو اداء خدمات . من ضمن العيوب التى اصابت الخطة الخمسية أو البرنامج الخمسى الاول من ٦٠ الى ٦٥ . ان الانفاق على الخدمات زاد كثيرا عما كان مقدرا ، وبالتالى علينا ان ننتج ونصدر ، وبهدف زيادة دخلنا القومى حتى يمكننا أن نؤدى الخدمات اللازمة .

وهناك نقطة اشار اليها احد السادة الزملاء وهى العلاقة بين المواليد والوفيات وتوازن هذه المعدلات فى حالة البلاد المتقدمة ، وفى حالة البلاد النامية او المتخلفة . فى الواقع الكلام الذى ذكره السيد الزميل مائة فى المائة صحيح ، وقد وصلنا بعد مناقشات طويلة كان يقودها الاستاذ الدكتور صبحى عبد الحكيم قبل سفره الى موسكو وصلنا الى مثل ما قاله السيد الزميل فى هذا الاتجاه وهو على ما يبدو اتجاه معترف به من مختلف الجهات التى تبحث فى مثل هذا الموضوع . وأتمنى أن تتكرر ندوات مثل هذه تناقش بالتفصيل المشاكل التى طرحت هنا . واذا كان عندنا كجهاز مسئول عن تخطيط القاهرة ما ندلى فيه برأى فنحن على استعداد لابدائه ومناقشته وتعديله عند اللزوم .

عود الى قضية الوضوح الايديولوجى

سيد ياسين :

الحقيقة أريد أن اربط بين النقاط الاربعة التى حددها الدكتور الخفيف وبين نقطة هامة حددها الدكتور اسماعيل صبرى فى عرضه لشروط التخطيط وكذلك بالكلمة التى قلتها أمس . الدكتور الخفيف قال لنا ان فيه أربعة نقاط أساسية ظهرت فى المناقشة النقطة الاولى متعلقة بالاولويات ، والثانية متعلقة بتعدد الاجهزة ، والثالثة متعلقة باتجاه المخطط والاتجاه السياسى ، والرابعة متعلقة باقناع الجماهير . سأترك مسألة تعدد الاجهزة جانبا واركز على الثلاث نقاط الاولى . الدكتور اسماعيل صبرى قال لنا ان من بين شروط التخطيط أولا المعرفة الشاملة بالواقع الراهن . وأيضا وهذا هو الاهم فى نظرى — تصور طويل الامد لما ينبغى أن يكون عليه الواقع . وهذه المشكلة الجوهرية فى تقديرى . هل من وجهة النظر الاقتصادية عندنا تصور طويل الامد ، وأنا بركز على كلمة طويل الامد هنا . وقد قلت أمس ان المستوى الاول من مستوى الاطار الاجتماعى احد الاطر المقترحة للتنمية الاقتصادية هو اذن الايديولوجية السائدة فى المجتمع . وهى عندنا لا ترتبط منهجيا بسياسة طويلة المدى . فمادام هناك اصرار على ممارسة منهج المحاولة والخطأ على المستوى السياسى وعلى المستوى الاقتصادى لابد أن ينعكس ذلك على عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . فالتسليم الفكرى بمنهج المحاولة والخطأ يتنافى مع ضرورات التخطيط الاقتصادى .

هذه المسائل كلها فى تصورى ان لم تحسم ، وان لم ترتبط الاجهزة القائمة بمفهوم التخطيط وتؤمن فعلا بأنه لا يوجد شىء اسمه اشتراكية تجريبية فاننا سنفقد دائما النظرة الطويلة الامد .

مسألة اقناع الجماهير مرتبطة اولا بالواقع الراهن . ماهو الوضع الطبقى الراهن فى الجمهورية العربية المتحدة ، وما هو مفهوم العدالة الاجتماعية الذى نريد ان نطبقه . هذه امور متعلقة بالايديولوجية ومدى الرغبة والجدية فى تطبيقها ، متعلقة بالنظم الاجتماعية السائدة ، متعلقة بالاشياء الفرعية المترتبة على النظم الاجتماعية وهكذا . وبدون محاولة جادة لتغير الاتجاهات السلبية عن الجماهير ، والكف عن نشر الافكار الخرافية تحت ستار العلم والتكنولوجيا ، والاتجاه نحو قيم ومثل عليا حقيقية لا اتصور انه يمكن أن نتكلم عن مستقبل القاهرة على اساس سليم .

ابراهيم سعد الدين :

احب أن اعلق على النقطة الاخيرة التى اثارها الاخ سيد يسين . وانا اولا موافق تماما على ان التجريبية كمنهج لا يمكن انها تساعد على التخطيط وانه دون ايديولوجية واضحة ودون موقف واضح من كافة الامور لا يمكن اطلاقا الا ان نبدد قوانا على الاقل . لكن يخيل لى ان هناك امكانية على الاقل للقول بأن هناك اهدافا معلنة يمكن اعتبارها الى حد ما واضحة ولكن يدور حولها الصراع . أى أنه ليس هناك نقص فى تحديد الاهداف بقدر ماهو

تعدد التفسيرات للاهداف المعلنة وهى ناتجة فى واقع الامر من صراع اجتماعى قائم ومن أوضاع طبقية قائمة . صحيح أنه يقال بعض الاحيان ان اشتراكيتنا اشتراكية تجريبية وانما ايضا يقال فى نفس الوقت ومن القيادة المسئولة ان الاشتراكية هى واحدة فى كافة انحاء العالم ولكن طريق الوصول اليها مختلف . هذا يقال وذاك يقال فى نفس الوقت . ولكن الجدل مرجعه فى واقع الامر ان هدف الاشتراكية فى حد ذاته ليس هدفا متفقا عليه بالنسبة لكافة القوى الاجتماعية .

وفى اطار التحالف القائم وهو الاتحاد الاشتراكى ليست هناك وسيلة للتعبير واضحة عن الفئات والطبقات الاجتماعية المختلفة بحيث كل منها عندما تعبر تكون معبرة عن هذه الفئة وعن اهدافها بدل ما تكون تعبيرات شخصية يؤخذ ويقال انها تعبيرات عن الاتجاه العام وهى فى كثير من الاحوال ليست فى واقع الامر تعبير عن الاتجاه العام ولكنه تعبير عن اتجاهات خاصة فى اطار من الوضع العام الموجود . وعندما يكون المتحدث يتكلم من مركز سلطة يؤخذ حديثه من مركز سلطة دائما على انه تعبير عن الاتجاه العام مع انه فى كثير من الاحيان ليس الا تعبيرا عن ايديولوجية الشخص المسئول فى مركز السلطة فى مستوى معين . فالقضية هنا هى ان تجديد ايديولوجية المجتمع يقتضى ما يمكن ان يقال عنه حرية الصراع الفكرى ، والصراع الاجتماعى لبلورة الايديولوجية

تعليقات واضافات

عزت حجازى :

برضه اننى أمتنع عن ادارة أى مناقشة فى الجوانب الفنية فى الخطة والتخطيط اذ تكلمنا عن التخطيط على المدى البعيد : هل حجم السكان الذى سنبلغه سنة ٩٠ مثلا يدخل فى الاعتبار عند انشاء الصناعات وتنمية القطاع الزراعى .. الخ . وهى عمليات لها نتائج على المدى البعيد ؟ هنا يدخل اشكال فرعى وهو أن الاهداف البعيدة يجب أن تكون واضحة لكى لايتكرر ماحصل مثلا فى السنوات الاخيرة . فقد حصل تطور اقتصادى وزيادة فى معدل التنمية الاقتصادية . انما حصل انه بسبب المعدل العالى لتزايد السكان لم يظهر اى تأثير .

كمال شعيب :

وبعض الاخوان تكلموا عن ازالة احياء ، لاننا كمخططين نطلب ازالة احياء ، مثل حى عششش الترجمان لانشاء احياء جديدة وجميلة . وقالوا ان الجمال ليس بالفخفخة ، وان هذا يتناقض مع الفكر الاشتراكى . انا طبعا لاأرى هذا التناقض أو علاقة الاشتراكية مع ازالة الاحياء اذا كانت موبوءة صحيا .

والواقع ان الاحياء تتدهور ويتعين ازالتها بسبب القصور فى القوانين التى تحافظ على المدينة . وهناك قانون المبانى وضع سنة ١٩٤٠ وذلك لاول مرة وهو مقتبس من بعض المدن الكبرى ومع ذلك فهو اكثر تساهلا .. فنحن فى القاهرة نصرح بارتفاع المبانى مرة ونصف عرض الشارع ، ولهذا لابد من تغيير قانون المبانى ، ويجب الا يحتج بارتفاع قيمة الاراضى . هنا الاشتراكية يجب ان تدخل . ولما حددنا الملكية الزراعية وحددنا حاجات كثيرة للصالح العام ، يجب تحديد سعر اراضى البناء لتقل تكاليف المبانى ونحمى المناطق القديمة الجميلة .

كذلك قانون المبانى عندنا يسمح ببناء ١١ مرة مسطح الارض فى حين ان ديترويت فى ميتشيجان فى امريكا بيسمح بمبنى جملة مسطحاته فى جميع ادواره لاتزيد عن خمس مرات قطعة الارض المبنى عليها .

عندنا هنا قانون مبانى بيسمح لى بعشرة واحد عشرة ولو كانت الارض عميقة ابنى ١٢ مرة مسطح الارض .

واذا اخذنا فى الاعتبار ان كل مبنى مولد لحركة مرور (مشاه وسيارات وانتظار) نجد القانون عندنا يتساهل أكثر مما يجب بالنسبة لان شوارعنا شوارع مدينة قديمة انشئت للحصان او العربية بالحصان .

ومن الاشكالات التى نقابلها التقاسيم المخالفة فالقانون يمنع اعطاء رخصة الا بناء على تقسيم معتمد . ولكن ليس بالقانون نص يقول ان للسلطة القائمة على التنظيم أو مجلس المدينة الحق فى رفض تقسيم .. !

عبد العزيز السيد :

والله انا اضع نفسى موضع السادة المسئولين عن الندوة واسأل عن النتيجة أو الحصاد الذى سيبرزونه فى النهاية للرأى العام وللقراء ، ويمكن فى هذا المجال الشكوى الاساسية التى قدمها كل واحد فى ميدانه هى أنه لايوجد تخطيط أو أن التخطيط لايتبع ، ولابد أن نخطط فى كل ميدان ، لابد ان كل واحد منا يكون عنده بيانات معينة

يضعها امام المخطط • فادام عندنا وزارة التخطيط تقوم بالتخطيط وتوزع مشروعات ، فلابد ان تطالب كل وزارة بتخطيط •

اسماعيل صبرى عبد الله :

عندى كلمة صغيرة جدا عن دور القانون فى المجتمع على ضوء ما اثير حول هذا الموضوع اليوم وأمس •• طبعا القوانين ضرورية وهى اسلوب اساسى لتنظيم المجتمع • لكن اساتذتنا الذين درسوا لنا فلسفة القانون قالوا لنا ان المجتمع يقوم على مجموعة قواعد اخلاقية وان جزءا صغيرا جدا من هذه القواعد الاخلاقية هو الذى تحول الى قواعد قانونية يقع على من يخالفها جزاء جنائى • ولكن الاصل والمجموعة الاكبر قواعد اخلاقية لا يترتب على مخالفتها الا استنكار الرأى العام لها • يعنى فى أى مجتمع ٩٠ فى المائة من الناس لايسرقون لان اخلاقيا السرقة عيب و ١٠ فى المائة فقط لا يسرقون خوفا من القانون • فالقانون ليس حلا سحريا لكل حاجة •

النقطة الثانية : هى فى الحقيقة رد على سؤال اثاره محمد الخفيف وهو هل فات الاوان •• ؟ طبعا عمر الاوان ما يفوت • ولكن المشكلة انه كل ما يمر الوقت كلما ازدادت المشاكل تعقيدا واصبحت الحلول اصعب • والوقت فى حياة الامم لايمر خلوا من الاحداث •• واذا لم نشكل بارادتنا هذه الاحداث فانها هى التى ستشكلنا لانها تصبح قيدا على ارادتنا فى المرحلة التالية لها .

النقطة الثالثة هى ضرورة النظرة الواقعية لظروفنا ولمجتمعنا • واذا كان طموحنا عظيما فان نقطة البداية فيه متواضعة جدا • يعنى مثلا فى مستوى الخدمات لن يكون عندنا فى القريب خدمات فى مستوى الكويت لسبب بسيط ، لان الكويت تحصل من البترول على ٢٥٠ مليون جنيه سنويا وعدد سكانها اقل من نصف مليون ، منهم مائة الف كويتى . ولو حصلنا هنا فى مصر على نفس المبلغ لكان قطرة فى بحر بالنسبة لاحتياجات الثلاثين مليون مصرى • لابد اذن أن ننشىء المدارس ولو تحت الشجر لان بدون ذلك لن نوفر التعليم للجميع • لو انتظرنا حتى نتمكن من توفير المدارس كما تقضى بذلك الاصول البيداجوجية فلن نراها أبدا ولازم نبتدى بداية متواضعة • لكن ما يعوض هذا النقص هو العنصر البشرى والجهد الذى يقدمه العنصر البشرى • ويمكن أن يكون المرء مدرسا ممتازا حتى وهو يدرس تحت شجرة ويمكن ان يكون مدرسا سيئا ولو عمل فى فصل مكيف الهواء • والعنصر البشرى ليس حافزا ماديا فقط ليس بالخبز وحده يحيا الانسان • لاننا لانستطيع أن نعطى للعنصر البشرى المكافأة التى يمكن ان يحصل عليها . فلابد اذن من حافز معنوى لبقاء الفنيين فى بلادنا ونضالهم مع شعبهم : وهنا نصل لنقطة الوعى أو نقطة الايديولوجية التى اشار اليها الاخ سيد ياسين . مالم يكن الشعور الذى يحتم كل من يتصدى للعمل فى هذا البلد هو شعور بالواجب الوطنى والرغبة فى خدمة هذا الشعب والجدية فى هذه الخدمة لا يمكن ان تبدأ البداية المتطلبة . فالدولة لاتستطيع ان تحل كل المشاكل والاساس هو حركة الجماهير نفسها والحلول التى تقدمها لمشاكلها •• والجماهير لكى تتحرك لازم تكون الرؤية واضحة امامها . وان يكون لديها مثل عليا تناضل من اجلها وطليعة سياسية تضرب المثل فى التضحية وفى الخدمة ، وفى الشغل وفى التفانى

د• محمد الخفيف :

باسم الطليعة نشكركم جميعا كل الشكر على اسهامكم الذى اغنى هذه الندوة . والواقع لعلنا جميعا متفقون على ان الموضوع اعمق واوسع واخطر من ان يتناول فى ندوة واحدة •

ونعد ان شاء الله بأن نعقد عدة ندوات اخرى نتناول فيها بالتفصيل ما اجملناه فى هذه الندوة العامة التى تعرضنا فيها للجوانب العريضة للقاهرة فى المستقبل الذى نرجوه لها ، وكله عز وازدهار وشكرا •

محـــاولة للتلخيـــص

يمكن ان نستخلص من مناقشـات الندوة بعض النقاط الرئيسية التى تحكم الطريق الى قاهرة المستقبل :

(١) سيبدو اقليم « القاهرة الكبرى » الذى يشكل من الناحية الاقتصادية منطقة متكاملة نموا كبيرا خلال السنوات العشرين المقبلة • واهم مظاهر هذا النمو تضاعف عدد سكانه •



[٢] ترجع الزيادة فى السكان الى عاملين : الزيادة الطبيعية فى عدد السكان على مستوى الجمهورية ، والهجرة من الاقاليم الاخرى الى القاهرة وضواحيها .

[٣] يستحيل التخطيط لمستقبل القاهرة دون ان يندرج هذا التخطيط فى اطار تخطيط قومى شامل طويل الامد .

[٤] وخير دليل على ذلك أن مشكلة الزيادة الطبيعية فى السكان مشكلة قومية تظهر فى عدد كبير من البلاد النامية مع بدء مرحلة التنمية نتيجة لانخفاض معدل الوفيات دون ان يصاحبه انخفاض يذكر فى معدل المواليد . ولابد لمواجهتها بعمل جدى فى سبيل تنظيم النسل لتجاوز هذه الفترة الحرجة والوصول بجهود التنمية الى ارتفاع فى متوسط دخل الفرد يؤدى الى انخفاض معدل المواليد كما هى الحال فى الدول المتقدمة .

[٥] كما ان مشكلة الهجرة الى القاهرة لا يمكن علاجها الا فى اطار تخطيط اقليمى يقسم الجمهورية الى عدد من الاقاليم ، كل منها منطقة اقتصادية متكاملة لها عمود فقرى من الصناعة وبها عاصمة تتوافر فيها سمات المدن الكبرى .

[٦] تزايدت مشكلات القاهرة وتشعبت وتعقدت نتيجة لديناميكية التنمية الاقتصادية ، ولاجراءات التحول الاجتماعى التى هزت معالمها السابقة كعاصمة لبلد يسيطر عليه الاستعمار والاقطاع تنقسم الى مدينة للفقراء واخرى للاغنياء .

[٧] ومع ذلك فمازالت القاهرة تعكس نواحى من التخلف فى تطور البلاد الاقتصادى والاجتماعى ، فهى من ناحية تتوافر لها من أسباب النشاط الاقتصادى ومن الخدمات مالا يتوافر لغيرها من مدن الجمهورية . وهى من ناحية اخرى مازالت تتفاوت تفاوتا شديدا بين احيائها الشعبية واحيائها الانيقة .

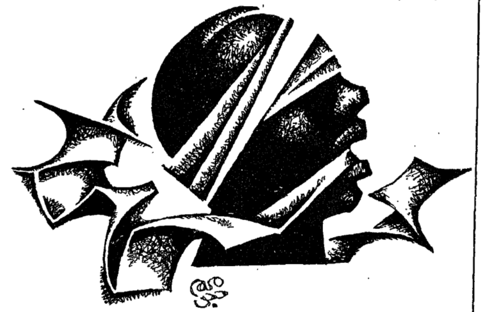
[٨] الخدمات الرئيسية [الاسكان - التعليم - الصحة - النقل - مرافق المياه والمجارى] مترابطة ولا يمكن التفكير فى تطوير احداها فى عزلة عن بقيتها ، ومن ثم لابد من التخطيط القومى ، والتخطيط الاقليمى من تخطيط عمرانى يحكم نمو القاهرة فى المستقبل وبصفة خاصة تجديد الاحياء القديمة وانشاء الاحياء الجديدة وهذا هو موضوع نشاط الجهاز التخطيطى والتنفيذى للجنة القاهرة الكبرى .

[٩] التخطيط فى مستوياته الثلاثة السابقة يبدأ بالمعرفة الشاملة للواقع بأوسع معانيه ومن ثم فلابد من العناية بالدراسة العلمية الدقيقة لمناحى الحياة القاهرية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ودراسة العادات .. الخ ولابد من الاستفادة من جهود كل مراكز البحث العلمى المتاحة .

[١٠] كما يقوم التخطيط على تصور طويل الامد لما يجب ويمكن ان تكون عليه العاصمة وبعد عشرين عاما مثلا .. ويلاحظ فى هذا الصدد ، أولا ، ان المستقبل ليس مجرد أسقاط للوضع الحالى ، لان هذا الوضع لابد ان يتغير حتى وان لم يتم تخطيط ، وهدف التخطيط هو ان يتم ذلك التغيير على أفضل وجه . ويلاحظ ثانيا ، ان مثل هذا التصور يتعذر بدون وضوح ايديولوجى حول اهداف التطور الاقتصادى والاجتماعى . ويلاحظ ، ثالثا ، ان الخطة الطويلة الامد لابد ان تحكم الخطط المتوسطة والقصيرة .

بيافرا

والمسألة الوطنية ضد الانفصال.. والاضطهاد القومى



حسين شعلان

سوف تبقى مشكلة « بيافرا » ، أو انفصال الاقليم الشرقى فى نيجيريا ، مثار جدل واسع فى الفكر الوطنى الافريقى . ولا يعود ذلك فحسب الى النتائج التى أدت اليها الحرب الاهلية فى نيجيريا من تخريب لاقتصاديات البلاد وحياتها السياسية والاجتماعية ، وانما لان المشكلة تمس — ايضا — مجموعة من اخطر القضايا التى تتعدى حدود نيجيريا الى حدود القارة الافريقية كلها .

وربما تستطيع حكومة نيجيريا الاتحادية ، غدا او فى اى يوم آخر ، ارغام الانفصاليين فى « بيافرا » ، على التسليم بقوة السلاح ، لتعود « بيافرا » مرة اخرى ، اقليما من اقاليم نيجيريا . ولكن ذلك — لو حدث — فلن يعنى بأى حال ان المشكلة قد صفيت . اذ لن تلبث المشكلة بعد فترة

اخرى — ربما عام او اقل او اكثر — ان تنفجر من جديد ، طالما بقيت اسبابها الحقيقية بدون حل جذرى .

ومشكلة الحرب الاهلية فى نيجيريا ، ليست مشكلة انفصال او اتحاد « بيافرا » — او اى اقليم آخر . لان حصرها فى هذا الاطار ، مبالغة فى تبسيط الامور الى الحد الذى يقود فيه الى مجرد اتخاذ موقف بتأييد او معارضة احد اطراف الحرب .

صحيح ان تحديد هذا الموقف ضرورى . ولكنه سيظل جزءا من قضية اكبر واخطر : قضية « بيافرا » فى اطار المسألة الوطنية فى نيجيريا ، ووضع القوميات والاقليات المتعددة فيها . ومن هنا نقول بأنها تمس مشاكل مماثلة فى القارة ، تعانى منها الحركة الوطنية الافريقية ككل . وذلك يدفعنا الى ضرورة تحديد موقف مبدئى من مشكلة « بيافرا » ، مع التسليم مقدما بتنوع هذه المشاكل بين كل دولة افريقية واخرى ، وفق الخصائص المميزة لكل منها ، وبرغم الاطار العام الذى يجمعها جميعا .

ولان معالجة المسألة الوطنية فى افريقيا ككل ، تحتاج جهدا يفوق بكثير جهد هذه السطور ، وحيزا يزيد عنها اضعافا ، كما انها ليست المشكلة الملحة الان ، والمطروحة للنقاش ، فاننا ندخل مباشرة الى مشكلة نيجيريا بمناخيها العام والخاص المحددين .

المناخ العام

يتميز المناخ العام — الدولى والافريقى — لانفصال « بيافرا » ، ثم الحرب الاهلية التى ترتبت على ذلك ، بهجوم قوى الاستعمار العالمى على حركات التحرر الوطنى باستخدام العنف ، لاعادة الدول المستقلة الى مناطق التبعية ، وفق اساليب متباينة تهدف جميعها الى الابقاء على هذه الدول « كريف عالمى » للرأسمالية ، يتبعها سياسيا واقتصاديا وفكريا . كما يهدف — على الاقل — الى اعاقة تطور بعض الدول المستقلة ، وفق اسس مناهضة للرأسمالية ، فى مواجهة انتشار الاشتراكية — فكرا ونظما — فى عالم النصف الثانى من القرن العشرين .

ولا شك ان سلسلة الانقلابات العسكرية التى شهدتها افريقيا ، بدءا بانقلاب موبوتو فى الكونغو [اكتوبر عام ١٩٦٥] ، وحتى انقلاب انكراه فى غانا [فبراير عام ١٩٦٦] ، قسمة هامة من ملامح هذا الهجوم المضاد . وتتنوع اساليب هذا الهجوم لتشمل جبهات ثلاث ، يجرى العمل فى اولها على تفتيت الدولة الواحدة او القبيلة الواحدة او الاثنين معا . ويمتد فى ثانيها الى العمل على تفتيت وحدة نضال القارة كلها فى شكل تخريب منظمة الوحدة الافريقية من الداخل ومن الخارج فى وقت واحد . ويخرج فى ثالثها الى العمل على تخريب علاقات حركة التحرر الافريقى بحلفائها فى العالم الثالث ، وبسندها فى المعسكر الاشتراكى كذلك .

يجرى هذا الهجوم، جنبا الى جنب مع حلقات الصراع فيما بين الدول الاستعمارية نفسها . فتتغير حلقات هذا الصراع — بين وقت وآخر — عبر مسالك السياسة الامريكية والبريطانية والفرنسية فى افريقيا . واذا كانت هناك لقاءات متعددة — مؤقتة — للسياستين الامريكية والانجليزية فى بعض المناطق ، فانها تتناقض فى مناطق اخرى . والشىء الثابت حتى الان ، هو تناقض السياستين الامريكية والفرنسية فى افريقيا على طول حلقات هذا الصراع فى هذه المرحلة .

المناخ الخاص

ونقصد به ظروف نيجيريا الخاصة . ونجملها هنا فى حقيقة كونها ظروف بلد افريقى متخلف اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا ، شأن كثير من دول افريقيا الاخرى التى تواجه مشاكل التنمية والكفاح ضد الاستعمار الجديد .

لقد كانت نيجيريا دائما محط اطماع الاستعمار القديم ثم الاستعمار الجديد . فثروتها البشرية [حوالى ٥٦ مليون نسمة] ، تجعل منها سوقا ضخما لتصريف البضائع . وثرواتها الطبيعية كفيلة بأن تسيل لعاب استثمارات رءوس الاموال الاستعمارية . اذ تعد نيجيريا **ثالث** دول افريقيا انتاجا **للبترول** . والدولة **الثالثة عشرة** لانتاجه فى العالم . وهى تمول وحدها ١٠ ٪ من احتياجات بريطانيا البترولية . وتقدر المصادر الامريكية انه فى خلال ٥ او ١٠ سنوات ، سوف تحتل نيجيريا المركز **العاشر** بين الدول المنتجة للبترول فى العالم . كما تنتج ٩٠ ٪ من خام **الكولومبيت** فى العالم ، ويستخدم فى صناعة النفاثات . وتنتج ايضا ٩ ٪ من **قصدير** العالم . كذلك تعد نيجيريا واحدة من الدول الرئيسية المنتجة **للكاكاو** ، فضلا عن كميات **الاخشاب** الضخمة **والقطن والمطاط وفول الصويا** .

اقتصاد نيجيريا ، اقتصاد تابع

يتوقف انتاج المعادن فى نيجيريا ، على مدى طلب الاحتكارات الغربية التى يصدر اليها كله ، وحيث تتحكم هذه الاحتكارات فى اثمانه ، وبالتالى تضمن تحقيق اقصى حد للربح .

ويسيطر على معظم اقتصاديات البلاد ، **شركة افريقيا المتحدة** [فرع من احتكار **يونيفلر** الضخم]. ويسيطر على الحياة المصرفية للبلاد بنكان بريطانيان هما : **بنك باركليز** ، **وبنك غرب أفريقيا** . ويتم ٨٥ ٪ من انتاج البترول ــ تكريره وتصديره ــ على ايدي **شركة شل ب . ب البريطانية** ، التى تملك ٤٠ ٪ من رءوس أموال معامل التكرير ، وتملك الحكومة الاتحادية ٤٠ ٪ وتملك رءوس الاموال النيجيرية الخاصة ٢٠ ٪ .

وينافس هذه الشركة البريطانية ، سبع شركات امريكية هى : **أمريكا فيما وراء البحار** ، **اسو لغرب افريقيا** ، **دريلنج الدولية** ، **موبيل اويل نيجيريا** ، **خليج نيجيريا** ، **وشركة تنيسى نيجيريا** ، **وتكساس افريقيا** . هذا فضلا عن منافسة **شركة فرنسية** كبيرة واخرى **ايطالية** . كذلك تسيطر الشركات البريطانية والامريكية والفرنسية على انتاج المعادن الاخرى . نضيف الى هذا ان رءوس الاموال الاجنبية تسيطر على تجارة البلاد ، وبخاصة الصادرات التى تتركز اساسا على المواد الخام .

أما **الاستثمارات الرأسمالية النيجيرية** ، فانها تتركز فى اعمال البناء وانشاء الطرق والتجارة والخدمات . ومع ذلك فان هناك استثمارات نيجيرية خاصة فى فروع الصناعة الخفيفة ، وخاصة صناعة الغزل والنسيج . والواقع ان أكثر من نصف الصناعة النيجيرية فى مستوى حرفى .

ان عدم وجود القوة الشرائية الكبيرة ، حيث ان حوالى ٦٠ ٪ من الفلاحين فى نيجيريا لا يشتركون فى الاقتصاد النقدى ، دفع الاستثمارات النيجيرية الخاصة الى التركز فى مجالات التجارة والبناء والخدمات .

وتعترف الخطة السداسية النيجيرية للتنمية ، صراحة ، بأهمية الاعتماد على رأس المال الاجنبى . وتتوقع هذه الخطة انفاقا اجماليا قدره ٦٧٦٫٨ مليون جنيه استرلينى ، تفترض أن المساعدات الخارجية سوف تقدم نصف هذا المبلغ . على ان تقدم مدخرات الحكومة الفيدرالية والحكومات الاقليمية ورءوس الاموال الخاصة ، النصف الباقى .

وتكشف احصائيات الخطة السداسية ان جزءا كبيرا من استثماراتها ، مخصص للزراعة وانشاء الطرق والموانى . اما القطاع الصناعى ، فان اهم مشروعاته : مشروع انتاج الحديد والصلب ، وتقدر قيمة انشائه ٣٠ مليون جنيه استرلينى ، وسوف يستوعب ١٥٠٠ عامل . ثم مشروع انشاء معمل لتكرير البترول [١٢ مليون جنيه استرلينى] ، ومشروع سد النيجر ، الذى يشمل ٣ سدود صغيرة .

ويلاحظ الدارسون الاقتصاديون ان هذه الخطة لا تراعى فى كثير من مشروعاتها ، الاحتياجات الموضوعية للبلاد . ويعطون امثلة لذلك مشروع سد النيجر ، الذى سينتج خلال سنوات قليلة فائضا من الطاقة يزيد على حاجة البلاد ، فى نفس الوقت الذى لا تقوم فيه صناعات كبيرة جديدة . ويبدو ان الخطة كانت تتوقع ان يجذب وجود الطاقة الكهربائية رءوس الاموال الاجنبية . ولكن ذلك لم يحدث على اى حال .

والواقع ان انتاج غاز الميثان فى نيجيريا ، يتم بنسبة تستطيع أن توفر كل الطاقة التى تحتاجها البلاد . وتقدر الاموال اللازمة لانتاج هذا الغاز بكميات كافية ، بما يعادل ١/٥ المال المستثمر فى بناء السدود الثلاثة . ومثال على عدم مراعاة ظروف البلاد واحتياجاتها ، ان الخطة تتضمن مشروع انشاء ٣ مصانع لصهر القصدير .. فى الوقت الذى يوجد فيه مصنعان قائمان بالفعل ويستوعبان كل خام القصدير الذى تنتجه نيجيريا ، ومن ثم فان المصانع الجديدة الثلاثة لا لزوم لها . كما تتضمن الخطة بناء مصنع للفواكه والخضروات المحفوظة .. اقيم فى منطقة لا يوجد بالقرب منها لا فواكه ولا خضروات ولا وسائل نقل .

ان اتجاه الغرب وحكومات نيجيريا التى اعقبت الاستقلال ، الى تحويل نيجيريا الى « نموذج للنظم الرأسمالية الغربية فى أفريقيا » ، قد حطم اقتصاديات البلاد ، وأبقى على حقيقة تبعيته للاقتصاد الرأسمالى العالمى . كما قاده الى واقع حزبى لم يحقق الا مزيدا من سيطرة الاحتكارات الغربية على حساب افقار جماهير الشعب النيجيرى . ومن الملاحظ ان مستوى معيشة السكان لم يتزايد خلال السنوات الاخيرة . وعلى العكس من ذلك ، تدهور مستوى غذاء الفلاح عن عام ١٩٣٠ . فاذا اضفنا ان مستوى الاسعار قد زاد بنسبة ١٢ ــ ١٥ ٪ فى عام ١٩٦٣ ، ثم بنسبة ٢٢ ٪ فى عام ١٩٦٥ ، بسبب ظروف التضخم ، لاتضح لنا مدى قسوة الظروف الاقتصادية التى يعيشها الشعب فى نيجيريا . ويقودنا ذلك بالتالى الى الحديث عن الظروف السياسية التى مكنت الاحتكارات من هذه السيطرة .

نظم رجعية متخلفة

دأبت حكومات ما بعد الاستقلال ، على الحديث عن تبنيها لسياسة « عدم الانحياز » . والواقع انه لم يكن باستطاعتها ــ بحكم طبيعتها الطبقية ــ ان تمارس مثل هذه السياسة . فضلا عن ان اقتصاد

البلاد التابع للرأسمالية العالمية ، كان عنصرا هاما من عناصر « انحياز » هذه الحكومات الى الغرب الاستعماري والقوى الرجعية في افريقيا . ولعل مواقف حكومة باليوا — بعد الاستقلال — من المشاكل الافريقية كمشكلة الكونجو ، ومنظمة الوحدة الافريقية ، خير دليل على ذلك .

لقد سلم الاستعمار البريطاني السلطة في نيجيريا — عشية الاستقلال في اكتوبر عام ١٩٦٠ — الى قوى الاقطاع ، ممثلا في حزب مؤتمر الشمال ، وبمشاركة البورجوازية — كرشوة لها — بقطاعاتها المختلفة : العميلة ، ممثلة في اكنتولا ، الذي تولى حكم الاقليم الغربي الاوسط ، والتي تحالفت مع اقطاع الشمال ، والمعتدلة التي مثلها حزب المؤتمر الوطني لمواطني نيجيريا اول الامر ، والذي حكم الاقليم الشرقي ، ثم الثورية التي مثلها حزب جماعة العمل في الاقليم الغربي . وفي ظل قيادة الاقطاع سمح للبورجوازية في الاقاليم « بفتات المائدة » .

وفي ظل هذا التحالف الاستعماري — الاقطاعي — البورجوازي ، عاشت نيجيريا منذ الاستقلال . وعندما كانت تتمرد اي من قطاعات هذه البورجوازية ، كانت تضرب وتعتقل قياداتها السياسية ، وتقصى عن الحكم .

وبسبب الظروف الاجتماعية والحزازات القبلية ، لم تتمكن اي من هذه الاحزاب البورجوازية بقطاعاتها المختلفة ، من ان تتطور لتصبح احزابا قومية ، بل اصطبغ كل منها بطابع اقليمي وقبلي . وعادة ما يفرخ مثل هذا المناخ قيادات سياسية تجنح الى الاعتدال والتهادن ، وتتميز تحركاتها السياسية بشكل عام بطابع التحالفات اللامبدئية من حول حزب الاقطاع الكبير . وتزيد هذه الوضعية ، بالضرورة ، من ضعف البورجوازية وعجزها عن تقديم حلول ثورية ، فضلا عن عجزها عن اطلاق قوى التطور الرأسمالي في بلد تتبع اقتصادياته الرأسمالية العالمية .

وبنمو السخط العام في البلاد — سياسيا واقتصاديا واجتماعيا — قام انقلاب يناير عام ١٩٦٦ ، الذي قادته مجموعة من الضباط الوطنيين التقدميين بزعامة شوكوما نزيجوو [من قبيلة الايبو في الاقليم الشرقي] . ولكن علاقات القوى القائمة في ذلك الوقت لم تمكنهم من السيطرة تماما على البلاد . فتسلم ايرونسي الحكم لمدة ٦ شهور ، وهو من ابناء الايبو كذلك . وبرغم الخطوات التقدمية التي اتخذها ايرونسي — واهمها الغاء الحكم الفيدرالي ، وتوحيد نيجيريا ، وتشكيل حكومة مركزية — الا انه ارتكب خطا قاتلا ، حين استصدر قرارا بالغاء الاحزاب في وقت لم يكن ممكنا فيه ذلك . فقد كانت هذه الخطوة تعني محاولة لالغاء الصراع الاجتماعي والقبلي . وتلك مرحلة ما زالت نيجيريا في حاجة الى وقت غير قصير للاقدام عليها . كما ينبغي معالجتها بحساسية حذرة وحسابات معقدة .

ولم يلبث ان قام في يوليو عام ١٩٦٦ ، انقلاب أطاح بايرونسي ، وسلم جوون [من قبائل الشمال] السلطة في نيجيريا .

التركيب الاجتماعي في نيجيريا

يتكون المجتمع النيجيري ، من عدد من القبائل تبلغ ٢٥٠ قبيلة . اكبرها على وجه الاطلاق **الهوسا** في **الشمال** ، **والايبو واليوروبا** في **الجنوب** . وقد عملت الادارة الاستعمارية البريطانية — عن عمد — على تقسيم نيجيريا الى اقاليم ، على اسس قبلية ، لتعمق العزلة وتزيد من الحزازات القبلية . فسكان الاقليم الشمالي [٢٩ مليونا] ، معظمهم من الهوسا ، والاقليم الشرقي [١٢ مليونا] ، معظمهم من الايبو ، والاقليم الغربي [١٠ ملايين] ، معظمهم من اليوروبا . أما الاقليم الغربي الاوسط [مليونان] ، فيضم عددا من القبائل الاخرى مع بعض من الايبو واليوروبا .

وبرغم ان الغزو الاستعماري ، كان بمثابة تصدير للرأسمالية ، الا ان الاستعمار البريطاني قد حرص على تجميد الاوضاع والمؤسسات والعلاقات القبلية في الشمال بفعل حكمه **غير المباشر** لهذا الاقليم ، عن طريق تمكين السلاطين والامراء الاقطاعيين من الاستمرار في الحكم بمساندته ولحسابه . فأدى هذا الى المحافظة على العلاقات الاقطاعية القديمة ومؤسساتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

وعلى عكس ما تم في الشمال ، اقام الاستعماريون حكما **مباشرا** في الجنوب ، وأدخلوا الصناعة ووسائل الانتاج الحديث . وأدى ذلك الى ضرب العلاقات الاقطاعية — في الحدود التي سمح بها الاستعمار ، وحيث لا خوف معها من استمرار استنزاف ثروات المنطقة — ونشأت المدن والتجارة . ومن ثم تطورت الرأسمالية المحلية . وترتب على ذلك بالضرورة ان نشأت الطبقة العاملة ، وقامت علاقات رأسمالية .

ولقد ادى ذلك ، الى تطور اجتماعي في الجنوب عنه في الشمال . فبينما بلغ عدد الطلبة [في المدارس الابتدائية والثانوية والفنية والمهنية] ، من الايبو من الاقليم الشرقي ٢٨٠ر٢٣١ر١ طالبا عام ١٩٥٧ ، وكان عددهم ٨٨٠ر٠٠٩ر١ من اليوروبا في الاقليم الغربي ، بلغ عددهم من الهوسا في الاقليم الشمالي ٦٤٨ر٢١٢ فقط . وفي عام ١٩٥٩ ، كان عدد طلاب جامعة ابادان ٣٣٣

طالبا من الايبو ، و ٤٠٨ من اليوروبا ، بينما كان عددهم من الهوسا ٣ فقط [1] .

وطبقا لاحصائية عام ١٩٥٩ ، للمهن والوظائف [2] ، كانت اللجنة القومية [٧١ عضوا] لحزب المؤتمر الوطنى لمواطنى نيجيريا [فى الاقليم الشرقى] ، تضم ٣٧ ٪ من اصحاب المهن الحرة من أطباء ومحامين ، و ٢٨ ٪ ، تجار ومقاولين ورجال اعمال مالية ، و ٣٠ ٪ من رجال التربية والتدريس . اما اللجنة القومية [٦٦ عضوا] لحزب جماعة العمل [فى الاقليم الغربى] ، فكانت تضم ٣٣ ٪ مهن حرة ، و ٢١ ٪ تجار ومقاولين ، و ١٨ ٪ من رجال التربية والتدريس . اما اللجنة القومية [٧٤] لحزب مؤتمر شعب الشمال [من الاقليم الشمالى] ، فقد كانت تضم ٦٢ ٪ من الموظفين فى الادارة ، و ٢٦ ٪ تجار ومقاولين.

وبينما ارتبطت قيادات حزب المؤتمر الوطنى [شرق] بالبنك الافريقى [رءوس أموال نيجيرية] ، كانت جماعة العمل [غرب] ، ترتبط بالبنك الوطنى [رءوس أموال نيجيرية] . اما قيادات الشمال فقد ارتبطت بالميراث الاقطاعى والتجارة الاحتكارية .

ومثلما كان الجنوب ارضا للحركة الوطنية البورجوازية ، كان كذلك — بحكم اوضاعه الاقتصادية — مكانا لنشأة الطبقةالعاملة ونموها . وبالاضافة الى النضال الوطنى للطبقة العاملة تحت قيادة البورجوازية فى الجنوب .. من اجل الاستقلال ، شنت نضالا اقتصاديا من اجل رفع اجورها فى فترات مختلفة من تاريخ البلاد . وابرز هذه الفترات ، فترة الازمة الاقتصادية فى الثلاثينيات ، حيث تبلورت الحركة العمالية كحركة جماعية . فنظم عمال السكك الحديدية اضرابا عم كل البلاد ، وادى فى عام ١٩٣٢ ، الى تكوين اتحاد عمال السكك الحديدية . وفى اثناء الحرب العالمية الثانية وبعدها ، نشطت الحركة النقابية العمالية ، وبلغ عدد النقابات فى عام ١٩٤٢ ٨٠ نقابة ، زادت الى ١٠٣ عام ١٩٤٥ ، وكانت تضم ٣٠ر٣٢١ عاملا .

وزادت الطبقة العاملة قوة بعد الاستقلال ، حتى استطاعت فى عام ١٩٦٣ ، ان تكون حزبها الطليعى « **حزب العمال والفلاحين الاشتراكى** » ، الذى تبنى الاشتراكية العلمية طريقا لحل مشاكل البلاد . ويعد هذا الحزب ، اول حزب « قومى » فى نيجيريا تخطى حدود « الاقليمية » و «القبلية». واذا كانت نيجيريا قد شهدت خلال الفترة من عام ١٩٥٧ الى عام ١٩٦٥ ، ٣٢٥ اضرابا عماليا تضم ٥٥٠ر١١٥ عاملا ، لاهداف سياسية واقتصادية ، فان اضراب صيف عام ١٩٦٤ ، يعد اكبر اضراب عام تشهده افريقيا على وجه الاطلاق حيث ضم ٨٠٠ر٠٠٠ عامل [3] .

والواقع ان هذا الحزب يواجه فى حركته السياسية ظروفا غاية فى التعقيد ، فضلا عما عاناه من قبل من ظروف الارهاب والقمع المستمر . وتلعب الاوضاع القبلية دورا اساسيا فى عرقلة نمو الحزب ، بل وفى اضطراره لعدم اتخاذ موقف فى منطقة معينة يأخذه بالفعل فى منطقة اخرى . وكمثال على ذلك ، ان اعضاء الحزب فى الاقليم الشرقى — كما جاء فى رواية لاحد الاصدقاء الافريقيين من نيجيريا ، ومن محررى مجلة التقدم الناطقة بلسان الحزب — لم يستطيعوا ان يجاهروا بموقف رفض الانفصال فى منطقتهم هذه ، حيث كان مصير من يتخذ مثل هذا الموقف بالرفض .. الذبح فورا .

الحرب الاهلية

برغم ان النظام العام فى نيجيريا كان يتسم بطابع واضح من عهد ما قبل الرأسمالية ، الا ان تطور الرأسمالية فى الجنوب ، وفى الاقليم الشرقى خاصة ، ادى الى تفاقم المتناقضات بين بورجوازية هذا الاقليم ، وبين نظام الدولة القديم .

لقد كانت قبيلة الايبو دائما ، قبيلة متماسكة ، استطاعت ان تحتفظ بنظمها ومؤسساتها ، برغم كل الضربات التى وجهت اليها ، سواء على ايدى الاستعمار البريطانى ، او اقطاع الشمال . يشهد على ذلك احتفاظهم قديما بشكل دولتهم ثم عدم ذوبانهم فى مجتمع ما بعد الاستقلال .

بل لقد كان الجنوب كله ، ارضا للحركات الوطنية والعمالية : ولهذا السبب خرجت بريطانيا على تقسيمه ، حيث امكانيات الثورة ضدها . وعند الاستقلال عمدت بريطانيا الى تسليم السلطة للشماليين ، ودأبت على اذكاء الحزازات القبلية بين القبائل النيجيرية الكبيرة .

واذا كانت الحرب الاهلية تمتد بجذورها الى هذه الفترة من الحكم الاستعمارى .. فاننا نقول انه قد جرت فى عام ١٩٦٦ — بانقلاب نزيجوو ، ثم ايرونسى — محاولة تقدمية لتصحيح بعض الاوضاع ، وبغض النظر عن الشكل الدموى الذى صاحب هذا الانقلاب ، بفعل الصراعات القديمة .

---

(1) من احصائية نشرها الدكتور عبدالملك عودة فى مقال له عن الحرب الاهلية فى نيجيريا
(2) نفس المصدر
(3) مجلة السلم والاشتراكية .. من مقال عن نيجيريا بقلم ساما دوجيين - سبتمبر ١٩٦٧

وبعودة الأوضاع مرة اخرى على يد جوون ؟ الى سابق عهدها — وجوون هنا واحد من ابناء احدى قبائل الشمال الصغيرة ، ويلقى تأييد قبيلة الهوسا والاقطاعيين — عادت المذابح القبلية من جديد ، وقادت البلاد فى نهاية الامر الى الحرب الاهلية .

والواقع ان الاقليم الشرقى الذى انفصل تحت اسم بيافرا ، بقيادة أوجوكوو ، لم يكن وحده اول من دعا للانفصال . فقد كان الشماليون انفسهم يدعون الى الانفصال بعد الاستقلال،ثم بعد انقلاب ايرونسى . ويكشف ذلك عن ان القضية قضية « الحكم » . من يقبض عليه يدعو الى الاتحاد تحت لوائه ، ومن خارجه يدعو للانفصال . ومن هنا ، فان دعاوى الانفصال او الاتحاد فى نيجيريا، لا تعبر عن مشاكل سياسية فحسب ، وانما هى ايضا تعبير عن صراع اجتماعى ، الشمال الاقطاعى فيه طرف ، والجنوب البورجوازى طرف آخر .

مع من ؟ وضد من ؟

من نؤيد اذن ومن نعارض من الطرفين ؟
اننا نسلم منذ البداية ، بأن **الايبو يشكلون قومية متميزة داخل المجتمع النيجيرى . او على الاقل جماعة لها مؤسساتها وعلاقاتها المتميزة ، يمكن — فى ظل حكم تقدمى — ان تستكمل عناصر مقوماتها القومية**. وفى رأيى ان موقفنا من مشكلة انفصال يجب ان يقوم على الاسس التالية :

أولا : فبقدر ما تناضل بورجوازية الاقليم الشرقى ضد الاضطهاد القومى ، فنحن معها نساندها ونؤيدها . وبقدر ما تعمل فى سبيل تعصبها القومى ، فتصل الى حد الانفصال ، فنحن ضدها . لانها تحول الانفصال الى مكاسب وامتيازات لها . فالنضال البورجوازى ضد الاضطهاد القومى له مضمونه الديمقراطى الذى نؤيده . ولكن الانفصال ، بما يعنيه من استئثار البورجوازية به نقف ضده .

ثانيا : ان امر انشاء **دولة** قومية مستقلة فى بيافرا قائمة بذاتها ، لا يزال بفعل سيطرة وقيادة البورجوازية ، امتياز لها دون غيرها . ونحن لا ندافع عن امتيازات هذه الطبقة ، ولكننا نؤيد نضال كل الطبقات المتقدمة اجتماعيا — **وفى نطاق دولة نيجيريا** — فى العمل على توحيد صفوف البورجوازية الوطنية والطبقة العاملة داخل حدود الدولة النيجيرية الموحدة .

ثالثا : ان الاستغلال لاحق بالعامل المأجور فى جميع الحالات. ولكى ينجح النضال ضد الاستغلال يجب ان يتحرر من كل نزعات التعصب القومى .

فأى تأييد يقوم على اساس نصرة امتيازات البورجوازية القومية وحدها ، لابد وان يثير حذر عمال القومية الاخرى ، وان يضعف من التضامن الطبقى بين عمال كل الدولة الاتحادية ، فيفتت صفوف الطبقة العاملة ، ويبث الانقسام فيها .
ان انفصال بيافرا الذى يجد تأييد القوى الرجعية والاستعمارية ، ليس الا محاولة لاجهاض الحركة القومية الديمقراطية البورجوازية فى صورة ممسوخة ومشوهة . وقضية رفض الانفصال هنا ، لا تعنى مجرد موقف عملى ينبذ فكرة تفتيت الدولة الواحدة ، وتبديد طاقاتها ، ولكنها لابد وان تستند الى موقف **مبدئى** يحبذ قيام « السلم القومى » ، و « المساواة فى الحقوق القومية » ، بهدف تهيئة افضل الظروف للنضال الاجتماعى . ولانه يؤمن تطور الطبقات الاجتماعية المتقدمة ، ويحقق اوسع الحلول الديمقراطية الممكنة .

ولكن تأييدنا للاتحاد ، ينبغى ان يقوم على الاسس التالية :

اولا : النضال ضد الانعزال الاقليمى الموروث عن القرون الوسطى . وبخاصة ما دامت ظروف وشروط تكوين دولة كبيرة مركزية — بنمو الرأسمالية — قائمة . اننا نرحب بقيام هذه الدولة لتتمكن القوى المتقدمة اجتماعيا من تنشيط نضالها ضد القوى المتخلفة على نطاق واسع .

ثانيا : ان نمو القوى المنتجة على نطاق واسع ، سوف يقضى على الحواجز القديمة القبلية والقومية . ويمكن الطبقة العاملة من توحيد صفوفها فى مواجهة صفوف القوى الاجتماعية القديمة .

ثالثا : ان الدولة المركزية الكبيرة ، خطوة تاريخية هائلة ومتقدمة ، لانها تنقل المجتمع من ظروف تشتت القرون الوسطى ، الى مجتمع التقدم الاجتماعى ، الذى لا يمكن ان يوجد الا عبر هذه الدولة .

رابعا : ان دفاعنا عن المركزية ، يجب ان يقترن دائما بالدفاع عن الديمقراطية التى لا تنفى وجود شكل ما من اشكال « **الحكم الذاتى** » للمناطق ذات الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتركيب الخاص . ولا ينبغى على اى حال الخلط بين المركزية وبين التعسف والبيروقراطية .
ولابد ان نضيف هنا ، ان الدعوة الى اقامة مساواة تامة بين القوميات ، هى دعوة القوى الاجتماعية الاكثر تقدما . ولهذا فان « السلام القومى » لن يتحقق فى ظل الرأسمالية ، كما لم يتحقق فى ظل الاقطاع من قبل . وفى ضوء ذلك يمكننا ان نفهم ماذا كان يعنيه نزيجوو ، حين كان يقول « ان مهمة الطبقة العاملة هى صيانة وحدة نيجيريا » .

برغم ان اتجاه الانفصال لدى حكام الاقليم الشرقى ، كان سائدا منذ انقلاب جوون فى يوليو ١٩٦٦ ، وبعد ان فشلت كل محاولات الاتفاق حول صياغة لتنظيم علاقات الاقاليم بالحكومة الاتحادية ، ووضعية وسلطات حكومة كل اقليم ، فى ظل الحكم الفيدرالى ، الا ان انفصال « بيافرا » لم يتم الا فى اوائل يونيو ١٩٦٧ ، حيث ادى الى اندلاع الحرب الاهلية على الفور .

ولسنا نبالغ فى تبسيط الامور ، اذا قلنا انه ليس فى مقدور احد ان يفصل تماما بين هذا الحدث [الانفصال] ، ثم الحرب الاهلية ، وبين **احداث الشرق الاوسط فى يونيو عام ١٩٦٧** ، حيث ادى العدوان الاسرائيلى الى اغلاق قناة السويس ، واصبح بترول المنطقة الذى يمد كثيرا من احتياجات الغرب ، مهددا بعدم الوصول . ومن هنا اصبح بترول الاقليم الشرقى ذا اهمية خاصة وحيوية للغرب .

وتحاول الدول الاستعمارية ان توهم الرأى العام العالمى بأنها تتخذ موقف الحياد من اطراف الحرب الاهلية . ولكن ذلك غير صحيح . فقد اتخذ **الاستعمار البريطانى** موقفا رسميا بتأييد الحكومة الاتحادية، عندما باتت مصالحها البترولية فى الاقليم الشرقى مهددة بالضياع . فقدمت لها الاسلحة والمعدات العسكرية اللازمة . يدفع بريطانيا فى ذلك « المراهنة » على قوات الحكومة الاتحادية ، باعتبارها الجانب الاقوى عسكريا ، والمحتمل فوزه فى « سباق » الحرب . ولكن بريطانيا ، تملأ الدنيا — عن طريق صحفها — صياحا واحتجاجا على « المذابح » التى تجرى فى « بيافرا » . وتدعو الجميع الى جمع التبرعات وتقديم المساعدات الغذائية والدوائية لسكان الاقليم الشرقى . وذلك فى محاولة لتخفيف حدة عداء حكام هذا الاقليم نحو امدادات بريطانيا العسكرية لحكومة جوون ، اذا تم التوصل الى تسوية .

اما **الولايات المتحدة** ، فتكشف الاحداث عن أنها كانت تؤيد الاتجاه الى الانفصال من قبل وقوعه بمدة طويلة ، عندما سقطت احدى الطائرات الامريكية فى الكاميرون — فى اوائل العام الماضى — وهى فى طريقها الى ميناء هاركورت فى شرق نيجيريا ، وتبين انها كانت تحمل كميات كبيرة من الاسلحة لحكومة اوجوكوو . وبافتضاح ذلك ، ونتيجة لتدخل بريطانيا لدى حليفتها ، لجأت امريكا لان تقف من وراء **اسرائيل** ، التى قامت وتقوم بتجنيد المرتزقة الاوربيين فى الجيش الانفصالى وتزودهم بالسلاح . ولكن معظم الصحف الامريكية لم يرقها هذا الموقف ، فراحت تنظم الحملات الصحفية الضخمة التى تطالب حكومة جونسون بالتدخل المباشر ، فضلا عن الدعوة الى ارسال المعونات الطبية والغذائية الى الاقليم الشرقى . وذلك كله فى اطار السياسة التى انتهجتها الاحتكارات الامريكية منذ استقلال نيجيريا ، بالعمل على بذل الجهود لطرد خصومها البريطانيين ولمواجهة دخول رءوس الاموال الفرنسية . وليس من قبيل الصدفة ان تكون نيجيريا هى الدولة الافريقية الوحيدة — من بين دول تسع — التى حصلت على ٨٦٪ من مجموع المساعدة الامريكية لسنة ١٩٦٧ . ويتضح من مقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز ، ان ٣٦ شركة امريكية تنشط فى نيجيريا ، وتعمل على وضع تخطيط وتنفيذ بعض مشروعات التنمية فيها ، كما تقوم بالبحث عن الثروات المعدنية فى نيجيريا .

أما **فرنسا** ، فقد سارعت — بعد تحديد موقف بريطانيا وامريكا — الى رفع « برقع الحياد » ، لتلقى بثقلها الى جانب الانفصاليين بالتحريض وبالعون المادى . وذهبت فرنسا فى موقفها هذا الى حد ان الجنرال **ديجول** راح يتحدث عن « حقوق الاقليم الشرقى فى الانفصال » ، وعن « اهمية الاعتراف به » .

ولكن **الدول الاشتراكية** — وبخاصة الاتحاد السوفيتى — اتخذت منذ بداية المشكلة موقفا ثابتا بالتأييد الكامل للحكومة الاتحادية رفضا لمنطق الانفصال ، وتأكيدا على ضرورة الحفاظ على وحدة نيجيريا . وأمد الاتحاد السوفيتى حكومة جوون بمعدات عسكرية — وخاصة الطائرات — التى طلبها جوون .

وفى **افريقيا** ، فاجأت اربع دول افريقية بمبادرة من حكومة نيريرى فى تانزانيا ، الرأى العام الافريقى ، بالاعتراف باستقلال بيافرا . وهذه الدول الاربع هى : **تانزانيا** ، **وجابون** ، **وزامبيا** ، **وساحل العاج** . واذا كنا نفهم موقف جابون وساحل العاج ، على انه امتداد — على نحو ما — لموقف فرنسا التى تتمتع بنفوذ كبير فى هاتين الدولتين اللتين كانتا من مستعمراتها السابقة ، فاننا نفهم ايضا موقف زامبيا فى ضوء علاقاتها مع بريطانيا ، بشأن مشكلة روديسيا التى تهدد زامبيا بشكل مباشر . ولكن موقف نيريرى يمكن النظر اليه فى استقلال تام عن مواقف هذه الدول الثلاث .

والواقع ان موقف تانزانيا ، غير مقنع بالمرة . فاذا فسرناه فى ضوء اقرار الحقوق القومية للايبو والاقليم الشرقى ، فان الاعتراف بالانفصال، سوف يعد سابقة خطيرة قد تجر على افريقيا — بل وتانزانيا نفسها — عواقب يصعب التنبؤ بمدى خطورتها مقدما . ان بلادا افريقية اخرى

كثيرة ؟ تعانى داخليـا من نفس مشاكل نيجيريا القومية . واقرار الانفصـال يعنى تشـجيع الحركات الانفصـالية المماثلة والكثيرة فى تلك الدول . بل ماذا يمكن ان يكون عليه موقف نيريرى اليوم اذا دعت بعض القوى فى زنزبار بالانفصال عن اتحادها مع **تنجانيقا** ، التى تمت عام ١٩٦٤ ، ومثل هذه الدعوة محتملة بالفعل ؟

ان تكريس انفصال بيافرا ، يفتح الباب بدون شك أمام اخطار حقيقية مماثلة فى أفريقيا كلها . وذلك بالتحديد ، مادفع منظمة الوحـدة الافريقية وكثير من الدول الافريقية ـ كالجمهورية العربيـة المتحدة والجـزائر ـ الى الامتناع عن الاعتراف ببيافرا .

وبعـد ...

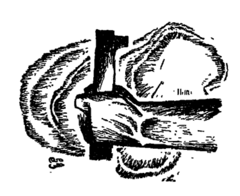
أننا مع حقوق الايبو القومية . ولكننا ضـد الانفصال .

اننا مع مطلب الحكومة الاتحـادية ، بضرورة المحافظة على وحدة اراضى نيجيريا ، ولكننا ضـد الاضطهـاد القومى والنظم الرجعيـة التى تشن مثل هذا الاضطهاد .

اننا نفهم مشكلة بيافرا فى ضوء فشل النظـام الاجتماعى القـائم فى نيجيريا ـ والذى ساهم الاستعمار فى تأسيسه ـ فى تحقيق « السلام القومى » والتقدم الاجتماعى .

ولكننا نقر أيضـا ، بأن المشكلتين معا ، هما وجهان لقضية واحدة : أزمة القوى الجديدة التقدمية فى نيجيريا ككل . فالمشكلة الان هى افتقاد نيجيريا الى نظام اجتماعى يوفر لهـا المناخ الاقتصـادى والسياسى والاجتماعى الملائم لتطورها نحو دولة موحدة متعددة القوميات باستكمال مقوماتها التى عرقلها الحكم الاستعمارى والاقطاعى .

واذا كانت قطاعات البورجوازية المتقدمة تستطيع أن تلعب دورا هاما فى طريق حل هذه المشكلة ، فالذى لا شك فيه ان الحل الحقيقى لها لن يتحقق الا فى ظل نظام اشتراكى مازالت قضيته غير قائمة لان تطرح الان فى نيجيريا حيث أن مهـام قواها التقدمية فى هذه المرحلة تتلخص فى النضـال من أجل حـكم ديمقراطى متقدم واقامة اقتصـاد وطنى مستقل وانتهاج سياسة معادية للاستعمار القديم والجديد ، والتضامن مع مواقع حركة التحرر الوطنى الافريقية والعالمية .



كوريا الديمقراطية

وتجربتها فى النضال التحررى العالمى



سمير كرم

توجد أوجه شبه رئيسية وعديدة بين الظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية للجمهورية العربية المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية ، ربما أكثر مما يوجد بين الجمهورية العربية المتحدة وأى من الدول النامية التى تسير فى طريق التنمية الاشتراكية خارج نطاق العالم العربى والافريقى .

ولهذا فان التجربة الاشتراكية فى كوريا الديمقراطية جديرة بالتأمل والدراسة والاهتمام ، خاصة وانها تشكل احدى التجارب الاشتراكية الناجحة — سواء على الصعيد الداخلى أو الخارجى — اذا قورنت بكثير من التجارب فى الدول النامية الاخرى .

وقد استطاعت كوريا الديمقراطية خلال سنوات البناء الاشتراكى أن تؤكد عمق تجربتها واصالتها وتماسكها برغم ما يشبه الحصار المضروب حولها من الامبريالية الامريكية ، وبرغم الضغط الشديد الذى تتعرض له بصفة مستمرة بحكم قربها من أخطر مناطق التوتر فى العالم ، حيث تدور حرب فيتنام التى تكاد تكون صورة متكررة للحرب العدوانية الامريكية ضد كوريا نفسها فى أوائل الخمسينات . واستطاعت كوريا الديمقراطية أيضا أن تمضى قدما بخطى واسعة وقوية فى البناء الاشتراكى برغم تجربتها السابقة الرهيبة مع الحرب العدوانية الامريكية ، وبرغم ما يشبه الحصار المضروب حولها أيضا بحكم موقعها الجغرافى النائى الذى يسهم — طبيعيا — فى فرض نوع من العزلة حولها .. وأن كانت قد نجحت فى اختراق هذا النطاق من العزلة بمقدرة وثقة فى حركتها على مسرح السياسة العالمية

تأييداً لقضايا الشعوب المناهضة للامبريالية ، وتأييداً لوحدة الدول الاشتراكية ، وتأييداً — على وجه العموم — لاقوى مبادئ العصر التي من أجلها تناضل كل القوى التقدمية والدول الاشتراكية .

كوريا الديمقراطية واسرائيل في عام واحد !

ولقد مرت كوريا الديمقراطية بتجربتي مواجهة مباشرة مع الاستعمار الامريكي في فترتين من اشد فترات شراسته وغطرسته . كانت المواجهة الاخيرة في حادث أسر سفينة التجسس الامريكية المسلحة « بويبلو » داخل المياه الاقليمية الكورية وكانت التجربة الاولى — كما هو معلوم للعالم كله — الحرب العدوانية الرهيبة التي شنتها الامبريالية الامريكية على جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية يوم ٢٥ يناير عام ١٩٥٠ . أي بعد اقل من عامين من اعلان قيام جمهورية كوريا الديمقراطية التي اعلنت على وجه التحديد في ٩ سبتمبر ١٩٤٨ .

ويشدنا هذا التاريخ الى مقارنة تؤكد ضرورة الاهتمام بتجربة العمل النضالي في كوريا في مجاليه الداخلي والخارجي .. اي في مجال البناء الاشتراكي ومجال مناهضة الامبريالية العالمية .

ففي عام ١٩٤٨ كان الاستعمار الامريكي قد خرج من الحرب العالمية الثانية عملاقاً جباراً منتصراً لم يتكبد ثمناً لهذا الانتصار كالذي تكبدته الشعوب الاخرى التي ناضلت بضراوة — على أرضها — من اجل الديمقراطية وحرية الشعوب . في ذلك العام قام الاستعمار الامريكي بالجهد الاكبر في اقامة قاعدة « اسرائيل » في الشرق الاوسط . ولكن العام نفسه شهد قيام قاعدة قوية ضد الاستعمار الامريكي نفسه ولكن في الشرق الاقصى ، وهي جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية .

وقد نتصور لاول وهلة ان الذي حكم هذه الظاهرة — اي قيام قاعدة عدوانية استعمارية لخدمة الامبريالية الامريكية الجديدة في الشرق الاوسط ، وقيام قاعدة مناهضة للامبريالية الامريكية في الشرق الاقصى — هو قانون التوازن بين الدولتين الاكبر في العالم بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، أو قانون التوازن بين النظامين اللذين أسفرت عن بقائهما مذبحة الحرب العالمية الثانية . ولكن الحقيقة التاريخية فيما يتعلق بهذين الحدثين تستمد من فهم قيام جمهورية كوريا الديمقراطية في الشرق الاقصى باعتباره نهاية مرحلة شاقة طويلة من النضال ضد الامبريالية اليابانية — ممثلة الاستعمار القديم — وبداية مرحلة شاقة أيضاً من النضال ضد الامبريالية الامريكية ممثلة الاستعمار الجديد . كذلك تستمد الحقيقة التاريخية فيما يتعلق بالطرف الاخر من القضية — وهو قيام اسرائيل كقاعدة عدوانية في الشرق الاوسط — من اهتمام الاستعمار الجديد بالدرجة الاولى بالسيطرة على هذه المنطقة لاهميتها الاستراتيجية والاقتصادية . وهذا لايمنع بطبيعة الحال من ادراك عامل متاخمة كوريا لاراضي الدولة السوفيتية الذي كان من العوامل التي أسهمت في تشكيل نتيجة نضال الشعب الكوري . وفي الوقت نفسه بعد منطقة الشرق الاوسط نسبياً — في ذلك الوقت — عن مجال اهتمام الاتحاد السوفيتي .

وهذه في اعتقادنا نقطة اولى في تشابه الظروف التاريخية والنضالية بين الشعب المصري والشعب الكوري ، وان كانت تنطوي على اختلاف في الشكل .

الوحدة .. والارض المحتلة

أما النقاط الاخرى للتشابه فبعضها يرجع أيضاً الى عام ١٩٤٨ ، وبعضها يرجع الى سنوات احدث من ذلك .

ذلك أن الشعب الكوري له « **قضية وحدة** » هي احدى قضاياه الاساسية في النضال ضد الامبريالية ، والاصح أن نقول أنها قضيته الاساسية الاولى . تماماً كما أن «قضية الوحدة» بالنسبة للشعب العربي قضية اساسية اولى في النضال ضد الامبريالية . ومعوقات الوحدة بالنسبة للشعب الكوري تتماثل اكثر مما تختلف عن معوقات الوحدة بالنسبة للشعب العربي .

فهناك قاعدة اجنبية تخدم الاستعمار من خلال ابقائها على تقسيم كوريا الى شمال وجنوب ، وقد تكون قاعدة « كوريا الجنوبية » من حيث الشكل تحمل صفة « القوة المحلية » على عكس قاعدة اسرائيل التي تحمل صفة « القوة الاجنبية » الدخيلة على الارض العربية ، ولكنهما تتشابهان في النهاية في الوضع العسكري وفي النتائج المترتبة عليه في كل منهما . ويوجد في كوريا الجنوبية هذا العنصر الذي قد نتصور غيابه اذا قارناها بقاعدة اسرائيل ، وهو عنصر الوجود العسكري الاجنبي . فان القوات الامريكية هي قوة احتلال اجنبية تشكل العقبة الاولى امام وصول نضال الشعب الكوري الى نتائجه الطبيعية ،

وهى وحدة كوريا بشقيها الشمالى والجنوبى فى ظل نظام اجتماعى واحد متقدم يحقق الاستقلال السياسى والاقتصادى الحقيقى لكوريا .

فهناك اذن وجه تشابه آخر بين الظروف العربية والكورية الراهنة ، وهو وجود « ارض محتلة » . ولعل هذا الوضع قد أصبح أكثر وضوحا اثر احداث يونيو ٦٧ فى الوطن العربى التى أسفرت عن وجود احتلال أجنبى مباشر على الارض العربية ، وأسفرت بالتالى من قضية تحرير من الدرجة الاولى تتطلب النضال المسلح كضرورة لا مناص منها ، مهما سبقتها من عمليات وجهود سياسية . وهذا هو نفس المفهوم الذى تنظر من خلاله كوريا الديمقراطية الى قضية تحرير الارض المحتلة فى الجنوب الكورى. ويمتد هذا التشابه فى الموقف الراهن فى الشرق الاوسط والموقف الراهن فى كوريا الى موقف كل من القوتين الاجنبيتين فيهما . وقد عبرت مجلة « **ايكونوميست** » البريطانية منذ وقت طويل [١٧ اكتوبر ١٩٥٣] عن حقيقة الاطماع الامبريالية ضد شعوب المنطقتين عندما قالت — اثر توقيع اتفاقية الهدنة الكورية — « **ان خط وقف اطلاق النار الذى قصد به أن يكون مجرد مرحلة مؤقتة .. قد يدوم الى ما لا نهاية مثل خط وقف اطلاق النار فى كشمير وفى فلسطين** » !

طريق التنمية الاشتراكية

نأتى بعد ذلك الى وجه تشابه أساسى — فى المجال الاقتصادى والاجتماعى بين ظروف الجمهورية العربية المتحدة وجمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية — وهو سير كلا المجتمعين فى طريق التنمية الاشتراكية . وهما يواجهان نفس النوع من الصعوبات ونفس النوع من الظروف التاريخية .

فقد خرجت كوريا — كما خرجت مصر — من نطاق السيطرة الاستعمارية فى ظروف اقتصادية من التخلف الشديد حيث السيطرة لنظام شبه اقطاعى وحيث الصناعة هزيلة ومتخلفة للغاية (١) .. وبدأت كوريا تجربة التنمية الاشتراكية ولا تزال تواصلها — فى ظل ظروف الخطر الخارجى الداهم المتمثل فى الاستعمار الامريكى وقواته وعملائه ، ليس فى النصف الجنوبى من كوريا فحسب ، بل وأيضا فى كل منطقة جنوب شرقى آسيا الذى يجوب بحاره الاسطول الامريكى السابع ، وحيث تمتد القواعد العسكرية الامريكية من اليابان القريبة للغاية من كوريا الى فورموزا وتايلاند والفيلبين وفيتنام الجنوبية .. الخ . وبالمثل فقد بدأت الجمهورية العربية المتحدة تجربة التنمية الاشتراكية — فى ظل ظروف الخطر الخارجى ومشكلة الوجود الاسرائيلى والتآمر المستمر ووجود القوة العسكرية العدوانية الامريكية فى المنطقة — القاعدة الاسرائيلية والاسطول السادس الامريكى والقواعد الامريكية فى المناطق المحيطة .

وفى هذا المجال ينبغى أن نقول موضوعيا أنه اذا كانت بداية طريق التنمية الاشتراكية فى الجمهورية العربية المتحدة فى عام ١٩٦١ قد قوبلت بضربة الانفصال .. فان بداية طريق التنمية الاشتراكية فى كوريا قد قوبلت بضربة أشد عنفا بما لا يمكن قياسه، اذ ووجهت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية بحرب عدوانية على أوسع نطاق استخدمت فيها الولايات المتحدة أقصى امكانياتها العسكرية التى استطاعت نقلها الى الشرق الاقصى ، واستخدمت فيها ايضا كل نفوذها السياسى فى العالم فى أوائل الخمسينات حتى ورطت الامم المتحدة فى وضع علمها على مقدمة قوات العدوان ضد النظام الاشتراكى فى كوريا وهو لا يزال على العتبات الاولى .

ومن هنا يمكن القول بأن التجربة الاشتراكية فى كوريا تعد أبرز مثل لنجاح التنمية الاشتراكية فى دولة صغيرة خرجت من مرحلة النضال ضد الاستعمار فى حالة من التخلف الشديد — الاقتصادى والاجتماعى والثقافى والتكنيكى — ودخلت على الفور فى خضم هائل من التحديات الجديدة .

والكوريون أنفسهم يدركون ادراكا عميقا أن الاشتراكية هى السبب الرئيسى لنجاحهم فى التنمية طوال الاعوال العشرين الماضية . وقد عبر الزعيم الكورى كيم ال سونج ، رئيس الوزراء والسكرتير الاول لحزب العمال الكورى ، عن هذه الحقيقة فى التقرير الذى أعلنه بمناسبة بدء احتفالات الذكرى العشرين لتأسيس جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية [يوم ٧ سبتمبر ١٩٦٨] حين قال « **ان انتصارنا برهان قوى على تفوق النظام الاشتراكى على النظام الرأسمالى** » .

---

(١) انظر مقالى الدكتور محمد الخفيف « مسيرة الشعب الكورى من الاحتلال الى الاشتراكية » الطليعة مارس ١٩٦٨ . و « مسيرة الشعب الكورى من المجتمع الزراعى المتخلف الى مجتمع الصناعة الثقيلة » الطليعة ابريل ١٩٦٨ .

ولاتستمد هذه الحقيقة اهميتهـا من مجـرد التصاعد الرقمي الهائل للانتاج الصناعي والزراعي في كوريا الديمقراطية فحسب ، ولا من ازديـاد المقدرة العسكرية — في الوقت نفسه — للجيش الشعبي الكوري في هذه الظروف الخطيرة التي تحيط بالبلاد فحسب ، ولا من انعكاسات هـذه الحقيقة على مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية لجماهير الشعب الكوري في « النصف الشمالي من الجمهورية » فحسب ، بل ان هذه الحقيقة تستمد اهميتهـا ايضا — وقبل كل هذا — من حجم وخطورة التحديات التي واجهت الشـعب الكوري طوال الاعوام العشرين الماضـية من تجربته الاشتراكية .

فهناك الميراث المثقل من التخلف الـذي تركه الاستعمار الياباني وراءه قبل ان يلقى هزيمته النهائية بعد خمسة عشر عاما من النضال المسلح الذي خاضه الشعب الكوري بقيـادة الرئيس كيم ال سونج ، والذي تولته وحدات الانصـار المعادين لليابان والتي تعرف باسـم « القوات المسلحة الثورية الماركسية اللينينية » ومن ناحية اخرى كان قيام جمهورية كوريا الديمقراطيـة الشعبية في الشرق الاقصى بمثابة اول بنـاء اشتراكي على ارض آسيا — غير السوفيتية — فقد سبقت حتى اعلان قيـام جمهورية الصين الشعبية . ولهـذا توبلت برد فعـل عنيف من الولايات المتحدة الامريكية التي تزعمت الامبريالية العالمية ابتداء من نهاية الحرب العالمية الثانية . ومن هنا كانت الحرب العدوانية التي شنتهـا الولايات المتحدة بضراوة ربما لم تبلغها حتى الان ضراوتها في فيتنام . وقد خرجت كوريا الديمقراطية من هذه الحرب العدوانية منتصرة في نضالهـا ضد التدخل الامريكي الذي كان يستهدف تصفيتها نهائيا فـ نجح فقط في أحداث دمار مادي هائل ، اكتسب الشعب الكوري في مقابله مقـدرة نضالية هائلة لاتزال تمده حتى الان بارادة عظيمة وتصميم على دحر العدوان في اي وقت يشـن عليه فيه من جديد .

ولهذا اصبح الشعار الاساسي للعمل في كـل مجالاته في كوريا هو ان يسير نحو هدف زيادة الانتاج في خط مواز لسيره نحو هدف دعم القوة المسلحة للجيش الشـعبي الـكوري . وينص البرنامج السياسي لحكومة جمهورية كوريـا الديمقراطية الشعبية على انه « في مجال البناء الدفاعي، فاننا ندعم قدراتنا الدفاعية حتى تصبح في وضع نستطيع فيه الدفاع بحزم عـن امن الوطن الام وعن المكاسب الاشتراكية بقوتنـا الذاتية حتى في ظل الموقف المعقد للوقت الراهن»

وينص ايضا على «**ان العامل الحاسم في الانتصار في الصراع ضد الرجعية الامبريالية هو القوى الداخلية للبلد المعني . ورغم ان التأييد الخارجي هام في الحرب ضد المعتدين الاجانب الا انـه لايلعب — بالنسبة لجميع النوايا والاغراض — اكثر من دور ثانوي** . وعندما لا تكون القـوى الداخلية في اي بلد مستعدة فان نضالها الثوري لا يمكن ان يخـرج منتصرا مهما كانت ضـخامة التأييد الاجنبي » . . .

ويقول الكوريون لزائريهم بشـعور ملحوظ بالمرارة — ان ضرورات الاسـتعداد الدفاعي لمواجهة الخطط العدوانية الامريكية التي ينتظر ان تنفذ بين لحظة واخرى ضد جمهورية كوريـا الديمقراطية الشعبية قد ادت الى تأخير الانتهاء من تنفيذ مشروع السنوات السبع للتنمية عـاما كاملا . فبدلا من ان ينتهي العمل بها في عام ١٩٦٩ فانه سينتهي في عام ١٩٧٠ . ولكن الحقيقـة التي يلمسها الزائر لكوريا هي ان الشعب يقبل بحماس ثوري حقيقي نحو تحقيق اهداف بنـاء الاشتراكية في نفس الوقت الذي يستعد فيـه بشتى الطرق وفي كل المجالات لجولة جـديدة عنيفة قد تفرضها عليه الامبريالية الامريكية التي ناصبته العداء منذ قيام جمهوريته الديمقراطية . خاصة وان الاثار النفسية لهزيمة الامبرياليـة الامريكية على يد الشـعب الكوري في اوائل الخمسينات قد احيتها مرارة المهانة التي لحقت بامريكا في حادث اسر سفينة التجسس الامريكية المسلحة « بويبلو » التي افرج عن جميع افـراد طاقمها بعد ان ظلوا اسرى في يد الجيش الشعبي الكوري عشرة اشهر بعد ان وقع الامريكيون وثيقة اعتراف بجرمهم ، هذا ولاتزال جميع وثائق اعمالها الاجرامية في المياه الاقليمية الكورية تدمغ الاستعمار الامريكي كله امام الرأي العام العالمي .

هذا بطبيعة الحال فضلا عن رغبة العسكرية الامريكية في تغطية ورطتها وهزيمتها في فيتنام .

الثورة الايديولوجية

ولقد فرضت الحرب العدوانية الامريكية ضد كوريا الديمقراطية ، ان يبدأ الشعب تجربة البناء والاشتراكية على ارض الشمال الكوري من نقطة الصفر تقريبا . مما يجعل تجربته نموذجا هاما لدراسة الطريق والصعاب والتحديات والانجازات التي يمكن لبلد زراعي صغير ان يمر بها ويحققها بتطبيق التنمية الاشتراكية في كافـة المجـالات

الزراعية والصناعية والانشائية وفى مجال الطاقة [٢] .

والاهداف الواضحة للبناء الاشتراكى فى كوريا الديمقراطية تتجلى فى هذه الفقرة من تقرير الرئيس كيم ال السكرتير الاول لحزب العمل الكورى فى ٩ سبتمبر ١٩٦٨ :

« حتى نحقق الانتصار الكامل للاشتراكية يتعين دعم البناء الاشتراكى بقوة ، فى الوقت الذى تزال فيه جميع الفوارق الطبقية ،وترفع فيه الملكية التعاونية الى مستوى الملكية العامة . ان مهمتنا فى ميدان البناء الاقتصادى الاشتراكى هى المضى فى تصنيع البلاد وتحقيق الثورتين التكنيكية والثقافية حتى يمكن اقامة الاسس المادية والتكنيكية بقوة ، وحتى يسيطر كل الشعب العامل على الخبرة والمهارات التى تمكنه من معالجة الالات الحديثة بكفاية تامة» ...

وقد وضع حزب العمل الكورى فى برنامجه هدفا هاما يحدد موقفه الايديولوجى بين التجارب الاشتراكية المختلفة . وهو هدف المضى بقوة نحو تحويل كل الشعب العامل،بل كل المجتمع الى طبقة عاملة Working - Classizalion وذلك عن طريق اعطاء الاسبقية للثورة الايديولوجية . وتنفرد التجربة الاشتراكية فى كوريا بهذه السمة . ويضع كيم ال سونج الاساس النظرى لهذا الهدف حين يقول « **ان الصراع الطبقى خلال فترة الثورة الاشتراكية هو صراع بين ايديولوجية الطبقة العاملة والايديولوجية البورجوازية .. والصراع الطبقى خلال الثورة الاشتراكية هو فى الاساس صراع من اجل التصفية الكاملة للمستغلين كطبقة ، بينما الصراع الطبقى بعد اقالة النظام الاشتراكى لا يهدف الى تصفية الناس وانما هو فى الاساس صراع ايديولوجى لاعادة صهر افكارهم . والثورة الايديولوجية فى مجتمع اشتراكى ماهى مسألة داخلية خاصة بالشعب العامل ولا ينبغى تنفيذ الثورة الايديولوجية بالقوة كما هو الحال فى الصراع ضد العناصر المعادية ، وانما دائما عن طريق الاقتناع والتربية** » ....

ومن الواضح ان هذا الاساس النظرى لعملية تحويل المجتمع الى طبقة عاملة يختلف اختلافا بينا عما يسمى فى الاتحاد السوفيتى — مثلا — « **دولة كل الشعب** » ويختلف عن الاساس النظرى للثورة الثقافية فى الصين الشعبية وطابعها الذى لا يخلو من عنف. وينص برنامج الحكومة الكورية على ان حكومة الجمهورية سوف تلتزم مستقبلا ايضا التزاما مشددا بمبدأ تسوية المشكلات التى تواجهها الثورة وعملية البناء بطريقة مستقلة على اساس دراسة وتحليل وقائع كوريا واضعة فى اعتبارها القدرات الخلاقة التى لاتنفد لحزب العمال الكورى ...

أن حكومة الجمهورية — تحت قيادة الحزب — سوف تستخدم عقولها هى لكى تصوغ وتنفذ بنفسها سياسات الصناعة والزراعة والتعليم والادب والفن والادارة القضائية ... الخ طبقا لوقائعنا ...

ولعل شعار السياسة الاستقلالية — يرتفع — وينفذ فى كوريا الديمقراطية اكثر مما يرتفع — وينفذ — فى اى من البلاد الاشتراكية الصغيرة الاخرى . ولكنه مع ذلك مجرد تماما عن صفة الشوفينية . فان كوريا الديمقراطية نفسها ترفع شعارات النضال الطبقى لكل البلاد الاشتراكية ولكل القوى التقدمية ولكل البلاد المحبة للسلام ضد الامبريالية العالمية . وينقلنا هذا الى نوع آخر من التحديات التى تواجهها كوريا الديمقراطية الشعبية بنجاح فائق .

ظروف الثورة العالمية

ذلك ان كوريا فى ظل ظروفها الداخلية العسيرة والاخطار العديدة المحدقة بها بحكم موقعها الجغرافى واتجاهها السياسى المناهض للاستعمار كانت بطبيعة الحال من البلاد التى تأثرت بالظروف الراهنة التى تمر بالثورة العالمية نتيجة للنزاع الايديولوجى الحاد بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى ، وهما الدولتان الكبيرتان فى المعسكر الاشتراكى وتتاخمان حدود كوريا تماما. الاتحاد السوفيتى من الشمال والغرب والصين الشعبية من الجنوب والغرب ايضا .

وقد وضع هذا النزاع كوريا الديمقراطية فى موقف دقيق للغاية فى وقت كانت فيه قد انطلقت باقصى طاقتها فى عملية البناء الاشتراكى وبناء امكانياتها الدفاعية .

واذا كانت الظروف العسيرة للثورة العالمية قد اتت بعدد من السلبيات بالنسبة للدول الاشتراكية الصغيرة وبالنسبة لحركة التحرير فى العالم كله بوجه عام . فان هذا ينطبق على كوريا الديمقراطية بوجه خاص فى وقت هى فى حاجة ماسة الى الدعم الاقتصادى والسياسى والدفاعى . الا ان كوريا نجحت وسط كل هذا فى ان تحافظ على سياستها الاستقلالية ...

(٢) للحصول على معلومات وافية وارقام محددة فى هذا الصدد يرجع الى المقالين المذكورين آنفا للدكتور محمد الخفيف .

سياسة الاعتماد على النفس في البناء الاقتصادي والقوة الدفاعية الذاتية ، والخط الاشـــتراكي المبني على اساس دراسة وتحليل وقائع الظروف الكورية ، والسياسة الخـارجية المبنيـة على أسس نضالية تريد للثورة العالمية ان تسترد مبادرتها ولوحدة القوى الاشـــتراكية ان تعود لقوتهـا » .

و لايعنى هذا ان كوريا الديمقراطية قد اختطت لنفسها سياسة اساسها الموازنة ، او المواقف الوسط بين طرفى النزاع الايديولوجى الصينى السوفيتى . وانما الحقيقة الواقعة ان سياسة حزب العمل الكورى وحكومة كوريا الديمقراطية تقوم على اساس بذل اقصى الجهد الممكن للحيلولة دون اتساع هوة الشقاق فى المعسكر الاشتراكى وضرورة دعم وحدته ايمانا منها بان «وحدة تماسك المعسكر الاشتراكى يوفران ضمانا هاما لامكان الدفاع عن كل دولة اشـــتراكية ضد العـــدوان الامبريالى وضـــمان النصر النهائى للثـــورة الاشتراكية للمعسكر الاشتراكى ككل ، وايمانا ايضا بان « انتصار الحركة الثورية العالمية فى كسر القيود الراسمالية المرتبطة معا ارتباطا دوليا لايمكن ان يتحقق الا بالقوة الموحـدة للحـركة الشيوعية العالمية على اساس مبـدأ الدوليـة البروليتارية ، وهذا يمكن تحقيقه بحسم بتقوية وحدة مركز هذه الحركة ، وهو المعسكر الاشتراكى اول كل شىء » .

ويطالب كيم ال سونج جميع الشيوعيين بان يكونوا قادرين دائما على ان يميزوا بين **اخوة الطبقة واعداء الطبقة** وعليهم الا يحيدوا تحت اية ظروف عن الموقف الطبقى . وهو يقول بطريقة محددة واضحة « ان الشيوعيين لايمكن ان يظلوا غير مبالين بهذا الموقف الخطير الذى يؤثر على وجود المعسكر الاشتراكى ومصير الثورة العالمية . ينبغى وقف الانقسام وينبغى حماية الوحـدة وتقويتها » .

وتتمتع سياسة حزب العمل الكورى بزعامة كيم ال سونج باحترام كامل من كافة الاتجاهات . فهو فى وقت واحد يؤكد على مسئولية كل بلد اشتراكى وكل حزب شيوعى وعمالى عن الثورة داخل بلده ليس فحسب امام شعبه وانما ايضا امام شعوب العالم وعن الثورة العالمية . ويؤكد انه لا ينبغى ان يسمح لاحد ان يزعم لنفسه مركزا متميزا فى صفوف الحركة الشيوعية ، ولا يمكن ان تقوم علاقة تفوق ونقص بين البلاد الاشتراكية

ويحدد كيم ال ســونج معنى السياســة **الاستقلالية** لكوريا فى مواجهة هذه التحديات العديدة التى تفرضها الظروف الراهنة للثورة العالمية بقوله « ان الاستقلال الذى ينادى به لايتعارض بأى حال من الاحوال مع الدولية البروليتارية ، بل انه على النقيض من ذلك يهدف الى دعمها اكثر واكثر » . انه يؤكد ان الاستقلال الذى يعنيـه ليس من قبيل « الانانية الوطنية » .

ولقد كان موقف التأييد الذى وقفته كوريا الديمقراطية من الاجراءات التى اتخذتها دول حلف وارسو اخيرا بالنسبة للاخطار التى تعرضت لها الاشتراكية فى تشيكوسلوفاكيا تجسيدا لتمسك حزبها وقيادتها بمبدأ التضامن الطبقى والدولية البروليتارية . ولكن هذا الموقف يجسد ماهو اكثر من ذلك . انه يجسد احساس كوريا الديمقراطية الخاص بخطر « **العسكرية اليابانية** » التى تبنيها الامبريالية الامريكية وتدعمها فى الشرق الاقصى كصورة مماثلة لخطر « **العسكرية الالمانية** » التى تبنيها الامبريالية الامريكية وتدعمها ايضا فى اوروبا » .

وتنعكس معاناة كوريا الشديدة من المـوقف الدولى الراهن الناشىء عن النزاع الايديولوجى الصينى السوفيتى فيما اعلنه تقرير كيم ال سونج امام المؤتمر العـام لحزب العمال الكورى [٥ اكتوبر سنة ١٩٦٦] . « **ان المعسكر الاشتراكى والحركة الشيوعية العالمية يعانيان فى السنوات الاخيرة اختبارات عسيرة ، فقد وضعت المراجعة الحديثة** — Modern Revisionism **والجمـود العقائدى الحديث** Modern Dogmatism **عقبات خطيرة امام تطور الحركة الثورية العالميـة . وباستطاعتنا ان نقيم وحدة المعسكر الاشتراكى وتماسك الحركة الشيوعية العالميـة ... ان الانتهـازية اليمينية واليسارية تحرفان الجوهر الثورى للماركسية اللينينية الى اقصى الطرفين على السواء وتضران الثورة . وعلينا ان نناضل ضد الانتهازية اليمينية واليسارية فى جبهتين ..**

« ان من الخطأ ان يغلق المرء عينيه عن خطر الانتهازية اليسارية تحت زعم معارضة المراجعة الحديثـة . ومن الخطأ بالمثـل تجاهل خطـر المراجعـة الحديثـة لاسباب تتعلق بمحـاربة الانتهازية اليسارية . وما لم يقض على الانتهازية اليمينية واليسارية فسوف يستحيل قيادة الثورة والبناء فى الطريق الصحيح فى كل بلد ، ولن يكون من الممكن بالمثل التقدم بالحركة الثـورية العالمية بقوة .. ان المعسكر الاشتراكى يخفق فى التقدم الان كصف متراص وكقوة موحدة نظرا لخلافاته الداخلية .. وهذا يحدث اثرا سلبيا على تطور الحركة الثورية العالميـة وعلى المـوقف الدولى » .

ويؤمن حزب العمال الكورى بضرورة تسوية الخلافات بين الدول الاشتراكية بواسطة الصراع الايديولوجى الذى تهديه الرغبة فى الوحدة .. « واذا ما وقعت احدى القيادات فى حزب شقيق فى خطأ ما فان على الشيوعيين ان يتقدموا بالنقد الرفاقى وان يساعدوها الى العودة الى الدرب السليم » ...

قضية الوحدة

واذا كان للظروف الراهنة للثورة العالمية تأثير خاص بالنسبة لقضايا الشعب الكورى فان هذا التأثير يتضح اكثر ما يتضح بالنسبة لقضية الوحدة .. قضية اعادة توحيد شطري كوريا سلميا ...

فقد مرت هذه القضية بمراحل ثلاث يمكن ان تقاس بمعيار تقدم الثورة العالمية وقوتها ايجابا وسلبا ...

فقد اراد الشعب الكورى اثر انتصاره فى الشمال انتصارا حاسما على الاستعمار اليابانى واجباره على التسليم والانسحاب ان يشرع — فورا ورغم الظروف الداخلية العسيرة فى داخل الشمال الكورى نفسه — فى تحقيق وحده وطنه بتحرير الجنوب من السيطرة الاجنبية ، خاصة بعد ان « انجزت انجازا كاملا الاستعدادات التنظيمية والايديولوجية لتأسيس حزب ماركسى لينينى .. والتجارب الكفاحية واساليب العمل الثورى .. وتهيأ عدد كبير من العمال والفلاحين والشبان والطلاب ليصبحوا شيوعيين مجربين .. »

ففى نهاية مرحلة النضال المسلح ضد اليابان وعن طريق تذليل كافة العقبات والعراقيل استطاع الشعب الكورى ان يؤسس حزبه الطليعى وان يقيم فى فترة وجيزة السلطة الشعبية وان ينجز بنجاح الاصلاحات الديمقراطية وان يؤسس القوات المسلحة الثورية للشعب الكورى وكانت هذه المنجزات السياسية والعسكرية كافية فى بداية الخمسينات ليواصل الشعب الكورى مهمة تحرير الجزء الجنوبى من بلاده .. خاصة وان ظروفا موضوعية هامة اخرى القت على عاتق الشمال المتحرر هذه المسئولية . فان الامكانيات الصناعية والثروات الطبيعية وخاصة الطاقة والبترول والتجارة تتركز فى الجزء الشمالى من شبه الجزيرة الكورية . كما ان هناك ادراكا واضحا بان كوريا الموحدة يمكن ان تكون دولة متمتعة بالاكتفاء الذاتى والثراء وخاصة فى مجالى الثروات المعدنية ومصادر الطاقة الكهربائية ...

ولكن الامبريالية الامريكية لم تكن مستعدة على الاطلاق ، اثر انتصار الثورة الاشتراكية فى الصين والاندحار المستمر لقوات شانج كاى تشيك وانحصارها فى فورموزا ، واثر ضم منشوريا الى الصين ، لان تسلم بظهور « كوريا موحدة اشتراكية » ، فسارعت حكومة ترومان الامريكية الى دعم كاى تشيك فى فرموزا ودعم سينجمان رى بالمثل فى كوريا الجنوبية . ولم يكن من العسير بعد ذلك ان « يستدعى » سينجمان القوات الامريكية لتشن حربها العدوانية ضد الثورة الكورية والشعب الكورى . وعلى الرغم من ان هذه الحرب لم تحقق غرضها الرئيسى وهو تصفية الثورة الكورية وضرب نظامها الاشتراكى والقضاء عليه تماما ، الا انها عطلت مسيرة التحرر والتحول الاجتماعى عن السير من الشمال المتحرر الى الجنوب الذى حل فيه الاحتلال الامريكى مباشرة محل الاحتلال اليابانى ...

...

وقد حدث هذا فى وقت كانت فيه الثورة العالمية فى فترة مد حقيقى ، وكان الاستعمار القديم فيها يعانى حالة الانحسار بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية . ولكن كان على جمهورية كوريا الديمقراطية ان تواجه من البداية ، مرة اخرى ، تحديات عمليات البناء الاشتراكى وتصنيع البلاد ، وتوطيد النظام الاجتماعى الجديد ، بعد الدمار الشامل الذى حاق بمدنها وقراها حتى تحول معظمها الى رماد .

وفى مرحلة ثانية من قضية وحدة كوريا بذلت جمهورية كوريا الديمقراطية جهدها على السبل الدبلوماسية الممكنة للتمهيد لتحقيق اعادة توحيد كوريا سلميا دون تدخل اجنبى .. وكان ذلك فى الوقت الذى ركزت فيه كوريا الديمقراطية جهودها على البناء الداخلى . وفى هذه المرحلة عرضت جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية عدة مقدمات بناءة . وبعدد الرئيس كيم السونج على خطاب يونج جونج كيم رئيس معهد شئون كوريا بواشنطن [فى ٨ يناير ١٩٦٥] وثيقة هامة تتضمن بيانا تفصيليا بمقترحات كوريا الديمقراطية فى هذا الصدد . ويمكن تلخيص المبادىء العامة والمقترحات المحددة التى تضمنها هذا الخطاب فى النقاط التالية :

- ان العقبة الرئيسية فى وجه توحيد كوريا هى احتلال المستعمر الامريكى لجنوب كوريا عسكريا ، وتدخله فى الشئون الداخلية لكوريا واتباعه سياسة تقسيم الامة وسياسة التوتر ضد كوريا كلها .

● انه يجب ان يسبق حل قضية الوحدة انسحاب جميع الفرق الاجنبية من كوريا الجنوبية «ففي كوريا الشمالية لا توجد فرق اجنبية ايا كانت».

● ان مشكلة اعادة توحيد كوريا يجب ان تحل عن طريق تشكيل حكومة مركزية موحدة تضم ممثلين عن الشعب من جميع الطبقات عن طريق انتخابات عامة حرة وديمقراطية فى الشمال والجنوب متحررة من اى تدخل من قوى خارجية .

● اقترحت كوريا الديمقراطية منذ وقت طويل قيام تحالف بين الشمال والجنوب عن طريق اقامة مجلس قومى اعلى من عدد متساو من الممثلين تعينهم الحكومتان لتسوية التنمية الاقتصادية والثقافية فى كل من كوريا الشمالية والجنوبية فى الوقت الذى تبقى فيه الانظمة السياسية فيهما والمحافظة على النشاط المستقل لكل من الحكومتين ».

● ان كوريا الديمقراطية مستعدة لالغاء اى معاهدة حربية معقودة بينها وبين اى بلد اجنبى بشرط ان تنسحب القوات الامريكية من كوريا الجنوبية ، وان تلغى سلطات كوريا الجنوبية اية معاهدات أو اتفاقات حربية تكون قد وقعتها مع البلاد الاجنبية ».

كانت هذه المقترحات تمثل المرحلة الثانية فى العمل من اجل قضية الوحدة الكورية ... وقد جاءت هذه المرحلة فى وقت انشغال كوريا الديمقراطية — كما قلنا — بالبناء الداخلى لاقتصادها ونظامها الاجتماعى اكثر من اى شىء اخر بعد كارثة الدمار التى اسفرت عنها الحرب العدوانية الامريكية . وجاءت هذه المرحلة ايضا فى ظل ظروف الانتكاسة العامة للثورة العالمية ضد الامبريالية بعد اشتداد حدة النزاع بين الصين الشعبية والاتحاد السوفيتى ،وبداية امتداد سياسة القوة الامبريالية الامريكية بكل شراسة — مرة اخرى — الى جنوب شرق آسيا لتشن حربا عدوانية جديدة ضد فيتنام .

اما المرحلة الثالثة الحالية من نضال جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية من اجل قضية الوحدة فان بدايتها الفعلية هي تأسيس الجبهة الوطنية لتحرير كوريا الجنوبية التى تقود « النضال الثورى لشعب كوريا الجنوبية وهو النضال الذى يتسع وينمو الآن فى اشكال مختلفة من الصراع الايجابى المناهض للولايات المتحدة من اجل الخلاص الوطنى «ربما فى ذلك شكل الصراع المسلح» . ثم ما اعلن اخيرا من تكوين الحزب الثورى المتحد فى كوريا الجنوبية ».

فى هذه المرحلة فان قضية الوحدة تجد منطلقها من تحرير كوريا الجنوبية من القوات الاجنبية ومن الحكم الخاضع لها والذى يخدم اغراضها . ويزداد النضال تنظيما بالتدريج، وتتعمق جذوره الان بين صفوف العمال والفلاحين وبين القطاعات المختلفة من جماهير كوريا الجنوبية بكل مصافها . وتتميز هذه المرحلة بان « ثورة كوريا الجنوبية » على حد تعبير الرئيس كيم سونج — فى تقريره فى ٧ سبتمبر ١٩٦٨ « تنفذ فى ظل ظروف عسيرة جدا ولا يزال امامها طريق شاق لانها تواجه عدوا قويا مسلحا حتى اسنانه » .. ولكن شعب كوريا الجنوبية يعتمد فى ثورته ضد الاحتلال الاجنبى والحكم العميل ومن اجل وحدة بلاده على قاعدة ثورية قوية فى النصف الشمالى من البلاد ويتمتع بتأييد ايجابى من الشعب فى كوريا الديمقراطية . وقد اعلن كيم ال سونج فى آخر تقريره هذا « ان شعبنا باكمله فى النصف الشمالى من الجمهورية تحت قيادة حزبنا — سوف يبذل كل ما بوسعه لتقديم التأييد لشعب كوريا الجنوبية فى نضاله الثورى . اننا نقوم باستعدادات كاملة للتعبئة فى النضال الحاسم لتحقيق ثورة التحرر الوطنى وبلوغ قضية التوحيد الوطنى بالتضامن مع شعب كوريا الجنوبية حيثما اقتضت الضرورة » .

والاقتناع الكامل الان لدى كوريا الديمقراطية انه عندما تطرد الامبريالية الاميريكية وتتوج ثورة الشعب الديمقراطية بانتصار كوريا الجنوبية ويأخذ الشعب السلطة بين يديه فان قضية التوحيد الوطنى سوف تتحقق بفضل القوة الموحدة للقوى الاشتراكية فى النصف الشمالى مع القوى الديمقراطية فى النصف الجنوبى من كوريا .

ومن الواضح ان سياسة الحزب العمالى الكورى بزعامة كيم ال سونج تقوم الان على الايمان بان التحرر الوطنى لكوريا الجنوبية هو فى الاساس مهمة تاريخية على شعب كوريا الجنوبية نفسه اداؤها كمقدمة حتمية تسبق تحقيق الوحدة ».

أبطال المقاومة في المسرح المصري



غالى شكرى

تفرض الواقعة التاريخية نفسها فرضا على الكاتب المسرحى اذا تصدى لمعالجة قضية المقاومة الوطنية ، سواء عبرت عن نفسها فى بطولة فردية بعينها، او فى بطولة الشعب فى مجموعه . ولعل العلاقة بين التاريخ وفن المسرح من أوثق العلاقات واقدمها بين صفحات التاريخ وأشكال الادب المختلفة ، فالحدث التاريخى بطبيعته يقدم للكاتب نوعا من المادة الدرامية الخام يتناولها اثناء الصياغة الفنية بشىء من التعديل وفق منهجه فى التعبير ورؤيته فى التفكير .. وهو فى جميع الاحوال يضيف «**وجهة نظر**» الى الواقع التاريخى، مهما اقتصر عمله على «**اعادة الصياغة**» لاحداث التاريخ وبعثها من جديد ، او تجاوز هذه الخطوة الى اتخاذ هذه الاحداث هيكلا رمزيا يومىء به الى مشاهده حية ومعاصرة . واذا كان «**التاريخ**» مفيدا الى هذا الحد بالنسبة للكاتب المسرحى بشكل عام ، فان فائدته تتضاعف حين تكون «**المقاومة**» هى المحور الدرامى للكاتب ، حينئذ يمده التاريخ الوطنى للشعب الذى ينتمى اليه ببطولات «**جاهزة**» **لا** حد لاغرائها وقدرتها على تجسيد الهدف الذى يرمى اليه الكاتب .

وربما كانت الفترة التى عالجها عادل الغضبان فى مسرحية **«أحمس الاول»** هى أقدم الثورات فى تاريخنا التى صيغت فى قالب درامى ، اذا استثنينا **«سقوط فرعون» لالفريد فرج** وهى لاتتخذ من «المقاومة» خامة فنية ، واذا استثنينا **«كفاح طيبة» لنجيب محفوظ** وقد صاغها فى قالب روائى ، واذا استثنينا مسرحية **« ايزيس » لتوفيق الحكيم** ، والمقاومة فيها ليست ضد الغزو الاجنبى ، وانما هى أقرب الى الصراع بين العدل والظلم أو بتعبير صاحبها ، بين الخير والشر . أحمس الاول اذن، من هذه الزاوية وحدها ، هى العمل الدرامى الوحيد الذى تناول مرحلة نضالية موغلة فى القدم فى كفاح الشعب المصرى، هى الثورة على الهكسوس عام ١٨٥٠ قبل الميلاد . وقد نشرت هذه المسرحية لاول مرة عام ١٩٣٤ ومثلتها فرقة فاطمة رشدى وعزيز عيد ابان الموسم المسرحى ١٩٣٦/٣٥ بالقاهرة . وعلى النقيض من مسرحيات شوقى الشعرية التى اتخذ فيها من آلام الوطن خامة فنية وركز من حيث يدرى أو لايدرى على لحظات الضعف فى تاريخنا ، نجد أن مؤلف «أحمس الاول» قد اختار عن عمد احدى لحظات **«القوة»** التى انتفضت بها مصر وطردت المحتل الغاصب فى أول ثورة تحريرية من ثوراتها . على أن المؤلف وقد اختار لحظة «القوة» هذه لم يشأ أن يجمد أحداث مسرحيته فى اطار من الشخصيات الايجابية المسطحة والمواقف اليسيرة المبتذلة ، بل هو قد أيقن والهدف يتراءى أمام عينيه ان يمجد بطولة الشعب المصرى ويحفز نضال المعاصرين ، انها مهمة شاقة غاية فى الصعوبة ان يباعد بينه وبين **« الهدف »** خطوات تخلق مسافة موضوعية يرى خلالها الفنان ماتستعصى عليه رؤيته عن قرب فليس **« النصر »** هدفا يسير المنال ، وليست «المقاومة» وسيلة هينة التحقيق ، وليست **«البطولة»** زادا يغتذى منه كل البشر . لهذا تبدأ أحداث الفصل الاول بكلمات منزوفيس ـ صاحب الخزانة ـ فى حواره الحزين مع الوزير فرباس: **«لافائدة من احياء ذكرى ماسلف ، فلنا الساعة التى نحن فيها .. حرب أتت على الزرع والضرع وليس لنا من احتدامها بريق أمل فى النصر . فهل أنتم مصرون على الذهاب فيها حتى النهاية » ..** أى أنه من هوة اليأس يبدأ الكاتب عمله، فالاضطراب الداخلى والخزانة الخاوية وتمرد أهل النوبة ، كل هذه تضافرت فى وقت واحد لتقطع الطريق على كل من يفكر فى انقاذ مصر من براثن الهكسوس . ولقد كان الفصل الاول من هذه المسرحية هو أوفى أجزائها بتجسيد المضمون الدرامى الذى استهدفه المؤلف فهو لم يتورط حقا فى شباك احدى فترات الانحلال التى حاقت بالتاريخ المصرى القديم، ولكنه حين وضع يديه على احدى مراحل النصر ، لم يستغرق فى النصر حتى تغيم عليه الرؤيا وتتحول المسرحية الى تحية ساذجة لذكريات غابرة . وانما كان همه الاول هو الاستغراق فى «المقاومة» التى ادت الى النصر .. من هنا يكاد الفصل الاول أن يكون أقرب الفصول الى تحقيق هذه الغاية ، فبارقة الامل الوحيدة التى تخللت مشاهده هى تلك السطور القليلة التى جاءت على لسان حابى ـ رئيس العيون ـ **« لو وقف صديقنا منزوفيس على ما وقفت عليه أنا نفسى من حماسة الشعب لايقن اننا نستطيع ان نعد من ذلك الشعب جيشا يفتح السماء .. كنت مارا أمس ببعض القرى والمزارع فرأيت الفلاحين والزراع من شيخ وصبى وفتاة يتحدثون عن الحرب وكلهم شعلة نار متأججة » ..**

فى هذه الاسطر وحدها تكمن بارقة الامل التى يحدد بها عادل الغضبان الاطار الاجتماعى للثورة ، فهى حقا ثورة مصر كلها لا انها ثورة على الاحتلال الاجنبى، ولكنها فى نفس الوقت ثورة مصر الكادحة التى تعنيها «أرض الوطن» أكثر مما تعنى لدى مصر الارستقراطية التى يتكالب قوادها على المناصب والشهوات ، فالوطن عند هؤلاء يجذب ولاءهم ولكن للتسلط عليه . اما فلاحو مصر وزراعها وفقراؤها فهم يقفون صفا واحدا ضد الغاصب، ليس طمعا فى سلطة أو نشدانا لغواية أو لذة ، وانما لكونهم ـ ببساطة ـ أصحاب هذه الارض الشرعيون . على أن الفصل الاول لاينتهى الا وقد مات الملك أثناء نزاله للعدو بالقرب من أسوار افاريس التى يحتمى الهكسوس فى قلعتها الحصينة، يفصلها عن مرمى السلاح ، الجبل والماء . هنا يبرز اسم احمس على سطح الاحزان ، فليست شقيقته نفرتارى ـ التى تستحق العرش ـ بالقائد والملك الذى يستطيع أن يحول الهزيمة الى نصر . حينئذ يضطرم المسار الدرامى للاحداث بمزيد من التوتر: فابن توش حاكم النوبة وصل الى طيبة وهدفه السعى فى الزواج من نفرتارى ، وهو يطمع من وراء هذا الزواج أن يستقل بعرش النوبة أولا حتى يتسنى له الطموح الى الفوز بعرش مصر كلها . وهناك ـ فيما يقول الوزير فرباس ـ **« نفر من الحكام ورجال القصر ممن اشتراهم العدو بالمال وفسح لهم فى المطامع والامال ينفثون سمومهم فى البلاد . ويذيعون فيها أنباء الهزائم التى منى بها جيشنا الباسل . ويثبطون عزيمة الشعب . ويحملون أخاك رحمة الالهة عليه تبعة هذه الحرب وماجرته على مصر من خراب ودمار » ..** وكذلك يعلن صاحب الخزانة منزوفيس ان الدولة أوشكت على الافلاس وان المجاعة تهدد البلاد من أدناها الى أقصاها . وليس من بد أمام الامير احمس الا ان يتزوج شقيقته نفرتارى فيامن المال والرجال ، اذ يستطيع أن يقترض للوطن من اموالها التى لاتحصى ولا تعد ، ويستطيع ان يؤدب حاكم النوبة الطموح وأن يعزل قواد قصره الداعين للاستسلام ايثارا لانفسهم على الوطن . ولكن هذا الاقتراح الجامع المانع الذى يهىء لاحمس ـ اذا توج ملكا ـ أن يقود الحملة المقدسة ضد الرعاة الغاصبين ، لايعرف طريقه الى التنفيذ بسهولة ويسر . ذلك أن أحمس قد وقع منذ بعيد فى هوى

«نزيتا» ابنة حابى الجميلة، وقد وعدها بالزواج.. فكيف يتأتى له أن يهجرها ويسلوها ، وكيف يتأتى له أن يزف الى شقيقته وهو لايحس نحوها بغير عاطفة الاخوة ، ولاتفهم نزيتا الامر على النحو الصحيح فتتهم أحمس بالغدر والخيانة ، والقلب بين اضلعه يعتصره الاسى .. يزف الى أخته ويتوج ملكا ويقود الجيش حول افاريس المحصنة ، تاركا نزيتا نهبا لمشاعر الحقد على الوزير فرباس، وقد ظنت انه هو الذى خطط مستقبلها الفاجع ، تاركا ايضا طاهو رئيس الحرس يداعب رأسه الامل فى ان يحظى بالفاتنة ابنة رئيس العيون ، ولكن احمس الذى أضناه صدى الصوت المعذب ، أصغى اخيرا الى هدير الشعب يهتف «عاش أحمس الاول» فلم يعد يولى الماضى انتباها ، بل تولى قيادة الجيش والحكم مسلحا بارادة الشعب فى الخلاص من الغاصب الاجنبى والفساد الداخلى، معا وبغير انفصال . ويسدل الستار على الفصل الاول وقد تزودنا بمجموعة معقدة من الصراعات التى تستلهم «روح» التراجيديا اليونانية ، ولكن فى قالب اقرب مايكون الى الرومانتيكية الرامزة الى هذا الصراع المر الذى عاشته مصر فى أواسط الثلاثينات . وهو الصراع الذى يتخذ من «قصة الحب» مرتكزا لسير الاحداث وتطورها حتى تبدو «التضحية» من جانب الملوك ذات معنى . والكاتب يبذل جهدا كبيرا فى استلهام الاحداث الواقعية المعاصرة له ، فالمناخ الذى يسود على مصر الواقع بعيد كل البعد عن المناخ السائد على مصر التاريخ ، ولكنه قريب كل القرب من مصر الدراما . وهذا ماأشير اليه بالجهد الذى بذله عادل الغضبان فى معادلة الواقع معادلة فنية قادرة على امتصاص الحاضر بالاتكاء على الماضى واستشراف المستقبل . وقد انقذته هذه المعادلة الموضوعية من **«الاستغراق فى النصر»** خاتمة المسرحية من ناحية ، ومن **«الاستغراق فى الهزيمة»** بدايتها من ناحية اخرى . لقد آثر فى الفصل الاول هذا البناء المركب من **« الاستغراق فى المقاومة »** حتى نلتقى فى الفصل الثانى بقيادة الجيش المصرى على مقربة من اسوار افاريس القاعدة الحربية للهكسوس ، وعلى مرمى النظر منها مضارب خيام لجيش احمس والجنود قد تلهت فى الغناء والطرب وثلاثة من القواد يتحاورون حول الموقف العسكرى وقد تسربت اليهم الانباء القائلة بأن طاهو رئيس الحرس هرب مع نزيتا ابنة رئيس العيون الذى مات هما .. ويخلو الملك احمس بقواده ليتعرف على مدى استعداد الجيش للقتال . ثم ينفرد بوزيره فرباس ليبثه شجونه خاصة بعدما نما اليه من خيانة طاهو ونزيتا . ويفاجأ الجميع بالجنود يدخلون على الملك وبين أيديهم امرأة ملثمة ابت أن تفصح عن شخصيتها الا بين يدى أحمس ، ولم تكن سوى نزيتا التى ووجهت بعاصفة من العداء الى درجة المطالبة برأسها . ولكنها فى هدوء واعتداد طلبت أن تخلو الى الملك ، فكشفت له سرها . لقد ذهبت مع طاهو حقا الى قلعة العدو، لاهربا من وطنها، وانما لتوغر صدور المصريين ضد أعدائهم ولتضع يديها على نقاط الضعف فى خطط العدو . وهاهى قد جاءت اليوم لتقول ان ملك الهكسوس وقادتهم سيحتفلون الليلة حتى الصباح فيقيمون الولائم الفاخرة ويشربون الخمر المعتق، وانها لتعلم بأن رئيس حرس البوابة الكبرى للقلعة صريع هواها ، فماذا لو راودته عن نفسها حتى يفتح البوابة ويدخل الجيش المصرى ساعة الحفل والسكر فيطبق على عدوه من كافة الجهات ويطهر البلاد من رجسه الى الابد . ولكن أحمس يرفض هذه الحيلة من نزيتا وأن صدقها القول وغفر لها واستودعها مع جنوده فى طريق عودتها الى أفاريس .. انه يتخذ اهبته للهجوم الليلة حقا، ولكن بغير الحيلة «النسائية» التى رفضها مرتين : رفضها لان البطولة فى مقاومة العدو لاتتأتى عن طريق المكر والخداع وانما بالمواجهة والشجاعة ، ورفضها لانه مايزال واقعا تحت سيطرة الهوى ، فلا يسمح لنزيتا حين تعود


عبد الرحمن الشرقاوى


د. لويس عوض

نقتبها للخطر المتأمرة » ولكن نزيتا حين تعود لاتتوانى عن التحذير لغواية رئيس الحرس ولاعن الصراع مع طاهو حتى وعدته بالزواج ان هو هجر العدو وقتل رئيس الحرس وانضم الى قوات مصر . وكانت هذه هى أحداث الفصل الثالث والاخير فقد انتشى رئيس الحرس بالتمنى الذى رسخته نزيتا فى أعماق فؤاده ، وتحول طاهو عن موقفه الى جانب الاعداء الى موقف ابناء وطنه ، ورقصت نزيتا فى حضرة ملك الهكسوس وكادت ان تزف الى الهاوية حين اكتشف سرها فى اللحظة الاخيرة فقد سمعها أحد القواد وهى تأمر طاهو «أقتله» فلما جاء الجند بنبأ مصرع رئيس الحرس أبلغ القائد مليكه بريبته فى هذه المرأة الجميلة . ولكن الوقت كان قد فات ودخل أحمس بجيشه وانضوى طاهو تحت لواء هذا الجيش فقاتل حتى قتل ، وكذلك الامر مع نزيتا فقد أدت مهمتها على خير وجه ولكنها لاتجد لنفسها مكانا فى قلب حبيبها فتقتل نفسها هى الاخرى وتموت شهيدة الهوى والوطن . ويكاد أحمس أن يترنح من هول ماحدث، ولكنه يتماسك على نفسه ويخاطب الجميع ((**أيها القواد والجنود، ان هذه الفتاة التى آثرت الموت على الحياة هى نزيتا ابنة حابى رحمتها الآلهة . انها لمثال يحتذى فى الوطنية والتضحية وانكار الذات . فخلدوا ذكراها وحيوا فيها ايزيس منقذة الوطن**)) .

والمسرحية على هذا النحو اقترب الى روح التراجيديا اليونانية منها الى روح الملحمة الشعبية العربية ، ولعل البطولة فيها معقودة لنزيتا لا لاحمس الاول كما شاء المؤلف أن يعنون مسرحيته .. فالحق أننا لانلمح اية بطولة فى شخصية أحمس منذ ان توج ملكا وتزوج من شقيقته ليدرا عن البلاد شر الفتنة .. ومايتواتر الينا من أخبار قضائه على مؤامرات حاكم النوبة ورجال القصر ينسج حوله بطولة «بالسماع» تبعد خطوات عن محور المسرحية وهو النضال ضد الهكسوس . هذا النضال الذى يتجسد حقا فى نزيتا ومأساتها التى بدأت خلال صراعها الداخلى مع النفس حين تخلى عنها احمس ليتمكن من تولى شئون الجيش والحكم ، ثم تطور خلال «هربها» مع طاهو حيث تعرضت سمعتها عند بنى وطنها الى درجة الاتهام بالخيانة ، وحيث تعرضت حياتها للخطر بين جدران قلعة العدو طمعا فى جمالها من ناحية وحذرا من كونها مصرية من ناحية أخرى . وبين هذين الاعتبارين القاسيين بذلت نزيتا من هدوء النفس والتجلد بالصبر وقدح الذهن ما أحالها الى مايشبه «الهيكل العظمى» .. فلم تنس لحظة واحدة انها بالرغم من كل ما أصابها لابد وأن تبحث لجيش بلادها عن ثغرة ينفذ منها ليقتحم على العدو حصنه الحصين . ولقد كانت شخصية «طاهو» من العناصر الدرامية التى أجاد الفنان رسمها لتكون بمثابة المرآة العاكسة لصراعات نزيتا مع نفسها ومع الوطن . ولولا أن الكاتب قد عمد الى «تركيب» شخصية نزيتا على هذا النحو المعقد حيث يتداخل الحب الاصغر مع الحب الاكبر، وتختلط صورة الرجل بصورة الوطن وتتشابك الافكار والعواطف ، لجاءت نزيتا نموذجا للبطولة التراجيدية. ولكن المؤلف قد آثر أن يجعل منها بطلا وطنيا ، تبدأ مقاومته — فى مقدمة المسرحية — مع النفس ، وتنتهى — عند الخاتمة — مع العدو الخارجى . ولولا الاسلوب الغنائى والصياغة اللغوية الكلاسيكية التى تباعد بين العمل الفنى ولغة المسرح ، لكانت هذه المسرحية فى مقدمة الاعمال التى يؤرخ بها النقاد للمسرح المصرى . على انها بالرغم من ذلك تشق لنفسها مكانا بارزا ورائدا فى طليعة المسرح الوطنى الذى يتخذ من المقاومة محورا دراميا ومن البطولة البشرية ينسج أزمة الصراع بين الحلم والواقع .

أبا نوفر : مصر والحرية

وتعد مسرحية ((**الراهب**)) للويس عوض هى العمل الدرامى التالى مباشرة لاحمس الاول من حيث اختياره لمرحلة زمنية تالية لاحداث طرد الهكسوس ، تلك هى مرحلة الثورة الاستقلالية التى نشبت فى الاسكندرية عام ٢٩٦م بزعامة الوالى الرومانى لوشيوس دومتيوس دومتيانوس الذى لقبه الاسكندريون بآخيل . وبالرغم من أن المسرحية تقول لنا ان المصريين — مسيحيين ووثنيين — هم الذين فجروا الثورة على روما ، وكان آخيل كغيره من الولاة الاخرين فى بقية أنحاء الامبراطورية ، على وعى نافذ بما آلت اليه روما من تفسخ وما أوشكت عليه من انهيار ، فاعتلى الموجة الثورية التى قادها المصريون بالفعل ، ولكنهم التقوا مع **آخيل** فى نقطة جوهرية هى أنه يملك ((**الوسائل**)) للحصول على السلطة ، ويتفق معهم فى هدف مرحلى هو الخلاص من ربقة الطاغية دقلديانوس . وتقدم المسرحية راهبا متمردا على الكنيسة الرسمية والبطريرك هو « **ابانوفر** » تقدمه بطلا تجسدت فيه احلام الشعب وتناقضاته ، بينه وبين نفسه، وبينه وبين السلطة الرومانية ، وبينه وبين السلطة الكنسية، وبينه وبين الرومان المتمردين على روما. ولقد عنى لويس عوض بابراز بطولة أبا نوفر التراجيدية اكثر من عنايته بما يربط أبا نوفر بهذا الشعب الذى يمثله والذى جعل منه ((**بطلا**)) أولا، قبل ان يصبح بطلا تراجيديا. اى أنه أولى اهتمامه ((**الازمة البطولة**)) لا ((**للبطولة**)) نفسها ، وتورط من ثم فى تناقض أصيل بين أن يكتب تراجيديا كلاسيكية طبق عليها مواصفات أرسطو تطبيقا صارما ،وبين أن يكتب مسرحية وطنية تسجل نضال مرحلة شبه مجهولة فى التاريخ المصرى .

اننا نتعرف على أبا نوفر تعرفا حقيقيا مع بداية

الفصل الثانى حين يزف اليه النبأ الفاجع : لعنة الكنيسة التى اعلنها البطريرك حين سمع أن راهبا من رعاياه يدعو العامة الى حمل السلاح ضد الرومان . حينئذ فزع أبانوفر صارخا ((**ماذا فعلت؟** الفداء .. الفداء .هذا دين المسيح ، أنا اقول كل **مصري يفدى مصر بدمه يدخل الملكوت**)). والراهب بهذا المعنى لايمثل الوجه الرسمى للكنيسة المسيحية فى مصر بالرغم من المسوح السوداء التى يرتديها، وبالرغم من أن هذه المسوح — وهذا هو التناقض الاول فى حياته — هى التى تصل بينه وبين جماهير المسيحيين من حيث الشكل ، بينما كانت دعوته الى الثورة والاستقلال هى همزة الوصل بينه وبين كافة المصريين على اختلاف اديانهم من حيث المضمون . لقد هبوا جميعا يهتفون ((**أبا نوفر والحرية .. مصر والحرية**)) . ولكن أبا نوفر الى جانب كونه راهبا ((**ضد الكنيسة**)) من أجل مصر ، فانه يكتوى بتناقض آخر هو كونه انسانا ((**يعشق الراقصة مارتا**)) التى تذكرنا من ناحية المظهر بتاييس غانية الاسكندرية التى عرفناها بين صفحات أناتول فرانس . وأن ((**يعشق**)) أبا نوفر، الراهب والثورى ، فان اللعنة هذه المرة لاتجيئه من الكنيسة ، وانما من نفسه أولا ومن مارتا زميلته فى الكفاح ثانيا ، ومن الرومان والمصريين المحيطين به اخيرا . ومهما صرخ ((**أنا خدمت الله .. خدمت الناس .. ولا أطلب الا حقى فى الحياة**)) فان صيحته تذهب أدراج الرياح مادامت اللعنة قد امست لعنتين . وكما أنه تقبل لعنة البطريرك واستمر فى النضال ، فانه تقبل أيضا لعنته لنفسه وجاءت مارتا فى الظلام ((**ثم انصرفت مع الصباح**)) واستقرت فى بنائه دعائم السقوط. وبينما نتوقع سقوطا ((**عظيما**)) لهذا البطل بمقتضى بنائه التراجيدى الكلاسيكى الذى يكاد يشابه فى ((**لعناته**)) القدر اليونانى القديم ، فاننا نفاجأ بالسقوط يتم لسبب أبعد مايكون عن جوهر التراجيديا ، هو أن أبا نوفر كان على صواب فى خطته العسكرية لحماية مصر من دقيانوس، وكان القادة الرومان على خطأ ، ولكن خطأهم كان أسرع من صوابه فسقطت الاسكندرية وانتحر أبا نوفر ! وتزايلنا المفاجأة حين نتذكر التناقض الاصيل فى بناء المسرحية بين الصياغة التراجيدية للبطل ، وبين الثورة الوطنية كمضمون للدراما . لقد كان لزاما على أبا نوفر أن ((**يسقط**)) كأى بطل تراجيدى بالمعنى الارسطى — الذى آثره المؤلف — ولكنه فى مسرحية الراهب لم يسقط بطلا ((**تراجيديا**)) وانما سقط ((**بطلا وطنيا**)) .. كان السياق الاصيل يحتم عليه أن يكون ((**هو**)) مصدر مأساته ، سواء كانت ((**هو**)) هذه قدرا أو اختيارا وانما المهم أن يكون انقسامه الداخلى هو العامل الرئيسى فى المأساة .. لا أن يرسم له الكاتب قرب النهاية «دورا» آخر: أن يموت فداء لمصر ، وتصبح آخر كلماته ((**اليوم كل مصرى أبا نوفر**)) .. وتنتهى المسرحية بمكتبة الاسكندرية وهى تحترق ، فيقول الضابط أبيب للمؤرخ مانيتون ((**لاتجزع على كتبك يامانيتون . كم احترقت قبل الان وكم ستحترق ! هكذا تسخر الالهة كل غاز يضرم فيها النار لتذكر الدنيا اننا عقل العالم وضميره ، ومادام فى مصر حى يفكر ، فليحرقوا وليحرقوا ، فلن نتعب من البناء**)) .

ومعنى هذا ان لويس عوض كان يرغب فى أن يكتب ((**مسرحية وطنية**)) ، ولكنه رغب فى نفس الوقت فى ان يكتب ((**تراجيديا كلاسيكية**)) فتناقض تكوين البطل مع تكوين الدراما، ولم تعد أزمة البطل ازمة ((**موضوعية**)) تجسد تناقضات حركة المقاومة المصرية آنذاك، وانما تحولت الى ازمة «شخصية» — ولا اقول ذاتية — عبرت عن صاحبها أكثر من تعبيرها عن المرحلة التاريخية التى اراد أن يعالجها المؤلف . ونحن لانكاد نجد للشعب المصرى فى المسرحية وجودا حقيقيا الا كأصداء خافتة من بعيد او كأشباح غيلان لاترحم اذا وليت السلطة فى محاكمة فتاة اتهمها أبا نوفر بالخيانة . ويبدو أن تعذر قيام بطل تراجيدى حسب المواصفات الارسطية، فى عصرنا الحديث، وايديولوجية الكاتب التى تتناول على ضوئها جماهير الشعب المصرى ((**كغوغاء**)) ، وتصوراته الرومانتيكية التى لايجيد الخلاص منها ، وفكرته الميتافيزيقية عن ((**مصر**)) كروح وحضارة .. يبدو ان هذه العناصر مجتمعة قد حالت بشكل واضح دون أن تكتمل لمسرحية ((**الراهب**)) مقومات البطولة الوطنية فى مسرح المقاومة ، فأضحت أقرب الى ان تكون مسرحية فكرية تتخذ من التاريخ اطارا فنيا لها . ولكن هذا لاينفى أنها فى هذه الحدود قد أضافت الى حصيلة الادب المسرحي فى بلادنا ، عملا يقوم بمهمة صعبة ومزدوجة ، هى أن يغطى بالفن مساحة زمنية شبه مجهولة فى تاريخنا ، وأن يقدم محاولة رائدة فى صياغة البطل التراجيدى المصرى .

سليمان الحلبى : العدالة أم الظلم ؟

وتعد الحروب الصليبية التى حاولت بها أوروبا غزو الشرق العربى تحت راية المسيح ، هى المرحلة الثانية ، فى كفاح شعبنا ضد الاجنبى المحتل ، التى تمثلها لفيف من كتابنا أو تنبه اليها، بمحض المصادفة حين أعلن المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب عن مسابقة فى كتابة مسرحية تسجل هزيمة الفرنسيين فى المنصورة . والحق اننى لم اجد فى مسرحية يعقوب الشارونى ((**أبطال بلدنا**)) عملا دراميا يرتفع الى مستوى الحدث التاريخى ، بل كانت أقرب ماتكون الى اللوحة الوثائقية بالرغم من حصولها على الجائزة الاولى . وكذلك جاءت مسرحية على احمد باكثير ((**دار بن لقمان**)) عملا يجانب الصواب فيما استهدفته تلك

الحروب فقد آثر أن يبرز الوجه الدينى للمعركة ، بينما كانت القضية فيما اظن معركة ضد الاستعمار بمعناه الاقتصادى والسياسى .

لذلك كان لابد لنا من أن نتجاوز عقبات تلك المرحلة التى يؤرخ لها بعام ١٢٥٠ م الى عتبات العصر الحديث الذى نؤرخ له بالحملة الفرنسية على مصر ، وتكاد ان تكون مسرحية الفريد فرج **((سليمان الحلبى))** هى العمل الفنى النموذج فى استلهام تلك الفترة الدامية من تاريخنا . ذلك انه قد تناول المرحلة التالية لثورة القاهرة الاولى حيث كانت الانقاض والخرائب والمقابر ماتزال ترسم الخطوط الرئيسية فى خريطة مصر وصورة عاصمتها على وجه الخصوص . ولقد تخلص مؤلف «سليمان الحلبى» من الكثير من شوائب الجبرتى التى تزيد الضباب ضبابا، ولا تبلغ بنا وجه اليقين. فلم يكن سليمان مجرد أحد **((القتلة السياسيين))** أو **((مجاهدا دينيا))** ضل سواء السبيل ، وانما كان سليمان منذ اللحظة الاولى التى طالعنا فيها وجهه **((بطلا ملحميا))** أزمته جماع ازمات الوطن الذى ينتمى اليه ، وبطولته هى بطولة الشعب الذى أنجبه من صلبه .. فهو لايعانى من أزمات **((الذات الملعونة))** مثل ابا نوفر، وانما هو رادار بشرى يعكس ازمة المجتمع الذى يعيش وسط تناقضاته انعكاسا موضوعيا . والمسرحية لا تنتهى بفاجعة على الرغم من المصير المحتوم الذى يواجه سليمان الحلبى منذ أن تقدم من الشام الى أن همس لاصدقائه بما اعتزمه من قتل كليبر الى ان اغمد خنجره فى مكان القلب من سارى عسكر الفرنسيس. ان هذه النهاية التى اجابت على سؤال سليمان **((الظلم أم العدل .. هذه هى المعضلة))** لم تكن قط نهاية تراجيدية، وانما هى الخاتمة التقليدية للملاحم، هى انتصار **((الخير المطلق))** على **((الشر المطلق))** مهما كانت التضحية **((بالفارس))** .. فليست المقطوعات التى ترتفع الى مستوى الشعر والنبوءة فى مناجيات سليمان الحلبى ، الا الديكور الطبيعى للفروسية . والمؤلف يصف لنا سليمان فى تقديمه للمسرحية بأن **((بطولته الحقيقية انما تكمن فى** تصديه لاختيار الافكار الخطرة وفى استعداده لاحتمال الاجابة أيا كانت حتى اذا كانت تنطوى على أن يذوق الدم .. أن يرفع الذراع ويغمد الخنجر فتنفجر الدماء وتتناثر بدفقها الرهيب على وجهه ويديه .. وبطولة سليمان تكمن ايضا فى تصديه ليخوض كل المحنة بعد ذلك فى التحقيق والمحاكمة والتعذيب وابشع الوان الموت .. وأن يكون عارفا بمصيره طول الوقت ، يخوضه بعيون مفتوحة وذهن حاضر ممتلىء بأفظع التوقعات .. وفى ان يقدم بفعل واحد ، وفى لحظة واحدة، اجابة شافية على اول **تحديات الاستعمار الاوروبى للشرق فى عصرنا الحديث))** . ولقد ضللت هذه الكلمات بعض نقادنا الذين تصدوا لتقييم المسرحية فلك انها أومأت لهم بأننا فى حضرة بطل تراجيدى قريب الشبه من هاملت ، ودعمت بعض المشاهد هذه الايماءة بتساؤلات سليمان الحلبى واعتلائه مكانا كالقلعة يناجى من فوقها الذات والمصير والاخرين . ولكن هذه كلها افادت بناء المسرحية دون أن تحوله عن مهمته **((الملحمية))** الاصيلة الى عالم التراجيديا .. ومن هنا باءت كافة التقييمات التى اعتمدت على قوانين ارسطو بالفشل ، لانها لم تتلمس جوهر البناء المسرحى : فالكورس اقرب الى بريخت منه الى الدراما اليونانية ، والحدث المسرحى هو الثورة المقهورة لا **((شخصية))** سليمان الحلبى ، والبطل لايتمتع بلعنات القدر والمجهول حتى اذا قال **((عرفت أقل مما يكفيني وجهلت اكثر مما أطيق))** فان صراعه الداخلى ليس صراعا **((داخليا))** وانما هو صراع خارجى بين قوى الخير وقوى الشر ، صراع وجد لنفسه مستقرا فى نفس شفافة ترى ((**نصف العدالة اذكى من الظلم**)).. وعلى الرغم من ان هذه المسرحية تعد ارهاصا قويا بمسرح ملحمى فى مصر يتأثر فى الكثير من زواياه بمسرح بريخت ، الا انه يختلف عن بريخت فى نقطة اعتقد أنها جوهرية هى فكرة **((البطولة))** .. فسليمان الحلبى من هذه الزاوية اكثر ملحمية من مسرح بريخت ، لان البطل المسرحى يكاد أن يكون مرادفا للبطل الشعبى فى الملاحم والاساطير، هو **((الفارس))** الذى أوتى القدرة على **((الفعل))** ولو كان فداء هذا الفعل هو الذات ، ولو كان الفداء ــ وهو كذلك دائما ــ من اجل الاخرين . والفريد فرج لايصطنع مسافة موضوعية بين الجمهور وخشبة المسرح بقصد كسر الايهام كما هو الحال عند بريخت، ولايسقط الحائط الرابع كما هو الحال عند بيرانديللو .. وانما هو ينسج الاحداث فى خيوط طولية اشبه بالسيناريو، وهذا مايدعم بناءه الملحمى القريب من تقسيمات الموال الشعبى والملاحم والقصص الشعرى، والبعيد عن البناء المسرحى التقليدى . وهذه كلها خصائص تميز ملحمية « سليمان الحلبى » عن اية ملحمية أخرى ، وتضفى على بطولتها قدرا كبيرا من الاصالة .

وتبدأ ازمة البطولة فى حياة سليمان الحلبى منذ ان يسطو على وعيه هذا الحادث العرضى الذى يجابهنا به الكاتب فى قصة **((حداية الاعرج))** الذى سلمه سليمان الى حراس الامن من الفرنسيين ليتقى المصريون شره ولتفوز ابنته بحياتها ، ولكن هذا «الحل» لايشفى بطلنا من حيرته وطموحه الى اليقين ، ذلك أن «حياة بنت فى مقابل القصاص من لص نصف العدالة .. هكذا تهدر العدالة ثمنا للعدالة، والشرع ثمنا للشرع، وكبرياء الناس ثمنا لحياتهم ، ومآذن الازهر الشريف ثمنا للجهاد فى سبيل الحق » .. و «النصف» دائما ــ حتى ولو كان نصف العدالة ــ يتمدد فى اتجاه السلب وينكمش فى طريق الايجاب ، نهذا ((**تسقط**)) ابنة حداية فى هاوية أعمق من هاوية ابيها ، لقد انتشلها سليمان

من ظلمة صغيرة لتتفتت بنفسها في ظلمة أكبر . ولهذا ايضا **((يرتفع))** حداية من مستوى البلطجي الصغير الى مستوى سادته من الفرنسيين في البلطجة الكبرى . وهكذا ينتهي **((نصف العدالة))** الى ظلم كامل ، ولابديل للظلم الكامل الا العدالة الكاملة . وهي قضية لاحكم فيها **((الابناء على برهان))** كما قال له الشيخ عبد القادر . ويتبلور في وعي سليمان الحلبي قبل أن يكون **((برهانا))** على عدالة يبحث عنها بين الانقاض ان **((الجوع هو الاب الشرعي لكل نذالة))** ولكن القضية لاتتكامل على هذا النحو من البساطة، فلو **((ان في عالمنا سنابل قمح اكثر مما فيه من كلمات ، وكلمات اكثر مما فيه من بنادق ، وبنادق أكثر مما فيه من لصوص ، ماجننت))** ولكن جنونه هو التوحد مع اليقين في مركب واحد لاتنفصم عناصره الاصلية فيخاطب القاهرة **((ان كان يتعين على بعضك أن يكون ثمنا لبعضك، فمن النذالة أن تشترى الحياة بالشرف ولاتشترى الشرف بالحياة ! الرحمة ! فاني مع ذلك غير متأكد أين اليقين ؟! ولعلى أنطق بلساني بينما ابليس هو الذى يتكلم في فمي !!))** . فليست المشكلة عند الفريد فرج أن يبعث الى الوجود **((قاتلا سياسيا))** اختلت قواه العقلية ، ولايستهدف بشكل قاطع أن يجعل من **((الاغتيال الفردى))** قانونا للثورات .. وانما هو يطرح سؤالا ملحميا يحتمل الهزيمة ولكنه يحتم النصر ، سؤالا لايخطر على بال سعيد مهران في **((اللص والكلاب))** ولا يقفز الى مخيلة تشن في **((الوضع الانساني))** لان مأساة هذا النموذج من البطولة في قصة نجيب محفوظ وقصة مالرو أنه لايصيب الهدف مرة واحدة وانه يموت أخيرا دون أن يحقق هذا الهدف . أما الفريد فرج فيطرح سؤاله الملحمي على سليمان الحلبي هكذا **((ولكن .. من ستغمره المياه ؟ القاتل أم المقتول؟ اتنكسر روح الجند مثلما تنكسر بيوت الناس ؟ أى كفة ستهبط بما حملت : العدالة أم ثمن العدالة؟))** أو بصياغة أخرى يستجيب لها صدر سليمان من أعماق القلب **((أيستوى عند الله من يقف عن الشر ومن يتصدى للشر ؟))** وتتخذ القضية صورتها النهائية حين تستوى الازمة عملاقا هائلا **((فقد يضرب المرء بعلم وهو يضرب بغير علم .. وقد يكف المرء بغير علم ، وهو يكف بعلم))** انها على النقيض من عذاب **((العبث))** الذى فعرفناه كالوحش وابتلع سعيد مهران وتشن ، ومن قبلهما سؤال هاملت التراجيدى الحاد **((ان اكون أولا اكون))** رائد هؤلاء الذين يضربون الفراغ بعنف فيسقط الابرياء بدلا من العم الخائن عند شكسبير والمناضل المرتد عند نجيب محفوظ وتشانج كاى تشيك عند مالرو . قضية سليمان الحلبي تقف على الطرف النقيض من السؤال التراجيدى لهؤلاء الابطال ، لانها تحمل في جوهرها سؤالا ملحميا يتطلب اجابة شافية وبرهانا قاطعا **((وسخرية هذا العصر ان القتل يلبس رداء الاعدام ، والاعدام يلبس رداء القتل ، وقد خرس بينهما الحق))** ومن ثم كانت **((الحياة نفسها هي هذه المفارقة : أن يلبس القاضي ثياب السفاح ، وان يلبث السفاح ثياب القاضي ، وان يكون كلاهما : سليمان الحلبي))** . هذا هو الحل الملحمي للقضية، فسليمان الحلبي **((يقتل))** الجنرال كليبر ، ويدفع الثمن ! وهذا هو العدل المطلق الذى ابتغاه حتى اذا ذهبت حياته فداء . والمصير المحتوم الذى انتهى اليه ليس نهاية **((تراجيدية))** كما تصور البعض ، لان الخاتمة الحقيقية للرواية هي مصرع كليبر لااعدام سليمان الحلبي . ومصرع كليبر هو **((انتصار مطلق للخير المطلق على الشر المطلق))** كما يصف مؤرخو الادب ملاحم القدماء . وموت سليمان الحلبي لذلك لايشبه في كثير أو قليل نهايات أبطال المآسي الذين ترتد سهامهم الى صدورهم بعد أن اخفقت في اصابة الهدف . ان سليمان الحلبي يموت ليحل هذه المعادلة الرائعة التي صاغت أزمة بطولته منذ البداية **((العدالة أم الظلم؟))** ولكي يستقيم الجواب لابد من أن يلبس القاضي ثياب



د. يوسف ادريس — الفريد فرج — سعد الدين وهبة

السفاح، وان يلبس السفاح ثياب القاضي، وان يكون كلاهما: سليمان الحلبي، قاتلا وقتيلا. ولان بطولة سليمان الحلبي بطولة ملحمية، تدرجت ((أزمتها)) في النهاية الى الانفراج التام، اما ((مأساة)) البطل التراجيدي فانها تستعصي على أية حلول من الخارج، وحلها الداخلي الوحيد مضمر في تلك البذرة المجهولة التي تنمو في السر وفي بطء، وتثمر ثمرتها الدامية علانية وعلى عجل. ولان بطولة سليمان الحلبي بطولة ملحمية فان أزمته جاءت تجسيدا موضوعيا أمينا لازمة الثورة المصرية حينذاك (١٨٠٠م) بغير ان يحتاج الفريد فرج أن يعزل البطل عن أرض البطولة أو أن يكتفي ببطولات مجردة أو جماعية كما هو الحـــال في مسرح بريخت حيث تقتصر الصياغة الملحمية على البناء المسرحي ودون أن يحتـــاج الامر الى ((بطل فرد)) يتفر منه الـــكاتب الالماني نفورا شديدا. ومن هنا كان ((البطل)) في المسرح الملحمي عند الفريد فرج من الخصــــائص المستقلة الاصيلة عند كاتبنا المصري.

جميلة : والبطولة الجاهزة

اذا كانت وحدة النضال العربي هي التي الهمت مؤلف سليمان الحلبي ان يختار بطله من أرض الشام، فانها أيضا هي التي أوحت الى **عبدالرحمن الشرقاوي** أن يكتب ((**مأســـاة جميلة**)) من أرض الجزائر، وكلاهما تعبير عن الـــكفاح المشترك لشـــعوب هـــذه المنطقـــة ضـــد الاستعمـــار الاوربي الحديث، في شكله الفرنسي. وقد أراد الشرقاوي ان يكتب تراجيديا شـــعرية، فصاغ لنا حقبة دامية من المراحل الاولى للثورة الجزائرية حيث كانت جحافل الاحتلال ماتزال في أوج قوتها، أو كما عبر أحد المجاهدين:

((الناس يواجههم في الشارع في الفلوات سؤال

فاجع :

ماذا نعمل ؟

سؤال يجثم مثل الهول على طيبة !))

وصاغ لنا الشاعر كذلك مجموعة من الشخصيات التي خاضت اهوال المعركة بنفسها، وواجهـــت مصيرها في شجاعة واقدام لتصنع من بعدها مصير الجزائر. وصاغ لنا المؤلف أيضا بعض المواقف التي تراوحت شدتها وضعفها بين شد وجذب، فلم تتوال الانتصارات أو الهزائم وانما تشابكت هذه وتلك في ضفيرة واحدة تلاقت فيها البسمات بالدموع. وأخيرا صاغ لنا الشرقاوي مسرحيته شعرا حديثا يعتمد في الاغلب على وحدة التفعيلة، وفي القليل على العمود الخليلي وقوافيه. ولكن هذه الصياغة في تكاملها لم ترتفع بالمسرحية الى مستوى ((**المأساة**)) الا بالمعنى الدارج الذي تتوج فيه الاحـــداث بفاجعة. ذلك ان عبـــد الرحمن الشرقاوي لم يوجه الى نفسه قبل ان يخط السطر الاول في الرواية بعض الاسئلة الهامة : ماهي الامكانيات الحقيقية لصياغة تراجيديا عصرية ؟ وماهي الامكانيات الحقيقية لاستيحاء مأساة من ثورة الجزائر ؟ وماهي الامكانيات الحقيقية التي تمنحها شخصية جميلة بوحيرد لصياغة بطـــولة تراجيـــدية ؟ الى غير ذلك من التســـاؤلات التي يطرحها العمل في تضاعيف بنائه الدرامي.

ونحن اذا تغاضينا عما يقول به بعض كبـــار النقاد من استحالة ظهور البطل التراجيدي في المسرح المعاصر، فاننا نقول ان الشروط الموضوعية لقيام المأساة ســـواء في مقـــوماتها التقليدية أو تطويراتها المختلفة، لاتتوفر باية صورة من الصور في مسرحية الشرقاوي. فاذا كان لويس عوض قد استمد مأساته من حدث تاريخي قديم انتهت فيه مصر الى نهاية تراجيدية حادة، واذا كان مؤلف الراهب قد صاغ بطله من شخصية لها تناقضاتها الذاتية المتجذرة في اعماقها، فان مؤلف ((**مأســـاة جميلة**)) قد اختار ـــ على النقيض من ذلك ـــ ارضا خصبة بالصراع الملحمي بين الحق والباطل، بين العدل والظلم، بين الخير والشر.. ولسنا نرى في أعماق «جميلة» أية تناقضات ذاتية تمزقها بين موقف وموقف، كما أننا لانرى في الثورة الجزائرية أية ((**نهاية فاجعة**)) تلصق بها صفة التراجيديا، أو بأبطالها خصائص البطولة التراجيدية. ولربما كان اختيار الكاتب لشخصية ((**واقعية**)) سببا مباشرا في ابتعادها خطوات عن العالم التراجيدي، خاصة وأن الكاتب لم يصنع بالشخصية شيئا شبيهـــا بما صنعه **نجيب محفوظ** في «اللص والكلاب» فقد أضاف من عنده الى الشخصية الواقعية مايبتعد بها كثيرا عن الاصل. أما الشرقاوي فآثر أن يضيف من خياله الى «سير الحوادث» الشيء الكثير، أما ((**المضمون**)) الذي سيقت من أجله جميلة الى الزنزانة الجهنمية فانه لم يتغير قط مابين الاصل الواقعي والعمل الفني. وقد يتلون ((**الحـــدث المعاصر**)) بلون قاتم ينعكس على ((**الشـــخصية الواقعية**)) بدرجة اكثر قتامة.. كهذا اللون الذي نصافحه في وجه جميلة وهي ماتزال فتاة صغيرة:

((جميلة : تتشابه الصـــفحات ياعمي كأيامي تمامـــا

مصطفى : ماذا عساك قرأت في صـــــفحاتك المتشابهـــات ؟

جميلة : قصص الشقاء

مصطفى : مازلت أصـــغر يا ابنتي من مثل هذا الحزن

جميلة . انا لست أصـــغر من كثيرات سمون على الحيـــاة

مصطفى : حقـا !
جميلة : فى مثل سنى يتساقط الالاف من شهدائنـا

وعلى الشفاه ، مع الدم المسفوك رن هتافهم **((تحيا الجزائر))** وجميلة شخصية **((نموذجية))** للانخراط فى سلك النضال ، فقد استشهد أبوها فى المعركة وقتلت امها ، ويكمل عمها الرسالة الى أن يلقى مصرعه أمام عينيها ، فهى اذن مرشحة **((بالضرورة))** لان تكون مناضلة جسورة ، ولكنها لاتبدأ نضالها الا فى منتصف المسرحية تماما ، وكأن الكاتب قد اراد ان يقنعنا بشخصيته فبذل مجهودا ليست المسرحية فنيا بحاجة اليه ، بل ربما قد أساءت الى البنية الدرامية أبلغ الاساءات .. ذلك أنه على الرغم من **((الشعر الحديث))** فقد تحولت اجزاء كبيرة من البناء المسرحي الى مقطوعات كاملة من **((الشعر الغنائي))** (*) وفى منتصف المسرحية تماما تبدأ جميلة حياتها الحقيقية اذ أسندت اليها القيادة دورا فى نسف ملهى يؤمه نفر من الضباط الفرنسيين الذين اشتركوا فى مذبحة القصبة الليلة السابقة . واذا كانت حيلتها فى الثوب العارى قد نجحت مرة ، فانها تسقط بين ايدي العدو فى المرة الثانية قرب المسجد وهى تمهد طريقا للهرب . حينئذ تقع جميلة فى قبضة الغرفة السوداء بقلعة برياروسة ، وتقف أمام المحكمة الفرنسية ـــ كجان دارك امام الانجليز ـــ منهارة الجسد قوية الروح .. وتنتهى جميلة كشخصية مسرحية ، بينما يستقر فى وجدان المتلقى ان الراى العام العالمي قد أنقذ البطلة الجزائرية ، ويستقر أيضا ماهو أكثر من ذلك روعة : انتصار الجزائر . هذه النهاية **((الواقعية))** لم تجد مرادفها الموضوعى فى المسرحية ، وهذا هو التناقض الاصيل فى **((مأساة جميلة))** أنها استوحت المقدمات من أرض الثورة واستغنت عن النتائج لمجرد أن تكون هناك **((مأساة))** .. ومن هنا يصبح اختيار **((جميلة))** بالذات اختيارا لايستهدف الفن ، وانما قد يفيد **((تسجيلا وثائقيا))** .. فالبطولة التى تتمتع بها جميلة مسرحيا لايثقل وزنها على أية بطولات أخرى تزدحم بها الدراما ، بل ان هناك بعض الشخصيات التى برر لها الكاتب دون أن يقصد أن تحتل عن جدارة مركز البطولة ولكنه أفسح هذا المكان عن قصد لجميلة .. والسبب فى ذلك بعيد كل البعد عن أن يكون هدفا فنيا يحتمه السياق الدرامى ، وانما يكمن هذا السبب فى أن جميلة شخصية معروفة فى العالم الواقعى ، وقد نالت سلفا قدرا كبيرا من الاعجاب والتعاطف . والا فبماذا نفسر أن تكون جميلة هى البطلة وليست **((هندا))** التى حملت بين جوانحها حبا عظيما لزميلها فى الكفاح ، ثم تهاوت بين آلات التعذيب وانهارت شخصيتها واعترفت على الجميع ثم أصيبت بالجنون لاتفيق من المخدر الملعون الذى يحقنها به طبيب مأجور فى السجن ؟ وكيف نفسر أن تكون جميلة هى البطلة وليس **((جاسر))** الذى تتردد أنفاسه طوال المسرحية ببطولات حقيقية يقود فيها الكفاح السرى لمنظمة جبهة التحرير ويظل متماسكا ـــ بالرغم من حبه لجميلة ـــ الى ان يقع فى أيدى العدو فيزداد تماسكا واصرارا ؟ وكيف نفسر ان تكون جميلة هى البطلة وليس **((جان))** الجندى الفرنسى الذى ضاع نصف حياته فى الهند الصينية وهاهو ذا النصف الاخر يضيع فى الجزائر ، وهو لايدرى هل سيعود الى بيته فى فرنسا أم سيموت برصاصة قادمة من مناضل يعرف من ثيابه انه عدو ، وهو ليس كذلك على الاطلاق .. انه يعطف بالكلمة والفعل على هؤلاء **((الضحايا))** فى نظره ، ومن ثم يتحتم عليه أن يموت برصاصة من رئيسه الفرنسي : الضابط بيير ، ويتحتم عليه ان يقتل هو أيضا «بيير» برصاصة أخيرة ؟ وكيف نفسر ان تكون جميلة هى البطلة وليست **((سيمون))** صاحبة الحان والملهى الليلى التى اتاحت لعزام أن يضرب ضربته دون أجر ، لمجرد ان زوجها قد قتل هو الاخر فى الهند الصينية وتحول فى الارشيف الى رقم لم يمنحها هى والاطفال سوى الجوع ، فكان اللهى ملجأها من الموت ، ومساعدة الثوار رصاصتها التى انتقمت بها من الذل والفقر والضياع الابدى ؟ هذه الشخصيات جميعها ترشحها ازماتها لان يكون أصحابها أبطالا عظاما فى المسرحية ، فهل قصد المؤلف ان يهدينا فى شخصية جميلة «بطولة الانسان العادي» لاأعتقد ، لان الاصل الواقعى للشخصية ينفى عنها ـــ للشهرة وذيوع الصيت ـــ صفة العادى والمألوف ويضفى عليها ثوبا جاهزا من قماش البطولة .. ولاأعتقد مرة أخرى ، لان أزمتها فى لحظة الحضور المسرحى ، تكاد تتلاشى الى جانب الشخصيات الاخرى التى تقفز المقارنة بينها وبينهم تلقائيا وبغير عمد .

عبد الله : ذابت المسامير

على غير هذا النحو عالج **سعد الدين وهبة** فى مسرحية **((المسامير))** احدى المراحل الهامة فى تاريخنا الحديث هى ثورة ١٩١٩ ، فقد حاول ان يزاوج بين الحدث التاريخى والحياة المعاصرة فى مركب واحد من الماضى والحاضر . أما التاريخ فيقول ان الحالة تفاقمت فى كفر الشيخ والقرى المجاورة لها فأوفدت السلطات البريطانية صبيحة ٢٦ مارس ١٩١٩ فصيلة من الجنود الانجليز عسكرت فى مبنى احدى المدارس وراحت تنهب البيوت والمحلات التجارية والحقول ، وتفرض على الناس اتاوة من نوع غريب هو الجلد . وفى موضع آخر يذكر عبد الرحمن الرافعى انه حدث فى بلدة نزلة الشوبك أن قبض الجنود البريطانيون على أربعة من الاهالي ودفنوهم فى

الارض حتى انصاف اجسادهم ــ بدعوى التحقيق معهم ــ ثم قتلوهم رميا بالرصاص . يتناول الكاتب هذه الواقعة فى اطار ممعن فى البساطة يكاد ان يقترب شكلا من السامر الريفي لولا انه يفتقد تلقائية السامر ، ذلك أن مؤلف المسامير كان صارما فى وعيه باختيار الشخصيات والاحداث والمواقف .. فمنذ أن قال زقزوق ((**المنادى كان عمال يقول فى البلد .. كله حايتجلد الا اللى عنده أرض ، والمستوظف فى الحكومة والمتعلم لحد الابتدائية**)) كان علينا ان نستقبل مجموعة متباينة من الشخصيات ، بعضها ينتمى الى فئة الملاك ، وعلى راسهم زيدان ، وبعضهم فلاحون صغار وأجراء من المزارعين وعلى راسهم عبد الله ، وبعضهم من المثقفين او «المتعلمين» بتعبير ادق كامام القرية الشيخ عبد الصمد والمدرس رمزى . ولايقتصر التباين بين الشخصيات على تكوينهم الطبقى ، وانما تتباين كذلك مواقفهم وفق تكوينهم النفسي والذهنى . ولايظل التباين طيلة العرض المسرحي راسخا لايتزحزح، بل ان ثمة ((**شيئا ما**)) يطرأ على مسار البعض فتتطور مواقفهم من النقيض الى النقيض .. وعلى ضوء هذا التنوع فى تكوين الشخصيات تتنوع مواقفها من الحدث الفرعى والحدث الاصلى على حد سواء . اما الحدث الفرعى ، وهو الجلد ، فقد تنوعت بشأنه المواقف ((**اللى حداه أرض نفد بجلده واللى متعلم قاعدبقتي مش حيطوله الضرب واللى مقاهش ارض ومعاه فلوس قاعد يدور على واحد باجره ينضرب بدله**)) كما قال الشيخ عبد الصمد. وأما بالنسبة للحدث الاصلى فقد حزم أولئك الذين لايملكون امرهم على ((**القتال**)) مادامت حياتهم قد اصبحت نهبا للمستعمر ليل نهار لايأتمن احدهم عمره أو عرضه او محصوله فى اية لحظة تبرز فيها أنياب المحتل . حزموا امرهم على لقاءات سرية تكفل لهم التأهب والاستعداد ورسم الخطط . وبين اولئك المعدمين اصحاب المصلحة انفسهم سوف نلتقى بضعاف النفس والذين يؤثرون الاستسلام . وبينما نجد امام القرية ينضم اليهم ، نجد أن المدرس يتهرب منهم، وناظر العزبة يتحرش بهم ، والمالك يقدمهم لقمة سائغة الى سادته من المحتلين . ولكن الاحداث تطور الشخصيات معها، فيتوجه رمزى الى مركز البوليس ((**ليحتج**)) على تحويل الجنود للمدارس الى اسطبلات لخيولهم . ويفاجأ هناك باهل قريته والدماء تنزف من جلودهم التى تهرأت تحت ضربات السياط فيقوده عسكرى الى الحجز وتتبخر من راسه تخيلات ((**الحضارة**)) التى يفخر بها للانجليز احتلالهم . وفى الحجز يلتقى ((**بمثقفين**)) من نوع مختلف : فهذا هو وكيل النيابة الذى افرج عن كل فلاح مظلوم ، وهذا مهندس الرى الذى رفض أن يقطع المياه عن الحوض الغربى حتى لاتموت أرض الكفر من العطش ، وهذا كاتب صحة المركز الذى اثبت فى شهادة الوفاة ان الفلاح قتل برصاص الانجليز ، وهكذا ((**مافيش دلوقت كبير .. فيه معاهم وفيه عليهم**)) . وتتوالى حوادث الهجوم المفاجىء على الانجليز ، ويبرز اسم ((**عبدالله**)) من بين جميع الاسماء كقائد لهذا الزحف السرى من الفلاحين ، ولكن تبرز زوجته ((**فاطمة**)) وعمها ((**سالم**)) كمناضلين حقيقيين يواجهون المعركة واتونها بقلوب صامدة جسورة . وفى احدى المرات يتمكن الانجليز من القبض على علوان ومنصور وسالم ، اثنان من الذين كانوا يؤثرون الاستسلام، والثالث هو «البطل» الذى يملا وجهه صفحات المسرحية كلها بأمل كبير فى الغد . هؤلاء الثلاثة هم الذين يحاكمهم الانجليز وقد دفنوا أنصاف اجسادهم فى الارض . وبقيت الانصاف العلوية تتلقى الرصاص وتنزف الدماء التى أضيفت الى دماء الاجيال فى محاولة جديدة لاذابة المسامير بحرارتها ، المسامير التى غرسها الاستعمار فى أرضنا ((**المسامير اللى فى الارض ساحت . سيحها الدم اللى نزل فوقها .. دم الغلابة اللى عايزين يعيشوا ويفوتوا غيرهم يعيش**)) . ولاتنتهى المسرحية بمشهد الاعدام ، وانما بمناجاة فاطمة مع الاحياء والاموات وطلقات الرصاص القادمة من المجهول ((**اضربوا كلكم .. الارض حرير مافيهاش مسامير .. والسما حمياكم مافيهاش غربان .. وايديكو حديد وقلوبكم حديد .. اضربوا .. الدنيا كلها بتتفرج عليكم .. شايفاكم وسمعاكم .. خلاص مافيش كرابيج .. مافيش مسامير .. بلدنا بتاعتنا .. بتاعتنا احنا لوحدنا**)) . وهى الكلمات ــ او طلقات الرصاص ــ التى يشارك بها سعد الدين وهبه فى حلبة الصراع الدائر حول معركتنا الاخيرة مع الاستعمار الامريكى والصهيونية ، انه يجيب على سؤالنا ((**ما العمل**)) بأنه لاطريق امامنا سوى القتال والحرب المسلحة . وهى اجابة ثورية حقا اعوزها البناء المسرحى القادر على تجسيدها، فالحاجة الى مشهد من ثورة ١٩١٩ تكاد تنتفى تماما، لان هذا المشهد لم يمد المؤلف الا بفكرة ((**الجلد**)) وهى فكرة لاتبلغ من الخصوبة حدا يملى ضرورتها. وتكاد هذه الحاجة تنتفى مرة أخرى لان المسرحية لا تمنح المتلقى قدرا ــ أى قدر ــ من مذاق ثورة ١٩١٩ ونكهتها التاريخية . واذن فالاعتماد على ركائز من هذه الثورة للايحاء بمشهد حى ومعاصر هو استناد على شىء غير قائم بالفعل من ناحية، ولا تربطه بلحظتنا الحاضرة اية وشائج من ناحية اخرى . المحور الدرامى فى مسرحية ((**المسامير**)) يدور حول مشكلتنا الراهنة بغير لف أو التواء، بغير حاجة الى رموز او كنايات ، ولم يستطع المشهد الذى استعاره من كتاب عبد الرحمن الرافعى أن يقدم تبريرا مسرحيا للنتيجة الثورية التى انتهى اليها .. فلا المعركة الجزئية فى كفر الشيخ ولا ثورة ١٩١٩ كلها انتهت الى هذه النتيجة الرائعة . ومن هنا كان يتحتم على المؤلف ان يواجه الواقع المعاصر مواجهة مباشرة دون اللجوء الى

مشجب تاريخي ليس في حدود امكانياته الواهية ان يتحمل عبء ثيابنا الثقيلة او مساميرنا الجديدة.

ومن ناحية اخرى فان بطولة عبد الله التي تمتدد على طول المسرحية هي بطولة «بالسماع» وبالقول، لا بالفعل، فالبطل ـ أيا كان ـ لابد وان توضع بطولته على المحك العملي حتى نقتنع به قائدا لهذا الصراع الدموي الجبار .. ونحن لم نتعرفه على عبد الله الا في مناقشاته مع الفلاحين او في غيابه عن الجلد او في الحديث عن ذراعه المكسورة . ولكننا تعرفنا على ابطال حقيقيين آخرين كفاطمة زوجته ،وسالم عمها ، هذان نموذجان واضحان للبطل في حالة فعل ، في لحظة حضور .. ولقد هيأ سعد الدين وهبه لمسرحيته منذ البداية ان تكون شيئا قريبا من المسرح الخالي من البطولة الفردية ، ولكنه انحاز ـ تولا ـ الى جانب زعامة عبد الله وقيادته كمرادف حرفي لصورة ذهنية غير متحققة فنيا في المسرحية ، بينما الاحداث ترشح شخصيات اخرى كفاطمة وسالم للتعبير عن أزمة البطولة وحيويتها.

ومما ينبغي تسجيله بالتقدير لمؤلف **((المسامير))** انه لم يفتعل مناخا تراجيديا لتربية البطل على نحو خاص ، فقد ترك الاحداث البسيطة تعبر عن أزمتها البسيطة في بطولات بسيطة، وان كان التوفيق قد جانبه في تركيز نقطة الضوء على شخصية معينة دون مبرر فني ، فان هذا لاينفي الاصالة الشعبية العميقة في اغوار «الازمة» التي واجهت البشر في هذا الحيز من المكان وذلك الاطار من الزمان، وهي الاصالة التي انعكست بدورها على النسيج الزاخر بالعفوية والدفء وكأنه صياغة **((فطرية))** لمسرح الانسان في بلادنا .

سعد : والبطولة السلبية

وقد حاول **يوسف ادريس** في مسرحية **((اللحظة الحرجة))** أن يجيب على أسئلة النقاد بشأن الامكانيات لكتابة تراجيديا عصرية ، فاختار لنا أحد شباب المقاومة في بورسعيد أثناء حرب السويس عام ١٩٥٦ . ولكي يثبت أن أرض الثورات ليست بالضرورة هي أرض الملاحم ، وانما قد يولد البطل التراجيدي من صلبها ، استبعد المشهد الرئيسي للحرب كمحور للصراع بين البطل والعالم الخارجي .. بل حاول أن يصوغ بطلا يعاني عذابا مقيما في داخله كالسعير الملتهب تزيد الحرب من ضراوته اشتعالا ، فهو يقف من والديه موقفا صارما ازاء تطوعه في معسكرات التدريب **((عدو عاقل أحسن منكم والله . والا حتى مجنون . دا انتم ايه ؟! انتم عبيد . أخلاق عبيد وفلسفة عبيد. حتى ربنا بتعبدوه عن خوف كل عيشتكم ليها محور واحد بس هو الجبن))** وتحتد الازمة بين سعد وأسرته قرب خاتمة الفصل الاول حين يقبل شقيقه محمد من الخارج ويعلن أن الحرب قد بدأت وتهلل سوسن الصغيرة لان هذا يعني في رأيها أن القيامة قامت . اما الام فقد أيقنت من صدق هواجسها بأن رياح الحرب وشيكة الهبوب ، والاب فاجأته الصدمة لانه لايصدق أن الانجليز يعودون وقد خرجوا من قبل ، ولو أممنا القناة . وكانت الحرب قبل أن يعلن محمد نشوبها بالفعل مجرد حلم يراود خيال سعد أشبه مايكون بالامنية التي يرتدي فيها البدلة الكاكي ويحمل البندقية. اما الآن وقد اصبحت واقعا مثقلا بالنار والدم والخراب والجثث ، فانها تختلف عند سعد اختلافا عميقا ، ذلك أنها ببساطة تعني له شيئا واحدا أن يرتدي البدلة ويحمل البندقية ويتوجه الى الميدان ، قد يموت منه أولا يعود، واذا عاد قد يكون كسيحا أو عاجزا أو أعمى ، وقد يعود سليما .. ولكنها في جميع الاحوال مشكلة تطلبت من زميله سامح أن يذكره بحماسه وهو يأكل الطعمية قائلا ((**أنا مش ممكن أخاف . أنا الاقوى . هو جاي يسرق بلدي وأنا بدافع عنها . هو غريب وأنا في أرضي. هو بيحارب بماهية ،وانا بحارب بايمان ، هو اللي هيخاف الاول))** . وهي أيضا المشكلة التي أحس بها شقيقه مسعد تلون وجهه بألوان غير مطمئنة وغير مريحة فقال له **((تعرف المشكلة ايه ياسعد ؟! انت مش خايف . كل الحكاية انك خايف لحسن ساعة الجد تخاف))**.

ويكاد أن يتحول الفصل الثاني الى **((جسم))** للازمة فيحسم والده هذه المشكلة بأن يحبسه في غرفة النوم بعد أن تظاهر بأنه سيودعه الى المحطة بنفسه ثم أغلق عليه الباب . ولاتجدي صيحات سعد وصراخه **((عايز أعرف أنا أستحق أكون راجل والا مااستحقش.. عايز أعمل حاجة .. عايز أمتحن نفسي . عايز أشوف ساعة الجد الواحد يبقى ازاي))** وكانت هذه الصرخة بالذات، بمثابة المؤشر الذي أمسك به المؤلف وغرسه في قلب الازمة التي يعانيها **((البطل))** . والحق أن سعد **((مثل))** دور المحبوس في الغرفة تمثيلا **((لاواعيا))** ان جاز التعبير، فهو يعلم دون شك بما قالت به أمه في حوار مع أبيه :

> ((**هنية : تحرسه من ايه ؟! انت فاكر انه محبوس ؟**
> **نصار : مش قافل عليه باوليه قدامك**
> **هنية : وايه فايدة القفل ؟! انت مش عارف ان الكالون بتاع الباب خسران وبيقفل على سنة يعني العيل الصغير اللي قد كده ، يعني سوسن دي تزقه كده يتفتح))**

في هذا الوقت بالذات كانت شقيقته ((**كوثر**)) التي اعتادت في حياتها اليومية أن تقف الى جانب النافذة ترقب **((الاحباب))** كما اعتادت أن تقتل فراغها في شجار لاينتهي مع زوجة أخيها **((فردوس))**، في هذا الوقت كانت كوثر تملأ صفائح المياه من الترعة وتقوم بتوصيلها الى اماكن المحاربين .وفي

هذا الوقت أيضا كان «المتعقد» الاخ الاكبر الـذى يمضى ايامه فى صراع لا يهدأ بين زوجته واسرته، ويمضى لياليه فى الورشة يكد ويعرق ، كان مسعد هذا قد حزم امره على شىء واحد على اثر انفعاله بكلمات أخيه عن مصر والحرية والاستعمار ،حزم أمره على أن يحمل السلاح فحمله ، وان يحارب فحارب وكاد أن يلقى مصرعه ولكنه عاد جريحا يسيل الدم من ذراعه اليمنى . والام لاتزال عند موقفها العاطفى الحانى على «الاولاد» ومستقبلهم، والاب لايزال يكابر فى عناد غريب قائلا ان الانجليز ليسوا مجانين حتى يضربوا من لايتعرض لهم . غير أن سحابة من الحزن والقلق تغشى عينيه لايدرى مصدرها : الانه حرم سعد من المشاركة فى الحرب ؟ ولاتسعفه المبررات العقلية التى حالت بينه وبين السماح لابنه بالانخراط فى سلك المقاومة. الى أن يصل الجنود الانجليز داخل بيته وهو يصلى وسعد محبوس فى غرفة النوم ومسعد هو الاخر فى غرفته بين زوجته وذراعه الجريح والباب مغلق عليهما . وتتحول لحظة وجود العسكرى الانجليزى فى الصالة الى لحظة الامتحان الاكبر فى حياة سعد، انه يرتدى البـدلة الكاكى وهى عنـد الجنـدى البريطانى كاللون الاحمر عند الثور، فلا يدرى الا وهو يخلعها ويخفيها . انه يعلم بوجود المسدس الذى يملكه ابوه فى الدولاب ،وهو سلاح ذو حدين قد يصيب به العدو ولكن العدو أيضا قد يقتله ،ولا يدرى الا وهو يسحب المسدس ويدسه فى الثياب ويخفى كل شىء وينبطح تحت السرير فى رعب هائل ! لقد حاول مرارا أن يخدع نفسه ، حـاول ذلك حين اصطنع الضجيج فى منتصف الليلـة التى كان قد اعتزم فيها السفر مع سامح فاستيقظ ابوه وانتهى الامر بحبسه فى الغرفة . وحاول مرة ثانية حين تناسى أن باب الغرفة سهل الفتح وانه يستطيع – ولو بطلقة نارية – أن يفتحه ويذهب الى الميدان . وحاول فى هذه المرة الاخيرة ولم ينجح ، لان الميدان انتقل اليه بكامله فى شـخص العسكرى الانجليزى . لقد تحول البيت امامه فجاة الى ميدان ، وهذه هى اللحظة التى تمناها طول العمر ، ولـكنه سقط فى الامتحـان ، وكان سقوطه عظيما . اطلق جورج رشاش مدفعه على الاب الاعزل وهو يصلى ، وحاول سعد ان يخدع نفسه للمرة الاخيرة «ايه ده ؟! دى رصاصة . فى المليان . مش معقول ؟! دى بره فى الشارع . اوعى تتحرك أحسن أبوك يضيع» ولكن الاب قد مات وذهبت محاولات خداع النفس عبثا . مات الاب بعد أن تحول فى ومضة عين من ذلك الرجل الحائر بين عقله وقلبه ، الى الرجل مفتوح العينين الذى يتبين ان حزنه الثقيل لم يكن فى انه منع سعد من الخروج الى المعركة ، وانما لان سعد كان «لسانا» فقط ، ولم يكسر الباب ويخرج عنوة !! وتتحول الام هى الاخرى الى نمرة تطلب الثأر لزوجها وبلدها . ولايجرؤ سعد على الانتحـار حين اختطف المسدس ليقتل نفسه وتركه أخوه متحديا أن يفعل . ويتجه الى مسعد ويعانقه ويخفى رأسه فى صدره ويقول بصوت مخنوق بالبكاء «اذا كان ماقدرتش أضرب الغريب، ح أقدر أضرب نفسى».

ولكن جورج يعود وقد اكلت قلبه سوسن الصغيرة وهى تغمس أصابعها فى دم أبيها ، فهو يرى فيها شيرلى ابنته التى تركها فى سوثهامبتون ، وهـو يصاب بما اصيب به زملاؤه من قبل الملازم توندر فى رواية شتاينبك ، والشاويش جان فى مسرحية الشرقاوى ، يصاب بالجنون القاتل : قتل توندر على يدى زوجة مناضل استشـهد ، فأحبها .وقتل جان على يدى الضابط بيير حتى لايسىء الى سمعة العسكرية الفرنسية ويفشى أسرارها ويعطف على ضحاياها ، وقتل جورج بالطلقة الاخيرة التى بقيت فى المسدس وقد أطلقها عليه رجل .. سقط فى الامتحان منذ لحظات ولكنه فى سقوطه سـكب اعماقه على الملأ ، كان الخوف يعشش فى قلبـه فانهار من عل وانهار «الخوف» معه فأمسـك بالمسدس واطلق رصاصته الاخيرة على جورج . ويهرول سعد مسرعا وسط الزغاريد الى الخارج حيث تخفت حدة الزغاريد وتعنف اصوات المدافع، وجثة الاب تتمدد فى الداخل جنبا الى جنب جثة الجندى الانجليزى الذى انتحر عقله قبل ان يتوقف قلبه بوقت طويل .

لقد تصور كثير من النقـاد أن يوسف ادريس قدم لهم «بطلا سلبيا» فى خضم المعركة فانهال عليه بعضهم بالرجم، والحق ان مؤلف «اللحظة الحرجة» أراد ان يقدم لنا بطلا تراجيديا معاصرا فتعثرت المحاولة فى غمرة «التحليل النفسى» الذى افاق البطل على اضوائه الشديدة فأوجـز فى كلمات مايتطلب من شكسبير العديد من الصفحات وهـو يخرج بهاملت من دائرة «الشك المعلق» الى حافة اليقين المطلق . ان تبدد «الخوف» من صدر سعد بصورة مفاجئة واقدامه على «الفعل» هو نوع من «التزيد» او التجاوز فقد انتهت التراجيديا بمصرع الاب واحجام الابن ، وليست الرصاصة الاخيرة الا امتدادا غير منطقى لتطور الاحداث . ولم يعد خروج سعد الى المعركة الا تحطيما لاطار التراجيديا ودخولا فى منطقة الدراما التقليدية : ازمة تتطـور الى أن تصل الى الذروة ، ثم تأخذ فى الانفراج من القمة التى تنحدر بالتدريج الى السفح .. **وهى شىء مختلف عن أزمة البطل التراجيدى التى تتجرثم فى تكوينه الاصيل منذ البداية ، فتنتهى – فيمايشبه الحتمية – نهاية فاجعة ، ومن ثم تتمدد طاقتها الانفعالية وحرارتها الى داخل ذواتنا فتحـدث الظاهرة التى يدعوها أرسطو بالتطهير .. اما ان يحلل الكاتب بطله تحليلا نفسيا يلفظ معه سعد كافة السموم التى مزقت أحشاءه ، فان هذا البطل يصاب بالشفاء المفاجىء ، ويتخلى عن بطولته المأساوية التى تدثرت بها دماؤنا على طول الدراما، ويتحول الى بطل تقليدى تطهر « هو » من أزمته**

و «استراح» وتحولت معه المسرحية الى انشودة وطنية وذكرى جميلة .

المسرح الوطنى بين التاريخ والفن

يتضح لنا من هذا التقييم للمسرح الوطني في مصر ، أن علاقته أوثق ماتكون بالتاريخ حين يخرج على المنقول الى المعقول، ثم حين يتطور من المتعقل الى المتخيل . . فلو أننا نصبنا محاكمة تاريخية لعادل الغضبان ولويس عوض والفريد فرج لخسر ثلاثتهم القضية ، لانهم فيما استلهموا من أحداث التاريخ وشخصياته ومواقفه ، لم يرتدوا قط قلنسوة المؤرخ بل تلفعوا بمسوح الفن . وهنا تثور المناقشة التقليدية حول علاقة الفن بالتاريخ فنقول ، ان الفنان قد يختار من المادة التاريخية اكثرها تجسيدا لرمز من الرموز ، وقد يختار من هذه المادة أكثرها احكاما في تخطيط الحدث الدرامي، وقد يختار من هذه المادة أكثرها قدرة على تفسير فكرة من الافكار وتقديم البرهان «التاريخي» على صحتها ، وقد يختار الفنان مرحلة تاريخية بعينها ليقوم هو بتفسيرها على ضوء نظرية من النظريات، وقد يختار الفنان مشهدا من التاريخ او موقفا يستهوى حاسة الخلق فيه لمجرد أن يبعث هذا المشهد أو ذاك الموقف أو تلك الشخصية بعثا مجسما جديدا . ولكن الفنان في هذه الاحوال جميعها لايقيده شيء من التاريخ ، ويقيده كل شيء من الفن . ليس هناك ادب «تاريخي» بالمعنى الدقيق للكلمة ، لان احداث الحاضر التى يتخذها الفنان المعاصر خامة لفنه ، هى جزء بدورها من المسار اللانهائى لمجرى التاريخ . فالتاريخ هو الحياة بعينها وقد ارتدت ثياب الماضى أو الحاضر أو المستقبل ، والفن اذن في ارتباط دائم وثيق بالتاريخ في حدود هذا المعنى . وهو مستقل تمام الاستقلال عن التاريخ اذا نظرنا اليه على انه شيء مستقل عن مجرى الحياة وجوهرها . لهذا كانت مسرحيات سعد وهبه والشرقاوي ويوسف ادريس، اعمالا « تاريخية » وان لم تتخذ لنفسها اسماء وشخصيات ومواقف من وثائق المؤرخين الاكاديمية. ولكنها كغيرها من الاعمال الملثمة بأقنعة المؤرخين — سواء بسواء — تستمد اصالتها من تعبيرها الحى المتجدد عن الحياة في تشابكها المعقد ، والواقع الانسانى المركب الذى يتجاوز التاريخ — بمعنى الماضى — خصوبة وغنى .

على ان المسرحية الوطنية في مصر لم تكن مجرد تسجيل وثائقى للماضى ، ولكنها حاولت ان تواكب الحركة الوطنية المصرية منذ الثلاثينات حتى الخمسينات . فلا شك ان مسرحية «أحمس الاول» كانت صدى مركزا لمرحلة التحلل التى رافقت جيل ثورة ١٩١٩ ، ومرحلة الامل التى رافقت الجيل الجديد بعد ابرام معاهدة التهادن عام ١٩٣٦ . ولذلك فهى مسرحية عمادها الاول هو « النبوءة » فضلا عن التسجيل والمواكبة التاريخيين ، انها مسرحية دافعة لحركة التاريخ اذا اسقطنا احداثها على مسرح الاحداث الواقعية التى يتوسطها الاحتلال البريطانى لمصر . فما الهكسوس والرابضون في افاريس وسط الدلتا الا الانجليز في عصرنا الحديث . بينما تميل « سليمان الحلبى » الى التاريخ للماضى مع قليل من الرمز الى الحاضر ، فلقد استرعى انتباه مؤلفها في المقام الاول « الحبكة الدراميه » في قصة سليمان الحلبى كما جاء بها الجبرتى ،وربما كان تفسير الكاتب المسرحى لهذه القصه التاريخية هو ما عناه في المقام الثانى ، اما ما تدل عليه من احداث عصرنا فتاتي في المقام الثالث.ولكنها تتوقف عند هذه الحدود لا تتجاوزها الى مرحلة النبوءه . وهكذا مسرحية « الراهب » التى ارادت ان تملأ بالفن ذلك الفراغ التاريخى في وجداننا . كما ارادت ان تزاوج بين احتيار مرحله تاريخيه بعينها وتفسير محدد لهذه المرحلة قد يمتد صداه الى عصرنا الحديث دون ان يتخطاه الى اعتاب « النبوءه » الفنية . أما المسرحيات « المعاصره » في واقعيتها ، اى هذه التى تستلهم مشاهد التاريخ القريب ، فانها تتراوح بين المسرحية التسجيلية « مأساه جميلة » التى يكاد مؤلفها ان ينحت تمثالا لبطلتها ، والمسرحية المواكبة لحاضرنا «اللحظة الحرجة» التى يكاد كاتبها ان يصوغ بها علامة استفهام امام هذا الحاضر ، والمسرحية التى تتنبأ « المسامير » بما ينبغى ان يكون عليه مستقبلنا القريب . ان هذه الاعمال جميعها تنتمى الى التيار الحديث في المسرح المصرى ، التيار الذى تأثر من احدى الزوايا بتوفيق الحكيم ، ولكنه تأثر اساسا بالتقاليد التى حاول ان يرسيها بنفسه مع بداية الخمسينات . ولا شك ان مسرح الحكيم يواكب واقعنا،سلبا وايجابا ،مواكبة فنية واعية برسالة الكاتب المسرحى ازاء جمهوره فهو ابعد ما يكون عن التسجيل او التنبؤ .. ولكن المسرح المصرى الحديث — والمسرح الوطنى جزء منه لا ينفصل — يستمد قدرته على التسجيل وطاقته على التنبؤ من ذلك التفاعل الخصب والمزدوج في آن : التفاعل مع التطورات الحضارية الجديدة التى وفدت على مجتمعنا منذ قيام الثورة والارهاص بها ، ثم التفاعل مع التيارات المسرحية القادمة من اوروبا والتى يغلب على رؤية كتابها معانى التجاوز والتخطى .

بقيت نقطة اخيرة يثيرها تطور المسرح الوطنى في مصر ، هى غلبة نوع من البطولات على تكوين الشخصيات في هذه المسرحيات . فبينما يغلب على معظمها اتجاه الفنان الى رؤية «نقطة الضعف» في تكوين البطل ، هو الحب غير المشروع وطنيا في

«احمس الاول»ودينيافى«الراهب»،وهو الخوف من
الموت فى « اللحظة الحرجة » .. تنحسر نقطة
الضعف هذه عن مجال الرؤية فى « سليمان
الحلبى » وتكاد تتلاشى فى « المسامير » ولم توجد
قط فى « مأساة جميلة » . وقد تفاوتت قيمة
« نقطة الضعف » بين ان تكون « بذرة سلبية
كامنة » فى نفس البطل من الممكن ان تتحول به
الى مستوى البطولة التراجيدية كما هو الحال فى
« الراهب » و « اللحظة الحرجة » ، وبين ان
تكون ضعفا طارئا قصد به المؤلف تلوين شخصية
البطل باللون « البشرى » الذى يحل التناقض
بين البطولة والانسانية كما هو الامر فى « احمس
الاول و « المسامير » . ولكن « ضعف » البطل
الوطنى فى المسرح المصرى لم يتحول فى هذه
الاعمال جميعها عن هدفه الاصيل ، وهو تصوير
المد والجزر فى ملحمة الصراع بين البطل والقوى
الخارجية المعطلة لكينونته الوطنية ، قوى الشر
والعدوان على ارض الوطن .. فمن خلال
العدوان على الارضيتمدد الشرالى انيهصر الذات
هصر· اليما قد تعبرعنه لحظات «الفعل الايجابى»
كما عبر عنه لحظات « الفعل السلبى » سواء
بسواء. فاذا رجحتكفة الفعل الاول دعوناصاحبه
بطلا ، واذا رجحت كفة الفعل الثانى دعوناه
صاحبه ضحية الطريق المرير . وبالرغم من قيام
الفعلين جنبا الى جنب فى الشخصية الواحدة ،
الا ان الصراع الجوهرى فى شخصية البطل يتم
بينه وبين القوى الخارجية لا بينه وبين نفسه ، بل
ان تناقضاته الذاتية لا سبيل الى حلها الا عن
طريق البوتقة الاخرى التى ينصهر فيها صراعه
مع الخارج . ومع ان صراع الداخل مع الخارج
يشى ببناء ملحمى للمسرحية الوطنية الا ان معظم
كتابها قد نجحوا فى خلق نمط درامى مستقل عن
البناء الملحمى وان تواجدتروح الملحمةفى مسرحية
« سليمان الحلبى » وقد دبت هذه الروح
البريختية فى كيان المؤلف المصرى للدرجة التى
ارهصت بقيام مسرح ملحمى فى مصر . غير ان
« النمط الدرامى المستقل » هو السمة الرئيسية
للمسرحية الوطنية المصرية التى تميزها شكلا
ومضمونا عن التكوين التراجيدى او التركيب
الملحمى ، فالملاحظة الاولى على بطولات هذه
المسرحيات ، انها تنتهى غالبا بموت الفرد ،
البطل . ولكن موته ليس امتدادا لبذرة سلبية
كامنه ، وليس بفعل غيبى سابق على تشكيل
الفرد البطل ، وانما يموت البطل الوطنى ــ اذا
مات ــ بفاعلية القوى الخارجية المجسدة فىشرور
العدوان على الارض ، وليس بفاعلية اللعنة
الابدية عند اليونان ، او الخطيئة الاصلية عند
المسيحية . ان « الموت » اذن لا يصوغ بطولة
تراجيدية فى هذه الاعمال ، ولكنه لا يصوغ ايضا
بطولة ملحمية لان « النصر » ليس ضرورة حتمية
فى بناء المسرحية الوطنية ، بينما هو يشكل جوهر
الملحمة .. وانما تنسج «المقاومة» جوهر المسرح
الوطنى، سواء انتهت بالنصر او بالهزيمة، بالموت
أو بالحياة . ولكنه فى الحالين ليس نصرا ملحميا
ولا هزيمة تراجيدية ، لان « بطل المقاومة » فى
اصله الواقعى ليس بطلا تراجيديا يجسد مأساة
الانسان مع الكون ، وهو ايضا ليس بطلاملحميا
يجسم فروسيه الانسان فى العصر الوسيط ..
وانما يستمد بطل المقاومه بعض عناصر المأساة
من كون مقاومته عرضه للصواب والخطا، للنجاح
والفشل ، فاذا الم به « الكارثة » لم تكن قط
لعنة مكتوبة فى لوح القدر ، ولم تكن قط نتيجة
مسبقة لنزال الكائن البشرى مع سر الاسرار .
وكذلك فان بطل المقاومة اذا كان يستمد بعض
عناصرالملحمة ــ وهو اقربالبها منالتراجيديا ــ
لصراعه مع القوى الخارجية ، فانه لا ينتهى بهذا
الصراع الى نفس النتيجة الملحمية القائلة بحتمية
الانتصار . وبخاصة اذا كانت هذه الحتمية
المنتصرة تسيطر على خيال شاعر الملحمه منذ
البداية فيشكل بطله وهو مايزال جنينا تشكيلا
متفردا بعيدا عن تكوين « بطل المقاومة » الذى
لايخضع لمواصفات معدة سلفا ، لانه يخضع
اولا واخيرا لمتطلبات « معركة » لم يرسم دوره
فيها منذ ولد ، ولم يرسم له دوره فيها احد.وتلك
هى العلامة الفارقة بينه وبين ابطال المآسى .
ولانه « بطل نسبى » لا يمثل الخير المطلق فى
مواجهة الشر المطلق ، وانما يجسد موضوعيا
سلبيات المعركة وايجابياتها جنبا الى جنب فى
صراع مستمر تمنيه مقومات الدراما ، فانه يبتعد
خطوات عن ابطال الملاحم . انه يشبه البطل
الملحمى فى « نزاليته » لان المقاومة فى جوهرها
نزال ، ويشبه البطل الملحمى ثانية فى ان نزاله
نوع من الذود عن الحق ودفع للباطل ، ولكن
هذا النزال فى جميع الاحوال يقترن بجوهر
نسبى ، هو جوهر المقاومة الوطنية التىلاتنضوى
تحت لواء المطلقات، بل هى تتأرجحفى مشروعيتها
بين المد والجزر .وهى حركة قوامها « النسبية»
لا المطلق، لانها ترتبط بالارض والواقع والانسان،
وجميعها عناصر نسبية فى خامة « المقاومة » التى
لا علاقة بينها وبين القدر والخير والشر والمصير
وجميعها عناصر مطلقة تنتمى من احد الوجوه
الى الخامة الميتافيزيقية .

والمسرح الوطنى فى مصر لم يقتصر على البعد
القومى وان ركز عليه ، فلعلنا نتلمس آفاق
الرؤية الانسانية الرحبة فى «الراهب» و «اللحظة
الحرجة» و « سليمان الحلبى » ، وكذلك آفاق
الرؤية الاجتماعيه الواضحةفى « المسامير » . اى
ان مسرح المقاومة المصرية قد اشتمل فى معظمه
على الابعاد الثلاثة الرئيسية ، القوميةوالانسانية
والاجتماعية ، وان ضمها اطار واحد هو المقاومة
الوطنية .



■ مجلس أمة جديد ومسئوليات جديدة
■ المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية
■ البحر المتوسط ليس بحيرة أمريكية
■ بين برنامج أبوللو ومحطات الفضاء السوفيتية
■ كشف حساب ١٩٦٨ يقدمه نقاد العالم

■ الجمهورية العربية المتحدة

خطاب الرئيس فى مجلس الامة

ألقى المناضل **جمال عبد الناصر** خطابه امام مجلس الامة — فى نفس اليوم الذى تولى فيه **نيكسون** مسئولية الرئاسة الامريكية ، وبعد يوم واحد من نشر «الاهرام» لنص الرد الذى بعث به الرئيس الامريكى السابق جونسون فى الايام الاخيرة لحكمه ردا على المبادرة السوفيتية التى استهدفت تحريك الجهود المبذولة لايجاد حل سياسى للازمة .

ولهذا اكتسبت المواقف المحددة التى تضمنها الخطاب أبعادا خاصة ـ واعتبرت لدى بعض المراقبين — ردا حازما وصريحا على رسالة جونسون التى تبنت بشكل كامل وجهة النظر الاسرائيلية ـ خاصة فيما يتعلق بالموقف من منظمات المقاومة الفلسطينية ومزاعم اسرائيل عن الحدود « الامنة والمياه الاقليمية » .

وقد أثار انتباه المراقبين بعض جوانب اساسية فى الخطاب الذى القاه الرئيس :

- الحديث الصريح عن المعاناة النفسية القاسية خلال الفترة الماضية .
- التركيز الواضح على المعنى فى دعم الجبهة العسكرية :
- الحديث عن منظمات المقاومة الفلسطينية .

لقد وصف **الرئيس** الفترة التى انقضت منذ هزيمة يونيو بأنها « كانت تجربة بالغة القسوة فى حياة الانسان وفى حياة الامة » ، وفى ظروف كانت تحتم « التقدم على كل الجبهات التى كان محتما ان نتحرك عليها جهودنا ـ وفى مقدمتها الجبهة العسكرية » — وقد ازدادت تلك الظروف صعوبة لان امتنا فى تلك الايام « كان لها الحق أن تنتظر عملا ولا تنتظر قولا — وان التجربة العملية اثبتت انه لا قيمة لاية اقوال اذا لم تكن كلماتها مقياسا حقيقيا للقدرة الفعلية » .

ويرى المراقبون ان حديث المناضل عبد الناصر عن الجبهة العسكرية كان مركزا وصارما ـ وأكثر

فى خطابه على أن « الاولوية الاولى والاولية المطلقة فى هذه المعركة هى الجبهة العسكرية ـ اذ لابد ان ندرك ان العـــــدو لن يتراجع الا اذا ارغمناه على التراجع بالقتال ــ بل انه **لا أمل فى أى حل سياسى الا اذا أدرك العدو انه فى مقدورنا ارغامه على التراجع بالقتال** » ! ــ كما أكدعلىان الجبهة العسكرية يجب أن تكون نقطة الانطلاق لتحقيق اى تقدم سواء للعمل العسكرى او العمل السياسى وبالتالى فان « الجبهة العسكرية يجب أن تكون شاغلنا الاول واى شيء غيرها قابل للانتظار .».

وفى حديثه عن الجبهة العسكرية ابرز المناضل جمال عبد الناصر بعض الحقائق الهامة :

اولها ـ ان عملنا السياسى فى الجزء الاكبر منه فى الفترة الماضية ركز على تدعيم القوات المسلحة وان القوات المسلحة اصبحت الانفىوضع لايمكن ان يقارن بما كانت عليه قبل معارك يونيو ٦٧ ــ وقد حرص فى هذه النقطة على أن يشيد « بالتعاون الصادق والمخلص الذى لقيه هذا العمل من جانب الاتحاد السوفيتى وانه لولا هذا التعاون لبقيت كل خططنا للمستقبل مجـــــرد امان عاجـــــزة عن الوفاء » . كما عبر سيادته عن ثقته فى القيادة العامة للقوات المسلحة وأكد انها على مستوى المسئولية الملقاة عليها .

وثانيها ـ ان عملا كبيرا قد تم من أجل زيادة كفاءة الدفاع عن المنشآت الحيوية داخل الوطن ــ تحملت مسئوليته القوات المسلحة والجيش الشعبى

ان الانطباع العام الذى تركه هذا الجانب من الخطاب هو **ان الرئيس عبد الناصر قد رفض جملة وتفصيلا وجهة النظر الامريكية التى حـــــددها جونسون فى رسالته الى كوسيجين .**

رفض مفاوضة اسرائيل التى تستمر فى احتلال الارض العربية ، كما رفض التنازل عن اى شبر من الاراضى العربية ، ورفض اية مزاعم لاسرائيل فى الوجود على أرض عربية . وتحت أى صفة .

وفى حديث الرئيس عن منظمات المقـاومة الفلسطينية ــ وصف نمـــو منظمات المقـاومة الفلسطينية وتعاظم دورها وتصاعد عملياتها مبينا أنها « **من ابرز ظواهر مرحلة ما بعد يـونيو ٦٧** » « **وان هذه المنظمات رفعت شعلة الضياء فى وقت حافل بعوامل الياس والظلام ــ ولقد ابرزت حقيقة وجود الكيان الفلسطينى فى ظرف كان** العدو يتصور فيه انه قضى على كل ذكر لفلسطين كما ان هذه المنظمات تقوم بدور ايجابى فـى استنزاف جزء من طاقة العدو ودمه . »

وبعد ان حيا الرئيس جهــــود المنظمات الاربع الكبيرة ـ فتح ـ الجبهة الشعبية ـ منظمـة التحـــرير ــ منظمة سيناء العـــــربية . اعلن ان « الجمهورية العـــربية المتحدة قدرت موقف منظمات المقاومة الفلسطينية فى رفضها لقـرار مجلس الامة الصادربتاريخ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى قبلت به الجمهورية العربية المتحدة نفسها » .

وأكد عبد الناصر على ان « من حق منظمات المقاومة الفلسطينية ان ترفض هذا القرار ـ الذى قد يكون كافيا لمواجهة ازالة آثار العدوان الذى تم فى يونيو ٦٧ ـ لكن هذا القرار ليس كافيا بالنسبة للمصير الفلسطينى ـ واعلن ان الجمهورية العربية المتحدة تضع كل امكانياتها دون قيد او شرط تحت تصرف المنظمات الفدائية .

وهكذا كان رد عبد الناصر الواضح والحاسم على مطلب جونسون « بوقف الزيادة الخطيرة فى عمليات الارهاب العربى ــ الذى تؤيده ، أو تسمح به بعض الحكومات .. » « وان ذلك يشكل خرقا خطيرا لقرارات مجلس الامن » .

لقد كان **الرئيس عبد الناصر** حريصا على أن يؤكد فى خطابه أمام مجلس الامة الجديد على المهام الرئيسية التى واجهت البلاد فى الفترة التى انقضت منذ الهزيمةوالنضال الشاق الذى خاضته البلاد على الجبهات العسكرية والاقتصـــادية والسياسية من أجل تعزيز موقف الصـــمود وتطويره .

ويقـــــدر المراقبون انه اذا كانت الدعــايات الاسرائيلية ـ على مالوف عادتها ـ قد حاولت أن تطلق دخانا كثيفا ــ يحجب معالم خطاب الرئيس عبد الناصر ، الا أن الانطباع الذى تركه الخطاب هو ان الجمهورية العربية تتحرك بين قطبيـن اساسيين :

فبينما توضح انهـــــا تفضل ان تصفى آثار العدوان عن طريق سلمى ، تتمسك من ناحية اخرى بالموقف الثابت ، وهو عدم التفريط فى شبر من الارض العربية .

مجلس أمة جديد ومسئوليات جديدة

بدأ مجلس الامة الجديد عمله بعد الانتخابات العامة التى جرت يوم ٨ يناير الماضى فى ١٦٩ دائرة انتخابيه – بعد ان اعلن فوز المرشحين فى دوائر القناة وسيناء الستة – لتعذر اجراء الانتخابات فيها .

وكان عدد المرشحين الذين تقدموا للانتخابات ٨٧٠ مرشحا مقابل ١٢٢٢ مرشحا فى انتخابات عام ٥٧ و ١٩٦٨ مرشحا فى انتخابات عام ١٩٦٤ .

ومن بين هؤلاء المرشحين الـ ٨٧٠ – رشحت مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى ٣٥٠ مرشحا : بواقع اثنين من المرشحين فى كل دائرة وهو العدد المطلوب انتخابه فعلا – وقد تنازل منهم ثلاثة مرشحين فى آخر لحظة . وفاز منهم بعضوية المجلس ٣٢٩ مرشحا .

وتقدم ٥٢٠ من بين الاعضاء الغير قياديين فى الاتحاد الاشتراكى بترشيح انفسهم – تنازل منهم قبيل موعد التصويت ٤٨ مرشحا وفاز بعضوية المجلس واحد وعشرون مرشحا .

ومن الملاحظ ان سبعة وعشرين دائرة لم يتقدم فى كل منها غير اثنين من المرشحين هم مرشحو مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى ، وان هناك ٢٨ دائرة اخرى كان فى كل منها ٣ مرشحين فقط . أى ان احد المرشحين الثلاثة كان فائزا بالتزكية وان المنافسة قد حصرت بين الاثنين الاخرين فقط – وهذا يعنى ان هناك ٨٢ عضوا من مرشحى قيادات الاتحاد الاشتراكى قد فازوا بالتزكية وهو مايعادل [٢٣ فى المائة] من اعضاء المجلس أما باقى الدوائر وعددها ٦١ دوائر فكان متوسط عدد المرشحين فيها من ٤ – ٨ . وهكذا تم التصويت فى ١٦٩ دائرة انتخابية امام ١٤٢٢٥ لجنة .

ويرى المراقبون ان المجلس الجديد يختلف فى تكوينه وظروف تشكيله عن المجالس التى شكلت قبل فى عهد الثورة .

وانتخابات ٦٤ جاءت « واجراءات يوليو ٦١ قد غيرت فحسب من الشكل العام للهيكل الاجتماعى ، الا أنها لم تكن قد عمقت جذورها فى العلاقات الاجتماعية . وكانت قوى التخلف لا يزال لها نفوذها السياسى والاجتماعى بين الجماهير ، وكان الاتحاد الاشتراكى فى بدايته . كما اتاح التعريف القائم اذ ذاك للعامل والفلاح الفرصة أمام عناصر من الطبقة الوسطى هى اقرب الى الرأسمالية المتوسطة ان تشكل مقاعد العمال والفلاحين فى المجلس ، ولما كانت قيادات التنظيم فى ذلك الوقت تتولى مراكزها بالتعيين ، بينما كان يتم تشكيل المجلس بالانتخاب فقد اقتضى ذلك حساسيات حدت من قدرة التنظيم على ان يتبوأ دوره القيادى .

اما مجلس الامة الجديد فهو اول مجلس يشكل فى ظل تنظيم سياسى اعلن أن انتخابه يجرى من القاعدة للقمة . كما ان التعريف الجديد للعمال والفلاحين ادى الى تمكين شرائح اجتماعية اكثر مصلحة فى الثورة – من دخول المجلس الامر الذى انعكس – دون شك – على تكوين المجلس الجديد من الوجهة الاجتماعية .

أما الخط الذى التزمه الاتحاد الاشتراكى فى الانتخابات فقد تمثل فى تقديم مرشحين فى كل دائرة تلتزم القيادات بمساندتها ، وجود الاسلوب الذى وضع كاطار لسير المعركة الانتخابية ، بحيث تكون الدعاية الانتخابية موحدة للجميع – وحتى لايظهر احد المرشحين بامكانيات غير عادية تفوق غيره من المرشحين ، وما ترتب على ذلك من منع اقامة السرادقات والمواكب واليفط العريضة – واكتفى بالمنشور الصغير للتعريف بالمرشح ، وكذلك بالندوات التى فتحت لها مقار لجان الاتحاد الاشتراكى والمدارس والجمعيات التعاونية الزراعية ، وحشد الجماهير وتوعيتها .

وكانت انتخابات مجلس الامة فرصة مواتية للاتحاد الاشتراكى يختبر قوته فى العمل السياسى .

وسجل المراقبون الذين تابعوا المعركة الانتخابية عن قرب مجموعة من الملاحظات الهامة على هذا التحرك السياسى الواسع للتنظيم :

● كان هناك اتجاه لا يرحب بان يجمع امين الاتحاد الاشتراكى – الذى يجب ان يبقى فى المحافظة اكبر وقت ممكن – بين منصبه وبين عضوية مجلس الامة واللجنة المركزية . وقد اوضحت المناقشات ان الجمع يقوم على اساس ضرورة ربط الاتحاد الاشتراكى بالتنظيمات السياسية وعدم ايجاد تناقضات – وان وجود عضو مجلس الامة مع المستويات التنظيمية يجعله يتعاون مع اللجان فى مواجهة مشاكل الجماهير ويلتمسها ويلتمس لها الحلول ، ويوزع مسئوليتها شعبيا وتنفيذيا . وقد

اكد شعراوى جمعة « اننا الان فى وضع استثنائى ونحن لانستطيع ان نحكم تماما على صحة هذا العمل وأن التجربة ستبين ذلك .

● وقد لاحظ المراقبون ان القوى الرجعية نشطت محاولة أن تجعل التنظيم السياسى فى طرف وجماهير الشعب فى طرف آخر ، وحاولت ان تستخدم كل الوسائل البالية من رشوة مالية واثارة للنعرات القبلية والمزايدات . وعلى النطاق الجماهيرى كانت هناك ايضا ملاحظات سجلها المراقبون :

● فالمعركة الانتخابية كانت تختلف من محافظة لاخرى بل ومن دائرة لاخرى فى نفس المحافظة .

وفى تقرير عن الانتخابات فى دوائر محافظة اسوان الثلاث نجد ان لكل دائرة من الثلاث ظروفا تخلع على المعركة تاثيرها وطابعها المميز ــ وأول هذه الظروف طبيعة الارض نفسها . وتكوين المجتمع الذى يختلف فى اسوان عنه فى كوم أمبو .

وبينما نجد ان القوى العاملة الجديدة التى استقرت فى السنوات الاخيرة على ارض مجتمع اسوان تأتى فى الترتيب الثالث بالنسبة للقوى المؤثرة فى نتائج الانتخابات نجد ان مصنع الغزل فى شبين الكوم قد نجح فى اقتحام الحياة السياسية فى شبين الكوم وعزز وجوده فى المراكز الاساسية فى الاتحاد الاشتراكى ولمقعدى مجلس الامة وذلك على الرغم من ان اصوات العاملين فيه مازالت اقل من الف صوت .

● وبينما نجد ان عددا كبيرا من الوحدات قد وحد العمل والدعاية بين مرشحيها ، وكانت دعوات المرشحين وبياناتهم وندواتهم واحدة ، نجد ان العمل له يتوحد فى بعض الدوائر وتحرك مرشح الفئات بوسائله المتاحة يدعو لنفسه منفردا وترك المرشح العمالى بامكانياته القاصرة يحاول ان يصل الى الناخبين .

● ولاحظ المراقبون خمود وتضاءل دور المرأة فى المعركة وارجعوا ذلك الى عدم وجود تنظيم سياسى نسائى ــ وان جهود المرأة مازالت مفككة ومبعثرة .

وبالرغم من ان اللجان النسائية فى بعض الدوائر (مصر الجديدة وعابدين مثلا) لعبت دورا كبيرا فى مساندة مرشحى التنظيم ــ الا انه فى كثير من الدوائر لم يظهر للنشاط النسائى أثر حتى فى الدوائر المسجلة فيها الف من اصوات النساء .

كما انه لم يتقدم للترشيح على نطاق الجمهورية سوى ست سيدات فاز منهن اثنتان فقط ــ مقابل ثمانى عضوات فى المجلس السابق .

● يرى المراقبون انه بينما كانت المدارس والجمعيات التعاونية الزراعية مراكز تجمع جماهيرى وسياسى خلال المعركة الانتخابية فان دور النقابات ظلت غارقة فى الصمت او الاجتماعات النقابية القيادية الضعيفة ــ ونفس الامر بالنسبة لدور النقابات المهنية الفرعية فى الاقاليم ــ ويرى المراقبون ان هذا الموقف لم يكن متسقا بشكل عام مع الموقف الذى سبق واعلن عنه اتحاد نقابات العمال عن دراسة امكانيات ترشيح ومساندة عناصر عمالية .

● تأثر التصويت يوم الانتخابات بعدة مؤثرات الامطار الغزيرة التى سقطت على القاهرة ومحافظات الريف بوجه خاص ــ وكذلك المشكلات المعقدة التى سببها التناقض بين التقسيم الادارى والتقسيم السياسى ــ وكذلك فان كشوف قيد الناخبين مازالت تشوبه نواقص ومازال الثقل هو القيد على أساس سكنى .

● واوضحت المعركة الانتخابية انه حيثما وجد عمل سياسى نشط ومنظم قلت السلبيات الى اقصى حد وقفل الطريق على كل التدخلات المغرضة من خارج التنظيم السياسى .

وتسجل الاحصاءات التى توافرت عن تشكيل المجلس الجديد انه يضم بين اعضائه ٩١ عضوا من اعضاء المجلس السابق ــ وانه لم يفز ٢١ من اعضاء المجلس السابق الذين تقدموا للترشيح للمجلس الجديد ــ كما فقد ١٧٢ مرشحا من الذين لم يفوزوا فى الانتخابات تأمينهم لعدم حصولهم على ٢٠ فى المائة من الاصوات ــ ومن بين اعضاء المجلس الجديد

- ٣ من اللجنة التنفيذية العليا .
- ٥٧ عضوا من اعضاء اللجنة المركزية .
- ١٦٦ عضوا من اعضاء المؤتمر القومى
- ١١ عضوا من امناء لجان المحافظات .
- ٥٣ عضوا من امناء لجان الاقسام والمراكز .
- ١٤ من مواقع قيادية مختلفة .

واخيرا يرى المراقبون ان جميع الظروف التى احاطت بمولد المجلس الجديد تلقى على اعضائه مهاما جسيمة ، وانبعض هذه الظروف تحتم على المجلس الجديد أن ينهض بمسئولياته ليتمكن بحق من أن يفوز باهتمام وثقة الرأى العام ، وان يكون احد المؤسسات التى تساهم فى تعبئة الجماهير فى المعركة لتصفية العدوان الاسرائيلى الامبريالى .

المؤتمر العالمي الثاني لنصرة الشعوب العربية

في القاهرة احتشد ممثلو شعوب العالم في مؤتمر عالمي يضم اكثر من ٤٥٠ مندوبا من مختلف الاتجاهات السياسية والاجتماعية والدينية ويمثلون اكثر من ٨٥ بلدا ومنظمة عالمية وقومية .

ولا شك ان لاجتماع هذا الحشد الهائل من قادة اراء العام في القاهرة بالذات له دلالة هامة فهي تعني بالتحديد ان هناك بداية حقيقية لتحول هام في اتجاهات الرأي العام العالمي نحو تفهم حقيقة الاوضاع في الشرق الاوسط ، وفي اتجاه التضامن مع الشعوب العربية .

والحقيقة ان اهمية هذا المؤتمر تنبع من اساسين رئيسيين هما .

● عالمية المؤتمر :

فالمؤتمر هو في حقيقة الامر ثمرة جهود عالمية عديده احتشدت جميعا في صوره لم يسبق لها مثيل لتحقق هذا النجاح .

ومن البداية كانت عالمية المؤتمر هي الخط الذي انتهجه الداعون اليه .

وعالمية المؤتمر لا تعنى مجرد حشد ممثلين لبلدان متعددة من مختلف انحاء العالم . وانما تعنى بالتحديد ابراز الجانب العالمي في قضية مواجهة الصهيونية والعدوان الاسرائيلي .

وقد ابرز هذه الحقيقه السيد خالد محيي الدين سكرتير عام المؤتمر في تقريره الذي قدمه للمؤتمر عن الجهود التنظيمية والسياسية لعقده ، فقال :

« وفي خلال جولتي في اوربا التي تمت بهاتنفيذا لقرار من اللجنة التنظيمية الدولية للمؤتمر أحسست ان العدوان الاسرائيلي في ٥ يونيو ١٩٦٧ لم يكن في واقع الامر موجها ضد الدول العربية وحدها وانما ضد مصالح هؤلاء المهتمين بأمن البحر الابيض المتوسط ، وتخفيف حدة التوتر وتقليل امكانيات الصدام على ضفافه وفوق امواجه ، وضد مصالح العديد من دول أوربا وآسيا التي اعتمدت لعشرات السنين على قناة السويس كممر مائي دولي محايد . وضد العديد من الدول التي احتجب عنها بترول الشرق الاوسط نتيجة لغلق هذه القناة .. بل ان هناك ايضا هؤلاء الذين عاشوا طويلا على وهم ان اسرائيل دويلة صغيرة ضعيفة محاصرة فاذا بهم يفيقون ليجدوها قوة تزرع العدوان والتوتر في المنطقة كلها ثم تعود وهي مزهوة بنشوة النصر لتمثل المصالح الامبريالية ، والصهيونية العالمية في محاولة سافرة لاحداث تخريب وانشقاقات داخلية في عدد من الدول الاوربية الامر الذي يهدد التوازن الاوربي والامن الاوربي بالخطر » .

وهكذا فان الخيط الاول لنجاح المؤتمر تمثل في اشعار اوساط واسعة في مختلف انحاء العالم بأن اسرائيل لم تعد تمثل خطرا على العرب وحدهم وانما اصبح خطرها اخطبوطا يهدد اماكن عديدة في مختلف انحاء العالم ..

أما الاساس الثاني لاهمية هذا المؤتمر فهو :

● اتساع قاعدة التمثيل فيه :

فالقوى التي احتشدت لتدين اسرائيل وعدوانها كانت واسعة الى حد لم يسبق له مثيل .. فهي تمتد في جبهة عريضة تشمل اليسار واقصى اليسار واليمين واحزاب الاوسط .. ويهود يدينون سياسة الصهيونية ويرفضون ما تنادي به من سياسة الولاء المزدوج ، ومسلمون من مختلف انحاء العالم وقساوسة من مختلف الكنائس في العالم .. وبوذيون . و . الخ . كذلك في مجال النشاطات الاجتماعية كان هناك ممثلون لمختلف الاتجاهات والتيارات ، ونقابيون وعلماء وكتاب وصحفيون .

.. وهكذا فان هذا المؤتمر يمكن اعتباره بحق حشدا لممثلي مختلف الاتجاهات والقوى السياسية في العالم .

وقد امكن تحقيق ذلك من خلال سلسلة من الجهود والاجتماعات الدولية التي نجحت في جذب الانظار الى هذا المؤتمر وحشد مختلف القوى للدعوة اليه .

فالاجتماع التحضيري العالمي الاول لهذا المؤتمر الذي عقد في ١٠ سبتمبر ١٩٦٨ حضره ١١٤ مندوبا يمثلون ٤٨ بلدا ومنظمة عالمية وقومية ..

والاجتماع التحضيري العالمي الثاني الذي عقد في فنلندا في ١٤ — ١٥ نوفمبر ١٩٦٨ حضره

٨٨ مندوبا يمثلون ٤٠ بلدا ومنظمة عمالية وقومية ..

كذلك فان التحضير للمؤتمر قد تم من خلال لجنة تنظيمية دولية كان رئيسها **كريشنا مينون** وسكرتيرها العام **خالد محيى الدين** .

وعندما اكتملت هذه الجهود ونجحت في لفت الانظار الى المؤتمر كان طبيعيا ان تضم اللجنة الداعية للمؤتمر ٥٢ شخصية من اشهر الشخصيات العالمية .

ويرى المراقبون ان هذه الجهود تبشر بمؤتمر عالمي بحق ، وبحشد واسع من قوى مختلفة تضم حتى هؤلاء الذين يحاولون بحذر ان يعيدوا تشكيل افكارهم حول ازمة الشرق الاوسط .

● الاسئلة التي طرحها عبد الناصر برنامج عمل المؤتمر :

وفي الخطاب الذي القاه **الرئيس عبد الناصر** في الجلسة الافتتاحية للمؤتمر والذي حظى بترحيب حار من جميع الوفود طرح **الرئيس** سلسلة من الاسئلة الخطيرة المتصلة بالصراع الذي نخوضه قائلا للوفود ... « اننا نتمنى ايها الاصدقاء ان تطرحوا هذه الاسئلة .. وان تبحثوا معنا وبمنتهى التجرد عن اجابات دقيقة لها ، ثم نتمنى ان تكون هذه الاجابات على اوسع نطاق ممكن امام الرأى العام العالمي » ..

... ولقد كانت هذه الاسئلة بشكل ما ورغم ايجازها حصرا دقيقا لكافة جوانب المشكلة ..

● مؤتمر عمل :

لما كانت القضايا المطروحة على المؤتمرين هامة ومتشعبة فقد تعين ان يكون هذا المؤتمر مؤتمر عمل متواصل ، ومن ثم فقد اكتفى بجلستين عامتين ثم استغرق المؤتمرون بعد ذلك وقتهم كله في اللجان الاربع التي تفرعت عن المؤتمر ، والتي تخصصت كل منها في دراسة جانب من جوانب القضية ..

وكانت مناقشات هذه اللجان في ذاتها عملا ايجابيا فقد اسهم فيها عدد كبير من اشهر اساتذة القانون الدولي والمفكرين والعلماء بحثا عن الحقيقة في ازمة الشرق الاوسط .

ويرى المراقبون ان اهمية المؤتمر تبدو من ان الرأى العام العالمي يشكل احد العوامل الحاسمة في القضية الفلسطينية . وهم يلاحظون ان اسرائيل نفسها تعيش حتى الان على اساس أمرين :

١ — استمرار المعونات والتبرعات [وهى ركن هام في الاقتصاد الاسرائيلي] .

٢ — استمرار تدفق الهجرة اليهودية [وهى تمثل حلم السياسة التوسعية الاسرائيلية] .

وكلا الامرين يحفز اسرائيل الى بذل جهود منظمة اوحشد تنظيمي لتكسب الرأى العام العالمي

وينبه بعض المراقبين الى انه قد حان الوقت لتكون للبلاد العربية سياسة طويلة النفس ، وتطبيق هذا معناه ان المؤتمر يجب ان يكون نقطة انطلاق لعمل لا يتوقف على جبهة الرأى العام العالمي ، بحيث لا تنقطع صلة البلاد العربية بالقوى التي اشتركت في المؤتمر . والى هذا اشار الرئيس عبد الناصر في خطابه الافتتاحي عندما قال :

«ولكن الامور تقتضي جهودا اوسع ، وعملا يمتد على جبهة عريضة ، ذلك ان اكثر ماهو لازم الان للقضية التي تناديتم لنصرتها هو ان يظهر وجه الحقيقة وان تبين جميع تفاصيلها ، وان تباح لكل ذوى النوايا الطيبة في عالمنا ان يحددوا مواقفهم منها على هدى وعلى نور » .

ويمضى سيادة الرئيس قائلا ...

ان اعداء الحقيقة يملكون وسائل مخيفة يعملون بها كما يملكون اجهزة ضخمة تستطيع خدمتهم في ذلك وتسخر لهذه المهمة احدث ما وصل اليه العلم الحديث من الوسائل المادية والنفسية . لكن الحقيقة في النهاية تنتصر باصدقائها والمؤمنين بها ، والذين يستطيعون ان يحملوا رسالتها الى الافاق الممتدة » .

... وهكذا يوضح السيد الرئيس ثقل المسئولية التي تواجهنا .. لكنها برغم ثقلها مسئولية حتمية وواجب لازم يتعين علينا ان نقوم به ، وان نخصص له جزءا هاما من امكانياتنا واجهزتنا ...

واخيرا يرى المراقبون ان هذا المؤتمر حلقة هامة وفعالة في سلسلة الجهود السياسية

والدبلوماسية التى بذلتها الجمهورية العربية المتحدة على النطاق الرسمى والشعبى معا كما ان نجاح المؤتمر يعبر بحق عن الجهود المخلصة التى بذلت من اجل اعداده وتنظيمه وخلق المناخ اللازم لكل العمل الايجابى الذى تم فيه .

■ ■ ■

المجلس الوطني الفلسطيني .. والمهام التى تواجه الرجال القادمين من داخل الارض المحتلة

أعباء جسام ، ومهام مصيرية تواجه هؤلاء الرجال الذين قدموا الى القاهرة من ميدان المعارك داخل الارض المحتلة ليبدأوا غدا اولى اجتماعات المجلس الوطنى الفلسطينى .

رجال الفتح وثوار العاصفة . أبناء الجبهة الشعبية . قيادات طلائع حرب التحرير الشعبية . المقاتلون من أبناء جيش التحرير وقوات التحرير الشعبية . رجال اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .. الشخصيات الوطنية والمستقلة .. كل هؤلاء يحيط باجتماعاتهم ـ السرية ـ مطلبان أساسيان :

١ ـ التصعيد الكامل للعمل الفدائى الفلسطينى ليصبح فى النهاية حرب تحرير شعبيه شاملة يخوضها كل قطاعات وقوى الشعب الفلسطينى .

٢ ـ تحقيق الوحدة الوطنية بين جميع المنظمات العاملة داخل الساحة وصولا الى اعلان قيادة ثورية كهذا العمل الوطنى الفلسطينى بشتى ابعاده .

هذا المجلس الوطنى الذى بدأ اجتماعاته وسط جو من السرية والكتمان الشديدين ، تحوط كافة مناقشاته ومداولاته ، ومعظم شخصياته يجتمع وسط ظروف بالغة الصعوبة والدقة تمر بها القضية الفلسطينية الان .

١ ـ يجتمع المائة وخمسة من الاعضاء الذين يكونون جملة أعضاء المجلس وقد تجاوزت المقاومة الفلسطينية المسلحة مرحلة اثبات الذات والوجود لتدخل مرحلة حاسمة وهامة فى تاريخ الثورة هى مرحلة المواجهة المحدودة مع العدو الصهيونى ، وقريبا على الطريق ـ كما يؤكد ابو عمار ـ الناطق الرسمى باسم حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » ستدخل الثورة المسلحة مرحلتها البالغة الدقة مرحلة المواجهة الشاملة مع العدو حيث تتحول قوات مجموعات رجال المقاومة الى جيش تحرير وطنى .

« فنحن لسنا مجرد فدائيين .. او مجرد رجال مقاومه ولكننا حركه تحرير وطنى .. ولكننا ثوار بكل مافى هذه الكلمة من معان . نهدف الى تحرير الوطن والمواطن . اننا لانهدف الى تصفيه اليهود أو القائم فى البحر ، ولكننا نهدف اساسا الى تصفية الكيان الصهيونى العنصرى القائم على احتلال ارض فلسطين ! .

٢ ـ ينعقد المجلس الوطنى وقد حدثت خطوات ايجابية لاشك فى فعاليتها داخل ساحه العمل الوطنى الفلسطينى نفسه .. لقد اعلن تشكيل **مجلس الطوارىء الفلسطينى** الذى يضم منظمة التحرير الفلسطينية وجيش التحرير وقوات التحرير الشعبية بالاضافة الى منظمات المقاومه الرئيسية واعضاء التجمع الوطنى الاردنى الذى يرأسه **سليمان النابلسى رئيس** الحكومة الاردنية الاسبق .

ولقد اعتبر المراقبون اعلان تشكيل مجلس الطوارىء الفلسطينى بداية جادة ، وحلا حاسما لمواجهه الكثير من الصعاب التى تواجه العمل الفلسطينى المسلح سواء فى الداخل أو فى الخارج . فمجلس الطوارىء فى حالة انعقاد دائم باعتباره جبهة متحدة تراقب تطورات الموقف وتخطط لابعاد المستقبل .

كذلك اعتبر المراقبون اعلان تشكيل مجلس تنسيق عسكرى لمنظمات المقاومة بداية جادة على طريق تحقيق وحدة المنظمات الفدائية ..

ومع التسليم بالصعوبات والمخاطر التى تواجه عمل مجلس التنسيق ، الا ان مجرد جلوس قيادات أو ممثلى منظمات المقاومة حول مائدة واحدة يعد حقيقة بداية لها مابعدها .

٣ ـ **ينعقد المجلس الوطنى الجديد وهناك اجماع كامل بين الشعب الفلسطينى بكافة منظماته واتجاهاته يؤكد** وفقا للمواد ٩ و ١٠ من مقررات المجلس الوطنى الذى انهى جلساته فى ١٧ يوليو من العام الماضى :

□ **الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين وهو بذلك ، استراتيجية وليس تكتيكا .**

يؤكد الشعب العربي الفلسطيني تصميمه المطلق وعزمه الثابت على متابعة الكفاح المسلح والسير قدما نحو الثورة الشعبية المسلحة لتحرير وطنه والعودة اليه ، وعن حقه في الحياة الطبيعية فيه وممارسة حق تقرير مصيره فيه والسيادة عليه .

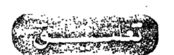
□ العمل الفدائي يشكل نواة حرب التحرير الشعبية الفلسطينية . وهذا يقتضي تصعيده وشموله ، وحمايته،وتعبئةكافةالطاقات الجماهيرية والعلمية الفلسطينية وتنظيمها واشراكها في الثورة الفلسطينية المسلحة وتحقيق التلاحم النضالي الوطني بين مختلف فئات الشعب الفلسطيني وبينها وبين الجماهير العربية ضمانا لاستمرار الثورة وتصاعدها وانتصارها .

٤ ـ ينعقد المجلس الجديد وقد حدثت تحولات اساسية لاجدال في نقاشها ـ في اتجاهات الرأى العام العالمي نحو القضية الفلسطينية عامة ونحو المقاومة الفلسطينية خاصة . حتى أصبح لايمر يوم واحد دون ان تتصدر اخبار منظمات المقاومة وعملياتها كبريات الصحف في الدول الغربية وفى الولايات المتحدة نفسها .

٥ ـ اخيرا فان المجلس الوطني ينعقد والفلسطينيون كلهم ثلاثة شعارات تجمعهم ـ المادة ١١ من الميثاق الوطني الفلسطيني : **الوحدة الوطنية ، والتعبئة القومية ، والتحرير .**

والذى لاشك فيه أن هناك اكثر من تساؤل يدور الان حول العمل الفلسطيني المسلح ومدى ارتباطه بالعمل العربي عامة وقضايا الوحدة العربية خاصة .

وبالقطع ، وباتفاق جميع المنظمات ، فان الشعب العربي الفلسطيني يؤمن بالوحدة العربية منطلقا وسبيلا . وكما يقول ـ **السيد حمودة** رئيس منظمة التحرير الفلسطينية ـ فانه على الشعب الفلسطيني لكى يؤدى دوره في تحقيق الوحدة العربية ان يحافظ على شخصيته الفلسطينية ومقوماتها ، وان ينمى الوعى بوجودها وان يناهض



حول المناقشات الدائرة لمشروع قانون العمل

بدأ الاتحاد العام للعمال فى الشهر الماضي سلسله من الاجتماعات لمناقشه القضايا النقابية ومشـاكل التنظيم النقابي . وكان فى مقدمة الموضوعات المطروحة للبحث مشروع « قانون العمل الجديد» والتعديلات المقترح اضافتهاالبه والتى تجمعت لدى الاتحاد العام للعمال بعد مناقشتها فى بعض المؤتمرات النقابية وفى النقابات العامة .

ومشروع قانون العمل المطروح للنقاش ليس فيه من جـديد يتفق والتحـولات الاجتماعية التى تحدث فى البلاد ـ فهو فى الحقيقة ليس الا تجميعا لمجموعةمن القوانين العمالية السابق اصدارها فى ظروف مغايرة تماما لظـروف مابعــد قوانين يوليو ١٩٦١ . وكثير من ابواب مشروع القانون الجديد استمدت الكثيرمن نصوصها من قوانين صدرت فىالثلاثينات والاربعينات مثل المواد الخاصة باستخدام الاحداث وتشغيل النساء واحكامساعات العمل وعقد العمل الفردى وعقد العمل المشترك .

ان محور قانون العمل الجديد يجبان يكون هدفه تنظيم علاقات العمل فىمجتمع اخذ بمبدأ الملكية الاجتماعيه [العامه] لوسائل الانتاج ، وعلى اسـاس وضع علاقات العمل فى القطاع الخاص تحت اشراف فعال . ويترتب على ذلك ضرورة الغاء القانون ٩١ لسنة ١٩٥٩ والـذى ينظم علاقات العمل فى مجتمع علاقات الانتاج فيه علاقات انتاج رأسمالية فى الجوهر . هذامنناحيةومن ناحية اخرىفان قانون العمل الجديد يجب وان يكون قانونا يشمل كل علاقات العمل فى كـافة القطاعات : قطاع الانتاج العام وقطاع العمل الحكومى وقطاع الانتاج الخاص اى ان يحل محل القانون ٤٦ لسـنة ١٩٦٤ الخاص بنظام العاملين المدنيين بالدولة والذى ينظم علاقات عمل موظفى وعمال جهاز الدولة الادارى . والقرار ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٦ الذى ينظم علاقات عمل العمال والمستخدمين فى القطـاع العام ـ كل ذلك من اجل ان يشـمل تطبيق قانون العمل الجديد جميع العاملين فى المجتمع سواء كانوا فى القطـاع الادارى للدولة او فى قطاع الانتاج العام اوفى قطاع الانتاج الخاص ، دون تفرقة أو تمييز بين قطاع وقطاع ـ فليس من المعقول ـ فى ظل مجتمع يتحول مـن الرأسمالية الى الاشتراكية ـ ان يستمر قطاع العاملين فى الدوله بكيان منفصـل وبميزات خاصة بهم ، أو يستمر قطاع العاملين فىالقطاعالخاص يعيشتحترحمة نصوص قانونية صيغت فى ظل مجتمع تسوده علاقات انتاج رأسمالية فقط .

أن مشروع قانون العمل الجديد والذى طرح للنقاش منذ فبراير ١٩٦٨ أبقى على كثير من النصوص القانونية التى طالما طالب العمال ونقاباتهم بالغائها لانهـا نصوص تتعارض فى الاساس مع مصلحة العمال .. فعلى سبيل المثال ابقىمشروع القانون على أسباب الفصل من الخدمه كما كانت عليه فى القانون رقم ٤١ لسنه ١٩٤٤ ـ حيث كان يفصل العـامل بمقتضاها لانفه الاسباب ، وحيث لاتتوفر على الاطلاق الضمانات الكافية لحماية العامل من اى اجراءات تعسفه . واخذ المشروع كذلك بعقوبة الفصل من الخدمة بغير الطريق التاديبى اى بدون تحقيق او محاكمة ـ وابقى على احكام تاديب العاملين فى القطاع العام كما جـاءت فى القرار ٣٣٠٩ لسنة ١٩٦٦ وهى احكام جعلت لرئيس مجلس الادارة سـلطة مطلقة فى التصرف فى توقيع الجزاءات ـ جاعلة منه خصما وحكما ، حيث يفصل

أيا من المشروعات التى من شأنها اذابتها أو اضعافها .

فالوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيء الواحد منهما تحقيق الاخر . فالوحدة العربية تؤدى الى تحرير فلسطين ، وتحرير فلسطين يؤدى الى الوحدة العربية والعمل لها يسير جنبا الى جنب .

بل ان مصير الامة العربية ، بل الوجود العربى بذاته رهن بمصير القضية الفلسطينية ، ومن هذا الترابط ينطلق سعى الامة العربية وجهدها لتحرير فلسطين ، ويقوم شعب فلسطين بدوره الطليعى لتحقيق هذا الهدف القومى المقدس .

وتحرير فلسطين من ناحية عربية هو واجب قومى لرد الغزوة الصهيونية والامبريالية عن الوطن الكبير ولتصفية الوجود الصهيونى فى فلسطين ، تقع مسئولياته كاملة على الامة العربية شعوبا وحكومات ، وفى طليعتها الشعب العربى الفلسطينى .

ومن أجل ذلك ، فان على الامة العربية أن تعبىء جميع طاقاتها العسكرية والبشرية والمادية والروحية للمساهمة مساهمة فعالة مع الشعب الفلسطينى فى تحرير فلسطين . وعليها بصورة خاصة فى مرحلة الثورة الفلسطينية المسلحة القائمة الا ن ان تبذل وتقدم للشعب الفلسطينى كل العون وكل التأييد المادى والبشرى وتوفر له كل الوسائل والفرص الكفيلة بتمكينه من الاستمرار للقيام بدوره الطليعى فى متابعة ثورته المسلحة حتى تحرير وطنه .

وتحرير فلسطين ــ من ناحية دولية ــ هو عمل دفاعى تقتضيه ضرورات الدفاع عن النفس . ومن اجل ذلك فان الشعب الفلسطينى اراغب فى صداقة جميع الشعوب يتطلع الى تأييد الدول المحبة للحرية والعدل والسلام لاعادة الاوضاع الشرعية الى فلسطين واقرار الامن والسلام فى ربوعها وتمكين

هو فى نفس الجزاءات التى وقعها ــ الامر الذى لم يكن موجودا فى قوانين سابقة مفروض انها اكثر تخلفا مثل القانون رقم ١٩٧ لسنة ١٩٥٨ والقانون رقم ٩١ لسنة ١٩٥٩ وكلاهما اوجب توقيع الجزاءات عن طريق هيئات تأديبية خاصة . وفى الوقت الذى جاء فيه بيان ٣٠ مارس مؤكدا حق التقاضى ورافضا كل نص اجاز عدم الطعن على تصرفات الادارة امام القضاء ــ فان المشروع الجديد قد خرج على ذلك ــ ففى بابه الثامن بشأن علاقات العمل الفى نظام التوفيق والتحكيم بالنسبة للعاملين فى القطاع العام ، واقتصر على نظام التوفيق فى المنازعات الخاصة بالقطاع الخاص [المادة ٢٨٠ من المشروع] ــ ويعتبر هذاالغاء لقضاء التحكيم الذى يوفر مجموعة منالضمانات بالنسبة للعامل ، حيث تتشكل هيئة التحكيم من ثلاثة مستشارين من محاكم الاستئناف وحيث يكون الطعن فىقراراتها امام محكمة النقض . وتمادى المشروع الجديد فى هذا الاتجاه فاستبدل برئاسة القاضى للجنة التوفيق رئاسة ادارية فاصبح المحافظ رئيسا له بينما يوجد من بين اعضائها رئيس المحكمة الابتدائية ــ وهو امر غريب حيث يخضع العنصر القضائى للعنصر الادارى .

ومعروف انه فى ظل سيادة الملكية الفردية لوسائل الانتاج تكون عقود العمل المشتركة هى العقود التى تحكم علاقات العمل المتطورة بفضل نضال العمال ونقاباتهم فى ظل النظام الرأسمالى ــ اما حيث تصبح السيادة للملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج او الاتجاه الى تحقيق هذه السيادة فان عقود العمل الجماعية تصبح هى المنظمة لعلاقات العمل فى المجتمع ــ حيث يصبح غرض طرفى العقد هو ادارة الانتاج ويكون التنظيم النقابى هو ممثل العاملين فى هذا العقد. ولكن مشروع قانون العمل المطروح للنقاش تجاهل كلية التطور الذى حدث فى المجتمع بعد قرارات يوليو ١٩٦١ ــ واخذ فقط بعقد العمل المشترك جاعلا نطاقه القطاع الخاص وحده ــ بينما المفروض ان ياخذ بنظام عقود العمل الجماعيه التى تكون مهمتها تنظيم ادارة الانتاج ، وحقوق العاملين وظروف معيشتهم وشروط العمل ومعدلاته ونظام الاجور والكفاية الانتاجية والامن الصناعى واخطار المهنة وامراضها والشروط المفروض توافرها فى الانتاج والخدمات النقابية والتعليمية والصحية .. الخ ذلك انه حيث تصبح غالبية وسائل الانتاج الرئيسية مملوكة ملكية عامة ، فان اسلوب علاقات العمل الذى يجب ان يسود هو اسلوب الانتاج الاشتراكى ومحوره عقد العمل الجماعى .

اما عن الباب السادس الخاص بنقابات العمال ، فان هذا الباب جاءليحل محل القانون ٦٢ لسنة ١٩٦٤ الخاص بتنظيم النقابات ــ ان هذا الباب لم يحدث جديدا بالنسبة لتحرير العمل النقابى من الوصاية الادارية ــ فما زال لوزارة العمل الاشراف الكامل . ان قانونالعمل الجديد يجب ان يعطى النقابات الحق فى المشاركة فى كل القوانين المرتبطة بالعمل والعمالة والعمال ــ والحق فى الاشراف والرقابة على تطبيق وتنفيذ قوانين العمل والتدابير الخاصة بحماية العمال منمخاطر المهنة وامراضها وعلى التامينات الاجتماعية والاسكان وحق النقابات فى التفاوض والتخاطب مع اجهزة الدولة والاجهزة العامة باسم العمال .

ان المشروع الحالى لقانون العمل الجديد ــ يجب ان تعاد صياغته منجديد ليكون تعبيرا حقيقيا عن التطورات الجديدة فى علاقات الانتاج فى بلادنا ــ والا يكون مجرد تجميع لمجموعة القوانين القديمة او اعادة صياغتها ــ ان ماتطلبه الطبقة العاملة وماتريده هو تقنين جديد لعلاقات الانتاج ، ينظم هذه العلاقات على اساس توفير الحرية فى مراكز الانتاج جميعها لكي يتمكن جميع العاملين فيها من ان يعطوا كل جهودهم الفنية والوطنية والسياسية للعمل ولبناء المجتمع الجديد .

عبد المنعم الغزالى

أهلها من ممارسة السيادة الوطنية والحرية القومية ..

ان تقسيم فلسطين الذى جرى فى عام ١٩٤٧ وقيام اسرائيل باطل من اساسه مهما طال عليه الزمن لمغايرته لارادة الشعب الفلسطيني وحقه الطبيعى فى وطنه ومناقضته للمبادىء التى نص عليها ميثاق الامم المتحدة وفى مقدمتها حق تقرير المصير .

ويعتبر باطلا كلا من تصريح بلفور وصك الانتداب وما ترتب عليهما . وان دعوى الترابط التاريخية او الروحية بين اليهود وفلسطين لاتتفق مع حقائق التاريخ ، ولا مع مقومات الدولة فى مفهومها الصحيح . وان اليهودية بوصفها دينا سماويا وليست قومية ذات وجود مستقل . وكذلك فان اليهود ليسوا شعبا واحدا له شخصيته المستقلة : وانما هم مواطنون فى الدول التى ينتمون اليها .

كذلك فان الشعب العربى الفلسطينى ، معبرا عن ذاته بالثورة الفلسطينية المسلحة يرفض كل الحلول البديلة عن تحرير فلسطين تحريرا كاملا ويرفض كل المشاريع الرامية الى تصفية القضية الفلسطينية أو تدويلها .

وعن اسرائيل والصهيونية فان رئيس منظمة التحرير الفلسطينية يقول ان الصهيونية حركة سياسية مرتبطة ارتباطا عضويا بالامبريالية العالمية ومعادية لجميع حركات التحرر والتقدم فى العالم وهى حركة عنصرية تعصبية فى تكوينها ، عدوانية استيطانية فى اهدافها ، وفاشية نازية فى وسائلها . وان اسرائيل هى اداة الحركة الصهيونية وقاعدة بشرية جغرافية للامبريالية العالمية ونقطة ارتكاز ووثوب لها فى قلب الوطن العربى لضرب أمانى الامة العربية فى التحرر والوحدة والتقدم .

ان الرجال المائة وخمسة الذين بدات أجتماعاتهم فى يناير الماضى بمقر الامانة العامة للجامعة العربية مطالبون بوضع عدد من مقررات المجلس الوطنى السابق موضع التنفيذ الفعلى

فبالنسبة لجيش التحرير الفلسطيني :

ينبغى أن توجه الجهود لرصد الاعتمادات المالية اللازمة لتصعيد الكفاح المسلح وتطويره ودعم وتطوير الجيش وزيادة حجمه وتمكين قوات الجيش من أن ترابط فى الاماكن التى ينبغى ان ترابط فيها لصالح الثورة الفلسطينية . هم أيضا مطالبون بأن يكون الجيش حر الارادة والقيادة .

وبالنسبة لتوحيد القوى المقاتلة الفلسطينية يقع على عاتق هؤلاء الرجال مهمة تشكيل قيادة عسكرية لقوات المنظمات الفدائية الممثلة فى المجلس الوطني ، واتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق الوحدة الكاملة لقوات المنظمات خلال اقصر فترة ممكنة .

واخيرا .. فانه بعيدا عن الاضواء وبعيدا عن المناورات والتكتيكات التى تصاحب المؤتمر .. سيبدأ الرجال المسلحون القادمون من داخل الارض المغتصبة اعمالهم وابصار وافئدة الجماهير العربية كلها تشخص اليهم وليس لها من مطلب سوى الخروج من الاجتماعات بصيغة ثورية وسليمة لتحقيق الوحدة الوطنية بين كافة المنظمات .. وتصعيد شامل وكامل للعمليات العسكرية لتتحول الارض الفلسطينية المغتصبة الى اتون ثورة شاملة تقتلع من فوق سطح ارض بذور الاحتلال والعنصرية والصهيونية .

■ ■ ■

■ النزاع العربى الاسرائيلي

هل تنجح المحاولات الجديدة فى الخروج من الأزمة

عكس الرد الامريكى على المقترحات السوفيتية الموقف الثابت للامبريالية الامريكية من حركة الثورة العربية ومن قضية فلسطين بالذات . ويرى المراقبون أن رد حكومة جونسون لا يعنى فى التطبيق الا اخضاع البلاد العربية لشروط الاستسلام التى تحاول اسرائيل ان تفرضها . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان التجاهل الكامل لوجود شعب فلسطين ووصف النشاط الفدائى بانه مجرد نشاط ارهابى يدل مرة اخرى على سعى الامبريالية الامريكية الى تصفية قضية فلسطين تصفية نهائية .

ويرى المراقبون أن تطورات النزاع العربى الاسرائيلى تسير اكثر فأكثر فى طريق محفوف باخطار متزايدة . وهكذا ، على أثر هجوم الفدائيين العرب على طائرة العال الاسرائيلية فى مطار أثينا ، قامت القوات المسلحة الاسرائيلية

بغارة على مطار بيروت فحطمت عددا كبيرا من الطائرات ، ثم انذرت الحكومات العربية التى تساند الفدائيين بأن الاهداف والطائرات العربية عرضة للانتقام كالطائرات الاسرائيلية .

ورغم ادعاء اسرائيل أن غارتها على مطار بيروت كانت ردا انتقاميا الا أن **المراقبين الغربيين** يقولون أن التخطيط لتلك الغارة لم يكن مجرد رد فعل لتحطيم الفدائيين لطائرة العال ، وانما كان مخططا لها قبل ذلك . وان الهدف الحقيقى من ورائها هو محاولة الاساءة الى الجهود المبذولة لتحسين العلاقات بين واشنطن والعالم العربى ، واختبار قوة الرأى العام العالمى . هـذا بينما اشارت البرافدا الى « ان الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت توضح أن تل أبيب قررت زيادة حدة الازمة والتوتر وتوسيع ميادين الصدام لجر لبنان اليها . »

ومن الناحية العلمية فقد كان للغارة الاسرائيلية رد فعل عنيف سواء على المستوى الشعبى أو الحكومى العربى أو فى الدوائر العالمية كما انعكست اثارها فى زيادة حدة التوتر فى المنطقة .

ففى لبنان انفجرت موجة من السخط الجماهيرى الواسع احتجاجا على قرصنة اسرائيل **وطالبت الجماهير بضرورة فرض قانون التجنيد الاجبارى وتسليح قرى الحدود وتدعيم الحركة الفدائية الفلسطينية** . واعلنت حكومة لبنان بل وجميع الحكومات العربية تأييدها الكامل لكفاح الفدائيين الفلسطينيين ، كما زاد الاقبال على التطوع فى صفوف منظمات المقاومة . وصرح السيد **عبد الله اليافى** رئيس الوزراء السابق « **بان عمليات الفدائيين ضد اسرائيل عمل مقدس ومشروع» كما** اكد بأن الغارة لن يكون لها تأثير على تأييد لبنان لاعمال الفدائيين . وازاء الاوضاع الجديدة التى واجهت لبنان ، قدم الدكتور اليافى استقالته ليتيح الفرصة لتشكيل حكومة تمثل جميع القوى الوطنية لمواجهة التحدى الاسرائيلى .

وعلى صعيد العمل الفدائى لم تؤد الغارة الاسرائيلية الى ارهاب حركة المقاومة كما كانت تتطور اسرائيل ، وانما زادت من نشاطها . ففى اوائل الشهر قام الفدائيون بهجوم بالصواريخ من لبنان على قرية شمونة الاسرائيلية ، كما تم قتل ثلاثة اسرائيلين عند رأس سدر فى سيناء .وفى ٩ يناير قصف الفدائيون معسكر الشويعر الاسرائيلى بالصواريخ ، كما نسفوا استراحة الضباط فى قرية شتوله بالجليل . وفى ١٢ يناير تعرضت المستعمرات الاسرائيلية قرب الحدود اللبنانية لقصف قنابل المورتار وادعت اسرائيل ان القصف تم عبر الحدود . وفى ١٣ من الشهر تم اغتيال ضابط وجنديين فى غزة مما دفع باسرائيل الى اتخاذ تدابير ارهابية جديدة وفرض حظر التجول على السوق المركزى . وفى ١٥ يناير وقع انفجار عنيف فى مقر الحاكم العسكرى الاسرائيلى فى قطاع غزة . .

وعلى الصعيد العالمى اثارت الغارة الاسرائيلية استياء شديدا أجبر حتى الولايات المتحدة على التصويت الى جانب ادانة الغارة الاسرائيلية فى مجلس الامن ، وهكذا اتخذ المجلس قرارا بالاجماع بادانة الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت . وبدأت فرنسا ازاء الاخطار الناجمة عن استفزازات اسرائيل تتحرك بشكل ايجابى .

ومن المعلوم ان فرنسا ــ تملك جزءا كبيرا من رأس مال شركة طيران الشرق الاوسط وبالتالى من الطائرات التى دمرت . واعلنت عن قرارها بفرض الحظر الشامل على شحنات الاسلحة وقطع الغيار لاسرائيل « لمنع الفوضى فى الشرق الاوسط » ، كما اعلنت أنها لن تقف مكتوفة اليدين اذا ماتعرض لبنان لخطر يهدد سلامته . ولم تكتف فرنسا بذلك وانما تقدمت بمقترحاتها الايجابية من أجل تجنب خطر الحرب فى الشرق الاوسط ، واعلن **ميشيل دوبريه** وزير خارجيتها « ان على الدول الاربع الكبرى مهمة حيوية وخطيرة وهى احلال السلام فى منطقة الشرق الاوسط بناء على قرار مجلس الامن الذى وافق عليه بالاجماع . » ويتضمن الاقتراح الفرنسى لاجتماع الاربعة الكبار فى اطار مجلس الامن ، وضع صيغة لشرح بنود القرار ، وجدول زمنى لتنفيذ تلك البنود ، على أن يتم التوصل الى تنفيذ جميع البنود بضمان الدول الاربع الكبرى وأن توضع وثائق تنفيذ وقبول القرار ، كوثائق دولية معتمدة من الدول الكبرى .

وقد لاقى الموقف الفرنسى الايجابى من اسرائيل وأزمة الشرق الاوسط صدى طيبا فى جميع الاوساط العربية ولدى الدوائر العالمية التى تهتم باقرار السلام فى المنطقة .ولقد صرح**(محمد فائق)** وزير الارشاد « بان مجلس وزراء ج.ع.م يبدى تقديره العميق للقرار الذى اتخذه الرئيس ديجول بفرض الحظر الكامل على تصدير الاسلحة لاسرائيل واعتبر المجلس أن هذا القرار موقفا لن تنساه الامة العربية » . وعلقت وكالة تاس السوفيتية قائلة « ان الغرض من قرار الحكومه الفرنسية كما يراه كثير من المراقبين هو تخفيف تعصب معظم الدوائر الحربية فى تل أبيب ومن ثم المساهمة فى ايجاد تسوية سلمية فى الشرق الاوسط » .

ولقد أدت الغارة الاسرائيلية على مطار بيروت واتساع نطاق الاستفزازات العسكرية من جانب اسرائيل على طول الحدود اللبنانية وغاراتها على القرى الاردنية تحت دعوى ضرب مراكز حركات المقاومة ، أدى كل ذلك الى تزايد الوضع تفاقما فى المنطقــة . واكدت التقارير الواردة من عمـــان ودمشق أن اسرائيل تحشد قوات ضخمة فى الضفة الغربية وتستعد لشن عدوان واسع النطاق فى أى وقت . كما أكدت منظمة فتح أن العدو الاسرائيلى يستعد لشن هجوم على الضفة الشرقية ودعت الدول العربية الى الاستعداد لمواجهة العدوان المرتقب .

وازاء تزايد خطر الحرب فى المنطقة واحتمالات الانفجار المرتقبة فى أى لحظة بدأت اكثر من عاصمة تتحرك وبسرعة فى اتجاه ضرورة التوصل الى حل سريع للازمة تفاديا لخطر نشوب حرب جديدة وعلى نطاق اوسع من معارك يونيو ١٩٦٧ وجرت اتصالات واسعة بين مختلف عواصم العالم وبين الدوائر والحكومات التى يهمها الامر . ومن خلال تلك الاتصالات تقدم الاتحاد السوفيتى تقديرا منه لخطورة أى عدوان اسرائيلى جديد على السلام فى المنطقة وفى العالم ، بمشروعه الجـــديد لحل أزمة الشرق الاوسط الذى يدور حول خمس نقاط كلها تتعلق بتنفيذ قرار مجلس الامن الخـــاص

تعليـــق

المطامع الاسرائيلية فى نهر الليطانى وسياسة ((الانتقام القومى))

لم يعد يخفى على الرأى العـــام العـــالمى الدوافع الحقيقية وراء العدوان الاسرائيلى على لبنان . لقد أشار مراسل صـــحيفة التـــايمز البريطانيـــة فى تقريره ، الى تصريح موشى ديان بعد حرب يونيو عـــام ١٩٦٧ ، الذى أشـــــار فيه الى ان كل حـــدود اسرائيل مع البلدان العربيـــة المجاورة أصبحت الان حدودا طبيعية عدا الحدود مع لبنان .

وفى عدد ٤ يناير عام ١٩٦٩ ، نشرت جريدة التايمز رسالة لمستر انتونى ناتنج الوزير البريطـــانى الســـابق ، يدين فيه العـــدوان الاسرائيـــلى ، ويذكر « ان اسرائيل تبدى لهفتهـــا منذ سنوات على جنوب لبنان ، حيث الاراضى الخصـــبة لحوض نهر الليطانى » .

ومنذ زمن طويل ، والاحلام تراود قادة الحركة الصـــــهيونية حـــول حوض نهر الليطانى ومياهه . فقبل اكثر من خمسين عاما من العدوان الاسرائيلى الاخير على لبنـــان ، نشرت الصـــحيفة الصـــهيونية المسماة «فلسطين» ، فى عددها الصادر فى ٦ / ١ / ١٩١٦ ، متحدثة عن فلسطين التى تراود أحلام الحركة الصهيونية ، تقول :

« انه لمن الاهميـــة والالزام ان تدخل ضمن الحدود الفلسطينية المياه الضرورية للرى ولتوليد الطاقة الكهربائية ، وهـــذه الحدود اذن لابد أن تشمل نهر الليطانى ومنابع نهر الاردن ومهابط الثلوج فى جبل الشيخ » .

وفى يناير عام ١٩٥٥ ، كتبت جـــريدة شئون الشرق الاوسط تقول :

« لقد كان من الواضح للاسرائيليين ان أحلام تطوير صـــحراء النقب لا يمكن ان تتحقق بدون مياه الليطانى » .

بل لقد ظهر فى اسرائيل فى مطلع عام ١٩٥٤ ، مشروع مياه وضعه المهنـــدس الاسرائيلى كوتن ، يشمل استعمال مياه نهر الليطـــانى [بالاضـــافة الى نهرى اليرموك والاردن وروافدهما] ، وينص على تحويل نصف مياه نهر الليطانى الى سهل البطوف ، ثم نقل المياه من هنـــاك جنوبا الى النقب .

واذا كانت كل هـــــذه التصريحـــات والتصرفات وغيـــرها تكشـــف الدوافع العسكرية والاقتصـــادية والعقائدية لدى قادة اسرائيل للاندفاع تجاه لبنان ، فلقد كان العـــــدوان الوحشى الاخيـــر نذيرا بشعور الحركة الصهيونية ، بأن الوقت يقترب لمحـــاولة تحقيق هـــذا البنـــد فى برامجهم التوسعية ، بغض النظر عن نوع الســـياسة التى تتبعها هـــذه الحكومة اللبنـــانية او تلك . فاذا كانت اسرائيل تعلن قولا انها تعادى هذا الحاكم العربى او ذاك ، فانها تثبت بتصرفاتها الواقعية بانها انما تعادى كل ما هو عربى ، سواء كان طفلا او شيخا او حتى المؤسسات المدنية العربية ، ويجدر ان نتذكر ما رواه الصـــحفيان جـــون ودافيد كيمش فى كتابهما « تصادم الاقدار » ، عن نظرة قادة اسرائيل الى ســـياسة الانتقـــام ، باعتبارها ليست موجهة ضد من تعتبرهم اسرائيل « مذنبين » ، بل هى ســـياسة انتقام قومى ، انتقام من العرب وليس من هذا البلد او ذاك ، او من هذا الشخص أو ذاك . وان اتجاه العدوان انما يتحدد على ضوء المخططات الاسرائيلية الخاصة ، ويكون على حد تعبير المعلق العسكرى الاسرائيلى موشيه بريليانت « نتـــاج تفكير سياسى وسيكولوجى بارد وغيـــر عاطفى » .

وفى مواجهة خطط العدو وأساليبه ، فان سياسة الخوف من العدو وتصـــور الوقوف على حـــدود المعركة لن تحمى احدا . فاذا كان الديناميت الاسرائيلى موجه الى كل مؤسسة عربية ، فلابد من تغطية هـــذه المؤســـسات بقوات الدفاع الشعبية . واذا كان الرصاص والسناكى الاسرائيلية موجهة الى صدر كل مواطن فلابد من امداد هذا المواطن بالســـلاح المضاد الذى يدافع به عن نفسه ، وهذه كلها اجراءات دفاعية .. وهى اضعف الايمان .

ان الشعوب العربية التى تعلمت من عدوان يونيو عام ١٩٦٧ ، الا تســـتهين بقوة اعدائها وخططهم . والا تســـتجيب لاســـتفزازات العـــدو الا وهى على أتم الاستعداد يعلمها تاريخها وتجـــاربها وكل تجارب الشعوب ، الا تتصرف على أساس الخوف من العـــدو ، بل على أســـاس الاســـــــتعداد وبذل كل الجهـــد لرد اعتداءاته .

وديع وهيب

بانسحاب القوات الاسرائيلية · وقد وضع المشروع برنامجا زمنيا لتحقيق انسحاب اسرائيل من الاراضي العربية المحتلة واعادة الاوضاع لما كانت عليه قبل ٥ يونيو · ويتضمن المشروع محاولة لتجميع الدول الاربع الكبرى حول موقف موحد واستعمال نفوذها لوضع قرار مجلس الامن موضع التنفيذ ·

وقد التقت فرنسا مبدئيا مع المشروع السوفيتي لانه يتفق بدرجة كبيرة مع مقترحاتها . كما اعلنت الدول العربية تأييدها له. وقال محمود رياض «أن أي عمل سياسي يؤدى الى تنفيذ قرار مجلس الامن نحن موافقون عليه » .

ولكن اتضح أن المبادرة التى قام بها الاتحاد السوفيتى لتطبيق قرار مجلس الامن قد اصطدمت بعقبات فى لندن وو شنطن · واعلنت وكالة الانباء الفرنسية « بأن بريطانيا غير راضيه تماما عن المقترحات السوفيتية اذ ترى انها متحيزة لصف العرب بصفه عامه » وردت الولايات المتحدة بعد تجاهل طويل لتطلب ايضاحات جديدة حول الخطوط التى ستنسحب اليها اسرائيل وتوقيت التزامات كل جانب وضمانات تنفيذ تلك المقترحات · وفى نفس الوقت اعلنت النيويورك تايمز « ان الحكومة الامريكية قررت عدم اتخاذ أى اجراء من جانبها فيما يتعلق بالاقتراح السوفيتي وترك هذا الموضوع لحكومة الرئيس نيكسون »

ورغم هذا التجاهل والمراوغة من جانب الولايات المتحدة بالنسبة للمقترحات السوفيتية فانها تواصل فى نفس الوقت حملة تسليح اسرائيل وتأييدها عسى ويعلن « دين راسك » فى المؤتمر الصحفى الاخير الذى عقده قبل مغادرته للبيت الابيض : إن الارهابيين العرب يتحملون مسئولية كبرى لرفضهم قبول خطوط وقف اطلاق النار الحالية · ويستطيع المرء ان يدرك كيف ينفد صبر الاسرائيليين من وقت لاخر بسبب استمرار غارات الارهابيين الذين ترفض الحكومات العربية تحمل مسئوليتهم المباشرة » وفى نفس الوقت تعلن اسرائيل من جانبها رفضها للمقترحات السوفيتية ويعلن إسحق رابين « ان موقف امريكا لن يطرأ عليه أى تغيير لان أمريكا لا تؤيد اسرائيل عطفا عليها ، وانما دفاعا عن مصالحها فى المنطقة » ويعلق ديان قائلا « انه ينبغى على اسرائيل ان تستعد لمواجهة اندلاع حرب اخرى مع الدول العربية فان اسرائيل ليست مستعدة لقبول ذلك السلام الزائف بأى ثمن » ·

وعلى أساس الجهود التى تبذل لحل الازمة قرر يارنج تأجيل جولته فى الشرق الاوسط حتى شهر فبراير وذلك حتى يفسح المجال امام الاتصالات والجهود الدولية الجارية حول المشروع السوفيتى · كما جرت اتصالات بين الحكومات العربية بشأن انعقاد مؤتمر القمة ووافقت جميع الحكومات العربية من حيث المبدأ على انعقاده ولكن هناك رغبة مشتركة فى أن يكون انعقاده متفقا مع ضرورة ملحة تمليها تطورات هامة تتصل باحداث الازمة فى المنطقة ·

غير أن كثيرا من المراقبين يرون أن مفتاح الموقف فى النهاية رهن بقوة الدول العربية وتماسكها وصلابتها فى الدفاع عن حقوقها . وقد صرح المسئولون السوفيت « بأن مفتاح الموقف فى **الشرق الاوسط فى يد العرب وحدهم وهو ليس فى يد الامريكيين وليس فى يدنا . ان العرب وحدهم هم الذين يستطيعون اختيار الحل الذى يريدونه وهم الذين يستطيعون فرضه سواء كان حلا سياسيا أم عسكريا »**

وتعتقد الدوائر السوفتية أن المهم هو بناء القوة الذاتية العربيه خاصة القوة العسكرية ، وهى ترى انه ليس هناك حل سياسى أو حل عسكرى. بل أن هناك عملا سياسيا عسكريا يؤدى الى أى الحلين » .

■ ■ ■

■ **الكونجو ــ برازافيل**

فى انتظار نتائج « حركة التصحيح »

بعد مرور ٦ شهور ، على وقوع «حركة ٣١ يوليو» فى الكونجو ــ برازافيل ، نظمت قيادة الحركة زيارة لعدد من الصحفيين الاجانب اشترك فيها بعض الصحفيين المصريين . ومن الواضح أن القيادة الجديدة فى برازافيل ، كانت تهدف الى أن تعرض أفكارها السياسية والاجتماعية لتوضيح طبيعتها ومواقفها أمام الرأى العام العالمى .

ويستخلص المعلقون للشئون الافريقية من الاحاديث والمناقشات التى جرت خلال الزيارة بين الصحفيين وقادة النظام الجديد ، عددا من « المفاتيح » الهامة التى تساعد على فهم مجرى الاحداث فى الكونجو برازافيل والتى ألقت عليها وكالات الانباء الغربية نوعا من الغموض لم يساعد وقتها على فهم ما يدور هناك .

لقد حدد قادة النظام الجديد فى برازافيل مواقفهم الفكرية والعملية من عدد من القضايا الهامة الداخلية والافريقية والعالمية .

وفى تحديد **ماريان نجوابى** رئيس **المجلس الوطنى للثورة** الذى قاد الحركة ضد **ماسيمبا ديبا** الرئيس السابق ، لاسباب الحركة يقول « ان الثورة التى هى نضال من أجل تحرير المجتمع كله ، تحولت الى صراع بين أفراد مما عرض المشكلات الحقيقية للبناء الوطنى للخطر . وهذا هو السبب فى أن جماعة جسورة من الثوريين الذين يتكونون أساسا من العسكريين وأفراد الدفاع المدنى وسائر القوى التقدمية ، أخذت على عاتقها وضع نهاية لهذه المهزلة » . ثم يضيف « اننا ثورة فى خدمة الشعب وليست فى خدمة جماعة صغيرة من الاغنياء الخبثاء » .

وجدير بالذكر ان اتهامات النظام الجديد للنظام السابق الذى كان يتبنى الاشتراكية العلمية ، تتلخص فى أن النظام السابق « كان يتحدث عن الاشتراكية العلمية دون أن يرسى قواعدها . كما انه لم يحل المشاكل الحقيقية — الاقتصادية والاجتماعية — للبلاد » . ويعطون أمثلة بتفشى البطالة « حتى وصلت الى ٥٠ ٪ بين خريجى المدارس والجامعة » . وكذلك « فان مرتبات الموظفين كانت تمثل ٧٠ ٪ من ميزانية الدولة . وتلك نسبة ليس لها مثيل فى العالم » . ومعروف أن ماسيمبا ديبا كان قد قاد الثورة فى ١٩٦٣ ضد نظام الاب يولو الموالى للاستعمار .

لذلك حدد **الفريد راءول** رئيس الوزراء الجديد طبيعة حركة ٣١ يوليو بقوله « انها مرحلة جديدة فى الثورة . انها حركة تصحيح ونحن نريد أن نضع الثورة فى الطريق الصحيح . انها مرحلة اعادة البناء وليس التغيير » . ويضيف ماريان نجوابى قوله « ان الثورة الاشتراكية مستمرة . وتلك مهمتنا » .

ويعود رئيس الوزراء الجديد فيحدد طبيعة المرحلة الاجتماعية للكونجو برازافيل فى الوقت الراهن ، بقوله « انها مرحلة الديمقراطية الوطنية » . ويعرض نجوابى لمهام هذه المرحلة وواجبات قيادة الحركة فيقول « ان الاشتراكية العلمية هى العلاج الوحيد . ولكننا نؤكد اننا يجب أن نحقق الثورة على مراحل . لان الحياة اثبتت انه من أجل السير بالاشتراكية — آخذين فى الاعتبار ضعف وسائلنا — يجب أن نكفل لاقتصادنا تطويرا حقيقيا لا ينتكس وأن نصبح سادة لاقتصاد بلادنا وأن نمتلك ثقافتنا . ان الاشتراكية لا يمكن أن تبنى فى أيام . انها هدف لا نستطيع أن نصل اليه الا درجة بعد درجة من خلال عملية ثورية تستغرق سنوات وسوف تتخطى جيلنا » . ويحدد مهمة القيادة الجديدة بالنسبة للقوى الاجتماعية بأن « مهمتنا الحالية هى التفكير أولا وقبل كل شيء فى الفلاحين والعمال دون اهمال للفئات الاجتماعية الاخرى » . ولكنه يحدد موقفا واضحا من الرأسماليين اذا عاقوا الثورة الاجتماعية فيقول « ان المرء عندما يمد يده اليهم ، فانه لابد ان ينتظر دائما دون جدوى ، ان يمسكوا بهذه اليد . أما الشعب فعندما يشعر بالجوع فانه لايستطيع ان ينتظر نواياهم الطيبة . واذ تستقر احوال هؤلاء الرأسماليين فانه لا شيء يعود علينا من أرباحهم . وكل شيء يخضع لمصلحتهم وتعود الاموال اليهم مرة أخرى . أما نحن فنحن صفر اليدين كما كان حالنا من قبل أى نظل منهوبين » . ويدعو نجوابى الى ضرورة تطبيق الديمقراطية ولكنه يحذر « بأن الديمقراطية فى نظرنا تعنى وسيلة للنضال الشعبى . أما المفهوم الغربى للديمقراطية فلا يصلح لبلادنا . ونحن لن نسمح لهؤلاء الذين يتخذونها ذريعة لتخريب الثورة . نحن نؤيد مبدأ الحزب الواحد على أن يصفى داخله أية خلافات . كما نؤمن بدور الشباب الذى يجب ان يدرب على القيادة . فالثورة تعنى عصرا جديدا وتحولا جذريا فى كافة الابنية السياسية والاجتماعية والاقتصادية على أن تقف مع الفلاحين والعمال ضد قوى الشر » .

وبشأن موقف القيادة الجديدة فى برازافيل من العدوان الاستعمارى على مصر فى يونيو الماضى ، يقول **بيير نزى** وزير الاعلام والثقافة وعضو المجلس الوطنى للثورة : « اننا نعتبر ان مصر وجيشها هما الدرع الواقى لافريقيا . وبدون مصر تصبح افريقيا مكشوفة أمام الاعداء » وبخصوص الحديث عن أى حل سياسى يقول رئيس الوزراء « اننى رجل عسكرى واذا كانت مهنتى تحتم القتال فاننى أفضل السعى وراء حل سياسى . ولكن يجب أن يكون حلا يصون الشرف . ان السلام الذى نؤيده هو السلام القائم على الشرف ، فلسنا من أنصار السلام لمجرد السلام » . ويضيف قائد الحركة الجديدة نجوابى « لقد كنا دائما مع الشعب المصرى وسنظل نؤيده » .

ويرى المراقبون الافريقيون ان ما جاء على لسان قادة النظام الجديد بشأن الموقف من **أمريكا** ، يلقى الضوء على موقفها من الاستعمار ككل . يقول رئيس الوزراء عن امريكا التى لا علاقات دبلوماسية بينها وبين الكونجو برازافيل منذ حكم ماسيمبا ديبا : « اننا نخشى اعادة هذه العلاقات . ان الولايات المتحدة تعمل على افساد ابنائنا بالرشوة وهى تريد أن تشترى بالدولار كل شيء حتى ضمائرنا . اننا سنبنى كوادرنا الثورية أولا ثم نفكر فى اعادة

العلاقات مع أمريكا . ولكنك اذا أردت أن تعرف مشاعر شعبنا تجاه أمريكا فانظر الى الضفة المقابلة فى **الكونجو كينشاسا** حيث تربض بنا أمريكا . انهم يودون ابتلاعنا بدولاراتهم » .

وحول ما أثير من أسئلة عن النظام الجديد وعلاقات الكونجو برازافيل **بالصين الشعبية** يقول رئيس الوزراء « فيما يتعلق بنا فليس لدينا مانشكوه من الرفاق الصينيين . فنحن لدينا مشاكل داخلية وعلينا نحن أن نحلها . ونحن مخلصون لمبادئنا وهى التعاون مع جميع الدول التى تساعدنا » .

وتتخذ التحقيقات التى كتبها الصحفيون بعد مغادرة برازافيل ، من « التغييرات الهامة » التى يعتقدون « بدلالتها » أن **باسكال لوسوبا** — وهو من « الماركسيين اليساريين » بتعبير هذه التحقيقات — قد تولى منصب وزير الزراعة فى النظام الجديد ، وأن **امبرواز نومازالارى** — وهو أيضا كما تقول هذه التحقيقات ، « يسارى يوصف بالتطرف — واحدمن أعضاء المجلس الوطنى للثورة .

وترى الدوائر الوطنية والتقدمية فى حركة التحرر الافريقى ، انه رغم أن هذه التصريحات تحدد مواقف فكرية وعملية واضحة من بعض القضايا الداخلية والخارجية الهامة، الا أن الاختبار الحقيقى لصدق هذه المواقف واصالتها هو ما سوف تجيب عليه الشهور القادمة ومدى ما يتحقق بالفعل من مكاسب ايجابية « للفلاحين والعمال » — كما تقول القيادة الجديدة — فى برازافيل .

■ ■ ■

■ **فيتنام**

اكتمال الشكل الدبلوماسي لبدء مفاوضات حقيقية

لم يتم الاتفاق بين وفدى فيتنام الشمالية ، والولايات المتحدة الامريكية فى محادثات باريس ، على الرغم من انقضاء ما يزيد على تسعة شهور منذ بدئها ، الا على بدء المفاوضات الموسعة بين الاطراف الاربعة فى المشكلة وهم فيتنام الشمالية ، والولايات المتحدة الامريكية ، وحكومة فيتنام الجنوبية ، وجبهة التحرير الوطنى لفيتنام الجنوبية .



● **هنرى كيسنجر** ●

ويرى بعض المراقبين السياسيين ، أنه على هذا النحو يكون قد اكتمل الشكل الدبلوماسى الذى يمكن ان تجرى من خلاله مفاوضات جادة وحقيقية من أجل تصفية المشكلة الفيتنامية ، خاصة بعد ان تولى الرئيس نيكسون مهام الرئاسة الجديدة فى البيت الابيض الامريكى .

وقد اشارت « الفينانشيال تايمز » البريطانية فى أوائل يناير الماضى ، الى ان هناك دلائل توضح تبرم الامريكيين من استمرار الحرب ورغبتهم فى الانسحاب ، وان كانوا لم يتمكنوا حتى الان من ايجاد السبيل الى ذلك . فقد ادلى « كلارك كليفورد » وزير الدفاع الامريكى السابق ببيان سياسى ، تنبأ فيه بانسحاب القوات الامريكية من فيتنام خلال فبراير الحالى ، وأشار الى انه ليس من حق سايجون الشكوى من ذلك . كذلك دعا « **كليفورد** » و « **هنرى كيسنجر** » مساعد الرئيس « **نيكسون** » لشئون الامن القومى ، الى بذل أقصى المجهودات الممكنة للتوصل الى اتفاق مع حكومة هانوى لسحب القوات الامريكية والفيتنامية الشمالية من فيتنام الجنوبية ، دون انتظار التوصل الى تسوية سياسية لمشكلة فيتنام .

والحقيقة ان هذا القلق الامريكى بشأن وقف القتال عمليا ، يعود الى تدهور الموقف العسكرى ، وزيادة الخسائر الامريكية بشكل ملحوظ فى الفترة الاخيرة . يزيد من ذلك التدهور ، اقدام الثوار على تصعيد عملياتهم العسكرية بشكل لم يسبق له مثيل منذ الوقف الشامل للغارات على الشمال فى أول

نوفمبر الماضى . فقد شن الثوار هجوما عنيفا فى منتصف يناير الماضى على ٢٨ قاعدة عسكرية ومطارا حربيا ومعسكرا للقوات الامريكية والحكومية ، و ٢٥ من المدن الصغرى بها . وقد تركز هذا الهجوم الذى لم يسبق له مثيل منذ نوفمبر على دلتا نهر ميكونج ، وجنوب سايجون ، والمداخل الغربية لسايجون . كذلك اقتحم الثوار اكبر قاعدة جوية فى دلتا الميكونج وحطموا ١٨ طائرة امريكية ، واشعلوا النار فى ٥٠٫٠٠٠ جالون من الوقود فى قاعدة بليكو الجوية الامريكية .

والملاحظ عامة من جانب عدد من المراقبين السياسيين والعسكريين هو ان الثوار ، يستهدفون اسقاط سايجون بتحركاتهم الاستراتيجية الاخيرة . ويتابع المراقبون العسكريون باهتمام خاص خطط الثوار المتتابعة المتعلقة بالاطباق على سايجون ، وتتسم هذه العملية بأهميتها الكبرى ، لا من زاوية انها قد تعد من أخطر معارك مابعد الحرب العالمية الثانية ، وانما من زاوية دلالتها فيما يتعلق بقدرة الثوار الفيتناميين على احراز نصر عسكرى كلاسيكى فى فيتنام الجنوبية وهى مسألة كانت محل خلاف شديد بين المعلقين السياسيين والعسكريين فى العالم منذ بدء الحرب الفيتنامية .

وتوضح آخر الانباء العسكرية ان قتالا عنيفا يدور بين الثوار والقوات الامريكية والمتحالفة معها ، حول سايجون من جميع الجوانب ، وان الثوار قد أقاموا سلسلة من المخابىء الضخمة حولها . كذلك أوضح محافظ سايجون أخيرا ان قيادة الثوار قد شكلت اجهزة داخل كل حى فى العاصمة ، وعينت كذلك اعضاء الحكومة التى تعتزم جبهة التحرير الوطنى اعلانها فى « اللحظة المناسبة » .

هذا بينما تتردد الانباء فى باريس عن زيادة الضغط داخل الحكومة الامريكية من أجل ابعاد الجنرال « **كاوكى** » من حكومة فيتنام الجنوبية تسهيلا لاجراء مباحثات السلام . وقد أشار المعلق الامريكى السفير « **سولزبيرجر** » فى الهيرالد تريبيون الدولية (اوائل يناير الماضى) الى انه « من المحتمل ان تحتفظ الولايات المتحدة فى يديها بورقة رابحة تتمثل فى « مينه الكبير » الجنرال الذى عاد من منفاه فى بانجكوك الى فيتنام الجنوبية والذى يحظى بمكانة كبيرة فى جيشها » . ويرى سولزبيرجر انه « اذا احتاج الامر فسيكون مينه جديرا برئاسة ما اسماه « بحكومة سلام » فى سايجون .

أما فيما يتعلق بفيتنام الشمالية ، فقد بدأت الحكومة هناك فى وضع مشروعات بعيدة المدى للانشاء والتعمير لتنفيذها بعد الحرب . واتخذت الخطوات الاولى لترميم وأصلاح هياكل المصانع التى اتلفتها الحرب ، وبدىء فعلا فى استخراج الالات المدفونة تحت الانقاض ، ورفعت انقاض المصانع التى هدمتها القنابل الجوية فى المراكز الصناعية ، هذا فى الوقت الذى اهتمت فيه قيادة حزب العمل الفيتنامى الحاكم باعادة انشاء الادارة المركزية للاشراف والتخطيط للتغلب على الصعاب التى نشات بسبب اللامركزية التى حتمتها ظروف الحرب .

■ ■ ■

■ **بريطانيا**

تصدع مؤتمر الكومنولث تحت وطأة « التكتلية » والتفرقة العنصرية

انتهت اجتماعات اقطاب دول الكومنولث بفشل مؤتمرهم فى تحقيق اتفاق على اى من المسائل الاساسية التى سيطرت على مناقشات المؤتمر [وهى مشكلة روديسيا والحرب الاهلية فى نيجيريا وهجرة الملونين الى بريطانيا وانسحاب بريطانيا من الشرق الاقصى] ، وقد ضم المؤتمر هذه المرة ٢٨ دولة من بينها ١٢ دولة تحضره لاول مرة .

وقبل انعقاد المؤتمر ، شنت الصحافة البريطانية ، بشكل ملحوظ ، حملة مركزة ضد الكومنولث ، وصلت الى حد المطالبة بانسحاب بريطانيا منه بعد أن أصبح مجرد مجال لاجراء المحاكمات السياسية لبريطانيا ، و « ابتزازها » من قبل حكام المستعمرات السابقة . وأوضحت « الديلى تلجراف » البريطانية أنه « لايوجد فى العالم ، مايماثل الشعور السائد فى بريطانيا بعدم المبالاة الذى يصل الى حد الاستهزاء بالكومنولث » . ثم راحت تذكر الرأى العام البريطانى بوقوف أغلب دول الكومنولث ضد بريطانيا فى حرب السويس ، وفى كثير من المشكلات العالمية الاخرى . وانتهت الصحيفة الى دعوة صريحة لاقامة تنظيم محدد وموحد الارادة خاصة من الدول القديمة فى الكومنولث .



● جوليوس نيريرى ●

ولقد بدأت الاتجاهات التكتلية بين أخلص أنصار بريطانيا قبل انعقاد المؤتمر . فمن جانب سارعت بريطانيا الى طمأنة حلفائها فى جنوب شرقى آسيا بخصوص انسحابها من شرق السويس قبل نهاية ١٩٧١ ، فأعلن عن قيام القوات الجوية البريطانية ، بأكبر عملية تدريب لاعادة تموين الطائرات فى الجو ، كى تثبت بريطانيا « أنها سوف تظل تملك القدرة على انزال قوات فعالة بواسطة الطائرات التى تفوق سرعة الصوت فى أى منطقة من مناطق الكومنولث التقليدية خلال ٤ أيام على الاكثر » . وتزعم رئيس وزراء استراليا الاقتراح بتشكيل « قوة دفاعية خماسية » للدفاع عن جنوب شرق آسيا ، تشترك فيها كل من استراليا ونيوزيلندة ، وماليزيا وسنغافورة ، وبريطانيا . وتزعمت جمايكا وكندا واستراليا الاتجاه الى خلق تنظيم جديد يكون أكثر تحديدا . والملاحظ عامة أنه فى حين ركزت استراليا ونيوزيلندة ، وسنغافورة ، وماليزيا على النتائج العسكرية المترتبة على انسحاب بريطانيا ، ركزت الهند وسيلان على الدلالات الاقتصادية لهذه الخطوة . كذلك أفصحت الهند عن اهتمامها بشكل خاص بالموقف فى الشرق الاوسط ، لان اغلاق قناة السويس ، قد الحق أضرارا خطيرة بتجارتها ، وعبرت مالطة وقبرص عن شعورهما بالاضطراب العميق ازاء أخطار العنف فى شرق البحر المتوسط .

هذا وقد دعت جريدة « الديلى تلجراف » الى « اعادة تشكيل الكومنولث أو أن ينفض نهائيا » . كما كان رؤساء دول « القوة الخماسية » سباقين الى التبشير بانهيار الكومنولث ، فدعا رئيس وزراء سنغافورة الى اعادة تشكيل الكومنولث ، لتحويله الى منظمة للتنمية الاقتصادية ، قائلا « ان الكومنولث لايستطيع أن يكون أمما متحدة صغيرة » (*).



ومما هو جدير بالذكر أن « الفيناننشيال تايمز » البريطانية ، قد أشارت فى ١/٦ الماضى الى أن اجتماع رؤساء الوزراء هو اقل اوجه نشاط الكومنولث أهمية ، وأن اكثر أعماله قيمة تتحقق فى الاجتماعات والمناقشات الاصغر حجما والاقل علانية حيث لا يعرف أحد عنها شيئا فى أغلب الامر . هذه الاجتماعات التى تجرى بهدوء طوال العام . فى نفس الوقت الذى أكد فيه كثير من المراقبين السياسيين أن المواقف التكتلية الاخيرة قد تمت فى الاجتماعات الجانبية ، ولم تطرح على المؤتمر كنقاط محددة فى جدول أعماله بالطبع ، واكتفى بالاشارة اليها فى المناقشات العامة ، كنوع من « أعلام » المؤتمرين . **واذا كان المؤتمر قد أعلن تأييده لفكرة الاتفاق بين الدول الكبرى لتنفيذ قرار مجلس الامن بالنسبة للشرق الاوسط** ، والدعوة للتعجيل بالمفاوضات الفيتنامية ، فانه لم يستطع أن يتقدم خطوة واحدة الى الامام فى النقاط التى أدرجت رسميا فى جدول أعماله .

ففى مشكلة بيافرا ، أشارت النيوستيتسمان البريطانية الى الاقتراح الذى لاقى اهتماما ملحوظا ، والخاص بمرابطة قوات من الكومنولث بين الطرفين المتحاربين خلال محادثات السلام (*). لكنها أشارت فى نفس الوقت الى عدم توصل المؤتمر الى شىء تنفيذى بهذا الخصوص وأوضحت **أن عدم تمكن المؤتمر من مساعدة « الملايين من مواطنى الكومنولث فى نيجيريا فى مأساتهم الاليمة ، سيزيد من الاستخفاف بمكانة الكومنولث »** . وعلى أية حال ، فالواضح بشكل عام لكثير من المراقبين السياسيين هو أن الاتجاهات التى تمزق الكومنولث ، تشتد فى أفريقيا بصفة خاصة ، حيث تثير السياسة البريطانية بالنسبة للمسألة الروديسية استياء واستنكارا عموميين . فقد أوضحت بريطانيا فى المؤتمر أنها لن تصر على قيام حكم الاغلبية الافريقية فى روديسيا ، وأنها تعتزم البحث عن تسوية مع حكم سميث العنصرى وقد علقت برافدا السوفيتية على ذلك موضحة أن الشعوب الافريقية بدأت على هذا النحو ، تدرك مرة أخرى ، أنها لايمكن أن تعتمد على مساعدات الاوساط الحاكمة البريطانية فى نضالها من أجل تعزيز ودعم الاستقلال والتحرر من سلطة العنصريين (*).

وقد وجه الرئيس **جوليوس نيريرى** وغيره من القادة الافريقيين ، هجمات حادة ضد هارولد ويلسون بسبب موقفه من الحكم العنصرى فى

روديسيا ، كما تعرض أيضا للهجوم من جانب وزير خارجية باكستان بسببرضوخ حكومته للاتجاهات العنصرية داخل بريطانيا ، المعادية للملونين واعلانها رفض قبول المهاجرين الاسيويين اليها ، وتساهلها مع وجود العنصرية العنيف الذى يسود بريطانيا ، مثل المطالبة بطرد الملونين ، بدعوى أنهم السبب فى أزمة المساكن وأزمة التعليم . ولقد **أصر ويلسون على تحديه لزعماء الكومنولث برفضه سحب مشروعه للاعتراف « بروديسيا ايان سميث » ، ولكل الاقتراحات الخاصة بالمشاكل الاخرى ، وفضل أن يتحمل مسئولية فشل المؤتمر نهائيا .**

وقد علقت البرافدا السوفيتية على هذا المؤتمر موضحة : أنه رغم التباين والتعارض فى مواقف دول الكومنولث المختلفة ، فهناك نتيجة هامة يمكن استخلاصها وهى **أن مكانة ونفوذ بريطانيا فى هذه المنظمة ، آخذان فى الهبوط عاما بعد عام** . واذا كان رئيس وزراء بريطانيا مازال يرأس اجتماعات المؤتمر ، الا أنه ما من أحد ينظر نظرة جادة الى الدور « القيادى » الذى تدعيه بريطانيا لنفسها . وأن المؤتمر الحالى سيؤدى الى مزيد من استقطاب المصالح بين دول الكومنولث وانقسامها الى دول تؤيد التطور السلمى التقدمى للدول الحديثة الاستقلال ، والنضال ضد نظام التفرقة العنصرية البغيض ، ومن أجل الاستقلال الحقيقى ، ودول لاتزال تسعى الى المقامرة بالاحلاف العسكرية ، والابقاء على اعتماد المستعمرات السابقة على الدول الامبريالية .

■ ■ ■

■ **الاتحاد السوفيتي**

البحر المتوسط ليس بحيرة أمريكية

أحداث

تصريح الاميرال **فلاديمير كاساتونوف** نائب قائد عامالقوات البحرية السوفيتية عن الاسطول السوفيتي فى البحر المتوسط ، زدود فعل من الاهتمام الواضح لدى الدوائر السياسية والعسكرية فى العالم وبخاصة فى الغرب . فقد صرح كاساتونوف بأن « الاتحاد السوفيتي يهتم اهتماما مباشرا بالسلام والامن فى البحر المتوسط لانه دولة من دول البحر الاسود الذى يعتبر امتدادا مباشرا للبحر المتوسط» ثم أضاف « أن البحر الابيض لم يعد بحيرة أمريكية » .

وينظر المراقبون الى هذا التصريح ؟ على أنه بمثابة اعلان رسمى عن التغيير الذى طرأ على الاستراتيجية السوفيتية بشأن العلاقات مع المعسكر الغربى . هذا التغيير الذى يستدلون عليه من حقيقتين أساسيتين : **أولا** : تزايد وحدات الاسطول السوفيتي فى البحر المتوسط الى حوالى ٦٠ قطعة — حسب تقدير دوائر حلف الاطلنطى — من بينها بوارج للصواريخ وغواصات ذرية وقطع لانزال الجنود . **ثانيا** : قيام دول **حلف وارسو** « بحركة تشيكوسلوفاكيا » فى منتصف العام الماضى وبقاء بعض من القوات الاشتراكية على الحدود بين تشيكوسلوفاكيا والمانيا الغربية « حماية للنظام الاشتراكى » .

واذ يربط المراقبون السياسيون بين هاتين الحقيقتين ، فانهم يستخلصون النتائج التالية : **أولا** : ان المعسكر الاشتراكى يمارس سياسة التعايش السلمى الان بمفهوم أنه « سياسة هجومية » ضد « أعمال التحدى والعدوان الامبريالية » ، لا بمفهوم أنه « سياسة دفاعية » .. كما أوضح ذلك **أولبرخت** رئيس **جمهورية المانيا الديمقراطية** فى أحد تقاريره أمام الحزب . **ثانيا** : أن مجرد وجود الاسطول السوفيتي فى البحر المتوسط « يكفى لمنع وقوعمغامرات«الحرب المحدودة » التى يمارسها الامريكيون كتلك التى قاموا بها عام ١٩٥٨ عندما أنزلوا قواتهم البحرية فى لبنان » .. كما تقول صحيفة **لوسوار البلجيكية** . **ثالثا** : أن مركز عمل القوات السوفيتية قد اقترب — بذلك — من أجهزة حلف الاطلنطى وظهر ثقل الاتحاد السوفيتي أكثر من ذى قبل . ويفهم الغرب ذلك على ضوء قول المراقبين الغربيين بأن « السوفيت كانوا يعتبرون دائما قوات الدول الاشتراكية الاخرى كوحدات للخط الثانى وليس للخط الامامى للقتال » .

وتقول وكالة نوفوستى للانباء السوفيتية أن الاسطول السوفيتي « وحركة تشيكوسلوفاكيا» قد دفعا « بالتوازن التكتيكى فى وسط أوروبا ومنطقة البحر المتوسط الى صالح الدول الاشتراكية ودول التحرر الوطنى » . والجدير بالانتباه ، أن اعادة التوازن هذا قد تم فى وقت يعانى فيه حلف الاطلنطى خلافات داخلية — فضلا عن الازمة التى سببها مقاطعة فرنسا لاجتماعات الحلف — وتدور هذه الخلافات حول عدد من القضايا الهامة تبدأ من مشكلة تجديد المعاهدة بين دوله الى مشكلة تدعيم « الجناح الجنوبى للحلف » مارة بمشاكل التمويل والقيادة . يضاف الى ذلك ميل **أسبانيا** الى أن تسلك — كما تقول وكالات الانباء الغربية — « نهجا مستقلا عن سياسة الحلف ، لم يكن متوقعا » . ويرجح

المراقبون موقف اسبانيا هذا بين احتمالين : ١ ـ مساومة امريكا على معونات أكبر . ٢ ـ او احساسها بخطورة لعبة الانخراط التام فى تنفيذ سياسة الحلف فى وقت أصبحت فيه موانيها ومدنها لا تبعد كثيرا عن مرمى مدافع وصواريخ القطع البحرية السوفيتية .. اذا نشبت الحرب.

لقد كانت **الولايات المتحدة** ، هى أكثر الدول الغربية اهتماما بتزايد قطع الاسطول السوفيتى فى البحر الابيض ، حيث راح قادتها العسكريون يقولون « بأن القوى البحرية السوفيتية تشكل دون شك تهديدا عسكريا خطيرا . ولكن اهمية تجمعها هى فى المحل الاول اهمية سياسية وسيكلوجية . ان وجود سفينة واحدة له اثر سياسى » . ويقول قائد القوى البحرية والجوية لحلف الاطلنطى « انهم [أى السوفيت] يهدفون بمحاولاتهم الدعوبة الى الاخلال بالتوازن فى هذه المنطقة » . وترى بعض الدوائر السياسية العالمية أن مبالغة أمريكا وتهويلها لوجودالاسطول السوفيتى فى البحر الابيض يهدف ـ فيما يهدف ـ الى الضغط على حلفائها لرصد ميزانيات أكبر لاعمال التسلح وتخويل القيادة الامريكية فى حلف الاطلنطى صلاحيات أكبر . فضلا عما يعنيه ذلك من تغذية لفكر وحركة الاتجاهات الفاشية فى أوروبا الغربية وبخاصة فى المانيا الغربية . ويستدل المراقبون على هذه « المبالغة » ، بقول صحيفة لوسوار البلجيكية فى ديسمبر الماضى بأن « القوة الحالية للاسطول السوفيتى فى البحر المتوسط ليست قوة ساحقة » .

وبينما ترد بعض الصحف الغربية الاتجاه السياسة البحرية السوفيتية الجديدة الى « ازمة الصواريخ فى كوبا عام ١٩٦٢ » حيث بدأ «وضع برنامج بحرى لتدعيم الاسطول السوفيتى على مستوى عالمى » ، يقول الاميرال كاساتونوف أن اهتمام بلاده « ببناء قوتها البحرية فى البحر المتوسط يعود الى عشية العدوان الاسرائيلى واثناءه على الدول العربية »» ويضيف كاساتونوف « أن وجود الاسطول السوفيتى فى البحر المتوسط يتفق مع مصالح الشعوب العربية التى تعتبر الاتحاد السوفيتى دولة صديقة لها » .

وقد أحدث هذا التصريح ردود فعل متباينة فى منطقة الشرق الاوسط والبحر المتوسط . بينما هاجمت كل من **اسرائيل وتونس** وجود القطع السوفيتية فى البحر المتوسط ، أبدت كل من **الجمهورية العربية المتحدة والجمهورية الجزائرية** عدم قلقها من هذه القطع . اذ تقول صحيفة « **لاكسيون** » التونسية « أن الوجود السوفيتى فى البحر المتوسط يؤثر على توازن القوى فى هذه المنطقة . فمنذ ١٠ سنوات فى صيف ١٩٥٨ واجهت الاردن ولبنان تهديدا خطيرا من جانب المخربين القادمين من الخارج [!] . وبناء على طلب كميل شمعون والملك حسين تدخلت القوات الامريكية والانجليزية دون أن تطلق طلقة واحدة ، وتم القضاء على المحاولات الانقلابية [!] وعاد الوضع الى الهدوء » . لقد ذهبت الصحيفة التونسية بذلك فى رأى المراقبين العرب الى حد الدفاع عن التدخل الامريكى والبريطانى عن طريق الاسطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط الذى تعتبره **اسرائيل** ـ على لسان **ليفى أشكول** ـ « الاحتياطى الاستراتيجى لاسرائيل » .

وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد أوضح فى الدورة الطارئة للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى بأن الجمهورية العربية المتحدة لاترى بوضوح فى وجود الاسطول السوفيتى تهديدا لاستقلال الشعوب العربية وأمنها بل على العكس ترى فيه موازنة للقوى الامبريالية فى المنطقة . ومن تصريح « لمسئول جزائرى كبير » الى وكالة نوفوستى السوفيتية يقول « اننا نشعر بأمن كبير لاننا نعرف أن الاسطول السادس الامريكى لم يعد باستطاعته ان يسير دون رادع فى البحر المتوسط » .

ومن التصريحات ذات الدلالة البالغة فى نظر الدوائر السياسية والعسكرية الغربية ، قول الادميرال **سيرجى جورشكوف** قائد الاسطول السوفيتى فى الاسابيع القليلة الماضية « بأن علم الاسطول السوفيتى يرفرف اليوم بفخار فوق بحار العالم . وسوف تدرك الولايات المتحدة أن عاجلا أو آجلا أن السيادة على البحار لم تعد وقفا عليها»

■ ■ ■

■ تجارب الفضاء

بين برنامج أبوللو ومحطات الفضاء السوفيتية

فى ١٨ من الشهر الماضى ، هبطت سفينة الفضاء السوفيتية سيوزا ـ ٥ بعد ان قامت بتجربة مثيرة فى الفضاء بالالتحام مع السفينة سيوز ـ ٤، وبذلك تم انشاء اول محطة فى الفضاء. ويعتبر هذا النجاح الضخم الذى حققه السوفيت الى جانب نجاح دوران أبوللو ٨ حول القمر ،

وبرنامج ابوللو الامريكى للوصول الى القمر عام ١٩٦٩ ، من ابرز ماتوصل اليه الانسان منذ ان بدا محاولاته لغزو الفضاء ».

ومن قبل ، وفى ٢٧ ديسمبر الماضى هبطت سفينة الفضاء الامريكية ابوللو ٨ بملاحيها الثلاثة بعد ان قاموا برحلتهم حول القمر وعلى بعد ١١١ كيلومترا من سطحه . وكان نجاح ابوللو ٨ فى رحلتها كما قال رجال الفضاء السوفيت « عملا هاما فى مجال التقدم العلمى والتكنيكى ومرحلة هامة فى تطور معرفة سكان كوكبنا بالعالم .» ولم تكن ابوللو ٨ سوى مرحلة فى برنامج الولايات المتحدة المعروف باسم « برنامج ابوللو للوصول الى القمر عام ١٩٦٩ » . والخطوة التالية فى هذا البرنامج ستتم يوم ٢٨ فبراير الحالى حيث ستنطلق سفينة الفضاء ابوللو ٩ فى دورة حول الارض تستغرق عشرة ايام . والهدف من اطلاق ابوللو ٩ هو اختبار وتجربة عملية انفصال المركبة — التى ستهبط فى المستقبل على سطح القمر — عن السفينة الام « ابوللو ٩ » ثم عودتها للالتحام بها مرة اخرى . وسيقوم ملاحو السفينة ابوللو ٩ بالانتقال الى المركبة القمرية اثناء دورة ابوللو ٩ حول الارض ليختبروا محركاتهاواجهزتها ويجربون خطوات الهبوط على سطح القمر والعودة ، بينما هم فى مدارهم حول الارض .

واذا مانجحت ابوللو ٩ فى مهمتها ستطلق فى مايو السفينة ابوللو ١٠ لتقوم بنفس التجربة فى مدار القمر وعلى بعد عشرة اميال من سطحه . ثم تنطلق بعد ذلك ابوللو ١١ فى يوليو ١٩٦٩، وبها ثلاثة من ملاحى الفضاء لتقوم لاول مرة فى تاريخ الانسان بانزال رجلين على سطح القمر . وسيكون ملاحو الفضاء الذين سيهبطون فوق سطح القمر لساعات على اتصال لاسلكى مباشر بالارض ، وستلعب المركبة القمرية دورا اساسيا فى عملية الهبوط فوق سطح القمر ثم الصعود بالملاحين مرة اخرى للالتحام بابوللو ١١ التىتكون فى ذلك الوقت فى مدارها حول القمر .

وسيعود ملاحو الفضاء الذين هبطوا فوق القمر ومعهم عينة من سطح القمر . وسوفيكون ذلك عملا هاما فى تاريخ العلم فلطالما تخيل الانسان سطح القمر وابدى الاراء حوله.وسيكون فى متناوله لاول مرة اذا مانجحت ابوللو ١١ فى مهمتها باحضار عينة منه لتحليلها ليتقرر بشكل نهائى وجه الشبه بين سطح القمر وسطح كوكبنا والصلة بينهما . وستؤدى دراسة سطح القمر ومعرفة تاريخه الى حل المعضلة التى طالماواجهت الانسان حول اصل ونشأة الكوكب الذى يعيش عليه ، وحول نشأة وتطور المجموعة الشمسية .

وفى الوقت الذى كان العالم لايزال يموج فيه بأخبار نجاح ابوللو ٨ ، وبآفاق برنامج ابوللو الامريكى للهبوط على القمر عام ١٩٦٩ ، اطلق الاتحاد السوفيتى فى منتصف يناير سفينةالفضاء سيوز—٤ يقودها شاتالوف لتدور حول الارض ثم اتبعتها بعد ٢٤ساعة بسفينة فضاء اخرى سيوز —٥ بها ثلاثة من ملاحى الفضاء . ثم اخذت السفينتان تقتربان من بعضهما حتى بلغتالمسافة بينهما مائة متر ، وعندئذ بدا **شاتالوف** قائد سيوز—٤ باستخدام وسائل التوجيه اليدوى حتى تم اللقاء بين السفينتين . وعلى الاثر حدثت عملية تعشيق ميكانيكية بين السفينتين بحيث اطبقتا على بعضهما باحكامشديدوتمتوصيل الدائرة الكهربائية فى كل منهما معا . وبهذا اقيمت اول محطةفضاء كونية من نوعها تضم اربع قمرات لاربعة رواد فضاء . وبعد ان تمت عملية الالتحام ومضت محطة الفضاءالكونية فىدورتها الخامسةوالثلاثين حول الارض قامرائدا الفضاءالسوفيتيان **خرونوف وبليسيف** بتجربة مثيرة حين غادرا سفينتهماسيوز —٥ وسبحا فى الفضاء وامضيا مايقرب منساعة فى ظروف الفضاء الخارجى ثم انتقلا الى سيوز —٤ . وهذه اول مرة فى التاريخ ينتقل فيها رواد الفضاء من سفينة الى اخرى وهما تدوران حول الارض . وعلق علماء الغرب على هذه التجربة موضحين ان ماانجزه خرونوف وبليسيف يعتبر فتحا جديدا فى ميدان ارتياد الفضاء لانه يعنى انه اصبح من الممكن انقاذ رواد الفضاء عندما يتعرضون للخطر فضلا عن امكانية انتقال الرواد من محطة الى اخرى ومن سفينة الى اخرى.

ويهدف الاتحاد السوفيتى من وراء هذهالتجربة الى استكمال قدرته العلمية والتكنولوجية على انشاء محطات فضاء ضخمة تتكون من تجميععدة سفن . وتبقى هذه المحطات فترات زمنية تصل الى شهر كامل ويعيش بداخلها عدد من الملاحين. وستكون هذه المحطات منطلقا الى القمروالكواكب الاخرى .

وقد علق عالم الفضاء البريطانى لوفيل على التجربة السوفيتية قائلا « ان نجاح الالتحام بين سيوز—٤ وسيوز—٥ جعل السوفيت متقدمين ٤ سنوات فى هذا المجال عن الامريكيين ولو انهم لايحاولون الآن الدخول فى منافسة مع برنامج ابوللو الامريكى للوصول الى القمر . الا ان محطة الفضاء السوفيتية الجديدة سوفتعطيهمبدونشك مرونة كبيرة فى عمليات الوصول الى القمر واستكشاف النجوم عام ١٩٧٠ ».

■ فنون

بدايه الموسم .. أم نهايته ؟

بدأ الموسم المسرحي في ظل ميزانية التقشف العامة من ناحية ، وفي ظل حالة «توتر الشامل لمعظم الكتاب . وربما كان هذا التوتر بالذات هو العنصر الفعال فيما نتوقعه الان بين ليلة واخرى من توقف للعروض الجديدة ، ولا يبقى هناك من منقذ حتى لا تغلق المسارح ابوابها الا « الريبورتوار » في القطاع العام والنشاط الموفور للقطاع الخاص .

ولا شك ان الظروف التي رافقت مسرحية « العرضحالجي » في خاتمة الموسم الماضي ، هي نفسها التي واكبت مسرحية « الحسين » و «جيفارا» في بداية الموسم الجديد .. بحيث ان كتابنا المسرحيين قد أصبحوا على حافة الاحجام الفعلى عن « المبادرة » في الكتابة للمسرح .. ولذلك تفتقر المؤسسة في الوقت الحاضر الى النصوص البديلة ، والقابلة للعرض . ومن هنا يزدهر النشاط المسرحي لفرقة الفنانين المتحدين وثلاثي اضواء المسرح وغيرهامن الفرق الخاصة. ويسهم المناخ الذي نعيش فيه اسهاماواضحا في ترويج الكوميديا والفارس بشتى أنواعهما ومستوياتهما .

ففي وقت واحد يقدم المسرح الكوميدى التابع للمؤسسة مسرحيتي « **التبريزي** » لالفريد فرج ، و « **الصعلوكة** » المصرة عن الكاتب الفرنسي **مارسيل ميتوا** ، ويقدم ثلاثي اضواء المسرح «**حدث في عزبة الورد**» لعلىسالم، وتقدم الفنانينالمتحدين « **سيدتي الجميلة** » . ومن الظواهر البالغة الاهمية ، ان هذه الاعمال جميعها تحرز نجاحا تجاريا لا لبس فيه ، سواء كانت عملا جادا او هازلا . وهذا ما يؤدىبنا الىالقول بأن الكوميديا تلقى رواجا شعبيا مضاعفا في ظل المناخ الثقيل الوطأة الذي نعيش فيه أيامنا هذه . ويقترب منها في الرواج الاعمال التي تمتزج بالرقص والغناء كما هو الحال في « **سيدتي الجميلة** » و « **بلدى يا بلدى** » ، فهما يؤكدان بالمثل ظاهرة الحاجة الملحة من جانب الجماهير المشاهدة الى « التفريج » عن همومها سواء بالضحك أو بنشوة الغناء والرقص .

على انه بينما نجد كاتبا جادا ومسئولا مثل « **ألفريد فرج** » يوظف الطاقة الكوميدية الهائلة في « التبريزي وتابعه قفه » توظيفا فكريا عميقا يرتفع الى مستوى احتياجاتنا الحقيقية بغير ان يتناقض الفكر مع الاسلوب الساخر اللاذع الذي يؤدى دوره الضاحك على خير وجه .. نجد ان المسرحية المصرة « الصعلوكة » والمسرحية المؤلفة « حدث في عزبة الورد » تختلقان « اشكالات » — ولا نقول مشكلات — تثير الضحك حقا ، ولكنها ابعد ما تكون عن المعاناة الحقيقية لاية جزئية من جزئيات واقعنا الملموس. فاذا كان الفريد فرج يكرر القول من خلال الجو الفولكورى لالف ليلة وليلة بأن الاشتراكية هي الحل الوحيد لازمة المدينة المتخمة بفقرائها والمتورمة بجيوب القلة من اغنيائها، حتى ولو كان الامل هو القافلة الوهمية للامير المفلس ، فان على سالم يلجأ بدوره الى الفانتازيا المستوحاة من العلم فيفترض مشروعا خرافيا لطبيب بيطرى مجنون يجرى تجاربه على الحيوان والانسان لحل مشكلة « المكان » في حياتنا ، اى لحل أزمة المواصلات وأزمة الاسكان وما الى ذلك بواسطة « تصغير » الكائن الحي وتجميده فترة من الزمن ، هي فترة احتياجه « للمكان » سواء كان أوتوبيسا — اثناء الركوب — أو كان غرفة النوم اثناء النوم . والمفارقة الكوميدية في مسرحية الفريد فرج هي ان الضمان الذي يأخذ الامير بأسمه من الاغنياء ، ويعطى الفقراء هو ضمان وهمى ، ولكن « الفعل » المسرحي هو تحقيق هذا اللون الاسطورى من الوان العدل الاجتماعي . أما المفارقة في مسرحية على سالم فتقوم على أساس هذه التناقضات بين جنون الطبيب البيطرى وعقل العالم من حوله . وهي تناقضات مصنوعة لا تثمر « فعلا » مسرحيا حقيقيا . على أنه اذا كان عبد المنعم مدبولى هو المخرج المناسب لامثال هذهالفارسات الصارخة، فان عبد الرحيم الزرقاني ليس هو المخرج المناسب لمسرحية الفريد فرج ، بوقاره المعهود وكلاسيكيته العاقلة .

ولعله من المفيد التعرض لما قيل بشأن مسرحية الفريد فرج من أنها « أعلى » ما توصل اليه المسرح المصرى في تاريخه ، وأنها أول تفوق حقيقي على كتابات توفيق الحكيم [**بدر الديب في الجمهورية**] . وكذلك من المفيد التعرض لظاهرة الرواج المذهل لمسرحية على سالم « اربعة أشهر متواصلة حتى الان » .. فالحق أن هذه الاحكام المطلقة تلحق اضرارا بالغة بمؤلفينا ما أغناهم — واغنانا — عنها . ولا ريب ان مسرحية « التبريزي » مسرحية جيدة ، ولكنها ليست اجود ما كتبه الفريد فرج ولا « أعلى » ما توصل اليه المسرح المصرى . أما التفوق الحقيقي على كتابات توفيق فقد تم منذ حوالى اثنتا عشر عاما

على يدى « **نعمان عاشور** » فى « **الناس اللى تحت** » ثم بقية ابناء جيله من أمثال الفريد فرج ويوسف أدريس وسعد وهبه وميخائيل رومان ، ولم يكن التفوق بمعناه الفنى نجاحا جزئيا فى هذه الناحية ، او تلك من جزئيات العمل المسرحى ، وانما كان تجاوزا لفكر توفيق الحكيم وفنه فى خطوطه العريضة . وقد لا نجد من بين ابناء الجيل الحالى من يجيد صناعته بمثل المهارة والاتقان اللذين نجدهما عند الحكيم ، ولكن هذا لاينفى ان الاطار الجديد الذى يتحرك فيه الجيل الراهن قد انجز خطوة الى الامام فى تاريخ المسرح المصرى الذى يعد توفيق الحكيم رائده الحقيقى . وليس الفريد فرج الا واحدا من ابناء هذا الجيل ، وان كان فى المقدمة بعمقه واصالته وتزوده الدائم بالخبرة والثقافة .

ويختلف الامر قليلا بشأن على سالم ورواج مسرحيته « حدث فى عزبة الورد » فبالرغم من ان النقاد الجادين لم يستقبلوا هذا العمل بأى تهويل يذكر ، الا ان الرواج فى ذاته من الممكن أن يغرى المؤلف بصورة خاطئة عن عمله . فالحق ان على سالم قدم ولا يزال يقدم للمسرح المصرى نوعا رفيعا من الكوميديا الراقية . وليست هذه المسرحية الرائجة فى المستوى الذى يؤهلها لتمثيله تمثيلا دقيقا . ولذلك عليه الا يصدق هذا الرواج المفتعل والا ينزلق فى مهاوى لم يحسب حسابها ، عليه ان يعود الى خطه الحقيقى فى كتابة الكوميديا الاجتماعية العميقة الاغوار ، والمتعددة الابعاد .

اما المسرحية الممصرة «الصعلوكة» والمسرحية المترجمة الى العامية « **دائرة الطباشير القوقازية** » فانهما تثيران العديد من الاسئلة . فلا شك ان التمصير لا يزال يعبر عن حاجة صادقة فى الوجدان المصرى الى الفنون الاجنبية القادرة على اثراء عواطفنا وعقولنا لو أنها اقتربت فى لغتها وشخصياتهاواحداثها وافكارها منأسوار المجتمع المصرى . والملاحظة الرئيسية على مسرحيه « الصعلوكة » انها لا تمت بصلة قرابة الى المجتمع المصرى ، مادة وروحا ، فلعل مسرحيه « الست هدى » التى كتبها احمد شوقى منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاما تمثل الطرف النقيض من هذه المسرحية فى قربها من روح هذا الشعب باغراء اموال الست هدى للرجال ان يتزوجوها ولكنهم يموتون أو يفترقون عنها قبل ان تموت هى ويرثونها ، وعندما ماتت اكتشف آخر الازواج انها أوصت بكل ما تملك لبعض الاقارب الفقراء وجهات البر والاحسان . أما المسرحية الفرنسية الممصرة فعلى العكس من ذلك تصور حياة امرأة تخدع الرجال بحيلة ساذجة للزواج منها هى ، ان « يمثل » احد الخدم دورالزوج المخدوع الذى يطلق على نفسه الرصاص — فى المطبخ — عندما تكون هى فى احضان الرجل الذى اختارته لان يكون زوجا .. جديدا ، اذ هو يتورط باحساس من المسئولية عن انتحار زوجها المزعوم ، ويطلب منها الزواج فورا . وهى فى هذا الطريق الغريب تستهلك خمسة ازواج بحثا عن السادس ، فربما عوضها ثراء جديدا . وهى مشكلة قد تمس اوضاعا فى المجتمعات الاوروبية فتظل المسرحية ١٤ شهرا على احد مسارح باريس ، ولكنها فى بلاد كبلادنا قد تكسب جمهورا يريد ان يضحك بأى ثمن ، ولكن هذا الجمهور سرعان ما يكتشف المسافة الهائلة بينه وبين المشكلة المعروضة فيعرض عنها فى النهاية .

وقد كان التمصير هو اكثر الاساليب فعالية لتقديم مسرحية **بريخت** . ولكن الذى حدث هو ان المسرحية وقفت فى منتصف الطريق ، فبينما تمت ترجمتها الى العامية المصرية بلغة صلاح جاهين احتفظ المخرج والمترجم بالاسماء والملابس القوقازية التى خلقت مفارقة صاخبة رافقت المسرحية من أولها الى اخرها . بل لقد تأثر التمثيل تأثرا واضحا بهذه الازدواجية بين اللسان الناطق والسلوك المسرحى . والمعروف ان الترجمة عموما تتم بالعربية الفصحى حتى لا يختلط الجو الاجنبى باللغة المحلية اختلاطا يتعذر معه تلقى المسرحية الاجنبية بجوها الاصيل . والمعروف أيضا ان التمصير عموما يتم بالعامية المصرية والشخصيات المصرية والاحداث المصرية اذا كانت الفكرة « الاجنبية » أو المشكلة تقترب كثيرا أو قليلا من حياة المجتمع المنقولة اليه . ولا شك أن مسرحية بريخت من هذا النوع من المسرحيات التى تستحق التمصير ، وليس التقريب باللغة وحدها كافيا بل انه شارك فى مضاعفة المسافة بينها وبين الجمهور .

وكانت « بلدى يا بلدى » قد اثارت قبل عرضها عاصفة كبيرة من الاعتراض على بعض ما تضمنته من اشارات ورموز احتجت عليها الفنانة محسنة توفيق ورفضت القيام بدور البطولة . ثم حدث ما يشبه الاتفاق بين الدكتور رشاد رشدى مؤلف المسرحية واحدى اللجان التى شكلها وزير الثقافة للنظر فى المسرحية من جديد — بعد موافقة الرقابة والمؤسسة عليها من قبل — وأدى الاتفاق على حذف بعض العبارات التى يشتم منها ما يسمى بالغمز واللمز واضافة مشهد ختامى تعود فيها المنصورة الى أصحابها ويهرب الكفار.

ولقد أدت هذه التعديلات الى تشويه النص من الناحية الفنية تشويها شديدا ، وكان الافضل أن تترك المسرحية بأفكارها ليحكم عليها النقاد والجمهور ، بل ان هذه التعديلات قد اسهمت فى تضليل المشاهدين لانهم لم يتعرفوا تعرفا حقيقيا على مضمون المسرحية حتى يرفضوه أو يتقبلوه عن دراية. وانما تسببت هذه التعديلات فى بلبلة من شاهدها ، وحيرة من يقرأ النص المعدل الذى نشر مؤخرا . على أن أسوأ ما فى العرض المسرحى كانت المحاولة الفاشلة لزكريا الحجاوى فى تلحين النثر تلحينا غثا مهينا للمسرحية .. وقد شاركت « أهات » خضرة مشاركة ايجابية فى تفكيك عرى المسرحية بالابطاء من ايقاعها والفصل بين مشاهدها المتتابعة فصلا يربك المشاهد ويضعف من الاثر العام للمسرحية .

يثور اخيرا هذا السؤال .. هل كانت هذه بداية الموسم أم نهايته ؟ ذلك انه لم يعد فى جعبة المؤسسة نصوصا جديدة قابلة للعرض ، فهل يصبح الريبورتوار هو المنقذ الامين لحالة التقشف التى تعانيها ميزانية الثقافة ، وحالة التوتر الشامل الذى يعانيه الكتاب ؟ أم انه سيكون الشاهد الامين على رواج الفرق الخاصة ؟

■ ■ ■

■ ثقافة

كشف حساب ١٩٦٨ يقدمه نقاد العالم ...

هل لا يزال للكتاب سطوته ونفوذه ، بعد سيادة الاجهزة العلمية الحديثة التى تيسر وصول الثقافة الى أوسع رقعة من الجماهير بغير عناء القراءة ؟ وهل استطاع الكتاب فى عام ١٩٦٨ ، أى عالم الشباب المضطرب ، ان يجد مكانا وسط الاحداث المتزاحمة من حوله ومن فوقه ؟ فلا شك ان الصحافة والاذاعة والتليفزيون والسينما قد احرزت تقدما مذهلا ابان السنوات الاخيرة كوسائل مواصلات ثقافية . ولا شك ايضا ان هذه الوسائل كانت أسرع من الكتاب بطبيعتها فى مواكبة احداث ١٩٦٨ .. فهل يعنى ذلك ان سوق القراءة يعانى كسادا بشكل عام ، ويعانى افلاسا خلال عام ١٩٦٨ بشكل خاص ؟

يجيب النقاد والكتاب والناشرون فى العالم الغربى والشرقى على السواء بأن هذا ليس صحيحا ، وأن للكتاب وضعا خاصا يتأثر بالمنجزات الحديثة تأثرا طرديا ، فهو بواسطتها يملك أساليب متنوعة فى الدعاية لم تكن فى حوزته على مر العصور ، وتقدم له هذه الاساليب فرصا للانتشار لم يعرفها من قبل . ولا يستطيع «عمود» الصحيفة او المجلة ولا حديث الاذاعة والتليفزيون ان يعوض قارىء الكتاب شيئا عن كتابه ، وانما تقوم هذه الاعمدة والاحاديث بدور الدليل والمرشد ، اى بدور المعلن وأجهزة الدعاية . وهى تستطيع على الاطلاق ان تقوم بدور « البديل » كما تقول احصائيات التوزيع وقوائم النشر التى اصدرتها المؤسسات الثقافية فى الشرق والغرب عام ١٩٦٨ .

وقد طرحت جريدة الصنداى تايمز فى عددها الاسبوعى [الصادر فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٦٨] ، سؤالا على بعض النقاد والكتاب من جميع انحاء العالم هو : ماذا تختار من بين الكتب التى صدرت هذا العام ليكون كتابك المفضل ؟ وأجاب **الكس كوندراتوفتش** الناقد السوفيتى بمجلة «نوفى مير» انه من الصعب اختيار كتاب واحد اذا كان هناك عدد كبير من الكتب الممتازة ، ولكنى اعتقد ان كتاب « **بعيدا عن الشتاء** » لمؤلفته **اليزابيث درابكينا** اعظم الاحداث الادبية عام ١٩٦٨ فهو من بين الكتب التى تألفت عن لينين يعد وثيقة فريدة بين الركام الهائل من الكتب المؤلفة عن لينين .. فقد اتيح للسيدة درابكينا ان تعايش أحداث الثورة عن كثب فقد كان والداها من البلاشفة المناضلين ضد الحكم القيصرى فى ظل الاوضاع الفظيعة للعمل السرى . والى جانب القيمة التاريخية العظيمة لكتاب « بعيدا عن الشتاء » فانه يكتسب قيمة فنية لا تنكر لمهارة كاتبته فى انقاذ حرفتها الادبية بمهارة وحذق .

وفى الولايات المتحدة الامريكية اجاب ثلاثة نقاد على السؤال : قال **فرانسيس براون** محرر باب الكتب بصحيفة نيويورك تايمز انه حين أحصت صحيفته فى نهاية العام اهم الكتب الصادرة خلال ١٩٦٨ لم تجد سوى عشرة كتب ترتقى الى مرتبة الامتياز : اربعة منها لكتاب أمريكيين هم **نورمان ميلر** فى « جيوش الليل » **والدريدج كليفر** فى « الروح على الثلج » وقصائد جون بيريمانز الشعرية ، وكتاب **جيمس واطسن** «من داخل العالم» والستة الباقون من بلاد اخرى ، وهم : «اللاذكريات» لمالرو ، و«الدائرة الاولى» **لاكسندر سولزهنتسين** و « المقالات الكاملة : من الصحافة والرسائل الخاصة » **لجورج اورويل** و « الكلب على الباب » لبريتشيت و « أعترافات غير مخلص » **لجان ميردال** و « ليتون ستراتش » **لميشيل هولرويد** . ولم تكن الرواية الامريكية فى أحسن أحوالها هذا العام ، وانما كانت القصة القصيرة على أيدى «**ساول بيلو** ، **ووليم همفرى** ،

ووليم جاز » هى صاحبة الصوت الاعلى هذا العام وذلك باستثناء رواية ميلر التى تعتمد فى شهرتها على اتخاذ الحرب فى فيتنام مادة لها واتخاذموقف معاد للحرب من ناحية المضمون . ويضيف روشيلى جيرسون محرر سترباى ريفيو ان كتب الاطفال والكتب الجنسية والكتب العلمية كانت تتصدر قوائم التوزيع . أما اليزابيث هاردويك محررة نيويورك ريفيو فتقول ان الغضب والتمرد والثورة هى النجوم التى ازدانت بهما روايات الشباب القارىء عام ١٩٦٨ ، بحيث ان النظرة الموضوعية تؤكد ان الثقافة الامريكية لم تقدم زادا يعتد به للاجيال الجديدة ، بينما كان ثوار فيتنام وقادة الثورات فى أمريكا الجنوبية هم أصحاب الوجوه الفكرية الغالبة على ٦٨ .

وعن فرنسا كتب كلود امبرت ناقد الاكسبريس يقول ان عام ٦٨ كان عظيما بالحقائق الواقعة لا بالكتب المفسرة والمحللة ، ولذلك يمكن بشكل عام ان نصف الصحافة بأنها كانت أخطر الكتب خلال هذا العام، ولعل الكتاب الوحيد الذى يرتفع الى مستوى الاحداث العميقة الاثر ولا يتمتع بشهرة واسعة هو كتاب « أركاديا : مقالات حول الحياة الافضل » **لبرتراند دى جوفينيل** وهو كتاب يدور حول الفوضوية الحديثة والعبث والتساؤل حول المرض الذى يعانى منه المجتمع وتعبر عنه حركة الشباب اليوم . ما الباعث على النبوة ؟ نعمل لاية نهاية ؟ ما معنى تحسين مستويات المعيشة ؟ ولايزال مستحيلا، كيف نحضر حضارتنا؟ هذه كلها بعض التساؤلات التى يثيرها جوفينيل فى كتابه . ولقد كانت ثورات الشباب فى فرنسا والمانيا وانجلترا وايطاليا بمثابة التجسيد المادى لهذه التساؤلات وصدقها ، فقد وضعت « نموذج الحياة الغربية » التى نحياها فى قفص الاتهام . أما الكتاب الاخر — من غير فرنسا — الذى يختاره كلودامبرت فهو رواية « الدائرة الاولى » للكاتب السوفيتى سولز هنستين الذى يستمد حيويته من عراقة التقاليد الادبية التى عرفها الادب الروسى وبخاصة عند تولستوى العظيم فى « الحرب والسلام » مضافا اليها مآسى المرحلة الستالينية التى يعالجها الكاتب السوفيتى من وجهة نظر جديدة وهى انها لا تزال تمتد الى الحاضر وتظلل بعض جوانبه بألوان قاتمة . ويذهب الناشر جان روزنتال الى ان هذه الرواية — بغض النظر عن موضوعها — تعد أهم خمسة أعمال روائية ظهرت فى الاعوام الثلاثين الاخيرة. ولعل الجانب الاكثر اهمية فى رواية الكاتب السوفيتى ، ليس هو الجانب السياسى ، فكم من روايات صدرت فى الغرب ضد النازية ، وانما الجانب الانسانى الملح على وجدان الكاتب وهو يصور امراض السجن المؤبد واحكام الاعدام

أما المؤرخ والناقد اليابانى نوبوتوش هاجى هارا فيقول ان هذا العام يبدو انه عام الاحداث الادبية اكثر منه عام الادب نفسه . ويقصد الى ان الحادث الادبى فى اليابان كان أكبر حجما من التعبير الادبى فى اشكاله التقليدية من شعر ونثر . وقد كان الحدث الاول هو منح جائزة نوبل للكاتب اليابانى **ياسونارى كاواباتا**، ولعله الكاتب الاسيوى التانى — بعد طاغور — الذى يحصل على هذه الجائزة

مــــواقف !

صدر العدد الاول من مجلة « مواقف » اللبنانية ، يرأس تحريرها الشاعر العربى الكبير أدونيس . والذين يعرفون أدونيس شاعرا مجددا فى اللغه العربيه يعلمون انه ارتاد الكثير من مجاهل الفكر والوجدان بحيث يعد شعره اضافة حقيقية الى التراث . ومن هنا كان صدور « مواقف » باشرافه وعدا لظهور منبر عصرى جديد للعقل العربى فى لحظة حرجة من تاريخه . والحق ان صدور مجلة عربية فى الوقت الراهن يلقى عليها بأعباء ثقال ومسئوليات غير هينة . ولا يشك أحد فى ان الشاعر ادونيس والنخبة المنتقاة من معاونيه فى تحرير « مواقف » سيبذلون غاية الجهد فى الارتفاع الى مستوى هذه المسئولية كما يتضح من العدد الاول .

فعلى صفحات هذا العدد تطرح بعض التساؤلات الهامة :

ففى هذا العدد تتخصص مجموعه من الاقلام حول القضايا المصيرية ، كالتساؤل الذى قدمه الدكتور زكى نجيب محمود فى افتتاحية العدد عن الميلاد الجديد للانسان العربى ، والتساؤل الذى قدمه المستشرق الفرنسى جاك بيرك حول التاريخ والحلم ، والمقال الذى كتبه المفكر العربى عبد الله القصيمى « لئلا يعود هارون الرشيد » .

و « الطليعة » ترجو للزميلة الجديدة كل تقدم وازدهار على الطريق الذى اختطته لها رئيس تحريرها فى قوله « والثقافة هنا كفاح . وحدة فكر وعمل . انها الثقافة التى لا تعنى بتفسير العالم أو الحياة أو الانسان الا لغاية اساسية : تغيير العالم والحياة والانسان . انها الثقافة — الثورة » .

الدولية . وفى مقابل جائزة كاوابانا كان الحدث الثانى فى حياة اليابان الادبية هو حصول السيدة **ميناكو اوبا** علىجائزة اكوتاجاوللادباء المغمورين.. والحق ان هذه الجائزة كانت خبرا سيئا لان اعمال هذه الكاتبة ارفع من الجائزة بكثير ، ولذلك كان وقعها على الاوساط الادبية على النقيض من الوقع الذى احدثته جائزة نوبل .

وفى المانيا الغربية قال الناقد هلمت شيفيل انه لم تكن هناك اعمال عظيمة فى مجال الرواية الالمانية حتى عند كبار كتابها من امثال جنترجراس ومارتن وولز، وماكس فريش وهنريك بول.وانما كانت هناك ظواهر روائية جديدة عند الجيل الاصغر سنا من امثال هيوبرت فتش ، وبيتر وتشوتجيو وروولف ديتربرنكمانز . وفى الشعر كذلك لم تظهر اعمال ذات قيمة الا فى انتاج الشباب منحيث تعبيره عن روح العصر المضطرب، والمشكلات النوعية الخاصة بالمانيا وما تمثله من صراعات . أمابتراكيهوف فيقول ان رواية «دروس فى الالمانية **لسيجفريد لينز** منأهم الاعمال الادبية التى صدرت هذا العام ، جنبا الى جنب المجموعة القصصية التى اصدرتها الكاتبة جيربيل ووهمان بعنوان « حفلة منظمة » وهى تعود فى قصصها هذه الى المضامين البسيطة التى نلقاها فى مآسى حياتنا اليومية بين الزوج وزوجته وبين الاصدقاء وبعضهم البعض ، وبين الابناء ووالديهم وهكذا . ولكنها ــ هذه الكاتبة التى لا تتجاوز السادسة والثلاثين من العمر ــ تملك عيناداخلية ليستلاحد، ترى بها ما تخفى تحت السطح وما ترسب فى الاعماق ، لذلك فنحن نرى معها الوقائع البسيطة والنماذج العادية رؤية جديدة أبعد ما تكون عن البساطة والاعتياد . وهى تتميز بوصف ابطالها وصفا موضوعيا امينا لا يتحمس لهذا او ذاك ، وبغير انفعال حاد يخلط الذات بالموضوع . على ان الشاعران اللذان يحكمان المانيا الغربية اليوم هما **وولف بيرمان** الذى يمنح عشاق هنريك هاينى أملا كبيرا فى بعثه من جديد ، والشاعر العظيم **برتولد بريخت** الذى يكتسب ارضا جديدة كل يوم فى المانيا الغربية حيث يتزايد طبع كتبه ويتعاظم تأثيره على الادباء الالمان الجدد . ولعل المجلدالذى صدر باسمه خلال عام ١٩٦٨ تحت عنوان « مع ماركس وانجلز » من اخطر كتاباته شأنا عند القراء .

وفى ايطاليا كتب اجنازيو سيلونى ان عديدامن الكتب تصله الى عنوانه الخاص فى الريف، ولكنه كثيرا ما يحول هذه الكتب الى مكتبه فى المدينة .. ويخبره القراء من اهل منزله انهم لم يتمكنوامن متابعةهذاالكتاب اوذلك ،اولم يستطيعوا قراءةاكثر من بضع صفحات . ولكنه يعود بنفسه ليختبر ذوقه الشخصى فى قراءة الاعمال الجديدة حتى لا تفوته « رياح العصر » الذى يعيش فيه ، ولا يدعها تفاجئه وتنتزعه من مكانه . وتبعا لذلك فانه يقرر ان رواية « بالو انجليكو » للكاتب **اريجو بينيدتى** ، هى أجود الاعمال الروائية التى قرأها عام ١٩٦٨ . وقد سبق لى ان قرأت له « المرأة الخيالية » عام ١٩٤٢ وقد دهشت أيامها لذلك « الشاب » الذى تمكن من ان يلتقط موضوعه المعبر عن روح الحرب من خلال تحليله لشخصية أنثى ضائعة . ولا يختلف بطله الجديد ــ بعد ربع قرن ــ عن بطلته القديمة اختلافا عميقا ، منحيث المعالجة والرؤية والقدرة على التناول الجمالى .. فليس « بالو انجليكو » الا شخصا خيالياهرب من الزحام ويختارحياة المنفىالبطولية وذلكبلجوئه الى قصر قديم من العصور الوسطى فى أحد الوديانباقليم لوشيا . ولاشك انه يستلهم فىهذا البناء القصصى الجميل قصة الموسيقار الايطالى جياكومو بوتشينى . ولقد استمع بينيدتى وهوبعد طفل الى بوتشينى وهو يروى له قصصا غريبة .. ولكن القصة الجديدة التى كتبها بينيدتى عن بوتشينى كانت أروع هذه القصص جميعها ..

على ان هذه الاراء فى النهاية ليست الا تعبيرا « ذاتيا » عن بعض جوانب حركة التأليف فىالعالم .. فكم من الكتب الهامة والخطيرة قد تحولت عن قصد أو عن غير قصد ، وكم من البلدان لم تحظ باستطلاع رأى نقادها وكتابها وناشريها ، وكممن البلدان نالت اكثر او اقل مما تستحق . ومع ذلك فهناك جملةحقائقتكادهذه الاراء ــ الشخصية ــ انتلمسها ــ بالتوقفعندها أوالعبور منفوقها ــ وهى ان الكتاب لا يزال منبرا رئيسيا لازدهار الفكر خلقا ونقدا وصراعا ، بل انه على عكس ما كان يتصور البعض قد حقق من الانتصارات ما يتناسب طرديا مع تقدم العلم والتكنيك . ومن ناحية أخرى تؤكد هذه الاراء ــ الذاتية ــ ان

التعبير عن روح العصر والاجيال الجديدة هو العمود الفقرى للكتاب الناجح ، اى الكتاب المقروء».

■ ■ ■

ساطع الحصرى المفكر المناضل

ليس فى هذا الجيل من اجيال امتنا العربية ، ولا فى الجيل الذى سبقه ، ولا فى الاجيال الاتية ، مثقف يستطيع ان يطرق ميدان الفكر القومى او يخطو على دربه دون ان يتأثر، بشكل او بآخر ، بذلك المفكر الفذ « ابو خلدون ، ساطع الحصرى»، الذى رحل عنا مع رحيل العام الماضى ، وخلف لنا زادا فكريا دسما وعميقا فى مايزيد على الخمسين كتابا ، كما خلف لنا ذكريات نضالية تبعث على الاحترام ، أثمرتها حياته التى امتدت ثمانين عاما [١٨٨٠ — ١٩٦٨ م]».

والامر الذى لاشك فيه ان حياة هذا المفكر العربى الكبير ، والاثار الفكرية والنضالية التى خلفتها لنا اعوامه الثمانون ، انما هى بالنسبة لجيلنا الحاضر واجيالنا المقبلة علامات على درب التضامن العربى والاتحاد والوحدة لأجزاء الوطن العربى الكبير . واذا كانت هذه الحياة الخصبة، وتلك الاثار الهامة جديرة بأن تفرد لها الابحاث المطولة والدراسات المتخصصة ، فان حديثا موجزا فى وداع ساطع الحصرى يستطيع ان يتخير من حياته وآثاره بعض المعالم الهامة والمعانى الكبيرة التى نحن فى امس الحاجة اليها فى هذه الايام ..

فالحصرى قد مثل بالنسبة لحياتنا الفكرية دور « **المفكر المناضل** » الذى يجمع الى القراءة والبحث والانتاج الفكرى الغزير ، الارتباط بالنشاط النضالى العملى فى سبيل القضايا الفكرية التى اولاها همه ومنحها اهتماماته ، بل اننا نستطيع ان نقول : ان حياته ذاتها ، فضلا عن تفكيره ، انما هى ثمرة من ثمرات النضال العربى الذى عرفته امتنا العربية فى سبيل الفكرة



● ساطع الحصرى ●

القومية التى اصبح الحصرى علما عليها طوال نصف قرن من الزمان .

ففى العام الذى ولد فيه [سنة ١٨٨٠ م] قامت فى الولايات العربية بالمشرق العربى — وكانت تخضع لنير الاستعمار التركى العثمانى — جمعية قومية سرية ، تطلب ان تكون اللغة العربية هى لغة التعليم والمكاتبات والدواوين ، بدلا من التركية ، ففى هذه الولايات ، كما طالبت بوحدة كل من سوريا [الشام الكبير] ولبنان ، ورفع الرقابة التركية عن الصحافة الوطنية هناك .

وفى السنوات الثلاثين الاولى من عمر الحصرى كانت السمة الاولى والبارزة للحياة الفكرية ، والوطنية فى هذه الولايات هى انتشار الجمعيات القومية ، سواء السرية التى تكون منها الكثير ، مثل [رابطة الوطن العربى] سنة ١٩٠٤ م و [الجمعية الاصلاحية] سنة ١٩١٢ م و [جمعية العربية الفتاة] سنة ١٩١٢ م و [الجمعية القحطانية]سنة ١٩١٣ م و (جمعية العهد) سنة ١٩١٤ م ، او تلك الجمعيات العلنية التى اتخذت الاندية الثقافية ستارا لنشاطها القومى ، وفى مقدمتها [المنتدى العربى] سنة ١٩٠٩ م الذى سار على درب [جمعية الاداب والعلوم] التى قامت ببيروت سنة ١٨٤٧ م و [الجمعية العلمية السورية] سنة ١٨٥٧ م ، من حيث استهدافها جميعا السعى نحو الخلاص من السيطرة العثمانية ، وبلورت الفكرة القومية العربية وتجسيدها فى دولة تضم اجزاء المشرق العربى كخطوة نحو استكمال وحدة الوطن العربى الكبير

واذا كان الحصرى قد ولد لابوين من « حلب » — وكانت يومها ولاية عثمانية — فان مولده كان فى « صنعاء » اليمن ، ومن ثم فان نظرته المتخطية الحدود الاقليمية، انما كانت نابعة لديه، منذشرخ الشباب ، من احساس ذاتى يدعمه وينميه اقتناع فكرى وممارسة نضالية اكتسبهما من الانخراط المبكر فى صفوف الجمعيات القومية ». كما ان السنوات التى قضاها المعلم الشاب فى التدريس بالمدارس العثمانية ، فى مطلع هذا القرن ، ببلاد البلقان [يوغوسلافيا ، وبلغاريا ، واليونان] — وكانت مستعمرات عثمانية — قد فتحت عينيه على مظالم الاتراك وقهرهملقوميات هذهالشعوب، مما برأ فكره القومىمن النزعة العنصرية، وجعله يبصر فى التيارالقومى لدى الشعوب المستعمرة، ملامحه التحررية والعالمية ».

ولقد ساعدت « الثورة » العربية الكبرى التى قامت بالمشرق فى سنة ١٩١٦ م على ان يمارس الحصرى نشاطا سياسيا عمليا على اعلى المستويات خلال احداثها ، فلقد كانت الجمعيات القومية السرية ، وخاصة [العهد] و [العربية الفتاة] هى قاعدة هذه الثورة ، وان كانت قد اضطرت الى تسليم زمام قيادتها الى قيادة مغامرة تمثلت فى الحسين بن على « شريف مكة »، بسبب اعدام الاتراك لأغلب زعماء هذه الجمعيات على يد جمال باشا السفاح . وفى هذه الثورة شارك الحصرى ، وشهد المؤتمر العربى الذى بايع فيصل بن الحسين ملكا للمملكة العربية الجديدة التى اتخذت من دمشق عاصمة لها كى تحيى ذكريات دولة الامويين، بل لقد تولى الحصرى وزارة المعارف فىهذه الحكومةالقوميةالتىقهرها الزحف الاستعمارى الفرنسى على دمشق ، والمدعم بالنفوذ الانجليزى ، تنفيذا لاتفاقية « سايكس — بيكو » فى سنة ١٩١٦ م ، بعد هزيمة الجيش القومى العربى فى معركة « ميسلون » ، كما سافر الى مصر اثناء ثورة سنة ١٩١٩ م ضمن وفد جاء لتنسيق الاعمال الثورية مع قيادة سعد زغلول ، وأثار العديد من المناقشات مع المفكرين والساسة المصريين الذين كانوا بعيدين يومئذ عن دائرة الاهتمامات العربية الى حد كبير .

وشهد الحصرى الدولة القومية التى حلم بها وناضل فى سبيلها تتحول الى اشلاء ، بل شهد فرنسا تحول سوريا ذاتها الى دويلات اربع فتجعل من دمشق دولة ، ومن حلب دولة فى سنة ١٩٢٠ م ، ومن جبل الدروزدولة فى سنة١٩٢١م ، ومن بلاد العلويين دولة فى سنة ١٩٢٢ م !!

واذا كانت فرنسا قد حكمت سوريا ولبنان حكما مباشرا جعل اقامة الحصرى هناك مستحيلا، فان انجلترا قد صنعت للامير فيصل عرشا فى بغداد ، وفىالحكومة الاولى التى قامت هناك كان الحصرى يتولى وزارة المعارف ، والى جواره عدد من الثوار القوميين الذين يحاولون انقاذ مايمكن انقاذه من اهدافالثورة،وتصعيد انجازاتهم المتواضعة عساهم يصلون الى تحقيق ما وهبوا حياتهم له . وخلال الاعوام العشرين التى قضاها الحصرى هناك [١٩٢١ — ١٩٤١ م] تبلور اهتمامه القديم بالتربية والتعليم على اسس قومية عربية ، وزاد تركيزه على اهمية هذه الوسيلة فى عملية البعث القومى ، وقدم لنا فى هذه المرحلة العديد من الاثار الفكرية الخاصة بهذا الموضوع ، ومن بينها : [تقارير عن حالة المعارف فى سورية ، واقتراحات لأصلاحها] ، و [تقدم التعليم العالى فى العراق] ، و [نقد تقرير لجنة مترو المؤلفة لدرس احوال معارف العراق ، واقتراح الاصلاحات اللازمة لها] ، و [آراء واحاديث فى التربية والتعليم] ، و [دروس فى أصول التدريس] ، و [طريقة تعلم الالغباء — مرشد القراءة الخلدونية] ».

واذا كانت المرحلة النضالية الأولى للحصرى فى سوريا متميزة بالنشاط العملى أساسا ، واذا كانت مرحلته الثانية بالعراق متميزة بالنشاط التربوى والتعليم القومى أساسا ، فان مرحلته الثالثة التى بدأت بمصر بعد أن جاءها منفيا من العراق ،ومنزوعة عنه جنسيتها من قبل الانجليزبعد فشل التمرد القومى الذى قادهرشيد عالى الكيلانى سنة ١٩٤٠ م ، قد تميزت بذلك الانتاج الفكرى القومى الذى أصبح أهم مايميز الحياة الفكرية الفنية لهذا المفكر الكبير . فخلال هذه السنوات التى قاربت الثلاثين قدم لنا نحوا من عشرين كتابا فى الفكر القومى ، نستطيع أن نميز من بينهاأعمالا فكريةدسمة مثل : [محاضرات فى نشوء الفكرة القومية] ، وهى ستمحاضرات القاها بالقاهرة سنة١٩٤٨ م ، و [ماهى القومية العربية ؟] ، و [حول الوحدةالثقافية العربية] ، و [البلاد العربية والدولةالعثمانية] ، و [اللغة والادب وعلاقتهما بالقومية] ، و [الاقليمية : جذورها وبذورها] ». كما نجد من بينها العديد

من الكتب التى تسجل دفاعه المستميت والدائم عن فكرة العروبة والقومية العربية ، وجدله الذى لم ينقطع معدعاة الاقليمية ، تحت مختلف أوجهها ، البريئة منها والمشبوهة ، بدءا من « الفينيقية » الى « الفرعونية » الى « المصرية » الى « حركة القوميين السوريين » . كما نجد من بين آثاره فى هذه الفترة كذلك العديد من الدراسات التى اهتمت بالتراث العربى ، كما اهتمت بالقضايا الاجتماعية الاصلاحية ، وذلك مثل : [دراسات عن مقدمة ابن خلدون] و [آراء وأحاديث فى التاريخ والاجتماع] و [حقوق الاطفال ومحاكم الاحداث] .

ولم تكن هذه المرحلة الثالثة من حياة ساطع الحصرى مرحلة انتاج فكرى فقط ، بل لقد كانت — انسجاما مع أهم قسمات حياته ، واستمرارا لها — مرحلة نضال عملى أيضا ، وان يكن مرتبطا هذه المرة بالفكر والافكار ، فلقد أسس فيها المعهد العالى للدراسات العربية ، التابع لجامعة الدول العربية ، وأشرف عليه ورعاه عدة سنوات ، كما أخرج ، عن طريق الجامعة العربية ، حوليات الثقافة العربية منذ بداية الخمسينيات ، وخاض المعارك الفكرية على النطاق العربى ، وخاصة بمصر ، وناقش الكثير من الاراء التى كانت تناهض فكرة « عروبة مصر » ، والتى كان يتبناها عدد من مفكرينا وساستنا يومئذ ، مثل لطفى السيد ، و د. طه حسين ، وحفنى محمود ، و د. احمد زكى ، ومحمد عبدالله عنان ، وعدد كبير من الكتاب والصحفيين . وجمع أبحاثه ومعاركه هذه فى عدد من الكتب ، من بينها [آراء وأحاديث فى القومية العربية] و [العروبة بين دعاتها ومعارضيها] و [العروبة أولا] .

ولقد كانت الفكرة القومية ، التى مثلت الخيط الرابط لحياة الحصرى وأوجه نشاطه واهتماماته ، ترتكز على أن جوهر القسمات التى تجعل من أية جماعة بشرية مكونة لقومية واحدة هى **اللغة المشتركة** ، وهو فى ذلك قد تبنى وجهة النظر التى سادت فى الدراسات القومية لدى المفكرين القوميين الالمان ، والذين دخلوا فى صراع فكرى طويل ضد زملائهم الفرنسيين الذين رأوا فى ارادة الجماعة البشرية ومشيئتها الاساس الاول لوحدتها القومية . ولقد جاهر الحصرى بموقفه هذا عندما قال : « انا لا اتردد فى القول بأن النظرية الالمانية فى هذه القضية هى النظرية الصحيحة » . فلقد كان ابن خلدون يرى فى اللغة العربية رباطا لايمكن لانصار الاقليمية انكاره ، بينما وجد فى « الارادة والمشيئة » حجة لانصار الاقليمية والتجزئة . ولقد كان هذا الافق الذى نظر فى حدود أبعاده مفكرنا العظيم ماحجب عنه الدراسات الاخرى للمدارس القومية الاخرى التى تضيف الى قسمة اللغة قسمات أخرى من أبرزها « **الحياة الاقتصادية المشتركة** » ، وعندما بدأت بعض الاوساط العربية تتحدث عن هذا الفكر القومى الذى يسترشد أصحابه بالمنهج العلمى فى التفكير ، كان لندرة أبحاثهم وتبسيطها الاثر الكبير فى عدم وضوح مايريدون ، حتى وجدنا الحصرى عندما يناقش موضوع الاقتصاد العربى وعلاقته بالقومية ، وحديث البعض عنه كعائق للوحدة ، لايبصر فيه أكثر من فروق الغنى والفقر والتناقضات المصلحية والتجارية التى يتخذها البعض حجة فى صف التجزئة وضد الوحدة ، ولم يستطع أن يدرك أن القسمة المطلوب توافرها للامة الواحدة هى « **الحياة الاقتصادية المشتركة** » **بمعنى ان تكون الامة الواحدة تعيش طورا متحدا من أطوار النظم الاقتصادية ، فلا يكون جزء من دولتها القومية الواحدة يطبق الاشتراكية ، مثلا ، بينما جزء آخر منها تسوده قوانين الرأسمالية أو الاقطاع .**

كما أن حداثة عهد أدبنا السياسى القومى بالدراسات ذات المنهج العلمى ، لم تتح الفرصة كى يشترك الحصرى بقلمه فى الصراع حول الافكار الجديدة التى تميز مابين **القومية** وبين **الامة** ، وترى أن القومية العربية قد نشأت فى عصر ازدهار الحضاره العربيه عندما اكتملت وتعمقت للعالم العربى عناصر **التعريب** ، أما الامة الواحدة فهى مانناضل الان فى سبيله على أساس من الوحدة الديمقراطية ذات المضمون التقدمى الذى يناهض استغلال الانسان لاخيه الانسان. كما ان حداثة عهدنا بهذا اللون من الدراسات قد جعلت الفكر القومى لدى ساطع الحصرى يأتى خاليا من الحديث عن المضمون الاجتماعى لحركتنا القومية .

واذا كان الموت قد حرمنا ثراء فكريا ، ومعارك خصبة كان من الممكن أن يسجلها ادبنا السياسى القومى لو أتيح لمفكرنا العملاق أن يشارك فى الجدل الذى بدأ منذ وقت قريب حول تقييم نظريته المتكاملة فى فكرنا القومى ، فان الامر الذى لاشك فيه أن الميدان ، فيما يتعلق بذلك ، لايزال مفتوحا ،

فالحصرى قد قال كلمته التى ضمنت له الخلود ؟ وبقى على الباحثين والدارسين ، سواء فى أوساطنا الجامعية أما خارج الجامعات ، أن يساهموا فى تقييم هذا الفكر المتكامل الذىخلفه لنا ، ونقده ، وتطويره ، واتخاذه منطلقا نحو آفاق ؟ فى الفكر القومى ، بغير حدود ؟ اذ فى ذلك افضل تكريم ترتاح له وتسعد به الامة التى وهبها ابو خلدون ساطع الحصرى كل ماملكت يداه وروحه وعقله وقلبه الكبير خلال اعوامحياته الثمانين .

■■■

رسالة من لبنان

وجه لبنان العربى
مزيد من المقاومة العربية

تمكن رشيد كرامى ، بعد ازمة وزارية استمرت اسبوعين ، ان يشكل حكومة جديدة من ١٦ وزيرا ، وان يتغلب على الصعوبات التى كان ممثلو الحلف الثلاثى وحلفاؤهم يضعونها أمامه . واستعاض عن الوزراء الاربعة المستقيلين من **جماعة الحلف** ، اصدقاء شمعون ، بأربعة ينتمى بعضهم الى **تكتل الوسط** وينتمى البعض الاخر الى **كتل « النهج »** . وهكذا تكون الحكومة الجديدة التى ينتظر أن تنال ثقة المجلس باكثرية واضحة ممثلة فى اغلب وزرائها لكتل « النهج » ولقسم من كتل الوسط .

وقد كان رشيد كرامى يطمح الى تشكيل حكومة تتمثل فيها جميع الكتل النيابية باستثناء شمعون ، لمواجهة الاوضاع الجديدة التى نشأت بعد حادث الاعتداء الاسرائيلى على مطار بيروت ، لكى تتحمل جميعها المسئوليات الجديدة . وباستثنائه شمعون كان يستجيب كرامى لرغبة القوى الوطنية فى البلاد ، ولمدينة طرابلس التى يمثلها فى المجلس النيابى ، التى ترفض بحزم أية محاولة لاعادة الاعتبار الى الرجل الذى باع بلاده الى المستعمرين خلال توليه رئاسة الجمهورية ، ولازال يتابع خارج الحكم ، نفس سياسته القديمة ، مستندا الى الاثارة الطائفية ، والى كل مايمكن أن يخدم سياسته حتى ولو ادى الى خراب البلاد .

الا أن اقطاب الحلف الثلاثى باصرارهم على اشراكحزب شمعونفى الحكومة ، كانوا يعتبرون أن الفرصة الان مواتية ، وانها قد لا تتوافر فى المستقبل .

وكانوا ينتظرون أن يؤدى موقفهم الى احد أمرين : فاما ان ينجحوا ويتمثل شمعون ، وهو ما يسعون اليه رغم انهم يعلمون ان ذلك فى غير الممكن لان أى رئيس يكلف بتشكيل الحكومة ، لن يكون بمقدوره الان أن يتحمل مسئولية اعادة الاعتبار الى كميلشمعون فى الاوساطالوطنية ، واما أن يفشلوا فى ذلك ، فيمتنعون عن الاشتراك فى الحكم ، وقد يكون ذلك ، فى الظروف الراهنة خيرا لهم وابقى . ذلك ان تحمل المسئوليات فى هذه الظروف التى يعانى فيها الحكم من أزمة سياسية معقدة وتعانى فيها البلاد من أزمة اقتصادية متفاقمة ، أمر غير مرغوب فيه بالنسبة لمن يطمحون بقوة لرئاسة الجمهورية ، التى يفصلنا عن معركتها فقط عام ونصف العام .

ولكن الحديث عن الازمة الوزارية الطارئة لا يمكن أن ينسينا الموضوع الذى هو فى آساس هذه الازمة ، **فان حادث المطار قد دفع الى المقدمة قضايا هامة كانت تجرى محاولات لاهمالها وكشف أمورا كثيرة مما كان يجرى النفاق حولها** .

فقد أكد العدوان بطلان الاسطورة التى دافع عنها غلاة الرجعية فترة طويلة من الزمن ، وعلى اساسها بنوا استراتيجيتهم ، وهى اسطورة الضمانات الدولية للبنان ، وتبين للشعب اللبنانى على اختلاف فئاته ، ولا سيماالذين كانت تخدعهم مثل هذه الاسطورة ، أن لبنان ليس بمأمن من أى عدوان اسرائيلى وانه ، شأنه فى ذلك شأن جميع البلدان العربية ، معرض للغزو ولاحتلال قسم من اراضيه الجنوبية ، تطمع الصهيونية بمياهها وكشف العدوان من انحية ثانية حقيقة الشعارات

التى رفعتها الرجعية وطالبت فيها بجعل لبنان منطقة حياد تحميها ضمانات دولية • فقد كان **الهدف الحقيقى اظهار ضعف لبنان وعدم قدرته على مواجهة اسرائيل ، تمهيدا لوضع بوليس دولى على حدوده ، منذ الان مع ابقائه بدون قوة دفاع قوية ، والامتناع عن اشراكه فى تنسيق عسكرى مع الدول العربيـــة الاخرى ، وبالتالى ابعاده تدريجيا عن البلدان العربية ، وعن جميع القضايا العربية ، والقضية الفلسطينية خاصة، وفى الوقت** نفسه فتح أبوابه ، بصورة أكثر فأكثر أمـام **الاحتكارات العالمية على اختلافها ، ولا سيما منها الامريكية •**

ولقد اظهرت ردود الفعل بالنسبة لحـادث المطار ، فى اوساط الجماهير الشعبية وبين القوى السياسية التى تمثل الاتجاه الوطنى ، أن هناك اصرارا على احباط جميع المحاولات الرامية الى عزل لبنان عن البلدان العربية • فقد تبنت الحركة الشعبية ، بمختلف اشكال نشاطها ، المطـــالب والشعارات التالية التى رفعتها القوى التقدمية :

- استنكار الموقف المتخاذل الذى اتخـذته السلطات من العدوان وعدم الرد على العدوان الاسرائيلى الغادر •

- المطالبة باقرار التجنيد الاجبارى ورفع القدرة الدفاعية للبنان والتسلح من الاتحاد السوفييتى وحماية قرى الحدود وتدريب سكانها علـــى السلاح •

- المطالبة بالتنسيـــق العسكرى مع الدول العربيـــة •

- المطالبة باتخاذ موقف حازم من الدول التى تساند اسرائيل وشجب موقف أمريكا المـؤيد لاسرائيل والمعادى للعرب •

- حماية العمل الفدائى •

وعلى أساس هذه المطالب والشعارات تتطور الان الحركة الشعبية وتتخذ اشكالا مختلفـة ، اضرابات طلابية واعتصام ، ومؤتمرات شعبية واجتماعات وتوجه نحو الحدود للمساهمة مع ابناء القرى الامامية فى حفر الخنادق وبناء الملاجىء وسوى ذلك من اعمال التعبئة الشعبية .

وقد استطاعت هــذه الحركة أن تشمل فئات واسعة فى مختلف المناطق اللبنانية . الامر الذى دعا الحكومة بشخص رئيسها وعدد من اعضائها من ممثلى كتل « النهج » ، وحتى اوساط المعارضة المعروفة برجعيتها وولائها للغرب ، أن تتبنى هذه

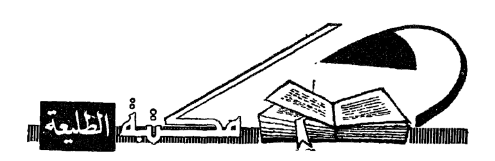


● رشيد كرامى ●

المطالب أو اكثرها ، بما فى ذلك دعم العمل الفدائى •

الا أن هذا التبنى لمطالب الحركة الشعبية ، من قبل الفئات الرجعية والفئات التى تحرص على اعلان انتمائها للاتجاهات الوطنية والعربية ، لا يعنى أنها أصبحت موقع التنفيذ • فكان معظم هذه القوى سياسية ، لا يريد ولا يستطيع تنفيذ هذه المطالب ، لان تنفيذها من شأنه أن يشكل ، على المـــدى البعيد ، تهـديدا جديا لكل مصالحهــا وارتباطاتها ، ويتناقض مع مواقفها الاساسيـــة المتعلقة بتحديد الاتجاه لتطور لبنان .

الا أنه لابد من تأكيد أمر هام وهو أن المكاسب التى حققتها الرجعية خلال السنة الماضية ، وبتأثير نكسة حزيران ، لاسيما فى الانتخابات النيابية ، لم تعد بنفس القوة التى كانت عليها قبل العدوان على المطار • وهذا **يعنى أن مزيدا من الضغط من قبل الحركة الشعبية ، ومزيدا من التعبئة الجماهيرية على اساس المطالب والشعارات التى رفعتها القوى التقدمية بعد حادث المطار ، من شأنه أن يسدد ضربات جديدة لمواقع الرجعية .** لاسيما وأن هناك محاولات تجرى الان ، بأشكال غير مبـاشرة ، للهجوم على الحريات الديمقراطية وعلى نشاط الفدائيين بهدف ايقاف هذه الحركة الشعبية ومنع تطور نشاطها والحيلولة دون تمكينها من ان تصبح قوة ثابتـــة قادرة فعليا على اجراء التغيير الذى تنشده القوى الوطنية والتقدمية تؤيدها أوســـع الفئات الشعبية .●



- ما زالت « الحرية » هدفا لنا
  - تأليف : أوجنجا أودنجا هينمان ـ لندن ١٩٦٧
  - عرض وتعليق : ثروت سلامة
- من المجلات الفكرية العالمية
  - مجلة « الطريق »

مازالت الحرية هدفا لنا

- تأليف : أوجنجا اودنجا
- عرض وتعليق : ثروت سلامة

كان من الطبيعي فى السنوات الاخيرة بعد حصول غالبية الدول الافريقية على استقلالها ان ترتفع اصوات الافريقيين وتبرز اعمالهم لتوضيح طبيعة العمليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى تجرى فى بلادهم . ليس هذا فحسب بل تقديم مراجعة تاريخية للتطور الاجتماعى فى افريقيا منذ القدم . وفيما مضى كانت عملية البحث هذه مقصورة على الباحثين الاجانب من الدول الامبريالية . فلا عجب اذن ان جاءت غالبية الدراسات التى تمد الراى العام العالمى بمختلف جوانب المعرفة عن القارة الافريقية وشعوبها ، وقد صيغت من وجهة نظر استعمارية . لذلك تتزايد اهمية ذلك المصدر الجديد من المعرفة الصحيحة بمشاكل القارة والذى بدأ يفيض مع كتابة ودراسات قادة وطنيين نشأوا فى افريقيا وناضلوا على رأس شعوبهم من أجل تحقيق اهدافها وعانوا مرارة الحكم الاستعمارى ، وذاقوا حلاوة الاستقلال ليواجهوا أخطر المراحل امام الثورات الوطنية ، المرحلة التى تعقب الاستقلال السياسى ، عندما تواجه الثورة الوطنية الاستعمار الجديد وجها لوجه ، ويتوقف القادة الوطنيون أمام المشاكل المعقدة للتطور السياسى والاقتصادى والاجتماعى لمجتمعاتهم المتخلفة التى شوهتها فترة الحكم الاستعمارى .

وعلى ضوء هذا تبرز اهمية البحث الذى قدمه أحد القادة الوطنين البارزين فى كينيا وهو أوجنجا اودنجا الذى قاد منذ ثمانية أعوام حزب الاتحاد الوطنى الافريقى لكينيا [كانو] فى الحملة التى شنها الحزب من اجل الافراج عن جوموكينياتا ، والذى شغل بعد الاستقلال فى حكومة كينيا منصب وزير الداخلية ثم نائب رئيس الجمهورية حتى عام ١٩٦٦ .

وقد صدر الكتاب الجديد عام ١٩٦٧ فى لندن فى ٣٢٣ صفحة من القطع المتوسط . ورغم ان الكتاب يحكى السيرة الذاتية للمؤلف ، وهو مكافح قديم من اجل حرية بلاده فقد صدر الكتاب ليرتفع عن مستوى هذا الاطار المحدود ليعطى للقارىء تاريخ ثورة كينيا فى القرن العشرين ، مزودا بتفاصيل مثيرة ، وحقائق جاهدت الدراسات الاستعمارية لاخفائها .

وربما جاهد المؤلف لاعطاء هذه التفاصيل حتى يحيط القارىء فى النهاية بحقيقة الانقسام السياسى الذى تعرضت له كينيا فى عام ١٩٦٦ عندما انفصل عدد من القادة الوطنيين البارزين وعلى راسهم اوجنجا اودنجا عام ١٩٦٦ عن الحزب الحاكم فى كينيا [كانو] وكونوا حزبا جديدا هو حزب « اتحاد شعب كينيا » .

ويتصدر الكتاب تقديم للرئيس السابق كوامى نكروما قائلا فيه : « ان تاريخ افريقيا قد وصل الان الى نقطة تحول . فبعد انقضاء سنوات من الجهد الصبور لتحقيق التحرر السياسى والاقتصادى الكامل للقارة الافريقية بوسائل سلمية لم تتحقق سوى نتائج محدودة .. ولقد اصبح من الضرورى تبنى استراتيجية اكثر ايجابية ونضالية . »

ويرجع المؤلف تطور الحركة الوطنية فى كينيا الى بداية القرن الحالى عبر نضال الفلاحين ضد الحكم الاستعمارى الى تكوين « رابطة شباب الكيكويو » برئاسة جوموكينياتا عام ١٩٢٦ ، وتأسيس اتحاد كينيا الافريقى عام ١٩٤٤ ، ثم « الاتحاد الوطنى الافريقى لكينيا » [كانو] عام ١٩٦٠ ، حتى تأسيس « اتحاد شعب كينيا » عام ١٩٦٦ .

غير ان المرحلة الاساسية التى اثرت على مجرى التطور الثورى فى كينيا كانت ولا شك تلك المرحلة التى عرفت بأسم ثورة « الماوماو » من ١٩٥٢ — ١٩٥٦ — أو « فترة الطوارىء » .

وفى ذلك يقول المؤلف :

« وخلال فترة الطوارىء كان النضال شديد المرارة ، ولكنه كان صراعا مفتوحا . فبدون مناضلى الغابات فى تلك المرحلة التى يطلق عليها فترة « الماوماو » لاصبح استقلال كينيا مجرد حلم يداعب عقول قلة من السياسيين ، ذلك أن الهبة فى كينيا والتغييرات التى احدثتها فى السياسة الاستعمارية البريطانية قد قربت من ساعة الوصول الى الاستقلال ليس لكينيا فحسب بل لكل شرق افريقيا » .

ولم يحدث تشويه لكفاح شعب من الشعوب مثلما حدث لكفاح شعب كينيا فى تلك الفترة « فان الدعاية ضد « الماوماو » بوصفها حركة متوحشة كانت قوية لدرجة انها اصابت حتى عقول الافريقيين » .

وتتضح اهمية الكتاب أكثر فأكثر ازاء تناول المؤلف لهذه المرحلة التاريخية محاولا سرد احداثها الدامية بشىء من التفصيل . فلم تكن هبة شعب كينيا فى تلك الفترة مجرد كفاح مسلح ضد المستعمرين . لقد كان المحتوى الحقيقى لتلك الهبة يكمن فى انها « ثورة فلاحية » ارتبطت ارتباطا وثيقا « بالثورة الوطنية » . وبدون هذا المحتوى تفقد ثورة كينيا مغزاها واعماقها الحقيقية ويضل الباحث طريقه فى تحليل المشاكل التى واجهت كينيا بعد الاستقلال ، ذلك أن مشكلة « الارض » فرضت نفسها على الثورة الوطنية ضد الحكم الاستعمارى المباشر ، ولا تزال تفرض نفسها كمشكلة ملحة فى المجتمع الكينى المستقل ، وحولها تتحدد مواقف مختلف المجموعات السياسية وطرق التطور الاجتماعى المحتملة .

ومع ذلك يجب ان نعترف ان التحليل الكامل لتلك المرحلة الثورية لم يتم انجازه بعد ، وفى هذا يقول المؤلف :

« ونحن فى كينيا لا نزال فى حاجة الى ان نكتب تاريخنا فى تلك السنين ومن أجل انجاز ذلك العمل يجب ان يشترك فيه أولئك الرجال الذين اسسوا وقادوا حزب اتحاد كينيا الافريقى والتنظيمات الوطنية والسياسية الاخرى ، وأولئك الرجال الذين اسسوا النقابات العمالية وقادوا الاضرابات الاولى ، وأولئك الرجال الذين قضوا سنوات الطوارىء فى معسكرات النفى ، وفى مقدمتهم جميعا المناضلون فى الغابات » .

ويعود المؤلف ليؤكد :

« وحتى تضع كينيا هذا السجل التاريخى بوضوح فان شعبنا لن يستطيع أن يفهم فهما كاملا كيف اننا اليوم نسير فى الطريق نحو الاستقلال الكامل » .

والى ان يضع ابناء الثورة الكينية ذلك التحليل الكامل لتلك المرحلة الثورية المسلحة والتى اغتالت السلطات البريطانية خلالها اكثر من ١١ الف افريقى والقت بأكثر من ٩٠ الف افريقى فى غياهب السجون والمنفى ، فما لا شك فيه ان ثورة الفلاحين كانت العامل الرئيسى فى التمهيد لحصول كينيا على استقلالها .

ولا يعنى ذلك ان القوى الاستعمارية البريطانية استسلمت امام حقوق شعب كينيا ، فقد اخذت تمهد الطريق وتواصله لبذر بذور الانقسام العميق بين القوى الاجتماعية والسياسية حتى يتم لها تفتيت الوحدة الوطنية ، وعندما تحين ساعة الاستقلال يصبح المجتمع الكيني منبالا سهلا لسيطرة الاستعمار الجديد .

وكما فعل الاستعمار فى سائر انحاء افريقيا ، سعى الاستعمار البريطانى الى بذر بذور الخلاف بين القبائل المختلفة والاستفادة من التناقضات واثارة النزعات القبلية . وسهلت الظروف الموضوعية الخاصة فرص الاستعمار ، ذلك ان الحركة الوطنية اندفعت اساسا من بين قبيلتى « الكيكويو » و « اللوو » وهما اكبر قبيلتين فى كينيا ، وافراد القبيلة الاولى هم الذين عانوا اكثر ما عانوا من مشكلة الارض التى نزعت منهم ملكيتها الجماعية واستولى عليها المستوطنون البيض .

وهكذا شجع الاستعمار كل حركة انفصالية تدعو الى اقامة دولة لا مركزية فى كينيا بدعوى « الدفاع عن حقوق الاقليات والقبائل الصغيرة » ويشير المؤلف الى حزب الاتحاد الديمقراطى الافريقى لكينيا [كادو] بوصفه اداة رئيسية من بين الادوات التى استخدمها الاستعمار والمستوطنون البيض لتحقيق اهدافهم . وتجسد ذلك بوضوح فى المؤتمر الدستورى الذى انعقد بلندن قبل الاستقلال حيث ذاع وفد « كادو » بتأييد من الاستعماريين عن خطته الاقليمية لاقامة مقاطعات كينية مستقلة استقلالا ذاتيا ، تحرم الدولة الجديدة جوهر المركزية اللازم لتأسيس مجتمع موحد يستطيع ان يواجه مشاكل مابعد الاستقلال ، مما اضطر وفد [كانو] برئاسة جوموكينياتا فى نهاية الامر الى تقديم بعض التنازلات الاساسية فى هذا السبيل .

ووصلت كينيا الى اخطر مرحلة فى تاريخ ثورتها ، المرحلة التى تعقب الاستقلال ، وقد ورثت مخلفات خطيرة عمدت القوى الاستعمارية الى تعميق جذورها منذ زمن طويل .

ويكتب اوجنجا اودنجا :

« وتمثلت الاستراتيجية الاستعمارية فى تسليم السلطة فى كينيا الى ايدى تلك العناصر التى تميل الى بريطانيا وتحمى مصالحها الاقتصادية والعسكرية . ويوضح هذا تلك المحاولات التى لاتتوقف لتقوية العناصر المعتدلة واضعاف العناصر الوطنية التقدمية الشابة التى تبينت قوى الاستعمار الجديد ورفضت التعاون معها » .

ويعود المؤلف ليؤكد طبيعة الثورة بعد الاستقلال قائلا :

« ان المرحلة التى تعقب الاستقلال هى اخطر المراحل .. وهذه هى النقطة التى عانت بعدها ثورات قومية عديدة فى افريقيا ، ذلك انه حدث ميل نحو الشعور بالرضا عقب تحقيق النصر الاول على السيطرة الاجنبية والضغط الخارجى . وتركت الحكومات القومية كثيرا من مخلفات الماضى دون ان تحاول تغييرها ، ولم تشيد اسس الاستقلال الفعال بتحويل السلطة الى ايدى قوى الثورة الوطنية ومساندتها . ونسيت تلك الحكومات ان عناصر الاستغلال المحلى ترتبط ارتباطا وثيقا بالضغوط الخارجية الاجنبية » .

ذلك ان الطبيعة الاجتماعية للثورة السياسية تبرز اكثر فأكثر بعد النصر التمهيدى على القوى الاستعمارية ، ويصبح طريق التطور الاجتماعى وحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية القوة التى تحدد استمرار الثورة نحو أهدافها . «وليس هناك سوى المحتوى السياسى والاقتصادى للاستقلال الذى يكشف ما اذا كان هذا الاستقلال يعطى معنى حقيقيا للجماهير الشعبية . ولقد كان الرئيس ناصر اول من حذر من قادة الحركات الشعبية الذين يستسلمون للاوهام الدستورية الخداعة ويتصورون انهم قد حققوا بذلك الحرية الكاملة »

ويستطرد المؤلف فى كتابة ليسرد تفاصيل الاحداث والمناورات والمؤامرات التى اعقبت الاستقلال . واذا كان المجال لايتسع للعرض فاننى التقط ثلاث قضايا فى اعتقادى انها اهم القضايا التى ادى الخلاف حولها الى انقسام الحزب . هذه القضايا الثلاث : هى قضية الحزب ، وقضية التطور الخاص بكينيا ، والقضية الفلاحية او مشكلة الارض .

ولم يكن حزب [كانو] كما يؤكد المؤلف حزبا مركزيا يسير على اسس المركزية الديمقراطية ، بل كان نوعا من التجمع السياسى الذى يضم مجموعات سياسية مختلفة وكانت تلك هى حقيقته منذ البداية . واذا كان من الممكن المحافظة على وحدته الشكلية فى فترة الكفاح من اجل الاستقلال فقد اصبح ذلك متعذرا فيما بعد عندما بدات قضايا التغيير الاجتماعى تبرز الى السطح وتزداد الحاحا .

وبعد حصول كينيا على استقلالها طرحت قضية الحزب الواحد نفسها بشدة ، كما طرحت فى بلاد مختلفة من افريقيا المستقلة . وفى هذا يقول

اوجنجا اودنجا : « لقد كنا انصارا اقوياء لبنـاء حزب واحد فى عهد الاستقلال . غير ان الحزب القومى الواحد يجب ان ينبع من الوحدة الوطنية من اجل اعادة البناء الوطنى كما يجب ان يتبنى سياسة انصهرت فى الفهم المشترك والاتجاهات الواحدة » .

وادت الرغبة فى الوحدة الوطنية من جانب القادة الوطنيين المخلصين الى ضم حزب[كادو] الى حزب [كانو] الحاكم املا فى احتواء قـادة [كادو] داخل الحزب الواحد . غير ان حزب[كانو] لم يكن الحزب الموحد المتجانس ، بينما رات القوى اليمينية داخله فرصتها الذهبيـة لتقوية نفوذها وفرض اتجاهاتها .

وفى هذا يعود المؤلف ليقول بعد التجربة التى عاصرها :

« يجب ان اعترف اننى وقعت فريسة التقدير الخاطىء ، ذلك ان اندماج حزبى [كادو] و[كانو] لم يؤد الى تقوية الحزب بل ادخل الى صفوفه قوى وسياسات انقسامية خطرة، مما ادى الى امكانية احتواء سياسة الحزب من داخله . وبدلا من ان تنتصر سياسة حزب [كانو] على سياسة حزب [كادو] ، فان نجالا وانصاره بداوا فى احداث التغييرات فى سياسة الحزب . ولقد قلت من قبل ان قادة [كادو] وجهازهم الحزبى وسـياستهم كانت على الدوام ادوات للقـوى الاستعمارية والمستوطنين والقوى الاجنبية .

ولم يكن بوسعى ان اتبين ان هذه القوى ذاتها باحتوائها داخل الحزب سوف تقوى ذلك الجناح الذى ابدى فى الماضى ميولا للمساومة على قضايا مثل تقدم الجامعة الافريقية واسـتقلال كينيـا استقلالا حقيقيا» . وكان من الطبيعى ان يتحول الحزب الى اداة ملحقة بالادارة الحكومية وتتعطل اجهزته وتتفكك وحداته وتفقد فاعليتها . ومن هنا يعجز الحزب عن الوقوف على راس الجماهير مجريا تطور بلاده وجهة الحل الاشتراكى . فعلى العكس من ذلك فان التطور التلقائى يؤدى حتما بالبلاد الى السير على طريق النمو الراسمالى .

وهكذا يلاحظ المؤلف :

« ان موظفى الادارة الحكومية ما زالوا يتلقون مرتباتهم وفقا لنظام المرتبات الذى كان قائما فى ظل النظام الاستعمارى القديم ، وان عضـو البرلمان يتلقى فى ستة شهور مبلغا من المال يزيد عما يكسبه الفلاح المتوسط فى نصف حياته » . « وان حكومة «كانو» الحالية والتى تضم ٤٦ وزيرا ونائبا تتلقى مايبلغ نحو ربع مليون جنيه استرلينى فى العام الواحد وهو مبلغ يكفى لاسكان ٥٠٠ عائلة .. » الخ .

وهكذا يشير المؤلف الى تكوين طبقة جديدة من البورجوازية البيروقراطية « فلا تمثل المرتبـات العالية القصة بأكملها .. فقد بدات السـيطرة السياسية ورجال الاعمال رويدارويدا فى التشابك .. وراح الكثيرون يستغلون مراكزهم السياسية لاثراء انفسهم وتحيزهم كمجموعة اقتصادية مالكة ففى المدن بدات طبقة متميزة من رجال الاعمـال والسياسيين فى النمو ، وفى الريف تنمو طبقة من ملاك الارض الكبار »

ومن المؤسف ان يكون الحزب هو اداة ذلـك التحول فى الطريق الراسمالى . وقد حدد المؤلف ذلك فى وضوح :

كان من الواضح تماما اننـا لسنا على اتفاق فى الاتجاهات داخل صفوف حزب «كانو» فالجميع يؤيدون « الاشتراكية الافريقية » ولكن هذا الشعار اصبح لدى غالبية قادة الحزب والحكومة ستارا لتطبيق الراسمالية تطبيقا كاملا . ويريد هؤلاء السياسيون ان يشيدوا نظاما راسماليا على نمط الراسمالية الغربية ولكن الخجل او عدم الامانة يدفعهم الى عـدم الجهر بذلك . ان تفسـيرهم للاستقلال و «الاشـتراكية الافريقيـة» يتمثل فى ضرورة انتقالهم الى الاعمال والامتيازات التى كانت فى حوزة المستوطنين البيض . واذا ماكانت كينيا قد بدات عهد الحرية بدون طبقة افريقية مختارة من الصفوة فان هذه الطبقة الان فى سبيل التكوين السريع . ويتنافس الوزراء وكبار موظفى الحكومة فى شراء مزيد من المزارع وتولى المزيـد من المنـاصب الادارية ، وتملك عربات اكبر ومنازل اضخم » .

ويصل المؤلف بعد ذلك الى مشكلة الارض وهى من اكثر المشاكل الحاحا فى كينيا المستقلة . ويورد

المؤلف نص الرسائل المتبادلة بين مجلس الوزراء و«بيلداد كاجيا» وهو زميل قديم للمؤلف فى النضال من اجل حرية بلاده ، ورفيق جومو كينياتا فى فترات السجن والمنفى .

وتعود حدة المشكلة المطروحة الى مرحلة ثورة الفلاحين والارهاب الدموى الذى فرضته القوى الاستعمارية على شعب كينيا . فان مناضلى الغابات الذين دفعوا الثمن الباهظ من اجل حرية بلادهم، وصودرت اراضيهم ظلوا يعانون الحرمان . يقول المؤلف :

« ولم يكن غالبية السياسيين بالغباء لينكروا جهارا مناضلى الغابات ولكنهم سعوا حتى تنزلق تلك المرحلة الى عالم النسيان » .

ثم يشير المؤلف ومن خلال رسائل « بيلداد كاجيا » الى مشكلة آلاف الافريقيين الذين تم طردهم من اراضى المستوطنين البيض بحكم القانون الاستعمارى الذى ينص على طرد الافريقيين العاملين فى المزارع والذين لم تطل اقامتهم لاكثر من سنين محددة .

ويقول كاجيا فى احدى رسائله :

« اننا نسمع كل يوم عن طرد مئات العائلات الافريقية العاجزة والفقيرة بدعاوى مختلفة .. ولقد عاش كثير من هؤلاء الضحايا لسنوات بمعرفة واذن من ملاك الارض .. غير انه الان عندما يستيقظ احد المستوطنين من حلم يقظته ويقوم بتبليغ البوليس فان هؤلاء الافريقيين المساكين يوصفون بأنهم مقيمون بدون اذن القانون ، ويلقى بهم فى الطرقات . ان هؤلاء المستوطنين الذين انعدمت منهم روح الانسانية لايطردون فقط ابناء الارض الحقيقيين من ارضهم ولكنهم يدمرون حاصلاتهم ويجعلون من اخوتنا المساكين شحاذين فى بلدهم » .

ويهدف الحل لمشكلة الارض كما يراه المؤلف الى اقامة ملكية الدولة فى الارض وتشجيع المزارع التعاونية، وهو عكس ماتسير عليه الخطة الحكومية التى تشجع القطاع الخاص وتعمل على تنميته على حساب القطاع التعاونى من واقع الاحصاءات والبيانات التى تقدمها المؤلف للتدليل على رايه .

وكان من الطبيعى ان تحتل مشكلة الارض وهى احدى القضايا الاساسية فى الصراع الدائر مكانا هاما فى البرنامج الجديد لحزب «اتحاد شعب كينيا» . ويدعو برنامج الحزب الجديد الى :

١ — توزيع الارض على المحتاجين ، ومن بينهم أولئك المقيمون الذين طردوا من الارض واولئك الذين فقدوا أراضيهم اثناء النضال من

تعليق من د. الملاخ

■■ .. اشكر للطليعة اهتمامها بعرض كتابى الاخير : « التقدم الاقتصادى والتعاون الاقليمى فى الكويت »

والتعليق عليه من الاستاذ حمدى عبد الجواد وان كان العرض اوفى وادق من التعليق ، الذى نشره فى العدد السابق : اول يناير ١٩٦٩ .

وما من شك ، فى ان الاهتمامات الثقافية عريضة الملامح ، « فالطليعة » هى التى تجعلنى الآن مهتما بتصحيح اخطاء وقع فيها السيد المعلق من ناحية شخصية لى ، وعن ناحية عامة لمؤلفى .

فانا فخور بمصريتى وبيئتى المصرية العربية، وانا لم اهاجر من مصر ولا اتاثر باحد الا بضميرى وبقوميتى . وهى التى جعلتنى ان لا اتخلى عن جنسيتى المصرية طوال ١٩ سنة حتى الان . بل وقفت مدافعا عن كرامة العرب ومصالح المنطقة .

فكان قلمى اول صوت عربى يرتفع بالكتابه والكلمة وبالمؤلفات العلمية فى امريكا دفاعا عن موقفنا فى تحرير قناة السويس من مستغلها الاجنبى وتأميمها لصالح الوطن وكذلك كان دفاعى وتقييمى لمشروع سدنا العالى وموقفى ضد سياسة : جون فوستر دالاس معروفة فى المراجع العلمية . اذا ما رجع اليها السيد المعلق .

واذا كنت اعتز — انا المصرى العربى — بانى بدأت حياتى رغم ما أحمل من شهادات علمية — من اول السلم موظفا صغيرا فى مطابع محرم بك بالاسكندرية — وحصلت عن طريق تحصيل العلم لكى اخدم بلادى وأعلى من كلمتها ورايتها معاونا الجامعة العربية فى الولايات المتحدة فاكون مستشارا للبنك الدولى ثم محاضرا فى جامعة هارفى ، فاستاذا للاقتصاد ورئيسا لقسم دراسات شرقنا الاوسط فى جامعة كلورادو . وهو المنصب الذى يتزاحم على مله مثله اعداؤنا فى جامعات اخرى . فانا اعتز ايضا بوجهة نظرى العلمية التى جاءت فى مؤلفى الاخير والذى طبعته جامعة شيكاجو (من اكبر الجامعات العالمية عليا — بالانجليزية) تعريفا — دوليا — باقتصاديات بلد عربى بقلم رجل عربى تخصص فى الاقتصاد .

د. رجائى الملاخ

اجل الاستقلال سواء عن طريق نزع ملكياتهم او خلال عمليات تجميع الارض . ويدرك حزب اتحادشعبكينيا ان عمليةتجميع الارض فيالمناطق التى تم فيها التجميع هى الآن حقيقة مستقرة ، وليس من المرغوب تغييرها . وسوف يترك اولئك الذين يملكون الان الارض المجمعة دون ان تمس ملكياتهم . لذلك فان التعويض سوف يتم عنطريق الارض التى تؤخذ من المستوطنين الاوربيين .

٢ ــ لايمكن السماح لغير مواطنى كينيا من بين المستوطنين بالاستمرار فى ملكية مساحات شاسعة من الاراضى الخصبة . وسوف يتخذ حزب اتحاد شعب كينيا الاجراءات لقصر ملكية هذا النوع من الارض على مواطنى كينيا فحسب .

٣ ــ سوف تعطى الافضلية ويبذل التشجيع للزراعة التعاونية فوق الاراضى التى تؤخذ من المستوطنين الاوربيين فى اتفاق مع السياسة الاشتراكية لحزب اتحاد شعب كينيا .

٤ ــ ان حزب اتحاد شعب كينيا سوف يناضل من اجل تضييق حدود الملكية الفردية للارض . ان الحزب يؤمن ان هذا اجراء ضرورى ضرورة مطلقة . وبهذه الطريقة سوف يكون هناك مزيد من الارض من اجل الفقراء . اننا لانرغب فى تكوين طبقة جديدة ، من الملاك الكبار .

٥ ــ وعندما يتم تخفيض حجم الملكية تخفيضا يتفق مع الديمقراطية والاشتراكية ، فان كل الملاك الافراد سوف يتلقون اقصى مساعدة ممكنة لتنمية زراعتهم .

٦ ــ سوف يتم تشجيع عمليات تجميع الارض ولكن بطريقة ديمقراطية وفقا لرغبات الشعب فى مناطق معينة . وفى مناطق الرعى فان اهتماما خاصا سوف يبذل حتى لايأخذالبعض نصيبا اكبر على حساب بقية السكان فى تلك المناطق . وان حزب اتحاد شعب كينيا ليعترف بحقوق القبائل والعشائر فى اراضيها .

وبعد . . . فليست هذهكل المشاكلالتىتعترض طريق كينيا المستقلة والتى يوردها المؤلف فى كتابه . غير انها تمثل اهم القضايا البارزة فى طريق الثورة الكينية وهى القضايا التى دارحولها ولا يزال صراع حاد داخل الحزب وخارجه . غير ان البدء فى حل هذه القضايا سوف يدفع بثورة كينيا الى الامام عبر صراع ثورى يقول عنه اوجنجا اودنجا انه لن يكون صراعا سهلا بأى حال من الاحوال .



أدب المقاومة فى فلسطين المحتلة

« الطريق » اللبنانية ــ عدد خاص

منذ أن توقفت مجلة «**الثقافة الوطنية**» اللبنانية عن الصدور حوالى عام ١٩٦٠ فى ظروف الجزر الذى كانت تعانيه المنطقة العربية غابت عن ميدان الفكر التقدمى فى لبنان ، المجلة المتخصصة فى شئون الثقافة الثورية . ولقد كان اهم مايميز « الثقافة الوطنية » انها تجمع بين دفتيها مختلف الوان الفكر والادب والفن فى تيار فكرى مشترك .. على النقيض من بقية المجلات التى أدت دورا لاشك فيه مثل « الاديب » و « الاداب » ، فقد تخصصت بصورة رئيسية فى الادب والفن . وكانت هناك مجلة « **الطريق** » تصدر فى ثوبها السياسى التقليدى تؤدى دورا كبيرا على طريق النضال الوطنى والتقدمى . ولكنها فى عام ١٩٦٧ دخلت طورا جديدا من أطوار نموها الفكرى والفنى ، وذلك حين استعادت منهج « الثقافة الوطنية » فى مرحلة جديدة من مراحل التطور العربى . وجاء الكاتبان الكبيران «**حسين مروة**» و«**محمد دكروب**» بخبرتهما العريضة فى المجال الصحفى ، وتاريخهما الحافل بالنضال على جبهة الفكر التقدمى ، فأشرفا على تحرير «الطريق» فى ثوبها التحريرى الجديد .

ومن جديد عادت الى الميدان المجلة الثقافية «الطريق» لتحدد ان منهجها هو ان تربط بين أحدث منجزات العصر الفكرية وبين آمال المواطن العربى وآلامه ، بين نضاليات الشعوب المقاتلة ضد

الاستعمار وبين شعبنا الذى يعانى أهوال العدوان الصهيونى الامبريالى ، بين النماذج الرفيعة للاداب والفنون التى تلعب دورا ثوريا فى حياة البشرية المتقدمة ، وبين النماذج الوطنية من آدابنا وفنوننا التى تحاول اللحاق بالركب المتقدم بالرغم من كل الصعاب والعقبات .

ولربما كان لبنان بالذات ، ومن الناحية الثقافية على وجه الخصوص ، يعانى من بعض الظروف المليئة بالثغرات . لكن صدور هذا المنبر الثورى الجديد فى صورته العصرية العميقة المسئولة يشكل عنصرا هاما ضمن عناصر القوى الوطنية والاشتراكية اللبنانية فى مواجهة القوى الرجعية والعميلة للاستعمار ، والتى تصدر الصحف والمجلات والكتب بغزارة لا مثيل لها ، وبشتى الالوان والاشكال حتى تسهم فى تضليل المثقف العربى عن مواقع نضاله الحقيقية . ومن هنا فان الدور البارز الذى تلعبه المنابر الوطنية والتقدمية فى لبنان يزداد بروزا منذ شهور بمشاركة « **الطريق** » الجديدة .

لقد اصدرت الطريق اعدادا خاصة حول اخطر الموضوعات العاجلة والملحة على وجدان الانسان العربى .. وقد كان عددها الصادر فى يناير ١٩٦٩ حول « قضايا تطور الجامعة اللبنانية » من أحدث هذه الاعداد، كما تابعت معظم القضايا الاساسية التى تشغل بال المناضلين فى كافة أرجاء وطننا ..

وهى فى جميع ما أصدرته من اعدادها الجديدة الى الان تتبنى الرؤية الثورية لهذه المشكلات التى يموج بها المجتمع العربى حيث تتعثر خطواته احيانا ، ولكنه يصر على اتمام مسيرته التاريخية بنجاح .. ولعل « الطريق » نفسها من مظاهر الانتصارات التى حققها المثقف العربى المناضل خلال هذه المسيرة الدامية .

وتقدم لنا الطريق فى عددها الجديد الذى خصصته لادب المقاومة فى الارض المحتلة نموذجا رفيعا للاعداد الخاصة التى تواكب تقدم حياتنا بالرغم من كل الاشواك التى تحاصرنا . فالعدد يشتمل على أحدث الابداعات الادبية والفنية للكتاب الفلسطينيين ، من قصة قصيرة وشعر . كما يشتمل على حديثين على جانب كبير من الاهمية ادلى بهما محمود درويش وسميح القاسم . والى جانب ذلك يتضمن العدد مجموعة من الاراء والدراسات حول الادب الفلسطينى المعاصر ، مشكلاته ومستقبله .

ولقد طرحت القصائد المختارة **لمحمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وجبران سالم وفتحى قاسم ونايف سليم وعمر محمود الزغبى وطارق عون الله ويعقوب حجازى وهايل عساقلة** ، طرحت من جديد قضية الشكل والمضمون فى القصيدة الوطنية : **احقا انه مقدور على الشعراء « المقاومين »** .
— ان جاز التعبير — أن يخلو شعرهم من الجمال الفنى الاخاذ لحساب المضمون الثورى ؟ وتجيب القصائد المنشورة فى « **الطريق** » اجابات متباينة .

فلا ريب أن بعض الشعراء قد انجزوا الوحدة العميقة بين الشكل والمضمون فى شعرهم بحيث ان الجمال الفنى فيها لا ينفصل عن دلالتها النضالية . على أن هناك فريقا آخر لم يصل بعد الى الصيغة الجمالية القادرة على استيعاب المستوى الفنى والقضية الفكرية جنبا الى جنب ، ولكن اهم الانجازات التى حققها شعراء المقاومة الفلسطينية بقصائدهم التى نشرت « الطريق » نماذج لها ، أن « **المقاومة** » نفسها تكاد تمنح للنماذج الجيدة « **شكلا** » جديدا ، تكاد « **تضيف** » للصياغة الفنية عناصر جديدة لم تكن لها من قبل فى الشعر الغنائى العربى . ومما لاشك فيه ايضا ان هذه النماذج بعينها تدل دلالة قاطعة على أن الشعر الفلسطينى المناضل هو جزء متمم لحركة الشعر العربى الحديث فى أروع آثاره وأنضجها .. فالخصائص الجديدة التى يكتسبها هذا الشعر من « المقاومة » لاتخرج به عن الاطار العام للشعر الجديد فى الوطن العربى ، بل انك تستطيع أن تميز بين المتأثرين بهذا أو ذاك من الشعراء العرب الرواد . نحين يقول محمود درويش :

بائعات الورد يلعن الظهيرة
والمقاهى خالية
ويدى تسقط عن غصن الضفيرة .
مثل عصفور غريب

نستطيع ان نلمح بالرغم من اصالة التجربة التى يعالجها الفنان ، المصادر الجمالية التى نهل منها أدواته التعبيرية ، كشعر عبد الوهاب البياتى الذى يتناوق فيه الرمز والواقع ضمن اطار موسيقى بسيط حقا ، ولكنه ملحاح ، لايترك الوجدان فى حالة تعسف عاطفى . وهو الشعر الذى لم يعد البياتى يكتبه الان بعد أن دخل مرحلة اكثر تعقيدا من مراحل تطوره الفنى .

وعندما يغنى **توفيق زياد** فى « حادث ليلى » :
فتح الباب علينا .. فجاة ..

وانهار ارضا كالجدار
كان فى عينيه رعب ،
وعلى الجبهة فرخا جلنار
وعلى الكتف اليسار

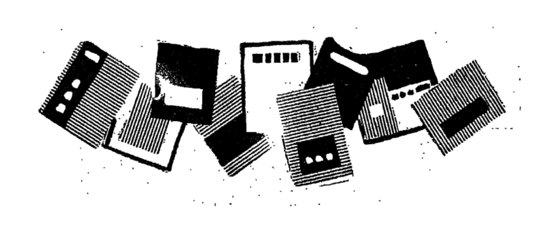
ثوبه القطنى معجون ..
.. مع الكتف اليسار
لم يقل شيئا
قفزنا نحوه
مزقت الصمت امراة :
ـ « أينه .. ؟؟ .. » صاحت
« أب أولادى الصغار »
لم يقل شيئا .. ولكن
طال من جيبه منديلا معرق
كان منديلا عرفناه جميعا
كان مخضوبا محرق
صاحت المراة : « أواه » وراحت « تتمزق »

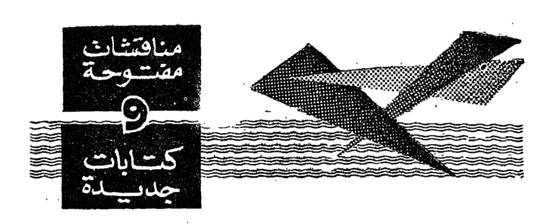
نذكر على التو شعرصلاح عبد الصبوروبخاصة فى مرحلته الاولى حينكان ينشد « شنق زهران » فيركز الرؤية البصرية على الجزئيات الصغيرة والتفاصيل الدقيقة التى تميز « زهران » وبطولته بغير أن تمحو تعبيره الفردى عن مجتمع بأسره ناضل ويناضل فى سبيل حقه المشروع .

ويقول محمود درويش فى حديثه المنشور بهذا العدد من « الطريق » أن عدوان يونيو لميكن مفاجأة « فكرية ووجدانية » له .. « ولم تحطم قيمىكما فعلت، ومن الخير أنها فعلت بالكثيرينمن الشعراء العرب خارج بلادى . لم أكن جالسا فى برج حمام لكى تقنعنىبمثل هذا الدليل الفادحعلى ضرورة النزول الى الشارع ... ولكنها كانت مكاشفة جارحة . وأضافت لمن لم يصدق حتى ذلك الحين برهانا جديدا على ضرورة ممارسة العمل والفكر الثوريين الحقيقيين ، وعلى ان الادب ليس سلعة أومتعة .. وهذا ماكنا نؤمن به حتى النخاع قولا وعملا ، ومازلنا بعد حزيران أشد ايمانا . ومن الضرورى أن يستفيد منها أولئك الذينسودوا اطنانامن الورق ضد التزام الاديب بقضيته،وضد تسلح الاديب بفكر ثورى حقيقى . ومن الموجعحقا أن يحتاج أديب الى مثل هذه الكارثة لاكتشاف مايشبه البديهيات » .

وحول شعر المقاومة كتب بلند الجيدرى يقول ان «ادب المقاومة جزء من المقاومة ذاتها،وجزءمن المعركة وليس ظاهرة جاءت نتيجة لهما . ومن هنا يبدو وجودهما فى خط النار وجودا ملتصقا بالنار والدم فرضته ظروف اجتماعية ووطنية كتلك التى فرضت على المناضل أنيحمل سلاحه ووعيهوهدفه فى أية معركة يخوض غمارها » .

وفى باب القصة القصيرة نشرت الطريق مجموعة جديدة **لنبيل عودة ومحمد نعناع وعفيف صلاح سالم ومصطفى أحمد ومحمد على طه وممدوح صفدى واميل حبيبى فى عمله العظيم « سداسية الايام الستة » وتوفيق زيادة فى «تقرير واقعى من مذبحة كفر قاسم »** . وبذلك يصبح هذا العدد وثيقة فنية تاريخية عن أدب المقاومة فى فلسطين .

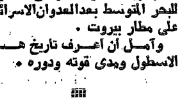




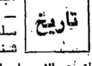
سؤال الى الطليعة

كثيرا ما يتردد اسم الاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط كلما نشبت ازمة سياسية أو عسكرية فى المنطقة . وفى هذه الايام تتردد الانباء عن اقتراب الاسطول السادس ـ بأوامر من الحكومة الامريكية وأجهزتها العسكرية ـ من الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط بعد العدوان الاسرائيلى على مطار بيروت .

وآمل أن أعرف تاريخ هذا الاسطول ومدى قوته ودوره .



مصطفى محمد عوض
مدرس بالاسكندرية



تاريخ

البحر الابيض المتوسط ـ عسكريا ـ هو فى الحقيقة ، سلسلة من غارات القرصنة التى شنها الاستعماريون ضد شعوب الشرق الاوسط وافريقيا . وهو أيضا ، سلسلة من الصراعات بين القوى الاستعمارية لقهر شعوب هذه المنطقة ونهب ثرواتها الاقتصادية والبشرية .

واستقراء التاريخ الحديث ، يكشف عن أن الامبريالية الامريكية وقواتها المسلحة ـ ومنها الاسطول السادس ـ قد لعبت دورا نشطا فى تاريخ هذا الصراع الاستعمارى .

ويعمل الاسطول السادس الامريكى فى البحر الابيض المتوسط ، منذ ٢١ عاما تقريبا . أى منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج الولايات المتحدة الى المجال الدولى ساعية لان ترث القوى الاستعمارية القديمة ، وممارسة كل الاساليب الاستعمارية التى اصطلح على تسميتها « بالاستعمار الجديد » .

والاسطول السادس ، واحد من أكبر الاساطيل البحرية للولايات المتحدة الامريكية . وأهم قواته الضاربة ، ما تسمى بـ « **مجموعة العمليات ٦٠** » التى تضم عددا من الحاملات الضخمة للطائرات من أمثلة **فورستال** ، **وروزفلت** ، بالاضافة الى الحاملة الذرية **انتر بريز** .

وتتسع كل من هذه الحاملات الضخمة لـ ٢٠٠ طائرة مزودة بأحدث الاسلحة بما فيها الاسلحة النووية . وتقوم بعمليات الامداد لقواعد **حلف**

الاطلنطى الجوية المنتشرة فى أكثر من موقع فى جنوب أوربا .

كما تضم « **مجموعة العمليات ٦٠** » ، ٣ طرادات ثقيلة وحديثة مزودة بصواريخ من طراز A. A. الموجهة ، بالاضافة الى ٢٠ مدمرة وبارجة .

ومن قوات الاسطول السادس ايضا ، مايعرف باسم « **مجموعة العمليات ٦١** » التى تضم وحدات الانزال بها ، سفينة قيادة و ١٥ ناقلة انزال تحمل دائما كتيبة بحرية [١٨٠٠ جندى] ، وقوة امداد ، ووحدة صغيرة من كاسحات الالغام . والمهمة الرئيسية لهذه الوحدات هى القيام بدور « رجل البوليس » الذى ينزل العقاب بكل من يخالف « قانونه » الاستعمارى الخاص .

أما القوة الثالثة للاسطول السادس الامريكى، فهى ما تعرف باسم « **مجموعة العمليات ٦٣** » وتضم ناقلات احتياطية من مختلف الانواع بالاضافة الى مابين غواصتين وثلاث . وبجانب ذلك كله فان هناك ٢٠٠ سفينة خاصة تعمل فى خدمة الاسطول السادس .

ويعمل على سفن الاسطول السادس ـــ التى تبلغ ٥٠ سفينة ـــ حوالى ٠٠٠ر٣٠ ضابط وجندى .

وكلما ساد التوتر الموقف السياسى فى المنطقة، تنضم الى الاسطول السادس قوة أخرى هى « **مجموعة العمليات ٦٦** » المكونة من حاملة ومابين ٥ أو ٧ مدمرات .

وبين وقت وآخر ، يتم استبدال بعض هذه الوحدات بأخرى مماثلة لها من امريكا . وتبلغ عدد الموانئ والقواعد التى للاسطول السادس أو تلك التى يمكنه زيارتها بسهولة حوالى ١٠٠ ميناء وقاعدة داخل البحر المتوسط أو على سواحله .

استدراك

فات « مناقشات مفتوحة » ـــ بطريق السهو ـــ ان تشير فى اجابتها عن السؤال الخاص بالمستعمرات البريطانية الحالية ، الى ان سوازيلاند وجزيرة موريشيوس لم تعودا مستعمرتين بريطانيتين . فقد استقلت الاولى (سوازيلاند : ٣٨٩ الف نسمة) فى ٦ سبتمبر ١٩٦٨ ، واستقلت الثانية (موريشيوس : ٧٥٠ الف نسمة) فى ١٢ مارس ١٩٦٨ . وقد انضمت كل منهما الى الامم المتحدة .

وهناك علاقة تنظيمية مباشرة بين الاسطول السادس وبين حلف الاطلنطى . اذ تعمل قوات الاسطول الجوية تحت أمرة مركز القيادة الجوية الاستراتيجية لاوربا [ومقره لندن] . وتتبع القطع البحرية ، قيادة القوات البحرية فى جنوب أوربا [ومقرها نابلى] . وذلك ما يفسر لنا لماذا يشترك الاسطول السادس فى المناورات العسكرية التى يجريها حلف الاطلنطى بين وقت وآخر .

ويثبت الواقع العملى ، أن الاسطول السادس انما يتبع ـــ فى الحقيقة ـــ وزارة الدفاع الامريكية التى تحتفظ لنفسها داخل اطار الحلف ، بحق اتخاذ بعض القرارات المستقلة على مسئوليتها . ويتيح هذا الحق لامريكا: اولا تدعيم قوة أسطولها السادس دون استشارة غيرها من أعضاء الحلف كايطاليا واليونان وتركيا وفرنسا وبريطانيا الذين يشكلون قوة الحلف فى البحر المتوسط .

وقد قررت الحكومة الامريكية فى ١٩٦٣ ، تزويد قطع من الاسطول السادس بصواريخ **بولاريس** . وفى ٢٠ مايو ١٩٦٣ أرسل الاتحاد السوفيتى مذكرة الى الحكومة الامريكية يحذرها من الخطر الذى يتهدد منطقة البحر المتوسط بسبب تزويد الاسطول بصواريخ بولاريس ، وتضمنت المذكرة اقتراح ايجاد منطقة مجردة من الاسلحة النووية .

وكانت الحكومة الامريكية قد أعلنت فى أول الامر أن الغواصات المزودة بصواريخ **بولاريس** سوف تعمل فقط فى القواعد العسكرية الامريكية فى المياه البريطانية [هولى لوش] وفى الاسطول نفسه فى البحر المتوسط ، ولكن الصحف الامريكية أوضحت بعد ذلك ان استخدام هذه الغواصات المحملة بصواريخ بولاريس لقاعدة **روتا** [**اسبانيا**] والقواعد البريطانية فى **قبرص ومالطة** .

واذا كانت تحركات الاسطول السادس الامريكى فى هذه الاونة تجاه الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط ، ما يلقى الضوء الكافى على الدور العدوانى لهذا الاسطول بالنسبة للشعوب العربية، فان التاريخ القريب يقطع بهذا الدور العدوانى عندما اقتربت السفينة « **ليبرتى** » من شواطىء **الجمهورية العربية المتحدة** ابان حرب يونيو ، وقامت بالشوشرة على اجهزة الرادار المصرية والعمل على حل الشفرة العسكرية المصرية لتقديمها لاسرائيل فضلا عن البيانات الخاطئة والاوامر التخريبية التى وجهتها فى ذلك الوقت بهدف تحطيم الجبهة العسكرية المصرية .

وليس ببعيد عن ذهن كل عربى الدور العدوانى الذى قام به الاسطول السادس خلال ثورة العراق فى يوليو ١٩٥٨ عندما أنزل قوات من الجنود الأمريكان فى لبنان وسهل للقوات البريطانية عمليات الانزال فى الاردن .

واذا كنا نقول ان تاريخ البحر المتوسط ارتبط بتاريخ غارات القرصنة الاستعمارية ضد شعوب المنطقة ، فانه يمكننا أن نقول أن تاريخ الاسطول السادس الامريكى قد ارتبط بسجل العدوان الاستعمارى ضد الشعوب العربية بوجه خاص .



حوار حول ندوة الطليعة

كان للندوة التى اقامتها الطليعة حول« تثقيف الكادر والجماهير » فى عدد يناير الماضى، دورا ايجابيا فى اثارة عدد من المناقشات . ونظرا لحيوية قضية التثقيف الاشتراكى فى بلادنا ، فان« مناقشات مفتوحة » تفرد هنا الحيز اللازم لاهمية هذه المناقشات التى وصلتنا فى شكل خطابات من المواطنين . وفيما يلى بعض الاراء التى جاءتنا فى هذا الصدد .

المواقف المتغيرة .. هى المشكلة

جمال سليم

لاخلاف حول تثقيف الكادر والجماهير ، ولا خلاف حول النقط التى عرضت فى الندوة ابتداء من نقطة « معنى التثقيف الاشتراكى واهدافه » .. الخ ولا خلاف أيضا على الصيغ المقترحة لبلورة الافكار الرئيسية التى دارت فى الندوة ..

ففى الواقع أن هناك اتفاقا شبه تام على أن عملية التثقيف الاشتراكى عملية مستمرة فى جميع الاحوال ، وتحت كل الظروف .. الخ .. ولايكاد يكف مسئول فى أى مستوى من مستويات الاتحاد الاشتراكى عن التصريح بأهمية التثقيف وضرورته للكادر وللجماهير على السواء .. ومنهم ــ من المسئولين ــ من استطاع ترجمة هذه التصريحات ــ فى المرحلة الماضية من الاتحاد الاشتراكى ــ الى عمل .. فأنشىء المعهد العالى للدراسات الاشتراكية ثم المعاهد المحلية الاخرى فى السويس وبور سعيد وبنى سويف .. واضطلعت كافة الامانات ــ السابقة ــ بتثقيف اعضائها والمنتمين اليها من قوى الشعب كامانات الشباب والعمال والفلاحين والمهنيين ، وتخرج آلاف من المعاهد الاشتراكية ومن الدورات التدريبية .

ولكن المشكلة الحقيقية التى كانت تواجه عملية التثقيف هى ذبذبة مواقف البعض من عملية التثقيف . فأحيانا يريدون لها التدعيم والانطلاق . وأحيانا يغضون الطرف عنها .. استحياء من مواجهتها بالرفض آخر ..

ومن هنا وعلى الرغم من ان عملية التثقيف للكوادر هى فى جوهرها عملية تنظيمية يقوم بها التنظيم السياسى ككل ، الا أن عملية التثقيف ارتبطت بموقف بعض القيادات لا بفلسفة التنظيم وخطته .

وقد انعكس هذا فيما عبر عنه الاخوة والزملاء الذين اشتركوا فى الندوة من أن عملية التثقيف قد واجهت مشاكل حادة فى الفترة الماضية كتعدد المناهج والاعتماد على الاجتهاد والجهود الذاتية وعدم وضوح وحدة الفكر .

ومن هنا جاءت اقتراحات عبد الهادى ناصف لاهداف خطة التثقيف الجديدة بأنها يجب أن تتضمن ·

١ - منهجا للتثقيف الاشتراكى فى كل مراحله ومستوياته ·

٢ - خطة مركزية للتثقيف ·

٣ - خطة متكاملة للاشراف ·

فهل هذه الاقتراحات كافية لضمان البدء بعملية التثقيف واستمرارها لتثقيف الكادر والجماهير .

● قبل الاجابة على هذا السؤال ينبغى التعرض بايجاز شديد لعملية التثقيف فى الفترة الماضية · ففى الواقع أن خطة التثقيف الاشتراكى كانت قائمة فى الفترة الماضية على خطة مركزية صادرة من أعلى مستوى · وأن عديدا من الضمانات كان موجودا لضمان وحدة الفكر ...

فقرار اللجنة التنفيذية العليا رقم ٣ لسنة ١٩٦٤ الخاص بانشاء المعهد العالى للدراسات الاشتراكية الذى افتتح فى ٩ مايو سنة ١٩٦٥ « **ينشأ المعهد العالى للدراسات الاشتراكية مؤسسة علمية تابعة للاتحاد الاشتراكى العربى ، تقوم بالدراسات العليا للاشتراكيه العربيه والتعريف بها وعمل الدراسات التطبيقية لها ، ويلحق المعهد باللجنة التنفيذية العليا ويعتبر الجهاز الفنى للجنة الدعوة والفكر الاشتراكى** » ·

وفى البرنامج التفصيلى للمعهد تضمن كيفية اعداد الكوادر ، وفى المادة ٣ من [أ] الى [ز] نصوص لاتقبل الشك على المركزية وعلى مسئولية المعهد عن وضع الخطط والبرامج التثقيفية لمختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى ، « ومختلف المؤسسات العامة والخاصة » .

ونصت المادة الرابعة ، على ان يتولى ادارة المعهد تحت اشراف اللجنة التنفيذية العليا لجنة الدعوة والفكر ، وعضو اللجنة التنفيذية العليا المفوض ومدير عام المعهد ·

ونصت المادة ٦ فقرة (ز) على انشاء فروع للمعهد ومراكز تدريب فى مختلف أنحاء الجمهورية

وفى آخر تقرير أصدره المعهد عن أعماله عن الفترة من نوفمبر ١٩٦٥ حتى ٣٠ ابريل سنة ١٩٦٦ تضمن بيانا عن نشاطه وتقييما لبعض الدورات الدراسية لبعض المعاهد الاقليمية كمعهد السويس وصلة المعهد بالأمانات الأخرى والمكاتب التنفيذية فى التخطيط والتدريب فى حلقات دراسية مختلفة ..

ومعنى هذا أن أهداف المعهد أخذت طريقها الى التنفيذ من ناحية اعداد الكادر تثقيفيا طبقا لمنهج خاص واحد .. وان عملية تثقيف الكادر سارت شوطا طويلا فى طريق المركزية .

هذا من ناحية المعهد العالى للدراسات الاشتراكية · أما من ناحية أمانة الدعوة والفكر فان اختصاصاتها فى الفترة الماضية كانت تتضمن عملية تثقيف الكادر وهى :

١ - توضيح المفاهيم الاشتراكية التى يجب أن تسود مجتمعنا ·

٢ - صياغة الافكار المختلفة لهذه الافكار بما يتلاءم مع المستويات المتعددة فى المجتمع ، وهذه مسألة تتعلق بالدعوة ، وتجىء بعد ذلك الوسائل التى يجب أن تتبع فى نقل هذه الافكار الى جماهير مجتمعنا .

وسارت أمانة الدعوة والفكر شوطا بعيدا فى هذا الاتجاه ·

ومعنى هذا أن ايجاد منهج للتثقيف والخطة المركزية للفكر والتثقيف ، الثقافة ليست ضمانا لاستمرار عملية تثقيف الكادر واعداده للعمل بين الجماهير ، بدليل ان التجربة الماضية توفر لها المنهج الواحد والمركزية ، ومسئولية الاشراف والمتابعة · فلماذا تعثرت طوال الفترة الماضية ؟ وهل يكون اعادة التجربة بشكل أو بآخر ضمانا لاستمرارها وتحقيق أهدافها الجديدة ؟ ·

ان الاجابة على هذه الاسئلة ربما نتلمسه فى بعض المناقشات التى دارت فى الندوة، مثال ذلك وجود قطاع عام وقطاع رأسمالى فى الاقتصاد وانعكاس هذا على الناحية الفكرية · وفى تقديرى ان هذا مما يدفع بعض القيادات فى مواقع السلطة الى اتخاذ مواقف من شأنها ايقاف عمليه التثقيف عند حد معين او اثارة الشكوك حولها تمهيدا لضربها أو على الاقل عزلها حتى لاتتلمس سبيل الحماية لدعمها على مسار دربها الطويل ·

وما أثاره الدكتور اسماعيل صبرى والدكتور عمرو محيى الدين ورفعت السعيد حول مايسببه هذا الوضع فى التناقض بين الكوادر وما هو قائم

فى المجتمع بحيث يخلص لنا ان الفجوة حدثت من هنا .. فجوة بين ماتخرجه هذه المؤسسات التنظيمية السياسية من كوادر ، ومدى مسئوليتها عن التغيير واحداث الصراع لازالة التناقض ثم الفجوة بين مايقال وما هو واقع ..

ونضع يدنا على أصل المشكلة التى عندها تتعثر وتتوقف عملية التثقيف للكوادر وللجماهير على السواء .. وهى مشكلة المواقف المتغيرة للقيادات ومدى ارتباطها بصلب فكر التنظيم السياسى .. وهذا ما يجب أن يدار من حوله النقاش والحوار .

الوضـــوح الفكــرى هـــو الاســـاس لتثقيـــف الـــكادر والجمـاهـــير

السيد شعراوى

فى الحــوار المفتوح حــول تثقيف الكادر والجماهير بالعدد الاخير من « الطليعة » اشار الـدكتور محمـد الخفيف الى ظاهرة اعتبرها خطيرة وهامة فى رايه ، وليسمح لى الدكتور الخفيف ان اختلف معه فى ذلك الراى .

الرجل العجوز يعمل !

يقول الدكتور الخفيف «وهذه نقطة هامة وخطيرة جدا ، انه ثبت لى بالتجربة ان المدير فوق الـ ٤٠ سنة فعلا الذى يعمل، او فوق الـ ٣٥ سنة فىالقطاع العام هم اكثر الناس عملا فى القطاع العام .. مأســاة ، انا اعتبرها مأساة كل الشباب،لانه لايعمل اطـــلاقا ، ولايريد ان يعمل ، الذى يرهق نفسه فى العمل هو الرجل العجوز الذى نقول عليه ، هــذا معوق وغير اشتراكى .. تلك مسالة خطيرة جدا » .

وانى اسأل بدورى لماذا هذه الظاهرة الخطيرة والتى لاتزال موجودة فىمجتمعنا ؟! ولاسيما بعد ماذكره الدكتور اسماعيل صبرى عندمـا قـال « العدد الاكبر من الناس فوق ســن الـ ٤٠ الموجودين فىالادارات العليا للشركات تربوا تربيـــة راسمالية كاملة » .

وانى اقول ان مسئولية ذلك تقع اولا واخيرا على اجهــزة التثقيف المختلفةوالمتنوعة والتى كانت تمـــارس عملهـــا قبل ٥ يونيــو ١٩٦٧ وتوقفت الآن . وان هــذا يعنى ان الثـــورة لم توفق تماما فى خلق كوادرهـــا الثورية ، وبالتالى لم تصــل بالجماهير الى مستوى الوعى الســياسى الخليق بثورة غيرت من معالم ومستقبل بلادنا .

وعندما نقول ان الرجل المسن يعمل وأن هناك مأساة فىحياة شبابنا العملية ، وفى وحــدات الانتاج ، لااستطيع الا ان اعيد كلمات محمد سيد احمد والتى تقول « ان التكنوقراطيا الذى لايرى الا الحلول الراسمالية ، يكون اكثر انجازا واكثر قدرة اما غيره من الكادر العقائدى فلايستطيع ان يتحرك او ينتج او ينجـز فى المنـــاخ غيـــر الاشتراكى ، هذه هىالمشكلة»

نعم هذه هى المشــكلة .. وهذا هو السبب الاول ..

١ ــ ان بعض العناصر فوق الاربعين فى مختلف الشركــات والمؤســسات انما هىفىالحقيقة مدربة تدريبــا جيدا فى كيفيــة تقييد حركة الشباب الجديد اذا حاول ان يتحرك وكيف انهـــا تضرب المثــل فى الانحــراف والفســاد والوقيعة بين هــذا او ذاك ، وهنـــاك من الامثلة الكثير . كل هــذا فى غيبــة الكادر الثورى كادر الثورةالذى يستطيع ان يتحرك فى حماية تنظيم سياسى قادر على حمايته وهذا لم يحدث قبل ٥ يونيــة كما نعرف جميعا .

وهناك سبب ثان وهو :

٢ ــ اختيار الكادر على اى اساس : كيف يختــار العنصر من اجــل التثقيف ؟ انى اورد هنا مثلا مما كان يحدث فعلا، يصل الى المسئول فى وحــدة الانتاج وغالبا ما يكون [مديرا] خطاب يطالب باختيار عناصر لحضور الدورات السياسية والتدريبية . فماذا يفعل المســئول ؟ يبحث عن العناصر « المشـــاغبة » بالنسبة له او التى يريدابعادها عن محيط العمل بل واكثر من ذلك يجعل ارسال العنصر من بــاب الجــزاءات والعقوبة !! فتكون النتيجة : عددمن العناصر السيئة التى لاتؤمن اصـــلا بالتنظيـــم والتى ليس لهـــا ارتباطات بزملائها او اهتمامات عامة ، بينما هنـــاك من يقف متحسرا ومتألما يريد باخــلاص

ان يسرق شيئا من الاشتراكية ولكن المسئول لم يدرج اسمه فى كشف الاسماء — اقول ذلك . واؤكد ان هذا لم يكن حكما عاما — ولكن هناك من استطاع ان « يفلت » من ذلك الحصار ويذهب لينهل من الثقافة التى قدمت له .

وهكذا رأينا كيف ان هؤلاء المديرين قد وقفوا حائلا ليس بالصدفة وانما عن وعى وفكرية متخلفة ومعادية .

ما الغرض من التثقيف ؟

ان اهمية ايجاد الكادر الثورى الواعى بظروف مجتمعه وعالمه ، انما تنبع من تعاظم الدور الذى يقوم به وسط الجماهير ، اذ انه يعتبر قلب الثورة النابض ، وبقدر وعيه بمشكلات الثورة واهدافها ، وبقدر نجاحه فى نقل هذا الوعى الى الجماهير ، بقدر ماتؤمن منجزات الثورة وتتحقق اهدافها . وبذلك يستطيع الكادر الثورى ان يساعد على احداث التحول الفكرى المطلوب لدى جماهير الشعب على نحو يتلاءم مع التحول المادى الذى حدث فى الاساس الاقتصادى للمجتمع .

ولما كان التحول الاشتراكى انما يتم الان فى ظروف صعبة وفى مواجهة قوى استعمارية وصهيونية ضارية وتحت ظروف احتلال جزء عزيز علينا من بلادنا ، لذلك يجب ان يكون هناك من الدراسات للكوادر مايجعلهم متفهمين لهذه الظروف داعين لها ، مثل الدراسات عن الاستعمار والرأسمالية ، عن الثورة المضادة ، عن الصراع الطبقى فى بلادنا ، مع التركيز والتنبيه على النقاط الآتية :

١ — ان مجتمعنا يمر بمرحلة الانتقال من المرحلة الرأسمالية الى المرحلة الاشتراكية .

٢ — انه قد اصبح لدينا الان دليل عمل ثورى هو « الميثاق » تتسلح به الجماهير فى كفاحها الطويل ضد الاعداء .

٣ — التركيز على العمال والفلاحين فى عملية التثقيف .

٤ — ومما لاشك فيه ان الوضوح الفكرى احد الاعمدة الاساسية فى عملية تثقيف الكادر والجماهير .

أهمية الوضوح الفكرى

كانت هناك بعض القيادات التى تنكر اهمية دور النظرية فى قيادة العمل الثورى ، بل وتنكر دور دليل العمل الثورى الذى هو سلاح فى ايدى الجماهير ضد اعدائها ، وكانت هذه القيادات تتصور انه من الممكن تكوين كادر ثورى بعيدا عن الممارسة اليومية للعمل السياسى ، مع العلم بأن الارتباط بالجماهير خير معلم وقائد لنا . **والوضوح الفكرى بالنسبة للكادر ، بل وللجماهير يصبح مسألة اساسية لانه بدونها تصبح عملية التثقيف وكأنها مجموعة من الطلاسم فى حاجة الى قوى كبرى لفهم مافصده** . لذلك عندما طالب بيان ٣٠ مارس بالتغيير حدد التغيير المطلوب بأنه « يجب أن يكون فكرا أوضح ، وحشدا اقوى ، وتخطيطا أدق ، وبذلك يكون للتغيير معنى ، وتكون للارادة الشعبية مقدرة اجتياح كل العوائق ، والسدود ، نافذة واصلة الى هدفها » .

فالوضوح الفكرى له اهمية خاصة لدى الكادر والجماهير والا فكيف الوقوف ضد الايديولوجية المضادة للثورة . وايديولوجية الاستعمار الجديد والتى اصبحت اليوم غيرها بالامس من حيث ملائمتها للظروف الجديدة للعصر الذى نعيشه .

ومن المفيد ونحن نتحدث عن الوضوح الفكرى ان نورد هنا ماقاله الرئيس عبد الناصر فى مؤتمر المثقفين ١٩٦٨/٤/٢٨عن طبيعة المرحلة التى نمر بها فى رأيى هامة للغاية فيقول :

« احنا لانعيش مجتمع اشتراكى ولكن نحن نمر بفترة التحويل من المجتمع الاقطاعى الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى الذى يذوب فيه الفوارق بين الطبقات . اصعب مرحلة واصعب مسئولية » .

ومن الامور الهامة بالنسبة للكادر وللجماهير ايضا ان يعلموا طبيعة المرحلة التى يمرون بها ، حتى يكون الكادر قادرا على تعبئة وتنظيم الجماهير من أجل هدف محدد، وحتى يكون قادرا على اجتذاب خيرة ابناء الجماهير للاشتراكية . وليس ذلك فحسب ، بل ينبغى ان يكون هو أولا قد تكون ونما من خلال تربية تنظيمية قوية ، وهذا مانشاهد بدايته اليوم ونحن نعيد بناء التنظيم السياسى وقد وضح ذلك بالنسبة لانتخابات مجلس الأمة وتدخل الاتحاد الاشتراكى بمرشحيه .

ولذلك نقول ايضا ان التنظيم هو احد الطرق الاساسية لاعادة تثقيف وبناء الكادر الثورى . ففى خلال التنظيم والالتزام يستطيع الكادر ان يتعلم فى

الممارســة كــل القيم الجديدة البعيدة كل البعد عن الفردية المغامرة، بل والغرور ايضاتلك الصفات التى غرستها العهود القديمة فى وجداننا .

بقيت كلمة هى أن نراعي عند اختيار العنــاصر التى نعــدها للتثقيف ان تكون نــابعة مــن الشعب ، معبرة عن امــاله العظمى ، ملتزمة جانب الدفاع عن مصالحه وحماية انتصاراته دائما . وهؤلاء سنجدهم بين جموع الشعب من العمــال والفــلاحين والمثقفين الثوريين وغيرهم .

نوعيــة الكادر .. هى نقطــة البــدء

وديع امين

لاشك ان التثقيف الاشتراكي يعد امرا ضروريا للبناء والتكــوين الفكرى للكادر ، وتسليحه بالمنهج الاشتراكى العلمى . ولكــن الشيء الــذى يثير التســـاؤل بهــذا الخصــوص هو : هــل التثقيف الاشـــتراكى هدف بحــد ذاته .. وهــل يمكن للتثقيــف الاشتراكي أن يخلق اشتراكيا مناضلا لمجرد كونه يلقى عددا من المحاضرات، أوحتى مجموع التراث الاشتراكي الانسانى والخبرات العالمية ؟ ان هناك ثمة حقيقة علمية وهى أن النظرية تتحول الى قوة مادية عندما تعتنقها الجماهير ، ومعنى ذلك ان الثقافة تصبح قوة مادية عندما يتمثلها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون أصحاب المصلحة الاساسية فى الاشتراكية ، وتكون بين ايديهم وسيلة واداة لتغيير الواقع ، وتحقيق التقدم الاجتماعى، وفيما عدا ذلك فلا تعدوان تكون نوعا من التأمل، أو الثرثرة والمناقشات البيزنطية العقيمة .

ان تجربة التثقيف الماضية تستطيع أن تجيب كثيرا على هذا السؤال ، وان النتائج السلبية لهذه التجربة فى التطبيق تفوق بكثير النواحى الايجابية فيها ، وكانت أبرز ماتمخضت عنه هذه التجربة هو ايجاد « نموذج » من الدارسين الذيــن « يرطنون الاشتراكية » فى الندوات والاجتماعات ويمارسون فى نفس الوقت العلاقات الاجتماعية البورجوازية بكل مظاهرها الطبقية وعقدها النفسية ، حتى أنه لم يسلم من هذه العيوب والشوائب أولئك العمال الذين استبدلوا ياقاتهم الزرقاء بالياقات البيضاء المنشاة وتقليد ومحاكاة المثقفين ابناء البورجوازية الصغيرة، وتقمص سلوكهم وعاداتهم المريضة. واصبح لاهم لهؤلاء جميعا غير الدفاع عن مراكزهم التــى يحتلونها والوقوف فى وجه مبادرات الجماهير وخاصة فى مواقع الانتاج ومعارضة كل جديد ومحاولة اللحــاق بركب البيروقراطية ، وذلك باستثناء عدد قليل من الدارسين وهذا يرجــع بلا شك الى عدة عوامل ، وذلك على النحــو الذى اوضحه كل من عبد الهادى ناضف والدكتور محمد الخفيف فى مستهل الندوة .

ونحن عندما نتحدث عن الكادر الاشتراكى فاننا نعنى بكل تأكيد ذلك الانسان المنــاضل والمفكر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى الذى لايشارك فحسب بنشاط فى تنظيم وتعبئة الجماهير وتنمية الانتاج . بل ايضا فى الدفاع عن المكاسب الثورية للجماهير والتصدى لقوى الثورة المضادة فى الداخل ، وتدعيم التحالف بين قوى الشعب العاملة ، وقيادة التحولات الاساسية فى البلاد وتطوير أجهزة الدولة والقطاع العام وتنسيــق الحياة العامة . انه باختصار ذلك الانسان القائد الذى قــال عنــه المنــاضل والمفكر العــالمى جيفارا — هو آخر من يأكل وآخر من ينام واول من يموت » .

ان كل ذلك يتطلب من القائمين على التدريس فى المعاهد الاشتراكية والعمالية والمسئولين عــن التثقيف فى اللجنة المركزية فى المستقبل ، ايجاد معايير وشروط محددة يتم على أساسها اختيار العناصر الجادة الصالحة التى تؤهلها صفاتها ومواقفها السابقة للتثقيف الاشتراكى والتــركيز أساسا على العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين ، خاصة فى هذه المرحلة التاريخية الحاسمة التى يمر بها الوطن ويعاد فيها بناء الاتحاد الاشتراكى .

ان الحديث عن بناء وتكوين الكادر يقــودنا بالضرورة الى موضوع التنظيم السياسى الطليعى كما جاء فى برنامج ٣٠ مارس ، والذى عهد الى اللجنة المركزية مهمة « بناء التنظيم السياسى لطلائع الاتحاد الاشتراكى » نظرا لارتباطه الوثيق والمباشر

بمسألة بناء وتكوين الكادر الاشتراكى ، اذ أنه من غير المتصور بناء وتطوير الكادر السياسى بعيدا عن التنظيم السياسى الطليعى الذى يوجد فى صفوفه كافة الاشتراكيين المصريين ، ويقود التحولات الاساسية للبلاد على أساس النهج الاشتراكى العلمى .

اننا أحوج مانكون اليوم الى العمل الحزبى كما أشار الى ذلك الرئيس جمال عبد الناصر فى حديثه الى المؤتمر القومى فى ختام دورته الطارئة ، وقوله : « أن علينا أن نعمل فعلا عمل حزب وعلينا ان احنا نعمل على اساس ان البلد فيها حزبين، الاتحاد الاشتراكى الذى يؤمن بالتغيير نحو الاشتراكية والذى يؤمن بتحالف قوى الشعب العاملة والذى يؤمن بأن الحرية لابد وأن تنتزع للشعب كله والذى يؤمن بالقضاء على الاقطاع وسيطرة رأس المال » .

ومن بين المسائل الهامة التى يثيرها موضوع الندوة ، مشكلة عدم وجود نظرية ثورية متكاملة تحدد استراتيجية ومسار الثورة فى بلادنا حتى الان ، مما يجعل الرؤية وآفاق المستقبل غير واضحة ومحددة تماما أمام الكادر وكافة المناضلين الثوريين، ويحد من قدرتهم على الحركة، مما يؤثر بالتالى على حركة الجماهير الشعبية العريضة صاحبة المصلحة الاساسية فى الثورة – وهذه فى تقديرنا ليست مشكلتنا وحدنا ، بل هى مشكلة معظم التجارب الاشتراكية فى العالم الثالث ، ولكن استمرار هذا الوضع من شأنه أن يعرض مستقبل الثورة فى بلادنا للخطر ، الامر الذى لن تستفيد منه غير قوى الثورة المضادة والامبريالية والصهيونية العالمية للتشكيك فى مواقفنا واهدافنا وقدرتنا واحداث البلبلة فى صفوف الجماهير ، وربما ادى ذلك أيضا فى بعض الاحيان الى عدم التقدير الكامل والفهم الخاطىء لموقف أقسام من قوى الثورة وانحراف فى المواقف التاكتيكية عندما تختلط الامور ، وعزلها عن بقية القوى الثورية، وهو امر ليس فى صالح الثورة والتقدم بأى حال من الاحوال .

ولقد اصبح من الامور الواجبة والملحة فى هذه المرحلة ، ايجاد مفهوم واضح يحدد ماهى قوى الثورة المضادة سواء من الناحية الطبقية أو الايديولوجية التى تندرج تحت مفهوم الثورة المضادة . وان كانت ثمة ملاحظات خاصة بالتثقيف الاشتراكى يمكن اضافتها الى ماجاء فى الندوة ، فانه يجب أن يوضع فى الاعتبار مهمة توعية الكادر بمشكلة البيروقراطية فى أجهزة الدولة ، ومواقع الانتاج وظروف نشأتها وتكوينها خلال السنوات الماضية من الفئات الاجتماعية المختلفة ، وهى التى تحاول اليوم عن طريق مراكزها أن ترث الطبقات القديمة المخلوعة واوضاعها الاجتماعية ، وان تتأسر بالنصيب الاكبر من مكاسب الثورة الاشتراكية ، وباتت تشكل عقبة فى سبيل التقدم ، والحيلولة دون نمو وتعاظم دور الجماهير الشعبية ومبادراتها الثورية .

اعتبـــــارات .. يجب أن تراعى

رجب احمد عبد الباقى

أعتقد ان اجهزة التثقيف باللجنة المركزية تستطيع القيام بدور هام وعظيم فى عملية التثقيف الاشتراكى ، ويجب ان نضع فى اعتبارنا النقاط التالية :

١ – ان معركتنا مع العدو الصهيونى معركة طويلة وضارية ، ولن تنتهى بازالة آثار العدوان سواء تمت بالحل السياسى أو بالعمل العسكرى . ان معركتنا لن تنتهى لان اسرائيل وجدت لتكون كلب حراسة للاحتكارات الاستعمارية ومخلب قط ضد حركات التحرر العربية التقدمية .

٢ – يشن علينا العدو الصهيونى وأجهزة الدعاية الاستعمارية حربا نفسية لتثبيط الهمم وفقد الثقة بين الشعب والقيادة ، وليس هذا فقط ،بل واظهار العدو بمظهر القوة التى لاتقهر ، واثارة موجة من التهويل حول اسلحة العدو . وهذه الحرب النفسية فى حاجة الى عمل سريع ، يعنى

بشرح الامور وتوضيح حقائقها للجماهير حتى تتسلح بالوعى وتكون محصنة ضد الاشاعات والمؤثرات الدعائية التي يقوم بها العدو الصهيوني .

٣ ــ شرح حقيقة هذا الكيان الصهيوني وخطره علينا فى المستقبل ، ومدى قدراته ، ومدى قدرتنا نحن . ولا شك فى أن معرفة العدو عامل هام من عوامل النصر الحاسمة .

٤ ــ عدوان الخامس من يونيو واهدافه ، وهل تحققت . ؟ والظروف الحاضرة أيضا . الجماهير فى أشد الحاجة لمعرفتها على حقيقتها حتى تطمئن على مستقبلها ومستقبل وطنها .

٥ ــ المقاومة الفلسطينية ومدى الدور الذى يمكن أن تؤديه فى المعركة الشاملة . والتعريف بالقضية الفلسطينية .

٦ ــ تسليح الاعضاء القياديين بالوعى والمعرفة وانشاء لجان تثقيف ابتداء من الوحدة الاساسية حتى اعلى مستويات التنظيم ، على ان يكون هناك اتصال مباشر بينها لمعرفة حركة الأحداث وتطوراتها ، على أن تقوم هذه اللجان بدورها بتثقيف ونشر الوعى بين الجماهير وتزويدها بمعلومات صحيحة وصادقة .

٧ ــ الشعب يفتقد الكثير فى الناحية الفكرية وهى ناحية هامة وضرورية لتنمية الوعى والادراك .

٨ ــ عقد الندوات والمؤتمرات السياسية لزيادة الانتاج ومحاربة الاسراف لربط العاملين بالمجال التنفيذى بالعاملين فى المجال السياسى .

٩ ــ الوعى الاشتراكى له دور كبير من اجل بناء مجتمع اشتراكى لانه من خلال هذا الوعى والايمان بهذا النظام ينتج العمل السليم الذى يسير فى خطه الصحيح اثناء عملية التحول والبناء .

١٠ ــ تنمية الوعى بأهدافنا فى الوقت الحاضر واهدافنا فى المستقبل ، وتعبئة الجماهير الشعبية لتكون دائما مستعدة لكل الاحتمالات القادمة .

.. والريف له حقوق فى التثقيف الاشتراكى

يونس ابراهيم يونس

ان من الزم الامور للجماهير هو تعريفها بحقيقة موقفنا وحقيقة الوضع الحالى لجماهير شعبنا واعطائهم المزيد من وضوح الرؤية . أن التثقيف السياسى الحالى يكاد يكون محصورا فى المدن والمحافظات دون القرى ، وهى التى تمثل السواد الاعظم من جماهير شعبنا وصاحبة المصلحة الحقيقية فى التطلع الى المجتمع الاشتراكى وتمثل الدفع الثورى بحق وأمانة .

وهذه هى فى رأيى المهمة الاولى للجان الفكر والتثقيف الاشتراكى بالوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى العربى . وقد لاحظت أثناء انتدابى فى لجان الانتخابات لمجلس الامة مدى ما تحتاج اليه الجماهير فى القرى من الوعى والتثقيف، ولذلك لابد أن يكون هناك نظام التدريب السياسى على أوسع نطاق ، ويكون المسئولون عن الدعوة والفكر فى لجان الوحدات الاساسية فى القرى لهم دور حاسم وفعال . هذا هو الدور الطليعى للتنظيم السياسى فى مرحلته الحالية حتى يستطيع هؤلاء الافراد ان يلتفوا حول تنظيمهم السياسى وينطووا تحت رايته وأن تكون زيارات المسئولين عن الدعوة والفكر سواء من اللجنة المركزية أو من أعضاء المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى الى الفلاحين فى القرى .

ولذا نرى ضرورة وجود خطة شاملة للتثقيف تبدأ من القرى والزيارات المتكررة لهؤلاء وبذلك تستطيع جماهير شعبنا ان تكون على وعى وأن تشارك بايجابية فى مسئولياتهم السياسية .



وثيقة سياسية

كراسة "تيموانياج كريتيان" (شهادات مسيحية)

جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية

في هذا العدد ، تثير « جماعة البحث والعمل من أجل تسوية القضية الفلسطينية » ــ في حوارها ــ قضية هامة : هي مشكلة القدس التي تحتل مكانة خاصة في فكر وقلب كل عربي .

واذا كنا نؤكد الاهمية الخاصة لهذه الوثائق التي تكتسبها من واقع صدورها عن عدد من كبار الكتاب والمفكرين الفرنسيين الذين يرفضون الدعاية الصهيونية ، فاننا نؤكد كذلك ان بعضا من كتابات هؤلاء الكتاب لا تلتقي تماما مع وجهة النظر العربية . ولكن ذلك لا يلغي اهمية ــ بل وضرورة ــ اقامة حوار خلاق ــ جاد وواسع الأفق ــ مع مثل هؤلاء المفكرين الذين يبحثون بجدية عن حقيقة المشكلة : اسبابها وجذورها وتطوراتها وحلولها .

١٤



ان الطليعة وهي تنشر هـذه الوثـائق بالرغم من اختلاف بعضها مع وجهة النظر العربية ، فانهـا تؤمن بانها تقدم للقارىء العربي نموذجا من التفكير الاوربي تجاه القضية .انها محاولة لتفهم حـقيقة الافكار التي تحرك الرأى العام في أوربا . وهي بلا شك الخطوة الاولى لكسب هذا الرأى العام .»

■

القـــــــدس

مقـــــدمة للفصـــــل

بيير مارتيللو

ازمة الشرق الاوسط هي اولا وقبل كل شيء آخر مســألة سياسية ، وليس من العسـير القيام بتحليل شبه علمي لها . ويتضح لنا من ذلك التحليل ان هناك انفصـاما في التـوازن الصعب بين دول عالم الشرق الصغير ، مما يؤدى فورا الى مواجهة بين المصالح السياسية والاسـتراتيجية والاقتصـادية الخاصة ببعض الكتل وبعدد من الدول الكبرى . ولـذا فانـه بالرغم من بروز معطيات جديدة [منها بالاخص ان الامر لم يعد مجرد صدام بين اقليات نابعـة اصلا من المنطقة ، بل اضحـى يشمل توسعا سكانيا من مصدر خارجي] الا ان الشرق الاوسط يعيش مرة اخرى للاسـف في اوضاع مألوفة لديه .

على اننا سنلاحظ ولاشـك الصدى الغريب للحدث حـتى يكاد يبدو لنا ان حجمه لايتناسب مع المصالح المتصارعة في المرحلة الراهنة المتميزة بتراجع الحرب الباردة . ويجب ان نضع في اعتبارنا الطابع المحدود للوعي الدولي عند الشعوب حتى ندرك ان هذا الصدى لا يتوقف فقط على التفكير السياسي او حتى على الاعتـراف الغـريزي والمدروس للمخاطر .

يجب الا نسارع ايضا فنحتج بالمشاعر الانسانية ، وان كان اثرها غير مستبعد بالطبع في ردود الفعل عند الرأى العام . فقد عثرت الشـعوب الاوروبية فجاة ، بنواياها السيئة ، على ماتستعيض به عن مسئولياتهـا التاريخية في اضطهـاد اليهود خاصة وان نجاح اسرائيل كان فرصة متاحة لتنـاسى هـذه المسئولية .. ولاشك ان الدعوة الفجة والاجرامية الى الابـادة التي سبقت الاحداث العسكرية في يونيو ١٩٦٧ وان التذكيـر بقدر متواضع للغاية ، بمآسى اللاجئين الفلسطينيين قد قـام كـل منهما بدور في الزعزعة النفسية الناتجة عـن مبررات مختلفة بل ومتناقضة . وهنـا ايضا يجب ان نلاحظ مدى طيش الرأى العام الذى سرعان ماتنسى انفعالاته المبنى فقط على اعتبارات انسانية .»

ولذا لابد وان نسأل انفسنا ما اذا كانت الناحية الدينيـة التي يتميز بها هـذا البلـد لم تضف على هذا الحدث اهميـة خاصة : فهذه الزاوية لا تمسها فقط الشـعوب المشـتبكة في الصراع ، بل يلحظها ايضـا جانب كبير من الانسـانية التي تتجه انظارها نحو القـدس بشكل واع او غير واع .»

• واذا كـانت محاولاتنـا في تحليل الاحداث والتوغـل في دراسة التاريخ ، تتسم بقـدر المستطاع بالعلمانية والعقلانية، فاننا لابـد وان نلحظ ظاهـرة خاصة ، وهي ان الأديان الثلاثة الكبرى ، اى اليهودية والمسيحية والاسلام ، نشأت جميعـا من جذع مشترك في هـذا الشرق المطل على البحـر الابيض المتوسط والمعتمد على خلفيـة صحراوية .»

والقدس اهمية خاصة لكل من الاديان الثلاثة : فهي مقر المعبد الوحيد وارض المعاد الاسطورية عند اليهود ، وصورتها متسامية عند المسيحيين لان القدس تصور مملكة الرب ، اما بالنسبة للمسلمين فهي مدينة مقدسة تذكرهم بابراهيم،كما انها المدينة التى سيعلن فيها يوم الحشر : وفضلا عن ذلك تضم المدينة اماكن مقدسة لها دلالاتمختلفة: حائط المعبد الثاني بالنسبة لليهود ، وذكرى آلام المسيح بالنسبة للمسيحيين ، والمسجد الاقصى ومسجد عمر بالنسبة للمسلمين .»

لايحق لنا ان ندهش اذن اذا كانت للقدس ظروف متميزة للغاية ، تعلو الى حد ما على اعتبارات الجغرافيا السياسية او التاريخ السياسي . فالتذكر بالقدس لا يمر بلا اكتراث حتى فى البلاد ذات التقاليدالمسيحية التى تمكنت مؤسساتها من التخلص بلا مشقة من القالب الدينى فى اطار الحضارة التكنولوجية المتمردة على المقدسات . فما بالنا اذن فيما يختص بالاسلام وهو المتميز ، على عكس ذلك ، بتداخل الناحية الدينية مع الناحية السياسية بقدر ملحوظ ؟ .. واخيرا فهناك عدد كبير من اليهود مازال متمسكا بديانة تتضمن بالضرورة الولاء غير المشروط للقدس .

اما فى الواقع ، فان المسائل تصبح اكثرتعقيدا ،خاصة وانها لاتدخل فى الاطار الدينيالصرف وحده ، نظرا لان التنكير الدينى يتحكم الى حد كبير فى المواقف السياسية للشعوب وفى اخلاقياتها . فالطوائف المسيحية تطالب بحقها فى حراسة الاماكن المقدسة وحرية ارتيادها ، ولذا لا تنفصل قضية القدس عند المسيحيين عن مسألة الاماكن المقدسة ، هذا وان كان يتعين علينا ان نميز ما بين مسيحيى الشرق ،ومسيحيي الغرب.ففيما يختص بمسيحيي الغرب يمكننا ان نتقبل فكرة عزوفهم عن امتلاك الاماكن المقدسة منذ انتهاء الحروب الصليبية ، وان ظلت هذه الاماكن تعنيهم كمقدسات يحجون اليها .»

على ان المسيحيين الفلسطينيين ، وهم من العرب، ينظرون للمشكلة بطريقة اخرى حتى ان وجهة نظرهم لاتبعد كثيرا عن وجهة نظر غيرهم من العرب المسلمين نظرا لاعتياد العقيدتين علىالتعايش ،ولوجود ظروف خاصة وتجاور الاماكن المقدسة التابعة لكل من الديانتين . ومن المفيد بالطبع ان نشير الى هذا الوضع الذى ينزع النقاب عن التبريرات الدينية المبتسرة التى يتبناها المسيحيون الغربيون عن جهل بحقائق الوضع المحلى .

وعلى نفس الغرار ايضا ، لايقل حرص المسلمين من جهتهم على الطابع العربى لمدينة القدس ، عن تمسكهم بالطابع المقدس لاثارها . فالاغلبية الساحقة من سكانالمدينة عرب ولغتهم هى السائدة .

وعلى العكس من ذلك فان الموقف المناقض لنفسه ، والذى يعتبر ضم القدس لاسرائيل عملا دينيا [العودة لارض المعاد] وسياسيا [اتخاذها عاصمة لاسرائيل] يرفض فكرة اقرار نظام خاصللمدينة فى مجموعها

على ان هذا النظام الخاص كان مطلوبا منذ حدوث المواجهة بين العرب والاسرائيليين حول اقامة دولة يهودية ، فقد ثار الجدل منذ عام ١٧٥٧ حول الوضع المفروض فى ظل السيطرة العثمانية والذى تم التصديق عليه بمقتضى معاهدة برلين المعقودة عام ١٨٧٨ ، وهكذا جاء قرار منظمة الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ ليقرر مبدأ قيام « كيان مستقل » للقدس وضواحيها [بما فى ذلك بيت لحم] تحت اشراف دولى ،مع وجود مجلس للوصاية يتولى حكومتها باسم المنظمة الدولية ، وقد تمت الموافقة علىتفاصيل هذا النظام فى ٢١ ابريل ١٩٤٨ .وبعد ذلك بعامين ، وفى ابريل ١٩٥٠ ، انتهى مجلس الوصاية من وضع مشروع هذا النظام آخذا فى اعتباره الاوضاع الجديدة القائمة غداة الحرب . وبالطبع ظل المشروع مجرد حبر على ورق . وعلى اثر الازمة الاخيرة اكتفت الجمعية العمومية الاستثنائية لمنظمة الامم المتحدة باتخاذ قرار يعتبر ضم اسرائيل للقدس عملا غير مشروع .»

وحرصت الكنيسة الكاثوليكية من جانبها على تأييد فكرة التدويل . فقد عبر البابا بيوس الثانى عشر فى رسالة باباوية صدرت فى عام ١٩٤٨ (In multiplibicus Curis) عن امله فى قيام نظام دولى يضمن ارتياد الاماكن المقدسة وحرية ممارسة الشعائر الدينية لمختلفالطوائفالمسيحية ، وامله فى ان تحترم العادات والتقاليد الدينية الموروثة . وفى السنة التالية اوضح البابا بيوسالثانى عشر اقتراحه [الرسالة الباباوية (Redemptoris nootri) مشيرا الى ان « الوقت قد حان لكى تمنح القدس وضواحيها .. نظاما يقرره القانون الدولى ويضمنه » .. وقد اتخذ هذا الموقف ايضا البابا بولس السادس مع بداية الازمة

الراهنة ، اذ اكد فى مذكرة مرفوعة الى منظمة الامم المتحدة « ان الحل الوحيد الذى يضمن بشكل كاف الحفاظ على القدس، وعلى الاماكن المقدسة هو وضع المدينة وضواحيها تحت اشراف دولى » .

ولاتهىء الاوضاع الحالية فرصا كبيرة لتقبل هذا الحل . ولعل ماقلناه من قبل يؤكد الناحية المأساوية الصارخة بالضرورة لهذا البحث عن حلول، كما يوضح ايضا التناقضات المعقدة التى يجب ان تكون محل الاعتبار .»

■

القدس [١]

د. حسن صعب

القدس مدينة تتجه اليها افئدة المؤمنين بالاديان الثلاثة المنزلة : اليهودية والمسيحية والاسلام . ولذا يشعر الراى العام الذى هزه عدوان اسرائيل ضد البلاد العربية فى ٥ يونيو عام ١٩٦٧ ، بقلق شديد بسبب احتلال القوات الاسرائيلية للمدينة المقدسة . وقد استنكر العالم باسره القرار الذى اتخذه البرلمان الاسرائيلى فى ٢٧ يونيو بضم مدينة القدس لاراضى اسرائيل . وشمل هذا الاستنكار كل من البلاد التى ايدت العدوان الاسرائيلى والبلاد التى ادانته، ابتداء من الولايات المتحدة حتى الاتحاد السوفيتى .

واذا كان الاستهجان الدولى للاجراءات التى اتخذتها اسرائيل قد اتسم بالشدة ، فان ردالفعل عند مختلف المنظمات الدينية المسيحية والاسلامية كان حادا فى كل البلاد . وقد اعلن قداسة البابا فى الخطاب الذى القاه يوم ٢٦ يونيو امام ثمانية وعشرين من الكرادلة الجدد : « يجب ان تظل مدينة القدس المقدسة على الوضع الذى تمثله . انها مدينة الله وواحة حرة للسلام والصلاة ومكان الالتقاء والتسامى والتوافق بين الجميع ، يجب أن تتمتع هذه المدينة بوضع خاص تتوفر له ضمانات دولية [مجلة «الشرق» ٢٧ يونيو ١٩٦٧] .

واصدر الملك فيصل ،بوصفه حارس الاماكن المقدسة الاسلامية فى الحجاز ، نداء الى كل رؤساء الدول الاسلامية يدعوهم الى القيام بعمل مشترك من اجل انقاذ اقداس المسلمين فى القدس من السيطرة الاسرائيلية ، قال فيه « لقد رايت انه يتعين على ان اتوجه الى زعماء كل الدول الاسلامية فى العالم لاطلب منهم توحيد جهودهم وتجنيد كل امكانياتهم لتخليص المسجد الاقصى وغيره من الاماكن المقدسة فى القدس من ايدى الصهيونية الملوثة الذين دنسوا الاماكن المقدسة . ان الذود عن فلسطين لا يقتصر على الامة العربية وحدها . انها مكان مقدس لكل المسلمين ولكل المؤمنين وهم مسئولون عنها امام الله .

يجب ان يقف كل المسلمين المؤمنين الى جانب اخوتهم العرب فى هذه المعركة التى تتعلق بمصيرنا المشترك [الشرق — ١٧ يونيو ١٩٦٧] .

وقد جاء هذا الاستهجان الاجماعى كرد فعل لتصرفات اسرائيل التى تريد ان تضع العالم مرة اخرى امام الامر الواقع فى القدس ، كما هى عادتها دائما .» وتتعجل اسرائيل اتخاذ كل الاجراءات التى تهدف الى توحيد المدينة تحت سيطرتها وتحويلها الى عاصمة لها ، حتى تقطع الطريق امام اى حل آخر لمشكلة القدس.» وفضلا عن ذلك تضغط اسرائيل على سكان القدس العرب لتدفعهم الى ترك المدينة .» وهكذا يجد العالم نفسه امام مدينة تم تهويدها بالكامل وهو لايزال يدرس مختلف الحلول الممكنة .» وبينما تسعى الدول المختلفة للبحث عن احسن الحلول ، تفرض اسرائيل الحل الذى ترتئيه بقوة السلاح والضغط والارهاب .

اما الحلول الاخرى المقترحة فهى :

[١] الحل الاردنى الذى يعتبر مدينة القدس القديمة جزءا لا يتجزأ من المملكة الاردنية كما كان وضعها قبل عدوان اسرائيل فى ٥ يونيو .»

وتتمسك الاردن باعادة الاوضاع فى مدينة القدس القديمة الى ماكانت عليه قبل العدوان ، شأنها فى ذلك شأن

(١) وثائق ودراسات مركز النشر اللبنانى ، النشرة رقم ٥٥ يوليو ١٩٦٧.

كل قطاعات أراضيها المحتلة من جانب اسرائيل منذ ٥ يونيو».

وتطالب بهذا الحل الدول العربية وكل الدول اعضاءالامم المتحدة التى ترى ان انسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها على اثر عدوانها ، شرطا اوليا قبل اى مناقشة للقضية الفلسطينية ، بما فى ذلك مشكلة القدس ».

[٢] الحل الدولى الشامل الذى يرمى الى تدويل القدس وكل الاماكن المقدسة فى فلسطين . ويتفق هذا الحل مع قرار التقسيم الذى اتخذته الامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ والذى اعلن تحويل القدس الى مدينة دولية . ويقول هذا القرار :

« يعلن تحويل القدس الى كيان مستقل يتمتع بوضع دولى خاص تحت اشراف الامم المتحدة. وتخول الامم المتحدة مجلس الوصاية مسئوليات السلطة الادارية » . [انظر قرارات الامم المتحدة حول قضية فلسطين فى سنوات ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ ، ١٩٦٧ التى نشرها سامى حدواى ، معهدالدراسات الفلسطينية — بيروت ص ٣١ — ٣٣] .

[٣] اما الحل الدولى الثالث فهو جزئى اذ انه يرى ان فرض الاشراف الدولى على الاماكن المقدسة وحدها ، على ان تظل القدس عاصمة لاسرائيل . وتدعو اسرائيل الى هذا الحل لتبرر به احتلالها الكامل للمدينة باسرها ».

ويجدر بنا ان نشير هنا الى ان الكونت برنادوت وسيط الامم المتحدة فى القضية الفلسطينية عام ١٩٤٨ كان يصر على ان تظل القدس عربية صرفة ، وان تكون جزءا لايتجزأ من الدولة الفلسطينية العربية. وقد ورد موقفه هذا فى الاقتراحات التى قدمها للدول العربية واسرائيل لحل المشكلة الفلسطينية . وقد عرضت هذه الاقتراحات فى ٢٧ يونيو ١٩٤٨ ووقفت اسرائيل بعنف ضد ضم القدس للدول العربية وكانت اجابة الكونت برنادوت على ذلك الموقف على الوجه التالى :

« تحيط بمدينة القدس من كل الجوانب اراض عربية ،ولذا فليس من المسموح ان تتحول القدس الى كيان دولى وسط الدول العربية . وهناك سابقة تدويل برلين اثر الحرب العالمية الثانية ، وقد كان مصير هذه التجربة الفشل » ومن وجهة النظر الدينية ، يجب ان لاننسى ان القدس ظلت تحت الحكم العثمانى مدة ستة قرون ، ولم تحدث طوال هذه الفترة اى تعقيدات او نزاعات بين اليهود والحكام العثمانيين .ومن ناحية اخرى فقد اتفقت الكنائس المسيحية على تسليم مفاتيح كنيسة القيامة الى المسلمين حتى تتفادى المنازعات بينها .. [انظر « نحو القدس » بقلم فولك برنادوت ، ترجمة جون بولمان — لندن ، الناشر : هودر وثاوتون ، ١٩٥١ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣] .

وتتعجل اسرائيل اليوم فرض الحل الذى ترتئيه لكى تلغى كل الحلول الاخرى المحتملة . ومشكلة مدينة القدس القديمة ليست فى واقع الامر الا جانبا لاينفصل عن بقية المشاكل التى اثارها العدوان الاسرائيلى الاخير ، ولذا فان انسحاب اسرائيل من القدس ، ومن كل الاراضى الفلسطينية والاردنية والسورية والمصرية المحتلة ، شرط اساسى لاى حوار حول افضل الحلول التى يمكن التوصل اليها بالنسبة لمشكلة القدس وللقضية الفلسطينية فى مجموعها .

■

القدس اليوم [١]

يجب ان نعارض ضم المدينة المقدسة والا تعين علينا ان نتوقع « حملة صليبية » حقيقية يشنها العرب » .

مشكلة قديمة

ترجع مشكلة الاماكن المقدسة الفلسطينية الى القرن الاول عندما اعترفت روما لليهود بحق زيارة انقاض المعبد الثانى ليصلوا فيه ويبكوا ، مرة واحدة كل سنة . وفى القرن الثانى ،كانت العراقيل التى يواجهها المسيحيون فى الحج الى كنيسة القيامة سببا فى قيام الحملات الصليبية. وفى القرن التاسع عشر ادى النزاع بين القساوسة الارثوذكس والكاثوليك فى بيت لحم الى توسيع الهوة التى انتهت بحرب

(١) مقال (مترجم من الانجليزية) نشرته مجلة « كريستيان سنتشورى »(الولايات المتحدة) فى عدد خاص صادر فى يوليو سنة ١٩٦٧ حول النزاع فى الشرق الاوسط . وكاتب المقال استاذ العهد القديم فى الحلقة الدراسية للاتحاد اللاهوتى بنيويورك .

القرم . ولذا فهناك بصفة عامة ثلاثة اقتراحات تقدم لحل المشكلة :

الحل الاول الذى تبناه الرومان وهو يعترف للسلطة صاحبة السيادة بحق السماح بزيارة الاماكن المقدسة وضمان هذه الزياره . وهكذا اقنعت اللجنة الدولية العرب فى عام ١٩٣٧ بالتخلى عن حائط المبكى الذى يمتلكونه حتى يتمكن اليهود من التردد عليه . ويقترح الحل الثانى « التقسيم » ففى ظل الاتراك مثلا كانت كل من كنيسة القيامة وكنيسة الميلاد فى بيت لحم مقسمة بين الطوائف المسيحية التى تنتمى اليها اغلبية الحجاج . وهناك الحل الثالث وهو الحرب التى كثيرا ما نشبت بين مختلف الاطراف المعنية فى القدس . على أن الحروب لم تحل المشكلة أبدا وادت فى احسن الاحوال الى فرض نظام ظالم على كل من الاطراف على التوالى ، والى نشوب نزاعات اخرى .

ويبدو ان الاقتراحات التى قدمت فى عام ١٩٦٧ لحل مشكلة ادارة المدينة القديمة فى القدس قد وصلت الى خمسة اقتراحات [والمقصود بالمدينة القديمة منذ ١٩ سنة المدينة المسورة والاحياء الجديدة الممتدة شمال بوابة هيرود وبوابة دمشق والتى تشمل الشيخ جبره . وهناك ضواحى اخرى مثل (Siuo) فى الجنوب الشرقى وجبل الزيتون و Eserigel فى الشرق وهى تعتمد على القدس تماما من الناحية الاقتصادية .

هناك اكثر من مغزى دينى

وللقدس اهمية كبرى بالنسبة لمن يديرها ، ومع ان مغزاها الدينى له اهمية دولية الا ان كنوزها التاريخية الدينية لاتنفصل عن بقية الجوانب . ولهذه المدينة اليوم اهمية كبيرة سواء من الناحية السياسية او التاريخية او الاقتصادية او العسكرية او الدينية او الادبية او العاطفية . ومع ان كل هذه العوامل لاتنفصل عن بعضها بالنسبة لكل من الاطراف فاننا لن نتعرض الا للجانبين الاقتصادى والدينى .

يوجد فى مدينة القدس ٨٠ ٪ من الاماكن المقدسة «الرسمية» عند اليهود والمسلمين والمسيحيين . واكثر هذه الاماكن مسيحية . وكانت اغلبية الحجاج حتى وقت قريب من المسلمين والارثوذكس . واغلبية الزوار من الحجاج المسلمين ، اما الزوار الاجانب ، ومنهم البروتستانت بالاخص ، فهم اميل الى ان يكونوا سياحا من ان يكونوا حجاجا . ومع ذلك فان السياحة المسيحية والغربية هى الاهم من الناحية الاقتصادية . وقد اعلن دانا ادمز شميدت فى « النيويورك تايمز » [١٧ يونيو ١٩٦٧] ان عدد السياح الذين دخلوا الاردن زاد من ٨٥ الفا فى عام ١٩٥٤ الى نصف مليون فى عام ١٩٦٦ . وكانت السياحة امل الاردن للوصول الى الاستقلال والحفاظ عليه فى السنوات القادمة . وكانت القدس هى مفتاح هذا الامل . ومن هنا فان الاشراف على القدس يعنى اكثر من مجرد الاشراف على مدينة لها قيمة دينية ».

١ — اذا سيطرت اسرائيل على المدينة فان الاقتصاد الاسرائيلى سينعم بانتعاش كبير . وفى نفس الوقت سيكون فى وسع اليهود الوصول الى حائط المبكى [وهو انتقام من ١٩ سنة مضت] ولنا ان نعتقد ان المسيحيين المنتمين الى دول عربية سيكونون احرارا فى دخول المدينة والخروج منها . اما المواطنون العرب فى فلسطين المحتلة وكذلك ايضا المسافرون والحجاج العرب فلن يسمح لهم بدخولها . واى دولة عربية لن تسمح لمواطنيها ، سواء كانوا مسلمين او مسيحيين ، بطلب تأشيرة دخول اسرائيلية او استخدامها . على ان اقتراح اسرائيل بالسماح للعرب بدخول القدس بلا قيود يفترض بالطبع احتمال تعرض اسرائيل لوصول اعداد ضخمة من الحجاج والاجانب الوافدين من دول معادية . والواقع ان اسرائيل اكثر واقعية من السياسيين الغربيين فيما يتعلق باحتمالات اعتراف الدول العربية بها . لن تكون هناك مفاوضات صلح مباشرة ، واسرائيل تعى ذلك جيدا . ولاتوجد مخاطر تستدعى اتخاذ احتياطات فيما يتعلق بوصول العرب الى الاماكن المقدسة ».

٢ — واذا استعادت الاردن مسئولياتها وتولت الحكم فى القدس [والضفة الغربية على الارجح] فان « الانتعاش » الاقتصادى لن يكون ضخما فقط كما سيحدث فى حالة اسرائيل، بل سيكون ضروريا لقيام اقتصاد اردنى قابل للاستمرار ، وسيكون بلا شك مفتاح بقاء المملكة الاردنية الهاشمية ككيان سياسى مستقل . وسيستمر الحجاج المسلمون والمسيحيون فى التوافد على الاماكن المقدسة بما فى ذلك الـ ٥٠ الف عربى مسيحى المقيمين فى اسرائيل ، اذ ان كلا من الاردن واسرائيل كانت تسمح لهم فى السنوات الاخيرة بحج سنوى فى اعياد الميلاد والفصح . اما اليهود فسيستبعدون توا بأى حجة من الحجج . وهذا الاستبعاد غير مستساغ فى رأينا ، شأنه شأن أى اقصاء آخر يتم تحت ضغط الامر الواقع [كما هو الحال بالنسبة للحالة الاولى المذكورة سالفا] ».

٣ — ولكن اذا اشرفت الامم المتحدة على القدس فى شكل تدويل للمدينة ، وفقا لما جاء فى قرار التقسيم الصادر سنة ١٩٤٧ فان قيمة المدينة الاقتصادية ستكون فى صالح كل من

الطرفين ؟ وبالأخص الجالية الفلسطينية العربية ، وايضا في صالح اي مستثمر يهودي أو غير يهودي .. وهكذا سيتهيأ ممر سهل لدخول المدينة والخروج منها عن طريق اسرائيل ، بدلا من القيود الدقيقة المفروضة على بوابة « مندلبوم» [في اتجاه واحد من الشرق الى الغرب] كما كان الحال طوال السنوات العشرين الماضية .. وهكذا يمكن ان يستفيد كل من الاقتصاد الاسرائيلي والاردني .

فالاشراف الدولي على القدس يتيح للحجاج والسياح ورجال الاعمال من كل الاجناس والاديان والقوميات دخول الاردن او اسرائيل . وستزدهر الضواحي النامية لتخدم احتياجات المقيمين والزوار ، وهي نفس الضواحي التي ستختنق في الجانب العربي اذا سيطرت اسرائيل على الاوضاع .

وبالطبع فان تدويل المدينة تحت اشراف الامم المتحدة يفترض نزع السلاح منها تماما وحمايتها بمنطقة منزوعة السلاح تحيط بها . على ان التجارب المؤسفة في حالات سابقة تطمس الصورة المثالية والرشيدة في ظاهرها . ولنذكر بهذا الصدد : طنجة ، ودانتزيج وتريستا . على انه لايحق لنا ان نرفض مناقشة هذه الفكرة فقد تميزت القدس دائما بوضع خاص بها .

٤ ــ ويبدو لنا من الوهلة الاولى ان وجود قوات للامم المتحدة بأعداد ضخمة ليس محتملا بسبب سياسة روسيا المتشككة في دور الامم المتحدة. على انه يبدو مع ذلك ، ان روسيا قد توافق لاول مرة على وجود قوات حقيقية للامم المتحدة في مقابل انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة سنة ١٩٦٧ .

واذا اشرفت الاردن على المدينة بالتعاون مع الامم المتحدة لضمان وصول اليهود الى حائط المبكي ، فان الظلم الذي لحق بهم خلال السنوات الماضية سيصحح دون ان تنشأ مظالم اخرى في مقابلها .

ويبدو لنا ان هذا الاقتراح الاخير هو اكثر الاقتراحات واقعية . فلو ان اسرائيل هي التي اشرفت على المدينة مع ضمان وصول الحجاج الاخرين للاماكن المقدسة من جانب الامم المتحدة فستثور المشكلة الحادة التي اوردناها عند التعرض للافتراض الاول ويصبح دخول العرب الى المدينة امرا مشكوكا فيه .. ففي احسن الاحوال قد تسمح لبنان والاردن وتونس في يوم من الايام (ليس بالقريب العاجل) لمواطنيها بزيارة القدس الاسرائيلية حتى ولو كانت الامم المتحدة تشرف عليها .

يجب ان ندرك ان قيام حكم اسرائيلي في القدس في اي شكل من الاشكال لن يؤدي الا الى زيادة مرارة العرب والتعجيل بالدعوة الى « حرب مقدسة » . ففي نظر المسلمين لا تتقدم على القدس سوى مكة وحدها من حيث مرتبتها في القدسية .ولن يطلب المسيحيون او المسلمون العرب من حكوماتهم الاعتراف باسرائيل للحصول على تأشيرات لانهم مقتنعون بأن جريمة ابادة الجنس ارتكبت ضدهم . فابادة الجنس لها نفس المعنى ايا كانت الجماعة او الامة التي تعاني منها ، ولن يفهم احد تضية فلسطين مالم يدرك ان السبيل الوحيد الذي اتيح للفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ ، لم يكن سوى الموت او الانصهار .

واذا بدا انهم سيقبلون الانصهار في الاردن أو لبنان أو سوريا أو مصر أو اسرائيل فاننا ندرك في الواقع ظاهرة المقاومة اليهودية أو الفلسطينية في مواجهة افتقاد الكيان .. فتحديد الاقامة في احياء خاصة والحياة في معسكرات اللاجئين تحافظ على الكيان .

وقد يؤثر مصير القدس على مصير العالم كله في القرن العشرين . فثلثا سكان العالم يعتبرونها دون شك مدينة مجموعة من الاديان ولذا يجب ان نضع في اعتبارنا بكل جدية موضوع تدويلها .

يجب ان تتأمل الجالية المسيحية الامريكية ، بل ويجب ان تؤيد عودة الادارة الاردنية للقدس مع ضمان وجود مدعم للامم المتحدة .

■

القدس مدينة السلام

بول جوتييه

هل تكون اسرائيل ، بوصفها امة او دولة « شعبا مختارا » أو « ارضا مقدسة » أو « دولة آية» ؟ ان العديد من المسيحيين يؤمنون بذلك اكثر مما يؤمن به بعض اليهود . فنحن نشهد ظاهرة بلبلة اسطورية غريبة منذ ان كانت المخاطر تحف باسرائيل . ومازلنا نشهدها الان ، وبشكل اكبر ، بعد ان حققت انتصارها . فكان مصير الانسانية يرتبط في نهاية الامر

بوجود دولة اسرائيل ». وكان كل ماهو لصالح اسرائيل حق . وكل تنديد باخطاء الاسرائيليين وجرائمهم خطيئة لانه عمل معاد للسلام . واخيرا فان انتصار اسرائيل وفتح القدس يحقق النبوءات . ولهذا الحدث اهمية دينية خاصة لانه ايذان بقدوم المسيح . ويرى بعض المسيحيين انه مادام « عهد الوثنيين قد ولى » عن اورشليم فان المسيح سيعود ليحكم على كل الناس وعلى كل الامم حسب موقفها من شعبه المختار . ذلك هو التفسير الغريب لما جاء في الاصحاح الخامس والعشرين من انجيل متى [٣٥] « فيجيب الملك ويقول لهم الحق اقول لكم بما انكم فعلتموه باحد اخوتي الاصاغر فبي فعلتم » وعليه فان اصغر الاخوة هو اسرائيل ، ودولة اسرائيل وحدها .

وقد احتج الكثير من اليهود على هذا الكلام وعلى ذلك الحماس الزائف والخطر على اسرائيل نفسها في المدى الطويل . ويلاحظ البعض الاخر أن اسرائيل الدولة أو الامة شيء والشعب اليهودي شيء آخر . كما يرى البعض الاخر انه لا يوجد شعب يهودي ، بل ديانة يهودية ، وأمة يهودية . وهناك يهود كثيرون يريدون ان يتخلصوا من « اليهودية الدولية » ويعتبرون انفسهم مواطنين عاديين في دولة عادية ، هي ارض كنعان . ويتشكك عديد من الاسرائيليين في هذا « الانجذاب » السياسي والعنصري من اجل سلام بلادهم وامنها ويقولون «نحن امة كسائر الامم ، نريد ان نعيش ككل البشر » . وكان هناك ، قبل الحرب ، عدد من اليهود المتشردين من اهالي القدس يعتبرون دولة اسرائيل شرا لانها ليست من عمل الله ولكن من فعل السياسة ، وانه من الاجدر ان تسلم للعرب من فرط كونها من اعمال الشيطان . ولاشك ان هذا الرأي قد تلاشى تحت الجليد في الشمس مع احتلال القدس ، ويؤكد ذلك مدى « الداتي » [اليهود المتدينون المتمسكون بالتقاليد البالية ! الذين اجتاحوا المدينة خلف الجيش في موجة من الحماس الديني . ويردد الملحدون [وهناك كثيرون منهم يعلنون ذلك جهارا] كلاما غريبا : « انا لاأؤمن بالله ، ولكن من الواضح بعد هذا الانتصار ان الله معنا» .

ماذا يخفي وراءه كل هذا الانجذاب ؟ هل يخفي حقيقة او خطأ أو خطرا ؟ ان الحقيقة في نظر المؤمنين هي ان الله اختار ابراهيم دون سائر البشر ليوحي اليه وليجعله ابا لكل الذين يؤمنون بوجود اله واحد. لقد انقذ الله اسماعيل وهو يحتضر في الجبل » لان الله سمع لصوت الغلام حيث هو » [التكوين — الاصحاح الحادي والعشرون —١٩] وقد حرر الرب اعقاب ابراهيم من ابناء اسحاق ويعقوب الذين استعبدوا في مصر . كما اوحى الله لموسى « فقال الرب اني قد رأيت مذلة شعبي وسمعت صراخهم من اجل مسخريهم . اني علمت اوجاعهم فنزلت لانقاذهم [الخروج الاصحاح الثالث — ٧] .
لقد تكلم الله من هذه البقعة من الارض على لسان الانبياء . وقد عرف الله نفسه للبشرية من خلال هذا الشعب الذي جاء منه عيسى بن مريم . كل هذا حق ، على الاقل في نظر المؤمنين برب ابراهيم . وهذه الارض ، ارض مقدسة في نظرهم لانها شهدت كل هذه الاحداث . وقد خص الله ابناء ابراهيم دون سائر البشر بعطف خاص .

ولكن هل تسمح هذه الحكاية وتلك العقيدة بأن ينعم الذين يعتقدون انهم المختارين من دون البشر ، بامتيازات ومزايا مادية؟ ان اقرار ذلك يعني املاء عقيدتهم على الاخرين او على الاقل فرض عواقب هذه العقيدة عليهم . فللمؤمنين واجبات نحو الغير ولكن ليست لهم حقوق قبلهم .
ويتحول الصواب الى خطأ عندما يتعدى حدوده وينصب على مجال آخر . فما هي حقوق الملكية تلك التي اختص بها ابراهيم واعقابه بحكم عقيدتهم او بحكم الهبة الالهية ؟

لا شك ان البدو كانوا لايعرفون على الاطلاق القانون الروماني . كان كل مايهمهم هو أن يتجولوا في ارض حتى ولو اقام فيها غيرهم من الناس بشكل دائم . هل اراد الله حقا طرد الشعوب او ذبحها او اراد تدمير المدن كما جاء في سفر القضاة . هل اراد الله حقا التضحية باسحاق ؟ لا شك ان التوراة كتاب منزل في عقيدة المؤمنين ولكن هذا التنزيل يعتمد على ادوات بشرية صرفة ليعبر بها عن نفسه . ولا يمكننا ان كل كلمة جاءت بها التوراة هي ارادة الله بالحرف الواحد والا لتعين على المؤمنين أن يضحوا بالاطفال ويذبحوا المهزومين ويعتدوا على النساء .. حتى تتحقق تماما النبوءات المبشرة بقدوم المسيح الذي يسبقه فتح القدس (زكريا ، الاصحاح الرابع عشر) .

ليس هناك ماهو اخطر من الخلط بين الدنيويات والروحانيات . ولا شك ان العنصرية الدينية هي اخطر اشكال هذا الخلط . والمسيحيون ليسوا معصومين من هذا الخطأ ولا من هذه الخطيئة . وما زال امام المسيحيين طريق طويل يجب أن يقطعوه حتى يتفهموا ويستوعبوا ذلك الجانب الاساسي في الانجيل .

لقد رسم لنا البابا — الرسول يوحنا الثالث والعشرين طريق السلام في رسالته :
(Pacer in Teuis) اذ قال :

« في ايامنا هذه تثير الحقوق المشتركة العالمية ، مشاكل ذات ابعاد دولية . ولا يمكن حل هذه المشاكل الا عن طريق سلطة

عامة ذات تكوين وامكانيات ووسائل تنفيذ لها ابعاد دولية هي ايضا . كما يجب أن تمارس سلطاتها هذه على كل ارجاء الارض . ان النظام الاخلاقي نفسه يستلزم اقامة سلطة عامة ذات اختصاصات عالمية » (١٣٧)

لماذا لم تقترح اسرائيل غداة انتصارها تكوين مثل هذه الحكومة الدولية على أن تتخذ من القدس عاصمة لها لكي تكون على الاقل رمزا لرغبة الانسانية في الحياة في سلام ؟ ومهما بدا لنا هذا الاقتراح خياليًا الا انه الطريق الواقعي الوحيد لتحقيق السلام . فمنظمة الامم المتحدة مجال للتناطح بين عدد من الدول ؟ يدعي فيها الاقوى دائما ان ما يفرضه هو الافضل . وما زالت الصين القارية مبعدة عن هذه المنظمة بالرغم من ثقل وزنها البشري . وهناك ايضا عدد من الامم التي تكافح من أجل العدالة ، لاتزال مستبعدة من جانب هذه المنظمة . ولذا فان خطر قيام حرب واسعة يحدق بنا . وستكون القدس الواقعة بين ايدي الامة اليهودية وحدها، من اسباب الحرب . اما القدس، عاصمة البشرية والمدينة المفتوحة لكل الشعوب بلا استثناء فستكون مدينة السلام حقا . وهذا صحيح روحانيا اكثر مما هو صحيح جغرافيا ، لان ذلك الوضع سيكون دافعا حقيقيا الى تجاوز الاوضاع التي تردت فيها الامم. يجب ان تسعى الشعوب الى اقامة هذه الحكومة الدولية فتتخلى عن سلطانها الزائف الذي لم يعد سوى وهم وتهديد دائم بنشوب الحرب . وعندئذ فقط ستتمكن البشرية من القضاء على الحروب وعلى مهالك سباق التسلح ، وستتمكن من تقديم الحل الصحيح لمأساة اللاجئين بالتنمية الاقتصادية لكل الشعوب على قدم المساواة ، وستتمكن من محو العار اللاحق بالانسانية والمتمثل في كل ضروب الانسانية. الم يأذن بعد الوقت لكي يعلن السلام بشكل حقيقي وملموس على اسرة البشرية من مدينة القدس نفسها ؟

■

لتعد القدس « مدينة للسلام » [١]

ميشيل حايك

كلمة اورشليم (القدس) تعني لغويا « مدينة السلام » ولكنها لاتزال منذ ثلاثة آلاف سنة مسرحا للتمزقات والانتهاكات . فقد تعاقبت عليها شعوب لاتحصى ولا تعد منذ عهد اليبوسيين الذين هزمهم داوود حتى الانجليز الاوصياء عليها . وقد تم تقسيمها في عام ١٩٤٩ بين الاردن واسرائيل فتم بذلك تكديس التقسيم ليصبح رمزا للاوضاع في الشرق . وقد ضم الاسرائيليون القدس بأكملها دون ان يعيروا اهتماما للانذارات الدولية والتي وجهتها اليهم منظمة الامم المتحدة . لقد حطموا خط التقسيم وهدموا عدة احياء فقيرة (من بينها الكنيسة البطريركية للسوريان الكاثوليك) لكي ينفذوا مشروعات تجميل المدينة التي تم الاعداد لها قبل نشوب القتال .

(١) مجلة « تيموانياج كريستيان» باريس ١٤ سبتمبر ١٩٦٧

ومن الآن فصاعدا لن يتمكن اى عربى ، مسيحيا كان اومسلما ، من دخول المدينة ، بينما سيتمكن اى حاج وافد من اى مكان ، ولد فى ثوب سائح ، من ارتيادها لكى يساهم فى تغطية تكاليف الحرب التى شنتها اسرائيل ؟ اذا كان ثمة هنــاك حاجة الى ذلك .. وبينما يتصـــور « فقراء ياهوه » الذين خدعتهم نداءات « شوفار » أن عهد المسيح جاء مع وقوفهم امام حائط المبكى ، تتزايد اعداد اللاجئين فى الاردن البائســـة المحرومة من خـــير مواردهـــا ، فمــا ابأسها من حرب ! حصادها ليس ســـوى مجموع المخازى التى كدستها الامم ■

امكانيــات التفــاوض بين العـــرب واســـــرائيل
حـــرب أم ســـلام ؟

مكسيم رودنسون

لقـــد خسر العـــرب معركة كبيرة . وفى وسعهم أن يعلنوا انهم لم يخسروا الحرب كماصرح بذلك بالفعل بعض قادتهم واذا كان من غيـــــر المحتمل ان يتحول العـــرب الى الهجـــوم الا بعــــــد فتـــرة ، الا أنهم يستطيعون مواصـــلة النشـــاط الفدائى داخل خطوط العدو . وبوسعهم انيتحدوا الاسرائيليين أن يتجاسروا على التوغـــل فى ازاضى وادى النيل الخصبـــة او فى الريف الســـورى . فماذا تستطيع ان تفعل اسرائيل اذن ؟

ان احتـــلال مصر او سوريا امر صعب التحقيق لان المقاومة فى هذه الحالةستكون منالطراز الفيتنامى وقيام اسرائيل بغارات ارهابيـــة على المـــدن الكبيرة سيؤدى الى انقلاب الراى العام العالمى ضدها ولن يكون حاسما من وجهـــة النظر العسكرية . وسيتدخـــل الاتحـــاد السوفيتى والولايات المتحدة لايقاف هـــذه الغارات فما العمل اذن ؟

من الممكن ان يتجمد الوضع اذن عند خطوط وقف اطلاق النار دون أن يؤدى ذلك الى تحوله الى حـــق مشروع حتى بقيـــام هدنات عـــلى غرار الهـــدنات المفقودة عام ١٩٤٩ . وهـــكذا ستعود الاوضاع من الناحيـــة العملية الى ماكانت عليه فى ٥ يونيو مع تفاقم مخاطرها ...

ويتساءل الاوروبيون : لماذا لايتبع العرب السياســـة التى انتهجهـــا لينـــين فى برســـت لينستول « (أى تقـــديم تنازلات مؤقتةحتى يحين الوقت ليستعيدوا حقوقهم) والتى اتبعهـــا قادة كثيرون عبر التاريخ عندما حلت بهم الهزيمـــة ؟ لماذا لاتجـــرى مفاوضات مع العدو للاستفادة مـــن الوقت لالتقاط الانفـــاس والاستعداد للانتقام ، هذا ان لم تتغير الاحوال فلا يحتاج الامر الى الانتقام ؟

التعايش السلمى

وهنـــاك حل مثالى ومرضى تماما ، وهو قيام تعايش سلمى بالمعنى الكاملة للكلمة . على أن تاريخ الشرق الاوسط فىالنصف قرن الماضى يفرض شروطاقاسية على قيام هذا التعايش خاصـــة بعد أن أصبح تحقيقه أصعببعد حـــرب الايام الســـتة وغزوات اسرائيل .

ومن الممكن ان نتصـــور أن يؤدى ضغط الدول الكبرى الى قيام مفاوضات سلم ، وبالتالى الى اعتراف القـــادة العـــرب باسرائيل .. على أن هذا النوع من السلم سيكونهزيلا وسيعاد النظر فيه فى أى لحظة للاسباب المذكورة من قبل ، ما لم يوافق الجانب الاسرائيلى على بعـــض الشروط . ونحن نقول الجانب الاسرائيلى لاننا نفترض موافقة الجانب العربى (وهذا افتراض متفائل للغاية) على الحدالادنى من الشروط وهـــو الاعتـــراف بدولة اسرائيل .

ولا يمكن أن نتصور قبـــول اسرائيل لهـــذه الشروط الا من خلال تطور يتم فى المدى الطويل ويتمثل هذا التطور فى تخلص

اسرائيل من صهيونيتها فلا يمكن الحفاظ على الطابع الاستيطاني لاسرائيل تلك الجزيرة الغربية المقحمة بالقوة وسط عالم عربي متخلف والتي لاتستطيع ان تعيش الا على المساعدة المستمرة التي يقدمها لها الغرب ، والتي لاتكف عن الدعوة الى حجرة اثنى عشر مليونا من اليهود لايمكن الحفاظ على هذا الطابع مالم تستمر الى مالا نهاية عواقب الاتجاه الصهيوني الذي لن يؤدي في المدى الطويل الا الى ماحدث للدول التي اقامتها الحملات الصليبية في القرون الوسطى . فقد اقام العالم الغربي آنذاك دولا تفرض نفسها بالقوة ، وحققت بالفعل هذه الدول بعض الانتصارات الى أن تمكن جيرانها من التسلح ومن توحيد قواهم بما يكفي لطردها .

ومن الممكن أن يؤدي تدهور الفكر الصهيوني (وهو مايمكن أن يساعد عليه الحد من المساعدة الخارجية) الى « استشراق » اسرائيل ، وهو ماتخشاه الطليعة الحالية لهذه الدولة . وعلى أى حال فقد اصبح المستوطنون الوافدون من الخارج اقلية ، وسيؤدي تدهور الفكر الصهيوني الى الحد من الهجرة (وربما تم ذلك تحت اشراف هيئة اقليمية) بحيث ينتهى ذلك التهديد المستمر الموجه ضد العرب والمتمثل في احتمال التوسع في الهجرة مما يستتبع نمو الاتجاهات التوسعية. ان التخلص من الايديولوجية الصهيونية التي تدعى أن الاسرائيليين يتمتعون بحق تاريخي في استيطان هذه الارض ، يمكن ان يؤدي الى تقارب يتقبله العرب : وهو قيام مستعمرة بموافقة السكان الاصليين في مقابل تقديم تنازلات ، وقد يكون من العوامل المساعدة في هذا الاتجاه استمرار انحسار موجة معاداة السامية في اوروبا . فقبل وصول هتلر الى الحكم ، كان عدد اليهود الذين تركوا فلسطين في أحد السنوات ، اكثر من الذين دخلوها .

وفي هذه الحالة ، سيجد العالم العربي امامه جالية اسرائيلية تختلف تماما عن دولة اسرائيل، تلك الفرصة التي يحلم العرب بازالتها ولن يقدموا على الاعتراف بها . وحتى اذا حدث هذا الاعتراف (وهو مالا يمكن تأكيده) فلن يكون سوى اعتراف على طرف الشفاه وتحت ضغط هائل . ومن الممكن أن تنشأ مع هذه الطائفة علاقات التساند المثمرة ، التي كان يحلم بها الامير فيصل في عام ١٩١٩ . وما ابعدنا اليوم عن هذا الاحتمال . وما اضيق السبيل المؤدي اليه ، وما اكثر العقبات التي تعترضه . ولكن اى حلول اخرى لن تجلب سوى الكوارث ، ولذا لايسعنا الا ان نأمل في أن تؤتى دروس التاريخ ثمارها ولو مرة واحدة.

(الموند الدبلوماسي) عدد يوليو ١٩٦٧.

■

التخلي عن الحلم الصهيوني

اندريه فيليب

قد يكون من الممكن تحديد حقيقة الاوضاع في الشرق الاوسط بعد أن هدأت الانفعالات الى حين :

(ا)ماهي الوقائع ؟

١ ــ حصلت اسرائيل على نصر عسكرى ملحوظ سيدرس لامد طويل في الكليات الحربية بوصفه نموذجا شبيها بحملات نابليون .

٢ ــ كانت هذه الانتصارات مفيدة ، فلم تؤد الهزيمة الى اخضاع الشعوب العربية المغلوبة على أمرها بل جعلتها تفكر في مواصلة الحرب بوسائل اخرى (اعمال تخريب واعتداءات في بداية الامر) والنتيجة الوحيدة للنصر الاسرائيلي هي تدعيم فكرة الوحدة العربية واثارة المصاعب في وجه النظم الاقطاعية .

٣ ــ تصفية النفوذ الانجلو ساكسوني وكانت فرنسا هي الوحيدة التي حافظت على مركزها ودعمته .

٤ — تبينت شعوب العالم الثالث عمليا حقيقة الهاوية التى تفصلها عن البلاد الغنية . ولا يمنع هذه الشعوب من الوقوع كلية تحت قبضة الاتحاد السوفيتى او الصين سوى النفوذ الفرنسى .

٥ — دعمت الدول الشرقية اواصر تضامنها وقوت كتلتها ، وهى على وشك التفكك (باستثناء رومانيا التى حلت محل يوغسلافيا) لكى تساعد الشرق الاوسط عسكريا واقتصاديا .

٦ — يحاول الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة ان يحافظا على التعايش السلمى ولذا فهما يتفقان على الحدود التى يجب الا تتعداها الاطراف الواقعة تحت حمايتها . وسينتهى الامر بفرض تسوية لن تضع فى اعتبارها مصالح العرب او الاسرائيليين بقدر ماستضع فى اعتبارها مقتضيات التوازن الدولى .

(ب) كيف يمكن التوصل الى حل ؟

المسألة فى غاية الصعوبة ، ذلك ان التفاوض يفترض تخلى كل من الطرفين عن اساطير متأصلة بعمق فى الوعى الجماعى عند شعوب كل من الطرفين .

١ — طوال عشرين عاما والعرب يعيشون على حلم القضاء على اسرائيل كدولة واحلال مجتمع عربى — اسرائيلى — مسيحى محلها على غرار الوضع فى لبنان . كان ذلك ممكنا منذ عشرين سنة مضت ، عندما انتهت الوصاية البريطانية . وكان من الممكن آنذاك تلافى مأساة طرد الشعب الفلسطينى ومأساة معسكرات اللاجئين . أما اليوم فان الوقت قد فات . لقد اصلحت اسرائيل اراضى وخلقت صناعات واقامت مجتمعا حيا . ومحاولة العودة للوراء لن تؤدى إلا الى خلق مظالم وآلام جديدة .

فالتقدم العلمى الذى تم فى السنوات الاخيرة والتفوق التكنيكى لليهود سيؤدى ، فى حالة اندماجهم فى مجتمع واحد مع اغلبية من العرب الى سيطرتهم على هذا المجتمع واستخدامهم غيرهم كأجراء .

٢ — لابد من ايجاد حل نهائى لمشكلة اللاجئين بوصفها وصمة فى جبين الانسانية . والحل الوحيد هو اقامة **دولة فلسطينية** (سواء فى شكل مستقل او فى ارتباط مع الاردن على أن يعاد النظر تماما فى هذه الحالة فى مؤسساتها الاجتماعية) . يجب أن تقام هذه الدولة ابتداء من منطقة الجليل الاردنية حتى منطقة غزة ، على أن يربط بينهما الممر الذى قررته الامم المتحدة فى سنة ١٩٤٨ . وهكذا يجب أن تتخلى اسرائيل عن بعض الاراضى على أن تتناسب مساحة هذه التضحية مع التعويضات المقابلة لها فى القدس .

اما التطور الاقتصادى للمنطقة الذى يمكن الاسراع به وتحقيقه على نطاق واسع بتنفيذ مشاريع الرى والكهربة ، فهو يفترض اقامة اتحاد جمركى ونقدى بين الدولتين ، ووضع برنامج دولى لمساعدة الدولة الفلسطينية حتى تستطيع أن تعوض تخلفها .

ولن يتم اعتراف العرب بدولة اسرائيل مالم **تتخلى اسرائيل عن الحلم الصهيونى** وعن الطابع الدينى والعسكرى لنظمها التشريعية . فطالما ادعت اسرائيل لنفسها الحق فى فرض وصايتها على يهود العالم أجمع، وواصلت سعيها الى جمعهم على ارضها عن طريق قانون العودة ، فانه يتحتم عليها ان توسع رقعتها وان تشكل تهديدا مستمرا بالعدوان على جيرانها .

فمن الضرورى اذن ان يتم فصل الحاخامخانة عن الدولة ، على أن تتخذ دولة فلسطين من جانبها اجراءات مماثلة تجاه الاخوان المسلمين ، وان تضمن المساواة امام القانون بالنسبة لجميع سكانها سواء كانوا يهودا أو مسلمين او مسيحيين ، وان تفتح ابواب الهجرة بلا تفرقة . ومن الممكن تحديد نسب تزايد الشعبين لفترة انتقالية فيعوض الهجرة اليهودية التزايد الاسرع فى السكان المسلمين . على انه يبدو أن هذا الاجراء لن يكون ضروريا فقد خفت الهجرة اليهودية بشكل فريد ، وانتقلت الجالية اليهودية الجزائرية الى فرنسا ، وذهبت قلة من افرادها الى اسبانيا ولم تتجه الى اسرائيل الا اقلية ضئيلة جدا .

يجب أن تتمشى الحقوق مع الواقع . لقد قامت الصهيونية بدور تاريخى هام ولكنه انتهى والمهم هو ضمان بقاء دولة مدنية فى اسرائيل لاتمت بصلة الى الشعب اليهودى الدولى ، ولكنها تمثل حقيقة تاريخية قائمة فى الشرق الاوسط ، وحتى تضمن هذه الدولة بقاءها فانه يتحتم عليها الا تعتبر نفسها رأس حربة حضارة اوروبية تواجه الشعوب المجاورة ، بل يجب أن تكون على العكس ، عضوا فى جماعة شعوب الشرق الاوسط التى تسعى الى التخلص من الاستعمار ومن سيطرة احتكارات البترول

والتى تريد أن تحقق استقلالها ونموها .

واسرائيل المتخلية عن حلمها الدولى والمندمجة فى الواقع التاريخى والجغرافى الذى يحددها التى يمكن أن تحظى بقبول جيرانها . على أن هذا القبول المخلص ضرورى ، والا فان كل دول المنطقة ستسير نحو الافقار العام تحت وطأة أعباء التسلح الثقيلة ، هذا ان لم تنطلق الشرارة مرة أخرى ويتصاعد القتال ليؤدى الى قيام حرب عالمية .

(الموند) ٢٢ يوليو ١٩٦٧

■

تخطى المضمون الاستعمارى

ا . ب . لانتان

... الصراع الدائر حاليا ، صراع بين حقين فى البقاء : هناك من ناحية حق اليهود فى الوجود ، ومن ناحية اخرى حق فلسطين العربية فى الوجود

وقد كثر الكلام فى الاونة الاخيرة عن حق اليهود فى البقاء عن الكلام عن حق فلسطين العربية فى الوجود . ومع ذلك فالامة الفلسطينية قائمة منذ ثلاثة عشر قرنا ، وقد كافحت ضد الصليبيين وضد السيطرة التركية عندما كانت فلسطين احد اقاليم الامبراطورية العثمانية ، وضد الاحتلال البريطانى عندما اصبحت تحت الوصاية الدولية بعد الحرب العالمية الاولى ، وقد تم نسف هذه الامة على مراحل ثلاث . اذ عمد الانجليز اولا الى سلخ الجزء الواقع شرق الاردن فى عام ١٩٢٢ ليقيموا عليه دولة مصطنعة تسيطر عليها العناصر البدوية النازحة من الجنوب ، ثم قامت حرب فلسطين وتأسست دولة اسرائيل على جزء من اراضيها واخيرا ، وفى عام ١٩٤٩ احتل الملك عبدالله ، جد الملك حسين ، الضفة الغربية للاردن واقام المملكة الاردنية ، ويبدو لى ان اولى مقتضيات العدل تستلزم اعادة احياء فلسطين العربية ، الامة التى مزقت اراضيها على غرار ماحدث لبولندا على مر التاريخ . ويخيل لى انه من الممكن فى الوقت الراهن اعادة تأسيس هذه الدولة ، فقد احتلت القوات الاسرائيلية الضفة الغربية للاردن ومنطقة غزة . وقد يكون الربط بين المنطقتين بواسطة الممر الذى حدده التقسيم الاول الذى قررته الامم المتحدة فى سنة ١٩٤٧ ، اساسا لتكوين دولة فلسطين العربية المرتقبة بعد جلاء القوات الاسرائيلية .

ويمجرد اتمام هذا الجلاء (وهو شرط مبدئى لاغنى عنه قبل اى بحث جاء عن تسوية نهائية) يكون من الممكن اللجوء الى عدة حلول : **الحل الاول** — تتحول المملكة الاردنية الهاشمية هى نفسها الى جمهورية فلسطينية وتطالب بالضفة الغربية التابعة لحسين وبقطاع غزة بعد ان تدفق ١٥٠ الف لاجىء آخر فاصبح ثلثا سكان الاردن من الفلسطينيين **والحل الثانى** هو خلق دولة فلسطينية عربية على أن تنظم الامم المتحدة انتخابات تنبثق عنها المؤسسات الجديدة الخاصة بهذا الكيان صاحب السيادة .

وعندئذ يمكن التوصل الى الحل الحقيقى لمشكلة اللاجئين . فكثيرا ما يشار فى فرنسا الى «مأساة اللاجئين الالمية» كقضية انسانية بحتة . لاشك ان هذه المشكلة لها جانبها الانسانى الهام ولكن القضية الحقيقية الخاصة بهؤلاء القوم لا تقتصر على اغتصاب املاكهم بل تشمل

اغتصاب وطنهم . فالمشكلة مشكلة وطنية واول شرط لتحقيق سلام دائم هو ان يشكل اللاجئون الفلسطينيون الان أمة .

والشرط الثانى فى رأينا هو مطلب موجه الى الاسرائيليين . وقد يكون ذلك ضربا من التفكير غير الواقعى فى الوقت الراهن ولكن اذا كان الاسرائيليون يريدون ان يعيشوا يوما ما فى «الهدوء» الذى ينشدونه ، فيتحتم عليهم فى رايى ان يحولوا دولتهم الى دولة تنتمى حقا الى الشرق الاوسط ، فلا تعود جسما غريبا مقحما على العالم الغربى ... ذلك أن هذا الوضع يحول دون اى احتمال لجوار مخلص مع العرب حتى مع اكثرهم «اعتدالا» فمن المهم اذن أن تكون دولة اسرائيل على قدر كاف من الشجاعة فتعلن سواء فى عام ١٩٦٧ أو ١٩٦٨ انها تتخلى عن ارتباطها العضوى بالصهيونية المحتضرة على اى حال من الاحوال ، دون أن تتنكر مع ذلك لاصولها الصهيونية وتعلن انها تحولت بكل بساطة الى احدى دول آسيا الصغرى ، شأنها شأن ايران او افغانستان . وعندئذ ، وعندئذ فقط يكون قد تم تخطى المضمون الاستعمارى الذى اتاح تأسيس دولة اسرائيل لتنشأ دولة جديدة تستطيع ان تتعايش سلميا مع دولة فلسطينية عربية تقوم بجوارها . وكل حل آخر لن يكون فى رايي سوى حل انتقالى مؤقت وغير مستقر . واود ان اوضح انى اقصد ، عندما أتكلم عن دولة فلسطينية عربية ، الدولة المستقلة ذات السيادة سواء فى المجال الداخلى ، أو الخارجى ، لا الدولة الاداة التى اقترحتها بعض المشاريع الاسرائيلية ومنها مشاريع الجنرال ديان الذى يرمى الى اقامة دولة فلسطينية لا تتمتع الا باستقلال خاضع للاشراف .

... وانا اعلم تماما أن اقتراحاتى هذه ستنعت بالطوباوية ولكن التاريخ يثبت لنا ان احلام مرحلة معينة تتحول بعد عشرين أو ثلاثين سنة الى حقائق صلبة لا يمكن انكارها . ومن ناحية اخرى فانى على يقين من انه اذا لم تثبت الدول الكبرى والاطراف المعنية ، وبالاخص الاسرائيليين الذين يتحملون اكبر عبء من المسئولية ، اذا لم تثبت انها متحلية بالشجاعة السياسية وبالتبصر ، فان الصراع المسلح العربى الاسرائيلى سيقع خلال اسابيع او بضعة شهور او سنوات .

(القيت هذه الكلمة فى المائدة المستديرة التى نظمتها M.R.A.P فى ٢٤ يونيو ١٩٦٧)


من الحديد
إلى الذهب
للصانع للتاجر
للمستهلك
S.I.G.A.L
الشركة المصرية لتجارة المعادن
إحدى شركات المؤسسة المصرية العامة للسلع الهندسية والمعادن والكيماويات
النحاس والألمنيوم
إنتاج مصنع ٦٣ الحربي والشركة العامة للمعادن
المركز الرئيسي : ٤٣٢ شارع بورسعيد
تليفون : ٩٠٢٧٥٣ - ٩٠٩٤٩٩ - ٩٠٩٦٨٣

الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الأهرام

الطليعة

طريق المناضلين إلى الفكر الثوري المعاصر

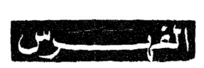
٣

أبعاد جديدة .. للثورة الفلسطينية

- الثورة .. والثورة المضادة
- الصراع السياسي الداخلي في إسرائيل

ثورة ١٩١٩

- المقدمات والمواقف الطبقية
- سعد زغلول .. وفكره السياسي
- اليسار وثورة ١٩١٩ "وثائق هامة تنشر لأول مرة"



العدد الثالث ــ السنة الخامسة ــ مارس ١٩٦٩



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
أبو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
عبد المنعم القصاص

■

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م. ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

ان « الطليعة » ميـــدان مفتوح لكل راى حر ، وفي اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح «الطليعة» صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ــ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر «قد اختلف معك فى الرأى ولـكنى على استعداد لان أدفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك»!



آفاق جديدة لثورة فلسطين

منذ آخر يناير فى عامنا الجديد ، عام ١٩٦٩ ، وعلى مدى اكثر من اسبوعين كان العالم يتابع باهتمام انتفاضات شعب بأكمله ، هو شعب فلسطين العربى فى الارض المحتلة. فلاول مرة منذ عدوان ٥ يونيو **تشهد الارض المحتلة بدايات جديدةوقوية لنضال جماهيرى واسع ومكثف جدا** . فمن مظاهرات رفح الىمظاهرات غزة التى انخرطت فيها آلاف الفتيات والسيدات وراحت تسد الشوارع الرئيسية باجسامها وأيديها ، وتتحدى أوامر حظر التجول وتقيم المتاريس وتصطدم بقوات الاحتلال الصهيونى .

ومن مؤتمرات ومظاهرات المصلين فى مسجد عمر بالقدس الى اعتصام السيدات العربيات فى هذا المسجد وفى كنيسة القيامة . ومن الاضراب العام والشامل لنابلس ولغيرها من المدن والقرى الباسلة فى الضفة الغربية ، والمظاهرات العنيفة التى اجتاحت معظم الارض المحتلة ـ تقريبا ـ الى مواقف التحدى والصمود لفتيات وفتية من عرب فلسطين امام المحاكم العسكرية الاسرائيلية . من هذا كله الى العمل الفدائى تتهيأ الثورة الفلسطينية ، ثورة التحرر الوطنى ، لان تطل على افق جديد ، هو افق الوحدة الوطنية ، وتدخل شيئا فشيئا فى **مرحلة جديدة هى مرحلة المواجهة الكاملة والحادة بين جماهير الشعب الفلسطينى ، وبين قوات الاحتلال** .

وليس معنى هذا أن شعب فلسطين العربى كان قد استسلم ولو للحظة واحدة ـ فى الفترة التى اعقبت ٥ يونيو ـ الى واقع الاحتلال الصهيونى ، اذ انه لم يكن مستعدا لان يدفع من دمه ضريبة التحرير . كلا ولكن ، تجربة شعب فلسطين هى تجربة غيره من الشعوب التى خاضت معارك التحرر الوطنى على كافة المستويات . فطلائع هذه

الحركات كانت تتقدم وتناضل ، وربما خاضت المعركة بالسلاح • ولكن هذه الطلائع تظل دائما مهددة بالضمور ما لم تدركها قوى الجماهير بنفس جديد ، وما لم تتدفق الى ساحة المعركة قوى جديدة هى قوى أوسع الطبقات الوطنية على أختلافها بما تملك من امكانيات لاتنفد ، أى لا تغلب •

ونحن نعتقد أنه اذا كان العمل الفدائى الذى احتفت به « **الطليعة** » منذ اللحظة الاولى ومجدت أبطاله ، نقول أن هذا العمل الفدائى اذا كان قد ألهم شعب فلسطين بأمثلة البطولة ، واذا كان قد مسح على صدر الشعوب العربية وخفف من مرارة الهزيمة ، فان قسما هاما من انصار العمل الفدائى مدين بدرس العمر لحركة الجماهير ، لحركة الناس البسطاء • ان هؤلاء الفدائيين لاينسون أنهم قد تعرضوا فى بعض الاحيان لطعنات من الظهر كانت تستهدف تصفيتهم ، ولكن مظاهرات الجماهير قد أفسدت المؤامرة ووفرت الحماية لهم ، وقوت ثقتهم باهمية النضال الجماهيرى فى كافة اشكاله وعلى جميع مستوياته •

واذا كان الانسان لايستطيع ان يتنبأ سلفا بكل اشكال النضال التى ستبدعها جماهير الشعب الفلسطينى فى النضال ضد الاحتلال الصهيونى وضد قوى الامبريالية الامريكية ، الا أن المظاهرات والاضرابات الشعبية **قدجعلت حركة التحرر الوطنى الفلسطينية تمشى على قدمين : النضال الشعبى ، والنضال المسلح • بل جعلت التزاوج والتكامل بين أشكال النضال الرئيسية أمراممكنا وحتميا** • وهذا ما يدعونا الى القول بأن النضال الجماهيرى فى الارض المحتلة قداخذ يدفع حركة التحرر الفلسطينى الى مرحلة المواجهة الكاملة • والحادة مع الاستعمار الاستيطانى الصهيونى ومن ورائه الامبرياليون الانجلو امريكان والالمان الغربيون •

لكن هذا ليس كل شيء • فاذا كان لايخفى أن الفصائل المختلفة لحركة التحرر الفلسطينى لا تزال تعانى من الانقسام فيما بينها فان صعود الحركة الشعبية واتساع النضال الجماهيرى انما يخلق انسب الظروف ، ويمهد الطريق لمزيد من التقارب والعمل التوحيدى بين مختلف فصائل الحركة الوطنية • ولم يكن من قبيل الصدفة فى الواقع أن تتم فى الاسبوع الاول من فبراير — وفى ظل اتساع حركة الاضرابات والمظاهرات فى الارض المحتلة — نقول لم يكن من قبيل الصدفة ان يعاد تشكيل اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين ، وان يمثل دخول فتح منظمة التحرر خطوة هامة على طريق الوحدة ، وبالتالى على طريق تنظيم مقاومة الشعب الفلسطينى داخل الارض المحتلة • من هنا نستطيع ان نقول أن حركة قطاعات الشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة قد أخذت تطرح بقوة على كل القيادات الوطنية والثورية لشعب فلسطين قضية الوحدة الوطنية الحقة ، والثورية وهى الوحدة التى بدونها يستحيل أن تتم تعبئة فعالة لكل طبقات وفئات الشعب الفلسطينى •

ونحن نعلم أن طريق الوحدة فى الظروف الشاقة التى يمر بها شعب فلسطين ليس مفروشا بالرياحين ، بل تواجهه صعوبات تنوء بحملها الجبال • ولكننا نأمل مع ذلك وبفضل تزايد تدفق الجماهير الشعبية الى ساحة المعركة أن تنطلق القيادات الوطنية من هذه الحقيقة ، وهى أن الوحدة الوطنية ممكنة **بل انها ممكنة على وجه التحديد من خلال التنوع والاختلاف** ، طالما أن الاطراف المعنية تقف بحزم ضد الامبريالية والصهيونية ، وطالما أن هذه الاطراف تعترف وتقدر بأن حركة التحرر الوطنى محتاجة — لكى تنتصر — الى أن تتجنب ضيق الافق والتحزب ، محتاجة الى أن تستخدم اكثر الاساليب

تنوعا فى الدفاع والهجوم على حد سواء ،وفى النضال السياسى والمسلح معا ، وذلك وفقاللظروف المحليةوالعربية والدولية، ووفقا للتطورات والمراحل التى تمر بها الحركة الثورية لشعب فلسطين العربى ٠

وفى الواقع نحن لا نقول هذا من موقف « النصح » و « الارشاد » ، لان ثوار فلسطين اقدر على معرفة احتياجاتهم ، وعلى تحسس طريقهم ، كما ان قضية فلسطين ليست ولا يمكن ان تكون تحت اى نوع من انواع الوصاية الا أن تكون وصاية عرب فلسطين انفسهم ٠ ولكننا ونحن نرصد تطورات النضال الوطنى التحريرى ، **انما نواجه معا فى نفس الوقت العدو الصهيونى الامبريالى الذى يحتل ارضنا مواجهة المصير** ٠ وانما نحتفى أيضا — فى الاساس — بكل مظاهر النضال الذى يخوضه شعب فلسطين العربى وبكل الآفاق الجديدة التى يستشرفها هذا النضال على أرض فلسطين، اولا وقبل كل شيء

ان شعب فلسطين بعد عشرين شهرا من ٥ يونيو يستشرف أيضا آفاقا جديدة فى الوطن العربى ـ ليس هذا فحسب ـ بل تتحرك قضية فلسطين بثبات لتحتل ـ كقضية فيتنام ـ مكانها على الصعيد العالمى ٠

وفيما يتعلق بالوطن العربى فان ظاهرة اشتداد عدوانية الامبريالية واشتداد هجومها على بلدان « العالم الثالث » وعلى بعض بلدان المعسكر الاشتراكى ـ هذه الظاهرة التى لم تتراجع بعد تدفع الشعوب العربية ، وكل القوى المعادية للامبريالية والصهيونية فيها نحو مواجهة متزايدة الشدة والاتساع ضد الامبريالية الامريكية وضد الصهيونية ٠ ولتاخذ مثلا على ذلك جولة مبعوث الرئيس نيكسون فى البلاد العربية ، نرى هذه الجولة التى أريد لها من قبل الاوساط الاستعمارية واوساط عملاء الاستعمار ان تجمل الاستعمار وتخدر يقظة الشعوب العربية وتغذيها بآمال غير حقيقية لم تنجح فى الواقع فى تحقيق هذه الاهداف . وجاءت صفقة الاسلحة البريطانية لاسرائيل لتثبت — مرة أخرى ـ ان بريطانيا التى تلعب ـ منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية دور الشريك الاصغر للولايات المتحدة انما تقدم هذه الصفقة بضغط وبايعاز لا يخفى من الامبريالية الامريكية التى تكلف بريطانيا عن طريق حلف الاطلنطى بدور متزايد فى البحر الابيض المتوسط ٠

ومن قبل جاء الهجوم الاسرائيلى على مطار بيروت ليكشف امام شعب لبنان كل قوى اليمين التى حاولت وتحاول أن « تجمد لبنان وتحييده » ، وبالتالى تعزله ، عن معركة الامة العربية من أجل تصفية العدوان ٠

فالمواجهة اذن بين حركة التحرر العربى وبين قوى الامبريالية تأخذ باستمرار ابعادا متزايدة الاتساع ، وتطرح على كل القوى الوطنية والديمقراطية مهمات جديدة لابد وأن ترتفع الى مستوى هذه المواجهة ٠

أما على الصعيد العالمى ، فان اسرائيل بعدوان ٥ يونيو قدمت للشعوب الدليل الحاسم على انها ظاهرة فريدة حقا تجمع فى آن واحد اسلوب الاستعمار القديم [الاستيطانى والعدوانى]والاستعمار الجديد (التسلل و « الانقلاب » السلمى] . ولاول مرة تأخذ قضية الصهيونية فى البلدان الاشتراكية ، وفى الحركة العمالية العالمية وضعا جديدا يرتبط بمواقف عملية محددة ٠

فلقد تأكد من خلال احداث تشيكوسلوفاكيا أن العناصر الصهيونية اشتركت فى محاولات الانقلاب اليمينى، وان هذه العناصر تمثل جزءا من الثورة المضادة الخارجية والداخلية . **هنا تظهر الصهيونية كشىء اكبر من اسرائيل ، وان كانت اسرائيل هى أداتها الرئيسية وتجسيدها المادى** . انها البرجوازية اليهودية الكبرى التى تشكل جزءا لا يتجزأ من الاحتكارات فى امريكا وفى غرب اوربا . وهذا يفسر لماذا يساهم راسماليون كبارا من غير اليهود — بأموال طائلة — فى دعم المنظمات الصهيونية المختلفة . لكن هذا يفسر — **ايضا ان الصهيونية هى فى نهاية الامر ظاهرة طبقية ، هى أداة من أدوات رأس المال الاحتكارى وان أسرة البلدان الاشتراكية انما تخوض ضدها صراعا طبقيا حادا** ، وان هذا الصراع قد بدأ ولم ينته بعد . وفى هذا الصراع تأخذ قضية فلسطين بعدا خاصا فى وجدان شعوب البلدان الاشتراكية .

لكن الصهيونية كظاهرة طبقية تعنى انها معادية بطبعها للحركة العمالية العالمية ، وهذا ما يفسر لنا ايضا النضال الذى يجرى داخل الاحزاب العمالية والشيوعية وفى المنظمات العمالية والديمقراطية ضد هذا الخطر الذى يتهدد وحدة الطبقة العاملة تحت شعارات يسارية زائفة . وهكذا كان المؤتمر الثانى العالمى لنصرة الشعوب العربية وقرارات المؤتمر الرابع لاتحاد نقابات العمال العرب ، ونداء مجلس السلم العالمى الى شعوب العالم بتأييد الشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة فى اضراب ٢٣ فبراير الماضى ، نقول : لقد كان هذا كله علامات لاتخطىء على طريق جديد تشقه قضية فلسطين لتأخذ أبعادها العالمية الجديدة ، ثم لتلتحم التحاما عضويا بالحركة العالمية المعادية للامبريالية: بنضال البلدان الاشتراكية وبحركة التحرر الوطنى ، والحركة الديمقراطية العامة ، من أجل الحرية والسلم .

اذن فرغم الصعوبات الهائلة ، ورغم الموقف البالغ التعقيد الذى تجتازه قضية فلسطين ، يتلفت شعبها الباسل ليجد انه على مشارف تطورات جديدة يمكن أن يستفيد منها **على اساس من وحدته الوطنية ونضاله الجماهيرى الغامر** . تطورات يمكن أن تعزز — على المدى مواقعه — وتضعف باستمرار من مواقع اعدائه رغم تفوقهم المؤقت . ذلك ان اسرائيل لكونها دولة عنصرية وأداة توسع استعمارية قد حكم عليها ان تكون عدوانية بطبعها . لكن عصرنا ، عصر انتصار الاشتراكية وسقوط الاستعمار ، قد حكم بالهزيمة الحتمية والنهائية على قوى العدوان كلها : **قوى الامبريالية والرجعية والصهيونية** .

« الطليعة »

الثـــورة والثـــورة المضـــادة

د . فـــؤاد مـــرسى

في الظـروف الراهنة ، حيث يحتدم الصراع بين قوى الثورة العربية الوطنية ذات المضمون الاجتماعى وبين القوى الاستعمارية العالمية وأداتهااسرائيل ، يكون من المفيد انتزودالجماهير بفهم سليم لقضية جوهرية مثل قضيـة الثورة والثورة المضادة .

فلكل ثورة أنصارها أى قواها الاجتمـاعية المناضلة من أجل أهدافها ، كما أن لكل ثورة أعداءها أى تلك القوى الاجتماعية التى تقاوم أهدافها وتقف ضدها · ولا تصطف القـوى الاجتماعية هنا أو هناك طبقا لرغبة أحد ، ولكنها تتخذ اماكنها فى هذا الجانب ، او ذاك طبقا لاوضاعها الطبقية . ومن ثم يجب ان نتسلح بفهم علمى واضح للمجتمع يكون سبيلنا الى فهم قضية الثورة والثورة المضادة ·

اولا ـ الثورة

العلم وحده هو الذى يتولى عملية تحـديد الثورة . وأى خطأ فى تحديد الثورة ، أو تحديد طبيعتها ، أو مرحلتها ، اوقواها ، اوطليعتها ، انما هو تبرع تقدمه الثورة للثورة المضادة ، واى خطأ ترتكبه الثورة فى الممارسة اليومية للثورة انما هو انتصار تحرزه الثورة المضادة مجانا ·

طبيعة الثورة

كل مجتمع يلد ثورية على صورته · لكل مجتمع ثورتهالتى تنضج فى احشائههو . **ففى كل مجتمع تتحدد الثورة بمضمونها الموضوعى ، اى بجوهر التناقضات الاجتماعية التى توفر الثورة حلا جذريا لها وبالنظام الاجتماعى الذى تقيمه فى النهاية ·** ومن ثم عرفت البشرية الثورات الاقطاعية التى وضعتحدا لتناقضات مجتمع الرق ، واقامتنظام الاقطاع ، والثورات البرجوازية التى قضت على تناقضات نظام الاقطاع وأقامت النظام الراسمالى ، والثورات الاشتراكية التى أنهت تنـاقضات الرأسمالية وأقامت النظام الاشتراكى ·

والثورة فى كل بلد لا تتشكل فقط تحت تاثير تناقضاته الاجتماعية ، وانما تجرى أيضا فـى ظروف عالمية معينة · ففى ظل سيطرة الراسمالية على العالم ، كانت الثورات الاجتماعية تتخذ طابعا

رأسماليا واضحا • وكانت الثورة في بلد ما جزءا لا يتجزأ من الثورة الرأسمالية في العالم •

وفي ظروف العالم اليوم، ظروف انهيار الرأسمالية والانتقال الى الاشتراكية على المستوى العالمي، نجد أن العامل الرئيسي في الوضع العالمي هو الطبقة العاملة العالمية وانجازها الرئيسي وهو النظام الاشتراكي العالمي • ان عالمية الرأسمالية وعالميه الاشتراكية يجعلان من عملية الثورة الاجتماعية، حتى ولو كانت ثورة وطنية معادية للاستعمار، صراعا طبقيا ضد الرأسمالية العالمية، وجزءا لا يتجزأ من الثورة الاشتراكية العالمية •

ولذلك فان الثورات الوطنية في المستعمرات وأشباه المستعمرات، وهي ثورات تصفي تناقضات المجتمعات المستعمرة المتخلفة ذات الطبيعة السابقة على الرأسمالية، من قبلية واقطاعية وشبه اقطاعية، وتقيم على أنقاضها نظما وطنية مستقلة من الناحيتين السياسية والاقتصادية، ينخرط بعضها في خضم التنمية الاقتصادية • وتجري هذه التنمية عبر أسلوب انتاج لا هو بالرأسمالي ولا هو بالاشتراكي، يسمى الطريق اللارأسمالي للتطور • فنتيجة للاوضاع العالمية الراهنة، يكون باستطاعة هذه البلدان المستقلة أن تختصر الطريق الى الثورة الاشتراكية على الرغم من أوضاعها وتناقضاتها الاجتماعية السابقة على الرأسمالية • أنها تباشر عندئذ ثورة اجتماعية مضغوطة تاريخيا عبر الزمن • انها تعبر أكثر من مرحلة تاريخية في فترة قصيرة من الزمن قبل أن تنتقل الى الاشتراكية •

وعلى الرغم من هذه الثورة المضغوطة تبقى القاعدة سليمة، وهي أن المجتمع الرأسمالي هو الذي يطرح على نفسه مهام الثورة الاشتراكية، وأن المجتمع الاقطاعي هو الذي طرح على نفسه في ظروف تاريخية معروفة مهمة انجاز الثورة البرجوازية • فلم تكن الثورة الفرنسية مثلا، في أواخر القرن الثامن عشر، سوى ثورة برجوازية أصيلة •

المرحلة الثورية

ان تاريخ المجتمعات الطبقية هو تاريخ الصراع بين الطبقات • وهذا الصراع الطبقي ظاهرة موضوعية ليست من أختراع أحد • وهو في النهاية القوة المحركة للتطور في تلك المجتمعات، انه يتخذ مظاهر عديدة، ويتحول من صراع خفي بطيء الى صراع سافر حاسم خلال مرحلة الثورة الاجتماعية •

فالتناقضات بين الطبقات التي لا يمكن التوفيق بين مصالحها تصبح هي التناقضات العدائية التي تقسم المجتمع • وبعد أن كانت علاقات الانتاج فيما بين هذه الطبقات أشكالا مواتية لتطوير القوى الانتاجية للمجتمع، تصبح اغلالا لها وقيودا عليها • عندئذ تبدأ مرحلة من الثورة الاجتماعية • **فالمرحلة الثورية هي المرحلة التاريخية التي تحتدم خلالها التناقضات العدائية في المجتمع سعيا وراء حل جذري لها** • وتستمر هذه المرحلة حقبة تاريخية كاملة حتى تنفرج عن انجاز الثورة •

وتتحدد طبيعة المرحلة الثورية بطبيعة الثورة ذاتها • فعندما يواجه المجتمع مهام الثورة البرجوازية يجتاز عندئذ مرحلة ثورية برجوازية • اما عند مواجهة الثورة الاشتراكية، فتكون المرحلة الثورية هي مرحلة اشتراكية •

وفي البلدان التي تواجه مهام الثورة الوطنية في عالم اليوم، فانها تعبر مرحلة ثورية هي مرحلة انتقالية، تحاول فيها بعد الاستقلال أن تشيد مجتمعا انتقاليا وتصوغ فيه علاقات انتقالية للانتاج، انها مرحلة انتقالية ذات أهداف وطنية وديمقراطية، لكنها تكتسب بالضرورة مضمونا اجتماعيا واضحا •

وتسبق الثورة حالة ثورية، تتهيأ فيها الظروف وتنضج لتجريد الطبقة الرجعية السائدة بالقوة من وسائل السلطة السياسية ووسائل الانتاج الاساسية • فالقضايا الثورية لا تحلها الا القوة • لكن القوة ليست بالضرورة عنفا دمويا، فلقد تكون عنفا سلميا • وتدل وقائع التاريخ العديدة على أن الطبقة الرجعية هي أول من يلجأ الى العنف، فلا توجد طبقة رجعية تخلت عن مكانتها السائدة طواعية واختيارا •

عندئذ تتجمع الطبقات المضطهدة لوضع حد للازمة الثورية • انهم يهدمون بالقوة البناء الفوقي السياسي الذي شاخ وأشرف على الانقضاء، والذي أفلس من واقع تناقضه مع علاقات الانتاج الجديدة التي تبشر بها الطبقات المضطهدة بوصفها علاقات انتاج ارقى ـ ارقى لانها اكثر موافاة لتنمية القوى الانتاجية والثروة الاجتماعية •

لهذا تحرص الطبقات الثورية على انتزاع السلطة من الطبقات الرجعية • فالسلطة السياسية بأيدي الثورة هي القوة التي تدخل التغييرات الضرورية على العلاقات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع •

قوى الثورة

والتحليل الموضوعي وحده، وليس النوايا الطيبة أو السيئة ولا الرغبات الخيرة أو الشريرة،

لهذا الفرد أو ذاك ، أو لهذه الجماعة أو تلك ، أو لهذه الطبقة أو تلك الطبقات ، التحليل الموضوعي وحده هو الذي يحدد لكل طبقة موضعها في الثورة أو في الثورة المضادة ·

فيتوقف تحديد القوى الثورية على تحديد طبيعة الثورة نفسها · ان طبيعة الثورة هي التي تحدد الطبقات التي ينبغي لها أن تبني البناء الفوقي الجديد وكيف ينبغي لها أن تبنيه ·

ويكون على قادة الثورة في كل مرحلة ثورية ان يتبينوا بوعي صادق موضع الطبقات المختلفة من الثورة ، من أجل ان يحسموا بنجاح مصير الثورة كلها · وعندما تحدد كل ثورة من معها ومن ضدها ، فانها تحدد في الحقيقة تلك القضية الجوهرية في الثورة ألا وهي قضية السلطة ·

فكل مجتمع ينقسم الى فئات مختلفة ـ بحيث ينطوي الوضع الاجتماعي على تدرج متعدد المستويات يسمى الطبقات ـ لكن ليست الطبقة أي جماعة من الناس · **وانما تتحدد الطبقة أصلا بوضعها في نظام الانتاج الاجتماعي ، أي بعلاقتها بوسائل الانتاج ، بدورها في التنظيم الاجتماعي للعمل ، وبالتالي بأبعاد وبطريقة حصولها على نصيبها من الثروة الاجتماعية** ·

والطبقة تكون ثورية أو غير ثورية لا بحسب وضعها في نظام الانتاج الاجتماعي فحسب ، وانما اساسا **بحسب نوعية دورها في العملية الثورية ، الاجتماعي** . مثلا هل تلعب دورا يزيد من الانتاج أي حسب **نوعية دورها في عملية الانتاج الاجتماعي** . مثلا هل تلعب دورا يزيد من الانتاج الاجتماعي كما وكيفا ، هل تزيد بنشاطها الثروة المادية للمجتمع ، هل تطور كفاءته الانتاجية هل تبحث وتنقب عن قوى انتاجية جديدة ، هل تطور انتاجية العمل ؟ باختصار هل تتقدم بالانتاج ، هل تنمي القوى الانتاجية ، هل تطور علاقات الانتاج الاجتماعية ؟ · وفي كلمة هل تدفع عجلة التاريخ للامام أم تجرها للوراء ؟ ولهذا تعتبر الطبقة العاملة طبقة ثورية الى النهاية ، فهي اما أن تكون ثورية ، او لاتكون ثورية على الاطلاق ، والسبب في هذا أن دورها في عملية الانتاج هو في ذاته دور ثوري دائما ·

الطليعة الثورية

وفيما بين القوى الثورية العديدة توجد قوة تلعب بالضرورة دورا طليعيا ، لان دورها في تطوير الانتاج هو الدور الحاسم والطليعي · ومن ثم فهي تلعب دورا قياديا بالنسبة لغيرها من القوى الثورية ·

ان الطبقة لا تكون طبقة الا اذا توفر لها وعيها بوجودها كطبقة ، كجماعة لها وضعها الخاص المتميز في نظام الانتاج · وهذا الوضع هو الذي يحدد مكانتها الاجتماعية · **لهذا تبدأ الطبقة في الوجود منذ وعيها بوجودها الاجتماعي** ·

ويتفاوت الوعي من طبقة الى طبقة · وعندما تعي الطبقة دورها تلعب دورها بالفعل · وعندما يكون دور هذه الطبقة هو الدور الحاكم والطليعي في تطوير الانتاج الاجتماعي ، وعندما تعي الطبقة حقيقة وجودها ودورها ، عندئذ يمكن ان تلعب دور الطليعة · فمن بين القوى الاجتماعية العديدة التي قامت بالثورة الفرنسية كانت الطبقة البرجوازية هي القوة الثورية الحاسمة ، لان نوعية وظيفتها الاجتماعية كانت حاسمة في تنمية الثروة المادية للمجتمع عن طريق استخدام رأس المال في استئجار قوة عمل العمال ، ولانها كانت واعية بهذه الوظيفة ·

وفي ثورة اكتوبر الاشتراكية · كانت البرولتاريا هي الطبقة القائدة · والبرولتاريا هي طبقة العاملين بالاجر الذين ـ وهم لا يملكون أي وسائل للانتاج تخصهم ـ لا يملكون الا قوة عملهم يبيعونها لكي يعيشوا · ومن ثم تصبح البرولتاريا هي القوة الاجتماعية القادرة فعلا على الغاء الاستغلال الرأسمالي ·

لكن هذه البرولتاريا نفسها تتفاوت أيضا من حيث الوعي الثوري · فهي تتشكل في العادة ، في البلدان الرأسمالية المتقدمة ، من ثلاث جماعات : البرولتاريا الزراعية والبرولتاريا التجارية والكتابية والبرولتاريا الصناعية · ومع أن البرولتاريا الصناعية هي اقلها حجما الا انها تظل العمود الفقري للطبقة العاملة · أن طبقة العمال الصناعيين والمدنيين بصفة عامة هي الطبقة القادرة على أن تقود كل جماهير الكادحين والمشتغلين في الثورة الاشتراكية .

أما في البلدان الوطنية فان البرولتاريا المدنية تشمل عدة جماعات ، تشمل العمال في الصناعات الكبيرة ، كما تشمل المستخدمين في المصانع الصغيرة ، في الورش وفي المنشآت الصغيرة · وفي هذه الظروف فان نقص العاملين والالات البدائية والطبيعة الحرفية للعمل والصلة المباشرة برب العمل الذي غالبا ما يشارك في العمل ، وغيبة أو تخلف دور النقابات ـ تساهم جميعا لتخلق علاقات متخلفة بين العمال وصاحب العمل ، وتؤخر نمو الوعي الطبقي بين العمال ·

وبالطبع فان عمال الصناعة الكبيرة هم قلب الطبقة العاملة · غير أن العمال الزراعيين يشكلون قسما هاما من هذه الطبقة العاملة . حتى العامل تانه غالبا ما يكون برولتاريا مع قطعة أرض . وبيد أن البرولتاريا الزراعية لم تبرز بعد كبرولتاريا ·

ومن الصعب تمييز البروليتاريا الزراعية عن جماهير أشباه البروليتاريا وغير البروليتاريا من الفلاحين ·

وأيا كان الوضع ، فان البروليتاريا تكتسب الوعي مع نموها كطبقة ومع دخولها في معارك الحياة اليومية · وتكشف هذه البروليتاريا عن طابعها القومي بل الانساني بانضمامها فورا الى كل قوة ثورية وتحملها معها مصير تحالفها · ويمثل هذا الموقف تؤكد دورها الطليعي ·

والطبقة الطليعية لا تستطيع وحدها أن تنجز العملية الثورية · أنها تلجأ بالضرورة الى تجميع كل قوى المجتمع الثورية وتشكل منها تحالفا طبقيا واسعا بدونه لا تنجح الثورة · هكذا قامت الثورة الفرنسية بتحالف قادته البرجوازية الناهضة وضم الطبقة العاملة الوليدة والحرفيين وجماهير الفلاحين وجماعات المثقفين في النوادي والصحف ·

كذلك قامت ثورة اكتوبر الاشتراكية بفضل تحالف كبير ، قادته البروليتاريا ، وضم جماهير الفلاحين وصغار المنتجين والحرفيين والمثقفين الثوريين ·

هكذا دلت تجربة التاريخ كله · فان على الطليعة الثورية أن تحدد بوضوح تلك الطبقات الثورية من الطبقات المعادية للثورة ، لتقيم من الطبقات الثورية تحالفا يصفى تحالف الطبقات المعادية للثورة، تلك الطبقات التى لم تعد تتقدم بالانتاج وصارت قيدا على تطور القوى المنتجة وعلاقات الانتاج ، تلك الطبقات التى انتهى دورها الاجتماعى كطبقات فأصبحت فى ذمة التاريخ ·

وبالفعل فان قدرة الطبقة القائدة على القيادة انما تتجسد فى صورة محددة فى قدرتها على تجميع الطبقات الثورية والحصول منها باقتناعها الحر على الاعتراف العملى بدورها القيادى · وان عجز الطبقة القائدة عن تجميع الطبقات الثورية هو فى الواقع عزل لنفسها عنها ، وافساح بالضرورة لكل قوى الثورة المضادة أن تلعب بالتخريب فى صفوف قوى الثورة ·

غير ان الطبقة التى تلعب دور الطليعة لا **تستطيع ان تقود غيرها من الطبقات ، الا بعد ان تكون هى نفسها قد تجمعت واتحدت** · وتقوم بهذا الدور طليعتها المنظمة من أبرز افرادها وعناصرها تلك التى تتمتع بالوعى المبكر والحس الطبقى المرهف ، وغالبا ما تكون من المثقفين · هذه الشخصيات البارزة ، وان يكونوا يتصرفون بوصفهم حراسا على الشعب كله ، او الامة باسرها وبخاصة طبقتهم ، الا أنهم شخصيات واقعية بالقدر الذى يمتزج لديهم (العام) المتمثل فيهم مع (الفردى والخاص) الكامن فيهم · ويتخذ تنظيم الطليعة صورة الحزب عادة ، هذا الحزب الذى يتفاوت قوة وضعفا حسب قدرته أو عدم قدرته على التعبير عن طبقته لا فى حاضرها فحسب وانما فى مستقبلها أيضا · **ولهذا يمكن أن تنعزل الطليعة عن طبقتها ، حتى ولو كانت طليعة ثورية لطبقة ثورية . ما دامت قد فقدت القدرة على تمثيل طبقتها** . على التعبير عن مصالحها ، على الارتباط العضوى بجماهيرها ، على تنظيم صفوفها وتوجيه حركتها . وتكون تلك هى الفرصة السانحة للثورة المضادة ·

وهكذا يمكن القول بأنه لا توجد طبقة ثورية بلا وعى ثورى ، كما أنه لا توجد طبقة طليعية بلا وعى طليعى · فلا يكفى القول بأنه بلا نظرية ثورية لا توجد حركة ثورية · وانما يجب أن نضيف على الفور بأن دور الطليعة انما ينهض به تنظيم يسترشد بنظرية طليعية ·

ثانيا ـ الثورة المضادة

ان أخطاء الثورة وقصورها فى بعض الاحيان هوالذى يعطى الثورة المضادة تبرعا ، وبغيرسبب أنفاسا اضافية تنفث من خلالها سمومها · **لكن الثورة المضادة تعمل سواء أخطأت الثورة او لم تخطىء ، قصرت أو لم تقصر** · ان أخطاء الثورة أو **قصورها مما الزاد الاحتياطى للثورة المضادة** · فان لها فى الواقع زادا أصليا هو عداؤها الاصيل للثورة ، هو تعارض مصالحها الجوهرية مع الثورة ·

طبيعة الثورة المضادة

فالثورة المضادة هى نوع من الهبات التى ترمى الى اعادة النظم والعلاقات الاجتماعية البائدة · هى اعادة الرأسمالية فى بلد اشتراكى ، أو اعادة الاقطاع فى بلد رأسمالى ، أو اعادة السيطرة الاستعمارية فى بلد وطنى مستقل ·

وفى ظروف عالم اليوم ، ليس من السهل على الثورة المضادة ان تعلن على الملا أهدافها · ففى البلدان الاشتراكية ، وبعد فشل الثورة المضادة فى المجر عام ١٩٥٦ ، تعلمت الثورة المضادة درسين هامين : الاول ، هو عدم التعجل والالتجاء بدلا من ذلك الى سياسة المراحل ـ والثانى هو عدم الاعتماد على الخط التقليدى للثورة المضادة المسلحة ، والالتجاء فى الاساس الى سياسة التغييرات السلمية من الداخل ·

ففى المجر نفسها كان أنصار الثورة المضادة

يعلمون انهم لن يكتب لهم النجاح اذا دعوا علانية لاعادة الرأسمالية ، لهذا غلفوا أهدافهم الحقيقية • ففى المرحلة الاولى على الاقل نادوا بالاشتراكية الديمقراطية لا بالرأسمالية هدفا لهم • وكانت خطوتهم الثانية هى اعلان الديمقراطية البحتة ، المجردة من المضمون الطبقى ، لتمكين بقايا الرأسمالية من السلطة • ومنذ محاولة المجر ، وعلى أسوأ الفروض للثورة المضادة ، صارت صور من الشيوعية القومية مقبولة بوصفها مجرد مرحلة انتقالية قصيرة الاجل الى الرأسمالية •

اما فى البلدان الوطنية ، فمازالت الثورة المضادة تعتمد فى الاساس على أسلوب الثورة المضادة المسلحة التى تضرب بسرعة • ومع ذلك يجب أن نولى أهمية خاصة للخبرة الفريدة التى تتصرف بها الثورة المضادة على النطاق العالمى ، أعنى الثورة المضادة عن طريق سياسة المراحل وسياسة التغييرات السلمية من الداخل • ويرشدنا هذا الواقع الى جوهر السياسة التى تتبعها الثورة المضادة فى البلدان المستقلة • فهذه السياسة هى اليوم مايسمى بسياسة الاستعمار الجديد ، **ويقصد بها حرمان البلد الذى حصل على استقلاله السياسى من فرصة تحويله الى استقلال اقتصادى ، عن طريق منعه من التحرر من السوق الرأسمالية العالمية** • وعندئذ يمكن ان تغلف العملية فى اثواب لاحصر لها ، فى مقدمتها تصفية القطاع العام أو تخريبه ليكون مجرد صورة من صور رأسمالية الدولة •

وعندما هزمت الثورة المضادة المسلحة فى الاتحاد السوفيتى بهزيمة **كولتشاك ودنيكين** اتجهت الثورة المضادة السلمية الى تنظيم السرقة الجماعية ونهب ملكية الدولة والملكية التعاونية وملكية المزارع الجماعية • فان الثورة المضادة تدرك بغريزتها الطبقية أن قاعدة الاقتصاد الاشتراكى هى الملكية العامة وبأن هذه القاعدة بالدقة هى التى ينبغى أن تهتز •

ويلى تخريب الملكية العامة من حيث الاهمية الهجوم على سلطة الدولة • ففى احداث فبراير ومارس ١٩٦٨ فى بولندا ، كان الهجوم مركزا على (دكتاتورية الجهلة الفاضحة) • وفى أحداث تشيكوسلوفاكيا فى أغسطس ١٩٦٨ كان التركيز على تشويه سمعة الحزب وبذر بذور عدم الثقة فيه ، وانكار حقه الادبى والسياسى فى قيادة المجتمع وفى كونه القوة السياسية الحاسمة للسلطة الاشتراكية ، والسعى لتقسيم الحزب ولو بتكوين حزب عمالى ماركسى بدلا منه •

وفى البلدان الوطنية ، حيث لم تحل قضية الديمقراطية بعد ، تحرص الثورة المضادة على أسلوب تفويض تماسك القوى الوطنية ، فمن المعروف أن الصراع الفكرى والسياسى فى هذه البلدان حول مسائل الاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية أمر لا مفر منه • ويمكن أن يدار هذا الصراع فى اطار الوحدة الوطنية والجبهة المعادية للاستعمار ، اذ مازالت القضية الاساسية هى قضية تثبيت الاستقلال بمضمونه السياسى ومضمونه الاقتصادى ومضمونه الاجتماعى ان وجد • ولذلك توجه الثورة المضادة اهتماما خاصا الى مسألة تفتيت وحدة القوى الثورية المناهضة للامبريالية •

قوى الثورة المضادة

عندما كشف حزب العمال المجرى عن دروس الثورة المضادة التى هزمت فى عام ١٩٥٦ ، تناول بالتعداد الاسباب الرئيسية للثورة المضادة وهى ، أخطاء قيادة الحزب ، المراجعون داخل الحزب ، العناصر المعادية فى المجتمع ، ودور الامبريالية العالمية • وتوضح لنا هذه الدراسة **أن هناك نوعين من القوى للثورة المضادة : القوى الرئيسية** ، وهى **القوى المعادية أصلا للثورة ، والقوى الاحتياطية أو القوى التى تسهل بمواقفها مهمة القوى الرئيسية •**

والقوى الرئيسية للثورة المضادة فى عالمنا هى فى المقام الاول الامبريالية العالمية ، ثم تليها القوى المعادية فى المجتمع المعين التى تتفاوت قوة أو ضعفا حسب المراكز الاخيرة لها فى المجتمع • ففى بولندا مثلا ، كانت القوى المعادية للاشتراكية صغيرة فى حد ذاتها ، اذ تتألف من بقايا عديمة الاهمية من أفراد الطبقات الاستغلالية السابقة ، ومن أفراد يحملون السياسات الرجعية ويرفضون التخلى عن آمالهم السياسية ، ومن حفنة من الاعداء الذين باعوا أنفسهم للقوى الامبريالية وأنزلت بهم الدولة عقابا عادلا فى الماضى • لكن سند هذه القوى الرئيسى كان فى الخارج ، يتجسد فى الامبريالية العالمية بكل جبروتها • لهذا كان بوسع القوى الداخلية وهى ضعيفة ان تكتسب نفوذا سياسيا خطيرا باستغلال السخط واحداث الفوضى واثارة النزاع •

وفى البلدان الوطنية تبدو الامبريالية فى صورتيها كاستعمار قديم واستعمار جديد • وتسعى الامبريالية لتوليد الوهم القائل بأن المعركة مع الاستعمار قد انتهت فلم يبق الا الصراع الداخلى •

وعندما كانت الامبريالية تسير على أسلوب الاستعمار القديم كانت تعتمد على الرجعية الداخلية التى كانت تتفق مصالحها أو تلتقى على الاقل مع مصالحه ـ أى كان لها سند اجتماعى فى الداخل • **وتحاول الامبريالية وهى تسير على أسلوب الاستعمار الجديد أن تنسينا هذه الحقيقة العلمية ، وهى أنه لابد أن يكون لها سند اجتماعى داخلى** • أن للاستعمار الجديد أيضا طبقات

اجتماعية يستند اليها فى سعيه لاستعادة البلد المستقل واستمرار ربطه بالسوق الرأسمالية العالمية • فاذا لم يجده من الطبقات الرجعية التقليدية ، فانه يحاول استمالة وجذب مايسمى اصطلاحيا بالطبقة الجديدة فى جهاز الدولة وجهاز الاقتصاد وبخاصة القطاع العام ، بل وقد يحاول ان يخلقهاخلقا بغرس الرأسمالية،وتجميل الطريق الرأسمالى للتطور • هنا تلعب هذه الطبقة دور الطبقة العازلة التى تسعى لتجميد الثورة وتحويلها الى رأس مال لها • انها تقبل عندئذ قطاع الدولة لكن ليتحول فى مرحلة أولى الى تأميم بلا ديمقراطية ، ثم لكى يتحول فى مرحلة ثانية الى لاتأميم ولا ديمقراطية ، ونظرا لان هذه الطبقة العازلة تنشأ غالبا من بين المثقفين ، فان هناك اهمية خاصة لادراك خطورة الدور الذى قد يلعبه المثقفون فى الثورة المضادة وامكانية تحويله الى دور موات للثورة نفسها •

أما القوى الاحتياطية للثورة المضادة فهى من جانب اخطاءالقوىالثورية ، والانحرافات الكامنة فى صفوف هــذه القوى الثورية . ولقد اعترف الشيوعيون المجريون أن الثورة المضادة لم تكن لتهدد بالخطر وجود النظام الاشتراكى نفسه لو لم تكن قيادة الحزب قد ارتكبت أخطاء سياسية سابقة • ان الخرق الفاحش للمشروعية الاشتراكية واهدار المبادىء السليمة للحياة الحزبية وعدم احترام المبادىء واصدار القرارات ذات الطابع الاستبدادى وأحيانا القرارات الذاتية والتحكمية والاخطاء فى السياسة الاقتصادية ، وتدهور دور المناضلين والقاعدة الحزبية ودور الجماهير – كل هذا قد تراكم ليحدث أزمة وينسف ثقة أعضاء الحزب فى قيادته ويفسد الروابط بين الحزب والطبقة العاملة التى يقودها • وزاد الطين بلة أن القيادة لم تعترف بأخطائها • فانها لم تكن عاجزة فقط عن القيام بالاصلاح وتصحيح نتائج أخطائها ، وانما افتقرت أيضا الى شجاعة النقد الذاتى الامين • ومن هنا وقفت عاجزة أمام الثـورة المضادةوالمعارضة اليمينية . ان تعاقبالاجراءات التى لامبرر لها والسطحية وعمليات التـوفيق وأكوام أنصاف الحلول والحلول الزائفة قد أفسد فى النهاية معنوية أعضاء الحزب ومكن المعارضة اليمينية من أن تكسب النفوذ فى صفوف الحزب والشعب • وبالجملة فان قيادة الحزب قد نسفت دور الحزب الطليعى وقدرته النضالية ، ناشرة السلبية بيـن أنصـار الاشـتراكية والقـوى الاشتراكية ، وعندئذ شتتت تشكيلاتهم ، ومن ثم ضاعفت من نفوذ العدو الطبقى •

أما المعارضة اليمينية فقد لعبت فى المجر لعبة مزدوجة • فهى بينما كانت تنقل للجماهير أخطاء الحزب علنا ، كانت تمنع الحزب بكافة الوسائل من تصحيح أخطائه • كانت مهمتها شل الحزب ، شله داخليا بمنعه من الحركة لتصحيح أخطائه ، وشله جماهيريا بعزله عن جماهيره .

ويجرنا هذا الحديث الى التساؤل عن سر ومصدر قوة الثورة المضـادة . أين تـكمن قوة الطبقات الرجعية ؟

أنها تكمن **أولا** فى قوة رأس المال العالمى ، فى العلاقات الدولية لرأس المال ، فى الدوليـة الرأسمالية .

وهى تكمن **ثانيا** فى الخبرة الاقتصـادية والسياسية التى تتمتع بها ، فهى ليست مجـرد طبقات مخلوعة ، أو معزولة عن الجماهير ، لكنها قوة منظمة كانتأو مازالتتمسك بمقاليد الامور، ولها خبرة بالتنظيم والادارة ، ومعرفة بأسرار الدولة والانتاج .

وتكمن **ثالثا** فى قوة المألوف من العادات ، وبخاصة عادات الملكية الخاصة •

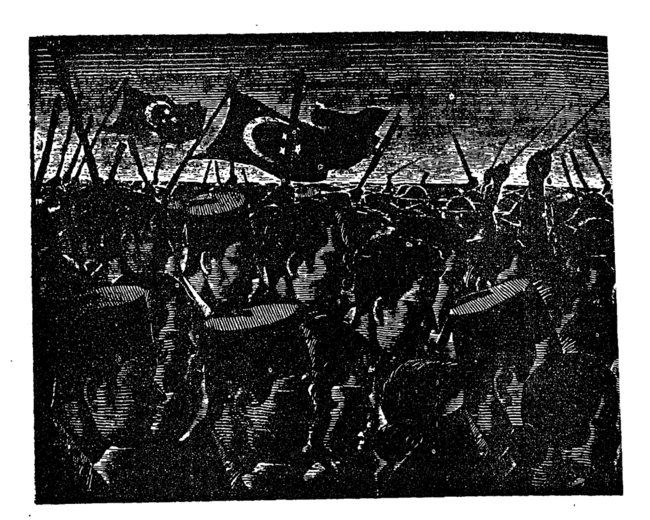
وتكمن **رابعا** فى قوة الافكار الرجعية ، فانه حتى بعد تصفية الاساس الاقتصادى للطبقات المخلوعة بوقتطويل ، تظل هناك قوة خطيرة للثورةالمضادة تتمثل فى فكرياتها ، تأكيدا لحقيقة أن وعى المرء متخلف عادة عن وضعه المادى •

لكن القوة الحاسمة فى النهاية للثورة المضادة انما تكمن فى اللعب على التناقضات الثانوية فى المجتمع ، أى فيما بين القوى الثورة ، وفيما بين الجماهير والقيادة . فلم تنفجر ثورة مضادة حتى الان الا فى ظروف تشهد وقوف أغلبية قوى الثورة فى حالة عدم مبالاة وسلبية .

وفى البلدان الوطنية ، يسهل اللعب علـى التناقضات الثانوية • فهذه البلدان تواجه فى وقت واحد مهام التنمية الاقتصادية والديمقـراطية السياسية . وهى مهام عويصة تماما . ومالم توجد القيادة نفسها مع الجماهير الشعبية من أجل انجاز هذه المهام فان الميدان سيظل مفتوحا أمام قوى الثورة المضادة للتسـلل الى صـفوف الجماهير • من هنا تبدو الاهمية القصوى لعزل الثورةالمضادة ، **ويتوقف الامر فى الواقع على دور الجماهيرالشعبية ، وعلى مستوى وقوة اشتراكها فى توجيه الحياة العامة وعلى درجة الديمقراطية السياسية وعلى امكانية التأثير الشعبى علـى التطورات الموضوعية** •

ولما كان العدو الرئيسى للبلدان الوطنية هو الامبريالية العالمية ، فان وحدة القوى العالمية التى تحارب ضد الامبريالية تبدو أمرا ضروريا لافساد محاولات الثورة المضادة ، وفى عالمنا الراهن توجد ثلاث قوى تحارب ببسالة ضد الامبريالية هى الشعوب التى تبنى الاشتراكية والحركة الثورية للطبقة العاملة فى البلدان الرأسمالية وحـركة التحرر الوطنى العالمية •

ان أهمية التحالف بين الحركة الاشـتراكية العالمية وحركة التحرر الوطنى تكمن فى أن يعبر على المستوى العالمى عن تحالف الطبقة العاملة والفلاحين على المستوى المحلى • ومن ثم فلا غنى عنه من أجل دحر قوى الثورة المضادة .



مظاهرات ١٩١٩ .. من اعمال الفنان اليونانى « جورج ديمـوس »

ثــورة ١٩١٩

فى ٩ مارس١٩٦٩ يكون قدمضى٥٠عاما على قيام ثورة ١٩١٩ . وتقدم الطليعة فى هذه المناسبةدراسات ثلاث :

● الاولى : عن المقدمات والمواقف الطبقية لرفعت السعيد .

● والثانية عن سـعد زغلول : دراسـة فى فكره السياسى لطارق البشرى .

● والثالثة مقـال عن المثـال محمود مختار لداود عزيز .

وفى هذه المقالات يحاول الكتاب ان يقدموا مساهمات ــ وان تكن متواضعة ــ الا انها تحمل جديدا فى دراسة تاريخنا القومى .

فالدراسـة التى يقدمها رفعت السعيد تحاول ان يضع اساسا لفهم الثورة « كعملية » كوحدة عضوية ، بما فيها من تناقضات ، ومن عناصر متشابكة ومن ارتباط للاتجـاهات الفكرية بالاوضاع المادية السائدة فى المجتمع .

والدراسـة التى يقدمها طـارق البشرى تحاول ان تقدم فـكر سعد زغلول فى نموه وتطوره الطبيعى ، هذا التطور الذى تقضى به الضرورة التاريخية نفسها .

اما مقال داود عزيز فيتجه الى تقييم لعبقرية مختار الفنية من هذه الزاوية : وهى ان ذيوع شهرته كمثال يرتقى الى المستوى العالمى ، مصدرها الجهد الخارق الذى بذله مختار فى تشرب الواقع المحلى [البيئة الريفية والوطنى [الحركة الوطنية] .

وقـد قامت الطليعـة باجـراء حوار مع الدراستين الرئيسيتين . فعلق الدكتـور اسمـاعيل صبرى عبـد الله على الدراسـة الاولى وناقش ابو سيف يوسف بعض قضايا المنهج فى تعليقه على الدراسـة



ثـــورة ١٩١٩

المقـــدمات ٠٠ والمـــواقف الطبقيـــة المختلفـــة

رفعت السعيد

عندما قامت ثورة ١٩١٩ كتب محمد فريد وهو زعيم جيل ما قبل الثورة بغير منازع ٠٠ كتب فى دهشة يقول : « **من الامور التى كانت غير منتظرة** ماحصل بمصر فى شهرى مارس وابريل من هذه السنة وهو قيام ثورة عامة اشتركت فيها الامة بجميع طبقاتها » (١)

وهكذا فان زعيم الجيل الذى مارس الثورة وخاض غمارها ٠٠ ذلك الرجل الذى الهب مشاعر

(١) محمد صبيح ، مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية ص ٣٦٨ .

الجماهير وانبت فيها روح الثورة فوجىء قبل غيره بقيام الثورة وبعنفها ..

أما الرافعى احد قادة الحزب واحد مناضليه ، فقد كتب هو ايضا فى مذكراته « وفى الحق اننى - مع ما اشعر به من ميل دائم الى التفاؤل - لم اكن اتوقع ان تقوم فى البلاد ثورة فى مثل هـذه الظروف ، وبمثل هذا الاتساع . وبتلك السرعة والقوة والروعة التى تجلت فى ١٩١٩ ، ولم اكن انا وحدى فى هذا الشعور ، بل ان فريدا رحمه الله ، حين بلغته وهو فى منفاه انباء الثورة عدها من الحوادث المفاجئة » (٢)

.. اما قادة الثورة انفسهم هؤلاء الذين اشعلوا اول عود ثقاب فيها .. ودعوا الجماهير اليها .. قادة الوفد ولجنته المركزية فقد انزعجوا من قوة واتساع هذه الثورة وعنفها ..

وفى ٩ مارس ١٩١٩ عندما كانت طلقات الرصاص تدوى فى كل شـــوارع القاهرة .. بعث اعضاء الوفد برسالة الى السلطان فؤاد قالوا فيها « ان اعضاء الوفد لم يتعدوا حدود القانون ، ولم يهيجوا فى البلد مظاهرة ولم يحركوا ساكنا » (٣)

وعندما اتجهت مظاهرات الطلاب الى بيت الامة خرج اليهم عبد العزيز فهمى ليقول لهم فى غضب « ان المسالة ليست لعب اطفال ، دعونا نعمل فى هدوء ولا تزيدوا نار الغضب اشتعالا عند القوم .. (٤)

ومع ذلك فقد زادت الثورة اشتعالا ..

وحتى عندما يرسل سعد من باريس نداء الى الامة .

تجتمع اللجنة المركزية فى القاهرة لتعدل بعض كلماته وتشطب كل كلمة عنيفة ..

فالبيان يقول للمواطنين « صممتم على ان تستقلوا أو يكون الموت خيرا لكم » لكن العبارة تشطب وتحل محلها « غير عابئين بالشدائد التى تنزل بكم » .

وترد فى البيان كلمة « ثورة » فتشطب لتحل محلها كلمة « نهضة » (٥) .

وتظل كلمة « نهضة » بعد ذلك هى التعبير الرسمى المستعمل .

لكن جماهير العمال والفلاحين والطلاب والموظفين كانوا يخوضون غمار ثورة حقيقية بالرغم من هذا التعديل ...

وتلتهب الثورة فى كل مكان الى حد يخيف قيادة الوفد نفسها ويشعرها ان هذه الثورة تمس شيئا آخر غير الذى ارادوا ، ويكتب سعد زغلول الى عبد الرحمن فهمى ناصحا « ولا يحسن التداخل فى مسائل الاعتصابات ولا غيرها من الامور التى حرمتها السلطة العسكرية بل يجب تجنبها حتى لا يكون للخصوم حجة عليكم فى أى شىء كان » [٦]

وفى ٢٤ مارس يصدر قادة الوفد ولفيف من الوزراء السابقين وعدد من الاعيان نداء يقول « انه لا يخفى على احد ان الاعتداء سواء اكان على الانفس ام على الممتلكات محرم بحكم الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، وان قطع المواصلات يضر اهل البلاد ضررا واضحا ويحول بينهم وبين تحقيق مصالحهم ويشل حركة نقل المحصولات والارزاق ويعطل المعاملات والاخذ والعطاء ويسبب العسر وسوء الحال ، على ان العقاب عليه يعرض بعض القرى للتخريب ويعرض الانفس البريئة لان تؤاخذ بما لم ترتكب من اثم .. ومن اجل ذلك يرى الموقعون على هذا البيان انه من اقدس الواجبات الوطنية عليهم ان يناشدوا الشعب المصرى باسم مصلحة الوطن بان يتجنب كل اعتداء والا يخرج احد فى اعماله عن حدود القوانين حتى لا يسد الطريق فى وجه من يخدمون الوطن بالطرق المشروعة » [٧] .

بل ان قادة الوفـد فى القـاهرة البـاقين يوجهون بيانا مكتوبا الى اللنبى يقولون فيه « ان هذا الاضطراب ليس نتيجة متوقعة لعملنا ولا يسوغه برنامجنا بحال من الاحوال .. بل نحن

(٢) الرافعى . مذكراتى ١ ص ٢٢
(٣) محمد الفتيت . ثورات العرب ص ٦٤
(٤) المرجع السابق .. ص ٦٦
(٥) محمد انيس .. دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ . ص ٩٥
(٦) المرجع السابق ص ١٠٢
(٧) الفتيت .. ص ٧١

تاسفت له ٠٠ وأما تسكين هذا الاضطراب فليس فى يدنا وسيلة فاعلة فيه » ٠٠

بل انهم وصفوا هذه الثورة بأنها « حركة مخيفة تخشى عواقبها » [٨] .

ولقد كانوا صادقين كل الصدق ٠٠ فان هذه الثورة كانت بالنسبة لهم حركة مخيفة فعلا ٠٠

وهذه الانتفاضة الثورية لم تكن من صنعهم اطلاقا .. هذا ما تؤكده كل الشواهد .. وما يؤكده العقاد ايضا عندما يقول « ان هذه الثورة المفاجئة لم يقع فيها تنظيم ، ولم تكن فيها رئاسة مدبرة على الاطلاق وان مظاهرة الطلبة الاولى وقعت على غير علم سابق من الوفد ، بل على خلاف النصيحة التى سمعها الطلبة من بعض اعضائه » [٩] .

اتجاهان ٠٠ فى الثورة

تلك هى الحقيقة .. كان فى الثورة اتجاهان متناقضان ٠٠ اتجاه كبار الملاك وجنينيات الطبقة البرجوازية ، ومن التف حولهم من الاعيان وكبار ومتوسطى الموظفين والعناصر المعتدلة ٠٠ وهو اتجاه يستهدف استخدام « الطرق المشروعة » سبيلا لتحقيق نوع من الاستقلال تحركه مطامح طبقية وتراوده احلام بحكومة مصرية تفتح ابواب الثراء والوظائف الكبرى امامه .

واتجاه آخر قوامه العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون اسلوبه العنف الثورى ، بل واقصى درجات العنف وهدفه الاستقلال التام ٠٠ والخبز والعدل ٠٠

٠٠ ولقد كانت الاسطر السابقة مقدمة لابد منها توضح ذلك التناقض الغريب ٠٠ ثورة تندلع تحت قيادة فئة اجتماعية محددة ، لكن قواعد الثورة تنطلق الى اتجاه آخر .. اتجاه مغاير تماما ..

ومن هنا كان الارتباك وعدم الفهم الذى وقعت فيه قيادة الثورة ذاتها ومن هنا برز ما هو اخطر من سوء الفهم ، برز الصدام الفعلى بين الجماهير الثائرة ٠٠ وكبار الملاك الذين يتصدرون قيادة الثورة ٠٠٠

ويروى فكرى أباظه كيف انطلقت جموع الفلاحين حاملة اسلحتها لتحاصر منزل محمد محمود محاولة احراقه ٠٠ ويحاول هو ان يفهمهم ان هذا منزل احد القادة المنفيين ، فيصيح فيه صوت الجموع الجائعة « وهل وزع محمد محمود ارغفة العيش على الجائعين .. نحن طلاب قوت »

ويقول فكرى اباظه فى صراحة « وكانت صدمة لى ٠٠ خلط عجيب بين طلاب الاستقلال وطلاب القوت ، وخلط غريب بين الكفاح القومى والاشتراكية الساذجة » [١٠] .

٠٠ ويسجل الرافعى هو ايضا دهشته عندما سمع الفلاحين يصيحون « يحيا العدل » وتساءل ما معنى هذا الهتاف ٠٠

وهذا التناقض الهام والذى اغفله كثير من المؤرخين هو فى اعتقادى المفتاح الاساسى لفهم ثورة ١٩١٩ ٠٠ طبيعتها واسبابها ودور القوى الاجتماعية فيها ٠٠

لكننا لا نستطيع ان نبدأ دون ان نعود قليلا الى الوراء ٠٠ فليس ممكنا ان ندرس ثورة عام ١٩١٩ دون أن ندرس تلك التطورات الهامة ٠٠ التى شهدتها سنوات قبل الثورة ..

وهذه السنوات الممتدة من ١٩٠٠ حتى ١٩١٩ تمثل فى اعتقادى اهم فترات تاريخ مصر الحديث ، ففيها كانت مصر قد استطاعت أن تلعق جراح هزيمة الثورة العرابية ٠٠ وكانت تتلفت ــ بحثا عن طريق ؟

وكان التطور الاقتصادى يبلور فى سرعة غريبة تكوينات طبقية محددة ويمنح هذه التكوينات القدرة على أن تقف على قدميها اكثر قوة ٠٠ ومن ثم اكثر استعدادا للدفاع عن مصالحها ٠٠

خطة كرومر ٠٠

لقد دخل الانجليز الى مصر على بساط من خيانة كبار الملاك ، والحقيقة ان ارتماء كبار الملاك بهذه

---

(٨) المرجع السابق ٧٥
(٩) العقاد . سعد زغلول ص ٢٢٦
(١٠) فكرى اباظة .. الضاحك الباكى ص ٤٣

الصورة السافرة فى أحضان القوات الانجليزية كان تعبيرا عن خوفهم من ثورة هؤلاء الفلاحين الذين قادهم عرابى ..

وهكذا نسى سلطان وعلى مبارك وشريف وغيرهم كل ما كانوا ينادون به من مطالب اصلاحية ودستورية ، وارتموا تحت وطأة الخوف من ثورة الفلاحين فى طريق الخيانة السافرة وباعوا انفسهم ومصر للانجليز ..

وقد بنى كرومر خطته لحكم مصر على اساس دعم هذه الطبقة والاستعانة بها اتباعا مطيعين للمستعمر، وسياطا يلهب بها ظهر الشعب المصرى. وهكذا بدأ كرومر فى دعم هذه الطبقة التى اسماها « طبقة اصحاب المصالح الحقيقية »

ففى ديسمبر ١٨٨٣ صدر القانون المدنى الاهلى ليرسى دعائم حق الملكية ، وفى عام ١٨٩١ يتأكد حق الملكية التامة للارض .

ثم ان الرغبة فى استخدام مصر كمزرعة لبريطانيا قد دفعت سلطات الاحتلال الى تحسين شبكات الرى والاهتمام بالزراعة وعمليات استصلاح الارض وخاصة فى اطراف الوادى سواء فى البحيرة أو الشرقية الامر الذى دفع عددا من قبائل البدو الى الاستقرار والاشتغال بالزراعة وبطبيعة الحال أصبحت الارض ملكا لشيخ القبيلة بينما عمل بقية افرادها مزارعين او مستأجرين او اتباعا للشيخ [١١] .

والحقيقة ان عمليات استصلاح الاراضى قد نشطت نشاطا كبيرا بعد الاحتلال ..

وفى مديرية البحيرة وحدها زادت الارض المنزرعة من ٢٩ر١٨١ فدانا الى ٤٥٥ر٥٨٧ فدانا اى بنسبة ٨ر٣٦ فى المائة وذلك خلال الفترة من ١٨٩٣ حتى ١٩٠١ ، واذا كانت مساحة الارض المنزرعة قد زادت فى البحيرة اكثر من غيرها من المديريات الاخرى (كانت نسبة الزيادة فى مصر كلها ١١ فى المائة) فان نسبة الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فدانا الى مجموع الملكية الزراعية كانت فى البحيرة اعلى ايضا من اية مديرية اخرى فقد بلغت ٦ر٦١ فى المائة ، بينما كانت نسبتها فى القطر كله ١ر٥٦ فى المائة .. وهكذا يتضح .. أن اتساع المساحة المنزرعة كان مرتبطا بزيادة الملكيات الكبيرة ؟ لكبار الملاك والشركات العقارية كانوا يستولون فى الحقيقة على كل ما يستصلح من اراض جديدة [١٢] .

وهناك عامل آخر ادى الى زيادة ملكية هذه الطبقة ، هو بيع املاك الدائرة السنية . وقد ذكر المؤرخون عديدا من الاسباب لبيع أملاك الدائرة السنية لكننى اعتقد ان السبب الاساسى فى بيعها هو ان الصدام بين الخديو عباس حلمى الثانى وبين سلطات الاحتلال قد نبه كرومر الى ضرورة اضعاف الاسرة المالكة وتخفيضها من مرتبة الحليف الى مرتبة التابع المطيع ..

واسهل وسيلة لاضعاف الاسرة المالكة فى مجتمع كالمجتمع المصرى هو تجريدها من ملكياتها الكبيرة ، وهكذا بدأت فى نهاية القرن ١٩ عملية تصفية املاك الدائرة السنية .. وقد بيع اكثر هذه الارض فى الفترة من ١٩٠٠ حتى ١٩٠٦ .

وفى عام ١٩٠٠ بيع ٠٠٠ر٦٦ فدان ، وفى الفترة من ١٩٠١ حتى ١٩٠٥ بيع ٠٠٠ر٢٢٤ فدان .

ثم انجزت العملية ببيع ٠٠٠ر١٦٠ فدان فى الفترة من اكتوبر ١٩٠٥ حتى مارس ١٩٠٦ [١٣]

ولقد كانت هذه السنوات الست فرصة العمر لكبار الملاك فان معظم هذه الاراضى او كلها قد بيع لهم .. وكان هذا هو السر فى نشاط هذه الطبقة واتجاهها المحموم فى هذه الفترة بالذات ـ لتكوين حزب سياسى لها .... فقد اشترت اسرة سلطان عدة قرى فى تفتيش المنيا ، وكذلك اسرة عمرو وشعراوى .. كذلك اشترت مساحات كبيرة اسر اقطاعية اخرى مثل بشرى حنا ولطف الله ويوسف كمال ..

ويمكننا ان ندرك الاثر الحقيقى لبيع املاك الدائرة السنية فى توزيع ملكية الارض من الجدول التالى :

نسبة مساحة الملكيات التى تزيد عن ٥٠ فدانا الى المساحة الكلية للارض المنزرعة .. [١٤] .

السنة	النسبة
١٩٠١	٤ر٣٤٪
١٩٠٦	٦ر٤٥٪

---

(١١) Gabriel Baer - Ahistory of Landownership in Modern Egypt. p. 56.

(١٢) باير .. المرجع السابق ص ٢٤

(١٣) EID. La Fortune Immobiliêre de L'Egypte et sa dette Hgpothecaire Paris. 1907 p.108.

(١٤) باير ص ٢٢٤

وإذا كان كرومر يطمع في أن يزيد ثراء الاثرياء كي يزدادوا خضوعا فان النتيجة جاءت عكس ما توقع .. فان ازدياد ثراء هؤلاء الملاك الكبار قد زاد من قوتهم وهيبتهم فى المجتمع .. وزاد ايضا من تطلعهم نحو مزيد من الثروة والسلطة ، تطلعهم الى الغنيمة كلها او جزء كبير منها وليس الى مجرد الفتات . ومن هنا كان تمرد الاتباع على السيد المطاع لكن التمرد لم يكن سياسة الجميع ، فثمة فئة من بين الذين يتربعون فى اعلى قمة السلم الطبقى كانت تنهج اسلوب الخضوع المستمر ، تلك هى فئة كبار الموظفين ..

وقبل الاحتلال كان كبار الموظفين يتحولون بالتبعية الى كبار ملاك نتيجة لانعامات الخديو عليهم ، اما الان فان الانعامات قد توقفت وانحصر نصيب كبار الموظفين فى مجرد حصولهم على مرتبات عالية وما تجره الوظيفة الكبيرة من قدرة على استغلال النفوذ أو مصاهرة اسرة غنية ، لكن ذلك كله مرتبط بالوظيفة ذاتها ..

ومن هنا فان فئة الوزراء وكبار موظفى الدولة كانوا يمثلون فئة مستقلة تنتهج موقف الخضوع الدائم .. واذا كان اسماعيل اباظه باشا ومحمود سليمان باشا وغيرهما يمثلون فئة كبار الملاك التى بدأت تتمرد فان مصطفى فهمى باشا كان نموذجا مثاليا للفئة الثانية ..

وثمة مثالا يوضح هذا التفاوت بين موقف الفئتين ، ففى ١٩٠٨ ثار نقاش فى مجلس شورى القوانين حول مسالة وجود المجلس النيابى .. وتعلق « المؤيد » على النقاش قائلة :

« ويوجد فى المجلس الان فريقان مختلفان ، فريق يضم كل الاعضاء المندوبين [يقصد المنتخبين) تقريبا وهؤلاء يطلبون الحكومة النيابية على كل حال ، ومعارضون قليلون منهم سعادة طلبة باشا سعودى الذى تردد فى عدم طلب المجلس النيابى من اصله او فى طلب توسيع اختصاصات المجالس النيابية الحاضرة ، وايده سعادة موسى باشا غالب قاطعا بعدم طلب المجلس النيابى اصلا وكذلك مفتاح بك معبد ، وهؤلاء الثلاثة كانت الوكالة البريطانية قد رشحتهم لعضوية المجلس » [١٥] .

ويعترف غورست بهذا التفاوت بين موقف النظار وكبار الموظفين وموقف مجلس شورى القوانين ــ كبار الملاك ــ فيقول :

« ان السياسة التى يقصد بها حكم مصر بمعاونة نظار من الوطنيين لا تتفق الان مع السياسة التى ترمى الى تنشيط السعى فيما يسمى بالمجالس النيابية فلابد من اختيار احدى السياستين »

ويواصل غورست حديثه مفضلا النظار على كبار الملاك « فالنظار يختارون من اقدر المصريين واعظمهم كفاءة .. وهم ادرى برغائب اهل وطنهم وآرائهم الحقيقية اكثر من اعضاء مجلس لا ينوبون فى الحقيقة الا عن فئة البكوات والباشوات الاغنياء » [١٦] .

بقى أن نعرف التركيب الاجتماعى لاحدى الجمعيات العمومية التى هاجمها غورست وهى ـ الجمعية العمومية التى انتخبت عام ١٩١٣ ..

الملاك	٤٩
المحامون	٨
التجار	٤
رجال الدين	٣
المهندسون	١

.. وفى احدى هذه الجمعيات وقف اسماعيل باشا اباظه قائلا « اننا لم نتقدم سوى فى مجال النفاق والثرثرة والديون .. ان الامور تتدهور فما هو العلاج ؟ العلاج هو الحكم الذاتى لكننا طوال الثلاثين عاما الماضية لم نتقدم خطوة واحدة نحو الحكم الذاتى » انهم يكتفون بالحكم الذاتى ، ومع ذلك يهاجمهم غورست فى تقريره قائلا « صدر تقريرى السابق فى زمن حرج والمظاهرات العنيفة التى جرت ضد الانجليز على سبيل الحماقة والجهالة حتى بلغت شدتها برفض الجمعية العمومية لمشروع قناة السويس بلا مناقشة حقيقية » .

ويقول فى مكان آخر « ان مجلس شورى القوانين هو والجمعية العمومية اظهرا فى سنة ١٩٠٩ ، وفى النصف الاول من سنة ١٩١٠ ميلا متزايدا الى أن يكونا آلتين بايدى الحزب الوطنى يستعملهما فى تحريضه وتهييجه ضد الاحتلال البريطانى ، فان طلبهما المتكرر لحكومة دستورية تامة ، وحملاتهما المنكرة على الحكومة فيما يتعلق بالميزانية والسودان والعداوة والريبة اللتين اظهراهما فى مشروع قنال السويس وتجاوزا فيهما حد الاعتدال ــ كانت كلها فى جوهرها مظاهرات ضد الانجليز »

(١٥) المؤيد ١٩٠٨/١١/١
(١٦) غورست تقريره عن عام ١٩١٠

وهكذا كان كبار الملاك يتمردون ، ولكن فى حدود ، ويكتفون بالمطالبة بالدستور والبرلمان والحكم الذاتى فى ظل الاحتلال .

الطبقة الوسطى .. تتمرد هى أيضا

لعل أهم ما يميز هذه الطبقة هو ضعفها الاقتصادى الشديد ، وبالرغم من نشوء شركات رأسمالية كثيرة [٢٦٠] شركة برأسمال ٤٣ مليون جنيه فى الفترة من ١٩٠٠ ـ ١٩٠٧) الا أن هذه الاستثمارات جميعا ظلت فى أيد أجنبية أو شبه أجنبية ...

وثمة احصاء يقول ان ٩٢ فى المائة من هذه الاموال كان أجنبيا و ٨ فى المائة فقط اموال محلية .. وكلمة محلية هذه ذات مغزى تختلف عن كلمة مصرية . والحقيقة ان معظم الـ ٨ فى المائة هذه كانت فى أيدى اجانب متمصرين ، أمثال سوارس

عبد الرحمن فهمى ١٨٧٠ ـ ١٩٤٦

هو احد الصناع الحقيقيين لثورة ١٩١٩ . بدا حياته ضابطا بالجيش ، فياورا لوزير الحربية مصطفى فهمى باشا ، ثم نقل الى البوليس ، واحيل الى المعاش ١٩١٣ على اثر صدامات متكررة بينه وبين المفتشين الانجليز .

وعندما تالفت لجنة الوفد المركزية فى اوائل ابريل ١٩١٩ كان سكرتيرها العام . وفى هذا المنصب قاد عبد الرحمن فهمى عملا تنظيميا متداخل الاطراف يدل على مهارة فائقة فى العمل السرى والعلنى معا ، وعلى القدرة فى تحريك الجموع .

وفى وقت واحد ، كان عبد الرحمن فهمى ينظم شبكة سرية ضخمة لجمع التبرعات ، وشبكة أخرى لجمع المعلومات ، وجهازا سريا دقيقا يراقب الخونة او هؤلاء الذين يحتمل أن يلجأ اليهم المحتل طالبا تعاونهم معه ، وشبكة تنتشر فى كل شارع لتراقب تحركات اعضاء لجنة ملنر وتتبع اتصالاتهم وتستكتب كل من يتصلون بها استنكارا لمهمة اللجنة ..

وفوق ذلك فهو يتصل بعدد من الجماعات السرية ويمولها ويحركها دون ان يشعر احد ، بل ودون ان يشعر الكثيرون من قادة هذه الجماعات انفسهم .

وهو يجتمع باللجنة المركزية للوفد ويتلقى تعليماتها ـ أو هكذا يوحى اليهم ـ لكنه يرتب بمبادرة منه اتصالا سريا مستمرا بينه وبين سعد زغلول ليرتبا معا كثيرا من المسائل .

ولم يكن عبدالرحمن فهمى مجرد منظم ماهر ، لكنه كان سياسيا بارعا ، وكان يعرف كيف يوجه زعماءه دون أن يثير غضبهم .

فعندما وصل سعد زغلول الى باريس



● عبد الرحمن فهمى

صدم من تجاهل مؤتمر الصلح له فارسل تلغرافا مليئا باليأس الى محمود سليمان يقول فيه « منذ وصولنا وجدنا جميع الابواب موصدة فى وجوهنا . كل الجهود والمساعى لم تؤد الى نتيجة . فى النص التمهيدى لمحادثات الصلح اعترف الالمان بالحماية . يصلكم خطاب » .

وانتاب الفزع اعضاء اللجنة المركزية بالقاهرة وسادت روح اليأس ، لكن عبدالرحمن فهمى ارسل اليه يقول « جاء تلغراف لسعادة محمود باشا سليمان فلم يخامرنى اى شك فى ان هذا التلغراف منتحل ، وغير صادر منكم لانه يصعب على جدا أن اعتقد ان سعد باشا زغلول ذاك الرجل العظيم يفتكر أن امته من البلاهة لدرجة تظن أن الاستقلال عبارة عن طرد أو شىء موجود فى مخازن اللوفر أوغيرها بباريس يمكنه مشتراه فى بضعة اسابيع والعودة الى مصر . فاذا كانت الابواب الرسمية قد اقفلت فى وجه الوفد فهناك الابواب غير الرسمية كالمجالس والهيئات النيابية والجرائد . والرأى العام صاحب السلطان الاكبر على الحكومات . كل هذه الابواب مفتحة الطريق امام الوفد » .

وقد ادرك الانجليز خطر عبدالرحمن فهمى ، فاعتقلوه المرة تلو الاخرى .

.. وفى عام ١٩٢٤ افرج عنه ضمن حركة الاعفاءات السياسية فى اوائل وزارة سعد . وخرج عبد الرحمن فهمى ليلعب دورا جديدا ، بالغ الاهمية .

فقد اضطلع بمهمة خلق مراكز وفدية داخل الحركة العمالية . والحقيقة أن هذه الفترة قد شهدت نشاطا واسعا للقوى اليسارية وسط حركة العمال وركز عبدالرحمن جهده لاحلال قيادة بورجوازية للحركة العمالية محل قيادة اليسار .

وبنفوذه الكبير ، وقدرته الفائقة للتنظيم ، وامكانيات الوفد كحزب حاكم استطاع عبدالرحمن فهمى أن يقيم تنظيما عماليا ضخما خلال عدة أشهر : هو الاتحاد العام لنقابات عمال وادى النيل (١٢٠ نقابة تضم ١٥٠ الف عامل) واصبح يلقب « بزعيم العمال » .

ومع ذلك فان ارتباطه بالحركة العمالية قد حرك ضده الانجليز والقوى المعادية للوفد فاعتقل فى قضية مقتل السردار رغم اصرار الكثيرين على براءته .

وخرج من السجن منهكا واستقال من زعامة حركة العمال . وكتب فى مذكراته يقول :

« وجدت ان الخطر لاشك يحدق بى ، وانا مادمت على راس العمال .. لهذا اعتزلت الحركة العمالية معتذرا بان صحتى لا تساعدنى » .

وكانت استقالته بداية انهيار اتحاد العمال .

ثم اختلف عبد الرحمن مع سعد زغلول ، واعتزل العمل السياسى فترة ، ثم ما لبث ان نشط مناهضا للوفد ـ كمدير لمجلة روز اليوسف ـ ثم فى صفوف السعديين .

وموضيري ومنشة وسليم ضيدناوي، لكن ثمة نسبة ضئيلة من هذه الاستثمارات تسربت الى أيد مصرية .. فكانت نواة للرأسمالية المصرية [١٧].

والحقيقة ان ثمة حواجز عديدة كانت تعوق تحول كبار التجـــار المصريين الى مستثمرين رأسماليين، فهناك العقبات التي زرعها الاحتلال من فرض ضرائب باهظة على المنتجات المصرية ، وهناك المنافسة الاجنبية غير المشروعة التي لم تكن تستند الى سطوة الاحتلال ونفوذه فحسب وانما ايضا الى الامتيازات الاجنبية التي كانت تحرم فرض ضرائب على الاجانب ، وهكذا كان عبء الضرائب المتزايدة يقع كله على المصريين وحدهم ..

وهناك ايضا ذلك الاحساس الاسلامي القديم المعادي للاستثمارات والارباح والفوائد المصرفية والذي دفـــع كثيرا من المولين المصـــريين الى التحرج من الخوض في هذا الميدان ..

كذلك فان ثمة تقليدا مصريا عريقا كان يقيس احترام الانسان وهيبته بقدر ما يملك من افدنة وليس بقدر ما يملك من اموال ، وهكذا فان ارباحا كثيرة لهؤلاء التجار قد تحولت الى ميدان شراء الاراضي الزراعية دافعة باسعارها الى الارتفاع اكثر فاكثر ..

لكن ذلك لم يمنع اعدادا وفيرة من التجار المصريين من خوض هذا الميدان .. كذلك فان كبار الملاك قد اسالت لعابهم هذه الارباح الوفيرة التي تحققها الاستثمارات الرأسمالية في ميدان الزراعة واستصلاح الاراضي .. وشاهدوا كيف تحقق الشركات العقارية الاجنبية ارباحا خيالية فحاولوا هم ايضا أن يجربوا حظهم ..

وفي عام ١٨٩٣ تجمع عدد منهم يتزعمهم الامير حسين باشا وحيدر باشا يكن وعمر باشا مصطفى في محـــاولة لانشـــــاء شركة زراعية برأس مال ٢٥٠,٠٠٠ جنيه .

لكن المحتلين كانوا يقفون بالمرصاد لكل هذه المحاولات ويعملون على تصفيتها .. بل ان كرومر يكتب محذرا « اما فيما يخص اصحاب الاسهم من المصريين فاني اغتنم هذه الفرصة لتكرار التحذير الذي قلته من قبل وهو ان الذين يضيعون اموالهم في الشركات يحسن بهم أن يتبصروا » [١٨] .

كل هذا في وقت كانت تتحقق فيه أرباح خيالية وكان غورست يصيح باعلى صوته « انه عصر الرواج العظيم »

وكان هذا الرواج كله ملكا للاجانب ، وكان طبيعيا ان تتمرد الطبقة الوسطى .. فاذا اضفنا الى ذلك ان أبناء هذه الطبقة من المثقفين وخريجي المدارس كانوا محرومين من الوظائف الهامة التي تزايد باستمرار تركزها في أيد اجنبية فان التمرد يصبح ضرورة حتمية ..

وهكذا نشهد صداما عنيفا في بعض الاحيان بين السياسيين من ممثلي هذه الطبقة بمختلف فئاتها وبين سلطات الاحتلال ..

.. فتشن المؤيد حملة عنيفة جدا ضد كرومر احتجاجا على خطابه في حفل الوداع .. ويتحرك كبار التجار المصريين هم ايضا ـ ولعلها اول مرة يعبرون فيها عن استيائهم ـــ فيرسل نجيب بك الجواهرجي محبرة وقلما من الذهب الخالص الى الشيخ على يوسف اعجابا بمقالات المؤيد هجوما على كرومر ..

والطلاب من ابناء هذه الفئة يخوضون معارك اضرابية ناجحة ..

والمثقفون تلتهب كتاباتهم واشعارهم دفاعا عن الحرية والمساواة والعدل ...

والمفكرون يبحثون عن طريق وعن فلسفة لهذه الامة ، فتمتلىء صفحات الجرائد في ذلك الحين بافكار تولستوي وكروبيتكين وديستوفســـــكي وغاندي وابسن وماركس وبرناردشـــو واوين وداروين وغيرهم .. ويجري في هذه الاثناء ما يشبه الصراع الايديولوجي وسط مثقفي هذه الطبقة لكنه صراع يتسم بالبحث عن طريق، فلم يكن احد قد استقر بعد على رأي حاسم ..

واذا كان هذا البحث هاما ، واذا كان قد لعب فيما بعد دورا حاسما في تاريخ مصر جاعلا من هذه الفترة الصغيرة ١٩٠٠ ـــ ١٩١٩ اكثر فترات التاريخ المصري ثراء وخصبا واكثرها تاثيرا في مستقبل مصر .. فان طبيعة هذا الصراع وكثرة ما تدوولت فيه من افكار قيلت في بعض الاحيان في تعجل وقيلت في احيان اخرى في دهاء بالغ قد ادى

---

(١٧) فوزي جرجس + دراسات في تاريخ مصر السياسي . ص ٩٦.
(١٨) رشدي صالح .. كرومر في مصر

الى ارتباك شديد في صفوف مثقفي هذه الفترة ودفعهم الى التخبط والحيرة ..

واذا كان بعض ابناء هذه الطبقة قد استطاع ان يقدم افكارا تقدمية وان يستخدم هذا الصراع سبيلا للوصول الى فهم اكثر عمقا للمشكلات الحقيقية للمجتمع ومحاولة تقديم ما يشبه الحلول ذات المحتوى الاجتماعي او حتى الاشتراكي ..

فان الجناح الايمن من المثقفين كان أكثر حرصا واكثر دهاء مما يظن هؤلاء الشباب اليساريون .

ويقدم الجناح الايمن افكاره مبلورة وملخصة وحاسمة في ترجمات لكل ما كتب **جوستاف لوبون** ويترجم فتحي زغلول ومن بعده عادل زعيتر كل مؤلفات هذا الرجل وهي في مجموعها عداء صريح للاشتراكية ولفكرة المساواة ..

ولنحاول ان نلقي نظرة سريعة على ما قدمه هذا الجناح الايمن من المثقفين في خضم هذا الصراع ..

● اذا نظـــرنا الى الاشتراكية من حيث انتشارها رأينا انه لا يؤبه لمثل هذه المباحث النظرية لان عقول الجموع لا تستمرئها [١٩] .

● فلما كذبت الحوادث صحة مبادىء ماركس الذى ظل زمنا طويلا حبر الاشتراكية الاعظم اضطر اشد اشياعه اخلاصا الى تركها [٢٠] .

● فالمساواة شيء لا يمكن تطبيقه الا بين المنحطين ، وهى مطمح آمال صعاليك العقول يحلمون بها وهم باحلامهم من التعساء [٢١] .

● وينسى انصـــار الاشتراكية ان مبتكرات العلم والفن والصناعة هي سر قوة البلاد وسعادة من فيها من ملايين العمال ، وان هؤلاء العمال مدينون لاصحاب العقول السامية الذين اتوا بتلك المبتكرات [٢٢] .

وفي المقابل كان سلامة موسى وشبلي شميل ومصطفى المنصورى ونقولا حداد واسماعيل مظهر وفرح انطون وولى الدين يكن وعشرات غيرهم يخوضون صراعا ضد هذه الافكار مقدمين مدارس فكرية مختلفة تتراوح بين الاعتدال وبين التطرف الشديد .. بين الفابية وبين الماركسية ..

وثمة عناصر اخرى من ابناء الطبقات الغنية كانت تشارك هي أيضا في هذا الصراع وتثريه مدافعة عن فكرة الحرية والديمقراطية امثال مصطفى عبد الرازق وحسين هيكل وغيرهما ممن تجمعوا في جماعة السفور ثم فيما بعد في الحزب الديمقراطي ..

والحقيقة ان هذا الصراع الحاد قد بدأ مبكرا بعض الشيء فقد كان محاولة لتقرير حق امتلاك على ضيعة مازالت في أيدى الاجنبى ، لكن كل طرف من الاطراف يستعد فكريا لليوم الموعود محاولا منذ البداية ان يقرر لنفسه حقا لا منازع فيه .

لكن الضعف الاقتصادى الشديد للطبقة الوسطى .. ومطاردة قوات الاحتلال لها . وارتباط معظم مثقفي هذه الفئة بقيد الوظيفة الحكومية قد طبع صراعها وتمردها بالتردد والضعف ..

وقد بدأت منذ البداية محاولة ان تكسب مكانا باللعب على الحبال بين الاطراف المختلفة السلطان .. الخديو .. الاحتلال .

لكن هذا اللعب لم يصل الى نتيجة حاسمة ..

ثم حاولت ان تنشط سياسيا ونشطت بالفعل في عمل حزبى ناجح ما لبث ان اصابه الضعف تحت ضربات سلطات الاحتلال ..

وخلال الثورة عنـــدما كان العمـــال يشـــنون اضرابهم العام ، والفلاحون يخوضون بالســلاح معارك ضارية ضد قوات الاحتلال اكتفت الطبقة الوسطى بشعارات سلبية ، بل وممعنة في سلبيتها مثل مقاطعة البضائع الانجليزية .. واللغة الانجليزية

وقد بدأ شعار مقاطعة البضائع الانجليزية في اجتماع عقده عدد من سيدات الاسكندرية في جمعية « امهات المستقبل » واصدرن بيـانا الى السيدات طلبن منهن ان يقسمن القسم التالى :

« اقسم بالله وبسعد في منفاه ان اقاطع جميع البضائع الانجليزية واللغة الانجليزية وكل من له

---

(١٩) روح الاشتراكية .. ترجمة عادل زعيتر ص ٦
(٢٠) المرجع السابق ص ٥
(٢١) سر تطور الامم ترجمة احمد فتحي زغلول
(٢٢) روح الثورات .. ترجمة عادل زعيتر ص ١٥٨

علاقة بالانجليز ... وأن البس الحداد حتى يعود سعد وزملاؤه ... » [٢٣]

... وفى القاهرة اجتمعت السيدات وايدن قرار مقاطعة البضائع الاجنبية وسحب الاموال المصرية من المصارف الاجنبية ...

.. ولم تمض سوى ايام قليلة حتى اصبح شعار « مقاطعة البضائع الانجليزية » شعار الطبقة الوسطى كلها .. تخوض به المعركة معلنة – هى الاخرى – منهجها فى الصراع ..

والحقيقة ان سلاح المقاطعة كان سلاحا غير فعال على الاطلاق ..

فان التحكم الانجليزى فى الاقتصاد المصرى قد قلل من امكانيات هذه المقاطعة .. كما ان التجار المصريين كانوا مرتبطين بعقود طويلة الامد – نسبيا – مع المصانع الانجليزية ، كذلك فان انجلترا كانت تلوح هى ايضا بنفس السلاح .. مقاطعة شراء القطن المصرى ..

ومثل هذا التلويح كان كافيا جدا لاجبار الطبقة الوسطى على التراجع ...

وفى هذا الجو المضطرب كان طبيعيا ان تنشأ اتجاهات تعبر عن الياس وعدم الثقة فى حركة الجماهير .. وتعبر فى نفس الوقت عن الاحتجاج على الاحتلال ورفضه ...

وهكذا وقعت سلسلة من الاغتيالات تميزت بكثرتها العددية وبانها ثمرة عمل جماعى منظم ..

وبتاثير من بعض العناصر الفوضوية الاجنبية بدأت تنمو اتجاهات مماثلة وسط المثقفين المصريين ..

ويقول فكرى اباظة ان جماعة اليد السوداء « المستعينة بالفوضويين الطليان والاسبان قد بشرت بفناء الاحتلال وفرضت ارادتها فرضا على حكام الاقاليم المصريين » [٢٤] .

ويشير جاك بيرك الى صدور جريدة فوضوية فى ١٩٠١ فى الاسكندرية اسمها « المنبر الحر » [٢٥] .

كذلك صدر فى القاهرة فى عام [illegible] جريدة اسمها « الوطنية » تقول عن نفسها انها جريدة « حرة من جميع القيود حتى تواريخ الصدور والاوقات » [٢٦] .

وعندما اشتعلت ثورة ١٩١٩ كانت كل هذه الاتجاهات مستعدة للعمل ، وعلى الفور برزت الى السطح عشرات الجمعيات السرية تمارس انواعا مختلفة من النشاط السرى ابرزها الاغتيالات .. كانت هناك جمعيات اليد السوداء – لجنة الدفاع الوطنى – اللجنة المستعجلة – جمعية المصرى الحر – الشعلة – جمعية المدارس العليا – مجلس العشرة – جمعية الخمسين – جمعية الانتقام . [٢٧]

وهكذا كان كبار الملاك ونواة الرأسمالية المصرية والمثقفون اليمينيون يخوضون غمار حركة وطنية تستهدف تحقيق نوع من الاستقلال يتيح لها مزيدا من المشاركة فى الثروة ومزيدا من النفوذ ..

بينما كانت جماعات الطلاب والبرجوازية الصغيرة التى طحنها اليأس والتخبط وعدم الوضوح تسلم نفسها للاتجاهات الفوضوية ولعمليات الاغتيال السياسى والارهاب الفردى .

والغريب ان دعاة الاعتدال فى الثورة كانوا أشد مؤيدى عملية الاغتيالات السياسية ..

وليس سرا ان كثيرا من الجمعيات السرية التى انتشرت لتمارس الاغتيال كانت تمول من قبل الوفد وبالتحديد من عبد الرحمن فهمى ..

وان عددا من شباب الصف الثانى من الوفد امثال النقراشى وابراهيم عبد الهادى واحمد ماهر وعبد الحى كيرة كانوا هم دعامة بعض هذه الجمعيات السرية ..

والمسالة واضحة بالرغم من هذا التناقض ..

فقيادة الوفد لم تكن لتتصور مدى عمق الحركة الجماهيرية ولا قوة الطاقات التى تختزنها جماهير العمال والفلاحين بل لعلها كانت اسرع الى الخشية من هذه التحركات التى كانت تتحرك على أساس طبقى صريح ..

---

(٢٣) الى الاستقلال .. مصر وانجلترا تاليف ر . ل ترجمة ميخائيل بشارة داود .
(٢٤) الضاحك الباكى ص ٤٢
(٢٥) Jacgues Berque.L'Egypet. Imperialisme et Revolition. p. 246.
(٢٦) قسطاكى عطاره . تاريخ تكوين الصحف المصرية ص ٣١٦
(٢٧) لمزيد من التفاصيل .. راجع عبد العظيم رمضان .. تطور الحركة الوطنية فى مصر . ص ١٦٩

وكان طبيعيا فى خضم هذا الصراع العنيف ان تنجح بعض الاتجاهات المتطرفة والتى تفتقد هى ايضا الثقة فى الجماهير فى ان تغرى قيادة الوفد باعمال سريعة وسهلة ترهب الخصوم السياسيين وترهب ايضا قوات الاحتلال ..

انهما عملان متناقضان .. **الاعتدال** ورفض المقاومة الشعبية الجماعية المسلحة التى خاضها الفلاحون والاضرابات العامة والشاملة التى خاضها العمال .. والاعلان المستمر عن ضرورة التمسك بالطرق المشروعة .. **والتطرف الشديد** الى حد استخدام الارهاب الفردى والاغتيالات ..

لكن هذين العملين بالرغم من تناقضهما يلتحمان معا بصورة طبيعية .. اذا كان المحرك الاساسى لكل منهما هو عدم الثقة فى حركة الجماهير .. بل والخوف منها ..

وبعد .. فهذا هو الاتجاه الاول فى الثورة .. اتجاه الطبقات المالكة وابنائها من المثقفين ، وهو الاتجاه الذى قاده الوفد ، ووصل به الى مقاليد الحكم .. لكنه لم يكن الاتجاه الوحيد فى هذه الايام المجيدة من عام ١٩١٩ .. فقد كان هناك اتجاه آخر .. اتجاه تمثله طبقات اخرى ..

الفلاحون .. بالسلاح

والحقيقة ان الحالة التى عاشها الريف المصرى فى مطلع القرن العشرين بحاجة الى مزيد من التامل والدراسة .. فبدون دراسة تفصيلية لن يمكن للانسان ان يفهم حقيقة الدوافع التى كمنت وراء العنف المسلح الذى انفجر فجاة عام ١٩١٩ ..

واذا كان صعبا ان نورد هنا دراسة تفصيلية لهذه المسالة فاننا سنحاول ان نقدم بعض الملاحظات السريعة ..

ولنبدأ بهذه الصورة التى أوردها مراسل **الاهرام فى مطوبس :**

« كان هبوط الاثمان الذى اصاب الزراع فى السنة انكى الضربات التى نزلت عليهم ، وقد أصاب هذا الهبوط محصول الارز مع وفرة نفقاته وقد ساءت حالتهم كثيرا بكيفية تسليم الارز للدائنين فانهم لا يقبلون اخذه الا بزيادة نحو الخمس على كل أردب ، والزراع لا يسعهم الا التسليم على كل حال لانه لا توجد جهة لتوريد هذا الصنف غير ثغر رشيد ، ثم يرجع الزارع لبلدته خائبا حزينا فيعامله الحاكم بالقسوة والصرامة فى طلب الاموال الاميرية وهو لا يستطيع وفاءها اذ لا شئ لديه لقوته وقوت عياله » [٢٨] .

واذا وصل الامر بالفلاح الى هذا الحد فليس امامه سوى ان يستدين او ان يبيع محصوله الشتوى قبل ان ينضج ، ويستغل السماسرة والتجار (ومعظمهم اجانب) حاجة الفلاح الملحة الى المال ليشتروا منه محصوله الشتوى بابخس الاثمان .. وسرعان ما يقبل الخريف ويحتاج الفلاح الى زراعة المحاصيل الشتوية فيضطر الى أن يشترى من التجار ما باعه لهم بالامس .. لكنه يشتريه بسعر اعلى بكثير ...

ويؤكد احد الاقتصاديين الاجانب ان الفلاحين كانوا يخسرون فى فروق الاسعار هذه مبلغا يصل الى مليون جنيه سنويا عندما يشترون فى اكتوبر ما باعوه فى مايو [٢٩] .

أما الطريقة الثانية فهى ان يستدين مبلغا بالربا .. وفوائد الربا خيالية ٥ فى المائة شهريا أى ٦٠ فى المائة سنويا .. واذا لم يرد الفلاح ان يلجا للمرابى فامامه الاستدانة من بنوك الرهون العقارية التى اتسعت اعمالها كثيرا فى هذه الايام ..

والحقيقة ان نظام المحاكم المختلطة قد شجع كثيرا على انتشار رهن الاراضى فهى من ناحية اتاحت للفلاح ان يقدم اطيانه كضمان قانونى للدين .. ومن ناحية اخرى اتاحت للدائنين الاجانب سهولة بالغة وحقوقا واسعة فى بيع الاطيان المرتهنة ..

(٢٨) اهرام ١٨٩٢/١٢/٢٢
(٢٩) الرافعى . نقابات التعاون الزراعية ص ١٧٦ .

عـدد الملاك المدينين	مساحة الارض المدينة بالفدان	جملة الديون على الخمسة افدنة فاقل	جملة الديون على كل فدان	
			قرشا	جنيها
٦١٩ر١٠٧	٦١٩ر٢١٤	١٥ر٩٩٠ر٦٦٠	٨٧	٢٥

وكان طبيعيا ان يعجز الفلاح عن السداد وتبلغ متاخرات الفلاحين لدى البنك الزراعى وحـده ٤١٦ر٨٨٧ جنيها فى يناير ١٩١٠ ، ويباشر هذا البنك وحده اجراءات التقاضى لنزع ملكية الارض من ٢٥٤٤ مدينا [٣١] .

لكن الامر لم يقف عند هذا الحد ، فهناك نكبات أخرى ، فمواشى الفلاح يحصدها الطاعون البقرى بصورة لم يسبق لها مثيل .. وكان معدل الخسائر فى المواشى من هذا المرض ١٠٠ رأس فـى الاسبوع .. وقد بلغت الخسائر فى عشر سنوات من ١٩٠٧ ــ ١٩١٧ ، ٤٠ر٠٠٠ رأس قيمتهـا ١ر٦٠٠ر٠٠٠ جنيه ..

كذلك تلاحق دودة القطن المحصول الرئيسى للبلاد وتتلف فى عام ١٩٠٤ ما قيمته مليـون جنيه « وافتقر لذلك عدد كبير من صغار الفلاحين وهلكوا هم واسرهم جوعا وانتابت الفلاحين مثل هذه النائبة فى عامى ١٩٠٨ و ١٩٠٩ فقد قيل انهم خسروا فى العـــامين المذكورين ٨ مـــلايين من الجنيهات [٣٢] .

بل ان الكارثة الكبرى كانت تكمن فى الهبوط المستمر لانتاجية الفدان « فقد دلت الاحصائيات الرسمية على أن متوسط محصول الفدان من القطن فى عام ١٩٠١ كان خمسة قناطير وكسـور ثم هبط فى ١٩٠٢ الى ٤ر٥٨ ثم هبط مرة أخرى فى ١٩٠٤ الى ٤ر٣٩ ثم استمر فى الانخفاض فبلغ فى سنة ١٩٠٥ ٣ر٨ وفى ١٩٠٩ ٣ر١٣ وفى ١٩١٦ ثلاثة قناطير فقط » [٣٣] .

لكن كل هذه الكوارث كانت تهون الى جانب الكارثة الكبرى « السلطة العسكريـة » .. حيث ساق المحتلون حوالى مليونا من الفلاحين والعمال المصريين ليعملوا تحت سوط الارهاب فى خدمة جيوش المحتلين فى سيناء وفلسطين وسـوريا والعراق وفرنسا وأماكن أخرى كثيرة ..

والحقيقة ان قصة هؤلاء الرجال الذين ذهبوا باعداد غفيرة وعاد منهم القليلون تستحق هى أيضا مزيدا من الدراسات التاريخية والفنيـة والدرامية ..

ولست أريد أن أطيل هنا لكننى سأكتفى بوصف أوردته جريدة انجليزية لعملية السخرة هـذه فقالت « وضع نظام للتطوع ظهر عدم كفـايته فصدرت الاوامر بأخذ العمال من الحقول بالاكراه والطريقة هى ان يدخل رجال الحكومة القرية وينتظرون رجوع الفلاحين الى منازلهم فى الغروب فيحيطون بهم وينتقون خيرهم للخدمة ، فاذا رفض أحدهم هذا التطوع الاجبارى جلد حتى الاقرار بالقبول .. وعلى هذا النحو ساقوا صبيانا من سن أربعة عشر عاما وشيوخا فى السبعين .. وكانت الجموع المريضة المنهكة تسنـاق لتأدية الاعمال الحربية والكرباج كفيل بتسخيرهم من غيـر حساب .. وأصبح الجلد من الاعمال اليومية وكان المكلفون بالجلد هم الاطباء أنفسهم حتى ان المرضى كانوا يخافون أن يختلط الامر فينتقلون خطأ من طابور المحتاجين للعلاج الى طابور المحكوم عليهم بالجلد » [٣٤] .

وعندما نتحدث عن السلطة فلابد أن نذكر انها كانت شيئا يشبه الوباء الجارف الذى اكتسح الريف المصرى ليقتلع من كل بيت الشبان والرجال ليساقوا فى طابور السخرة المشين ..

والارقام غير معروفة لكن المؤكد انها كانت ارقاما خيالية ...

---

(٣٠) كتشنر . التقرير السنوى لعام ١٩١٣ ص ٢٥
(٣١) كتشنر . تقرير عام ١٩١٠ ص ٢٥
(٣٢) روزنشتين .. ص ٤٥٦
(٣٣) عزيز خانكى ص ٢٤
(٣٤) احمد بهاء الدين ص ٨٩

ففى سوريا « كان هناك وفقا للاحصائيات الرسمية ١٣٥٠٠٠ شخص يجرى تبديلهم كل ستة أشهر .. أى ان المجموع فى العام يبلغ ٢٧٠٠٠٠ هـذا باستثناء المسخرين فى مواقع العمل بالاسكندرية وبور سعيد والقنطرة والسويس .

كذلك فان ١٠٦٤٣ مصريا قد سيقوا فى عام ١٩١٦ ليسخروا فى أعمال قاسية فى فرنسا .. كذلك أرسل ٨٢٣٠ الى العراق ، هذا بالاضافة الى ٣٥٠٠٠ شخص كانوا يشتغلون فى عمليات النقل عبر الشام [٣٥] » .

ثم ان السلطات قد قامت بمصادرة اعداد كبيرة من الجمال والحمير .. ثم انتزعت بالاكراه مقادير كبيرة من الغلال بأسعار أقل كثيرا من سعر السوق .

ثم جاء بعد ذلك اكتتاب اجبارى للصليب الاحمر البريطانى .. وقد جرى جمع هذا الاكتتاب بصورة بالغة التعسف ، ويؤكد شيرول ان هذه العملية قد أثارت استياء كثيرا فى بلد اسلامى كمصر ..

والان ماذا بقى للفلاح سوى أن يتمرد ..

هذا الفلاح الذى خاض عشرات الهبات المسلحة ، الذى أثبت دوما ان احساسه الطبقى أكثر ارهافا مما يتصور الكثيرون ، والذى سارع ليحتضن ثورة عرابى ويحولها الى ثورة فلاحية يقوم جنودها بتوزيع أرض كبار الملاك ..

هذا الفلاح لم يكن ممكنا أن تقوده شعارات معتدلة ولا أساليب غير ثورية .. ربما كانت تنقصه القدرة على المبادرة لكنه ما ان اشتعلت أحداث الثورة حتى مارس العنف الثورى الى أقصى مداه .. الى الحد الذى أزعج قادة حزب الوفد أنفسهم وجعلهم يعلنون انها حركة مخيفة تخشى عواقبها ..

وكان طبيعيا أن ينزعج قادة الوفد من حركة الفلاحين هذه .. فالحقيقة ان الثورة قد تحولت على أيدى الفلاحين البسطاء من مجرد حركة وطنية الى معركة طبقية : يقف فيها الفلاحون المسلحون ضد الاحتلال وضد كبار الملاك معا ..

وفى كثير من الأماكن التى أعلنت التمرد المسلح .. كان السلاح يوجه ضد الانجليز والاغنياء معا ..

ويحاول فكرى أباظه وهو من رجال الحزب الوطنى ، ان يصف احداثا شاهدها فى مديرية اسيوط فيقول : « ويزحف البؤساء العزل زحف الاسود الكاسرة على مستودعات الذخيرة المحلية وعلى سلاح البوليس فيتخاطفونه تخاطفا ويتقلدونه فارغا ومملوءا ، ويتكون فى لمح البصر جيش الثورة من الجلاليب » [٣٦] » .

ويرتعد الاجانب ويرتعد كبار الملاك .. فالفلاحون المسلحون شىء مخيف حقا .. هكذا يؤكد فكرى أباظه نفسه .. « فالبيوت الكبيرة اوصدت أبوابها واوقف حولها الحراس خوفا من الثورة .. **الثورة ضد الانجليز والثورة ضد الثروة .. نعم كانت هناك حقا ثورة ضد الانجليز يقودها بعض المتنورين وثورة ضد الثروة يقودها الاشرار الفقراء** » » .

ولقد كانت الثورة عنيفة أكثر مما يتصور الكثيرون ، وأكثر بكثير مما صور المؤرخون فلقد قدم الفلاحون ضحايا بلغ عددهم ثلاثة آلاف شخص (وفقا لاحصاء الرافعى) وان كان هارمورث وكيل الخارجية البريطانية قد قال فى بيان له امام مجلس العموم انهم ١٠٠٠ قتيل فقط و ١٦٠٠ جريح و ٣٧٠٠ سجين اعدم منهم ١٤٩ شخصا وحكم على ٤٧ بالاشغال الشاقة المؤبدة [٣٧] » .

.. وقد قدم الفلاحون بطولات خارقة فقد حاربوا قوات الاحتلال بفئوسهم وأنزلوا بها هزائم منكرة واضطروها الى أن تستعمل الطائرات الشراعية فى القاء قنابل حارقة عليهم (فى منطقة دير مواس وديروط) وفى دير مواس هذه قبض على ٥٠ شخصا بتهمة قلب قطار عسكرى وقتل ثمانية من ضباط وجنود الاحتلال .. وحكم على ٢٤ شخصا بالاعدام ..

.. وظلت سلطات الاحتلال تطلب الى المحكوم عليهم أن يطلبوا العفو عنهم ، مجرد طلب يلغى على أثره حكم الاعدام ورفض الفلاحون الابطال واعدموا ..

---

(٣٥) V. Chirol The Egyptian Problem. p. 138.
(٣٦) فكرى أباظة الضاحك الباكى ص ٤٣
(٣٧) صلاح عزام . مارس ١٩١٩ الدامى . والفلاحون ص ١٤

ومذابح أخرى كثيرة فى تفهنا العزب وميت القرشى وعشرات من القرى الاخرى ••

كل هذا والفلاحون يواصلون الثورة بل ويعلنون تشكيل جمهوريات مستقلة فى زفتى والمطرية وفارسكور والمنيا •• معلنين تمردهم ليس فقط على الاحتلال وانما أيضا على النظام الملكى كله •• والحقيقة أن سلوك قادة هذه الجمهوريات خلال فترة استقلالها كان سلوكا يستحق الاعجاب ويدل على وعى طبقى راق •• ويعبر عن أحلام الفلاحين فى مجتمع جديد حقا ••

ففى جمهورية زفتى أصدرت « لجنة الثورة » وهـذا هو اسم قيادة الجمهورية التى انتخبها الفلاحون فى اجتماع عام .. سلسلة من البيانات يقول احدها « **لابد من حماية الامن من كل عابث ولابد من تحقيق العدالة لكل ساكن ولابد من اقامة منشآت جديدة ..** »

واحتشدت جموع المتطوعين من الفلاحين لتردم البرك والمستنقعات المحيطة بالمنطقة •• ولتصلح الجسور وتكونت فرق من الطلاب لحماية الامن ونظمت دوريات لمراقبة الحدود •• وكان عمـر الجمهورية ١٩ يوما فقط لم يترك قادتها فيها حلما من احلامهم الا وحققوه •• حتى انهم أقاموا كشكا تعزف فيه الموسيقى كل يوم ••

وانزعجت السراى •• خوفا على النظام الملكى ، وانزعج كبار الملاك من هذا التمرد الفلاحى الذى لا يهدد الاحتلال وحده ، وانما يهدد النظام الاجتماعى من أساسه وأرسلت سلطات الاحتلال فرقة من الجنود الاستراليين لتحاصر الجمهورية المتمردة .

وكان موقف لجنة الثورة من القوات الاسترالية دليلا على وعى عميق بحقيقة الحركة التى يقومون بها •• فقد طبعوا منشورا باللغة الانجليزية وزعوه على الجنود الاستراليين يقـول لهـم « أيها الجنود •• انكم مثلنا •• واننا نثور على الانجليز لا عليكم انتم ، **اننا نثور من أجل الخبز ، والحرية والاستقلال** » [٣٨] .

الخبز والحرية والاستقلال : انه شعار يختلف تماما عن شعار « المطالبة باستقلال مصر بالوسائل المشروعة » الذى رفعه الوفد •• يختلف فى المحتوى الطبقى •• وفى الاسلوب وفى كل شئ ••

وهكذا كان الفلاحون يتحركون فى الظاهر تحت قيادة الوفد ، لكنهم فى الواقع كانوا يمارسون ثورتهم التى طالما حلموا بها •• الامر الذى أزعج قيادة الوفد ازعاجا شديدا ودفعها أكثر من مرة الى ادانة التمرد المسلح واستنكاره ••

واذا كان الفلاحون بحكم تكوينهم الاجتماعى قد صبروا حتى تندلع الثورة كى يعلنوا تمـردهم المسلح فان العمال ـ بحكم تكوينهم الاجتماعى أيضا ــ لم ينتظروا بل رفعوا شعارات النضال عالية منذ فجر القرن العشرين ••

العمال •• الاضراب العام

والحقيقة ان أهمية حركة الطبقة العاملة فى ذلك الحين تكمن فى انها كانت معلما للشعب كله •• وملهما لعديد من الفئات الاخرى فى وقت بدت فيه القيادات الاخـرى وهى تتهاوى تحت ضربات الاحتلال ••

وطوال السنوات العشر الممتدة من ١٩٠٩ حتى ١٩١٩ كان الكثير من الاصوات قد تلاشى •• وكان الصوت الاعلى هو صوت الاضرابات العمالية والاعتصامات •• ومظاهرات العمال العاطلين •• التى اثرت فى كثير من المثقفين ولفتت انتباههم نحو فكر جديد لطبقة جديدة •• لم تستسلم ولم تهاون ولم تهرب من ميدان الكفاح ••

من هذه الزاوية يتعين تقييم دور الحـركة العمالية فى ذلك الحين •• ومن هذه الزاوية يتعين دراستها ••

ولسنا نستطيع أن نقدم دراسة وافية عن هذا الموضوع لكننا سنكتفى بخلاصة سريعة [٣٩] .

والحقيقة ان الطبقة العاملة كانت تعانى من ظروف غاية فى القسوة •• فالاجور منخفضة الى حد لا يصدق •• فأجر العامل غير الفنى بالمحالج كان ثلاثة قروش يوميا وأجر عامل الترام ٨ قروش يوميا هذا فى مقابل ساعات عمل يومية تبلغ ١٣

---

(٣٨) المرجع السابق ص ــ ٣٩

(٣٩) لمزيد من التفاصيل راجع ..أمين عز الدين : تاريخ الطبقة العاملة منذ نشأتها حتى ١٩١٩ .. وعبد المنعم الغزالى : تاريخ الحركة النقابية ١٨٩٩ــ ١٥٢ .. ورءوف عباس . الحركة العمالية فى مصر ٨٩٩ ــ ١٩٥٢

ساعة فى مجال النقل و ١٧ ساعة فى مصالح القطن و ١٦ ساعة فى المطابع .. [٤٠] ..

وذلك فى الوقت الذى ارتفعت فيه الاسعار ارتفاعا فاحشا فقد ارتفع ثمن نصف كيلو اللحم من قرشين الى أربعة قروش ، وارتفع سعر أردب القمح من ١٤٥ قرشا الى ١٥٠ قرشا بالاسكندرية وبلغ ٢٤٠ قرشا بالارياف وارتفع سعر الفول من ١٢٥ قرشا الى ١٤٠ قرشا ...

كما ارتفعت اجور المنازل بنسبة ١٠٠ ٪ وهكذا [٤١]

وحاول العمال ان يلفتوا أنظار الرأى العام الى قضيتهم .. وامطروا الجرائد برسائل تشرح حالتهم وبؤسهم .. وكتب أحد عمال السكة الحديد الى جريدة الاهرام يقول :

« ان أعمال مصلحة السكة الحديد صعبة جدا وخطرة للغاية وعمالها جميعا محفوفون بالاخطار والوردية تمكث ١٢ ساعة متوالية .. واذا مرض أحدهم لا يجد طبيبا ولا دواء حتى يموت » [٤٢] .

وعامل آخر من شركة الترام يبعث برسالة الى الاهرام بتوقيع ن.ف محب للانسانية يقول :

« ان شركة ترام القاهرة تشغل عمالها أكثر من ١٤ ساعة فى اليوم وتنقده مرتبا اثنين من الجنيهات فى الشهر ، واذا مرض يوما من شدة التعب والسهر والقيام المبكر تخصم منه أيام الانقطاع وتأمر بايقافه ورفته لاسباب واهية .. ان شركة مثل هذه لا تسرق أوراقا ولا تختلس مليما واحدا ولكنها تسرق أرواح العمال ، وتتسبب فى تصفية حياتهم .. ان العمال كثيرا ما قدموا شكاواهم ولا حياة لمن تنادى فلا الشركة تجيب ولا الحكومة تصغى .. ولو كان لهؤلاء العمال وأمثالهم بمصر جمعيات أو أحزاب لما كانت الشركة تعاملهم هذه المعاملة السيئة ولخشيت من بأسهم » [٤٣] .

ولعل هذه الرسالة توضح ـ الى حد ما ـ وعيا طبقيا لاهمية التنظيم النقابى والسياسى فى تقوية نضال العمال ودعم حركتهم ...

والحقيقة ان الطبقة قد بادرت منذ مطلع القرن الى تكوين سلسلة من النقابات والجمعيات لتوحد صفوفها ..

وفى سرعة غريبة تكونت عشرات النقابات والجمعيات ... جمعية عمال السجاير ١٨٩٩ ... جمعية اتحاد عمال الخياطين ١٩٠١ ... جمعية الحلاقين ١٩٠١ ... جمعية عمال المطابع ١٩٠١ .. جمعية عمال الادوات المعدنية ١٩٠٢ ... جمية كتبة المحامين ١٩٠٢ .. وفيما بعد تشكلت نقابة عمال الصنائع اليدوية ونقابة عمال الترام .. ونقابة عمال السكة الحديد ... [٤٤] ..

بل ان الامر قد وصل الى حد تكوين جمعيات سرية عمالية مثل « الجمعية السرية لبؤساء السكة الحديد » .. وقد تصدت هذه الجمعية لقيادة عدة اضرابات واعتصامات ضد تعسف الادارة ، وفى ١٣ اغسطس ١٩٠٨ عندما أصدرت مصلحة السكة الحديد منشورها رقم ٤٥٧ الذى يقضى بالعمل يوميا لمدة ١٢ ساعة متواصلة يعقبها ٢٤ ساعة راحة ، ثم ٢١ ساعة عمل يعقبها ٢١ ساعة راحة [٤٥] ، تقدمت هذه الجمعية على الفور لقيادة العمال .. واذا بتلغرافات ذات صياغة موحدة تنهال على الادارة والصحف ... تقول :

« منشور الادارة نمرة ٤٥٧ صارم وغير مستطاع نرجو تقليل ساعات العمل وتحسين رواتبنا ولا نهدأ حتى ننال مطالبنا .. »

وأعدت القيادة السرية للاضراب قائمة بالمطالب التى يناضل العمال من أجلها .. ومن بينها :

١ ـ ٨ ساعات عمل بدلا من ١٢ ساعة عمل (وهى أول مرة يرتفع فيها شعار ٨ ساعات عمل)

٢ ـ يوم راحة فى الاسبوع .

٣ ـ تحسين الماهيات والرواتب بقدر صعوبة الاعمال .

٤ ـ الامتياز فى المعاش بحسب صعوبة وخطر الاعمال .

---

(٤٠) الغزالى ص ٤٢
(٤١) الاهرام ١٩١٠/١/١٥
(٤٢) الاهرام ١٩٠٨/٨/١٩
(٤٣) الاهرام ١٩٠٧/٢/١٢
(٤٤) أمين عز الدين .. ص ٦٩
(٤٥) الاهرام ١٩٠٨/٨/١٣

٥ ـ ترقية العمال بحسب الاقدمية وليس بالخواطر •

وفى منتصف شهر اكتوبر عندما حاولت المصلحة الانتقاص من حقوقهم مرة أخرى •• قرر العمال الاضراب يوم ١٨ اكتوبر •• مطالبين بالمطالب السابقة ••

وأمام وحدة العمال وتنظيمهم تراجعت الادارة ومنحت العمال بعض ما يطلبون ••

•• وفى نفس الوقت كان عمال الترام يعدون العدة لاضراب كبير حددوا له أيضا يوم ١٨ اكتوبر وهذا التحديد له دلالة واضحة ، فهو يعنى تفهم العمال لاهمية وحدتهم النضالية •• وهو يوحى ببذور لفكرة الاضراب العام ••

ومنذ يوم ٤ اكتوبر صاغت لجنة عمال الترام مطالبها ووزعتها على الصحف •• [٤٦] •

وتتلخص فى « خفض ساعات العمل الى ثمانى ساعات فى اليوم بدلا من ١٢ ساعة ، زيادة المرتبات بنسبة ٤٠ فى المائة مع زيادتها مرة كل يوم ومنح العامل أجازة فى حالة المرض وأجازات اعتيادية سنوية •• واعادة العمال المفصولين الى العمل وتأليف لجنة للتحقيق فى شكاوى العمال على أن يمثل فيها العمال •• » •

وقام العمال باخطار الشركة ومحافظة القاهرة بمطالبهم معلنين عزمهم على الاضراب ان لم تجب مطالبهم محددين يوم ١٨ اكتوبر موعدا لاضرابهم •• واذا كان البوليس قد تمكن من تصفية الاضراب بالعنف وباعتقال ٧٢ من قادة العمال •• فان عمال الترام قد حققوا بعض مطالبهم •• وقد لفتوا الانظار الى مطالب العمال ••

والحقيقة ان العمال قد خاضوا قبل ذلك سلسلة من الاضرابات والاعتصامات ، فى سنة ١٩٠٠ اضرب العمال الايطاليون بخزان اسوان ، وفى نوفمبر ١٩٠١ اضرب عمال الترزية وفى يناير ١٩٠٢ أضرب عمال شركة الغزل الاهلية بالاسكندرية ، وفى مارس ١٩٠٢ أضرب عمال مطبعة الكوربيرى اجبسيانو بالقاهرة وفى نفس الشهر أضرب عمال السجاير بالاسكندرية [٤٧] •

وفى ابريل ١٩٠٧ أضرب عمال الفحم فى ميناء بور سعيد وتضامن معهم عمال ورش قناة السويس وعمال النظافة ••

ومرة أخرى يعود عمال السكة الحديد الى التمرد وتنشر اللواء خبرا يقول « اغتصاب هائل فى عنابر السكة الحديدية فى العاصمة » •

وقد حدد العمال مطالبهم بعزل المستر بكين وكيل المشرف على العنابر والذى كان يعطيهم الاعمال بالمقاولة بعد ان كانوا يشتغلون باليومية •• وطالبوا أيضا بزيادة رواتبهم كل ثلاثة اعوام ، وتأليف لجنة للنظر فى شكاوى العمال تضم ثلاثة منهم ••

وفى صباح يوم الاضراب وضع العمال بيانات على جدران الورش تحدد مطالبهم وشعارات تقول « لا نريد بكين » « لا نريد بكين لانه يظلمنا » ••

وبدأ العمال أولى الخطوات الايجابية بمنع القطارات من مغادرة العنابر وبقطع خطوط السكة الحديد •• لكن البوليس تدخل بوحشية لينهى الاضراب فى يومه الاول ••

•• لكن الموجة الاضرابية تبلغ ذروتها فى عام ١٩١١ بأضخم اضراب شهدته البلاد •• وهو اضراب عمال الترام الذى بدأ فى ٣٠ يوليو ١٩١١ والذى نفذه ٤٠٠٠ عامل وموظف •• وردا على هذه الوحدة الاجماعية أصدرت الشركة بيانا تطالب فيه العمال بالعودة للعمل خلال ٢٤ ساعة والا اعتبروا مفصولين وستعين الشركة بدلا منهم عمالا جددا •• وقرأ زعماء الاضراب المنشور على العمال المضربين فقرر الجميع رفضه والاستمرار فى الاضراب •• ورابط العمال فى مجموعات كبيرة عند مخازن عربات الترام ليمنعوا الشركة من تسييرها ••

ويتميز هذا الاضراب بعدة ظواهر هامة ••

أولا : التنظيم الدقيق •

ثانيا : الوحدة الشاملة بين العمال •

ثالثا : وهذا هو المهم •• اهتمام قيادة الاضراب اهتماما واعيا بكسب تأييد ومساندة الرأى العام •

---

(٤٦) الاهرام ـ اللواء ـ المؤيد ٤/١٠/١٩٠٨.

(٤٧) رؤوف عباس ص ٥٢

وهكذا نظم العمال المضربون عددا من المظاهرات فى باب الحديد وبولاق والجيزة والعباسية . وكانوا يحملون لافتات تقول « ان العمال المعتصمين يطلبون من الجمهور مد يد المساعدة اليهم » ..

كذلك كانوا يحملون صناديق لجمع تبرعات من المواطنيين ..

ويواصل العمال اضرابهم اياما عديدة ... كانت الشركة تخسر فى كل يوم منها ١٢٠٠ جنيه [٤٨] .

وفى اليوم الخامس أرادت الشركة ان تسير احدى قطاراتها بالقوة تحت حماية البوليس واصطدم بها العمال وحدثت مصادمة عنيفة اشتركت فيها الجماهير التى تقدمت لتحمى العمال المضربين .. « وعندما تنجح الشركة تحت حماية حراب البوليس فى أن تسير احدى عرباتها على خط العباسية فى طريقها الى العتبة .. وبينما خيل للجميع ان الاضراب قد فشل .. تتقدم الجماهير مرة أخرى لتساعد العمال المضربين .. « وخرج أهالى الحسينية واوقفوا العربة وضربوا ركابها وأشعلوا فيها النار .. ولم يلبث هذا الاسلوب ان انتشر فى جميع الاحياء الشعبية كلما حاولت الشركة تشغيل أحد خطوطها وخاصة فى حى بولاق والعباسية .. وهكذا عجزت الشركة والبوليس عن تسيير الخطوط بفضل تأييد الشعب للعمال » [٤٩] ».

والحقيقة ان صدام العباسية هذا .. أو كما أسمته الصحف مذبحة العباسية قد أثار مشاعر الجماهير . . وان بسالة العمال قد الهبت الكثيرين حماسة فتقدم الكثيرون لادانة الحكومة والبوليس وارتفع أكثر من صوت دفاعا عن حقوق العمال ..

.. وتكتب اللواء قائلة « احدث البوليس مجزرة فى العمال وداس الشعب فى ساحات المدينة بسنابك خيله وأوسعه ضربا واغراقا بالدماء .. وعامل الجمهور معاملة السيد لعبيده وداس القوانين فلا نعلم لماذا نسكت نحن ونقف عند الحدود التى لا تقف عندها الحكومة والبوليس والشركات . . هم يدوسون النظام وينتهكون حرمة القوانين ويعاملوننا معاملة العبيد .. فلا نعلم نحن لماذا لا ندوس ـ ولو على الورق ـ على ذلك الظلم الفاضح والهمجية .. ولذلك نقول للعمال انهم يخيفونكم ويرهبونكم ويريدون التهويل عليكم لظنهم انكم من غير طينة العمال فى اوربا وانهم اذا عاملوكم بالشدة جبنتم وخضعتم .. وتستمر الشركة فى حلب البقرة الحلوب والبوليس يمسك رأسها تسهيلا لحلبها ، ولكن فاعلموا أن الاعتصاب حق من حقوقكم الطبيعية واذا أردتم الاستمرار فيه فما من قوة قادرة على التأثير عليكم .. ان قضيتكم ليست قضية عمال الترام فقط بل هى قضية جميع العمال فى مصر .. وقد جاءت حادثتكم بعد حادثة عمال السكة الحديد دليلا على انه أصبح فى مصر قوة لا يستهان بها وهى يقظة العمال فى البلاد الشرقية وتنبههم الى مصالحهم وحقوقهم ورغبتهم فى ان يكونوا كسائر البشر [٥٠] ».

ويواصل الشعب فى كل مكان تأييده للعمال المضربين .. وتنهال برقيات الاحتجاج على الصحف ..

برقية من أهالى دمنهور تقول « العدل يندب حظه وملاك الرحمة ينتحر على ربوة الاهرام من اجراءات البوليس ازاء عمال الترام » .

وبرقية من طنطا تقول « نطلب من ناظر الداخلية أن يعين بوليسا جديدا لمراقبة البوليس فى أعماله فقد أصبح الناس فى مصر بحاجة الى الحماية .. والا اضطروا للدفاع عن أنفسهم » .

وبرقية أخرى بتوقيع فلاح تقول « .. ان الشعب أصبح يكره البوليس لهذه الافاعيل بعد ان كان يظن انه حاميه »

وقد وجه العمال المضربون نداء الى عمال المرافق العامة لمساندتهم فى اضرابهم والاضراب تضامنا معهم .. وفى ٦ اغسطس أعلن عمال ترام الاسكندرية اضرابهم التضامنى ..

وعندما انتشرت موجة البطالة بين العمال عامى ١٩١٤ و ١٩١٥ كانت مظاهراتهم العاصفة تهز القاهرة والاسكندرية ..

وفى يوم ٣١ اغسطس ١٩١٤ تجمهر بالاسكندرية ١٥٠٠ من العمال العاطلين يطالبون « قوتا أو عملا » ..

---

(٤٨) اللواء ١٩١١/٨/٢
(٤٩) امين عز الدين ص ١٠٦
(٥٠) اللواء ١٩١١/٨/٥

وفى يوم ٣ سبتمبر ١٩١٤ اجتاحت القاهرة موجة عارمة من مظاهرات العمال العاطلين الذين ساندتهم جماهير الشعب .. أو كما أسمتهم بيانات الحكومة « بالرعاع » .. وتصدى البوليس لهم وقبض على ١٥٠ شخصا ..

والذى يوضح انتشار هذه الموجة من الاضرابات ان النيابة قسمت المتهمين الى ثلاث قضايا .. قضية مظاهرة الدرب الاحمر والخليفة .. وقضية مظاهرة بولاق ، وقضية مظاهرة الجمالية وباب الشعرية ..

بل ان العمال لم يكتفوا بذلك فقد حاولوا أن يؤسسوا حزبا لهم ..

وفى ١١ يوليو ١٩٠٨ نشرت كل من الاهرام واللواء بيانا عن دعوة عامة يوجهها « حزب المقاصد المشتركة للعمال » ..

وفى ١٦ يوليو ١٩٠٩ تقرأ فى الاهرام بيانا عن محاولة جديدة لتأسيس حزب للعمال والبيان بتوقيع محمود أبو عثمان ويقول « كلنا يعلم مركز العمال فى اوربا ، فالعامل هناك لا فرق بينه وبين القاضى والمحامى (*) ولما كان الانسان من فطرته الطبيعية ميال الى الارتقاء قام جماعة من خيار عمال المصريين الذين يقدرون الاشياء وأسسوا حزبا باسمهم ليربط كلمتهم .. »

ويقول البيان « ان الجلسة الاولى انعقدت وحضرها جمع غفير من العمال والوجهاء ، وان الحزب انتخب السيد افندى على مديرا له ، والسيد محمد احمد الحسن رئيسا .. [وهو مؤسس الحزب الاول] (*) »

والحقيقة ان صحف هذه الفترة لا تحمل لنا أخبارا ذات قيمة عن هاتين المحاولتين لتأسيس حزب عمال .. لكن ثمة مسألة هامة يتعين الاشارة اليها .. هى ان السيد افندى على مدير الحزب .. قد ظهر اسمه من جديد عام ١٩٢٠ كصاحب لمجلة « النظام » وهى مجلة ذات اتجاهات يسارية وان كانت تميل الى الوفد .. وثمة مسألة هامة أخرى هى ان أحد محررى مجلة « النظام » هذه هو رفيق جبور وهو أحد قادة الحزب الشيوعى المصرى ورئيس تحرير مجلة الحساب التى أصدرها الحزب عام ١٩٢٦ ..

وهنا يتعين علينا أن نسأل أنفسنا هل يمكن ان نربط بين محاولة السيد افندى على تأسيس حزب عمالى عام ١٩٠٩ وبين علاقاته باليسار ورفيق جبور على وجه التحديد ..

ولسنا نستطيع أن نقدم اجابة دقيقة لكننا نطرح السؤال كواحد من الاحتمالات التى يتعين البحث الدقيق عن اجاباتواضحةلها ..

والحقيقة ان الطبقة العاملة كانت بسعيها المتواصل ونضالها المستمر تقدم نموذجا فريدا فى مجتمع شهد عديدا من القوى تفر من المعركة ضد الاحتلال وعديدا من الاحزاب تنشأ ثم تنهار .. وخلال السنوات المظلمة .. التى تلت اعلان الحماية .. وطوال الفترة التى نجح فيها الاحتلال فى تكميم كل الافواه (*) .. كان ثمة صوتا يرتفع اقوى واقوى .. هو صوت الطبقة العاملة .. التى استطاعت أيضا أن تلهم كثيرا من المثقفين الثوريين القدرة على التطلع نحو فلسفة جديدة ونظرية جديدة للعمل الثورى والوطنى ..

ان نضال الطبقة العاملة .. المستمر والمتواصل والذى اتسم بصبغة طبقية واضحة كان نموذجا جديدا استطاع ان يقدم البديل للتهاون والفرار وحالة الضياع التى كانت تمزق كثيرا من المثقفين ..

اللجنة المركزية للوفد :

محمود سليمان باشا [رئيسا] .
ابراهيم سعيد باشا [وكيلا وامينا للصندوق]
محمود أبو حسن باشا [وكيلا] .
عبد الرحمن بك فهمى [سكرتيرا عاما] .
امين بك الرافعى [مساعدا للسكرتير]
ومحمد السيد أبو على باشا ، ابراهيم بك الهلباوى ، مرقص بك حنا ، توفيق بك دوس ، محمد محمود خليل بك ، الشيخ محمد عز العرب بك ، عبد الرحمن بك الرافعى ، الدكتور حسن بك كامل ، الدكتور محمود عبد الرازق ، السيد بك خشبة ، على بك محمود [اعضاء] .
ثم انضم اليها على التوالى :
عبد الخالق مدكور باشا ، محمد كامل جلال باشا ، محمد محفوظ باشا ، كامل بك بطرس ، الدكتور احمد بك السيد ، الدكتور محجوب ثابت ، الدكتور حبيب بك خياط ، حسنين بك عبد الغفار ، علوى الجزار بك ، راغب بك عطية ، على المنزلاوى بك ، السيد حسين القصبى ، احمد بك الشيخ ، فهمى بك ويصا ، حسين بك الشريعى ، محمد زكى بك عبد الرازق ، على بك اسماعيل ، صاروفيم بك عبيد ، فؤاد بك سلطان ، عبد الواحد بك الوكيل ، محمود بك عبد النبى ، عثمان بك سليط ، سالم بك السيد ، عبد الحليم بك العلايلى ، عبد الرحمن بك محمود ، محمد بك كمال أبو جازية ، بسيونى بك الخطيب ، حسين بك هلال ، عبد الستار بك الباسل .

ومع ارتفاع رايات النضال العمالى .. ارتفعت جنبا الى جنب صيحات عديد من المثقفين الثوريين معلنة فى دوى كلمة الاشتراكية ..

وهذه هى القيمة الاساسية للنضال العمالى فى هذه الفترة .. لقد كان مدرسة حقيقية لجيل جديد من المثقفين الثوريين ..

ولعل هذه الحقيقة هى التى أزعجت الرجعية المصرية من الاضرابات العمالية ..

ففى عام ١٩٠٢ تهاجم « الجريدة » لسان حال حزب الامة فكرة الاضراب وتصفها بأنها « داء جديد جلبه الغرب الى الشرق .. وهذا الداء هو مبدأ الفوضى وأول مراتبها » .

وفى نفس العام تقول الاهرام عن العمال المصريين المضربين « انهم يقلدون العمال الاوربيين تقليد القردة ولكنه تقليد فاسد ومضر بهم »

وفى عام ١٩٠٨ ، وعقب اضراب عمال الترام تهاجم « المقطم » لسان حال الاحتلال الحكومة على تهاونها ازاء هذه الطبقة قائلة « انه اغفال شديد لا يقبل فيه عذر لمعتذر ولا يدعو الناس للاطمئنان بعد الان ..

ان قيام العمال بالاتفاق السرى فيما بينهم على الاضراب دون علم الحكومة وبوليسها العلنى والسرى وعيونها وارصادها لامر خطير .. فماذا يمنع ان يدبر العمال المكايد والمؤامرات ليضرموا فى البلاد نيران الثورات قبل أن تعلم الحكومة بأمرهم » .

.. وهكذا تتيقظ الرجعية منذ الوهلة الاولى وتدرك خطر حركة العمال وتدرك مغزاها الطبقى .. بل ان « الجريدة » تصف اضراب عمال السكة الحديد بان فيه «شيئا من روح الاشتراكية» ..وثمة مقالا آخر نشرته الجريدة بقلم يوسف البستانى .. بعنوان « بين مصر وأوربا على ذكر الاعتصاب الاخير » [٥١] جاء فيه ..

« ان التشبه بالمتطرفين الاوربيين فى مقاومة الحكومة وبال على العامل وعائلته » .

ثم نشطت الحكومة لتسن سلسلة من التشريعات منها قانون التجمهر .. وقانون التشرد الذى يمكنها من فصل أى عامل .. ثم تطبق عليه هذا القانون باعتباره عاطلا لا عمل له ..

وبدأت السلطات فى اعتقال ونفى القادة النقابيين .. ومن بينهم أحمد لطفى عضو شرف نقابة عمال الترام وأحمد رمضان زيان رئيس نقابة الصنائع اليدوية بالاسكندرية ومحمد عوض جبريل سكرتير نفس النقابة وعشرات غيرهم ..

لكن ذلك كله لم يكن قادرا على أن يوقف الزحف المجيد للطبقة العاملة التى أكدت التجارب انها أغلب الطبقات وأكثرها ثباتا فى مواجهة سلطات الاحتلال ..

.. وهكذا تأتى ثورة ١٩١٩ لتجد جيش العمال مستعدا ومجهزا ليخوض غمارها .. واذا كان أبناء الفئات العليا هم الذين قاموا بالمواجهة الاولى من أجل السعى للاستقلال « بالوسائل المشروعة » فان العمال قد انطلقوا بالثورة الى اقصى مداها .. وتماما كما فعل الفلاحون امتزج صراعهم ضد الاحتلال بصراع طبقى واضح المعالم ..

وقد بدأ الطلاب الحركة بمظاهرة صاخبة تصدى لها البوليس .. وفى اليوم التالى دخل العمال المعركة ..

وفى يوم ١٣ مارس ١٩١٩ بدأ عمال الترام وعمال المترو وعمال ترام هليوبوليس اضرابهم الكبير الذى شل حركة المواصلات تماما فى العاصمة .. والذى استمر حتى ٢ مايو ..

ولقد ارتبط الاضراب بالاهداف العامة للثورة لكنه ارتبط فى نفس الوقت بمطالب اقتصادية .. تتضمن :

١ ـ جعل الاجرة اليومية خمسة عشر قرشا .
٢ ـ ان تقدم الشركة الملابس للعمال مجانا .
٣ ـ ان تكون مدة العمل ثمانى ساعات يوميا .
٤ ـ يمنح كل عامل راتب شهر سنويا .
٥ ـ عدم اضطهاد العمال النقابيين .
٦ ـ يوم عطلة كل أسبوع .
٧ ـ منح علاوة غلاء معيشة ٣٠ فى المائة .
ومطالب أخرى عديدة ..

وكانت أهم نتائج هذا الاضراب هو استجابة

---

(٥١) الجريدة ١٩١٠/١٠/٢٣

الشركات لبعض هذه المطالب ... وتكوين نقابة عمال الترام .. التى جاء فى المادة الاولى لقانونها الاساسى انها تأسست للدفاع عن حقوق أعضائها وترقية حالتهم المادية والادبية وتقديم كل مساعدة ممكنة لهم بالطرق المشروعة » [٥٢] ».

وفى ١٥ مارس أعلن عمال عنابر السكة الحديدية الاضراب وساروا فى مظاهرة صاخبة قوامها ٤٠٠٠ عامل .. واستمر الاضراب حتى ٢٠ مايو ».

وفى ١٨ مارس انضم عمال المطبعة الاميرية الى المضربين وسارت مظاهراتهم تهز شوارع العاصمة واستمر الاضراب حتى شهر مايو أيضا ..

وفى ٦ ابريل انضم عمال شركة الغاز الى المضربين متقدمين أيضا بمطالب اقتصادية ..

كذلك أضرب عمال الكنس والرش فى العاصمة .. وبعد ان استمر اضرابهم عدة أيام قاموا باعلان عدة مطالب اقتصادية أعلنوا أنهم لن يعدلوا عن الاضراب دون تحقيقها ..

كذلك أضرب عمال ورشة البوستة الخديوية وعمال ورش جبل الزيتون التابعة لمصلحة السكة الحديد وسائقى وعمال السكك الحديدية .. وبهذا شلت كافة مظاهر النشاط فى البلاد ..

وكانت التجربة الاولى لاضراب عام شامل يستمر اكثر من شهر ونصف الشهر يشل الحركة الاقتصادية تماما .. ويوقف كل مظاهر النشاط فى البلاد ..

والظواهر الاساسية التى تلفت النظر فى هذا الاضراب العام هى ..

أولا : انه وللمرة الاولى أدرك العمال اهمية اتحادهم على النطاق القومى كله .. وادركوا أن الاضراب ليس مجرد سلاح هين .. وانما هو سلاح قادرعلى ارغام المستغلين على الخضوع ، كذلك فان الاضراب قد زاد من ثقة الطبقة العاملة فى نفسها .. وقد زاد من ثقلها الاجتماعى تجاه الطبقات الاخرى .. ولفت أنظار كثير من المثقفين الثوريين الى أهمية الطبقة العاملة فى المعركة من أجل الاستقلال ومن أجل الديمقراطية ..

ثانيا : ان العمال قد دخلوا المعركة دفاعا عن الحقوق الوطنية لكنهم كانوا وفى نفس الوقت يدركون الابعاد الحقيقية للثورة الشعبية وانها يجب أن ترتبط بتحقيق مطالب اقتصادية واجتماعية لهم ولجماهير الشعب .

ثالثا : ان الاضراب الشامل الناجح والذى استمر طوال هذا الوقت قد خلق وحدة عماليه قوية اكتسب اتجاها يساريا بحكم انها قد افلتت من الاطار الذى رسمته قيادة الوفد للانتفاضة وبحكم ان المثقفين اليساريين كانوا على اتصال وثيق بهذه الحركة وكانوا أكثر المشجعين لها ..

وهكذا وعندما بدأ الاشتراكيون الدعوة لتأسيس اتحاد عام للعمال تسارعت النقابات للانضمام اليه .. وأصبح اتحاد العمال هذا سبيلا لخلق رابطة قوية بين القوى الاشتراكية وبين الطبقة العاملة ..

رابعا : ان هذه الحركة لم تكن فى مواجهة المحتلين وحدهم وانما أيضا فى وجه كبار الملاك الذين تصدوا للقيادة .. وبينما كان الاضراب الشامل يهز كيان الاحتلال فانه كان أيضا يهز ـ الى حد ما ـ كيان الطبقات العليا فى المجتمع ..

والحقيقة ان ثمة ملاحظة هامة وملفتة للنظر هى انه قد افرج عن سعد ورفاقه يوم ٧ ابريل ومع ذلك فقد استمر الاضراب العام للعمال حتى ٢٠ مايو .. بل ان اضطرابات شديدة قد وقعت أيام ٨ و ٩ و ١٠ ابريل راح ضحيتها مئات القتلى والجرحى ».

كل ذلك يؤكد وجهة النظر الذى تقول « ان ثورة ١٩١٩ كانت تضم اتجاهين متباينين .. اتجاه معتدل يستهدف ان يحقق بالطرق المشروعة بعض المطالب الجزئية .. واتجاه آخر خاض غماره العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون مستهدفين تحقيق مطالب أخرى وأهداف أخرى .. بوسائل أخرى ..

.. واذا كان الاضراب العام قد توقف فى ٢٠ مايو .. فان هذا التوقف لم يكن غير هدنة قصيرة تسترد فيها الطبقة العاملة أنفاسها .. ثم مالبثت أن خاضت معارك اضرابية عديدة أخرى ..

وفى آخر يونيو ١٩١٩ أضرب عمال الغاز ، وفى ١٢ يوليو اضرب الحلاقون فى مدينة الاسكندرية مطالبين بزيادة الاجور بنسبة ٤٠ فى المائة ، وفى ١٦ يوليو أضرب عمال شركة السكر ، وعمال تفتيش كوم أمبو ، وفى ٢٨ يوليو اعلنت نقابة عمال التهاوى

---

(٥٢) عبد المنعم الغزالى نفس المصدر ص ٦٥

الاضراب ·· وفى ٤ اغسطس أضرب عمال الشحن والتفريغ فى ميناء الاسكندرية .. ثم اضرب عمال الترام فى ١٠ اغسطس وعمال مصانع السكر فى أبو قرقاص ·· والحوامدية فى ١٢ اغسطس ·· وتوالت الاضرابات لتصبح شيئا شبيها بالاضراب العام .. فالى جانب كل هؤلاء المضربين اضرب عمال السجاير وعمال الترام فى الاسكندرية وعمال شركة « بوند استورز » وعمال مصنع السفن النيلية والتجارية وعمال شركة النور فى الاسكندرية .. [٥٣] ».

والحقيقة ان هذه الموجة الثانية كانت موجة طبقية بحتة ، فقد امتحن العمال قواهم فى الجولة الاولى واكتسبوا مزيدا من الثقة فى انفسهم ·· ثم ها هم يشنون الان معركة طبقية عنيفة تقوم أساسا على المطالبات الاقتصادية والاجتماعية ..».

وتنشر جريدة « الاهالى » رسالة لاحد القراء تقول « اشتدت الحرب القائمة بين العمال وأصحاب الاعمال طلبا لزيادة الاجور زيادة تتناسب مع ماوصلت اليه الحالة المعيشية من الشدة والضيق ·· »

وفى نهاية الرسالة يقول كاتبها « وبعد ·· فقد حدا بنا لكتابة هذه السطور ما نشاهده من أعمال أصحاب الاملاك والمتاجر وزيادة الاثمان زيادة مطردة ، وما نراه من أغفال أصحاب الاعمال أمر الاقليات من موظفيهم اغفالا فاق حد النسيان » [٥٤] ».

وهكذا ارتفع صوت العمال عاليا بصورة كافية لايقاظ الكثيرين ولفت نظرهم الى فهم جديد لحقائق الصراع فى المجتمع ، ولفتح الطريق امام عديد من المثقفين ليفكروا فى تأسيس حزب اشتراكى مصرى ·

■■■

تعليق

د · اسماعيل صبرى عبد الله

لابد قبل كل شيء من تحية للمنهج الذى اتبعه رفعت السعيد فى عرضه لمقدمات ثورة ١٩١٩ . فلا شك ان التأريخ الرسمى والشائع للثورة قد اقتصر بصفة عامة على سرد لاحداثها البارزة واسمائها اللامعة وما صحبها من بطولات او مناورات ، مهملا تماما جانبها الاجتماعى والاقتصادى ، وبالتالى ابعادها الطبقية · وهذا المقال يلقى الضوء على مواقف الطبقات المختلفة فى المجتمع المصرى عشية الثورة ، فيثرى معرفتنا بتاريخنا المعاصر اثراء مؤكدا ·

وربما كان فضل مثل هذا المقال هو انه يدفع الى التأمل والتفكير ويثير كثيرا من الاسئلة · انه كأى بحث علمى جاد يفتح الطريق امام مزيد من البحث . وفى هذا الاطار أرى أن ثمة نقاطا لم يوفها الكاتب حقها أو لم يضعها وضعها الصحيح فى تقديرى :

١ ــ لقد وفق الكاتب فى اشارته الى دور الاستعمار البريطانى فى دعم طبقة كبار الملاك ، ونوه بالمراحل الاساسية لنموها · وقد كان من تقاليد الاستعمار البريطانى الاعتماد فى حكم البلاد التى يحتلها على طبقة شبه اقطاعية . وأود أن أضيف هنا ان الانجليز عملوا على تقوية الاقطاع المصرى المنتشر فى الريف ، المرتبط بالفلاحين بروابط « العصبية » فى مواجهة الاقطاع التركى المرتبط محليا بالخديو ، وخارجيا بالسلطان العثمانى ·

---

(٥٣) عبد المنعم الغزالى ص ٧٥

(٥٤) الاهالى ١٣/٨/١٩١٩

٢ ـ وكان التغيير السياسى لهذا الوضع فى مستهل الثورة هو ظهور « **حزب الامة** » برياسة محمود سليمان باشا الذى رفع شعار « **الاستقلال التام** » بمعنى الانفصال عن الدولة العثمانية ، فى مواجهة شعار « **الجلاء** » الذى كان يرفعه الحزب الوطنى فى ذلك الوقت والذى كان موجها ضد الانجليز وحدهم .

٣ ـ وقد انضم الى ذلك الحزب **المثقفون من أبناء كبار الملاك المصريين** من أمثال لطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومحمد محمود فى محاولة لاقامة « دولة عصرية » كما تقول بلغة اليوم عمودها الفقرى كبار الملاك وحكامها الفعليون من ابنائهم المتعلمين ، كان هؤلاء المثقفون يقومون بمحاولة تشبه تلك التى يقوم بها حاليا فى حزب الامة السودانى جناح الصديق المهدى . وفى هذا تفسير لظاهرة تبدو لاول وهلة غير مفهومة وهى وجود افكار « راديكالية » فى حمى حزب اقطاعى ، تلك الافكار التى كانت « الجريدة » لسان حزب الامة منبرا لها ، والتى بلغت أوجها فى أواسط العشرينيات حول جريدة « السياسة » التى كان يصدرها الحزب الذى خلفه ، وهو حزب الاحرار الدستوريين والتى كان من ابرز رجالها **طه حسين وعلى عبد الرازق ومحمد حسين هيكل** . كما ان انفتاح هؤلاء المثقفين على أوروبا وحرصهم على التخلص من « دولة الخلافة » وتخلفها ، ومنهم من يميلون الى **موقف انفصالى ازاء الاقطار العربية الاخرى وانعزال عن حركة الثورة العربيه فيها** .

٤ ـ ومن ناحية أخرى أخذ الاستعمار الغربى يحكم قبضته على طبقة كبار الملاك عن طريق **الديون العقارية** . فبعد اقراض الخديو ، كان أول مظهر للاستعمار الاجنبى فى بلادنا اقراض كبار الملاك . فقد نشأ « البنك العقارى المصرى » وهو بنك فرنسى سنة ١٨٨٩ ثم تلاه بنك الاراضى والشركة العقارية . وفى بداية الثلاثينيات كان حوالى ربع الاراضى الزراعية مرهونا للبنوك العقارية .

٥ ـ أما **الطبقات الوسطى** فانها تستحق وقفة أطول . ونقطة البدء هنا هى التجار . فقد كانت فى مصر طبقة من التجار مزدهرة وعريقة . وهى الطبقة التى أضر بها الاحتلال ضررا بالغا . فقد غزت المنتجات الاوروبية السوق المصرية ضاربة الصناعة التقليدية والتجارة المرتبطة بها . ولم يتمكن التجار المصريون من أن يتحولوا الى الاتجار فى الواردات ، لان الامتيازات الاجنبية والاحتلال البريطانى فتحا ابواب البلاد لالاف من الاجانب استقروا بها وتولوا تمثيل المنتجين الاوروبيين ، وقد شهدت السنوات الاولى من القرن الحالى التعبير عن ذلك الوضع فى تدهور الموسكى لصالح شارع « فؤاد » ومحلاته المملوكة للاجانب المحليين (شيكوريل ، شملا .. الخ) أو الاجنبية الخالصة (بون مارشيه) . كما أن هذه **الطبقة التجارية** كانت مقصاة تماما عن القطاعات الجديدة فى الاقتصاد المصرى : البنوك ، التأمين ، الحليج ، تجارة القطن . الخ **والى فكرية هذه الطبقة ترجع الافكار الاولى عن الاستقلال الاقتصادى** . وهى صاحبة شعار « **مقاطعة البضائع الانجليزية** » ثم الاجنبية عموما وهى التى **انشأت بنك مصر** » وشركاته فى العشرينيات وهى التى كانت تمثل السند الاقتصادى للحزب الوطنى ولاسيما بعد أن تبنى شعار **الاستقلال التام** بدوره . وهى بعد ذلك كانت ذات وزن كبير فى الوفد المصرى .

٦ ـ **والمثقفون من ابناء هذه الطبقة من التجار** كانوا فى رأس المتضررين من سيطرة العناصر الاجنبية لا من الوظائف الحكومية (حيث كان الاجانب اساسا فى الوظائف الكبرى فقط) ولكن من اقتصار ميادين كاملة على الاجانب المحليين : المحلات التجارية الحديثة ، البنوك ، الشركات الاجنبية وفروعها المحلية ، الصناعة الناشئة .. الخ . ومن ثم كان طبيعيا أن يتبنوا افكار الاستقلال الاقتصادى ومن جهة اخرى كان هؤلاء المثقفون يعانون من المزايا التى يتمتع بها « **اولاد الذوات** » أى ابناء كبار الملاك الذين كانت لهم الاولوية فى المناصب الكبيرة . ولهذا كان من الطبيعى أن تجذب اغلبيتهم أفكار الثورة الفرنسية عن « **الحرية والاخاء والمساواة** » .

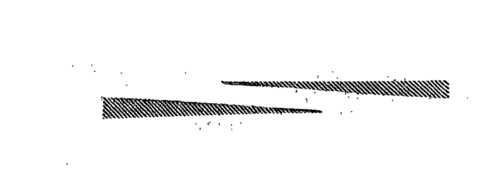
٧ ـ ويلاحظ أن **المثقف من أصل فلاحى أو عمالى** ، كان ظاهرة تكاد تكون معدومة تماما . فنفقات التعليم الباهظة لم يكن يتحملها الا التجار والملاك المتوسطون فى الريف . ومن

ثم فان ظهور **افكار يسارية** بين المثقفين فى ذلك العصر كان ظاهرة فكرية خالصة ، نابعة من البحث والجدل ، ولم يكن مرتبطا بحركات العمال أو الفلاحين . وهذا الوضع يفسر اتجاه شباب المثقفين الى **الجمعيات السرية** والاعمال الارهابية بدل الاتجاه نحو الجماهير فى شكل عمل سياسى منظم .

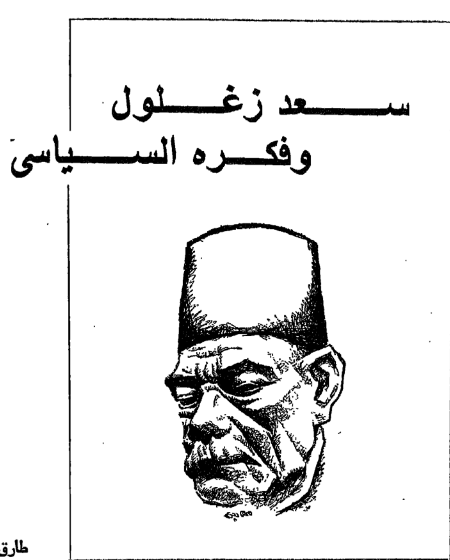
٨ — ولقد أحسن رفعت السعيد حين عرض تفصيلا لأوضاع **الطبقة العاملة** وبدء ظهورها على مسرح الحياة السياسية المصرية . ولكن الواقع انها كانت طبقة ناشئة محدودة العدد . نظرا لضعف النشاط الصناعى بصفة عامة . ففيما عدا النقل لم تكن هناك صناعة جديرة بالذكر الا الدخان والغزل (أنشئت شركة الغزل الاهلية فى سنة ١٩١٠) . أما الحليج والسكر فهى صناعات موسمية . ومن ثم كان للصناعات الحرفية الدور الاهم فى الحركة العمالية التى كانت تنظيماتها كثيرا ما تحمل اسم « **أرباب الصنائع** » . ومن ناحية أخرى كانت نسبة كبيرة من هؤلاء من الاجانب المحليين . ومن ثم بدأ انتشار الافكار الاشتراكية بينهم نظرا لمعرفتهم باللغات الاوروبية ، ثم امتد منهم الى عدد من العمال المصريين فى الاسكندرية اساسا . **ولكن فقدان الرابطة بين المثقفين المصريين ذوى الاراء اليسارية والعمال المصريين حال دون نشأة حركة عمالية مصرية ذات اتجاهات اشتراكية واضحة** .

٩ — وهكذا ظل **الفلاحون يشكلون الجماهير الاساسية للثورة** . والامر الذى لاشك فيه أن وضع الفلاح . المالك قد استفاد الى حد ما من استقرار نظام حكم أفضل ، كما عرف أيام محمد على ، أو اسماعيل ولكن العمال الزراعيين وفقراء الفلاحين ومتوسطيهم كانوا الوعاء الرئيسى لانتاج فائض القيمة : كان عرقهم هو الذى يغذى المحتل ، وجهاز الدولة ، وكبار الملاك والرأسماليين الاجانب على حد سواء . فمصر « الدولة الزراعية » كانت تقوم على كتفى الفلاح . وقد اشار رفعت السعيد الى بؤس الفلاح وبدء ظهور الحركة التعاونية . ولذلك كان طبيعيا أن تنفجر خلال ثورة ١٩١٩ المطالبة « بالعدل » وبانصاف الفلاح .. الخ . ولا شك أن **أصداء ثورة أكتوبر الكبرى** وتوزيع الارض على الفلاحين كان لها أثرها ، لاسيما قبل أن تنشط الدعاية الاستعمارية والرجعية بشكل مكثف ومنتظم لتشويه وجه الثورة .

١٠ — على أن الامر الذى يجب الا يغيب عن الاذهان أن ثورة ١٩١٩ كانت فى الاساس **ثورة وطنية وديمقراطية** ، شعارها الاستقلال والدستور . وكان عملاء الانجليز قلة ليس لها وزن يذكر ، بحيث أنه من الصواب أن نقول ان الامة كانت مجمعة على مطلبى الاستقلال والدستور ، وتمثل هذا الاجماع فى التشكيل الاول للوفد المصرى . وكان للمواقف الطبيعية المختلفة اثرها فى مجالين : أساليب الثورة من ناحية ، ومفهوم الاستقلال والديمقراطية من ناحية أخرى . ولكن هذا حديث الثورة نفسها وليس حديث المقدمات .



سعد زغلول وفكره السياسى



طارق البشرى

كانت ثورة ١٩١٩، التى تزعمها سعد زغلول، ثورة وطنية ديمقراطية، تركزت اهدافها فى هذين الجانبين واستهدفت تحقيق الاستقلال التام واقامة الحياة النيابية الدستورية. والمهم هنا محاولة تقصى الفكر السياسى لسعد زغلول فى هذين الجانبين، مع الاشارة الى موقع هذا التفكير من التيارات السياسية التى كانت دائرة فى مصر فى الادوار المختلفة من حياته. ويقتضى الحديث عن الفكر القومى، الاشارة الى النشوء القومى لمصر، عناصره وعقباته. كما يقتضى الحديث عن الفكر الديمقراطى، الاشارة الى موقف سعد من السلطة ورأيه فى طريقة تكوينها.

واول مايلاحظ ان سعد زغلول، **لم يكن مفكرا صاحب نظرية ولا داعية سياسيا**، يمكن ان تلتقط افكاره من خلال كتاباته ودعاويه، ولكنه كان « **رجل دولة** » عملى المنزع يهتم بالقضايا التنفيذية ويعبر عن نفسه من خلال المواقف العملية والمسائل الجزئية، وهو يتخذ مواقفه ضمن الملابسات الواقعية التى تحيط به، ويستجيب فى هذه المواقف للسياق العام للاحداث والظروف. ويمكن تتبع مواقفه من خلال هذا السياق العام، والاستدلال على نسيجه الفكرى ومنزعه النظرى، والمصادر التى شكلته.

وثانى مايلاحظ، ان سعدا تتلمذ على الشيخ محمد عبده منذ بداية حياته العامة، ثم أصبح عميدا للحزب المدنى للاستاذ الامام، على مايذكر السيد رشيد رضا.

حيـــاة سـعد

كان سعد زغلول جسرا بين ثورتين ، أدرك الثورة العرابية في بداية حياته السياسية ، وهو شاب في العشرينات . ثم امتدت قامته السياسية ليصبح اماما للمصريين في ثورتهم الكبرى الثانية سنة ١٩١٩ . وحمل الى جيل بداية هذا القرن ، رسالة ثورة عرابي وحلمها الوليد النامي « **مصر للمصريين** » .

كان ريفي المولد والنسب والتربية . ولد سنة ١٨٥٧ بقرية ابيانة بالغربية لاحدى الاسر الريفية ذات اليسار والزعامة الاجتماعية . وقريته ـ كما يقول العقاد ـ بعيدة عن العواصم حيث تستقر سطوة الحكام ، غير بعيدة عن آثار عسفهم وفسادهم . **واسرته من الطبقة المتوسطة ليست من الثراء بحيث تنعزل عن مطالعة شقاء المجتمع ولا من البؤس بحيث تنكسر أمام الظلم** [١] . ويأتي مترجمو حياة سعد على اخبار تصدى ابيه لحكام الاقليم الاتراك ، اظهارا لما تربى عليه هو من الشعور بالتميز القومي عن هؤلاء الحكام ، ومن اكتسابه روح المجابهة ضدهم . وعندما شب الفتى سلك في التعليم المسلك المتاح للمصريين ابناء الريف ، حفظ القرآن وتعلم الحساب في كتاب القرية ، ثم سافر الى القاهرة طلبا لعلوم الازهر . وسعد بهذا من اقحاح الفلاحين ممن لم يشب تربيتهم الاولى عنصر أجنبي . ولمن يطـــالع برنامج « **الحزب الوطني الاهلي** » الذى شكل بزعامة عرابي في ١٨٧٩ يلحظ اهمية النشأة الريفية في تحديد الهوية المصرية وقتها « من يحرث ارض مصر ويتكلم لغتها ينضم لهذ الحزب فانه لا ينظر لاختلاف المعتقدات . . » [٢] .

وافق مجيء سعد الى القاهرة سنة ١٨٧١ ، **وصول جمال الدين الافغاني** اليها ، وما لبث هو أن تحسس طريقه الى جماعة الافغاني ومحمد عبده ، وتفاءل الافغاني به خيرا لما تراه له دفاعا عن الحرية . فلما عين **محمد عبده** رئيسا لتحرير الوقائع المصرية عين سعد بها . وعند نشوب الثورة في ١٨٨٢ ، كان سنه يصل الى الخامسة والعشرين ، شـــابا لفحه لهيب الثورة يطعن الاستبداد ويطلب حكم الشورى ويرتبط بالاستاذ الامام فكرا وعملا . وكان الاستاذ الامام مـن الجناح المعارض لاساليب العرابيين المتطرفة دفاعا عن منهج الاصلاح التدريجي ، ولكنه التحم بهم لما هاجم الانجليز مصر وعمل معهم ما استطاع تنظيما للمقاومة ، ولما فشلت الثورة ووجه بتهمة الدعوة لخلع الخديو ونفى الى بيروت ثلاث سنوات . وكان سعد خلال مدة نفى الامام على اتصال به لايبدو انه انقطع . وتظهر صلتهما العقلية مما كتبه سعد الى الامام اثناء نفيه « مولاى : ذكرت لحضرتك ان الضعف ألم بفكرى فبالله الا ما قويته بتواصل المراسلة غير تارك فيها ما عودتنا على سماعه من النصائح والحكم التى نهتدى بها الى سـواء السبيل ، ونتمكن بها من السير في العالم المصرى الذى اختبرت حقائقه وعرفت خلائقه ، ومايناسبها من ضروب المعاملة . . » [٣] .

في هذه الاثناء ، فصل سعد من وظيفة حكومية كان يشغلها ثم قبض عليه بتهمة تكوين جميعة سرية بأسم « **جمعية الانتقام** » . فلما افرج عنه اشتغل بالمحاماة ، وكانت على مايذكر مؤرخو الفترة مهنة لايحيط بها الاحترام ، ولكن سعدا نهج فيها نهجا من الاستقامة ارتفع بها وبنفسه الى مستوى المهن ذات الاعتبار ، واشتهر فيها بقوة العارضة والتزام الجادة وبالاستقامة . ثم عاد الاستاذ الامام في ١٨٨٨ وعين قاضيا بالمحاكم الاهلية بعد ان رفض الخديو اشتغاله مدرسا بدار العلوم تجنبا لتأثيره على الطلبة ، ثم عين مفتيا للديار المصرية ، المنصب الديني الثاني بعد مشيخة الازهر في ١٨٩٩ ، وصرف نشاطه حتى وفاته سنة ١٩٠٥ في الدعوة لاصلاح الازهر والتعليم . وخلال ذات الفترة ، علا نجم سعد المحامى ، حتى اختير ـ بتوسط الامام ـ قاضيا بالمحاكم في ١٨٩٤ ثم مستشارا ، ثم عين وزيرا للمعارف سنة ١٩٠٦ .

الثورة العرابية .. مصر للمصريين

من خلال الثورة العرابية اطرد نضوج الوعي الوطني ، وبدأت الجماعة السياسية في مصر تدرك هويتها وذاتها . كان لظهور طبقة ملاك الارض المصريين بعد انتهاء نظام الالتزام والعهدة اثره في ذلك . وكان لحركة تعليم أبنـاء الفـلاحين واستخدامهم في الجيش والادارة اثره ايضا . وتقدمت الثورة بشعار « مصر للمصريين » ضد الاتراك والجراكسة المسيطرين على جهاز الدولة جيشا وادارة ، وضد النفوذ الاوروبي الاخذ في

---

(١) سعد زغلول . عباس محمودالعقاد . ص ٥٠ ـ ٥١ .
(٢) مجلة الطليعة ـ عـدد فبراير١٩٦٦ ـ الوثائق
(٣) تاريخ الاسـتاذ الامام محمـدعبده . رشيد رضا ـ الجزء الاول .ص ٢٧٥ ـ ٢٧٦

التغلغل فى الحياة الاقتصادية والسياسية • **على ان المفهوم القومى كان موجها فى الاساس ضد فكر العصور الوسطى التقليدى ، وضد الاستبداد الشرقى الذى يمارسه الخديو ومن يحيط به من ذوى** الاصول التركية والجركسية

ولم يكن ثمة خلافا بين العرابيين واتجاه محمد عبده حول الفكرة القومية • وقد أوضح بيان « الحزب الوطنى الاهلى » مفهوم الولاء القومى المتميز عن المشاعر الدينية « **الحزب الوطنى حزب سياسى لا دينى • فانه مؤلف من رجال مختلفى الاعتقاد والمذهب • وجميع النصارى واليهود ، ومن يحرث أرض مصر •••• وحقوقهم فى السياسة والشرائع متساوية ، وهذا مسلم عند اخص مشايخ الازهر** •• » ويذكر محمد عبده بالوقائع المصرية فى ٢٨ نوفمبر ١٨٨١ ، « لابد لذوى الحياة السياسية من وحدة يرجعون اليها ويجتمعون عليها اجتماع دقائق الرمل حجرا صلدا ، **وأن خير أوجه الوحدة الوطن لامتناع الخلاف والنزاع فيه •• ان ياء النسبة فى قولنا مصرى وانجليزى وفرنسوى هى من موجبات غيرة المصرى على مصر** •• » [٤] •

والواضح من تتبع أحداث الثورة العرابية ، والحركة الفكرية التى واكبتها ، **أن الهدف الوطنى اندمج بالهدف الديمقراطى ليصوغا معا شعار « مصر للمصريين »** • وسبب هذا أن الوجود الاجنبى الذى بدأت الذاتية المصرية تنهض ضده ، كان يتمثل فى جهاز الدولة الحاكم • وكان هو ذاته عين الحكم الاستبدادى الذى يرتفع ضده مطلب الديمقراطية • فكانت الديمقراطية سلاح الحركة الوطنية ووسيلتها لطرد الاجنبى ، وذلك بما تعنيه من تكوين مؤسسات الحكم على قاعدة من الانتخاب الذى يجرى بين أفراد الشعب • فكانت الديمقراطية وسيلة تمصير الدولة ، تعنى حكما نيابيا واقصاء للاجنبى معا • وهنا نجد محمد عبده ــ فى مقاله السابق ــ يعرف « الوطن » بما يتمشى مع هذا المفهوم « مكانك الذى تنسب اليه يحفظ حقك فيه ويعلم حقه عليك ، وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك ، ومن أقوالهم (أهل السياسة) فيه : **لاوطن الا مع الحرية** • وقال لابروير الحكيم الفرنسى : لاوطن فى حالة الاستبداد •• ان فى الوطن من موجبات الحب والحرص والغيرة ثلاثة تشبه أن تكون حدودا ، (الاول) انه السكن الذى فيه الغذاء والوقاء والاهل والولد ، [والثانى] انه مكان الحقوق والواجبات التى هى مدار الحياة السياسية ، وهما حسيان ظاهريان • (والثالث) انه موضع النسبة التى يعلو بها الانسان ويعز أو يسفل ويذل وهو معنوى محض • » وضمن هذا النطاق عرفت لمحمد عبده أحاديث عن الشورى والاستبداد •• كما حفظ التاريخ مقالا لسعد بالوقائع المصرية يقول فيه « المستبد عرفا من يفعل مايشاء غير مسئول ، ويحكم بما يرسم به هواه وافق الشرع أو خالفه •• (وان الناس نفروا من ذلك بعد أن شاهدوا النفوس تذهب فيه ظلما وتؤكل فيه الاموال اكلا لما ، وتسفك الدماء زورا وتدمر البلاد تدميرا •• » [٥]

بعد الاحتلال

تغير الوضع مع الاحتلال البريطانى • (فاولا) اصابت هزيمة العرابيين الحركة « المصرية » بالانتكاس • ويمكن ان يتصور أثر لطمة الاحتلال فى تشتت ثقة جيل العرابيين بنفسه ، هزيمة عسكرية ، واحتلال اتام مهرجانات نصره بالقاهرة وضعف أبداه بعض قادة الثورة ، وشعور عام مخدر من هول الصدمة ، وضعف مرير فى الامل فى أن ثمة مخرجا منظورا ، واحساس بيأس القومية الوليدة فى مواجهة العنفوان الاوروبى بآلاته ومخترعاته وبدقة تنظيماته السياسية والعسكرية والاقتصادية ، ثم لا يكاد يلحظ فى العالم الخارجى الا امتداد موجة الاستعمار فى العالم غير الاوروبى كله ، والا هزائم تصادفها حركات شعوب الشرق • ثم عودة لحكم الخديو المستبد مدعما بالاحتلال البريطانى ، واحساس بأنه قد أصبح قدر الاحياء فى هذا الجيل أن يقضوا حياتهم فى ظل حاكم يمثل لهم أبغض أساليب الاستبداد وأبشع أنواع الخيانة الوطنية • كانت الجراحات أعمق من أن يدركها التداوى السريع • وكان انتصار الباطل محنة للشرفاء ، ومحنة للعقائد والقيم • وقد أقصى الكثيرون من الحياة العامة بالنفى والسجن وبالهرب ، واستعفى آخرون لاذوا بالصمت ، ووصل غيرهم الى أسلوب نفعى ، فاذا لم يكن ما نريد فأرد مايكون وراوغه ، وما دامت مصر لا تستطيع طرد الانجليز ، فلنعمل على ان تغنم من وجودهم مثيرة الصراع بين سلطتهم وسلطة الخديو •

(٤) رشيد رضا .. المرجع السابق. الجزء الثانى ص ١٩٤ ــ ١٩٥ .

(٥) عباس العقاد .. المرجع السابق. ص ٦٥ . ويلاحظ ان مقال سعد هذا لم يكن موقعا منه ، واورده رشيد رضا ضمن مقالات الامام فى الطبعة الاولى للجزء الثانى من كتابه، فاخبره سعد زغلول ان هذا المقال له ، وان الامام اوصاهم وقتها بعدم توقيع مقالاتهم . فاستبعده رشيد رضا من الطبعة الثانية .

[ثانيا] مع الاحتلال ، ظهر فى السلطة ما يمكن تسميته بالثنائية ، وهو ماعبر عنه لطفى السيد فيما بعد « **بالسلطة الشرعية** » و « **السلطة الفعلية** » .

كان الخديو صاحب الاولى ، وكان الانجليز أصحاب الثانية ، وكانت بريطانيا قد اضطرت لابقاء الوضع الرسمى لمصر كما هو ، اذ كانت البلد أكثر تطورا من أن يفرض عليها حكم أجنبى مباشر بغير أن يستثير السخط ويتعرض للقلاقل فى زمن غير طويل ، واذ كان تنافس الدول الكبرى على مصر مجبرا بريطانيا على ابقاء هذا الوضع .

وبهذا وجد عنصران يحكمان السياسة ، رغم تداخل السلطتين وهيمنة الانجليز بشكل عام .

وأدت هذه الثنائية ، الى ايجاد نوع من التميز بين هدفى الثورة ، فمطلب الدستور والحياة النيابية يوجه فى الاساس ضد سلطة الخديو ، ومطلب الاستقلال يوجه فى الاساس ضد الانجليز ويعبر عن نفسه بشعار « الجلاء » باعتبار أن الوجود الانجليزى وجود مادى صرف لايستند الى شيء من الشرعية .

وفى هذا الوقت ، كانت الحركة الوطنية ـ بعد انتكاس الثورة ـ ضعيفة ممزقة تتلمس مكانا لخطواتها الاولى المترددة . كما كانت سياسة الانجليز ترمى الى موازنة سلطة الخديو بقوة كبار ملاك الارض المصريين ، والاستفادة من اتصال مصالح هؤلاء الملاك [منتجو القطن] بها ، والاستفادة من صراعهم التقليدى مع البيت الحاكم فى مصر . ثم كان هناك من **لايزال يستمسك بالفكرة الاساسية للثورة العرابية : والوقوف ضد استبداد الخديو والمطالبة بتمصير الحكم المصرى** ، وكان لهؤلاء من ذكريات **حكم اسماعيل** وأسلافه ما جعله يرى بعض الخير فيما اجراه الانجليز فى تنظيم الادارة والمصالح ، وكان لهم من ذكريات الهزيمة ما حد من آمالهم وطموحهم فحاولوا الاستفادة من وجود الانجليز فى ترشيد اداة الحكم والحد من سلطة القصر .

ثم تمخض الوضع ، على ظهور جيل شباب التسعينات المقطوع الصلة نسبيا بأوضاع ماقبل الاحتلال ، وبعهد اسماعيل وأسلافه ، المتفتح الاعين على صورة الاحتلال البريطانى البغيض ، البعيد عن ذكريات الهزيمة ، وواجه هؤلاء ـ وعلى رأسهم مصطفى كامل ـ الاحتلال البريطانى باعتباره التحدى الاول للاحياء القومى .

اتجه الاولون الى تاكيد الذاتية المصرية ضد الخديو والتبعية للخلافة العثمانية ، واتجه الاخرون الى تأكيدها ضد الاحتلال البريطانى .

واستغل الاثنان التناقض بين السلطتين الشرعية والفعلية ، باستفادة الاولين من الانجليز ضد الخديو ، واستفادة الاخرين بالخديو ضد الانجليز . على ان الاتجاه الاول ، لم يكن كلا منسجما ، كان القسم الغالب منه لايكتفى بالاستفادة من الانجليز ضد الخديو ، انما كانت مصالحه الاقتصادية ترتبط بالانجليز وببقائهم ، وكان هذا هو اتجاه حزب الامة . وكان القسم الاقل ممن وقفوا عند محاولة الاستفادة من الوجود الانجليزى كراهة فى الخديو وسلطانه . ويبدو انه كان من هؤلاء الاستاذ الامام وسعد زغلول ومن جرى مجراهما ، واذا كان **مصطفى كامل** وحزبه الوطنى يرون أن مركز المشكلة هو الوجود البريطانى ، وأن زواله هو الخليق بفتح السبيل للبناء الديمقراطى ، فقد كان هؤلاء يرون ان حكم الاستبداد الداخلى هو ما أوهن المجتمع المصرى ، وهو ما أدى به الى الاحتلال .

وقد عرف عداء الاستاذ الامام الشديد للخديو عباس ، وله فى ذلك حوادث معروفة ، وله مقال كتبه فى **مجلة المنار** سنة ١٩٠٢ عن محمد على رأس العائلة المالكة ، وجه اليه فيه من الهجوم مالم يوجهه أحد ، وأوضح فيه رأيه **فى أثر الاستبداد فى تدمير البنية المصرية** ، رغم مانشر محمد على من تعليم وما أسس من جيش وما بنى من صناعات وما شق من ترع ، اذ بنى المصانع وبغض الى المصريين العمل بظلمه ، واهتم بالزراعه فهرب ملاك الارض من أرضهم ، وأنشا الجيش ولم يحبب الجندية الى الشعب ، وترجم كتبا ولكن « حكومة محمد على لم توجد فى البلاد قراء .. » وذلك لانه لم « يجعل للاهالى رأيا فى الحكومة فى عاصمة البلاد وأمهات الاقاليم .. » وكان هذا لدى محمد عبده هو السبب فى ان مصر لم تثبت أمام هجوم الانجليز [٦] .

ومن حديثه يظهر سبب اهتمامه بالبناء الداخلى وبالتعليم والقانون قبل أى شيء ، وذلك من خلال أسلوب الاصلاح التدريجى الذى دعا اليه . ولم يجد غضاضة فى محاولة الاستفادة من الوجود الانجليزى ضد سلطة الاستبداد الشرعية ، وتوفى سنة ١٩٠٥ قبل ان يعلم أن الوجود الانجليزى هو سند حكم الخديو الاستبدادى رغم الاختلافات الثانوية ، وهو العائق ضد تمصير مؤسسات الحكم وتطويرها ديمقراطيا ولو بالاسلوب التدريجى ، على ماسيظهر بعد .

---

(٦) رشيد رضا ـ المرجع السابق ـ الجزء الثانى ص ٣٨٢ .

سعد والاحزاب السياسية

لانكاد نرى لسعد زغلول ـ بعد فترة عمله « بالوقائع المصرية » كتابات سياسية توضح أفكاره . وقد استطاع بعمله فى المحاماة ثم القضاء ، أن يخط لنفسه طريقا آخر غير النشاط السياسى المباشر ، ولكن لا يبدو انه انعزل عن الحياة السياسية كلها ، فقد استمرت صلاته باستاذه محمد عبده وبغيره من وجوه الفكر والسياسة . **وعرف تردده على صالون الاميرة نازلى فاضل** الذى كان يجتمع فيه كثير من رجال السياسة والفكر ، وعرفت علاقاته **بقاسم امين** ، ورجال « **الجريدة** » صحيفة **حزب الامة** ، **وبعلى يوسف** صاحب **المؤيد** الموالية للخديو ، كما عرف من كتابات المعاصرين انه كان شخصية بارزة يعمل لها حساب . وبحثا عن الفكر السياسى له فى هذه الفترة يمكن ان يعتبر تفكير الاستاذ الامام اطارا نظريا لسلوك سعد زغلول فى هذه الفترة ، ولحركته ونشاطه .

كتبت صحيفة **التايمز** اللندنية عنه تقول « انه من شيعه المرحوم محمد عبده الذين امتازوا بالارتقاء والتهذيب ، وهم من سماهم **اللورد كرومر** فريق « **الجيروند** » فى النهضة المصرية الوطنية ، وأن سعدا عريق فى وطنيته أجمع الناس على اكرامه والاعجاب به لما اشتهر عنه من الاستقامة واستقلال الرأى .. » [٧]

وكتب **أحمد شفيق** ـ وكان رئيسا لديوان الخديو عباس ، أن الخديو قابل فى ١٩٠٨ أحمد فتحى زغلول اخا سعد ، وعاب عليه كونه من حزب محمد عبده الذى نشر له مستر بلنت خطابين دعا فيهما الامام لسحب كل سلطة من يد الخديو اذا أريد وضع نظم جديدة لادارة مصر . بحيث يخرج عن سلطته الازهر والاوقاف ، وبحيث لا يتدخل فى الادارة أبدا . وأن محمد عبده استشار فى رأيه هذا كثيرا من المفكرين فوافقوا عليه . وسأل الخديو أحمد فتحى زغلول عن هؤلاء الذين استشارهم الامام فى سحب سلطات الخديو ، فاجابه انهم سعد زغلول وعبد الكريم سلمان وعبد الرحيم الدمرداش [٨] .

وعندما تكون حزب الامة ، المناوئ للخديو والقريب من اللورد كرومر ، كان الخديو يعتقد أن لسعد وأخيه يدا فى تأليفه ، وسأل أحمد شفيق عن ذلك مرتين فأجاب انه لم تظهر لهما به علاقة ، ولكن بقى الخديو على هذا الاعتقاد وسجله فى مذكراته التى نشرتها صحيفة المصرى سنة ١٩٥١ . [٩] .

وحاول **العقاد** ان يوضح موقف سعد من الاحزاب القائمة وقتها ، فذكر **ان سعدا لم يكن يرجو لمصر الاستقلال باعتماد على الدولة العثمانية ولا على فرنسا** كما كان يفعل مصطفى كامل ، ولم يكن يعول فى هذا الامر الا على « التربية الوطنية » وان تستقل الامة بمطالبها . وانه كان يساعد مخالفيه فيما من شأنه ايقاظ بث الحمية الوطنية ، وان لم تسنح له فرصة لخدمة الدعوة الوطنية على حسب اعتقاده الا انتهزها بقدر طاقته . وأنه أيد مصطفى كامل وعلى يوسف من كتاب الصحافة فيما تكفلوا به من ايقاظ روح الامة . كما أيد قاسم أمين فى تحرير المرأة واصلاح الحياة الاجتماعية فلم يجد قاسم من يهدى اليه كتابه غيره [١٠] وقد حدث ان أوشكت « المؤيد » على الافلاس فانقذها سعد بالمال ، كما دافع عنها لدى صهره رئيس الوزراء مصطفى فهمى ليلغى قرارا صدر **باغلاقها** .

والواضح ، ان مهنة سعد كقاض وقتها ، كانت تجنبه امكانية الارتباط المباشر بالعمل السياسى وفقا لتقاليد هذه الوظيفة ، وكان كما يذكر **احمد بهاء الدين** حائرا بين التيارات المختلفة ازاء اخطاء الحزب الوطنى فى مرحلته الاولى ، واستناده الى الخديو فى الداخل ، والى التأييد العثمانى فى الخارج وازاء الروابط الوثيقة القائمة بين حزب الامة والانجليز [١١] والحاصل انه بعد ١٩١٩ هاجم خصومه السياسيين مرة مذكرا اياهم بانتمائهم السابق لحزب الامة « ان حزب الامة عاد الى بدايته وانتهى الى غايته ، ان الله لا يصلح عمل المفسدين » . كما خطب يقول انه ليس وحده صاحب الدعوة الوطنية ، وعدد من يرجع اليهم الفضل فيها وهم الافغانى ومحمد عبده ، ومصطفى كامل ومحمد فريد زعيما الحزب الوطنى .

---

(٧) عباس العقاد المرجع السابق ص ١٠٠ ، عبرات الشرق ص ١٢ .
(٨) مذكراتى فى نصف قرن . الجزء الثانى القسم الثانى . احمد شفيق ص ١٤٣ .
(٩) أيام لها تاريخ . احمد بهاء الدين ص ١١٠ .
(١١) عباس العقاد . المرجع السابق ص ٩٠ ــ ٩١ .
(١١) احمد بهاء الدين ـ المرجع السابق ص ١٠٤ ــ ١٠٩ .

سعد والقانون

ظهر النشاط المباشر لسعد فى هذه الفترة ، فى مجالين : التعليم والقانون • وهما الميدانان اللذان دعا الاستاذ الامام الى الاصلاح الاجتماعى من خلالهما • وكان أهم نشاط لسعد فى التعليم انه بادر ساعيا مع زملاء له ، فى **انشاء جامعة مصرية أهلية** • وكانت دار سعد زغلول هى مسقط رأس الجامعة ، وفيها عقد الاجتماع الذى تقرر فيه انشاؤها •

أما فى مجال القانون ، فقد كان القضاء مهنته • وهو وظيفة تطبيقية فى الاساس • واحكام المحاكم مقيدة بوقائع كل دعوى وبنصوص القانون ، وبهذين القيدين يصعب ان ينطلق تفكير القاضى فى اقضيته بما يكشف فى جلاء عن فكره السياسى والاجتماعى • على انه يمكن من مطالعة الاحكام التى وضعها او شارك فى وضعها ، التقاط بعض خطوط تفكيره •

كان القانون يعفى الحكومة من مسئوليتها عن اى عمل يجريه موظفوها فى شأن تفاتيش الرى • فكتب سعد يقول « لا يمكن ان يكون المراد بهذه الاعمال الاجراءات الاستبدادية المخالفة للعدل والقانون والمضرة بحقوق الافراد وليست فيها مصلحة عامة للناس ، لان ذلك لا ينطبق على مبدأ الحكومات العادلة ، ولا يصح ان تتضمنه شرائعها » [١٢] وذكر فى حكم آخر ان القانون انما يوضع لخدمة العدالة الانسانية [١٣] وسعد هنا لا يقوم بوظيفته فى تطبيق القانون فحسب ، ولكنه يناقشه ويحكم عليه حسب مضمونه ، مستندا الى معيار فكرى عام يتعلق بمبدأ الحكومات العادلة •

ويصم الاجراءات الاستبدادية بوصمة المخالفة للقانون والعدل ، مادامت تضر بحقوق الافراد وبالمصلحة العامة • ويلاحظ فى تفكير سعد اتجاه ثابت فى ادراك التناقض بين القانون وبين الاستبداد الذى عرفه من قبل فى مقاله بالوقائع المصرية بانه العمل وفق مشيئة الحاكم ، والذى هو عمل الحكومة الطليق من الالتزام بالقواعد المقررة .. والقانون لديه ليس أمرا مقدسا فى ذاته ، انما يكون قانونا حقا بقدر مايحتفظ من حقوق وما يحقق من مصلحة عامة وبقدر مايتوخى العدالة • وقد حاول فى حكم له سنة ١٩٠٦ ايجاد **نوع من الهيمنة للقضاء على دستورية القوانين وقرارات مجلس النظار** ، وأهدر قرارا للمجلس لمخالفته القانون • وبعد ذلك باعوام – بعد ١٩١٩ – كتب فى صحيفة البلاغ بامضاء (س ١٠) يوصى المحاكم ان تمتنع عن تطبيق المراسيم بالقوانين التى تصدر على خلاف أحكام الدستور [١٤] •

وثيقة

اليسار المصرى وسعد زغلول

من المعروف أن قيادة الوفد المصرى التى استطاعت فى بداية ثورة ١٩١٩ ان تجمع الامة حول عدد من الاهداف الوطنية ، لم تطرح للتنفيذ اى برنامج اجتماعى متواضع يستجيب لمطالب الفلاحين والعمال الذين انخرطوا – هم ايضا – بقوة فى المعركة الوطنية ضد الاستعمار ، وكان لابد من الانتظار اكثر من ثلاثين عاما لتبدأ ثورة يوليو ٥٢ استكمالا للثورة الوطنية ، وتجديد الاهداف الاجتماعية العاجلة • وكان لموقف الوفد من القضية الاجتماعية أثره فى اضعاف وحدة الصف الوطنى • وكان مما اضر بالحركة الوطنية الاخطاء المتبادلة بين الوفد من ناحية وبين اليسار المصرى من ناحية أخرى •

ففى ابان احتدام الثورة اتخذ اليسار المصرى مواقف انعزالية من القيادة الوطنية للثورة • وفى الوقت ذاته تحالفت قيادة الوفد مع قوى التخلف فى الهجوم على اليسار •

وفى عام ١٩٢٤ كانت بعض قوى هذا اليسار ممثلة فى مجلة « الحساب » تحاول أن ترأب هذا الصداع فراحت تدعو الى الاتحاد وتحذر سعد زغلول فى الوقت نفسه من بعض المواقف التى رأت فيها تراجعا أمام الانجليز والسراى • كتبت الحساب تقول :

السياسة اليوم – كشف الحساب ..! (مايشغلنا)

ان موقف وزارة سعد من الاصلاحات والرأى الذى ينادى بتطهير الحكومة وخلق دولاب جديد للحكومة ، ويود ان يكون الموظفون جميعا من لون

---

(١٢) سعد زغلول من اقضيته . عبده حسن الزيات ص م

(١٣) المرجع السابق ص ٢٥٧ •

(١٤) المرجع السابق ص ٢٠٥ •

وفى احكام اخرى يبدى الحذر والتشكك فى صحة الاجراءات التى تتبعها أجهزة الحكومة ، ويحرص على وجوب التعرض لصحتها ومناقشتها من المحكمة بغير ان يسلم بها « ان المباحث التى يجريها رجال الادارة والاقرارات التى تحصل امامهم من أحد الخصوم ... لا يمكن ان تكون بمقتضى المبادىء القانونية حجة يحتج بها أمام القضاء ولا يصح ان يترتب عليها بنوع اصلى حق لخصم على آخر .. » [١٥] يعلق جامع هذه الاحكام على ذلك بقوله ان فيها « اثر الضمير المتعنت وان وراء هاتوله الشك فيما سوى القضاء ، شك مكبوت .

ثم كانت دائرته صاحبة أول حكم يقرر أنه لاعقاب على من يتقذف فى حق موظف عام اذا استطاع ان يثبت وقائع القذف . ويعرف الوظيفة العامة بمنطلق ديمقراطى فيقول « لكل الناس شأن فيها وفائدة فى الاحاطة بها وحق فى ان يأخذوا عليه (الموظف) فى هفواته وغلطاته فيها ولا شىء عليهم (الناس) فى نشر ذلك متى كان الامر صحيحا . » [١٦] وكان هذا يعنى الافساح للصحف فى التصدى بحرية للموظفين ونتقدهم . كما عرف عنه حكم صرح فيه بوجوب تشديد العقوبة ان كان المذنب موظفا « **ان المتهم هو موظف عمومي وطبيعة وظيفته تقضى ان يكون على جانب عظيم من عفة النفس واستقامة الضمير ، ولذلك يتعين تشديد عقابه حتى يكون خطر مثله مأمونا . » [١٧] .**

وفى حكم أصدره سنة ١٩٠١ ، حمل حملة عنيفة على ما يتخذه رجال الادارة من اجراءات العنف والتعذيب مع المواطنين .. « تبين مما سبق ان هذا العمدة لقن نفس المأمور سببا للجناية لم يقله المصاب . ولان العمدة الذى يعلم من مأموره تلك الشدة التى سبق بيان بعض آثارها ، وتلك المجاهرة بمخالفة القانون لا يبعد عليه ان يلقن المصاب تحت حماية المأمور اسماء المتهمين ظلما وزورا . وحيث ان وقوع مثل هذه التصرفات بحجة اظهار الفاعل أو كشف الحقيقة اشد خطرا على النظام العام من خفاء الجانى او تخليصه من العقاب ، لان لا شىء اسلب للامن وأقلق للراحة وأزعج للنفوس من ان يعبث بالنظام من عهد اليه حفظ النظام . وحيث انه لا يصح ان تكون مثل هذه التصرفات اساسا للحكم ، بل لا يصح غض النظر عن المؤاخذة عليها ، لان ذلك مما يضر بالقضاء ويجعله عونا للظلم بدل أن يكون نصيرا للعدالة » [١٨] هنا يظهر الحكومة ، بأنها من يعتدى على النظام لا من يصونه ، وانها الخارجة على المجتمع لا الافراد . وهو هنا لا يحكم على الحكومة من خلال النظام الذى تفرضه ، ولكن من على اسس نظام عادل يستوحيه من فكره ومبادئه ، ويصل بذلك الى ان هذه التصرفات الفعلية لا تصلح « اساسا للحكم » . هو موقف سياسى يعبر عن نفسه من خلال القانون .

واحد ، والرأى الذى يرى ان على سعد أن يرتق الثقوب الموجودة ويكتفى بذلك ليبقى فى كرسى الحكم .

هذا مايتحدث به الناس فى المجالس الخاصة وفى المجالس العامة، واذا قلنا الناس فلا نريد بهم معارضى الوزارة من الاحزاب ، فليس من امانة النقل ان نتحدث عن المرء بلسان خصمه ، انما نريد بهم اخصاء الوزارة واحبائها أو من يمكن أن يكتب عنهم تحت عنوان «الامة».

وليس هذا الموقف من مواقف دولة الزعيم هو أول موقف عارضه منه قوم من احبائه ، فقد عارضت الامة سعدا فى مواقف كثيرة ، لا تريد بالمعارضة الا استبقاء العلاقة والمحافظة على زعيم صرفت فى اقامته الدماء ، واصعدته لكرسى الوزارة على سلم من اشلاء ابنائها .. !!

عارضت الامة سعدا فى قبول الوزارة اولا ـ ولا يزال هذا العاجز يذكر عبارته لسعد انى أخشى عليك من موقف المسئول المكتوف ، فلا تستطيع تنفيذ رغبات الامة ولا مقاومة الانجليز وبذلك تخسر سعدا .. !!

وعارضت الامة سعدا فى نص خطبة العرش ، وعارضت الامة سعدا فى اقرار تعويضات الاجانب وجزية الترك واستبدال قانون الاجتماعات . ثم عارضت الامة سعدا فى الانخداع بسياسة المفاوضات، ولكنه كان يمضى فى سبيله لا يلوى على المعارضة ولا يعطيها أهميتها !! وكانت الامة تصفح عن ذلك وتسير خلف زعيمها لوثوقها من اصالة رايه من جانب ولتتنكب ما قد يجر اليه الخلاف من تبديد وحدة الامة من جانب آخر . »

« ونحن لانريد بما قدمنا ان نقف امام دولة الزعيم موقف العدو المنازل ، او أن نسمع فيه رأى البعض المفتون ، فان لدولته بيننا منزلة الابن ومنزلة الاب (فمنزلة الابن لانه حشاشة قلب الامة والامة هى التى ولدت سعدا وكونته ومثله الاب لاننا ارتضيناه قائدا أو ارتضيناه زعيما عن ايمان واعتقاد).

ولكنا نقف باهتين حائرين نتساءل عن تاثير هذه التصرفات فى نظام الحكومة اولا ، وفى الموقف الحاضر الذى هو اشام موقف وقفناه من يوم نهضتنا ـ اما بالنسبة لتاثير ذلك فى موقفنا ، وهو المهم الان فانه يزيد فى مسالة الخلاف بين المصرى والمصرى وتضاعف انفراج الشقة بين أبناء الامة ونحن فى حاجة لما تحتاج اليه كل امة مغلوبة وهو الاتحاد .

مجلة الحساب

« العدد ٣ ـــ ٨ نوفمبر ١٩٢٤ »

---

(١٥) المرجع السابق ص ١٢٥ .

(١٦) المرجع السابق ـ ص٢٤٤ ـ ٢٤٧ .

(١٧) المرجع السابق .

(١٨) المرجع السابق ـ ص ٣٩١ .

واستمر هذا رأى سعد فى النشاط الاستبدادى لجهاز الادارة والامن ، وعندما انتخب وكيلا للجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ ، عرض عليهم مشروع قانون عن **الجمعيات التعاونية الزراعية** ، وفيه حكم يبيح للادارة حق حل الجمعية ، فعارضه بشدة كما عارض هيمنة جهاز الادارة على هذه الجمعيات « لست فى حاجة لان اشرح لحضراتكم ما يلاقيه الاهالى من العقبات للوصول الى الحكام الاداريين ·· » ويتحدث عن جهاز الادارة بقوله « سلسلة طويلة جدا لا تنتهى الى الوزير الا بعد حلقات كثيرة تبتدىء من العمدة الى معاون البوليس ، ثم الى مأمور المركز ، ثم لوكيل المديرية ، ثم لسكرتير الناظر ، الى ان تنتهى الى الناظر [الوزير] كل هؤلاء اخشاهم ، أخشاهم كما تخشونهم انتم ، وتخشونهم لانكم جربتم كثيراً اعمالهم ·· » [١٩] ·

كان المجتمع فى نظر محمد عبده ، هو نظام للحقوق والواجبات يتجسد فى القوانين · ورأى المجتمعات نوعين ، مجتمع القوة حيث يسود الحكم المطلق ويتسلط بالرهبة والقسوة ولا يرعى عدلا ولا مساواة فى جباية أو معاملة ، ومجتمع القانون الذى يحفظ الانسان وينطلق به فى مجالات الاكتشاف والذى يبنى القوة على اساس من القانون [٢٠] · ويرى ان الغاية من القانون ضبط المصالح وفتح سبل المنافع وسد طرق المفاسد · وان القانون الصادر عن الرأى العام هو الحقيق باسم القانون (٢١) · وان سعادة البلاد رهينة بارتفاع شأن القانون وعلو قدره واحترام الحاكمين له قبل المحكومين (٢٢) · وفى هذا المعنى تقريبا وضع **مونتسكيو** مفهومه عن الحرية ، والحرية عنده تتحقق فى التنظيم الحكومى ، وتعنى القدرة على فعل ما يرى الناس فعله ، والامتناع عما يرى الناس وجوب الامتناع عنه ، وهى بهذا تعنى الحق فى فعل ما تسمح به القوانين ، يصدق ذلك على الفرد كما يصدق على الدولة (٢٣) · وهذا ايضا هو المعنى الذى يلحظ من كتابات سعد زغلول السابقة ، مطبقا على الحالات المحددة التى كان يناقشها بحكم وظيفته · ومصدر القانون لديه المصلحة والنفع ، وهو واجب الهيمنة على الحكومة وتصرفاتها ·

والواقع ان سعدا ، فضلا عن تأثره بفكر الاستاذ الامام ، وبالفكر الليبرالى الذى كان منتشرا وقتها بما ترجم من كتابات فولتير ومونتسكيو (٢٤) · فضلا عن ذلك ، فقد اسبغ عليه عمله القضائى صفات خاصة · فهو عمل يمارس من داخل السلطة ومؤسسات الحكم ، من المحاكم ، ولكنه يتميز بوجه من اوجه الاستقلال عن السلطة بحكم كونه عملا رقابيا ، واكسبه ذلك قدرة على الاطلاع على عمل الدولة بغير استغراق ولا خضوع لضغط آلتها الدائرة ، ولا شك ان هذا العمل اكسبه خبرة بنشاط جهاز الدولة ووظيفته · ومن ناحية ثانية ، كان تطبيق القانون مما يؤكد لديه دائما **وجوب خضوع القوة للقانون ، ووجوب اخضاع اعمال الدولة وتصرفات الافراد له** ، سواء فى مسائل المعاملات او بالنسبة لنشاط الدولة ازاء الافراد ، او بالنسبة للمسائل الجنائية ذات الاتصال بالحريات · والخضوع للقانون يفرض على صاحبه موقفا عقلانيا ضد العشوائية والفوضى ، اى ضد الاستبداد الذى يعنى ان يتصرف الحاكم أو الفرد وفق مشيئته بغير خضوع لنظام · وهذا يمكن من حماية الحقوق ورفع المضار ولجم الاثار السيئة للقوة المجردة ، القوة العارية ، سواء مارستها الدولة أو مارسها الافراد · ومن ناحية ثالثة فان العمل القانونى يفرض على صاحبه قيودا ، هى الاطار العام للقوانين القائمة ، اى للنظام السياسى والاجتماعى القائم ، ولا يستطيع ان يرفضها دون ان يتخطى حدود وظيفته ، ولا يستطيع من خلال عمله – ان كان معارضا لها ، الا أن يلتف عليها من خلال المواقف العملية وبالتفسيرات الجزئية · ومن ناحية اخيرة ، اكسب هذا العمل سعدا سمة رجل الدولة المسئول ، يمارس وظيفة محددة ، ويعمل فى حدود سلطاتها ، وتفرض هى على احكامه وتقديراته حدودا لا يستطيع ان يتعداها والا فقد فاعليته فى عمله ، واكسب هذا سعدا روحا نظاميا ، اتضح بعد ذلك فى كل ادوار حياته .

ومما يلاحظ فى احكام سعد ، انه مع وقوفه ضد نشاط الدولة المخالف للقانون ، ومع ادراك هذا الاتجاه فيه فى حياته العامة ، فانه لا يحاول فى اى من هذه الاحكام ان يضع تفكيره كله كنظرية واحدة واضحة ، انما يستجيب بفكره العام للاحداث الجزئية بمواقف محدودة وبعبارات قصيرة يحرص الا تتعدى الحدود المفروضة عليه · وان الروح النظامية التى تميز شخصية سعد وتحوطه بسمة رجل الدولة المسئول ، تجعله ينظر الى القانون لا

---

(١٩) سعد زغلول فى الجمعية التشريعية – جمع وترتيب احمد فهمى حافظ . ص ٦٨ ، ٢٨٢ .
(٢٠) رشيد رضا . المرجع السابق الجزء الثانى ص ٩٢ .
(٢١) رشيد رضا . الجزء الثانى ص ٢٠٠ .
(٢٢) رشيد رضا . الجزء الثانى . ص ٥٢ .
(٢٣) The Democratic and the Authoritarian Stat Franz Neumann. p.131.
(٢٤) Arabic Thought in the Liberal Age A. Hourani. p.138

على انه وقاية للفرد ضد انطلاق سلطة الدولة فقط ، ولكن على انه حماية للمجتمع والنظام العام ضد الخارجين عليه ، حدث ان ارتكب مصرى بالحجاز جريمة وعاد الى مصر بغير عقاب ، والمبادىء القانونية تمنع ان يحاكم شخص على ما ارتكبه خارج البلد الذى قارف فيه جرمه . ولكن سعدا حاكمه وحكم عليه فى مصر معترفا بان ذلك لايجوز حسب المبادىء العامة، ولكن «من وظيفة كل حكومة ان تؤيد النظام فى بلدها على حسب ماتقتضيه المصلحة العامة . ووجود المجرم فى بلاده غير مسئول عما يكون قد ارتكبه من الجرائم المهمة فى غيرها مما يشين بالنظام العام ، وقد يفضى الى اختلاله بما يقوى فى نفس المجرم الميل الى الشر وما يبعث فى غيره من القلق والاضطراب وما يضعف فى نظر العامة من سلطة القانون .. » (٢٥). وسعد بهذا حريص الا تضعف فى نظر العامة سلطة القانون ، حريص الا يختل النظام العام .

ووقف بعد ذلك بسنوات فى الجمعية التشريعية، يناقش مشروعا يبيح للمحكوم عليه فى الجنايات ان يطعن فى الحكم الصادر ضده ، ان كان صدر بالاغلبية لا بالاجماع ، وطالب ان يباح النظر فى احكام البراءة ايضا ، فلما عارضه البعض استنادا للميل الفطرى للتبرئة ، قال « اننا مثل الحكومة يهمنا جدا حفظ النظام العام .. يجب ان نبحث عن طريقة تضمن للبرىء الحقيقى براءته كما تضمن للعدالة ان تأخذ حقها من كل مجرم .. ويجب الا ننظر لصالح المتهم فقط بل يجب أن ننظر ايضا لصالح الهيئة الاجتماعية التى نحن جزء منها . علينا هذا الواجب لاننا مشتركون فى التشريع مع الحكومة ومسئولون معها عن الامن العام» (٢٦) . وما اكثر ما قال فى الجمعية ضد خصومه « ليست المسالة بالضوضاء تؤخذ ولكن بالقانون .. حكم القانون هو النافذ لاحكم الضوضاء » (٢٧) . وقد ذكر العقاد ان سعدا قرأ كتابا لكروبتكين ومذهبه الفوضى والغاء الحكومة ، وعلق على ذلك بقوله « اين سعد من هذه الاودية السحيقة ؟ بيد انك حتى تستطلع الامر ترى أنه لم يقرأه الا عجبا من ان يكون فى الدنيا من يخرجون على النظام هذا الخروج» (٢٨) . على ان سعدا مع حرصه على الخضوع للقانون انما يقرر دائما وجوب الحكم عليه بمبدأ المصلحة العامة وحماية الحقوق ، ويضع القانون بهذا ضد الاستبداد وفى صالح التنظيم الديمقراطى .

سعد فى الوزارة .. التعليم

فى ١٩٠٦ وقعت حادثة دنشواى ، خفق بها قلب مصر كما عبر قاسم أمين ، وواجه بها الاستعمار البريطانى أول ريح تزعزع بنيانه فى مصر . وحاول كرومر ان يميل قليلا مع العاصفة ، وأن يضفى على الحكم طابعا يسيغ به لدى الراى العام . فكان تعيين سعد زغلول وزيرا للمعارف . كتب زتلاند فى ترجمته عن كرومر ، ان سعدا كان معروفا بنزعته الوطنية ، وان تعيينه كان تجربة ينبغى ان تلاحظ بالدقة الواجبة قبل تكرارها (٢٩) . ونشرت الاهرام فى ٦ ابريل ١٩١٢ بامضاء « عارف » مقالا امتلأ بالطعن على سعد بعد استقالته ، ولكنه اعترف بان تعيينه وزيرا كان لارضاء الوطنيين لما عرف عنه من معارضته للحكومة ولسياسة الانجليز ، وذلك تقوية لمركز اللورد كرومر بعد حادثة دنشواى (٣٠) . ويذكر احمد شفيق ان كان الفكر السائد وقتها ، ان هذا التعيين قصد به ابعاد سعد عن الاشتغال بانشاء الجامعة المصرية ظنا من كرومر ان ذلك يقضى على المشروع . وقد قدم كرومر الاقتراح الى الخديو فى ٢٦ اكتوبر فاستأجله الخديو فى الموافقة يوما ثم وافق ، والشائع انه لم يرتح لهذا التعيين (٣١) .

كتبت « المؤيد » رغم موالاتها للخديو تقول « بينما نحن كذلك فى هذا القنوط من وزرائنا اذا برنة جرس قوية صلت على الاذان فنبهت الاذهان الى حركة جديدة فى الوزارة .. سعد زغلول يعرفه المصريون قاطبة بالعلم والفضل وعلو المبادىء واستقلال الرأى كما يعرفونه بالمقدرة الفائقة .. **وهو القائل ان الامة المصرية ينقصها العلم الصحيح وهو الداعى الى الجامعة المصرية (٣٢) .**

وتساءلت «**اللواء**» صحيفة الحزب الوطنى عما اذا كان سعد سيستطيع ان « يحيى سلطة الوزراء المصريين » . وقالت انه معروف فى ماضيه

---

(٢٥) سعد زغلول من اقضيته ـ المرجع السابق ص ٢٦٩ .
(٢٦) سعد زغلول فى الجمعية التشريعية ـ المرجع السابق ص ٤٢ ـ ٤٤ .
(٢٧) سعد زغلول فى الجمعية التشريعية ص ٤٧ .
(٢٨) عباس العقاد ـ المرجع السابق ص ٥٧٥ .
(٢٩) Lord Cromar Zethland.p. 307.
(٣٠) احمد شفيق . المرجع السابق ص ١١٠ .
(٣١) احمد شفيق . المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٣٢) عباس العقاد ـ المرجع السابق ص ٩٧ ـ ٩٩ .

وحاضره انه «أشد الناس تمسكا باستقلاله وحقوقه واكثرهم انتقادا على الذين تركوا سلطة مناصبهم لغيرهم ·· فنحن لانبتهج بتعيين سعادة سعد بك زغلول الا بأمل ان يكون كما كان على باشا مبارك والفلكى باشا وأمثالهما ممن خدموا العلم فى القطر خدمات خالدة · ونطالبه ·· ان يكون فى مستقبله كما هو فى حاضره ، وكما كان فى ماضيه الرجل المستقل الذى لايخدعه منصب ولا مال ..»(٣٣).

تقدمت الاشارة الى ماكان يبديه **الاستاذ الامام** من اهتمام بالتعليم وباصلاح نظمه · وكان يبدى قلقه مما يحدث فى المجتمع المصرى ، منذ بداية القرن التاسع عشر ، من صدع يتسع مع الوقت وينبغى رأبه .. والمجتمع يجب ان يخضع لقانون نظامى واخلاقى والا لحقه الدمار ، وهذا القانون او مجموعة القيم تختلف باختلاف الامم · وكان الامام معجبا بمنجزات المدنية الحديثة فى أوروبا ، **ولكنه كان مقتنعا بصعوبة نقل ذات مؤسساتها الفكرية والقانونية الى مصر لاختلاف التربة الاجتماعية** · وقد لاحظ صدعا يتسع فى المنشآت الاجتماعية والمؤسسات الفكرية فى مصر · فثمة قوانين وضعية وفدت من الخارج وفرضت على الاهلين بغير فهم لها وبغير أمل فى ان يحترموها أو يطيعوها اقتناعا بها ، وبجوارها توجد الشريعة الاسلامية ، وليس من علاقة تربط بين المجالين · وثمة طابعين من المدارس ، مدارس حكومية لاتعلم طلبتها أى قيم اجتماعية أو سياسية ، تشترك مع المدارس التبشيرية فى تدريس برامج أجنبية تشكل الطالب بوجدان غريب عن بلده تابع لامة أجنبية ، ومدارس دينية على رأسها الازهر تعلم الدين ولا تعلم المواد اللازمة للحياة فى العالم الحديث ، ولا علاقة بين نوعى التعليم ، وليس كل منهما كاف فى ذاته أو مكتف عن الاخر · وثمة تقسيما روحيا مماثلا بين الروح التقليدية والروح التى تشيعها افكار اوروبا الحديثة بغير أن يوجد اساس مشترك يجمع الروحين فى نسيج واحد ، وهذا يميل بالاسس المعنوية للمجتمع الى ان يوهنها القلق والشك ، فيصبح المجتمع بغير قانون ولا قيم · وكان اصلاح هذا الحال عند الامام لايكون بالرجوع الى الماضى فقد غبر ، ولكن يكون بربط حاجات المجتمع الحديث بمبادىء الاسلام (٣٤) . ووجدان مهمته هى تفتيح الفكر الاسلامى ليستوعب حاجات الحياة المدنية ، وليكون اساسا اخلاقيا ومعنويا لها ، وان وسيلة الاصلاح هى تطوير الازهر وتنقيح مناهج التعليم ربطا لعلوم الحياة الحديثة بقيم المجتمع ، لينطلق العقل مسيطرا على شئون دنياه · وهنا تبدو أهمية التعليم بالنسبة له ·

ويبدو ان سعد زغلول قد اتبع هذا الخط العام لفلسفة التعليم · واذ كان التعليم الحكومى خاضعا للسياسة البريطانية تنفذ اهدافها فيه من خلال مستشار وزارة المعارف (دانلوب) ، وتصرف همها فى تخريج الموظفين ، وفى احكام السيطرة البريطانية على مؤسساته بتدريس العلوم باللغة الانجليزية ، والاكثار من المدرسين الانجليز ، والنظار ووكلاء المدارس وموظفى الديوان العام حتى « صار التعليم هو الراية التى يحارب حولها دعاة الوطنية من جميع الصفوف » (٣٥) . **فقد عمل سعد على احياء اللغة العربية** فى المدارس ، وعلى التوسعة للمصريين فى وظائف الديوان العام والادارة والتفتيش ، وعلى الاكثار من المدرسين المصريين وتعيين وكلاء المدارس الثانوية منهم تمهيدا لترقيتهم الى وظائف النظارة · واقتضى هذا البحث فى عقبات التعريب بالتوسع فى حركة الترجمة ، واغضب بهذا جميعه الانجليز اشد الغضب · كما بدت المهمة لوزير فرد يعمل فى وزارة خاضعة للانجليز والخديو مهمة صعبة بملاحظة العقبات السياسية والعقبات الفنية ازاء تغيير نظام استقر مدة خمس وعشرين سنة ·

ومن ناحية ثانية انشأ مدرسة القضاء الشرعى ، **وقد آثر عن محمد عبده انه قال : اما ان يصلح الازهر ، أو يسقط** ، وان كان يعمل لانشاء قسم قضائى متطور بالازهر ، فلما فشل أعد مشروعا بانشاء مدرسة قضائية شرعية منفصلة عن الازهر يتولى هو نظارتها ، ولكنه توفى قبل ظهورها · فلما عين سعد بعث المشروع وقام بتنفيذه (٣٦) . رغم انه لم يكن يدخل فى برنامج وزارته · واغضب هذا الكثير من شيوخ الازهر الذين وجدوا فى انشاء المدرسة اغلاقا لاهم ابواب العمل امام خريجى الجامع الكبير ، وتحديا لهيمنته على التعليم الدينى · كما اغضب الخديو الذى كان حريصا على دعم نفوذه على هذه المؤسسة الدينية العتيدة ، معارضا لاتجاهات الامام وتلامذته فى تعديلها حذرا من ان تمتد أيديهم اليها · فلما عرض المشروع على مجلس الوزراء برئاسة الخديو اعترض عليه ، فعارضه سعد فى حدة ظاهرة ، وضرب بيده المنضدة مخاطبا اياه باسلوب لم يألفه من قبل ، وانطوى له الخديو بهذا على الاستياء الشديد · ونجح سعد فى انشاء المدرسة وفى

---

(٣٣) عباس العقاد . المرجع السابق
(٣٤) حورانى — المرجع السابق ص ١٣٠ ... الخ
(٣٥) عباس العقاد . المرجع السابق ص ٨٩
(٣٦) رشيد رضا — المرجع السابق — ص ٥٥٧

حمايتها ضد مؤامرات الخديو . قال له حسين رشدى يوما « انت ياسعد لاتريد الا ابقاء مدرسة القضاء الشرعي وتريد محو الازهر » (٣٧) .

وان الاستاذ الامام عندما لاحظ الصدع الحاصل فى المجتمع بين المؤسسات التقليدية والحديثة فى الفكر والتعليم ، لم يلحظ ان علاج هذا الامر ، مهمة سياسية خليقة بأن تلقى معارضة كل من السلطتين الشرعية والفعلية . وتطوير التعليم الدينى خليق أن يستفز الخديو ، ويدفعه للمقاومة وتمصير التعليم الحديث خليق بأن يدفع الانجليز الى مقاومته .

وقد واجه سعد هذه المقاومة من الناحيتين . وحاول الاستفادة من الخلافات بين السلطتين مستندا على كرومر فيما يعارضه الخديو . ومعتمدا على الرأى العام الوطنى فيما يعارضه الانجليز . وكان اثناء عمله يميل الى الاتصال بالرأى العام شرحا لسياسته وادلاء بالاحاديث للصحف ، فكان أول وزير يعنى بهذا الامر (٣٨) . كما أكد الصفة التى اتفق الجميع على وجودها فيه وهى استقلال الراى والشخصية، وحقق فى علاقته مع الموظفين الانجليز ما أملته صحيفة اللواء ، وهو احياء سلطة الوزراء المصريين ، وذلك من خلال حوادث عدة جرت له معهم الزمهم فيها حدود « القانون » باعتبار أن سلطته كوزير عليهم مصدرها القانون . وكان بهذا يتحدى النفوذ البريطانى .

على أن حدود الخلافات بين الخديو والانجليز كانت ضيقة ، وكان هذا يحد من امكان المناورة الواسعة بينهما ، ويقلل من الامكانيات المتاحة لنجاح سعد واستقراره . ولكنه بقى فى الوزارة مع ذلك امدا محميا بالرأى العام من جهة ، ومستفيدا من قدرته على الانضباط ، وخاصة احترامه للاوضاع المقررة وما تفرضه عليه من حدود شأن رجل الدولة دائما . وأدى هذا الى ان يعدل الحزب الوطنى سياسته ازاءه فهاجمه بشدة متهما اياه بالخضوع للمحتل الاجنبى .

وزاد هذا الاتهام فى مناسبتين : **أولاهما** ان الوزارة فى مارس ١٩٠٩ أعادت العمل بقانون المطبوعات الرجعى القديم الذى يجيز لوزير الداخلية انذار الصحف وتعطيلها مؤقتا أو نهائيا . واعتبر ذلك ضربة موجهة ضد حرية الصحافة والحركة الوطنية والديمقراطية وسارت المظاهرات تعلن سخط الرأى العام على هذا الاجراء . وكان سعد وزيرا فى الوزارة فلحقه ما لحقه من هجوم الحزب الوطنى . **وثانيهما** ان الانجليز ضغطوا على الحكومة لتقبل مد امتياز شركة قناة السويس أربعين عاما بعد مدته التى تنتهى فى ١٩٦٨ ، مقابل مناصفة الارباح بين الشركة والحكومة . وهاج الرأى العام ضد المشروع ، وقاد الحزب الوطنى الهجوم على الحكومة ، فاضطرت لعرض الموضوع على الجمعية العمومية مفوضة اياها فى أمر الموافقة أو الرفض ، ورغم ان رأيها فى كل المسائل كان استشاريا بحتا . **ووقف سعد زغلول فى الجمعية يدافع عن مد الامتياز ، ولكن الجمعية رفضته بالاجماع .**

ولحق سعد فى هذا الموقف الكثير من النقد والتشهير . ذكر العقاد دفاعا عنه ان امر قانون المطبوعات كان محصورا بين الانجليز والخديو ورئيس الوزراء ، فلما علم به سعد عارضه ولم يقبله الا بعد تلطيف بعض قيوده . وانه كان معارضا لمشروع مد الامتياز فى مجلس الوزراء ، ولكنه قبل الدفاع عنه اذا فوضت الجمعية العمومية فى الفصل فيه ، فكان موقفه نوعا من المناورة اخرج بها المشروع من ايدى مجلس الوزراء فرفضته الجمعية (٣٩) . ويتفق كلام **أحمد شفيق** مع هذه الرواية ، وزاد عليها أن المعارضين للمشروع من الوزراء كانوا سعد زغلول وحسين رشدى وأحمد سعيد (٤٠) .

عاد سعد بعد ذلك الى التعليق على موقفه من قانون المطبوعات فقال للعقاد « انني من وجهة المبدأ أرى ان تقييد الكتابة غير جائز . أما الكتابة التى كانت حاصلة فعلا فى تلك الايام فغير الجائز فى نظرى ، وفى نظر غيرى هو تركها تتدهور الى الهاوية التى كانت تندفع اليها » . وعلق العقاد قائلا **ان سعدا فى هذه الفترة خضع لهجوم شخصى عنيف من الشيخ عبد العزيز جاويش (الذى رأس تحرير اللواء)** بعد أن خاب أمله فى أن يعين ناظرا لمدرسة القضاء الشرعى ، وذلك فى وقت كان سعد يحارب سياسة دانلوب فى التعليم ، ويناضل النفوذ البريطانى على الوزراء المصريين تحقيقا لامله ان تكون مصر للمصريين ، وان الشيخ جاويش كان تونسيا مشمولا بالحماية الفرنسية يدعو للخلافة العثمانية دعوة شقى بها زعيم الحزب الوطنى محمد فريد .

---

(٣٧) احمد شفيق — المرجع السابق ص ١١٢ : ٢٧٣ : ١٦٤

(٣٨) مقال الدكتور محمد ابوطايله . منشور فى كتاب عبرات الشرق على زعيم سعد زغلول — ص ١٩٣

(٣٩) عباس العقاد — ارجع السابق ص ١٣٢ .. الخ .

(٤٠) احمد شفيق — المرجع السابق ص ١٨٦ — ٢٠٥ — ٢٥٧

على أن عبارة سعد السابقة تظهر **موقفه الفكرى من مسألة الحريات** ، فهو مؤمن بها مبدأ . ولكنه يقف بها عند حدود ما تراه المصلحة بمنزع عملى صرف • وكان السياق الواقعى هو ما يملى عليه مواقفه • وهنا ايضا يتفق سعد مع استاذه محمد عبده • ذكر **الشيخ مصطفى عبد الرازق** ان الاستاذ لم يكن من انصار حرية القول والكتابة الا بمقدار ، وانه التمس سن قوانين الرقابة على المطبوعات خشية من انتشار الكتب « المشيعة للخرافات بين العامة » و « انتشار اللهجات السخيفة ،والموضوعات المؤذية للاخلاق ،وانه كان يميل للاستعانة بالقوانين النظامية على ضبط الاخلاق » (٤١)• وقد علق سعد على موقفه هذا فى الجمعية التشريعية قائلا : « كنت معارضا أولا فيه وفى اصداره (قانون المطبوعات) ؛ ثم اشتركت مع ذلك فى اصداره ، ثم ندمت على هذا الاشتراك • ولكن وقتما اشتركت فى اصداره كنت مقتنعا بانى لاحظت ظروفا يجب على ملاحظتها ، وشاهدت بعينى تطبيق هذا القانون ، واشتركت ايضا فى تطبيقه •• » وقال « كنت قاضيا وكنت وزيرا والان أنا عضو بينكم ، وأحس من نفسى ان **شعورى كان يختلفباختلاف مركزى •كان لى فى كل مركز شعور خاص •• هذا تاثير الوسط »** (٤٢) ، ويبدو من هذه الاقوال انه مع نقده لموقفه السابق علنا ، قد تطور فكره من مسألة الحريات الى مدى أبعد مما كان وهو وزير بعد أن لحظ بنفسه طريقة التطبيق لقانون ظنه وقتها مفيدا ، وادرك فى ذكاء **كيف تعمل آلة الحكم بصرف النظر عن نوايا الافراد العاملين فيها وعن معتقداتهم الشخصية ،وكيف يكون «تأثير الوسط»**

ولهذا جاءت معارضته فى الجمعية التشريعية لفرض رقابة الجهاز الادارى على الجمعيات التعاونية قوية ومؤثرة . وادلى بهذه الخبرة السياسية العملية من وجوب عدم الاعتبار بحسن نية رجل الادارة وما قد ينطوى عليه من فضل ، فالمهم هو حدود سلطته ، وطابع الوظيفة وأسلوب العمل• ودفعه هذا الى أن يصرف جهدا كبيرا فى رسم الاطر النظامية وتحديد الاختصاصات والوظائف بما يتيح من الناحية العملية أكثر الاوضاع حرية • كان يقول « نحن نحب الحرية ولكنا نحب ان تستعمل استعمالا مفيدا ، ان الدفاع عن الحرية •• نغمة لذيذة جدا يخسن وقعها فى الاسماع • ولكن هذا لا ينافى ان العبث لا يجوز الاشتغال به أو الالتفات اليه •• » (٤٣) ، ثم يبلور مفهومه عن الحرية بقوله « كل تقييد للحرية يجب ان يكون له مبرر والا كان ظلما •• » (٤٤) . **وكانت الحرية عنده ، تنظيم للعلاقات وتحديد للمؤسسات وتوزيع للسلطات • وكل ذلك يحتاج الى القانون الذى تضعه الهيئات النيابية ، وفى هذا يقدم مفهوما مكملا « نحن لاقوة لنا الا بالحق وباحترام القانون » (٤٥) •**

سياسة الوفاق

تقدمت الاشارة الى ان تباين سلطتى الخديو والانجليز والخلاف بينهما , ساهم فى التمييز بين مطلبى الثورة « الدستور والجلاء » ، وذلك فى ظروف كانت فيها الحركة الوطنية الديمقراطيه لا تزال فى مهدها . وقد نمت الحركة نموا اظهرته حادثة دنشواى ، وما تلاها من تجمع لعناصر المقاومة • وشاءت السياسة البريطانية أن تتدارك هذا الامر فى أوله • ورأى كرومر أن يكون التدارك بتجربة الاستعانة ببعض العناصر المعروفة بوطنيتها ، مثل سعد زغلول • ولكن ما لبثت السياسة البريطانية أن ذهبت الى اتجاه مخالف لرأى عميدها فى مصر ، فاستبعد كرومر وجاء مكانه الدن جورست يحمل « سياسة الوفاق » بين الخديو والاحتلال • وبدأ تنفيذها باطلاق يد الخديو فى اعمال الحكومة فاستقالت وزارة مصطفى فهمى المبغضة للخديو فى ١٩٠٩ وحلت محلها وزارة يرأسها بطرس غالى عين فيها من انصار الخديو محمد سعيد واحمد حشمت وحسين رشدى ؛ وتخلى الخديو عن مساندته للحزب الوطنى ، وتخلى الانجليز عن مساندتهم لمثل سعد زغلول •

وصف العقاد هذه السياسة بقولة : « انها تعنى تشتيت قوىالامة وتوحيد قوى الحكومة »• والحق ان توحيد قوى الحكومة لم يؤد الى تشتيت قوى الامة بل الى تقاربها ، فاتجه الحزب الوطنى الى سياسة مناوئة للخديو الذى اتفق مع الانجليز ، واتجهت العناصر المناوئة للخديو فى الاساس الى معارضة الانجليز بعدان انكشف ارتكاز الاستبداد المحلى على الاحتلال البريطانى • وكان من هؤلاء سعد زغلول • وبرغم بقاء الخلاف بينه وبين

---

(٤١) محمد عبده . الشيخ مصطفىعبد الرازق ص ١١٧
(٤٢) الجمعية التشريعية — المرجعالسابق ص ٢٨١ — ٢٨٣
(٤٣) الجمعية التشريعية — المرجعالسابق ص ١٠٢
(٤٤) الجمعية التشريعية — المرجعالسابق ص ٢٧ق
(٤٥) الجمعية التشريعية — المرجعالسابق ص ٥٢

الحزب الوطني ، قد كان مسار الحوادث الى التقريب بينهما . وقد ذكر أحمد شفيق انه عند تشكيل وزارة بطرس غالى قال جورست للخديو عن سعد ، « انه مستاء جدا منه بالنسبة لجفاء اخلاقه فهو متكبر وكلامه قاس مثل الحجر ، لكن اذا خرج مع الخارجين فربما يحصل منه مايسوؤنا ـ يعنى انه خائف من لسانه واعماله ـ فاذا استصوب الخديو يبقى مدة شهرين أو ثلاثة ثم تعمل طريقة لاخراجه (فرد الخديو) : ان بطرس باشا قال لى اذا طلب الانجليز ابقاء سعد فاتركه لى وانا اعرف ما افعله لخروجه » . (٤٦). وبهذا أصبح خروج سعد من الوزارة . نتيجة طبيعية لسياسة الوفاق . وقد نقل من وزارة المعارف الى الحقانية ، فلما توفى جورست وحل محله كتشنر ، ساءت العلاقات بينهما ، وفى أول ابريل ١٩١٢ شرع فى محاكمة محمد فريد زعيم الحزب الوطنى دون استشارة سعد فقدم استقالته وانتهى عهده بالوزارة .

سعد ضد الخديو والانجليز

فى ١٩١٣ انشئت الجمعية التشريعية كهيئة استشارية شبه برلمانية ، تتكون من ١٧ عضوا معينا ونحو ٦٦ عضوا منتخبا بانتخابات على درجتين ، ولها رئيس معين ووكيلان احدهما معين والاخر منتخب . وكان للقاهرة اربع دوائر انتخابية ، رشح سعد نفسه فى دائرتين منها (بولاق والسيدة زينب) فنجح فيهما معا واختار احداهما ، ثم أصبح هو الوكيل المنتخب وعدلى يكن الوكيل المعين .

واذا كان سعد ـ كما يقول **الدكتور ابو طايلة** ـ أول وزير يتجه الى الرأى العام بالاحاديث والتصريحات ، فقد كان فى المعركة الانتخابية ـ كما يذكر احمد شفيق ـ صاحب « أول بيان انتخابى فى تاريخ النيابة المصرية » . **يذكر هارولد لاسكى** « ان اجراء بسيطا يقرر ضمانة للمتهم فى الدفاع عن نفسه لهو أدخل فى معنى الحرية من كل العبارات العامة الرصينة التى وصف بها روسو الحرية » وبذات المنطق ينبغى ملاحظة اهمية هذا الاجراء البسيط الذى اتخذه سعد . وكان يمكن بمراعاة شخصيته البارزة ، ومواقفه السابقة ، ومعارضته للحكومة بعد خروجه منها ، ان يخوض الانتخابات بغير برنامج يقدمه ، فى ظروف لم توجد بها تقاليد تحتم عليه ذلك ، فكان اصداره بيانه فى ذاته حدثا يكشف عن موضوعية وفكر مستنير وايمان عملى بالديمقراطية . وجاء بيانه يتضمن خمس فقرات ، اثنتان منها تتعلقان بنشاطه التقليدى فى اصلاح قوانين المحاكم والتعليم ، وواحدة تتعلق بحرية الصحافة وضماناتها . كما مس الاوضاع الطبقية مسا خفيفا بالنسبة لتوسيع نطاق التعليم « ليتيسر لابناء الفقراء ان ينبغوا كابناء الاغنياء » . وبالنسبة لاحتياجات المزارعين بتسهيل الرى والنقل ودراسة اسعار القطن . كما يلاحظ على البيان تواضعه وحذره فى ازجاء الوعود ، وحرصه على الا يعد بتحقيق ما لا يستطيع ، فانحصرت وعوده فى دراسة المشاكل السابقة ومحاولة اقناع الاخرين واستمالة الحكومة وان يكون ذلك « ضمن الحدود القانونية » ، ومع صيانة النظام العام من ضرر شطط الصحافة .. الخ . ولاول مرة فى المعركة ـ كما يذكر العقاد ـ تسمع الخطب الانتخابية وتجرى الانتخابات بغير مساومات ولا شفاعات ولا توسل بجاه الحاكم أو بالعصبية . **وأيدت سعدا فى المعركة الاحزاب الثلاثة الموجودة . كما اكتسب فيها ثقة الناخبين من الاهالى وافراد الشعب ، اذ رفض معظم الفقراء منهم اغراء الحكومة لهم بالمال ليتخلوا عنه** . وكان كيتشنر يبذل جهوده فى العمل على اسقاطه ، وبعد نجاحه كثرت رسائل الجماهير الى الصحف ، تحبذ ترشيحه لوكالة الجمعية ، أو تنصحه بالرفض حرصا على الا يقيد المركز حريته فى العمل (٤٧)، وهذا يدل على ما تعلقت به من آمال الجماهير فى معارضة السلطتين الشرعية والفعلية المندمجتين .

وأرسل محمد فريد الى رجال حزبه من منفاه يطلب اليهم ان يجتهدوا فى ادخال سعد لجنة الحزب الادارية ، وانتخابه وكيلا للحزب ، وكتب فى مذكراته ان الاخبار تنبىء عن السعى لتشكيل حزب معارضة فى الجمعية التشريعية يكون تحت رياسة سعد زغلول (٤٨) .

وبدأت بهذا تحوط سعدا سمات الزعامة القومية ، تؤيده الجماهير وتتعلق آمالها به وتلتقى عنده تيارات سياسية مختلفة . وبدا هو قادرا على ضم الصفوف اليه وربط الجماهير به .

انعقدت الجمعية التشريعية خمسة أشهر حتى عاجلتها الحرب العالمية الاولى فاوقفت . وكانت الجمعية واهنة السلطة ضيقة الاختصاص ، ولكن سعدا استطاع أن يلتقط بعض المسائل ، وان يثير

---

(٤٦) احمد شفيق ـ المرجع السابق ص ٢٧٢ ـ ٢٧٣
(٤٧) احمد شفيق ـ المرجع السابق ص ٣٠٤ .
(٤٨) كفاح شعب مصر ـ محمد صبيح ص ٣٩٩.

من خلالها ، مع مراعاة الحدود القانونية لعمله ولوظيفة الجمعية ، جملة من المبادىء السياسية التى تتخطى حدود الوضع السياسى القائم برمته ٠ وسلك فى هذا سبيل المحامى المترافع، المعتمد على القوانين والتشريعات القائمة المهتم بالجزئيات والتفاصيل ٠ وكان يعلم ان ليس شيئا مما يطالب به يمكن أن تقبله الحكومة ، وأنه يتخذ الجمعية منبرا لمخاطبة الرأى العام ، فكانت احاديثه تتجه الى الجماهير فى الاساس ، وبهذا تجاوز دوره فى كل مراحله السابقة ، دور المصلح المتحرر ، الى دور المناضل السياسى المتجه الى الجماهير ٠ وكانت هذه نقطة التحول الاساسية فى حياته وفى صلته بالجماهير ٠

ولكنه حتى فى هذا الموقف ، لم يتجرد من طابع « رجل الدولة » الشغوف بوضع الانظمة وبناء المؤسسات ، المهتم بالجانب التنظيمى العملى ، لجانب الدعوة السياسية العامة . كما كان يتبع ذات اسلوبه السابق ، فى الدعوة الى «القانون» والنظام ، مع تحويل هذين المفهومين لصالحه ، ومع تجريد معارضيه من القدرة على الاحتماء بالقانون ، أى العمل على كسب الشرعية لصالحه وحرمان خصومه منها ٠ ويمكن تلخيص مواقفه فى الجمعية بانه طالب باشياء وأعلن عن مبادىء من شأنها تغيير النظام القائم بغير أن يصرح بذلك ، وفعل هذا باسم « الحق والقانون » ٠ كما يمكن ملاحظة ان مواقفه كانت تتسم بالانضباط والخضوع فى العمل للتقاليد المرعية ، وللضوابط الموضوعة ، والمناورة بغير تعسف ولا لجاج . وبهذا استطاع ان يورط خصومه فى الجنوح الى الفوضى والضوضاء واعمال الاستفزاز والمقاطعة والظهور بمظهر التعنت بغير ان يلحقه هو شىء من ذلك ، وبغير ان يشتت جهده فيما لا يفيد ٠

● كانت الحكومة ترى ان يكون الوكيل المعين هو من يرأس الجمعية اذا غاب رئيسها ، ابعادا لسعد عن رئاستها فى هذه الحالة ، ولم يكن فى قانون الجمعية ما يقطع فى هذا الشأن ٠ والتقط سعد هذه النقطة مدافعا عن اولوية الوكيل المنتخب وعن « حقوق الامة وحقوق الجمعية » ، ودافع عن « حق الامة » ضد « قوة الحكومة » بذات الطريقة التى تحدث بها الليبراليون فى فرنسا عن « الحق » حق الشعب والمجالس النيابية ، « والقوة » قوة السلطة التنفيذية ، واستفز لدى اعضاء الجمعية نوازع الشعور الاستقلالى بصفتهم وكلاء عن الامة ، « انى فى هذا الموقف ادافع عن شرفى وشرفكم ، اذا قبلتم نظريتى كانت اصلح لى ولكم وللصالح العام » ، «رأى نافع لكم نافع للحرية مؤيد لسلطتكم» ، « نحن نبكى وندافع مادام حقنا يعتدى عليه ، ويجب علينا ان ندافع عنه مهما كان الآخذ له ، ولو سكتنا عن الدفاع عن حقنا لكنا مجرمين » . وهو فى دفاعه عن الحق يحتمى بالقانون « اننا قوم مسالمون وطلاب حق وبحاث مصلحة لا اننا مشاغبون كما

ودرو ولسن

عرف العالم بعد الحرب العالمية الاولى اسم ودرو ولسن رئيس الولايات المتحدة الامريكية مقرونا بالمبادىء الاربعة عشر وعصبة الامم الشهيرة ٠

وكان دخول ولسن عالم السياسة فى بداية القرن الحالى ، عندما كلف ولسن بوصفه استاذا للاقتصاد بجامعة نيوجرسى بالدعاية لمشروع البنك « الاحتياطى الفيدرالى » ، الذى يقضى بوضع كافة الاموال الاحتياطية للدولة بين أيدى عدد من اقطاب المال والاعمال الامريكيين هم اصحاب البنك من اجل تحقيق الاشراف والسيطرة على كافة الموارد المالية للدولة ووضعها فى خدمة المخططات العدوانية للامبريالية ٠ وقد كوفىء ولسن على جهوده بتعيينه محافظا لولاية نيوجرسى ٠ وفى عام ١٩١٣ وقع ولسن بصفته رئيسا للولايات المتحدة على قانون البنك الاحتياطى الفيدرالى ٠

وفى عام ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الاستعمارية الاولى ٠ وظلت الامبريالية الامريكية تتحين الفرصة للاشتراك فيها ، وبعد أن اشبعت نهمها من طريق بيع الاسلحة للفريقين المتحاربين قررت الدخول فى الحرب فى سنتها الاخيرة حليفة لبريطانيا وفرنسا ، بعد أن مالت كفتهما الى الرجحان وحتى تضمن الحصول على نصيب من المستعمرات الالمانية والعثمانية ٠ وقدم ولسن الى الشعب الامريكى المبررات للاشتراك فى الحرب تحت ستار الدفاع عن الديمقراطية وضد قيام الدكتاتورية ، والعمل على ايجاد عالم يسوده الامن والسلام الدائم بعد انتهاء الحرب - ومن جهة اخرى كانت الامبريالية الامريكية تسعى لفرض زعامة سياسية واقتصادية على العالم ترتكز على سياسة الباب المفتوح بدلا من الاحلاف والتكتلات الاوربية ٠

وفى يناير ١٩١٨ وبعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ ، التى قامت بتحرير المستعمرات الروسية القيصرية ، ونادت بحق تقرير المصير للشعوب المضطهدة الاخرى ، بادر ولسن الى اعلان مبادئه الاربعة عشرة فى محاولة لجذب أنظار الرأى العام العالمى وخاصة شعوب المستعمرات بعيدا عن الاتحاد السوفيتى ، ومفهوم العلاقات الدولية الجديدة التى جاءت بها الثورة الاشتراكية ٠

وكانت مبادىء ولسن تتحدث عن حق الامم فى تقرير مصيرها واختيار الحكم الذى يرضيها وانهاء عصر الحروب والفتوحات الاستعمارية ٠

واحدثت هذه المبادىء تأثيرها فى المستعمرات والبلدان التابعة ، واستقبلتها الطبقة الوسطى فى مصر بتفاؤل شديد . ووجدت فيها قيادة الوفد سندا دوليا يعتمد عليه فى تحقيق «الاستقلال والجلاء» فارسل الوفد الى ولسن يحيى مبادئه ويعرض عليه المسالة المصرية ويطلب منه التدخل للسماح للوفد بالسفر الى باريس لحضور مؤتمر الصلح ٠

لكن لم تكد تمر اشهر قليلة حتى تكشفت للمصريين حقيقة الخدعة الامبريالية . ففى ابريل ١٩١٩ اعترفت امريكا بالحماية البريطانية على مصر ، كما وافقت على وضع فلسطين وشرق الاردن تحت الانتداب البريطانى ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب ٠

وحاول سعد زغلول ان يقابل ولسن ، ولكن طلبه قوبل بالرفض . وفى هذا يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى : « ان الثورة فى مصر صدمت صدمة شديدة . وكانت الامة تعلق على قبول مبادىء ولسن آمالا كبيرة ، فجاء اعترافه بالحماية مخيبا للآمال » ٠

ارجف بنا المرجفون »، ويحاول أن يجرد الحكومة من حماية القانون « لا يخدعنكم هذا (موقف الوزراء) فهم سياسيون الآن لا قانونيون » ، « القانون يعطى الامة حقا لا لان تستعمله بل لان يكون زينة ... انا لا أرضى أن الاستخفاف بالامة يبلغ الى هذا الحد» .ثم ينبه الجمعية الى أن لها أن تعزل رئيسها ووكيلها المعين بصفتهما عضوين فيها . فلما هاجت الحكومة وانصارها ضد هجومه وتقريعه ، وكتلت أغلبيةمن الاعضاء تنصرها عليه ، انسحب وانصاره من الاجتماع (وكانوا ٢٨ عضوا) ليبطل اجتماع الجمعية بغياب اكثر من ثلث اعضائها ، وبرر ذلك « انسحابنا كان لاننا أبينا ان يخالف القانون ضدنا » .

● وعرضت ميزانية الاوقاف على الجمعية ، فطعن ببطلان تكوين وزارة الاوقاف لان الخديو كونها بغير استشارة الجمعية .واستغل الفرصة ليتكلم عن حدود سلطات الخديو . قيل له ان الخديو صاحب السلطة فأكد ان الجمعية ـ رغم ضعفها ـ شريكته فى التشريع وان الخديو لا يملك صفته كحاكم الا باشتراك القوى التشريعية معه . قيل ان اختصاص الجمعية منحة ، فرفض قائلا انه « ضمانة لحسن نظام واتقان العمل ومنع العبث بالمصالح » . وانه اذا كان اختصاص الجمعية ضعيفا فهو احق بان يصان لا ان يعبث به . قيل له ان تكوين الوزارات فى اوروبا يملكه رئيس الدولة وحده ، فرد قائلا « عجبا لكم ! تستدلون بنظام ليس عندنا منه الا شيء قليل ! اعطونا النظام باكمله واستدلوا كما شئتم .... (هناك) لو أن الرئيس اصدر امرا مخالفا لنظامهم لاسقطوه منعرشه». وقيل له ان الخديو صاحب السلطة على الاوقاف بالذات ، فقال انه يستمد سلطته عليها من القاضى الذى يعينه ناظرا ، فقيل ان الخديو يملك عزل القاضى فلا يتصور ان يستمد منه سلطته ، فقال « يمكنكم ان تعزلوه بالقوة اما نحن الان فاننا نتكلم بالقانون » . وكان لحديثه وقع عنيف على الحكومة فاتهمته بالاضرار بالبلاد والشغب ، وتبرأ بعض الاعضاء من حديثه فقال ان المطالبة بالعدل واحترام الحقوق لا يضر بالدولة ، وانه ان تكلم عن الخديو بحرية ، فهو مسئول عن كلامه . وكانت فى عباراته نبرة من التحدى لم تقع بهذه القوة من قبل فى سمع الخديو « امير البلاد وولى النعمم » .

● وفى مناقشة مشروع قانون الجمعيات التعاونية انتهز الفرصة للحديث عن سلطات الحكومة وحدودها وسلطة المحاكم وما تكفله من ضمانات ، وعن حرية تكوين الشركات والجمعيات . وكان حديثه تطبيقا مباشرا لمبدأين هما حرية تكوين الجمعيات ، ومبدأ الفصل بين السلطات وتوزيع الاختصاصات بين السلطة التنفيذية والسلطة القضائية ، وما يكفله ذلك من ضمانات للحرية .وهذا هو المبدأ الليبرالى العتيد فى تنظيم الدولة . ومما يستحق الالتفات ، **انه عارض ان يكون للحكومة سلطة حل الجمعية التعاونية، وطالببان يترك ذلكللمحاكم** ، ووصف اقتراح الحكومة بأنه سلب للسلطة القضائية ، **ولكنه فى الوقت نفسه تشدد اكثر من الحكومة فى الحرص على منع الجمعيات التعاونية من الاشتغال بالسياسة** ، اذ كان اقتراح الحكومة يتعلق بمنع الجمعيات من الاشتغال بالسياسة « اشتغالا يضر بالامن العام » فطالب ان تمنع من الاشتغال بها اصلا « سواء كانت سياسة مباحة او ممنوعة » وكان هذا منه نظر حصيفباعتبار ان الجمعيات التعاونية مؤسساتاقتصادية ،وان العملالسياسى وظيفة الحزب ، وباعتبار ان الضمانة الاساسية للجمعيات لافى ان تعمل بالسياسة ، ولكن فى الا تستبد الحكومة بتكوينها وحلها والا فقدت الجمعيات استقلالها وسيطرت عليها حكومة يسيطر عليها الاحتلال وحكم الخديو الاستبدادى ، كما ان جواز اشتغالها بالسياسة « المباحة » يعنى ان تتخذها الحكومة ركيزة لها فىالعمل السياسى فى الريف ، وباعتبار **انكان مايسيطر على تفكيرسعد هو فكرة توزيع السلطات والاجتزاء من السلطة التنفيذية (القوة) لصالح ((الحق))** . وهنا تبدو منه عقلية عملية تنظيمية لا ترى الامور الا من خلال سياقها الواقعى . والحرية لديه تنظيم للعلاقات واقرار للضمانات الفعلية وتوزيع للاختصاصات والسلطات .

● وقد اقترحتالحكومة توسيع سلطةمجالس المديريات ، فعارضها سعد كاشفا عما فى ذلك من التضليل بالديمقراطية ، لان المجالس غير قادرة على الوقوف موقف المعارضة من رؤسائها المعينين ومن الحكومة . وجاء هذا القول منه دالا على ابتعاده بالنسبة للديمقراطيةعن اسلوبحزب الامة القديم الذى كان يرى التدرج فى البناء الديمقراطى ، والبدء بمجالس المديريات وتوسعة اختصاصاتها تدريجيا . كما جاء قوله يحمل ذات الابتعاد عن منهج الاصلاح الديمقراطى التدريجى الذى نادى به الشيخ محمد عبده .

يذكر الدكتور أبو طايلة ان سعدا جعل للجمعية على ضيق اختصاصها مقاما كمقام البرلمانات الكبرى . « وما بلغ ذلك الا بارتكازه على رأى عام خارج الجمعية كان يردد صوته ويؤيده اصدق التأييد » (٤٩). وذكراحمد بهاءالدين أن انتصار

---

(٤٩) عبرات الشرق ص ١٩٢.

سعد كان ساحقا خارج الجمعية ، وتعلقت به قلوب الناس ، وانه لما اشتبك معه احد الاعضاء امتلأت جدران الجمعية الخارجية في اليوم التالي بالمنشورات السرية (٥٠) . وبهذا أصبح سعد الجمهور ، واصبح ضده الخديو والانجليز ، اذ غاظهم بقسوة حملاته واذ توقعوا الشر مما بدا في الافق من ظهور زعامة قومية جديدة تتجمع حولها الجماهير . وفكر كيتشنر قبل الحرب في حل الجمعية أو الغاء نظامها كله (٥١) .

سعد والثورة

قامت الحرب العالمية الاولى ، وأعلن الانجليز الحماية على مصر وعزلوا الخديو عباس وأحلوا محله السلطان حسين ثم **السلطان فؤاد** . وتشتت العمل الوطني تحت ضغط قيود الحرب ، وامسك الانجليز سلطة الحكم المستبد كله في أيديهم .

وعانت العناصر السياسية من النفي والتشريد والاعتقال ، وعانت جماهير الشعب من القمع والارهاب ، وانطلقت قوات الاحتلال في المدن والريف تستولي على المحاصيل والدواب والاموال ، وتقتنص الشباب ترسلهم الى جبهة القتال . وانكشف عمل الانجليز عن أسلوب في الحكم مطابق لحكم المماليك والعثمانيين ، وانكشف كذب دعاية الاحتلال عن استنارة الادارة البريطانية ، أمام اكثر العناصر تخلفا . ويمكن ان يتصور أثر هذا الوضع على الجماهير بعدان نما وعيها السياسي وازدادت تماسكا ، كما يمكن ان يتصور أثر ذلك في تفكير سعد زغلول الذي عرف بكراهته الاستبداد والحكم المطلق منذ ثورة عرابي وتلمذته على الاستاذ الامام . واذا كانت سياسة الوفاق قد دقت اسفين الصراع المكشوف بين سعد والانجليز ، فلا شك ان اعلان الحماية واجراءات السلطة البريطانية خلال الحرب قد ابلغ هذا الصراع الى قمته . واذا كانت سياسة الوفاق قد قاربت بين هدفي الثورة وبين القوى الوطنية الديمقراطية ، فقد أدت الحماية الى التحامهما معا .

ومن جهة أخرى ، فان سعدا رغم زيادة اتصاله بالرأي العام منذ خروجه من الوزارة ودخوله الجمعية التشريعية ، فقد كان غير مدرك لكل الطاقات الكامنة لدى الجماهير ، لذلك لم يكن جازما بمجيء الثورة ، ولكنه بملكة التصور العملي ، كان يدرك جازما أنه لابد لمجيئها من قارعة تشعل نيران الغضب ، **وكان يرى ان الثورة عمل شاق في بلد أعزل موهن بالاعباء مشحون بالجند والسلاح والارصاد وان مايفجرها** « هو شعور الناس بالاختناق والتماسهم المنفس للجهر بآرائهم » (٥٢) . ولا شك ان الاستبداد البريطاني خلال الحرب قد ابلغ القلوب الحناجر ، وان كان هذا منبئا بما يمكن ان يحدث بعدها .

ومن جهة ثالثة ، كان للمبادىء التي اعلنها **الرئيس الامريكي ولسن** قرب انتهاء الحرب عن حق الشعوب في تقرير مصيرها ، صدى عميقا لدى الحركة الوطنية المصرية برمتها ، ولدى سعد أيضا ، وانطلقت محركات الامل في تحقيق الاستقلال التام . واتفقت هذه المبادىء لدى سعد مع جملة من افكاره التقليدية والمتحررة ، وصفها في أول خطبة وطنية له بعد الحرب في اجتماع انعقد بمنزل حمد الباسل ، بأنها تتفق مع الوصايا الدينية وقواعد الفلسفة والاخلاق وربط بينها وبين مبادىء الديمقراطية ، وادرك مع غيره ان انتهاء الحرب ينبىء بظهور تناقض بين الدول الكبرى يمكن ان تستفيد منه الحركة الوطنية في صراعها ضد الحماية البريطانية . وتربص مع غيره انتهاء الحرب .

على انه من الناحية المقابلة ، خرجت بريطانيا من الحرب منتصرة مزهوة ، وبدت بالنصر قوية مهيمنة تعمل في الميدان الدولي لتثبيت « سلام بريطاني » يسود العالم وتسود به العالم .

بهذا بدات الخطوات الاولى حذرة متربصة ، تتحسس الطريق ، ظهر هذا في حديث سعد الشهير مع المعتمد البريطاني **وينجت** في ١٣ نوفمبر ١٩١٨ غداة اعلان انتهاء الحرب . **اذ طلب مع عبد العزيز فهمي وعلي شعراوي** التصريح لهم بالسفر الى بريطانيا للمباحثة في شأن استقلال مصر ، وذلك باسم المبادىء الحرة التي تنادي بها الامة البريطانية العظيمة ، **وقال سعد له « لانلتجيء هنا لسواك ، ولا في الخارج لغير رجال الدولة الانجليزية »** (٥٣) ، وكان هذا اشارة حذرة الى امكان الاتصال بالدول الاخرى والخروج بالمسألة المصرية عن نطاق العلاقات الثنائية مع بريطانيا ،

---

(٥٠) ايام لها تاريخ ص ١١٤ — ص ١٧٤.

(٥٢) العقاد — المرجع السابق — ص ٢٣٩

(٥٣) العقاد — المرجع السابق — ص ١١٩.

فى وقت تعمل فيه هذه الدول على اقتسام غنائم الحرب ، وتتوقع فيه انجلترا ان تثور امامها المشاكل فى مؤتمر السلام • وأصر سعد على طلبه باسم التمسك بمبادىء الحرية الشخصية التى تمنع مصادرة حقه فى التنقل • ولم يكن هو من السذاجة بحيث يؤمن بما يقوله للمعتمد البريطانى ، وما لبث أن أفصح عن قصده فى خطبه اللاحقة ، وهو أن القصد من السفر عرض الموضوع على الرأى العام البريطانى ، اذ كان يأمل فى ضغط حزب العمال على الحكومة هناك تأييدا لمطالب مصر ، كما كان المعروف أن القصد من السفر اثارة الموضوع فى مؤتمر السلام واحراج بريطانيا والضغط عليها •

وما لبث الموقف ان تصاعد ، ويظهر من تتبع الاحداث أن سعدا ، كان يدفع الموقف الى التأزم والتوتر متخذا خطة الهجوم ، وكثرت خطبه واتسمت بالحدة المتزايدة يعلن فيها أن الحماية « **أمر باطل بطلانا أصليا أمام القانون الدولى** » ، **وشدد حملته على الانجليز ، وكان واعيا بما يفعل ، فقد روى أنه قال : « اما أن يدعونا نسافر أو يقبضوا علينا ، والا فهم يتركوننا نموت فى مواضعنا** » (٥٤). وكان ماشاء ، اذ اعتقل هو وبعض أصحابه ونفوا فى ٨ مارس ١٩١٩ ، وكان هذا شرارة الثورة التى انفجر بها لهيب الشعب فى ٩ مارس •

دور سعد

ليس من مهمة هذا المقال تتبع أحداث الثورة ، ولكنه محدود النطاق فى بيان الفكر السياسى لسعد زغلول ، ويصعب اجلاء هذا الفكر فى ظروف يندمج فيها الفرد كلية فى التيار الجارف لحركة الشعب الثائر • يصف تروتسكى العلاقة بين الفرد والثورة فى قوله « ان الناس ينفعلون انفعالا مختلفا اذا دغدغوا،ولكنهم ينفعلون انفعالا متشابها اذا تعرضوا لحديدة محماة ، وكما تحول المطرقة البخارية المكعب والكرة على حد سواء الى صحيفة معدنية ، هكذا تنسحق المقاومات وتضيع حدود الشخصية الفردية تحت ضربات الاحداث العظمى ذات القوة التى لاترحم » •

والحديث عن المطالب الوطنية والديمقراطية للثورة ، أمر لايمكن نسبته لسعد وحده ، انما ينظر الى مقالاته فى هذا الشأن كعنوان للثورة ومطالبها ، وصلابته هى انعكاس لمدى صلابة الحركة الشعبية ، وما يعلنه من تنازلات ثانوية أو مرحلية ، انما يستجيب به الى الامكانيات الموضوعية الداخلية والخارجية وحدودها ، بمعنى أنها أحداث وليست مجرد فكر سياسى • ويكفى القول أن سعدا كان خلال الثورة معبرا عن مطالب الجماهير وأهدافها ، والا ما أصبح زعيما لها • وأنه لم يفرض زعامته على الثورة وعلى الشعب ، ولم يكن فى مقدوره أن يفعل ، ولكنه كان بناء سياسيا وشخصيا صالحا لان يقف على راس الجماهير فى حركتها ،ولان تختار هى العمل تحت على الحركة الشعبية ويستوعبها ، وأن ينفتح زعامته ، وأنه مع الاحداث كان مؤهلا لان ينفتح على التيارات الوطنية والديمقراطية المختلفة ،وأن يجعل الكتلة الكبيرة منها ترضى به وتلتقى عنده وأن يسلك سبيلا يراعى به جوانب الاتفاق فى الحركة الوطنية ، ويبلورها ويعبر عنها ، والا يتراخى تراخيا تسبقه به الجماهير أو احدى كتلها الواسعة ، وألا يقفز بعيدا بما يقطع أواصر ارتباطه بها • وكانت الاحداث مع تكوينه السابق هما ما أهلاه للزعامة ، وكان قبول الجماهير له ــ بالضرورة ــ اختيارا حرا لم يفرض عليها بضغط ولا بنفوذ مادى •

أما من جهة مسار الثورة وحركة الجماهير ، فهذا يتعلق بتقدير الامكانيات الموضوعية المتاحة وقتها • وهو أدخل فى التاريخ منه فى الفكر السياسى لزعيم • وبكلمة عامة فان ثورة ١٩١٩ رفعت شعارات عن الاستقلال التام والديمقراطية ، كانت تتخطى الكثير من الشعارات الوطنية التى رفعتها حركات أخرى فى بلاد أخرى وقتها ، وكانت أكثر طموحا وأوضح أهدافا • كما كان كفاح مصر كفاحا رائدا افتتحت به حركات شعوب الشرق بعد الحرب الاولى،وكانت تجربتها تجربةذات اشعاع والهام • فاذا كانت لم تحقق أهدافها كلها فى هذا الوقت ، فيكفى القول أن الاستعمار كان مستبدا بخمسة أسداس الكرة الارضية وقتها ، وان لم يكتب الانتصار الحاسم لحركة وطنية أخرى خلال ذات الفترة • وأن مصر حققت بثورتها هذه ــ التى مضى عليها خمسون عاما الان ــ الكثير من التقدم سواء فى علاقتها بالاستعمار أو فى بناء أسس الحياة الديمقراطية فى الداخل ، أو فى التطور الاقتصادى • وعلى قدر ما أنجزت الثورة يمكن أن يقدر دور زعيمها فى الظروف الموضوعية ،وضمن السياق التاريخى العام لمصر والعالم •

وثمة نقاطا أربعا يمكن الاشارة اليها تتعلق بدور سعد زغلول فى هذه الفترة :

---

(٥٤) العقاد ــ المرجع السابق ــ ص ٢٢٢.

أولا : يظهر موقفه الشخصي ، عندما أعرض مؤتمر السلام والرئيس ولسن عن مناصرة مصر واعترفوا بالحماية عليها · وأدى هذا الى جنوح معظم رجال الوفد وقتها ممن يمثلون كبار ملاك الارض الى مهادنة الانجليز ، والتمهيد لتسوية الخلاف معهم ، على أن سعدا قفزت عيناه من الخارج الى الثورة الملتهبة في مصر · ولم ييأس من فشل مساعيه الدولية ، ولكنه ارتد الى مصادر القوة الذاتية للحركة الوطنية ، وهي حركة الشعب .وبقي متشددا في موقفه ،يدير المعركة في مصر من باريس ضد الانجليز ، وضد من تخلوا عن الثورة من زملائه ، وصاروا من اعدائها . وقد شهد جورج لويد المندوب السامي البريطاني بمصر فيمابعد في كتابه «مصربعد كرومر» بأن اعراض الجماعة الدولية عن مناصرة مصر لم ينجح الا في اقناع سعد بأن المعركة تجرى في الارض المصرية لا في غيرها · واستغل فرصة وجوده بالخارج ووجود جماعة المنشقين معه بعيدا عن مصر ، في أن يحكم اتصاله بالوفد في مصر عن طريق **عبد الرحمن فهمي ومصطفى النحاس وغيرهما من الشباب** ، وأن يعزل هؤلاء المنشقين عن الحزب العامل في البلاد ويكشف مناوراتهم ،ويجنب الحركة الشعبية أثر تهادنهم ، ويقطع صلاتهم بالحزب ، حتى اذا خرجوا بعد ذلك خرجوا أفرادا لم يمس خروجهم كيان الحزب ولا يمس وحدة الحركة الشعبية ·

كما يلاحظ من خطبه بعد ذلك ، أنه كان ينظر للمسألة الوطنية في ارتباطها بالديمقراطية ،وكانت شروط التفاوض التي يتقدم بها دائما تتضمن اعلان الاستقلال التام عن الانجليز ، والغاء الاحكام العرفية في الداخل ، وعرض نتيجة المفاوضة على الشعب قبل اقرارها · فسر **الاستقلال مرة بقوله انه يعني « خروج الانجليز من البلاد وحكمها بأهلها دون غيرهم »** (٥٥) ، وهذا شعار « مصر للمصريين » العتيد ، وبهذا كان الاستقلال والديمقراطية ، كل منهما هدف للاخر ووسيلة ·

ثانيا : سبقت الاشارة الى حديث سعد عن التناقض بين «القوة» و «الحق» ، قوة الحكومة وحق الشعب · وقد ردد ذات الكلمة في ثورة ١٩١٩ في بيان أرسله لمصر من الخارج ، فقال في « قوتهم » ارغامنا على النظام الذي يريدون ، وأن تعترف به الدول الاخرى ، ولكن « حقنا لايضيع بهذا الارغام ولا بهذا الاعتراف » · ويظهر بهذا تصور سعد عن « الحق الاعزل » « القوة الظالمة » ، ويصور هذا طابع الكفاح « السلمي

المشروع» والتحدي الذي تقابله الحركة الشعبية غير المسلحة أمام استبداد يمسك السلاح · وكانت مصر تعج بالمظاهرات من أقصاها الى أقصاها ، والاستعمار والحكومات الرجعية تفرغ الرصاص في صدور المناضلين · على أن الثورة بقيت رغم ذلك واستمر اندفاع الجماهير في المطالبة بحقها ، فصارت صيغة الصراع بين الحق والقوة صيغة نضالية مفعمة بالثقة في ظهور الحق ، وشاعت عن سعد عبارة أصبحت من شعارات الوفد التي يكثر ترديدها « **الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة** » ، ولم يقصد سعد الواقعي بأولوية الحق

مؤتمر الصلح

بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى واعلان الهدنة في نوفمبر ١٩١٨ عقدت الدول الاستعمارية في باريس المؤتمر الذي سمي بمؤتمر الصلح . وحاولت دعايات الدول الاستعمارية ان توهم شعوب المستعمرات والبلدان التابعة بأن هدف المؤتمر تقرير حق الشعوب في مصيرها ، لكن المؤتمر اتجه الى تكون مخططا جديدا لاعادة تقسيم التركة الالمانية العثمانية ، ولاعادة تقسيم وتوزيع اسواق المستعمرات ومصادر الخامات بين المجموعات الاحتكارية في البلدان الامبريالية . وتحت ستار نظام جديد هو نظام « الانتداب » اعيد تقسيم المستعمرات والبلدان التابعة .

وفي ٢٨ يونيو ١٩١٩ تم توقيع معاهدة فرساي للصلح ، التي تنص على تجريد المانيا وتركيا من مستعمراتهما السابقة ، كما تضمنت التصديق على اعلان الحماية على مصر . وقد نشب الخلاف داخل المؤتمر حول توزيع الاسلاب بين بريطانيا وفرنسا من ناحية وبين الولايات المتحدة الامريكية من ناحية اخرى . وهو الامر الذي حدا بأمريكا الى رفض التصديق على معاهدة الصلح ورفض الاشتراك في عصبة الامم .

وكانت روسيا هي الدولة الكبرى الوحيدة التي تخلفت عن حضور المؤتمر ؛ وذلك بسبب انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، وموقف الاتحاد السوفياتي من الغاء المعاهدات السرية ومعارضة السياسة الامبريالية لتوزيع المستعمرات . وفي نوفمبر عام ١٩١٩ هاجم لينين نظام الانتداب الجديد قائلا : انهم حين يتحدثون عن توزيع الانتداب فيما بينهم للاشراف على المستعمرات فان هذا لا يعني الا توزيع حق النهب والسلب ، توزيع حق استغلال غالبية سكان العالم من جانب اقلية تافهة .

(٥٥) مجموعة خطب سعد باشا زغلول الحديثة ، ص ٨٧

هذه ، أن للحق قيمة غيبية تفترض انتصاره فى ذاته ، ولم يدع الى التواكل انتظارا لنصر يأتى وحده • ولكنه كان يفرغ فيه معنى عمليا واضحا فى حدودمايراه من امكانيات متاحة ، وفى حدود الكفاح السلمى المشروع • ذكر فى رسالته السابقة أن مايعنيه من أن الحق لن يضيع « أن نبقى **مطالبين به ساعين اليه : وأن نجتهد فى تلمس مايكون موجودا وما يظهر مستقبلا من ثغرات فى جبهة الخصم ،كالصراعات بين الدول ،وصراعات الشعوب ضد حكوماتها : وأن نعمل على أن تبقى جبهة الثورة متشددة مستمسكة ليعلم الجميع « أن مصر متحدة تمام الاتحاد على الوصول الى استقلالها التام »** • بهذا يؤكد حرصه على الاستفادة من ضعف جبهة الاعداء ، وعلى ضم الصفوف حتى لايتيح للاعداء الاستفادة من الخلافات فى صفوف الثورة .ومن هنا كانتركيزه على الاتحاد •

ومن ناحية أخرى ، بدت القيمة النضالية لمفهوم « الحق » و « القوة » فى ظروف الكفاح السلمى المشروع • فى العمل الدائب على تجريد الحكومة والاستعمار من أية شرعية تستر وجودهما ، وتعريتهما من أى تبرير معنوى يمكن به للجماهير أن تسيغ هذا الوجود ، والحفاظ على الوعى متيقظا وعلى الروح الوطنية والديمقراطية نقية غير مستعمرة ولا مستعبدة ، وعندما ينجح فى تجريد الحاكم من كل قيمة معنوية ، تصبح قوته قوة عارية صماء ، ويظهر بمظهر العدوان السافر وتبدو سلطته جرما بحتا • وكان قمة ما وصل اليه هذا الامر أثناء الثورة ، هو ارتفاع شعار المقاومة السلبية وعدم التعاون مع سلطة الاحتلال • فبقيت مصر فترات لايجرؤ أحد أن يتولى حكومتها ، وانتشرت المقاومة السلبية انتشارا وجدت به سلطة الاحتلال نفسها حكومة بغير محكومين • وكان مؤدى هذا الاسلوب ، أنه اذا كان الحق يحتاج الى القوة التى تنصره ، فان القوة تحتاج الى الحق الذى يبررها أو الى مجرد مظهره • واذا لم يمكن للتحرك الشعبى الاعزل أن يطيح بالسلطة البريطانية المسلحة الحاكمة ، فهو قادر على هجرها سلميا بأن ينسحب البلد كله منتحتها • وبهذا بلغ الكفاح السلمى قمته النضالية والثورية وقتها •

تجسد هذا الاسلوب فى شعارات تنادى كل مصرى ألا يتعامل مع أى انجليزى ، فلا يشترك مصرىفى الوزارة ولا يتلقى الموظف أمرا من رئيس انجليزى ، ولا يتعامل المصرى مع بنك ، أو شركة ، أو متجرأو مصنعأو بأخرةانجليزية ... وكان هذا ما استشاط به الانجليز غضبا فأوسعوا من حركة الاعتقالات ثم سارعوا فى تقديم مايمكنهم من تنازلاتتحفظوجودهم المهدد، وأصدروا تصريح٢٨ فبراير ١٩٢٢ • ويقالأن **غاندى** فىالهنداستوحى هذه التجربة المصرية وبلورها فى أسلوبه المعروف الذى أصبح علامة على الكفاح الهندى ضد الانجليز • ويبدو أن الوفد كان يدرك صعوبة هذا الاسلوب فيما يتطلبه لنجاحه من تعبئة شاملة ومن اتحاد شعبى ووطنى يبلغ أوسع نطاق • ويبدو أن كان لذلك تأثيره فى تصميم الوفد على فكرة الاتحاد وضم الصفوف ، والنأى بالحركة الشعبية عن أى نقطة يمكن ان تكون أثارتها مفرقة للجمع الكبير.

ثالثا : يذكر كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » ، ان مصر بلد دولى،وان الحكم الذاتى فيها ينبغىان يراعى مصالح الطوائف المختلفة من سكانها المسلمين والمسيحيين والاوروبيين والاسيويين والافريقيين • وان خلق حكم ذاتى فى مصر قادر على مراعاة هذه المصالح المتباينة قد يحتاج الى سنين او اجيالا [٥٦] ، وقرب انتهاء الحرب أعد المندوب السامى البريطانى « وينجت » مشروعا للنظام النيابى يعتمد على التمثيل النسبى للطوائف فى المجلس التشريعى • والخطير فى ذلك أن السياسة الانجليزية كانت تتعمد تجاهل الانتماء المصرى لدى الشعب ، وانتفتت وحدته بتصويره طوائف منفصلة • والتفكير منطقى ، فاذا أراد أجنبى أن يحكم بلدا حكما دائما ، فعليه أن يحول هذا البلد الى « أجانب » ، أى الى تجمعات أجنبية عن بعضها ، يذوب هو فيها ويطمس اغترابه عنها ويستطيع بذلك أن يمسك زمام الامور بضرب الشعب بعضه فى بعض •

وخلال السنوات العشر السابقة على ١٩١٩ عمل الانجليز بنشاط على الايقاع بين المسلمين والاقباط ، واستغلوا مقتل **بطرس غالى** رئيس الوزراء الذى اغتاله شاب وطنى بسبب خيانته لبلاده وتعاونه مع الانجليز ، واستعملوا فى هذا الخلاف صنائع لهم من الجانبين • واستمروا مصرينعلى هذه السياسة بما ضمنوهتصريح ٢٨ فبراير من تحفظ على استقلال مصر يتعلق بحماية بريطانيا للاقليات فيها • **وكان لسعد فى هذه النقطة جهد واضح لتوحيد صفوف الامة** • وقد أدرك بمصريته ، أواصر الارتباط الوثيق بين المسلمين والاقباط ، واستعداد الشعب بعنصرية على الامتزاج الكامل ، ورأى الشيوخ والقساوسة يفشون متكاتفين المساجد والكنائس ، ويتقدمون

---

(٥٦) P. 568 - 9 II - Cromar - Moden Egypt.

المظاهرات ، فجهد فى تأكيد هذا المعنى وتعميقه ، حدث اثناء جمع التوكيلات للوفد، انه لم يلحظ وجود قبطى بين أعضائه فبادر بضم **واصف غالى** ، ثم انضم الى الوفد **سينوت حنا ومكرم عبيد وويصا واصف** ،وكان لهم نشاط كبير . وكان سعد يعتبر مكرما ابنا له ، فلما عين الانجليز **يوسف وهبة** رئيسا للوزارة تحديا لشعار المقاطعة وافسادا لوحدة الشعب ، رد الوفد بتعيين **مرقص حنا رئيسا** للجنة الوفد ، وذهب عبد الرحمن فهمى الى الكنيسة يعلن انه اذا كان بين القبط خائن فبين المسلمين ست خونة هم الوزراء الذين قبلوا العمل معه ، وتطوع شاب قبطى شرع فى اغتيال يوسف وهبة . واثناء معركة الانتخابات سنة ١٩٢٣ كان سعد يؤكد على « **الاتحاد المقدس بين الصليب والهلال** » ويوصى الجماهير قائلا « احذروا هذه الدسيسة واعلموا ان ليس هناك اقباط ومسلمون ، ليس هناك الا مصريون فقط . ومن يسمونهم اقباطا كانوا ولا يزالون انصارا لهذه النهضة وقد ضحوا كما ضحيتم .. فاحسوا التراب فى وجوه اولئك الدساسين.. لولا وطنية فى الاقباط واخلاص شديد لتقبلوا دعوة الاجنبى لحمايتهم وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب بدل النفى والاعتقال ، ولكنهم فضلوا ان يكونوا مصريين معذبين محرومين من المناصب والجاه والمصالح يسامون الخسف ويذوقون الموت والظلم على أن يكونوا محميين باعدائهم واعدائكم .. (٥٧) ولما الف الوزارة سنة ١٩٢٤ أختار فيها وزيرين قبطيين ، وعلق على ذلك بان ليس ثمة تمثيلا نسبيا للاقباط (٥٨) ، فالكل مصريون ، وان الانجليز لم يلتزموا النسبة العددية عندما اطلقوا الرصاص على المظاهرات ولم يفرقوا بين مسلم وقبطى ، ولم يلتزموها عندما نفوا قادة الوفد ، اذ نفى قبطيان واربعة مسلمين .

وقد صهرت ثورة ١٩١٩ المصريين فى جمع واحد وأطاحت بكل محاولات الاستعمار سنين طويلة على بذر بذور التفرقة بين بعضه بعضا . وكان هذا الالتحام على قمة منجزات الثورة ، بالنظر الى حفاظه على وحدة الشعب وافساده خطة الاستعمار ، وهذه هى نتائجه المباشرة ، على ان نتائجه الحضارية والثورية طويلة المدى ، كانت تتمثل فى أن الوطنية كانت الاساس الصلب للموقف العلمى والعقلانى فى الفكر السياسى ، اذ اقام الجماعة السياسية على مفهوم علمانى اصيل ، وانها ازالت ما يمكن ان يطمس الخلافات الطبقية مستقبلا وما يمكن أن يميع الصراع الاجتماعى من ظلال المشاكل الطائفية . وفشل الاستعمار فى مصر فيما نجح فى الهند وقبرص وفلسطين وغيرهم .

ومن جهة ثانية ، كان مما يعوق الوحدة الوطنية ، ما سبق ان لاحظه محمد عبده من صدع حضارى بين القديم والجديد فى التعليم وفى المؤسسات الاجتماعية والفكرية . وليس لسعد كتابات فى هذا الشأن . وقد سبقت الاشارة الى سياسته التعليمية التى استوحى فيها فكر محمد عبده فى اصلاح هذه الحال . على انه خلال الثورة كان بشخصيته هو من عوامل التجميع بين الاتجاهات والتيارات الثقافية المختلفة . فهو ريفى لم تنقطع صلته بالريف حتى وفاته ، وازهرى حفظ القرآن فى الكتاب ودرس علوم الدين فى الازهر وتتلمذ على الافغانى ومحمد عبده ، ولكنه حضرى درس فى حياته الفكر الحديث ونهل منه ، ومارس تطبيق القوانين الوضعية واتصل بالبيئات المختلفة ، واكتسب القدرة على مخاطبة كل نمط فكرى وتفهمه . وهو من ناحية أخرى شيخ تمتد ذاكرته السياسية الى ثورة عرابى ، ولكنه استطاع ان يفلت فى سن الستين من وهن الشيخوخة واثرها المحافظ على تفكيره ، كما استطاع أن يفلت من قبل من محنة جيله المؤسية بعد احتلال مصر . وادرك فى هذا السن ان الشباب هم مصدر قوة الثورة ، وقف بين الطلبة فى ١٩٢٣ وهو فى السادسة والستين يقول « اتخيل كأنى عدت الى الصبا ، وعادت الى صدرى حماسته فاستسهل كل صعب واستهين بكل خطب والبى كل صوت يدعو الى التقدم والارتقاء » (٥٩) ، وبهذا كان سعد شخصية مجمعة تقف على المشارف وعند ملتقى الخطوط .

رابعا : كان فكر سعد يقف عند حدود الحركة الوطنية الدستورية . انطبع تفكيره بهذه الحدود ، وحرص ايضا خلال الثورة الا يتجاوزها حرصا منه فيما يرى على الوحدة الوطنية وتجنبا لكل ما يثير الاختلاف . « ان الامة المصرية ليس لها الا مبدءا واحدا اتفقت كلمتها عليه، وهو مبدأ الاستقلال لمصر والسودان . وليس لها الا برنامج واحد هو الذى سبقت الاشارة اليه ، والا هيئة واحدة وثقت بها كل الثقة فى تنفيذ هذا البرنامج ، وهى هيئة

---

(٥٧) مجموعة الخطب ـ المرجع السابق ص ١٣ ـ ١٤ .
(٥٨) انظر وثائق الطليعة عن ثورة ١٩١٩ .
(٥٩) مجموعة الخطب ـ المرجع السابق ص ٩١

الوفد المصرى .. » (٦٠) ؛ ومن هنا كان مفهومه للوفدانه ليس حزبا ولكنه وكيل عن الامة فى المطالبة بالاستقلال « نقول نحن لسنا بحزب وانما نحن وفد موكل عن الامة يعبر عن ارادتها فى موضوع عينته لنا وهو الاستقلال التام • فنحن نسعى لهذه الغاية وحدها ، وانى اعدكم ان شاء الله انى عند بلوغها اتنحى عن العمل فلا ترونى اعمل ولا تسمعونى أتكلم •• اما المسائل الداخلية •• فهذه مسائل اترك الامر فيها لمن هو اعرف منى بها •• واما ما يتعلق بالاستقلال فنحن أمة لا حزب ومن يقول اننا حزب يطلب الاستقلال يكون مجرما • لان هذا يدل على ان فى الامة حزبا أو احزابا أخرى لا تريد الاستقلال » (٦١) •

يذكر العقاد تلخيصا لدور سعد زغلول :

« اذا استطاع هذا الزعيم ان يبث هذا الروح أو يوقظه أو يجمعه حواليه فكل ما تنشئه الامة وهى مأخوذة بهذا الروح فهو من عمله وصنع يديه • اما اذا كان عمله كله هو مايعمله بنفسه ويرسم عليه طابع يديه فما هو بزعيم • وسعد زغلول قد بعث فى مصر هذا الروح ، او هو قد ايقظه او هو قد جمعه حواليه • فكل ما نهضت به الامة من الاشتغال بالصناعات أو مصارف الاموال او شركات التجارة أو معاهد التعليم أو مجامع السياسة مما لم يكن فيها قبل تلك النهضة، ففيه سهم لاينكر لزعامة سعدزغلول . هذه الزعامة هى التى التقى حولها المصريون فعلموا انهم امة ، وعلموا انهم مسلمون ومسيحيون ولكنهم امة ، وانهم رجال ونساء ولكنهم امة ، وانهم شيب وشبان ولكنهم امة ، وانهم حضريون وريفيون ولكنهم امة ، فانبعثت للامة حياة ماثلة الى جانب حياة كل فرد وكل طبقة وكل طائفة وكل جنس وكل دين •• »

تعليـق :

ابو سيف يوسف

١ ـ يقدم طارق البشرى تحت هذا العنوان احدى المحاولات الجادة والجديدة فى هذا الموضوع ، وهو فى دراسته هذه يمسك بمفاتيح رئيسية :

ـ فهو يحدد الاصل الطبقى لسعد زغلول [الطبقة الوسطى من الملاك الزراعيين] •

ـ ويحدد ان سعداً مع ذلك مثقف ينتمى الى طليعة المثقفين المعبـرين عن الطبقة الوسطى الصاعدة •

ـ ويحدد الكاتب وضع سعد داخل الحركة الوطنية ، فيشير الى انه جسر بين ثورتين : الثورة العرابية ، وثورة ١٩١٩ •

ـ ثم يحدد المكونات الرئيسية لفكره كمثقف مصرى تلقى العلم فى الكتاب والازهر وتأثر بقوة بفكر محمد عبده كما تأثر بالفكر الليبرالى ـ فكر البرجوازية الاوربية ـ خصوصا بافكار الثورة الفرنسية •

---

(٦٠) مجموعة الخطب ص ٨٩

(٦١) مجموعة الخطب ص ٢٧ ـ ٢٨

٢ ـ واعتمادا على هذه المفاتيح الرئيسية يتفادى طارق البشرى ـ الى حد ملحوظ ـ الوقوع في براثن المنهج الذاتي في الكتابة عن الشخصيات التاريخية • هذا المنهج الذى يعزل الشخصية عن المجتمع والطبقة والايديولوجية السائدة ، وما يترتب على هذا ـ بالضرورة ـ من تضخم المزايا ، أوتضخيم الاخطاء والعيوب، ونحن نعلم ان هذا المنهج الذاتى قد ساد بين عدد من المؤرخين والكتاب • فحاول بعضهم أن يرسم صورة اسطورية لسعد كبطل من ابطال الاساطير • في حين حاول البعض الاخر أن ينالوا من مكانته في تاريخنا القومي كقائد سياسى وزعيم وطني ولدته الحركة الوطنية التي استأنفت النهوض بعد هزيمة الثورة العرابية •

٣ ـ ولابد أن نعترف بان ثمة صعوبات جمة تواجه كل من يحاول ان ينهج في كتابة التاريخ القومى نهجا موضوعيا « اى علميا» فالظاهرة التاريخية بطبعها معقدة اشد التعقيد • وفي مجال دراسة الشخصيات : القادة والمفكرين •• الخ تبدو هذه الصعوبة على الوجه التالي : وهى أن فكر هذه الشخصية له ـ بشكل عام ـ جانبان :

ـ جانب ذاتى ، من حيث أن هذا الفكر نتاج ذات ، أو فرد له صفاته النوعية •

ـ وجانب موضوعى ، من حيث أن هذا الفكر يظهر في مجتمع معين ويستخدم تصورات انضجها هذا المجتمع •

وتكمن الصعوبة هنا في توضيح العلاقة الجدلية بين هذين الجانبين •

٤ ـ وامام هذه الصعوبة قد يجنح الدارسون في العادة الى أحد اتجاهين : اتجاه يضع افكار الشخص محل الدراسة خارج نطاق القوانين العامة للمجتمع • وهذا ما حاول ان يتجنبه طارق البشرى فى دراسته •واتجاه آخر يتمثل في العمل على استخلاص محتوى فكر الشخص بكيفية آلية أو شبه آلية من المجتمع ومن الظروف المحيطة • واخشى أن هذا ما نجده في دراسة طارق •فتحت تأثير الحكم العام الذى انتهى اليه الكاتب من أن سعدا لم يكن مفكرا صاحب نظرية ولا داعية سياسيا ولكنه كان رجل دولة وضع فكر سعد في اطار صارم لا يكاد يتجاوزه ، أو يضيف اليه ، وهو فكر الاستاذ الامام محمد عبده • ولكن اذا اتفقنا مع طارق على أن الاستاذ الامام كان رائدا لسعد ، واذا اتفقنا معه ـ مرة أخرى ـ على الفرق بين محمد عبده وبين سعد زغلول هو الفرق بين الراعية أو المفكر وبين السياسى أو رجل الدولة ، الا انه يصعب ـ مع ذلك ـ وفقا للضرورة التاريخية أن نتصور ان سعدا الذى قاد ثورة ١٩١٩ وتجمعت حوله الامة لم تكن له افكاره الخاصة واجتهاداته عن اهم القضايا التى طرحتها الحركة الوطنية في عصره •

وتحت تأثير هذه النظرة الالية في التفاعل بين سعد وبين المؤثرات المحيطة به يجد الكاتب نفسه مرة أخرى أمام صعوبة التعرف على ملامح فكر سعد ابان انفجار ثورة ١٩١٩ • وفي هذا يقول « انه يصعب اجلاء هذا الفكر في ظروف يندمج فيها الفرد كلية في التيار الجارف لحركة الشعب الثائر ! »•

والواقع انه يصعب علينا ان نسلم مع طارق بهذا المنطق :

أولا : لان سعدا لم يكن مجرد فرد فى ثورة : لم يكن مجرد فلاح فقير أو عامل أو مجرد مثقف عادى : أو مالك يتحرك على ارض ثورة ١٩١٩ · بل كان سعد قائد الثورة ، فيه صفات اهلته لهذه القيادة ·

وثانيا : لان سعد كقائد لهذه الثورة ينتمى الى طبقة صاعدة هى الطبقة الوسطى ، وكان لها النفوذ الغالب فى صياغة شعارات الثورة وفى تحديد مسارها · وسعد على هذا يقع تحت نفوذ هذه الطبقة وتحت تأثير حزبها ، ولكنه يقع أيضا — خصوصا اثناء اشتداد المد الثورى — تحت تأثير الجماهير الواسعة من الشعب الكادح · فهو يتعرض — والحال كذلك — لمؤثرات متناقضة ومتصارعة تنعكس على فكره وعلى مواقفه العملية · وهذا يفسر بشكل عام — التناقض بين مواقفه [الراديكالية] عند تعاظم حركة الجماهير ، وبين مواقف المهادنة أو الوفاق ضد حالة انحسار الهبة الثورية · ففى الحالة الاولى كان يلقى « الخطب الحادة » ويدعو الى مواقف متشددة ضد الانجليز ، وفى الحالة الثانية كان يبدى ميلا الى مهادنتهم على اساس ان بين البلدين « مصالح مشتركة » لا يصعب التوفيق بينها ·

ولكن كيف كان سعد يحل هذه التناقضات ؟ بين ضغوط الاستعمار والاقطاع من ناحية وبين ضغوط حركة الجماهير الكادحة من عمال وفلاحين من ناحية اخرى · كان سعد يحل هذه التناقضات بالسعى الى دعم مراكز الطبقة الوسطى فى الحكم والادارة عاملا باستمرار على وضع حركة الجماهير تحت الوصاية حتى لا تخرج عن قيادة الوفد [١] والواقع ان دراسة طارق البشرى تقدم لنا مثلا واضحا عن مفهوم سعد للحـــرية والديموقراطية ، هنا يتمثل الجانب التقدمى فى فكر سعد فى أنه يضـــع الحـــرية والديموقراطية فى مقابل التصورات والمؤسسات الاقطاعية المتخلفة المتمثلة فى نظام الحكم والادارة والتعليم والموقف الاجتماعى من تحرير المراة · ولكن مفهوم سعد عن الحرية والديموقراطية كانت له أيضا جوانبه المحافظة · فالحرية عنده وعند قيادة ثورة ١٩١٩ لم تكن اصلا ثورة زراعية أو اصلاحا زراعيا يحرر فقراء الفلاحين ويلغى السخرة ولم تكن دعوة للفلاحين والعمال الى ان ينظموا انفسهم ويقوموا بمبادرات للدفاع عن مصالحهم · وانتهت الحرية والديموقراطية الى ان تكون فى فكر سعد « نظاما للحقوق والواجبات » وشعارات مجردة عن « النظام العام » تصوغها الطبقة المتوسطة للدفاع عن مصالحها الاساسية ·

وما يقال عن التناقض القائم فى فكر سعد زغلول عن الحرية والديموقراطية يقال أيضا عن التناقضات المرتبطة بأفكاره عن الامة ، والحزب ، والاستقلال .. الخ ·

٥ — من هنا ، ومما تقدم نفضل عند دراسة فكر شخصية تاريخية كسعد زغلول ان تبدأ الخطوة الاولى فى منهج الدراسة بعملية تحليل داخلى لفكره · وهدف هذا التحليل هو أن نحدد المشكلات النوعية التى واجهت سعد فى مجتمع معين وفى زمن معين لنصل الى تحديد التناقضات الرئيسية فى فكره ، لنحدد الجوانب التقدمية والجوانب المحافظة وبعد هذا تأتى الخطوة الثانية وهى تقييم هذه التناقضات على ضوء الاتجاهات الاساسية السائدة فى المجتمع · ثم تاتى الخطوة الثالثة وهى تأصيل هذا الفكر · وتحديد نسبته الى

---

(١) يقول فولاد يكن ، وهو أحد الكتاب الشبان الذين مجدوا سعد زغلول ، وذلك فى كتاب نشره فى باريس عام ١٩٢٧ ، تحت عنوان (ابو الشعب المصرى ســعد زغلول) انه اذا كان سعد قد استطاع خلال اللحظات التاريخية ان يستنفر الجماهير ، فانه عرف كيف يهدئها ويدعوها الى النظام كلما اقتضت ذلك مصلحة البلاد . وان مظاهرات كثيرة من ١٩١٩ — ١٩٢١ تفرقت بنـــاء على كلمة منه

التيارات الفكرية السائدة ومدى استجابته للمتطلبات الجديدة لحركة المجتمع • ونحن نعلم ان الكاتب قد اهتم بالخطوتين الثانيةوالثالثة • لكن عدم الالتفات الى ابرازا التناقضات الرئيسية فى فكر سعد زغلول هو الذى يفسر وجود الاختلاف الواضح فى المنهج بين كتابة الجزء الرئيسى من الدراسةوبينخاتمة الدراسة ، هذهالخاتمة التى تبدأ بادماج فكر سعد « فى التيار الجارف لحركةالشعب الثائر » • بل ان هذا يفسر لنا ايضا ·كيف ان خاتمة الدراسة قد شابتها بالفعل نظرة مثالية • كقول الكاتب بأن سعدا « كان مؤهلا لان ينفتح على الحركةالشعبية ويستوعبهاوان ينفتح علىالتيارات الوطنية والديموقراطية المختلفة • » وواضحاننا لا نستطيع بحال ان نقول ان سعدا قد انفتح على التيارات الديموقراطية المعبرةعن مصالح الكادحين فى مصر .

اكثر من هذا ، قد لا نستطيع ان نقول انفكر سعد [حتى اثناء تعاظم مد الثورة الوطنية] كانيندمج كلية فىالشعب • والمثلالذى نقدمه هو النداء الذى ارسله سعد زغلول بتوقيعه الى البرلمان الفرنسى عام ١٩١٩ • وهذا النداء وثيقة حقيقية تسجل المواقف الاساسية للبرجوازية المصرية من القضية الوطنية ••• وهكذا نقرأ فيها :

ـ ان مصر كانت تريد ان تحارب الى جانب الحلفاء فى مقابل الاعتراف باستقلال مصر •

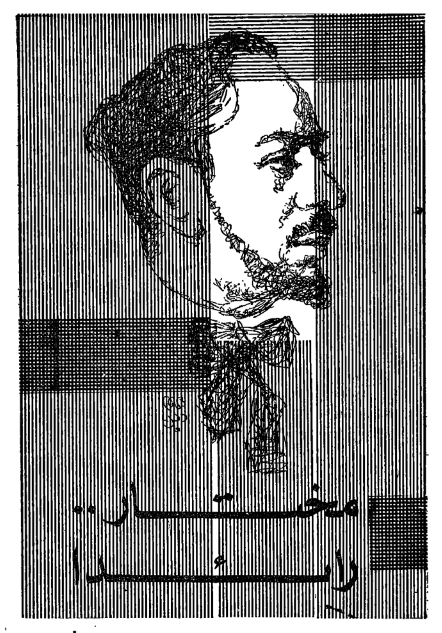
ـ وانه من الظلم ان توضع مصر على قدم المساواة مع بعض البلدان العربية التى كانت تابعة للسلطة العثمانية ، لان مصر فضلا عن انها اكثر تحضرا واكثر تطورا من النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، قد فتحت بعض هذه الولايات لحساب تركيا ، كما انها فتحت البعض الاخر لحسابها خلالحروب ١٨٣٢ ــ ١٨٣٩ » .

ــ وان اللغة الفرنسية « قد اصبحت بينعائلاتنا اشبه بلغة قومية ثانية . وباللغة الفرنسية تعبر النخبة الممتازة عن نفسها »

واضح اذن ان هذا الفكر لا يعبر عن مجموع الشعب ولا يندمج فيه ، ولكنه فكر الطبقة الوسطى بكل معانى الكلمة .

واخيرا فاذا كانت هذه الملاحظات لا تنقصمن الدراسة القيمة التى قدمها طارق البشرى ، فليس هدفها ايضا ان تنال من مكانة ثورة ١٩١٩ كاحدى الثورات الوطنية الكبرى فى عشرينات القرن الحالى ، ولا انتنال من مكانة سعد زغلول كقائد يعتز تاريخنا الوطنى بما قدمه لبلاده .





داود عزيز

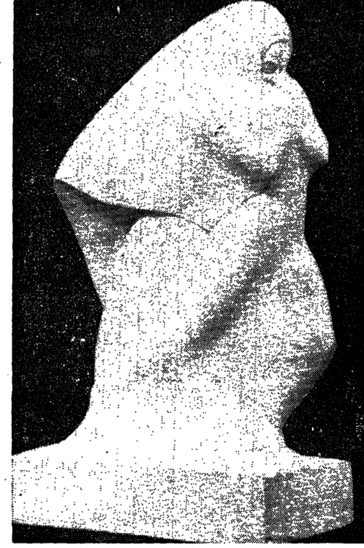
من السهل التدليل على تفاعل محمود مختار نحات مصر الحديثة مع احداث ثورة ١٩١٩ . فيكفى أن نذكر أن الفنان قد أعد تصميمه لتمثال « نهضة مصر » وهو فى باريس وانه تكفل بعرضه فى معرض الفنانين الفرنسيين فى سنة ١٩٢٠ مستجيبا لاحداث الثورة التى كان يدرك حينئذ أنها بداية ليقظة قومية تأخذ الامة المصرية . لقد انفعلت احاسيس مختار الفنية وهو بعيد عن مسرح الاحداث ، وادى عن طريق الفن بعض واجبه

ورأى نقاد الفن فى هذا التمثال « **أول شعاع تنبثق منه نهضة الفن المصرى وحياته حياة جديدة** » (١)

ومن السهل أيضا الاشارة الى تمثالى « سعد زغلول » وكيف عبر مختار فى هذين التمثالين عن رمز الثورة وقائدها وكيف صور فيه ارادة الكفاح من أجل استقلال مصر وحريتها .

هذه الاعمال معروفة اليوم لأوسع الجماهير ، فهى تماثيل ميادين تطالعها الاعين دائما . ولكنها

(١) ارجع الى بدر الدين أبو غازى (المثال مختار) قبل نقله الى مدخل الجامعة بالجيزة .



« الخماسين » من أعمال المثال مختار

لم توضع فى اماكنها ولم يتم تنفيذها باحجامها الهائلة فى سهولة ويسر . **وانما صاحب مولد هذه الاعمال حتى الوصول بها الى الميادين معارك حقيقية تداخلت فى نسيج واحد مع المعركة الوطنية نفسها** . فكم أثار تنفيذ تمثال « نهضة مصر » من نقاش ، وتحول هذا النقاش فى بعض الاحيان الى حماس وطنى متدفق من اجل انجاح مشروع قومى عظيم . واعتبر التمثال رمزا لنهضة أمة وأصبح لذلك من الواجبات الوطنية التبرع لاقامة التمثال والمشاركة فى نفقات تنفيذه . كما اتخذت عملية اقامة هذا التمثال كمادة خصبة للاثارة السياسية ضد القوى الرجعية والاجهزة الحكومية البيروقراطية ، التى تفننت فى تعطيل العمل فى التمثال وحاولت الحيلولة دون ان يصبح كتلة جرانيتية هائلة تقف فى وسط ميدان « باب الحديد » .

وامتدت معركة اقامة تمثال « نهضة مصر » عدة سنوات ، وخلال هذه الفترة كان مختار ازاء هذه المصاعب مناضلا حقيقيا لم ييأس أمام جبروت القوى السياسية المعرقلة والهيئات الحكومية المعطلة بل نجح صوته معتمدا على التيار الوطنى المتدفق فى أن تتألف لجنة برلمانية للتحقيق فى سر تعطيل العمل فى التمثال عاما ونصف . وانتصرت الارادة الوطنية ، وانجز العمل واحتفل باتمامه وازيح عنه الستار فى مايو سنة ١٩٢٨ بعد سبع سنوات من قرار تنفيذه .

ومثل هذا الجو الحماسى الداعى الى الاعجاب بالفنان وبعمله لم يمنع كاتبا معروفا مثل ابراهيم المازنى من أن يوجه نقده المرير الى التمثال . والحقيقة ان **نقد المازنى قد انصب على فكرة التمثال ، ولم يرق مستوى النقد الى مناقشة الصياغة الفنية** . ولو انه يجب ان نسجل ان المازنى فى اشاراته وتلميحاته قد تناول « وقفة الفتاة » وكيف انها كالعصا ! وكيف أن « يمناها

التى على رأس أبى الهول غريبة فى وضعها » وانه « ليس فى وجه الفتاة أو فى التفاتتها الى الذى بجانبها أن صح انها تريد ان توقظه » وكأن المازنى يريد أن يتحدث عن ليونة الحركة والرغبة أن يكون العمل متخلصا من الاوضاع الجافة .»

وقد رد عليه مختـــار ردا مستفيضا .» واكد ضرورة الوحدة فى العمل الفنى وان عمله « كل لا يتجزأ » ثم أشار الى فكرة « **الكتلة** » وكيف « ان **التمثال فى عالم النحت وفنه يجب انيكون كتلة** »•

والحقيقة ان مختارا لم يكن يعتمد فـى تمثاله « النهضة » على الفكرة الوطنية فحسب بل انهكان يعتمد ايضا على مقدرته الفنية • لقد تضافرت عوامل عديدة على تكوين شخصية مختار الفنية وأهلته هذه العوامل للقيام بدور الريادة الفنية وتمثيل النهضة الحقيقية للفن التشكيلى فى مصر • لقد نبت مختار من اعماق الريف المصرى فاحس برائحة الارض ، وتمثل نشاط الفلاحين والفلاحات خلال العمل ، وانتقل الى المدينة واخذ يدرس الفن فشاهد عن قرب اصحاب الحرف المتنوعة • ثم رحل الى باريس ليتزود من ثقافة الغرب البرجوازية ، ويضع يده على أصولهـــا الاغريقية والرومانية وتقع عيناه على الاثار الفنية العالمية ، واذا اضفنا الى كل ذلك موهبة حقيقية واستعدادا فطريا تفتح مبكرا مع ممارسة العمل الفنى فانه يمكن تصور الفنان وقد نضج وعيه واكتسب مهارة فائقة فى عملية التشكيل النحتى أهلته للعمل رئيسا لنحاتى متحف جريفين للتماثيل الشمعية فى فرنسا •

ولكن عمل الفنان فى هذا المتحف لم يكن يحول بين الفنان واهتمامه باحداث وطنه وثورتها ، فكان عضوا لجمعية الطلبة المصريين بباريس •

ومن خلال هذه الجمعية عقد مختار صداقات قوية مع اعضاء الوفد المصرى من الزعماء الوطنيين الذين سافروا الى باريس للدفاع عن القضية الوطنية وعن استقلال مصر •

ولقد وجد هؤلاء القادة فى مختار معبرا حقيقيا عن ثورة البرجوازية الوطنية وحركتها الناهضة • وكانت هناك ضرورة ملحة تأكدت مع نمو طبقة البرجوازية الوطنية المصرية الى تمثل علوم وفنون الغرب •

ويروى **ويصا واصف** عضو الوفد المصرى كيف التقى « بمحمود افندى مختار » ضمن الطلبـة المصريين بباريس • وكيف انه بعد ان شاهد تماثيل من صنعه بمتحف جريفين ابدى اعجابه باعماله وشجعه قائلا « اننى على يقين ان **الامة التى تنهض وتريد نصيبها فى الحياة انما تنهض فى كل مظاهر الحياة سياسية واقتصادية وعلمية وفنية** » •

وقد سبب له تعبيره الفنى عن النهضة عنتا من جانب قوى الطغيان ، وثار نزاع كبير بينه وبين **وزارة صدقى** الاستبدادية ومن بعدها وزارة **عبد الفتاح يحيى** حول اقامة تمثالى الميدان لسعد زغلول، وظل هذا النزاع حتى وفاة مختار ، ولذلك ربط مختار من واقع تجربته بين انطلاق وازدهار الفن

الجمعية المصرية بباريس

ابتداء من العقد الاول فى القرن العشرين تزايد عدد الطلاب المصريين الذين يتلقون العلم فى الخارج ، بعضهم مبعوثون من الجامعة ، والبعض ابناء للطبقة الارستقراطية ، أو للطبقة الوسطى والاخرون شبان ثوريون خاضوا غمار النضال اعضاء فى الحزب الوطنى ، ثم هاجروا الى الخارج ضمن موجة الهجرة التى شملت كثيرا من قادة الحـــزب واعضائه •

ومن هؤلاء جميعا تكونت فى كل مكان باوروبا جمعيات للطلبة المصريين •• فى لندن ، وبرلين ، وزيورخ ، وباريس •

وعندما عقد الحزب الوطنى مؤتمره الشهير فى ١٩١٠ باوروبا كان الطلاب هم غالبية اعضائه وهم ايضا واضعو اهم التقارير التى قدمت اليه ••

ومع الضعف الذى انتاب الحـزب الوطنى ، ومع الخلافات التى مزقت قياداته بالخارج والانهيارات التى اصابت قواته بالداخل بدأ نشاط هذه الجمعيات فى الذبول •

ولكن ما أن علت صيحة ثوار ١٩١٩ حتى تجاوب معها هؤلاء الطلاب ، وكان طبيعيا ان يبدأ التجاوب فى باريس حيث مؤتمر الصلح ، وحيث تركزت آمال كل القوى الوطنية •

وقد بدأ النشاط الجديد اثنان من الطلاب هما عبده جوده وخليفة بوبلى ، فاعدا خطابا الى الرئيس ويلسن يشرحان فيه القضية المصرية ، وكان طبيعيا ان يتجمع حولهما عدد آخر من الطلاب بلغ ١٨ عضـــوا منهم د. محمـــد والى ، و د. شافعى ، ومحـــمد صبرى ، والفنـــان مختار ، وميشيل توما ، وانطون فرج ،

وحاولت هذه الجمعية ان تبحث عن نصير لها فى باريس فلم تجد سوى اليسار الفرنسى ، والحقيقة ان التقـــاء هـــذه المجموعة باليسار الفرنسى كان طبيعيا ، فعبده جوده وخليفة بوبلى وهما مؤسسا الجمعية كانا منذ عام ١٩١٨ عضوين فى الحزب الاشتراكى الفرنسى •

ويبدو تاثير هـــذه الجمعية بالافكار اليسارية واضحا فى كثير من كتاباتها وكذلك فى العلم الذى اختارته لمصر المستقلة وهو يتمثل فى رقعة حمراء عليها شارات ثلاث رمزا للمجموعات الدينية الثلاث المسلمون والمسيحيون واليهود ••

وفى اجتماعات الحزب الاشـتراكى الفرنسى او بالدقة جناحه اليسارى كان الطلاب المصريون يلقون خطبهم ويحظون بمســـاندة كبـــيرة ، وعلى صـــفحات

وبين الحرية وهو يصرح لمجلة شيكاغو تريبيون بأن « الفن لايعيش ولا يتقدم الا فيجو الحرية ».

ان الرسالة الفنية التى كانت تنتظر مختار احاطتها ظروف صعبة تجعل من العسير على فرد بعينه ان يضطلع بها . فمنقبل مختار كانت هناك هوة زمنية سحيقة انقطعت فيها الصلة بالتقاليد الفنية المستمرة · وكان على مختار ان يجتاز هذه الهوة وان يعبرها · وكان لمختار الموهبة والثقافة التيصقلته ،ثمالارادة الحديدية ونجحفى انيلتحم بكل ذلك مع آمال بلده ، وان يسوى بيديه طين واحجار هذا البلد المضطهد فى أعمال فنية تنطق شعرا وأملا · ولذلك لم يكن غريبا ذلك الاجماع الشامل بين مفكرى مصر وأدبائها وشعرائها على ان مختار هو طليعة النهضة الفنية وأنه ابن صادق لمصر ·

ولقد كانت هناك محاولات عديدة لتقييم فن مختار ·

ويسلمالكثيرون بأنالدور الذى قام به مختارفى الوصل بين القديم والحديث ، بين فن النحت عند قدماء المصريين وفن النحت فى مصر الحديثة ، هو دور ضخم يكسبه خلودا . والحقيقة ان الاهتمام الكبير بالاثار المصرية القديمة واكتشافات توت عنخ آمون قد خلفا تمجيدا كبيرا للاعمال القديمة . وقد عاصر مختار هذه الحقبة ، وكان معروفا عنه أنه يقضى الساعات الطويلة أمام آثار النحت للدولة القديمة ، وكان يصف على الاخص اعجابه بالنحت الغائر بأنه « اعجاب الى حد الهوس » . ومن المعروف ايضا ان مختارا قد استعار فى اعماله بعض الفورمات والرموز والاوضاع والحليات الزخرفية من الفن المصرى القديم . ويظهر هذاجليافىأعماله فىالنحتالغائر ، فانه قد صفف الاشكال بطريقة قريبة الى حد كبير من الطريقة التى كان يصفف بها المصريون القدماء اشكالهم ·

ولكن هل كانت هذه المحاولات من جانب مختار كافية لان تجعل من فن مختار فنا مصريا · الارجح أنه خطأ رئيسى وقع فيه بعض النقاد فى تقييمهم لمصرية مختار ، ودور أعماله فى النحت المصرى الحديث ·

فهناك اعمال عديدة لمختار لانجد فيها أثرا لهذه الاستعارات المأخوذة من الفن المصرى القديم،ومع ذلك فليس هناك انتقاص من القيمة الفنية لهذه الاعمال بل انها تطالعك بقوة وهى تحمل بصمات شخصية مختار الفنية · ودراسة مختار لفن النحت فى أوربا واهتمامه الكبير بشخصية واعمال « رودان » الفنية قد تركت فيه اثرا واضحا . واننا نجد هذا الاثر واضحا فى التماثيل الشخصية « رأس مسيوفيس مثلا » وفى تماثيله « الفلاح يسير » و « شيخ البلد » ·

ومع هذا فان دراسة مختار للفن فى أوربا ظلت فى نطاق التأثر بالاعمال الكلاسيكية القديمة وبالدراسة الاكاديمية · فتمثال « اللقية » اذا تجرد من بعض الرموز المصرية القديمة لم يصبح سوى

« الاومانتيه » وفى خطب « مارسيل كاشان » احد قادة الحزب كانتالقضية المصرية تلقى التأييد المتزايد .

وقد اهتم الوفد بهذه الجمعية واعتمد كثيرا على نشاطها فى الدعاية للقضية المصرية ، وقد اصدرت الجمعية بالفعل ثلاثة كتيبات هى :

١ ـ مطالب المصريين ·

٢ ـ سياسة انجلترا القطنيةفىمصر.

٣ ـ بيان عن المسالة المصرية ·

واذا كان الوفد قد أعد مادة هذه الدراسات فقد اعتمد على الجمعية فى اصدارها وتوزيعها .

وعندما وصل الوفد المصرى الى باريس كانت الجمعية قد اعدت له استقبالا حارا ، واعد مختار ميدالية تذكارية تمثل ترحيب باريس بسعد زغلول ··

وبدأ التعاون وثيقا وحماسيا ، لكنه كان لابد له ان يفتر ، فالشبان يريدون التعاون مع اليسار الاوروبى وحتى بياناتهم التى توزع خارج فرنسا كانت ترسل الى الحزب الاشتراكى الايطالى، والى جريدة الديلى هيرالد لسان حال حزب العمال البريطانى . كل ذلك فى وقت كان سعد زغلول يجهد نفسه ليعلن تبرأه من اية شبهة يسارية . ويورد « احمد حافظ عوض » فى كتابه « تحية الرئيس فى منفاه » تصريحا ادلى به سعد زغلول الى جريدة الجازيت فى ١٩ مايو ١٩٢١ وجاء فيه :

« ادهشنى ما قرأته فى صحيفتكم عن ارتياحى لخطة الديلى هيرالد الاجتماعية . ولكنى اقول لكم ولقرائكم : انى لست ممن يهتمون بالمباحثات فى هذه الشئون الاجتماعية · وانى لا أجهد نفسى فى أمرالكومونية أو البلشفية ، ولاابحث عن أيهما المناسب لحياتنا الاجتماعية ، اذ ليست عندى أية فكرة عن هذه الوجهة » .

ومن هنا كان الخلاف · لكن كانت هناك اسباب اخرى ، فالطلاب كانوا ينسبون ـ فى غالبيتهم ـ الى الحزب الوطنى وسعد زغلول يرفض التعاون مع محمد فريد ، ويرفض أن يرد على رسالته ·

يضاف الى ذلك ان الجمعية المصرية كان لها تحفظات على اسلوب سعد زغلول فى حل القضية الوطنية ، خصوصا اتجاهه الى الحل عنطريق المفاوضات.

على اية حال فقد وقع الصدام بين الجمعية المصرية فى باريس ، وبين سعد زغلول . لكن الجمعية المصرية نفسها سرعان ماانفرط عقدها ، فقد كانت خليطا من اتجاهات اشتراكية وليبرالية ، وما لبث بعض اعضائها ان شارك فى النشاط التقليدى لحزب الوفد ، كما عاد البعض الاخر الى صفوف الحزب الوطنى . أما خليفة بوبلى احد مؤسسى الجمعية فقد انتهى الى ان يكون سكرتيرا خاصا للخديو عباس حلمى فى منفاه .

دراسة جيدة « لجسد امرأة عارية » نرى فيه ملامح فن أوربي •

ويبدو ان دراسة مختار واهتمامه باتجاهات الفن الحديث كانت محصورة فى فكرة رئيسية وهى معالجة النحت باعتباره « كتلة » . **أما فلسفات المدارس الحديثة فان ذلك كان يعتبر بالنسبة له شيئا خارج الارادة •**

على أى حال ففكرة الكتلة تعتبر فكرة أساسية بين بعض اتجاهات النحت الحديث • وكانت أعمال مختار مشبعة بهذه الفكرة الفنية الهامة ، واذا كان الفن التشكيلى الحديث عامة قد اتجه الى الفنون القديمة [البدائية وفنون الحضارات القديمة] ليستوحى منها قيمتها الفنية والتى اعطت هذه الفنون طابع الخلود • فان فن النحت الحديث على وجه الخصوص قد عثر فى الفن المصرى القديم على قيم فنية نادرة من ابرزها القدرة على تحقيق الكتلة النحتية الراسخة التى تتسربل بمسحة بقاء خالدة •

وهكذا فان مختارا فى تأمله للفن المصرى القديم ، وفى تأثره بفكرة الكتلة من بين اتجاهات الفن الحديث قد وضع يده على قيمة فنية كبرى كست غالبية اعماله واكسبتها رسوخا • واذا اضفنا الى ذلك قدرته الشخصية على التوزيع والصياغة الحسنة والوصول بعمله الى نهايات موفقة فان كل ذلك جعل منه نحاتا كبيرا •

ولكن الميزة التى جعلت من كل هذه القيم الفنية قيمة اعظم ، **ووصلت بفن مختار الى الذروة بل ووصلت به فى بعض الاحيان الى العالمية هى ان مختارا لم ينظر الى هذه القيم الفنية بشكل معزول عن واقع الحياة . ان هذه القيم الفنية الفنية التى يحملها فن مختار قد برزت من خلال احساسه بملامح الحياة المصرية فى وقته** • من خلال تأمله المذهل للمرأة المصرية ، من خلال اختياره للمرأة البسيطة التى تسعى فى دروب الحياة المصرية ، من خلال ذلك كله نجح فى خلق تكوينات منسجمة البناء مع ايقاع خطى شاعرى ، وكان للفلاحة المصرية مكانها الاساسى فى هذه التكوينات •

وهنا نستطيع ان نمسك بالخيط الجوهرى الذى يدل حقيقة على عظمة مختار ومصريته الاصيلة :

انها لا تكمن فى استعارته لبعض الصيغ من الفن المصرى القديم ، وانما فى تلمسه لمظاهر الحياة المصرية ووقوفه عند لمحات شكلية يلتقطها فى حساسية بالغة • وهذا الشىء بالذات هو الذى اعطاه الطابع المميز لمحلية الفن • ومن خلال هذه المحلية المفعمة بالصدق استطاع ان يصوغ العمل التشكيلى صياغة عالية يلعب فيها تناغم الكتل والخطوط دوره فى ابراز قيم فنية كبرى • وهذه الاعمال لم تكن كلها مع ذلك على درجة واحدة ومستوى واحد • وهى فيما يبدو قد مرت بمرحلتين واضحتين : مرحلة كان يسعى فيها مختار نحو جمالية رومانسية تبدو فيها الفلاحة مع جرتها فى حركة ايقاعية ويقوم فيها البناء الفنى نتيجة لتفاعلات الخطوط التى تلعب الدور الرئيسى فى الصياغة التشكيلية •

اما المرحلة الثانية فقد تمكن فيها مختار من أن يصل بصياغاته للكتلة وخاصة فى تمثالى « الخماسين » و « القيلولة » الى قيمة تشكيلية درامية تضع هذين العملين بالذات فى مستوى عالمى • ففى هذين العملين وهما منحوتان من الحجر تخف النزعة الرومانسية وتتخطى عملية التشكيل مجرد اظهار التفاعلات الايقاعية بين الخطوط والكتل وتنتقل الى درجة تختلط فيها القيمة التشكيلية برؤيا نفسية وصراعا انسانيا ، وفيه تجابه المرأة فى مصر تحولا ومصيرا ، كل ذلك من خلال واقعية أملتها الزاوية البيئية التى التقط منها مختار موضوعه فى حساسية فائقة وبراعة مثيرة •

وهكذا كانت تتفتح آفاق جديدة أمام مختار • وقبل ان يرتاد مثل هذه الافاق عاجلته المنية وفى سرعة صدمت كل من كانوا يأملون منه الكثير •

عاش مختار فترة انتاج قصيرة بالنسبة لعمر النحات ، ومع ذلك فاننا نشهدمنه وفرة وخصوبة • ولا يمكن لمنصف الا أن يقول انه قد اعطى حياته للفن واعطى فنه لامته • وسوف يظل فى حساب التاريخ الرائد البارز للنهضة الفنية فى مصر •

يوميات

ثورة ١٩١٩

١٩١٨ :

١١/١٣ — ذهاب سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى الى دار الحماية ، وطلب السماح لهم بالسفر الى انجلترا لمطالبتها برفع الحماية والاعتراف باستقلال مصر .

١١/٢٨ — رفض الترخيص للوفد بالسفر الى انجلترا .

١٢/ ٦ — نداء الوفد الى معتمدى الدول الاجنبية لتأييد مطالب مصر .

١٩١٩ :

٣/ ١ — استقالة وزارة حسين رشدى ، تضامنا مع الحركة الوطنية .

٣/ ٤ — احتجاج الوفد لدى الرئيس الامريكى ولسن ، والرئيس الفرنسى كليمنصو ، ورئيس مؤتمر السلام ، ورئيس الوزارة البريطانية لويد جورج ، على السياسة البريطانية فى مصر .

٣/ ٦ — قائد القوات البريطانية يستدعى سعدزغلول واعضاء الوفد ويحذرهم من اقامة العقبات فى سير الحكومة المصرية تحت الحماية ، وفى منع تشكيل وزارة جديدة .

٣/ ٨ — القبض على سعد زغلول وصحبه وترحيلهم الى مالطة

٣/ ٩ — خروج طلبة الحقوق والازهر والمدارس العليا فى مظاهرة كبرى ، هاتفين بالحرية والاستقلال واشتباكهم مع القوات البريطانية عدة ساعات ، والقبض على ٣٠٠ من المتظاهرين .

٣/١٠ — الطلبة يعلنون الاضراب العام ، ويطوفون فى مظاهرة يجرى على دور السلك السياسى الاجنبى ، وهم يرددون : تحيا الحرية . وليسقط الاستعمار ، اطلاق النار على المتظاهرين . ودفتر وفيات قسم السيدة زينب يسجل أولى الضحايا المصريين تحت اسم [مصريين مجهولين] .

٣/١١ — الاضراب العام يجتاح العاصمة . توقف المواصلات واغلاق المتاجر والبيوت المالية ، واستمرار المظاهرات فى أنحاء العاصمة . الدوريات البريطانية تصطدم بالمتظاهرين عند كوبرى شبرا وتطلق النار عليهم . سقوط اول من عرفت أسماؤهم من الشهداء ، وهو « الطالب محمد عزت البيومى » .

٣/١٤ — الدوريات البريطانية تطلق الرصاص على المصلين بعد صلاة الجمعة فى المسجد الحسينى .

بلغت الضحايا ١٣ قتيلا و ٢٧ جريحا . القيادة البريطانية تجرد البوليس المصرى من السلاح خشية الانضمام للثوار .

— الشعب يواجه اجراءات القمع البريطانية باقامة الحواجز والمتاريس فى الاحياء الوطنية وحفر الخنادق العميقة فى الشوارع لمنع السيارات المصفحة من اختراقها .

٣/١٥ — اضراب عمال عنابر السكك الحديدية . تعطيل قطارات الوجه القبلى . استمرار المظاهرات وسقوط الشهداء .

٣/١٦ — تشكيل المحاكم العسكرية البريطانية لمحاكمة المقبوض عليهم من المتظاهرين

— خروج أول مظاهرة نسائية كبرى احتجاجا على أعمال القمع الوحشية التى قوبلت بها الامة .

٣/١٨ — الثورة العارمة تجتاح جميع مدن وقرى القطر : الثوار يقطعون الخطوط الحديدية واسلاك البرق والتليفون قطع المواصلات بين القاهرة وبقية انحاء البلاد وبين بعضها البعض ، وتدمير محطات السكك الحديدية وحرق القطارات لمنع وصول القوات البريطانية الى المناطق الثائرة . والسلطة البريطانية تستخدم الطائرات والمراكب النيلية المسلحة فى محاولة لاخماد الجهات الثائرة .

— الثوار فى زفتى يستولون على السلطة ويعلنون الاستقلال ويقيمون اللجان الثورية ويصدرون جريدة اسمها [الجمهور] .

٣/٢٥ — وصول الجنرال اللنبى المندوب السامى الجديد لقمع الثورة وتثبيت الحماية فى مصر .

— الانجليز يحرقون بلدتى العزيزية والبدرشين ويقتلون الاهالى وينهبون المنازل وينتهكون اعراض النساء .

٣/٣٠ — احتراق بلدة نزلة الشوبك وانتهاك اعراض النساء ، والقاء القبض على عدد من الاهالى واعدامهم بالرصاص

٤/٧ — الافراج عن سعد زغلول وصحبه ، والتصريح لهم بالسفر الى أوربا .

— استمرار الثورة والمظاهرات والاعتقالات والمحاكمات العسكرية وسقوط الشهداء حتى تجاب المطالب الوطنية كاملة .

٤/٩ — تشكيل وزارة حسين رشدى الرابعة .

٤/١٩ — سفر الوفد المصرى برياسة سعد زغلول الى باريس لمحاولة عرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح ، بلغ مجموع الاكتتاب الشعبى لنفقات الوفد مائتى الف جنيه .

٤/١٢ — لجنة الموظفين تقرر الاضراب العام ، وتطالب باعتراف الحكومة بصفة الوفد الرسمية واعلان رفض الحماية والغاء الاحكام العرفية .

٤/٢١ — استقالة وزارة حسين رشدى لفشلها فى اجابة المطالب الوطنية .

٥/٢١ — تشكيل وزارة محمد سعيد ، الشعب يقابل الوزارة بالمظاهرات والاحتجاجات ، محاولة اغتيال محمد سعيد فى ٩/٢ بيد أحد الشبان الوطنيين

٦/٢٨ — توقيع معاهدة الصلح واقرار الحماية البريطانية على مصر الشعب يقابل اقرار الحماية بالسخط والوجوم ، والحكومة تعبر عن ابتهاجها باطلاق المدافع وتعطيل مصالح الدولة فى ٧/١٤

متحدية بذلك الشعور الوطنى .

١١/١٤ — بلاغ دار الحماية عن قرب وصول لجنة ملنر ، وتحديد مهمتها باقتراح النظام السياسى الذى يلائم مصر تحت الحماية ، المظاهرات الشعبية تندلع بقوة فى عواصم ومديريات القطر وتزايد عدد الضحايا الشهداء .

١١/١٩ — استقالة وزارة محمد سعيد .

١١/٢١ — تشكيل وزارة يوسف وهبة . استعدادا لاستقبال لجنة ملنر الاقباط يحتجون على قبول يوسف وهبه للوزارة ، وتعرض معظم اعضاءالوزارة لمحاولات الاغتيال كما حاول احد الشبان الوطنيين الاقباط اغتيال يوسف وهبه .

١٢/٧ — وصول لجنة ملنر الى القاهرة وسط حراسة مشددة ، ومظاهرات الاحتجاج العنيفة تستقبل اللجنة ، آلاف برقيات الاحتجاج من المواطنين تنهال على اللجنة والسلطة تقابل المظاهرات بالقوة والعنف ، وتوجيه الانذار للصحف بالامتناع عن نشر الاراء والاحتجاجات السياسية الموجهة الى اللجنة .

١٢/١١ — الجنود البريطانيون يتعقبون المتظاهرين داخل مسجد الازهر ويقتحمون المسجد باحذيتهم واسلحتهم ويعتدون عليهم بالضرب ، علماء الازهر يحتجون بشدة على انتهاك حرمة الازهر ، واللورد اللنبى يعتذر لشيخ الازهر عن الحادث — علماء ومشايخ الازهر يصدرون بيانا يطالبون فيه الانجليز بالاعتراف باستقلال البلاد .

١٩٢٠ :

٢/٣ — السلطان احمد فؤاد يصدر مرسوما برفع معاش الوزراء الى ١٥٠٠ جنيه — الوطنيون يعتبرون هذا الاجراء بمثابة رشوة للوزراء وضمان عدم خروجهم على سياسة السراى والانجليز .

٣/٦ — رحيل لجنة ملنر عن مصر بعد اجماع الامة على مقاطعتها .

٤/١٥ — الحكومة البريطانية تتدخل فى تنظيم وراثة العرش ، وتعترف بالامير فاروق وليا للعهد وضمان حقوقه فى وراثة السلطنة فى ظل الحماية البريطانية .

٥/١٩ — استقالة وزارة يوسف وهبه بعد تأدية دورها المرسوم

٥/٢٢ — تشكيل وزارة محمد توفيق نسيم ، لتكون امتدادا لوزارة يوسف وهبه فى مناهضة الحركة الوطنية ، وتدتعرض توفيق نسيم لمحاولة اغتياله فى ٦/١٢ وقبض على الجانى وحكم عليه بالاعدام بعد ذلك .

٦/٧ — وصول سعد واعضاء الوفد الى لندن لاجراء المفاوضات مع لورد ملنر ، ورفض سعد لمشروع المعاهدة المقدم من وزارة المستعمرات البريطانية .

١٩٢١ :

٣/١٥ — استقالة وزارة محمد توفيق نسيم .

٣/١٧ — تشكيل وزارة عدلى يكن . عدلى يشكل وفدا للمفاوضة برياسته بوصفه رئيسا للحكومة ، وسعد يعترض على رئاسة عدلى للوفد لان الحكومة لم ينتخبها الشعب ، ويقول كلمته المأثورة [جورج الخامس يفاوض جورج الخامس] .

١١/١٩ — فشل مفاوضات عدلى — كيرزن بعد ٢٤ اجتماعا وعودة عدلى الى القاهرة بعد ذلك ليقدم استقالة وزارته .

١١/٢٨ — القبض على سعد زغلول ومصطفى النحاس ومكرم عبيد وسينوت حنا وفتح الله بركات وعاطف بركات ونفيهم الى سيشل .

١٩٢٢ :

٢/٢٨ — صدور تصريح ٢٨ فبراير بتحفظاته الاربع .

٣/١ — تشكيل وزارة عبد الخالق ثروت .

٣/١٥ — السلطان احمد فؤاد يصدر مرسوما يعلن فيه استقلال مصر وينصب نفسه ملكا على مصر .

٧/٢٥ — القبض على الصف الثانى من حركة الوفد المصرى ، وتقديمهم للمحكمة العسكرية .

٨/١٤ — المحكمة العسكرية تقضى باعدام اعضاء الوفد ، [تم تعديل الحكم فى ٨/١٨] الى السجن مع الشغل لمدة سبع سنوات وتغريم كل منهم ٥ آلاف جنيه .

٨/١٥ — القبض على الصف الثالث من حركة الوفد .

١١/٢٩ — استقالة وزارة عبد الخالق ثروت بسبب الخلاف مع الانجليز وطلبهم تعديل النص الخاص بالسودان فى مشروع الدستور

١١/٣٠ — تشكيل وزارة محمد توفيق نسيم الثانية

١٢/٢٧ — اطلاق الرصاص على المستر بنسون الاستاذ الانجليزى بمدرسة الحقوق فى الطريق العام وموته فى الحال .

١٩٢٣ :

٣/١٥ — تشكيل وزارة يحيى ابراهيم .

٣/٢٤ — الافراج عن سعد زغلول وزملائه .

٤/٢٠ — صدور دستور ١٩٢٣ كأساس للحكم فى مصر .

١٩٢٤ :

١/١٨ — دعوة سعد زغلول لتشكيل الوزارة بعد فوز حزب الوفد فى الانتخابات .

٣/٤ — حكومة الوفد تصطدم بالعمال ، وتعتقل عددا كبيرا من قادة الحزب الشيوعى المصرى واتحاد النقابات ، وكانت قد حلت اتحاد نقابات العمال بالاسكندرية فى أواخر شهر فبراير .

٣/١٥ — افتتاح البرلمان المصرى وبدء اول انعقاد له .

٧/١٢ — اطلاق الرصاص على سعد زغلول فى محطة العاصمة بواسطة احد الشبان الوطنيين الذى اعترف « بأنه تعمد ارهاب سعد لانه يرغب فى المفاوضات ولانه قال ان الانجليز قوم شرفاء معقولون »

٩/٢٥ — بدء محادثات سعد — ماكدونالد فى لندن

واستمرت حتى ٣ اكتوبر . سعد يصف فشل المحادثات بقوله : لقد دعونا الى هنا كى ننتحر ولكنا رفضنا الانتحار [وعاد سعد الى مصر فى ٢٠ اكتوبر]

١١/١٩ — اغتيال السيرلى ستاك باشا [السردار]على يد جماعة من الشبان الوطنيين .

١١/٢٢ — اللورد اللنبى يسلم سعد زغلول انذارين يتضمنان سبعة مطالب وهى : [١] تقديم اعتذار عن الحادث [٢] معاقبة الجناة بشدة [٣] منع المظاهرات السياسية [٤] دفع غرامة قدرها نصف مليون جنيه [٥] سحب الجيش المصرى من السودان وتحويل الوحدات السودانية فيه الى قوة محلية تحت قيادة الحاكم العام [٦] زيادة الاراضى التى تزرعها حكومة السودان فى الجزيرة الى غير حد معين [٧] حماية الاجانب وامتيازات الموظفين منهم وبقاء منصبى المستشارين المالى والقضائى بكافة سلطاتهما وامتيازاتهما .

١١/٢٣ — الحكومة المصرية توافق على المطالب المتعلقة بالجناية ، وترفض المطالب الثلاثة الاخيرة لعدم علاقتها بالحادث . والقوات البريطانية تحتل جمارك الاسكندرية .

١١/٢٤ — استقالة حكومة سعد زغلول حسما للموقف ، ازاء الاعتداءات المتكررة على استقلال البلاد وحقوقها (*)



التســويق التعــاونى للقطــن

المشـــكلة

.. والحــل



حسن معـاذ رميح

التسويق التعاونى هو الاسلوب الثورى الذى وضـع من أجـل تحقيق الاشتراكية ، ومن أجـل مصالح المنتجين خاصـة الفلاح الصغير الذى طالما وقع فريسة للاستغلال فى السنين الماضية من الوسطاء والتجار .

والتسويق هو النتيجة النهائية للمراحل الثورية فى الزراعة كما رسم الميثاق وهو الذى يمكن الفلاح من الحصول على الفائدة العادلة تعويضا عن عمله وجهده وكده المتواصل .

وليس هناك شك رغم اخطاء وثغرات التطبيق المتكررة ان عملية التسويق التعاونى قد نجحت نجاحا كبيرا وحققت للمنتج كثيرا من المزايا . فهى الى جانب انها قدمت له صورة جديدة من التطبيق العملى لمبادىء اشتراكيتنا الانسانية وجعلته يلمس عن قرب وعن صدق معنى تحقيق الكفاية والعدل فقد مكنت للفلاح ان يدرك ببصيرته الواعية مدى الفارق الكبير بين ما كان يعانيه بالامس من الاستغلال غير المشروع الذى كان يتم لناتج عرقه وجهده بواسطة السماسرة والتجار والاقطاعيين وبين ما يحدث له اليوم من توفير كل الوسائل والامكانيات التى تجعله يتعامل مع فئات أو مؤسسات تقدر مجهوده وتقدم له الثمن المجزى .

وقد توافرت للفلاح الى حد ما كل الضمانات للحصول على السعر العادل لمحصوله بما يحقق زيادة دخله وارتفاع مستوى حياته .

والحقيقة الماثلة بكل ابعادها الان رغم أى ثغرات أن تجربة التسويق التعاونى قد حققت أهدافها فى تنمية وتعميق الوعى التعاونى وانعاش حياة الفلاح بحماية حقه فى أرضه وما تنتجه دون استغلال أو ظلم .

وكما نعلم جميعا أن عملية التسويق التعاونى تبدأ قبل الانتاج بتوفير البذور المنتقاة ،والزراعة فى أنسب المواعيد وبافضل الطرق ثم العناية بالتسميد ومقاومة الافات بما يتلائم مع المحصول وفى المواعيد المحددة والخدمة المستمرة اليقظة واتباع الطرق الحسنة فى الجنى والحصاد والحليج ، كل هذا لان البديهية الاولى ان المحصول الجيد هو

العامل الرئيسى فى نجاح التسويق التعاونى لان امتياز المحصول يقترن دائما بالحصول على اجود الاسعار ، وتفتح الاسواق جميعا للتنافس على شرائه .

ولقد بدأ التسويق التعاونى فى عام ١٩٥٣ بتسويق كمية لا تتجاوز ٢٧ ألف و ٧٠٠ قنطار من اقطان الاصلاح الزراعى ومع نجاح التجربة أخذ فى تطبيقها على مراحل تتمشى مع الامكانيات المادية والبشرية .

وفى عام ٦٥-١٩٦٦ طبق نظام موحد للتسويق التعاونى للقطن فى جميع المحافظات .

وتم تعديل النظام طبقا لتجربة التطبيق عام ٦٦-١٩٦٧ ثم عدل المرة الثانية ايضا على ضوء التطبيق عام ٦٧-١٩٦٨ ، وفى عام ١٩٦٨ تقدمت وزارة الزراعة على ضوء كل التجارب الماضية بنظام جديد تم تطبيقه فى الموسم الماضى ويتلخص فى :

المشروع الاول : السماح للشركات بالشراء مباشرة من المنتجين .

المشروع الثانى : الابقاء على نظام مراكز التجميع واستقبال الاقطان بها وفرزها زهرا وتقدير الثمن النهائى حسب رتبة الشعر المقابلة مع احتساب متوسط التصافى للقطن فى المركز الادارى أو المنطقة حسب المواسم السابقة مع انتهاء علاقة المنتج لقطنه ، وامتلاك الشركة له على ان يتاح للمنتج الاستفادة من اى تحسين يظهر بعد ذلك فى صافى الحليج .

وجاء التنفيذ مخالفا تماما لقواعد النظام الموضوع وكانت اخطاء وثغرات التطبيق كثيرة ومتعددة انفجرت معها التراكمات الراسبة فى نفسية الفلاحين من عدم الثقة فى أجهزة التسويق وكانت ابرز الاخطاء تاخر صرف الثمن لاكثر من ٢٠ يوما ... وكادت مع اخطاء هذا النظام أن تعود ظاهرة المرابين مرة أخرى لتسيطر على حياة الفلاحين .

وقبل أن نحدد المشكلة ونتلمس الحلول ، نضع أمامنا حقيقة واضحة محددة بكلمات الرئيس جمال عبد الناصر وهى أن « الهدف من التسويق التعاونى هو منع الاستغلال عن الفلاح ، واخذ انتاجه باعلى سعر وتحسين حاله واذا حصل خطأ فى التطبيق فيسرنا جدا أن نقاوم هذا الخطأ . واننا حينما نعمل أى شىء تعاونى هو لمصلحة الفلاح وليس لمصلحة الدولة ، وليس لكى تكسب الدولة أو لكى تزيد الميزانية ، ونحن حينما ناخذ المحاصيل من الفلاح فاننا ناخذها بالشروط التى تريح الفلاح ونعطى له حقوقه كاملة . »

ولقد أكد المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى فى توصيات دورته الاولى على ضرورة دعم نظام التسويق التعاونى للمحاصيل وتنقيته مماشابه من ثغرات مع مراجعة موضوع تسعير المحاصيل فى اطار سياسة سعرية متكاملة تحقق أهداف المجتمع وصالح الفلاح فى وقت واحد على أساس مراعاة التكاليف الفعلية للمحاصيل والحوافز .

والظاهرة الخطيرة التى لا بد أن تبدأ منها دراستنا هى نقص المساحة القطنية عاما بعد عام . انها تتناقص سنويا بما لا يقل عن حوالى ٢٠٠ ألف فدان مما يهدد بفقدنا لبعض الاسواق العالمية علاوة على الاثر السىء على الاقتصاد القومى .

والسؤال لماذا يهرب الفلاحون من زراعة القطن الان ؟ فلقد رأينا الفلاحين وقت تطبيق القوانين التى كانت تنص على تحديد الحد الاعلى للمساحة التى تزرع قطنا يصممون على تجاوز هذه المساحة ويزرعون القطن بالمخالفة لاحكام هذه القوانين .

والجواب بكل بساطة أن القطن لا يحقق عائدا مجزيا للفلاح لارتفاع تكاليف انتاجه وتعقيد مراحل تسويقه .

ولكى نحدد طريق الحل للقضاء على هذه الظاهرة نضع أمامنا هذه الحقائق :

الكمية المطلوب انتاجها من القطن سنويا لا بد أن لا تقل عن ١٠ - ١١ مليون قنطار خاصة أن الاستهلاك المحلى قد زاد حتى بلغ ٣ر٥ مليون قنطار .

هناك انهيار كبير الان فى رتب القطن فقد كان متوسط الرتب منذ بضع سنوات حوالى فولى جود الاربعا وفى بعض الرتب فولى جود أو جود فولى جود بينما نجد اليوم أن متوسط الرتب فى جميع المحصول لا يزيد عن جود فولى جود أو جود وربع ، وهذا الانهيار فى الرتب يعتبر فرقا كبيرا تترتب عليه خسارة للفلاح لانه ياخذ مقابل نفس الكمية سعرا اقل ، كما تترتب عليه خسارة للدولة أيضا ، لان الاقتصاد القومى يحصل من نفس القنطار على سعر أقل ، كما أنه يؤدى فى الوقت نفسه الى أن نخسر عملاءنا فى الخارج لانهم يحتاجون الى أنواع من الرتب ، لم تعد متوفرة

بالقدر المطلوب • أى أن الحقيقة الواضحة أن ما ننتجه من اقطان لاتساوى قيمته أكثر من ٦ ملايين قنطار •

— تم فى العام الماضى — بناء على اتجاهات الرأى العام بين الفلاحين على ضرورة زيادة سعر القطن لارتفاع تكاليف انتاجه — زيادة اسعار بعض اصنافه ، فقد زيد سعر القطن جيزة ٤٥ عشرة ريالات ، والقطن المنوفى ثمانية ريالات والقطن الاشمونى اربعة ريالات ، كما تقرر الا تزاد اسعار الاصناف الاخرى لزيادة غلتها • ثم الزيادة الجديدة التى أعلنت اخيرا •

— حجم محصول القطن فى موسم ٦٥—٦٦ كان ١٠ر٤ مليون قنطار وفى سنة ٦٦—١٩٦٧ بلغ ٩ر١ مليون قنطار بينما بلغ فى سنة ٦٧—١٩٦٨ ٧ر٨ مليون قنطار أى أن المحصول انخفض خلال سنتين ما يقرب من ٨ر١ مليون قنطار وهو ما يعادل ٣٦ مليون جنيه استرلينى نقصا فى حجم الصادرات •

— تكاليف زراعة فدان القطن تصل من ٦٥ جنيها الى ٧٥ جنيها باعتبار أن القيمة الايجارية للفدان ما بين ٢٠ — ٢٥ جنيها وأن تكاليف الرى والحرث والخدمة الزراعية ٢٠ جنيها وأن مصاريف المقاومة ١٥ جنيها والجنى ١٠ جنيهات •

— عملية فرز الاقطان ليست عملية كيمائية بل تقوم على اللمس والنظر وفى كثير من الاحيان تتوقف نتيجة الفرز على مزاج الفراز وحالته النفسية فاحيانا يخطىء فى فرزه وتخفض الرتبة بمعدل ١/٨ ماركة سواءبسبب عدمكفايةالضوء او غير ذلك من اسباب عديدة تؤثر على نتيجة الفرز وتحديد الرتبة وعملية الفرز تقديرية •

ولذلك فهناك فروق مسموح بها من الناحية الفنية تقدر بمقدار ١/٨ ماركة صعودا أو هبوطا وهو ما يقال عنه بفرق نظر ومن ذلك يتضح أن عملية الفرز وتقييم سعر القطن على أساسها تتضمن غالبا وجهات نظر مختلفة بالنسبة لشركات الاقطان ، فمن الجائز أن تحدد أحدى الشركات بالنسبة لقطن ما أنه فولى جود وربع وشركة أخرى ترى أنه فولىجود و١/٨ فتدفع الاولىثلاثة ريالات زيادة بينما لا توافق الثانية على دفع هذه الزيادة •

— هذا علاوة على عدم الدقة فى الفرز بسبب نقص الكفاءة الفنية لدى بعض الفرازين وعدم كفاية عددهم والتى كانت سببا فى تكليف الفراز بفرز ١٠٠٠ — ١٢٠٠ كيس فى اليوم •

ولو افترضنا أن الكيس يحتاج الى دقيقة أخذ عينات وفحصها وتسجيلها لكانت النتيجة أن هذه الكمية تحتاج الى ٢٠ ساعة يوميا فى الوقت الذى كان الفرز لا يستغرق فعلا اكثر من ٤ — ٥ ساعات •

طريقة تسويق القطنبالخارج لم تتغير مطلقا عن الماضى ، لقد كان هناك ٥٣ بيت تصدير قبل سنة ١٩٦١ وانكمشت فى الفترة من سنة ١٩٦١ الى سنة ١٩٦٢ الى ٣٣ بيتا ثم ١٣ بيتا وأصبحت أخيرا ٦ بيوت تصدير كلها مملوكة للحكومة بالكامل بنسبة ١٠٠ فى المائة ومع ذلك مازلنا حتى هذه اللحظة نتبع نفس طريقة الاجانب وينافس بعضنا البعض فى الاسواق الخارجية وفى الوقت الذى نخشى المنافسة بين الشركات فى الداخل خوفا من أن يحصل الفلاح على جنيه أو خمسين قرشا زيادة فى ثمن القطن ، نتنافس معا فى الخارج ، ما الذى يترتب على هذه المنافسة ؟ يترتب عليها نقص فى النقد الاجنبى سنويا يتراوح بين ثلاثة أو أربعة ملايين من الجنيهات •

هذه صورة سريعة للاطار العام الذى تدور داخله مشكلات التسويق التعاونى :

وللالتزام الان على ضوء نتائج تطبيق تجربة التسويق الاخيرة هو التنفيذ العملى لتوصيات المؤتمر القومى العام التى نصت تحديدا على : ضرورة مراجعة الدولة للسياسة التسويقية للحاصلات الزراعية ، بحيث يتحقق معها أعلى قدر من الكفاءة فيما يلى :

أولا : تخليص نظام التسويق التعاونى مما شابه من ثغرات ، والعمل على تنظيم العلاقة بين الانتاج والتصدير نظرا لما يلمسه الفلاحون من مشاكل نتيجة لعدم الدقة فى تيسير أمور التوريد من حلقة الى أخرى •

ثانيا : تحقيق أفضل سعر بالنسبة للفلاح ، الامر الذى ينبغى معه مراجعة سياسة تسعير المحاصيل وبحيث يدخل فى نطاق التسعير الاهتمام بايجاد حوافز للفلاح الذى يبذل جهدا كبيرا فى خدمة أرضه ويترتب على ذلك انتاج قدر أكبر من المحصول •

والطريق العملى لحل المشكلات الحالية يتركز فى الاتى :

١ — سهولة تسلم المحصول وأن يكون هناك سعر مجز للفلاح يغطى تكاليفه •

٢ — اطمئنان الفلاح الى أنه سيحصل على الرتبة الحقيقية لقطنه •

٣ ـ تيسير استلام الثمن وضبط حساب المديونية .

٤ ـ تخفيف القيود والاجراءات الادارية والغاء العدد الكبير من الاستمارات التى لا حاجة لها لكى تكون وسائل التسويق ميسرة وليست محل شكوى .

ولكى تتحقق هذه العوامل لا بد من تنفيذ الخطوات التالية :

ـ التوسع فى عدد مراكز التجميع والسماح بفتح مراكز فرعية بالقرى التى يتجمع فيها اعداد مناسبة من الاكياس .

ـ ان يتم انسياب المحصول فى المدة الفنية المقدرة له وهى تستغرق ما بين ثلاثة أو اربعة أشهر تنتهى فى شهر ديسمبر . بدلا من انسيابه الان فى شهر ونصف مما يؤدى الى تناثره فى الطرقات وتعرضه للامطار والعطونة والتلف .

ـ ان تكون تبعية مراكز التجميع للبنوك التجارية وليس لبنك التسليف حيث أنها هى القائمة حاليا بعملية تمويل شراء القطن .

وتكون هذه البنوك مسئولة عن جميع العمليات الحسابية فيما عدا صرف الثمن للمنتج . وتتولى محاسبة الشركات المستلمة للقطن على سداد ثمن الاقطان التى ترد الى مراكز التجميع تباعا وصرفها لبنوك التسليف لتسليمها للمسئولين بالجمعيات التعاونية الزراعية للصرف للزراع بعد خصم المطلوب منهم .

ـ تشديد الرقابة على العاملين بمراكز التجميع حتى تتم عمليات التسليم والوزن والنقل دون استغلال .

ـ عمل التوعية اللازمة للفلاحين للزراعة المبكرة والجنى الحسن مع فرز القطن وأن يكون للحافز المادى نصيب فى ذلك لتشجيع الجنى على دفعات .

ـ ان يكون من حق الفلاح الإعتراض على نتائج الفرز بعد توريد رسم مناسب يعاد اليه اذا اتضح صحة الاعتراض حرصا على جديته .

ـ الاهتمام بتدريب الفرازين .

ـ ايجاد عنصر المنافسة بين الشركات المشترية بحيث تدخل أكثر من شركة واحدة لمشترى المحصول حتى لا يعتقد الفلاح انه موضع احتكار لشركة معينة .

ـ ان يصرف عائد القطن للفلاح باعتباره صاحب الحق فيه نتيجة عمله وكفاحه وتشجيعا له على تحسين الرتبة بما يؤدى الى تصدير اقطان ترفع سمعة القطن المصرى بالخارج كما أن ذلك سيؤدى الى اعطاء المنتج الرتبة الحقيقية لقطنه طبقا للفرز النهائى بالاسكندرية ولن يكون للشركة مصلحة فى خفض الرتبة عن حقيقتها ، وبذلك تنتهى أزمة الثقة بين الشركة والمنتج .

ـ حرصا على مستوى الرتب والحد من تدهور صناعة الحليج يجب دراسة وضع المحالج الحالى اما بتبعيتها لشركات تصدير الاقطان أو ترك الحرية للشركات للحلج فى المحالج التى ترى صلاحيتها وكفاءتها للنهوض بصناعة الحليج مع العمل الفورى على تطوير صناعة الحليج بالخبرة الفنية لا الادارية والالات الحديثة .

ـ يعتبر القطن مملوكا للشركات المشترية بمجرد وزنه واستلامه بمركز التسويق ويسلم المزارع عنه علم وزن موضحا به عدد الاكياس ووزن القطن المورد .

ـ تتم المحاسبة على ثمن القطن اما دفعة واحدة بعد الفرز النهائى أو بدفع مقدم ثمن فى حدود اربعة جنيهات عن كل قنطار فور التسليم بموجب علم الوزن ثم استلام باقى الثمن على أساس نتيجة الفرز النهائى .

ـ تكون بطاقة الحيازة الزراعية الموجودة مع المزارع اساسا للمحاسبة على المديونيات ولا يعتد بغيرها ويجب التاشير فيها بما يتم سداده من ثمن القطن مع اعطاء الايصال اللازم .

ثم هناك قضايا يدور حولها مناقشات كثيرة مطلوب دراستها وهى :

ـ مراجعة السياسة السعرية لمحصول القطن فى ضوء سعر المحصول للفلاحين وبين الظروف الاقتصادية العامة للدولة .

ـ دراسة كيفية التوسع فى زراعة الاصناف من القطن الجديد والسلالات الممتازة طبقا لخطة تفصيلية طويلة المدى .

ـ دراسة نظام للتأمين على القطن من خلال دراسة مستفيضة لعمليات المقاومة اليدوية والكيمائية .. وكيفية تطبيق المقاومة اليدوية التعاونيـة لتخفيف التكاليف مع الحرص على

المحصول بالمقاومة على حساب المهملين ، مع دراسة تكاليف المقاومة الكيمائية التى تبلغ تكاليفها حوالى ٧ ملايين جنيه سنويا .

ـ دراسة عملية اقتصادية لنفقات انتاج القطن وكيفية خفضها للموازنة بين التكاليف ودخل الفلاح .

ـ دراسة توحيد نظام التسويق التعاونى داخل وخارج الاصلاح الزراعى خاصة ان رتب القطن فى بعض مناطق الاصلاح الزراعى فى هبوط مستمر سنة بعد أخرى .

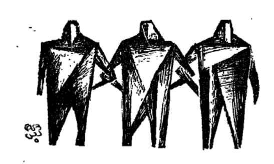
ـ دراسة كيفية القضاء على المنافسة خارجيا بين شركات القطن المحلية حتى نتمكن من زيادة حصيلتنا من العملات الاجنبية خاصة وأن هذا ينعكس انعكاسا غير مباشر على الفلاح وعلى السعر فى الداخل .

ـ تنفيذ التوصية التى اتخذت بتخصيص جزء من العائد النهائى وأرباح شركات تصدير القطن لاقامة مخازن لتوفير ما لا يقل عن ٥٠ فى المائة من الاكياس الخيش التى نستوردها من الخارج بالعملة الصعبة والتى نستهلك منها سنويا ١٠ ملايين كيس قيمتها ٥ ملايين جنيه بسبب تمزيق الاكياس عند أخذ العينات ، وتوفير مايدفع لمساحة تزيد عن ٢٠٠٠ فدان مخصصة لمراكز التجميع ومعطلة انتاجيا ، هذا علاوة على حل كثير من مشاكل الفرز والحسابات ، ويمكن انشاء هذه المخازن على مراحل .

وبعد ... فان هذه هى الصورة الواقعية للتسويق التعاونى للقطن بكل ابعادها وأمكانيات حلولها .

ولقد كانت القرارات الاخيرة بزيادة اسعار محصول القطن خطوة ايجابية لايجاد الحافز لدى الفلاحين لزراعة كل المساحة المستهدفة من المحصول .

وللتغلب على ثغرات تطبيق النظام ، ومن أجل حلها اتحدت الان كل الجهود ، الاتحاد الاشتراكى العربى ، ومجلس الامة ، والاجهزة التنفيذية ، لوضع نظام ثابت يرضى عنه الفلاحون . وبالايمان والوعى والاخلاص سيكون للتسويق التعاونى فى الريف وجهه الاشتراكى الاصيل والاداة الحقيقية لخدمة ملايين الفلاحين .



مؤتمر نصرة الشعوب العربية :

نتائجه وآفاقه



خالد محيى الدين

لست اعتقد اننى بحاجة الى ان اكرر هنا عديدا من النتائج الايجابية التى حققها المؤتمر العالمى الثانى لنصرة الشعوب العربية .. فالايجابيات كثيرة ، بل لعلها تستطيع إن تستغرق حديثا طويلا ، لكن المهم هو أن نضع يدنا هنا على عدد محدد من هذه النجاحات التى تلفت النظر والتى تحدد لنا ـ وهذا هو المهم ـ اسلوب وطريق عملنا فى المستقبل خدمة للقضية العربية وتحقيقا للاهداف القومية النبيلة التى استهدف المؤتمر تحقيقها ٠

واول مايلفت النظر هو ان هذا المؤتمر قد نجح فى خلق مناخ جديد ، يمكن من خلاله ان نبدأ حوارا مفيدا مع كثير من القوى الهامة ، والشخصيات والمنظمات ، والجماعات الجماهيرية فى انحاء مختلفة من العالم .

لقد مضى كثير من الوقت كانت اسرائيل تستحوذ فيه وحدها على امكانيات الحوار مع كثير من هذه القطاعات ٠٠ ومع الحوار المستمر استطاعت ان تكسب ، وأن تعزلنا وان تصنع بيديها وبأخطاء بعض العرب صورة منفره لنا أمام كثير من القوى التى يفترض فيها أن تقف ـ بحكم طبيعة تكوينها ـ الى جانب الحق العربى وضد الصهيونية وضد سياستها العدوانية ٠

ولقد ظللنا طويلا نحجم عن الالتقاء بهذه القوى ونكتفى بتبسيط مبالغ فيه للمسألة . فمن هو صديق سيظل صديقا ٠٠ ومن هو عدو سيظل عدوا ٠

لكن هذا التبسيط الساذج لم يكن ليعنى الا ان تظل والى الابد معزولين عن قوى هامة جدا فى الرأى العالمى ، وان تظل اسرائيل تملك وحدها زمام الحوار مع هذه القوى ٠٠

•• واذا كان الحوار قد بدأ قبل المؤتمر وبمناسبته وخلال اعدادنا له ، ثم استمر أثناء المؤتمر ، فلا بد له ان يواصل وأن يمتد ٠

اننا نملك الحقيقة والحق .. ومن الغريب ان نحجم عن استخدامهما فى معركة حاسمة فى تاريخ امتنا .

وقد بدأ الحوار فرديا ٠٠ فى أول الامر ، ومترددا من جانب البعض ، لكن فرصة المؤتمر والحملة الايديولوجية الناجحة التى نظمناها قبله بحيث أتحنا للجميع فرصة الاطلاع على عشرات الوثائق والتقارير والمواد الاعلامية التى اعدت بعناية وبادراك لطبيعة القوى الموجهة اليها ٠٠ هذه الفرصة قد اتاحت لكثير من القوى ان تدرك حقائق هامة عن القضية الفلسطينية وعن عدوانية اسرائيل ، وعن مشروعية النضال الفلسطيني ، وعن تحدى اسرائيل للضمير الانسانى والمواثيق الدولية ٠

وليست هذه هى النتيجة الوحيدة لهذا الحوار .. فهناك نتائج هامة اخرى من بينها :

● ان المؤتمر قد اتاح للعرب على اختلاف اتجاهاتهم فرصة الاحتكاك المباشر بقادة الرأى العام العالمى ، ومن ثم اتاح للكثيرين فرصة للتأمل ولاعادة النظر فيما يتبعونه من اساليب فى الدعوة للقضية العربية ٠

● ان احتكاك القوى العربية بهذه المجموعة الضخمة من قادة الرأى العام العالمى ، وامتداد الحوار والنقاش فيما بينها طوال ايام المؤتمر ، تمثل بلا شك خبرة ثمينة لكل هؤلاء الذين يدركون اهمية الرأى العام العالمى للقضية العربية واهمية عزل اسرائيل عنه وعن تأييده ٠

والحقيقة ان الرأى العام العربى وكثير من القوى السياسية العربية ـ باستثناء ج٠ع٠م وبعض القوى العربية الاخرى ـ تعيش الى حد ما فى عزلة عن الرأى العام العالمى ٠

ان الكثيرين يكتفون بأن يرفعوا اكثر الشعارات قدرة على اثارة الحماس ، واكثرها قدرة على اضفاء صفة التطرف على اصحابها ، دون ان يمعنوا النظر فى اثر مثل هذه المواقف على قوى دولية عديدة يمكنها ان يؤيدنا بل ولابد لها ــ بحكم طبيعة تكوينها ــ ان تؤيدنا .

ودون ان يدركوا ان الرأى العام العالمى ـ وهو قوى هامة جدا وبالغة التأثير وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ، لايمكن تحويله دفعة واحدة ، ولايمكن كسبه بمثل هذا الاسلوب ٠٠

● واذا كان هذا الاحتكاك قد أتاح فرصة ثمينة للعرب ،فانه ايضا وبنفس المقدار قد افادفى اتاحة الفرصة لكثير من قادة الرأى العام العالمى ليروا عن كثب حقيقة المنطلقات الفكرية لمختلف القوى السياسية فى العالم العربى ٠

ولاشك ان هذا مفيد ايضاً ٠

مفيد لنا ، ومفيد لهم ان يطلعوا على حقيقة الواقع العربى بابعاده المختلفة وتعقيداته الشديدة ، وطبيعة الصراعات التى تعتمل فيه .

● وثمة نتيجة ايجابية أخرى حقق المؤتمر نجاحا بالغ الاهمية ٠ وهى بروز الشخصية الفلسطينية ككيان نضالى ، وككيان مستقل آيضا ٠

والحقيقة ان بروز الشخصية الفلسطينية يمثل عنصرا هاما فى القضية ، فالمقاومة الفلسطينية السياسية والمسلحة ضد قوات الاحتلال تكتسب ـ بطبيعة الحال ـ احترام كثير من القوى المؤثرة فى الرأى العام العالمى ٠ وذلك باعتبارها جزءا من حركة التحرر الوطنية المعادية للاستعمار والعدوان والحرب ٠

وقد أثبت هذا الحوار ان كثيرا من قادة الرأى العام العالمى يقدرون تقديرا عاليا جدا النضال الفلسطيني ويؤيدونه بغير حدود ، ويحترمون التضحيات التى يقدمها ٠

ولاشك ان مثل هذا الاحترام هو ذخيرة هامة يتعين الاستفادة منها وتطويرها ٠٠

واذا كان المناضلون الفلسطينيون الذين حضروا المؤتمر،وخاصة ممثلو منظمةفتح قد اكتفوا بتقديم تصورات جزئية لافاق حل القضية الفلسطينية فانهم حتى فى هذه الحدود قد استطاعوا جذب كثير من الانظار الى موقفهم السياسى والى برامجهم واثاروا كثيرا من النقاش المفيد والحوار المثمر ٠٠

وقد اثبت هذا الحوار ان كلمة الفلسطينيين انفسهم باعتبارهم اصحاب الحق الاصيل قادرة على كسب كثير من القلوب والعقول ٠٠

وفى الجلسة الختامية عندما فجر أحد اعضاء الوفد السورى موضوعا شائكا وحساسا حول القوى التقدمية فى اسرائيل ورفع صوته مؤكدا نفى وجود أى تقدمى داخل اسرائيل ،وان السبيل الوحيد أمام اى تقدمى فى اسرائيل هو مغادرتها ،اثار كثيرا من النقاش اشترك فيه الدكتور ليبمان وهو يهودى بلجيكى يناصر القضية العربية مناصرة قوية وآخرون غيره ، لكن مندوب فتح استطاع بكلمة اكد فيها احترام كل القوى اليهودية داخل اسرائيل

وخارجها التى تكافح ضد الصهيونية والعنصرية والعدوان ، استطاع أن يكسب كثيرا من الاحترام والتأييد .

والحقيقة أن مثل هذا النقاش الذى تفجر ـ دون داع ـ فى الجلسة الختامية للمؤتمر يطرح امامنا قضية هامة هى ضرورة التفريق الحاسم والواضح بين اليهودية كدين والصهيونية كحركة عنصرية رجعية عدوانية ، فان الخلط بينهما ضار غاية الضرر،بل انه يخدم اسرائيل فى اكثر من موقع، اذ يتيح لها حق التحدث باسم يهود العالم ،وهو امر يجب أن نحرمها منه بصورة قاطعة . كذلك فانه توجد اعداد من اليهود فى اوروبا الغربية وامريكا وغيرهما من البلدان يعارضون السياسة الصهيونية ، ويرفضون المنهج العدوانى لحكام اسرائيل ، وهؤلاء يجب كسبهم الى صف القضية العربية والاستفادة منهم ، فان كلمة ادانة منهم لمسلك اسرائيل اشد دويا من كلمات اخرى كثيرة ..

.. ان علينا أن نعزل اسرائيل ، ان نعزلها عن كثير من القوى السياسية بما فى ذلك معارضيها من اليهود انفسهم ..

ان مثل هذا الواجب يتطلب كثيرا من الجهد والعمل .. لكنه واجب اساسى وملح .

والحقيقة ان المؤتمر قد أثبت ان ثمة واجبا اساسيا أمام المناضلين الفلسطينيين ،هو ضرورة الاهتمام بالمحتوى الفكرى والسياسى لحركتهم وتحديد منطلقات فكرية واضحة المعالم .

وهناك قضية أخرى نجح المؤتمر فى ان يلقى عليها الضوء ،وهى قضية العلاقة بين تنفيذ قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ كوسيلة سياسية لتصفية آثار عدوان يونيو ١٩٦٧ . وبين حق النضال الفلسطينى فى الاستمرار من أجل تقرير المصير واستعادة الارض . لكن هذه القضية .. رغم اهميتها البالغة . قد اختلفت حولها الاراء ولم تحسم حسما نهائيا بعد .

والحقيقة أن الرئيس جمال عبد الناصر قد اوضح فى بيانه أمام مجلس الامة بجلاء أن قرار مجلس الامن يتعلق فى الاساس بايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط الناجمة عن عدوان يونيو ١٩٦٧، وان كان لايجد حلا للقضية الفلسطينية.. الامر الذى يعنى حق الشعب الفلسطينى فى استمراره فى النضال دفاعا عن وجوده وحقوقه التاريخية .

وهذا يلزم كل القوى الثورية فى العالم عامة والبلاد العربية خاصة بضرورة استمرارها فى مساندة حركة الثورة الفلسطينية ودعمها .

والحقيقة أن المناقشة وان لم تصل الى حل حاسم لهذه القضية الا انها كانت ذات فائدة كبرى فقد اكدت ضرورة ازالة آثار العدوان كما اكدت فى نفس الوقت مشروعية النضال الفلسطينى وحقه فى الاستمرار .

ويقع هذا على عاتق الحركة الثورية العربية عامة ، وامام مناضلى فلسطين على وجه الخصوص عبء البحث عن المعادلة السليمة لهذين الهدفين المرتبطين بصورة يمكن قبولها كوسيلة عملية مقبولة .

اذ ان ازالة آثار العدوان وجلاء القوات الاسرائيلية عن الاراضى التى احتلتها بعد يونيو سوف يتيح أمام قوى الثورة العربية فرصا أكبر وامكانيات أوسع فى جميع المجالات .

تبقى بعد ذلك قضية هامة وملحة ، وهى متابعة اعمال هذا المؤتمر ، وما اسفر عنه من قرارات وعلاقات واتصالات ،ومحاولة اتاحة الفرصة لهذا الحوار المثمر ان يستمر فى ايجابية ولصالح الحق العربى .

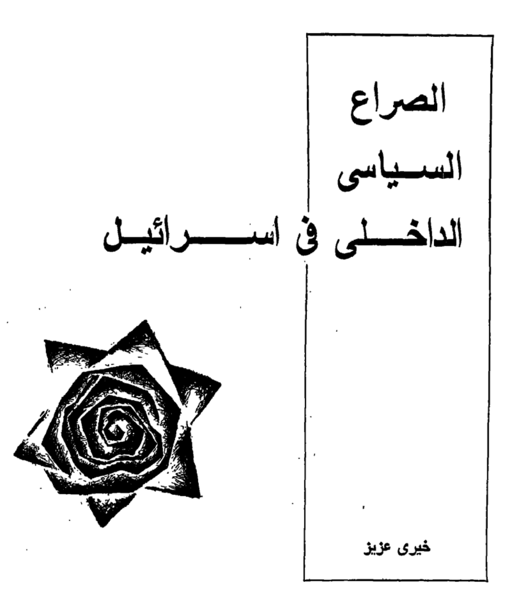
فبغير ذلك سيتحول المؤتمر الى مجرد انتفاضة جريئة لا تلبث أن تسكن .. ثم يطويها النسيان .

والواجب صعب بقدر ما هو هام . وهو يتطلب جهودا عديدة من القوى والهيئات ، وحشد امكانياتها والتنسيق فيما بينها حتى يمكن ان تستمر حالة التعبئة التى بدأناها ،وحتى نوالى امداد ممثلى هذه القطاعات الواسعة من الرأى العام بالمعلومات والآراء والكتابات حول سياسة اسرائيل ومخططها التوسعى ،واعتداءاتها المتكررة ،وابراز استمرارها فى تحدى القانون الدولى وميثاق الامم المتحدة وابراز اهدافها التوسعية وابراز دور المقاومة الفلسطينية واهمية حل المشكلة بطريقة جذرية .

وباختصار أن علينا ان نواصل هذا الحوار الذى بدأ ، لكن مواصلته تحتاج كثيرا من الجهد المنظم وتنسيقا بين الجهود الشعبية والرسمية . وتحتاج اولا واخيرا ان نبدأ .. بجدية وادراك لخطورة هذه المهمة .

ذلك أن عزل اسرائيل وحرمانها من تأييد الرأى العام العالمى هو بلا شك خطوة هامة فى طريق النصر النهائى .

الصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل



خيرى عزيز

ان الحقيقة الرئيسية التى نخرج بها من تتبع الصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل ، وبخاصةعلىمستوى القمة ،هى انه لايعبر فى الاساس عن تناقضات طبقية ، وصراع طبقى تدور رحاه داخل « المجتمع » الاسرائيلى ، بقدر ما يعبر عن صراع الاحزاب والمجموعات والشخصيات الاسرائيلية من أجل الوصول الى السلطة ، وهذا الصراع والسباق من أجل الوصول الى السلطة ، لايستهدففى الاساسخدمةمصالحطبقات اوفئات اجتماعيةمعينة ،متناقضة المصالحفيما بينها داخل اسرائيل ، وانما هو يستهدف فى الاساس ، التمكين لكل حزب أو مجموعة من خدمة الاهداف والفكرة الصهيونية العامة ، وفق الرؤية الخاصة لكل حزب أو مجموعة . فالرؤيا الخاصة ، لطريق تحقق الاهداف الصهيونية ـ تلك الرؤيا التى تتباين

بدرجات كمية فحسب بين أطراف الصراع من امثال « ليفى اشكول » و « موشى ديان » و « مناحيم بيجن » ـ هى مصدر صراعات الساسة فى اسرائيل ، وليست الطبقة الاجتماعية ومصالحها وآمالها ، بأى حال من الاحوال ، هى محور صراع هؤلاء الساسة . واذا كان المعلقون السياسيون الغربيون ، يطلقون عادة على اتجاهات الصراع الداخلى فى اسرائيل ، تعبيرات « اليمين واليسار والوسط » ، فلا يعبر ذلك بحال ـ كما يفهم تقليديا للوهلة الاولى ـ عن تمثيل تلك الاتجاهات لمصالح طبقات اجتماعية معينة ، داخل « المجتمع » الاسرائيلى ، كالاقطاع والراسمالية الكبيرة والطبقة العاملة ، وانما هو « يمين أو يسار أوسط » ، قربا أو بعدا من الاهداف الصهيونية النهائية ، تطرفا أو اعتدالا ازاءها ، ابتداء

من « مناحيم بيجن » فى اليمين المتطرف ، حتى الدكتور « موشى سنيه » (١) .

على ان ذلك لا يعنى بحال ، ان قانون التناقض لا يعمل عمله فى اسرائيل ، فذلك مخالف للحقيقة والفكر الجدلى الحى ، فمما لا شك فيه انه يدور داخل اسرائيل صراع اجتماعى ، مادام هناك رأسماليون وعمال مستغلون ، ولكنه يدور فى الاساس – وفيما نعتقد – فى الاطار « الاقتصادى » من اجل تحسين أحوال العمال الاسرائيليين ، لافى الاطار « السياسى » من أجل سيطرة « الطبقة » على الحكم ، لان المثل الصهيونى الاعلى هو الذى يغطى – فى هذا البلد المصطنع فى تكوينه – على المثل الاعلى الطبقى ، وهى حقيقة بالغة الخصوصية بهذا المجتمع ، وتعد استثناء تاريخيا دون شك . ولكن « **ماركس** » و «**لينين**» وضعا لنا خطوطها النظرية الاولى على أية حال باعتراضهما على فكرة : قومية على أساس من الدين ، ورفض لينين قيام تنظيم سياسى « خاص باليهود » يفسد الحركة الاشتراكية الخلفية الثورية للطبقة العاملة الروسية ، فى روسيا القيصرية ، وهذا الموضوع يحتاج فى حد ذاته الى المزيد من البحث العلمى التفصيلى ، لكننا سنكتفى هنا – مؤقتا – بتقرير تلك الحقيقة العامة التى نعتقدها ، وهى أن تناقضات الاحزاب والمنظمات السياسية المؤثرة فى اسرائيل ، هى تناقضات « الصهيونيين » حول طريق تحقيق الهدف الصهيونى الاعلى ، لا تناقضات الطبقات الاجتماعية المتباينة من أجل المصالح والسيطرة الطبقية .

وتتشابه اسرائيل الصهيونية من هذه الناحية ، الى حد كبير مع المانيا النازية . فالامر المؤكد انه كان للزعامة النازية هى الاخرى تناقضاتها الخاصة وصراعاتها الداخلية ، لكنها كانت فى الاساس ، صراعات النازيين فى اطار النازية ، وان التباينات فى وجهات نظر كل من « **هملر** » او « **جورنج** » أو « **جوبلز** » مثلا ، لم تكن فى الاساس تعبيرا عن تناقضات طبقية لفئات مختلفة المصالح ، وانما كانت تباينات فى وجهات النظر ، حول السبيل الامثل لخدمة النازية وأهدافها .

ولكن المظهر الاكثر خفاء وخبثا لاسرائيل الصهيونية ، والذى تختلف به من هذه الناحية عن المانيا النازية المكشوفة ذات الحزب الديكتاتورى الواحد ، هو ان اسرائيل الصهيونية تغلف صراعات رجالها وأحزابها ومجموعاتها بغلاف الديمقراطية البورجوازية ، وتعدد الاحزاب الخادع .

على انه اذا كان التحليل الجدلى الحى ، يعلمنا ان المانيا النازية بكل التناقضات الداخلية لزعامتها « العلوية » ، كانت تخدم فى الاساس مصلحة نهائية واحدة ، هى مصلحة أشد الطبقات الرأسمالية الاحتكارية الالمانية رجعية وعسكرية وتطرفا ، فأن اسرائيل الصهيونية تخدم – من ناحية أخرى ، وفى الاساس – سيدا واحدا ، هو فى نهاية الامر المصالح العامة للامبريالية الغرب أوربية والامريكية فى الشرق العربى ، ومصالح الرأسمالية الكبيرة اليهودية فى اسرائيل نفسها . ومن هنا فان صراع ساسة اسرائيل ومجموعاتها

---

(١) الدكتور موشى سنيه : انشق هو وشموئيل ميكونيس سنة ١٩٦٥ عن الحزب الشيوعى الاسرائيلى ، واستوليا على صحيفة الحزب « قول هعام » وعلى مؤسساته ، بمساعدة السلطات الاسرائيلية ، وانهما الاتجاه الاخر فى الحزب الذى يقوده « مايرفيلنر » بالتأييد المتطرف « للقومية العربية » ، واسس ميكونيس وسنيه الحزب الشيوعى الاسرائيلى الذى اصطلح على تسميته « باليهودى » ، اذ تقتصر عضويته على اليهود فقط ، وهو حزب مناصر للصهيونية تأثيره ضعيف جدا ، أيد عدوان يونيو ١٩٦٧ يعادى الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى ، وله مقعد واحد فى الكنيست ، ينتقد الحركة الشيوعية العالمية ، لانها ارتكبت اخطاء ضد الصهيونية وهى « حركة قومية » فى رأيه . كما ينتقد تعريف « ستالين » للامة ، لانه لا ينطبق على اسرائيل .

أما الحزب الشيوعى الاسرائيلى الاخر ، والمسمى رسميا باسم « القائمة الشيوعية الجديدة فى اسرائيل » ، والذى اصطلح على تسميته « باليهودى – العربى » لاشتراك العرب واليهود فيه جنبا الى جنب ، فيتزعمه اعضاء الكنيست مايرفيلنر ، وتوفيق طوبى ، واميل حبيبى ، وهو حزب معارض للحكومة الاسرائيلية ، يدين عدوان يونيو ١٩٦٧ على النظم التقدمية العربية ، ويدعو لانسحاب اسرائيل من الاراضى العربية المحتلة ، ويعارض المخططات الامبريالية ضد البلاد العربية ، ويدعو الى الصداقة مع الاتحاد السوفيتى ودول المعسكر الاشتراكى ، وله ٣ مقاعد فى الكنيست . تعرض اعضاؤه للاضطهاد واعتقل المئات منهم بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ ، وجرت محاولة لاغتيال سكرتيره العام فيلنر . والتأثير العام لهذا الحزب ضعيف جدا كذلك ، وهو وان كان يعتبر نفسه مدافعا عن مصالح « الطبقة العاملة » فى اسرائيل ، الا ان ظاهرة تمثيله الطبقى الايديولوجى هذه – علما بانه لا يمثل سوى قلة عمالية – هذه الظاهرة تعد استثناء فى اسرائيل ، ولا تشكل باى حال صفة غالبة ومكررة بين احزاب اسرائيل الاخرى ومجموعاتها ، وبخاصة الاحزاب المؤثرة المتصارعة – فى الحياة السياسية – ، ولذا لا يعد وضعه مبررا – باى حال – لتغيير تصورنا المذكور : عن « ميكانيزم » الصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل القائم على خلافات « صهيونية » فى طابعها العام لا طبقية .

المتباينة انما هو فى الاساس صراع وسباق على دور العميل للامبريالية العالمية ، ومخططاتهــا وظبقاتها القــائدة ، أما المليونى ونصـف المليون يهودى فى اسرائيل فليسوا سوى الاداة البشرية لخدمة المصالح العامة المذكورة لقاء مستحقات مدفوعة من أموال ، ومعونات ، وتعـويضات ، واستثمارات أوربا الغربية والولايات المتحـدة الامريكية . على انه ينبغى الا يغيب عن البال ، ان العمالة هنا ، لا ترتدى ثوبا « رخيصا » « مبتذلا » ، على طريقة نجوين كاوكى فى فيتنام الجنوبية أو « باك جونج هى » فى كوريا الجنوبية ، وانما هى ترتدى ثوبا أكثر « تمدنا » فى الظـاهر واكثر « خفاء » ، اذ يتخذ سمات ثقافية ، فى الحفاظ على التراث اليهودى ، ودينية فى العودة الى صهيون وارض الميعاد ، وانسانية بجمع شتات الشعب المضطهد .

الموقف من الاراضى العربية المحتلة

والحقيقة الملحوظة هى ان مصادر الخـلاف الحالية بين الزعامات الاسرائيلية لا تكمن اساسا فى القضايا الداخلية، وانما فى الموقف من العلاقات مع الدول العربية ، الذى يتصل أولا وأخيرا فى الوقت الراهن ، بالموقف من الاراضى العـربية المحتلة .

وفيما يتعلق بهذا الموقف نجد هناك مواقف اسرائيلية واضحة تماما ، يتخذها كل من « مناحيم بيجن » زعيم حزب حيروت ، و « حركة اسرائيل الكبـرى » مــن نــاحية ، والحـزب الشيوعى (العربى ـ اليهـودى) مـن نـاحية أخرى . « فمناحيم بيجن » يدعو بوضوح الى ضم الاراضى العربية المحتلة الى اسرائيل ، ووضع خطة لاستيطان اليهود بها . كذلك تدعو « حركة اسرائيل الكبرى » التى يشكل عمودها الفقرى اعضاء من جميع الاحزاب السياسية والهيئات الدينيـة والاقتصادية ، الى القيام فورا بضم هذه الاراضى وتوطين عدد كبير من اليهود بها . وقد تشكلت كرد فعل لها « جماعة العمل من أجل السلام والامن » التى يطلق عليها جماعة « الامن بغير ضم » ، من عدد من الشيوعيين واعضاء حزب الاحـرار المستقلين . وعلى النقيض تماما مـن « بيجن » و « حركة اسرائيل الكبرى » ، يدعـو الحزب الشيـوعى (العربى ـ اليهودى) بـوضوح الى انسحاب اسرائيل الكامل من الاراضى العـربية المحتلة .

أما الحكومة الاسرائيلية ، فلم تعلن بعد عن موقف محدد واضح ازاء المناطق المحتلة ، وذلك للضغط والمناورة على العرب من ناحية؛ وللخوف من انفراط عقد الائتلاف الحاكم الذى يضم حزب مناحيم بيجن المعارض لأى تنازلات للعرب من ناحية أخرى . وكل ما يقوم به وزير الخارجية « ابا ايبان » (وهو من مجموعة اشكول) بين الحين والاخر ، هو التأكيد على « الطريق الاسرائيلى » لتنفيذ قرار مجلس الامن ، والقائم على أساس الصلح والمفاوضات مع العرب قبل بـدء أى انسحاب . ومع ذلك فقد صرح أكثر من مسئول حكومى اسرائيلى ، فى أكثر من مناسبة (آخرها تصريح ديان فى الولايات المتحدة فى ديسمبر الماضى والذى لاقى بسببه نقدا شديدا من زملائه فى الحكومة والجماعات السياسية الاخرى) عـن استعداد اسرائيل للتخلى عن اجزاء كبيرة من الاراضى المحتلة فى اطار تسوية سلمية ، وان كان ديان قد اضاف أن ذلك لا يعنى بحال العودة الى حدود يونيو ١٩٦٧ . على انه اذا كان كل من أشكول والون وديان وهم من أبرز زعماء الحكومـة الاسرائيلية ، يتفقون جميعا على اعتبار نهر الاردن الحد الطبيعى الشرقى لاسرائيل ، وعلى اعتبار قمم الجبال غربى الاردن قواعد للدفاع عن حدود اسرائيل، الا ان هناك اختلافا بين موقف ديان ، وموقف مجموعة اشكول من هذه القضية ، اذ بينما يدعو ديان الى دمج اقتصاد الضفة الغربية فى الاقتصــاد الاسرائيلــى ، يعـارض بنحــاس سابير (سكرتير حزب العمال الموحد الجديد، وهو من مجموعة اشكول) ، تلك الخطوة على اساس انها بداية للضم الذى يشكل خطرا سكانيا على اسرائيل ، يتمثل فى ادماج مليون عربى فى الدولة الاسرائيلية التى لا يزيد عدد سكانها عن ٢ر٥ مليون يهودى ، مما يهدد بفقدان الطابع اليهودى للدولة ــ فى المستقبل . والحقيقة انه يمكن القول بصفة عامة ان ديان يتخذ فى قضية الاراضى المحتلة بصفة خاصة ، موقفا وسطا بين اليمين المتمثل فى مجموعة اشكول ، واليمين المتطرف المتمثل فى مناحيم بيجن . هذا وقد اشار « جيل مارتينيه » فى «النوفيل أوبزرفاتير» الفرنسية فى ١٦ فبراير ١٩٦٨ ، الى أن عــددا من اعضــاء الحكومة الاسـرائيلية يؤيدون ايجاد قطاع اردنى فى الجزء الشرقى من القدس الذى يشمل بوجه خاص مسجد عمر ، والمسجد الاقصى ، وان ديان نفسه أعلن انه لن يعارض قط أن يرفرف العلم الاردنى على مسجد عمر ، فى الوقت الذى تستمر فيه القدس عاصمة لاسرائيل . كذلك طالب « ديان » فى اجتماع مغلق للشعبة البرلمانية لحزب العمال الموحد الجديد فى يونيو الماضى ، بوجوب احتفاظ اسرائيل على الدوام بشرم الشيخ ، لضمان حرية الملاحة فى مضايق تيران ، وببعض اجزاء لم يحددها فى شبه جزيرة سيناء . والحقيقة أن السبب الرئيسى فى غموض وتذبذب موقف الزعماء الاسـرائيليين المتصارعين بالنسبة للاراضى المحتلة ، وعدم تقديمهم لمشروعات

واضحة بهذا الشأن ، يرجع الى ان اظهار أى اتجاه لتقديم تنازلات من جانبهم للعرب ، يتناقض مع عملية المزايدة العامة التى يقومون بها على حساب الاخيرين ، اكتسابا لمزيد من الشعبية والجماهيرية وسط الرأى العام الاسرائيلى .

مشروع ألون عن « الحزام الواقى »

وربما كان **ييجال ألون** وزير العمل الاسرائيلى ، هو الزعيم البارز فى حزب العمال الجديد الذى قدم مشروعا واضحا بشأن الضفة الغربية . اذ يرى الون فى مشروعه المسمى « بالحزام الواقــى » ، اقامة حكم ذاتى فى الضفة الغربية ، مفتوح الحدود مع الضفة الشرقية ، للتبادل الاقتصادى ، وله منفذ على البحر المتوسط ، على أساس اقامة سلسلة من المستعمرات الاسرائيلية المسلحة على قمم الجبال غربى الاردن ، لمنع التسلل الفدائى الى اسرائيل ، ولاتقاء أى هجوم نظامى من الجيش الاردنى مستقبلا على ان تستثنى من الحكم الذاتى ، وتضم لاسرائيل مناطق : القدس ، والخليل الاعلى ، واريحا العليا ومنطقة اللطرون . وبهذا المشروع تتمكن اسرائيل من التخلص من نسبة السكان العربية فى الضفة الغربية ، حتى لا تشكل من الناحية العددية خطرا على اسرائيل . وقد اشارت المصادر الصحفية الغربية الى ان هذا المشروع يحظى بتأييد اشكول ، وان كان ديان يعارضه كحل نهائى ، ولا يمنحه سوى تأييد طفيف . فى حين ترى « **الكوريرى ديلاسيرا** » الايطالية فى ٤ سبتمبر الماضى ، ان مشروع ألون ليس فى حقيقته سوى مشروع يقصد به جس نبض العرب الفلسطينيين ، وأن الون وضعه بموافقة اشكول وديان ، وان كانت صحف غربية أخرى ترجح أنه مشروع اسرائيلى جدى وضع بالفعل لتحديد مصير الضفة الغربية . أمـا حزب « المابام » فيعارض فكرة ضم الضـفة الغربية ، ويطالب بعمل اتفاق مع الاردن بهدف الحصول على حدود آمنة . فى حين يدافع الحزب الشيوعى (اليهودى) عن مـواقف الحكومـة الاسرائيلية ، ويطالب بعدم الانسحاب قبل توقيع اتفاقية سلام .

أشكول فى مواجهة ديان

اما فيما يتعلق بالصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل ، فنجد ان أكثر معاركه حدة واستمرارا هى المعركة المستعرة بين « **ليفى اشكول** » رئيس الوزراء الحالى ، و « **موشى ديان** » وزير الدفاع حول رئاسة الوزارة الاسرائيلية ، برغم ان كليهما يعتبران القطبين الكبيرين لحزب سياسى واحد ، هو حزب العمال الموحد الجديد (٥٤ مقعدا من مقاعد الكنيست الـ ١٢٠) وهو الحزب الذى تكون فى يناير ١٩٦٨ من اتحاد احزاب الماباى (٢) بزعامة اشكول وله ٣٦ مقعدا ، واشدوت افودا بزعامة ييجال الون وله ٩ مقاعد ، ورافى بزعامة موشى ديان وله ٩ مقاعد أيضا . والحقيقة ان هذا الصراع لايقوم بحال ، على أساس من المفاضلة بين القدرات الشخصية لكل من ليفى اشكول أو موشى ديان ، وانما هو فى جانب هام من جوانبه ، صراع بين جيل « الحرس القديم » الذى يتزعمه اشكول ، ويضم **جولدامايير** ، **وبنحاس سابير** ، ويحتضن **ييجال ألون** وزير العمـــل ذى الروابط مع جيل الشباب ، والزعيم الثانى للمؤسسة العسكرية ، وبين جيل الشباب ، ويـونيو ١٩٦٧ الذى يمثله « موشى ديان » زعيم المؤسسة العسكرية ذو الصلة بالجيل القديم كذلك ، باعتباره أحد محاربى ١٩٤٨ ، والحقيقة ان ديان لا يحظى بدعم انصاره من رجال حزب « رافى » فحسب ، وانما بتأييد الكثيرين من رجال حزب الماباى نفسه أيضـا ، وأبرزهم زعماء فروع الماباى فى تل ابيب وحيفا والقدس .

والسبب الرئيسى فى تأجج أوار ذلك الصراع بين اشكول وديان ، هو النفوذ الضخم الذى حصل عليه ديان فى أوساط الرأى العام الاسرائيلـى ، باعتباره « منقذ البلاد » وبطل انتصارات يونيو ، بحيث اشتدت خطورته الى حد مقلق على زعامة ليفى اشكول رئيس الوزراء نفسه . فقد نجح ديان فى تجميع عدد كبير من العناصر الشابة ، وشكل بهم قاعدة يرتكز عليها فى العمل داخل حزب العمال الجديد ، وداخل الائتلاف الحكومى من أجل الاطاحة بأشكول . كذلك ساعد على صعود نجم ديان فى الفترة الاخيرة ، التعاطف الخارجى الذى لقيه من اليهود الغربيين والامريكيين بخاصة ، بسبب نفورهم من زعامات الجيل القديم الشديدة الالحاح على الهجرة من امثال **بن جوريون** ، **واشكول وجولدا مايير** . ذلك ان اليهود الغربيين والامريكيين الذين يرفضون الهجرة الى اسرائيل ، ويكتفون بالتبرع لها ، يظهرون اهتماما وتعاطفا اكبر ازاء تولى العناصر الشابة كديان ، زمام الحكم فى اسرائيل ، لان اتجاه جيل الشباب فى اسرائيل يعد اكثر اتساقا وتبريرا لموقفهم ، اذ يقوم

---

(٢) حزب الماباى : تأسس سنة ١٩٣٠ ، وقد نظم جيش الهاجاناه الاسرائيلى وأشرف على الوكالة اليهودية ، ونظم خطة اغتصاب فلسطين . يهدف الى تشـجيع توظيف رؤوس الامـوال الاجنبيـة وتشـجيع الهجـرة الى اسرائيل . يدعى بأنه « يسعى الى السلام مع الدول العربية المجاورة » .

على وجوب تدعيم امكانيات اسرائيل العسكرية والاقتصادية والسياسية اولا ، قبل التفكير في جلب يهود جدد . هكذا وقد كشف الاستفتاء الذى قامت به مجلة « بيت كول » الناطقة بلسان طلاب جامعة بـرايلان والذى نشرتـه صحيفة « هاعولام هازيه » الاسرائيلية فـى ٢٤ ديسمبر الماضى ، حقيقة المكانة التى اصبح يتمتع بها ديان بين جيل الشباب خاصة ، اذ أوضح أن ٤٤ فى المائة من الطلبة يؤيدون ترشيحه لرئاسة الوزارة ، و ١٧ فى المائة فقط يؤيدون ترشيح اشكول . أما فيما يتعلق « بالمفاوضات مع العرب » فيرى ٧٣ فى المائة من الطلبة فى ديان « مندوبا مثاليا لاجرائها » ، فى حين يرى ٣٣ فى المائة منهم فى أبا ايبان مثل هذا الشخص ، ولايناصر اشكول فى القيام بهذه المهمة سوى ٩ فى المائة فقط . والحقيقة ان اشكول قد تنبه منذ البداية الى الهدف الذى وضعه ديان نصب عينيه ، عند انضمامه بحزب رافى (٣) الى حزب العمال الجديد .

والحقيقة ان ليفى اشكول قد دأب بمجرد زوال « الخطر العسكرى المباشر » على توجيه انتقادات لاذعة لموشى ديان ، بسبب « تمجيده لشخصه واستخفافه بالبرلمان وافتقاره الى الذوق السليم واللياقة ، وغروره » وعمد الى استخدام تلك النواقص فى تجميع المخضرمين من ساسة اسرائيل ، كجولدا مايير وبنحاس سابير حوله ، وشكل منهم قاعدة يرتكز عليها ضد ديان . كذلك وجه بنحاس سابير انتقادات عدة لديان بسبب سياسته فى ادماج عرب الضفة الغربية فـى اسرائيل ، موضحا انها تؤدى الى « دولة مزدوجة القومية » تتعارض والاهداف الصهيونية العامة الداعية الى دولة ذات « قومية يهودية » واحدة . هذا فى حين عمد العديد من اعداء ديان الاخرين الى التنديد به على أساس انه كان يعارض القيام بعمليتين عسكريتين على جانب عظيم من الاهمية ، هما الهجوم على القدس بمجرد بدء الحرب مباشرة والتشكك فى قدرة الجيش الاسرائيلى على اقتحام مرتفعات جولان السورية . وبرغم ذلك أوضحت وكالة « داحاف » الاسرائيلية للانباء فى استفتاء اجرته فى يوليو الماضى ، مدى الشعبية الكبيرة التى يتمتع بها ديان فى اوساط الرأى العام الاسرائيلى ، وأبرزت حقيقة ان ٥٤ فى المائة من الاصوات تؤيد ترشيح ديان رئيسا للوزراء ، فى حين لاتؤيد اشكول فى الترشيح سوى ٢٨ فى المائة منها فقط .

دفع آلون ضد ديان

والحقيقة ان النفوذ الشعبى الضخم الذى حاز عليه ديان بعد النصر ، دفع الزعيمين الاخرين المؤسسين لحزب العمال الجديد ، وهما اشكول زعيم الماباى ، ييجال الون زعيم اشدوت افودا الى التكتل معا لمواجهة خطره الزاحف . وكانت أولى الضربات التى وجهها لوقف تقدمه ، هى افقاده القدرة على التحرك المناور داخل ساحة الصراع المتسعة الجديدة المتمثلة فى حزب العمال الجديد ، وذلك بأصرار ألون ، عند اقرار دمج الاحزاب الثلاثة ، على أن يحتفظ كل حزب باستقلاله الايديولوجى ، وبأشرافه الحر على منظمات الشباب ، والمستعمرات التابعة له حتى يضمن سيطرته على مؤسسات حزبه ، ويقطع الطريق على عملية الاستقطاب التى يسعى ديان للقيام بها داخل الحزب الجديد .

وقد عمد اشكول فى اتجاهه لتحطيم نفوذ ديان ، الى استنزاف جهوده بأشعال نار صراع مستعر بينه وبين الزعيم الاخر للمؤسسة العسكرية ييجال ألون . وفجر اشكول هذا الصراع بقراره تعيين الون نائبا لرئيس الوزراء ، وهو قرار ينطوى على خطورته السياسة بالنسبة لديان ، بالنظر الى المكانة العالية التى يتمتع بهـا ييجال الون فى الدوائر السياسية الاسرائيلية ، وما يتسم به من مهارة ادارية ، وبراعة سياسية ، بالاضافة الى تقديمه « لافضل برامج الرعاية الاجتماعية » عندما كان وزيرا للعمل ، على الرغم من أنه يفتقر الى صفة منقذ البلاد التى يتمتع بها ديان . والحقيقة أن تعيين اشكول لالون ، نائبا لرئيس الوزراء ، لم يستهدف فى الحقيقة رفع أسهم الون فى صراعه المرير ضد ديان على خلافة أشكول ، بقدر ما استهدف أصلا تحطيم أسهم ديان نفسه. كذلك فقد استهدف اشكول هدفا آخر من وراء دعمه لألون ، الذى يوصف عادة باليسارية » ، ويعتبر قائد الجناح اليسارى فى حزب العمال الجديد ، ألا وهو استخدام قدرة ونفوذ ألون ، فى اجتذاب حزب « المابام » (اليسارى) المعادى لديان ، الى صفوف حزب العمال الجديد ، أو اقناعه ـ على اقل تقدير ـ بالانضمام الى هذا الحزب فى قائمة انتخابية واحدة فى الانتخابات

---

(٣) حزب رافى : تاسس سنة١٩٦٥ منشقا عن حزب الماباى .قاده بن جوريون وايده فيه ديان، وشيمون بيريز نائب وزير الدفاع الاسبق ،بسبب الخلاف بين بن جوريون وأشكول على السياسة الخارجية ، ومطالبة بن جوريون بتغيير نظام التمثيل النسبى والاستعاضة عنه بالدوائر الانتخابية ، وبسبب معارضة بن جوريون لاتجاه اشكول الذى كان يحاول التحالف مع حزب اشدوت افودا . من اهم شخصيات رافى ، بالاضافة الى بن جوريون وديان هو يوسف الموجى .

القادمة . على انه ينبغى الا تغيب عن الذهن هنا حقيقة هامة وهى ان الخلاف بين ديان وألون ، لايقوم فى جوهره على المخطط العام لسياسة المؤسسة العسكرية التى يمثلانها ، وانما يقوم فى الاساس على الصراع من أجل الحكم . ومما له دلالته بالنسبة لمستوى هذا الصراع بين الرجلين ، ان ألون لم يحصل فى استفتاء داحاف المذكور ، الا على تأييد ٢٥ فى المائة من الاصوات ، فى حين أيد ترشيح ديان لرئاسة الوزراء ٦٠ فى المائة منها .

ادخال بنحاس سابير الى الحلبة

والحقيقة أنه لو كان أشكول يريد حقا أن يفسح الطريق لألون ليخلفه فى رئاسة الوزارة لاعلن أنه لايريد ترشيح نفسه لهذا المنصب مرة اخرى، ولكنه سد السبيل أمام ألون باعلانه أنه اذا قرر الحزب اختيار رئيس آخر للحكومة بعد الانتخابات القادمة، فان **بنحاس سابير** هو الخليفة الطبيعى له فى منصب رئيس الوزراء . والمعروف عن سابير أنه أكثر ساسة اسرائيل قربا من الزعامات المخضرمة وعلى رأسها ليفى أشكول . وبذا يكون اشكول قد دفع بفارس جديد الى الحلبة ليتناحر مع ألون من ناحية ، ويعملوا جميعا ضد ديان من ناحية أخرى . وعلى هذا النحو ، يستنزف أشكول بفارسه الجديد ، جهد الفارسين الاخرين ، محافظا هو على جهده ومكانته ، حتى تكون له الغلبة فى النهاية . والصراع مضمون ، لان العداء مستحكم بين بنحاس سابير الفارس الجديد ، وبين ديان بسبب اعلان الاخير من قبل ، اعتزامه على اقصاء سابير ، وهو من الرعيل القديم ، من وزارة المالية (التى كان لايزال وزيرا لها حينذاك) ، عند اقصاء أشكول من رئاسة الوزارة . والحقيقة أنه كان من الضرورى بالفعل لاشكول ، ادخال بنحاس سابير الى الحلبة لوقف تقدم الون ، وعرقلة ديان ، ذلك ان ييجال الون ، استغل هو الاخر ، فرصة صراع أشكول ضد ديان ، لتثبيت مواقعه وزيادة نفوذه بين الهيئات التى ترسم سياسة اسرائيل الدفاعية والخارجية ، وساعده على ذلك عدم اظهاره للتحدى الواضح ازاء زعامة أشكول ذات النفوذ . ولكنه عمل دائما وفى نفس الوقت على استغلال كل خطأ يقع فيه أشكول أو ديان لصالحه . ونجد فى النهاية بالنسبة لالون ، انه بدلا من أن يهدم ديان ذى الشعبية الوطيدة ، أستطاع اجتذاب الاضواء التى كانت تحيط بأشكول ، وقد حصل الون فى استفتاء داحاف المذكور على ٤٣ فى المائة من الاصوات أيدت ترشيحه رئيسا للوزراء ، بينما لم تؤيد أشكول سوى ٣٧ فى المائة منها فقط . وأصبح ألون المنافس الوحيد لديان ، وساعده على ذلك انتماؤه لجيل الشباب . كذلك نلاحظ بشكل عام ، أن تكتيك أشكول الرئيسى الماكر ، يقوم هنا على ضرب العنصرين الرئيسيين فى قيادة المؤسسة العسكرية (ديان وألون) ببعضهما ، ليفوز هو بالغنيمة النهائية ، وهو تكتيك حقق ويحقق له دون شك الكثير من الفائدة .

لمن تمهد « جولدا مايير » الطريق ؟

على أن « جولدا مايير » اتخذت وتتخذ فى نظر عديد من المراقبين السياسيين موقفا أكثر احترازا من أشكول ، فهى تتشكك فى قدرته على دحر ديان . ولذا فلكى تحفظ جولدا مايير خط الرجعة على الزعامات المخضرمة التى تنتمى اليها ، أوضحت صحيفة « هاعولام معازيه » فى أوائل يوليو الماضى ، أنها قامت بدور رئيسى وهام فى تعيين ألون ــ الاقرب الى الزعامات المخضرمة من ديان ــ نائبا لرئيس الوزراء . وبذا تكون جولدا قد نجحت فى تحويل جانب كبير من اختصاصات أشكول المهدد الى احدى القيادات الشابة المقبولة لدى القيادات القديمة ، بحيث تصبح ثقلا قويا مضادا لديان . فاذا مافاز الون فى صراعه ضد ديان ، كان ذلك أنسب لصالح الزعامات المخضرمة . واذا ماتعادلت كفتيهما ، عند البت فى مسألة رئاسة الوزراء ، يمكن عندئذ اعطاء المنصب لزعيم أكثر اقترابا للزعامات المخضرمة منهما ، ألا وهو بنحاس سابير . وعلى هذا النحو تكون جولدا أكثر حرصا ، وأقل رغبة فى المغامرة بمصير الجيل المخضرم من أشكول ، الذى يصر على ربط المصير السياسى لهذا الجيل ، بوجوده الشخصى كرئيس للوزراء ، الا أن صحيفة « التايمز » البريطانية ، قد وضعت المسألة فى ٤ يونيو الماضى ، على مستوى آخر ، اذ أشارت الى موقف أكثر تحديدا لجولدا ، من أشكول ، يقوم على أساس اعتقادها ، « بأن الوقت قد حان لكى يتخلى أشكول عن زعامته للجنرال ألون » ، بل لقد أشارت « التايمز » أيضا الى « أن نقاد جولدا يرون أنها ترنو ، هى الاخرى ، الى رئاسة الوزارة ، وهو أمر لايبدو سهلا بعد بروز بنحاس سابير بصفة المرشح الاول لخلافة أشكول .

ومع ذلك ، فهناك تتابع معين للحوادث يلفت النظر ، ولم يكشف الستار عنه بعد ، أو على الاقل فيما توافر لدينا من معلومات حتى كتابة هذا

المقال ، ذلك أنه بعد تصريح لليفى أشكول فى ٥ يوليو الماضى ، بأنه لايرى سببا شخصيا يدعوه الى الاستقالة من منصبه بعد الانتخابات العامة فى ١٩٦٩ ، استقالت جولدا مايير فى ٨ يوليو من منصب السكرتيرة العامة لحزب العمال الموحد الجديد ، ولم يعلن حينذاك سبب استقالتها التى وصفت بأنها « كانت صدمة لحزب العمال الجديد الحاكم» ، وفى ٣ اغسطس ، عين بنحاس سابير وزير المالية سكرتيرا عاما للحزب ، خلفا لها ، وتولى **زيف شاريف** منصب وزير المالية مكانه بالاضافة الى منصبه كوزير للتجارة والصناعة .

مناورة لتحطيم رافى

والحقيقة ان اشكول فى قراره « تعيين » ألون نائبا لرئيس الوزراء ، قد استخدم تكتيكا هجوميا مناورا ذا شعبتين ، ضد ديان . تتجه الاولى منهما ضده على المستوى الفردى ، وذلك بابراز بيجال ألون أحد أبطال حرب سنة ١٩٤٨ ، وقائد قوات البالماخ (الكوماندوز فى جيش الهاجاناه) والشخصية البارزة فى المؤسسة العسكرية ، كقطب لامع فى مواجهة ديان ، وتتجه ثانيتهما لتحطيم ديان على المستوى الحزبى ، بتحطيم حزبه السياسى رافى ، وذلك عن طريق الايقاع بين **يوسف الموجى** (الشخصية الثالثة فى الحزب بعد ديان وبيريز ، وأكثر أعضاء رافى يسارية) وبين باقى أعضاء رافى .

ولقد تم لاشكول ما أراده بالفعل عن طريق تعيين **يوسف الموجى** وزيرا للعمل خلفا لالون ، دون موافقة زملائه من أعضاء رافى ، الذين أرسلوا خطاب احتجاج الى اشكول ، على أساس أن هذا الاجـراء يخالف الاتفـاق الذى تم عنـد ادماج الاحزاب الثلاثة ، والذى يقضى بأن يرسل كل جناح فى حزب العمال الجديد ، ممثلين عنه فى الهيئات داخل الحزب ، وينص كذلك على الامتناع عن اجراء تغييرات فى قيادة الدولة قبل الانتخابات العامة . وأوضح رجال رافى أنه لايحق لرئيس الوزراء أن يتخذ لنفسه صلاحيات تعيين وزراء أو نواب لرئيس الوزراء ، دون موافقة سابقة من الفئات التى تكون حزب العمال . وقد وقع جميع أعضاء رافى على خطاب الاحتجاج ماعدا يوسف الموجى الذى رفض التوقيع ، ورفض الامتناع عن حضور اجتماعات مكتب الحزب كسائر أعضاء رافى ، ولم يتردد فى الاعلان صراحة بقبـول المنصب ، وبدا الموجى بالفعل وكأنه لم يعد يعتبر نفسه ممثلا لحزب رافى . وبذا يكون أشكول قد نجح فعلا فى بث الفرقة والوقيعة بين الموجى وباقى أعضاء رافى ، كما كسب تأييد الموجى الذى سبق أن قام بدور بارز فى المشكلة التى أدت الى انشقاق رافى وكان سكرتير حزب الماباى وقتذاك .

ضربة لشيمون بيريز وكسب جديد لاشكول

على أنه اذا كان تعيين يوسف الموجى ، يمثل ضربة « حزبية » موجهة لديان ، فقد كان يمثل من ناحية أخرى ، ضربة « شخصية » موجهة لشيمون بيريز نائب وزير الدفاع السابق ، والزعيم البارز فى رافى . وكان بيريز يأمل فى دخول الوزارة بدلا من الموجى ، فتبدد أمله بعد تعيين الاخير . بيد أنه لاينبغى أن يغيب عن الذهن أن تجاهل بيريز ، وتعيين الموجى هنا ، لم يكن قط محض مصادفة ، وذلك بسبب مواقف بيريز المعادية للزعامة القديمة وعلى رأسها أشكول وجولدا مايير .

وفوق كل ذلك جميعه ، فقد استهدف اشكول هدفا ثالثا من وراء تعيين الموجى ، هـو الغـاء ترشيحه لمنصب سكرتير عام اتحاد نقابات العمال الاسرائيليين (الهستدروت) حتى يمـكن ترشيح **اسحق بن اهارون** لهذا المنصب ، وبالتالى كسبه فى صف الزعامة القديمة ، حيث كان لايزال يقف فى الجبهة المعارضة لها .

هذا وقد بلغت هجمات اشكول على مجموعة رافى وملاحقته لها حدا انه تردد خلال ازمة تعيين ألون ، احتمال حدوث انشقاق جديد داخل حزب رافى ، وذلك بان يترك شيمون بيريز الحزب مع عدد من مؤيديه ، على ان يمدوا ايديهم ثانية الى بن جوريون ، وينضموا جميعا الى كتلة جاحال ذات الـ (٢٦ مقعدا فى الكنيست) وذلك كتعبير عن اليأس من خط ديان لضرب الزعامة القديمة من داخل حزب العمال الجديد .

سحب اختصاصات ديان

على ان اشكول لم يكتف باستنزاف جهد ديان على النحو المذكور ، وغير المباشر ، اذ عمد الى توجيه ضربات مباشرة اليه تستهدف الحد من سلطته ونفوذه . فقد أوضحت المصادر الاسرائيلية فى ١٦ سبتمبر الماضى ان مجلس الوزراء الاسرائيلى ، قرر سحب الاشراف علـى ادارة الاراضى المحتلة من موشى ديان واسنادها الى لجنة وزارية يرأسها ليفى أشكول ، وفسرت تلك المصادر

الاسرائيلية نفسها ، ذلك العمل بانه يستهدف سلب اختصاصات ديان والحد من سلطته ، في حين ذهبت « الجيروزاليم بوست » الاسرائيلية الى أبعد من ذلك ، فأوضحت ان « الاعتقاد السائد ، هو ان اقتراح رئيس الوزراء ضد ديان ، لا يدل فقط على مدى التنافس السياسي بينهما ، بل يدل كذلك على الخوف من ان يفلت زمام هذا الصراع وينزل اضرارا كبيرة باسرائيل » ، وقد اثار هذا القرار حسبما أوضحت الجورنال دى جنيف السويسرية في ١٨ اكتوبر الماضي ، « بعض المرارة في نفس الجنرال ديان » الذي نجح - من وجهة نظره - في اقامة علاقات شخصية مع زعماء سكان الضفة الغربية وعمد المدن الكبرى بها .

هزيمة أخرى لديان

وتلقى ديان ضربة اخرى من اشكول تمثلت في الهزيمة التي منى بها اقتراح لمجموعة ديان في ٢٠ سبتمبر الماضي ، باجراء انتخابات داخلية في حزب العمال الجديد بقصد تغيير التشكيل الحزبي الراهن الذي يتمتع فيه اشكول ومناصروه بقدرة كبيرة على المناورة ، وذلك ليقوم المؤتمر الجديد المنتخب باختيار المرشحين لمنصب رئيس الوزراء ، والمناصب الهامة قبل الانتخابات العامة المقرر اجراؤها في خريف هذا العام . وقد خذل هذا الاقتراح باغلبية ٢٥٢ صوتا ضد ١٦٤ ، الامر الذي يعني ان مؤتمر الخريف سيعقد على أساس التشكيل الراهن لحزب العمال الجديد .

استقالة ديان من المكتب المركزي للحزب الجديد

لذا استقال ديان في ٢٦ سبتمبر الماضي من المكتب المركزي للحزب ، وهو الجهاز التنفيذي الاعلى فيه . وقد أوضحت الصحيفة السويسرية المذكورة ان استقالته لا تبشر بخير بالنسبة لمستقبل الحزب الجديد ، لانها اثارت صدمة نفسية في الدوائر التي تعرف الاسباب الحقيقية لاستقالة الجنرال ، وهي بحسب ترتيب اهميتها كما يلي : القرار الذي اتخذته اغلبية اللجنة المركزية في الحزب ، رغم معارضة ديان الشديدة ، باجراء محادثات بشأن تشكيل ائتلاف برلماني مع حزب المابام (اليساري) المعادي لديان ، وتعيين اشكول لالون نائبا لرئيس الوزراء وقرار اللجنة المركزية للحزب بوجوب تناسب عدد المندوبين في مؤتمر الخريف ، مع عدد الجماعات الثلاث التي يتكون منها الحزب . وأخيرا قرار مجلس الوزراء الاخير بسحب اختصاصات ديان في ادارة المناطق المحتلة . وقد دعمت هذه الاستقالة في الحقيقة من وجهات النظر القائلة بان ديان سينسحب من حزب العمال الجديد ، ويدخل الانتخابات القادمة بقائمة حزبية منفصلة . ودعم هذا الاعتقاد كذلك ان جناح رافي في الحزب الجديد كان قد اتخذ قرارا من قبل بمقاطعة جميع اجتماعات ممثلي الحزب في الكنيست ، عقب تعيين ييجال الون نائبا لرئيس الوزراء . والحقيقة ان هناك عدة عوامل يمكن ان تشجع اعضاء رافي وتدفعهم الى الانفصال ، مثل حل مشكلة مالية الحزب . فقانون تمويل الاحزاب ، وضريبة الاحزاب التي يقوم الهستدروت بجبايتها ، تعطى لحزب رافي أموالا كثيرة ، يمكن بواسطتها تمويل اجهزة الحزب ، بحيث لن يكون رافي محتاجا الى حزب العمال الجديد لحل مشكلاته المالية . كذلك فمن ضمن هذه العوامل ، العلاقات داخل الحزب الجديد ، بين رافي ، والماباي ، والقائمة على حقد زعماء الماباي القدامى ، على زعماء رافي ومحاولاتهم المستمرة لتطهير صفوف الحزب من انصار ديان ، والحد من مساهمة رجال رافي في العمل بمؤسسات الحزب ، بالاضافة الى ملاحقة خطوات ديان نفسه . على ان هناك عاملا هاما من الناحية الاخرى يقف حائلا محذرا من الاقدام على الانفصال ، وهو الخوف من ان يؤدي هذا الانفصال الى فقدان بعض الشخصيات الهامة في رافي ، واستمرار ولائهم لحزب العمال الجديد . فليس هناك ضمان ، ان من كان مستعدا للانفصال عن الماباي القديم بسبب ولائه لبن جوريون ، مستعدا للانفصال عن حزب العمال الجديد ، ارضاء لديان . كذلك ليس هناك ضمان أيضا ، لان يوافق جميع رجال رافي على الانفصال ، لان الظروف التي كانت سائدة عام ١٩٦٥ ، قد تغيرت الان في ظل الوضع المتوتر في الشرق الاوسط .

اقتراح لديان بالانفصال وتشكيل كتلة غير حزبية

وهناك محاولات اخرى ، اشارت اليها في أواخر اكتوبر الماضي صحيفة « دافار » الناطقة باسم الهستدروت ، والتي تميل الى التعبير عن تفكير [مدرسة اشكول - سابير] بمحاولات تجرى لاقناع ديان بالانفصال عن حزب العمال الجديد ، لتشكيل « كتلة غير حزبية » في الوقت المناسب ،

عند حلول موعد الانتخابات ، وابرز من وراءها كما تقول دافار ، هو « أوفيد بن آمي » عمدة ناتانيا السابق ، اذ يعتقد ان شعبية ديان فى البلاد ، ستضمن لمثل هذا التكتل ٢٠ مقعدا فى الكنيست ،

فاذا مأيده حزبا حيروت والاحرار ، والاحزاب الدينية المختلفة والاحرار المستقلين ، فان ذلك سيكون كافيا لحصوله على اغلبية برلمانية . ولكن ديان لم يبد — حتى كتابة هذا المقال — اهتماما واضحا بهذا الاقتراح ، مثلما لاذ بالصمت ازاء اقتراح بعض زملائه القدامى فى راقى ، بالانفصال من جديد عن حزب العمال ، ويسود الاعتقاد بأن ديان ، فى الوقت الذى لا يريد فيه أن يكشف أوراقه ، لايحبذ كذلك الاقدام على اية خطوة متسرعة او مغامرة طائشة . ويغلب على الظن انه سيعمل على البقاء داخل حزب العمال مع محاولة تكتيل القوى المؤيدة له داخل الحزب حتى تحين ظروف عسكرية وسياسية تمهد له الطريق لاعتلاء كرسى رئاسة الوزارة .

أشكول يدعم نفسة بالتحالف مع المابام

وقد زاد اشكول من دعم قاعدته ضد ديان ، بعقد تحالف على المستوى البرلمانى ، مع حزب المابام « اليسارى » المعادى لديان وذلك فى اواخر اكتوبر الماضى . ولقدكان ذلك التحالف فى الحقيقة ، وفى نفس الوقت أيضا ، بمثابة هجمة وقائية شنها أشكول لحماية مواقعه فى حزب العمال الجديد ،

من مخاطر احتمال انسحاب ديان بمقاعد رافى الثمانية (٤) من كتلة الحزب الجديد البرلمانية من ناحية ، ولتحسين وضع « الرعيل القديم » فى الكنيست ، اذا ماقررت كتلة الجاحال اليمينية المتطرفة (التى تضم حزبى حيروت والاحرار ولها ٢٦ مقعدا) ، أو الحزب الدينى القومى (وله ١١ مقعدا) الانسحاب من الحكومة الائتلافية من ناحية أخرى . فبأضافة مقاعد المابام الثمانية الى الكتلة البرلمانية للحزب الجديد وعدد مقاعدها ٥٤ مقعدا ،

يصبح لكتلة هذا الحزب ، اغلبية مطلقة من ٦٢ مقعدا ، فاذا ماأضفنا اليها المقاعد الاربعة للحزبين العربيين المرتبطين بالمابام(٥) ، وهما حزب « التعاون والاخاء » وحزب « التقدم والتنمية » ، لاصبحت الكتلة البرلمانية المصوتة الى جانب الحزب الجديد ، مكونة من ٦٦ مقعدا ، وهى اضخم اغلبية برلمانية ، حصل عليها حزب اسرائيلى واحد منذ انشاء الدولة سنة ١٩٤٨ .

وذلك يلقى الضوء فى الحقيقة على مدى القدرات التكتيكية التى يتمتع بها ليفى اشكول ، وبراعته فى عقد التحالفات والقيام بالمناورات فى مجالى العمل السياسى الحزبى والبرلمانى . فمما لاشك فيه ان هذا التحالف سيصبح فى الاساس لصالح « الرعيل القديم » ومناصروه ، ضد ديان

ومجموعته ، بسبب العداء المستحكم بين المابام وديان ، ذلك العداء الذى اسفر عنه ديان مرارا فى تصريحات واضحة ، اعلن فى آخرها ، ان مفاهيمه السياسية اقرب الى **مناحيم بيجن** زعيم حزب حيروت (المعروف بعدائه التقليدى للاشتراكية) ، من مفاهيم « **مايير يعرى** » زعيم المابام (بكل مايدعيه من مبادىء اشتراكية) (٦) . كذلك يعارض « الاصلاحيون » والتكنوقراط فى حزب رافى ، « الاتجاهات الاشتراكية » للمابام . وأحد الاسباب الحقيقية التى دفعت انصار ديان لبذل جهودهم لمنع هذا التحالف هو اعتقادهم بأن دعم المابام للزعامات القديمة قد يعصف بفكرة الاصلاح الانتخابى التى ينشدونها . واعتقادهم كذلك ، بانه اذا اعطى المابام تأييده للزعماء القدامى ، فان فرص انتخاب ديان كرئيس للوزراء ، عندما تؤخذ الاصوات فى النهاية ، ستتضاءل كثيرا ، وانه اذا اعطى المابام تأييده لزعيم منفتح على القوى الشابة الجديدة ، فسيفضل **ييجال ألون** بمفاهيمه الاقرب

---

(٤) عدد مقاعد رافى اصلا ١٠ ، ولكن بن جوريون رفض الانضمام مع ديان والتسعة الباقون الى حزب العمال الجديد ، وآثر البقاء بمفرده فى الكنيست ، فاذا كان أشكول قدنجح فى اجتذاب يوسف الموجى عضو رافى اليه ، بتعيينه وزيراً للعمل ، بحيث اخذ الاخير يتصرف وكأنه لاينتمى الى رافى ، لذا يكون الاعضاء المضمونون بالفعل الى جوار ديان ٨ أعضاء على الاغلب .

(٥) هذان الحزبان يطالبان للعرب بالمساواة فى اسرائيل ، واعطائهم سلطات ذاتية محلية اوسع ، والغاء الحكم العسكرى فى المناطق العربية .

(٦) وصف المعلقين السياسيين الغربيين والاسرائيليين ، لحزب المابام بالاشتراكية ، يعود الى مناداة هذا الحزب الذى تأسس سنة ١٩٤٨ بالتأميم ، وحصر ملكية مختلف المشاريع فى القطاع العام وفرض ضرائب تصاعدية ، مع العمل فى نفس الوقت على وضع مخطط اقتصادى لاستيعاب المزيد من المهاجرين اليهود .

الى المابام (٧) ، عن موشى ديان باتجاهاته اليمينية . وعلى أية حال فديان نفسه يعتقد ان وصول ييجال ألون الى كرسى رئاسة الوزارة ، أفضل بالنسبة له من استمرار اشكول فى رئاسة الوزارة فترة أخرى .

والحقيقة ان المابام يبادل ديان عداء بعداء ، وهو يعتقد انه « يتبع سياسة خالية من المبادىء وقائمة على الصراع الداخلى من أجل السلطة » وذلك بسبب معارضته لانضمام المابام الى حزب العمال الجديد . وقد بلغ عداء المابام ، ومايير يعرى زعيمه ، لديان ، حدا ، جعله يرفض التعاون مع بن جوريون (الذى يشعر زعماء المابام نحوه بالود) قبل حرب يونيو ، من اجل الاطاحة باشكول ، وذلك لأن مايير يعرى أيقن انه لو فاز بن جوريون برئاسة الوزارة ، فسيفوز ديان بمنصب حكومى كبير ، ولذا ضحى المابام - فى عدائه لديان - بخطة بن جوريون ضد اشكول .

على أنه ينبغى ان ننوه هنا الى حقيقة اخرى ، وان تكن غير ذات أهمية كبيرة ، وهى أن معارضة ديان المتشددة بالاضافة الى النفوذ القوى الذى لاتزال تتمتع به العناصر الانفصالية فى داخل المابام ، قد وقفا حائلا ، دون حدوث اندماج المابام العضوى فى حزب العمال الجديد ، الأمر الذى كان سيشكل ضربة اشد عنفا وقوة لمطامح ديان وانصاره من هذه الناحية .

« جاحال » مصدر الخطر على الحكومة الائتلافية

والحقيقة ان مصدر الخطر الاكبر على حكومة « التكتل الوطنى » الائتلافية ، حكومة « اشكول - ديان - بيجن » الذى تضم احزاب الماباى واشدوت افودا ، والمابام والحزب الدينى القومى ، والتى انضم اليها قبل حرب يونيو مباشرة ، حزب رافى ، وكتلة جاحال (التى تضم حزبى حيروت (٨) والاحرار ان مصدر الخطر الاكبر على ائتلاف هذه الحكومة يأتى من ناحية كتلة جاحال اليمينية المتطرفة . وقد اشارت الجويش أوبزرفر البريطانية فى ٣٠/٥ الماضى ، الى ان انهيار هذه الحكومة « سيحدث بسبب الخلافات فى الرأى حول مصير الاراضى العربية المحتلة » ، وان هذا الانهيار سيكون محتما لو أقدمت الحكومة - تحت الضغط العربى والخارجى - على اجراء انسحاب من الاراضى العربية او بعضها . اذ يرى حزب حيروت ان الحكومة القائمة لم توضح موقفها حتى الان من الاراضى العربية ، ولم تقل ان هذه الاراضى لا يمكن التفاوض بشأنها ، والمعروف ان هذا الحزب يطالب بضم اراضى الاردن كله ، على ضفتى النهر ، الى اسرائيل . والحقيقة ان التهديد الاخير للائتلاف الحاكم ، جاء من جانب العناصر التى طالبت - فى المؤتمر القومى لحزب حيروت والتى يتزعمها يوحانان بادر احد زعماء حيروت القدامى - طالبت بانسحاب ممثلى جاحال (وهما الوزيران مناحيم بيجن ، ويوسف سابير) من الحكومة . وتقوم وجهة نظر هذه العناصر ، على ان هذين الوزيرين قد انضما الى الوزارة فى وقت كانت فيه البلاد فى حالة طوارىء ، وكانت المسألة بالنسبة لها مسألة حياة او موت ، ولم يعد الوضع اليوم ، كذلك . الا ان الاغلبية فى حزب حيروت - بسبب تأثرها بموقف بيجن الذى يحبذ الاستمرار فى البقاء فى الحكومة ، ويرى ان حالة الطوارىء لاتزال قائمة - هذه الاغلبية قد وقفت ضد الدكتور بادر والعناصر المؤيدة له . ويوضح كلام آرى بن اليزر مدير حزب حيروت والمدافع عن موقف بيجن ، والذى قال ، ان « بيجن وسابير ، كادا ان يستقيلا فى ٣ مناسبات ، ولكنهما آثرا البقاء فى الوزارة بعد ان تم اقرار وجهات نظرهما » ، ذلك التصريح انما يوضح ان ممثلى جاحال يمارسون دورا ضاغطا فى حكومة « التكتل الوطنى » . ومع ذلك فان جاحال - وبمعنى اكثر دقة ، جناح حيروت فى جاحال - أصبح اكثر قلقا عن ذى قبل ، ومع مرور الوقت عامة ، لان وجود مناحيم بيجن داخل الوزارة الاسرائيلية ، أصبح يقلل من قدرة الحزب على الحركة . وذلك فى الحقيقة ، يفسر الترحيب الذى أبداه الاستراتيجيون السياسيون فى حزب

---

(٧) ذلك ان حزب « اشدوت افودا » الذى يتزعمه ألون ، ويوصف عادة باليسارية ، ينادى بضرورة تخطيط الاقتصاد وبتعاون الاحزاب الاشتراكية والصهيونية داخل الحكومة وقد تأسس هذا الحزب سنة ١٩٥٤ ، ويزعم انه يدعو فى الوقت نفسه الى اقامة سلام دائم مع العرب « لتطوير » منطقة الشرق الاوسط فى النواحى الاقتصادية والثقافية والفنية .

(٨) حزب حيروت : تأسس ١٩٤٨ ، يضم افراد « المنظمة العسكرية الوطنية » (ارجون زفاى لئومى) احدى المنظمات الارهابية الكبرى التى كانت وراء انشاء اسرائيل ، ويشكل المعارضة الرئيسية التقليدية فى الكنيست وان كان يشترك فى الائتلاف الحكومى حاليا ، يطالب بالتشدد ضد العرب ، ينادى بسياسة عدوانية صريحة جدا ضد الدول العربية ويعلن عن اطماعه السافرة فى الاستيلاء على الاراضى العربية .

العمال الجديد ، ازاء قرار مؤتمر حيروت ، باستمرار بقاء بيجن فى الحكومة ، ذلك انهم يفضلون ان يتقيد نقاد سياسة الحكومة ، بالنظام داخل الوزارة . لهذا السبب يرى المسئولون فى حيروت ، من ناحية اخرى ، أن ثمةفرقا هناك، بين تأييد الحكومة فى وقت الشدة ، وخلال أيام القتال ، وبين ان يفعل حيروت نفس الشيء الان وبعد انقضاء اكثر من عام ونصف العام على نهاية الحرب . يزيد من دقة ذلك الوضع بالنسبة لحزب حيروت ، انه عاش طوال العشرين عاما الماضية فى موقف المعارضة . وقد اوضح احد زعمائه لمراسل « الجويش اوبزرفر » البريطانية فى ٦/١٣ الماضى « ان عليهم ان يحرجوا من الحكومة فى وقت من الاوقات ، والا فسوف يواجهون كارثة سياسية » ، كذلك اشتدت تساؤلات العديدين من اعضاء حيروت ، حول الاساس الذى سيعطى الناخبون وفقه ، أصواتهم فى الانتخابات القادمة ، لمرشحى حيروت الموجودين فى الحكومة . واشاروا الى حقيقة ان بيجن وسابير ، فى الوقت الذى سيتحملان فيه نصيبهما من المسئوليه عن أى فشل ترتكبه حكومة اشكول واوجه فشلها فى رايهم كثيرة ، لن يستطيعا أن يتباهيا بأنهما حققا انتصارات خاصه داخل الحكومه ، لانهما وزيران بلا وزارة . كذلك أبدى مؤيدو كتلة جاحال عامة ، عدم تأييدهم لفكرة ان تتخلى الكتلة عن موقف المعارضه ، وتترك الحلبه لجموعه الوسط التى يتزعمها ديان (٩) ، والتى تقفالان فى المعارضه ، وتلعب دور البطولة أمام الرأى العام الاسرائيلى .

وقد زاد من حدة الازمة التى يشعر بها حزب حيروت ، ان نتائج انتخابات اتحاد العمال الزراعيين ، اسفرت حسبما اوضحت الجويش اوبزرفر البريطانية فى ٥/٢٤ الماضى ، عن زيادة عدد العمال التابعين لحزب العمال الجديد وحزب المابام بنسبة ٢ فى المائة ، فأصبحت نسبة اصواتهما ٦٧ر١ فى المائة ، بينما هبطت نسبة جاحال وهى ١٢ر٧٧ فى المائة بنسبة ٥ر٥ فى المائة فاصبحت ٣ر٧ فى المائة فقط .

ولقد مرت كتلة جاحال فى الحقيقة ، ومعها الحكومة الائتلافية كذلك ، بامتحان عسير بسبب قرار اشكول بتعيين ييجال الون نائبا لرئيس الوزراء ، وتعيين **يوسف الموجى** عضو رافى وزيرا للعمل . فامتحان عسير بالفعل لكتلة جاحال ، اليمينية المتطرفة ان يعين الون زعيم الجناح اليسارى لحزب العمال الجديد ، نائبا لرئيس الوزراء ، وان يستأثر حزب العمال الجديد ، عن طريق تعيين يوسف الموجى ، بالمنصب الوزارى الوحيد الشاغر (بسبب تعيين الون نائبا لرئيس الوزراء) ، فى حين كان من الاعدل منحه لكتلة جاحال التى لا يمثلها فى الحكومة سوى وزيران فحسب ، فى حين انها تملك ٢٦ مقعدا فى الكنيست .

والحقيقة ان مشكلة كتلة جاحال (١٠) ، لاتكمن فحسب فى انها تعتبر نفسها حزب معارضة ، فى حين تجد نفسها متورطة مع الحكومة القائمة ، وانما تكمن مشكلة جاحال أيضا ، فى أنها تجد صوتها داخل مجلس الوزراء ، اضعف من صوت الحزب الدينى القومى الذى يمثله فى الحكومة ٣ وزراء ، فى حين لا يملك من مقاعد الكنيست سوى ١١ مقعدا فحسب .

وعلى اية حال ، فقد حافظت جاحال خلال تلك الازمة وحتى كتابة هذا المقال ، على ضبط النفس ، وآثرت الاستمرار فى الحكم الائتلافى ، وبذا افلتت الحكومة الائتلافية من الانهيار ، الذى لم يكن يعنى فى الحقيقة سوى خروج اثنين من وزرائها ، هما **مناحيم بيجن ويوسف سابير** ، ممثلا جاحال .

تدعيم حزب العمال الجديد على حساب الاحزاب الصغيرة

ان تفحص الصورة العامة للصراع الحزبى ، يطلعنا فى النهاية على حقيقة جديدة ، هى تعرض الاحزاب الصغيرة لخطر التصفية لحساب حزب العمال الجديد الضخم . هذه الظاهرة لاحظناها بوضوح فى أزمة حزب رافى . وهى تتأكد الان بالنسبة لحزب الاحرار المستقلين (٥ مقاعد فى الكنيست] فقد أعلن **اليسارهرارى** رئيس الشعبة البرلمانية لهذا الحزب فى يونيو الماضى انتقاله الى حزب العمال الجديد ، واوضح انه كان يحث حزبه ، دون جدوى ، على الاقتداء بحزب رافى والانضمام الى حزب العمال الجديد ، او تشكيل

(٩) المقصود بالوسط هنا ، الوسطيين يمين اشكول ، واليمين المتطرف مناحيم بيجن .

(١٠) الجناح الثانى فى كتلة جاحال هو حزب الاحرار الذى تأسس سنة ١٩٦١ ، وهو يطالب بوضع دستور يحفظ « الديموقراطية » انقسم فى ١٩٦٥ الى قسمين ، الاحرار والاحرار المستقلون . اشترك الاحرار مع حزب حيروت فى قائمة انتخابية واحدة باسم كتلة « جاحال » فى حين انفرد الاحرار المستقلون بقائمة منفصلة .

تحالف برلماني معه على أقل تقدير • ورغم ان هذه الضربة كانت شديدة بالنسبة لحزب الاحرار المستقلين الصغير ، الذى اصبح لديه بعد انتقال هرارى ٤ مقاعد فقط فى الكنيست ، الا ان موشى جولد شتاين نائب عمدة تل ابيب اعلن أيضا فى اليوم التالى ، انسحابه من نفس الحزب والانضمام الى حزب العمال الجديدكذلك ، مما حدا بينحاس روزين زعيم الاحرار المستقلين إلى اللجوء سريعا إلى جولدا مايير فى محاولة يائسة لحملها على منع أى انسحابات جديدة من حزبه ، أو لحمل الذين انضموا بالفعل الى حرب العمال على ان يتنازلوا على الاقل عن مقاعدهم البرلمانية والبلدية للاحرار المستقلين ، ولكن هرارى رفض ذلك موضحا انه ليست هناك سابقة فى تاريخ الكنيست توجب تنحى العضو عن مقعده ، عندما يغير الحزب الذى ينتمى اليه ، وقد أشارت « الجويش اوبزرفر » البريطانية فى ٦/٧ الماضى الى اعتقاد المراقبين السياسيين ، بان انضمام اتسار هرارى الى حزب العمال الجديد ، قد قوض الى حد كبير مستقبل حزب الاحرار المستقلين ، الذى يكاد يكون من المؤكد ان يصوت معظم انصاره لصالح حزب العمال ، اذا اعتقدوا أن حزبهم قد انتهى •

والحقيقة أن حالة هذا الحزب ، ليست بأسوأ من حالة الاحزاب الصغيرة الاخرى فى مواجهة حزب العمال الجديد الضخم . وترى الصحيفة البريطانية المذكورة أن الناخبين الاسرائيليين هم الذين سيجيبون بأنفسهم فى الانتخابات القادمة ، على مسألة ماذا كان للأحزاب الصغيرة أى مستقبل على ضوء انشاء هذا الحزب « العمالى » الضخم •

استقالة ألون .. وعودته

والحقيقة التى اسفر عنها التطور الاخير للصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل ، هى ان جهود « ليفى اشكول » لتقليم اظافر نائبه المتقدم ((ييجال ألون)) ، ولتضييق دائرة إختصاصاته ، بلغت جدا دفع بألون الى الاستقالة من اللجان الوزارية الاربع التى يشترك فيها كنائب لرئيس الوزراء • وقد جاءت استقالته احتجاجا على تجاهل « اللجنة الوزارية لشئون الامن » ، و « اللجنة الوزارية لشئون الاراضى المحتلة » له عند إتخاذهما لكثير من الاجراءات والقرارات الاخيرة ، ولم يعدل ألون عن استقالته ألا بعد تنازل اشكول له عن مسئولية « الشئون العربية » التى كان يتولاها رئيس الوزراء ، وتعهده باحاطة الون مقدما بجميع القرارات المتصلة بشئون الامن ليس ذلك فحسب ، بل لقد بدأ مجلس الوزراء الاسرائيلى كذلك فى الإستجابة لطلب الون ببحث مشروعات الاستيطان فى الضفة الغربية وسيناء ، وبخاصة فى شرم الشيخ والمرتفعات السورية • وبذا يكون اشكول ، قد عبر — بقدراته المناورة الكبيرة — عن ادراكه لحقيقة انه لا ينبغى له الذهاب فى تقليم أظافر ألون ووقف تقدمه ، الى الحد الذى يدفعه الى جبهة المعارضة الصريحة ضد استمرار ليفى اشكول فى الحكم •

مـاذا عن بن جـوريون وأبا ايبان واسحق رابين ؟

أما فيما يتعلق بالزعيم الصهيونى العجوز بن جوريون ، مؤسس حزب رافى ، فنجد انه برغم خلافه مع ديان حول أسلوب تغيير زعامة الماباى ، ورفضه الانضمام الى حزب العمال الجديد على أساس من اعتقاده بالقدرة على تغيير زعامة الماباى من الخارج ، الا انه يتفق مع ديان فى هدف أساسى واحد ، الا هو ضرورة اقصاء اشكول عن الحكم ، والحقيقة التى يراها عديد من المعلقين السياسيين فى هذا الصدد هى ان هجمات بن جوريون الاخيرة على اشكول ، لم تستهدف العمل على اقصائه ليحل بن جوريون نفسه محله ، وانما استهدفت فى الحقيقة ابعاد اشكول ليحل ديان محله • ومساندة بن جوريون لديان زعيم المؤسسة العسكرية ، لا تعد فحسب مناصرة شخصية من جانبه لديان زميله فى الكفاح بعد الانشقاق من الماباى وتأسيس رافى ، وانما ترجع أيضا ، ومن ناحية أكثر استراتيجية الى اعتقاد بن جوريون ، بان كلا من الهستدروت وحزب الماباى ، وهما العمودان الرئيسيان للدولة ،

الهستدروت :

هو الاتحاد العام للعمال العبريين فى اسرائيل تأسس سنة ١٩٢٠ ، وابرز مؤسسية هو دافيد بن جوريون رئيس الوزراء الاسرائيلى السابق يتمتع بقوة اقتصادية كبيرة ، اذ يملك ٤٥ مزرعة تحتل ٧٠٪ من الانتاج الزراعى لاسرائيل ، و ١٦٥٧ مصنعا ، و ٥ بنوك ، ويساهم فى ٤٨٣ مشروعا ويملك اكبر دار نشر باسرائيل ، ودارا لتوزيع الافلام ، وشركة للمسرح المتنقل ومدرسة الفنون ، ويمسك زمام نسبة كبيرة من التجارة الداخلية والخارجية ويملك اكبر شركات النقل الجوى والبرى ويملك عددا كبيرا من المطاعم والفنادق والمتاجر والمخابز الخ . بلغ عدد اعضائه فى احصاء ١٩٦٤ ١٫١٥٠٫٠٠٠ عضو ، يجتمع مؤتمره كل ٤ سنوات ، لينتخب مجلسه التنفيذى ، الذى يسيطر حزب الماباى وحده على ثلثيه ، فى حين تسيطر الاحزاب الاخرى على النسبة الباقية ، وبخاصة احزاب المابام واشدوت انودا والحزبان الشيوعيان .

«قد فقدا قدرتهما على الرؤية الصحيحة بعد قيام الدولة ، وأصبح الاول أسير افكاره الاشتراكية ، يختق عمليات ادخال الاساليب الحديثة الى الحياة اليهودية ، والثانى هيكل معقد التركيب ، وصل الى درجة التحجر ، وان المؤسسة العسكرية على وجه التخصيص هى فى تقديره المؤسسة التى يمكن ان تحقق الرؤية المفقودة فى الدولة الجديدة » (١١)

وبوجه عام وفيما يتعلق ببن جوريون ، فقد أوضحت صحيفة « لامرحاب » الاسرائيلية منذ ابريل سنة ١٩٦١ ان نجمه قد خفت ليس فقط فى اسرائيل ، بل وفى الولايات المتحدة الأمريكية أيضا ، فى حين اشارت « الايمانيتيه » الفرنسية أخيرا الى « أن هيبة بن جوريون لا تزال محفوظة ، وان كان قد أمسى يعتبر بمثابة اثر من الاثار التاريخية ، أكثر منه قوة سياسية » .

أما فيما يتعلق باحتمال ترشيح « ابا ايبان » وزير الخارجية رئيسا للوزراء ، فالملاحظ ان هناك عددا كبيرا من الاسرائيليين يثقون فى مهارته السياسية ثقة عمياء ، وان كان بعض معاونيه قد اتهموه بانه ارسل الى القدس ، قبل حرب الايام الستة ، تقارير مختلفة مفعمة بالتفاؤل عن محادثاته مع الجنرال « ديجول » ومع الرئيس « جونسون » ، وانه شوه الوقائع لرغبته فى التوصل بأى ثمن الى حل دبلوماسى وفى كسب الوقت لصالحه ، وليمنع العسكريين من اشعال الحرب . وعلى أية حال ، وعلى الرغم من استغلال هذه النقاط من جانب خصوم ايبان ضده ، الا انه استطاع الحصول فى استفتاء أجراه معهد اسرائيلى للاحصاء أخيرا ، وأعلنت نتيجته فى ١٢ نوفمبر الماضى ، استطاع الحصول على نسبة ٢٤ فى المائة من الاصوات المؤيدة لترشيحه رئيسا للوزراء ، فى حين لم يحظ أشكول الا بتأييد ٢٣ فى المائة منها فقط ، وألون بتأييد ١١ فى المائة منها .

أما فيما يتعلق « باسحق رابين » ، الذى أصبح عقب الحرب مباشرة بطلا قوميا وأخذ ينظر اليه حينذاك على انه رئيس الوزراء « المقبل » ، فأن الجانب الخاص به من هذه الناحية لم يحظ بالتوضيح الكافى سواء من جانب الصحافة الاسرائيلية او العالمية عامة ، وان كان قد أشير فى بعضها الى أن ما عرف عن شخصيته من نواحى نقص عصبية ، كان لها دور ـ بالاضافة الى عوامل أخرى سياسية واقتصادية ودعائية أكثر أهمية ـ فى تعيينه سفيرا لاسرائيل فى الولايات المتحدة .

فرصة لاتعوض للعسكريين

ان الواضح تماما بعد كل ذلك العرض للصراع السياسى الداخلى فى اسرائيل ، هو انه لا يحكمه فى سمته الجوهرية خلاف ملموس على المبادىء أو الاهداف ، بقدر ما يحكمه طموح الاشخاص الى السلطة وأطماعهم ، بقدر ما تحكمه تصوراتهم عن الامكانيات الواقعية المتاحة من حقائق السياسة العامة . والقطبان الرئيسيان فى هذا الصراع حتى كتابة هذا المقال ، هما ليفى اشكول وموشى ديان .

وقد كشف آخر استفتاء أجراه معهد اسرائيلى للاحصاء ، وهو الاستفتاء المذكور سابقا ، عن تأييد ٣٢ فى المائة من الاصوات لترشيح ديان رئيسا للوزراء ، بينما لم يحظ ترشيح ليفى اشكول لنفس المنصب الا بتأييد ٢٣ فى المائة منها فقط .

وان تفحص النتيجة الحالية لوضعهما فى الصراع ، يوضح لنا أن اشكول أكثر قوة فى المؤسسات والهياكل الرسمية ، وان يكن ديان اكثر شعبية فى المجال الجماهيرى العام . وذلك يخلق فى الواقع مشكلة أخرى ، هى أن التشكيلات والتنظيمات السياسية الحالية ، لم تعد تعكس بصورة صادقة ، حقيقة علاقات القوى بين الاطراف المتصارعة فى معترك السياسة الاسرائيلية ، لانه اذا كانت المقاعد الثلاثة والخمسون للماباى واشدوت افودا والمابام ، التى تساند اشكول وتدعمه فى الكنيست ، تعكس على نحو صادق حقيقة قوة اشكول البرلمانية ، فأن مقاعد رافى الثمانية ، لا تعكس على الاطلاق ، حقيقة نفوذ ديان السياسى .

ومشكلة ديان فى الحقيقة ، هى ان شعبيته الجماهيرية الضخمة ، لم تجد سبيلا مفتوحا ـ بسبب حدود ولوائح المؤسسات السياسية القائمة من ناحية ، وبسبب مناورات خصومه السياسيين من ناحية أخرى ـ لم تجد سبيلا مفتوحا لتنعكس الى جواره فى النهاية ، أصواتا مؤيدة فى مؤسسات السلطة الفعلية والحكم ، سواء كانت حزب العمال الجديد ، أو الكنيست الاسرائيلى . ولذا فأن ديان ـ فيما يغلب على الاعتقاد ـ يعول تعويلا كبيرا على تحين الظروف المناسبة من الناحيتين العسكرية والسياسية ليضرب ضربته ـ اذا كان لها ان تضرب ـ ذلك ان رئاسة الوزارة ، لها متطلبات ضرورية فى مؤسسات وأجهزة الحكم القائمة على الديمقراطية البورجوازية ، ولا يمكن الوصول اليها

---

(١١) حاتم صادق : العسكريون فى المجتمع الاسرائيلى . مقال فى عدد يناير ١٩٦٩ بمجلة السياسة الدولية ص ١٠٥ .

بطريق « الامر الواقع » الذى فرض ديان من قبل فرضا ، على اشكول ، فى وزارة الدفاع ٠

والحقيقة أن واقع الصدام الحالى مع الدول العربية ، يشكل أفضل ظرف مناسب لاعتلاء العناصر العسكرية كرسى الحكم فى اسرائيل ، وعلى نحو مباشر ، وقد بلغ من ادراك هذه الحقيقة ، ان حذر **ماير فيلنر** سكرتير الحزب الشيوعى الاسرائيلى (العربى - اليهودى) ، حذر الاسرائيليين فى المؤتمر السادس عشر لحزبه ، من الخطر الذى يتهددهم بظهور « ديكتاتور عسكرى » فى اسرائيل ، وعلى أية حال فالحقيقة المؤكدة ، هى انه اذا لم يحسن العسكريون الاسرائيليون استغلال الفرصة السانحة لصالحهم ، فليس من المتوقع فى المستقبل القريب ، ان تسنح لهم فرصة أخرى مماثلة ٠ ومما لاشك فيه من هذه الناحية أيضا ان تطور الوضع عسكريا بين الدول العربية واسرائيل ، سيكون له اثره الكبير على مجرى الصراع الداخلى فى اسرائيل ، وبالذات على مصير ديان السياسى فى معركة رئاسة الوزارة ٠

كما وأن تطور اوضاع الجبهات الداخلية العربية ، سيكون له هو الآخر ، أثره الملموس على تطور الصراع الداخلى فى اسرائيل ٠ لان وجود جبهات عربية صلبة متماسكة من شأنه المساعدة على ابراز من يسمون بالعناصر « المعتدلة » فى اسرائيل ، فى صورة النماذج السياسية « الاكثر تعقلا وواقعية » ، ويجب ان نضع فى حسباننا ذلك الاثر على العدو ، لان أى تزعزع أو تدهور فى جبهاتنا الداخلية ، سيحقق أهداف القوى الاشد تطرفا وعدوانية فى اسرائيل ، وسيدفع بها الى الامام « لتقطف ثمار نصرها » و « بعد نظرها » الاستراتيجى ، و « حكمتها السياسية » ٠ فلنغلق الطريق على هذه القوى ٠

وبعد

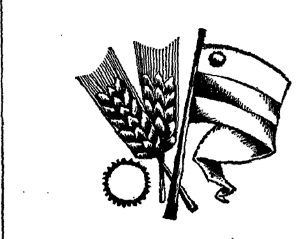
فينبغى الا تغيب عن بالنا فى النهاية ، تلك الحقيقة الهامة ، الا وهى أن كل هؤلاء الذين تفرقهم خصوماتهم ومطامحهم السياسية فى اسرائيل يجمعهم ويربطهم بوثيق رباطه ، العداء العنيف للامة العربية وثورتها التحررية التقدمية ٠

ان الحقيقة الرئيسية التى ينبغى ان نعيها جيدا ، ونتفهمها نحن العرب حق الفهم ، هى أن الامة العربية ، لا تواجه فى معركتها التحريرية العادلة ، حكم اقلية طبقية رجعية تقليدية ، معزولة عن جماهيرها ، يسهل عزلها وكشفها ودحرها ، كالاقليات الرجعية المفضوحة فى فيتنام الجنوبية وكوريا الجنوبية ، وبلاد أمريكا اللاتينية الخاضعة لسيطرة الامبريالية الامريكية ، وانما هى تواجه رجعية خبيثة من طراز خاص . رجعية متلاحمة تلاحما قويا بجماهير سكانها ، على أسس مذهبية وعنصرية ودينية و « بيولوجية » مزعومة ، ولا يوجد لها مثيل فى كل مراكز الاستعمار وقواعده العسكرية ، وركائزه العميلة ، ذلك ان اسرائيل تقدم لنا مثلا فريدا حقا ، وجديدا كل الجدة ، على « المرتزقة الذهبية » و « العمالة الذهبية » خدمة لاطماع الامبريالية ، والصهيونية العالمية ، بشرورهما وآثامهما ٠



الملامح الرئيسية للتطبيق الاشتراكى فى بلغاريا

قام الدكتور جمال العطيفى اخيرا بزيارة لبلغاريا لدراسة تجربتها الاشتراكية على الطبيعة . وفى هذا المقال يعرض الملامح الرئيسية لهذه التجربة وانطباعاته عنها .



د. جمال العطيفى

فى السنوات الاخيرة ، اجتذبت بلغاريا اهتمام كثير من الباحثين . ولم تكن شواطئها الجميلة الممتدة على البحر الاسود فى « فارنا » وفى « الرمال الذهبية » ، ولا كثرة ما عقد فيها من مؤتمرات سياسية وجماهيرية ، أو اقيم فيها من معارض دولية ، فى ذاته موضع الاهتمام . ولكن الاهتمام كان موجها الى ما تعبر عنه هذه الحياة التى أصبحت تعيشها بلغاريا اليوم من تغيير كبير طرأ على علاقاتها الاجتماعية فى الداخل منذ ثورتها التحررية الاشتراكية فى ٩ سبتمبر ١٩٤٤ ، وعلى علاقاتها السياسية فى الخارج خصوصا فى السنوات الاخيرة .

بلغاريا الشعبية تعد دستورا للدولة الاشتراكية

وقد كانت بلغاريا معروفة بأنها احدى دول أوربا الشرقية فى البلقان التى اتخذت فى نهاية الحرب العالمية الثانية « شكل جمهورية شعبية » . وما زالت تحتفظ حتى الآن بهذا الشكل الذى قرره دستور ٤ ديسمبر ١٩٤٧ ، وان كانت قد اعدت مشروعا جديدا للدستور ينتظر أن يطرح على الاستفتاء العام خلال الايام القادمة ، وقد أعدته لجنة يرأسها تودور جيكوف السكرتير الاول للحزب الشيوعى البلغارى ورئيس الوزراء ، ليصبح هذا الدستور الجديد معبرا عن تحول العلاقات الاجتماعية والاقتصادية فيها الى الاشتراكية .

ورغم ما هو معروف من ان الحزب القائد فى بلغاريا هو الحزب الشيوعى ، وأن بلغاريا تعتنق الماركسية ، فان دستور ١٩٤٧ لايتضمن مع ذلك أية أشارة الى دور الحزب الشيوعى أو الى الايديولوجية الماركسية ، ولكنه يقتصر على أن وسائل الانتاج فى الجمهورية الشعبية البلغارية ملك اما للدولة أو للهيئات التعاونية أو للافراد ، وعلى ان الارض لمن يزرعها ، مع تحديد الحد الاقصى للملكية الزراعية ، ومع الاشارة الى ان العمل هو العنصر الاجتماعى والاقتصادى الاساسى . وهذا

يدل على أن أحكام هذا الدستور لم تعد اليوم معبرة عن الطريق الطويل الذى قطعته التجربة البلغارية ، كما يدل فى نفس الوقت على المناخ الذى صدر فيه دستور ١٩٤٧ « دستور الجبهة الوطنية » .

الصيغة البلغارية للتحالف بين العمـــال والفـــلاحين

ومع أن وجود جبهة وطنية بين الاحزاب التقدمية التى قاومت النازية معا ، أمر معروف فى كثير من الدول الشيوعية فى أوربا مثل بولندا وألمانيا الديمقراطية وتشيكوسلوفاكيا . ومن ثم فان مجرد قيام جبهة وطنية لا يعد فى حد ذاته سمة خاصة بالتجربة البلغارية - الا أن هذه الجبهة الوطنية فى بلغاريا اليوم لا تضم عدة أحزاب مختلفة كما هو الامر فى التجارب الاخرى ، ولكنها تضم حزبين رئيسيين ، هما الحزب الشيوعى وحزب اتحاد المزارعين (علاوة على اتحاد الشباب الشيوعى واتحاد النقابات) . كما أن العلاقة بين الحزبين تتميز بسمات خاصة . فعلى خلاف أية تجربة أخرى ، كان حزب اتحاد الفلاحين من الاحزاب التى وليت الحكم قبل الثورة الاشتراكية بوقت طويل . وقد وصل الى الحكم عن طريق انتخابات نيابية جرت عام ١٩٢٠ وفاز فيها بـالاغلبية ، وأصبح زعيمه وقتئذ « الكسندر سـتامبولسكى » رئيسا للوزراء : وأصدر قـانونا لـلاصلاح الزراعى ، لعله كان أول قانون تقدمى يمكن أن نتصـــور صدوره فى ظل نظام ملكى رجعى . فبمقتضى الاصلاح الزراعى الذى جرى وقتئذ ، تقرر أيلولة أملاك الكنيسة والتاج الى الشعب وتحديد الحد الاقصى للملكية الزراعية للافراد بما لا يزيد من ثلاثين هكتارا ، بل النزول بهذا الحد الاقصى بالنسبة لمن لا يعمل فى الزراعة من سكان المدن الى عشرة هكتارات للمتزوجين ، و ٤ هكتارات لغيرهم . واذا كان تداطيح بعد ذلك بحكم المزارعين فى الانقلاب الرجعى الذى جرى بعد ذلك فى ٨ يونية ١٩٢٣ وقتل فيه زعيم الحزب « ستامبولسكى » الا أن هذه كانت تجربة أفادت فى تحقيق التعاون بين حزب اتحاد الفلاحين وبين الحزب الشيوعى . وقد عاد حزب اتحاد المزارعين فاشترك فى الحكم فى عام ١٩٣٠ ثم أطيح به من جديد ، وعاشت بلغاريا عهدا بغيضا ألغيت فيه الاحزاب وأغلقت الجـامعات وسمح فيه للجيوش النازية بالمرور لاحتلال أجزاء من اليونان ويوجوسلافيا خلال الحرب العالمية الثانية .

واليوم ، يعيش الحزبان داخل جبهة وطنية فى تآخ وتعاون تام . ويمكن من القاء نظرة على نتائج الانتخابات النيابية الاخيرة فى فبراير ١٩٦٦ ، تبين مظاهر هذا التعاون . ففى المجلس النيابى الذى يتـكون من ٤١٦ عضـــوا ، وهـــو المسمى [سوبرانو] نجد ٢٧٩ عضوا من الحزب الشيوعى ومائة من اتحاد المزارعين و ٣٦ من المستقلين . كما نجد أن رئيس الدولة هو زعيم حزب الفلاحين ، بينما أن رئيس الوزراء هو زعيم الحزب الشيوعى .

وبغير دخول فى تفاصيل الجبهة الشـعبية المعروفة بجبهة « الارض الام » ودورها السياسى ، وهو موضوع عالجته فى افاضة مجلة الطليعة فى مقال الزميل لطفى الخـولى فى عـدد نوفمبر ١٩٦٨ - فان هذه الجبهة قد قدمت صيغة جديدة واقعية ومستهدية بالظروف التاريخية للبلاد ، فى تحقيق وحدة العمال والفلاحين .

فى مزرعة تعاونية على الطبيعـــة

والسمة الثانية التى نلاحظها على التجـربة البلغارية ، هى معالجتها المشكلة الزراعية ، على أساس التعاونيات . وهى تجربة مفيدة فى تتبعها ، نظرا لما كانت تعانيه الزراعة فى بلغاريا قبل الثورة نتيجة تفتت الملكيات الزراعية حيث كانت هناك ٣٨٠,٠٠٠ وحدة زراعية صغيرة مجزأة الى ١٢ مليون حقل . واليوم أدمجت هذه الوحـدات الزراعية فى تعاونيات لا يزيد عددها على ٨٨٦ فى جميع انحاء بلغاريا ، واصبح متوسط المزرعة التعاونية يبلغ أربعة آلاف هكتار (وذلك علاوة على مزارع الدولة وبلغ عددها ١٤٦ ومساحتها أكبر قليلا) . ومن ثم فقد سهل ذلك الاستعانة بالوسائل الحديثة فى الزراعة وانشاء مشروعات زراعية وصناعية مشتركة للالبان وتجفيف اللحوم ، كما ساعد على النهوض بالانتاج .

ولا أود هنا أن أنقل مجرد احصائيات صماء عن تطور الزراعة فى بلغاريا . ولكنى أفضل أن أنقل مشاهداتى على الطبيعة . فقد أتيح لى أن أزور مزرعة تعاونية ، وهى ليست أكبر المزارع التعاونية ، ولا أهمها ولكنى فضلت اختيارها لقربها مـن صوفيا ، حيث كنت أقيم . وتحمل هذه المزرعة اسم « فاسيلى كولاروف » . ولهذا الاسم مدلول خاص لمن يعرف تاريخ كفاح الشعب البلغارى . ذلك ان فاسيلى كولاروف كان زميل الزعيـم البلغارى « ديمتروف » وقد اشتركا معا فى ثورة ١٩٢٣ التى قادها الحزب الشيوعى ، والتـى أخمدت بعنف وقسوة ، وقد فرا بعدها الى الاتحاد السوفييتى ، حيث أصبح ديمتروف بعدها أول سكرتير للكومنترن .

لقد زرت هذه التعاونية فى هذا الوقت من السنة

الذى تتحول فيه الخضرة الى جليد أبيض ، وتبطىء فيه حركة العمل وينصرف الفلاحون الى بيوتهم الدافئة انتظارا للربيع • ومع ذلك فأن مناقشاتى مع رئيس التعاونية ورئيس حساباتها ومحادثاتى مع أطبائها ومع محاميها ، قد جعلتنى أقف على نظام التعاونية ، كما أن لقاءاتى مع الفلاحين فى الحظائر وفى معامل الالبان الحديثة داخل المزرعة وفى بيوتهم جعلتنى أقف على نوع العلاقات الانسانية التى أصبحت تسود الحياة فى المزارع •

ان نظام التعاونية يقوم الان على تجميع الملكيات الزراعية الخاصة فى ملكية تعاونية • وقد سبق تطبيق هذا النظام صدور قانون اصلاح زراعى فى أعقاب الثورة حدد الحد الاقصى للملكية الزراعية ، وتم بنســـاء عليه توزيع مليونين وثلاثمائة الف هكتار على المزارعين • وقد بدأت الدعوة الى تجميع الملكيات الموزعة فى تعاونيات ، ومرت هذه الدعوة فى مراحل مختلفة ، حتى تم الانتقال الى النظام التعاونى كاملا فى عام ١٩٥٨ •

وتتميز التعاونيات هناك بأن عائد الانتاج فيها يوزع على الفلاحين أعضاء التعاونية وفق العمل الذى يقدمه كل منهم ، ولا يدخل فى تقديره أى ريع عن الاراضى التى قدمها كل منهم الى الملكيـــة التعاونية • وهى بهذا تشبه تجربة رومانيا فى التعاونيات وتختلف عن تجربة المجر • غير انها تتفق مع تجـــارب الدول الاشتراكية الاخرى فى التعاونيات فى أصولها العامة والخاصة بالادارة الديمقراطية على أساس الانتخاب •

ومما جذب اهتمامى بنوع خاص طريقة توزيع الدخل فى التعاونية ، فقد أحضر لـى رئيس الحسابات ميزانية السنة الاخيرة ، ومنها تبينت أنه بعد خصم المصروفات تستقطع الضرائب والتأمينات على المحاصيل وعلى مبانى المزرعة وآلاتها ثم احتياطى للتحسينات ثم الرعاية الاجتماعية مثل انشاء حدائق للاطفال ومطاعم تعاونية ومثل تنظيم رحلات ترفيهية ثم تأمينات المرض والحـــوادث والتقاعد والباقى بعد ذلك يوزع على الاعضاء وفق العمل المبذول من كل منهم والذى يراعى فى حسابه ساعات أدائه ونوع العمل وذلك وفق لائحــة نموذجية تتبعها التعاونيات ، فالعامل الفنى مثل سائق الجرار يتقاضى نسبة أعلى ، والمــوظف الادارى يتقاضى راتبا ثابتا ، ولكنه يتقاضى مكافأة اضافية وفق ما يحققه من أهداف الخطة • ان هذا النظام فى توزيع الدخل مستمد فى أساسه من تعاليم ماركس (سواء فى كتابه ، نقد برنامج جوته أو أعماله المختارة الجزء الثانى) والتى أكد فيها على أن توزيع الدخل بين المنتجين يتم على أساس أن يأخذ المنتج من المجتمع بقدر ما أعطى •

وفى مـــزرعة فـــاسيلى كولاروف التقيت بالفلاحين • وقد طلبت زيارة بيوتهم ، فتحـــرج المشرفون على المزرعة من أن يختاروا لى بيتا معينا • وكنت أقف بحظيرة الابقار الصغيرة ، فطلبت أن أزور بيت « **ايفان مانوف** » الذى كان مشغولا وقتئذ ببقرة وليد • وقد تقدمنا الرجل الى بيت صغير • كان نظيفا مرتبا فيه ثـلاجة وتليفزيون ، وحضرت زوجته بعد قليل مع ابنتها المتزوجة حديثا من أحد عمال المزرعة • وفى مرح وحسن ضيافة راحوا يقدمون لنا ما نأكله • كانت الساعة قد قاربت الثانية بعد الظهر وكنت مرتبطا فى نفس اليوم بموعد مع مدير اتحاد التعاونيات الزراعية بوزارة الزراعة لاتابع معه دراستى • فكان يجب أن أعود الى صوفيا • ومع ذلك فقد أصر الجميع على أن أبقى لتناول الغذاء معهم فى مطعم المزرعة التعاونية • وكانت هذه مناسبة للوقوف على نوع العلاقات الانسانية الرائعة • الطعام نظيف وقد أعد لتوه أمامنا ، والجميع يغنون • والوجوه التى حولى وجوه صديقة ــ مع أنى لم التق بهاالا منذ ساعات ـــ وأحسست بصدقهم وهم يحدثوننى عن تأييدهم لنا ضـــد العـــدوان الاسرائيلى . كان هؤلاء الفلاحون يعرفون كل شىء عن قضايانا ، واطلعونى على جريدتهم التى يصدرونها باسم « **التقدم** » وعلى امتـــداد الطـــريق من حقول المزرعة الى مكاتب التعاونية ، كانت هناك صور أبطال الانتاج • وقال لى رئيس التعاونية انهم ينظمون لهم رحلات الى الخارج كل عام لزيارة التعاونيات فى البلاد الاشتراكية الاخرى •

الاصلاح الاقتصادى الجديد

ولا أريد أيضا أن اقدم احصاءات تفصيلية عن تطور الانتاج الصناعى بعد أن أصبحت المصانع ملكا للدولة ، ويكفى أن أقول أنه قد زاد ٢٧ مرة عما كان عليه قبل الحرب العالمية الثانية • فقد كانت بلغاريا دولة زراعية متخلفة فأصبحت دولة صناعية متقدمة ، وأصبحت الصناعة تمثل اكثر من نصف دخلها القومى (الذى زاد من ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ بنسبة ٣ر٩ مرة ، بينما لم يزد فى اليونان فى نفس هذه المدة الا ٦ر٢ ، وبينما لم يزد فى تركيا الا بنسبة ٣ر٢ مرة) • وذلك أن بلغاريا كانت قد وجهت عنايتها الى الصناعات الثقيلة أولا • وهى اليوم قد استطاعت فى ظروف اقتصادية سليمة أن توجه عنايتها الى الصناعات الاستهلاكية ، مثل الثلاجات والغسالات ، بل انها عقدت اتفاقات مع مصانع رينو الفرنسية على اقامة مصنع للسيارات بها • ومن المعروف أن بلغاريا قد نجحت على وجه الخصوص فى انتاج الجرارات الزراعية ، ومنها الجرار المعروف عالميا باسم « بلجار » • وقـــد استفادت بلغاريا من التقسيم الدولى للعمل داخل نطاق منظمة الكوميكون ، فتخصصـــت فـــى الجرارات الزراعية وأنواع مختلفة من المعدات

الكهربائية وآلات النسج والبناء والسفن · كما تعاونت فى مشروعات مشتركة مع الاتحاد السوفييتى وتشيكوسلوفاكيا وبولندا والمجر وألمانيا الديمقراطية ، واتجهت الى اقامة مشروعات ماكينات كهربائية فى ايطاليا والنمسا · وقد أقامت عندنا مصنعا لتجفيف البصل وآخر للمواسير المستخدمة فى المنشآت الكهربائية · وقد أصبحت لها علاقات تجارية وطيدة مع كثير من الدول النامية ·

وقد استوجب هذا التطور الصناعى ، اعادة النظر فى الادارة الاقتصادية ·وهى ظاهرة لم تنفرد بها بلغاريا ، بل انها أصبحت معروفة فى جميع الدول الاشتراكية · وقد كانت نتيجة طبيعية لوصول العلاقات الاقتصادية والانتاجية الى درجة من النمو · فبعد مؤتمر موسكو للاحزاب الشيوعية فى عام ١٩٦٠ الذى بحث أثر هذا النمو الاقتصادى على الادارة الاقتصادية للمشروعات ، بدت فى الدول الاشتراكية اتجاهات الى ادارة جديدة للاقتصاد أساسها اعطاء حرية للوحدات الانتاجية وتوفير الحوافز على مستوى المشروع ، وعلى مستوى العامل وترجمة الديمقراطية المركزية الى لجان انتاج منتخبة داخل المشروع ، مع الابقاء على سلطة المدير المسئول .ومنذ اول هذا العام ، عم النظام الجديد للادارة الاقتصادية بعد أن ظل موضع تجارب ومناقشات خلال السنوات الثلاث الاخيرة وكان موضوع المناقشة الرئيسية فى اجتماع اللجنة المركزية للحزب الشيوعى البلغارى فى أبريل ١٩٦٦ ·

على أن ما يثير الانتباه حقا هو تضييق الفوارق بين الدخول · وهو أمر عنيت بمناقشته وتعقبه · لقد كان الاهتمام مركزا على رفع مستوى الانتاج والدخل القومى · فانتهى الامر بأنه لا توجد فى بلغاريا ذات الثمانية ملايين مواطن بطالة ظاهرة أو مقنعة ، بل يوجد طلب متزايد على العمالة · وازداد دخل الفلاحين نتيجة تحول عدد كبير الى الصناعة والخدمات خصوصا فى مجال السياحة التى تطورت فى السنوات الاخيرة حتى نجحت فى اجتذاب اثنين مليون سائح فى السنة الاخيرة · والتى دعت الدولة الى الاخذ بعدة تسهيلات فى التأشيرات وفى الجمارك بحيث لم تعد تطلب من السائح توقيع اى اقرار جمركى ، واصبحت تمنحه التأشيرة حتى على مراكز الحدود ، وزالت بذلك الصورة التى كانت عالقة بأذهان البعض عن بلغاريا فى الخمسينيات ·

واليوم أصبحت النسبة بين أقل دخل وأقصى دخل لا تتجاوز **ثلاثة الامثال** · وعلى سبيل المثال تبين لى أن دخل مدير المزرعة التعاونية كان ٢٧٠٠ ليف فى العام أى حوالى ستمائة جنيه مصرى تقريبا ، بينما يبلغ دخل سائق الجرار ٢٤٠٠ أو ٢٥٠٠ ليف · واذا كان أقل دخل شهرى يبلغ فى المتوسط حوالى تسعين ليف فان دخل المدرس الجامعى لا يتجاوز مائتى ليف · وفى نفس الوقت فان الايجار الشهرى للمسكن المتوسط لا يتجاوز ثلاثة جنيهات ، والتعليم وسائر الخدمات الاجتماعية كلها بالمجان · لذلك لم يكن غريبا أن تتجاوز حسابات التوفير فى البنوك ٨ ملايين حساب ، فكأن لكل فرد فى بلغاريا حساب توفير · ويدخر المواطن البلغارى ليتمكن من بناء منزل لسكناه يكون ملكا له ، أو ليشترى سيارة او ثلاجة كهربائية ، أو معدات للتزحلق على الجليد فى جبال « بورفيتز » التى أصبحت تجذب السياح فى الشتاء ·

العلاقات مع الاتحاد السوفييتى والانفتاح على العالم

وتتميز التجربة البلغارية كذلك بأنها قد خلت من أية حساسيات « قومية » · ومعروف أن شعوب بعض الدول الاشتراكية فى أوربا الشرقية مازالت تحتفظ بذكريات أليمة عن حروبها مع روسيا القيصرية ، وأن علاقاتها المتآخية مع الاتحاد السوفييتى لم تبدأ الا بعد الثورة الاشتراكية · أما فى بلغاريا ، فان الامر على خلاف ذلك · لقد كان العهد البغيض فى تاريخ بلغاريا هو عهد الاستعمار العثمانى الذى استمر حوالى خمسة قرون والذى انتهى بثورة فى عام ١٨٧٦ ، اخضعها الحكم العثمانى بعنف وقسوة ، الى حد ان عدد من قتل خلال هذه الثورة بلغ خمسة عشر الف شخص وبعدها أعلنت روسيا الحرب على تركيا وتحررت بلغاريا من الاستعمار العثمانى فى معاهدة سان أستيفانو ، وصدر أول دستور لبلغاريا المستقلة عام ١٨٧٩ المسمى دستور « **تورنوفو** » العاصمة القديمة لبلغاريا · ومنذ ذلك الحين يحتفظ البلغار بذكرى طيبة عن روسيا التى يسمونها « **الجد أيفان** » ، والتى تجمعها مع بلغاريا وحدة الجنس السلافى ووحدة الكنيسة الارثوذكسية ، وتشابه اللغة ، ولايزال تمثال القيصر اسكندر الثانى الذى تحررت فى عهده بلغاريا يقف شامخا فى « صوفيا » ، قريبا من الجامعة وأكاديمية العلوم ومبنى البرلمان · ثم كانت الحرب العالمية الثانية وكانت الجيوش السوفيتية هى التى عاونت حركة المقاومة على تحرير بلغاريا ·

وفى ضوء هذه الظروف التاريخية يمكننا أن نتفهم العلاقة الوثيقة التى تربط بلغاريا بالاتحاد السوفييتى ·

وقد قدم الاتحاد السوفييتى مساعدات اقتصادية هامة الى بلغاريا عاونتها على أن تتجاوز مرحلة التخلف الى الانطلاق · والخطة الاقتصادية للاعوام ١٩٦٦ ــ ١٩٧٠ تتضمن تسهيلات ائتمانية

من الاتحاد السوفييتي تبلغ ٥٣٠ مليون روبل ، ومن المتوقع في الخطة الخمسية التي تبدأ في عام ١٩٧١ أن تصل هذه التسهيلات الى هذا المعدل أيضا .

ومع أن التجارة مع الاتحاد السوفييتي تستوعب نصف التجارة الخارجية لبلغاريا ، الا أن بلغاريا بدأت تنمى علاقاتها مع العالم الغربي ومع العالم الثالث . بل لقد تحسنت علاقاتها مع تركيا رغم ذكريات الحكم العثماني ، حتى أنه قد جرت بينهما مباحثات في أواخر العام الماضي لاستغلال مياه بعض الانهار التي تجرى في أراضى البلدين . وفي معرض بلغاريا الصناعي الذي تقيمه كل عام في مدينة « بلوفديف » ثاني مدن بلغاريا أصبحت تشترك دول من الغرب مثل ألمانيا الاتحادية وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة والنمسا والسويد الى جانب دول من العالم الثالث مثل أندونيسيا والجمهورية العربية المتحدة ونيجيريا والبرازيل ، علاوة على الدول الاشتراكية .

ومن مظاهر الانفتاح على العالم انه في أكتوبر ١٩٦٧ ، نظمت الجمعية الدولية لقانون العقوبات ، ومقرها باريس ندوة علمية عن دور قانون العقوبات الاشتراكي ، وجعلت مقرها في « **فارنا** » في بلغاريا . ولم يتح لي حضور هذه الندوة وقتئذ لانشغالي بشواغل الوطن بعد العدوان . ولكني تابعت أعمال هذه الندوة خلال زيارتي الاخيرة . فالتقيت بالبروفسير « **نينوف** » وهو واحد من أكبر أساتذة القانون الجنائي المعروفين في العالم . وقد زرته في منزله . كان قادما لتوه من باريس حيث كان يحضر اجتماع مجلس ادارة الجمعية الدولية ، وأطلعني على قانون العقوبات الجديد الذي اصدرته بلغاريا منذ شهور ، وقد أخذ بأحدث المبادىء العقابية وألغى الكثير من حالات الحكم بالاعدام واعتنق نزعة انسانية في معاملة المنحرفين . ان هذا القانون يمثل التطور الذي وصلته بلغاريا في علاقاتها الاجتماعية والاقتصادية ، وهو يمثل مرحلة هامة في تحقيق الشرعية الاشتراكية .

ان هذا كله كان أمامي وأنا أزور المحاكم الشعبية وهي أدنى درجات المحاكم . لم أكتف بمقابلة المسئولين في وزارة العدل وفي اتحاد القانونيين . بل جلست في احدى قاعات المحاكم أشهد العدالة وهي تؤدى عن طريق قاض متخصص منتخب يعاونه اثنان من العدول يختاران من عامة الشعب . والمكان تحيطه مهابة ، والالة الكاتبة هي وسيلة تسجيل محاضر الجلسات في هذه المحكمة الجزئية الصغيرة . وسألت ماذا عن **المحاكم العسكرية ؟ ان اختصاصها مقصور على الجرائم التي تقع من العسكريين ، وقضاتها العسكريون قد درسوا القانون وهي جزء من القضاء الموحد يطعن في** أحكامها أمام دائرة عسكرية ضمن دوائر المحكمة العليا .

نحن وبلغاريا

ومنذ أن وصلت الى بلغاريا ، فان من قابلتهم سواء في التعاونيات أو المصانع أو في الاتحادات أو في الجبهة الوطنية ، لا ينقطع حديثهم عن العدوان الاسرائيلي . وقد تبينت أن المواطن العادي يتفهم القضية العربية ، ويدرك المطامع التوسعية لاسرائيل وصلة الصهيونية العالمية بالقوى الاستعمارية . ولم يكن ذلك غريبا لان وسائل الاعلام في بلغاريا قد لعبت دورا هاما في خلق وعي متكامل عن القضية .

وقد كانت بلغاريا من بين الدول الاشتراكية التي قطعت علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في ١٠ يونيو ١٩٦٧ عقب اجتماع القمة الذي عقد في موسكو يوم ٩ يونيو . وكان تيدور جيفكوف رئيس الوزراء قد أعلن في ٣ يونيو أن بلاده تقف الى جانب الشعوب العربية ، ثم أصدرت الحكومة في ٧ يونيو بيانا أدانت فيه العدوان . وموقف بلغاريا معروف في الامم المتحدة ، في تأييدها للقضية العربية . وقد زارنا في أعقاب العدوان « **ايفان بوبوف** » نائب وزير الخارجية ، وقد التقيت به هذه المرة عند زيارتي لبلغاريا ، (وقد أدهشني بخبرته الواسعة عن الحركة التعاونية وعلمت أنه كان من بناتها) وقد وصل منذ أيام الى القاهرة ومعه وزير الكيمياء والصناعات المعدنية للاتفاق على البرنامج التنفيذي لاتفاقية التعاون بين بلدينا في المجالات العلمية . ومنذ شهور تم توقيع اتفاقات للتجارة مع بلغاريا لاستيراد القمح والسماد منها وتصدير القطن والبترول اليها ، كما أنه قد سبق لنا التعاقد على استيراد معدات وآلات زراعية منها .

ومن قبل العدوان ، زارنا تيودور جيفكوف رئيس الوزراء زيارة رسمية في نوفمبر ١٩٦٥ ، وصدر أثر الزيارة بيان مشترك استنكر السياسة الاستعمارية التي تمارسها الصهيونية في اسرائيل وأيد نضال الشعب العربي في الجنوب المحتل . وحينما انعقد المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي البلغاري في أواخر عام ١٩٦٦ دعى اليه لاول مرة ممثلان عن الاتحاد الاشتراكي العربي ، هما السيد حسين ذو الفقار صبري والدكتور ابراهيم سعد الدين . (١) .

قال لي كل من قابلني : لقد شاهدنا عرض الفرقة القومية للفنون الشعبية عند قدومها الى بلغاريا في الشهر الماضي ، وفي رقصات فتيانها وفتياتها كانت تتمثل لنا روح الاصرار على مواصلة النضال ، انها تعبير حي عن ثورتكم وشعرت بحرارة الصداقة وسط الثلوج المحيطة بي .

---

(١) الطليعة — عدد ديسمبر ١٩٦٦ ، ومقال السيد حسين ذو الفقار صبري — عدد يناير ١٩٦٧ .



التكامـــل والتبـــاعـــد بـــين العـــلم والأدب

مرسى سعد الدين

نغمة

بدأت ترتفع منذ عدة سنوات ، وتدرجت فى الارتفاع حتى وصلت الان الى نوع من الصخب المنتظم ، تشترك فيه اصوات عدة فى بلاد عدة . لقد بدأت هذه النغمة فى الغرب ، وفى لندن بالذات ، ولكنها انتقلت الان الى بلاد اخرى ، وخاصة فى الدول النامية . وهى نغمة المجتمع العلمى ، او الثورة العلمية ، او الدولةالعصرية . وقد ادت هذه النغمة الى نغمة اخرى نتجت عنها ، وهي التباين الكبير بين العلوم والانسانيات (الاداب والفنون والتاريخ ... الخ) . وكثر الحديث عن الخطر الذى يتعرض له العالم ، نتيجة هذا الاستقطاب بين هذين الجانبين .

ولو ان قائد هذه النغمة هو س . ب . سنو ، الذى اصدر منذ فترة قصيرة كتابه عن « الثقافتين » ، الا ان المشكلة ليست جديدة ؛ ونجد ان عالما مثل ا . ت ــ هوايتهد فى كتابه « العلم والعالم الحديث » ، يضع اصبعه على المشكلة ويتنبأ بها . لقد صدر ذلك الكتاب عام ١٩٢٦ ، وكان بمثابة فاتح للطريق . لقد رأى هوايتهد ان الاكتشافات التكنولوجية تغير من سير الحياة الانسانية ، وان العلم الحديث ، وان كان قد ولد فى اوروبا ، الا ان مكانه هو العالم كله ، ومن ثم فان مشاكل العلوم ليست قصرا على بلد دون الاخر ، وانما هي مشاكل تهم الانسانية جمعاء .

ويلخص هوايتهد المشكلة فيما يلى : « من الحقائق الكبرى التى تواجه العالم الحديث ، هى اكتشاف وسيلة لتدريب المختصين فى مناطق معينة من الفكر ، ومن ثم نجد ان هؤلاء المتخصصين

بمعنى آخر توجد بعض الحقيقة في مناقشاتهم ، ولكن بلا شك في ان كلا من الاتجاهين هدامان ، يعتمدان على سوء الشرح ، وهذا شيء خطير للغاية .

ويمكن الرد على كل منهما بخصوص اتهامين متبادلين :

اولا : بخصوص تفاؤل رجل العلم . لقد تكرر هذا الاتهام حتى اصبح « اكلشيه » . وعلى الرغم من ان هذا الاتهام يأتي من جانب احسن العقول الادبية ، الا ان اساسه هو خلط التجربة الفردية بالتجربة الاجتماعية ، الاحوال الفردية والاحوال الاجتماعية للانسان . ان معظم العلماء الذين مروا في طريقنا لسبب او لاخر ، يشعرون — وبعمق لا يقل عما يشعر به اللاعلماء — ان الحالة الفردية لكل منا ذات طابع مأساوى . فكل منا وحيد ، واحيانا ما نهرب من الوحدة عن طريق الحب او العاطفة او الفترات الخلاقة ، ولكن انتصارات الحياة هذه ، ما هى الا بحيرات من الضوء نقيمها لانفسنا ، بينما حافة الطريق مظلمة ، وكما قال احد الشعراء « كل منا يموت وحده » .

ان بعض رجال العلم مثلا يعتقدون فى الاديان ، ولكنهم جميعا ، ولعل هذا هو سبب تفاؤلهم — لا يجدون من الاسباب التى تحملهم الى الاحساس بمأساوية الاحوال الفردية ، وهذا يعنى مأساوية الاحوال الاجتماعية . ان كلا منا وحيد ، وكلا منا يموت وحده ، هذا صحيح ، وهذا مصير ليس فى استطاعتنا الوقوف ضده ، ولكن هناك الكثير من احوالنا التى لا تأتى فى نطاق المصير ، ولابد لنا ان نناضل ضدها ، والا فقدنا صفة الانسانية فينا .

ان معظم اخواننا فى البشرية يقاسون من سوء التغذية ويموتون قبل الاوان . ان هذه تعد حالة اجتماعية ، والبعض يجلس بلا حراك غارقا فى مأساته تاركا الاخرين بلا طعام ، ولكن رجال العلم ، فى مجموعهم ، اقل اغراقا فى مآسيهم الفردية ، ويميلون الى الشعور بالرغبة فى عمل شيء من اجل هؤلاء الجوعى ، وهم يعتقدون انه من الممكن فعل شيء . ويحاولون دائما حتى يثبت لهم تعذر هذا . من هنا ينبع ذلك التفاؤل ، وهو تفاؤل نحن جميعا فى حاجة اليه . ولعل هذه الروح هى التى جعلت رجال العلم ينظرون الى الاتجاه الاجتماعى للثقافة الاخرى ، على انه يثير القرف . وهناك كتاب طغوا على الموقف الادبى ، كان لهم تأثير مضاد على الحياة ، يانس وباوند ووندام لويس على سبيل المثال . لقد كانوا ، على حد قول احد رجال العلم « ليسوا فقط اغبياء من الناحية السياسية ، ولكنهم خبثاء » بل ان بعض العلماء دهب الى لبعد من هذا ، حين اتهموا ادباء ما قبل هتلر بتمهيد الطريق له . والواقع ان هناك فعلا نوعا من الارتباط ، لا يراه الادباء انفسهم ، بين بعض انواع الفنون فى اوائل القرن العشرين ، وكثير من التعبير اللااجتماعى وهذا من الاسباب التى دعت البعض الى اهمال الفنون والمحاولة فى الوصول الى طريق آخر .

ولكن هؤلاء الكتاب لم يعودوا يسيطرون على الموقف الادبى . ان الادب يتغير بطريقة أبطأ من العلوم ، وليس لديه اختباراته التى تؤدى الى اصلاح الخطأ ، كما هو الحال مع العلوم ، حيث يمكن لتجربة المعمل ان تثبت الصواب من الخطأ ، ومن ثم فان تجارب الادب الخاطئة لا يظهر اثرها فى الحال ، انها مثل قنبلة زمنية . ولكن من الخطأ ان يحكم العلماء على الادباء فى ضوء الفترة ما بين ١٩١٤ — ١٩٥٠ » .

فى قطب نجد ان الثقافة العلمية هى ثقافة فعلا ، لا فى معنى فكرى ، ولكن انثروبولوجى . وهذا يعنى ان اعضاءها ليسوا فى حاجة الى عدم فهم بعضهم البعض . فعلماء الاحياء مثلا لديهم فكرة ، ولو غير واضحة عن الطبيعة ، ولكن فى نفس الوقت نجد ان هناك مواقف مشتركة ومقاييس مشتركة ، وانماط سلوك مشتركة ، بل وافتراضات مشتركة . ومن ناحية الاحصاء سنجد مثلا ان عدد اللامؤمنين اكثر من بين العلماء اذا ما قورنوا ببقية العالم الفكرى . واحصائيا نجد ان نسبة العلماء اليساريين سياسيا اكثر من الادباء . ولكن هناك طبعا استثناءات لهذه القاعدة ، فلدينا محافظين من العلماء مثل ج . ج . طومسون ولندمان ، أمام يساريين مثل اينشتين وبلاكيت ، ومتدينين مثل أ.ه.كومنون وماديين مثل برنال ، ارستقراطيين مثل بروجلي وروسيل، وبروليتاريا مثل فاراداى، من أبناء الاغنياء مثل توماس مرتون ، وفكتور روتشيلد ، وروذ فورد . وكان ابن نجار ، وعلى الرغم من هذه الاختلافات فانهم جميعا يتجاوبون بنفس الطريقة ، وهذا هو ما نعنيه بالثقافة .

ان هذه الاختلافات الواسعة النطاق تعد خسارة للجميع وللمجتمع نفسه . انها خسارة عملية وفكرية وخلاقة ، وهذه النواحى الثلاث لا يمكن فصلها : الخسارة الفكرية ، بسبب درجة عدم الفهم بينهما . ومرة اخرى ارجع الى سنو ، وهو يتحدث عن تجربته الخاصة حين كلف باختيار بعض خريجي العلوم للعمل فى نطاق الذرة . وهو يقول انه وجد عددا قليلا جدا منهم يعرف اى

يتقنون المعرفة في داخل حدود موضوعهم ».
ونتيجة لهذا النجاح في تخصيص المعرفة تواجه أمرين هامين يجعلان عصرنا مختلفا عن العصر السابق .

اولا : ان نسبة التقدم سريعة ، لدرجة ان الانسان في نطاق حياته سيجد نفسه مضطرا طول الوقت الى مواجهة مواقف جديدة لا نظير لها في الماضي .

ثانيا : ان التخصص الحديث في المعرفة يعمل بطريقة مضادة في المجال الفكري . ان الكيميائي الحديث مثلا ، لابد وان يكون ضعيفا في علم الحيوان ، واضعف في المعلومات العامة عن الدراما ، وجاهلا تماما في اصول الاوزان الشعرية . وهذا الوضع له اخطاره ، فهو ينتج عقولا تسير بين خطين متوازيين ولا تحيد عنهما . ان كل متخصص سيتقدم ولكن تقدمه هذا لن يخرج عن الخطين ، والحياة فكريا بين خطين متوازيين قد يساعد على عدم التيه ، ولكن لايوجد خطان يجمعان بينهما الحياة الانسانية كلها . وطبعا لا يوجد انسان مجرد عالم رياضة او محام ، فللجميع حياتهم الخاصة خارج نطاق اعمالهم ، ولكن النقطة الخطيرة هي وضع التفكير الجاد بين خطين متوازيين ، اذ انه يؤدي الى نظرة سطحية لبقية نواحي الحياة » .

ويستمر هوايتهد في شرح المشكلة ، ثم يخرج منها بنتيجة هامة ، وهي ايجاد توازن في النظم التعليمية ، ويطالب « بتعليم جمالي ، وفهم جمالي يجمع بين مزايا الفن ، وهي الدوافع العاطفية ، ومزايا العلم ، وهي العمل والحركة . ان عادة الفن هي الاستمتاع بالقيم الحية ، والفن اكثر من مناظر جميلة . انه المصنع بآلاته وعماله وخدماته الاجتماعية ، واعتماده على التخطيط والتنظيم ، واحتمالاته كمصدر للثروة ، وهو مخلوق يعكس مجموعة من القيم . اننا نريد ان ندرب الانسان على تفهم مثل هذا المخلوق في شموله » .

هذا هو ما قاله هوايتهد في عام ١٩٢٦ ، وهذا هو ما وصل اليه الادباء والعلماء الان ». واني اذكر اول مرة سمعت هذه المشكلة في عام ١٩٥٥ في لندن ، اثناء مؤتمر نادي القلم العالمي ، وذلك في حديث مع س . ب سنو ، الذي يعد اول من اثار هذه المشكلة حديثا ». واني انقل هنا مدار تلك المناقشة ».

ولعل س ». ب ». سنو من الذين شعروا بها اكثر من غيرهم ، فهو رجل علم بالتدريب ، وكاتب بالوظيفة ». وقام بعد ذلك ببعض البحوث العلمية

ومن ثم اعطيت له الفرصة في جامعة كامبردج لمراقبة بعض البحوث الطبيعية التي اشتهرت بها كامبردج . كان يقضي ايامه مع العلماء ، وعند انتهاء فترة البحث يذهب للقاء الكتاب ». كان يعيش في داخل مجموعتين ، مجموعة الادباء ومجموعة العلماء . كان يتحرك بينهما ، ومن ثم استطاع ان يتعرف على مشاكلهما . وكما يقول « اعتقد ان حركتي المنتظمة من مجموعة الى اخرى ، ثم العودة الى المجموعة الاولى ، هي التي دعتني الى الاهتمام بتلك المشكلة ، قبل ان افكر في وضعها على الورق ، واسميت تلك المشكلة « الثقافتين » . لقد كنت دائما احس اني اتحرك بين مجموعتين لا تقلان عن بعضهما في الذكاء ، ومن نفس الجنس البشري ، وليسا ببعيدين في الاصل الاجتماعي ، ويكسبان نفس الدخل تقريبا ، ولكن كاد الانصال بينهما ان يكون معدوما ، واللذان في المناخ الفكري والاخلاقي والسيكولوجي يختلفان تمام الاختلاف » .

ان الحياة الفكرية للعالم ، وخاصة في الغرب ، تنقسم يوما بعد يوم الى قطبين بعيدين عن بعضهما كل البعد ، في قطب منهما نجد المفكرين الادبيين الذين اطلقوا على انفسهم اسم « المفكرين » ، وكأنه لا يوجد غيرهم بين رجال العلم . وفي القطب الاخر نجد رجال العلم ، واكثر من يمثلهم علماء الطبيعة ، وبين المجموعتين نجد هوة من عدم الفهم ، بل وفي بعض الاحيان ، وخاصة بين الشباب ، يصل عدم الفهم هذا الى درجة العداء والكراهية . انهم لا يعرفون شيئا عن الاخرين ، ومواقفهم تجاه الاشياء مختلفة ، حتى انه على المستوى العاطفي لا يجدوا شيئا مشتركا . ان اللاعلميين ينظرون الى رجال العلم على انهم متعبالون . وينظر الادباء ليجدوا شخصا يمثلهم تمام التمثيل وهو ت . س . اليوت يتحدث عن محاولته لاحياء الدراما الشعرية ، فيقول انه يأمل في القليل جدا ، ولكنه يشعر بالراحة لو ان الادباء يعدون الطريق لظهور « كيد آخر او جرين » . ان نغمة الادباء نغمة منخفضة محدودة ، صوت ثقافتهم ذليل . وفي نفس الوقت يسمعون صوتا صاخبا مدويا ، مثل صوت رود رفورد ، وهو يقول : ان هذا هو العصر البطولي للعلوم . انه العصر الاليزابيثي .

ان اللاعلمي يشعر دائما ان رجال العلم متفائلون بطريقة سطحية ، وانهم لا يحسون بأحوال الانسان . وفي الجانب الاخر نرى ان رجال العلم يعتقدون ان المفكرين الادباء ينقصهم بعد النظر ، وانهم لا يهتمون بأخيهم الانسان ، بل وانهم ضد المفكرين في رغبتهم حبس الفنون والاداب داخل اطار خيالي فقط . وهكذا يستمر الخلاف ». ولعل كلا من الجانبين على حق ، او

شيء عن الادب . وحتى هـذا العدد القليل لم يكن يقرأ الا القشور . ان لديهم ثقافتهم العميقة القوية التى تعمل فى صورة دائمة . انها ثقـافة تمتاز بالنقاش ، ولكنه نقـاش حيوى ، وعلى مستوى مرتفع ، مستوى ارفع من ثقافة رجـل الادب . انهم على درجة عالية من الذكاء ، وان كانت ثقافتهم لا تحتوى على كثير من الفن ، بخلاف بعض من الموسيقى . انها ثقـافة تحتوى على مناقشات واسـطوانات كلاسـيكية ، وتصوير ملون ، ثقافة تستعمل الاذن ولحد ما العين ، ولكن لا تعرف من الكتب الا القليل . وهذه الكتب لاتدخل فى نطاق الروايات أو الشعر .

وهذا لا يعنى انهم لا يهتمون بالحياة الثقافية والخلقية او الاجتماعية . فهم يبدون اهتمـاما شديدا بالناحية الاجتمـاعية . ومن الناحيـة الخلقية ، نجد ان هنـاك مادة خلقية فى داخـل العلوم نفسها ، ونجد ان كل العلماء على وجه التقريب ، لديهم احكامهم الخلقية . اما الاهتمام السـيكولوجى ، فهو موجود ، وان كان يأتى فى مرحلة متأخرة . الواقع انه لا ينقصهم الاهتمام ، وانما يشعرون ان الثقافة التقليدية ليست ذات معنى بالنسبة لهم . وهم فى هـذا مخطئون ، ونتيجة لذلك نجد ان فهمهم الخيـالى اقل مما يجب . انهم يقاسون من فقر شخصى .

ولكن ما هو موقف الجانب الاخر ، انهم ايضا فقراء ، وبطريقة اكثر خطورة لانهم ، بالاضافة ، يشـعرون بالتعـالى والعجرفة . انهم يريدون الادعاء بأن الثقافة التقليدية هى وحدها الثقافة وكأنمـا النظـام الطبيعى لا وجود له ، وكأنما استكشاف هـذا النظام لا يهم سـواء فى قيمته نفسها ، او فى نتائجه . وكأنما البناء العلمى للعالم الطبيعى ، فى عمقه الفكرى ، وفى تكوينه وحركته ليس اجمل واعظم عمل جماعى لعقل الانسان .

ومن المؤسـف حقـا ، بل ومن المخجل ، ان اللاعلميين ليست لديهم اية فكرة عن هذا البناء . وحتى اذا ارادوا ان يحصلوا على هذه الفكرة فلن يكون ذلك فى اسـتطاعتهم . وهـم يبدون اصماء من هذه الناحية ، ولكن هذا الصمم ليس بالطبيعة ، وانما عن طريق التدريب ، او بمعنى أصح عدم التدريب .

ومثـل الاصماء فانهم لايعرفون مايفتقدون ، ونرى انهم يضحكون بشفقة حين يسـمعون ان عالما لم يقرأ كتابا ما من الادب . انهم يرفضونهم كاخصائيين جهـلاء ، دون أن يدركوا أن جهلهم وتخصصهم لا يقل غرابة . ويقول سنو انه احيانا ما يسأل احد هؤلاء « ما الذى تعرفه عن القانون الثانى للديناميكية الثرميـة ؟ ويكون التجـاوب الذى توجهه الى العالم «هل قرات شكسبير ؟» باردا ، ويضيف ان هذا السـؤال ما هو الاالسؤال بل اذا سألت سؤالا ابسط مثل ما معنى السرعة وهو يشبه سؤال « هل تسـتطيع القراءة ؟ لن يعرفالاجابة اكثر من واحد من كلعشرة . وهكذا يرتفع بناء علمالطبيعة الحديثة ،ونجدانمعلومات غالبية امهر الناس فى الغرب عن هـذا البنـاء لاتزيد عن معلومات شعوب العصر الحجرى عن الطبيعة .

ويبدو انه لا يوجد مكان يجتمع فيهالثقافتان . وهذا مؤسف لانه فى ذلك الاجتماع يمكن تحقيق الكثير . ان الطبيعة تقول ان نقطة تصـادم اى جسمين ، اواى نظامين ، اوثقافتين ، اونجمينفى السماء ، من شأنه ان ينتج فرصا للخلق . وتاريخ النشاط الفكرى ملىء بنماذج لهـذا . والفرص موجودة الان ولكنها موجودة فى فراغ لان هاتين الثقافتين ليستا فى استطاعتهما التحدث معا . ومـن الغريب ان القليل جـدا من علوم القـرن العشرين هى التى دخلتالى فن القرنالعشرين . كنا فى الماضى نجـد من وقت الى آخـر شـعراء يستعملون تعبيرات علمية بطريقة خاطئة . وطبعا ليس هذه هى طريقة استفادة الاداب من العلوم . ان العلوم يجب أن تختفى داخل تجاربنا الذهنية وتستعمل بطريقة طبيعية .

ماهى اسباب هذا الانفصام ؟ انها التخصص القاسى فى التعليم الذى يوجد ، ان هذا الانفصام كان موجودا منذ أكثر من ستين عاما ، ولكن من الواضح ان هذا الانقسام على اشـده الان بـين الشباب اكثر مما كان عليه منذ ثلاثين عاما مثلا . حقيقةانهمنذثلاثين عامالم تتحدثالثقافتانولكنهما احتفظا لبعضهما بابتسامة متبادلة . ولكن هذا الادب قد انتهى الان ، والعلماء الشبان يشعرون انهم جزء من ثقافة فى الصعود ، فى الوقت الذى تهبط فيه الثقافات الاخرى . ولكن ليس هـذا هو كل شيء ، اذ بالاضافة يوجد شعورهم بان فى استطاعتهم دائما الحصول على عمل فى اى وقت وفى اى بلد ، بينمـا نظراؤهم من رجـال الادب تعوزهم هذه الفرص . وهذه فى الواقع مشكلة عامة ، نجدها هنا ايضـا حيث المهندسـين والاطباء أول من يتم تعيينهم .

وهناك اسباب عديدة وعميقة لوجود ثقافتين ، اسبـاب ذات جـذور فى التـاريخ الاجـتماعى والفردى ، والبعض فى الـديناميكية الداخـلية للنشاطات الذهنية . السـبب الاول ، فى رأى سنو ، هو ان المفكرين الغربيين لم يحـاولوا ان يتفهموا الانقلاب الصـناعى فى اوربا ، بـل ولم يحاولوا قبوله ـــ ان المد الاول لهذا الانقلاب تم دون ان يشعر به احـد . لقد حـدث انقلابان ، الانقلاب الزراعى والانقلابالصناعىالعلمى ،وهما

من اهم التغييرات الكيفية التى عرفها العالم . ولكن الثقافة التقليدية لم تلاحظ هذه التغييرات، وحين لاحظتها فى النهاية ، لم يسرها التغير . هذا على الرغم من ان الثقافه التقليديه كسبت الكثير من هذين الانقلابين ، وكانت الثقافة التقليديه تسير فى طريق الثراء ولكن كلما أثرت ، كلما بعدت عن الانقلابين العلمى والصناعى بدلا من الارتباط بهما . لقد قامت الثقافه التقليديه بتدريب ابنائها فى شئون الادارة والامبراطورية. وبعرض استمرار هده الثقافة ، ولكن دون ان تحاول تسليح ابنائها لفهم الثورة الصناعية أو للاشتراك فيها . وفى اواسط القرن التاسع عشر بدا البعض من بعاد النظر ، يدركون انه من المهم تدريب العلماء لكى يستمر انتاج الثروه وخاصة تدريبهم فى العلوم التطبيقية . ولكن احدا لم ينصت لهم . وطبعا لم تحاول الثقافة التقليدية سماع اصواتهم . اما الاكاديميين فلم يشعروا بأى شىء تجاه الثورة الصناعية .

وهناك فرق واحد ، لم يبد واضحا ، بين الانقلاب الصناعى والثورة العلمية ، الانقلاب الصناعى هو الاستعمال التدريجى للالات واستخدام الرجال والنساء فى المصانع ،والتغيير السكانى من عمال زراعيين الى عمال مصانع وتوزيع . وجاء هدا التغيير بطريقة غير مترقبة، جاء خلسة فلم يلاحظه الاكاديميون ، وتجاهله المفكرون . وهو مرتبط بمواقف العلم والجمال منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى اوائل التاسع عشر . اما التغير الاخر فهو تطبيق العلم الحقيقى على الصناعة ، وتاريخ بدء هذا متروك لاذواق عديدة ، البعض يحتار بدء الصناعات الكيمائية او الهندسيه وهذا منذ حوالى سبعين عاما . والبعض يختار الوقت الذى صنعت فيه الذره . ان المجتمع الصناعى للالكترونات والقوة الذرية والاوتوماتون يختلف اساسا عن اى عصر سابق . انه التحويل الذى نال شرف اسم « الثورة العلمية » .

أنه الاساس المادى لحياتنا ، او البلازما الاجتماعية التى نحن جزء منها . ونحن لا نكاد نعرف شيئا عنها . والمفكرون لا يعرفون شيئا عن هذا . مامعنى الالة ، ومامعنى الصناعة الانتاجية الجديدة والقديمة . ماهو التنظيم البشرى الذى تحتاج اليه الصناعة ، ماهى العلاقات الفردية فى التنظيم الانتاجى ، ومن العدل ان نقول : ان رجال العلوم البحتة يعرفون القليل عن هذا ، ونحن نضع العلماء النظريين والتطبيقيين فى نفس المجموعة ، ولكن فى الواقع هناك فوارق بينهم . العلماء احيانا لا يفهمون المهندسين . وسلوكهم مختلف ، المهندسون يعيشون حياتهم فى مجتمع منظم ومهما كانوا فانهم يقدمون وجها منظما للعالم . وهذا يختلف مع رجال العلوم البحتة . والسؤال الان هو : كيف يمكن مواجهة المستقبل، المستقبل الثقافى والعملى ، لعل الاتحاد السوفيتى قد استطاع ان يجد بداية الطريق للاجابة . ان المدارس العليا الروسية افضل تخصصا من غيرها، ونجد ان جميع طلبة هذه المدارس مجدون على دراسة العلوم والرياضة التى تكون ٤٠ ٪ من بقية المنهج ، وفى الجامعة يتوقف هذا بعد السنتين الاوليين فى الدراسة ، وتكون السنوات الثلاثة الاخيرة على درجة عالية من التخصص . ان لديهم نظرة عميقة للثورة الصناعية والفجوة بين الثقافتين لاتبدوا على وسع ماهى عليه فى الغرب . ففى الروايات السوفيتية الحديثة مثلا نجد ان الكتاب يتوقعون من قرائهم معرفة ولو اولية للصناعة . الهندسة مثلا ، المهندس فى الرواية الروسية الحديثة ، مثل السيكولوجى فى الرواية الامريكية. وفى الفن نجد انهم على استعداد لفهم عملية الانتاج تماما، كما كان بلزاك يفعل بعمليه صناعة الحرف. وفى الروايات الروسية نجد عقيدة قوية فى التعليم . لقد حدد الروس عدد الرجال والنساء المتعلمين المطلوبين لتصل البلاد الى قمة الثورة العلميه . اولا اكبر عدد من رجال العلم اذ لاتوجد بلد لديها ما يكفى منهم . ثم اكبر عدد من الاخصائيين الذين يقومون بالبحوث للتخطيط والتنميه . ثم مجموعه اخرى تصل الى المستوى الجامعى تقوم بالاعمال التكنيكية الثانوية ، ان البلاد فى حاجة الى هؤلاء . ويأتى تدريب السياسيين والاداريين الذين يعرفون ما يكفى من العلوم ليدركوا ما يتحدث عنه العلماء . وهنا يقول سنو « لو ان اجدادنا استثمروا الموهبة فى الانقلاب الصناعى اكثر من استثمارها فى بناء الامبراطورية الهندية لكنا الان فى موقف احسن. وينتقل سنو بعد ذلك الى دول العالم الثالث ، وهى فى رأيه اساس مستقبل العالم . من الناحية التكنيكية يمكن تحقيق الثورة العلمية فى الهند وافريقيا وجنوب شرقى آسيا وامريكا اللاتينية والشرق الاوسط خلال خمسين عاما . وهذه هى الوسيلة الوحيدة للخروج من التهديدات الثلاثة التى تقف فى طريق الانسانية : الحرب الهيدروجينية والانفجار السكانى والهوة بين الفقراء والاغنياء . ويرى سنو ان اخطر جريمة هى ان يكون الانسان بريئا عن معرفة هذه الاخطاء . وحيث ان الهوة بين الفقراء والاغنياء يمكن ازالتها ، فلابد ان يأتى الوقت حين تزول . واذا كان الغرب قصير النظر وغير قادر على حسن النية او معرفة منفعته الشخصية الذكية فهذا يعنى ان هذه الهوة ستزول عن طريق الحرب والمجاعة ، ولكن لابد وان تزول . السؤال هو « كيف : ومن الذى سيزيلها ؟ » توجد اجابات جزئية ، ويعتقد سنو ان الثورة العلمية على المستوى العالمى تحتاج الى رأس مال فى كل صورة بما فى ذلك الالات . والدول الفقيرة لن

تستطيع ايجاد هذا الرأس مال حتى تتقدم الى مرحلة معينة على الرسم البياني الصناعي . ولهذا فان الهوة بين الفقراء والاغنياء لابد وان تتسع ورأس المال يجب ان يأتي من الخارج .

«وهناك مصدران : الغرب وهذا يعني اساسا امريكا، ثم الاتحاد السوفيتي ، ولكن حتى امريكا ليس لديها مصادر لاحصر لها . واذا ارادت امريكا او الاتحاد السوفيتي ان تفعل هذا وحدها فان هذا سيتطلب مجهودا اكبر من مجهود الحرب . وبعد رأس المال ، يأتي الرجال ، أي العلماء المدربون والمهندسون الذين في استطاعتهم تكريس عشر سنوات من حياتهم لتصنيع بلد آخر . ويبدى سنو خوفه من ان الاتحاد السوفيتي سيسبق كلا من بريطانيا وامريكا في هذا النطاق ويقول « وهنا تظهر مزايا نظام التعليم الروسي . ان لدى الروس رجالا مفيدين ، ونحن ليس لدينا هؤلاء الرجال . لنفرض ان امريكا وبريطانيا قررتا القيام بعملية تصنيع واسعة النطاق في الهند على غرار التجربة التي تحققت في الصين . ولنفرض ايضا ان رأس المال المطلوب لهذه العملية قد تم توفيره . انه سيحتاج بعد ذلك الى مابين ١٠ ـ ٢٠ الف مهندس . هؤلاء الرجال يجب تدريبهم لاعلميا فقط ولكن انسانيا. انهم لن يستطيعوا القيام بمهمتهم الا اذا تخلصوا من « ابويتهم » ، ان الكثير من الاوربيين من اول فرانسيس كزامين الى شوايتزر يكرسون حياتهم لاسيا وافريقيا بنبل ولكن «بابوية». ان هذا النوع من الاوربيين لن يقبله الاسيويون والافريقيون الان . انهم في حاجة الى رجال يشتغلون معهم كزملاء ، يقدمون كل مايعرفون وينتهون من القيام بمهمة فنية مفيدة ثم يتركون البلاد . ومن حسن الحظ ان هذا موقف يأتي بسهولة للعلماء ، فهم اكثر من غيرهم ، متحررون اكثر من غيرهم من الانحياز البشري وشعور التفرقة وثقافتهم على مستوى العلاقات الانسانية ، ذات طابع ديمقراطي» .

وانتهى سنو من حديثه ، واخذ الخيط منه ويليام كوبر وهو كاتب رواية معروف كان ايضا من رجال العلم ويعمل حاليا في لجنة الطاقة الذرية . وهو يذهب ابعد من سنو في رأيه وان كان كلاهما يعتقدان ان الغرب في افول اذا لم يتقارب العلم والادب . يقول كوبر :

« هناك اختياران بسيطان امام المجتمع الغربي ، يجب ان يختار بين التحدث الى الشرق او التحدث الى انفسنا ، وبين قبول عصر العلوم او البعد عنه . ان هذين الاختيارين واحد ـ التحدث الى الشرق معناه قبول عصر العلوم ، والتحدث الى انفسنا معناه رفض هذا العصر . ان استمرار المجتمع الادبي الغربي الان يتوقف على هذا . واذا استمرينا في ان يتحول الادب الى عمل خاص للمفكرين الغربيين وحدهم ، وفي نفس الوقت تبتعد في تخوفك وغيره من عالم العلوم فنكون نقطع رقابنا بأيدينا . وهناك دلائل خلال الخمسين عاما الاخيرة تبين اننا نفعل هذا.

ان نوع المجتمع الذي يظهر في الشرق من الضروري ان يصبح قويا ، ولا اقصد بالشرق الدول الشيوعية . انى افكر في آسيا وافريقيا. والان وقد اصبح من السهل على الادب الغربي ان ينتشر في الشرق بسبب سهولة المواصلات فانه من العناء المطلق ان ننشر ادبا يعكس عدم اهتمام بالاحتياجات الاساسية للنمو المادي للمجتمع الشرقي . والادب الذي يدير ظهره الى عصر العلوم يفعل هذا بالضبط .

ويرى كوبر ان هذا العصر هو عصر التكنولوجيا وليس العلوم . ان الصفة الاساسية للثورة العلمية الان هي ان نتائج الاكتشافات العلمية صارت الان فعالة عن طريق التكنولوجيا . فعن طريق التكنولوجيا اصبح من الممكن عن طريق الاكتشافات العلمية تدمير الشعوب على اوسع نطاق . ونفس هذه الاكتشافات في استطاعتها ان تجعل حياة الانسان اكثر تحملا في اوسع نطاق . والاحتمال الثاني هو الذي يشغل بال الشرق ويجب علينا الا نجعل القنبلة الذرية ، على الرغم من فظاعتها ، تتمكن فيه ، يجب الا يفوتنا أن نعرف ان عصر التكنولوجيا اعطى الشرق الامل في التخلص من الفقر والمرض والفاقة . ولعل في استطاعتنا ونحن نجلس على قمة مستوى الحياة ان نندد بالتصنيع الذي وصلنا عن طريقه الى هذا المستوى . ولكن الشعوب التي لايزال مستواها بعيد عن مستوانا فان مثل هذا الحديث سيثيرهم . ان الامل الوحيد لرفع مستواهم المعيشي هو التصنيع . ان عصر التكنولوجيا بالنسبة لهم هو عصر الامل .

وحين نتحدث عن عصر التكنولوجيا فنحن نعني ان المجتمع ، بوجه عام ، يصبح اكثر اعتمادا على التطورات التكنولوجية واكثر تسييرا بها . وسواء اردنا ام لا فان العملية التاريخية لايمكن عكسها او ايقافها ، واذا تمنى المجتمع الادبي عدم وجود عصر التكنولوجيا ، فان هذا يعني عدم قدرته على التحدث الى المجتمع التكنولوجي في المستقبل . انه سينفصل عنه وسينتهي بأن يتحدث الادباء الى انفسهم .

ان المجتمع الغربي يجب ان يشعر انه جزء من عصر التكنولوجيا . وهذا ياتي عن طريق تغيير النظرة الفعلية . ولا يعني تعلم الهندسة والطبيعة مثلا ، انه يعني النظر الى الظروف الانسانية كما هي فعلا . ان المجتمع الادبي رفض المجتمع العلمي لا لعدم فهمه له ولكن لخوفه ولغيرته من نجاح العلوم . ففي وجه هذا التنافس ، فقد الكتاب اعصابهم بل وسلطتهم ، ويجب عليهم استعادتهما » .



■ حول اعادة بناء منظمة الشباب
■ تضاؤل الآمال فى نتائج اجتماع الاربعة الكبار
■ دلالات ثلاث ... لاغتيال موندلاني
■ « الاوزة » الالمانية تغير محور ارتكازها
■ المؤتمر الرابع للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب

■ الجمهورية العربية المتحدة

مجلس الامة :

من العمل التنظيمي الى العمل السياسي

وافق مجلس الامة بالاجماع على أول مشروع قانون يعرض عليه في دورته الاولى — ويقضى المشروع **بمنع طرد أي مستأجر من الاراضي التي رفعت عنها الحراسة أو التحفظ .**

وكشفت مناقشات اعضاء المجلس حول القانون عن الخلفية السياسية والاجتماعية التى يستهدفها القانون من وراء حماية المستاجرين المطرودين من الارض التي رفعت عنها الحراسة أو التحفظ وأعيدت الى اصحابها ـ واكدت المناقشات « ان بقايا الاقطاع لا تزال تتربص بالفلاحين وتنتهز كل فرصه للتحايل على القانون والاستفادة من ثغراته » ـ كما أكد أعضاء مجلس الامة أنه « ليست هناك أية فرصة لمهادنة الرجعية والاقطاع » .

وكان موضوع طرد المستاجرين من الاراضي التى رفعت عنها الحراسة قد أثير في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي وبمبادرة منها ، وأصدرت اللجنة المركزية قرارها بعدم طرد أي مستاجر من الاراضي المرفوعة عنها الحراسة ما دام مسددا الايجار .

وعلى اساس هذا القرار تقدمت الحكومة لمجلس الامة بمشروع القانون الذي اقره المجلس بالاجماع ليصبح قانونا من قوانين الدولة .

ويرى المراقبون أن موقف مجلس الامة من القانون سواء من ناحية نظره على وجه الاستعجال ، أو من ناحية مستوى المناقشة حوله ثم الاجماع عليه ، انما يبرز دور مجلس الامة الجديد « باعتباره الجهاز البرلمانى للاتحاد الاشتراكى »

العمل التنظيمى للمجلس

لقد أقر المجلس لائحته الداخلية وانتهى من تشكيل لجانه العشرة المتخصصة ، وتشكلت المجموعات البرلمانية الاقليمية واختارت ممثليها فى اللجنة الدائمة للمجلس — واستمع المجلس لبيانات الوزراء عن انجازات وزاراتهم ومشروعاتها المقبلة •

وبالرغم من أن كل هذه الاعمال قد تبدو اجراءات تقليدية وليست سوى عمليات تمهيدية لاعداد مسرح العمل أمام المجلس — بالرغم من هذا فان المراقبين يرون أن هناك الكثير من النقاط — كانت تشد الانتباه من حيث انها ترسم حركة المجلس فى المرحلة القادمة •

فمن ناحية اكد لبيب شقير فى أول خطاب القاه بعد انتخابه رئيسا للمجلس على أن « مجلس الامة هو الجهاز البرلمانى للاتحاد الاشتراكى العربى يرتبط به وينظمه فلسفة وسياسة وعملا وتحركا » كما أكدت ذلك اللائحة المؤقتة التى أقرها المجلس لتنظيم عمله •

ومن ناحية أخرى دعا د• شقير المجلس الى تقنين الثورة لان « **كثيرا من الاسس القانونية العامة ومن القوانين المطبقة فعلا مازالت بقايا متخلفة بشكل أو باخر من نظم لا تتفق فى طبيعتها مع مبادئنا الاشتراكية** » وجسدت اللائحة المؤقتة هذه المهمة بانها « أحداث التغيير الجذرى المطلوب فى أحكام التشريع ليصبح التشريع هو التعبير الحى عن القيم الجديدة فى مجتمعنا الديمقراطى الاشتراكى » •

ولما كانت اللجنة الدائمة للمجلس هى المحرك الاول والاساس لعمل المجلس — فقد تقرر ان تضم الى جانب رئيس المجلس والوكيلين — رؤساء اللجان العشرة ومندوب عن كل مجموعة برلمانية أقليمية — وخمسة أعضاء يختارهم رئيس المجلس •

والمجموعات البرلمانية الاقليمية هى الشكل التنظيمى الذى أقامه المجلس لتحقيق الارتباط الوثيق بين الاعضاء وقواعدهم الشعبية — وهى الوسيلة لايجاد اتصال دائم بين المجلس والمشكلات اليومية للجماهير — وعن طريق عملها وتشكيل لجان استطلاع ومواجهة — يمتد نشاطها الى مواقع العمل فى جميع المحافظات يمكن اعداد تقرير شهرى عن مشكلات الجماهير فى كل محافظة ، كما تقرر عقد اجتماع شهرى فى المحافظات يضم المجموعة الاقليمية لاعضاء مجلس الامة بالمحافظة وأعضاء لجنة الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة والمحافظ وممثلى الاجهزة التنفيذية •

قضية التسويق التعاونى

ووفقا لهذه التنظيمات ، فان الخط الاساسى لعمل المجلس سوف يكون دراسة المشكلات فى مواقع العمل وبين الجماهير وتطبيقا لهذا قرر المجلس بعد استماعه لبيان وزير الزراعة وقبل أن تدور المناقشة فى المجلس حول البيان ، قرر المجلس تشكيل أربعة لجان مشتركة من لجنة الزراعة والتنمية واللجنة الاقتصادية لدراسة مشاكل التسويق التعاونى على الطبيعة وسوف تجوب لجنتان بعض محافظات الصعيد ، وتذهب اللجنتان الاخريان الى بعض محافظات الدلتا لتلتقى بالفلاحين وتناقش كل لجنة مع الفلاحين نظام التسويق التعاونى على أن يشترك مع كل لجنة أمين المحافظة والمحافظ وممثلون عن وزارتى الزراعة والاقتصاد ، وسوف تطرح اللجان على الفلاحين قضايا التسويق التعاونى التى طالت الشكوى منها على صورة اسئلة عن التكاليف الحالية للمحاصيل — ودور بنك التسليف فى تمويل عمليات الزراعة وهل يقتصر تمويل البنك على توفير الضمانات الكفيلة بحصول بنك التسليف على مديونياته لدى المستحقين ام يتولى بنك التسليف عمليات التسويق الداخلى أيضا

وهل تقوم جهة واحدة بشراء المحاصيل من الفلاح أو أن يترك باب المنافسة فى الشراء أمام أكثر من جهة ويقوم المنتج باختيار أفضل العروض وكذلك تحديد دور الجمعيات التعاونية فى مشروعات التسويق ؟ .

ومن واقع الدراسات الميدانية وآراء أصحاب المصلحة الحقيقية سوف يعد تقرير يكون أساسا لمشروع جديد متكامل تقدمه لجنة التنمية الزراعية لمجلس الامة أثناء مناقشة بيان وزير الزراعة .

بيانات تمت مناقشتها

لقد أتم المجلس مناقشة بيانين فقط من كل البيانات التى القيت أمامه وأعطاهما المجلس الاسبقية على ماعداهم — وكان اولهما :

البيان الذى القاه **الفريق محمد فوزى وركز فيه** على النقاط التالية :

١ — حتمية المعركة مع العدو وأهمية ادراك جماهير الشعب العربى لهذه الحقيقة كضرورة لازالة العدوان .

٢ — الجهد الذى بذل فى رفع كفاءة القوات المسلحة ونجاح تجربة تجنيد ذوى المؤهلات .

٣ — الدفاع عن المنشآت الحيوية داخل الوطن والعمل الكبير الذى تم فى هذا الشان .

٤ — موقف الاتحاد السوفيتي والتعاون الصادق والمخلص الذى ابداه فى كل مرحلة من مراحل بناء القوات المسلحة .

٥ — احتياجات القوات المسلحة والزيادة الكبيرة فى الاعتمادات المخصصة لها فى الميزانية الجديدة

وقد أعرب المجلس فى قراره بعد انتهاء المناقشات التى دارت فى جلسةسرية — عن ثقته الكاملة فى قواته المسلحة وفى روحها القتالية العالية ، وقرر المجلس العمل المتواصل الدائم من أجل تعبئة كل قدرات الدولة وطاقات الشعب لدعم قواتهالمسلحة ووضع احتياجات الجبهة العسكرية موضع الاولية الاولى .

وعلى الجبهة السياسية اكد وزير الخارجية **محمود رياض فى بيانه امام المجلس** على أن قبول ج٠ع٠م لقرار مجلس الامن كان على أساس واضح من أنه يعنى الانسحاب الكامل من كافة الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل بعد ٥ يونيو .

وقد انتهت المناقشة التى دارت حول بيان وزير الخارجية **الى وضع نظام للتنسيق والتعاون فى التحرك الرسمى والشعبى فى المجال الخارجى بين وزارة الخارجية ومجلس الامة أسوة بما هو قائم فعلا بين الوزراء ، وأجهزة الاتحاد الاشتراكى .**

وفى آخر جلسة عقدها المجلس خلال شهر فبراير الماضى ناقش المجلس صفقة الاسلحة البريطانية لاسرائيل ، وأكد المجلس ان **موقف الحكومة البريطانية « عمدا ومتعمدا يصيب علاقاتها مع الدول العربية فى الصميم ويخرب كل مسعى دولى لاقرار السلام » .**

> حالت ظروف المرض دون ان يشارك لطفى الخولى وميشيل كامل . فى عددى الطليعة . فبراير — مارس . وذلك بسبب أعراض الذبحة التى داهمت لطفى الخولى واضطرار ميشيل كامل الى اجراء عملية جراحية . ثم استكمال العلاج فى المانيا الديمقراطية .
>
> وباحساس من الود والحب العميقين . استقبلت أسرة تحرير الطليعة الزميلين العزيزين بعد شفائهما . حيث كنا — مع كل الاصدقاء — نفتقد جهودهما .
>
> وسيبدأ الزميلان عملهما على صفحات عدد ابريل القادم .

ويرى المراقبون أن النشاط الاساسى للمجلس ما زال يدور فى اللجان التى أحيلت اليها بيانات الوزراء ــ لكى تقوم بدراستها واعداد تقارير عنها ـ وأن النشاط الحافل الذى تعيشه لجان المجلس فى هذه الايام ـ أنما يؤكد أن المجلس سوف يجد خلال الشهور القادمة عملا كبيرا شاقا ولكنهسوف يكونمثمرا بالقطعبقدر ما ينجحالمجلس فى التعبير المباشر والحى عن مشاكل الجماهير ويساهم مع الاتحاد الاشتراكى فى تقديم الحلول لها ٠

●

حول اعادة بناء منظمة الشباب

بدأت خلالشهر فبراير الماضيالخطوات الاولى لاعادة بناء منظمة الشباب الاشتراكى كجزء منعملية «اعادة البناء الشعبى والسياسى » التى طالبت بها جماهيرنا منذ نكسة يونيو عام ١٩٦٧ ٠

وقد تم خلال ذلك الشهر تشكيل سكرتارية مركزية مؤقتة للمنظمة تضم عددا من أعضاء اللجنة الفرعية للشباب والطلبة المتفرعة عن اللجنة الدائمة للتنظيم المنبثقة بدورها عن اللجنة المركزية للاتحـاد الاشتراكى العربى ، وقسمت هـــذه السكرتاريةالمؤقتة الىثلاثسكرتارياتفرعية هى : سكرتارية التنظيم ، وسكرتارية التثقيفوالتدريب، وسكرتارية الانشطة والعمل السياسى ٠

كذلك تم تشكيل لجان المنظمة على مستوى المحافظات واختيرت سكرتارياتها المتفرغة ، وما زال العمل جاريا من اجل استكمال بقيةمستويات الهيكل التنظيمى للمنظمة والاعداد لفتح بـاب العضوية فى ١٥ مارس الحالى سواء أمـام اعضائها القدامى من أجل تجديد عضويتهم او أمام من يرغب من الشباب فى الانضمام اليها لاول مرة ٠ ومن المعروف أن عملية اعادة بناء منظمة الشباب الاشتراكى تتم علىاساس المشروعالذى أعدته اللجنة الدائمة للتنظيم ووافقت عليه منذ عدة اسابيع اللجنة المركزية للاتحادالاشتراكى العربى

وجدير بالذكر أن مشروع اللجنة الدائمة للتنظيم قد سبقهعدد من الدراساتالسياسية والمناقشات الواسعة النطاق على مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكى العربى ومنظمة الشباب الاشتراكى بهدف تقييم تجربة العمل فى المنظمة خلال المرحلة الماضية والخروج بمقترحات محددة تكون موضع اعتبار القيادة المركزية للاتحاد الاشتراكى عند اتخاذ اى خطوات لاعادة بناء منظمة الشبــاب الاشتراكى ٠

والشيء الجديد بالملاحظة أيضــا أن مشروع اللجنة الدائمة للتنظيم قد جاء محصلة للاراء والاتجاهات المتصارعة حول المنظمة ٠ وكان من بينها بعض اتجاهات لا تتحمس أساسا لفكرة اعادة بناءالمنظمة ، أو علىالاقل لا تريدها انتكون منظمةقوية تتجاوز سلبياتالمرحلة الماضيةوتدعم ايجابياتها ٠

ويمكن القول بأن هذا المشروع لم يستطع ان يستوعب كلالآمال التى علقها الشبابالاشتراكى على عملية اعادة بناء منظمتهم من جديد ، لكن هذا لا ينفى ذلك بالطبع ان للمشروع جـــــوانبه الايجابية الجديرة بالاعتبار ٠

وأول هذه الجوانب الايجابية : هو أن المشروع قد احتفظ للمنظمة باسمها القديم «منظمة الشباب الاشتراكى » تأكيدا لمنطق الاستمرار فى التنظيم السياسى للشباب ٠

والجانب الثانى : ان المشروع يبدأ فى اعادة بناء المنظمة انطلاقا من تجربتها السابقة باعتبارها على حد تعبير التقرير « تجربة لها اهميتها فى العمل السياسى مع الشباب يجب الاستفادة من نتائجها الايجابية » ومن أهم هذه النتائج :

● وجود عناصر شبابية صقلتها تجربة العمل والسياسية والتثقيفية ، تمثل حصيلة من الجهــد تدفعنا للاستفادة منها ٠

● وجود خبرات عمل فى المجالات التنظيمية والسياسية والتثقيفية ، تمثل حصيلة من الجهد والعمل يمكن أن تدفع النشاط فى المرحلة القادمة الى مستوى أكثر تطورا ٠

● توافر العديد من الدراسات الفكريـة والسياسية التى تعد مرجعا لاساسيات العمل مع الشباب ٠

أما الجانب الثالث : فهو أن المشروعينص على **فترة انتقال لمدة عام** تجرى بعدها الانتخابات العامة

لتشكيل المستويات القيادية المختلفة بالمنظمة .

ويشرح المشروع أهمية فترة الانتقال المطلوبة فيقول « أن اجراء الانتخابات حاليا وفي ظروف ضعف النشاط الايجابي للمنظمة ، تلك الظروف التي استمرت حتى الان أكثر من ثمانية شهور لا يجعل هذه الانتخابات ممثلة لحصيلة النشاط، وقد لا تأتي بأقدر العناصر في كل مستوى . خصوصا وانه لم يفتح بعد باب العضوية من جديد أمام الراغبين في دخولها أو أمام الاعضاء القدامى من اجل تجديد انتمائهم ، وولائهم للتنظيم السياسي الشبابي » .

ولعل الدلالة العلمية التي نستطيع ان نستخلصها من النص على فترة الانتقال المذكورة هي ان كثيرا من الامور التي ما زالت معلقة دون حسم سوف تكون موضع نظر جدي في نهاية فترة الانتقال، وقبل البدء في بناء المنظمة بالانتخاب من القاعدة الى المستوى المركزي .

ولكن .. كيف يتم تشكيل المستويات القيادية للمنظمة خلال فترة الانتقال ؟

ينص المشروع على ان يتم تشكيل المستويات القيادية للمنظمة خلال فترة الانتقال بالاختيار من بين أعضائها المنتخبين في مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكي العربي ويتم الاختيار على النحو التالي :

ا — يتم اختيار أمين منظمة الشباب بالمحافظة وامينها المساعد بالاتفاق بين اللجنة الفرعية للشباب والطلبة باللجنة المركزية وبين أمين الاتحاد الاشتراكي بالمحافظة على أن يكونوا من أعضاء المنظمة المنتخبين في عضوية لجنة المحافظة وان لم يتوفر من يصلح لذلك من أعضاء لجنة المحافظة ، يختار من بين اعضاء المنظمة المنتخبين في مؤتمرات المراكز والاقسام .

ب — تشكل لجنة منظمة الشباب بالمحافظة من أمين وأمين مساعد ، ومن عدد من أعضاء المنظمة يختارون من الكوادر النشطة يحسن أن يكونوا من المنتخبين على أي مستوى من مستويات الاتحاد الاشتراكي كما يضم لها أمناء الشباب بالمراكز أو الاقسام أو البنادر .

ج — تتبع نفس القواعد بالنسبة لتشكيل لجنة منظمة الشباب في المراكز والبنادر والاقسام ، ويؤكد المشروع على أن اختيار المستويات القيادية للمنظمة من بين اعضائها المنتخبين في مختلف مستويات الاتحاد الاشتراكي أمر يحقق عدة ميزات لها أهميتها خلال فترة الانتقال الراهنة .

— **فهو أولا :** يوفق بين متطلبات فترة الانتقال باختيار عناصر قادرة على تنشيط العمل بالمنظمة ، وبين **الشكل الديمقراطي** للعمل باختيار عناصر منتخبة .

— **ان هذه العناصر من ناحية ثانية قد حازت ثقة** القواعد الجماهيرية والشبابية اثناء انتخابات الاتحاد الاشتراكي .

— **ومن ناحية ثالثة** فان وجود هذه العناصر داخل المستويات المختلفة للاتحاد الاشتراكي هو نوع من التأكيد على التلاحم بين عمل الاتحاد الاشتراكي وعمل المنظمة .

— وأخيرا **فان هذه العناصر** قد أخذت من خلال عملها داخل الاتحاد الاشتراكي خلال الشهور الخمسة الماضية ،وأثناء فترة الانتخاب ذاتها فرصة للاحتكاك بالجماهير احتكاكا منتظما يجعلهم أكثر مقدرة على توجيه الشباب في الطريق السليم ،خلال **تلك الفترة العصيبة التي تجتازها البلاد ..**

والى جانب ما تقدم فان عملية اعادة بناء المنظمة تثير عددا من القضايا والتساؤلات الهامة التي لا يزال بعضها حتى هذه اللحظة معلقا دون حسم .. ولعل أهم هذه القضايا هي قضية المنظمة والجامعة .

ويؤكد المراقبون — وفقا لما لديهم من معلومات على ان وضع المنظمة في الجامعة مازال معلقا، الا أن **الشائعات** التي ترددت اخيرا حول **الغاء** وحدات المنظمة في الجامعة شائعات لا أساس لها من الصحة . وربما كان أقرب الى الواقع ان نقول بأن المنظمة سوف تظل مجمدة داخل الجامعة بقية العام الدراسي الحالي ، بحيث يمكن ان تستأنف نشاطها مع مطلع العام الدراسي الجديد اكثر قوة واكثر حيوية . ويذهب بعض المراقبين الى ان التفكير داخل السكرتارية المركزية المؤقتة لمنظمة الشباب الاشتراكي يتجه حاليا الى انشاء وحدات خاصة للشباب الجامعي في المناطق السكنية تكون مهمتها قبول العضوية الجديدة ، وتجديد عضوية الاعضاء القدامى ، **والتمكين للشباب الجامعي من ممارسة دوره السياسي خارج أسوار الجامعة.** وينطلق هذا التفكير من بديهية أساسية وهي تجنب الوقوع في خطأ الفصل بين النضال السياسي لشباب الجامعة وبين نضال شباب الفلاحين والعمل والحرفيين .

والامر المؤكد انوجود منظمة الشباب الاشتراكي داخل الجامعة بطريقة فعالة ، هو ضرورة سياسية وثورية لا بديل عن تحقيقها ، وان ذلك لا

يتعارض مطلقا مع وجود الاتحاد الطلابى أو مع وجود الاتحاد الاشتراكى جنبا الى جنب ·

وهناك قضية أخرى لا تقل أهمية عن سابقتها تثيرها عملية أعادة بناء المنظمة ، ونعنى بها قضية العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى وبين منظمة الشباب الاشتراكى ·

وفى هذا الصدد ليس هناك من ينكر ضرورة تأكيد قيادة الاتحاد الاشتراكى للمنظمة على نحو يمكنه ـ كتنظيم قائد ـ من ممارسة حق الاشراف والتوجيه على شئون الشباب . ولكن مشكلة المشاكل ، هى الوصول الى صيغة تؤكد قيادة الاتحاد الاشتراكى للمنظمةوتحفظ فى نفس الوقت حق الشباب فى ممارسة تجربته الذاتية ، دون تدخلات تؤدى الى تقييد روح المبادرة المسئولة فى صفوف الشباب ·

ولقد اجتهد مشروع اللجنة الدائمة للتنظيم الذى أعدته كأساس لاعادة بناء المنظمة خلال فترة الانتقال فى الوصول الى هذه الصيغة ·

فهو ينص على « أن منظمة الشباب الاشتراكى تنظيم له مستوياته القيادية المتدرجة » وهو الامر الذى يتضمن فعلا حق هذه المستويات المندرجة فى الاتصال الرأسى فيما بينها باعتبارها مستويات تنظيم قائم بذاته يتدرج من الوحدة الاساسية حتى القيادة المركزية ·

تعليق

دلالة الارقام والآفاق التى يفتحها معدل الزيادة فى الانتاج الصناعى

تنتظر الجماهير البيانات عن الصناعة والبترول بترقب كبير وشغف زائد باعتبار أن الاولى هى القطاع الرائد فى عملية التنمية وحجر الزاوية فى بناء القاعدة الاقتصادية القوية من أجل ازالة آثار العدوان وبناء الاشتراكية ، وباعتبار ان الامال التى فجرتها الانباء عن البترول خلال العام الماضى ومنذ اكتشاف بئر العلمين أصبحت تمثل لدى الجماهير الامل الذى يتلو السد العالى فى امكان مقابلة الاثار الجامحة للانفجار السكانى الرهيب ·

وقد القى وزير الصناعة ببيانه عن كليهما فى مجلس الامة .

ومع التحفظ الذى أكده فى شأن البترول واحتمالاته فان الصورة التى اوردها البيان تثير آمالا واسعة وعريضة لقطاع الصناعة أصبح يستكفى من عائد صادراته بمقابل مستلزماته المستوردة ، ويحقق فائضا من العملات الاجنبية للمجتمع ، وتنخفض نسبة الاجور الى قيمة الانتاج فيه الى اقل حد فى العالم ، كما ترتفع معدلات التنمية التى ذكرها البيان الى أرقام لم تبلغها اى دولة من دول الشرق أو الغرب سواء المتقدمة او النامية .

انه لا يمكن أن تغفل حقائق أوردها البيان تشير الى امكانياتنا فى التقدم والبناء ، وانه اذا ما توفر وضوح الرؤية واتساعها على كل المستويات فان فى امكاننا أن نتخطى الكثير من العقبات التى تفرضها الظروف التى تتكاثر على مجتمعنا · انه مما يدفع الى الاطمئنان والثقة ان يذكر البيان « ان هذا الانتاج الضخم الذى تحقق هو الذى مكننا من سد احتياجات الاستهلاك من السلع المصنوعة . وهو الذى مكننا من توفير احتياجات قطاعات الاقتصاد القومى الاخرى من السماد والاسمنت وسيارات النقل والبترول وغيرها من مئات الموارد » . وان الامر لا يقف عند هذا الحد ، بل لقد « حقق الانتاج الصناعى فائضا للتصدير » ، وبدأ قطاع الصناعة يحققفائضا من النقد الاجنبى يسهم به فى تمويل غيره من القطاعات ، · ويعزز الامل فى المستقبل ، حين يذكر البيان « تعبيرا عن أراء الفنيين ان الاكتشافات البترولية الاخيرة فتحت آفاقا لا حدود لها بالنسبة لامكانياتنا » . وهذا وغيره من الحقائق يزيد من رصيد الثقة ومحصول الاطمئنان ·

ولكن النظرة الى البيان والتقدم الصناعى الذى حققناه يجب أن تنبع من معايير محددة وان لم تفقد مرونتها ـ أى منواقعالمجتمع الذى نبنيه ـ وانأبطأت ظروف العدوان عجلة التحول الاجتماعى ـ ومن طبيعة القطاع موضع الاهتمام ·

والمجتمع قد اخذ بقاعدة التخطيط الشامل الذى يفترض نموا متوازنا فى جميع قطاعاته · وليس معنى التوازى ان تتساوى معدلات النمو ولكن أن تتكامل القطاعات ، اى أن معايير الحكم على التقدم فى قطاع الصناعة والبترول ـ من وجهة نظر الاقتصاد الموجه ـ يجب أن تنبع من مدى ما يحققه من تكامل ومن معاونة مع باقى القطاعات .

- مدى استغلال قطاع الصناعة للثروة المعدنية ، ومدى ما يحققه من مستلزماتها ·
- مدى استغلاله للطاقة الكهربائية الضخمة المتاحة ، ومدى ما يوفره من احتياجاتها ·
- ما القدر الذى يستخدمه من منتجات الزراعة ، وما مقدار ما يصبه فيها من منتجات ·
- مدى مايعكسه تقدمه من آثارعلى حياة الجماهير من وفرة فى المنتجات اللازمة ، ورخص فى السلع المعروضة ·
- مدى ما حققته الاستثمارات فيه من عائد قومى وهل وصل هذا الاخير الى اقصى ما ينتظر منه فى بلد يفتقر الى الاستثمارات ·
- وأخيرا ـ وقد يكون الاهم ـ ما يحققه التقدم الصناعى من تموين وسند لجبهة القتال مع العدو باعتبار أن هدفنا الاكبر كان ـ وما زال ـ أجلاء المحتل وتحرير الارض ·· وهكذا ·

وقد التزم البيان منذ بدايته بعدد من المعايير الذاتية ، كم زاد الانتاج ؟ وما اثر الزيادة على ميزان المدفوعات؟ وما أثر الاستثمارات فى مجال البترول ؟ ومع ضرورة هذه المعايير وايماننا بها ، ومع ما تبرزه من ارقام تكاد تكون فى

ولكن المشروع يحدد أيضا الشكل التنظيمى للعلاقه بين الاتحاد الاشتراكى وبين المنظمة على النحو التالى :

أ) **على المستوى المركزى :** تمثل لجنة الشباب والطلبة المتفرعة عن اللجنة الدائمة للتنظيم المنبثقة بدورها عن اللجنة المركزية للاتحــاد الاشــتراكى العربى القيـــادة المركزية للمنظمـــة ، وتتشكل سكرتاريتها المركزية المؤقتة من بعض أعضاء هذه اللجنة ·

ب) **على مستوى المحافظة :** تعتبر لجنة الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة هى القيادة السيــاسية المباشرة للجنة المنظمة بالمحافظة وتقوم لجنــة الاتحاد الاشتراكى بما يأتى :

١ ـ **الاتصال** مع القيادة المركزية للمنظمة وتلقى توجيهاتها وخطتها العامة ·

٢ ـ **تكليف** لجنة المحافظة بترجمة أسس الخطة العامة الى خطة تفصيلية يراعى فيهـا ظروف المحافظة ·

ورغم أن الواقع العملى هو دائما حقل الاختبار الذى لا يخطىء فى تقدير مدى قوة أو ضعف هذه الصيغة أو تلك من صيغ العمل، الا انه من الواضح أن صيغة المشروع المذكور تعلق آمالا كبيرة على

بعض المواضيع مذهلة ، الا اننا مازلنا نفتقد الاجابة الحاسمة على مختلــف المعايير التى يفترضها التخطيط الشامل ، التى يجب أن تكون قياس النجاح لاى قطاع متوقفا على ما تاتى به الاجابات ·

هذا وقد وردت فى البيان كذلك عديد من النقاط التى تثير التساؤل :

فنحن نجد ان معدل الزيادة فى الانتاج الصـــــناعى يتنـاقص فى اطـــراد خلال « السنوات السمان » ابتداء من سنة ٦٢ ـ ٦٣ حيث كان : ١٤ر٧ الى ٩ر٤ الى ٧ر٩ الى ٥ر٧ الى صفر فى المائة عـام ٦٦ ـ ٦٧ ـ ثـم اذا هـــو فى « السنوات العجاف » يرتفع فجاة الى ٨ فى المائة فى ٦٧ ـ ٦٨ ثم الى الرقم الذى لم يعرفه العالم وهو ١٣ر٨ فى المائة فى النصف الاول من عام ٦٨ ـ ٦٩ انه منحنى بيانى يثير الدهشة ويوجب التساؤل كيف كان هذا ؟ ولماذا ؟ وما الاسباب ؟ على الاقل خبرة للمستقبل ، ومحاولة لتكشف أسباب القصور .

كما يشير البيان الى ، اننا يجب ان نقرر حقيقة هى أن انتاجية العامل قد زادت . وهو أمر يثير الفخر لـدى العاملين فى هذا القطاع · ولكنا يجب أن نتساءل هل زادت الانتاجية اسميا نتيجة ارتفاع الاسعار مثلا ؟ او هل كانت الزيادة نتيجة مجرد رفع الجهد فى الاداء فحسب ؟ ان الكثير من الدول تضع سياسة لرفع الانتاجية قوامها زيـادة نصيب العامل من الطاقة ومن المعدات على مستوى القطاع ، والاستخدام العاجل والسريع لكل الابتكارات التكنـولوجية والعلمية وهي سياسة تاتى ثمارها فى ثبات وتاكيد ·

وقد ابرزت دراسات مصلحة الكفاية الانتاجية أن معدلات ارتفاع الانتاجية فى عديد من البلاد تتخطى الـ ٥ فى المائة سنويا وانه فى المجر واليابان مثلا قد بلغ ٨ ، ١٧ فى المائة على الترتيب خلال السنوات ٦٠ ـ ٦٦ بينما ظلت الانتاجية عندنا ثابتة على التقريب طوال هذه الفترة . والفرق ـ فيما نعتقد ـ يعود فى الاساس الى ممارسة سياسة رفع الانتاجية عن طـريق التخطيط العلمى لزيادة نسبة المعـــدات الى العمـال والاستخدام السريع للابتكارات كبـديل للطريق السهل القريب ـ الذى لا يؤدى فى الحقيقة هدفه ـ وهو دفع العاملين لمزيد من الجهد والعرق ·

ويذكر البيان حقيقة هامة هى : « ان نسبة الاجور الى الانتـاج لم تتعد ـ بالنسبة لمؤسسات الصناعة العـامة ـ ١٤ر٧ فى المائة عام ٦٥ـ٦٦ ، وانخفضت الى ١٤ر٣٪ فى العام التالى نتيجة لارتفاع قيمة الانتاج وما بذله العاملون من جهد ·

وهـذه النسبه تقل كثيرا عن البلاد الصناعية المتقدمة ، وهو امر وان كان اليوم يعتبر عاملا مساعدا على الاندفاع نحو التصدير . الا انه لابد أن يكشف حقيقة اخرى وهى الانخفاض الكبير لقيمة العمل عندنا بالنسبة لغيرنا من الدول خاصة اذا ما أخذنا فى الاعتبار ساعات العمل البشرى لوحدة الانتاج عندنا مقارنة بالدول الاخرى التى تتميز صناعاتها بقلة الايدى العاملة وارتفاع الميكنة · ونعتقد انه من هذه الزاوية بالذات يستطيع قطاع الصناعة والبترول أن يلعب دوره الرائد فى تذويب الفوارق بين الطبقات . فبقاء الصورة على هذا الوضع يعنى أن نضع عبء المنافسة فى الاسواق العالمية أما على العاملين فى صورة أجور منخفضة أو على الدولة فى صورة صناديق الدعم وغيرهـا . بينما ان الوضع الصحيح والسليم هو أن تلعب القيادات الفنية دورها فى التطوير والابتكار وزيـادة الكفاءة الانتاجية ، لان ذلك هو الطريق المضمون الذى يزيد من قدرتنا علـى المنافسة ، ويؤدى دوره فى رفع مستوى الفئات الدنيا من قوانا العاملة وفى نفس الوقت يرفع انتاجية العمل ويحافظ على دوام ارتفاعها ·

ان لقطاع الصناعة دوره فى عملية التحول الاجتماعى التى نريدها ، وهو يستطيع أن يؤديها بكفاءة بتجنيد كل القوى الفنية فيه لمزيد من التطـوير وتحسين الاداء وحسن الاستغلال للطاقات وازالة العوائق ، وفـى نفس الوقت الارتفاع بمستوى العامل بالتحول من العمل العضلى الى الالى وهو ما يرفع من مستواه الاجتماعى ويزيد من تقـارب الطبقات ·

ولعل فى البيان ذاته ما يشير الى ادراك الكثير مما قد يؤخذ على قطاع الصناعة حين يذكر فى خطة المستقبل ضرورة « تشـــغيل الطاقات الموجــودة بالمصانع القائمة لبلوغ الحـــد الاقصى للطاقات باقل تكلفـــة ممكنـــة ودون استثمارات كبيرة مع اتخاذ كافـة الاجراءات اللازمة لمعالجة نقط الاختناق التى تعترض سبيل الانتاج » ، وهى سياسة لو تحققت فسوف تؤدى الى ارتفاع عائد الاستثمار الى ما يقارب مثيله فى الدول الاخـرى ، وبالتـالى يرتفع بكفاءتنـا الانتاجية . ولو تدعمت السياسة بما نادى به بيان ٣٠ مارس من الاخذ باسباب العلم والتكنولوجيا لارتفعت انتاجية العمل وتحققت لقطاع الصناعة بالاضافة الى دوره الانتاجى ، دوره الاجتماعى كذلك .

د· محمد عجلان

مدى وعى لجان الاتحاد الاشتراكي على مستويات المحافظة لاهمية دور الشباب • ومن المؤكد أن قيادات الاتحاد الاشتراكى العربى على مستوى المحافظة وعلى كل مستوى يمكن أن يكونوا هم السند الحقيقى لحق الشباب فى ممارسة تجربته الذاتية من خلال تنظيمه السياسى ،وذلك اذا ما اتخذوا قدوتهم فى هذا الصدد من كلمات **الرئيس جمال عبد الناصر** التى تعد بحق أساس أى عمل علمى وتربوى مع الجيل الجديد :

« علينا أن ندرك أن التمهيد لهذا الجيل الجديد واجبنا ، واننا نستطيع بالتعالى والجمود أن نصده ونقعده ، وبالتالى نعرقل تقدمه وتقدم أمتنا •• ان علينا بالصبر — أن نستكشفه دون من عليه ولا وصاية• وعلينا — بالفهم — ان نقدم له تجاربنا دون ان نقمع حقه فى تجربته الذاتية • وعلينا — فى رضى — أن نفسح له الطريق دون أنانية تتصور غرورا أنها قادرة على شد وثاق المستقبل باغلال الحاضر • وعلينا ان نتيح له بفكره الحر أن يستكشف عصره دون أن نفرض عليه — قسرا — أن ينظر الى عالمه بعيون الماضى •• »

بقيت قضية ثالثة وأخيرة • لقد حققت الحركة الشبابية فى بلادنا بقيام منظمة الشباب الاشتراكى عدة نتائج على جانب كبير من الاهمية •• ولعل أبرز هذه النتائج :

أولا : وجود تنظيم للجيل الجديد الذى آمن بالثورة وتأكد فى كل المواقف ولاؤه لقيمها وقيادتها والذى يمكن أن يكون دائما قوة مؤثرة وحامية وصامدة تدافع عن الثورة وتستمر بها لصالح قوى الشعب الكادحة •

ثانيا : تقديم مفهوم سليم للعمل السياسى باعتباره عملا منتجا وجهدا مبذولا من أجل زيادة الانتاج وتحسين الخدمات ، وبحيث يصبح العمل السياسى ارتباطا يوميا بخطة التنمية والتزاما سياسيا واعيا بآمال الجماهير واهدافها •

ثالثا : تأكيد أسلوب جديد فى التربية السياسية ينطلق من نظرة علمية أساسها أن التكوين الفكرى مدخله الممارسة العملية والسلوك اليومى ،وبحيث أصبح للفكر الاشتراكي فى بلادنا قاعدة عريضة من الشباب •

والآن •• تنبض دفقات الدم فى عروق شبابنا بسؤال يستحق التأمل •• ترى •• هل تنجح المنظمة فى مرحلتها الجديدة فى الحفاظ على تلك النتائج التى حققتها حركتنا الشبابية ؟ وهل تملك امكانيات الاستمرار بها الى الآفاق التى يتمناها جيل شبابنا الجديد ؟

اذا كان الواقع العملى هو دائما حقل الاختبار الذى لايخطىء ، فان المراقبين يرون ان الاجابة الصحيحة على هذا السؤال يملكها طرفان لا ثالث لهما •

الطرف الاول : هو القيادة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى (متمثلة فى لجنته المركزية ولجنته التنفيذية العليا) بما يمكن أن تقدمه لمنظمة الشباب الاشتراكى من امكانيات الصمود والنجاح •• فكرا وحركة ازاء كل القوى التى تحاول النيل منها •

أما الطرف الثانى : فهو الشباب انفسهم ، وفى طليعتهم الشباب الاشتراكى الذى يستطيع أن يرفض بثوريته الاصيلة انصاف الحلول، وان يصمم على أن يكون له دور أساسى فى نضال شعبه للتحرر من الاستغلال ولتحرير الارض •

●

المؤتمر الاول لاتحاد عمال الزراعة العرب

عقد فى القاهرة فى المدة من ٢٥ يناير الى ٢٨ يناير ١٩٦٩، المؤتمر الاول لتأسيس اتحاد عمال الزراعة العرب ، واشترك فى المؤتمر وفود مثلت المنظمات النقابية للعمال الزراعيين فى بلادها من ج•ع•م والعراق وسوريا والجزائر والسودان والمغرب وفلسطين •

وأقر المؤتمر دستور الاتحاد الذى أعلن أن **الاتحاد منظمة عربية نقابية تضم عمال الزراعة ممن يعيشون على جهودهم وعملهم فقط** •ويدافع الاتحاد عن الحريات النقابية على الصعيد العربى ويطالب بحق عمال الزراعة فى العمل والتأمين الاجتماعى واحتضان عملية التحول الاشتراكى فى البلاد المتحررة والسائرة فى طريق الاشتراكية والوحدة والنضال ضد الاستعمار والصهيونية والوقوف فى وجه الاستغلال والتحكم الطبقى • ويعمل الاتحاد فى اطار الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ويتعاون تعاونا كاملا مع كافة

المنظمات الثورية فى العالم التى تقف الى جانب القضايا العربية والشعوب الافريقية ، وكافة الشعوب التى تناضل ضد الاستعمار، وان ينتسب الاتحاد الى المنظمات الدولية لعمال الزراعة التى تنسجم أهدافها مع أهداف الامة العربية ٠

وقد أقر المؤتمر تسمية الاتحاد باسم « **اتحاد عمال الزراعه العرب** » بدلا من اتحاد عمال الزراعة والفلاحين العرب ،وكان الوفد السورى قد تمسك ان يضم الاتحاد الفلاحين . ولكن المؤتمر اعتبر أن ذلك سيؤدى الى تمييع المنظمة من حيث تكوينها الطبقى باعتبارها تنظيما « نقابيا » لمن يعيشون على جهودهم وعملهم فقط .

واتخذ المؤتمر مجموعة من القرارات الهامة بدعم العمل الثورى الفلسطينى المسلح ،والعمل على تكوين نقابات عمالية فلاحية فى الدول العربية التى لايوجد بها مثل هذه التنظيمات ، وعقد المؤتمرات والندوات المحلية للتوعية نحو زيادة الانتاج الزراعى الى الحد الذى يكفى حاجة الوطن العربى من الاستهلاك ، ودعم المعركة الاقتصادية والعسكرية . واعلن المؤتمر ان عمال الزراعة العرب يؤيدون ويدعمون الحرب التحريرية الفيتنامية ضد الاستعمار الامريكى ، وأنهم يحاربون الاستعمار بكافة اشكاله .

أن نشأة هذا الاتحاد تعتبر حدثا هاما فى حياة عمال الزراعة العرب ، ولا شك ان استمرار وجوده كاتحاد مناضل وفعال سيتوقف على مدى ارتباطه الحقيقى بعمال الزراعه العرب والتعبير عن آمالهم ونضالهم من أجل مجتمعات متحررة وحياة افضل ، والايتحول الاتحاد الى مجرد مكتب اعلامى للنشر .

■ ■ ■

■ النزاع العربى ــ الاسرائيلى

تضاؤل الامال فى نتائج اجتماع الاربعة الكبار

يتزايد الموقف خطورة فى منطقة الشرق الاوسط ،وبشكل خاص فى منطقة القنال بسبب اتساع نشاط الفدائيين واستمرار عمليات اطلاق النار على القوات الاسرائيلية ، كان ذلك هو آخر ما اعلنه «**اوثانت**» السكرتير العام للامم المتحدة على ضوء متابعته لتطورات الاحداث ، والتقارير التى تلقاها من الجنرال « **اودبول** » .

ولقد شهد الشهر الماضى ، تطورات على جانب كبير من الاهمية خاصة فيما يتعلق بتنظيم المقاومة العربية واتساع مداها سواء فى المجال السياسى أو العسكرى أو الجماهيرى ٠

ففى المجال السياسى ، اجتمع المجلس الوطنى الفلسطينى واقر خطة عمل للمرحلة القادمة تتلخص فى محاولة توحيد العمل الفلسطينى المسلح ، والعمل على تصعيد الثورة المسلحة ، كما ناشد المجلس الجماهير العربية والفلسطينية أن تحشد كل طاقاتها من أجل المقاومة المسلحة ٠

كما حدثت تطورات هامة فى تنظيم القوى الفلسطينية ، اذ تم تشكيل اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وانتخب « **ياسر عرفات** » رئيسا للجنة التنفيذية للمنظمة ، ورئيسا للدائرة العسكرية ، وبدأت اللجنة على اثر انتخابها نشاطا ملحوظا فنقلت مكتب المنظمة الى عمان ليكون بالقرب من عمليات المقاومة ، كما بدأت العمل من أجل اقامة بعثات دبلوماسية شبه رسمية فى غرب اوروبا وامريكا ، ليكون صوت الفلسطينيين مسموعا وليصبحوا طرفا فى أى مفاوضات تتصل بمصير وطنهم ٠

وشهد الشهر الماضى نشاطا متزايدا للفدائيين اذ شددت قوات المقاومة هجماتها داخل الارض المحتلة بصورة اشاعت الذعر لدى الدوائر الحاكمة فى تل ابيب ، وقالت وكالة الانباء الفرنسية « ان رجال المقاومة قاموا فى يوم واحد بخمسة عشر هجوما على المواقع الاسرائيلية » ٠ وهاجم الفدائيون بالصواريخ مصنعا للبوتاس فى **سدوم** ، وكذلك مصنعا للنحاس ، وانزلوا بها خسائر جسيمة مما اضطر اسرائيل لان تواجه رجال المقاومة بالدبابات والطائرات ، وأن تقوم باعتداءات وحشية على الاردن تحت الحجة التقليدية فى تتبع اوكار رجال المقاومة . كما هاجم الفدائيون كذلك بالصواريخ مطارا اسرائيليا فى وادى الاردن ودمروا عددا من الطائرات ٠ واشتد نشاط الفدائيين فى سيناء مما ازعج الحكومة الاسرائيلية ولجأت تشكو الى مجلس الامن من تزايد نشاط رجال المقاومة ٠

وقد ساندت الجماهير الفلسطينية داخل الارض المحتلة المقاومة المسلحة والتحمت معها فى حركة واسعة النطاق ضد الاحتلال الاسرائيلى ٠ وكان اهم تلك الظاهرات مظاهرات « **نابلس** » حيث اقام المتظاهرون المتاريس فى الشوارع ، وعم المدينة

اضراب شامل عطل جميع مرافق الحياة بها • واتسعت حركة المظاهرات والاضرابات لتشمل معظم مدن الضفة الغربية ،وقطاع غزة والقدس، مما اضطر السلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول فى كثير من المدن والى القيام بعمليات قمع وحشية واعتقالات واسعة ضد السكان ، وقدمت اعدادا واسعة من الشبان الى المحاكمة واصدرت ضدهم احكاما جائرة • وصرح « موشى ديان »«بانه اذا ما استمرت الاضطرابات فى الضفة الغربية وغزة فانه سوف يضطر الى اتخاذ اجراءات اكثر شدة وحزما • وقد احتجت ج • ع • م لدى « اوثانت » على اعمال القمع الوحشية التى قامت بها السلطات الاسرائيلية فى غزة واتهمت السلطات الاسرائيلية باطلاق النار على الطلبة وطالبت بوضع حد لتلك الاعمال البربرية •

كما سارت مظاهرات نسائية ضخمة فى معظم العواصم العربية استجابة لنداء اتحاد نساء فلسطين بالتضامن مع الطلبة المتظاهرين فى الارض المحتلة احتجاجا على الاحتلال الاسرائيلى•

أما فى المجال الدبلوماسى الدولى فقد اعلنت الولايات المتحدة موافقتها من حيث المبدأ على الاشتراك فى محادثات الدول الاربع « بهدف التغلب على حالة الركود التى تسود جهود السلام فى الشرق الاوسط » • وجاء فى مذكرة الحكومة الامريكية التى سلمت الى سفير فرنسا فى وشنطن بهذا الخصوص « ان الولايات المتحدة مستعدة من حيث المبدأ الى النظر بالموافقة على اجتماع يضم الدول الاربع داخل اطار مجلس الامن لمناقشة سبل ووسائل مساعدة يارنج من اجل التوصل الى اتفاق بين الاطراف المعنية بخصوص تطبيق قرار مجلس الامن » • ويقول المراقبون « ان حكومة نيكسون قد تعمدت الا تقفل على نفسها جدران الاجتماع الرباعى ، وانما قرنت ذلك بالحديث عن مباحثات ثنائية مع الدول العربية واسرائيل ، وجعلت من الاجتماع الرباعى وسيلة من الوسائل ، وربما ليست أهم الوسائل لمعالجة الموقف فى الشرق الاوسط من الزاوية الامريكية » •

وعلقت الدوائر الاسرائيلية على موقف الحكومة الامريكية الجديدة قائلة « ان حكومة وشنطن أكدت لاسرائيل من قبل أن أى حل سياسى للنزاع ينبغى قبوله من جانب الاطراف المعنية ،وأن مهمة يارنج التى تؤيدها الولايات المتحدة هى الجمع بين الاطراف المتخاصمة » • واضافت تلك الدوائر ان سياسة حكومة نيكسون فيما يتعلق بهاتين النقطتين لاتختلف عن سياسة سلفه جونسون • كما اعربت حكومة اسرائيل عن ارتياحها لقرار حكومة نيكسون التمسك بتزويد اسرائيل بخمسين طائرة فانتوم ، والذى بدأ تنفيذه بالفعل بتسليمها أربع طائرات شهريا • وقالت أن هذا القرار لم يدهشها وهو يؤكد ان حكومة نيكسون تدرك هى كذلك اهمية المحافظة على توازن القوى فى الشرق الاوسط •

أما بريطانيا فقد أعلنت هى الاخرى موافقتها من حيث المبدأ على اجتماع الدول الاربع الكبرى ولكنها دعت الدول الست الاعضاء فى اتحاد غرب اوروبا لاجتماع عاجل للتشاور فى ازمة الشرق الاوسط قبل اجتماع الدول الكبرى • ويفسر المراقبون هذه الخطوة من جانب بريطانيا على « أنها محاولة للتخلص من قرار مجلس الامن ، الذى كان اقتراحا بريطانيا ،ومحاولة تقديم تفسيرات جديدة له ، باعتبار ذلك توصية مشتركة من دول اتحاد غرب اوروبا ، كما تحاول بريطانيا استغلال هذا الموقف للضغط على فرنسا وكمحاولة للعودة الى الشرق الاوسط عن طريق ارضاء اسرائيل » وقد اعلنت فرنسا مقاطعتها لاجتماع الدول الست ، وصرح « ميشيل دوبريه » وزير خارجيتها « بان فرنسا لاتكترث بهذا الاسلوب الشاذ وبتلك الالاعيب البريطانية » وقد رفضت فرنسا المناورة البريطانية الجديدة واعلنت تمسكها بقرار مجلس الامن بصيغته الفرنسية أى ضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من كل الاراضى العربية التى احتلتها قبل ٥ يونيو ٦٧ باعتبار ذلك هو الاساس الذى يجب أن تدور المباحثات الرباعية حول تنفيذه • وبالاضافة الى ذلك فقد اكدت الدوائر العليمة فى لندن أن بريطانيا قد وقعت اتفاقا لبيع أسلحة الى اسرائيل وان هذا الاتفاق يشمل تسليمها ٢٥٠ دبابة سنتوريون عدا قطع غيار اخرى وذخيرة • وقد رفض « مايكل



● اوثانت

ستيوارت » وزير خارجية بريطانيا عندما اثير الموضوع فى مجلس العموم ، رفض أن يتعهد امام المجلس بان بريطانيا لن تبيع الدبابات لاسرائيل • ويقول المراقبون أن بريطانيا تحاول بذلك ان تحل محل فرنسا فى تصدير الاسلحة الى اسرائيل • وعلق « **محمد حسن الزيات** » على تلك الصفقة بقوله « ان بيع بريطانيا الاسلحة لاسرائيل وهى تحتل بالقوة اجزاء من البلاد العربية يعتبر تحريضا على استمرار العدوان »

ويتوقع المراقبون ان يتم اجتماع الدول الاربع الكبرى فى مارس عقب زيارة الرئيس « نيكسون » لغرب أوروبا ، غير أن الامل يتضاءل لديهم فى امكان توصل الاجتماع الى نتائج واضحة بخصوص تنفيذ قرار مجلس الامن • فبريطانيا وامريكا لم توافقا على الاجتماع الا من حيث المبدأ فقط ، ولكنهما لم يعلنا موافقتهما على جدول الاعمال الفرنسى، كما تجاهلتا المشروع السوفيتى، بل ان الدولتين بعد المشاورات المبدئية بينهما وبعد اجتماع دول غرب اوروبا تقدمتا باقتراحات تكشف عن نياتهما بالنسبة للاجتماع الرباعى • فقد اقترحت الدولتان « قبول الدول الاربع مناقشة مبدأ تحديد تصدير السلاح الى دول الشرق الاوسط » ، كما طالبتا « بأن يكون أى اتفاق بين الدول الاربع بمثابة جهد استشارى مشترك لابد من موافقة الدول المعنية عليه كشرط اساسى لبحث الازمة من كل نواحيها » • وتثير اسرائيل جوا من الشك حول امكان نجاح اجتماع الدول الاربع ، فيعلن « ايبان » « أنه لاجدوى من اجتماع الاربعة الكبار لبحث ازمة الشرق الاوسط وأن اسرائيل لن تعتمد أى ضمانات دولية » كما صرح مسئول فى وزارة الخارجية الاسرائيلية قائلا « انه من الارجح أن الولايات المتحدة هى التى ستفرض موقفها على فرنسا والاتحاد السوفيتى بدلا من التأثر بهما فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط » •

وفى الوقت الذى تدور فيه المشاورات بين عواصم الدول الكبرى للوصول الى اتفاق حول اجتماع الاربعة الكبار . تعددت الاتصالات طوال الشهر الماضى بين مختلف العواصم العربية بغرض متابعة تطورات الازمة والتشاور فى الخطوات المحتملة ، وتنسيق الجهود بخصوص الموقف العربى ، والعمل من أجل تدعيم الجبهة الشرقية والتعاون بين الاردن وسوريا والعراق ، والاستعداد لمواجهة أى هجوم انتقامى من العدو ، ومحاولة تدعيم العمل الفدائى •

وتعتقد الدوائر العربية المسئولة أن تدعيم القدرة العربية هو السبيل الى مواجهة مضمونة النتائج لكافة احتمالات وتطورات الازمة ، وقد عبر « **محمد حسنين هيكل** » رئيس تحرير الاهرام عن ذلك بقوله :

« ان القدرة العربية قبل أى اعتبار اخر – سياسيا وعسكريا ، واقتصاديا هى اكبر العوامل الحاسمة فى أى حل للازمة ، وذلك لان مواقف الاخرين مهما تغيرت ، وسواء كانت الصداقة أو العداوة طابعها العام ، لا تستطيع ان تعطى أى طرف من اطراف أى صراع اكثر مما تتيحه له قدرته الذاتية » .

■ ■ ■

■ **المقاومة الفلسطينية**

القوة الاكثر فعالية تستقطب قوى هامة حولها

بدأ فى عمان فى منتصف فبراير الماضى ، أول اجتماع رسمى للجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة تحرير فلسطين ، وهى اللجنة التى تم انتخابها فى القاهرة ، فى ختام دورة المجلس الوطنى الجديد فى الاسبوع الاول من فبراير الماضى • واعتبر عديد من المراقبين السياسيين فى الوطن العربى ، هذه الاجتماعات بداية جديدة فى تطور حركة المقاومة ، اذ تم فيها بحث وسائل تنظيم قطاعات الشعب الفلسطينى داخل الارض المحتلة وخارجها ، بالاضافة الى الالتقاء مع مجلس التنسيق العسكرى الذى يضم المنظمات الرئيسية للمقاومة ، لدراسة وسائل تصعيدها •

وترجع أهمية هذه البداية الجديدة فى تطور حركة المقاومة ، الى أنها خطوة هامة على طريق الوحدة الوطنية تحققت بدخول منظمة « فتح » داخل منظمة التحرير • ذلك الدخول الذى أعطى بعدا جديدا للعمل الفلسطينى بين اثنتين من أكبر المنظمات العاملة فى الساحة الفلسطينية وهما «فتح» التى تعتبر أكبر قوة فلسطينية عاملة فى مجال الكفاح المسلح ضد العدو ، ومنظمة التحرير ذات الامكانيات الكبيرة ، التى يمكن توجيهها بشكل افضل لخدمة نشاط المقاومة والقضية الفلسطينية بعامة .

وقد أوضحت منظمة « فتح » ، فى مذكرة لها وزعتها على اعضاء المجلس الوطنى الجديد ، ان منظمة التحرير أصبحت مؤهلة تماما – بحكم

ميثاقها المعدل فى المؤتمر الماضى – لتكون أطارا تلتقى داخله كل القوى الفلسطينية على أرض مشتركة . والذى يراه عديد من المراقبين السياسيين العرب ، هو انه اذا كانت « فتح » قد اثبتت وجودها كأقوى منظمة فلسطينية للكفاح المسلح ، فأن دخولها منظمة التحرير لا يعنى اخضاع خطها ومبادراتها العسكرية ، لخطوط تقليدية يمكن أن تجمد نشاطها ، وانما هو يستهدف المساهمة مع القوى الاخرى فى تطوير العمل الفلسطينى كله فى الاتجاه الاكثر فعالية وتاثيرا ضد العدو .

وفيما يتعلق بدخول « فتح » الى « المنظمة » أوضح « فؤاد ياسين » مدير اذاعة « فتح » للطليعة ، أنه لابد انتكون هناك ، عند تشكيل أى جبهة وطنية متحدة ،قوة تشكل العمود الفقرى لكافة الاطراف ، لتشكيل الجبهة الواحدة. وان فتح تعتبر نفسها العمود الفقرى بالنسبة للثورة الفلسطينية . وان مثل هذا الامر معروف جيدا فى المنظمة الصهيونية العالمية نفسها . ذلك أن الوكالةاليهودية قد قدمت نفسها كعمود فقرى لها ، برغم ان المنظمة كانت وليدة مؤتمر بال الصهيونى العالمى ، وقد أصرت الوكالة على أن تأخذ ٦٠ فى المائة من نسبة التشكيل وهو أمر شائع فى التشكيلات الجبهوية ، كما أوضح أنه نتيجة ظروف معقدة ومتشابكة وضعتها القاعدة فى حسابها ، قبلت « فتح » نسبة أقل من تلك التى كانت تطالب بها . وقد أقدمت فتح على هذه الخطوة الوحدوية تحقيقا لثلاثة اغراض ، الاستجابة للجماهير المطالبة بضرورة الوحدة ، ومراعاة ظروف المرحلة الراهنة للثورة الفلسطينية التى تقتضى تجميع كل القوى وتراص كل الصفوف لمواجهة المسئوليات الضخمة ، وضرورة الحرص على الثورة الفلسطينية وتأمين كافة الضمانات الكفيلة بأمنها واستمرارها .

ومن وجهة نظره ، « فان دخول فتح الى المنظمة ، لا يضيف الى فتح سوى مسئوليات واعباء جديدة ، ينبغى عليها ان تتحملها بروح الثائر الحريص على الثورة ، وانه وفق هذه الروح قبلت فتح بالخطوات الجديدة ، برغم كل التحفظات التى تضعها وما تزال ، على المنظمة ميلادا وتركيبا ومسيرة » .

هذا وقد انتخب المجلس الوطنى الفلسطينى بالاجماع ، **ياسر عرفات** المتحدث الرسمى باسم حركة « فتح » وقائد قوات العاصفة ، رئيسا لمنظمة تحرير فلسطين . وقد شكلت اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير من « **ياسر عرفات** » رئيسا ، وعضوية **فاروق قدومى** ، **وخالد الحسن** ، **ومحمد النجار** من حركة « فتح » ، **وياسر عمر** ، **وابراهيم بكر** ، **وكمال ناصر** ، **وحامد أبو سنة** ، **وعبد المجيد شومان** عن المستقلين ، **ويوسف البرج** **واحمد الشهابى** ، عن طلائع حرب التحرير الشعبية « قوات الصاعقة » . وقد أوصى المجلس الوطنى فى جلسته الختامية بتشكيل قيادة عسكرية لقوات منظمات المقاومة الممثلة فى المجلس الوطنى ، على أن تسمى مؤقتا « قيادة قوات الفدائيين » . فى حين فشلت حتى الان كل المحاولات لاقناع اعضاء الجبهة الشعبية ، وجيش التحرير الفلسطينى بالعدول عن مقاطعةجلسات المجلس. ولا تزال المحاولات مستمرة .

ذلك أن جيش التحرير ، برغم أنه أعطى ٦ مقاعد فى المجلس ، الا انه طالب بنسبة أعلى تتناسب مع جملة امكانياته المادية والقتالية ، فى حين رات القوى المشتركة فى المجلس أن اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير التى هى القيادة السياسية للمنظمة ، لابد ان تمتل بالضرورة جيش التحرير والا فان التمثيل المنفرد للجيش يعنى بالضرورة الانفصال بين القيادة السياسية والقيادة العسكرية ، وهو أمر غير مقبول . كذلك فان الاوضاع الانقسامية التى تعانى منها الجبهة الشعبية حالت دون اشتراكها فى أعمال المجلس . وذلك بسبب قيام مجموعة « **جبريل – زعرور** » بفصل « القوميين » من الجبهة الشعبية لاتهامهم بالحزبية ، وقيام « القوميين » بطرد مجموعة « **جبريل – زعرور** » ، ثم تبادل الاتهامات باليمينية واليسارية بين التيار الذى يمثله الدكتور « **جورج حبش** » ويعلن انه يمثل « يسار حركة المقاومة الفلسطينية » وتيار آخر يسارى ، يسمى المجموعة السابقة « يمين حركة القوميين العرب » . ورغم الخلافات النظرية الحادة بين هذين التيارين ، الا انهما يتفقان فى وجهة نظر واحدة بالنسبة للمجلس الوطنى ، اذ يريان ان منظمة التحرير قد كفت عن ان تكون الاطار الصالح لحركة الشعب الفلسطينى فى مرحلتها الراهنة ، ويطالبان بتلاقى فتح والجبهة الشعبية والصاعقة ، ومنظمة التحرير على أساس جبهوى جديد ، بحيث يكون لكل تنظيم صوت واحد ، بغض النظر عن حجمه ، وعلى أساس الالتزام ببرنامج عمل يعتمد كميثاق واضح ومحدد للجبهة .

هذا وقد حاول مجلس التنسيق العسكرى لمنظمات المقاومة التدخل للمساعدة على حسم الخلافات داخل الجبهة الشعبية ، لكن الاطراف المتصارعة فى الجبهة أوضحت أن هذه الخلافات لا تتعلق قط بمبدأ الكفاح المسلح الذى يجمع الكل على

الاتفاق عليه ، وانما تتعلق خلافاتهم بقضايا حزبية داخلية ، خارجة عن اختصاصات هذا المجلس ودوره .

هذا وقد عبر الرئيس «**جمال عبد الناصر**» فى خطابه أمام المجلس الوطنى الفلسطينى عن خبرة جديدة ومكثفة بازاء العمل التوحيدى الذى يتم بين صفوف القوى الوطنية الفلسطينية ، اذ اوضح « ان الجمهورية العربية المتحدة تتمنى توحيد عمل المقاومة الفلسطينية ، ولكنها تعتبر ــ وتلك تجربة مستفادة من حركات تحرير وطنية كبرى ، شاركت واسهمت الجمهورية العربية المتحدة فى مساندتها ودعمها ــ ان عملية التوحيد يجب أن تتم بالجهد السياسى لقوى الشعب الفلسطينى وحدها بغير ضغط من الخارج ، أو احراج من أى نوع . وان الجمهورية العربية المتحدة تعارض بطريقة قاطعة أية محاولة لفرض أية وصاية على منظمات المقاومة ، لان مثل هذه الوصاية لن تؤدى الا الى تعويق انطلاق المقاومة ، ومن ثم اعتراض طريق نموها الطبيعى » . وعلى أية حال ، يجمع اغلب المراقبين السياسيين العرب ، على أن الخطوة التوحيدية الاخيرة ، تشكل تقدما هاما جدا الى الامام لتوحيد كافة القوى الفلسطينية العاملة فى ساحة المقاومة الفلسطينية .

■ ■ ■

■ **موزمبيق**

دلالات ثلاث ..
لاغتيال موندلانى

بشعور من الحزن العميق ، تلقت اوساط الرأى العام الافريقى ، الوطنى والتقدمى ، نبأ اغتيال **الدكتور ادواردو موندلانى** رئيس **جبهة تحرير موزمبيق (فريليمو)** ، فى منزله بدار السلام (تنزانيا) ، على أثر انفجار قنبلة زمنية أرسلت له ــ فى أوائل فبراير الماضى ــ على شكل طرد من **المانيا الغربية** .

وتعتقد بعض الدوائر الافريقية أن واقعة اغتيال المناضل موندلانى ، تكشف عن دلالات هامة لعل أبرزها : **أولا** : أن ورود الطرد (القاتل) من **المانيا الغربية** لم يكن مجرد صدفة ، بل انه دليل جديد على مدى التنسيق القائم بين الاستعمار البرتغالى والنظم الاستعمارية فى المانيا الغربية وغيرها من دول الغرب ، فى العدوان على شعب موزمبيق وثورته من أجل استقلال بلاده ، ومن المعروف ان المانيا الغربية تملك النسبة الاكبر من الاستثمارات الاجنبية فى البرتغال كما تصدر اليها ٦٠ فى المائة من وارداتها للآلات الصناعية . فضلا عن ان لها مايزيد على ١٥ ألف جندى وضابط فى البرتغال منهم ٥٠٠ يشكلون بعثة دائمة بقيادة **الجنرال ف · بيكر** لتدريب القوات البرتغالية على مواجهة الحركة الوطنية المسلحة التى تشنها جبهة التحرير فى موزمبيق . هذا بالاضافة الى مصنع الاسلحة الذى أقامته فى البرتغال لمد حاجة جيشها العسكرية فى مواجهة الثورات المسلحة فى المستعمرات البرتغالية فى افريقيا (موزمبيق وانجولا وغينيا ــ بيساو) .

ثانيا : بعد أن منى الاستعمار البرتغالى ــ وحلفاؤه ــ بالفشل فى القضاء على الثورة المسلحة فى موزمبيق ــ كما فى انجولا وغينيا (بيساو) ــ لجأ مباشرة الى أسلوب الاغتيال لزعماء الثورة المسلحة . وقد كان هذا الاسلوب هو سلاح الاستعماريين دائما ، استخدمه فى مواجهة ثورة **الكاميرون** باغتيال **فيليكس موميه** (١٩٦٠) ، وفى مواجهة ثورة **الكونجو** ــ **ليوبولدفيل** باغتيال **باتريس لومومبا** (١٩٦١) ، وفى مواجهة حركة التحرر فى **المغرب** باغتيال **المهدى بن بركة** (١٩٦٥) . ومن هنا ترى الدوائر الافريقية ، انه بقدر فداحة الخسارة التى يمثلها مقتل موندلانى ، بقدر ماهو تعبير عن نجاح جبهة تحرير موزمبيق فى نضالها المسلح الذى هو فى نفس الوقت مقياس لخسائر البرتغال فى الارواح (للبرتغال ٤٠ ألف جندى فى موزمبيق) وفى الارض التى حررها الثوار .

ثالثا : ان توقيت اغتيال موندلانى لم يخل من دلالة ذات أبعاد هامة . فقد وقع ذلك فى أعقاب عودته من القاهرة حيث حضر « **المؤتمر الثانى لنصرة الشعوب العربية** » ضد العدوان الاسرائيلى ولعب فى المؤتمر دورا ايجابيا لانجاحه شهدت به وفود المؤتمر . ومعروف ان جبهة تحرير موزمبيق كانت قد نددت ــ فى يونيو ١٩٦٧ ــ بالعدوان الاسرائيلى وأدانته وطالبت بانسحاب القوات الاسرائيلية بدون شروط من الاراضى العربية التى احتلتها . ولاشك أن الاستعمار العالمى يدرك مدى الخطر المترتب على تدعيم أشكال العمل المشترك بين حركة التحرر الافريقى وحركة التحرر العربى . وهنا لن يفاجأ الوطنيون الافريقيون كثيرا اذا ماكشف التاريخ بعد ذلك عن أن لاسرائيل دورا ما فى اغتيال موندلانى الذى كان يمثل ــ مع غيره من قادة الحركات الوطنية الافريقية المتحررة ــ

خطرا على مساعى اسرائيل الدائبة لتوسيع رقعة تسللها الى القارة • ومن المعروف ان تحالف اسرائيل ـ جنوب افريقيا يمتد فى عمله المشترك لتدعيم النظم العنصرية الاستعمارية فى روديسيا وفى المستعمرات البرتغالية •

وادواردو موندلانى ، بلغة الملفات ، قد حصل فى ١٩٣٦ على أعلى مستوى من التعليم يسمح به للافريقيين فى موزمبيق ، ثم استكمل دراسته فى جنوب افريقيا . وعنـد عودته الى موزمبيق بدأ نشـاطه السياسى ، فأسس « **نواة الطلبـة الموزمبيقيين** » فى عام ١٩٤٩ • وعندما حظرت السلطات الاستعمارية البرتغالية نشاط هذه المنظمة ونفت قادتها الى الخارج ، واصل دراسته بالخارج حيث حصل من جامعة سيركيوز بنيويورك على الدكتوراه وعمل باحثا فى الامم المتحدة ، وعاد الى دار السلام فى ١٩٦١ حيث واصل نشاطه السياسى من أجل حرية بلاده •

اما موندلانى فى تاريخ حركة التحرر الافريقى ، فهو الذى صنع بالمشاركه مع عشرات من رفاقه فى السلاح ، آلاف الكادرات النضالية ـ سيـاسيا وعسكريا ـ من خلال جبهة التحرير ، ليواصلوا نضال كل من يسقط فى الطـريق الطويل الى التحرر •

فقبل عام ١٩٦٢ ، ظلت عناصر الحركة الوطنية فى موزمبيق تعيش خارج حدود بلادها بفعل آثار الارهاب والقمع البرتغالى فى البـلاد • وكان الوطنيون الموزمبيقيون ينشطون سياسيا من خلال الاحزاب الوطنية العاملة فى كل من تنجـانيقا ونياسالاند (مالاوى) وروديسيـا الشماليـة (زامبيا) ، وبحصول هـذه البلاد الثلاثة على « الحكم الذاتى » بدأ الوطنيـون الموزمبيقيون فى التفكير فى خلق تنظيماتهم الوطنيه المستقلة التى سرعان ماخرجت الى الوجود الفعلى بعد حصول هذه البلاد على استقلالها السيـاسى • وأعلنت كل الاحزاب الوطنية الموزمبيقية عـن برامجها • وكانت تنجانيقا هى المركز الاساسى لنشاط هذه الاحزاب مما دفع حكومة البرتغال الى قطع علاقاتها الدبلوماسية بتنجانيقا ، فى ذلك الوقت كانت تعمل أحزاب ثلاثة رئيسية هى : **اتحـاد موزمبيق الوطنى الديمقراطى ، والاتحاد الوطنى لموزمبيق المستقلة ، واتحاد موزمبيق الوطنـى الافريقى** • وتوحدت هذه الاحزاب بتشكيل **جبهه تحرير موزمبيق (فريليمو)** فى عـام ١٩٦٢ واختيار موندلانى رئيسا لها •

واعقب تشكيل الجبهة ، عقد مؤتمرها العام الاول فى سبتمبر ١٩٦٢ فى دار السلام • وقام بتحليل الوضع فى موزمبيق وصاغ برنامج عمل أعرب عن طموح شعب موزمبيق المشروع من أجل الحرية والتقدم • وكرست الجبهة النصف الاول من عام ١٩٦٤ لتحسين أساليب تعبئة وتنظيم الشعب وتدعيم الكيان الحزبى للجبهة • وفى ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ أصدرت الجبهة « نداء الى شعب موزمبيق » الذى أعلن بدء الكفاح المسلح ضد الاستعمار البرتغالى •

ومنذ سبتمبر ١٩٦٤ ، وحتى ٢٠ يوليو ١٩٦٨ ـ حيث انعقد المؤتمر العام الثانى للجبهـة ـ استطاعت قوات جبهة تحرير موزمبيق بقيـادة موندلانى ، أن تحقق انتصارات ملحوظة بتحرير اقسام واسعة من اقاليم **كابو ويلجادو ونياسا وزامبيزيا وتيته** من السيطرة البرتغاليه • وفى هذه المناطق المحررة أقامت الجبهة نظم حكم شعبية • فنظمت الانتاج وأقامت اجهزة للعدالة والخدمات الصحية • ويجرى تطوير نماذج جديدة للانتاج والعلاقات الاجتماعية تحت قيادة الجبهة • كما أقامت الجبهة عددا من المدارس والمستشفيات •

هذا هو التاريخ النضالى فى حياة موندلانى وجبهة تحرير موزمبيق • ومن هنا أيضا يدرك الراى العام الافريقى مدى الخسارة التى منيت بها حركه التحرير المسلحة فى موزمبيق باغتيال قائدها السياسى : ادواردو موندلانى •

وتؤكد الدوائر الوطنية الافريقية ، انه برغم اغتيال موندلانى ومايمثله من خسارة كبيرة ، الا أن ذلك لن يفت من عضد واحرار مناضلى فريليمو فى كفاحهم المسلح من أجل تحرير مـوزمبيق وانقاذها من براثن واستغلال الاستعمار البرتغالى وقوى الاستعمار العالمى •

■ ■ ■

■ **أوروبا الغربية**

الاوزة الالمانية تغير محـــور ارتـــكازها

أذاعت وكالة تاس السوفيتيـة أن ٥٠٠ الف جنـدى من قوات الاتحـاد السوفيتى والمانيـا الديمقراطيـة ستشترك فى مناورات فى غرب ووسط أراضى المانيـا الديمقراطية ، بعـد أن واصلت حكومة بون اجراءاتها لتشـديد التوتر فى اوروبا •

ولقد سبق أن طلبت المانيا الديمقراطية رسميا من كل من الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا منع المانيا الغربية ، من اجراء انتخابات الرياسة لها فى الخامس من مارس فى برلين الغربية التى تبعد عن حدود المانيا الغربية ب ١٨٠ كيلو مترا « اظهارا » لعزم انتقاميى بون على تغيير الحدود القائمة فى أوروبا .

على ان سياق الحوادث يؤكد أن دول حلف الاطلنطى وخاصة الولايات المتحدة وانجلترا تبارك خطوات بون « الاستفزازية » لتشديد التوتر فى أوروبا وبدء جولة جديدة من سباق التسلح تنفيذا للمقررات التى تم الاتفاق عليها فى الاجتماعات الاخيرة للحلف عشية الذكرى العشرين لتأسيسه .

ولقد أعلن « **هارولد ويلسون** » رئيس وزراء بريطانيا أثناء زيارته لالمانيا الغربية .. انه من الصعب الان اختيار مكان آخر غير برلين الغربية لاجراء الانتخابات .. !! بالاضافة الى مانشر عن استعداد بريطانيا لمساعدة المانيا الغربية على امتلاك السلاح النووى مقابل قيام المانيا الغربية بمساعدتها على الانضمام للسوق الاوروبية المشتركة . كما أعلن فى واشنطن أن برلين الغربية ستكون ضمن برنامج جولة **نيكسون** فى أوروبا .

ان الخطوة الجديدة لحكومة بون تعنى **ان « الاوزة الالمانية تغير محور ارتكازها بسرعة من الساق المواجهة لحدود تشيكوسلوفاكيا الى تلك المندسة داخل حدود المانيا الديمقراطية »** . فلقد سبق هذه الخطوة تلك المناورات الضخمة التى أجراها حلف الاطلنطى مابين ٢٩ يناير ، والرابع من فبراير فى منطقة تدريب قوات الحلف بالقرب من الحدود التشيكوسلوفاكية ، والتى وصفت بانها اكبر مظاهرة عسكرية لحلف الاطلنطى . ولقد صحب تلك المناورات مظاهرة سياسية لا تقل عنها ضخامة كشفت بسفور عن النوايا العدوانية لحلف الاطلنطى تجاه البلدان الاشتراكية وتجاه شعوب المستعمرات والحركات الشعبية والعمالية فى بلدان غرب أوروبا نفسها .

فلقد كتبت جريدة « **فرانكفورت الجمانية** » المعروفة بصلاتها الوثيقة بوزارة الحربية فى بون قائلة « يجب اعتبار السياسة العسكرية التى ستنتهج فى هذه المناورات بمثابة سياسة مرحلة ماقبل الحرب » . كما تعمدت صحيفة « **الديلى اكسبريس** » نشر قصة مؤداها **احتمال استخدام قوات الحلف لقمع الحركات الشعبية ، والعمالية ، فى البلدان المشتركة فى الحلف** ، أو التى « تحت مظلته » ومنها يوغوسلافيا والنمسا والمستعمرات البرتغالية فى أفريقيا .

ولقد تساءلت جريدة « **ترود** » السوفيتية حينذاك عن مغزى هذه البداية لعهد نيكسون . وهل هى عودة لسياسة حافة الحرب « **لجون فوستر دالاس** » وزير خارجية حكومة « **ايزنهاور** » التى كان « **نيكسون** » نائبا للرئيس فيها »

ومن الواضح أن حكومة بون تقوم بدور رأس الرمح فى السياسة الاطلنطية الجديدة ، ولكن على هدى من سياستها ومطامحها الخاصة ، وتعمل الدوائر الحاكمة فى المانيا الغربية للحصول على اقرار من حلفائها بتوليها مسئولية قيادة العمل على نطاق بلاد شرق أوربا بالذات ، والتى بلغت قمتها فى النشاط المعادى لتشيكوسلوفاكيا . وهكذا تلاحظ الدوائر السياسية فى الغرب انه منذ دخول قوات خمس اعضاء من حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا استسلمت دول حلف الاطلنطى تماما لمطالب انتقاميى بون فى **اعتبار العسكرية الالمانية « بديلا » لحلف الاطلنطى فى المهام الرئيسية فى أوروبا** ، خاصة عندما تكون الولايات المتحدة مشغولة فى أماكن أخرى من العالم . وقد لاحظت مجلة « الشئون الدولية » السوفيتية .. بدلا من صيغة « جمهورية المانيا الاتحادية تحت رقابة حلف الاطلنطى » حلت صيغة « جمهورية المانيا الاتحادية القوة الضاربة فى أوروبا » . ولكن حتى هذه الصيغة الاخيرة راحت تخلى مكانها ليصبح حلف الاطلنطى — اكثر فاكثر — اداة فى يد السياسة الانتقامية لالمانيا الغربية . بل لقد **أصبحت سياسة بون الخارجية هى التى تحدد بشكل متزايد سياسة حلف الاطلنطى ككل والعلاقات بين أعضائه »** .

ولا تتوانى حكومة بون فى تجهيز نفسها كترسانة عسكرية . لقد تقرر فى اجتماعات حلف الاطلنطى أضافة عدة آلاف من ملايين الدولارات الى الـ ١٠٠٫٠٠٠ مليون دولار التى تصرفها دول الحلف على قواتها المسلحة وتجهيزاتها العسكرية ، فتقدمت المانيا الغربية وحدها باستعدادها لرفع ميزانيتها للاغراض العسكرية بأضافة ٣٫٠٠٠ مليون مارك ، واستكمال الفرق العسكرية الناقصة ، وجعل الخدمة العسكرية اكثر اغراء وتكييف سلاحها الجوى مع اساليب الحرب التقليدية والحرب النووية أيضا . **وهذه المبالغ تقفز بمصروفات بون المالية على الاستعدادات العسكرية الى ضعف ماصرفه هتلر عندما كان على أهبة شن حربه العدوانية** .

ولقد علقت صحيفة « مورننج ستار » الانجليزية على مايرمز اليه جسر القوة العسكرية بين الولايات المتحدة والمانيا الغربية من خلال مناورات الاطلنطى الاخيرة ، بأنه « لن يكون لهذا من نتيجة



● نيكسون

سوى تشجيع النوايا العدوانية لعسكريي بون» ؟ وذهبت الصحيفة تحذر « من سياسة ميونيخ جديدة ، **والعواقب الوخيمة الناجمة عن التساهل مع العسكرية الألمانية وملاطفتها »** .

ان الحديث عن **(ميونيخ جديدة)** يشتد ويعنف في كل الصحف الديمقراطية في الغرب ، خاصة وأن بعض المجلات الالمانية شبه الرسمية لم تخف أن قادة بون ينظرون حتى الى الحلف الالماني الامريكي نفسه باعتباره سياسة موقوتة بالمدى الذى تراه فيه بون ضروريا ومفيدا لها . ومع انه من السابق لأوانه اعطاء صورة دقيقة لمخططات انتقاميي بون ، الا أن قدرة المانيا الغربية على فرض ارادتها على دول حلف الاطلنطى ، في خطوتها الاستفزازية الاخيرة في برلين الغربية ، بل وتشجيع انجلترا والولايات المتحدة لحكومة بون في هذه الخطوة ، كل هذا يبرر القلق المتزايد لشعوب غرب أوروبا من نمو العسكرية الالمانية من جديد واتجاهاتها الانتقامية . ولقد كتب « و . ن . بريت » في مجلة « **لير مانثلى** » الانجليزية يقول « ان الطبقة الحاكمة في المانيا الغربية لم تتغير الا قليلا عما كانت عليه عندما أتت بهتلر الى السلطة عام ١٩٣٣ . ولقد سيطرت هذه الطبقة على الدولة الالمانية الغربية بجهازها الحكومى الذى أصبح في أيدى النازيين السابقين في مجال الخدمة المدنية والاجهزة البوليسية والهيئات القضائية ، واخيرا في القوات المسلحة . وليس الحزب الوطنى الديمقراطى النازى الجديد وحكومة بون الائتلافية الا شيئا يكاد يكون واحدا ، فسياستهما متشابهة للغاية ، ولا يرجع ذلك الى اتباع الحزب النازى لسياسة معتدلة ، بل لان الحكومة الحالية في بون تتبع سياسة رجعية للغاية » .

هذا وتدل الاخبار الاخيرة الخاصة باتجاه حكومة بون (المعروفة بصلاتها الوثيقة باسرائيل) الى بناء قوة بحرية لها في البحر الابيض المتوسط — تدل هذه الاخبار على اتجاه عسكريى بون لا الى تشديد التوتر ، في أوربا فحسب ، بل الى زيادة لهيبه في كل مناطق العالم .

وازاء هذا النشاط الضار بالسلم في العالم ، يرى المراقبون ان نضال حكومة المانيا الديموقراطية ضد محاولات بون اجراء انتخابات الرئاسة في برلين الغربية ، هذا النضال له مايبرره ، خاصة عندما تصبح المانيا الديموقراطية موضع تهديد سافر من قبل حكام المانيا الغربية .

وتتوالى احتجاجات قوى السلم والديمقراطية في العالم اجمع لكبح جماح الانتقاميين الالمان فأصدرت حكومات بولندا والمجر وتشيكوسلوفاكيا وغيرها احتجاجات رسمية على خطوة حكومة بون . كما اعربت العديد من الدول المتحررة عن ادانتها لموقف حكومة بون ومساندتها لخطوات المانيا الديمقراطية . وبالمثل اصدر مجلس السلم والاتحادات الديمقراطية الدولية العديد من النداءات لمنع حكومة بون من مواصلة اجراءاتها الاستفزازية ومساندة خطوات المانيا الديمقراطية .

■ ■ ■

■ **علوم**

أضواء على الجديد في الابحاث ضد السرطان

قد يبدو من الغريب أن جهود الاطباء والعلماء ورجال البحث لم تستطع حتى اليوم وطوال ٥٠ عاما من البحث المضنى ، أن تؤكد الافكار والافتراضات العلمية التى تدور حول تحديد سبب مرض السرطان ، أو أن تضيف دليلا حاسما لا يتناقض مع قوانين الطبيعة ويتفق مع حقائق المشاهدات التى تميز المرض : وهل هو مثلا مرض وراثى أو ينتج عن العدوى وظروف البيئة المحيطة بالانسان .

فمن المعروف أن هناك عوامل محددة تسبب

مرض السرطان . فسرطان الكبد مثلا يبدو مرتبطا بنقص فى أنواع معينة من الغذاء . ولوحظ ان سرطان الرئة يزداد بين المدخنين ، كما تزداد نسبته فى المدن عنها فى القرى، كذلك يزداد سرطان الرئة بين السائقين الذين يقطعون بسياراتهم مسافات تزيد عن ١٢٠٠٠ ميل فى السنة نتيجة استنشاق الغازات الناتجة عن الاحتراق غير الكامل للمواد المشتعلة . كما تزداد نسبة الاصابة بالسرطان فى المثانة فى مصر نتيجة الاصابة بالبلهارسيا البولية . أما سرطان الفم والحلق فيزداد بين رجال البارات وصناع المشروبات الكحولية . كما يصاب عمال تقطير زيوت التشحيم والكيماويات التى تقتضى طبيعة عملهم الوقوف بأقدامهم وسط هذه المواد ، بالسرطان فى النصف الاسفل من أجسامهم . كذلك يصاب الاطباء والفنيون فى أقسام الاشعة « اكس » والمواد المشعة مثل الراديوم بسرطان الجلد .

والواضح أن جميع هذه الظروف تؤدى الى الاصابة بالسرطان ، الا أنها تشكل نسبة صغيرة من مجموع المصابين فى الظروف العادية . **كما أن الاصابة بالسرطان فى مثل هذه الحالات لاعلاقة لها بالوراثة ، لانه يمكن تجنب هذه الظروف وبالتالى يمكن تفادى الاصابة بالمرض . على الرغم من ان بعض التجارب على الحيوانات قد أثبتت أن هناك علاقة وراثية ما ، وهناك جهود كبيرة لاختبار هذا الافتراض .**

كما أن هناك نظرية ترجع سبب السرطان الى فيروس خاص ، مثل الفيروس الذى يسببه مرض الكلب أو شلل الاطفال . ويعتقد أصحاب هذه النظرية أن الفيروس يتدخل فى جهاز الخلية الحامل للصفات الوراثية . وينشأ عن ذلك نوع خاص من الخلايا السرطانية . ويربط أصحاب هذه النظرية بين نظريتهم فى الانسان، وبين مالوحظ من أن سرطان الحيوان ينشأ نتيجة لنوع من الفيروس . ولكن لا يوجد دليل على أن سرطان الحيوان يشبه سرطان الانسان ، أو أن سببهما واحد .

وتدور أبحاث الدكتور **هنرى ج هادلى** مدير مؤسسة أبحاث السرطان بواشنجطن ، حول أن مفتاح النجاح فى اكتشاف ما اذا كان السرطان ينتج عن الوراثة او عن البيئة المحيطة ، أو عن كليهما معا ، يكمن فى ايجاد سلسلة من الارتباطات بين مرض السرطان وبين كافة النتائج التى توصل اليها كافة العلماء بافتراضاتهم المختلفة ، ووضع هذه الاراء فى مكانها الصحيح ، دون الارتفاع بها الى مستوى النظريات بغير دليل حاسم ، والربط بين كافة هذه الافتراضات والسير بها فى توافق وانسجام الى الامام . **واتجه فى أبحاثه الى محاولة ايجاد حصانة ضد الاصابة بالسرطان كخطوة أولى هامة** ، ويعقب ذلك البحث عن سبب المرض والقضاء عليه بالعلاج . فاذا أمكن التوصل الى علاقة مابين السرطان وبين وجود نوع من المناعة سواء كانت طبيعية أو مكتسبة ، أو بين المرض ووجود نوع من الشذوذ بأنسجة الجسم ، يمكن تحديد ما اذا كان السرطان وراثيا أو نتيجة البيئة . كما أنه اذا أمكن التوصل الى مناعة ضد السرطان فيمكن بالتالى تحديد العوامل التى تكون هذه المناعة وعلاقتها بمرض السرطان .

وقد أجرى الدكتور هادلى عددا من التجارب الهامة التى تهدف الى التوصل الى حصانة ضد مرض السرطان . ففى التجربة الاولى استحضر سائل معلق من ورم سرطانى خبيث بالثدى ، وحقن السائل فى تجويف الساق بنبات الخروع ، وبعد عدة أسابيع ظهرت عدة بقع على أوراق الخروع ، أمكن عزل كائن حى منها له صفات خاصة مكنت علماء البكتريولوجى من ادراجه تحت اسم باسيلات سيروس . وأمكن تحضير ، مايعرف «بالانتيجين» منها اى مولد المضاد . وقد لاحظ دكتور هادلى أنه باضافة « الانتيجين » الى السائل المصلى بدم الانسان الطبيعى فى أنبوبة اختبار يكون السائل شفافا أى تكون النتيجة سلبية . أما اذا أضيف « الانتيجين » الى السائل المصلى بدم انسان مصاب بمرض السرطان فتحدث ترسبات فى السائل الشفاف ، وتكون النتيجة ايجابية ، وقد اجرى هذه التجربة على ١٩٢٠٩ اشخاص عاديين و٤٧٢ من المعروفين باصابتهم بالسرطان . وأظهرت التجربة ٢٤٩٠ حالة ايجابية من المجموعة الاولى ، وقد فسر هذه النتيجة بأن هذه الحالات الايجابية قد تكون مصابة بالسرطان ولم تظهر بعد اعراض المرض عليهم . أما بالنسبة للمجموعة الثانية المعروف اصابتهم بالسرطان ، فكانت النتيجة ايجابية فى ٩١ فى المائة من هذه الحالات . وهذه التجربة تبين أن كائنا حيا من الكائنات الباسيلية قد يجوز أن يكون هو سبب السرطان .

وفى التجربة الثانية استخلص دكتور هادلى نفس « الانتيجين » من باسيلات سيروس ولكن أمكن عزلها هذه المرة من ورم خبيث بالاذن . وحقن الانتيجين فى جلد ٨٣٥٤ شخصا ، جزء منهم معروف باصابته بالسرطان والجزء الاخر من الاشخاص العاديين . فلاحظ أن الشخص العادى تظهر فى جلده دائرة حمراء قطرها من ٢٫٥ سم الى ٧ سم خلال الـ٢٤ ساعة بعد الحقن وتختفى الدائرة الحمراء فى الـ٢٤ ساعة التالية . وعلى نقيض ذلك ، لم تظهر الدائرة الحمراء فى جلد الاشخاص المعروف باصابتهم بالسرطان . وتشبه

هذه التجربة ، نفس التجربة التى تجرى على مرضى الجذام • فبالحقن بمادة خاصة لا تظهر أى دائرة حمراء لدى المصابين بالجذام ، بينما تظهر الدائرة الحمراء لدى الاشخاص الاصحاء •

وقد لاحظ دكتور هادلى ان الاشخاص الذين طعموا فى هذه التجربة « بالانتيجين » أصيب عدد قليل جدا منهم بالسرطان • وهذه التجربة تؤكد امكانية انتاج طعم يعطى حصانة ضد السرطان وان كانت هذه الحصانة نسبية نتيجة تداخل عوامل أخرى مثل تعرض عدد من الاشخاص للمواد المشعة أو الكيماويات أو التدخين وغيرها من العوامل التى سبق ذكرها • •

وفى تجربة ثالثة قام دكتور هنرى ج • هادلى بتطعيم ١٦٫٠٠٠ شخص تتراوح أعمارهم بين عام واحد و٩٥ عاما بنفس الانتيجين ضد مرض اللوكيميا وهو الذى يتميز بالزيادة الضخمة فى كرات الدم البيضاء ويطلق عليه اسم سرطان الدم فلاحظ أن متوسط سن الوفاة من سرطان الدم بين هؤلاء المطعمين بعد تتبعهم لمدة ١٧ عاما قد ارتفع من ٥١٫١٧ سنة حسب احصائيات مكتب كولومبيا الى ٧٢٫٦ سنة بعد التطعيم • **ومعنى هذا أن هذا الطعم قد منع ثلثى حالات الاصابة بسرطان الدم ، هذا الى جانب اختفاء حالات الاصابة الحادة بالمرض تحت سن الستين** • واذا وضعنا فى الاعتبار أن هؤلاء الاشخاص لم يطعموا سوى مرة واحدة ، فمن المتوقع منع انتشار المرض بنسبة أكبر بتكرار التطعيم • **وبالتالى اذا امكن السيطرة على مرض سرطان الدم فسيمكن التحكم فى أنواع السرطان الاخرى** •

وتدور أبحاث الطبيب الامريكى حول الوقاية من الاصابة بالسرطان ، ثم تحديد العوامل التى ترتكز عليها هذه المناعة وذلك بهدف ان يتوصل الى ذلك السر الذى حير الانسان والعلم سنوات طويلة •

تعليق

شىء من النقد •• « لشىء من الخوف »

« شىء من الخوف » •• محاولة جيدة من المخرج **حسين كمال** الذى شاهدنا له من قبل فيلمى « المستحيل » ، و « البوسطجى » يستخدم فيها الكورال ليضفى على القصة شكلا أسطوريا ، وقد نجح فى هذا الاستخدام الجديد واستطاع من خلاله أن يسيطر على عواطف المشاهدين ، وساعده فى ذلك براعة « بليغ حمدى » الموسيقية ، وكاتب الحوار والكورال والاغانى « **عبد الرحمن الابنودى** » .

وتتلخص القصة التى كتب لها السيناريو « صبرى عزت » وهى من تأليف « **ثروت أباظة** » فى أن ظالما تربع على عرش قرية « الدهاشنة » ، واستخدم الارهاب للسيطرة على الاهالى وفرض الاتاوات عليهم • له حفيد « عتريس » فى طبعه الرقة والسلام وحب أهل القرية ، بل وحب فتاة منها هى « فؤادة » • يضغط الجد على حفيده ويذبح أمامه الحمامة البيضاء التى يحبها ويضربه على وجهه بدمائها ، ويعلمه ركوب الخيل ، وضرب النار ، واشعال الحرائق ، استعدادا لان يصبح رئيسا للجماعة من بعده • وعندما يحاول أحد الفلاحين الانتقام من الظالمين ، ويصوب سلاحه نحو عتريس ليقتله ، يلمحه الجد فيسرع الى حماية حفيده ، فتصيبه الرصاصة ويموت بين يدى « عتريس » بعد ان يأخذ منه وعدا بالانتقام له من أهالى « الدهاشنة » •

ولكن « عتريس » كان قد وعد « فؤادة » بعدم الانغماس مع رفاق جده فى أفعالهم لانه موزع القلب بين جده الذى يحبه والظروف التى تضطره الى البقاء معه • وبين حبه العميق لفتاة احلامه « فؤاده » ، ويتغلب عليه الجانب الذى ينحاز الى الجد ، ويحل محله فى الرئاسة • ويندفع فى طريق الظلم الى أن يقرر ـ انتقاما لقتل أحد أصدقائه ـ قفل « هويس الماء » ليمنع الفلاحين من رى أراضيهم ، وتتصدى له « فؤاده » وتفتح الهويس ولا يستطيع أن يقتلها فيقرر أن يتزوجها ، ولكنها ترفض ، ويكذب والدها والشهود على عتريس والمأذون مضطرين خائفين قائلين أنها وافقت على الزواج •

ولكن « فؤادة » تصر على رفض « عتريس » حتى بعد ان وقع المقد وتواجهه برفضها ، وبان هذا الزواج باطل ، فيثور « عتريس » ويهتز لهذا الرفض غير المتوقع ويبدأ فى التنكيل بأهالى « الدهاشنة » ليضغط عليها ويجعلها توافق ، ويختار الشيخ « ابراهيم » من بينهم لينكل به ويكون عبرة لغيره •• فيغرق أرضه ، ويحرق منزله • ولكن الشيخ ابراهيم يصر على أن الزواج باطل ، بل ويتزعم الدعوة الصريحة العلنية مناديا ببطلان هذا الزواج « لان ذلك حق الله » • وتزداد ثورة « عتريس » ويقرر قتل ابن الشيخ فى ليلة زفافه • وتصبح جثة هذا القتيل هى الشرارة التى يتجمع حولها الاهالى ويسيرون فى مظاهرة تهتف ببطلان الزواج وتستطيع محاصرة « عتريس » فى منزله واشعال النار فيه ليموت محترقا فى النهاية •

• والفيلم هنا يقول كلمة فى غاية الاهمية ، وهى أن الظالم يتمادى فى ظلمه للناس طالما لا يجد من بينهم من يقف امامه ويقول كلمة « لا » ••

وهناك بعض الملاحظات التى لو كانت قد وضعت فى الاعتبار ، لجاء الفيلم أكثر اقناعا مما هو عليه الان : فمثلا •••

نوادى العلوم للشباب

تم الاتفاق مع الاتحـاد السوفيتى على ايفاد خمس وعشرين منحة تدريبية لاعـداد الرواد اللازمين **لنوادى العلوم للشباب** فى مجال الالكترونيات والطاقـة الشمسية .. وغـيرها بالاتفاق مع نقابة المهن العلمية .

وقد علق أحد الباحثين العلميين على أخبـار انشاء نوادى العلوم قائلا :

« ان طلابنا لا يقدم لهم فى المدارس أى زاد روحى فيما يخص الجوانب الانسانية فى تاريخ البحث العلمى والاختراعات العلمية مما جعل عالم البحث العلمى عالما غامضا بالنسبة لشبابنا . لقد ظلت مثلهم العليا هم الشعراء والكتاب فقط سواء كانوا ذى موهبة فى هذا الجانب أم لا ، بينما تنزوى مثـل عليا مثـل « **مصطفى مشرفة** » و « **على ابراهيم** » وغيرهم من علمـاء العرب والعـالم بعيـدا عن تفكيرهم . انت لاتدخل حجرة أى طالب ثانوى الا وتجـد له محاولة او اكثر لكتابة قصيـدة شعر أو قصـة قصيرة بينما ينـدر أن لم يستحل ان تجـد له محاولة لتركيب جهـاز راديو صغير ، أو دائرة كهربائية بسيطة أو غير ذلك . ان اقامة الدولة العصرية التى نص عليها بيان ٣٠ مارس يستدعى فى أحد جوانبه الرئيسية مجتمعا مشبعا بالروح العلمية التى تسود العصر . ويكفى أن أقول ان الباحث العلمى الذى يؤمن أن العلم لخدمة المجتمع ما أن يترك معمله خطوة واحدة حتى يجد أنه كان فى واد والمجتمع الذى حوله ــ حتى ولو كان من مثقفين ــ فى واد آخر ، وفى هذا تثبط لهمته حتى لو زالت كل العوائق الاخرى . والمرجو أن تؤدى نوادى العلم مع اتساعها وتنوعها مـع غيرها من الاجراءات الى تغيير هذا الوضع وخلق المناخ المناسب للبحث العلمى والسلوك العلمى فى مجتمعنا » .

ولقد تم افتتاح أول ناد علمى للشـباب وهو « **نادى الالكترونيات** » فى أكتوبر ١٩٦٨ بمبنى نادى الزمالك الرياضى ، والتحق به حتى الان حوالى ١٠٠ شاب وفتاة للتدريب على هوايات

---

١ ــ عتـريس وعـد « فؤادة » حبيبته بعدم مسـايرة جده لانه يكره ذلك . فهو يقول لها (قلبى ملك الدهاشنة ، وانا ملك جدى .. مش ممكن آذى حد) . ثم وعد جده بعد ذلك وهو يموت بالانتقام له من الدهـاشنة كلها . (مش ح يناموا الليل ياجدى .. الكلاب .. وحياة راس عتريس) .

وهذه نقطة شـديدة الاهميـة فى شخصية « عتريس » وكان من الضرورى اعطائها بعض العناية لابرازها وتوضيح الصراع الدائر فى نفس « عتريس » بين الوعدين ، ثم تغليبه وعده لجـده بعد ذلك ، حتى نقتنع بتحوله الى سفاح وظالم اشد ظلما من جده .

٢ ــ الشيخ « ابراهيم » الذى قاد المظاهرة التى قضت على الظالم ، لم يقدم لنا بما فيه الكفاية التى تتناسب مع دوره الخطيـر فـى الفيلـم ، ولـم يكن لاضطهـاد « عتريس » للشيخ مبررا منطقيا ، وخاصة أن السـبب الذى دفع « عتريس » الى هذا الموقف هو أنه يقول ان زواجه من « فؤادة » باطل ، ان الجميع يقولون ذلك . وهو نفسـه يعرف . وقد واجهته «فؤادة» نفسها ببطلان الزواج وكانت أول من اعلن ذلك . ولم يكن قول الشيخ « ابراهيم » ببطلان او عدم بطلان الزواج مما يؤثر فى الموقف نفسـه ، فـالمهم هنـا هـو راى « فؤادة » نفسها .

٣ ــ تمرد الفلاحين فى النهاية كان اساسا ، لسبب دينى (بطلان زواج فؤادة وعتريس بسبب رفضها) وفى اعتقادى أن الاسباب الدنيوية الاخرى أيضا لها أهمية كبيرة ، القتل والحرق واغراق الارض ، ومنع المياه من الزرع وفرض الاتاوات وخطف الاطفال ، واهانة الكرامة والاذلال ، كان مـن الممكن استغلال كل ذلك لتكون بذورا أخرى هامة لهذا التمرد ، واعتقد ان هذا كان ممكنا لو عرض الفيلم لوجهة نظر الفلاحين وليس لمأساة الظالم ..

٤ ــ يعتبر مشهد فتح الهويس من احسن المشاهد فى الفيلم ، فقد تعاون فيه المخرج والمصور والمونتير للوصول به الى هذا المستوى . زوايا مناسبة ، وكادرات موفقة وقطعات سليمة الايقاع ، وموسيقى معبرة . وان كان هذا المشهد فى حاجة الى مقدمة ورؤية سابقة لنعرف أهميته بالنسبة للفلاحين ، وبذلك نشـاركهم مأساتهم فعلا عندما تنقطع المياه عن اراضيهم ويذبل الزرع ويجف ويموت ، وكان احساسنا بالمأساة سيزداد حتما لو عرفنا وشـاهدنا « عتريس » ورفاقه يغلقون الهويس ويهددون الناس ، بل ويقتلون احدهم عندما يحاول فتح الهويس مثلا ، ويتركوه بلا حراسة امعانا فى اذلالهم والانتقام منهم . وان كان هذا الانتقام نفسه غير مقنع وخاصة انه جاء بسبب قتل أحد اصدقاء « عتريس » « سيد شلبى » ، الذى لانعرفه ولا نعرف اهميته بالنسبة لعتريس ..

٥ ــ الكورال والاغاني والموسيقى التى صاحبت الفيلم كانت ناجحة فى أغلبها ومعبرة عن مأساة « عتريس » . وان كان المشهد الاخيـر الذى احتـرق فيه « عتريس » ورد فعـل الحـزن والدموع على وجه وعيون « فؤادة » وامها يدفعنا الى التعاطف معه . وتداكد الكورال هذا المعنى عندما ردد .. « .. ياعينى ع الولد .. » ، وفى تقديرى أن الكلمات هنا كان يجب أن تكون ضـد الظالم ومع جموع الفلاحين والناس الذين تمردوا على الظلم واستطاعوا القضاء عليه .

والواقع أن هذه الملاحظات لاتقلل من اهمية الفيلم وقيمته كواحد من أحسن الافـلام المصرية القليـلة . ولو ان كاتب السيناريو قـد أولـى هـذه النقط (وغيرها) بعض عنايته لاصبح الفيلم عظيما نستطيع أن نتقدم به بين صفوف الافلام العالمية ، الا أنه بصورته الراهنة مايزال مشدودا الى أفـلامنا المصرية ليرفع لنا رصيدنا من الافلام الجيدة ..

مسعود أحمد

التخاطب باللاسلكى ، والراديو ، والتليفزيون ، والطيران الموجه لاسلكيا .

وتعد **نقابة المهن العلمية** لافتتاح ناد آخر فى الجزيرة ، كما أن وزارة البحث العلمى هى الآن بصدد تنظيم اقامة نوادى العلوم فى متحف العلوم التابع للوزارة يساعد على ذلك ما يحتويه المتحف من تجهيزات وامكانيات معملية .

ويتجه المشروع بعد نادى الالكترونيات الى مجالات اخرى كالطاقة الشمسية واستخداماتها المنزلية ، والكيمياء والاستفادة منها ، وغير ذلك من الهوايات العلمية .

وبالتعاون بين نقابة المهن العلمية ووزارة الشباب ووزارة البحث العلمى تم وضع خطه للتوسع فى انشاء هذه النوادى العلمية فى القاهرة أولا ، ثم الاقاليم ، كما يتم تدارس المشروع مع وزارة التربية والتعليم للمساهمة فيه بالرواد اللازمين من مدرسى العلوم والطبيعيات للاشراف على طلاب المدارس خلال ممارستهم لهذه الانشطة العلمية .

وتتبنى جريدة « **الاهــرام** » الدعوة لانشاء « نوادى العلوم » فى المدارس والمصانع والريف والنوادى الرياضية المختلفة ايمانا بمسئولية الشباب فى تطبيق العلم والتكنولوجيا فى الدولة العصرية .

وقد أعد **الاهرام برنامجا لمساندة كل نادى علوم بمجرد تكوينه يشمل تنظيم رحلات وندوات ومحاضرات** ، وكذلك اعداد مطبوعات علمية لتبسيط احدث الاختراعات وعرض ما يشغل العالم حاليا فى مجالات البحث العلمى .

كما ينظم مشروع نوادى العلوم بالاهرام مسابقات ومعارض علمية تقدم فيها الجوائز الحافزة للموهوبين من الشباب .

كما يقوم المشروع بالاتصال المستمر بالمشروعات المشرفة على مشروعات مماثلة فى الخارج لتبادل الخبرات وتمثيل شبابنا فى المسابقات العلمية العالمية .

وقد نظمت أول رحلة علمية ضمن البرنامج لنخبة من أعضاء « نوادى العلوم » ووفد الشباب التشيكى لزيارة السد العالى ومصنع كيما باسوان ، كما يتردد على مكتبة نوادى العلوم بالاهرام عدد يتزايد كل يوم من طلبة وطالبات المدارس الثانوية بالقاهرة فى ندوة علمية مساء كل خميس وتكوين نوادى علوم جديدة .

والمأمول أن يجد مشروع نوادى العلوم للشباب الاهتمام الجدير به من قبل كافة الاجهزة المختصة فى الدولة خصوصا من الهيئات المشرفة على نشاط الشباب .

■ ■ ■

■ **ثقــــافة**

رباعيـــات الخيام : بين الاصل الصـــوفى والترجـــمة الزائفة !

ان اول ما ينبغى ان تعرفه ايها القارىء لترجمتنا ، هو اننا لا ندخل فى سباق مع فتزجيرالد بقصد الحصول على الشهرة وذيوع الصيت . والا فانه يمكنك ان تقتصر على قراءة الترجمة المعتمدة تاريخيا وتستمتع بها . ولكنك حينذاك لا تتصور للحظة واحدة انك تقرا شيئا للخيام ، وانما انت تقرا — بكل اسف — شعر فتزجيرالد . وهذا ما حاولت أنا وجريفز أن ندلل عليه » .

وبهذه الكلمات قدم كل من الشاعر الايرانى المعاصر **عمر على شاه** والشاعر الانجليزى **روبرت جريفز** ترجمتهما الجديدة لعمر الخيام ، وهى الترجمة التى اثارت اخطر العواصف الادبية فى بريطانيا هذا العام ، وذلك لانها تختلف نصا وروحا عن الترجمة التى قدمها منذ قرن كامل الشاعر الكبير **فتزجيرالد** .

والمعروف ان الخيام قد نظم رباعياته فى منتصف العمر حيث كان قد أمضى الفترة السابقة من حياته فى عملين اساسيين : اولهما الرياضيات، وبخاصة علم الجبر والفلك ، والعمل الثانى هو التفقه فى دقائق الدين الاسلامى . وقد هجر الخيام التفكير الاكاديمى حين استقال من عمله كأستاذ بكلية نيشابور وتتلمذ على احد المتصوفة . ومنذ ذلك الوقت بدأ ينظم الشعر المعبر عن احواله الروحية . وهنا يقول روبرت جريفز « ان ترجمة فتزجيرالد قد شوهت بالذات حقيقة الخيام كواحد من كبار المتصوفة .. ومن بين الصعوبات التى نشأت هنا قلة المعلومات الوثيقة عن الصوفية اثناء حياة فتزجيرالد . ونتيجة لذلك فان التفسير العام للصوفى — ويرجع هذا الى عهد الصليبيين — باعتباره وثنيا ضالا ودرويشا مجنونا قد انتشر على نطاق واسع .

كما ان ترجمة فتزجيرالد المنحرفة للخيام قد أدت الى تعزيز هذا التشويه . ومن المرجح ان اى ايحاء كان سيقابل بالتجاهل فى عصر بدات فيه التكنولوجيا الحديثة تعبىء صدر الانسان بقدرة العلم على كل شيء » .

ويقول الناقد الامريكى رامس وود فى مجلة « لايف » قد ثبت بشكل موثوق — على لسان الحكيم سنا بافغانستان — ان شعر عمر الخيام من وسائل تدريس الصوفية . وكان هو والخيام زميلين فى التتلمذ على يد الاستاذ الصوفى **ابى حامد نصر الدين محمد بن منصور** الشهيد الصوفى المشهور . وقد اصبح **ابن سينا** فيما بعد احد معلمى جلال الدين الرومى مؤلف احدى روائع الشعر الفارسى . وفى صفحة ٧٥ من طبعة بومباى لمؤلفات الحكيم سنا جاء فى احد سطورها « اننا نبدأ الرقص بقصائد ابى الفتح » والمقصود من ابى الفتح هنا هو **عبد الفتاح عمر الخيام** والرقصة هى احدى تمارين المتصوفة .

والمرجح عند عمر على شاه وروبرت جريفز ان فتزجيرالد الذى لم يدرس الفارسية الا خلال اربع سنوات فحسب ، لم يدرك الكثير من معانى شعر الخيام .. بالاضافة الى انه حاول مسايرة العصرى « المادى » الجديد بتقديم جرعات من « السعادة » اليه تقول « كل واشرب اليوم لانك ستموت غدا » . ويستشهد الشاعران بدرجات الاختلاف التى تظهر بين الطبعات الخمسة لترجمة فتزجيرالد ، فهو لم يأخذ فى « تحوير » الكثير من مقاطع الرباعيات الا بعد ان صدرت الترجمة الفرنسية لعالم فرنسى متبحر فى الفارسية هو نيكولاس ، وقد سمى ترجمته « استعارة صوفية » .. حينئذ غامر فتزجيرالد بان يضيف الى جهله باللغة التى ينقل عنها غروره بانه الوحيد فى اوروبا الذى « يعلم » بما فيها فى الطبقات الجديدة يؤكد مايدعونه باباحية الخيام ويخفف تدريجيا من صوفيته الحقيقية . واصبحت صورة الخيام فى ذهن الاجيال المتعاقبة نقيضا للصورة الحقيقية » .

وانتقلت المعركة بين الترجمة القديمة التى نقلت عنها مختلف اللغات — ومنها العربية — والترجمة الجديدة التى تعاون فى اصدارها الشاعر الايرانى والشاعر الانجليزى ، الى ابهاء « المؤتمر الدولى للحضارة الفارسية » الذى عقد مؤخرا فى طهران ، حيث وقف السير موريس باورا الاستاذ بجامعة اوكسفورد ليقول انه « لاشك فى ان فتزجيرالد ليس مدخلا مناسبا الى الخيام ، وهو لم يكن يوما هذا الدليل الذكى الى عالم الشاعر الفارسى العظيم .. غير ان العمل الذى قام به جريفز وزميله ليس مرضيا ، فقد افتقدت حرفيتها الرباعيات روحها ، باستثناء قلة نادرة من الابيات » .

ولا تزال المعركة محتدة فى الاوساط الاكاديمية الناطقة بالانجليزية وبغيرها من اللغات التى نقلت عنها ، ويترقب النقاد آثار هذه المعركة التى ستنعكس على وجدان رجل الشارع الذى صاغوا له بعض الرباعيات فى موسيقى شعبية وحناجر اكثر المطربين والمطربات شهرة وذيوعا . وما زال النقاد يتساءلون : هل يمكن ان نستبدل وجدانا عمره مائة عام بوجدان جديد ؟ ام ان صدمة رجل الشارع ستكون اعمق من صدمة الدوائر الاكاديمية ؟ هذا هو السؤال !

■■■

رسالة

المؤتمر الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب

انعقد فى القاهرة **المؤتمر العام الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب** من ٢٩ يناير الى اول فبراير ١٩٦٩ . واشترك فى المؤتمر ممثلو جميع المنظمات النقابية العربية ، وشهد الاجتماع وفد الاتحاد العالمى للنقابات والمجلس المركزى لاتحاد جميع نقابات افريقيا ومنظمة عمال أمريكا اللاتينية ، واتحاد النساء الدولى الديمقراطى ، ووفود نقابية على مستوى عالى من الاتحاد السوفييتى والمجر وبولندا والمانيا الديمقراطية ورومانيا وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا وكوريا وايطاليا وفرنسا وغينيا والسنغال والصومال وقبرص وتنجانيقا وتونس وفولتا العليا وزامبيا وأريتريا .

وافتتح الرئيس **جمال عبدالناصر** المؤتمر فى صباح التاسع والعشرين من يناير ١٩٦٩ — وقال الرئيس فى خطابه : ان **الارضية الاصلية وراء الصراع العربى الاسرائيلى هى فى الواقع وعلى**






● شيلبين ● د. فوزى السيد ● الحاج عبد الرحمن

وجه الدقة أرضية التناقض بين الامة العربية الراغبة فى التحرر السياسى والاجتماعى وبين الاستعمار الراغب فى السيطرة وفى مواصلة الاستغلال .

واختتم الرئيس خطابه بقوله « أيها الاخوة اننا نعتبر مجىء هذه الجماعة الممتازة من ممثلى الحركة العمالية العالمية الى وطننا فى هذه الظروف تأييدا واضحا لايماننا بوحدة النضال ضد **الاستعمار وأدواته وضد الاستغلال ومحاولاته .** وهذا التأييد مبعث اعتزاز كبير لامتنا العربية كما أنه مصدر عون لنا فيما نؤمن به من رسالة السلام القائم على العدل والتقدم المتبرىء من الاستغلال بكل صوره .

نشاط الاتحاد فى الفترة الماضية

واستعرضت الامانة العامة فى المؤتمر نشاط الاتحـــاد الدولى للعمال العرب ، فى الفترة من ١٩٦٥ حتى يناير ١٩٦٩ ، فى كافة المجــالات العربية والدولية :

● **شكل الاتحاد لجنـــة للحريات النقابيـة** لتضطلع بمهمة تتبع الاوضاع النقابية فى الاقطار العربية واتخاذ الاجراءات الكفيلة بتحقيق احترام وحماية المنظمات العمالية من كافة وسائل الضغط والاضطهاد ، وللجنة فى سبيل تحقيق ذلك اتخاذ القرارات لحماية الحرية النقابية سواء بالاحتجاج أو تنظيم المظاهرات واصدار البيانات وتنظيم أعمال التضامن . وفى الفترة الماضية استنكرت اللجنة حملات القمع والاضطهاد والسجن التى تعرضت لها المنظمات النقابية والنقابيين

● **وفى مجال النضال ضـد الاستعمار والصهيونية** ،عمل الاتحاد فى الفترة الماضية لتعبئة العمال العرب فى معركة النضال ضد العدوان الامبريالى الصهيونى على البلدان العربية ، فدعا الاتحاد الى مقاطعة البواخر والطائرات التى يملكها الاعداء وتدمير منابع البترول وأنابيبه ومنشآته التى يستفيد منها العدو عند قيام المعركة ، وتنظيم كتائب عمالية مسلحة لمساندة الجيش العربى وحماية مكاسب الشعب الاشتراكية وتأييد الشعب الفلسطينى ومنظماته الفدائية ، مقاومة كل حكومة عربية تسمح لقطع الاسطول السادس او بعثــات عسكرية استعمارية بزيارة موانيهـا واراضيها ، مناهضة جميع المؤسسات الثقافية الامريكية باعتبارها أجهزة للمخابرات المركزية ، **والعمل بين العمال الافارقة لتعبئة الجهود ضد النشاط المتزايد للهستدروت فى افريقيا** ــ والسعى لدى الطبقة العاملة ومنظماتها التقدمية للتضامن مع العمال العرب فى نضالهم ضد الصهيونية باعتبارها مظهرا من مظاهر الامبريالية وظاهرة عنصرية فاشية .

● **وفى مجال التضامن الدولى مع عمال العالم** عقد اجتماع مشترك فى ٢٩ و٣٠ مارس ١٩٦٨ فى صوفيا بين الاتحاد العالمى للنقابات والاتحـاد الدولى لنقابات العمال العرب وممثلين للاتحادات العمالية فى البلدان العربية والاوروبية ، وانتهى هذا الاجتماع الى اعلان « ان الاتحاد العـالمى للنقابات والاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب يدعون الى تطوير المساندة المعنوية والسياسية والمادية من العمال والنقابات فى أوروبا وفى العالم كله لنضال العمال والشعوب العربية ضـد الامبريالية وعملائها الذين جعلوا من اسرائيل قاعدة عدوانية تحظى بشكل خاص بالدعم الفعال

من الامبرياليين الامريكيين » • « وان الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات **يدعون جميع النقابات لمساندة نضال العمال والشعوب العربية ضد احتلال أراضيها المغزوة وفى سبيل استقلالها الوطنى ، ومن اجل ظروف مادية افضل ..** »

وانتهى هذا الاجتماع الى الدعوة لتكوين لجنة عمل دائمة بين الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب والاتحاد العالمى للنقابات عقدت أول اجتماع لها يومى ٢١ ، ٢٢ مايو ١٩٦٨ ، وأعلنت أن من أهدافها تنمية التعاون وتبادل الخبرات بين المنظمتين من أجل التعريف بالقضية العادلة للعمال والشعب العربى ، وهى قضية تعد جزءا لا يتجزأ من الكفاح العام الذى تخوضه الشعوب الامبريالية وأعوانها » •

ندوة الصحافة العمالية :

وبين الخامس والخامس عشر من أغسطس ١٩٦٨ عقدت بالقاهرة ندوة الصحافة العمالية العالمية بدعوة من اتحاد العمال العرب حضرها ممثلو الصحافة العمالية من بعض البلدان الاوروبية والاشتراكية ـ وناقشت الندوة مجموعة من الموضوعات الهامة ، قضية عدوان الخامس من يونيو وشرعية العمل الفدائى ، وماهية الوجود الاسرائيلى وخطر الحركة الصهيونية على السلام العالمى واسرائيل وقضية الاشتراكية والحريات العامة والحركة العمالية العربية ومواقفها النضالية . **واعلنت الندوة بعد ندواتها أن المجتمعين قد تبينوا زيف الادعاءات التى تزعم ان العرب يعتزمون ابادة اليهود وأنهم يفرقون بين اليهودية والصهيونية كعقيدة سياسية يستخدمها الاستعمار الجديد** ، وان الصهيونية تمثل حركة سياسية عنصرية توسعية تقوم على مبادىء الاستغلال والعدوان ، وتستند الى فكرة التوسع والسيطرة باستخدام وسائل العنف لخدمة مصالح الامبريالية • وان استمرار هجوم الدعاية الاسرائيلية على الاتحاد السوفييتى يمثل امتدادا لمواقفها المعادية للتقدم والاشتراكية ، **وأنه لا حل للازمة فى الشرق الاوسط الا بانسحاب اسرائيل واعادة الحقوق الشرعية لشعب فلسطين وفى مقدمتها حقه فى تقرير مصيره وبناء مستقبله على أساس من الحرية الحقة والديمقراطية الصحيحة التى لاتعترف بالتفرقة أو التمييز على قواعد دينية أو طائفية أو عنصرية أو قبلية .»**

المؤتمر الرابع وانجازاته :

وفى هذا الجو من التأييد العمالى العالمى الذى ساند الشعب العربى فى نضاله ضد الامبريالية والصهيونية ، بدأت جلسات المؤتمر الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب • وأعلنت جميع الوفود فى كلماتها تضامنها الكامل مع العمال العرب فى نضالهم من أجل تحرير أوطانهم • ولقد عبر عن الاجماع العمالى الدولى فى التضامن مع العرب بيير جنسوس الامين العام المساعد للاتحاد العالمى للنقابات ورئيس وفد الاتحاد العالمى فى كلمته :

« ان الاتحاد العالمى للنقابات وجميع المنظمات النقابية المنضمة اليه يقفون بحزم فى جانبكم فى المعركة التى تخوضونها اليوم • وليس ارتباطنا هذا ارتباطا عابرا ، بل انه موقف قائم على المنطق وعلى المبادىء التى تحكم أعمالنا • فلقد أيدناكم تأييدا مطلقا فى جميع مراحل نضالكم ، حيث شاركناكم مشاعركم وآمالكم ونجاحاتكم • وقد حدث هذا بصفة خاصة أثناء العدوان الثلاثى ضد مصر وفى يونيو ١٩٦٧ ، كما أننا أعربنا عن نفس الشعور الاخوى تجاه استقلال الجزائر ، وضد الاهداف التخريبية التى انطوى عليها حلف بغداد فى سوريا وضد التدخل البريطانى فى الاردن ، والتدخل الامريكى فى لبنان ، ودفاعا عن الجمهورية العراقية الفتية ، وتحقيقا لتدعيم ومساندة جمهورية اليمن العربية ، فضلا عن مساندتنا لتحرر شعوب جنوب اليمن » •

قضية اضطهاد التنظيمات النقابية

وناقش المؤتمر مجموعة من القضايا الهامة ـ الى جانب القضية السياسية الرئيسية ـ قضية اضطهاد التنظيم النقابى وقادته فى شمال اليمن ـ حيث اعتقل اعضاء المجلس التنفيذى للاتحاد العام ورئيسه على سيف مقبل ، وقذف السجن الموجود به القادة المعتقلون بمدافع البازوكا من قبل الحرس الخاص لرئيس الوزراء ومهاجمة مقار الاتحاد الفرعية ونهب أموالها وممتلكاتها ـ وأجمع المؤتمر على ايفاد لجنة من الاتحاد الى الجمهورية العربية اليمنية لتقصى الحقائق بخصوص انتهاكات الحريات النقابية واعتقالات القادة النقابيين اليمنيين والعمل بكافة الوسائل للافراج عن هؤلاء المعتقلين وتمكين الحركة النقابية اليمنية من القيام بدورها فى خدمة القضايا الوطنية والعربية والدولية •

العضوية فى التنظيمات الدولية

وعندما ناقش المؤتمر قضية الانتماءات الدولية ـ طال الجدل حول التعديلات الواردة فى المادة الخامسة من مشروع الدستور الجديد ، فبينما أجمع المؤتمر على الفقرة التى تنص على أنه لا يجوز انضمام أى منظمة عضو بالاتحاد الى أى منظمة عمالية دولية تقف موقفا معاديا من قضايا الشعب العربى فى نضاله ضد الامبريالية وادواتها ـ فان اغلبية المؤتمر عارضت الفقرة التى جاءت فى التعديل والتى أوجبت ضرورة أن أى منظمة عضو فى الاتحاد لايجوز لها الانضمام الى عضوية المنظمات العمالية الدولية الا بعد عرض الموضوع على المجلس المركزى وأخذ موافقته كما أنه لايجوز قبول طلب انضمام أى منظمة جديدة الا بعد ثبوت عدم عضويتها لمنظمة من المنظمات العمالية الدولية •• واعتبرت أغلبية المنظمات أن هذه الفقرة تعتبر قيدا على حرية التنظيم النقابى ـ وفى هذا أعلن الوفد السودانى فى بيانه للمؤتمر : « ان **الانتماء النقابى أمر اختيارى لا تتحكم فيه سلبا أو ايجابا اية جهة من الجهات صديقة كانت أم عدوة** ، لان طبيعة العمل النقابى اختيارى ويجب أن يظل كذلك فى كل مستويات الحركة العمالية • وفوق هذا وذاك فنحن لاندرى ماهى الحكمة وراء هذا الشرط ، أو القيد ، واسمحوا لنا أيها الاخوان أن نتحدث فى صراحة ووضوح ، وأن نضع النقاط فوق الحروف : ففى العالم اليوم جبهتان نقابيتان ، جبهة نقابية نظيفة سليمة وصديقة لنا تتمثل فى اتحاد النقابات العالمى والاتحادات المهنية التابعة له ، وجبهة يغذيها ويمولها الاستعمار ، لتكون وكيلة وسط منظمات العمال ، وهى جبهةمعادية لنافماهى الحكمة اذن من المساواة بين الجبهتين ؟

واذا كان الغرض كما قيل فى مناسبات أخرى هو الحد من نفوذ الإتحاد الحر عميل الدوائر الاستعمارية والاحتكارية ، فهذه حجة تنطوى على خطأ كبير .. نحنحركة نقابية مناضلة تعمل لخير واسعاد الطبقة العاملة وتقدم كل يوم ماهو فى صالح جماهير العمال ، وبهذه الصفة وبهذا الوضع يمكننا هزيمة الاتحاد الحر الذى لايقدم شيئا للعاملين ولا يدافع عن قضاياهم ، بل يلعب الدور المعاكس ، نحن نرى أن نفتح الابواب على مصاريعها وأن نحتك احتكاكا مباشرا بمواقع الاتحاد الحر وسنهزمه دون شك • قضية أخرى هامة نود أن نتعرض لها هنا ألا وهى ارتباطنا بالاصدقاء فى الحركة النقابية العالمية ، ونعنى على وجه التحديد اتحاد النقابات العالمى ـ لقد قدم لنا اتحاد النقابات العالمى ، والاتحادات الصديقة المنضوية تحتلوائه الكثيرمن العونالصادقالمنزه عناىغرض ،ولعل أبرز المعالم فى هذا المضمار مؤتمر صوفيا للتضامن مع عمال وشعوب العالم العربى ، واللجنةالدائمة المنبثقة عنه ، وتبنتنفس موقف السودان وفود الاردن والكويت واليمن واليمن الجنوبية وسوريا والعراق ـ وانتهى التصويت بحذف الفقرة المختلف عليها من الدستور •

وناقش المؤتمر **مجموعة من التقارير حول مشروع موحد للتأمينات الاجتماعية فى الدول العربيه** ، والتعاون الفنى فى اطار الاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب ويشمل هذا التعاون تبادل الخبراء والمنح والمعدات فى مجالات التنظيم النقابى والثقافة العمالية والخدمات الصحية والاجتماعية والتدريب المهنى •

قرارات المؤتمر

واعلن المؤتمر مجموعة من القرارات السياسية ـ جاء فيها أن الطبقة العاملة العربية بوصفها أعرض القطاعات الشعبية وأكثرها تنظيما ، ينبغى أن تتحمل من عبء الاستعداد للمعركة النصيب الادنى حتى يتسنى محو العار وازالة آثار العدوان واستعادة الحق السليب للشعب العربى بفلسطين ، وتدريب كل قادر على حمل السلاح وأعمال المقاومة الشعبية وتشجيع تكوين كتائب عمالية مقاتلة تدعيما للعمل الفدائى الفلسطينى واستمرارا له . كما أوصى المؤتمر بضرورة **العمل على تنقية التشريعات العمالية من كل مايحدالحرية النقابيةويشل حركاتها ، واسناد مسئولية الاشرافوالتخطيط والتنفيذفىالمؤسسات الثقافية العمالية الى المنظمات العمالية .** والعمل على ايفاد مندوب من لجنة الحريات النقابية التابعة للاتحاد لحضور الانتخابات النقابية التى تجرى فى كل منظمة ضمانا للتحقق من صحة سيرها بما يطمئن القواعد العمالية • وكذلك العمل على عقد مؤتمرات ولقاءات منتظمة مع القواعد العمالية فى البلاد العربية لبحث مختلف المشاكل العمالية الفنية والنقابية والتوعية بالقضايا القومية ، وانشاء المعهد العربى للدراسات العمالية خلال عام ١٩٦٩ واعداده لاستقبال النقابيين العرب وافساح المجال فيه لاستضافة وفود افريقية وآسيوية •

وقرر المؤتمر العمل فى المجال الدولى على تكوين لجنة دولية لمناصرة عمال وشعب فلسطين ، وتوثيق الروابط والعلاقات مع المنظمات العمالية فى مختلف دول العالم التى تظهر تفهما وعطفا

بالنسبة للقضايا العربية على أساس من وحدة الطبقة العاملة ووحدة حركة التحرر العالمي .

وقرر المؤتمر مد يد العون والمساعدة والدعم المادي والمعنوي للاخوة عبر الارض المحتلة لتمكينهم من الصمود ومساعدتهم على الاستمرار في المقاومة ، ومناشدة الاتحاد العالمي للنقابات وكافة المنظمات الصديقة لزيادة دعم ومساندة كفاح الطبقة العاملة العربية داخل الأرض المحتلة ، على كل المستويات وخاصة على المستوى الاعلامي .

واعلن المؤتمر تأييد ومساندة شعب فيتنام في كفاحه ضد الامبريالية الامريكية ،وطالب بضرورة تبادل التمثيل السياسي مع جمهورية المانيا الديمقراطية الشعبية .

ومن أهم المذكرات التي قدمت الى المؤتمر **مذكرة منظمة فتح** والتي أعلنت فيها « فتح » ، أن فتح تخوض حرب تحرير وطني ضد غزو صهيوني استعماري بهدف تصفية الكيان الدخيل بكل مرافقه ومؤسساته ومقوماته السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية وسائر مكوناته الحيوية ليقوم على الارض الفلسطينية دولة حرة ديمقراطية تقدمية يعيش فيها الفلسطينيون بكل فئاتهم وطوائفهم من غير أي تمييز في اللون أو العقيدة أو الجنس .

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر عقدت لجنة العمل الدائم والمشكلة من الاتحاد العالمي للنقابات والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب اجتماعها وقررت في هذا الاجتماع توسيع اللجنة لتصبح لجنة دولية ومواصلة العمل في كافة المجالات حتى يتم تحرير الاراضي العربية . وأعلن **الدكتور فوزي السيد** الامين العام للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، بأنه تقرر اشتراك الاتحاد في المؤتمر الافريقي الاوربي الذي سيعقد في كوناكري خلال الفترة من ١٨ الى ٢١ مارس ١٩٦٩ ، وهو المؤتمر الذي يستهدف تقوية أواصر التضامن ، وتعميق جذور التفاهم بين الحركة العمالية الافريقية والحركة العمالية الاوروبية ، ولتحقيق العمل المشترك بين القوى التقدمية الاوروبية والافريقية لمواجهة القوى المعادية والدوائر الاستعمارية والرجعية .

لقد كان المؤتمر الرابع للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ، مظاهرة عمالية عالمية لتأييد العمال العرب والشعوب العربية في نضالها ضد الامبريالية والصهيونية ومن أجل تحرير الارض العربية المحتلة .

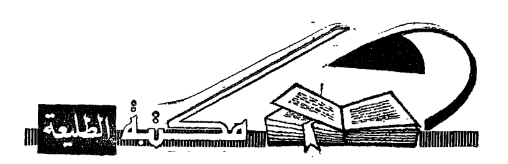
وتأكد في هذا المؤتمر أن الاتحاد العالمي للنقابات والمنظمات النقابية المنضمة اليه تقف بصلابة ووعي الى جانب الشعوب العربية في نضالها ضد البورجوازية العالمية والامبريالية وقاعدتها العدوانية اسرائيل .

ويرى بعض المراقبين أن الاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب يواجه ـ بعد مؤتمره هذا ـ أكثر من مهمة . وفي مقدمة هذه المهام : أن يزداد الاهتمام بلجنة « العمل الدولية للتضامن مع العمال والشعوب العربية » وان تتحول الاهداف التي حددتها اللقاءات المشتركة الى أعمال ملموسة . وأن يبدأ الاتحاد عملا حقيقيا للارتباط مباشرة بجماهير العاملين في البلدان العربية ، الامر الذي يستلزم **تدعيم الامانة العامة للاتحاد** بحيث تمثل تمثيلا صادقا جماهير العمال في بلادها والقيادات الحقيقية التي تمثلها .

وفي الوقت نفسه يزداد الشعور بين الحريصين على أن يؤدي الاتحاد دوره بضرورة مواجهة الاتحاد لاهم السلبيات التي ظهرت في أوجه نشاطه . وهي مهمة عاجلة لاسيما اذا عرف أن اتحاد العمال العرب مطالب في الواقع بأن يتحرك على النطاق الافريقي ليواجه النشاط المخرب « للهستدروت » (اتحاد عمال اسرائيل)، هذا الاتحاد الذي ينشط نشاطا واسعا كرأس حربة للاستعمار الجديد في القارة الافريقية .

عبد المنعم الغزالي





■ المؤسسة العسكرية الامريكية في مائة عام
■ المشكلة الغذائية والتنمية في بلدان العالم الثالث

المؤسسة العسكرية الأمريكية في مائة عام

■ تأليف : بول هاموند
■ يقدمه : شريف عز الدين

السياسة الخارجية الأمريكية هي في حقيقة امرها انعكاس لنشاط قوى ثلاث تلتقي كلها عند البيت الابيض الامريكي في واشنطن . وهذه القوى هي : الاحتكارات الراسمالية الكبرى ، والمؤسسة العسكرية الامريكية أو البنتاجون ، ووكالة المخابرات المركزية ».

غير أن الاضواء لم تتركز عندنا الا على قوتين من هذه القوى الثلاث ، وهما الاحتكارات الرأسمالية ، والمخابرات الامريكية . أما البنتاجون فلم تسلط عليه بعد الاضواء الكاشفة التي تبين مختلف جوانب المؤسسة العسكرية الامريكية التي تنتشر قواتها في العالم على قدر انتشار الاحتكارات الرأسمالية ذاتها .

واليوم نقدم للقارىء كتابا جديدا يلقى ضوءا مركزا على المؤسسة العسكرية الامريكية . وهناك ثلاثة عوامل تجعل هذا الكتاب جديرا بالدراسة .

أولها : أن هذا الكتاب لا يلقى الضوء على البنتاجون من الخارج فقط ، ولكنه يكشف لنا عن تركيبه الداخلي والاتجاهات المتضاربة التي تتحرك بداخله ومدى تأثيرها على علاقته بمختلف المؤسسات السياسية والاقتصادية في أمريكا ، وبالتالي على اتخاذ أخطر القرارات السياسية .

وثانيها : أن مؤلف الكتاب ــ وهو الاستاذ « **بول هاموند** » ــ يتمتع بمكانة ممتازة بين كبار أساتذة العلوم السياسية في الولايات المتحدة ، ولعل نشاطه في **جامعة** « **ييل** » المشهورة خير دليل على ذلك . **وثالثها :** أن هذا المؤلف قد أتيحت له فرصة الاطلاع على وثائق لم يكن من المتصور اطلاقا أن الوصول اليها ممكن . فقد درس أوراق « ستيمسون » الخاصة ، والصفحات التي كتبها فرانكلين روزفلت بخط يده . وغير ذلك من وثائق مجلس الامن القومي وهيئة رؤساء

الاركان • وفضلا عن ذلك ، تغطى الوثائق التى اطلع هاموند عليها فترة تقارب المائة عام ، وهى فترة زمنية طويلة أمكنه عن طريقها أن يتتبع الملامح الرئيسية للتطور التاريخى للبنتاجون •

العسكرية الامريكية وأهداف السياسة الداخلية والخارجية

ويبدأ الكتاب بفصل شيق عن اهداف المؤسسة العسكرية الامريكية فى الداخل وفى الخارج • فيتحدث عن صعوبة الاتفاق حول هذه الاهداف فى الوقت الحاضر نظرا لاختلاف المفاهيم الاستراتيجية للاجهزة المختلفة التى يتألف منها البنتاجون • فهناك دائما الخلاف بين كبار رجال السلاح البحرى وبين قادة القوات البرية حول اعطاء الاولوية لهذا أو لذاك • وهم يلجأون فى سبيل الحصول على هذه الاولوية الى مختلف الاساليب ابتداء من نظريات الجيوبوليتيكا (السياسة الجغرافية) التى تتعدد حول تقدير أهمية القوة البرية أو البحرية للدولة ـ الى عمليات المناورة داخل لجان الكونجرس ، وفى أوساط كبار رجال الاعمال ، بل وفى داخل البيت الابيض نفسه •

كذلك يثور الخلاف حول تحديد أهداف المؤسسة العسكرية الامريكية بين دعاة نظرية الحرب المحدودة وبين مؤيدى استخدام الاسلحة النووية فى هذه الحروب • وأمام هذا كله لم يكن هناك مفر أمام الجنرال « برادلى » الرئيس السابق لهيئة الاركان المشتركة من أن يضع عدة أهداف «مطاطة» للمؤسسة العسكرية الامريكية ، وقد عين برادلى أربعة أهداف :

الهدف الاول هو « ضمان السلم والامن » ، والثانى هو الحفاظ على أسلوب الحياة السياسية الامريكية ، والثالث هو « تحسين مستوى المعيشة » !! ، أما الهدف الرابع فهو ضمان تحقيق الاهداف السابقة لمختلف دول العالم ! والواقع أن برادلى لم يعين هذه الاهداف الاربعة الا تحت وطأة لجنة الخدمات العسكرية التابعة للكونجرس •

وكان من الطبيعى أن يؤدى تخبط العسكرية الامريكية فى البحث عن أهداف لها ـ أو بالاحرى فى تبرير وجودها الى أن أصبحت العوامل الاقتصادية هى العوامل الرئيسية التى تتحكم فى كل شىء داخل البنتاجون • ففضلا عن نفوذ دوائر المال والاعمال فى « وول ستريت » ، أصبح القيد الحقيقى الذى يحكم مخططات البنتاجون هو قيد الميزانية وحده • فقد بدأت الحكومة ـ منذ عهد الرئيس السابق ترومان ـ فى اتباع أسلوب جديد يتلخص فى قيامها بأن تحدد ـ أولا ـ كمية « البلايين » من الدولارات التى يجب انفاقها على أن يقوم البنتاجون بعد ذلك بتحديد الاهداف المختلفة على ضوء ما يتوافر لديه من دولارات •

المساومة وصنع القرارات

ومن المحتم أن تكون نتيجة القيود الاقتصادية ونقص الهدف الواضح هى صعوبة التوصل الى اتخاذ القرارات اللازمة لمختلف متطلبات البنتاجون • غير أن السبب الرئيسى فى مشاكل صنع القرارات يكمن فى تنظيم المؤسسة العسكرية الامريكية من الداخل ، وهو تنظيم يقوم على تقرير «ايبرشتاد » ، وقد قام هذا بوضع التقرير المذكور فى ثلاثة أشهر عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة بناء على طلب جيمس فورستال الذى كان وزيرا للبحرية آنذاك • وكان أهم ما أوصى به هذا التقرير هو أن تتمتع الاقسام المختلفة فى البنتاجون بقدر كبير من الاستقلال الذاتى ومن الحرية فى التصرف وفى تقدير الامور • غير ان الحقيقة التى يؤكدها « هاموند » هى انعدام متابعة التنسيق المفروض أن يوجد بين مختلف أجهزة البنتاجون • ذلك أنه لا رئيس الولايات المتحدة ولا غيره من كبار الرسميين يستطيع أن يتدخل لتتبع مسألة معينة فى داخل البنتاجون الا فى حالات نادرة ، وهى الحالات التى تتعلق عادة بمركز الرئيس الحزبى وبشعبيته • وهذا بدوره يؤدى الى صعوبة متناهية فى متابعة العمليات الخاصة بمسألة ما ، ومعرفة ما اذا كانت تأخذ مسارها الصحيح نحو الهدف المعين لها أم لا .

وتؤدى كل هذه العوامل الى أن تصبح المساومة هى الحقيقة الرئيسية السائدة بين مراكز القوى المختلفة داخل البنتاجون • والحق أن المرء عندما يقرأ كتاب « هاموند » فانه يتأثر كثيرا بهذه الحقيقة التى تدل على مدى ما وصلت اليه عملية المساومة بأن أصبحت أهم وسيلة لاتخاذ القرارات • وقد تتخذ هذه المساومة صورة الحلول الوسط بين مجموعة معينة من كبار الضباط ، وبين مجموعة أخرى ، وقد ترتكز على التسابق على كسب تأييد جماعات الضغط المختلفة كدوائر المال والاعمال وقادة الاحزاب • ومن الحقائق الهامة انه اذا نشب خلاف حاد بين فريق من العسكريين وفريق آخر يصعب على رئيس الجمهورية ، أو الكونجرس ـ للاسباب السالفة الذكر ـ التدخل

لفضها الا فى حالات نادرة ، وهنا يكون المجال واسعا أمام دو ائرالمال والاعمال التى تتدخل لفض الخلاف عن طريق نصرة الفريق الذى يتبين أكثر السياسات اتفاقا مع مصالحها ٠

العـــلاقة بين رئيس الجمهورية والبنتاجون

ومن بين الخصائص البارزة للنظام السياسى فى الولايات المتحدة ، تمتع كل وزارة بقدر كبير من الاستقلال الذاتى ٠ وفى حالة نشوب خلافات بين هذه الوزارات تقع مسئولية فضها على رئيس الجمهورية شخصيا ٠ وما لم يصدر الرئيس قرارات عملية واضحة ، فان الباب ينفتح على مصراعيه أمام الادارات لكى تتساوم فيما بينها ، بل انها ربما اتبعت سياسات متضاربة ٠ وهذا الوضع العام ينطبق بالطبع على علاقة رئيس الجمهورية بالبنتاجون ٠ وبذلك تبقى هناك مسائل عديدة معلقة بلا حل وبلا قرار يتخذ بشأنها ، ما لم يتدخل الرئيس شخصيا ، ولكنه نادرا ما يتدخل طالما كان الامر لا يتعلق بمركزه أو بشعبيته ٠

العلاقات بين البنتاجون والكونجرس

لعل المنهج الذى اتبعه « هاموند » فى عرض هذا الجانب من الكتاب يعــد دليلا على طبيعة دور المجلس التشريعى فى هذا البلد الذى يدعى بأنه نموذجا رائعا للحكومــة البـرلمانية ٠ ذلـك أن « هاموند » لا يخصص فصلا معينا من كتابه للحديث عن دور الكونجرس فى وضع سياسة الدفاع ، ولكنه يقدم لنا مناقشة لدور الكونجرس باعتباره عاملا من بين عدة عوامل تساهم معا فى الترتيبات التنظيمية للدفاع الوطنى ٠ وهــذه المناقشة تبدأ ــ فى هذا المؤلف ــ بعام ١٨٩٩ ، فيقدم لنا « هاموند » لمحات لمساهمة الكونجرس فى مسائل دفاعية عديدة منذ تـولى « اليهوروت » وزارة الدفاع (١٨٩٩ ــ ١٩٠٤) ثم قيام « هنرى ستيمسون بأعباء هذه الوظيفة فى عهد الرئيس تافت ، ثم فى عهد الرئيس روزفلت عام ١٩٤٠ ، وحتى تعيين « توماس جيتس » آخر وزير للدفاع فى عهد ايزنهاور ٠

ويخلص الكاتب من هذا العرض التـاريخى لطبيعة العلاقة بين الكونجرس والبنتاجون الى أن هذه العلاقة قد مرت بثلاث مراحل رئيسيـة منذ أوائل هذا القرن وحتى الان ٠ وتبدأ المرحلة الاولى مع بداية هذا القرن وقد كان الكونجرس قادرا حينئذ على السيطرة على تخطيط وتنفيذ سياسة الدفاع بواسطة اللجان التابعة له لدى مختلف أجهزة الجيش والبحرية ٠ والواقع أن سيطرة الاجهزة التشريعية على المؤسسة العسكرية فى هذه الفترة ترجع ــ فى رأينا ــ الى مجموعة الظروف التاريخية التى أحاطت بالواقع الامريكى آنذاك ٠ وأبرز هذه الظروف هو ما يسمى « بسياسة العزلة » التى اتجهت اليها الولايات المتحدة قبيل الحرب العالمية الاولى ، والتى قصد بها أن تكون الولايات المتحدة بعزلة عن الصراع الاستعمارى بــين دول أوروبا ٠ ويرجــع السبب الرئيسى لهذه «العزلة» الى أن بنيان الاقتصاد الامريكى فى ذلك الوقت كان لا يزال فى مرحلة الانطلاق ولم يكن بوسعه أن يتوسع على الصعيد العالمى على النحو الذى تقوم به الاحتكارات الكبرى فـى الوقت الراهن ٠ وهذه الحقيقة فى حد ذاتها تدعونا لان نتحفظ فى تقبل مدلول سياسة العزلة هذه ــ ليس من الناحية التاريخية فقط ــ وانما من الناحية الجغرافية ايضا ، نظرا لان هذه « العزلة » لم تكن تشمل امريكا اللاتينية ، والتى كانت تقع تحت حماية الولايات المتحدة بمقتضى « مبدأ مونرو » منذ عام ١٨١٤ ٠

غير أن سيطرة الكونجرس على سياسة الدفاع الوطنى قد تضاءلت بسبب قيام الحرب العالمية الاولى ، واشتراك الولايات المتحدة ــ الى جانب الحلفاء ــ فى هذه الحرب ٠ وعلى عكس ما كان متوقعا بعد سنوات الحرب مباشرة ، لم يتمكن الكونجرس من السيطرة مرة أخرى على المؤسسة العسكرية الامريكية على الرغم من ميل الرأى العام الامريكى الى سياسة العزلة ، وهو ما انعكس على رفض مجلس الشيوخ التصديق على معاهدة فرساى عام ١٩١٩ ، وعدم اشتراك الولايات المتحدة فى عضوية عصبــة الامـم ٠ وقــد ذكر « هاموند » فى كتابه أن « ستيمسون » الذى كان وزيرا للدفاع فى ذلك الوقت قد أطاح بكبار الضباط الموالين للكونجرس ولزعمائه ٠ فلقد كان ستيمسون يدرك أن الوقت قد حان لكى تصبح الولايات المتحدة قوة كبرى فى السياسة الدولية، وأن الاستثمارات الامريكية فى الخارج تحتاج أول ما تحتاج الى قوة عسكرية كبرى تقوم بحمايتها من خطر الدول الكبرى ومن شعوب البلاد التى يستثمر فيها رأس المال على السواء ٠ وقد بلغ الامر بستيمسون أن بذل مساعيه لدى أصدقاء الرئيس المنتخب للعمل على اختيار خليفة له يستطيع أن يدرك « أهمية أن يكون وزير الدفاع ممثلا للسلطة التنفيذية وليس لوجهة نظر الكونجرس » (ص ٢٨ ج ٢) ٠

أما المرحلة الثالثة والاخيرة لتطور العلاقة بين الكونجرس والبنتاجون ، فهى تبدأ منذ أواخر أيام

الحرب العالمية الثانية حتى اليوم • ولقد خضعت هذه المرحلة للحقيقة الرئيسية التى تحكم الحياة الإمريكية اليوم ألا وهى الاحتكارات الرأسمالية الكبرى • اذ كان من الطبيعى أن تحتضن هذه الاحتكارات المؤسسة العسكرية صاحبة الفضل الاول فى الحفاظ على الثروات الطائلة فى الخارج سواء أخذت هذه الثروات شكل مواد خام أو أسواق واسعة لاستهلاك المنتجات المصنوعة • ونتيجة لذلك أخذت سيطرة الكونجرس تتضاءل حتى كادت أن تتلاشى • ويقول هاموند فى هذا الصدد : « منذ ربيع ١٩٤٤ ولجنة برامج ما بعد الحرب التابعة لمجلس الشيوخ منهمكة فىدراسة اعادة تنظيم وزارة الدفاع • وفى كل مرة تنتهى فيها اللجنة من مسألة ما كانت تدعو الكونجرس الى دراسة هذه المسألة والى « الموافقة » عليها • وكان الكونجرس يتردد ازاء تزايد المركزية فى وزارةالدفاع ويحاول أن يخفف من حدتها • ولكنه لم يتمكن فى النهاية الا أن يتقبل هذه المركزية • وهكذا أصبحأقصى مايستطيع الكونجرس ان يفعله فى المسائل العسكرية هو أن يؤخر من مدة اصدار قرار معين ، لا أن يلغى هذا القرار ؟ [ص ٣٨٢ ج٢] وهذا الامر يتعارض والحقيقة الرئيسية فىالديمقراطية البرلمانية ، الا وهىقيام الكونجرس باصدار التشريعات بذاته • ومعنى هذا أن الاية قد انقلبت وأن الامور تسير بعكس الاسلوب السليم ، وأنالكونجرس لم يعدسوىأداة لاضفاءالمشروعية على قرصنة وزارة الدفاع !

والمحصلة النهائية لهذا التطور هو أن البنتاجون قد أصبح « مؤسسة » عسكرية بمعنى الكلمة • فهو جهاز ينفرد بخصائص محددة أهمها أنه الجهاز الوحيد الذى فى حوزته هذا الحشد الهائل من الاسلحة التقليدية والنووية • ، وهو جهاز لا يخضع لسيطرة الكونجرس أو الاحزاب ، بل أن سيطرة رئيس الجمهورية عليه محدودة للاسباب السالفة الذكر •• ولكن المسيطر الحقيقى على الكونجرس هى الاحتكارات الكبرى خصوصا وأن نظام الانتاج الحربى فى الولايات المتحدة يقوم على رأس المال الخاص •• ومعنى هذا أن الامر قد يصل الى أن تفرض المؤسسة العسكرية على رئيس الجمهورية اتخاذ بعض القرارات •

هذه هى فى ايجاز خلاصة كتاب «هاموند» عن المؤسسة العسكرية الامريكية •• وهو لاشك يقدم لنا فى هذا الكتابدراسة شيقة تستند الى شبكة واسعة لمصادر المعلومات المختلفة • فهو مرجع قيم لمسائل التنظيم والادارة والتنسيق ، وميدان لدراسة نظريات السلوك وأثرها فى تخطيط وتنفيذ سياسة الأمن القومى •

الاساس الايديولوجى للمؤسسة العسكرية

والحق أنه لا يوجد فى الكتاب ما يدعوناالى تحيز هاموند الى صف المؤسسة العسكرية الامريكية • ولكنه لا يناقش المسألة على ضوء اطار فكرى ذو أبعاد محددة أو على الاقلمعروفة • فالجانب الحقيقى فى الموضوع يكمن فى الاجابة على سؤال محدد : « **ما هو الاساس الفكرى الذى تقوم عليه المؤسسة العسكرية الامريكية ؟** » •

ونحن لانجد فى التخصص أو فى « الاكاديمية » عذرا لذلك النقص فى الكتاب • فالمفروض أن المؤسسة العسكرية هى ذلك الجهاز الذى يقوم بتعبئة القوى الوطنية وتزويدها بالاسلحة بقصد حماية الامن القومى ضد الاخطار الخارجية • والدولة التى تؤمن بعقيدة معينة لابد أن تسلح جيشها بهذه العقيدة قبل أن تسلحه بمعدات الحرب الحديثة • فما هى « العقيدة » التى يدافع عنها الجندى الاميركى فى فيتنام أو فى الدومينيكان ؟ •• ان اجابة هذا السؤال تقودنا الى تبيان الثغرة الحقيقية فى بنيان الدفاع الامريكى ، وهى أن هذا البنيان الرهيب لا يعمل فى خدمة قضية انسانية معينة ، وأنه ليس فى حقيقة أمره سوى أنياب حادة يتسلح بها الوجه الشره للاحتكارات الامريكية • ولعل غياب العقيدة هو السببفيما أوضحه هاموند فى أول الكتاب منعدم قدرة العسكريين الامريكيين على الاتفاق على أهداف محددة لمؤسستهم هذه •

مستقبل المؤسسة العسكرية الامريكية

وهذا يدعونا الى طرح سؤال النهاية التقليدى : ما هو مستقبل المؤسسة العسكرية الامريكية ؟

لاشك أن هذهالمؤسسة قد تلقت صفعاتأخيرة أطاحت بكرامتها أمام العالم ، ابتداء من أحداث كوبا والدومينيكان والحرب فى فيتنام ، ثم المظاهرات الصاخبة للاحتجاج على زيارة الاساطيل الامريكية لبعض البلدان • ولعل منأهم الضربات التى وجهت الى المؤسسة العسكرية الامريكية التى سوف يكون لها تأثيرا بالغا على مستقبلها هو موقف فرنسا من حلف الاطلنطى ، قاعدة العسكرية الامريكية فى قلب اوروبا •

وبالاضافة الى ما سبق ، لا يمكن القول بأن استبعاد احتمال قيام حرب نووية سوف يحد من نفوذ المؤسسة العسكرية الامريكية • صحيح أن

هناك ميزانا للرعب النووى ، ولكن هذا الميزان قد يختل فى أية لحظة • كذلك قد يكون من المتصور أن التعايش السلمى سوف يؤدى الى اصابة المؤسسة العسكرية بالبطالة ومن ثم بالجمود • ولكن حتى لو تحقق هذا الاحتمال ، فان تضخم المؤسسة العسكرية ـ الى جانب عدم اقحامها فى مواقع معينة ـ يفيض على المجتمع بأضرار عديدة • لعل أخطرها هو تقويض البنيان السياسى نفسه ومن ثم الاطاحة بالديموقراطية •

وعلى ذلك يمكن التنبؤ بأن العسكرية الامريكية سوف تزداد قوة وشراسة ، لسببين :

الاول اقتصادى وهو تزايد قوة الاحتكارات الامريكية فى العالم • اذ يتوقع البعض لها أن تصبح القوة الاقتصادية الثانية فى العالم بعد الاقتصاد الامريكى المحلى ، وهذا سوف يؤدى بالضرورة الى توسع هائل فى الامكانيات العسكرية للولايات المتحدة • **والسبب الثانى عسكرى** بحت وهو أن استبعاد قيام حرب نووية يتطلب من الدول الكبرى ـ عند الضرورة ـ الابقاء على الحروب التقليدية كاحدى وسائل السياسة الخارجية •

ومع كل ماسبق ، هناك نقطة لاينبغى تجاوزها أثناء الحديث عن مستقبل العسكرية الامريكية ، وهى أن الطرف الثانى فى معظم مواقع صداماتها المباشرة ـ كفيتنام والدومينيكان ـ يتكون من قوات العصابات • ولا شك أن جزءا كبيرا من مستقبل المؤسسة العسكرية الامريكية يتوقف على الاجابة على سؤال هام ، هو : هل تستطيع القوات النظامية أن تلحق الهزيمة بقوات العصابات ؟ أم أن العكس هو الصحيح ؟

كل ذلك يقودنا الى أن نقرر فى النهاية أن مستقبل المؤسسة العسكرية الامريكية يتوقف على كفاح دول آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ضد سيطرة الاحتكارات الامريكية ، لسبب بسيط ، وهو أن هذه الدول هى الميدان الذى تصر الاحتكارات الامريكية على استنزافه حتى النهاية.



المشكلة الغذائية والتنمية فى بلدان العالم الثالث

لاشك فى ان المشكلة الغذائية تمثل احدى المشاكل التى تضغط بثقلها على بلدان العالم الثالث ، وتشغل اذهان كثير من المفكرين فى عالمنا . وتدور مناقشات واسعة النطاق بين مختلف المدارس والاتجاهات حول طريق التغلب على هذه المشكلة التى تهدد شعوب العالم الثالث بخطر مجاعة وشيكة الوقوع،وتوجيه التنمية فى تلك البلدان نحو تخفيف حدة مشكلة الغذاء والتغلب عليها • وسنحاول فى ذلك العدد أن نستعرض باختصار مقالين نشرا فى الفترة الاخيرة حول هذا الموضوع الهام . فالمقال الاول نشرته مجلة انترناشيونال افيرز السوفيتية فى عدد ديسمبر ١٩٦٨ ، والمقال الثانى نشرته مجلة نيوزويك الامريكية فى عددها الصادر بتاريخ ٣ فبراير ١٩٦٩ •

بدأ الكاتب السوفيتى **ف • راستيا نيكوف** مقاله بالاشارة الى خطورة المشكلة الغذائية كما تواجهها بلدان العالم الثالث ، وأوضح أنه لم يحدث من قبل أن واجهت البشرية نقصا فى موارد الغذاء كما تواجه اليوم فى البلدان المتخلفة التى يصل سكانها الى ٤٥ فى المائة من سكان العالم • واشار الى أن موارد الغذاء فى معظم تلك البلدان تصل الى

حوالى ١/٠ الحد الادنى اللازم للاستهلاك . وبينما تتمكن الطبقات الميسورة الحال من سد احتياجاتها من المواد الغذائية ، نجدان الجماهير العريضة من الشعب فى تلك البلدان تعانى من نقص شديد فى المواد الغذائية يصل حد المجاعة . ورغم هذا المعدل المنخفض لاستهلاك الغذاء ، تتزايد احتياجات البلدان ، النامية بسرعة نظرا لمعدل زيادة السكان السريع . فالى أى درجة يمكن للانتاج فى تلك البلدان أن يفى باحتياجات الغذاء المتزايدة ؟ ان معدل الزيادة فى انتاج الغذاء يتناقص من ٢ر٧ فى المائة عام ٥٣ الى ٢ر٢ فى المائة عام ٦٥ ، وذلك فى الوقت الذى يتزايد فيه السكان بمعدلات عالية . ففى الهند على سبيل المثال يزداد السكان سنويا حوالى ٥٥ مليونا بينما يتناقص انتاج الغذاء ١ر٩ فى المائة سنويا . وهكذا تتسع الهوة بين انتاج الغذاء والاحتياجات الفعلية فى تلك البلدان مما يشكل عقبة خطيرة أمام التنمية الاقتصادية .

ان نمو الهوة بين معدل الطلب القومى على المواد الغذائية وبين الموارد الغذائية المتاحة ، هو أحد مظاهر عدم التوازن فى النمو الاقتصادى فى تلك البلدان . ويرجع انعدام التوازن كذلك الى المعدل العالى لنمو سكان المدن ، نتيجة للهجرة الواسعة من الريف بعد الحرب الثانية . والى جانب ذلك زيادة التمايز الطبقى فى الريف ووجود فائض قوى عاملة ضخم يقدر على سبيل المثال ب ٢٥ فى المائة من مجموع سكان ريف الهند . كما يرجع الى زيادة عدد العمال الاجراء الذين ينفقون دخلهم على شراء المواد الغذائية فى الاساس . ان هذه التغييرات التى حدثت فى تركيب السكان عقب الحرب العالمية الثانية قد زادت من نسبة السكان الذين يستهلكون من المواد الغذائية فى السوق ، بما يزيد عن معدل الزيادة العامة فى السكان . ولا يزال مستوى الانتاج من أجل السوق منخفضا للغاية بسبب طبيعة التركيب الاقتصادى والاجتماعى للزراعة ، حيث يقوم الاقتصاد الفلاحى فى الاساس على الانتاج من اجل الاستهلاك وليس الانتاج من أجل السوق .

وحتى يتم تطوير الزراعة وتحسين حياة ملايين الفلاحين الجائعين لابد من اجراء تغييرات هامة فى هيكل الاقتصاد الزراعى ، والعلاقات الاجتماعية . اذ يجب تصفية الاقطاع ومخلفاته واجراء اصلاح زراعى جذرى . غير أن ذلك سيدعم من المزارع الصغيرة بانتاجها المخفض كما سيؤدى الى زيادة استهلاك الفلاحين للمواد الغذائية وخاصة فى المراحل الاولى من تطبيق الاصلاحات الزراعية . ولذلك لاتجد تلك البلدان من سبيل للتغلب على تلك المشكلة سوى السوق الخارجى ، وهكذا زادت وارداتها من المواد الغذائية بشكل مضطرد ، وزادت فى المتوسط من ١٠ر٦ مليون طن عام ٥٣ الى اكثر من ٢٧ مليون طن عام ١٩٦٥ .

غير أن زيادة اعتماد تلك البلدان على استيراد المواد الغذائية من الاسواق الخارجية يزيد من ارتباطها بالاقتصاد الرأسمالى . وذلك هو الهدف الذى ترمى اليه الولايات المتحدة من وراء سياستها لمد البلدان النامية بالمواد الغذائية طوال السنوات العشر الماضية . وتمكنت الولايات المتحدة نتيجة لتلك الاوضاع من تصدير ٥٦ فى المائة من واردات الشرق الاقصى من القمح ، ٧١ فى المائة من واردات الشرق الاوسط وبذا ملأت الفراغ القائم فى سوق المواد الغذائية فى البلدان الحديثة الاستقلال . وهى تستغل هذا الوضع للضغط على تلك البلدان وللتأثير على سياستها الخارجية وللحصول على امتيازات اكبر لرؤوس الاموال الامريكية ، كما يؤدى الى تحكمها فى اسعار المواد الغذائية وبالتالى الى تدهور اسعار المواد الغذائية فى البلدان النامية وحرمان الزراعة من جزء من دخلها القومى مما يؤدى بدوره الى تدهور الانتاج الزراعى .

والطريق الوحيد للتغلب على المشكلة الغذائية فى نظر الكاتب السوفيتى هو طريق اجراء تغييرات جذرية فى الزراعة حتى تتمكن من ملاحقة وسبق النمو السكانى فى انتاجها للمواد الغذائية . وعلى تلك البلدان أن تهتم بحل مشكلة الانتاج الزراعى وتطويره لانه هو الطريق للتغلب على مشكلة الغذاء الذى تواجهها . ولتحقيق ذلك لابد من اجراء تغييرات جوهرية فى هيكل الاقتصاد الزراعى والعلاقات الاجتماعية باجراء اصلاحات زراعية جذرية وتعبئة كل الطاقات الانتاجية فى الزراعة ، والقضاء على الوحدات الانتاجية الصغيرة ، وذلك عن طريق خلق مزارع كبيرة ترتكز على انتاجية عالية فى العمل ، وعلى تسويق الجزء الاكبر من منتجاتها . وليس امام تلك البلدان من سبيل لتحقيق ذلك سوى تشجيع التعاون واقامة المزارع التعاونية الضخمة التى تساعدها الدولة للتغلب على مشكلة تفتيت الارض الناتجة عن الاصلاحات الزراعية . غير أن الطبقات الحاكمة فى عدد كبير من تلك البلدان تحاول التغلب على المشكلة عن طريق تأجيل الاصلاحات الزراعية أو تفريغها من مضمونها أو اعادة بناء هيكل الزراعة ببطء على اسس رأسمالية بتطوير الطبقات الاقطاعية الى رأسمالية زراعية وهذا هو ما ترمى اليه الولايات المتحدة من وراء سياسة فائض الحاصلات الزراعية بهدف تطوير طبقة رجعية فى الزراعة تكون احتياطيا لمصالحها فى تلك البلدان .

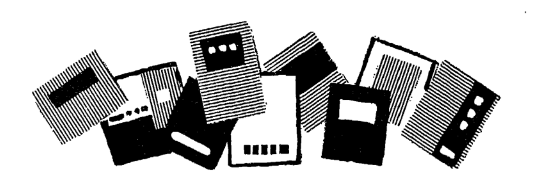
ويختم الكاتب السوفيتى مقاله بالاشارة الى أن القضاء على تخلف الزراعة يستلزم تخصيص

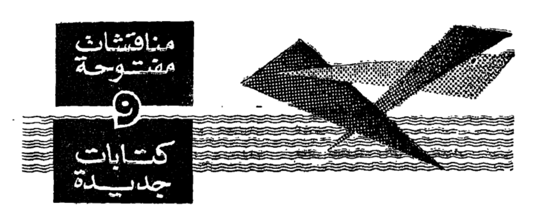
اعتمادات اكبر من التراكم القومى لصالح الزراعة والصناعات المرتبطة بها ، واعطاء مزيد من الاهتمام للاستثمارات الزراعية ومشاريع الرى والاسمدة والارشاد الزراعى بهدف نشر الاساليب الحديثة وتعميم وسائل الانتاج الحديثة فى الزراعة • وهو يطالب بضرورة اعطاء مزيد من الاهتمام للانتاج الزراعى وتطويره بهدف التغلب على المشكلة الغذائية التى تهدد مئات الملايين من الناس فى بلدان العالم الثالث •

● ● ●

أما مجلة « **نيوزويك** » الامريكية فتشير فى بداية مقالها الى اعتقاد كثير من المهتمين بمشاكل البلدان الفقيرة ان تلك البلدان ستواجه مجاعة محتومة ان لم تهتم البلدان الغنية وتهب الى مساعدتها • غير أن « **روبرت ماكنمارا** » مدير البنك الدولى يرى على عكس هؤلاء المتشائمين فيقول « اننا على شفا ثورة زراعية تفوق أى تطور آخر منـذ الثورة الصناعية » . ويقول « أن الفرصة تتضاعف حتى أنه مع التحسينات المتواضعة التى ستتم حتى عام ٧٥ لن يكون هناك مجـاعات واسـعة » • وترى « **النيوزويك** » أن تلك الثورة الزراعية التى يتحدث عنها ماكنمارا ترتكز على عدة عوامل اهمها تحسين الاسمدة والالات الحديثة وتحسين الرى ومقاومة الافات وتحسين البذور بتهجين انواع جديدة من القمح والارز اكثر انتاجا من سابقتها •

ونسوق على سبيل المثال أن المكسيك قد طورت منذ ٢٥ عاما نوعا جديدا من القمح ضاعف انتاج الهكتار الى اربعة اضعاف ، كما استنبط علماء الفلبين نوعا جديدا من الارز عن طريق التهجين سموه ار ــ ٨ يمتاز بكثافته ونضوجه المبكر بحيث يمكن أن يعطى محصولين أو ثلاثة فى العام ، واستنباطهذا القمح والارز الجديدين بالاضافةالى أنواع اخرى من الحبوب سيكون له اثر ضخم . ومن ذلك يتضح أن المشكلة فى جوهرها كما يراها ماكنمارا هى على حد قوله « ان الزراعة لا تزال تخطو خطواتها الاولى نحو التنمية » . ان كثيرا من البلدان الفقيرة قد أعطت اهتماما ضـخما للصناعة الثقيلة جريا وراء تقليد الطريق الاوروبى فى التطور ، كما أن التنمية لم تكن تخضع لتخطيط جيد ، وهذا هو أحد أسباب الازمة التى تواجهها تلك البلدان • ان على تلك البلدان اذا ما أرادت التغلب على أزمة التنمية وحل مشكلة الغذاء ، أن تبـدأ بمزارع صغيرة للاكتفاء الذاتى ، ثم تطور اقتصادها الزراعى نحو انتاج فائض وتعمل على تنمية الحرف ثم الصناعات الصغيرة لمـواجهة الاحتياجات المحلية ، ومع نمو المدخرات تنتقل الى الصناعة الثقيلة ، وعلى البلدان الفقيرة ان تبدأ باجراء اصلاح زراعى بهدف زيادة الانتاج وتحسين حياة الفلاح واثارة الحافز لديه ، وبعـد تطـور الزراعة تبدأ المرحلة الثانية مرحلة اقامة الصناعات الخفيفة لتوفير العملات الاجنبية ، وبعد ذلك يتم الانتقال الى مرحلة الصناعة الثقيلة .





سؤال الى الطليعة

تمكن الحزب الجمهورى الامريكى ، فى انتخابات الرئاسة الاخيرة ، من انجاح مرشحه ــ ريتشارد نيكسون ليصبح رئيسا للولايات المتحدة . ولا شك فى ان تعريفنا بالحزب الجمهورى ، سوف يلقى كثيرا من الضوء على ما يمكن ان تتخذه الادارة الجديدة من مواقف .

محمد فهمى على
جامعة القاهرة

تأسس الحزب الجمهورى فى عام ١٨٥٤ من ممثلى البورجوازية والاقطاع فى شمال امريكا . وقد سيطر على الحزب فى ذلك الوقت تياران أساسيان ، تيار ديمقراطى راديكالى عرف باسم « فرى سويلر » يدعو الى تغيير القوانين القديمة التى لم تعد تلائم ظروف تطور أمريكا فى ذلك الوقت ، وتيار آخر يمينى تمسك بهذه القوانين ووقف ضد الغائها .

وفى عام ١٨٦٠ ، رشح الحزب الجمهورى ، ابراهام لنكولن فى انتخابات الرئاسة حيث انتصر على منافسه من الحزب الديمقراطى (تأسس فى عام ١٨٢٨) . وخلال الحرب الاهلية الامريكية وقف التيار اليمينى ضد اتجاه التيار الديمقراطى فى المطالبة بتصفية النظام العبودى . ولكن استطاع التيار الديمقراطى ان يفرض وجهة نظره حين أصدرت الحكومة قانون توزيع الارض الذى دار اساسا حول تحرير العبيد .

وبانتهاء الحرب (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) دعم التيار الديمقراطى مراكزه داخل الحزب الذى دعم وجوده فى الحركة السياسية بدوره حيث أصبح أتوى ممثل للبرجوازية الكبيرة ودكتاتوريتها فى أمريكا ، مستخدما فى حركته سلاح « الديماجوجية » و « الرشاوى » •

وقد فاز الحزب الجمهورى بالحكم فى انتخابات عام ١٨٦٥، واستمر فى السلطة حتى عام١٨٨٥ وفى عام ١٨٨٩ حتى عام ١٨٩٣ ، وفى عام ١٨٩٧ واستمر حتى عام ١٩١٣ ، وفى عام ١٩٢١ واستمر فى الحكم حتى عام ١٩٣٣ ، وفى عام ١٩٥٣ حتى آخر عام ١٩٦٠ ، ثم فى انتخابات عام ١٩٦٨ ، أى أنه حكم أمريكا لحوالى **نصف قرن** على امتداد سنوات متفرقة •

ومع تطور الرأسمالية الامريكية ، أصبح الحزب الجمهورى ممثلا لمصالح الاحتكاريين الاستعماريين ، فخلال حكم رئيسه ماكنلى،شنت الولايات المتحدة الحرب ضد اسبانيا فى عام ١٨٩٨ • وخلال حكم **تيودور روزفلت** ، مارست حكومته سياسة التدخل المتعدد الاشكال فى شئون أمريكا اللاتينية وعلى حساب شعوبها • وفى ١٩٠٠ حتى ١٩٠١ شاركت حكومة الحزب الجمهورى فى تصفية الثورة الوطنية فى الصين • وفى عام ١٩٠٣ ، استولت حكومة الحزب الجمهورى على قناة بناما • وبعد انتصار الثورة السوفيتيةطالبت قيادة الحزبالجمهورى ، وايدت حرب التدخل ضد الاتحاد السوفيتى لتصفية الثورة الاشتراكية •

ومن المواقف المعروفة لزعماء الحزب الجمهورى ، العمل الدائب على بعث العسكرية فى المانيا • فخلال الحرب العالمية الثانية ، كان لهم رأى يقف ضد اقامة حلف معاد للفاشية ، وضد فتح جبهة ثانية فى أوربا أثناء غزو هتلر للاتحاد السوفيتى •

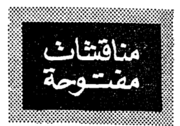
ومنذ عام ١٩٥٣ وحتى آخر عام ١٩٦٠ فى ظل حكم الحزب الجمهورى [برئاسة ايزنهاور ونائبه نيكسون) ، ظلت الحكومة الامريكية تمارس سياسة التدخل فى شئون البلدان المستقلة لاقامة أحلاف ضد المعسكر الاشتراكى ، وضد حركات التحرر الوطنى فى العالم • ويعد هذا الحزب ، **أحد المهندسين الاساسيين لسياسة « حافة الهاوية » و « الحرب الباردة » ومخطط مبدأ « من ليس مع أمريكا فهو ضدها »** •

وتاريخ مواقف الحزب الجمهورى من قضايا الشعوب العربية غنى عن التعريف • لانه تاريخ حافل بالتدخل والتآمر والعداء • فمن « حلف بغداد » الى « رفض تسليح مصر » ثم رفض تمويل السد العالى » الى « مشروع هيئة المنتفعين لقناة السويس وتدويلها » الى « مشروع ايزنهاور » والوقوف ضد « ثورة العراق » والهجوم على الحركة الوطنية فى الاردن وفى سوريا ، الى الوقوف ضد « الوحدة العربية » وانتهاج سياسة العداء لتجربة « الجمهورية العربية المتحدة » ثم « التدخل فى لبنان » واقامة القواعد العسكرية فى الوطن العربى والعداء لثورة الجزائر • هذا فضلا عن شبكات التخريب والتجسس والتآمر الذى أقامها ضد النظام المتحرر فى مصر •

وبرغم أن الحزب الجمهورى لا يعتمد بشكل أساسى فى معاركه الانتخابية على « أصوات اليهود » فى أمريكا ، الا انه ينطلق فى سياسته ازاء الشرق الاوسط من نقط أولى احداها ضرورة وجود اسرائيل ودعم كيانها المادى والعسكرى •

ويعقد الحزب الجمهورى مؤتمرا عاما كل أربع سنوات لاختيار مرشحيه للرئاسة ونوابهم • أما ما بين انعقاد مؤتمراته فتمارس أعمال الحزب ، لجنة مشكلة من ممثلين عن الولايات . وليس للحزب تنظيم عضوى ، فممثلوه هم أصحاب الاحتكارات الذين تجمعهم « **اللجنة الوطنية**» للحزب بناء على دعوة منها فقط مرة كل أربع سنوات لاختيار مرشح الرئاسة ونائبه •

وقبل انتخابات الرئاسة تعلن « اللجنة الوطنية » عن برنامجها لكسب الاصوات • هذا البرنامج الذى سرعان ما يختفى بعد الوصول الى السلطة • وعندئذ لا يفترق حكم الحزب الجمهورى عن الحزب الديمقراطى فى الخط العام وفى الاهداف ، وان اختلف الحزبان فى التفاصيل أو فى بعض الاساليب •



مع شـــاندر جاشبار و بيــير جنســوس

شارك الاتحاد العالمى للنقابات، فى المناقشات التى جرت خلال انعقاد المؤتمر الرابع للاتحاد الدولى لنقابات العمال العرب .

وقد التقت « الطليعة » ببعض الشخصيات البارزة التى حضرت المؤتمر ، واقامت معهـا حوارا مفتوحا حول عدد من القضايا الهـامة التى تشغل اهتمام الحركة العمالية من جهـة والرأى العام — على اتساعه — من جهة اخرى. وتعرض « الطليعة » هنا أهم أجزاء هذا الحوار المفتوح الذى أجرته مع شاندرجاشبار رئيس الاتحاد العام للنقابات المجرية وعضو المـكتب السياسى لحزب العمـال المجـرى ، ومع بييرجنسوس السكرتير العام المسـاعد للاتحـاد العالمى للنقابات .

وقد وجهت « الطليعة » أربعة اسئلة اجاب عنها شاندرجاشبار ، ثم ركزت فى حوارها مع بيير جنسوس ، على دور الاتحاد العالمى للنقابات فى الكفاح ضد الامبريالية وموقفه من العدوان الصهيونى الامبريالى على البلاد العربية وعن المؤتمر السابع للاتحاد الذى سيعقد فى اكتوبر ١٩٦٩ فى بودابست وتشترك فيه منظمات تمثل أكثر من ١٣٠ مليون عامل ، وعن المؤتمر النقابى الافريقى الاوروبى الذى سينعقد فى الفترة ما بين ١٨ — ٢١ مارس الحالى فى غينيا .

وفيما يلى اجابات شاندرجاشبار ، ثم الحوار الذى جرى مع بيير جنسوس :

شـــــاندر جاشــــبار

السؤال الاول :

■ يعتبر الاتحاد العالمى للنقابات مركزا رئيسيا للتضـامن العمـالى العالمى ضد الامبريالية وكل الحركات الرجعيـة والفاشـيـة ، ولـما كانت الصـهيونية الان احـدى الحركات الرجعيـة التى تسـندها حراب الامبريالية ، فهل يمكننا تتبع مواقف الاتحاد العالمى من هذه القضية ؟

□ نحن نعتبر العدوان الاسرائيلى ظاهرة من ظواهر النضال الطبقى الذى يجرى على النطاق العالمى ، ونحن لا نعتبر هذا النزاع نزاعا دينيـا او عنصريا ، بل هو جزء مكمل وحيوى فى الصراع الذى يحدث فى العالم . وبلا شك فان المعتدى هو اسرائيل .

ونحن عندما نقول ان هذا العدوان جزء متمم للنضال الطبقى على نطاق عالمى ، فاننا نعنى ان هذا النضال يجرى فى مجرى أيديولوجى .

والخلاف فى المجال العالمى لا يقتصر فقط على البلدان الاشتراكية والبورجوازية العالمية وحدها، بل يتعداها الى البلدان المتحررة حديثا ، والبلدان التى تسير على طريق التقدم الاجتماعى . وعليه فمـا هو دور البورجوازية العـالمية فى هـذا النزاع ؟ ان موضـوع النزاع لم يكن هو شـبه جزيرة سـيناء أو خليج العقبـة ، انما هو قلب النظام القائم فى الجمهورية العربية المتحـدة .

فانهم لو نجحوا فى يونيو عام ١٩٦٧ ، فى قلب هذا النظام ، وشكلوا نظاما يكون صنيعة أمريكية لانسحبت قواتهم بعـد يومين من شـبه جزيرة سيناء . ويجب أن نضع فى اعتبارنا هذا الموضوع ونحن نجيب عن السـؤال الخاص بموقف الاتحاد العـالمى للنقابات ، فقـد سـاندت النقابات فى البلدان الاشتراكية ، والاتحاد العالمى للنقابات ، البلدان العربية ، لانها هى المعتدى عليها ، ولاننا نعرف جيدا دور البورجوازية العالمية فى هـذا العدوان (*)

ونحن كمنظمات أعضاء فى الاتحـاد العالمى للنقابات ، حين نتكلم عن الصهيونية ، نتكلم عنها باعتبار ان لها اساسا طبقيا بورجوازيا ، ولكنها هى جزء فقط من المشكلة التى تثيرها البورجوازية

العالمية . ان الصهيونية ، باعتبارها ذات أساس طبقى بورجوازى ، تأخذ موقفا مضادا لحركة التحرر العالمية ، وهذا هو السبب الذى من اجله يساند الاتحاد العالمى للنقابات الشعب العربى فى نضاله ضد الصهيونية .

السؤال الثانى :

■ **للنقابات دور هام وطليعى فى البلاد المتخلفة التى تسعى لبناء مجتمعاتها الجديدة المستقلة، فما هى الاشكال والوسائل المقترحة لدعم العمل النقابى فى هذه البلدان ، من خلال التضامن الدولى العمالى ، لا سيما وأن النشاط الاستعمارى داخل الحركة النقابية العالمية منذ الاربعينيات قد أضر الى حد كبير بالتضامن الدولى العمالى ؟**

□ للحركة النقابية فى البلدان المتحررة أهمية اكبر مما لها فى البلدان الرأسمالية ، وحتى فى البلدان الاشتراكية ، لماذا ؟

فى راينا ، لانه فى البلدان الاشتراكية ، وفى البلدان الراسمالية المتطورة ، تكونت احزاب متينة وقوية للطبقة العاملة ، أما فى معظم البلدان النامية فلا توجد أحزاب للطبقة العاملة ، ولهذا السبب تقوم الحركة النقابية بدور هام فى هذه البلدان ، انه يمكننا القول انه فى أحيان كثيرة يجب أن تقوم النقابات بدور احزاب الطبقة العاملة ، وانه فى كثير من هذه البلدان النامية سبقت الحركة النقابية تكوين أحزاب للطبقة العاملة . فمثلا معظم القادة الافارقة ، كانوا فى السابق عناصر نقابية نشيطة ، مثل سيكوتورى ، وقد ناضل معنا منذ زمن كقائد نقابى .

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، ما هى أهمية الحركة النقابية فى البلدان النامية عمليا ؟ قبل كل شيء ، يجب ان يعتمد تفكيرنا على اساس طبقى ، انه يجب على الحركة النقابية فى البلدان النامية ان تعد مخططا لتعبئة الجماهير الكادحة ، وان تنظم الطبقة العاملة لتحقيق التقدم الاجتماعى والاستقلال ، ويجب ان تقوم بتنوير العمال ورفع المستوى الفنى والثقافى ، وان تقوم بتعبئة العمال لرفع المستوى الاقتصادى والانتاجى . وأنا اتحدث أساسا على دور النقابات التى تعتمد سياستها على اساس طبقى ، انه يجب على هذه النقابات ، بجانب مساندتها ودعمها للحكومات التقدمية ، ان تراقب وتشرف على سياسة هذه



شاندر جاشبار

- مكافح نقابى قديم منذ ثلاثين عاما .
- رأس اول لجنة نقابية لصناعة الحديد وعمره ثمانية عشر عاما ، ثم عضوا فى اللجنة المركزية لصناعة الحديد وعمره ٢١ عاما ، ثم رئيسا لنقابة عمال الحديد وعمره ٢٨ عاما ، ثم رئيسا للاتحاد العام للنقابات المجرية وعمره ٣٢ عاما .
- عضو فى المكتب التنفيذى للاتحاد العالمى للنقابات .
- عضو المكتب السياسى لحزب العمال الاشتراكى المجرى .
- قدم للمكتبة الاشتراكية كتابين عن « الدور القيادى للحزب » و « دور النقابات فى بناء الاشتراكية » .

الحكومات التى تدعمها ، وانه لابد فى هذه البلدان التى يتحقق فيها الدعم والاشراف فى آن واحد ، يتحقق بلا شك التقدم والتطور الاجتماعى فيها .

وهذه النقابات التى تساند الحكومات التقدمية وتتحمل مسئولية حماية مصالح العمال ، وتؤثر على حكوماتها تأثيرا ايجابيا — اذا انضمت الى تيار الحركة النقابية التقدمية العالمية — تستطيع ان تستمد منها قوة عن طريق الاعمال المشتركة والتضامن والتعاون وتبادل الخبرات والتجارب .

ويوجد اليوم ثلاثة اتجاهات فى الحركة النقابية العالمية ، لها ثلاثة اسس ايديولوجية ، واحد منها يمثله **الاتحاد العالمى للنقابات** ، وهو يستهدف حماية مصالح العمال وتحقيق التقدم فى خط النضال ضد الامبريالية والاحتكارات العالمية . والاتجاه الثانى يستهدف وقف التطور ويمثله **الاتحاد الدولى للنقابات الحرة** ، ومن اكبر

مخاطر هذا الاتجاه ، تعميم البيروقراطية ، لان من سياسته المحافظة على ما هو موجود . والاتجاه الثالث ، يمثله **الاتحاد الدولى للنقابات المسيحية** ، وهو يستهدف العودة الى الماضى .

والاتجاه الاول يتدعم كل يوم أكثر ، ويزداد قوة واتساعا ، لانه تأكد لجماهير العمال فى العالم ولمنظماتهم اخلاصه لقضية تحرير الانسان .

السؤال الثالث :

■ تعتبر النقابات ، فى ظل النظام الاشتراكى ، دعامة رئيسية من دعامات بناء النظام — فهى اداة لتجميع وتدعيم قوى الشعب العامل — ولا شك ان المجتمعات الاشتراكية مرت عبر مراحل مختلفة من التطور ، سواء منذ ثورة اكتوبر فى الاتحاد السوفيتى ، أو منذ قيام النظم العديدة بعد هزيمة النازية فى الحرب العالمية الثانية..وخلال هذه التطورات وجدت ظروف جديدة ، فما هى آثار هذه الظروف الجديدة على طابع ومحتوى النشاط النقابى ؟ وما هى امكانيات العمل النقابى فى تدعيم الديمقراطية الاشتراكية وحكم الشعب العامل ؟ وماذا عن الحوار النظرى الدائر حاليا فى البلاد الاشتراكية ، عن النقابات ومهامها ، واتجاهات هذا الحوار ؟

[وكانت اجابته على هذا السؤال هى عرض للتجربة المجرية فى هذا المجال] .

□ انه منذ انتصار الثورة فى المجر ، تطورت الحركة النقابية تطورا ملحوظا ، لان النقابات هى اكثر وأسرع التنظيمات فى التجاوب مع كل تطورات المجتمع فى البلدان الاشتراكية . وأولا كانت هناك **مرحلة خاصة** من التطور ، وهى مرحلة النضال من أجل أخذ الحكم للطبقة العاملة .. وتتميز هذه المرحلة بأن النقاباتكانت تستهدف أولا أخذ الحكم ، واعتبرت كل المهام الاخرى مهام ثانوية ، بالمقارنة مع الهدف الرئيسى . ان الحركة النقابية فضلت تحقيق الهدف الرئيسى على أى مهام اخرى ، مثل الكفاح لرفع المستوى المادى للعمال . ففى عام ١٩٤٥ ، تحررت بلادنا ، وكانت البورجوازية المجرية قد فشلت فى الحرب وفقدت تنظيماتها ، فتشكلت حكومة ائتلافية ، ومثلت فيها النقابات والحزب الشيوعى . وحينئذ كانت النقابات قوة جماهيرية هائلة ، وكان بامكانها ان تطلب من هذه الحكومة الائتلافية طلبا ناجحا ، مثل رفع الاجور ، ومستوى المعيشة ، وتحسين أحوال العمل . ولكننا ركزنا قوتنا على هدف واحد ، وهو اخذ الحكم فى يدنا . ويمكننا ان نقول ان الطبقة العاملة كانت حينئذ تستأجر غرفة ، ورب البيت كان البورجوازية ، أى اننا كنا نسكن فى بيت البورجوازية كمستأجرين ، وكان الطريق أمامنا هو : هل نناضل فى سبيل تخفيض أجرة البيت ، او نأخذ فى يدنا كل المسكن ونصبح نحن المؤجرين ، وفضلنا الوضع الاخير ، وأجلنا الكفاح من أجل تخفيض الاجرة فقط — وبذلك حصلنا على الحكومة — ومن ثم فقد كانت لهذه المرحلة مميزات خاصة . انها مرحلة الطريق لاخذ الحكم فى يد الطبقة العاملة . **والمرحلة الثانية** ، تبدأ من حيث اصبحت الطبقة العاملة هى صاحبة الحكم ، وفى هذه المرحلة يتحقق تغير نوعى فى عمل النقابات ، وهى منظمات جماهيرية للطبقة العاملة التى اصبحت صاحبة الحكم .. فى هذه المرحلة ، بالاضافة الى اهتمام النقابات بالمصالح اليومية للعمال ، يجب ان تهتم بكل القضايا التى تمس سياسة الدولة والحكومة ، ويكون لها دور فيها . انه فى هذه المرحلة ، تحول دور النقابات من دور المعارض الى دور مالك السلطة ، وهنا يصبح نشاط النقابات أكثر اتساعا وكمالا . مثلا :

اولا : توسيع الديمقراطية العمالية وادخال الطبقة العاملة فى ادارة الحكم على كل المستويات .

ثانيا : العناية بالمشاكل الاجتماعية والمادية للعمال : التأمينات الاجتماعية والاصطياف وتنظيم نظام الاجور والتقاعد والاستجمام والتثقيف.الخ.

واكبر تغيير فى هذه المرحلة ، يكمن فى تطوير الديمقراطية العمالية .. لماذا ؟ لاننا نضيف الى الديمقراطية الغير مباشرة عناصر الديمقراطية المباشرة ، فالديمقراطية الغير مباشرة تحققت سابقا عن طريق التمثيل فى البرلمان والهيئات المحلية ، لان ممثلى العمال قد شاركوا فى هذه الهيئات . والان يتم ادخال العمال — بطريقة مباشرة — فى ادارة المصانع والمؤسسات ، فمثلا فى مصنع ما تعين الدولة المدير مع تحديد حازم لعمله وصلاحياته المحدودة ، والمواضيع التى بامكانه ان يبت شخصيا فيها ، والمواضيع التى يجب ان يأخذ فيها رأى اللجنة النقابية . وللجان النقابية فى المصانع والمؤسسات حق الاعتراض ، فأحكام المدير لا يمكن ان تنفذ اذا عارضتها اللجنة النقابية . ومن حق اللجنة النقابية ان تبدى

رأيها حول تعيين المدير بالقبول او بالرفض ، ومعنى ذلك ان الدور الرئيسى والقائد للطبقة العاملة سيكون ملموسا أكثر ..

السؤال الرابع :

■ **فى البلاد ذات التنظيم السياسى الواحد ، تثار قضية استقلالية التنظيم النقابى .. الاستقلالية فى ماذا ؟ والاستقلالية عن من ؟ فى جهاز الدولة ؟ أم عن الحزب ؟ وماذا عن الدور القيادى للحزب داخل النقابات ؟**

□ يجب ان نحدد تقسيما للعمل بشكل واضح ، ما هى مهام الدولة ؟ ومهام الحزب ؟ ومهام النقابات ؟ ومتى قمنا بهذا العمل .. ان الهدف الذى تعمل من أجله الحكومة والحزب والنقابات واحد ، ولكن المهمات والواجبات يقوم بها كل منهم بصورة تختلف عن الاخر . الهدف واحد ، ولكن الطريقة والوسائل تختلف . ولنضرب مثلا بالاوركسترا ، فى السابق كان كل عازف بالفرقة يعزف بالكمنجة ، والان قسم العمل على كل الفرقة ، كلهم يعزفون بآلات مختلفة من نوتة واحدة ، ولكنها نوتة الاشتراكية . هكذا يصدر عن الفرقة صوت موسيقى واضح وليس الضوضاء .

ولما كان للنقابات دور فى سحق الثورة المضادة ، بادرت النقابات الى طلب اصلاح الاخطاء الماضية ، كتلك التى نتجت مثلا عن التصنيع المفرط ، وتعميم الثقافة بشكل نمطى ، كما بادرت النقابات الى طلب تقسيم عمل جيد لمهمات الجهات الثلاث : الحكومة والحزب والنقابات ، لانه فى الماضى كان الحزب هو الذى يقرر كل شىء بالنسبة لمهمة النقابات . انه من المستحيل مثلا ان تقوم جهة واحدة بالتوصية على السلع وطلبها وانتاجها وتصديرها . انه يمكن ان نقول انه حتى الحزب لا يستطيع ان يعمل مثل فريق كرة القدم ، بل عليه ان يلعب فى كل الاماكن .. سابقا كان يوجد لاعب مهاجم ، وهو يستطيع ان يضرب الكرة بقدمه اليسرى واليمنى وان يلتفت بسرعة ليصيب الهدف . ان الحزب يجب ان يكون فى قلب الهجوم ، يوزع الكرة الى جهات مختلفة ويخطط استراتيجية الهجوم . ان بناء المجتمع مثل لعب الفرقة ، والثلاثة فى قلب الهجوم : الحزب والنقابات والحكومة ، ولكن اللعب يتحقق بشكل جماعى ، وفى نفس الوقت كل منهم مستقل عن الاخر ، بمعنى انه يوجد لكل واحد منهم طريق خاص به ، ولكنهم جميعا ينتهون الى نهاية واحدة .

وأعتقد ان هذه هى اجابة واضحة عن سؤالكم الرابع والاخير .

بيير جنسوس

قال بيير جنسوس للطليعة :

ان الاتحاد العالمى للنقابات منذ تأسيسه مباشرة بعد نهاية الحرب العالمية كمركز يسعى لتحقيق وحدة عمال العالم الكفاحية وهو يناضل لمنع الحرب ولتوحيد العمال فى الكفاح ضد الاستعمار والامبريالية ، وسيقتصر حديثى فى هذا المجال على نشاط الاتحاد العالمى فى الفترة الاخيرة .

فى السنوات الاخيرة سيطرت على الجو العالمى مجموعة من المشاكل — من اهمها المواجهة بين الامبريالية الامريكية والشعب الفيتنامى الذى يكافح من اجل استقلاله . وقد وقف الاتحاد العالمى للنقابات بكل قواه الى جانب هذا الكفاح .. ويصل هذا الكفاح اليوم الى نتيجة هامة ايجابية ، فلقد اجبر الاستعمار الامريكى على الجلوس مع ممثلى الفيتناميين على مائدة واحدة وقبل التفاوض معهم والتراجع عن خططه الحربية . وهذا الانتصار المبدئى تحقق نتيجة لكفاح الشعب الفيتنامى المناضل نفسه ، والمساعدة المادية والسياسية من قبل البلاد الاشتراكية ، وخاصة من جانب الاتحاد السوفييتى والاعمال التضامنية الاممية الهامة من كل البلاد — وحيث ان الحرب لم تنته حتى الان فان الاعمال التضامنية من قبل كل عمال العالم لوقف الحرب نهائيا مازالت مستمرة .

وفى كثير من بلدان العالم — وخاصة فى افريقيا وامريكا اللاتينية وفى آسيا — عندما يبدأ الاستعمار هجومه على الشعوب فان الاتحاد العالمى يعلن تضامنه مع الشعوب المعتدى عليها ويطلب من العمال فى كل البلدان ان يدعموا كفاح الشعب المعتدى عليه وان يتضامنوا معه بكافة الوسائل .

وفى البلدان التى يكافح فيها العمال ضد الاحتكارات لتحسين حياتهم وعملهم فان اتحاد النقابات العالمى يدعم كفاحهم الطبقى وينظم تضامنا عالميا مع هؤلاء العمال .

ومنذ مدة اصبح الشرق الاوسط منطقة للتوتر ـ وهذا التوتر وجد وتطور نتيجة العدوان الاسرائيلى فى يونيو ١٩٦٧ ، ومؤامرات اسرائيل المتواصلة بعد هذه الحرب ضد البلدان العربية المجاورة . والاتحاد العالمى للنقابات منذ تأسيسه يقف بجانب الشعب العربى فى كل كفاحه ، ويؤيد نضاله تأييدا مطلقا فى كل مراحله ـ وقد حدث هذا بصفة خاصة اثناء العدوان الثلاثى ضد مصر وفى يونية ١٩٦٧ ومن قبل التضامن مع عمال وشعب الجزائر والوقوف ضد مؤامرات حلف بغداد وضد التدخل البريطانى فى الاردن والتدخل الامريكى فى لبنان ومساندة النضال لتحرير شعب جنوب اليمن .

واليوم حينما نرى ان التحدى الاسرائيلى يتوسع فان الاتحاد العالمى للنقابات فكر فى ضرورة توسيع التضامن العالمى من أجل تحقيق السلام فى المنطقة ـ والاتحاد العالمى يرى ان مايحدث فى الشرق الاوسط انما هو مواجهة بين القوى الاستعمارية العالمية والقوى التقدمية العالمية . وانه لتحقيق الانتصار على الاستعمار فى هذه المنطقة يجب ان نعبىء ونجهز عمال العالم وشعوبه من اجل ذلك وان يزداد كذلك كفاح الشعوب العربية فى ارضها .

ان حل **المشكلة فى هذه المنطقة مرتبط بهزيمة الاستعمار فى هذه المنطقة ، والاساس لتحقيق هذا الانتصار موجود** ، ففى رأينا ان قرار مجلس الامن فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ يشكل ارضية لتوحيد عمال وشعوب العالم بأجمعه . والوحدة العمالية والشعبية العالمية ضرورية للوصول الى حل للمشكلة على اساس آمالنا والتى تتفق مع آمال الشعوب والعمال العرب .

وقال بيير جنسوس عن المؤتمر السابع للاتحاد العالمى للنقابات الذى سيعقد فى اكتوبر ١٩٦٧ ، نحن نؤمن ان هـذا المؤتمر هام جدا فى حياة الحركة النقابية العالمية ـ وكل المؤتمرات السابقة التى عقدها الاتحاد العالمى للنقابات كانت تمثل دائما حدثا هاما فى حياة الحركة النقابية العالمية . والمؤتمر السابع سيمثل اتجاهات متطورة اكثر كما ان عدد المنظمات المشتركة فيه سيزداد مما يجعله من اكبر المؤتمرات العالمية . ولما كان العصر الحاضر هو عصر التغيرات والتحولات السريعة وخاصة فى اطار علاقات القوى فى مختلف البلدان ذات انظمة الحكم المختلفة ، فان المؤتمر



بيير جنسوس

ـ السن ٤٣ سنة

ـ من عائلة عمالية . فوالده عامل فى السكك الحديدية فى « تارب » جنوب فرنسا وامه عاملة فى الخدمات العامة .

ـ عمل فى صناعة سبك المعادن ، بدأ كفاحه النقابى فى ايام الاحتلال النازى واشترك فى الكفاح المسلح للفدائيين ضد النازى ـ نتيجة كفاحه النقابى المتواصل انتخب فى قيادة العمل النقابى ، وفى ١٩٥٣ اصبح أمين سر الاتحاد العام المهنى لعمال الصناعات الهندسية .

ـ فى ١٩٦٣ اصبح السكرتير العام للاتحاد الدولى لعمال الصناعات الهندسية ، وفى ١٩٦٥ اصبح السكرتير العام المساعد للاتحاد العالمى للنقابات .

العالمى السابع للاتحاد العالمى للنقابات يجب وان يعبر عن هذه التطورات .

ان الناس فى البلدان الرأسمالية يرون هذا التغير والتحول، ففى هذه البلدان تواجه الشعوب ازدياد تركز وتحكم رأسمالية الدولة الاحتكارية والتحالف الدولى للاحتكارات الكبيرة . وتقوم الطبقة العاملة بكفاح شديد موحد لتحقيق اهداف اكبر من اى اهداف سابقة حيث ان المجتمع الرأسمالى فى عصرنا خلق تناقضات طبقية اكثر حدة ، ومن هنا فان النقابات تأخذ صورة وخواص جديدة ، حتى تتمكن من القيام بدورها المتزايد الاهمية فى المجتمع الرأسمالى الحديث .

وفى البلدان النامية فان تطور المجتمع يضع امام النقابات خواص وواجبات جديدة تجعل لدورها أهمية خاصة ومقاما متميزا .

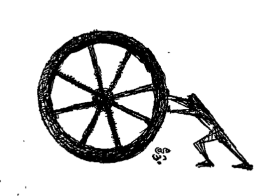
وفى البلدان الاشتراكية حدثت بعض التغييرات والتحولات التى تحمل النقابات مسئوليات اكثر . ويرأينا انه فى هذه المجتمعات الثلاثة لابد من التفكير العميق لتنظيم الاستراتيجية العامة للحركة النقابية — ومهمة المؤتمر السابع القيام بهذه المهمة وتحليل المشاكل وتحديد المهام والواجبات العملية .وسيسعى المؤتمر السابعلمواجهة الكثير منالحواجز والعقباتوالصعاب التىتعطل تطور كفاح الحركة النقابية العالمية النقابى والسياسى والاجتماعى والفكرى . ولهذا يعتبر المؤتمرالعالمى السابع هذا حدثا هاما ، وكل القوى النقابيـــة العالمية مدعوة للمشاركة فى اعماله .

اما عن المؤتمر النقابىالافريقى — الاوروبى — فسيعقد فى كوناكرى ، عاصمة غينيا من ١٨ الى ٢١ مارس ١٩٦٩ . وهو مؤتمر هام جدا وسوف يعقد بالتعاون مع **اتحاد جميع نقابات افريقيا** . وسوف يدرس هذا المؤتمر تطور العمل المشترك من أجل الاهــداف المشتركة بين عمال اوروبا وعمال افريقيا — ضــد الاحتكارات والامبريالية والاستعمار الجديد .

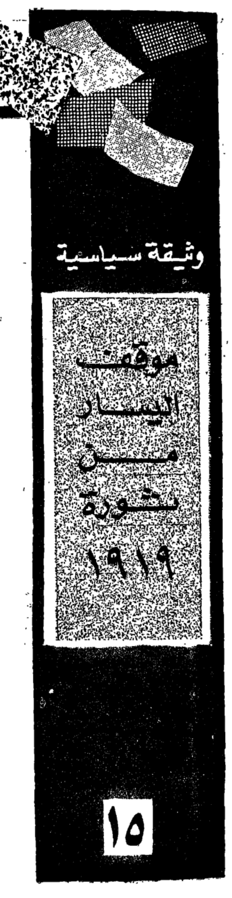
وسيشترك فى هذا المؤتمر المنظمات النقابية المنضمة الى الاتحاد العالمى للنقابات واتحادجميع نقابات افريقيا ، وسيقوم المؤتمر بمحاولة لدراسة واقعية وعميقة للوضع فى افريقيا واوربا بهدف الوصول الى نقاط اللقاء بين النقابات الافريقية والاوروبية . فانه من المعروف أن الاحتكارات الاوروبية تستغل عمال اوروبا وعمال افريقيا — وسيبحث المؤتمر **اى الطرق يمكن لعمـــال القارتين ان ينتهجوها ليكافحوا متحدين ضد هذه الاحتكارات .**

كما سيبحث المؤتمر موضوع المساعدات التى تقدم من البلدان الاشتراكية لكثير من البلدان الافريقية .؟ كيف يمكن استعمالها بأحسن الطرق ودور المنظمات النقابية فى هذا المجال .

كما سيدرس المؤتمر الموقف من الســـــوق الاوروبية المشتركة ونشاطها فى اوروبا وافريقيا باعتبارها سوقا للاختكارات والاستعمار ، وفى هذا المجال سيقدم المؤتمر تحليلا كاملا للاحتكارات الاوروبية ، ويخطط للكفاح لمواجهة هذه السوق.







يسار ١٩١٩

وثورة ١٩١٩

تنفرد الطليعة فى هـذا العـدد بتقديم مجموعة من الوثائق التاريخية الهامة تحدد رأى يسار ١٩١٩ فى ثورة ١٩١٩ ، وبكيفية خاصة فى الاحداث والتطورات التى توالت فى أعقاب الثورة .

وهى تجميع للوثائق التى نشرت عن هـذه الثورة فى مجلة : International Press Corresspondence

وهى المجلة التى كانت تصدر عن « الكومنترن » فى عدد محدود من النسخ لتوزيعها على الاحزاب المنتمية اليه .

وقد حصلت « الطليعة » على صورة من هذه الوثائق نقلا عن المجموعة الوحيدة للطبعة الانجليزية من هـذه المجلة الموجودة بمكتبة لينين بموسكو .

« والطليعة » بنشرها لهذه الوثائق لاول مرة باللغة العربية انما تقدم للقارىء وللمؤرخ على السواء فرصة هامة للاطلاع على آراء يسار تلك الفترة فى تطورات ثورة ١٩١٩ وفى قيادتها ، وفيما تلا الثورة من احداث وتطورات

و «الطليعة» اذ تقدم هذه الوثائق لقرائها وللمؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ مصر الحديث انما تقدمها كتراث هـــام ، يتعين الاطـلاع عليه ودراســته والاستفادة منه بغض النظر عن اختلاف التقييمات حول المنهج الذى اتبع فى الدراسة ، وحول الآراء الخاصة التى عكستها هذه الوثائق .

هذا وقد حاولت الطليعة ان تقدم تعريفا لبعض كتاب هذه الوثائق لكن بعض الاسماء الاخرى لم يمكن تقديم تعريف لها نظرا لانها كانت فى أغلب الاحيان اسماء سرية .

الانقــلاب الســياسى فى مصــر

م.ن. روى

فى الثـالث مـن ديســمبر بعث مراسل التيمس اللندنيــة من القاهرة خبر استقالة ثروت باشا وقبول نسيم باشا الموالى لسعد زغلول تاليف وزارة جـديدة . ولقد نشرت الصحافة أن سعد زغلول نفسه قد أبرق من جبل طارق مؤكدا ولاءه للملك ، وهو الذى كان قبل ذلك يـرفض الاعتراف بحق الملك فى الحكم . وكل هذا يبدو غريبا وباعثا على الحيرة . ولكن نظرة الى الوراء فى التاريخ تثبت أن هذا الانقلاب السياسى للقوميــة البورجوازية كان يجب توقعه .

ومن الواضح أن الحكومـة التى تسيطر عليها زمرة ثروت ـ عدلى ـ قد أسقطتها مجمـوعة جديدة من القوى تكون حلفا غير عادى بيـن السراى والوفـد المصرى . ولقد كان الحدث الذى سبق استقالة وزارة ثروت باشا مباشـرة بيانا اصدره الوفد ، هذا البيان ـــ الذى كان يهاجم الحكومة هجوما غير عادى ـــ صدر بعد مقابلة طويلة وغامضة بين نائب رئيس الوفد والملك . فما مغزى قيام هذا التجمع الذى يبدو شاذا ؟ لقد أقنعت تجربة الشـهور العشرين الاخيرة الحـافلة ، المسـتعمر بضرورة تعميق جـــذوره فى المجتمع الوطنى . ولقد اتضح ان الطبقات الواهية من السـادة الاقطـاعيين والبــورجوازيين الكبار ، والتى يمثلهـا هــؤلاء البـاشوات الذيــن وقعــوا اتفاقية « الاستقلال » .لا تكفـى لمسـاندة اسـتمرار السيطـرة البـريطانية . ولقـد فشـلت الامتيازات الممنوحة لتلك الطبقة فى ارضــاء اغنيــاء الزراع والبورجوازيين الذين يمثلهـم الوفد المصرى ، هذا اذا صرفنا النظر عن متوسطى وصـغار الفلاحين الثائرين الذين يقومون بدور فعال من خلال الحـزب الوطنى . ومن الواضـح أن المقابلة الغامضة التى تمت فى السراى كان هدفها التلميح للوفد أن الاستعمار ـ وقد أنهكتـه الاحداث ـ يعرض على الوفـد تاييده . والمذهل هو السرعة التى تمت بها الصفقة . ولقد أثبت الملك فؤاد أنه صانع صـفقات ناجح ، ولكن هناك اسباب أخرى أعمق فى الدلالة الاجتماعية ادت الى اتمام هذه الصفقة بنجاح .

فالتكوين الاجتماعى لحـزب سعد زغلول يبين أن المساومة التى نحن بصددها كان من المنطقى توقعها ، فسعد زغلول ـــ الذى شارك فى ثورة عرابى الوطنية عام ١٨٨٢ ـ كان من قادة حزب الامة الذى تكون عام ١٩٠٦ . ولقد كان هذا الحزب ـ وهو أول حزب سياسى فى مصر ـ يتكون أساسا من كبار مـلاك الارض وكبار الموظفين والمثقفين ، كما كان يضم فى صفوفه عددا كبيرا من الفئات العليا من الطبقة الوسطى وأغنياء المـزارعين والتجـار والطلبة وبعض قطاعات رجـال الدين . والهــدف الذى كـان يسعى لتحقيقه هذا الحزب لم يكن الثورة ضد الاستعمار البريطانى وانما كان مشاركة الاستعمار فى الاستغلال والسلطة . وكان هذا الحزب ـــ أو على الاقل قادته ـــ على اتصال وثيق بالخديوى عباس الثانى الذى استغل الاثارة التى قام بها هذا الحزب ضد الانجليز فى دعم مركزه كحاكم مطلـق وكانت سياسته تقـوم عـلى مساعدة وتشجيع ملاك الارض والعناصر الحكومية سرا ، بينما يقوم باضطهاد قادة الطبقـة الوسطى الاكثر ديمقراطية . ولقد زادت سياسة المساومة التى كان يتبعها الجناح اليمينى عمـا تحتمله العناصر الديمقراطية من الطبقة الوسطى عندما أصـبح سعد زغلول وزيرا لدى الملكية الرجعية .

وتميز الاستقطاب فى صفوف الوطنيين بعد ذلك ، بـانقسام حزب الامة ، فلم يكن الشعب كلا متجانسا ذا مصالح واحـدة . فـالطبقة الوسطـى وجـدت

ان مصالحها لا تتفق مع مصالح ملاك الارض والبورجوازية الكبيرة ، فرفضت قيادة هذه البورجوازية . وانفصل الجناح اليسارى الراديكالى من حزب الامة وكون الحزب الوطنى الذى كان برنامجه يتضمن الكفاح الثورى ضد الاحتلال البريطانى . وبالرغم من أن سعد زغلول لم يستطع الاستمرار فى الحكم مدة طويلة بين صفوف الاقطاع الرجعى ، الا أنه لم يقطع صلاته السياسية مع حزب الامة الذى كان قد أفلس ، وهذا لان انتماءه الاجتماعى لم يمكنه من مسايرة تطرف البورجوازية الصغيرة فى الحزب الجديد ، وانتظر فرصة مواتية ليلعب دورا وسطا . وبرغم الاضطهاد الذى واجه الحزب الوطنى منذ البداية ، فقد قام بدعاية واسعة ضد بريطانيا فى داخل البلاد وخارجها ، ولكنه ، بالرغم من هذا ، فقد كان هذا الحزب عقيما من الكفاح الثورى العملى ، كما هى الحال دائما بالنسبة لوطنية الطبقة البورجوازية الصغيرة ، فهى تملأ الدنيا بالعبارات الطنانة ولكنها لا تملك القدرة على تنفيذ ما تطنطن به . ولهذا فعندما حدثت الانتفاضة الجماهيرية التلقائية فى جميع أنحاء القطر ، عشية الحرب الاستعمارية ، ظهر عجز متطرفى البورجوازية الصغيرة الثرثارين ، عن أن يمسكوا بزمام القيادة السياسية .

وهنا جاء دور سعد زغلول ليظهر على مسرح السياسة فاراد أن يستخدم الوضع الثورى الحاد فى البلاد ، ليفرض على انجلترا مطالب الطبقة التقدمية من ملاك الارض والزراع والبورجوازية الكبيرة ، وهى الفئات التى كان يمثلها والتى كانت مطالبها تفوق مطالب الاقطاعيين الرجعيين المتحالفين مع الملكية الفاسدة التى كانت تحكم . لقد تكون الوفد المصرى بقصد المساومة مع الاستعمار البريطانى على « استقلال » مصر ، ولكى يضمن مساندة الشعب الثائر كان على الوفد أن يتبنى المطالب التى تمثل ثورة الشعب . وهكذا رأينا أنصار الحزب الوطنى يطرحون شعارات تقليدية مثل « الغاء الحماية » و « سحب جيش الاحتلال البريطانى » و « الاستقلال التام » الخ ، ولكن الاتفاق الذى تم بين الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول وبين اللورد ملنر - وهو لا يختلف الا قليلا عن « التبعية » التى قبلها ائتلاف عدلى - ثروت - يثبت أن الوفد المصرى لم يكن جادا فى طرح تلك الشعارات . لقد طرح هذه الشعارات لضمان التأييد الشعبى .

ولكن الحكومة البريطانية ازعجتها هبة الجماهير الثورية لدرجة أنها لم تر الصلة المفتعلة التى تربط الحركة الشعبية بالقيادة الوفدية ، ولهذا اتخذت بعض الخطوات التى قوت تلك الصلة . لقد رفضت الحكومة البريطانية السماح للوفد بالسفر الى انجلترا ، ولقد صنع غباء الاستعمار من سعد زغلول بطلا شعبيا ، بينما هو لم يكن يهدف الا الى الوصول عن طريق المفاوضات - الى تسوية مؤقتة . وبعد ذلك مباشرة أعطت الامة توكيلا للوفد المصرى على شكل تصريح . ولقد أرغم خطأ الاستعمار الذاتى والحالة الموضوعية فى البلاد سعد زغلول وزملاءه على أن يقودوا حركة ثورية . ولقد قبض الاستعماريون البريطانيون عليهم ونفوهم الى مالطة . وكان هذا بمثابة النفخ فى النار ، فانفجر غضب الجماهير وتحول الى ثورة صريحة شملت وادى النيل كله . ولكن الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول - وهو الذى جاء الى الضوء نتيجة تضافر غريب لبعض القوى ، واصبح القائد الرسمى للحركة الوطنية فى تلك الايام الحافلة - لم يكن يمثل باية حال ديناميكية الثورة . لقد كانت هبة الفلاحين هى صلب الموقف ، وكانت قيادة هذه الثورة الفلاحية فى أيدى الجناح اليسارى للحزب الوطنى الذى كان - كحزب - قد انضوى تحت لواء حزب الوفد . ولقد اضطر سعد زغلول بعد ذلك الى قطع مفاوضاته فى لندن نتيجة لهذا العامل الثورى الذى كان يتكون من المثقفين غير المنتمين الى طبقات (الطلبة) والفئة السفلى من الطبقة الوسطى التى كانت تعانى من الافلاس الاقتصادى وطبقة الفلاحين المعدمين - وقبل هؤلاء وأولئك عمال المدن .

وخلال الكفاح الثورى لعامى ١٩١٩ - ١٩٢٠ حدث استقطاب فى صفوف الوطنيين ، فانضم الجناح اليمينى لحزب الامة الى الوسط الوفدى الذى كان يهدف الى اجبار الحكومة البريطانية على المساومة تحت ضغط ثورة الجماهير ، بينما فطن الجناح اليسارى الى ضرورة الاقتراب من الجماهير الكادحة لكى يستطيع تنفيذ برنامجه الذى يتضمن القضاء التام على الاستعمار البريطانى . ولقد كان العمل الثورى لهذا الجناح هو ما أرغم الحكومة البريطانية على الافراج عن سعد زغلول والوفد المرافق له والسماح لهم بالذهاب الى لندن . ولكن لم يمض وقت طويل حتى فطن الاستعمار الى خطئه ، وبدأ فى تنفيذ سياسته الماكرة التى ترتكز على استغلال التناقض بين المصالح الطبقية فى صفوف الوطنيين . ولم يكن يجمع بين ملاك الارض واغنياء الريف والبورجوازية الكبيرة وهى الفئات التى يمثلها الوفد ، وبين الحزب الوطنى الذى كان تكوينه الاجتماعى - بعد اعادة تنظيمه واستعادته شبابه - قد اتجه ناحية التجار الصغار والمثقفين المطحونين والحرفيين المستغلين وفقراء الفلاحين والبروليتاريا .. لم يكن يجمع بين هؤلاء وأولئك الا النزر اليسير . وقد نصح لورد ملنر بان يقدم الاستعمار بعض التنازلات للفئة الاولى فى سبيل وقف معارضتها .

ولكن ذلك لم يحدث . فالحركة الثورية كانت لا تـزال فى عنفوانها ، ولم يجرؤ سعد زغلول على قبول تلك الشروط دون التضحية بشعبيته وهو الشىء الذى ما زال الوقت مبكرا لقبوله ، وهذا ما يتضح عندما نعلم أن الاتفاق الذى تم فى اغسطس عام ١٩٢٠ لا يختلف الا قليلا عن « الاستقلال » الحالى ، وان سعد زغلول ما كان يرفض هذه المساومات لو لم يجبر على ذلك تحت ضغط حركة الجماهير الثورية داخل البلاد المصرية ، وهـذا ما يميط اللثام عن سر الانقلاب الحالى للوفد . ولقد كان الجناح اليسارى للحزب الوطنى سباقا الى فهم نتيجة هذا الاجراء الذى يتسم بالمساومة : انه سوف يرضى اطماع البورجوازية الكبيرة وأغنياء الريف والموظفين الكبار وهى الفئات التى يمثلها الوفد ، ولكنه لن يؤدى الى أى تحسين فى أحوال الفئات التى يمثلها الوطنيون الثوريون فى الحـزب الوطنى . لهذا داوم انصار الحزب الوطنى عملهم الاثارى بين جماهير الفلاحين ، واجبروا سعد زغلول على قطع المفاوضات الدبلوماسية والرجـوع الى الوطن . وتكشف سياسة الوفد اثناء هبات عام ١٩١٩ — ١٩٢٠ كذلك عن مدى المسافة الطويلة بين اهدافه وبين أهداف الثورة ، ففى أكثر من مناسبة حال بين الجماهير الثائرة وبين الكفـاح المسلح تحت ستار أن هذا الكفاح ضار بالقضية الوطنية ، وهـذا يوضح أن البورجوازية كان يهمها أن تضمن الا تتجاوز الحـركة الحد الذى يجعل المفاوضات والمساومة مـع الاستعمار مستحيلة .

ولقـد كانت سياسة القومية البورجوازية تعانى أزمة عندما عاد الوفد الى مصر ، فبرفض الاتفاق الذى تم مع لورد ملنر كان الوفد قد ارتبط عمليا بالثورة لان اقامة حكم مستقل لم يكن ممكنا دون كفاح مرير ، وهذا الكفاح لايوجد الا اذا اتجه الأساس الاجتماعى للحركة الثورية ناحية جمـاهير العمال والفلاحين . ولكن مثـل هذه الخطوة الثورية لـم يكن ينتظر ان تجىء من قبل الوفد . لقد خان الوفد الحركة الثورية عند هذه المرحلة الحرجة وانتقلت القيـادة الى حزب البورجوازية الصغيرة ، الحزب الوطنى ، الذى كان يضع شروطا قاسية ولكنه لم يستطع أن يخطو الا قليلا جدا فى اتجاه تنظيم كفاح جمـاهيرى ثورى . وكل ما استطاعه انصار الحزب الوطنى هو أن يعلنـوا مقـاطعة البضـائع والبنـوك البريطانية وأن يقوموا بجهـود ضعيفة لتنظيم نقابات العمال . ولقد خليت ساحة السياسة — بنفى سـعد زغلول — مـن الطبقة الاجتماعية التى يمثلها ، وبالتالى فقـد ظهـرت على السطـح العناصر البيروقراطية الفـاسدة والاقطاعيون الرجعيون ليمثلـوا الدعامة الاساسية لـلاستعمار ، وبكلمات اخرى ، ورث خصـوم سعد زغلول المملكة التى قهرها انصاره ، ومن هنا كانت معارضة انصار سعد زغلول للاستقلال الذى قبله تجمع عدلى . ثروت . ولم يكن وراء هذا الرفض مصلحة الثورة الوطنية وانما كان وراءه تضارب المصالح الطبقية فـى سـبيل السلطة . والقضية الاساسية هى اى قطـاع من طبقـة المـلاك سيحصد ثمرات المساومة مـع الاستعمار : هل هم الاقطاعيون البيروقراطيون ، أم الراسمـاليون والزراع ؟ وهناك عامل ثـالث يدخل فى هذا الصراع فى سبيل السلطة ؟ وهو الاستعمار . لقد وجـد الاسـتعمار فى القوى البورجوازية حليفا أقوى مـن الاقطاعيين ، ومن وراء الابواب المغلقة للسراى تم الوصول الى تحالف مع البورجوازية ادى الى استقالة وزارة ثروت باشا أو — بمعنى أصح — الى طردها .

وتبين الاحـداث السياسية الاخيرة فى مصر سقوط الوسط الانتهازى وتثبت أن التاريخ قد جرد بورجوازية المستعمرات من اى دور ثورى عنيد ، والحقيقة ان عدم استعداد سـعد زغلول لقيادة الكفاح الثورى عند عودته من لندن فى سبتمبر عام ١٩٢٠ يدل على أن حزب سعد زغلول قد استنفد دوره الثورى ، ولم يمض وقت طـويل حتى كانت القوى الاجتماعية الثورية ترفض قيادته . فقد رفض عمال السكك الحديدية القيام باضراب عام دعا اليه سعد زغلول فى ديسمبر عام ١٩٢٠ ، وكان هذا الرفض أول علامة على التباعد بين القوى البورجوازية ، وبين قوى الثورة الجماهيرية ، تلك القوى التى كانت وحدها القادرة على كسب الاستقلال لمصر ، وهى التى كان عليها ان تقوم بهـذا الدور التاريخى . ولهذا فقد سـقطت القوى البورجـوازية اخيرا فى احضان الاستعمار بعـد نجاح مثير ، خلال شهور حافلة ، كان الكفاح الثورى التلقائى يمنعها من هذا السقوط .

وتستشعر مصر جميع أحداث ثورة بورجوازية . لقـد انهزم الاقطاع والبيروقراطية الرجعية ، ولسـوف يقـوم الاسـتغلال الاستعمارى فى المستقبل مـن خـلال البورجوازية المحلية . ولقـد اتسعت قاعـدة الحكم الاسـتعمارى ، ولـكن الوعى الثورى لاعداء الاستعمار سوف يزداد أيضـا . وهكذا ينمـو الصراع ويقترب اليوم الذى يتحرر فيه شعب مصر بالرغم من أن الاستعمار البريطانى — متمثلا فى الملك فؤاد — قد ضمن ولاء سعد زغلول باشا ، فهذا الولاء سيؤدى ببساطة الى مساعـدة القوى الثورية على ازالة غشاوة اخرى من فوق عينيها .

المجلد ٣ — عدد ٥
١٢ يناير سنة ١٩٢٣

الحـــركة النقـابيـــة فى مصـــر

افيجدور [القاهرة]

لاتزال مصر ــ حتى يومنا هـذا ــ بلدا زراعيا اساسا . ولـكنها تجىء فى مقدمة جميـــع بلدان شاطىء البحر الابيض المتوسط فى درجة النمو الرأسمالى .

فالورش والمصانع المجهزة تجهيزا عاليا تحل محل الاشكال البدائية التى كانت سائدة قبل ذلك . ومع ذلك لم يخل تحقيق الثورة الاقتصادية من المتاعب . لقد خلقت هذه الثورة أوضاعا جـديدة بـالنسبة للفــلاحين ومستأجرى الارض الذين أتوا من القرى وخلقت فيهم فهما متزايدا لمصالحهم الطبقية وواجبـاتهم . وتعطى الارقام التالية فكرة عن فئات الشعب المصرى وعن مدى التطور الرأسمالى الذى تحقق فى عام ١٩١٨ :

١ ــ الزراعة :

ا) العمال باليومية ٢١٧٠٠٠٠
ب) كبار الملاك ٢٨٠٠٠٠
ج) صغار الملاك ١٣٠٠٠٠٠

٢ــ الصيد والقنص :

ا) العمال باليومية ٨٠٠٠
ب) كبار العاملين فى هذه الصناعة ١٠٠
ج) الصيادون الذين يعملون لحساب أنفسهم ٢٥٠٠٠

٣ ــ صناعة النسيج :

ا) العمال ٢٥٠٠٠
ب) أصحاب المصانع ٣٢٥
ج) حـــرفيون يعملـــون لانفسهم ٣٢٠٠٠

٤ ــ صناعة المعادن :

ا) العمال ١٦٠٠٠
ب) أصحاب المصانع ٣٩٠
ج) عمال يعملون لحســاب انفسهم ١٠٠٠٠

٥ ــ صناعة الملابس :

ا) عمال ٤٢٠٠٠
ب) أصحاب مصانع ١٧٥٠
ج) عمال يعملون لحســاب أنفسهم ٧٠٠٠٠

٦ ــ صناعة الاثاث :

ا) عمال ١٨٠٠٠
ب) أصحاب مصانع ٢٣٠
ج) عمال يعملون لحســاب انفسهم ١٤٠٠٠

٧ ــ حرفة البناء :

ا) عمال ٤٤٠٠٠
ب) أصحاب مصانع ٤٣٥
ج) عمال يعملون لحســاب أنفسهم ١٤٠٠٠

وتجدر الاشـارة الى صناعة النقل التى بلغت فى مصر درجة لا بأس بها وتضم حوالى ١٥٠٠٠٠ عامل وموظف ــ كما ان حوالى ٣٠٠٠٠ عامل و٢٥٠٠٠ عـامل يعملون فى منــــــــازلهم فى فروع مختلفة من تلك الصناعة .

وهكذا نجد فى مصر طبقـة عاملة أضعف نسبيا من مثيلاتها فى أى من بلدان البلقان . ويمكن ان نوضح عملية تحويل الجماهير فى مصـــر الى طبقـــة عاملة بروليتارية من الجدول التالى :

فرع الصناعة	عدد العمال المستخدمين عام ١٩٠٧ــ١٠	عام ١٩١٧ــ٢٠
النقـــل	١٠٠٠٠٠	١٥٠٠٠٠
صناعة الملابس	٧٦٥٠٠	١٤٤٥٠٠
صناعة الاثاث	٥٥٠٠	٤٧٥٠٠
الزراعـــة	٢٥٠٠٠٠٠	٤١٠٠٠٠٠

وهناك ، من جهة أخرى نقص العاملين فى صناعة المعـادن وصناعة البناء من ٣٥٠٠٠ عام ١٩٠٧ الى ٢٣٠٠٠ عام ١٩١٨ فى صناعة المعادن ومن ٧٥٠٠ الى ٤٥٠٠ فى صناعة البناء فى نفس الفترة.ويعزى هذا أساسا الى اجادة الانتاج الآلى ، والى النقص فى المصانع المملـوكة لمجموعة من الاشخاص .

وحتى الحرب الاخيرة لم تكن للعمال المصريين فى الواقـع نقابات ، فقدكان تكوين التنظيمات مقصورا على النازحين الاوربيين وخصوصا الايطـاليين . وكانت هذه التنظيمات معزولة تماما ، فقـــد ادى الوضـــع التمـــيز الذى كان يتمتع به العمـال الاوربيون ومواقفهم غير المخلصة الى أن ينعزل هؤلاء عن عمال البـلاد ــ كمـا كان العمـال الاوربيون يـرفضون السـماح للعمال المصريين بالانضمام الى نقاباتهم . وعندما كان ابناء البلد يكونون نقابات لهم كانت هــذه النقابات ذات صفة مهنية . وقبل الحرب الاخيرة كانت اضرابات العمال المصريين تحدث تلقـائيا ولم يكن يتبعها أى تنظيم للقوى . ولكن الحرب أحدثت تغييــرا جذريا ، فبالاضافة الى العــدد الكبير من العمال المصريين الذين أصبحت تحتاج اليهم السلطات

المسكرية الانجليزية ،كانت هذه السلطات فى حاجه الى عدد كبير من العمال المؤهلين تأهيلا فنيا عاليا ، ولهذا الغرض أقامت مدارس خاصة تقوم بتعليم مناهج قصيرة ، وقد تلقى فى هـذه المدارس حوالى ٢٠٠٠٠ عامل مصرى تدريبا مهنيا ، وسد هذا العمل النقص الذى كانت البروليتاريا المحلية تعانى منه .

ولقد اتضح فى أعقاب الحرب مباشرة الدور الذى تقوم بـه البروليتاريا المصرية . ولم يكن من العسير تنظيم جماهير العمال المتمركزة الى حد ما والتى كانت تمتلىء كرهـا للـدكتاتورية الانجليزية العسكرية ، فى نقابات عمالية ، ودفعهـا الى القيـام بالاضرابات التى كثيرا ماكانت تلقى التأييد ، فوجدت النقابات الواحدة بعد الاخرى ، ثم دخلت هذه النقابات بسرعة فى بوتقة الصراع الحـامية . فـاضراب عمال السكك الحديدية فى بداية عام ١٩١٩ واضراب مـوظفى الدولة ، وكذلك عـديد مـن الصدامات ، اقنعت الحـكومة الانجليزية بأنها لم تكن تواجه مجرد متمردين أقوياء وانمـا جماهير الشعب العامل ، كما لم يحقق العمال أمل الوطنيين فيهم . فقد رفضوا الرضـوخ لاوامر الوطنيين وأخذوا يقومون بأعمال لا تستمد التوجيه مـن الغير وانما يناضلون فى سبيل مصالحهم الاقتصادية الخاصة .

وفيما بين ٣ أغسطس و ٣ نوفمبر عام ١٩١٩ ، قام العمال بأربعة وعشرين اضرابا واستمر اضراب عمال السكك الحديدية ٥٦ يوما ، بينما استمرت ثلاثة اضرابات أخرى أربعين يوما لكل اضراب . وكانت مطـالب المضربين ذات صفـة اقتصادية بحتة . وبيـن عـامى ١٩١٩ و ١٩٢١ حـدث واحد وثمانون اضرابا ، كان ٦٧ منها اضرابات عامة (تضم جميع المصانع التى تختص بصناعة ما) و١٤ اضرابا جزئيا . وفى أغلب الحالات قام العمال بالاضراب بنية مسبقة ولم ينتهز أى عامل الفرصة ليحل محل عامل مضرب . ولا يمكن ان يقال نفس الشىء بالنسبة للعمال الاوربيين ـ فهؤلاء للاسف خانوا اكثر من مرة اخوانهم بكل ما تعنيه هـذه الكلمة . ولقد أثبتت البروليتاريا المصرية ، وهى التى تنظـم صـفوفها علـى أسس وطنية (فمعظم المصانع الكبيرة ملك للأوربيين) أنها دائما أكثر ثورية من الرفاق الاوربيين .

وبالرغم من ذلك لم تكن هذه الموجة من الاضرابات كافية لخلق منظمة مركزية وقـوية تمثـل البروليتاريا المصرية طبقيا . فقد اقتصرت نظـرة المثقفـين الى الحركة النقابية على أنها وسيلة لتحقيق اهداف المثقفين السياسية وفشل المثقفون فى تقدير اهمية الحركة النقابية ، وفى كثير من الحـالات كانـوا يقـومون بتخريبها .

وخـلال العامين الماضيين ، عندما اتضحت الاجنحة المختلفة فى الحركة الوطنية ، لم يعـد الوطنيون يبدون أى أهتمـام بالنقابات العمالية مما أدى الى سقوط هـذه الاخيرة بين أيدى المحترفين السياسيين . ولقد بذل الشيوعيون والنقابيون الثوريون مجهودا كبيرا لكى تسير النقابات العمالية على خـط النضـال القانونى . وفى عام ١٩١٩ اخذ رفيق ايطالى على عاتقه عملية اتمام تبادل عمالى فى القاهرة ، وقد وقفت وراءه فى البـداية جميع النقابات الاوروبية ، ولكن الحكومة البريطانية مالبثت ان وضعت حدا لهذه المحاولة بطرد هذا الرفيق من مصر . وقـام بالمحاولة الثانية فى بداية عام ١٩٢١ الحزب الشيوعى المصرى الحديث المولد ، فبعد أن عقـد مؤتمرين شـارك فيهما ممثلو النقابات الكبرى تكون الاتحـاد المصرى للعمال ، الا أن هـذا الاتحاد بدأ نشـاطه بـأعمال تنقصهـا الخبرة ، وتفتقر الى الفعالية التنظيمية مما ادى الى ان يقتصر وجوده علـى الورق آكثر مما يتضح فى الاعمال . ويبدأ الحزب الشيوعى المصرى الان العمل فى هذا الاتجاه فى حـدود اضيق ، مما يزيد مـن احتمالات النجاح .

ويتضح ماذكرناه اذا أضفنا بعـض كلمـات عـن تأثير . . **(كلمة غير واضحة فى الاصل)** فى مصر ،ونكاد لانحتاج أننقول ان لدى العـامل المصرى فكرة ضئيلة عما يمثله المؤتمر الدولى المنعقـد فى امستردام و . . . **(كلمة غير واضحة فى الاصل)** على التوالى . ولـكن العـامل المصرى يساند الكفاح الثـورى ضد الذين يستغلونه سيـاسيا واقتصـاديا ، وهو لذلك يؤيد موسكو فى موقفها . كذلـك لا تعرف البروليتاريا المصرية الحديثة المولد الاتجاهات الانتهازية ولهذا فهى تنتمى ايديولوجيا لنا .

العدد رقم ٢١ عام ١٩٢٣

دكتـاتورية أصـحاب المصـارف فى مصــر

ليست حكومة زيور الا الاسم المستعار للحـكم الانجليزى فى مصر . فالحكومة الانجليزية اذ تملؤها الثقة فى هـذه الحـكومة تطلق يد حفنة من الاقطاعيين المصريين وأصحاب المصـارف الذين يؤيدونهـا ، وعلى وجه الخصوص الملك فؤاد الذى لا يمت للشـعب بصـلة . والحكومـة الانجليزية تعى حقيقة أن زيور وأصحاب المصارف المصريين

اكثر ارتباطا برأس المال المصرفى الانجليزى من ارتباطهم بالشعب المصرى،وان الاستعمار الانجليزى بالنسبة لهؤلاء الطفيليين لا يمثل فقط نفوذا سياسيا لهم وانما هو كذلك مسألة اقتصادية بحتة ، فهو يفتح الطريق الى استغلال العمال والى الحصول على الارباح الطائلة .

وهناك دائما خطر ان تتخطى حكومة زيور التى تسير فى ذيل الاستعمار ، لخوفها من جماهير الشعب وتعطشها الى الثأر من الاحزاب الثورية ، الحدود اللازمة لاستتباب الامن والنظام .

وبدون أى سبب وفى دقيقة واحدة حطم زيور البرلمان بعد ان هزم حزبه أمام حزب سعد زغلول فى المعركة الانتخابية رغم الارهاب الذى فاق كل أرهاب . ولقد صدق زيور على عدد من القوانين التى تقيد حرية الصحافة والتى تجعل من قضايا الصحافة فى مصر أحداثا يومية وتحطم تماما حرية التعبير عن الرأى . ولقد أصدر زيور قانونا انتخابيا يستبعد حوالى ٦٠ ٪ من جماهير الشعب من الانتخابات ، من بينها جماهير الريف العريضة وجماهير العمال والطلبة فى المدن الذين لهم اتجاهات ثورية .

ولقد قدم زيور باستخدام الوسائل الاستفزازية والعملاء الاستفزازيين سبعة من الشبان المصريين الاعضاء فى احدى المنظمات الثورية الى المحاكمة بتهمة اغتيال لى ستاك ولم يهدأ الا بعد ان نفذ حكم الاعدام رغم احتجاج جميع الاهالى . وطبق زيور نظاما أشد قسوة على المسجونين السياسيين . وهو المسئول عن مقتل الشهيد انطون مارون ، وقد قبض زيور على الاعضاء الشبان فى حزب سعد زغلول الثورى بالجملة ونتيجة تحريض زيور كذلك صدرت على طلبة صغار السن أحكام لستة شهور اشغال شاقة لتوزيعهم منشورات .

ولقد قام زيور بمساعدة البوليس والجيش بكبت جميع الحركات التى قام بها العمال لتحسين أجورهم ، ومنها اضراب عمال الفحم فى الاسكندرية واضراب الصيادين فى دمياط ، كما أصدر أوامره باستخدام العنف فى جمع الضرائب من الفلاحين . تلك الضرائب التى أدت الى ان يصبح صغار الفلاحين على شفا الخراب . ولقد قام زيور مستعينا للمرة الثانية بالعملاء الاستفزازيين باجراء محاكمة كبرى ضد الشيوعيين تنطبق عليهم بموجب قرار الاتهام الذى نشر منذ وقت قريب تسع مواد من قانون الجنايات لتدبيرهم خطط الاغتيال [!] وتعمد القيام بأعمال الحريق [!!] والتحريض على أعمال العنف والخيانة العظمى .. الخ وكلها جرائم عقوبتها تتراوح بين عشرة أعوام وخمسة عشر عاما أشغال شاقة . وزيور هو الذى قام بالهجوم على الرعايا الاجانب خصوصا الروس ، والقى بعائلات كاملة فى السجون لمدة شهور ثم عاملهم معاملة وحشية وطردهم بالقوة ، كل ذلك بتهم لا أساس لها ومن نسج الخيال .

ولقد عقد زيور هذا العام اتفاقات تتسم بالذكاء مع أقطاب المال فى لانكشير ، وبينما تؤدى الضرائب المرتفعة الى أن يلجأ الفلاحون الى بيع قطنهم بأسعار بخسة تحتفظ البنوك الانجلو مصرية بأعلى سعر للقطن وبهذا تجنى أرباحا خيالية . وخلال هذا العام ، فان ما صدر ليس أقل من ٧٨٠٠٠ بالة من القطن لحساب البنك الاهلى المصرى وحده (وهو يمثل رأسمالا انجليزيا مصريا مشتركا) بزيادة قدرها ٢٠٠٠٠ بالة عن العام الماضى .

وهذا يبين لماذا تحوز حكومة زيور رضا دوائر المصارف ، كما يوضح عدم رضا الجماهير الشعبية من الفلاحين والعمال المستغلين ، ومن المثقفين ذوى الاتجاهات الثوية الذين يطمحون الى غد أفضل ، ومن دوائر البورجوازية المصرية التى يهمها ان تسير البلاد فى طريق التطور المستقل ، وتعتبر دكتاتورية زيور والبنوك عقبة أمام التطور .

لقد كانت وزارة زيور باشا تمثل فى الشكل ائتلافا من حزبين ، واذا نحينا الحزب المسمى حزب الاتحاد وهو حزب الملك والاقطاعيين ، وأصحاب البنوك والذى تأسس عام ١٩٢٤ ليساند حكومة زيور ويفرض سلطتها على الشعب ، نجد ان ثلاثة وزراء من حزب الاحرار الدستوريين مشتركون فيها . وحزب الاحرار الدستوريين هو الحزب الذى التصقت به تهمة التعاون مع الانجليز فى اعوام ١٩١٩ ــ ١٩٢٣ ، والذى غاب من مسرح الاحداث خلال حكومة سعد زغلول التى لم تعش طويلا وهو الحزب الذى كان له انصار قليلون فى البرلمان المصرى الاول . وهو يمثل كذلك قسما من البورجوازية الكبيرة (ذات الاتجاهات الليبرالية) ولا يختلف فى مبادئه الاساسية ، خاصة فيما يتعلق بقضايا مثل العلاقة مع انجلترا والسودان ومقاومة التيارات الثورية ــ الا قليلا عن حزب الاتحاد .

وأثناء ابعاد سعد زغلول عن الحكم انتهز حزب الاحرار الدستوريين فرصة المشاركة لثاني مرة فى الحكومة ، وسار طوال الوقت على سياسة حزب الاتحاد وحاول من وقت لاخر ان يقوم بدور التهدئة والتخفيف من دكتاتورية الاتحاديين لكى يحتفظ على الاقل بالمظاهر [فقد حاول مثلا ان يحافظ على البرلمان بصورة أو أخرى ،وان يخفف من قوانين كبت حرية الصحافة .. الخ] وعلى العكس من ذلك لم يتوقف الاتحاديون وخاصة الملك فؤاد ونشات باشا رئيس حزب الاتحاد عن بذل الجهد لازاحة

حزب الائتلاف والانفراد بالسلطة ، ووجد الفرصة سانحة عندما نشب خلاف داخل الوزارة أدى — رغم كونه خلافا تافها — الى أزمة وزارية ».

ويبدو فى الظاهر كما لو ان الازمة الوزارية قد انتهت . الا ان الصحافة المصرية كلها وكذلك صحف انجلترا العارفة ببواطن الامور ترى أن الوزارة الجديدة غير مستقرة • وبرغم ما تقوله بعض الجرائد من أن وزراء حزب الاحرار الدستوريين المطرودين من الوزارة سوف يحاولون الانضمام الى الجناح الايمن من حزب سعد زغلول فان هذا التجمع من غير المحتمل أن يتحقق اذ أن الخلاف الجذرى بين الحزبين عميق ، ولكن من المحتمل أن يعارض الاحرار الدستوريون الحكومة فى المستقبل وهم يدافعون عن موقفهم هذا بأن طرد حزب الاحرار الدستوريين تم بموافقة نيفيل هندرسون المندوب السامى البريطانى فى القاهرة — وهم فى هذا يحظون بمساندة جماهير الشعب — وأن الحكومة المصرية طلبت موافقة المندوب السامى قبل موافقة الملك • أما بالنسبة للانجليز فهم لا يرغبون فى مساندة دكتاتورية الحزب الواحد بحرابهم ولا يريدون أن يدفعوا الامور حتى النهاية . ويمكن لهذا السبب أن نعتبر الازمة الوزارية الحالية بداية لمضاعفات سياسية آتية ، فهى تمثل بدء دكتاتورية رجعية أشد عنفا ، وهى تبين أن المجموعات البورجوازية فى كل الاحوال ستلتهم بعضها البعض ، ولكن الحركة الشعبية لا تملك الا أن تنتظر اللحظة المناسبة لكى تهب فى وجه كل اجراءات القمع وتطيح بالحكومات المستبدة ومن يحمونها من الانجليز

٨ اكتوبر ١٩٢٥

عودة النشاط للحركة الوطنية فى مصر

ج.ب [القدس] *

بعد عدد من الاجراءات الوحشية التى قصد بها سحق المعارضين لدكتاتورية زيور صدر قانون يقصر حق الوجود الشرعى على الاحزاب التى يوافق الملك عليها ، أما الاحزاب التى لا تحظى برضى الملك، فيجب أن تحل فورا . ولقد قال زيور ببجاحة ان هذا القانون قد وضع بهدف القضاء على حركة سعد زغلول • ولكن القانون الذى نحن بصدده جاءت نتيجته عكسية على طول الخط، فالحركة الوطنية — بقيادة سعد زغلول — بعد أن أمضت أكثر من عام وهى تغط فى نوم عميق ، بدأت تنشط بعد صدور هذا القانون مباشرة وانتقلت الى مرحلة رد الهجوم • ففى الثالث عشر من نوفمبر — وهو يوم الاحتفال بالعيد الوطنى — عقد — فى مواجهة الحظر الذى فرضته الحكومة — اجتماع بين أنصار سعد زغلول انتهى بالقبض على الزعماء الوطنيين مما زاد من هياج الشعب على العنف ».

واستجابة لرغبات جهات عليا حلت حكومة زيور فى مارس الماضى البرلمان المصرى معتدية بذلك على الدستور • ومنذ ذلك الحين استطاع سعد زغلول أن يحشد جميع فئات الشعب ضد حكومة زيور تحت شعار « من أجل البرلمان ومن أجل الدستور » وقد أتم انسحاب حزب الاحرار الدستوريين من وزارة زيور عزلة الحكومة عن جماهير الشعب • ولقد أحس سعد زغلول أن لديه من القوة ما يتيح له الدخول فى معركة فما كان منه الا أن اقتحم تلك المعركة . ولقد ركزت الحكومة كل قواتها فى القاهرة ووضعت جميع المبانى العامة تحت الحراسة وأكد زيور باشا للملك أن جلسة البرلمان لن تنعقد •

ولكن البرلمان انعقد بالرغم من ذلك وفى الوقت المحدد من قبل ، ولكن فى مكان آخر • ولقد كانت الاجراءات العظيمة التى اتخذها البرلمان فى هذه الجلسة فوق ما تصوره أكثر انصار سعد زغلول تفاؤلا ، وأعلن ممثلو الاحرار الدستوريين ، وكذلك الحزب الوطنى المتطرف أمام الاعضاء المجتمعين تضامنهم الكامل مع سعد زغلول ، وهم الذين كانوا ولسنين يعارضونه بشدة ، وأقسم الاعضاء المجتمعون على الا يستكينوا حتى تنزاح الحكومة المعارضة للدستور • وهكذا تقف الاحزاب المصرية الكبيرة الثلاثة وراء سعد زغلول وضد زيور •

والاهم من انعقاد جلسة البرلمان المثيرة بدء الجماهير الشعبية فى التحرك ، فنحن

(*) من المعتقد ان ج.ب هو جوزيف بيرجر احد سكرتيرى الحزب الشيوعى الفلسطينى فى ذلك الحين . (الطليعة)

نستطيع أن نشاهد – كما لم يحدث من شهور – اجتماعات يشترك فيها الالاف وهم يهتفون « يحيا الدستور » وبعده يهتفون « يحيا سعد زغلول » وهذا ما يؤكد مرة ثانية الشعبية العظمى لهذا القائد رغم العديد من الاخطاء التى ارتكبها ·

ويعانى الشيوعيون المقبوض عليهم اشد الآلام فأحدهم يشكوا مرضا خطيرا ، بينما بدا الاخرون اضرابا عن الطعام بينما تؤجل قضيتهم باستمرار · ان زيور باشا لا يستند الا الى الجيش والبوليس من جهة وسلطة الملك والانجليز من جهة ثانية ·

وصحيح ان الانجليز لا يصل بهم الغرور الى الدرجة التى لدى زيور ، فاستدعاء المدمرات الى المياه المصرية على وجه السرعة والعصبية التى تظهر فى الصحف المصرية منذ ٢١ نوفمبر تثبت ان الانجليز اقدر من زيور على تقييم اهمية الاحداث الحالية ، ولا ينخدعون بالهدوء الذى جاء بعد الاجراءات التى اتخذها زيور ، فالقوات البريطانية تقف على أهبة الاستعداد فى انتظار العاصفة التى تقترب ·

١٧ ديسمبر ١٩٢٥

معركة الفلاحين فى مصر

يرجع التقدم الثورى فى اعوام ١٩١٨ – ١٩٢٤ الى ان نزعة الفلاح المصرى الى الراديكالية بدأت فى تلك الفترة · فنفوذ حزب سعد زغلول الاساسى ينبع فى الحقيقة من معرفة سعد زغلول الطريق الى ايقاظ جماهير الفلاحين التى كانت لقرون لا تأبه بالسياسة ، ومن ان اول صدام مباشر نشب بين الفلاحين المصريين والانجليز بعد الحرب مباشرة – وكان تعبيرا عن الصدام بين الفلاحين والسلطة الاجنبية – انتهى فى ايام كرومر ، لان هذا الاخير عرف كيف يتخطاه بتطبيق سياسة حكيمة مع الفلاحين ·

وكان سقوط سعد زغلول فى نوفمبر ١٩٢٤ يرجع على الارجح الى هجوم مفاجىء وذكى على الفلاحين الذين لا يزالون فى حالة من التأخر ، وليس الى تحطيم نفوذ سعد زغلول فى الريف · وعندما كفلت الجماهير الريفية فى عام ١٩٢٥ الاغلبية للوفد ، برغم كل الاجراءات الارهابية التى اتخذتها حكومة زيور كان هذا اقوى دليل على ان جذور الحركة الوطنية تضرب بجذورها فى الريف ·

ويستند سعد زغلول الى السخط الواسع الذى أصبح يعمر قلوب الفلاحين فى العام الماضى ، فلقد أهملت الحكومة كل ما يمكن أن يحمى الفلاحين من أبشع أشكال الاستغلال التى تستفحل ·

ولقد وافقت الحكومة على تكوين لجنة تحقيق تحت ضغط الصحافة المعارضة · هذه اللجنة تنشر نتائج ابحاثها ، وهى تميط اللثام عن عدد من الحقائق المتعلقة باستغلال الفلاحين عن طريق المضاربين فى بورصة القطن · ويبين التقرير أنه فى عزبة واحدة فى دمنهور بلغت خسائر الفلاحين من عمليات المضاربة – وهى عمليات غالبا ما يشارك فيها موظفون رسميون – حوالى ربع مليون جنيه ، ويرتفع الرقم فى اماكن أخرى عن ذلك · وظهور التقرير والتهديد باتخاذ اجراءات عنيفة فى هذا الوقت بالذات التى يجرى فيه الاستعداد لاجراء الانتخابات البرلمانية من السمات التى تدل على ما تبذله الحكومة لكى تحوز ثقة الفلاحين ·

ولا تنفرد بهذا الاتجاه الصحافة المؤيدة للحكومة ، وهى الصحافة التى تتمادى فى اضفاء الصفات على موقف زيور الودى من الفلاحين ، هذا الموقف الذى يتلخص فى شعار « مد يد المساعدة للفلاحين » لقد وجه اللورد لويد – المندوب السامى لحكومة صاحبة الجلالة البريطانية – انظار الحكومة المصرية الى بؤس الفلاحين ، وأعلن أن قضية الفلاحين تمثل أهم القضايا التى تتعلق بمصر ·

ان محاكمة واحد وأربعين عمدة من مركز تلا ، وهم الذين رفضوا – تلبية لقرار المقاطعة

الذى اعلنه حزب الوفد – ان يرضخوا لاوامر حكومة زيور عندما طلبت منهم القيام باجراءات الانتخابات .. ان هذه المحاكمة تثبت أن الفلاحين لا يسهل التغرير بهم . كذلك تثبت نتيجة هذه المحاكمة – أكثر من ذلك – ضعف نفوذ حكومة زيور فى الريف وكيف يتضاءل احتمال فوزه فى معركة الفلاحين ، وهى المعركة التى سوف تكون معركة حاسمة فيما يتعلق بما هو آت من الايام .

۲۸ يناير ١٩٢٦

النضال ضد جبهة الاستعمار والاقطاع فى مصر

[ابو سيام] – القاهرة *

يمكن ان نقسم تاريخ تطور الحركة الوطنية فى مصر الى ثلاث فترات :

الفترة الاولى – حوالى عامين – منذ انبعاث الوعى الوطنى حتى عام ١٩١٨ تقريبا ، واثناء هذه الفترة كانت الحركة الوطنية المصرية موحدة وذات هدف أوحد هو استقلال مصر والسودان . فى هذا الوقت كان الحزب الوطنى بقيادة مصطفى كامل الممثل الوحيد للحركة الوطنية .

وفى عام ١٩١٨ انتقلت قيادة الحركة الوطنية الى حزب الوفد وزعيمه سعد زغلول . وفى هذه الفترة بدأت عملية الاستقطاب الطبقى فى الحركة الوطنية المصرية ، ثم ظهرت الى جوار المطلب الموحد للاستقلال برامج سياسية واقتصادية لكل الاحزاب ، وفى هذه الفترة كذلك تمكنت الحركة الوطنية مؤقتا من أن تحكم عن طريق حزب الوفد . وعندئذ أضطرت الطبقات العليا من المصريين وأصحاب المصارف الكبرى والاقطاعيين الى التحالف مع السلطة الاستعمارية ضد الحركة الوطنية فى جميع أشكالها .

وفى نهاية عام ١٩٢٤ بدأت فترة جديدة فى الحركة الوطنية المصرية،هى فترة الاشتباك فى معارك مع الجبهة الاستعمارية ، الاقطاعية التى تمثلها حكومة زيور باشا .

ولقد تذبذب حزب الاحرار الدستوريين – وهو حزب بورجوازى – بين التحالف مع الحركة الوطنية وبين التحالف مع جبهة الاستعمار والاقطاع ونحى عن الحكم وانضم الى المعارضة . وفى ۲۱ نوفمبر عام ١٩٢٥ اجتمع المندوبون البرلمانيون الذين كانوا قد تشتتوا فى مارس ، والذين ينتمى ٩٩ فى المائة منهم الى أحزاب المعارضة (الحزب الوطنى والوفد والاحرار الدستوريين) وقرروا القيام بحملة مشتركة ضد حكومة زيور تحت شعار « الكفاح من أجل الدستور » .

وحاول زيور باشا بناء على نصيحة المندوب السامى الانجليزى ، ان يبدأ بتوجيه ضربة الى المعارضة ، فسن قانونا انتخابيا هو الاول من نوعه وأراد أن يضفى على حكومته شكلا دستوريا عن طريق خدعة اجراء الانتخابات . ولقد ردت المعارضة على تلك الخدعة بمقاطعة الانتخابات ، وتلقف جميع المصريين شعار المقاطعة بكل حماس . فحاول زيور استخدام الارهاب فقدم الى المحاكمة الموظفين الرسميين الذين رفضوا أن ينفذوا اجراءات الانتخابات ، ولقد برأ القضاء – خصوصا فى المناطق التى يتغلغل فيها الشعور الوطنى – هؤلاء الموظفين ، واتضح بعد أسابيع قليلة أن اجراء الانتخابات سيؤدى لا محالة الى فشل ذريع .

وقبل انعقاد المؤتمر الوطنى بأيام قليلة ، وهو المؤتمر الذى اتفقت أحزاب المعارضة على عقده فى ١٩ فبراير عام ١٩٢٦ ، أعلنت حكومة زيور بطلان قانون الانتخابات الذى كانت قد اصدرته ، وانها ستطبق القانون الذى اصدره سعد زغلول ، وأضاف اليه زيور باشا بعض التعديلات فى نوفمبر عام ١٩٢٤ .

وهكذا نجح زيور فى كسر شوكة حملة المعارضة . وصحيح أن المؤتمر الوطنى حضره مالا يقل عن ١٢٠٠ مندوب من جميع الجهات ، وكانت روح جميع المجتمعين متحفزة ، بل اكثر من ذلك مشحونة بالثورة . وقد وافق المجتمعون على ثلاثة قرارات مسرفة فى التطرف تعلن عدم شرعية حكومة زيور وبطلان

(*) ابو سيام : هو السكرتير العام للحزب الشيوعى الفلسطينى فى ذلك الحين . (الطليعة)

القوانين التى تصدرها .. الخ وتطالب باستقالتها .

وفى القرار الرابع ـ الذى كان يجب أن يحسم ، بعد تنازل الحكومة عن قانون الانتخاب الذى أصدرته ، انه كان يجب الاستمرار فى الخط الثورى أو الدخول فى معركة دستورية على شكل حملة انتخابية ـ أذاع سبعة عشر مندوبا أن المجموعة التى تنتمى للحزب الوطنى (وهى مجموعة الوطنيين المتطرفين الذين لايقبلون المساومة) انعزلت وأن أغلبية المؤتمر توافق على مطلب سعد زغلول أن يعودوا الى سلوك الطريق الدستورى وصحيح أن سعد زغلول كان من الخبث بحيث غلف اذعانه فى عبارات غاية فى الثورية .

فتكلم عن نصر ثورى للمعارضة ، وعن تنازلات ، وهى عملية مراوغة قام بها سعد زغلول نتيجة خوف البورجوازية الصغيرة التى يمثلها ورغبتها فى تجنب المواجهة الحاسمة مع أعدائها .

ولكن قرارات المؤتمر الوطنى لم تؤد الا الى تأجيل المعركة الفاصلة ، وبالنسبة للموقف الحاضر فقد نجحت الاستراتيجية التى اتبعتها جبهة الاقطاع والاستعمار المناورة فى حماية حكم عصابة السراى ومستشاريها الانجليز من نشوب ثورة . ولكن المعركة الانتخابية القادمة لن تبين تصميم الجماهير العريضة من الشعب المصرى على التخلص نهائيا من خدم السراى والاقطاعيين ، وأصحاب المصارف ، اولئك الذين يتسببون فى خراب البلد ، ومن الاستعماريين الذين يقفون وراءهم .

١٨ مارس ١٩٢٦.

فوز سعد زغلول فى الانتخابات

ج.ب [القدس]

ان سعد زغلول ، وحزبه يمثل مصالح البورجوازية المصرية الصاعدة ، وتقف من ورائه جماهير الفلاحين العريضة ، دائم التذبذب فى مدة حكمه القصيرة بين المساومة مع بريطانيا العظمى وبين المطالب الجذرية للاستقلال التى تمثلها الحركة الثورية الوطنية ، وكان القصور الذى يعانيه يرجع الى الصراعات الداخلية فى حزب الوفد .

وكان يوم ٢١ نوفمبر عام ١٩٢٥ نقطة تحول كبرى فى السياسة المصرية ، فقد نجح سعد زغلول ، بالتحالف مع الحزبين الصغيرين : الوطنى وحزب الاحرار الدستوريين فى أن يعقد البرلمان الذى كان قد حل ، وبهذا انتصر على الحكومة التى اضطرت الى التراجع .

وفى شهر مارس ـ قبل الانتخابات مباشرة ـ حاول زيور أن يسدد ضربة قاضية فقد حرص على اجراءمحاكمة صورية لسبعة من اكبرمؤيدى سعد زغلولبتهمة الاتصال بالمنظمات الارهابية . وقد نجح فعلا فى حمل المحكمة على أن تصدق قبل الانتخابات مباشرة على التهمة ، وأصدرت حكمها على أحد المتهمين بالاعدام . ولكن هذا الحكم الدموى كان له تأثير عكسى تماما فقد فاز سعد زغلول فى انتخابات ٢١ مايو .

وكل مايمكن قوله الان عن فوز سعد زغلول فى الانتخابات أن هذا الفوز يمثل دليلا قويا على الارادة الثورية للحركة الوطنية المصرية ، فقد صوت الشعب المصرى ضد زيور وبالتالى ضد بريطانيا العظمى ، وهكذا عبر الشعب المصرى ـ كما حدث فى أعوام ١٩١٨ و ١٩١٩ و ١٩٢٤، عن رغبته الاكيدة فى الاستقلال الحقيقى والتام .

ولايمكن أن نتصور حكومة دستورية فى مصر لايشترك فيها الوفد . ومن جهة أخرى فان الكثير يتوقف على موقف الوفد . فسوف يتحدد التطور السياسى المقبل فى مصر الى حد كبير بما اذا كان الحزب الوطنى الكبير ـ وهو حزب الوفد ـ سوف يمسك بزمام القيادة فيه الجناح الايمن الرأسمالى ، أو جناح صغار الفلاحين اليسارى .

٣ يونيو ١٩٢٦

الكفاح في سبيل الحرية والحياة البرلمانية في مصر

أصبحت قيادة الحكومة ترتبط برباط وثيق بالبرلمان ، والمفروض ان يوجهها البرلمان في يد عدلي باشا يكن ، وهو ممثل الحزب الدستورى الحر الذى وان كان لا يتمتع الا باقلية برلمانية ، الا انه اضحى يحظى بالقبول فى نظر الاغلبية البرلمانية التى تنتمى لسعد زغلول ، والفضل فى هذا يرجع الى الانشقاق الذى حدث بين سعد وبين حليفه السابق حزب الاتحاد الذى انفضح اعضاؤه تماما بعد انتخابات شهر مايو .

ولقد كان حزب سعد زغلول يحتل أغلبية المناصب الوزارية فى حكومة عدلى بالاضافة الى رئاسة البرلمان . وهكذا فبالرغم من ان حكومة عدلى فى قبضة سعد زغلول ، فان سعد زغلول نتيجة احتفاظه بالعمل من وراء الستار أمكنه ان يحتفظ بشعبيته اكثر مما لو كان مسئولا رسميا عن السياسة المصرية كما كانت الحال عام ١٩٢٤ .

ولقد عكست دورة البرلمان صورة فريدة لاجتماع تخلى عن مهامه وواجباته الحقيقية ليشغل نفسه بتفاهات لاحصر لها ، ويدعى قــدرته على صرف انظــار الناخبين ــ الذين كانوا ينتظرون منه شيئا خلاف ذلك ــ عن القضية الاساسية . فلم يجيء ذكر شيء عن هذه القضية فى الدورة البرلمانية الاولى (وتتكون هذه القضية بالتحديد من مطلبين أساسيين تقدم بهما الوفد فى المعركة الانتخابية التى خرج منها ظافرا . وهما جلاء الانجليز عن مصر واتحاد مصر والسودان) بل لقد تجنب البرلمان أية اشارة اليها . ولم يناقش المجلس كذلك الحقيقة البديهية التى تقول أن جميع قرارات البرلمان مهما كانت ديمقراطية تصبح غير ذات قيمة طالما كانت البلاد ترزح تحت نير الحكم الاجنبى .

وتعتبر ازمة القطن فى مصر ، وهى الازمة التى تسببت فى تجويع قطاعات واسعة من الشعب مما يعيد الى الاذهان ما تمخض عنه فصل السودان عن مصر ، تلك العملية التى كان يمكن أن تؤدى الى دمار مع دمارا اقتصاديا كاملا .

ويحــاول قــادة الوفد الذين يرغبون فى تأجيل الصدام المفتوح مع بريطانيا الى أطول وقت ، أن يحـوزوا على رضــا صغار الفلاحين بكل وسيلة . لقد تولى فتح الله باشا بركات منصب وزير الزراعة وهو يحاول أن يقـوم باجراء تعاون زراعى واسع لكى يرفع من مستوى الفلاحين .

ولكن حالة السخط التى تعم الشعب وتنعكس فى صفوف الوفد نفسه لا يمكن الوقوف فى وجهها . وشيئا فشيئا يتضح لكل عامل مصرى أن الفكرة القائلة بأن النظام البرلمانى يمكن أن يكون بديلا للاستقلال الوطنى الحقيقى ، لا تعدو أن تكون وهما . ويتبلور شيئا فشيئا المطلب الذى يهدف الى أن يصبح البرلمان الوفدى فى دورة شهر نوفمبر المقبلة ، اداة فى يد النضال المصرى من أجل الاستقلال بدلا من أن يكون جمعية للمناقشات .

١١ نوفمبر ١٩٢٦

انتعاش الحركة العمالية في مصر

لم يبقَ من المنظمات العمالية فى ظل دكتاتورية زيور باشــا أى أثر ، حتى ما بقى من تلك المنظمات بعد الهجوم القاسى الذى تعرضت له الحركة العمالية فى عام ١٩٢٤ أصابه الدمار . ولكن الحركة العمالية بدأت فى الانتعاش التدريجى بعد فوز سعد زغلول فى انتخابات صيف عام ١٩٢٦ وتكوين حكومة عدلى باشا المعتدلة .

وبالطبع لايؤيد عدلى باشا والاغلبية التى لسعد زغلول فى البرلمان ، العمال ، أو الشيوعيين المصريين . فما زالت حكومة عدلى تطبق الاجراءات التى تمت ضد الشيوعية ، وما زال كل مجهود

يقوم به العمال لتنظيم صفوفهم يقابل بمقاومة عاتية ـ ومازالت القوانين المعادية للشيوعية تطبق دون الاستناد الى أدلة ملموسة بل بشيء من المبالغة ـ ولقد اعتمد مبلغ ٣٠٠٠ جنيه استرليني لانشاء ادارة تتبع وزارة الداخلية للوقوف في وجه البلشفية ، ولقد منع [سكاتفالا] وهو شيوعي وعضو في البرلمان الانجليزي من الدخول الى مصر او حتى من أن يعطى تأشيرة دخول ·

ولكن السخط الذي يعم العمال يأخذ التعبير عنه أشكالا تزداد صراحة وتتسع باستمرار فقد عالجت صحف كثيرة باسهاب موضوع الاسكان بين العمال وأجورهم الضعيفة والقهر الذي يلاقونه من أصحاب الاعمال. ولقد دعت هذه الصحف الحكومة الى التدخل بسرعة حتى لا تنتشر الشيوعية بفعل الضيق الاقتصادي · ولقد تكونت في البرلمان لجنة لتضع قانونا لحماية العمال ، والتأمين عليهم ، وهو القانون الذي يرتبط بقانون آخر يتعلق بحق العمال في اقامة علاقات تقوم على التعاون بينهم وبين بعض ، وهو القانون الذي لم يصدر حتى الان رسميا ·

وبمناسبة المناقشة التي جرت في البرلمان حول مسألة الرفيق [سكاتفالا] أيد عديد من المندوبين الوفديين والذين اطلقوا على أنفسهم صفة ممثلي العمال ، أيدوا تنقيح القرار الذي يمنع منحه تأشيرة دخول القطر المصري ·

ولقد هدد عمال الترام بالقاهرة ـ ولهم نقابة قوية ـ بالاضراب عدة مرات ، وأصبحت النزاعات العمالية الخفيفة في المصانع المملوكة لاشخاص والمملوكة للحكومة ، أحداثا تجري كل يوم · وبعض الحوادث الصغيرة تؤدي الى اضرابات جزئية ـ كما حدث في مصانع وادي النيل للطباعة ـ فقد استدعى احد اصحاب هذه المصانع أحد العمال الذي يصدر في نفس الوقت جريدة عمالية لحسابه ، وطلب منه وقف اصدارها ـ ولما رفض العامل ذلك الطلب فصل فما كان من جميع العمال ألا أن اضربوا عن العمل لاجبار اصحاب المصانع على اعادة رفيقهم ، مما أدى الى اغلاق المصانع ·

ومما له دلالة خاصة النتيجة التي اسفرت عنها اعادة الانتخاب البرلماني التي تمت في المنطقة العمالية منية السال ـ فبينما نجح جميع المرشحين المنتمين للوفد في جميع المناطق لم يحدث هذا في تلك المنطقة فقد نزل أمام مرشح الوفد ، الدكتور محجوب ثابت رئيس نقابة عمال القاهرة [في نفس الوقت أحد المنتمين للحزب الوطني] ودخل المعركة بشعارات عمالية واضحة مما جعل التنافس في المعركة عنيفا وانتهى بفوز الدكتور محجوب ثابت ·

وبعد انتخاب الدكتور محجوب ثابت بقليل أعلن أنه سيعمل على تأسيس حركة عمالية مصرية لها صحيفتها الخاصة ، وتكون لها فروع في جميع المدن والقرى ، وستسير هذه المنظمة طبعا في عملها في نطاق القانون ، وسيعقد اجتماع عمالي عام في المستقبل القريب ليعلن قيام المنظمة · وفي صفوف حزب الوفد نفسه طالب العمال المنتمون للجناح اليساري في هذا الحزب اكثر من مرة باتباع سياسة اكثر حسما حيال الانجليز ·

وهكذا نرى أن الكفاح من أجل تحسين الوضع الاقتصادي ، هذا الكفاح يسير الى الامام ويتقدم باطراد ، جنبا الى جنب مع أنتعاش الحركة العمالية في مصر ومع اشتداد المعركة ضد الاستعمار ·

١١ مارس ١٩٢٧

وفاة سعد زغلول باشا وأهميتها بالنسبة لمصر

لقد منيت الحركة الوطنية المصرية بموت سعد زغلول باشا بخسارة لا تعوض · فقد كان لسعد زغلول [١٨٦٠ ـ ١٩٢٧] سجل حافل من الاعمال : فهو قد اشترك في ثورة عرابي باشا عام ١٨٨٢ ، وانضم الى السلك الحكومي وأصبح وزيرا للمعارف عام ١٩٠٧ ، وفي عام ١٩١٩ أصبح رئيسا للوفد المصري الذي طالب بالاستقلال التام ، وقبض عليه ونفي في أعوام ١٩٢١ ـ ١٩٢٣ ، وأصبح في عام ١٩٢٤ رئيسا للوزراء ، ثم زعيما

للائتلاف بين جميع الاحزاب فى مصر فى عام ١٩٢٥ ، وفى عام ١٩٢٦ أصبح رئيسا للبرلمان المصرى ، وكان الشعب المصرى يسميه زعيم الامة . وسعد زغلول باشا هو الذى أسس أكبر حزب وطنى فى مصر ، وكانت تتجسم فيه - خصوصا فى السنوات الاخيرة - ارادة بلاد النيل فى التحرر من السيطرة الاستعمارية التى كانت تجثم فوق صدرها . لقد كان نفوذه يمتد الى جميع الشخصيات السياسية ، كما أن قيادته ربطت بين جميع طبقات الشعب المصرى وفئاته - ملاك الارض والفلاحين ذوى الحيازة وأصحاب العمل والعمال - التى كانت مصالحها متعارضة تعارضا جذريا . لقد عرف سعد زغلول كيف يركز انتباه الطبقات المقهورة على عدوها اللدود : الاستعمار البريطانى ، وقاد هذه المعركة ضد هذا الاستعمار . ويكمن السر فى اثره الواضح على سير الاحداث فى مصر فى مطالبته بـ « الاستقلال التام » الى جانب عدد من الصفات الشخصية البارزة التى مكنته من أسر قلوب الجماهير .

لقد خابت جميع وسائل الاستعمار وحيله فى مواجهة شخصية سعد زغلول ، وكلما زاد الاضطهاد الذى يواجهه ، وكلما وسعت الدعاية البريطانية من جهودها فى الافتراء عليه وتشويه سمعته ، كانت مكانته ترتفع فى عيون الشعب وكان تأييد الحركة الوطنية له يتسع .

ومع هذا فمن الخطأ القول بأن سعد زغلول كان يمثل تمثيلا حقيقيا جميع مصالح الجماهير العريضة من الشعب التى وضعت فيه ثقتها . والاصح أن يقال ان سعدا كان يمثل الطبقة التى بدأ تطورها فى الوقت الذى ظهر هو فيه على مسرح الاحداث والتى كانت معارضتها للاستعمار البريطانى تشتد كلما زادت قوتها وأهميتها ، وهى الطبقة البورجوازية المصرية . وهذه الحقيقة لا تبرز فحسب فى المطالب القومية البورجوازية النموذجية التى عبر عنها سعد زغلول ، وانما اتضحت لاول مرة خلال الفترة القصيرة حين كان سعد زغلول نفسه فى الحكم . فلقد قمع حينئذ بقسوة كل تعبير عن الحركة العمالية ، وحل النقابات العمالية ، وأصدر قوانين لحماية الملكية والجهاز البورجوازى الحاكم . وفى نفس الوقت - وفى نفس الفترة : عام ١٩٢٤ - اتضح بكل جلاء مدى اخلاص البورجوازية المصرية للثورة ، فقد وقع سعد زغلول اتفاقا مع البورجوازية البريطانية [التى كان يمثلها حينئذ ماكدونالد] ولو لم يركب الاستعماريون رؤوسهم لتمدون شك حلف من البورجوازيين على حساب جماهير الشعب المصرى .

وعندما جاءت حكومة بالدوين وأصبحت سياسة انجلترا قمع الحركة الوطنية حتى فى صورتها البورجوازية [كان الاستعماريون البريطانيون يسريدون الانفراد باستغلال السودان] انتقل سعد زغلول مرة ثانية الى صفوف المعارضة واستطاع بذلك استعادة تأييد الجماهير التى كانت ساخطة عليه اثناء حكمه . ومنذ ذلك الوقت عمل سعد زغلول من جهة على الحصول من الانجليز على تنازلات بالوسائل « الدستورية » دون اهمال المطالب الواردة فى برنامج الحزب ، ومن جهة أخرى كان يعمل على الاحتفاظ بنفوذه بين الجماهير .

وبهذا القصد كون سعد زغلول الائتلاف بين الاحزاب الثلاثة الكبرى : الحزب الدستورى الحر الذى كان يؤيد علانية « التعاون السلمى » مع الانجليز ، والحزب الوطنى الذى لا يعترف بغير الوسائل الثورية فى الكفاح ، وحزبه هو حزب الوفد الذى لم يكن له برنامج واضح غير ما كان يتجسد فى رئيسه سعد زغلول . وبعد لأى وجهد ، وبعد أن أسقط حكومة زيور التى كانت خادما طيعا للبريطانيين ، نجح سعد زغلول فى اللعب على التناقضات التى كانت تزداد حدة ، فلم يكن يسمح باى شىء يؤدى الى صدام مفتوح مع انجلترا لان مثل هذا الصدام كان يمكن أن يعرض للخطر كلا من البرلمان الذى كانت لسعد زغلول فيه أغلبية ساحقة ، ومجلس الوزراء الذى كان يسيطر عليه سعد زغلول . الا ان سعد زغلول كان يعتبر « المؤسسات الدستورية » أساسا لصراع قادم من أجل الاستقلال التام ، أو من أجل المساومة مع انجلترا .

ولقد قام سعد زغلول بمحاولات ليتخطى الخصومات بين الاحزاب السياسية المتعددة ، وعمل ما وسعه الجهد فى سبيل اقامة جسر يكون من السعة بحيث يستطيع الاحتفاظ بالائتلاف وتغطية المصالح المتعارضة التى تنمو داخل حزبه (الوفد) بين الجناح اليسارى التقليدى والجناح اليمينى المساوم ، ولكى يقلل من تفاقم الصراعات الطبقية التى كانت تزداد حدة (بين الفلاحين وأصحاب الارض وبين العمال والرأسماليين) حاول اجراء اصلاحات اقتصادية ، وتكوين نقابات وطنية للفلاحين فى القرى ونقابات العمال فى المدن .

ولم يحرز فى كل هذه المحاولات الا نجاحا جزئيا . وانتهى المآل الى صدام مع انجلترا [قضية تطوير الجيش - والمظاهرة البحرية أمام الاسكندرية - فى شهر مايو الماضى] ، والى تناقضات متزايدة بين الاحزاب (انتقال انصار الحزب الوطنى مؤقتا الى

صفوف المعارضة ، وتهديد حزب الدستوريين الاحرار بالانشقاق) والى اضرابات فى المصانع والى حركات الاحتجاج التى قام بها الفلاحون ، وفى كل مكان كان يتحتم على سعد زغلول أن يتدخل شخصيا لتهدئة الخواطر وانهاء الخلافات .

والان ، بعد وفاة سعد زغلول ، لم تعد لدى الحركة الوطنية المصرية شخصية تستطيع القيام بهذا الدور . والان تثور مسألة من يخلف سعد زغلول ، وتتسبب فى خلافات حادة ، وبالرغم من ان ذكرى سعد زغلول ستستمر بلا شك فى ترك أثرها لمدة طويلة الا أن مواقف سعد زغلول التى كانت تنطوى على تناقضات جمة ناشئة من ارتباطه بالطبقة البورجوازية تتسبب فى عدم وضوح فكر سعد زغلول ، مما يمكن اشخاصا كثيرين ومجموعات متعددة من أن يرفعوا راية سعد زغلول ويلصقوها على مصالحهم الخاصة .

هذه المصالح هى التى ستحدد خط سير الحركة الوطنية بوضوح أكثر مما كان متاحا فى حياة سعد زغلول : الكفاح ضد الاستعمار أو المساومة ، وحدة الحزب الثورية ، أو انقسام الى مجموعات سياسية تجمعها ارتباطات شخصية ، دور قيادى للطبقة العاملة المنظمة يضع فى اعتباره الدفاع عن مصالح الفلاحين ، أو سيطرة البورجوازيين ، وتحكم اصحاب الارض ، هذه هى المشاكل التى يتحتم على الحركة الوطنية الثورية فى مصر أن تجيب عليها أجابة واضحة .

١٥ سبتمبر ١٩٢٧

فى أعقاب الانقلاب السياسى فى مصر

لسبب لم يدر بخلد أحد استبقت الازمة الكامنة فى السياسة المصرية كل التوقعات ، ووصلت الى حد الانفجار المكشوف .

فبعد أن استسلم النحاس باشا للانذار البريطانى فى شهر مايو ، حاول باستمرار أن يتقرب الى الانجليز بأسلوب يزداد صراحة على مر الايام ، فقد أقر اقتراعا بتوجيه الشكر للمندوب السامى البريطانى ، وأقر مستحقات الجيش السودانى وهو ما يصل فى الواقع الى حد التبعية لبريطانيا العظمى ، وقام باضطهاد الشيوعيين . كل هذا لكى يمهد الطريق الى المفاوضات مع تشمبرلن .

ولكن هذه السياسة بالذات هى التى أدت الى أن يفقد النحاس باشا الارض التى يقف عليها ، والتى بدونها لا يكون لحزب الوفد أية أهمية أو دور . يضاف الى هذا أن النحاس باشا اثار استياء أحزاب الاقلية بموقفه الدكتاتورى فى البرلمان . وأسوا من ذلك أن حكومته لم تتمكن من اجراء أى اصلاح اجتماعى حقيقى مثل تحسين حالة الكادحين ، وعلى الاخص الفلاحين . وهكذا نجح النحاس باشا - فى فترة أقل من المدة التى استغرقها سلفه واستاذه سعد باشا زغلول - فى فضح الحكومة « الوطنية » .

وبينما ماتت حكومة سعد زغلول « ميتة جميلة » نتيجة القسوة الوحشية للاستعمار البريطانى ، واستردت - الى حد ما - سمعتها برفضها الانذار البريطانى .. فان مؤامرة دنيئة انتهت بانقلاب مرتجل كانت كافية للقضاء على خلف « سعد العظيم » ففى احدى المغامرات النسائية تسبب الامير سيف الدين ذو الاصل التركى - المصرى المختلط فى اصابة الملك فؤاد بجرح ، وادين الامير وأودع احدى المستشفيات العقلية وصودرت ثروته التى تقدر بحوالى اربعة ملايين جنيه . نأخذ النحاس باشا ، وهو محام ، ومحاميان أخران من قادة الوفد على عاتقهم ان يقوموا بدور الوكالة القانونية عن هذا الامير ، وكان عليهم أن يرفعوا من أن حكومة عدلى فى قبضة دعوى بقصد استرداد ثروة الامير .

وقد علقت صحف حزب الاحرار الدستوريين ، والحزب الوطنى على هذه القضية ، كما لو

كانت قذفا فى حق الملك ، مما دفع الملك فؤاد الى طرد النحاس باشا ، وهذا الاجراء فى نظام « ملكى دستورى » يعتبر انتهاكا لحرمة القانون ، ولكن النحاس باشا قبله لاعتقاده أنه كان سيستحيل على الملك أن يجد من يخلفه فى رئاسة الوزارة . ولكن اتضح بعد ذلك أن الامر كان معدا من قبل — فقد قبل محمد محمود باشا — وهو أحد المؤيدين المخلصين للائتلاف مع الوفد — كما شارك فى جميع وزارات هذا الائتلاف — تأليف وزارة جديدة بالاشتراك مع حزب الاتحاد وهو حزب الملك .

وكان محمد محمود هذا هو الرجل الذى يبحث عنه الانجليز . ومن الصعب التحقق من مدى صدق ما قاله النحاس باشا — الذى اتهم زعيم الاحرار بالخيانة — من أن المسألة كلها كانت من عمل الانجليز . ولكن الحقيقة لا تزال قائمة ، وهى أن القضية المصرية ، التى ألقت بظلها الكئيب على الامبراطورية البريطانية فى الربيع ، واضطرتها فى شهر مايو الى ارسال الاسطول على وجه السرعة الى المياه المصرية هذه القضية يمكن أن تعتبر قد وصلت الى مرحلة التصفية الان . لقد تحولت المعركة بين بريطانيا العظمى ومصر الى خلافات داخلية حول المناصب الوزارية وهو ما تشير اليه الصحافة البريطانية المحافظة بارتياح لا تحاول اخفاءه . ومن هنا نرى أن هذه الجولة الجديدة فى الاحداث لم تكن بدون فوائد ، خصوصا بالنسبة للاستعمار البريطانى .

ومهما حاول النحاس باشا أن يعزو سقوطه الى الحراب البريطانية ، ويهاجم الاستعمار البريطانى ، فبعد الشهرين الاخيرين من حكمه لم يعد تعصبه القومى يلقى كثيرا من التأييد ، فمما لا شك فيه أن الوفد قد فقد قدرا كبيرا من نفوذه .

وقد يكون الوفد لا يزال اتوى بكثير مما يخطر على بال خصومه وعلى وجه الخصوص الائتلاف الجديد بين الاتحاديين والدستوريين الاحرار . وليس من المؤكد ان هؤلاء الخصوم يستطيعون الان عندما تضطر اللجنة الوفدية الى اتخاذ موقف ثورى أن يبعدوا الوفد عن عطف البورجوازية الصغيرة والفلاحين الذين يعتمد عليهم الوفد . كذلك فان محمد محمود يستخدم طرقا ومناهج ديماجوجية : فهو يعد الفلاحين بأن يبيعهم أراضى الحكومة بأسعار زهيدة وبتوزيع الماء عليهم توزيعا عادلا . وهو يستخدم سخط الفلاحين على وزراء سعد زغلول ، وهو فى الحقيقة يحاول دعم مركزه وتحطيم الوفد حتى يسهل عليه اتمام المساومة مع بريطانيا ، تلك المساومة التى يسعى اليها الاحرار الدستوريون منذ أمد طويل .

والانقلاب الذى قام به الملك فى الحكم قد وضح لثانى مرة كيف ينغمس القادة البورجوازيون للحركة الوطنية المصرية فى الدسائس والمكائد ، وكيف يشترك الملاك والاقطاعيون وأصحاب المصارف والبورجوازية — الذين ينقسمون الى حلقات وشلل — فى معارك جانبية ، وهكذا يمهدون الطريق للاستعمار للوصول الى غرضه . ومرة أخرى تتضح أهمية خلق حركة ثورية هجومية من الفلاحين والعمال ، فهذه الحركة وحدها هى التى تملك أن تناضل من أجل الاستقلال .

مجلد ٨ — عدد ٤٣

٨ أغسطس ١٩٢٨

الدكتاتورية فى مصر

يمثل التاسع عشر من شهر يوليو أهم يوم فى التاريخ المصرى فى الاعوام الخمسة والاربعين الاخيرة ، تلك هى العبارة التى افتتحت بها جريد « الاجيبشيان جازيت » اللسان شبه الرسمى للاستعمار البريطانى فى مصر مقالتها عن الاجراءات الدكتاتورية التى توج بها محمد محمود — بعد أقل من ثلاثة أسابيع من اقالة وزارة النحاس باشا — الانقلاب الذى دبره مع ملك مصر .

ومما هو جديد بالملاحظة أن الحدث الذى تؤرخ به الاجيبشيان جازيت لفترة جديدة من التاريخ المصرى ، هو احتلال القوات البريطانية للبلاد المصرية . ومعنى هذه الكلمات واضح ، فالفترة الطويلة لكفاح المصريين العنيد والثابت فى سبيل التحرر ، وهى الفترة التى كان من ثمارها أشخاص مثل عرابى باشا ومصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول ، والتى حققت الاستقلال الاسمى وحرية الصحافة والائتلاف والنظام البرلمانى ، هذه الفترة بدا أنها تقدمت الى ما قبل مجىء محمد محمود باشا أساسا ثابتا كان الشعب المصرى يتمنى أن يبنى

عليه تحررا حقيقيا ودائما • ولكن جهود نصف قرن من الكفاح ألغتها هذه الاجراءات بجرة قلم . وعاد الاستعمار البريطاني الى التنفس بحرية ، وفى اعتقاده انه قد تخلص من الكابوس الذى كان يجثم على صدره •

وفى خطاب محمد محمود الى الملك الذى يقترح فيه تعطيل حرية الصحافة وحظر الاجتماعات والغاء معظم المواد الهامة فى الدستور المصرى ، يبرر هذه الاجراءات العنيفة بضرورة حماية البلاد من حزب « الوفد » • وستسير الحكومة على سياسة تقوم على الاصلاح والتفاهم مع بريطانيا العظمي دون خوف من تدخل جماهير الشعب • وليست سياسة الوفد هى ما يهدف اليه هذا الهجوم ، فمحمد محمود نفسه يقول ان هناك اتفاقا تاما فى الائتلاف السابق على القضايا السياسية الهامة ، وهو الائتلاف الذى لعب فيه الوفد دورا قياديا • وانما يتجه هذا الهجوم ضد التنظيم الجبار للشعب الذى يمثله الان الوفد والذى نما عاما بعد عام فى مواجهة رغبات قادته المساومين وبرغم مهادنته للاستعمار •

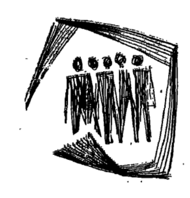
وباعلان الدكتاتورية تبدأ بالنسبة للوفد فترة من الكفاح العنيف من أجل البقاء • وتتميز دكتاتورية محمد محمود عما سبقها من محاولات ـ مثل حكومة أحمد زيور والحكومات غير الدستورية التى تشكلت عام ١٩٢٢ ـ بتصميم الدكتاتور الجديد على عدم اعتبار حكومته حكومة مؤقتة أو حكومة انتقال ، وانما نظاما دائما • ولم يعطل البرلمان لاجل غير مسمى وانما لمدة ثلاثة أعوام ، وصاحب هذا التصريح اعلان بأن اعادة النظام البرلماني سوف لا تطرح على بساط البحث قبل هذا الموعد • ولم تكتف الحكومة الحالية بحل مجلس النواب ـ كما حدث منذ ثلاثة أعوام ـ وانما أتبعته بحل مجلس الشيوخ • ولا يستغرق برنامج « الاصلاح » الذى يزعم أنه يقف وراءه أسابيع أو شهورا ، وانما يمتد لمدة أعوام •

ومهما بدت هذه «الاصلاحات» ذات فوائد للعمال والفلاحين الذين ألقى اليهم هذا الطعم [لقد أطلق الباشا على نفسه صفة الدكتاتور الصالح !] فهى لاتزيد من أن تكون آمالا كاذبة ، هذا فى الوقت الذى تتجسم فيه اليد الحديدية لمحمد محمود كحقيقة ملموسة وهو يعمل على توطيد سلطته بأقسى اشكال الارهاب البوليسى • ومما يزيد الامر سوءا ان هذا الارهاب يعتمد نجاحه على انه موجه ضد الالاف من مؤيدى الوفد الذين رغم عدم رضاهم من قادتهم ، يعودون الى صفوف الوفد تحت وطأة الطغيان الدكتاتورى ، وبالرغم من الحجر على الحريات والاجراءات البوليسية ، تنطلق المظاهرات يوميا ضد الحكومة فى كثير من المدن المصرية ، وتنفصل مجموعات كاملة حتى من الاحرار الدستوريين ، معبرة بذلك عن عدم موافقتها على الاجراءات الدكتاتورية التى اتخذها محمد محمود •

ولكن ليس من المؤكد أن يجد الوفد فى نفسه الشجاعة ليقود السخط العام ـ الذى تفجر نتيجة اعلان الدكتاتورية ـ فى مسار ثورى ، وتحجم أجهزة حزب الوفد القيادية فى الوقت الحاضر عن ان تقدم على هذه الخطوة ، وترى هذه القيادات ان دكتاتورية محمد محمود ستصل حتما الى اخفاق كامل وسيسهل عندئذ أن تستعيد الاوضاع السابقة بالمفاوضات [ربما بائتلاف جديد] دون اللجوء الى الاجراءات الثورية •

ولكن هؤلاء القادة لا يضعون فى اعتبارهم عاملين : فهم ينسون أولا أنه فى نفس الوقت الذى سيزداد فيه تأييد الجماهير للوفد ، سيكون محمد محمود قد تمكن من ايجاد الوسائل لتوطيد أجهزته ، وهم ثانيا يقيمون حساباتهم على افتراض أن الوفد سوف يحتفظ بتأييد الجماهير رغم فشله فى أن يرتفع الى مستوى الاحداث • ولكن تجربة الاعوام الاخيرة توضح أن هذا الفرض ليس مؤكدا بهذه الدرجة •

٩ أكتوبر ١٩٢٨



الثمن ١٠ قروش

مطابع مؤسسة الاهرام

الطليعة

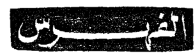
طريق المناضلين إلى الفكر الثورى المعاصر

٤

ابريل ١٩٦٩ - السنة الخامسة

جبهة عربية - يهودية - عالمية ضد الامبريالية والصهيونية

- مستقبل الأرض الجديدة فى مصر
- الأفغانى .. مفكرًا ومناضلًا "ملف خاص"
- رؤية الموظف الصغير للواقع الراهن "تقارير وشهادات واقعية"
- وثائق مؤتمر الحزب الوطنى المصرى "بروكسل - ١٩١٠"
- حرب العصابات المضادة "من حركة القنفذ إلى قفزة الضفدع"



العدد الرابع ــ السنة الخامسة ــ ابريل ١٩٦٩



طــريق المناضلين الى الفــكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
عبد المنعم القصاص

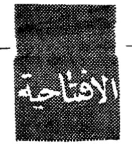
■

عنوان المراســلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجــلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٢٦ ــ ٥٩٠١٠ ــ ٥٩٥٦٠

الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحــاد البريد العــربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا

ان «الطليعة» ميدان مفتوح لكل رأى حـر ، وفى اعتقادها أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع أن يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح «الطليعة» صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتير فى القرن الثامن عشر « قد اختلف معك فى الرأى ولكنى على استعداد لأن أدفع حياتى ثمناً لحقك فى الدفاع عن رأيك ».



الخطوط الرئيسية لهذا المقال ، ثمرة مناقشة ايجابية ، اتيح لى على فترات متلاحقة أن اديرها مع عدد من قيادات فتح والجبهة الشعبية وبعض الاصدقاء من المناضلين والمفكرين العرب

جبهة عربية - يهودية - عالمية ضد الامبريالية والعنصرية

عثما

يصل الوضع « **بالاحتلال** » الى مرحلة الاعتراف الصريح «**بالمقاومة**» فى بلد ما ، فهذا يعنى ان «**المقاومة**» قد تخطت بالفعل مصاعب اثبات الوجود ، وبلغت من النمو والفاعلية درجة « **الواقع الموضوعى** » الذى لم يعد من الممكن اغفال وزنه وتأثيره المتزايدين على مستقبل الصراع .

وتعلمنا تجارب التاريخ الانسانى ان « **العدو المحتل المسيطر** » لايعترف بكيان « **عدوه المحتل المقهور** » الا بعد ان تجبره ظروف الصراع على ذلك جبرا . ويصبح من غير المجدى ــ محليا وعالميا على السواء ــ استخدام كل وسائل القهر والتمويه والاخفاء والتهوين . ويأتى الاعتراف هنا كمحاولة ذكية من جانب العدو الذى ما برح مسيطرا ، وذلك من أجل الظهور بمظهر الواقعى الذى لا يخفى شيئا حتى قوة عدوه النامية . وبهذا يعطى الانطباع بأنه مازال على قوته وقادرا على استيعاب المقاومة وامتصاصها . بيد أن التجارب التاريخية ، هنا أيضا ، تعلمنا انه عندما تتطور علاقات القوى بين الاحتلال والمقاومة الى نقطة « **اعتراف العدو بعدوه** » فان ذلك يعنى أن مرحلة « **بداية النهاية** » قد اقتربت من أبواب العدو القاهر المغتصب ، وهى مرحلة تتميز غالبا بشراسة وضراوة بالغين ، فضلا عن تعقيد شديد فى استخدام كل الاساليب والوسائل المتاحة لكل طرف ، وذلك بالقياس الى جميع المراحل السابقة .

وعلى الرغم من أن مرحلة « **بداية النهاية** » تمثل تحولا كيفيا وحاسما فى تاريخ الصراع ، الا أنها قد تمتد لسنوات طويلة ومريرة . تتركز خلالها كل آلام المخاض العنيف « **لميلاد وطن جديد** » يجسد ارادة وفكر العدو المقاوم للقهر والاحتلال . ويستلزم هذا الميلاد ان تكون البيئة والمناخ المحليان والعالميان ، ممهدين لاستقباله واحتضانه . ومن هنا يصبح من المهام العاجلة « **للمقاومة** » فى هذه المرحلة أن تطرح بأقصى درجة من الوضوح استراتيجيتها . غير أن طرح الاستراتيجية وحده لا يكفى ، وانما يستوجب الامر جذب أوسع القوى الانسانية ــ محليا وعالميا ــ حول هذه الاستراتيجية ، لتغدو « **قوة حركية** » ، مؤثرة سياسيا وفكريا .

واليوم .. بعد حوالى سنتين من هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، يمكن القول باطمئنان موضوعى أن علاقات القوى بين الاحتلال الاسرائيلى الصهيونى وبين المقاومة العربية الفلسطينية ، قد بلغت نقطة « اعتراف العدو بعدوه » . واننا بذلك نقترب حثيثا من مرحلة بداية النهاية . وهى مرحلة ــ فى ظروف الصراع العربى الاسرائيلى ــ ستمتد بالقطع سنوات طويلة ومريرة نسبيا . واذا كانت المرحلة تستلزم بالضرورة الطرح الواضح لاستراتيجية المقاومة العربية الفلسطينية ، فان الظروف الخاصة للصراع تحتم العمل على بلورة هذا الطرح فى كيان تنظيمى ــ محلى عالمى ــ على أكبر قدر من الانفتاح الانسانى والفاعلية فى الحركة والتأثير .

كيف ؟

هذا هو السؤال الرئيسى ، ولكن الاجابة عليه تتجمع من خلال الاجابة على ثلاثة أسئلة فرعية :

أولها : لماذا نقول أن علاقات القوى فى الصراع الاسرائيلى العربى قد بلغت نقطة اعتراف العدو بعدوه ؟

وثانيها : ماهى معالم الاستراتيجية الخاصة بالمقاومة الفلسطينية ؟

وثالثها : ما هو طبيعة الكيان التنظيمى المقترح لتمهيد البيئة والمناخ ــ محليا وعالميا ــ لقبول « **الوطن الجديد** » الذى تنادى به المقاومة ؟

اننا نعثر ــ بادىء ذى بدء ــ على الاجابة الواقعية للسؤال الاول من ذلك التعاظم الكمى والكيفى لحركة المقاومة الفلسطينية التى شملت كل الارض المحتلة قبل وبعد ٥ يونيو ١٩٦٧ ، ونفاذها الى القلب المدرع للعدو المحتل فى تل أبيب والقدس بالذات ومطاردتها لطائراته حتى روما واثينا وزيورخ . وما تبلور عن ذلك من حركة شعبية ذات أبعاد تحريرية عبأت الجماهير الفلسطينية رجالا ونساء من مختلف الاعمار والمهن والفئات الاجتماعية من خلال أعمال جماهيرية سياسية تتحدى باستمرار سلطات الاحتلال .

ونعثر مرة أخرى على الاجابة من خلال فشل كل اجراءات القمع والارهاب والانتقام الاسرائيلية فى تصفية حركة المقاومة ومنع احتضان الجماهير الشعبية لها . ويدل على ذلك عدم جدوى خطة عمليات الانتقام المحدودة ضد المقاومة التى بداتها اسرائيل بالعدوان على « **الفدائيين** » بالكرامة فى مارس ١٩٦٨ ، وذلك باعتراف قادة الاحتلال من العسكريين والسياسيين من أمثال **ديان** وزير الدفاع **وبارليف** رئيس

الاركان ، ومناحم بيجين وزير الدولة وأباايبان وزير الخارجية وغيرهم ، فقد اكدوا أخيرا - فبراير ١٩٦٩ بالتحديد - علىأن « **عمليات الانتقام لم تعد مجدية في وقف خطر عصابات التخريب الفلسطينية ، وانالوضع أصبح يستلزم اجراءات أكثر شدة وعنفا ، وذلك تنفيذا لسياسة جديدة هيسياسة الدفاع عن النفس ضد الفدائيين** » .

.. ومرة ثالثة نعثر على الاجابة من خـلال « **الاعتراف الدولى** » **بالمقاومة** الفلسطينية وتزايد خطرها على الاحتلال الاسرائيلى . وقد عبرت عن ذلك منابر صحفية ذات ثقل دولى متميز بعضها صديق للعرب - وان كان لازمه التحفظ فى البداية ازاء مدى جدية حركة المقاومة - وذلك مثل البرافدا والازفستيا السوفيتين ، والبوربا اليوغوسلافية وغيرها من صحف البلاد الاشتراكية ، والبعض الاخر صديق لاسرائيل أو على الاقل عاطف عليها وأقرب الى تأييد الصهيونية منه الى تأييد حركة التحرر العربى ، وذلك مثل **التايمز والاوبزرفر والايكونوميست والصنداى تايمز** فى بريطانيا ، **والفيجارو والموند والاكسبريس والنوفيل اوبزرفاتير والبارى ماتش** فى **فرنسا**، **والتمبو والجورنو والكوريرا دى لاسيرا** فى ايطاليا ، **وجورنال دى جينيف والبوند** فى سويسرا ، **وسيد دويتشه ودى فليت** فى المانيا الغربية ، **والنيويورك تايمز والتايم والنيوزويك** فى الولايات المتحدة الامريكية .

ويضيق المقام هنا عن رصد ما شرعت كل هذه المنابر فى نشره من تقارير مراسليها فى اسرائيل خاصة والشرق الاوسط عامة ، عن « المقاومة الفلسطينية » كواقع حى نام ومتحرك . ولعله يكفى هنا ان نشير الى بعضها .

كتبت صحيفة « **دى فليت** » **الالمانية فى عددها الصادر فى ١١ فبراير ١٩٦٩** ، **تقول** : « **أصبح الفدائيون حركة ثورية ، لهم انظمتهم الاجتماعية والاقتصادية الخاصة التى يريدون تعميمها فى البلدان العربية** » .

وكتب فرانك جيلتر مراسل « **الصنداى تايمز** » **البريطانية** فى اسرائيل يقول فى العدد الصادر بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٦٩ :

« **ان ثمة عاملا جديدا هاما بدأ يبرز فى الحقيقة .. وأعنى به بزوغ نجم المنظمات الفلسطينية التى أصبحت منذ حرب الايام الستة عاملا يحسب حسابه على عكس ماكان يحدث فى التسعة عشر عاما الماضية .. ولاول مرة نجح الفلسطينيون الذين كانوا أكبر ضحايا انشاء دولة اسرائيل فى نقل رسالتهم الى العالم ..** »

ونشرت مجلة التايم الامريكية فى عددها الصادر فى السابع من مارس ١٩٦٩ تقريرا لمراسلها فى اسرائيل يقول :

« لقد قررت الحكومة الاسرائيلية فى آخر اجتماع لها برئاسة اشكول ، اتباع سياسة جديدة لمواجهة الفدائيين ، وهى سياسة الدفاع الايجابى **عن النفس - على حد قول أبا ايبان وزير الخارجية ، أو شن حرب مباشرة ضد الفدائيين دون أى اعتبار للدول المضيفة لهم . فاذا وصل هذا الى حد الاعتراف بالفدائيين كقوة مستقلة ، فانه ايضا يؤكد لهم وجودا يؤرق ..** » .

وقد وصل الوضع فى علاقات القوى بين الاحتلال الاسرائيلى الصهيونى وبين المقاومة العربية الفلسطينية، الى الذروة قبيل وفاة اشكول رئيس مجلس وزراء حرب يونيو . ونعنى بالذروة هنا اقدام أعلى مستويات السلطة السياسية والعسكرية فى اسرائيل

على « الاعتراف سياسيا وبطـــريق علنى واضح » ، بالمقاومة الفلسطينية وكيـانها وذلك بعد محاولات متعددة من الاستخفاف والتهوين من قوتها ونفوذها ٠

ومما يستوقف النظر أن هذا الاعتراف السياسى الاسرائيلى بالمقاومة لم يقف عند حد « الاعتراف بالخطر » بل وصل الى حد المطالبة « بالتفاوض » معها ٠ وذلك فـى محاولة لمحاصرتها سياسيا بعد فشـل المحاصرة العسكرية ٠

فى حديث **ليفى أشكول** الى مجلة نيوزويك الامريكية قبيل وفاته بأيام ، أجاب ردا على سؤال صريح من المجلة عن المـوقف من « فتح » خاصة والمقاومة الفلسطينيـة النامية عامة : « **اذا أراد رجال فتـح أن يتحدثوا معنا مباشرة فلن نرد رداسلبيا** » ٠

وقد جاء هذا الاعتراف السياسى من رئيس وزراء اسرائيل بعد اعتراف آخر سجله بوضوح أشد وتخصيص أكثر تحـديد! ، الجنرال موشى ديان وزير الدفاع ، المتطلع الى خلافة أشكول فى السلطة ، وذلك خلال حديث أجرته معه جـريدة « **الفيجارو** » الفرنسية بتاريخ ١٣ فبراير ١٩٦٩ ٠ فقد سأله مراسل الصحيفة « **أيف كيو** » سؤالا مباشرا :

ـ « يقال انكم أجريتم اتصالات أخيرا مع السيد ياسر عرفات أحد قادة منظمة فتح ؟
وأجاب « ديان » ؟

ـ لم أجر اتصالات مباشرة ٠ ولكننى قمت باتصالات غير مباشرة الى حد ما ٠٠ فهناك أحد الفلسطينيين الذى قابلته بالمصادفة البحتة ، والذى قابل ياسر عرفات فى الاردن بعد ذلك بقليل ٠ وكنت قد قلت ــ عرضا ــ لذلك الفلسطينى أن يسأل السيد عرفات عما اذا كان يبغى التحدث معى وتناول فنجان شاى ٠ ولكنه لم يكن يبغى هذا ، بل انه يريد تدمير دولة اسرائيل ولا يعترف بوزرائها ٠٠ وهــذا لا يهم كثيرا ٠

وحين عاد المراسل يسأله بدهشة ، خاصة وأن هذا المراسل بالذات قد نقل عن ديان نفسه من قبل عبارات تستخف بالمقاومة وفتح وتأكيد قاطع بضربها ضربة قاضية خلال الاسابيع التالية لحرب يونيو :

ـ ولكن هل تقبلون أنتم البدء بمثل هذا الحوار ؟

وجاء صوت ديان قاطعا :

ـ ولم لا ؟

لا أعتقد ، بعد هذا العـرض ، نكون مبالغين ــ وهو ما يجب أن ننأى بأنفسنا عنه بشدة ــ اذا قلنا أن علاقة الاحتلال بالمقاومة قد بلغت بالفعل نقطـــة « **اعتراف العـــدو بعدوه** » ، وأننـا بـذلك نقتـرب مـن اعتاب « مرحلة بداية النهاية » الشرســة الضارية ٠ وهنا أيضا يمكن أن نستند الى مصادر اسرائيلية خالصة ٠ فقـد نشرت صحيفة « **عل همشمار** » لسان حال « **حزب المبام** » فى عددها الصادر فى ٢٤ فبراير ١٩٦٩ ، تكشف عن أن آخر اجتماع لمجلس الوزراء برئاسة ليفى أشكول قد عقد بمنزله قبيل وفاته « **وذلك لتمكينه من رئاسة الجلسة والاشتراك بصفته الشخصية فى المناقشة التى يعلق عليها المراقبون السياســيون اهتماما كبيرا فيما يتعلق بخطوات اسرائيل المقبلة فى القطاعات المختلفة** » ٠

وتمضى الصحيفة الصهيونية فتسـلط الاضواء على محور هذه المنـاقشة ذات الاهمية الكبيرة لمستقبل اسرائيل ، فتجسدها على النحو التالى بالتحديد : « **قيام ممثلى اسرائيل بشرح وجهة نظر اسرائيل لبعض الحكومات الصديقة ، والصــورة التــى أوضحها أمس وزير الخارجية أبا ايبان فى الجلسة الاسبوعية للحكومة ، وذلك على**

اساس ان بيانات المنظمات الارهابية المتكررة، فى أنها ستستمر فى نشاطاتها الاجرامية بتأييد من الحكومات العربية وأن عملياتها ستشن حربا دائمة ضد اسرائيل ومواطنيها .. تلقى على اسرائيل واجب استعمال حقها فى الدفاع الذاتي العملى ضد رجال هذه المنظمات طبقا لما تراه » .

وهكذا يحدد مجلس الوزراء الاسرائيلي بوضوح فى اجتماع مارس ١٩٦٩ الغير عادى أن مستقبل اسرائيل تهدده المقاومة الفلسطينية . وأمام الاعتراف المحلى والدولى بقوة المقاومة فان اسرائيل توضح « لدولها الصديقة » انها أصبحت تخوض معركة الدفاع عن الذات . أو بتعبير آخر معركة استمرار مجتمع الاحتلال العنصرى الصهيونى ، ضد ميلاد مجتمع المقاومة الجديد المعادى للصهيونية والعنصرية .

ولكن ما هو مجتمع المقاومة الجديد ؟ ان هذا يقودنا الى السؤال الفرعى الثانى عن معالم الاستراتيجية الخاصة بالمقاومة الفلسطينية ، والذى أصبح من الضرورى فى المرحلة المعاصرة طرحها بوضوح كاف وبتحديد قاطع والتزام مبدئى صريح .

ونقطة البدء - فى رأيى - لطرح استراتيجية المقاومة أنها تكافح ضد واقع استعمارى مفروض بالقوة على بلد فى شكل احتلال عنصرى استيطانى . ولما كان الكفاح يستهدف بالضرورة تغيير هذا الواقع بواقع جديد ، فان هذا الواقع الجديد يجب أن يكون أكثر تقدما وتمشيا مع حركة التاريخ الانسانى من الواقع الراهن . ولكى يكون الواقع الجديد تقدميا فلابد من أن يكون معاديا للاستعمار بجميع أشكاله وللعنصرية بكل صورها ومنابعها .

ولا يغيب عن الذهن أن ميلاد هذا الواقع الجديد يحدث من خلال الصراع العربى الاسرائيلى فوق الارض الفلسطينية خاصة والارض العربية عامة . وبالتالى فهو يواجه مشاكل وقضايا محسوسة ، وعلى استراتيجيته بالتالى ان تقدم حلولا واقعية محددة وممكنة التنفيذ فعليا . من هذه المشاكل والقضايا مثلا :

- **طبيعة نظام الدولة فى الواقع الجديد ؟**
- **موقفها الدولى والمحلى فى المنطقة ؟**
- **مصير الـ ٥ر٢ مليون يهودى الذين يعيشون اليوم فى اسرائيل ؟**

ان استراتيجية المقاومة الفلسطينية هى استراتيجيه حركة تحرير معادية للاستعمار والعنصرية . ومن هنا يجب أن تنبع حلولها الاستراتيجية لجميع المشاكل والقضايا . فطبيعة نظام الدولة فى الوضع الجديد يجب أن تكون « علمانية » ، وذلك مقابل الطابع اليهودى بأبعاده العنصرية لاسرائيل . بمعنى أن المجتمع الجديد هو مجتمع مفتوح لجميع اليهود والمسلمين والمسيحيين دون ما تمييز أو تفريق بين مواطنين من الدرجة الاولى ومواطنين من الدرجة الثانية . وهذا الطابع غير العنصرى للدولة الجديدة يفرض مفاهيمه وقواعده بالضرورة على دستورها وقوانينها وحقوق وواجبات المواطنين .

والواقع الجديد بقيامه كثمرة لحركة تحررية معادية للاستعمار ، فانه يصفى نظامه من كل ارتباط أو تبعية بالامبريالية والاستعمار القديم والجديد ويصبح جزءا لا يتجزأ من نسيج قوى المنطقة المتحررة التقدمية ، سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

ويعنى هذا فيما يعنيه أن يتحول من جسم غريب مستورد الى جسم أصيل من منطقة الشرق الاوسط .

والواقع الجديد أيضا ، يواجه مشكلتين أساسيتين : مشكلة جماهير الشعب الفلسطينى التى طردت من وطنها ، ومشكلة المليونين ونصف المليون من اليهود الذين هاجروا الى فلسطين واستوطنوها ، ومنهم من ولد بها . والحل الاستراتيجى التقدمى للمقاومة هو عودة الشعب الفلسطينى الى وطنه من ناحية، وحق المواطنة الكاملة لكل من المليونين ونصف المليون يهودى الذين يرون الاستمرار فى الحياة بالواقع الجديد غير العنصرى . بمعنى أن استراتيجية المقاومة تميز بدقة بين اليهودية والصهيونية . فالصهيونية وحدها هى المرفوضة كحركة عنصرية رجعية تخدم المصالح الامبريالية فى المنطقة . بل أن الواقع الجديد يجب أن ينفتح حتى لمن يعلن ويؤكد بالتجربة العملية انفصاله عن الصهيونية وتطهره منها . وبدون هذا فان الواقع الجديد يفقد مبررات كفاحه وقيامه كمجتمع تحررى غير عنصرى .

ولكى تكتسب هذه الاستراتيجية قوة حركية ذات ثقل محلى وعالمى متزايدين فى الصراع بين حركة التحرر الانسانية وبين حركة الامبريالية العنصرية ، فانها يجب أن تتبلور فى « **تنظيم حركى** » يعبىء قوى كل العرب واليهود المعادين للامبريالية والصهيونية وجميع صور العنصرية ، وذلك على المستوى المحلى والعالمى على السواء . وبهذا يمكن محليا وعالميا مواجهة كل القوى الاستعمارية والعنصرية بجبهة شعبية سياسية ، تكون قاعدة واسعة وعميقة تتكثف من خلالها كل الخبرات والجهود لبناء الواقع الجديد ، وفى نفس الوقت تفرز قوة الضمان الموضوعى لكى يتحقق هذا الواقع على النحو الصحيح والصحى .

والحق أن المرحلة المعاصرة للصراع ـ محليا وعالميا ـ ممهدة تماما لبناء هذه الجبهة الجديدة . ونستطيع فى هذا المجال أن نعدد باختصار عدة عوامل ايجابية : بزوغ نجم المقاومة الشعبية الفلسطينية التقدمية من جانب ، والنمو النسبى للقوى المعادية للامبريالية والصهيونية فى اسرائيل نفسها من جانب آخر ، وبلوغ الحركة العربية الثورية ـ من خلال الازمات الطاحنة ـ درجة من النضج فى مواجهة قضايا ومشاكل المنطقة من جانب ثالث ، وانكشاف الطابع العنصرى والاستعمارى والتوسعى للصهيونية المسيطرة فى اسرائيل بصورة متزايدة ، ولم يسبق لها مثيل عالميا من جانب رابع .

وفى اعتقادى أن الخطوة الاولى فى بناء هذه الجبهة التى سوف تقلب جذريا موازين القوى هى مسئولية مشتركة لكل من المقاومة الفلسطينية من ناحية والجماهير اليهودية المحلية والعالمية المعادية للامبريالية والصهيونية من ناحية أخرى .

وهذه الجبهة بقيامها من حول برنامج تقدمى يجسد ارادة التحرر من الامبريالية والعنصرية ، لن تقدم خدمة فحسب للجماهير العربية والجماهير اليهودية والصراع العربى الاسرائيلى، بل خدمة لحركة الانسانية التى تحث الخطى نحو عالم جديد متطهر من الاستعمار والعنصرية والعدوان ، واخطار حرب الدمار الشاملة ، التى يمثل الموقف بالشرق الاوسط الان ، احدى بؤراتها المهددة بالانفجار .

لطفى الخولى



حرب العصابات المضادة

من "حركة القنفذ" إلى "قفزة الضفدع"

يكتب هذا المقال ، المناضل الفلسطيني « عبد القادر ياسين » عن حرب العصابات المضادة التى تقوم بها بعض جيوش الاحتلال ضد حرب العصابات الثورية . وذلك من واقع خبراته ودراساته . وهو بذلك يعالج موضوعا فى غاية الاهمية بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ضد الاحتلال الاسرائيلى .

عبد القادر ياسين

حرب العصابات سلاح اساسى فى يد الثورة ، وليس فى امكان الثورة المضادة ان تخوضها ، لاعتمادتلك الحرب على الشعب . تلك حقيقة تدركها جيدا قوى الثورة المضادة ، الا ان ذلك لم يمنعها من محاولة صياغة نظرية لحرب عصابات مضادة . بل ولم تمنع تلك الحقيقة قوى الثورة المضادة فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، والمتمثلة فى العصابات الارهابية الصهيونية « الهاجاناه » و « شتيرن » و « الارجون » من خوض حرب عصابات . كما تكرر ذلك فى اليمن حيث انقلبت الاية ، فخاضت قوى الثورة المضادة هناك ـ فى اعقاب ثورة نوفمبر ١٩٦٢ ـ حرب عصابات ، فى حين اعتمدت قوى الثورة هناك صيغة الحرب النظامية .

ويؤكدكبار الاستراتيجيين الاستعماريين « انه قد اكتشفت وسائل جديدة لاتخطىء للقضاء على الانتفاضات فى آسيا وافريقيا ـ الحرب ضد العصابات ـ ، التى احكمت استراتيجيتها ، وانه قد دربت **وحدات** خاصة على القتال ، وان **اسلحة** ومعدات مقابلة قد طورت (١) » .

ومحاولات الاسرائيليين اليوم للتصدى لحرب

(١) ى . سيدوروف ـ مقال « الامبريالية وحربها ضد العصابات » كتاب (الاستعمار الجديد العدو اللدود للدول النامية) ص٧٧ .

العصابات التي يخوضها فدائيون على ارض فلسطين انما اتت بعد دراسة وتمحيص كافة تجارب مقاومة حرب العصابات التي سبقتها من تجارب حرب النازية الى خبرات الاستعمار الامريكي في فيتنام ، مرورا بتجارب وخبرات الاستعماريين الفرنسي والانجليزي .

وقد انكب الاستراتيجيون والخبراء الاستعماريون في السنين الاخيرة على دراسة مؤلفات حرب العصابات ، وصاغوا مخططات اعتبروها من المسائل الفعالة للقضاء على حرب العصابات . يقول الجنرال « ريجنالد دينج » في تقديمه لكتاب « حرب العصابات السوفيتية » ، يساهم هذا الكتاب في دراسة هذا الموضوع ، وسيساعد بالتأكيد كل الاشخاص المكلفين باعداد المعركة ضد العصابات . او اعداد وحدات من نوع العصابات للاشتباك ضد العدو (٢) » .

ويقول مؤلف هذا الكتاب جنرال ج . اوبرى ديكنسون ، اوتوهيلبرون » وسنعمل على استنتاج اسباب فشل التدابير الالمانية المضادة لهذه الحرب ، واخيرا سنحاول استخلاص الدروس التي تتفق مع الاحداث التي نعيشها ، واسرار التدابير الواجب اتخاذها والوسائل التي ينبغي استخدامها لمجابهة هذا النوع من القتال [٣] !

ويرجع المؤلفان فشل هتلر في مواجهة الانصار السوفييت الى انه كان قد ارتكب « خطأ مميتا ، بعدم دراسة الطرق المستخدمة من قبل ماوتسي تونج في كفاحه للاستيلاء على السلطة » [٤].

النازي والانصار

في فجر يوم الثاني من يوليو ١٩٤١ ، وبعد مرور احد عشر يوما على الغزو النازي للاتحاد السوفيتي، وجه ستالين نداءه المشهور الى شعوب الاتحاد السوفيتي كي تهب للدفاع عن « وطن الاباء والاجداد وطن بطرس الاكبر ولينين » . كما طالب جماهير المناطق المحتلة بأن تنشيء « وحدات من الانصار ، راجلة ، وخيالة ، وتنظم جماعات للتشتيت ، معدة لقتال الوحدات المعادية ، وللشروع في حرب العصابات بتدمير الجسور والطرقات ، وقطع خطوط المواصلات التليفونية والتلغرافية ، وحرق الغابات وتدمير المستودعات والقطارات » .

وكان هتلر قد ارفق بامر الهجوم على الاتحاد السوفيتي ما لتنظيم واجبات مكتب التحقيقات العسكرية ، أمر فيه « بتدمير الانصار دون رحمة من قبل الوحدات ، سواء اثناء الاشتباك او اثناء محاولات الانسحاب » .

ومنذ مطلع عام ١٩٤٢ عمد السوفييت الى انزال مجموعات كبيرة من الانصار وراء خطوط الالمان . واتسع نشاط الانصار السوفييت بشكل لم يكن ينتظره الالمان ، فقد « كان على الالمان ان يحاربوا على جبهتين : اولاهما ضد الجيوش السوفيتية النظامية في الامام ، وثانيهما ضد الانصار السوفييت المتوغلين خلف الخطوط . فخلف الخطوط الالمانية كانت مستودعات الذخائر تنفجر ، وتخرج القطارات عن قضبانها . كما ان جنودا كثيرين كانوا يقعون في الكمائن ، وتقطع المواصلات وتتوقف ، وتحرق المستودعات . وكان الانصار يظهرون من كل مكان . فقد خاضوا عمليات برمائية ، وهبطوا من السماء ، وخرجوا من كهوفهم المنتشرة في الجبال او من مخابئهم المموهة في المستنقعات (٥) » .

ومع اتساع نشاط الانصار عمد الجيش الالماني و « شرطة الامن العسكري للرايخ S. D. » الى تطبيق اساليب اشد صرامة ضد الانصار . فانتقلت شرطة الامن العسكرية من التنقيب في الملفات والتقارير الى تفتيش الارض لملاحقة الانصار . وخصص الالمان ميليشيا مسلحة لمقاومة الانصار ، لتعذر قيام الجيش بتلك المهمة ، نظرا لانشغاله في قتال عنيف في الجبهة . الا انه ـ لمواجهة التوسع في عمليات الانصار ـ فيما بعد اعطيت التوجيهات « بضرورة الزام كل الوحدات للمشاركة في القتال ضد الانصار » .

وفي ٢٩ نوفمبر « تشرين الثاني » ١٩٤١، اصدر الجنرال « فون مانشتاين » قائد الجيش الحادي عشر تعليماته « لتنظيم وادارة القتال ضد الانصار » ، وكانت تقضي بما يلي :

- ابادة مجموعات الانصار .
- تشكيل اركان مضادة للانصار ، لتوحيد انماط البحث عن المعلومات الخاصة بنشاطهم .

(٢) (حرب العصابات السوفيتية) ص٢٠ .
(٣) المصدر السابق ص٢٤ . ويقصد هذا فشل التدابير الالمانية المضـــادة لحرب الانصار بالاتحاد السوفيتي .
(٤) المصدر السابق ص٢٤ .
(٥) المصدر السابق ص٢٣ .

● انشاء **تنظيم مضاد** مؤلف من عملاء المخابرات والعناصر الموثوق بها التى يتم اختيارها من الاهالى المدنيين .

ونبهت التعليمات الى ضرورة منع **سير العربات** منعزلة فى الجبال .. وتسيير **الفصائل والارتال** وهى جاهزة للاشتباك فى اى لحظة اثناء السير ، وان توضع على **ظهر عربات النقل رشاشات** مستعدة للرماية فورا . وان يمنع المرور على الطرقات الخطرة ، أو يوقف سير العربات فى **نقاط مراقبة** مشكلة من **فصائل حراسة آلية** ، **ثم يتم اجتياز مناطق الخطر بقافلة تحرسها هذه الفصائل الالية** .

وفى حوالى منتصف ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ كان الرائد **ستيفانوس** رئيس الاركان المضادة للعصابات ، قد لخص ومحص كل المعلومات المتعلقة بالمعارك ضد الانصار ، وانطلق يصيغ مذكرة ، تضمنت أسس وقواعد السلوك الواجب اتباعه ازاء الاهالى المدنيين والانصار الاسرى . فقال انه « يجب ان يخاف الاهالى من تدابير القمع التى نقوم بها اكثر من ان يرهبوا تدابير الانصار » وانه يجب « تقديم مكافأة مالية ومعنوية مجزية لافراد الميليشيا والاولاد المتطوعين ، وجميع المدنيين الذين يقدمون معلومات هامة عن الانصار . ويجب افهام الاهالى ان ما يأخذه الانصار منهم ضائع لايمكن استرداده ، وان للوحدات الالمانية هدفا واحدا هو : تأمين سلامة المواطنين » .

اما عن معاملة الاسرى من الانصار ، فلا يخرج ستيفانوس عما جاء فى امر هتلر ، او فى تعليمات **الجنرال فون مانشتاين** ، حيث تقول مذكرة ستيفانوس « يتم استجواب الانصار الذين يقعون فى الاسر خلال العمليات ثم **يعدمون** رميا بالرصاص » .

اما عن **العمليات العسكرية** المضادة للانصار فقد قسمها « ستيفانوس » الى مراحل ثلاث وهى :

● الاستطلاع .

● الهجوم وتدمير نقاط الانصار .

● الحماية .

ويرى ستيفانوس ان هذه المراحل لابد وان تختلف « حسب عدد الانصار ، وحالة البلاد الداخلية ، واحوال منطقة العمليات فى وقت ما ، وطبيعة القوات المتوافرة لدينا . ويلعب الطقس دورا هاما فى هذه العمليات . وعندما تجرى المعركة ضد الانصار فى منطقة جبلية ، يتم تدمير نقطة المقاومة التى تحددها مصلحة الاستخبارات العسكرية بهجمات تنطلق من عدة جهات متجهة نحو المركز . اما فى الاراضى المفتوحة (اراضى مزروعة وغابات ، فمن الافضل تطهير مناطق واسعة بعمل جيوب حصينة تنطلق منها قوات استطلاع قوية » .

١ ـ عندما تصل وحدات كوماندوز المطاردة الى منطقة القتال ، تبدأ فى **العمل كعصابات الانصار** فتستطلع الارض جيدا ، وتبث الفخاخ فى الاماكن التى يحتمل قدوم العدو اليها (الجسور ، تخوم الغابات والقرى) ، وتدمر كل خصم يقع فى هذه الفخاخ ، وتتجنب الاشتباك مع عدو يتفوق عليها ، الا بعد وصول نجدات .

٢ ـ تزويد كل وحدة بجهاز لاسلكى .

٣ ـ العمل على الترفيه عن الجنود بعد كل عملية ناجحة .

وفى ١١ نوفمبر ١٩٤٢ ، اصدرت القيادة العليا للقوات المسلحة أولى تعليماتها . ومع السماح بحرية اختيار افضل الاساليب القتالية للعمل ضد الانصار فقد ضاعت قواعد عامة مثل : « التطويق فى الحرب التقليدية وسيلة من وسائل المناورة المكنة ، ولكنه يعتبر فى الحرب ضد الانصار الوسيلة الرئيسية الوحيدة لابادة جماعات الانصار ابادة كاملة » .

ويرى مؤلفا كتاب « حرب العصابات السوفيتية » ان القيادة الالمانية تقاعست .« ولم توجه فى الوقت الملائم مخططا عاما يشرح التكتيك المتبع ضد الانصار » . وهكذا تركت الوحدات بلا توجيهات واضحة فكانت كجيش مقاتل بدون نظام للخدمة فى الميدان ، واضطرت الى ابتداع اساليب قتالية خاصة ، الامر الذى جعل نتائج العمليات صغيرة محدودة الاثر » .

وشعرت القوات الالمانية ان عمليات الانتقام الرهيبة التى تمارسها خارج المدن لم تعد مجدية ، فأرفقتها بتدابير قمع وارهاب ضد الانصار والسكان على السواء ، وقد وضع الالمان ، لاغارتهم على المدن السوفيتية المحتلة ، اهدافا (٦) ، اهمها :

---

(٦) من أمر العمليات الصادر عن الجيش الالمانى الحادى عشر للاغارة على مدينة سيمفيروبول (حرب العصابات السوفيتية) ص١٦٠ .

● قطع جميع الصلات بين السكان المدنيين والانصار ٠

● اعتقال واستجواب كل شخص يشاهد خارج منزله بعد حلول الظلام ، رغم اوامر منع التجول ٠

● مفاجأة واعتقال العناصر المشبوهة : انصار مخربين ، جنود اعداء ، مظليين بألبسة مدنية ، زعماء شيوعيين .. الخ » ٠

ومع فشل الاغارة على المدن ، قام الجيش السادس الالمانى بتهديد الاهالى بمصادرة مخزونهم من المواد التموينية ، واحراق قراهم اذا لم يعلموا السلطات عن وجود الانصار ٠

وبالرغم من كل تلك الاجراءات ، فقد استمر السكان المدنيون فى تأييدهم ومؤازرتهم للانصار ٠ وفى المقابل صعدت القيادة الالمانية تدابير القمع ، فقررت اخذ **الرهائن** ٠ وأمر الجنرال **فون سالموت** ، قائد الفيلق الثلاثين بقتل عشرة من الرهائن السوفييت مقابل كل جندى المانى أوروماني يقتله الانصار ، وتنفيذ حكم الاعدام فى أسير كلما سقط المانى رومانى جريحا بين ايدى الانصار ٠ [ويتم الاعدام – ان امكن – فى المكان الذى تم فيه قتل الجندى ٠ وتبقى الرهينة معلقة فى المكان نفسه ثلاثة ايام بعد موتها] [٧] ٠

وتحدد تعليمات الجنرال سالموت الفئات التالية لاخذ الرهائن منها : أقارب الانصار – اعضاء الحزب الشيوعى – الشبيبة من المرشحين للحزب والموظفين الكبار السابقين ٠

و « التعليمات حول القتال ضد كتائب المخربين » الصادرة عن القيادة الالمانية ، تلفت نظر الوحدات الالمانية المحاربية فى القرم الى :

● أنه يجب التلاؤم مع تنظيمات الانصار وطبيعة الارض ،،

● الضغط على أهالى الانصار لاقناع ابنائهم بالعودة ٠

وفى حديث له من اذاعة برلين – فى ٦ يونيو ١٩٤٣ – أوضح الجنرال النازى **ديتمار** ، أن ظروف المعركة كانت تحتم على الالمان استخدام معظم قواتهم فى مهمات أشد خطورة من مقاومة الانصار ، مما اضطرهم الى الاكتفاء بحماية الاهداف الهامة ، واجراء بعض عمليات القمع بين آونة وأخرى ٠

وينصح أحد كبار الضباط النازيين (٨) باتباع التكتيك التالى لابادة وتصفية الانصار ٠

● محاصرة المنطقة التى بها عصابات ، فجأة ، وتفتيشها بكل دقة ٠

● احكام الطوق لمنع تسرب الانصار ٠

● تضييق الطوق قطاعا اثر قطاع ، ويوما بعد يوم بتقدم عام او متناوب ، يحدده الموقف وطبيعة الارض ، وتشكل خطوط التطويق المتعاقبة وحدود عمل مختلف القطاعات المشتركة فى العملية « شبكة العنكبوت » ٠

● عندما يندفع الانصار مجبرين نحو خط محصن مسبقا ، تكون القوات الالمانية قد سبقتهم اليه واحتلته ٠

● يجب اختراق الغابات الكثيفة والمستنقعات على الاقدام ٠

وقد لاحظ النازيون ان استخدام عربات الاستطلاع المدرعة والدبابات القديمة ، لها تأثيرها المعنوى الكبير على رجال العصابات ٠

وفى ٦ مايو ١٩٤٤ اصدرت قيادة النازى تعليمات وتوجيهات ، اشترك فى صياغتها خبراء أركان العمليات : فى الجيش ، والقوات الجوية ، وجيوش المحور ، ومسئولون من ادارة مكافحة الجاسوسية ، وادارة النقل فى الجيش الالمانى ، ومكاتب عديدة اخرى ٠

وتأتى اهمية تلك التعليمات من كونها جاءت تتويجا للخبرةالنازية فى مقاومة حرب العصابات ٠

وتنصح تلك التعليمات بعدم التمسك بأسلوب قتالى جامد . وباستخدام شبكة اتصال سلكية ولاسلكية ، وطائرات خفيفة (استطلاع وهليوكبتر) لتوفير سرعة الحركة والتنقل للقائد ، كما تشدد على ضرورة تحقيق **المفاجأة** ، **والسرية** ٠٠ والاهتمام **بالاستطلاع والمراقبة** ، واستخدام الكلاب البوليسية والفارين من الجيش السوفيتى فى عمليات الاستطلاع ٠

---

(٧) (حرب العصابات السوفيتية) ص١٦٦ ٠
(٨) « الرائد شيفر » فى العدد ١٣ من (هامبورجر فريدنيلات) فى ١٣ مايو (ايار) ١٩٤٣ ٠

وتلاحظ القيادة الالمانية هنا — ان الاسلحة التى يسهل استخدامها تعطى نتائج فعالة · وان الوحدات الراكبة (الخيالة) مهمة فى معارك الاستطلاع · وتؤكد تعليمات القيادة على انه « يجب ان تكون **الوحدات خفيفة سريعة الحركة** » ·

ثم تنتقل التعليمات الى تعداد الاساليب الفعالة للقتال ضد العصابات ، وهى :

١ — **التطويق والابادة** : فبعد محاصرة العصابات يمكن استخدام أى من الطرق التالية لسحقها :

ا — **الخنق** : وذلك بتضييق خط التطويق بتقدم مستمر من جميع الجهات نحو المراكز ، وتستخدم تلك الطريقة فى تطهير المناطق الصغيرة ·

ب — **التمشيط** : حيث تتقدم القوات الالمانية على أحد جوانب الطوق لتفتيش الارض ، فى حين تبقى القوات الاخرى ثابتة · وتدفع القوات المتقدمة العصابات نحو الوحدات الثانية المتمركزة على خط التطويق ، وعندما تحاول العصابات التسلل عبر التشكيلات المتقدمة حتى تتجنب وقوعها تحت رحمة الوحدات المتمركزة تقع فى كمائن القوات الاحتياطية ·

وتستخدم تلك الطريقة ، عندما يحدد المهاجم بصورة اكيدة ، خط انسحاب العصابات ·

جـ — **التفتيت وتطهير الجيوب** : بعد التطويق تتقدم قوات مؤلفة من مختلف الاسلحة فى اتجاه مواقع العصابات · وتبقى كافة قوات التطويق ثابتة فى مواقعها · وهكذا تجزأ المنطقة المطوقة ، وتحرم العصابات من حرية العمل ، وتوزع العصابات قواتها ، وعندما تتقدم القوات الموجودة على خط التطويق لتلتف حول كل فئة على حدة · فتنقسم المنطقة بذلك الى جيوب صغيرة يمكن تطهيرها بسهولة ·

د — **استخدام وحدات الصدام** : بتطويق المنطقة وتكون مهمة خط التطويق — عندئذ — ايقاف الانصار الذين يحاولون الانسحاب ، وتفتيش المخابىء التى قد يلجأون اليها ·

٢— **الهجوم والمطاردة** : اذا كانت القوات المتوفرة غير كافية لتحقيق تطويق العصابة ، او اذا لم يكن لدى القوات الالمانية الوقت الكافى للتطويق ، فان من الواجب اجبار الانصار على الاشتباك ، وذلك بمهاجمتهم بصورة مفاجئة وتدميرهم ومطاردة فلولهم التى تتبعثر على شكل جماعات صغيرة ·

٣ — **استخدام وحدات كوماندوز المطاردة** :
ويعتمد عمل « وحدات كوماندوز المطاردة » على تقليد أساليب قتال العصابات ، والتلاؤم مع الظروف المحلية ، بغية التسلل الى مناطق العصابات بسرية ، ومفاجأتها وتدميرها ·

ومع كل تلك الاجراءات القمعية الرهيبة ، وبالرغم من أن النازية زجت بأحدى وعشرين فرقة ضد الانصار كانت الجبهة فى اشد الحاجة اليها ، الا ان نشاط الانصار تزايد واتسع ، واتبع تاكتيكا ذكيا لاحباط هجمات النازيين · وهذا النقيب النازى وبر التابع لقوات (S.S.)(٩) يقول فى مقاله « مطاردة العصابات فى الشرق » والذى نشره فى ١٣ مايو ١٩٤٣ من « **هامبورجر فريمو نبلات** » ·

« لقد كان تاكتيك الانصار — دائما — الانسحاب امام تقدم قواتنا عبر المستنقعات وعلى طرق ومسالك وعرة ، ثم مراقبة قواتنا وملاحقتها وضربها من الخلف ، بعد انتهاء المهمة وبدء الانسحاب » ·

وهذا أحد قادة الانصار السوفييت (١٠) يقول : « لقد كنا نعرف متى نهجم ، ومتى نتجنب المعركة غير الملائمة · فما كنا نظهر الى حيث توجهت وحدة تأديبية ، وبالعكس ، ظهرنا فى الاماكن التى لم تشتبه الالمان بوجودنا فيها » ·

من الملايو الى الفيتنام

مرورا بالجزائر

وعندما قامت ثورة شعب الملايو عام ١٩٤٨ ، تصدى الاستعمار البريطاني لها ، مستفيدا بخبراته وتجاربه الذاتية وبالتراث الاستعمارى كله فى مقاومة حروب العصابات الثورية ، بما فى ذلك عمليات الكبت التى شنها ضد ثورة فلسطين ١٩٣٦ — ١٩٣٩) ·

---

(٩) S.S. اختصار لكلمتى Schutz ، وتعنى (نسق الحماية) ، وهى فرق للحرس الخاص ، مهمتها مراقبة معسكرات الاعتقال والمناطق المحتلة ·

(١٠) (كان هذا فى ضواحى روفنو) — دمترى ميدفيدف ، الطبعة العربية ، موسكو ص٧٣ ·

وفشلت ثورة الملايو ، لاسباب بعضها ذاتى وبعضها موضوعى ، ولسنا هنا بصدد مناقشة تلك الاسباب ٠

يقول الجنرال بريج ـ قائد القوات البريطانية فى الملايو ابان ثورة شعبها ـ « اننا لم نعد نقوم بعمليات تفتيش ومسح واسعة النطاق عبر الغابات الكثيفة ، بل استعضنا عن هذه الوسيلة بتجميع قواتنا فى مناطق هامة اقتصادية منتشرة على طول تخوم الغابات » ٠

وفى مقال له بعنوان « افكار قائد سرية فى الملايو » لخص « الرائد روبنسون » خبرة الجيش البريطانى فى مقاومة ثوار الملايو ، وكيف انها كانت تأكيدا للفكرة الالمانية باستخدام « الدعم الجوى على نطاق واسع ، ولكن نتائجه كانت قليلة ، وكان الطيران الملكى يكشف الاهداف الصغيرة فى الادغال ويضربها ، الا ان الانصار كانوا يخلون هذه المناطق عند سماعهم صوت الطائرات ، فيفقد الهجوم الجوى بذلك فاعليته » (١١) ٠

واذا كان الجيش الالمانى هو اول من استخدم طائرات الهليكوبتر فى مقاومة الانصار ، حسب ما توضحه لنا تعليمات القيادة الالمانية الصادرة فى ٦ مايو ١٩٤٤ ، فان الفرنسيين كانوا أول من طور استخدام تلك الطائرات بفعالية أكثر فى المطاردة والهجوم ـ فى اوائل الخمسينات ـ وذلك فى ضرب تجمعات قوات « فييت منه » فى فيتنام ٠

استخدام الهليكوبتر

ثم توسع الفرنسيون فى استخدام طائرات الهليكوبتر ، فبدأوا يستعملونها بتطويق العصابات ونقل قوات كبيرة من المشاة الى ميدان القتال ٠ وكانت تكتيكات الجيش الفرنسى فى القتال بطائرات الهليكوبتر فى الفيتنام والجزائر ، هى الاساس لعلم القتال بالهليكوبتر ٠

وفى الجزائر عاد الفرنسيون ، فاستخدموا طائرات الهليكوبتر لتطويق ومطاردة الثوار بمدافع رشاشة وصواريخ ركبت على تلك الطائرات ٠ بعد ان كان الامريكيون فى كوريا يطلقون المدافع الرشاشة ـ على الكوريين الشماليين والصينيين ـ من ابواب طائرات الهليكوبتر ونوافذها ٠

وفى عامى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ جهزت طائرات الهليكوبتر الامريكية بمدافع رشاشة من طراز « براونتج » وبصواريخ وقذائف موجهه قصيرة المدى ٠ وفى منتصف عام ١٩٦٢ تقرر التوسع فى استخدام طائرات الهليكوبتر فى الجيش الامريكى ، فى أعقاب تصاعد حرب العصابات فى الفيتنام ٠ وتشكلت « وحدات هجوم جوية » ، تستخدم طائرات الهليكوبتر بدلا من السيارات ٠

وكانت طائرات الهليكوبتر قد استخدمت ـ فى البداية ـ فى :

- تنقلات القادة ٠
- نقل الجرحى ٠
- توجيه نيران المدفعية ٠

ثم تطورت الهليكوبتر ـ كما رأينا ـ وتم تسليحها بالمدافع الرشاشة والصواريخ والقنابل ، وعددت وتوسعت استخداماتها الى :

- نقل الجنود والمعدات ٠
- اصطياد القوات البرية وضربها بالصواريخ والقنابل ٠
- امداد الوحدات بالمواد التموينية ٠
- القيام بالاعمال التخريبية ٠
- البحث عن الجنود وانقاذهم ٠
- توجيه نيران المدفعية ، بالملاحظة الجوية ، حيث توفر « مركز مراقبة جوية ! ٠

وباختصار توفر طائرات الهليكوبتر ما يسميه الخبراء العسكريون الامريكيون « **منصة جوية متحركة للدعم السريع والمتواصل فى الحالات المتنقلة** » ٠

أمريكا فى فيتنام *

ومع دخول الولايات المتحدة الامريكية الحرب ضد الشعب الفيتنامى ، فتحت صفحة جديدة فى « **الحرب المضادة للعصابات** ! : وان اختلفت تكتيكات امريكا ضد ثوار فيتنام ، فانها ظلت ـ دائما ـ متمسكة بالمفهوم الاستعمارى

---

(١١) مجلة الجيش The Army Quartely ـ اكتوبر ١٩٥٠ ٠

* استعنت هنا بشكل اساسى ـ بكتاب (حرب الشعب فى فيتنام) لطاهر عبد الحكيم ٠

القائل بوجوب شن « حرب ضد العصابات » لا نظامية ايضا ، لا تخضع لاية قاعدة ولاية شريعة ، ولاية اخلاق » .

ففى اواخر عام ١٩٦٤ ، وعند فشل « الحرب الخاصة » المعتمدة على المرتزقة والخبراء الامريكيين اضطرت الولايات المتحدة الى تصعيد الحرب هناك ، وانتقلت بها الى « الحرب المحدودة » ، حيث نزلت امريكا الى الميدان سافرة بقواتها . ومنذ ذلك الحين دخلت « نظرية الحرب المضادة للعصابات « اروقة البنتاجون » واعتبر الجنرال ماكسويل تايلور أبا لتلك النظرية .

واتبع الامريكيون فى فيتنام ـ حتى قبل انتقالهم الى « الحرب المحدودة » ـ استراتيجية « تهدئة الريف » ، وهى استراتيجية تهدف الى عزل جماهير الفلاحين عن الثوار ، وتطهير الريف من أولئك الثوار .

وقد إستخدم الامريكيون ثلاثة تكتيكات لانجاح استراتيجيتهم تلك ، وهى :

● « القرى الإستراتيجية » : حيث يحاصر الفلاحون الفيتناميون فى قرى تحيطها مراكز المراقبة والاسلاك الشائكة الكثيفة ، ويخرجون منها ـ تحت الحراسة المشددة ـ للعمل فى حقولهم فى الصباح والعودة قبل مغيب الشمس .

● « مناطق الإزدهار » : بإقامة مشاريع خاصة فى المناطق الريفية بهدف « إنعاشها » بعد اجراء عمليات تفتيش واستجوابات ، لاستفزاز وكشف العناصر الثورية ومؤيديهم فى تلك المناطق وقتلهم .

● « اعادة التوطين » ، وذلك بنقل الفلاحين الى قرى بعيدة عن قراهم الاصلية ، بهدف السيطرة عليهم وشل فاعليتهم .

ولما فشلت تلك الاستراتيجية ، وتحطمت اسوار القرى الاستراتيجية ، عاد الامريكيون ليعتمدوا استراتيجية التمشيط ، الرامية الى ابادة الثوار أو المدنيين فى مناطق نفوذ الثوار ، باتباع تكتيك « الارض المحترقة » بالقصف الجوى الشديد والمستمر ، ثم اقتحام القوات البرية وتطهيرها لتلك المناطق ، التى تحيلها الطائرات الى خرائب .

ولم تكن تلك الاستراتيجية بأحسن حظا من سابقتها ، فانتقل الجيش الامريكي الى استراتيجية « ابحث ودمر » والرامية الى البحث عن قوات الثوار وتدميرها .

وتنفيذا لتلك الإستراتيجية ، بدأ الجيش الامريكى هجومه الواسع الثانى (من اكتوبر ١٩٦٦ ـ مايو ١٩٦٧) ، بهدف تدمير الفيت كونج ، واحتلال دلتا الميكونج ، والسيطرة على بعض الطرق الرئيسية الاستراتيجية ، واحتلال الهضبة الوسطى المطلة على فيتنام ولاوس وكمبوديا .

واستخدم الجيش الامريكى ـ هنا ـ تكتيكا ذا شعبتين :

● انشاء قواعد كبيرة : والتوسع والانتشار فيها شيئا فشيئا . وكان لهذا التكتيك جانبه السلبى ، ذلك ان الامريكيين كانوا بحاجة الى اعداد كبيرة من الجنود ، وقدر كبير من المعدات لمجرد حراسة القواعد .

● تاكتيك قفزة الضفدع ، وذلك بان تقوم اعداد كبيرة من طائرات الهليكوبتر بحمل الجنود ومدافعهم ودباباتهم الى المكان المشتبه بوجود الفيت كونج فيه ، حيث يقومون بعمليات البحث والضرب والاحراق والتدمير ، ثم تعود فتحملهم الى مكان آخر .. وهكذا .

ولافتقاد عملية قفزة الضفدع فاعليتها ، ترك الفيت كونج (الضفدع) يقفز هنا وهناك دون أن يلتقى باحد ، اذ ان ترك العدو بعض القوات زمنا بلا قتال فى ارض مجهولة ، هو تاكتيك فعال فى الحرب النفسية .. حيث يبدأ العدو بعد قليل يتشكك فيما يحيط به ، ثم يغشاه التوتر ، خاصة حينما تتردد من حوله بعض الطلقات المتناثرة ، ولا يجد اثرا لمن اطلقوها . والترقب والشك من أى اتجاه سيأتيه الهجوم .. يرهقانه نفسيا . ثم يداخله التردد فى جدوى العملية ، حيث ان القوات التى جاء يبحث عنها لا وجود لها ، والخطة التى وضعها على ضوء معلوماته السابقة تصبح بلا جدوى ولم يعد تحت يده معلومات جديدة يضع على ضوئها خطة جديدة . ويبدأ التفكير فى العودة ، هنا تنشق الارض عن رجال العصابات ، وقد أصبحت خطتهم هى تمزيق معنويات العدو وأرهاقه . وتكتيكات الثوار ، فى هذا المجال ، هى :

● الهجمات المفاجئة بمدافع المورتار .

● الامساك بالقوات الامريكية من وسطها ، بمعنى الالتحام بها ، للحيلولة دون تمكن الطائرات والمدفعية الامريكية من ضرب الثوار ، فعليها اذا ضربت أن تضرب الامريكيين والثوار معا .

● واذا تمكنت المدرعات والدبابات الامريكية من الاشتراك فى المعركة ، فالتكتيك هو الاندفاع اليها وتسلقها ومحاربة من بداخلها بالاسلحة الخفيفة والبيضاء ، بذلك لا تستطيع الدبابات

والمدرعات ان تطلق مدافعها ، واحيانا كان قادة العملية من الامريكيين يصدرون الاوامر للدبابات بان تطلق مدافعها على بعضها البعض ، كوسيلة وحيدة للتغلب على الفيت كونج الذين تسلوقها ويمكن أن نتصور مدى الفوضى والانهيار المعنوى اللذين يغشيان صفوف الامريكيين حينما تصدر اليهم الاوامر بأن يطلقوا النار على بعضهم البعض .

● واثناء الليل ، حينما يتجمع الامريكيون للراحة ، فالهجمات المفاجئة بمدافع المورتار تقض مضاجعهم ، ولا تستطيع طائرات الامريكيين ان تفعل شيئا اثناء الليل . واثناء ذلك ، تشن هجمات مفاجئة على قواعد المؤخرة التى تأتى منها الامدادات ، وتنصب الكمائن لطائرات الهليكوبتر ، حتى تتوقف عن المجىء بالامدادات أو لنقل الجرحى . ثم تظهر القوات النظامية لجيش التحرير لتجد« الضفدع» لاهثا متقطع الانفاس ، وقد تقطعت سيقانه ، فلم يعد قادرا على القفز !!

ومع فشل استراتيجية « ابحث ودمر » عزل « الجنرال وستمورلند » ، وعين الجنرال « ابرامز ! بدلا منه فى ٢ يوليو ١٩٦٨ ، فاستبدل هذا استراتيجية سلفه باخرى تقول بـ « **التركيز وتنظيف المنطقة من العدو** »، وواضح ان استراتيجية ابرامز هى استراجية دفاعية بعكس سابقتها ذات الطابع الهجومى . وفى هذا انتصار واضح للثوار الفيتناميين .

اسرائيل فى حربها المضادة للعصابات

مع بداية العمليات الفدائية الفلسطينية ضد اسرائيل ، فى مطلع ١٩٦٥ ، بدأت الدوائر العسكرية الاسرائيلية فى التفتيش عن أنجع الاساليب لمقاومة تلك العمليات الفدائية ، التى توقعت لها تلك الدوائر المزيد من الاتساع .

وفى الرابع من ابريل ١٩٦٦ نشرت جريدة « **معاريف** » المسائية الاسرائيلية « ان سنة عمل جديدة بدأت فى الجيش الاسرائيلى منذ أول ابريل ، وستعمل القيادة العامة باشراف « البريجادير جنرال حاييم بارليف » على

حركة القنفذ

مصطلح عسكرى ، وتعنى اتخاذ الجنود شكل دائرة ضيقة،وتكون وجوههم الىخارجها. وتحقق تلك التشكيلة تغطية كاملة بالنيران للمنطقة احيطة بالجنود ، بما لا يسمح لاى جندى معادى باستخدام سلاحه ، وتستخدم تلك التشكيلة فى المداهمة والانسحاب وتعرف تلك التشكيلة فى الجيوش العربية باسم « تشكيله الداورية » .

تنفيذ برنامج جديد من شأنه توفير الطاقة والمقدرة والكفاءة للجيش الاسرائيلى ، ليستطيع الوقوف امام الدول العربية فى محاولتها تحويل مياه الاردن ، كما ان منظمة « فتح » هى ضمن مواجهات البرنامج الجديد » .

وكجزء من هذا « **البرنامج الجديد** ! سافر **موشى ديان** الى فيتنام ، وان كان قد اتخذ من كونه مندوبا لجريدة « معاريف » ستارا لمهمته الاصلية ، الا وهى تعلم « طرق مقاومة حرب العصابات والفدائيين » (١٢) .

وفى السابع من يونيو ١٩٦٦ قالت « معاريف » ان ديان يعتقد ان من مصلحة اسرائيل دراسة الموقف فى فيتنام « الذى يمكن أن يتكرر فى اى مكان آخر فى اى وقت » ، واضاف « معاريف » ان تلك الرحلة كان قد « تم الاتفاق عليها وتنسيقها مع السلطات الامريكية » [١٣] . فى حين كانت « **نيوزويك** » قد سبقتها الى تأكيد نفس هذا المضمون ، حين قالت فى عدد ٦ يونيو ان ديان « سيسمح له بابداء النصح وتلقيه فيما يتعلق بالعمليات الفعلية » .

وعقب وصوله الى فيتنام ـ فى ٢٥ يوليو ١٩٦٦ ـ صرح « ديان» بأنه« قد يمكننى وجودى فى فيتنام ان أتعلم الكثير » (١٤) . وكان قد سبق له وصرح عند مغادرته اسرائيل بأن « حرب فيتنام تعتبر مثالا لتجربة مقبلة فى الشرق الاوسط » (١٥) وعقب عودته من فيتنام ـ التى قضى فيها اكثر من اربعين يوما ـ نصح الامريكيين بضرورة التوسع فى استخدام طائرات الهليكوبتر بعد تطويرها ، والعمل على قتل الروح النضالية لدى ثوار الفيت

(١٢) مجلة « نيوزويك » الامريكية ٦ يونيو (حزيران) ١٩٦٦ .
(١٣) الاهرام ١٩٦٦/٦/٨ .
(١٤) الاهرام ١٩٦٦/٧/٢٦ .
(١٥) الاهرام ١٩٦٦/٩/٦ .

كونج ، وذلك بمواصلة ملاحقتهم ، وعدم تركهم يرتاحون من عناء المعارك ، وجعلهم يعيشون فى معارك مستمرة ومطاردات دائمة • وفى هذا الرأى تطوير لنصيحة الرائد النازى « ستيفانوس » ، التى تؤكد على أنه « يجب ان لا تترك للانصار اية فرصة للشعور بالنصر » (١٦) •

ثم أدلى ديان بحديث لجريدة « نيويورك تايمز » الامريكية ، قال فيه ان الامريكيين « لم يستطيعوا القضاء على الفيت كونج ، ولم ينجحوا فى جرهم الى معركة اساسية • ولم يستطيعوا اكتشاف مواقعهم • وحتى عندما كانوا يصادفونهم ، فان هذه المواجهة غالبا ما تكون مواتية لقوات الثوار • وبعد المواجهة الاولى يفر الفيت كونج من قبضتهم » (١٧) •

واليوم تمارس اسرائيل تكتيكات مضادة للعصابات ، أكثر تطورا من تلك التى اتبعها كل من النازيين والفرنسيين والبريطانيين والامريكيين • ذلك ان اسرائيل بدأت من حيث انتهى آخر هؤلاء •

ويمكن ايجاز التكتيكات الاسرائيلية المضادة للعصابات فيما يلى :

● اعتماد سياسة « **العصا الغليظة** » التى طالما رددها ديان وغيره من القادة الاسرائيليين • وتمثل تلك السياسة تطويرا لتلك السياسة النازية « اليد الحديدية المختفية فى قفاز من حرير » !

● **قطع الصلات بين الجماهير الفلسطينية** فى الوطن المحتل وبين الفدائيين ، بما يحقق عزل الفدائيين ويسهل معه ضربهم • وهى تعمد ـ لتحقيق هذا الهدف ـ الى استخدام ابشع اساليب الارهاب والعنف ضد السكان كنسف البيوت واعتقال المشتبه فى ايوائهم للفدائيين او تقديمهم المساعدات لهم من عرب الوطن المحتل •

● **محاولة رشوة الطبقة الكومبرادورية الفلسطينية فى الوطن المحتل وتحويلها الى ركيزة للصهيونية** ، بفتح طريق التجارة والاستيراد لتلك الطبقة ، ومنحها امتيازات محدودة •

● قمع **حركة الجماهير** فى الوطن المحتل ، للحيلولة دون تدفق الدماء الجديدة الى المنظمات الفدائية الفلسطينية •

الهجوم الجبهى

« وهو هجوم المواجهة : أو الاشتباك مع العدو وجها لوجه » ... ويتم ذلك الهجوم على مستوى الفصيلة باخذ وضع تشكيل خطى » فى حين يتم على مستوى السرية باتخاذ السرية وضع تشكيل النسق »

والتشكيل الخطى وتشكيل النسق ، كلاهما يعنيان الاقتحام المباشر ، بحيث ينتشر الجنود المهاجمين على خط مستقيم فى مواجهة المركز المراد مهاجمته »

● ضرب المناطق المدنية وتخريب المحاصيل الزراعية فى البلاد العربية التى يقيم فيها الفدائيون قواعدهم ، للعمل على تنفير الجماهير العربية من الفدائيين ، وتحريك حكومات تلك البلاد للضغط على الفدائيين وملاحقتهم ، باعتبارهم مسببى ذلك الدمار •

● ملاحقة الفدائيين وضرب قواعدهم باستمرار ، عملا بنصيحة « ديان » القائلة ب « قتل روحهم النضالية » •

● التوسع فى استخدام طائرات **الهليكوبتر** فى مطاردة ومهاجمة الفدائيين وقواعدهم •

● استخدام التكتيكات التقليدية فى « **التمشيط** » و « **الارض المحترقة** » و « **حرية القتل** » •

● **العمل على جر المنظمات الفدائية الى « معارك اساسية »** لانتزاع المبادرة منها وتصفيتها • حيث ان افضل اسلوب لمقاتلة العصابات والانتصار عليها ، هو الاسلوب الذى يحرمها من حرية العمل ، ويجبرها على الوقوف موقف الدفاع •

ويلاحظ ان اسرائيل قد **استحدثت** ـ لمواجهة اخطار الحرب الفدائية ـ **صيغة عسكرية جديدة** : باستخدامها **قوات نظامية فى عمليات عصابات** • وكانت اسرائيل ـ بعد حرب يونيو ـ قد أنشأت « **الفرق الخاصة** ! من المظليين ـ على غرار « وحدات كوماندوز المطاردة » النازية ـ

(١٦) حرب العصابات السوفيتية ص١٤٥ .
(١٧) « نيويورك تايمز ، ١٩٦٦/١٠/١٧ »

للتوغل ومداهمة قوات وقواعد الفدائيين والقرى والمنشآت الحيوية العربية ، بمساندة طائرات الهليكوبتر .

وقد كشفت مناورات الشتاء الاخيرة ، التى اجراها الجيش الإسرائيلى قرب غور اريحا، ثلاثة امور هامة ، هى :

● التوسع الهائل فى فرق الكوماندوز .

● الاهتمام الزائد بالوحدات المترجلة : المتخصصة بالاقتحام والاشتباك وراء خطوط القتال .

● التنسيق بين قيادات المدرعات والمظليين والمدفعية .

هذا ، وقد عمدت الاركان الاسرائيلية — فى اعقاب تلك المناورات — الى توحيد قيادتى المظليين والمدفعية بعد ان رسم العسكريون الاسرائيليون استراتيجيتهم الجديدة لمقاومة العصابات ، بحيث يقوم المظليون بدور رأس الرمح ، فى حين تلعب المدفعية دور المساند .

ولاحباط اجراءات وتكتيكات العسكريين الاسرائيليين ، يكون من المفيد لنا أن نولى عنايتنا الى :

● اهمية الالتحام بحركة الجماهير فى الوطن المحتل ، والعمل على تنظيمها وتسليحها . وتطهير اوساطها من المتعاونين مع العدو .

● مد جسورنا الى الحركات الوطنية العربية : وبشكل خاص فى تلك البلدان المحيطة باسرائيل .

● تجنب تجميع الفدائيين فى قواعد : ما امكن !

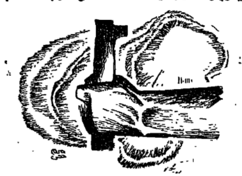
● أما علاج طائرات الهليكوبتر فأمر بسيط ، اذ من السهل اصباتها وتحطيمها — عند انخفاضها — باسلحة المشاة الخفيفة . وعلى فدائيينا الافادة من خبرات الثوار الفيتناميين فى هذا المجال ، باللجوء الى تدمير الطائرات وطائرات الهليكوبتر فى قواعدها ومطاراتها التى تنطلق منها .

● التمسك بالاستراتيجية الهجومية أبدا مع تطويرها ، وتجنب معارك الخنادق ، والمعارك التى يكون فيها العدو متفوقا . والاحتفاظ بالمبادرة وارغام العدو على القتال حسب رغبة وارادة قوات الفدائيين .

● دراسة اساليب اسرائيل — باستمرار — حول مقاومة الحروب الثورية الى اركان الارض « وينبغى على كل ثائر أن لايدع يوما يمر دون دراسة » (١٨) كما « ان اتخاذ قرار استراتيجى ، وأختيار اساليب القتال لا يمكن أن يتم الا بعد التعرف على نوايا العدو الإستراتيجية وكشف قوانين حركته واحتمالاتها » (١٩) .

● دراسة طرق مقاومة واحباط الكمائن، حيث ان « طريقة نصب الكمائن لرجال العصابات من الناحيتين النظرية والعملية تشكل اهم مادة فى الدورات التى تعقد لتدريب العسكريين » (٢٠) فى أمريكا زعيمة الثورة المضادة فى العالم ، ومصدرة خبراء تخريب الحركات الوطنية ، ومستشارى مقاومة العصابات ، لاحباطها وشل فعاليتها ، الاربعة .

وأخيرا ، فان اسرائيل ليست بالدولة التى لا تقهر . كما أن من السهل احباط اساليب مقاومتها للعصابات ، ذلك ان « حرب العصابات المضادة » حرب غير أصيلة ، وينقصها الكثير من اسباب النجاح ، مهما توفر لها من اسلحة وعتاد وخبراء ومستشارين ، اذ تفتقر الى عامل النجاح الاساسى فى حرب العصابات الا وهو : جماهير الشعب .



(١٨) (ريجى دوبريه ، مرافعته امام المحكمة العسكرية فى بوليفيا)
(١٩) (شعوب حطمت العدوان) اسماعيل عبد الحكيم وكمال السيد ص٨٦ص٤٨ .
(٢٠) دوبريه (المصدر السابق) .



رؤية الموظف الصغير للواقع الراهن

قطاع عريض من موظفي الدولة ، يشكل قاعدة الجهاز الادارى : يشغل الدرجات العاشرة والتاسعة والثامنة فى السلم الوظيفى ..

فئة تمثل وزنا اجتماعيا يفوق نسبتها العددية ، بحكم انتشارها فى جميع انحاء البلاد ، واحتكاكها المباشر بالناس فى مجالات الانتاج والخدمات ، كما تعكس فى اذهان الجماهير طبيعة السلطة لانها الواجهة التى يتعاملون معها . ومن هنا كانت لها أيضا تأثيراتها السياسية فى المجتمع .

ويحتل الموظف الصغير المستوى الادنى من البرجوازية الصغيرة ، يسار الرأسمالية الوطنية ، وجزء أساسى من تحالف قوى الشعب العاملة .

ما هى مشكلات الموظف الصغير ، فى عمله ومعيشته ؟ ما هى اتجاهاته الفكرية فيما يتعلق بالقضايا الوطنية والاجتماعية ؟ وما هى رؤيته لآفاق تطورنا الاجتماعى ؟ ما آماله وتطلعاته فى مستقبل أفضل ؟

تقدم « الطليعة » هذه الدراسة « للموظف الصغير » عن واقعه وحياته وآماله . وتنقسم الدراسة الى ثلاثة أقسام : ● الشهادات الواقعية ● التعليق عليها من خلال تقارير كتبها كل من د . عبد المجيد العبد رئيس الجهاز المركزى للتدريب ومحمد زايد ود . محمد الخفيف ● تقرير رسمى عن مستقبل العاملين فى رأى الموظفين ورأى جهاز التنظيم والادارة .

الاسئلة :

١ ـ ما هى ابرز مشاكلك فى العمل ؟ وأهم نقط الضعف من وجهة نظرك فى القانون ٤٦ لعام ١٩٦٤ الذى تتعامل به الدولة معك واقتراحاتك لتعديله ؟ وكيف تقيم علاقتك مع الجمهور ؟

٢ ـ ما هى ابرز مطالب أسرتك التى تعرضك لازمات مالية ، كيف تعاونك الدولة فى تفريجها ، وما هى صور الخدمات التى تقدمها الدولة لك ولاسرتك والخدمات التى ترى التوسع فيها ؟

٣ ـ من أين تحصل على ثقافتك العامة وكم تنفق عليها ؟ وما هى أهم الوسائل الاعلامية التى تتابعها (صحف ـ راديو ـ تليفزيون) وما رأيك فى مستوى ماتقدمه لك من مواد ؟

٤ ـ ما الذى افادك من التحول الاشتراكى ، وما مدى التطبيق السليم الذى تراه لمبادىء الاشتراكية فى نطاق عملك وفى الحياة العامة من حولك ؟

٥ ـ ما هو رأيك فى ابرز أسباب الهزيمة ، وصور التغيير التى تحققت وصور التغيير التى ترى ضرورة تحقيقها ، وكيف يكون التصرف السليم للقيادة فى الظروف الحالية لقضية العدوان ؟

٦ ـ كيف تفكر فى مستقبلك الوظيفى ، ماذا يطمئنك وماذا يخيفك منه وماذا تقترح لفتح مستقبل أرحب واكثر طمأنة امام الموظف المصرى ؟

[١]

الاسم : محمد صالح معوض ـ ٢٦ سنة ـ	المرتب : ٧ جنيهات و ٥٤ قرشا بعد الخصم
الوظيفة : مساعد امين سجل مدنى ـ بولاق	عضوية المنظمات : عضو نادى جمعية الشبان المسلمين
الدرجة المالية : العاشرة ـ له فيها ٦ سنوات .	الحالة الاجتماعية : متزوج ـ له ابنان

السؤال الاول :

● من ابرز المشاكل انه ليس هناك تنظيم للعمل ، كما أن العمل متضخم مع قلة الموظفين الذين يقومون بخدمة المواطنين . كما أنه لا توجد ادوات مما يضطر الموظف الى ان يشتريها على نفقته الخاصة ، وهذا يحمله عبئا فوق طاقته . والعمل الذى أقوم به لا يتناسب معى ، لانى وصلت الى مرحلة الاعدادية ، بينما يجب أن يقوم به شخص مؤهل تأهيل عال او متوسط على الاقل حتى تكون لديه الدوافع المادية والمعنوية للتعامل مع الجمهور ، واحساسى بنتيجة عملى انه رغم انه يسير على ما يرام ، الا انى أحس اننى اعمل به رغما عنى تنفيذا للاوامر والتعليمات ، ولكنى غير مقتنع به شخصيا .

وابرز نقط الضعف فى القانون ٤٦ لعام ١٩٦٤ انه ضم غلاء المعيشة الى المرتب وجعله فئة شاملة مما تسبب فى خفض المرتب لاننا كنا نتقاضى عن الزوجة والاولاد علاوة غلاء معيشة . كما ان القانون حدد الترقيات بسنوات معينة لا تطبق فى جميع الوزارات ، لان هناك وزارات بها أماكن خالية ويكون فرص الترقية بها كبيرة بينما يجرى العكس فى وزارات اخرى .

واقترح لتعديله ان يكون هناك مجال لاعادة دراسة الدرجات الصغيرة . وعلاقتى بالجمهور تقوم على أساس التعاون حيث اننى المس ظروفهم .

السؤال الثانى :

● ابرز مطالب أسرتى ، هى مواجهة اعباء المعيشة

حيث ان المرتب قليل .
وأحاول حلها بتأدية بعض أعمال خارجية فى اوقات فراغى .. والسلفية قد تنفعنى لمدة شهر او شهرين فى تفريج ازمتى ، وارى ان تتوسع الدولة فى وجود بعض المستشفيات أو العيادات الخارجية باجور تناسب دخل الموظف الحكومى الصغير ، وتيسير الحصول على مسكن مناسب ، وتقديم مساعدة من الدولة من المبالغ المدخرة وهى الـ ٥ر٢ فى المائة ، فيصرف لنا جزء منه كل عام وبذلك نتحاشى السلفيات والفوائد .

السؤال الثالث :

● أحصل على ثقافتى العامة بالاحتكاك مع الجمهور والاطلاع على الكتب وأنفق عليها فى حدود ١٥ قرشا شهريا ، واهم الوسائل الاعلامية الصحف والراديو، والبرامج فى بعض الاحيان تاتى بصورة مختلفة عن الواقع وبعيدة عن مشاكل الموظفين .. كما أن الصحافة لا تناقش الامور بصراحة ، ولا يوجد وقت فراغ لدى .

السؤال الرابع :

● اقترح ان يكون المديرون على اتصال دائم بالموظفين الصغار ليتعرفوا على مشاكلهم ويحاولوا ايجاد الحلول المناسبة لها لمساعدتهم على عدم الانحراف ، كما يجب ان يكون هناك توعية ودراية عن الاشتراكية ومد ما تقدمه من فوائد، وبالنسبة للحياة العامة ارى ان يكون هناك فرص عمل بالنسبة للموظف الصغير فى وقت فراغه حتى يستطيع تحمل أعباء المعيشة وحتى يكون هناك مساواة بالموظف الكبير الذى يؤدى اكثر من عمل ويتقاضى اجرا عليها كلها .

السؤال السادس :

● أفكر فى مستقبلى الوظيفى كموظف صغير : فانا لن أصل الى درجة تؤهلنى للعيش الكريم بعد خروجى للمعاش . واقترح ان توجد الدولة عملا اضافيا للموظف الصغير يؤديه فى فترة فراغه ، على ان يخصم نصف مرتب هذا العمل ويصرف له بعد احالته للمعاش ، وضرورة تعديل قانون التوظف لتحسين الحالة المادية بالنسبة للموظف الصغير . وارى ان مستقبل اولادى ازاء هذا الوضع فى حالة لا تطمئن .

[٢]

الاسم : محمد تمراز عبد الهادى — ٤٨ سنة
الوظيفة : مراجع بوزارة الاوقاف واشرف على موظفين اعلى منى فى الدرجة — القاهرة
الدرجة المالية : العاشرة — له فيها ١٧ سنة .
المرتب : ٢٢ جنيها
عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى العربى
الحالة الاجتماعية : متزوج — له ٥ ابناء

السؤال الاول :

● ليس لدى مشاكل فى العمل . العمل مناسب لمجهودى ومعلوماتى ، ولكنه لايتفق مع وضعى الوظيفى من حيث الدرجة والمرتب . فمثلا انا اقوم بعمل اكبر اهمية مما يقوم به كثير من حاملى المؤهلات العالية والذين على درجات عالية . وارى ان اتجاه الحكومة فى عدم رفع شأن الغير مؤهلين لايتفق مع صالح العمل اذ ان العبرة بالخبرة ومزاولة العمل وليس بالمؤهل .

واهم نقط الضعف فى القانون ٤٦ انه احتوى على مواد يصعب تنفيذها بدليل ان الكثير منه لم ينفذ . مثل عملية التقييم التى لم تنفذ كما لم يحدد مدد الترقيات . ولم يحدد مجال لذوى الخبرة فى السير فى وظائفهم . ولم يعالج مدد الرسوب فى الدرجات بالنسبة لسائر الوزارات والمصالح الحكومية واقترح لتعديله خفض عدد الدرجات الى ٤ درجات او ستة على الاكثر حتى لا تجمد مرتبات صغار الموظفين .

وانا شخصيا عملى مع الجمهور عن طريق البوسطة، لان عملى لا يتصل بالجمهور مباشرة ، وانما عن طريق ادارة تتبع الوزارة ،وتبادلنى التحريرات وهى التى تتصل بالجمهور . وكل ما اعمله بالنسبة للجمهور ان ادله على ما وصلت اليه شأن اوراقه .

السؤال الثانى

● ابرز مشاكل أسرتى هى قلة المرتب وتأثير قوانين التوظف مما يجمد المرتب ويجعلنى قاصرا عن اتمام مواصلة تعليم اولادى لضرورة حاجتهم الى المدارس الخاصة والدروس الخصوصية ، والدولة تعاوننى عن طريق القروض المقسطة من المرتب وهذا يزيد العبء على ، ومن ناحية الخدمات ارى مجانية العلاج ، اذ ان مجانية المستشفيات غير كافية وعلاجها غير مستوف ، كما ارى وجوب مراقبة شديدة على المدارس الابتدائية والاهتمام بها ».

السؤال الثالث

● احصل على ثقافتى العامة من الصحف التى اقراها من زملائى لانى لا استطيع شراءها الا يوم الجمعة فقط كما استمع الى الراديو . وكل المواد تعجبنى . واقضى وقت فراغى فى معاونة اولادى فى استذكار دروسهم لانى لا أستطيع ان اهيىء لهم دروسا خصوصية . كما ان عملى بالوزارة يأخذ معظم وقتى ».

السؤال الرابع

● فى نطاق عملى ارى تعديل قوانين التوظف بما يتفق مع الاشتراكية ، وبالنسبة للحياة العامة ، ارى ان التطبيق الاشتراكى سائر فى طريقه طبقا للميثاق ، ولكن فى حدود الامكانيات ».

السؤال الخامس

● التغيير الذى تم يبشر بالخير من ناحية القيادة والتسليح ، وارى مداومة الاتصال بالعالم الخارجى لاظهار الناس على حقيقة اسرائيل ، كما لابد ان نصمد حتى نضمن النصر مع الاستعداد الكافى ليوم المعركة اذا كان لابد منه ».

السؤال السادس

● مستقبلى الوظيفى بين بين ... فهو حسن لفئات معينة وسىء لفئات اخرى ، ويخيفنى منه ان لى مشكلة فى حاجة ملحة الى حل ، وهى اننى لى مدة خدمة بالدوائر الزراعية لم تضم لخدمة الوزارة على الرغم من ان استيلاء الوزارة على وعلى الدائرة التى كنت بها كان نتيجة لقوانين الثورة وليس باختيارى ، وقد صدر القانون ٣٢ لسنة ٣٧ اخيرا فوضعنى على الدرجة العاشرة وانا فى الثامنة والاربعين من عمرى نتيجة لعدم ضم مدة خدمة الدائرة ورغم انى احمل مؤهل الابتدائية سنة ١٩٣٦ . كما ان قوانين المعاشات بها قصور اذ لاتضم لى مدة خدمة الادارة السابقة ».

● واقترح تعديل قوانين التوظف بحيث لا تترك مثل هذه الثغرات وخاصة لصغار الموظفين ، وارى مستقبل اولادى امام وضعى الحالى بصفة خاصة مظلم جدا بسبب وضعى الوظيفى الذى يمكن حله بنظرة بسيطة وتحقيق القليل من العدالة ».

[٣]

الاسم : محمود نصر محمد حسين ــ ٢٩ سنة	المرتب : ١٠ جنيهات
الوظيفة : موظف كتابى بمصلحة السجون ــ القاهرة	عضوية المنظمات : عضو منظمة الشباب ــ عضو جمعية خيرية
الدرجة المالية : الدرجة العاشرة ــ له فيها ٧ سنوات	الحالة الاجتماعية : متزوج ــ له ابنان

السؤال الاول

● انا غير مؤمن بعملى ، وليس له قيمة حقيقية من حيث الانتاج .. واجرى غير مجز اطلاقا ، وهناك من من يعمل ويتعب وغيره لايبذل جهدا ، ثم هناك عدم التنظيم فى توزيع الاعمال والموظفين ــ وقانون ٤٦ لعام ٦٤ لابد من الغائه ، لانه حرمنى من امتيازات كثيرة . والعمل السياسى وحده هو وسيلتى للاتصال بالجماهير ».

السؤال الثانى

● احاول الاستدانة بشتى الطرق لمواصلة حياتى المعيشية بطريقة سليمة ومعقولة ».

السؤال الثالث

● ثقافتى من المحاضرات السياسية .. وغير قادر على شراء صحف .. الراديو ومستواه متوسط . . وقت فراغى مع اسرتى . .»

السؤال الخامس

● ابرز اسباب الهزيمة عدم تمسكنا نوعا ما بالدين ، التسليح القوى .. بالاضافة الى تغيير القادة العسكريين ، واستيقظت البلد — واطالب بزيادة التمسك بالدين — ثم لابد من ازالة اثار العدوان بالحرب

السؤال السادس

● اقترح زيادة اجر الموظف وتوفير سبل المعيشة المناسبة له ومحاسبته على عمله وايجاد العمل المناسب للرجل المناسب ، مع رقابة عليه .. اريد ان اعلم اولادى ولكن اخشى الا استطيع تحقيق امالى بالنسبة لهم .»

[٤]

الاسم : شاكر حسن عثمان — ٢٧ سنة
الوظيفة : موظف بنيابة السيدة زينب — القاهرة
الدرجة المالية : العاشرة الكتابية — له فيها ٥ سنوات
المرتب : ١٠ جنيهات و٤٠٠ مليم
عضوية المنظمات : عضو رابطة موظفى النيابات
الحالة الاجتماعية : متزوج — ليس له ابناء

السؤال الاول :

● ابرز مشاكل العمل : كثرة القضايا مع ضرورة الاستمرار فى العمل لفترات طويلة بعد الظهر بدون اى أجر أضافى مما يكلفنى من الجهد والمال الشىء الكثير ، وذلك خلاف وجود كثير من الجمهور الذى يتطلب انجاز اعماله فى أقصر وقت ممكن .

أهم نقط الضعف فى قانون العاملين رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ : هو ان هذا القانون أعطى لبعض العاملين امتيازات وهم العاملون الذين على درجات كبيرة أى من الدرجة السابعة فما فوق علاوة على انه نزع من العاملين الاقل أى امتياز بل جعل لكل درجة حدا ادنى هو ثلاث سنوات ، اما الحد الاقصى لاى وظيفة لم يحدده القانون بل جعل لكل مصلحة حرية التصرف ، فمثلا يظل الموظف الذى بوزارة العدل عشر سنوات أو أكثر فى درجة واحدة ولا يترقى الى أى درجة تالية ، بينما موظف آخر يبقى بها ثلاث سنوات فقط ويترقى الى الدرجة التالية . وبتوالى الدرجات نجد أن موظف وزارة العدل مقبر فى درجة أو درجتين من العاشرة حتى الثامنة ، اما الموظف الاول فيكون قد ترقى الى السادسة مثلا .

وأقترح لتعديل هذا القانون بان يكون الاجر على قدر العمل أو الانتاج وذلك حتى يكون لكل موظف حافز على الانتاج ولا سيما وان يكون ذلك الموظف له عائلة ومتزوج وله أولاد ويعانى من أعباء المعيشة الشىء الكثير ، فمن المنصف اجتماعيا أن يعطى الموظف اعانة اجتماعية أو علاوة غلاء معيشة كما كان فى قانون سنة ١٩٥٠ .

اما العلاقة مع الجمهور فهى بقدر الامكان حسنة بما تقتضيه التعليمات المصلحية ومصلحة العمل ثم مصلحة الجمهور بعد ذلك .»

السؤال الثانى :

● أبرز مطالب الاسرة التى تعرضنى لازمات مالية ، هى مشكلة السكن حيث أنى اعيش مع والدى ووالدتى واربع اخوات وزوجتى فى شقة ثلاث غرف فقط بالدور الارضى لا تسمح بدخول الشمس أو التهوية الجيدة هذا علاوة على أن مواردى المالية ضئيلة وهى أقل من

عشرة جنيهات شهريا كما أن مورد والدى المالى هو عشرة جنيهات شهريا حيث انه يعمل مقرىء بوزارة الاوقاف فهذا المورد المالى الضئيل فى مجموعه لا يسمح بمعيشة كريمة ولا بسكن أفضل،لذلك اقترح أن ترسل لنا وزارة الشئون الاجتماعية باحث اجتماعى لبحث حالتنا كما أقترح بناء مساكن شعبية صحية لاقامتنا بها .

أما الخدمات التى تقدمها الدولة لى وللاسرة ، فان التامين الصحى لا يطبق لدينا فى ادارة النيابات للان كما وأن النقابة العامة لموظفى النيابات لا نلمس لها أى نشاط فعال فى مساعدة الموظفين الاعطاء كاعطاء سلفيات او اعانات أو تامينات اجتماعية أو تامينات صحية تقى الموظف تقلبات الزمن فى الصحة والمرض . فانى اقترح ان يعاد تنظيم هذه النقابة تنظيما جديدا لكى تحقق الغرض المطلوب منها وهو الذى ذكرته سابقا .

السؤال الثالث :

● ثقافتى العامة أحصل عليها من قراءة الجرائد والمجلات والاذاعة ووسائل الاعلام الاخرى حتى أكون على مستوى الاحداث والمسئولية . أما مقدار الصرف عليها فيتراوح ما بين ثلاثة جنيهات الى خمسة جنيهات . أما أهم وسائل الاعلام التى اتبعها فهى كما ذكرت الصحف والمجلات والراديو ولما لم يكن عندى تليفزيون فانى اذهب الى اقرب مقهى لمشاهدته وانى اقترح تحسين برامج الراديو والتليفزيون ، وان تتصف بالجدية والواقعية وعدم التطويل مع الاعتناء بالبرامج الثقافية مع التوعية السياسية لاحوالنا الحاضرة .

السؤال الرابع :

● الذى أفدته من التحول الاشتراكى هو اذابة الفوارق بين الطبقات والديمقراطية الحقة فى وسائل الحياة الاجتماعية . وانى اقترح اننا نراعى ذلك فى الوظائف الادارية حيث أن الموظف الاقدم يعامل الموظف الحديث بكل عنف وبكل قسوة ، كما أن الموظف الاعلى درجة يعامل مرءوسيه بكل ديكتاتورية وعدم تعاون ، وبما يسمى بالبيروقراطية فانى اقترح أن ينسى كل موظف فى أى وظيفة منصبه وسلطته ودرجته ، ويتعاون مع كل من زملائه مهما كانوا أقل درجة منه على انجاز الاعمال المعهودة اليهم

السؤال الخامس :

● ان ابرز صور التغيير التى تحققت ، هى اعادة بناء قوة الجيش بصفة سريعة مما أذهل العدو ، والسرعة فى بناء التنظيم السياسى والمقاومة الشعبية والجيش الشعبى ، هذا بخلاف التغيير الاقتصادى وبناء السد العالى .

ان التصرف السليم الذى يجب اتباعه هو اتخاذ الحل السريع سواء كان سياسيا أو عسكريا لاسترداد الارض المحتلة ، ورد العدو عنها ورجوع أصحابها اليها .

السؤال السادس

● ان تفكيرى فى مستقبلى الوظيفى ينحصر فى كيفية تنمية الانتاج مما يجعلنى اترقى فى أسرع وقت، مع رجاء عدم التخلف فى الدرجات . اما ما يطمئنى فى العمل فهو استقرار الاحوال العامة والاحوال السياسية والاجتماعية مما يجعل الحياة تسير على ما يرام . أما ما يخيفنى هو سوء فهم الرؤساء لنا مما يجعلهم يعاملونا بأسلوب تحكمى غير سليم دون أخذ آرائنا التى تهدف للاصلاح وهذا مما يجعلنا نخطىء بسبب التعليمات القديمة والروتين العتيق . فنرى تعديل هذه اللوائح والتعليمات التى نسير عليها منذ مئات السنين ، مع مراعاة التفاهم وتقريب وجهات النظر بالنسبة للرؤساء .

وانى اقترح لفتح مستقبل ارحب واكثر طمأنينة أمام الموظف هو :

أولا : عقد دورات تدريبية لجميع موظفى النيابات وتدريس جميع التعليمات والقوانين واللوائح الجديدة التى ظهرت فى التحول الاشتراكى .

ثانيا : عقد ندوات دورية للتوعية السياسية والاعلامية حتى يعلم كل موظف بما يدور حوله من احداث .

ثالثا : أن تقوم النقابة الممثلة لموظفى النيابات بواجبها خير قيام وتؤمنه شر ضيقات الزمن حيث انها لم نلمس منها شيئا .

رابعا : قيام احدى شركات التامين بتامين الموظف عن البطالة والمرض والعجز والوفاة له أو لاحد اقاربه .

[٥]

الاسم : عبد العظيم عبد الحميد المغربل — ٢٦ سنة
الوظيفة : موظف بقسم الصادر بادارة السكرتارية — وزارة البحث العلمي — القاهرة
الدرجة المالية : العاشرة
الكتابة — له فيها سنتان
المرتب : ٩ جنيهات
عضوية المنظمات : —
الحالة الاجتماعية : متزوج — له ابنان

السؤال الاول :

● ابرز مشاكلي في العمل هو عدم الاستقرار التام في تأدية العمل على الوجه الاكمل وعدم تحديد المسئولية بين الرئيس والمرءوس

السؤال الثاني :

● المطالب الضرورية دائما معي ماتحتاجه الاسرة من الكساء في أول كل فصل شتاء او صيفا ، او من الناحية الصحيةبالنسبة لهم. وبالاضافة الى انشاء نظام السلفة ارى ضرورة الاهتمام بالناحية الصحية في جميع المصالح والوزارات على أن تضم كل منها خدماتها الصحية ».

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتي العامة دائما من قراءة الكتب واهم الوسائل الاعلامية هي الصحف والراديو وبالنسبة لمستوى ماتقدم من مواد فهو عادة اكثر فائدة في الناحية الثقافية والترفيهية وكذا الادبية فيها — واقضي وقت فراغي في معظم الاحيان مع اولادي لبعد مقر عملي عنهم».

السؤال الرابع :

● بالنسبة للتحول الاشتراكي واثره فقد منع سيطرة راس المال وتحكم الافراد القلائل في الغالبية العظمى مماكان له اثره في الناحية الاقتصادية ».

السؤال الخامس :

● ابرز اسباب الهزيمة في رأيي هوعدم تعاون الدول العربية جميعها بالصورة المطلوبة ، أما الآن فان هذه الدول قدرت ضرورة الترابط امام العدو المشترك ، ولو اتحدت جميع هذه الدول في الوقت الحاضر لانتصرت باذن الله والنصر للعرب انشاء الله ».

السؤال السادس :

● بالنسبة لمستقبلي الوظيفي فانني الان في اطمئنان دائما وحينما نحضر اي دورة تدريبية سوف أكون احسن حالا بالنسبة لعملي — وكل ما ارجوه أن اتمكن من تأدية واجبي الوظيفي على الوجه الاكمل حتى اتقدم دائما لاستطيع مواصلة تعليم اولادي بشتى الطرق حتى يكون الجيل القادم جيلا يتحمل كافة اعباء هذه الامة ويؤدي دوره كاملا حيال الوطن الكبير ».

[٦]

الاسم : عوضين عبد الحميد عوضين — ٢٨ سنة
الوظيفة : موزع بريد نبروه — دقهلية
الدرجة المالية : التاسعة — له فيها ٥ سنوات
المرتب : ١٧ جنيها — و٦٠٠ مليم
عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكي
الحالة الاجتماعية : اعزب

السؤال الاول :

● الجمهور يتعامل معنا بلغة الامر ونحن نرحب بذلك ونقابله بكل تفاهم وكل ما نرجوه رفع الوعي الجماهيري ».

السؤال الثاني :

● ضرورة أن تعاوننا الدولة في تخفيض الايجار بحيث يتناسب مع الدخل في حدود ٣٠ في المائة كحد أقصى وايجاد التأمين الطبي والعلاج .

السؤال الثالث :

● أطلع على الكتب وأعمل ندوات محو الامية .

السؤال الرابع :

● شعرنا بتحول سريع في المجتمع من رأسمالية الى

اشتراكية والى رفع مستوى المعيشة والحرية الكاملة لكل فـرد .

السؤال السادس :

● أحافظ على سلامة العمل ؟ حتى أرقى لأعظم الدرجات وأكون قدوة حسنة لبقية الزملاء ، وان التحق بـالمعهد العـالى للشئـون البريدية وهذه أعظم أمنية فى حياتى • وطالما اننا نطلب رفع المستوى أقترح تنظيم الاجر الاضافى ؛ وعمل حسابه فـى ميزانيـة الهيئـة ، وزيادة نسب البدل ، وتعـيين بدل ملبس لرؤساء العمل حتى يظهروا بالمظهر اللائق .

[٧]

الاسم : عبد اللطيف اسماعيل احمد خليفة ــ ٢٩ سنة

الوظيفة : موظف بالعلاقات العامة ــ محافظة الغربيــة ــ طنطا

المرتب : ١٧ جنيها و١٦٩ مليما

عضوية المنظمات :

الحالة الاجتماعية : متزوج ــ له ابنان

السؤال الاول :

● طالما أن الرئاسة مرنة فان العمل يسير على خير وجه اما من جهة القانون ٤٦ لسنة ١٩٦٤ فاهم نقطة يجب تعديلها هى أنه لا بد من رفع العلاوة الدورية للموظف ، وخاصة الدرجات الصغرى ، مثلا بدلا من ٧٥٠ مليما يكون جنيها ، وبدلا من جنيه يكون جنيهـا ونصف •

السؤال الثانى :

● ابرز مطالب الاسرة هى نواحى العلاج وخـاصة أن المستشفيات الاميرية فى بعض الاحيان لا توجد بها بعض الادوية اللازمة للمـريض ــ وكذلك يجب أن يكون الموظف بالقرب من مكان عمله حتى يستطيع اداءه على خيـر وجه •

اما الخدمات التى تمـدنا بها الدولة فهى التعليم المجانى فى جميع المراحل وهذا النظام يوفر للاسرة النواحى المادية التى تكبدها مصاريف طائلة ، وكذلك الرعاية الصحية •

السؤال الثالث :

● من جهة الحصول على الثقافة العامة ، فاحصل عليها من المكتبة العامة [مكتبة دار الكتب]. وكذلك ندوات التوعية التى تقوم بها اجهزة الاعلام والاتحاد الاشتراكى بالمحافظة ، وأحصـل علـى الكتـب بالاستعارة ــ أما من جهـة الوسائل الاعـلامية ــ فـان الصحف على اختلافها تقوم بجهـود ممتـاز ، وكذلك الراديو والتليفزيون ، ولكن تـوجـد بعـض البـرامج بالتليفزيون كبرنـامج محـو الامية ، هذا مشروع ممتاز .

السؤال الرابع :

● من جهـة التحـول الاشتراكى فان الاشتراكية فى العمل جعلت العاملين فى أى مصـلحة أسـرة واحـدة متفاهمين فى كل الاراء لصالح العمل •

السؤال الخامس :

● اصبحنا نتدرب على حمل السلاح واصبحت القـوات المسلحة فى تدريب مستمر وكذلك التحم الجيش بالشعب واصبحوا يدا واحدة •

السؤال السادس :

● الموظف المصرى ، وخاصة الموظف الذى يحمل مؤهـلا متوسـطا لا يفكر فى شىء حيث انه سيصير صغيرا طول حياته ، ولكن يجب فتح المجال امام موظفى الدولة لنيل القسط الوافى فى التعليم عن طريق الانتساب بالمؤهل الحـاصل عليه ، بعدم النظـر لسـنة الحصول على المؤهـل حتى نفتح المجال امام هذا الجهاز الذى يحمل جميع اعباء العمل فى مصالح الدولة على اختلاف انواعها ■

[٨]

الاسم : احمد محمـد موسى ابو خلعه ــ ٣١ سنة
الوظيفة : سـكرتير مكتب السيد محافظ الغربية ــ طنطا
الدرجة المالية : التاسعة ــ له فيها ٧ سنوات

المرتب : ١٦ جنيهـا و٤١٩ مليما
عضوية المنظمات : عضـو عامل بالاتحاد الاشتراكي ـ عضو رابطـة النشاط الاجتمـاعي بالمحافظة
الحالة الاجتماعية : متزوج

السؤال الاول :

● أبرز المشاكل فى العمل أن حجم العمل الذى أقوم به لا يتناسب والمرتب ومدة الخدمة.

وأهم النقط البارزة مـن واقع حالتى تتلخص فى الاتى :

● حصولى على دبلـوم معهد السكرتارية بعد الثانوية العامة ومدة الدراسة به اثنى عشر شهرا منها شـهران تـدريب عمـلى بالشـركات والمؤسسات الحكومية (أى ما يقرب من سنتين دراسيتين).

● تـاريخ تعيينى هـو ١٩٦٢/١/١٧ ، وما زلت فى الدرجة التاسعة حتى الان .

● سبق أن صدر قرار من وزير التعليم العالى بضم مدة سنتين لمدة خدمة خـريجى معاهد السكرتارية ثم الغـى هذا القرار بحجة أنه ليس من حق وزير التعليم العالى فرض مدة اقدمية، ولكن من حقه تقييم المؤهل ، ثم كان هناك توصية من مجلس الامة بتنفيذ قرار وزير التعـليم العـالى حتى يكون هناك حافزا لخـريجى مراكز التـدريب المهنـى . واخيـرا صـدر بتـاريخ ١٩٦٨/١٠/١٦ مشروع قرار جمهورى بشان خريجى مراكز التدريب المهنى بعد الثانوية العامة وكذا المدارس الثانوية لمساواتهم بخريجى المـدارس الثانوية الصناعية والزراعية. وكذا تغيير الفقرة ١٦ ، ١٧ مـن القـانـون رقـم ٤٦ لسنـة ٦٤ ، ولقـد حصل زمـلاؤنا خريجو المـدارس الثانوية الصناعية والزراعية على درجتين اعلى منـا فى الوقت الذى تزيد فيـه مدة أقدميتنا عنهم وبـذلك زادت مرتباتهم علينا رغم حصولنا على مؤهلات أعلى منهم .

وأقيم علاقتى بـالجمهور على اساس معاملتهم معاملة حسنة ، وكل حسب مستواه الثقافى وانجاز مايمكن انجازه حتى يشـعر المواطن براحة نفسية حتى ولو لم نستطيع تلبية رغباته .

أهم نقط الضعف فـى **القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤** هى :

● مسـاواة الاعـزب بـالمتزوج (**الغاء عـلاوة** الزوجة وغلاء معيشة الاولاد)

● فى حالة التعيين يتقـاضى صـاحب المـؤهل المتوسط مرتبا يقل عما كان يتقاضاه فى ظل القانون رقم ٢١٠ فى الوقت الذى الغيت فيه علاوة الزوجة والاولاد .

● تختلف درجات اصحاب المـؤهل الـواحد فيعـين خريجو المـدارس الـثانوية الزراعية والصناعية عـلى الدرجة الثامنة بينما يعيـن خريجـو التجـارة الثانوية والثانوية العامة والحاصلين على مراكز تدريب مهنية بعد الثانوية العامة مثل معهـد السكرتارية علـى الدرجـة التاسعة فى الوقت الذى تزيد فيه مدة الدراسة بكثير عن خريجى المدارس الزراعيـة والثانوية الصناعية وحجـم مناهج الدراسة أيضا .

● صدر مشروع قـرار بتعديل الفقرة ١٦ ، ١٧ من القانون ٤٦ وافقت عليه اللجنة التشريعية بشأن فرض اقدمية اعتبارية وكذا تسوية حالات خريجى مراكز التدريب بعد الثانوية العامة وكذا خريجى المدارس التجارية الثـانوية والثانوية العامة

● الغاء الحافز المـادى وهو منح الموظف الذى يحصل على تقدير ممتازا فى سنتين متتاليتين على علاوة دورية ، والغى هذا البند ولم يعمل به .

● القانون ٤٦ لسـنة ١٩٦٤ هو فى الواقع نفس القانون رقم ٢١٠ ، بعد حذف فترات بسيطة منه .

● وافقت اللجنـة التشريعية على ضم مـدة الخدمة العسكرية للموظف ، ولكن للان لم يتم ، فى حين ان هذا الموضوع سيجعـل كل شاب مقبل على الخدمة بروح عالية لانه مطمئن لان هـذه المدة ستضم الى مدة خدمته وليست ستضيع بدون نتيجة .

السؤال الثانى :

ابرز مشاكل الاسرة التى تعرضنى لازمات مالية هى :

● الدخـل البسيـط المحدود .

السؤال الثالث :

يمكن ان يحصل الانسان على ثقافته العامة بالوسائل الاتية :

● الاطلاع على الجرائد اليومية والمجلات .

● الاختلاط بالجمهور والتعرف على مشاكله .

● استعارة الكتب من مكتبة المحافظة .

● الاذاعة .

السؤال الرابع :

● الفائدة من التحول الاشتراكي .

● اذابة الفوارق الطبقية .

● رفع مستوى المعيشة.

● الحياة حياة ديمقراطية سليمة .

والتطبيق السليم الذى اراه لمبادىء الاشتراكية فى نطاق العمل وفى الحياة العامة .

● المساواة فى المعاملة .

● المعاملة الطيبة بين الزملاء والمواطنين .

● رفع مستوى المعيشة .

السؤال الخامس :

لقد اخذنا درسا قاسيا من المعركة فى تلافى اسباب القصور، وندعوا الله ان يوفقنا وننتصر على العدو

وصور التغيير الذى ارى ضرورة تحقيقها هى :

١ ـ أن يؤدى كل مواطن عمله بدقة وأمانة كل فى مكان عمله .

٢ ـ التمسك بمبادىء الدين الحنيف .

العمل المتواصل من اجل المعركة والقضاء على اسباب القصور وتحطيم الروتين وعمل كل ما هو مفيد للدولة .

السؤال السادس :

أفكر فى مستقبلى كثيرا

● والذى يخيفنى هو معاملة أصحاب المؤهل الواحد معاملة مختلفة فيدخل تحت نطاق التعليم [الفنى] التجارى الزراعى الصناعى فيعامل حامل الصناعة والزراعة غير زميله حامل التجارة . رغم ان مدة الدراسة بعد الاعدادية فى الجميع هى ثلاث سنوات .

● كثيرا ما نجد أن خريجى الدفعة الواحدة فى الدراسة يرقى بعضهم أكثر من درجة على زملائه فى المصالح الاخرى بحجة وجود رسوب وظيفى فى هذه المصلحة وعدم وجوده فى المصالح الاخرى وما ذنب الموظف فى هذا ؟

● يجب ان يعطى خريجو مراكز التدريب المهنية حقوقهم حتى يشعروا بفارق الدراسة والخبرة وانعكاسها على مستوى العمل ويكون هذا حافزا .

والذى يطمئننى على مستقبلى هو انه فى يوم ما سياخذ كل ذى حق حقه .

والذى أقترحه هو جعل الترقية على مستوى الجمهورية حتى لا يظلم موظف فى الدولة ، وثانيا تقييم المؤهلات التى لم يتم تقييمها حتى الآن . وثالثا ، جعل هناك حافزا يفرق مابين من يؤدى عمله بامانة ونشاط والمهمل فى عمله .

[٩]

الاسم : محمد احمد حسن البرماوى ـ ٣٠ سنة

الوظيفة : موظف سكرتارية ـ طنطا

الدرجة المالية : التاسعة كتابية ـ له فيها ٧ سنوات

المرتب : ١٥ جنيها

عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى ـ عضو رابطة النشاط الاجتماعى بالمحافظة ـ عضو جمعية الاصلاح الريفى بقرية سبرباى

الحالة الاجتماعية : متزوج ـ له ٣ ابناء

السؤال الاول :

● لا يوجد مشكلة فى العمل حيث أن المشكلة تنتج فى عدم فهم الموظف العمل المطلوب منه .

● أن القانون ساوى المتزوج بالاعزب ، فقد رفع اعانة الاولاد وكذا الاعانة الزوجية .

● جعل القانون الفرق المالى بين المؤهل المتوسط والعالى اكثر مما كان عليه فى ظل القانون (٢١٠)

● فرق القانون بين خريجى المدارس الفنية فى الزراعة والتجارة والصناعة فى حين أن مدة الدراسة

واحدة ، وهي بأن أعطى خريجي الزراعة والصناعة الدرجة الثامنة في حين لم يساوى خريجي التجارة بهم وقد سبق ان كتبنا في هذا الموضوع

● وافقت اللجنة التشريعية أيضا على ضم مدة الخدمة العسكرية للموظف والذى سيجعل كل شاب يقبل على قضاء فترة التجنيد بروح عالية لانه مطمئن لان هذه المدة لن تضيع بل ستضم الى خدمته .

● العمل بنظام الحافز المادى للموظف الذى يحصل على تقرير ممتاز لمدة سنتين متتاليتين .

العلاقة بين الجمهور بتقييم حسب حالة الموظف وتعامله معهم وأن علاقة الجمهور معى سليمة جدا وذلك لخبرتى فى علاج مشاكلهم ومقابلتهم بالصورة التى يجب أن تتبع .

● يوجد هناك فرق بين الموظفين فى الوزارات والمصالح والشركات والمؤسسات وذلك من حيث الترقية والمرتب حيث أن هناك تفاوتا من ناحية المرتبات .

السؤال الثانى :

● أهم مطالب اسرتى هى أننى حرمت من الاعانة الزوجية وكذا اعانة الاولاد والتى كانت تعمل تغييرا فى حياتى المالية وأن كل ما أطلبه هو أن يعود هذا النظام ثانيا حتى أستفيد اسوة بمن سبق حصولهم على هذه الاعانات .

كما اننى أطلب تعميم التأمين الصحى والذى بناء عليه أستفيد بكل الفوائد التى تطبق بمقتضاه من علاج وغيره .

السؤال الثالث :

المصادر التى أحصل على ثقافتى منها هى :

● الصحافة ـ حيث أن الصحافة متعددة ، وكثيرا ما يكتب فيها عن بعض المشكلات العامة والخاصة . ويعجبنى الاهرام حيث أنه دائما تكون الكتابة فيه بعد تبنى الموضوعات حقيقية، و [illegible] الذى أعيبه على صحا[illegible] أنها فى بعض الموضوعات العسكرية تنشر بعض الصور وبعض الاحاديث التى يجب أن لا تنشر .

● الراديو وهو فعلا يقوم بدور كبير فى رفع الثقافة العامة لتعدد برامجه ، ومنها الاجابة على أسئلة المستمعين والتى تحوى على بعض مشكلاتنا .

السؤال الرابع :

التحول الاشتراكى افادنا جميعا افادة تامة حيث انه أصبح فعلا هناك تلاحم بين قوى الشعب حيث ان تطبيق النظام الاشتراكى لا يفرق بين طائفة وأخرى وهذه فائدة عامة عمت الشعب

السؤال الخامس :

● بدأت الدولة فى عمل اللازم ، واننا الان اصبحنا فعلا فى المركز الذى يمكن ان نطمئن فيه الى امكان الصدام مع العدو وذلك بفضل التخطيط السليم والعمل ليلا ونهارا من المسئولين وتفهيم الجندى ما هى القضية التى يدافع عنها

السؤال السادس :

● يجب تأمين مستقبل الموظف وما يجرى عادة أنه اذا حدث أى تعديل فى قانون العاملين فانه تكون النظرة الاولى للمؤهل العالى وهناك فعلا اهمال للمؤهل المتوسط . ان الخريجين من الجامعات يعينون اولا بأول، فى حين أن هناك تراكم فى المؤهلات المتوسطة كما وأنه يجب تقدير الموظف الذى يعمل على غيره الذى لا يعمل ، بعمل حوافز ومكافآت الامر الذى يجعل كل موظف يتفانى فى عمله ويطمئن على مستقبله .

[١٠]

الاسم : عبد المنعم حجازى ـ ٢٧ سنة	**المرتب : ١٣ جنيها و٢٥٠ مليما**
الوظيفة : كاتب ـ وزارة الداخلية ـ القاهرة	**عضوية المنظمات : ـ**
الدرجة المالية : التاسعة ـ له فيها ٧ سنوات	**الحالة الاجتماعية : متزوج ـ له ولد واحد**

السؤال الاول :

● ليس عندى مشاكل محددة .. وعملى أؤديه وأشعر دائما أن له نتيجة .. وأنا لا أعرف ماذا يقول القانون المذكور .. وأقيم علاقاتى مع الجمهور بالمعاملة الحسنة ومعاونتهم على قدر استطاعتى .

السؤال الثانى :

● المرض يشكل عقبة كبيرة أمام ميزانيتى ولا توجد حلول أمامى سوى الاستدانة

أو عمل جمعيات مع الجيران والاقارب . ومعاونة الدولة قاصرة ولا تفي بالغرض المطلوب ..ومن صور الخدمات المستشفيات مثلا وهي مزدحمة تماما والعمل بها سيء . والمواصلات أيضا مزدحمة تماما ..

السؤال الثالث :

● من الجرائد .. وأشتريها كل يوم .. الراديو .. مستواه متوسط .. واقضي وقت فراغي وسط أعبائي المنزلية .. واقضي الوقت بالمنزل ..

السؤال الرابع :

● أرى التوسع في الخدمات ورفع الاجور والاهتمام بحالة الموظف الصغير .

السؤال الخامس :

● الذي اريده ، التمسك اكثر بمبادىء الدين ..وارى أن نحاول الحل السياسي والا فلا سبيل الا الحرب .

السؤال السادس :

● مستقبلي الوظيفي مرهون بالترقيات والدرجات وارجو أن يرتفع مستواي المادي لتعليم اولادي تعليما مناسبا .

[١١]

الاسم : حسين عبد العزيز
الوظيفة : كاتب شئون عامة — منطقة شرق الدلتا
الدرجة المالية : التاسعة الكتابية — له فيها ١٥ سنة
المرتب : ٢٠ جنيها و٧٥٠ مليما

عضوية المنظمات : عضو بالاتحاد الاشتراكي — عضو باللجنة النقابية — عضو الاتحاد العام للكتابيين بالقاهرة
الحالة الاجتماعية : متزوج — له ٤ ابناء

السؤال الاول :

● ابرز مشاكل العمل : عدم مراعاة الاقدمية في شغل الاعمال .. وتفضيل المؤهلين واهمال الخبرات الموجودة .

● وهذا العمل يتناسب مع ما اقوم به بالنسبة لمؤهلي وخبرتي واقدميتي فيه ، واشعر بأن نتيجة ما أؤديه من عمل هو اقل من المطلوب او المقرر ويرجع ذلك الى ضعف مرتبي وعدم حصولي على حقوقي المادية ومساواتي بالعديد من الحالات التي حصلت على حقوقها وعدم مراعاة اقدميتي وخبرتي في العمل — وانشغالي بالتفكير في كيفية الحصول على هذه الحقوق وبذل المساعي من اجل تحقيقها .

● اهم نقط الضعف في القانون ٤٦ لسنة ٦٤ — هي:
● المادة ٢٢ والخاصة بالترقية لاتلزم بالترقية الفعلية بعد مضي المدة المقررة وهذ بخلاف المادة ٤٠ مكرر من القانون ٢١٠ لسنة ٥١ والذي كان ملزما بالترقية بعد مضي المدة المقررة

● ندرة فرص الترقية فيه

● طول مدة الترقية الاولى بالنسبة للموظف بجعلها ١٥ سنة .

● واقترح لتعديله : الالتزام بالترقية بعد مضي المدة المقررة — وتبسيط مدة الترقية الاولى — حصول الموظف على ٥ ترقيات بدلا من ٤ — تقييم علاقتي مع الجمهور — لا علاقة لي بالجمهور .

السؤال الثاني :

● ابرز مطالب الاسرة التي تعرضني لازمات مالية هي: مصاريف الاولاد ومطالب الاسرة من خدمات وعلاج — ومحاولة حلها عن طريق السلف والقروض — وتعاون الدولة في تفريجها باتاحة الفرصة لاخذ السلف النقدية في حالات الضرورة واستمارات الاقمشة .

● وصور الخدمات التي تقدمها الدولة : لاتوجد اي خدمات خاصة بي من جهة الدولة سوى ما احصل عليه ضمن جميع افراد للشعب .

● والخدمات التى أرى التوسع فيها هى : تيسير العلاج بالمجان لموظفى السكة الحديد واقامة مساكن خاصة بالعاملين فيها عن طريق استغلال الاماكن الخالية ضمن منشآتها وتأجيرها لنا باجور رمزية ».

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى العامة من مكتبة المسجد وعن طريق الندوات التى تنظمها الهيئة ولا انفق عليها شيئا مطلقا — اهم وسائل الاعلام — الراديو . وبعض الصحف اذا تيسر لى ذلك — مستوى المادة، يناسب ثقافتى واعتبره مستوى مناسبا — وامضى وقت فراغى فى مساعدة اولادى فى التعليم ».

السؤال الرابع :

● افادنى التحول الاشتراكى : بتيسير سبل الحياة المعيشية لى بالوضع المناسب ، وارى ان التطبيق السليم لمبادىء الاشتراكى فى نطاق عملى ، ربط العمل بالانتاج وفى نطاق الحياة العامة : وضع حد مناسب للمرتبات

السؤال الخامس :

● ابرز اسباب الهزيمة : التظاهر الغير مناسب والاوضاع الغير سليمة ، ولا ادرك صور التغيير التى تحققت بعد الهزيمة . وصور التغيير التى ارى ضرورة تحقيقها . . توجيه جميع الانشطة العامة بالدولة من اجل ازالة آثار العدوان ، وارى ان التصرف السليم للقيادة السياسية ازاء العدوان ، هو العمل من اجل تحقيق قرار ٢٢ نوفمبر ويتم بمقتضاه الحل السلمى حيث انه انسب حل ».

السؤال السادس :

● افكر فى مستقبلى الوظيفى ، باعتباره سيئا ومظلما حيث لا ارى انه سيتحقق لى شيئا يعود على بالنفع ».

● ويطمئننى ». ارتفاع الاصوات بالمطالبة بتعديل قانون ٤٦ لسنة ٦٤ وتقييم العاملين فى وظائفهم ».

● ويخيفنى ما اتبع فى السابق من تقدير للمؤهل العلمى فقط دون اى اعتبارات اخرى .

● واقترح ربط العمل بالانتاج ، وارى ان مستقبل اولادى مرتبط بتغيير القوانين لصالح الموظف .

[١٢]

الاسم : محمد عبد الله عودة **الزملوط — ٢٧ سنة** **الوظيفة : موظف بشئون العاملين — الزقازيق** **الدرجة المالية : العاشرة الكتابية — له فيها ٥ سنوات**	**المرتب : ٩ جنيهات** **عضوية المنظمات : عضو بالاتحاد الاشتراكى ومنظمة الشباب** **الحالة الاجتماعية : متزوج — له ابنان**

السؤال الاول :

● لا توجد مشاكل فى العمل ، وارى انه يناسبنى ، وأحس براحة واطمئنان نتيجة هذا العمل .

نقط الضعف الاساسية فى القانون ٤٦ لسنة ١٩٦٤ هى تساوى العاملين الجدد مع القدامى فى الحصول على العلاوة بعد مدة واحدة ».

وأقترح : المساواة بين جميع العاملين فى كافة الحقوق ، سواء منهم المعينون على مكافآت او غيرهم — وأقيم علاقة من الجمهور على أساس المعاملة والخلق الحسن ».

السؤال الثانى :

● ابرز مطالب الاسرة التى تعرض لازمات مالية : لا توجد أى مطالب ..

وصور الخدمات التى تقدمها الدولة : هى تيسير سبل الاسكان ، وتخفيض اسعار المواد الاستهلاكية وغيرها من السلع فى مختلف المجالات ..

وأرى التوسع فى الخدمات الزراعية والصناعية والمساكن ..

السؤال الثالث :

● أحصل على ثقافتى العامة من الصحف والراديو .. وأنفق على ذلك ٥٠ قرشا ، واهم الوسائل الاعلامية التى اتابعها — الصحف والراديو ».

وأرى : ان مستوى المادة المقدمة منها لائق ومناسب .

وأقضى وقت فراغى فى الدراسة لمواصلة تعليمى .

السؤال الرابع :

● استفدت من التحول الاشتراكى ، بان اتاح فرصة

مواصلة التعليم للجميع بدون تقييد .. فانا اواصل تعليمي الان وانا موظف ـ ثم الحصول على العلاج بالمجان ـ تحديد أسعار السلع التموينية ووضعها في الجمعيات التعاونية لكافة الشعب ـ والقضاء على المحتكرين ...

وارى ان التطبيق السليم لمبادىء الاشتراكية في نطاق الحياة العامة : النظر لرفع مستوى صغار العاملين في الدولة لتحسين حالتهم المعيشية ـ وضع الموظف في المكان المناسب لمؤهله وعمله الذي يؤديه ...

السؤال الخامس :

● التغيير الذي تحقق ؟ سوف يحقق الامال المنتظرة من ورائه ..

لا أرى صورا جديدة للتغيير أطالب بتحقيقها .

ولكن التصرف السليم في الظروف الحالية ازاء قضية العدوان ، يكون بالبحث عن حل سياسي سريع فاذا لم يتحقق فلندخل في معركة عسكرية ...

السؤال السادس :

● أفكر في مستقبلي الوظيفي ؟ ببذل الجهد من أجل الحصول على مؤهل أعلى يحقق لي وظيفة يزيدمنها دخلي ويرتفع مستواى ..

ويطمئنني انني اقوم بعملي على أحسن وجه.. ويخيفني اخطاء الزملاء التي تؤثر على الباقين ـ واقترح : ان تتوالى الدولة رقابتها وتوجيهها لجميع العاملين .. وارى ان مستقبل اولادي يتوقف على تحسين حالتي المادية حتى أستطيع تربيتهم ..

[١٣]

الاسم : عراقي عطيه جاويش ـ ٣٢ سنة	المرتب : ١٥ جنيها
الوظيفة : كاتب سكرتارية ـ ديوان محافظة الشرقية	عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكي
الدرجة المالية : التاسعة الكتابية ـ له فيها ٥ سنوات	الحالة الاجتماعية : متزوج ـ له ٣ ابناء

السؤال الاول :

● أبرز مشاكلي في العمل هي أن السادة الرؤساء لم يتركوا لي حرية التصرف في عملي ، رغم تقديرهم لما أقوم به من عمل .. وتعدد الرئاسات المختصة ، وارى تناسب ما أقوم به من عمل بالرغم من تحملي أكثر من طاقتي وأشعر بارتياح نتيجة هذا العمل . وأعتبر أن انجاز المهام الخاصة بالجماهير عمل له قيمته وتقديره في نفسي وان لم يشعر به أحد من رؤسائي ..

وأهم نقط الضعف في قانون ٤٦ لسنة ٦٤ هو انه حرمني وامثالي من علاوة الزوجة والاولاد ، وكثير من الثغرات التي أثرت على حالة امثالي من الموظفين ماديا ...

واقترح اعادة النظر في الثغرات السابقة والعمل على تلافيها بما يعود على الطبقة العاملة بالنفع العام .. واقيم علاقتي مع الجمهور على اساس من الاخوة الصادقة وحسن المعاملة ..

السؤال الثاني :

● أبرز مطالب أسرتي التي تعرضني لازمات مالية ، هي مصاريف البيت والاولاد وأحاول الاستدانه ، ولا الجا الى ما تقدمه الدولة معاونة في تفريج الازمات ، لانني ارى انها تزيد من ارتباكي المادي مثل سلفة الشهرين مقسطة على سنتين . وارى ان هناك تقصيرا كبيرا في جانب الخدمات التي تقدمها الدولة واهمالا من جانب المسئولين عن التنفيذ في منشآت هذه الخدمات ... وارى التوسع في المرافق الصحية (الوحدات الريفية) ، وشدة الرقابة عليها ، وزيادة الخدمات للمواطنين عن طريق الجمعيات التعاونية الزراعية في القرى بتقديم المشروعات الانتاجية المنزلية لزيادة دخل الفرد والجماعة ، وتدعيم فاعلية المسئولين عن الخدمات الاجتماعية في الريف باعطاء الفرصة كاملة للاخصائيين الاجتماعيين في مواطن عملهم لتنفيذ مشروعات الخدمة العامة...

السؤال الثالث :

● أحصل على ثقافتي العامة من حياتي العملية بالاضافة الى الراديو والصحف عن طريق الزملاء وأنفق على ذلك شهريا حوالي ٥٠ قرشا ... وتعتبر المواد

التى تقدم مناسبة ، واقضى وقت فراغى بالنزل والقيام ببعض الاعمال الزراعيةالتى تزيد من دخلى ، وتساعدنى علىضرورات الحياة ومطالب الاسرة ..

السؤال الرابع :

● الذى افادنى من التحول الاشتراكى هوحصول زوجتى على قطعة من ارض الاصلاح الزراعى بالقرية.. وارى أن يطبق فى مجال عملى مشروع العلاج بالمجان اسوة بما هو متبع فى الشركات والعاملين بادارات وهيئات مختلفة فى الدولة ..

وفى نطاق الحياةالعامة ارى تعميم فروع الجمعيات الاستهلاكية فىانحاء القرى، ومد الجمعيات التعاونية الزراعية بالعديد من الخدمات التى تعود بالنفع على آهالى الريف ، مثل المشروعات الانتاجية البسيطة .

السؤال الخامس :

● ابرز اسباب الهزيمة ، هى عدم تقدير المسئولين لمسئولية اعمالهم وحسابهم للامور.. وصور التغييرالتى تحققت جاءتمناسبة، ونأمل أن تؤدى الغرض الذىجاءت من اجله مع تلافى العيوب

السابقة ولا ارى ضرورة لاية تغييراتاخرى ، بلرقابةعامة ويكون التصرف للقيادة ازاء قضية العدوان بتنفيذ ماتراه صالحا للدولة وللقضية الفلسطينية ،وارضنا المحتلة.

السؤال السادس :

● افكر فى مستقبلى الوظيفى على اساستحسين مركزى الادبى والمادى .

• واقترح أن تكون هناك تعديلات فى قانون العاملين لتحسين حالةالموظف واسرته حتى يطمئن على مستقبله ومستقبل اسرته ..

[١٤]

الاسم : صلاح الدين محمد عبد الرحمن ــ ٢٧ سنة الوظيفة : كاتب بصندوق التوفير ــ قرية النكارية ــ الشرقية	الدرجة المالية : التاسعة الكتابيه ــ له فيها ٦ سنوات المرتب : ١٥ جنيها عضويه المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى العربى الحالة الاجتماعية : اعزب

السؤال الاول :

● اسافر يوميا اربع مرات حيث أن العمل على فترتين والمواصلات تكلفنى حيث لاأستطيع السكن فى الزقازيق لضآلة مرتبى حيث أقوم بالصرف على أسرة كبيرة وأنا ولى امرها ، ولم يكن لها أى عائل سواى واخواتى بالمدارس المختلفة، واقتراحان يكون مواعيد العمل فترة واحده ــ علما بأننى اقوم بأعمال مالية لاتتناسب مع مرتبى الضئيل ــ ولا علم لى بالقانون ٤٦ لسنة ٦٤ ولا أقترح لذلك شىء .. وكل ما أرجو تحقيقه هو تحسين حالتى المالية .. وأقيم علاقتى مع الجمهور على أساس المعاملة والخلق الحسن ..

السؤال الثانى :

● أهم مطالب أسرتى هى نفقات التعليم والدروس الخصوصية التى هى أصبحت فى جميع مراحل التعليم والمرتب البسيط لايفىبحاجة مطالب الاسره المكونة من الوالدة والأخوه بالمدارس من جميع المراحل ، والدولة خدماتها بسيطة بالنسبة لى حيث أن البلدة محرومة من الخدمات وهى « النكارية » أحاول حلها بالاقتراض والسلف ، وقد عاونتنىالدولة بالسلفة وهى مرتبالشهرين وارى التوسة فى الخدمات الاتية:الرقابةعلىالمستشفيات

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى العامة من الجمهور والزملاء ولا أستطيع شراء أى وسائل من الاعلام لعدم وجود أى فائض ولا يوجد اى وقت فراغ حيث العمل من الصباح حتى السادسة مساء .

السؤال الرابع :

● ارى التطبيق السليم للمبادىء أن يفهموا معنى الاشتراكية والمسئولين فى جميع اجهزه الدولة ، علما بانه مازال هناك ناس رجعيون .

السؤال السادس .

● وافكر فى مستقبلى

الوظيفى فى عدم حصولى على ترقية منذ تعيينى حيث خدمت باليمن مدة سنة كاملة ولم تحسب ضمن سنوات الخدمة المضاعفة حسب القانون

ويطمئننى أننى منتظم فى عملى

وأقترح أن يكون نظام العمل بفترة واحدة أسوة بما هو متبع فى الاعمال المماثلة

وقلة وقف العمل لزيادة الانتاج .

ومستقبل أولادى لارأى لى فيه لاننى لم أتزوج للان لضعف حالتى المالية .

[١٥]

الاسم : السيد الصادق
عمرى ــ ٤٥ سنة
الوظيفة : ملاحظ صحى ــ مديرية الشئون الصحية ــ الزقازيق
الدرجة المالية : التاسعة
المهنية ــ له فيها ٨ سنوات

المرتب : ١٨ جنيها و٨٢٠ مليما
عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى
الحالة الاجتماعية : متزوج ــ له ٦ ابناء

السؤال الاول :

● ابرز مشاكل العمل ، عدم تجاوب المسئولين معى اثناء تنفيذ اوامر الادارة ، مما يتسبب عنه اهمال فى العمل، نتيجة لعدم اطاعة المكلفين بالاعمال ، اذ يستعين بهم البعض لتحقيق مصالحهم الخاصة .

واعتبر عملى مناسبا لى حسب مؤهلى وطاقتى . وأحس بأن نتيجة هذا العمل تكون ذات فائدة كبيرة ومثمرة للغاية اذا وجدت التدعيم من جانب الرئيس المباشر ..

وارى ان اهم نقط الضعف فى القانون ٤٦ لعام ٦٤ هى ان الموظف عندما يصل الى نهاية مربوط الدرجة تقف علاواته لحين خلو درجة جديدة وهذا مما يؤثر على حالتى المالية ، ويعرقل من تقدمى فى العمل واقترح ان يحصل الموظف على علاوته بصفة مستمرة ، دون توقف ، وحتى تخلو الدرجة المطلوبة ..

وأقيم علاقتى مع الجمهور على اساس من التوعية السليمة والارشادات المطلوبة لتحقيق الغرض من عملى ..

السؤال الثانى :

● ابرز مطالب الاسرة التى تعرضنى لازمات مالية ، هى وجود اولادى بالتعليم الخاص، ويحتاجون لمصاريف مدرسية ونتيجة ذلك عدم استطاعتى المادية لاعطائهم دروسا خصوصية .

واحاول حلها بالاقتراض والسلف التى تؤثر على دخلى ، وتربكنى ماليا لعدة سنوات .. وتعاوننى الدولة فى تفريجها عن طريق السلف التى تتيحها للعاملين عن طريق البنوك وعن طريق استمارات الاقمشة .

والخدمات التى تقدمها الدولة لى ولاسرتى ، ليست اكثر من العلاج بالمجان .. وارى ان تتوسع الدولة فى اتاحة الفرصة لاقراض الموظف ما يوازى مرتب ثلاثة اشهر على أن تكون بدون فائدة وعلى مدى لا يزيد أكثر من عام واحد .. وان يسمح له من تعليم اثنان من أولاده بالمجان فى حالة عدم حصولهم على مجاميع تؤهلهم للالتحاق بالمدارس الحكومية .. ومنح الموظف علاوة للاولاد والزوجة كما كان متبعا فى السابق .

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى عن طريق الاطلاع فى الكتب بالمكتبات العامة والصحف اليومية والاذاعة عن طريق الاستعارة ولا استطيع الانفاق عليها لضعف مرتبى وحالتى المادية .

واعتبر ما تقدمه من مواد فهى مناسبة ، واقضى وقت فراغى فى تدبير شئون اسرتى ورعايتها ..

السؤال الرابع :

● استفدت من التحول الاشتراكى ، برفع مرتبى الشهرى ومنحى العلاوة سنويا .. وأرى أن التطبيق السليم للاشتراكية فى نطاق عملى ، هو ان يتعاون الرئيس مع مرءوسيه ، وان يتم التفاهم بينهم باحترام وتقدير المرءوس لرئيسه لانتظام العمل وكثرة الانتاج . وفى نطاق الحياة العامة ، الحد من الانفاق الضخم الذى نراه بدون مبرر فى العديد من المصالح التى لا تفيد المجتمع بشىء ..

السؤال الخامس :

● صور التغيير التى

تحققت نرجو أن تكون عند حسن ظننا ، وان تتحمل المسئولية فى الظروف الراهنة .

ولا أرى ضرورة لاية تغييرات جديدة ويكون التصرف السليم ازاء قضية العدوان ، هو مراعاةمصلحة الوطن وما يروه نافعا للوطن العربى كله ..

السؤال السادس :

● افكر فى ان يتحسن مستقبلى الوظيفى ماديا وادبيا ، ويطمئنى وجود قانون المعاشات والادخار .

واقترح اتاحة الفرصة بدراسات محلية منظمة ، عن طريق وزارته المختصة يحصل بموجبها على عمل اكبر وافضل .

وأرى ان مستقبل أولادى غير مناسب لضعف مرتبى وسوء حالتى المالية .

[١٦]

الاسم : عبد الحميد عبد الصمد يوسف ــ ٢٨ سنة	**المرتب : ١٧ جنيها و٤٥٠مليما**
الوظيفة : كاتب بقسم الميزانية بتليفونات الزقازيق	**عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكي ومنظمة الشباب ــ وعضو بنقابة التليفونات والبريد والبرق وعضو بنادى التليفونات بالقاهرة**
الدرجة المالية : التاسعة ــ له فيها ٥ سنوات	**الحالة الاجتماعية : اعزب**

السؤال الاول :

● لاتوجد لى مشاكل بالعمل ، وارى تناسبى مع هذا العمل ، واحس بنتيجة طيبة لما أؤديه من عمل . وابرز نقط الضعف فى قانون ٤٦ هى طول مدة الترقية ، واقترح خفض مدة الترقية وعلاقتى مع الجمهور عادية .

السؤال الثانى :

● ليست هناك مطالب للاسرة ، ولذا لا اتعرض لازمات مالية . ولا ارى اى صورة للخدمات قدمتها الدولة لى او لاسرتى . وأرى أن تتوسع الدولة فى مجال التوعية للمواطنين وتثقيفهم وخاصة فى القرى .

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى العامة من الكتب والمجلات والصحف عن طريق الاستعارة من الاصدقاء والزملاء ، ولا أنفق عليها شيئا .

ومستوى المادة فيها متوسط وينقصها الصدق فى المجال الاخبارى فى بعض الصحف اليومية .

واقضى وقت فراغى فى الاطلاع العام .

السؤال الرابع :

● استفدت من التحول الاشتراكى فى تحقيق الكفاية والعدل فى توزيع الخدمات . وأرى أن ما يسير عليه النظام الاشتراكى هو النطاق السليم فى مجال العمل ومجال الحياة العامة .

السؤال الخامس :

● صور التغيير التى تمت هى بناء القوة المسلحة والجبهة الداخلية، وارى الاستمرار فى ذلك بما يحقق لنا القوة . وأرى العمل على وضع جميع الامكانيات لصالح القوات المسلحة .

السؤال السادس :

● أتمنى الحصول على وضع مناسب لمؤهلى الوظيفى ولا يخيفنى منه شىء . واقترح وضع قانون موحد لجميع العاملين يتساوون فيه فى الاجور. ولا انظر فى مستقبل لاولادى الان لاننى لم أتزوج بعد .

[١٧]

الاسم : جندى شفيق جندى — ٢٤ سنة
الوظيفة : كاتب بادارة الافراد بهيئة المواصلات السلكية واللاسلكية بالاسماعيلية
الدرجة المالية : العاشرة — منذ ٣ سنوات

المرتب : ٩ جنيهات
عضوية المنظمات : عضو عامل بالاتحاد الاشتراكى — وعضو نقابة البريد والبرق بالاسماعيلية
الحالة الاجتماعية : اعزب

السؤال الاول :

● أبرز مشاكل فى العمل كثرة العمل وضيق الوقت ، وهذا العمل يجعلنى اشعر بالضيق النفسى ويزيد من أعباء الحياة .

● ابرز نقط الضعف فى القانون انه لم يتضمن ان يكون الاجر على قدر العمل ، واقترح ان يتحقق ذلك بالاضافة الى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب ، ليس لى علاقة مع الجمهور ، ولكن علاقتى مع العاملين بالهيئة .

السؤال الثانى :

● أبرز مطالب اسرتى رغم اننى غير متزوج ، الا اننى اعول والدى ووالدتى وثلاثة من الاخوة . واهم الإزمات التى تواجهنى هى مرض والدى المزمن الذى تعانى منه منذ سنوات ، واحاول حلها بالسلف من النقابة ، ولكنها لاتكفى لتفريج الازمات .

ليست هناك صور للخدمات خاصة بى وباسرتى بل الخدمات العامة لجميع المواطنين ، وارى ان تتوسع الدولة فى مشروع التامين الصحى ليحقق للكثير من المواطنين خدمة عامة .

السؤال الثالث :

● ليس لدى امكانيات مادية للحصول على الثقافة العامة واتابع وسيلة الاستماع الى الاذاعة ، ويكلفنى ذلك ٦٠ قرشا شهريا . لا أستطيع الحكم على ماتقدمه الاذاعة لاننى لا اسمعها بالقدر الكافى واقضى وقت فراغى فى مواصلة دراستى .

السؤال الرابع :

● الاستفادة من التحول الاشتراكى هى حصولى على عمل أواجه به نفقات الحياة . وارى وضع الرجل المناسب فى المكان المناسب وان يكون الاجر حسب ضخامة العمل ، ومدى مسئوليته ، وذلك لتطبيق مبدا الاشتراكية . وارى مساواتنا بالعاملين فى الشركات والهيئات الاخرى من ناحية منح الارباح والحصول على بعض المميزات الخاصة بنوعية العمل .

السؤال الخامس :

● ارى أن ما حدث من تغيير هو المناسب للظروف التى نعيش فيها . وارى التغيير لما فيه صالح الدولة والمواطنين ويكون التصرف السليم للقيادة بما يحقق مصلحة الوطن ، وماهو مناسب كذلك .

السؤال السادس :

● افكر فى تحسين مستقبلى الوظيفى بما يحقق لى الاستقرار ، ويخيفنى موضوع التقارير السرية التى يقوم بها الرؤساء ، والتى تهدد الموظف فى مستقبله الوظيفى اذا ماحدث خلاف بينه وبين رئيسه المباشر ، واقترح وضع نظام يحسن من حالة جميع العاملين ماديا لضمان مستقبلهم ، وارى ان مرتبى لايكاد يكفينى بمفردى ، وبذلك لااستطيع الزواج ، ويكون لى اولاد ، لانه لن يكون الهم اى مستقبل ، وانا فى هذا الوضع المادى الغير مناسب

[١٨]

الاسم : كمال محمد محمد السيد ـ ٣٣ سنة
الوظيفة : سكرتير جلسة بمحكمة الاسماعيلية
الدرجة المالية : التاسعة ـ له فيها ٩ سنوات

المرتب : ٤ اجنيها و٧٦٠ مليما
عضوية المنظمات : عضو اتحاد اشتراكى ـ وعضو جمعية خيرية
الحالة الاجتماعية : اعزب

السؤال الاول :

● ابرز مشاكلى فى العمل كثرة العمل والارهاق، واسناد الكثير من الاعمال ، وارى ان العمل لايتناسب مع ماأحصل عليه من مرتب ، واحس بان هذا العمل فيه غبن لى ولأمثالى ، وأهم نقط الضعف فى قانون ٤٦ لسنة ٦٤ ٠٠ هى مسألة الترقيات وطول المدة فيها .. وأقترح أن تكون مدة الترقية ٤ سنوات على الاكثر ٠٠ وأقيم علاقتى مع الجمهور على أساس من المعاملة الحسنة وتأديه العمل على أكمل وجه.

السؤال الثانى :

● لااستطيع أن أكون رب أسر حيث أن حالتى المالية تسمح بذلك ، وحتى لاأتعرض لأى أزمة مالية ٠
وليس هناك خدمات خاصة بى شخصيا من جانب الدولة بل خدمات عامة ، وارى ان تتوسع الدولة فى مجال خدمة الموظف ، وتحسين حالته المادية .

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى العامة من تعاملى مع الجمهور ، وقراءة بعض الصحف من الزملاء والاذاعة ، وانفق عليها حوالى ٣٠ قرشا شهريا ومستوى المادة فيها حسن ومناسب جدا ٠
واقضى وقت فراغى عادة فى قراءة الكتب وفى انجاز الاعمال الموكلة الى مثل كتابة الاحكام ..

السؤال الرابع :

● استفدت من التحول الاشتراكى حرية الرأى والتعبير عنه ٠ وأرى تطبيق مبدا الاشتراكية فى تحسين حالة الموظف الصغير ، ورعايته .. وفى نطاق الحياة العامة ارى أن ماحدث هو المطلوب وليس هناك مايمكن تطبيقه أكثر من ذلك ٠٠

السؤال الخامس :

● تحقق بعض التغيير فى وضعها الحالى وهى تسير الى أحسن لزيادة فاعليتها ، وارى ان التصرف السليم للقيادة هو العمل على زيادة القوة والتمسك بالعروبة .

السؤال السادس :

● أؤدى عملى على احسن وجه . وأنا مطمئن طالما أؤدى عملى كاملا واقترح افساح المجال للترقية للموظف فى مدد مناسبة وبسيطة تتيح له فرصة التحسن المالى والرقى الوظيفى ، حتى يصبح وضعه مناسبا ، وبذلك يكون مطمئنا على مستقبله وتحسين حالته بصفة مستمرة .

[١٩]

الاسم : أحمد عبد الظاهر عبد الرازق ـ ٣٨ سنة ٠
الوظيفة : موظف عهدة بمدرسة النهضة المشتركة بحلوان
الدرجة المالية : العاشرة ـ له فيها ٦ سنوات

المرتب : ١٥ جنيها
عضوية المنظمات : الاتحاد الاشتراكى
الحالة الاجتماعية : متزوج ـ له ٩ اولاد

السؤال الاول :

● اهم المشاكل :
أ ـ المبيت فى المدرسة أحيانا بدون أجر ٠
ب ـ لى خمس سنوات لم آخذ علاوة وعشر سنوات على درجة واحدة ٠
ج ـ لااعرف القانون ٤٦ لسنة ٦٤ ٠
د ـ اتعامل مع الجمهور

معاملة حسنة ولا يشكى منى أحد

السؤال الثانى :

أ ــ كثرة الاولاد وارتفاع اجر السكن [٩ اولاد] .
ب ــ السلفة هى الوسيلة الوحيدة التى تساعدنى بها الحكومة .
ج ــ ارى عمل مستشفيات تابعة للتربية والتعليم مثل المصانع .
د ــ تخفض لنا الحكومة المساكن .

السؤال الثالث :

● احصل على ثقافتى من القراءة ٣ واشترى يوميا جريدة وأتابع دائما الراديو وانا لاأحب الا الاخبار .

السؤال الرابع :

● لم تزودنى فى شىء ــ لقد افادنا الاتحاد الاشتراكى وسلمنا مساكن .

السؤال الخامس :

● فى رأيى أن أسباب الهزيمة أهمال ــ وأنا فى الجيش كان فى عقيدتى أن اسرائيل لاتأخذ منا الا ربع ساعة . ومن رايى أن الضمير هو أهم شىء ويخدم قضية بلدنا

السؤال السادس :

● الذى يطمئننى هو تثبيتى فى العمل وضمان قوت الاولاد ، ومايخيفنى هو العهدة .

الاقتراحات :

١ ــ عدم خصم شىء من المرتب حتى يكفى قوت الاولاد .
٢ ــ مساواتنا بموظفى المصانع فى العلاج والارباح والمعونة ماديا فى الاعياد والمناسبات مثلهم .

[٢٠]

الاسم : فوزى تادرس خليل ــ ٣٢ سنة	**المرتب : ١٠ جنيهات**
الوظيفة : موظف ارشيف	**عضوية المنظمات : عضو الاتحاد الاشتراكى**
الدرجة المالية : الحادية عشرة له فيها ٦ سنوات	**الحالة الاجتماعية : متزوج ــ له ولدان**

السؤال الاول :

● لا توجد مشاكل .. ولم اسمع عن هذا القانون ... وعملى ليس فيه فرصة التعامل مع الجمهور .

السؤال الثالث :

● الراديو .. واقرا الصحف ولكنى لا اشتريها ومستواها يرضينى ..

السؤال الرابع :

● لابد من التركيز على وجود تعاون وعدم التمسك بالمصالح الشخصية .

السؤال الخامس :

● تم التغيير ولمسناه فى الجيش وفى الجبهة الداخلية .

السؤال السادس :

● مطمئن لوظيفتى .... موظف الحكومة لا يخاف .. ومرتبى مضمون ولكنه ضئيل

[٢١]

الاسم : محمد الدسوقى محمد ــ ٤٦ سنة	**المرتب : ٢٤ جنيها**
الوظيفة : العلاقات العامة ــ مصلحة السجون	**عضوية المنظمات : عضو الاتحاد الاشتراكى**
له فيها ٩ سنوات .	**الحالة الاجتماعية : متزوج ــ وله ٣ اولاد**

السؤال الاول :

● العمل ضخم جدا .. ولا استطيع غالبا انجازه مما يخلق مشاكل بينى وبين الرؤساء والقانون غير مناسب

السؤال الثانى :

● مضطر لادخال اولادى مدارس الاتحاد الاشتراكى

وذلك يكلفنى الكثير .

السؤال الثالث :

● اقرأ جرائد ولا اشتريها ثقافتى من الراديو ومستواه مقبول .

السؤال الرابع :

● لابد من تقريب الفوارق بين مرتبات الموظفين .. وان يسود التعاون وعدم الانانية

السؤال الخامس :

● التغيير حدث .. وشعرنا بوجود جيش قوى مستعد للحرب ..

لابد من وجود تعاون اكثر بين المواطنين وايجاد ظروف سهلةللعمل بنفسية مرتاحة . الحرب ضرورى جدا .. ولابد من معركة .

السؤال السادس :

● لابد من تغيير قانون المعاشات .. حتى يطمئن الموظف



تقارير على الشهادات

التدريب والتعليم غير المباشر يفتح آفاق التقدم

د. عبد المجيد العبد

على ضوء الشهادات الواقعية المقدمة من بعضموظفى الدرجةالتاسعة والعاشرة الذينيمثلون ٣٨٪ من موظفى الحكومة ، يمكن استخلاص الحقائق التالية التى تعتبر السمات الرئيسية لمشاعرهم وآرائهم وصولا لمقابلتها ووضع افضل الحلول لها :

١ — تلق هؤلاء الموظفين على مستقبلهم وشعورهم بتجمد تقدمهم ، فهم يمثلون — فى الغالب — خريجو مرحلة الثانوية العامة او الفنية ، حيث لا توجد امامهم فرص التقدم الا بالالتحاق بالجامعة التىاصبحت تضيقبقدامى الموظفينبعد تقييد الانتسابإليها عددا وتخصصا ومجالا ، كما جاء فى اقوال كل من السادة : **محمد صالح معوض ، عبد اللطيف اسماعيل احمد خليفة واحمدمحمد موسىابو خدعة ،محمد احمد حسن البرماوى ، السيد الصادق غمرى .**

٢ — ارتبط بالحقيقة السابقة وانبنى عليها عدم وجود الطموح لدى الغالبية العظمى منهم، مما افقدهم القدرات الابتكاريةوالدوافع الخلاقة، حيث تقف امامهم اللوائح بنودها وقيودها المتعلقة بالاقدمية فى الترقية مع زيادات مالية بسيطة لا تتناسب وارتفاع مستوى المعيشة ، كما جاء فى اقوال كل من السادة : **احمد محمد موسى ابو خدعة ، محمد احمد حسن البرماوى والسيد الصادق غمرى .**

٣ — انعكس تخلف الوعى الفنى والتدريب على تفكير بعض العاملين فى محاولتهم الحصول على مزيد من الحقوق دون تحمل العديد من الواجبات ، كما جاء فى اقوال كل منالسادة : **محمد صالح معوض ، شاكر حسن عثمان ، عوضين عبد الحميد عوضين ، عبد اللطيف اسماعيل خليفة ، عراقى عطية جاويش ،صلاح الدينمحمد عبدالرحمن ،السيد الصادق غمرى.**

وانى ارى ان هذه الظواهر وما ترتب عليها من نتائج تعتبر من الامور الطبيعية فى دولة لم تكتشف بعد عناصر التحدى التى تذكى حماس الافراد نحو بذل غاية ما يستطيعون من جهد وعدم الضن ببعض ما لهمومعظم وقتهم فىسبيل الرقى ومن اجل التقدم ، بل اننى ارى انالعلاج

الفعال للتغلب على كافة هذه المشاكل يكمن ـ ابتداء وانتهاء ـ فى زيادة مهارات الانسان السلوكية والعملية والفنية ، فالفرد الماهر هو القادر على خلق فرص العمل المناسبة له ، وهى المتاحة لن يثبت كفاءة وجدارة ،وقد اقرت الدولة مشروعا يستهدف احداث تغيير اساسي فى وسائل التعليم غير المباشرة عن طريق التعليم بالمراسلة المترابط مع باقى وسائل التعليم الجماعية بالتليفزيون والراديو والصحافة ووسائل التدريب المباشر داخل العمل وداخل وحدات التدريب ، وعهدت به الى الجهاز المركزى للتدريب ، ومن المتوقع ان يحدث هذا المشروع تغييرا جذريا فى افكار كافة العاملين نحو استغلال اوقات الفراغ التى تضيع هباء وسدى . وذلك باتاحة فرص تحسين مهاراتهم خطوة بعد خطوة وبنفقات زهيدة لا تتجاوز المائة مليم اسبوعيا ، يتحملها الدارس ليستشعر باهمية اسهامه ـ من دخله المحدود ـ فى سبيل زيادة اجره وارتفاع مرتبه فى اطار متعاون تشترك معه وحدته الاقتصادية بضعف مايرصده لتحسين مهارته بالتدريب ومواصلته ، بل يجوز لها أن تقرضه قرضا حسنا تسترده ـ مقسطا ـ من زيادة دخله بسبب زيادة ثروته الشخصية نتيجة للتدريب .

٤ ـ يرشد هيكل التعليم عن وجود فراغ فى الحلقة الوسطى المثلة للملاحظين والفنيين والفنيين عالى المهارة ـ وهى الحلقة التى تؤثر على انتاجية العمل وكفاءة القوة العسكرية التى تمثل قطاعا مستعرضا لقوة العمل المدنية ـ فهم جميعا دون المستوى الجامعى ،وفى نفس الوقت تضيق بهم مستوى الفئات التالية من العاملين مما يحد من تقدمهم اليها ـ ومن ثم بلوغهم مراكز الادارة الوسطى التى تفتقر ـ بسبب ذلك ـ الى الطابع التطبيقى والعملى ، اذ ترتب على التوسع فى التعليم الجامعى والسعى نحو خلق الوظائف لخريجيه دون ما حاجة اليها ان بلغت نسبة شاغلى وظائف الادارة حوالى ٩٤٪ من الجامعيين فى حين انها لا تتجاوز ٦٠٪ فى معظم الدول المتقدمة .

٥ ـ يتبلور التحدى الحقيقى امام الجمهورية العربية المتحدة ـ خاصة وبسبب زيادة معدلات نمو السكان ـ وفى خلق فرص العمل المتزايدة والمنتجة فى شتى المجالات فى الريف والحضر بين الرجال والنساء فى الداخل والخارج ،وهذه مشكلة لم توفق الدولة بعد فى وضع حل لها يفتح آفاقا جديدة وبعيدة للعمل ، تدفع اى فرد ضاقت امامه السبل الى ان يطرقها متسلحا باستعداده الشخصى وبالمساعدة المادية المناسبة، دون التزام بتعيينه ولنا فى تجربة الهند عبرة فى عدم الالتزام بتعيين خريجى الجامعات والفنيين مع اتاحة الفرصة لهم بالاشتغال بالقطاع الخاص بمعاونة من الدولة .

وفى اعتقادى ان تخلف صناعاتنا الصغيرة ووسائل تكثيف الايدى العاملة فى الزراعة والتشييد بالاضافة الى انه عدم احكام التخطيط لسياسة الهجرة المنظمة التى تطرق مجالات متعددة للعمل الخارجى من بين اسباب عدم امكانية فتح ابعاد جديدة للتوظف والتشغيل لاسيما فى القطاع الخاص .

مفاتيح لقضية الموظف المصرى
فى قاعدة الجهاز الادارى

محمد زايد

يقرر الواقع : ان المؤثر الاقوى فى تحقيق « انتاجية الوظيفة » المستهدفة يكمن ـ اساسا ـ فى « القدرة الذاتية للموظف ومدى رغبته فى استغلالها » .

وفى ضوء ذلك تبقى المؤثرات الاخرى من تحديد لساعات عمل اووضع لمعدلات اداء او رسم لخطط رقابة مجرد « عوامل مساعدة » تحدد فقط مسالك تعيق على تحقيق الانتاجية المقدرة للوظيفة لكنها لا تقدر على دفع الموظف الى المضى فى هذه المسالك متى افتقد القدرة الذاتية للانتاج ، او الرغبة فى ممارستها .

والاخذ بالاتجاه الحديث فى نظم الخدمة المدنية ـ والذى يركز على توفير القدرة الذاتية

للموظف قبل السؤال عن انتاجية الوظيفة ــ هو الذى وجه المشرع الى محاولة ايجاد مفهوم جديد «للاختيار والانتقاء» فى قانون العاملين رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ .

فى القانون الاخير للعاملين التى تماما ترك مهمة اختيار الموظف لجهة واحدة وهى ديوان الموظفين الذى كان فى ظل القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥١ المورد الوحيد لكل موظفى الدولة فى كل وحدات الجهاز الادارى .

الاسلوب البديل للاختيار والانتقاء ــ فى ظل القانون ٤٦ ــ اوكل لكل وزارة مختصة مهمة الاعلان عن وظائفها الشاغرة وشغلها بامتحانات يتوفر من خلالها الموظف المناسب الذى يمتلك بالفعل القدرات الذاتية لممارسة الواجبات والمسئوليات التى تختلف من وظيفة الى اخرى.

وكان لابد استكمالا لهذه الفلسفة ــ وفى ظل مبدأ العمالة الكاملة ــ ان يقوم الجهاز المركزى للتنظيم والادارة بالتنسيق بين سياسة التعليم وسياسة التوظيف بحيث يحقق موردا مستمرا من الكفايات .

لقد حاول النص التشريعى ــ اذن ــ ان يكون فى خدمة توفير « القدرة الذاتية المناسبة لمقتضيات كل وظيفة لدى كل من يشغلها » .

ولكن : لم يكن ممكنــا ان يغير هــذا النص التشريعى من وجود موظفين يمارسون بالفعل مهام وظائف مختلفة بقدرات ذاتية لم يكن مصـــدر توفيرها اساسا الاختيار والانتقاء، ولا كانت تستند الى مؤهلات علمية وانما هى بنت الخبرة وحدها.

وهذه اول ظاهرة تبرز من تعريف الموظفين بوظائفهم فى الشهادات الواقعية :

« ظاهــرة وجود عــديد منهــم فى مواقــع عمل اكبر منهم ومن مؤهلاتهم » ولكنهم يجدون لديهم القدرة الذاتية لممارستها ويمارسون واجباتها بالفعل ولكن باحساس من اثنين :

واما الحساس بضخامــة المسئولية يعكسه المالية التى تناسب اعباء مثل هذه الوظيفة التى يشغل **محمد تمراز عبد الهادى** احداها « مراجع بوزارة الاوقاف واشرف على موظفين اعلى منى فى الدرجة » .

واما احساس بضخامة المســئولية يعكسه وجود **محمد صالح معوض** فى وظيفة « لاتناسب معى لانى وصلت لمرحلة الاعدادية بينما يجب ان يقوم بها شخص مؤهله تاهيــلا عاليــا » .

والقضية الاساسية التى تكشف عنها هذه العبارات ليست قضية « الثقة بالنفس » بقدر ماهى قضية « وجود الموظف فى موقع عمل يكبر امكانياته العلمية » .

وهذا لايعنى ــ بالقطع ــ حجرا على الخبرة واسقاطا لها من الحساب ، فالخبرة اساسا هى التى اوجدت هؤلاء الموظفين فى مواقعهم ، ولكن السؤال الذى يظل مطروحا :

ــ هل تكون الخبرة بالفعل ووحدها اساس وجود موظف فى موقع عمل يكبر مؤهلاته ؟

وفى نطاق هذه الظاهرة الاولى ــ وجود موظف فى موقع عمل اكبر منه ــ ينبغى ايضاح نقطة هامة وهى ان الموظف الصغير لا يسعده وجوده فى وظيفة تكبره وتكبر مؤهلاته لانه يريد فقط ويكتفى بوجوده فى موقع العمل المناسب لقدراته بعكس بعض كبار الموظفين الذين يزخر بهم الجهاز الادارى والذين يتملكهم اعتقاد مسيطر بانهم يكبرون مع كل فرصة لضم مسئولية جديدة او السيطرة على ادارة متنازع عليها بغض النظر تماما عما اذا كان ذلك يدخل فى نطاق قدراتهم الذاتية ام لا .

ظروف لا تنمو فيهــا رغبة الاداء الاكمــل

على ان « القدرة الذاتية » للموظف تبقى مجرد « طاقة كامنة » ويبقى « عامل التفجير » الوحيد والممكن لها هو « مــدى رغبــة المــوظف فى استغلالها » .

فقد الموظف لهذه الرغبة يعنى بالضبط فقده « لعامل موصل جيد » لطاقته الذاتية الى حيث تحقق الانتاجية المستهدفة للوظيفة .

والذى لا شك فيه ان توافر الرغبة فى العمل واستغلال الطاقة الذاتيــة يرتهن دائما بمدى احساس الموظف بالراحة النفسية ومدى معاناته من بعض المشكلات التى تحيط بموقع عمله .

هذه هى القضية : لايمكن ان يرتجى اداء منتج للوظيفة اذا ماكان الموظف يعيش معاناة نفسية من بعض الظروف المحيطة بوظيفته .

وتكشف اجابات الموظفين فى الشـــهادات الواقعية عن ظروف عديدة غير ملائمة تحيط بموقع الوظيفة ذاتها .

بعض هذه الظــروف المعاكســـة حـاولت التشريعات القانونية ان تخنق فرص نموها،ولكن يبدو ان بعض الاتجاهات المعوجة التى توارتها الجهاز الادارى كانت فى بعض الحالات اقوى من نصوص التشريع .

والبعض الاخر منها يفرض ضرورة اتجـاه المشرع اليها ليعالجها بمواد مستحدثة .

والذى يجدر تسجيله الان ان تعبير الموظفين عن هذه الظروف « المعاكسة » .كان يتجه الى تحديد معالمها مباشرة وبوضوح تام يبعد عن كل محاولة للتلميح الذى يقضى فى متاهاته على التحديد المطلوب للظواهر ومسبباتها .

وهذا يعنى امرين !!

● **تفهم صغار الموظفين لكل العوامل السلبية» التى يمكن ان تحيط بالوظيفة وتفقد الموظف رغبته فى الاداء الاسلم لعمله .**

● **وتفهم العاملين فى قاعدة الجهاز الادارى للمعنى الحقيقى « للوظيفة العامة » التى لم يعد مقبولا ان تبقى محصورة فى قوالب من «الاجراءات الروتينية المحددة » تبعد بها عن معنى « الوظيفة الاجتماعية » التى تخدم ــ بالمرونة والتفـكير المتجدد ــ اهداف مجتمع الاشتراكية الذى يركز على الارتقاء بمستوى خدمة الجمهور فى الوظائف العامة .**

ويمكن الان ــ من خلال استقراء الشهادات الواقعية ــ بلـورة الظروف المعاكســة المحيطة « بالوظيفة العامة » فى صور ستة !!

① فى مقدمتها « عدم استقرار الموظف فى عمله نتيجة عدم وجود تحديد كامل للمسئوليات » وعدم الاستقرار فى العمــل كانت نتيجتــه عند **عبد العظيم عبد الحميد** « عدم تأديته على الوجه الأكمل » ويثير ــ ارتباط بذلك ــ قضية اخرى اساسية قد تكون سابقة أو لاحقة وهى « عدم تحديد المسئولية بين الرئيس والمرءوس » .

ولقد كان العرف الادارى وحده يجرى على **تحديد كل رئيس وحــده فى الجهــاز الادارى لمسئولياته ومسئوليات كل من مرءوسيه مما يحقق** **لكل منهم الاستقرار فى عمله !! ولكن عدم وجود** النص التشريعى الذى يســند العرف الجـارى ــ فيما مضى ــ لم يجعل منه قاعدة عامة تحترم من جميع الاجهزة الادارية .

وباقرار هذا المبدأ فى المادة [٥٣] من قانون العاملين الحالى فرض بالفعل الزام كل رئيس عمل بممارسة تسيير العمل فى وحدته بما يكفل تسلسل المسئولية وتحديد نطاق الاشراف وهو مايحقق استقرار العمل بالنسبة لكل موظف ويرفع من كفاية الاداء .

ولكن يبدو ان بعض الرئاسات ــ فى قضية المسئوليات بالذات ــ لاتزال تلجأ عن عمد الى « تمييع المسئولية وشيوعها »حتى يمكن تحميلها ــ فى حالة الخطأ ــ لضحايامن صغار الموظفين.

② وقد يوجد الموظف فى مثل هذا الموقــع المستقر الذى تتحدد فيه المسئوليات لكنه يواجه بظرف آخر يرهق قواه وهو « عدم تواجد توزيع عادل للعمل على القوى الموجودة فى موقعه » ؛ ونتيجة ذلك بالضرورة فى الواقع الذى يعيشه **محمود نصر** « يكون هناك من يعمل ويتعب وغيره لا » .

وقد كان يمكن ان يوجد العلاج الحاسم لهذا اللون من امراض الجهاز الادارى لو مضت الى النهاية الاشواط التى قطعت حتى الان فى ترتيب وظائف العاملين فى الدولة وتوصيفها .

ولكن يبدو انه سوف يمر وقت آخر مديد قبل ان يصل الجهاز الادارى للتنفيذ الـكامل للمادة الخامسة من قانون العاملين والتى تفرض «ترتيب الوظائف على اختــلاف درجـاتها طبقا لتقييمها حسب اهمية كل منها من حيث المســـئوليات والسلطات والاختصاصات والواجبات الرئيسية لها كما يوضــح فى الـوصف التحليـلى لـكل وظيفة ... »

وحتى يبرز الـكيان الحى لترتيب الـوظائف وتوصيفها فسوف تبقى الفرصة متاحة لظهور حالات من سوء توزيع الاعمال على العاملين .

③ وقد تكون العـدالة مكفولة فى توزيــع الاعمال على قوى الموظفين الموجودة ولكن « حجم العمل » ذاته يكون اكبر من كل القوى المتوافرة فيضطر الموظف ــ حتى ينجز ما بين يديه ــ الى العمل ساعات اضافية . والقضية بالنسبة **لشاكر عثمان** ليست كثرة القضايا التى ينسخ تحقيقات النيابة فيها ولكنها « ضرورة الاستمرار فى العمل لفترات طويلة بعد الظهر بدون اى أجر اضافى مما يكلفنى من الجهد والمال الشئ الكثير » .

وفى عدم الامساك بعائد من الجهد الاضافى المبذول يحيط موقع الوظيفة بظرف يفتقد التناسب بين الاجر والعامل مما يرهق نفسية الموظف الصغير بالذات اكثر من غيره .

والاصل بالطبع ان جميع وقت العمل ملك للدولة ، ولكن اقرارا لمبدا العدالة فى ان يوازى عائد العمل الجهد المبذول فيه اجازت المادة [٣٦] من قانون العاملين « منح العامل اجرا عن الاعمال الاضافية التى يطلب اليها تاديتها فى غير اوقات العمل الرسمية طبقا لاحكام اللائحة التنفيذية » .

المبدا العادل مقرر اذن بالنص التشريعى .. .. ولكن ...

المشكلة دائما فى التطبيق الذى قد لا تسعفه ارصدة الميزانية المخصصة للاجور الاضافية ..

وعندما يفتقد الموظف العائد العادل من جهده الاضافى فانه — رغما عنه — يدخل حجم العمل المنوط به فى مقارنة مع راتبه ودرجته المالية وتتولد عنده نتيجة ذلك حالة مستمرة «لعدم الرضا والاحساس بالظلم » اساسها عند **احمد محمد موسى** انه « حاصل على دبلوم معهد السكرتارية بعد الثانوية العامة ومدة الدراسة به اثنى عشر شهرا وتاريخ تعيينى هو ١٩٦٢/١/١٧ ومازلت فى الدرجة التاسعة حتى الان فى الوقت الذى عين فيه زملاؤنا فى الشركات والمؤسسات وحصلوا على الدرجة السادسة » .

❹ والظرف الاقسى من كل ماسبق ان يجد الموظف نفسه — فى موقع عمله — مطالب بأن يكون « اداة انتاج » فقط وليس من حقه ان يشرك فكره فى « اسلوب الانتاج » ولذلك بقى **عراقى جاويش** اسير حالة نفسية مرهقة لان « السادة الرؤساء لم يتركوا لى حرية التصرف فى عملى رغم تقديرهم لما اقوم به من عمل » .

ولقد كانت الرأسمالية وجدها هى التى تتبنى المبدا الذى يعتبر الموظف او العامل مجرد « اداة للانتاج » وتبقى مهمة التفكير والتخطيط لاصحاب رءوس المال .

وموقع العمل الذى تحكمه اتجاهات الاشتراكية لا يقر بالقطع هذا المبدا .

ورؤساء الوحدات الادارية يفهمون ذلك تماما .. ولكن ....

يبدو ان البعض منهم — ممن يحلو لهم السيطرة والتسلط — فهموا من نص المادة [٥٣] بأن الوظائف العامة تكليف للقائمين بها .... » ان التكليف يدخل فى نطاقه « الاجبار » على تنفيذ كل ما يصدرونه من تعليمات ادارية، والفوا بذلك امكانية اعمال الفكر الذى يمكن به وحده « خدمة المواطنين تحقيقا للمصلحة العامة » ، وهو الهدف الذى نصت عليه المادة [٥٣] ذاتها من حكمة التكليف للوظائف العامة .

ان حصر التفكير فى المعانى الحرفية للنصوص مثل ماتطلبه الفقرة الرابعة من المادة [٥٣] من الموظف بأن « ينفذ ما يصدر اليه من اوامر بدقة وامانة » هو نوع من الضغط الذى يمارسه بعض كبار الموظفين عندما يلوحون لكل بادرة تفكير بمنطق « التعليمات الصريحة فى القانون » .

واعتقد ان التوسع فى عقد اللقاءات الدورية بين الرؤساء والمرءوسين يعطى بالفعل تفهما اكبر لروح القانون الذى لم يقصد بتقرير « ضوابط » العمل فرض « قيود » على اعمال الفكر والاجتهاد للصالح العام .

❺ وعندما يضطر الموظف الى «الانتقال اليومى لموقع عمل فى غير محل اقامته او فى مكان يتعذر فيه على الموظف ايجاد محل اقامة بمقابل يدخل فى نطاق قدرته » فانه يصاب بالارهاق الذى ينعكس بالضرورة على انتاجيته . ومن الصور الصارخة لهذا الوضع حالة **صلاح عبد الرحمن** « اسافر يوميا اربع مرات حيث ان العمل على فترتين والمواصلات تكلفنى حيث لا استطيع السكن فى الزقازيق لضآلة مرتبى وحيث اقوم بالصرف على اسرة كبيرة » .

ولقد بذلت بالفعل — فى السنوات الاخيرة — جهود لتحقيق مبدأ « محلية الخدمات » الذى يرتبط به مبدأ « محلية موظفى هذه الخدمات » وبالفعل وضعت خطط لنقل الموظفين الى محافظاتهم على مدى عدد من السنوات . **ولكن هذه المحاولات لاتزال محصورة فى نطاق محدود مما ابقى على آلاف من صغار الموظفين يعانون المشقة المالية — قبل الجسمانية — فى الانتقال اليومى الى مواقع عمل لايجدون بالقرب منها محال للاقامة بمقابل معقول .**

❻ وقد يفوق كل هذه الظروف مجتمعة ظرف اخير « انسانى » يعانى منه الموظف الصغير بالذات آثار مرهقة للغاية تفوق كل معاناته من الظروف السابقة .

ومصدر هذه المعاناة الكبرى التفرقة الطبقية التى يمارسها الجمهور فى تعاملة مع الموظف

الصغير والموظف الكبير ؟ فمن الصعب على النفس ان يتقبل **عبد الحميد عوضين** مطالب الجمهور دائما « بلغة الامر ونحن نقابله بكل تفاهم وكل مانرجوه رفع الوعى الجماهيرى » .

ويكشف هذا عن ضرورة بذل جهود اكبر لكى تستقر فى اذهان الجماهير فكرة احترام كل وظيفة عامه ذاتها ، وبالتالى توفير الاحترام الكافى فى معاملة شاغلها بغض النظر عن وضعه فى السلم الوظيفى : سواء كان عند السفح او فى القمة .

الوعاء القانونى وما يضمه

من مواد تسد الطريق

ويبدو جليا من استقراء الشهادات الواقعية للموظفين ــ انهم على استعداد لتحمل كل هذه الظروف غير الموائمة والمحيطة بموقع الوظيفة وعلى استعداد للتغاضى عنها تماما لو وجدوا فى مواد القانون ٤٦ لسنة ١٩٦٤ ــ والذى ينظم تعامل الدولة معهم ــ انصافا ماليا بالذات لصغار الموظفين .

« المحور الاساسى » الذى يرتكز عليه وينطلق منه تفكيرهم هو «الحالة الاقتصادية »التى يعيشها بكل تأثيراتها عدد غير قليل من صغار الموظفين الموجودين فى القاعدة العريضة لدولاب العمل الحكومى .

ويوم ان صدر القانون ٤٦ فى ١٢ فبراير سنة ١٩٦٤ ــ ليحل محل القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥١ ــ كان يعكس بالفعل فى مواده محاولة طيبة من المشرع لمجاراة الظروف المتغيرة .

لقد اخذ فى اعتباره ان تعميق مفهوم الاشتراكية فى المجال الادارى كان يفرض بالضرورة حتمية احداث تغيير جذرى فى النظام الادارى بأكمله وتعديلا للاصول التى تقوم عليها تعامل الدولة مع العاملين فى اجهزتها بحيث تحقق الاصول الجديدة مبادىء العدل والمساواة وبحيث توفر الحافز الفردى لمضاعفة الكفاية والارتقاء بمستوى الخدمة العامة .

وقد جاء هذا القانون متضمنا اصولا جديدة بالفعل تغير من الوجود السابق للجهاز الادارى كان من بينها ــ على سبيل المثال فقط لا الحصر ــ انه فرض ضرورة توضيح المهمة او الهدف الذى ينشأ الجهاز من اجل تحقيقه وكذلك ضرورة تحديد اختصاصات كل جهاز .

ومن بين الاصول الجديدة التى جاء بها قانون العاملين انه جعل العلاوة الدورية سنوية بدلا من منحها مرة كل سنتين وذلك حتى يفيد العامل من عائد عاجل ومستمر لانتاجه .

ولكن « الوعاء القانونى » الذى يحتوى كل نظم تعامل الدولة مع الموظفين ضم ايضا من الاصول المستحدثة ما يمثل ــ من وجهة نظر صغار الموظفين بالذات ــ مبادىء مجحفة فى حقهم او تشكل « بابا موصدا » امام ترقيهم وتقدمهم الى مستقبل افضل .

وتبرز من خلال الشهادات الواقعية نقاط سبعة يتركز فيها تفكير الموظفين :

١ ــ ان القانون ٤٦ « ضم غلاء المعيشة الى المرتب » وقد كان نتيجة ذلك بالنسبة **لمحمد صالح معوض** » ان صار المرتب فئة شاملة، وتسبب فى خفض المرتب لان الزوجة والاولاد كنا نتقاضى عنهم علاوة غلاء معيشة » وهذا النص يعنى عند **محمد احمد حسن** »انه ساوى المتزوج بالاعزب عندما رفع اعانة الاولاد وكذا اعانة الزوجة » وبالتالى تسبب **لعراقى عطية جاويش** فى متاعب اقتصادية » مما اثر على حالة امثالى من الموظفين ماديا » .

٢ ــ « وعد ايجاد مجال لترقى ذوى الخبرة » يعتبره الموظفون حجرا على تقدمهم نحو مستقبل افضل فى نفس اتجاه تسعير الشهادات الذى ركز القانون الجديد ٤٦ على انهاء وجوده من الجهاز الادارى . ويرى **محمد تمراز عبد الهادى**

« ان اتجاه الحكومة فى عدم رفع شأن الغير مؤهلين لا يتفق مع صالح العمل اذ ان العبرة بالخبرة ومزاولة العمل وليس بالمؤهل ، ومن اهم نقط الضعف فى القانون ٤٦ انه لم يحدد مجالا لذوى الخبرة للسير فى وظائفهم ولم يعالج بالنسبة لهم مدد الرسوب فى الدرجات بالنسبة لسائر الوزارات والمصالح الحكومية » .

ولقد كان نظام الدرجات المالية التى اقام بها القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥١ قاعدة النظام الوظيفى بالحكومة لا يعنى بايجاد علاقة انتساب موضوعية بين المرتب والعمل الفعلى الذى يؤدى ــ كان الاساس تقسيم وظائف الدولة الى مستويات طبقية يكون لمستوى الشهادة فيها الكلمة العليا . وقد ادى ذلك بالفعل الى ايجاد اشخاص يؤدون فى مكتب واحد اعمالا متشابهة، ومع ذلك يحصلون على مرتبات متفاوتة هى التى تفرق بين الخبرة ومستويات الشهادات المختلفة .

وفى مبدا ترتيب الوظائف الذى جاء به قانون

العاملين ٤٦ فرصة عادلة لايجاد علاقة انتساب بين الاجر والدرجة والوظيفة يكون اساسها نوع العمل ومستوى الصعوبة والمسئوليات التى يتضمنها وفى ذلك انصاف للخبرة الموجودة فى موقع عمل له مسئولياته .

ولكن تبقى دائما ضرورة الانتظار لان تفرغ الدولة من ترتيب وظائفها وتوصيفها .

٣ — وقد تضمن القانون الحالى قضاء عدد من سنوات الخدمة قبل استحقاق الدرجة وهى فيما وجده **محمد صالح معوض** « لا تطبق فى جميع الوزارات لان هناك وزارات بها اماكن خالية وتكون فرص الترقى فيها كبيرة ، بينما يجرى العكس فى وزارات اخرى » .

والتناقض الغريب الذى يراه **شاكر حسن عثمان** وغيره من صغار الموظفين ان القانون جعل «حدا ادنى للبقاء فى الدرجة وهو ثلاث سنوات اما الحد الاقصى فلم يحدده القانون بل جعل لكل مصلحة حرية التصرف . فمثلا يظل الموظف الذى بوزارة العدل عشر سنوات او اكثر على درجة واحدة ولم يترق الى اى درجة ثانية بينما موظف آخر فى وزارة الثقافة يمكث بها ثلاث سنوات فقط ويترقى الى الدرجة التالية وبتوالى الدرجات نجد ان موظف وزارة العدل مجمد فى درجة أو درجتين من العاشرة حتى الثامنة ، اما موظف وزارة الثقافة فيكون قد ترقى الى السادسة مثلا » .

وهذا هو مصدر شكوى **حسين عبد العزيز** من المادة ٢٢ فى قانون العاملين الحالى « والتى لا تلزم بالترقية الفعلية بعد مضى المدة المقررة وهذا بخلاف المادة ٢٠ مكرر من القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥١ والتى كانت تلزم بالترقية بعد مضى المدة المقررة » .

والاكثر اجحافا بحق الموظف الصغير من ذلك كله فى رأيه ايضا « طول مدة الترقية الاولى للموظف بجعلها ١٥ سنة » .

وبهذه القواعد يساوى قانون العاملين الحالى كما يقول **محمد الزملوط** « العاملين الجدد مع القدامى فى الحصول على العلاوة بعد مدة محددة » .

وقد يكون الموظف القديم قد وصل الى نهاية مربوط الدرجة كما حدث فى الواقع الذى يعيشه **السيد الصادق غمرى** « فتقف علاواته لحين خلو درجة جديدة وهذا يؤثر على حالتى المالية ويمرتل من تقدمى فى العمل » .

٤ — وفى الوقت الذى يعانى فيه الموظف الصغير من تاثيرات الانتظار لخلو درجة جديدة يجد الموظف شاكر حسن عثمان ان قانون العاملين « اعطى لبعض العاملين امتيازات كثيرة وهم العاملون على درجات كبيرة ، اى من الدرجة السابعة فما فوق علاوة على انه نزع من العاملين اى امتياز » .

٥ — ومع كل هذه الظروف المحيطة بالترقيات التى ينتظرها صغار الموظفين قبل غيرهم لايجد الموظف احمد ابو خلعه « الحافز المادى وهو منح الموظف الذى يحصل على تقدير ممتاز فى سنتين متتاليتين على علاوة دورية والغى هذا البند ولم يعمل به » .

ومسألة الترقيات والعلاوات بالذات — خاصة بالنسبة لصغار الموظفين — كانت دائما موضع دراسة واهتمام من الجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، وقد تناول خبراؤه اقتراحات الموظفين فى هذا الصدد وانتهى بالفعل الى وجهات نظر مدروسة محلها الوثائق الرسمية المنشورة مع هذه التعليقات .

٦ — على ان هناك غير قضية الدرجات والعلاوات قضية سابقة يصطدم بها بعض الموظفين فمنذ الوهلة الاولى لدخولهم الى موقعهم فى الجهاز الادارى .

هذه القضية — التى تمتد آثارها بطيلة مدة خدمة الموظف بعد ذلك — هى : اختلاف الدرجات التى يعين عليها اصحاب المؤهلات المتماثلة المستوى » الشىء الذى لايجد الموظف **احمد محمد موسى** له منطقا ان « يعين خريجو المدارس الثانوية الزراعية والصناعية على الدرجة الثامنة بينما يعين خريجو التجارة الثانوية والثانوية العامة والحاصلون على شهادات من مراكز تدريب مهنية بعد الثانوية العامة مثل معهد السكرتارية على الدرجة التاسعة فى الوقت الذى تزيد فيه مدة الدراسة بكثير عن خريجى المدارس الزراعية والثانوية الصناعية وحجم مناهج الدراسة بها » .

وقد كان الحل العادل صدور قرار بتعديل الفقرة ١٦ ، ١٧ من القانون ٤٦ ووافقت على التعديل اللجنة التشريعية وكان يقضى بفرض اقدمية اعتبارية ، وكذلك تسوية حالات خريجى مراكز التدريب بعد الثانوية العامة ، ولكن « القرار الجمهورى لم يصدر حتى الان » .

واكثر من هذا التفاوت فى درجات تعيين حملة المؤهلات ذات المستوى المتماثل مارس قانون العاملين فى تجربة **محمد احمد البرماوى** «تفرقة

بين المؤهل المتوسط والعالى حيث جعل الفرق الحالى اكبر مما كان عليه فى ظل القانون ٢١٠».

٧ ــ وهى النقطة السابعه التى تبرز من خلال الشهادات الواقعية للموظفين تثار قضية « ضم مدة الخدمة العسكرية لاقدمية الموظف » .

وكانت اللجنة التشريعية قد درست بالفعل هذه المشكلة ووافقت على ضم مدة الخدمة العسكرية التى قضاها الموظف ولكن ــ كما يقول الموظف **احمد محمد موسى** « لم يتم اى اجراء فى حين ان هذا الموضوع سيجعل كل شاب يقبل على الخدمة بروح عالية ، لانه مطمئن لان هذه المدة ستضم الى مدة خدمته وليست ستضيع بدون نتيجة » .

ومن كل هذه النقاط المثارة يمكن ان يبرز عاملان لهما التاثير الاقوى فى اتجاهات التفكير لدى العاملين فى الجهاز الادارى .

اولهما ــ مؤثر الدخل : وله بالفعل سطوة كبرى على تفكير الموظف بدافع ملح من الاحتياجات اليومية للحياة . وهذا المؤثر هو الذى يحرك « الحديث المفصل والمستمر » عن الترقيات والعلاوات وموعد استحقاقها . وهو الذى يدفع الموظف الى الدخول فى « مقارنات وظيفية » تكاد تكون يومية تتناول اوضاع الموظفين فى المصلحة الواحدة . واوضاعهم المالية فيها بالمقارنة مع مصالح اخرى . وفى زحام هذه المناقشات يتبدد الوقت الذى كان المفروض ان يخصص للاداء الوظيفى السليم الذى يستهدف تحقيق الصالح العام انهاء مطالب الجماهير ، ولكن من الانصاف ان يقال انه امر بالغ الصعوبة ان يطلب من الموظف تخليص فكره واهتماماته من سيطرة « مؤثر الدخل » الذى تحركه اوضاع غريبة فى العلاوات والترقيات لاتزال تحتاج الى دراسة اوعى واكثر انصافا للقاعدة العريضة من صغار الموظفين .

والثانى ــ مؤثر المستقبل : وتوجد بالقطع علاقة انتساب وثيقة بين المؤثرين اساسها عدم اطمئنان الموظف الى سلامة وضعه المالى والوظيفى فى الحاضر وفى المستقبل فى ظل وجود بعض الظروف التى لا يرى فيها حصن الامان الذى يرتجيه . ولا شك ان التفكير فى المستقبل الوظيفى الذى ينعكس على مستقبل الاسرة والاولاد تكون له آثار خطيرة للغاية لو مر من خلال « نظرة متشائمة » .

وهذه « النظرة المتشائمة » تفرض بالفعل وجودها امام رؤى الغالبية من صغار الموظفين بتأثير وجودهم فى « درجات » تكاد ان تكون مجمدة او بطيئة الحركة على الاقل .

وعندما يفقد احد الامل فى مستقبل افضل فان المنطق يقضى بان ينصرف تماما عن الاهتمام بالحاضر وما يتطلبه من مسئوليات . والثمن يدفعه بالطبع جمهور المتعاملين مع الجهاز الادارى .

وبدافع من هذين المؤثرين بالذات تأتى ايضا اقتراحات الموظفين لعلاج الاوضاع التى لايرضون عن وجودها فى قانون العاملين ..

اقتراحاتهم ــ وهذا ابرز ما يميزها ــ تركز على النواحى المالية بالذات والمتعلقة بالدخل والمستقبل :

ــ **محمد تمراز عبد الهادى** « لابد ان يكون هناك مجال لاعادة دراسة الدرجات الصغيرة وخفض عدد الدرجات الى ٤ درجات او ستة على الاكثر حتى لا تجمد مرتبات صغار الموظفين .

ــ **شاكر حسن عثمان** « يكون الاجر على قدر العمل او الانتاج وذلك حتى يكون لكل موظف حافز على الانتاج ولاسيما ان يكون ذلك الموظف له عائلة ومتزوج وله اولاد ويعانى من اعباء المعيشة الشيء الكثير » .

وواضح من هذا الكلام ان الموظف الصغير لا يركز فقط على المطالبة « بتحسين احواله المالية » ولكنه يرى ــ تفهما لقضية الانتاج واحتياجات التحول الاشتراكى ــ ان يحدد اجره على قدر ما يقدمه من انتاج . وهذه ظاهرة صحية تؤكد ان مبدأ «المطالبة» يرتبط عند الايدى المنتجة فى قاعدة الجهاز الادارى بمبدأ « العطاء » .

ــ **عبد اللطيف خليفة** « ترفع العلاوة الدورية للموظف وخاصة الدرجات الصغرى فمثلا بدلا من ٧٥٠ مليما يكون جنيها ، وبدلا من جنيه يكون جنيها ونصف الجنيه » .

ومن الضرورى ــ فى العديد من الاراء ــ ان تترجم العلاوة مفهوم الحافز المادى فيعود الوضع السابق الذى كان يمنح الموظف الذى يحصل على تقدير ممتاز خلال عامين متتاليين علاوة استثنائية وهو الوضع الذى كان معمولا به فى القانون ٢١٠ لسنة ١٩٥١ .

والاهم من ذلك كله فى رأى **حسين عبد العزيز حسن** ــ ويشاركه كثيرون غيره فى الرأى ــ

« ان يتضمن القانون الالتزام بالترقية بعد مضى المدة المقررة وتبسيط مدة الترقية الاولى » .

وواضح من هذه الاقتراحات ملاحظتان :

الاولى : انها اقتراحات محددة وموضوعية ولا يظهر فيها طابع المغالاة الذى يحكم اغلب اتجاهات « المطالبة » .

الثانية : انها تنبع من رغبة لتحسين الدخل وتأمين المستقبل حتى ينصرف الموظف بفكره كله الى اداء عمله .

وتتضمن الوثائق المنشورة مع هذه الدراسة اجابات محددة من خبراء التنظيم والادارة .

مسالك الموظف لتفريج الازمة

وقد كانت محصلة « الاوضاع المالية غير الملائمة » من جهة نظر الغالبية العظمى من صغار الموظفين ان اوجدتهم فى « متاعب اقتصادية » .

وتظهر معاناتهم من هذه المتاعب — بصورة أوضح واكثر الحاحا — عندما يواجهون بمطالب اسرية تفرضها مقتضيات الحياة اليومية لهم .

صحيح انهم يشتركون مع مجموع الشعب فى المعاناة من بعض « المشكلات الكبرى » مثل مشكلة الاسكان ومشكلة المواصلات واختناقات الرعاية الصحية ، لكن طبقة صغار الموظفين بالذات يجدون انفسهم حيالها اكثر تعرضا لاضرارها وذلك بتأثير الدخل المحدود والايدى التى لا تطول كل ما تحتاجه من نجدات مالية عاجلة .

ومن استقراء الشهادات الواقعية للموظفين يبرز تركيزهم على الوان معينة من الاحتياجات الاسرية هى بعينها التى تفتح طاقة دائما تطل منها برأسها ضائقة مالية تكاد تكون ملازمة لحياة الموظف الصغير . فيعيش **شاكر عثمان** مشكلة السكن « حيث انى اعيش مع والدى ووالدتى واربعة اخوات وزوجتى فى شقة ثلاث غرف فقط بالدور الارضى لاتسمح بدخول الشمس او التهوية الجيدة هذا علاوة على ان مواردى المالية ضئيلة وهى اقل من عشرة جنيهات شهريا كما ان مورد والدى المالى هو عشرة جنيهات شهريا حيث انه مقرىء بوزارة الاوقاف فهذا المورد المالى الضئيل فى مجموعه لا يسمح بعيشة كريمة ولا بسكن افضل » ، وتتجه **حالة عبد اللطيف خليفة** الى نواحى العلاج « خاصة ان المستشفيات الاميرية فى بعض الاحيان لا توجد بها بعض الادوية اللازمة للمريض » ويعانى **صلاح عبد الرحمن** من « نفقات التعليم والدروس الخصوصية التى اصبحت فى جميع مراحل التعليم من ضمير مدرسى التربية والتعليم » وتشكل احتياجات المعيشة اليومية مشكلة يعيشها **عراقى جاويش** يوميا « مصاريف البيت والاولاد وضعف مرتبى الذى يجعلنى مرتبكا ماديا بصفة مستمرة » .

وعندما يفكر الموظفون فى مسلك لتفريج هذه الضائقة المالية المتكررة والملحة فانهم يتجهون على الفور الى مسلك من اثنين ،

● **المسلك الاول : محاولة الحصول على مورد مالى عاجل** » فيلجأ اغلبهم الى محاولة ايجاد فرص جانبية لتأدية بعض الاعمال الخارجية ذات الدخل المحدود ، ويلجأ **محمود نصر** الى « محاولة الاستدانة بشتى الطرق » ويحاول عبد المنعم حجازى تفريج ازمته عن طريق « عمل جمعيات مع الجيران والاقارب » .

● **المسلك الثانى : « الافادة من السلفة المالية التى تقدمها الدولة للعاملين »** ورغم انها تسهم بالفعل فى « **تفريج وقتى** » ورغم انها فى رأى الموظفين توجد مقابل ذلك « **ارتباكا دائما** » لميزانياتهم . وهو ما يؤكده **عطيه جاويش** « لم استفد اى شىء مما تقدمه الدولة من معاونة فى تفريج الازمات لاننى ارى انها تزيد ارتباكى المالى مثل سلفة الشهرين مقسطة على سنتين . وبالفعل كان نتيجة لجوء **صلاح عبد الرحمن** لهذه السلفة ان « اصبحت مرتبكا اكثر من الاول » .

وقد كان يمكن ان يكون لهذه السلفة — فى رأى **الصادق غمرى** — فاعلية اكثر عمقا فى تفريج ازمة الموظف لو امكن « اتاحة الفرصة لاقراض الموظف ما يوازى مرتب ٣ شهور على ان تكون بدون فائدة وعلى مدة لا تزيد عن عام واحد » .

على ان هذا الرأى يتعارض تماما مع اتجاه غالبية الموظفين الذين يجدون فى سلفة الدولة « تفريجا مؤقتا للازمة » وليس « حلا جذريا للقضاء عليها »

وفرق بين « التفريج المؤقت » و « الحل الدائم » .

ويبقى دائما ضرورة البحث عن « صيغة بديلة » لاسهام الدولة فى تفريج الضائقة المالية التى تعترض حياة صغار الموظفين اكثر من غيرهم . ومن بين ما يقدمه فكر الموظفين من

صيغ جديدة يرى **محمد صالح معوض** « تقديم مساعدة من الدولة من المبالغ المدخرة فيصرف لنا جزء منها كل عام وبذلك نتحاشى السلفيات والفوائد » .

وهذا الاقتراح لا يمكن رفضه او قبوله الان ولكن — مبدئيا — يمكن اعتباره « مشروع صيغة جديدة لمعاونة الدولة ماليا لصغار الموظفين » يقبل الدراسة لانه يعتمد على الافادة من « رصيد » يتكون وينمو من مدخرات الموظفين .

مواقع الخدمات وما تزخر به من صور سلبية

والذى لا يتطرق اليه جدل ولا نقاش هو ان الاجدى من البحث عن صيغ مفيدة للمعونات المالية المؤقتة ان يتجه الحل الجذرى لازمة الموظف الصغير الى اتجاهين :

الاتجاه الاول : ان توضع كل صور تعامل الدولة مع الموظفين موضع دراسة شاملة من جديد تأخذ فى اعتبارها ايجاد اسس واصول بديلة تصنع وجودا افضل للموظف الصغير حاضرة ومستقبله .

الاتجاه الثانى : ان توفر الدولة من حول الموظف خدمات اوفى واكمل تغنيه عن الاضطرار الى شراء خدمات خاصة من جهات غير المرافق العامة التى توكل الدولة اليها مهمة الخدمة العامة .

ويبدو من استقراء الشهادات الواقعية للموظفين انهم يعتبون على الدولة الاتجاه بخدمات عديدة الى التركيز على فئات معينة ، ويقصدون العمال والفلاحين وان خدمات طبقة الموظفين تجىء فى المرتبة الثانية .

وقضية الخدمات العامة فى ظل النظام الاشتراكى لا تعترف بالطبة بالتركيز على فئات معينة ولا يمكن ان تسمح بممارسة الامتيازات لطبقات بعينها . ولم يظهر هذا بالفعل فى التطبيق الاشتراكى فى مصر ، ولكن المسألة كلها هى ان « ظاهرة الاهتمام » بالخدمات المقدمة لطبقات العمال والفلاحين والتى تتحمل الدولة فى سبيل ادائها اعباء مالية ضخمة كانت فقط محاولة لتعويض الحرمان الطويل الذى عاشه العامل او الفلاح فى امنية للحصول على « مسكن صحى » او « وحدة للعلاج » ترد العافية التى هدتها افتقادهم فى الماضى لمراكز العلاج التعاونية .

والموظفون لا ينكرون تماما على الدولة خدماتها لهم فهم ضمن جموع الشعب يفيدون بطبيعة الحال من مراكز الخدمات العامة ولكن تعبيراتهم تحمل معنى النقص فى هذه الخدمات.

فالخدمات التى تقدمها الدولة **لصادق غمرى** واسرته « ليست اكثر من العلاج بالمجان » ويلمس **محمد عبد الله عوده** من خدمات الدولة « تيسير سبل الاسكان وتخفيض اسعار المواد الاستهلاكية وغيرها من السلع فى مختلف المجالات » . ومن ابرز الخدمات العامة عند **عبد المنعم حجازى** «صور المستشفيات مثلا وهى مزدحمة تماما والعمل بها سىء» ، ويرى **عبد اللطيف اسماعيل** ان اهم الخدمات التى افادت الموظف « التعليم المجانى فى جميع المراحل وهذا القطاع يوفر للاسرة النواحى المادية التى تكبدها مصاريف طائلة » .

ولكن المشكلة الكبرى فى اتصال الموظفين بمراكز الخدمات العامة هى فى تجربة **عطية جاويش** « تقصير من جانب مراكز الخدمات واهمال من جانب المسئولين عن التنفيذ فى منشآت هذه الخدمات » .

كيف يمكن اذن تصور وجود جديد للخدمات العامة التى يرجوها الموظف العام فى ظل القطاع الاشتراكى ؟

التركيز فى كل ما ذهب اليه الموظفون من اقتراحات التعديل يتناول ٣ خدمات بالذات :

● **خدمات الرعاية الصحية** : فيطالب **عبد العظيم المغربل** « الاهتمام بالناحية الصحية فى جميع المصالح والوزارات » وتحقيقا لذلك يرى **محمد معوض** « ان تتوسع الدولة فى وجود بعض المستشفيات او العيادات الخارجية بأجور تناسب دخل الموظف الحكومى الصغير » ولا يكفى عند **محمد عبد الهادى** مجانية المستشفيات لانه يرى ضرورة مجانية العلاج اساسا ، اذ ان « مجانية المستشفيات غير كافية وعلاجها غير مستوفى » والاهم من ذلك كله فى اغلب الاراء ما عبر عنها **محمد احمد حسن البرماوى** وهو يطالب بضرورة « تعميم التأمين الصحى » .

ولقد كان لتنفيذ تجربة التأمين الصحى فى الاسكندرية — رغم ما كشف عنه التطبيق من صور سلبية — نتائج مفيدة للغاية تجعل «امكانيات النجاح » متوافرة لتوسيع قاعدة التأمين الصحى بشرط دراسة كل العوامل السلبية التى ظهرت فى التطبيق والتى وضح ان علاجها غير مستعص.

ولا شك ان خدمات الرعاية الصحية التى تمارسها بعض وزارات الدولة وبعض مصالحها لصالح موظفيها — سواء عن طريق حجز عدد من الاسرة لعلاجهم فى بعض المستشفيات او عن طريق الاسهام فى نفقات علاجهم فى مؤسسات العلاج المختلفة — لا يمكن ان تقوم بديلا للتامين الصحى الشامل الذى يحتمى الموظف واسرته فى ظله من كل المتطلبات المالية للعلاج والتى تخرج عن طاقته ومقدوره فى اغلب الاحيان .

● **خدمات الاسكان :** فيطلب موظف السكة الحديد **حسين عبد العزيز حسن** « اقامة مساكن خاصة بالعاملين بالسكة الحديد عن طريق استغلال الاماكن الخالية ضمن منشآتها وتأجيرها لهم بأجور رمزية » .

ويرى عوضين عبد الحميد « ضرورة ان تعاون الدولة فى تخفيض الايجار بحيث يتناسب مع الدخل فى حدود ٣٠٪ كحد اقصى » .

وقد تكون القضية الجديرة بالدراسة فعلا هى قضية التوسع فى التسهيلات والقروض التى تمنحها الدولة للهيئات والمصالح المختلفة لتكوين جمعيات تعاونية تبنى وحدات الاسكان الاقتصادى لموظفيها من اصحاب الدخل المحدود .

والنقاط المطروحة للمناقشة فى هذه القضية هى امكانيات الوصول الى تخفيض القسط الشهرى لتملك المسكن التعاونى واطالة سنوات السداد .

ولكن هذا لا يصرفنا عن تسجيل الجهد المبذول للدولة الان فى بناء الالاف من الوحدات السكنية الاقتصادية التى تتاح فيها السكنى لاصحاب الدخل المحدود .

● **خدمات التعليم :** التركيز الاكبر فيها فى رأى **تمراز عبد الهادى** يجب ان يكون على ايجاد « مراقبة شديدة على المدارس الابتدائية والاهتمام بها » ويقترح **الصادق غمرى** « ان يسمح للموظف بتعليم اثنان من اولاده بالمجان فى حالة عدم حصولهم على مجاميع تؤهلهم للالتحاق بالمدارس الحكومية » .

والحق ان قضية « التعليم الابتدائى » بالذات يطرحها مع الموظفين غيرهم من جموع الشعب الذين يرون فيها « بيت الداء » كله بالنسبة لمستقبل الصغار .

المؤثرات التى تحكم رؤى المستقبل

ان كل ما جرى — حتى الان — من استقراء للشهادات الواقعية للموظفين كان يركز على المواقع الذى يعيشه الموظف المصرى الصغير .

ولكن : ما الذى يحكم رؤيته لمستقبله الوظيفى ومستقبل اولاده ؟

من خلال تتبع اجاباتهم فى الشهادات الواقعية يمكن ان تبرز فى رؤية كل موظف لمستقبله ومستقبل اسرته واولاده جانبان متلازمان : جانب يطمئنه وجانب يخيفه .

● **وفى مقدمة ما يطمئن الموظف الصغير على مستقبله ان يجد فى الاتجاه العلمى السائر فى النمو الان والذى يعنى بعقد الدورات التدريبية طريق منطقى وحتمى للتطور .** وحينما يحضر الموظف **عبد العظيم المغربل** اية دورة تدريبية « فسوف اكون احسن حالا بالنسبة لعملى وكل ما ارجوه ان اتمكن من تأدية واجبى الوظيفى على الوجه الاكمل حيث اتقدم دائما واستطيع مواصلة تعليم اولادى بشتى الطرق حتى يكون الجيل القادم جيلا يتحمل كافة اعباء هذه الامة ويؤدى دوره كاملا حيال الوطن الكبير » .

ولقد كان تدريب العاملين قبل ذلك ليس له وجود واضح ومحدد وكان تطور الموظف وتنمية قدراته مرتبطان بمجهوده الشخصى وطموحه وتطلعاته الى مستقبل وظيفى افضل ولم تكد الاجهزة الادارية تعنى بزيادة كفاية افرادها مما يؤهلهم لاسناد مسئوليات اكبر اليهم .

وعندما نص قانون العاملين فى المادة ٢٤ على ان « تتولى الوزارات والمصالح والهيئات العامة تحديد احتياجات تدريب العاملين بها وتوفير وسائله وتتبع نتائجه وفقا للبرامج التى تضعها كل منها فى مجال خطط اعداد العاملين لديها » فقد اصبح للتدريب اصلا تشريعيا تلتزمه جميع الاجهزة الادارية .

ولكن السؤال الذى مايزال مطروحا : ما مدى جدوى برامج التدريب الموجودة الان وما مدى الجهود المبذولة لتطويرها حتى تلحق بمستويات برامج تدريب العاملين فى دول اخرى تعيش ظروف التنمية ومتطلباتها من استغلال اقصى قدرة انتاجية للموظف من جهة ورفع كفايته من جهة اخرى ، مما يفتح له باب التطور .

● وفى « **الحفاظ على الاداء السليم للعمل** » صورة اخرى صحية تطمئن الموظف عوضين عبد

الحميد وكثيرون غيره على مستقبلهم « حتى ارقى لاعظم الدرجات واكون قدوة حسنة لبقية الزملاء»

وليس يكفى بالطبع ان تحدد الفقرة الثانية من المادة [٥٣] من قانون العاملين اسلوب الاداء السليم للعمل » ان يؤدى العمل المنوط به بنفسه بدقة وامانة وان يخصص وقت العمل الرسمى لاداء واجبات وظيفته » .

يبقى دائما امكانية ترجمة النص التشريعى الى واقع حى فى الجهاز الادارى .

ولا شــك ان احســاس الموظف بأن الاداء السليم للعمل مســلك الى الرقى والتقــدم هو احساس يكشف عن تفهم واع من الموظف لقيمة الإنتاج فى مجتمع يعيش التحول الاشتراكى .

● ولكن ـــ فى الوقت الذى تسوق فيه بعض الاراء هؤين العاملين الايجابيين كمصدرين لجلب الاطمئنان على المستقبل ـــ يرى آخرون ما يجلب الاطمئنان فى عاملين آخرين سلبيين .

فيطمئن **حسين عبد العزيز حسن** على مستقبله « ارتفاع الإصوات المطالبة بتعديل قانون ٤٦لسنة ٦٤ » .

ويطمئن **موسى ابو خلعه** « انه فى يوم ما سيأخذ كل ذى حق حقه » .

وفى جانب ما يخيف الموظف على مستقبله تبرز فى استقراء الشهادات الواقعية ٣ اتجــاهات للتخوف .

١ ـــ اتجاه للتخوف يركز اساسا على الاوضاع المالية للموظف . وتبرز فى مقدمة مشكلة « عدم ضم مدد الخدمة فى اعمال سابقة » ويعيش **محمد تمراز عبد الهادى** هذا الاحساس لان «لى مشكلة فى حاجة ملحة الى حل وهى اننى لى مــدة خدمة بالدوائر الزراعية لم تضم لخدمة الوزارة على الرغم من استيلاء الوزارة على وعلى الدائرة التى كنت بها وكان نتيجة لقوانين الثورة وليس باختيارى ، وقد صدر القانون ٣٥ لسنة ١٩٣٧ فوضعنى على الدرجة العاشرة وانا فى الثامنة والاربعين من عمرى نتيجة لعدم ضم مدة خدمة الدائرة ، ورغم انى احمل مؤهل الابتدائية كما ان قوانين المعاشات بها قصور اذ لم تضم لى مدة خدمة الادارة السابقة وارى مستقبل اولادى امام وضعى الحالى بصفة خاصة مظلم جدا » .

ومن صور التخوف من عدم ضم مدد الخدمة مايتعلق بالفترات التى يقضيها الموظف فى الخدمة العسكرية مما سبب للموظف **صلاح الدين عبد الرحمن** « عدم حصولى على ترقية منذ تعينى حيث خدمت باليمن سنة كاملة ولم تحسب ضمن سنوات الخدمة المضاعفة حسب القانون » .

وفى نفس اتجاه التخوف من بعض الاوضاع المالية يبرز مبرر آخر للتخوف يكمن فى « التفرقة التى يمارسها قانون العاملين فى معاملة حملة المؤهلات المتماثلة » وهو ما سبق ان شرحــه الموظف **احمد محمد موسى** « يعامل حامل الصناعة والزراعة غير زميله حامل التجارة رغم ان مدة الدراسة بعد الاعدادية فى الجميع ثلاث سنوات » وارتهان المستقبل بالترقيات التى تكاد ان تكون مجمدة هو ما يخيف **عبد المنعم حجازى** الذى يرى فى ذلك « ظلم كبير بالنسبة لما اؤديه من عمل » . وهذه الترقيات ذاتها مصدر تخوف **عبد العزيز حسن** على مستقبله لانه يخشى ان تتبع الاجهزة الادارية » ما اتبع فى السابق من تقدير للمؤهل العالى فقط دون اى اعتبارات اخرى ». ، وفى ضوء كل هذه الاعتبارات فان الاوضاع المالية **لعراقى عطية جاويش** لو بقيت على ماهى عليه الان دون تحسن « فأنا لا ارى مستقبلا لاولادى طالما ظل وضعى هكذا » .

٢ ـــ والاتجاه الثانى للتخوف على المستقبل يركز على « الاوضاع الوظيفية ومواقف الرؤساء والمرءوسين » ويشكل الموقف المتزمت والمتعالى لبعض رؤساء الاجهزة الادارية ـــ والتى يمارسون منه الوانا من الضغط الادارى مصــدرا هائلا للتخوف يعبر عنه **شاكر حسن عثمان** « يخيفنى سوء فهم الرؤســاء لنا مما يجعلهــم يعاملونا بطريقــة غير سليمة مع عــدم الاخذ بآرائنا التى تهدف للاصلاح وهذا مما يجعلنا نخطىء بسبب التعليمات القديمة والروتين العتيق » .

وعندما يتكلم الموظفون عن رؤسائهم فانهــم لايبرئون انفسهم ولا زملاءهم من المرءوسين من الاصابة ببعض الامراض التى تصــيب الجهــاز الادارى والعاملين فيه . يرى كثيرون ان هناك اخطاء عديدة يقع فيها الموظفون بالفعل خــلال الممارسة اليومية لادائهم الوظيفــة . ويعرفون ويقدرون مدى تاثير هذه الاخطاء الفردية على جموع غيرهم من الموظفين ، فيرى الموظف **محمد الزملوط** فى « اخطاء الزمــلاء التى تؤثــر على الباقين » مصدر تخوف دائم ومستمر له لان الخطأ الواحد الفردى ـــ خاصة عندما يبرز خلال اداء المصالح العامة للجماهير ـــ قد يشوه الصورة العامة لاداء الخدمات التى يمارســها الموظفون العموميون والصغار منهم بالذات .

٣ ـــ ويفرق الاتجاه الثالث للتخوف فى الرؤى

المعتمة للمستقبل فتبرز من خلاله .. موجة تشاؤم لابد ان يكون لها تأثير خطر على الاداء الوظيفى » وتعبيرات بعض الموظفين تؤكد وجود موجة التشاؤم هذه ، فيرى **عبد اللطيف خليفة** ان « الموظف المصرى وخاصة الموظف الذى يعمل بمؤهل متوسط لا يفكر فى شىء حيث انه سيبقى صغيرا طوال حياته » . وسيطرة هذه النظرة المتشائمة للمستقبل هى التى جعلت **محمد صالح معوض** « لا افكر فى مستقبلى الوظيفى كموظف صغير لانى لن اصل الى درجة تؤهلنى للعيش الكريم بعد خروجى للمعاش وانا غير مطمئن بالنسبة لهذا المستقبل » .

تصوير ايجابى للحلول الممكنة

ولكن الاغراق فى الرؤى المعتمة للمستقبل لم يمنع الذين يقعون تحت سيطرة هذه النظرة من الاسهام فى تقديم اقتراحات حلول ...

هذه الاقتراحات تعنى عندهم مفاتيح لابواب المستقبل الموصدة ، ومسالك يمكن ان تنتج آفاقا ارحب امام مستقبل الموظف ومستقبل اسرته واولاده من خلال وجوده .

● **فى مقدمة الاقتراحات التى تجمعت حولها آراء عديدة ما اقترحه احمد موسى ابو خلعه « ان يتم تقييم المؤهلات التى لم يتم تقييمها حتى الان » .**

وبعد ذلك توالى الدولة كما يطالب **محمد عبد الله زملوط** « رقابتها وتوجيهها لجميع العاملين » .

وعندما تبرز من خلال تقارير الرقابة امتيازات بعض الموظفين فان **محمد أحمد حسن** يأمل فى « تقدير الموظف الذى يعمل على غيره الذى لايعمل بحوافز ومكافآت الامر الذى يجعل كل موظف يتفانى فى عمله ويطمئن على مستقبله » .

● **وفى اتجاه آخر لتحديد المسالك لمستقبل ارحب يعلق الموظفون آمالا كبارا على امكانيات تطوير الطاقة والقدرات الوظيفية والوصول الى اعلى مستويات الاداء التى تحقق معدلاتها المثالية من خلال الدورات التدريبية** ، فيقترح **شاكر عثمان** « عقد دورات تدريبية لجميع موظفى النيابات . تدريس جميع التعليمات والقوانين واللوائح الجديدة التى ظهرت فى التحول الاشتراكى » ويطالب ايضا « عقد ندوات دورية للتوعية السياسية والاعلامية حتى يعلم كل موظف مايدور حوله من احداث » .

● **واذا كانت « الدورات التدريبية » مسلكا علميا لفتح آفاق ارحب امام الموظف المصرى الصغير فانه يرى ـ تلازما معها فى نفس الاتجاه وعلى طريق ذات الهدف ـ ان تتاح فرص جديدة امام الموظف للحصول على مؤهلات علمية اعلى »** .

فيقترح الموظف **عبد اللطيف خليفة** « فتح المجال امام موظف الدولة لنيل قسط اوفى فى التعليم عن طريق الانتساب بالمؤهل الحاصل عليه بعدم النظر لسنة الحصول على المؤهل حتى يفتح المجال امام هذا الجهاز الذى يحمل جميع اعباء العمل فى مصالح الدولة على اختلاف انواعها » ويرى **صلاح عبد الرحمن** وسيلة اخرى تخدم نفس الهدف « اتاحة الفرصة للموظف بدراسات محلية منظمة عن طريق الوزارة المختصة يحصل بموجبها على عمل اكبر وافضل » .

● **وحتى يمكن تصور مستقبل اكثر استقرارا من الناحية المالية ـ بالذات ـ بعد الاحالة الى المعاش فان هناك مطالبة تكاد تكون عامة بأن توفر الدولة كما اقترح محمد صالح معوض « عملا اضافيا يؤديه فى فترة فراغه على ان يخصم نصف مرتب هذا العمل ويصرف له بعد احالته الى المعاش »**

ولقد تكلمت المادة [٥٤] من قانون العاملين عن العمل الاضافى فقررت « لايجوز للعامل ان يجمع بين وظيفة وبين اى عمل آخر يؤديه بالذات او بالواسطة ، اذا كان من شأن ذلك الاضرار باداء واجبات الوظيفة او كان غير متفق مع مقتضياتها ؛ كما لا يجوز للعامل ان يؤدى اعمالا للغير بمرتب او بمكافأة ولو فى غير اوقات العمل الرسمية الا باذن من الوزير المختص او من يمارس سلطاته »

وقد كان الهدف من اصدار المشرع لهذه المادة هو توفير القدرة الذاتية للموظف كاملة لاداء العمل المكلف به من ناحية ، ومن ناحية اخرى توفير فرص العمالة امام العدد الاكبر من العاملين عن طريق عدم الاعتراف بشرعية « ازدواج العمالة » بالنسبة لشخص واحد .

ولكن الواقع ـ بدافع من الضائقة الاقتصادية التى يعيشها صغار الموظفين ـ جعلهم يحاولون بشتى الطرق الحصول على دخل جديد من العمل الاضافى فى مواقع عديدة بعيدة عن وحدات الجهاز الادارى وفى محاولة مضنية للاختفاء عن العقوبات التى فرضها النص التشريعى .

وعندما يتكلم الموظفون عن احتياجاتهم الملحة لعمل اضافى فانهم يريدون ان ينتقل عملهم الاخر الى النور ويكون فى رحاب نص تشريعى

اكثر مرونة يتبنى قضية الدخل المحدود لصغار الموظفين .

وقد يقال ان قانون العاملين الاخير عندما صدر كان حكما عادلا فى قضية الموظفين .

ولكن هناك « استئناف » مرفوع من موظفى الدولة — وخاصة الموجودون منهم بالذات فى قاعدة الجهاز الادارى — ضد بعض ما حواه قانون العاملين من مواد واصول ..

ومادام هناك « استئناف » مرفوع فان الحكم النهائى لا يكون قد صدر بعد

ويكون ملف قضية « الموظف المصرى » مايزال مفتوحــا .

بين الخـــاص والعـــــام
.. المـــوظف والمـــواطن

د . محمد الخفيف

الشهادات التى تنشرها الطليعة فى هــذا العــدد بلسان بعض موظــفى الجهاز الادارى الذين يشغلون فئـاته القاعـدية (العــاشرة والتاسعة والثامنة) تعكس ظاهرة مشتركة فيما بينهم ، هى أن أوضاعهم الوظيفية تسيطر بقــوة على تفكيرهم وتحصره داخل حدود مشاكلها حتى وهم يتحدثون عن الاوضاع العامة للمجتمــع ، بحيث يحس القارىء لهــذه الشهادات ابتعــاد أصحابها عن القضايا العامة وعدم تجاوبهم معها وكأنما لاتخصهم فى شىء ، فاحساسهم بها لايتعدى بضع انطباعات عامة وغير محددة خرجوا بها من خلال اتصالهم العابر بوسائل الاعلام .

وقد يتوقع المرء نتيجة لهذه الظاهرة أن يكونوا أكثر معرفة بمشاكلهم الخاصة وأكثر قدرة على شرحها واقتراح الحلول لها ، ولكن الامر الملفت للنظر هو أنهم وان كانوا بطبيعة الحال أكثر احساسا بمشاكلهم الخاصة الا أنهم عاجزون فى نفس الوقت عن تحديد التفاصيل واقتراح الحلول . هم يحسون المشكلة بقوة ولكنهم لايعلمون من اين أتت وكيف تكونت وبالتالى يعجزون عن اقتراح الحلول لها .. الكل مثلا غير راض عن قانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ ولكنهم رغم مرور أكثر من ٤ سنوات على تطبيقه ورغم أن مامن واحد منهم الا وقضى فى فئته نفس مده المدة على الاقل ، ورغم أن حاضرهم الوظيفى ومستقبلهم مرتبط بهذا القانون ، الا أنهم عاجزون عن تحديد نقاط الضعف فيه من وجهة نظرهم تحديدا مباشرا . ما الحسن فيه وما السيء ؟ .. فى أى شىء يفضل القوانين السابقة عليه وفى اى شىء يتخلف عنها ؟ لا أحد يدرى على وجه الدقة ، وبالتالى لا أحد يدرى ماذا يريد بالضبط .

هذا الامر وان بدا غريبا الا أنه فى اعتقادى امتداد منطقى للابتعــاد عن القضايا العامــة للمجتمع ، وبرهان عمــلى على ان من يفقــد الاهتمــام « بالعام » يضــل طــريقه فــى سراديــب « الخــاص » وعلــى أن النصيحــة العتيقة « خليك فى شغلك » لن تنتهى بك الا الى ضياع شغلك ..

بعض الامثلة

ولعل من المفيد ذكر بعض الامثلة ، **فوزى تادرس خليل** « لم أسمع عن هذا القانون » أما عن التحول الاشتراكى فهو « لايشعر بخدمة قـدمتها لــه القرارات الاشتراكية ولا يعرف ماهى الصورة الجيدة لتطبيقها » **ومحمد الدســوقى محمــد** يرى « القانون غير مناسب ويجب الغاؤه » ولم تقدم له الاشتراكية خدمة معينة . اما **محمد تمراز عبد الهادى** فيقول « أنا كموظف لم أستفد من التحول الاشتراكى وأرى تعديل قوانين التوظف بما يتفق مع الاشتراكية » وفى نفس الوقت يرى « أن التطبيق الاشتراكى سائر فى طريقه طبقا للميثاق » ، أما **محمد احمد حسن الرمادى** فيقــول : التحــول الاشتراكى أفادنا جميعا افادة تامة ولكن **أنــا كموظف لم** أستفد من ذلك » وكذلك **عبد المنعم حجازى** « لم أستفد مباشرة من التحول الاشتراكى كموظف » نفس الامر عنــد **محمــود نصر محمد** « للان لم أشــعر بفائدة مبــاشرة — بصفتى موظف — من التحول الاشتراكى » و « قانون ٤٦ قانون ظالم جدا ويجب الغاؤه » . أما فائدة **صلاح الدين محمد عبد الرحمن من التحول الاشتراكى** فهى « حصول زوجته على قطعة أرض من الاصلاح الزراعى » !

وهؤلاء ينصون صراحة على أنهم لم يستفيدوا شيئا من التحول الاشتراكى لان مقياس الاستفادة من وجهة نظرهم هو مدى ماينالونه كموظفين وليس

كمواطنين . واحد فقط ، **محمد عبد الله عودة** ، تذكر مجانية التعليم ، واتساع فرصه ، ومجانية العلاج ، وتحديد أسعار السلع التموينية .واثنان آخران ذكرا للتحول الاشتراكي فضل اذابة الفوارق بين الطبقات والديموقراطية الحقة ،**شاكر حسن عثمان واحمد محمد موسى** غير انهما في نفس الوقت يشكوان من سوء معاملة الرؤساء للمرؤوسين وعدم اخذ الموظف القديم بيد الموظف الجديد . والواقع ان الغالبية تشكو من هذا الوضع وتطالب بأن يكون هناك اتصال دائم بين الرؤساء ومرؤوسيهم وأن يفهم المسؤولون معنى الاشتراكية وأن يوضع نظام عادل للمرتبات ،ذلك انهم — وهم فى ذلك على حق — يفهمون الديموقراطية والمساواة من واقع ظروفهم الوظيفية .

مطالب الاسرة

واول مايلفت النظر فيما يختص « بمطالب الاسره التى تعرض لازمات مالية » هو ان هناك اجماعا على أن نفقات العلاج هى مصدر التهديد الاول لمواردهم المالية والكل يطالب الدولة بالتوسع فى الخدمات الصحية .ولكن لماذا اقول ان هذا امر ملفت للنظر ؟ لعدة اسباب : الاول هو ان الدولة منذ بدء الخطة الخمسية الاولى على اقل تقدير قد توسعت فعلا فى الخدمات الصحية توسعا لم يحدث من قبل مثله او قريب منه سواء فى مجال الوقاية ومجال العلاج ، والثانى انخفاض تكلفة هذه الخدمات بالنسبة الى المستهلك انخفاضا ملحوظا وزيادة عدد أسرة العلاج بالمجان وذلك بالاضافة الى التوسع الكبير فى انتاج الدواء وانخفاض أسعاره بنسبة كبيرة ، صحيح أن القاهرة تستأثر بثلث عدد الاطباء و٢٧ فى المائة من الاسرة و٢٦ فى المائة من الصيدليات غير أن الشكوى مشتركة بين موظفى القاهرة وموظفى الاقاليم فماذا تعنى هذه الشكوى التى لا نسمعها ، بمثل هذه الدرجة على الاقل ، بين العاملين فى القطاع العام ؟ تعنى أولا أن التوسع فى الخدمات الصحية على ضخامته لايتناسب مع الزيادة الضخمة فى عدد السكان ،وتعنى ثانيا أن التكلفة ، بالرغم من انخفاضها ، لاتزال فوق القدرة المالية لعدد غير قليل من المواطنين وخاصة من كان يعول منهم أسرة كثيرة العدد ، وتعنى ثالثا المعروف عن العلاج بالمجان فى المستشفيات العامة ،واغلب الظن أن السبب هو سوء الخدمة بها « مجانية المستشفيات غير كافية وعلاجها غير مستوف — **محمد تمراز عبد الهادى** » — مستوف — **محمد تمراز عبد الهادى** » — « المستشفيات مزدحمة تماما والعمل بها شىء — **عبد المنعم حجازى** ! — « الرقابة على المستشفيات حيث لااستطيع اى علاج من عدم ضمير القائمين عليها — **صلاح الدين محمد عبد الرحمن** » .

الثقافة العامة

من غير المعقول بطبيعة الحال أن ننتظر من موظف هذا شأنه أن يهتم بتزويد نفسه بالثقافة العامة وأن ينفق جزءا من دخله عليها . كلهم من واقع شهاداتهم يحصلون على ثقافتهم العامة من الصحف والاذاعة . «لم ادخل سينما منذ عام ١٩٥٢ » **أبو بكر حلمى** ، والبعض يضيف الكتب الى الصحف والاذاعه غير أن الغالبية لاتنفق شيئا يذكر على تحصيل هذا القدر من الثقافة اذ حتى الصحف يستعيرونها من زملائهم والبعض المحدود ينفق على تحصيل ثقافته فى حدود نصف جنيه شهريا . أما مستوى ماتقدمه وسائل الاعلام من مواد فهى فى رأيهم مناسبة او اذا شئنا الدقة فانهم لم تتح لهم لا الفرصة ولا القدرة لمثل هذا التقييم فيما عدا **محمد صالح معوض** الذى يرى انها « بعيدة عن مشاكل الموظفين » .

أسباب الهزيمة وصور التغيير

فاذا انتقلنا الى السؤال الخاص « بأبرز أسباب الهزيمة ، وصور التغيير ، والتصرف السليم لتصفية العدوان » نجد أن أبرز أسباب الهزيمة فى رأى أصحاب هذه الشهادات هى بالترتيب الاهمال وعدم الشعور بالمسئولية ثم عدم معرفة قوة العدو معرفة سليمة ثم عدم الاستعداد استعدادا كافيا للمعركة .

أما **أبو بكر حلمى** فيلمس بشكل اوضح الاوضاع الاجتماعية اذ يعتقد أن أبرز أسباب الهزيمة هو « التفكك الداخلى فى ١٩٦٧ فى الجيش وفى الحياة العامة — والمشاكل والازمات التى يعانى منها الجماهير مثل المواصلات والمساكن والتعليم والصحة » .

ولكن ماذا عن التغيير الذى حدث بعد ٥ يونيو وهل هناك صور أخرى للتغيير يجب تحقيقها ؟ اثنان لايشعران بأى تغيير حدث ، **صلاح الدين محمد عبد الرحمن** ؟ لم اعلم عن التغيير أى شىء الا من الصحف ورأيى مازال هناك ناس يأكلون اموال الاخرين من الجمعيات الزراعية التى بدون رقابة ، ثم هو لايرى ضرورة لاية تغييرات اذ يكفى فى رأيه أن تكون هناك « رقابة على جميع المسئولين » وهو

بحكم أنه يعمل فى قرية من قرى محافظة الشرقية يحصر نفسه فى نطاق قريته بحيث يصبح مقياس التغيير عنده هو الوضع فى الجمعية الزراعية للقرية ، أما الثانى فهـو **حسين عبد العزيز حسن** « أبرز أسباب الهزيمة التظاهر الغير المناسب والاوضاع الغير سليمة ولا أدرك صور التغيير التى تحققت بعد الهزيمة » أما صور التغيير التى يرى ضرورة تحقيقها « توجيه جميع الانشطة العامة بالدولة من أجل ازالة آثار العدوان » ثم هو يرى رغم هذا « العمل من أجل تحقيق قرار ٢٢ نوفمبر ويتم بمقتضاه الحل السلمى حيث أنه انسب حل » والاخ حسين موظف بمنطقة شرق الدلتا للسكك الحديدية وعضو اللجنة النقابية وعضو الاتحاد العام للكتابين ، ويكاد يكون الوحيد بحكم منصبه النقابى الذى له رأى شبه متكامل ومدروس ازاء قانون ٤٦ ، كما وأن آراءه فيما يختص بباقى الاسئلة تعكس درجة من الفهم فما الذى يجعله غير واضح فيما يتصل بقضية العدوان ؟

الواقع هو أن الجميع وان كان لديهم بعض الوضوح ازاء أسباب الهزيمة الا أنهم يفتقدون الوضوح فيما يتصل بالتغيير وبالتصرف السليم لتصفية العدوان ، البعض يكاد أن لايكون له رأى على الاطلاق ، وغالبية منلهم رأى ترى انالتغيير الذى حدث فيه الكفاية وليس هنـاك ضرورة لتغييرات أخرى فيما عدا أربعة يرون زيادة التمسك بالدين والضمير ، وعندما يتكلمون عن التغيير الذى تحقق يتناولونه بشكل عام « التغيير الذى تحقق قد يحقق الامال ـ **محمد عبـد اللـه عودة** ! »« وقد اخـذنا درسا قاسيا مـن المعركة فى تلافى أسباب القصور ـ **أحمد محمد موسى** » ، «صور التغيير التى تحققت نرجو ان تكون عند حسن ظننا » ـ **السيد الصادق فخرى** ـ هذا بالاضافة الى أن الاحساس بالتغيير فى القوات المسلحة أقوى بكثير من الاحساس بالتغيير فى الجبهة الداخلية ، أما التصرف السليم لتصفية العدوان، فالاغلبية لارائها .وبينمايرى البعضان لا حل سوى الحرب يرى البعض الاخر أن الحل السلمى هو الانسب ويفضل آخرون تجربة الحل السلمى أولا فان لم ينجح فلا مفر من الحرب .

ان قطاع الموظفين فى قاعدة الجهاز الادارى ليس بالقطاع القليل العدد وهو وان لم يكن متصلا اتصالا مباشرا بعمليات الانتاج الا أنه على اتصال وثيق بالخدمات سواء منها المرتبط بـالانتاج والمرتبط بالاستهلاك، ومنهنا تبرزاهمية الاهتمام بمشاكله الخاصة وأهمية ربطه بالمجتمع ككل . وهنا يثور سؤال هام : لماذا لا يهتم هذا القطاع العريض من المواطنين الاهتمام الكافى بقضايا مجتمعه التى هى فى نفس الوقت سبيله الى حل قضاياه الخاصة حلا دائما « أعتقد أن السبب هو أن هذا القطاع يفتقد التنظيم ، فلقد ظل أفراده لسنوات طويلة محرومين بحكم القانون من كافة أنواع التنظيمات نقابية كانت أو سياسية ، وفرضت عليهم تقاليد بالية تحرم عليهم الاجتماع والنقاش وشهر ضدهم سلاح النقل والفصل . وكان الشكل الوحيد الذى سمح به لهم من أشكال التنظيمات هو الروابط التى كانت أقرب الى جمعيـات « **دفن الموتى** »منها الى تنظيمات جماهيرية حقة ، وحتى عندما عدل القانون عام ١٩٦٤ وأصبح لهم حق الانضمام الى النقابات التى تضمهم الى زملائهم فى باقى قطاعات الخدمات كل حسب نوع العمل الذى يقوم به ، ظلوا يتأرجحون بين النقـابة والرابطة ذلك أن الروابط لم تلغ ونأمل أن ينهى القانون الجديد هذا الوضع الشاذ .

ومن الواضح أيضا أن لجان الاتحاد الاشتراكى لم تتمكن بعد من ربط حركتهم الخاصة بالحركة العامةللمجتمع ،والواقع انعلى هذه اللجان دورا هاما ازاء هؤلاء المواطنين الذين طال بعدهم عن العملالسياسى، والذينلاتمكنهم ظروفهم واحوالهم المالية من تثقيف أنفسهم والذين حرموا القيادة التى تنظم حركتهم وتوجهها ، والذين « رسبوا » مرة « ونسيوا » مرات رغم تعدد اللجان التـى شكلت وتشكل لبحث أوضاعهم .



تقرير رسمى

مستقبل قانون العاملين في رأى الموظفين ورأى جهاز التنظيم والادارة

يتضح من استقراء «الشهادات الواقعية» أن « المحور الاساسى » فى اغلب ما يعانيه الموظف المصرى الصغير من مشكلات ، ومن رؤى مستقبله الوظيفى ، ومستقبل أولاده : هى بعض المواد التى تضمنها قانون العاملين رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ ، والذى حل محل القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ .

وقد كان من أثر تطبيق القانون رقم ٤٦ لسنة ١٩٦٤ ، ان ورد للجهاز المركزى للتنظيم والادارة ، وجهات نظر متعددة من العاملين بالدولة وبعض الهيئات ، تتضمن اقتراحات محددة لتعديل بعض الفقرات فى مواد القانون رقم ٤٦ .

ووضعت مواد القانون كلها ، واقتراحات الموظفين موضع دراسة فى الادارات المركزية بالجهاز ، واللجنة المكلفة بتطوير نظم الخدمة المدنية به ، وانتهت بالفعل الى وضع تقارير مفصلة ووافية فى هذا الصدد .

ومن بين هذه « التقارير الرسمية » التى تعبر عن وجهة نظر القاعدة من موظفى الدولة ، فى بعض مواد القانون الذى ينظم تعامل الدولة معهم ، ووجهة نظر الجهاز الذى يختص بمسئولية التنظيم والادارة ، وتطوير نظم الخدمة المدنية فى كل مواقع العمل الحكومى ، رأينا عرض ثلاثة مجموعات من الوثائق تتعلق باهم المواد بالنسبة لواقع الموظف ومستقبله ، والتى كانت موضع مناقشته دائما :

- مجموعة تناقش المواد المتعلقة بالترقيات ، والتى وضح ان الموظف الصغير يرى فيها « طريقا مغلقا » ، أو « موقفا مجمدا » ، لايتيح للحركة والتقدم سوى فرصا ضيقة للغاية .

- مجموعة تناقش المواد المتعلقة بالعلاوات الدورية والمكافآت ، والتى كانت دائما موضع نقد شديد من موظفى الدولة الذين لا يجدون فيها تقديرا « للكفاءات الممتازة » .

- مجموعة تناقش المواد المتعلقة بالتحقيق مع الموظف ، والعقوبات المنصوص عليها لتأديبه ، والتى يرى الموظف المصرى فى بعضها اجحاف بحقه ، وتهديد مباشر لمستقبله .

وتستهدف من نشر هذا التقرير الرسمي ان تكون الاتجاهات الواردة به في متناول القاعدة العريضة من موظفي الدولة ، ليتاح لهم فرص دراستها وابداء وجهة نظرهم فيها ، كاسهام من جانبهم في صياغة القوانين والتشريعات التي تنظم علاقات العمل وامكانيات التقدم ، وضمانات المستقبل لحياتهم .

■ ■ ■

أولا - مجموعة المواد الخاصة بالترقيات

المادة ٢٠

يصدر قرار الترقية من الوزير المختص أو من يمارس سلطاته وتعتبر الترقية نافذة من تاريخ صدور القرار بها ويمنح العامل ادنى مربوط الدرجة المرقى اليها ايهما اكبر وتصرف علاوة الترقية من أول الشهر التالي لصدور القرار .

اقتراحات الموظفين

١ - تصرف علاوة الترقية من تاريخ الترقية .

٢ - في حالة المنازعة على الترقية تؤجل الترقيات الى ان ينقضى النزاع ، ويصدر قرار الترقية بأثر رجعي .

ملاحظات الجهاز

١ - يقتصر عمل الوزراء على رسم السياسة العامة للدولة وتنفيذها كل في وزارته ويكون الوزير جهة التصرف في التظلمات بالالغاء أو التعديل .

٢ - يعهد الى وكلاء الوزارات ورؤساء المصالح بالاختصاصات في شئون العاملين .

٣ - تجرى الاحكام في الكادرات الخاصة باستحقاق العامل الترقية من تاريخ صدور القرار بها وهذا يتمشى مع طبيعة الامور ، ونرى توحيد النظر بين الكادرات الخاصة والكادر العام ، اما بمنح علاوة الترقية من تاريخ اعتبارها نافذة او ابتداء من الشهر التالي تخفيفا للاعباء على ادارات الحسابات .

٤ - ان حرمان الموظف من الترقية نتيجة تقدير كفايته بتقدير ضعيف اجراء سليم، ولكن نهاية التقرير لاتكون الا بعد استنفاذ طرق التظلم فيه ولذلك فان اجراء الترقيات خلال فترة التظلم يجعل هذه الترقيات مزعزعة الى ان يثبت في التقرير كفاية الموظف . الذى نرى أن العامل الذى يحرم من الترقية حسب تقدير الكفاية تحجز علاوته الى ان تنتهى لجنة شئون التظلمات من البت في التظلم وبعدها يرقى بأثر رجعي مع زملائه .

●

المادة ٢١

تكون الترقيات بالاقدمية المطلقة لغاية الترقية الى الدرجة الثالثة ، اما الترقيات من الدرجة الثالثة وما فوقها فكلها بالاختيار للكفاية مع التقيد بالاقدمية في ذات مرتبة الكفاية .

اقتراحات الموظفين

١ - افساح المجال بالترقية بالاختيار في جميع الدرجات كحافز من حوافز العمل .

٢ - جعل جميع العاملين بالدولة في اقدمية واحدة وفقا لنوع المحل منعا للتفاوت في الترقيات بين الهيئات المختلفة ورصدا لباب الهرب لاكتساب اقدمية او ترقية في جهات أخرى .

ملاحظات الجهاز

١ - نرى التدرج في الترقية بالاختيار من أدنى الدرجات حتى الدرجة الثالثة وابتداء من هذه الدرجة تكون الترقية بالاختيار للكفاية .

٢ - وضع جميع العاملين بالدولة في اقدمية واحدة اجراء سليم لولا استحالة التنفيذ، ونرى تحقيقا لهذا الهدف أن نعتبر الدرجات الخالية بالوزارات والمصالح والتي تخلو من سلطة الجهاز المركزي للتنظيم والادارة نقلها من جهة الى أخرى بمراعاة اقدميات العاملين في كل جهة .

٣ - وبالنسبة لنظم الترقيات فانه قد اعدت مذكرة قدمت للجنة الوكلاء تضمنت المبادىء الاساسية للترقية في الدول

الاجنبية وفى الكادرات الخاصة وفى الكادر العام مع اقتراحاتنا فى هذا الخصوص ».

●

المادة ٢٢

اذا قضى العامل [١٥] خمس عشرة سنة فى درجة واحدة من الكادر أو [٢٣] ثلاثا وعشرين سنة فى درجتين متتاليتين أو [٢٧] سبعا وعشرين سنة فى ثلاث درجات متتاليه أو [٣٠] ثلاثين سنة فى أربع درجات متتالية ، يمنح أول مربوط الدرجة الاعلى اوعلاوةمنعلاواتها ايهما اكبر — ويستمر فى الدورية بصفة شخصية الحصول على العلاوات بما يتفق واحكام الدرجة الاعلى حتى نهاية مربوطها مالم يكن التقديرات فى السنتين الاخيرتين عنه بتقدير ضعيف . وتؤخذ هذه العلاوات فى الاعتبار عند الترقية فيما بعد الى درجة أعلى .

ويسرى حكم هذه المادة على العاملين الذين اكملوا المدد السابقة قبل العمل بهذا القانون على أن يكون سريانه عليهم من تاريخ العمل به .

اقتراحات الموظفين

١ — قصر المدد المنصوص عليها فى هذه المادة بجعلها ١٠ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٧ ، ٣٠ سنة .

٢ — تطبيق المدد الواردة بالجدول « ب » الملحق بالقرار الجمهورى رقم ٢٢٦٤ لسنة ١٩٦٤ للافادة من احكام هذه المادة .

٣ — جعل الافادة بالمادة بالترقية الى الدرجات التالية لا منح علاوات فى حدود ربط الدرجة التالية .

٤ — اعتبار الدرجات الثالثة التى نقل اليها العاملون من الكادر المتوسط ضمن درجات هذا الكادر والافادة من الترقية اليها بالتطبيق لهذه المادة .

٥ — افادة عمال اليومية من احكام هذه المادة ».

ملاحظات الجهاز

١ — يترتب على تطبيق هذه المادة منح العامل علاوة الدرجة التالية أو بداية مربوطها ولو كانت المدة تجيز الترقية الى اربع درجات ، وينفسح امامه المجال للافادة من هذه المادة اذا مارقى الى الدرجة التالية .

٢ — ان الاخذ بنظام الحلقات الى جانب نظام الترقية لمن يؤهل لذلك يقضى على وجود طبقة منسيين .

٣ — تم تطبيق احكام هذه المادة على العاملين ممن كانوا يخضعون لاحكام كادر العمال .

٤ — نظام الترتيب يتنافى مع الاخذ بقاعدة الترقية بالتطبيق للمادة ٢٢ .

٥ — افساح المجال للعاملين ممن تجاوزوا الخمسين سنة بتسوية حالتهم أو الاحالة على المعاش بناء على طلبهم مع منحهم مميزات مالية ، ونرى منحهم ثلاثة ارباع المرتب الذى يتقاضونه أو تسوية المعاش على متوسط ربط الوظيفة التى يشغلونها أيها اكبر .

٦ — افساح المجال للافادة من هذه المادة بالنسبة للعاملين بالكادر المتوسط ممن بلغوا أعلى درجة فى هذا الكادر ».

٧ — يجب حذف الفقرة الخاصة بأن تؤخذ هذه العلاوة فى الاعتبار عند الترقية فيما بعد الى درجة اعلى ، لان مفهوم ذلك اجراء مقاصة بين المميزات التى يحصل عليها العامل استنادا للمادة ٢٢ والمميزات المترتبة على الترقية العادلة .

●

المادة ٢٣

لا تجوز الترقيةبأية حال قبل انقضاء المدة المقررة للترقية فى جداول التوصيف التى يعتمدها المجلس التنفيذى كما لا تجوز ترقية العامل المنقول الا بعد مضى سنة على الاقل مالم تكن الترقية بالاختيار ، او فى وظائف الوحدات المنشأة حديثا أو كان نقل العامل بسبب نقل وظيفة، أو لم يكن من بين عمال الوحدة المنقول اليها من يستوفى الشروط القانونية للترقية خلال هذه السنة .

اقتراحات الموظفين

جواز ترقية المنقول بقرار جمهورى بدون درجة خلال السنة المنقول فيها ».

ملاحظات الجهاز

١ — تضمنت المذكرة المقدمة للجنة الوكلاء فى شأن الترقيات عدة اقتراحات من بينها التأهيل لشغل الوظيفة الاعلى . واذا ما أخذ بهذا الاقتراح فليس

هناك مايدعو لحظر ترقية المنقول خلال سنة من تاريخ النقل .
٢ ـ اذا ما اخذ بالاقتراح الخاص بتخويل الجهاز سلطة نقل الوظائف الخالية من وزارة الى اخرى لاجراء تنسيق بين اقدميات العاملين فلا يكون هناك داع لحظر ترقية العامل المنقول ؟ مع استمرار ندب العامل المرقى بالجهة التى يعمل بها الى ان تخلو درجة يسوى عليها .

ثانيا – مجموعة المواد الخاصة بالمكافآت والعلاوات والبدلات

المادة ٣٥ :

يمنح العامل علاوة دورية كل سنة طبقا للنظام المقرر بالجدول المرفق لهذاالقانون وبحيث لا يتجاوز المرتب نهاية مربوط الدرجة ويصدر بمنح العلاوة قرار من الوزير المختص او من يمارس سلطاته .

وتستحق العلاوة الدورية فى اول مايو التالى لانتهاء سنةواحدة من تاريخ الالتحاق بالخدمة أو منح العلاوة السابقة .

اقتراحات الموظفين

١ ـ منح العلاوة حتى ولو بلغت نهاية الربط .

٢ ـ افساح مجال الترقية لمن يبلغ نهاية ربط الدرجة او منحه علاوة على الاوقل .

٣ ـ تخويل لجنة شئون العاملين منح العلاوات للعاملين لغاية الدرجة الثالثة وان يكون منح العاملين من الدرجة الثانية وما يعلوها ... العلاوات من اختصاص الوزير .

٤ ـ كان من اثر تطبيق القانون الجديد ان سبق العاملون الذين كانوا يمنحون العلاوة فى السنين الزوجية اخوانهم الذين كانوا يمنحون العلاوة فى السنوات الفردية .

ملاحظات الجهاز

١ ـ لما كانت العلاوة الدورية مرتبطة بتقرير الكفاية وبحلول ميعادها فنرى ان يكون منح العلاوة من اختصاص وكيل الوزارة .

٢ ـ لاوجه للاخذ بالاقتراح الثانى لانه لا يتفق مع الاوضاع المالية ولا قواعد الترقية .

٣ ـ لم يضار العاملون الذين كانوا يمنحون علاوات فى السنوات الفردية ومنح العاملين ممن كانوا يمنحون العلاوات فى السنوات الزوجية لا يترتب عليه غبن لاحد .

●

المادة ٣٦ :

يجوز منح العامل اجرا عن الاعمال الاضافية التى يطلب منه تاديتها فى غير اوقات العمل الرسمية طبقا لاحكام اللائحة التنفيذية .

اقتراحات الموظفين

لا توجد اقتراحات

ملاحظات الجهاز

١ ـ يجب العدول عن نظام البدلات بسبب الحصول على مؤهلات دراسية لان الظروف التى املت هذه القاعدة لم تعد قائمة .

ب ـ تقييم المؤهلات الدراسية على اساس :

١ ـ ان الثانوية العامة يقدم للحاصل عليها الدرجة التاسعة

٢ ـ كل مؤهل بعد ذلك يتطلب سنة دراسية يمنح الحاصل عليه علاوة من علاوات الدرجة التاسعة .

٣ ـ واذا كان المؤهل يتطلب دراسة سنتين يمنح الحاصل عليه الدرجة الثامنة.

٤ ـ واذا كان المؤهل يتطلب دراسة ثلاث سنوات يمنح العامل الدرجة الثامنة وعلاوة فيها .

٥ ـ واذا تطلب المؤهل دراسة اربع سنوات بعد الثانوية العامة يمنح العامل الدرجة السابعة .

٦ يمنح العامل فى هذه الدرجة علاوة على كل سنة دراسية للحصول على مؤهل اضافى .

٧ ـ يمنح العامل الدرجة السادسة اذا كان المؤهل الاضافى يتطلب دراسة اربع سنوات بعد المؤهل الحالى مع منحه علاوة عن كل سنة تزيد عن ذلك .

ج ـ الاجور الاضافية :

١ ـ الاصل ان جميع وقت العمل ملك الدولة ولتحقيق العدالة بين العاملين افترض ان ايام العمل الرسمية فى الشهر ٢٦ يوما وان مدة العمل الرسمية فى اليوم لا تجاوز ثمانى ساعات يمنح العامل اجرا

اضافى عن كل عمل يؤديه فى الشهر يتطلب مدة ازيد من ٢٠٨ ساعات .

٢ — يجب لمنح الاجر تحديد العمل مشاهرة على اساس معدلات الاداء .

٣ — يجب ان يكون هناك اعتمادات للاجور الاضافية تسمح بالصرف .

٤ — يكلف العامل من الرؤساء بأداء بعض الاعمال فى غير اوقات العمل الرسمية

٥ — يقدم الرؤساء تقريرا عن الاعمال الاضافية سواء كانت تدخل فى الاختصاص الاصلى ام لا والتى تتطلب قيام بعض العاملين بأداء بعض الاعمال فى غير اوقات العمل الرسمية .

●

المادة ٣٧ :

يجوز منح العامل علاوة تشجيعية اعتبارا من اول مايوتعادل العلاوة الدورية المقررة وذلك بالشروط الاتية :

١ — أن تكون كفاية العامل حددت بتقدير ممتاز فى العامين الاخيرين .

٢ — الا يمنح العامل هذه العلاوة اكثر من مرة كل اربع سنوات .

٣ — الا يزيد عدد العاملين الذين يمنحون هذه العلاوة فى سنة واحدة على ٥٪ من عدد العاملين فى كل درجة. ويصدر بها قرار من الوزير المختص بناءعلى اقتراح لجنة شئون العاملين ويجوز للوزير المختص او من يمارس سلطاته منح العامل مكافأة تشجيعية مقابل خدمات ممتازة وفقا للقواعد التى تحددها اللائحة التنفيذية .

اقتراحات الموظفين

١ — زيادة النسبة الى ١٠٪ بدلا من ٥٪ .
٢ — اضافة فقرة جديدة للبند [٣] وجعل النسبة ٢٠٪ بالنسبة للعاملين من الدرجة الثانية وما يعلوها .

ملاحظات الجهاز

١ — تتخذ الدرجاتالواردة فى الميزانية اساسالاستخلاص النسبة فلا يدخل ضمن العدد المعارين والمنتدبين .

٢ — نرى تمشيا مع سياسة حوافز العمل ان يكون منح العلاوة التشجيعية جائزا بمراعاة وقت فى متوسط ربط الوظائف بالوزارة او المصلحة دون التقيد بنسبة ، على الا يترتب على منح العامل هذه العلاوة تجاوز نهاية ربط الدرجة التى يشغلها ويستند المنح الى التقرير عن اعمال العامل فى السنة المالية السابقة .

●

المادة ٣٩ :

يجوز صرف بدل تمثيل او بدل طبيعةعمل للعاملين بالوزارات والمصالح والمحافظات المختلفة طبقا للشروط والاوضاع التى تحدد بقرار منرئيس الجمهورية

اقتراحات الموظفين

منح العاملين بمحافظة اسيوط ١٠٪ من مرتباتهم اسوة بالعاملين بمحافظة سوهاج .

ملاحظات الجهاز

ان النظام الذى تتجه اليه الدولة وفقا لاحكام الادارة المحلية منح ابناء المحافظة اولوية شغل الوظائف ومستوى الاسعار بمحافظة اسيوط لا يدعو لمنح ايةميزات مالية .

ثالثا : مجموعة المواد الخاصة بالتحقيق مع العاملين وتأديبهم

المادة ٦٠ :

لا يجوز توقيع عقوبة على العامل الا بعد التحقيق معه كتابة ، وسماع اقواله ، وتحقيق دفاعه ، ويجب ان يكون القرار الصادر بتوقيع العقوبة مسببا . وتنظم اللائحة التنفيذية اجراءات التحقيق .

اقتراحات الموظفين

لا توجد اقتراحات .

ملاحظات الجهاز

١ — ان بعض المخالفات لا تستأهل اجراء تحقيق كتابى ، ويجب ان تتوافر المرونة للسير بالمرافق العامة على الوجه المرضى .

٢ — يجب فى الحالات التى يقوم بالتحقيق فيها العاملون ممن لهم سلطة توقيع الجزاء ، أن يكتفى باثبات استجواب المتهم والادلة المثبتة لارتكاب

المخالفة ؟ ضمن حيثيات توقيع الجزاء ، متى كانت المخالفة لا تستأهل توقيع جزاء يتطلب الاحالة الى المحكمة التأديبية ، وان ما تتجه اليه القوانين من التوسع فى الضمانات للعاملين ينعكس أثره بافساح المجال للسلبية وعدم المبالاة .

●

المادة ٦١ :

الجزاءات التأديبية التى يجوز توقيعها على العاملين هى :

١ — الانذار .

٢ — الخصم من المرتب مدة لا تجاوز شهرين فى السنة ، ولا يجوز ان يتجاوز الخصم تنفيذا لهذه العقوبة ربع المرتب شهريا ، بعد الربع الجائز الحجز عليه أو التنازل عنه قانونا .

٣ — تأجيل موعد استحقاق العلاوة لمدة لا تجاوز ثلاثة أشهر .

٤ — الحرمان من العلاوة .

٥ — الوقف عن العمل بغير مرتب ، أو بمرتب مخفض لمدة لا تجاوز ستة أشهر ، والفصل من الوظيفة مع حفظ الحق فى المعاش ، أو المكافأة ، أو الحرمان من المعاش ، أو المكافأة ، وذلك فى حدود الربع .

أما بالنسبة لشاغلى الدرجات من الثالثة فما فوق ، فلا توقع عليهم الا عقوبات اللوم والاحالة الى المعاش ، والعزل من الوظيفة مع الحرمان من المعاش أو المكافأة ؟ وذلك فى حدود الربع .

اقتراحات الموظفين

لا توجد اقتراحات .

ملاحظات الجهاز

يجب توحيد الاحكام الخاصة بتوقيع الجزاءات ، دون اجراء تفرقة بين عامل وآخر ، بسبب المستوى الوظيفى ، أو تفرقة بين الهيئات التى تشكل لحاسبة العاملين تأديبيا ، ونرى وضع تشريع موحد لجميع العاملين بالدولة ، أيا كانت مراكزهم الوظيفية ، فالاصل أن المساءلة التأديبية عن الجريمة أو المخالفة التى ارتكبت ، وهى ما يترتب عليه توقيع الجزاء .

●

المادة ٦٤ :

للوزير او وكيل الوزارة او لرئيس المصلحة كل فى دائرة اختصاصه ، ان يوقف العامل عن عمله احتياطيا اذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك لمدة لا تزيد عن ثلاثة أشهر .

ولا يجوز مد هذه المدة الا بقرار من المحكمة التأديبية المختصة والمدة التى تحددها ، ويترتب على وقف العامل عن عمله ، وقف صرف نصف مرتبه ، ابتداء من اليوم الذى يحال فيه للمحكمة .

ويجب عرض الامر فورا على المحكمة التأديبية المختصة لتقرير صرف أو عدم صرف الباقى من مرتبه ، فاذا لم يعرض الامر عليها خلال عشرة أيام من تاريخ الوقف ؟ وجب صرف المرتب كاملا حتى تقرر المحكمة ما يتبع فى شأن نصف مرتبه .

وعلى المحكمة التأديبية أن تصدر قرارها خلال عشرين يوما من تاريخ رفع الامر اليها ، فاذا برىء العامل ، أو حفظ التحقيق ، أو عوقب بعقوبة الانذار ، صرف اليه ما يكون قد أوقف صرفه من مرتبه ، فان عوقب بعقوبة أشد تقرر السلطة التى وقعت العقوبة ما يتبع فى شأن المرتب الموقوف صرفه .

اقتراحات الموظفين

١ — مفهوم المادة أن وقف صرف نصف المرتب يكون من اليوم الذى يحال فيه العامل الى المحكمة ، أما المدة التى تنقضى ما بين وقف العامل واحالته الى المحكمة ، فانه يصرف فيها مرتبه كاملا ، وهذا لا يتفق مع الغرض الذى قصده المشرع فى الفقرة الثالثة من هذه المادة ، التى تنص على أنه يجب عرض الامر فورا على المحكمة التأديبية المختصة لتقرير صرف أو عدم صرف النصف الباقى من مرتبه .

٢ — يترتب على وقف العامل عن عمله ، وقف صرف نصف مرتبه ، ابتداء من اليوم الذى يحال فيه للمحكمة ، ولم تبين المادة ما هو الحكم فى مدة الوقف الاحتياطى السابقة على تاريخ احالته للمحكمة ، فهل يصرف العامل مرتبه كاملا أو منقوصا ، أو يوقف صرفه، اذ لم توضح المادة التى تتبع فى هذه الحالة .

ملاحظات الجهاز

صياغة هذه المادة فيها تضارب كثير ، ويجب اذا ما

رئى الابقاء على هذا الحكم اعادة صياغتها بنص صريح ، اما باستحقاق العامل لمرتبه كاملا من تاريخ وقفه الى ان يحال الى المحكمة ، أو بحرمانه من المرتب كله أو بعضه فى هذه الفترة ، الى ان تبت المحكمة فى مدى استحقاقه للمرتب .

ونرى أنه يجب اعادة النظر فى الاحكام الخاصة بالتاديب جميعها ، وأنه يجب ان يخضع جميع العاملين بالدولة لنظام موحد مهما اختلفت الخبرات التى يعاملون بمقتضاها ».

●

المادة ٦٥ :

« كل عامل يحبس احتياطيا ، أو تنفيذا لحكم جنائى يوقف بقوة القانون كل مدة حبسه ، ويوقف صرف نصف مرتبه فى الحالة الاولى ، ويحرم من راتبه فى الحالة الثانية ، ويعرض الامر عند عودة العامل الى عمله على الوزير أو وكيل الوزارة أو رئيس المصلحة حسب الاحوال ، ليقرر ما يتبع فى شأن مسئولية العامل التاديبية ، فاذا اتضح عدم مسئولية العامل تأديبيا ، يصرف له نصف المرتب الموقوف صرفه » .

اقتراحات الموظفين

لا توجد اقتراحات .

ملاحظات الجهاز

اذا اخذنا بمبدأ ارتباط الاجر بالعمل ، فانه يترتب على حبس العامل احتياطيا حرمانه من كل المرتب ، واذا اخذنا بقاعدة عدم تعدد الجزاءات ، فانه يجب أن يصرف للعامل فترة الحبس الاحتياطى البالغ التى يستحقها ، لو كان محالا على المعاش .

●

المادة ٦٨ :

« لا يجوز النظر فى ترقية عامل وقعت عليه عقوبة من العقوبات التأديبية المبينة فيما يلى الا بعد انقضاء الفترات الاتية :

١ — ثلاثة اشهر فى حالة الخصم من المرتب او الوقف لمدة ٥ أيام الى عشرة .

٢ — ستة اشهر فى حالة الخصم من المرتب او الوقف لمدة من ١١ يوما الى ١٥ يوما .

٣ — سنة فى حالة الخصم من المرتب مدة تزيد عن خمسة عشر يوما .

٤ — وفى حالة توقيع عقوبة تأجيل العلاوة أو الحرمان منها لا يجوز النظر فى ترقية العامل مدة التأجيل أو الحرمان.

اقتراحات الموظفين

لا توجد اقتراحات .

ملاحظات الجهاز

١ — ان وضع عقوبات تبعية مترتبة على توقيع الجزاء فيه ازدواج فى توقيع العقوبة، وما دامت قواعد التأديب تجيز تخفيض مرتب العامل ، فانه يجب اتخاذ هذا الجزاء وسيلة فى المخالفات الجسيمة دون حاجة الى ترتيب جزاء تبعى .

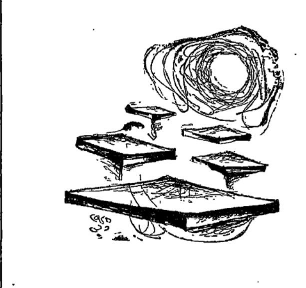
٢ — ان العقوبات التبعية التى رتبها هذا القانون مرهون تطبيقها للمصادفة . ففى بعض الحالات لا يحل الدور على العامل فى الفترة التى يجوز النظر فى ترقيته .

٣ — كما ان حجز وظيفة العامل المحال على المحكمة التأديبية ، او الموقوف عن العمل يتنافى مع نظام الترتيب .

٤ — لا نرى مبررا اطلاقا لحرمان العامل الموقع عليه جزاء من الترقية اذا كان مستوفيا شروطها .



مستقبل الأرض الجديدة فى مصر



حسين طلعت

لاشك ان أسلوب التصرف فى الاراضى المستصلحة غدا يشغل اذهان الكثيرين من المهتمين بشئون الاقتصاد والزراعة فى بلادنا ، ولقد ناقش مجلس الامة فى جلساته الاخيرة الآراء المختلفة حول مستقبل هذه الاراضى وافضل طرق استغلالها بما يحقق للدولة تغطية الاستثمارات الضخمة التى انفقت ولا تزال تنفق على استصلاحها واستزراعها ، وتحقيق عائد اقتصادى فيها ·

ولسوف نتعرض بايجاز شديد للمراحل المختلفة التى مرت بها سياسة استصلاح واستزراع الاراضى البور ·

لم تكن الاراضى البور تحظى سوى باهتمام ضئيل فى مجتمع ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ ـ ولم تكن هناك خطة ـ بمعنى الكلمة ـ لاستصلاح هذه الاراضى ، اذ اقتصر الامر على قيام الدولة وبعض الشركات والافراد باستصلاح آلاف قليلة من الافدنة سنويا · اما الدولة فقد ركزت نشاطها فى الاستصلاح من خلال ما كان يسمى بمصلحة الاملاك الاميرية ، واقتصر نشاطها فى مناطق شمال الدلتا وتم توزيع المساحات المستصلحة فى صورة اقطاعيات فى حدود ٤٠ فدانا لكل اقطاعية على خريجى كليات الزراعة والمعاهد الزراعية ، واستمرت هذه السياسة الى اواخر الاربعينات تقريبا · أما شركات استصلاح الاراضى ـ والتى ساهم فيها رأس المال الاجنبى بقسط كبير ـ فقد شمل نشاطها مساحات اوسع ، وتحققت لها ارباحا عالية بفضل الامتيازات والتسهيلات التى منحت لها من مختلف الحكومات وبفضل ارتفاع سعر الفائدة

على اقساط البيع • وكان لبعض الافراد ـ من كبار الملاك الزراعيين ـ نشاط ملحوظ فى مجال استصلاح الاراضى مستغلين نفوذهم وعلاقاتهم لدى الحكومات فى شراء الاراضى البور بأثمان اسمية وفى اقامة وسائل الرى والصرف وطرق المواصلات وامكنهم بذلك مضاعفة رءوس اموالهم ـ المتمثلة فى عقارات زراعية ـ بصورة خيالية •

ولكن هذا النشاط فى عمومه ـ الحكومة والشركات والافراد ـ لم يكن يتجاوز عشرات قليلة من الافدنة سنويا لايتمشى اطلاقا مع احتياجات البلاد الحقيقية فى توسيع الرقعة الزراعية •

وفى اعقاب ثورة يوليو سنة ٥٢، وصدور قانون الاصلاح الزراعى الاول قامت الدولة باستصلاح واستزراع حوالى ٧٠ الف فدان فى السنوات ما بين ٥٢ ـ ٦٠ بمعدل ١٠٫٠٠٠ فدان سنويا على وجه التقريب • وتطورت هذه السياسة منذ سنة ١٩٦٠ فوضع برنامج ضخم لاستصلاح حوالى مليون ، ٢٠٠ الف فدان ـ اعتمادا على المياه المخزونة على السد العالى ـ بمساحة سنوية متوسطها ١٤٥ الف فدان ـ ولم يكن هناك مناص من زيادة المساحات المستصلحة سنويا ، نظرا لثبات مساحة الاراضى الزراعية لعشرات السنين مع تزايد معدلات السكان السنوية بصورة عالية بحيث أصبح نصيب الفرد من السكان منسوبا الى اجمالى المساحة المزروعة لا يزيد عن خمسة قراريط •• ولا يمكن للتوسع الرأسى فى الزراعة بمفرده ان يغطى احتياجات البلاد سواء من المحاصيل الغذائية ، أو محاصيل التصدير التى تعتبر من المصادر الهامة للحصول على العملات الاجنبية اللازمة لبرنامج التنمية الاقتصادية •

ونظرا لضخامة الاستثمارات فى مجال استصلاح واستزراع الاراضى ـ والتى تناهز حوالى ٦٠٠ مليون جنيه تقريبا ـ كان لابد من وضع معايير علمية دقيقة ، تختار على ضوئها الاراضى التى يشملها برنامج الاستصلاح أهمها :

● سرعة استجابة الاراضى للاستصلاح ـ من حيث التركيب الميكانيكى والكيميائى للتربة الذى يسمح ـ بعد فترة وجيزة ـ بأن تغل هذه الاراضى محاصيل اقتصادية مع أقل نفقات استصلاح ممكنة •

● قلة المقننات المائية اللازمة للرى ـ لامكان الاستفادة بأقصى حد ممكن من كميات المياه المخزنة على السد العالى •

● اتساع المساحة بحيث تتناسب مع مصروفات الاستصلاح بصورة اقتصادية •

● سهولة اتصالها بالاماكن المأهولة ـ لامكان توفير الايدى العاملة بتكلفة مناسبة وخفض نفقات نقل المحاصيل ومستلزمات الانتاج المختلفة •

● اقتصاديات مشروعات الرى والصرف والمواصلات ـ واهم ما يراعى بهذا الخصوص أن يكون ارتفاع عامود رفع المياه بالنسبة لهذه الاراضى مناسبا بحيث لايشكل هذا الامر فى المستقبل مصروفات رى مرتفعة تستنزف نسبة عالية من عائد الاراضى •

وقدرت المساحات التى تتوافر فيها هذه الشروط بصفة عامة فى حدود المليون ونصف المليون فدان، منها ٣/٤ مليون فدان ، مساحات لها الافضلية الاولى فى الاستصلاح ، حوالى ٢٠٠ الف فدان اراضى لها افضلية ثانية ، نصف مليون فدان لها افضلية ثالثة ـ وهذا الرقم يمثل المساحة القصوى التى يمكن زراعتها اعتمادا على المياه المخزنة على السد العالى فى احسن الفروض •

وتتفاوت مصروفات استصلاح واستزراع الاراضى بتفاوت ظروفها ونوعيتها • ويمكننا ان نضع رقما تقديريا لمتوسط تكلفة استصلاح واستزراع الفدان الواحد ـ على ضوء الدراسات الاولية ـ فى حدود من ٤٠٠ ـ ٥٠٠ جنيه للفدان الواحد ـ موزعة كالاتى :

١ ـ ٥٥ جنيها نصيب الفدان من مصروفات تخزين المياه على السد العالى ـ على اساس تحميل الزراعة ١/٣ نفقات انشاء السد العالى ١٣٠ مليون جنيه ، ٢/٣ المصروفات محملة على الصناعة •

٢ ـ ٨٥ جنيها تكلفة مشروعات الرى والصرف •

٣ ـ ١٢٥ جنيها تكاليف استصلاح • تسوية محطات رى ومنشآت رى وصرف داخلية •

٤ ـ ٨٥ جنيها تكاليف تعمير مساكن ـ منشآت للخدمات العامة ـ طرق داخله •

٥ ـ ٥٠ جنيها مصروفات استزراع ـ حتى وصول الأرض الى الحدية الانتاجية •

والتقديرات السابقة قابلة للزيادة لا النقص ، نظرا لارتفاع اجور العمال فى هذه المناطق والتى تعتبر مناطق نائية وتصل نسبة هذه الزيادة الى ٤٠ فى المائة من الاجر الاصلى للعامل الزراعى فى المناطق المأهولة • بالاضافة الى الزيادة فى اسعار المعدات والالات وقطع الغيار المستوردة ـ كما أن

الخسائر المترتبة على أخطاء التخطيط وقصور العمل التنفيذى تشكل ارقاما لايستهان بها فى بنود التكلفة .

ويمكن تقدير متوسط القيمة الايجارية للفدان سنويا فى حدود ١٣ جنيها - على اساس استهلاك المصروفات الرأسمالية المستثمرة فى الفدان على فترة ٣٠ سنة - ويرتفع هذا التقدير الى ٢٠جنيها سنويا اذا احتسبت الفوائد السنوية على المبالغ المستثمرة بنسبة ٣ر٥ فى المائة سنويا .

« الصناعة الثقيلة » فى الزراعة

وقد تتسبب هذه التقديرات فى التشكيك فى جدوى عملية استصلاح واستزراع الاراضى الجديدة نظرا لضخامة الاستثمارات الاجمالية - وارتفاع القسط السنوى لاستهلاك هذه الاستثمارات ، خاصة اذا ما قورن هذا القسط السنوى للفدان - وهو ما يمكن ان تكون عليه قيمته الايجارية ، أو القسط المستحق سنويا نظير التمليك - بايجار فدان مرتفع الخصوبة فى اراضى الوادى الذى لن تزيد قيمته الايجارية عن ٢٠ جنيها سنويا .

والواقع ان المقارنة بهذه الصورة فيها الكثير من التعسف - اذ أنها تغفل من حسابها الجهود الفنية التى بذلت لتحسين الارض القديمة عبر آلاف السنين - ودور عوامل الخصب الطبيعية - أساسا طمى النيل - فى الارتفاع بخصوبة هذه الاراضى - والمقارنة على اساس القيمة السوقية للفدان فى الاراضى المستصلحة ، فهى وان بدت فى ظاهرها لاتتناسب مع سعر الفدان فى الاراضى القديمة ، الا ان اسعار الاخيرة قد تحكمت فيها الى حد بعيد قوانين الاصلاح الزراعى الاولى والثانية - ويكفى هنا أن نعود بالذاكرة الى اسعار بيع الاراضى قبل صدور هذه القوانين ، بل واسعار البيع الحالية للاراضى الخالية من المستاجرين - التى تزرع على الذمة - التى بلغت ارقاما خيالية بحيث وصل سعر بيع الفدان فى المنوفية مثلا ، ١٥٠٠ جنيه على سبيل المثال .

ويمكن القول بأن الاستثمارات فى مشروعات الاستصلاح تتشابه فى اقتصادياتها الى حد كبير مع مشروعات الصناعة الثقيلة التى لاتغل بدورها عائدا سريعا او مجزيا فى سنواتها الاولى ولكنها اساسية من ناحية اقامة صرح اقتصادى قومى راسخ الدعائم .

وخطأ كبير ان ننادى بالانكماش فى سياسة استصلاح واستزراع الاراضى البور ، او التركيز على التوسع الرأسى فى الزراعة دون التوسع الافقى ، خاصة وان الاول يحتاج بدوره لوقت ليس بالقصير كى تظهر نتائجه - انما يجب ان تسير سياستنا فى مجال التوسع الزراعى على الدعامتين : الافقية والرأسية معا .

لقد بلغت المساحات التى تم استصلاحها حتى الان حوالى ٦٠٠ الف فدان ، منها حوالى ٦٠ الف فدان بلغت الحدية الانتاجية ، ونسبة اخرى قاربت الحدية ، ولكن اغلب هذه المساحات لا تزال تحت الحدية الانتاجية . وقد تم توزيع حوالى ١٥٠ر٠٠٠ فدان من المساحات المستصلحة على المنتفعين خلال سنوات متعاقبة .

التوزيع او التجميع .. فى ضوء الاعتبارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية

ويؤيد البعض الاستمرار فى سياسة التوزيع بحيث يتم توزيع كافة المساحات التى بلغت الحدية الانتاجية اولا بأول فى حدود خمسة افدنة للاسرة الواحدة ، بمعنى الاستمرار فى تطبيق تجربة الاصلاح الزراعى على الاراضى الجديدة ، بصورة اتوماتيكية . ويستند هذا الرأى الى بعض الاعتبارات ، اولها ضيق الرقعة السابق توزيعها بمقتضى قوانين الاصلاح الزراعى والتى لم تتعد فى جملتها مليون فدان - ١/٦ مساحة الاراضى الزراعية القديمة - الامر الذى لم يحقق حتى الان عدالة اجتماعية تتمشى مع رغبات الملايين من فقراء الفلاحين المحرومين من ملكية الارض .

والامر الثانى ان الدولة لم تحقق حتى الان أرباحا من خلال ادارتها لهذه الاراضى ، وانما تحقق خسائر سنوية لايمكن ان تتحملها فترة طويلة ، ويرجع ذلك - فى نظرهم - الى استحالة قيام قطاع عام فى الزراعة لاختلاف ظروفها عن ظروف الصناعة ، وعليه تنتفى تماما فكرة قيام نواة للقطاع العام الزراعى سواء فى الحاضر أو المستقبل .

وقبل مناقشة هذا الرأى لابد من الاشارة الى أن سياسة تحديد الملكية الزراعية وتوزيع الارض على الفلاحين الفقراء لم تحكمها الاعتبارات الاقتصادية فحسب ، بل املتها ايضا الاعتبارات السياسية والاجتماعية التى سادت مجتمع ما قبل ثورة يوليو سنة ٥٢ . فكان من المحتم ضرب سلطة الاقطاعيين وكبار الملاك الزراعيين واستئصال نفوذهما الواسع فى الريف عن طريق تجريد هذه الطبقات من سندها الاقتصادى الاساسى - ملكية الارض - وتوزيع هذه

الاراضى على الفلاحين الذين كانوا يقومون فعلا بعملية الانتاج دون ان يكون لهم حق الحصول على ناتج عملهم ، اذ تسرب هذا الناتج الى جيوب الطبقات المستغلة والطبقات الطفيلية ـ الاقطاعيين وكبار الملاك وتجار الريف والمرابين ٠٠ الخ ٠

واذا كان مبدأ التوزيع قد فرض نفسه كمنطق وضرورة الا أنه ولد بدوره مشاكل من نوع جديد ، اهمها تفتيت وحدات الانتاج الكبيرة الى وحدات صغيرة متخلفة من الناحية التكنولوجية ، الامر الذى استدعى اقامة اشكال من التعاون فى التسويق واخرى فى التجميع الزراعى لا تزال تواجهها كثير من المصاعب ، اهمها مشاكل الجمعيات التعاونية الزراعية ، التى تعبر فى جوهرها عن أزمة تطوير الديمقراطية فى الريف ٠ وكذلك الارتفاع الهائل فى مديونية الفلاحين ـ حوالى ٦٠ مليون جنيه ـ الذى ترجع اسبابه الى اعتبارات مختلفة أهمها ضخامة المصروفات الادارية الناجمة عن تضخم الاجهزة المشرفة على التعاون والائتمان والاصلاح الزراعى بصورة تشكل عبئا كبيرا على عائد الفدان الصافى ـ وثانيها ارتفاع تكلفة مستلزمات الانتاج ـ الاسمدة الكيماوية ، المبيدات الحشرية ـ الالات وقطع الغيار ٠٠ الخ بدرجة لم تعوضها حتى الان الزيادة التى تمت فى اسعار بعض المحاصيل الزراعية ـ والاعتبار الثالث البيروقراطية الشديدة التى تسود عمل هذه الاجهزة والتى تفتقد فى غالب الاحيان الى المفاهيم السياسية التى تتناسب مع ظروف المرحلة الانتقالية التى يمر بها مجتمعنا ٠ وفرق كبير بين منطق **القيادة** ومنطق **الوصاية** ـ ويمكن القول دون تجنى أن مفهوم الوصاية هو السائد فى عمل هذه الاجهزة مما أدى الى فقدان التلاحم بين هذه الاجهزة وجماهير الفلاحين وتفشى الانحرافات المختلفة فيها ، الامر الذى ترتب عليه حل العديد من مجالس ادارات الجمعيات التعاونية الزراعية ٠

والاراضى الحديثة الاستصلاح تختلف فى ظروفها بطبيعة الحال عن الاراضى القديمة فى الوادى ، فهى لا تنطبق عليها ظروف المجتمع الريفى التقليدى فى بلادنا من حيث علاقات الانتاج المتخلفة ، وهى لم ترث من هذا المجتمع تناقضاته المعروفة ٠ والامر الثانى ان الاموال التى انفقت فى عمليات الاستصلاح والاستزراع هى اموال الشعب بأسره ، كما تمت هذه الاعمال بجهود ابناء الشعب من عمال وفنيين وباستخدام الاساليب العلمية والفنية الحديثة ـ وخططت هذه المشروعات فى اطار الاستغلال الزراعى الواسع النطاق وليست الزراعة الصغيرة المتناثرة ٠ وتم استصلاح هذه المساحات فى اطار تخطيط اقتصادى قومى شامل ، تترابط فيه قضايا التنمية الصناعية والزراعية ٠ بمعنى ان سيطرة الدولة على وسائل الانتاج فى مجال الزراعة يمكنها من تحقيق فائض قابل للتسويق يسمح بتحقيق معدلات معقولة فى مجال التنمية الصناعية ، الامر الذى يصعب تحقيقه فى حالة توزيع هذه الوحدات وتحويلها الى ملكيات أو وحدات انتاجية صغيرة ٠

ولا تسمح الضرورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لمرحلة الانتقال بالوقوف موقف اللامبالاة ازاء قضية تدعيم القطاع الاشتراكى فى الزراعة ، ذلك القطاع الذى لا تزال تسوده العلاقات الرأسمالية بصورة تكاد تكون كاملة ، وتقف البورجوازية الريفية بايديولوجيتها بالمرصاد ضد أى خطوة جديدة لتطوير الانتاج التعاونى فى الريف ، بدليل ان اقامة تعاونيات الانتاج ـ المزارع التعاونية ـ لم ير النور حتى الان فى ريفنا ولو على سبيل التجربة لا التعميم ٠

وينادى البعض ان قيام قطاع عام فى الاراضى المستصلحة يؤدى الى حرمان جماهير عريضة من الفلاحين الفقراء من امتلاك الارض ويفاقم من تناقضات الريف ٠ والواقع ان المساحات المستصلحة بغرض توزيعها باكملها ـ بعد اتمام استصلاحها واستزراعها ـ على الفلاحين لن تؤدى بنا الى حل حقيقى لمشكلة الملكية الزراعية الصغيرة ٠ فاجمالى هذه المساحات لا تتجاوز نسبة ١٤ فى المائة من اجمالى المساحات المنزرعة على نطاق الجمهورية ، ولن يستفيد من هذا التوزيع سوى ١/٤ مليون اسرة ـ وهى شريحة ضيقة للغاية من فقراء الفلاحين ٠ وهنا نتساءل ، ما الموقف من الملايين الاخرى المتبقية دون ملكية زراعية فى ريفنا ؟ وما هى الحلول التى يمكن أن تقدم اليها بعد الانتهاء من توزيع الاراضى الجديدة ٠ وهل قدمت الاراضى الجديدة الحل الجذرى الذى يراه اصحاب هذا الرأى ؟

هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى لابد وان نتناول الاسس التى تحكم توزيع الاراضى المستصلحة على المنتفعين الجدد ، كى نقدر ما سوف يعود على الدولة من فوائد نتيجة لهذا التوزيع ٠

سبق الاشارة الى ان تكلفة استصلاح واستزراع الفدان الواحد تبلغ ٤٠٠ ـ ٥٠٠ جنيه ولكن المنتفع يحصل عليه بثمن يقدر فى المتوسط بـ ٢٠٠ جنيه للفدان الواحد ، بعد بلوغه مرحلة الانتاج الحدى ـ بمعنى ان المنتفع يحصل على الفدان بنصف تكاليفه فقط ، وتتحمل الدولة النصف الثانى من هذه التكاليف وبذلك تتحمل الدولة فى نهاية الامر عبء استثمارات تبلغ ٢٤٠ مليون جنيه لن تحصل فى حالة توزيع المساحات المستصلحة باكملها طبقا لما تسير عليه اسس

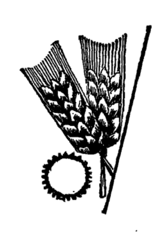
التوزيع الحالية • ونتسائل هنا عما يدعو الدولة لتمييز هذه الشريحة الصغيرة من الفلاحين بهذه المبالغ الباهظة ؟ وتتكفل الدولة بتوفير مياه الرى لكل منتفع فى مقابل ٤ جنيهات للفدان سنويا ، هذا فى حين ان تكلفة الرى الفعلية للفدان لا تقل عن ثمانية جنيهات سنويا فى متوسطها العام ـ بل تفوق هذا الرقم بكثير فى الاراضى الرملية ـ مما يحمل الدولة فروق تكلفة فى الرى تبلغ حوالى خمسة ملايين من الجنيهات سنويا •

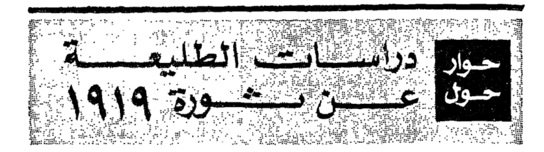
ومن الملاحظ أن مديونية منتفعى الاراضى الجديدة آخذة بدورها فى الارتفاع، سواءبالنسبة لسداد الاقساط او الايجار السنوى او بالنسبة لسداد مسحوباتهم من مستلزمات الانتاج التى يحصلون عليها • ولن يختلف الامر كثيرا اذا استبدل اسلوب التمليك بأسلوب الايجار ـ فالايجار المقدر لا يزيد فى متوسطه العام عن نصف القيمة الايجارية الواجب تحصيلها سنويا ـ على اساس استهلاك استثمارات الاستصلاح والاستزراع على ٣٠ سنة ـ مما يمثل خسارة سنوية على الدولة تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات مضاف اليها ٥ ملايين أخرى للرى ـ كما سبق الاشارة اليه ـ باجمالى سنوى قدره ١٣ مليون جنيه ، يضاف اليها العجز المتوقع فى تسديد الايجارات او مستلزمات الانتاج ، وهو ما يتفاوت مقداره بتفاوت المحصول •

وخلاصة القول ان سياسة التوزيع او التأجير سوف يترتب عليها تحمل الدولة لاعباء مالية باهظة سواء من ناحية الاستثمارات او من ناحية الانفاق السنوى ، مما يقوض الاسس الاقتصادية لمشروعات الاستصلاح والاستزراع وتحولها الى مشروعات اعانة اجتماعية تختص بها فئة محدودة من صغار الفلاحين دون غيرهم •

ولا يعنى هذا الغاء مبدأ الايجار كلية بل يقتصر هذا الايجار على المساحات التى تتخلل الارض القديمة والمتناثرة التى لا تغل ادارتها عائدا اقتصاديا • مع ضرورة اعادة النظر فى الاسس التى توضع عليها القيمة الايجارية بحيث تتناسب مع نفقات الاستصلاح ـ بحيث لا تؤدى هذه التسهيلات الشديدة الى تحمل الدولة لخسائر كبيرة دون أى مبرر •

ويجب ان يتخذ الشكل الاساسى لزراعة الاراضى الجديدة فى قطاعاتها الواسعة ـ شكل ملكية الدولة ـ على شكل شركات متخصصة ومزارع مستقلة تدار على احدث الطرق العلمية والفنية •





الدراسات التى قدمتها الطليعة فى عدد مارس عن ثورة ١٩١٩ والتى كتبها رفعت السعيد وطارق البشرى طرحت قضايا خلافية بين الكتاب وبين المعلقين الذين تولوا التعليق على الدراستين وهما : اسماعيل صبرى عبد الله وابو سيف يوسف ، وهذه القضايا الخلافية التى تثور بين اعضاء من اسرة تحرير الطليعة تسهم بلا شك فى اثراء الدراسة وتؤكد على هذه الحقيقة وهى انه لابد وان يتصدى المؤرخون والمفكرون لممارسة هذا العلم الصعب : علم كتابة التاريخ القومى .

وتحقيقا للهدف الذى توخته الطليعة من فتح الحوار حول بعض القضايا المتعلقة بثورة ١٩١٩ تنشر الطليعة رأى كل من رفعت السعيد وطارق البشرى على التعليقات التى نشرت على دراستيهما .

الطبقة العاملة .. وثورة ١٩١٩

رفعت السعيد

لابد لى من ان اشكر الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله على ما اسبغه على مقالى عن ثورة ١٩١٩ من تقدير . لكننى مع ذلك ارجو ان يسمح لى ببعض ملاحظات على ما ورد فى تعليقه .

١ ـ لست اتفق مع الدكتور اسماعيل صبرى فيما اورده عن ان فكرة الاستقلال الاقتصادى وانشاء بنك مصر وشعار مقاطعة البضائع الاجنبية قد نبعت فى الاساس من الطبقة التجارية .

والذى لاشك فيه أن هذه الطبقة قد لعبت دورا لا بأس به فى هذا الصدد، لكننا يجب ان نلاحظ ان لمصر ظروفها الخاصة . فالملاك المصريون ليسوا طبقة متميزة ومنفصلة عن بقية الطبقات العليا أو الوسطى فى المجتمع ..

فما من أسرة وسطى أو كبيرة .. سواء كان عائلها موظفا أو تاجرا او مهنيا الا وكانت تمتلك مساحة قلت أو كثرت من الارض .

فالارض ـ فى بلد كمصر ـ كانت المصدر الاساسى للجاه والسلطان والتعبير ـ الافضل ـ من مظاهر الارستقراطية والعز .

وكثير من التجار حولوا تراكماتهم الى مجال شراء الاراضى الزراعية . وخاصة بعد أن تحرجوا بسبب مشاعرهم الاسلامية من استثمارها فى الاعمال المصرفية .

كذلك فان معظم الاستثمارات الراسمالية تركزت فى البداية فى شكل شركات مساهمة لاستصلاح الاراضى وزراعتها وتوزيعها .. الخ .

وحتى المستثمرون الاجانب ركزوا كثيرا من أموالهم فى هذا المجال .

وفى تلك السنوات التى اسماها **جورست** « سنوات الرواج العظيم » دخلت فئات

عديدة من التجار ومتوسطى المزارعين واغنيائهم وكبار الملاك والمهنيين الى مجال المضاربة وشراء الاسهم ٠٠

وطبيعة القطن كمحصول اساسى للزراعة، وكمحور اساسى ايضا لعمليات التجارة والمضاربة والسمسرة والتسليف والرهون قد جذب كثيرا من زارعى القطن ومن اغنياء الريف الى عمليات البيع والمضاربة هذه ٠

كذلك فان كبار الملاك واغنياء الريف كانوا بحكم نزعتهم المتعالية يقيمون فى المدينة ويمتلكون فى الريف : قدم فى الريف وأخرى فى المدينة ولقد ترك ذلك اثارا هامة على افكارهم واساليبهم ٠

من كل ذلك فانه من الصعب ان نعطى لطبقة التجار المصريين ، او كما اودان اسميهم التجار — الكلاسيكيين — وحدهم شرف هذه المحاولات ٠

فقد كانت محاولات الانطلاق الى مجال الاستثمار الراسمالى — بحكم طبيعة الظروف التىعاشتها مصر، محاولاتمشتركة اسهمت فيها معظم الطبقات المتيسرةفىالمجتمعسواءفى الريف أو المدينة ٠

ولقد كانت ثمرة هذه المحاولة خير دليل على ذلك : فكبار الملاك الزراعيين كانوا هم فى نفس الوقت اعضاء مجلس ادارة بنك مصر ٠

وثمة امثلة كثيرة جدا لاسماء لمعت فى ميدان البناء الراسمالى ، وكانت فى نفسالوقت تتربع علىقمة كبارالملاكالزراعيين وحتى المستثمرون الاجانب ، وكثيرون من افراد اسره محمد على كانوا يجمعون بين الوجهين ٠

٢ — ان المثقفين المصريين كانوا يعانون من مزاحمة الاجانب وخاصة الانجليز لهم فى الوظائف الكبيرة والوسطى والصغيرة على السواء ، وليس كما يقول الدكتور اسماعيل فى الوظائف الكبيرة وحدها ٠

وثمة احصاء غريبا توردَه **لجنة ملنر** فى تقريرها يقول ان نسبة الموظفين المصريين عموما كانت عام ١٩٢٠ (٥١ فى المائة فقط) فى الوظائف عامة ، وان نسبتهمفىالوظائف الكبيرة كانت (٢٣ فى المائة) (١) ٠ بل ان سنوات ما قبل الحرب قد شهدت فيضا من الشبان الانجليز جاءوا ليحتلوا كثيرا من المناصب الصغرى فى السلم الادارى ٠

ولنتأمل مثلا سلك موظفى البوليس فقد كان الاجانب منتشرين فيه ابتداء من مدير الامن حتى الكونستبلات ٠٠ وكذلك فى مجالات عديدة ، مثل الرى والتعليم وغيرها ٠ يضاف الى ذالك ان هؤلاء الموظفين كانوا ينعمون بمرتبات اعلى وبترقيات اكثر وبنفوذ اوسع بكثير ٠ والاهم من هذا كله انهم كانوا يسدون طريق الترقية امام الموظف المصرى ٠

والحقيقة ان الحاحى على هذه النقطة ينبع من اعتقادى ان ذلك الوضع بالصورة التى اقدمها به كان أحد اسباب تذمر قطاع المثقفين عامة كبارهم وصغارهم على السواء ٠ وتذمر قطاع الموظفين عامة كبارهم وصغارهم على السواء وهو امر بالغ الاهمية عند حساب وتقييم التحركات الطبقية ومحاولة تفسيرها .

٣ — لكن الخلاف الاكبر مع الدكتور اسماعيل صبرى يكمن فى اعتراضى على تقييمه لدور الطبقة العاملة المصرية فى ذلك الحين وفى ذلك الصدد لابد لنا ان نذكر :

● ان الحرب قد ساعدت كثيرا على نمو الصناعة المحلية ، وقد زاد عدد الطبقة العاملة تبعا لذلك حتى بلغتفىعام ١٩١٧ [٥٣٩ر٨٠٩] عاملا وفقا لبعض الاحصاءات (٢) ٠ كذلك تكونت فى ١٩١٧ « لجنة التجارة والصناعة » بهدف تنشيط الصناعة ، وفىالفترةمن١٩١٥ — ١٩١٨ زاد رأس المال المحلى بمقدار ٢٢١ر٠٠٠ جنيه مستثمرا فى تسع شركات محلية ٠٠ وفى الفترة ما بين ١٩١٩ — ١٩٢٤ زاد ٣ر١٦٤ر٣٨٥ جنيه مستثمرة فى ٥٧ شركة (٣) ٠

كذلك نمت صناعات عديدة تقليدية ، مثل استخراج المعادن [٤١١٢ عاملا] النسيج [٨٣٢٣٨ عاملا] الجلود [١٢١٨ عاملا] الخشب والاثاث [١٢٩٢٦ عاملا] اشغال المعادن [٣٠١١١ عاملا] الصناعات الغذائية [٤٠٦٦٩ عاملا] صناعة الملابس [٧٦٤٠٧ عمال] [٤] ٠

كذلك ظهرت اشكال من الصناعات الكبيرة فى مجالات الغزل والنسيج ، السجاير ، الزيوت ، الاسمنت ، الطباعة ، الغاز ، الكهرباء ٠٠ الخ ٠

---

(١) البيروقراطية فى مصرالحديثة — مورو بيرجر — ترجمة د. محمد توفيق رمزى . ص٥١ .

(٢) لهيطة — تاريخ مصر الاقتصادى. ص٥٦٢ — فوزى جرجس — دراسات فى تاريخ مصر السياسى ص ١٣٠ .

(٣) Crouch Ley. The Investment of Foreign Tenu A Bruxelles 1910 - p. 485

(٤) البراوى وعليش . التطور الاقتصادى فى مصر ص١٤٧ .

● التشكيلات النقابية التي كونها العمال، كانت أكثر رقيا مما يصوره الدكتور اسماعيل ولم تكن صورة « ارباب الصنائع » هي الصورة السائدة حتى ولو استخدم الاسم في بعض الاحيان . واذا كان اصحاب الحرف قد انضموا في بعض الحالات الى النقابات ذات الطابع الحرفي مثل نقابات الترزية والحلاقين، فان هذه التجمعات كانت في الاساس تجمعات عمالية تنادي بمطالب عمالية . فعمال الترزية يضربون عام ١٩٠١ مطالبين بتنظيم اجر القطعة وبخفض ساعات العمل واعتبار يوم الاحد اجازة اسبوعية بعد الظهر وتحديد وقت للراحة والغذاء ..

وفي يناير ١٩٠٢ اضرب الحلاقون وطافوا في شوارع القاهرة مطالبين بزيادة الاجور واعتبار بعض ظهر الاحد اجازة اسبوعية وقد حاولوا التهجم على بعض صالونات الحلاقة واغلاقها بالقوة (٥) .

وعندما اسس الترزية نقابتهم كانت في الاساس تشكيلا عماليا يطالب صاحب العمل « بأن يقاسم مستخدمه شيئا من ربحه كما تقضي العدالة والذمة والشرائع » [٦] .

ولاشك ان ذلك كله كان دليلا على نضج العمل النقابي حتى في مجال الحرف .

● كان العمال المصريون على احتكاك مستمر - وربما كانوا اكثر فئات المجتمع احتكاكا - بالافكار الاشتراكية والتيارات الثورية التي كانت تموج بكثرة في ذلك الحين وسط العمال الاجانب .

وقد كان العمال الاجانب - بخبراتهم الثورية وثقافتهم وما يتمتعون به من امتيازات - اكثر قدرة على الحركة في بادىء الأمر ، وكان لاحتكاك العمال المصريين بهم اثر بالغ الاهمية في التكوين الفكري والنضالي للعمال المصريين .

● لابد ان نضع في الاعتبار سلسلة الاضرابات العمالية الناجحة التي خاضها العمال ، والاضراب العام الذي نظموه اثناء الثورة ، وقدرتهم على الافلات من التاثير المحافظ لقيادة الوفد في وقت استطاعت فيه هذه القيادة ان تلعب دورا مهيمنا على الحركة الوطنية كلها . وكان أفلات العمال من تاثيرها وتصميمهم على الاستمرار في الاضراب العام ورفع شعارات ومطالب عمالية : كل ذلك كان بغير شك دليلا على قوة الطبقة العاملة واستقلاليتها ونضجها الى حد ما .

● ومع ذلك فانني لا اسمح لنفسي بالمبالغة في دور الطبقة العاملة ، وفي طاقاتها في ذلك الحين فهي لم تكن قادرة على ان تلعب دورا قياديا خاصة في ظروف افتقادها الى حزب قائد والى فكر ثوري، ولقد ظلت قيادة الثورة بغير شك في يد الفئات العليا التي يمثلها الوفد وظل الفلاحون هم جيش الثورة الاساسي .. لكنني وبالرغم من ذلك اعتقد ان التقليل من الدور العظيم الذي لعبته الطبقة العاملة في الثورة هو خطأ جسيم .

فليس بامكاننا ان نسهم أو حتى ان ننجرف الى التيار السائد بين مفكري البرجوازية والذي يحاول تجاهل هذا الدور ، ولابد لنا من ان نبذل مزيدا من الجهد لابرازه دون مبالغة .

مرة أخرى ، اني شاكر للدكتور اسماعيل صبري عبدالله اهتمامه بالتعليق على مقالي ، وشاكر له انتقاداته فقد كانت فرصة لمزيد من الايضاح .

■■■

هل نحاكم الماضي بمعايير الحاضر ؟

طارق البشري

في العدد الماضي ، كتب الاستاذ **ابو سيف يوسف** تعليقا على مقال « سعد زغلول .. وفكره السياسي » الذي نشرته لي الطليعة في ذات العدد . ولي على هذا التعليق عدة ملاحظات :

أولا : رأى الاستاذ ابو سيف ان المقال وضع فكر سعد زغلول في اطار صارم من فكر الاستاذ الامام محمد عبده لايكاد يتجاوزه .

والصحيح - كما يبدو - ان المقال عني باظهار الصلة الفكرية بين سعد وأستاذه من خلال علاقتهما وكتابات بعض المعاصرين لهما ، ثم من

(٥) امين عز الدين - تاريخ الطبقة العاملة ص ٦٢ .
(٦) المقطم ١٩٠١/١١/٥ .

خلال الاستعراض للتوافق بين مواقفهما السياسية مدة حياة الامام ، والتوافق بين الفكر السياسى الذى دعا اليه محمد عبده ومواقف سعد زغلول • وكان هذا محاولة لتكشف العمق الفكرى لسعد زغلول بوصله بأقرب تيار فكرى له ، وذلك فى ظروف لم يحفظ التاريخ لنا منها نصوصا تحدد السمات الشخصية لفكر سعد بما يميزه عن اتجاه الاستاذ الامام رغم الاتفاق الاساسى بينهما الذى شهد به معاصروهما والذى يظهر من متابعة مواقفهما السياسية والفكرية • وقد جهد المقال الا ينقل الى القارىء حكما مجردا ، وحاول ان يشير فى اى مناسبة الى اقوال محمد عبده واقوال سعد زغلول او مواقفه ، ليضع امام القارىء صورة عن الموضوع ، وليكون القارىء هو من يقرر،هل مايفترضه المقال من تشابه بين فكر الرجلين صحيح مشهود به أم غير صحيح أم يعوزه الدليل ، ومامدى التشابه بينهما •

ومن جهة ثانية ، يبدو ان « التعليق » لم يلحظ انه بعد وفاة الشيخ محمد عبده ، تطور فكر سعد زغلول الى مايجاوز فكر الامام وفكره هو نفسه من قبل ، وذلك بعد خوضه تجربة الاشتراك فى الوزارة وزيرا للمعارف ، وبعد تبنى الانجليز سياسة الوفاق مع الخديو ، وازداد هذا التجاوز لفكر الامام وضوحا مع زيادة التقارب بين الانجليز والخديو ، وبلغ قمته باستقالة سعد وبمواقفه فى الجمعية التشريعية ثم بفرض الحماية البريطانية على مصر • ويبدو لى ان المقال لم يكن غامضا فى تتبعه لهذا الخط ، وقد ذكر المقال ان محمد عبده توفى « قبل ان يعلم ان الوجود الانجليزى هو سند حكم الخديو الاستبدادى رغم الاختلافات الثانوية ، وهو العائق ضد تمصير مؤسسات الحكم وتطويرها ديمقراطيا ولو بالاسلوب التدريجى •• » [ص ٤١] كما ذكر ان محمد عبده الذى لاحظ الانقسام فى المجتمع بين المؤسسات التقليدية والحديثة فى الفكر والتعليم « لم يلحظ ان علاج هذا الامر مهمة سياسية خليقة بان تلقى معارضة كل من السلطتين الشرعية [الخديو] والفعلية [الانجليز]» [ص ٤٨] وان سعدا الوزير فى سعيه لاصلاح التعليم حسب مبادىء الامام وجد المقاومة من السلطتين ، ويظهر من السياق ان هذين القولين هما منتجارب سعد زغلول فى حياته السياسية بعد وفاة الامام ، وانها تجارب خطت بفكر سعد الى ما يجاوز استاذه . ثم ذكر المقال ، من مواقف سعد فى الجمعية التشريعية اعتراضه على توسيع سلطة مجالس المديريات باعتبارها تضليل بالديمقراطية ، وان كان موقفه هذا « يحمل ذات الابعاد عن منهج الاصلاح الديمقراطى التدريجى الذى نادى به الشيخ محمد عبده » • [ص ٥٢] • ويظهر بهذا جميعه ان سعدا تخطى الشيخ محمد عبده بالنسبة للموقف من الانجليز وبالنسبة للاصلاح الاجتماعى وبالنسبة لمبدأ الاصلاح التدريجى ذاته • وبهذا يبدو من المقال ـ على عكس مايذكر التعليق ـ أن سعدا الذى قاد ثورة ١٩١٩ كانت له « افكاره الخاصة ، واجتهاداته عن اهم القضايا التى طرحتها الحركة الوطنية فى عصره » • وهى ما حاول المقال ان يلخصه فى النقاط الاربع الواردة بآخره •

ثانيا : اقتطف «التعليق» من المقال عبارةعن دور سعد فى ثورة ١٩١٩ هى انه « كان مؤهلا لان ينفتح على الحركة الشعبية ويستوعبها وان ينفتح على التيارات الوطنية والديمقراطية المختلفة » • وفهم من هذه العبارة ان المقال يقصد ان سعدا انفتح على التيارات المعبرة عن مصالح الكادحين فى مصر ، اى على الفكر الاشتراكى • والحقيقة ان هذا الفهم غير دقيق ، وان العبارة السابقة قد اقتطفت بشكل مبتسر ، وقد تلاها فى المقال مباشرة « •• وأن يجعل الكتلة الكبيرة منها ترضى به وتلتقى عنده وان يسلك سبيلا يراعى به جوانب الاتفاق فى الحركة الوطنية ويبلورها ويعبر عنها •• » واتصال العبارة ، يظهر المعنى الذى قصدته فى المقال ، وهو عكس مافهمه التعليق • والمقصود بانفتاح سعد على التيارات المختلفة ، لا يعنى انه يتبناها كلها فى تناقضها ، ولكن انه يدخلها جميعا فى حساباته السياسية مراعيا جوانب الاتفاق بينها ليبقى على الكتلة الكبيرة من الجماهير تجمعها حول مطلبى الاستقلال والحرية ، حذر ان يؤدى الخلاف الى تشتتها •

وهذا مسلك اىزعيم ذى اصالة وفهم يحرص فى سياسته العملية على ان يكون قوة مجمعة ، يحرص على ان يركز على اضعف الحلقاتوان يحشد لها كل مايمكن من طاقة . واذا كان من « المثالية » القول بان سعدا كان يتبنى الفكر الاشتراكى ، فان هذا القول لم يرد بالمقال ، انما ماورد به هو معنى عملى محدد على ماسبقت الاشارة •

ثالثا : بعد ذكر ماتقدم ، تظل هناك النقطة الاساسية ، وهى الخلاف بين « المقال » و « التعليق » حول تقدير ثورة ١٩١٩ ، وهل كان المطلوب تاريخيا منها ان تنادى بالثورة الزراعيةوبتحرير فقراء الفلاحين، أم ان ذلك كان يخرج عن حدود الممكنات التاريخية المتاحة فى ذلك الوقت • ويبدو لى انه من المثالية

اتهام ثورة ١٩١٩ بتقصيرها فى هذا الجانب ، وانه نوع من محاكمة الماضى بمعايير الحاضر مع اختلاف الظروف التاريخية • ويصعب ان نجد حركة وطنية قامت فى ذات الفترة منادية بالثورة الزراعية. بل يصعب ان نجد حركة وطنية اخرى قامت وقتها ونجحت ضد الاستعمار نجاحا حاسما ، او رفعت شعارات وطنية تتجاوز الشعارات التى رفعتها ثورة مصر • وحتى الحركات الشيوعية التى قامت وقتها فى البلاد المستعمرة والتابعة وطالبت بالثورة الزراعية فى اطار الحركة الوطنية الديمقراطية ، لم تستطع ان تظفر بنصر حاسم الا فى بعضها ، وكان هذا قبل الحرب العالمية الثانية • وحتى بعد الحرب العالمية الثانية وجدت حركات وطنية اصيلة اكدت على جانب الاستقلال وحده ، ولم تنتقل الى غيره فى المجال الاجتماعى الا بعد تحقيقه ، كما حدث فى الجزائر قبلا . وثورة شعب فلسطين اليوم تكتسب اصالتها الثورية من حرصها على الا تشتت جهودها فى غير مايفيد معركة التحرير الوطنى من قضايا المستقبل الاجتماعية • واذا كان حجة هذه الثورات المعاصرة انها تواجه عدوانا شرسا يهدد الوجود القومى او البشرى للشعب ، فحجة ثورة ١٩١٩ انها حدثت منذ خمسين عاما فى ظروف سيادة الاستعمار فى العالم وضعف النمو الصناعى والحضارى فى الداخل وغير ذلك من العوامل •

ومن جهة ثانية ، لم تطالب الثورة بالغاء الامتيازات الاجنبية فورا ، رغم قيام الشواهد الدالة على حرص قادتها على الغاء هذه الامتيازات مستقبلا باعتبار أن الغاءها صنو للاستقلال • وكان عدم المطالبة بالغائها فورا ، اساسه الحرص على عدم تأليب الدول الكبرى ، وعلى محاولة الاستفادة من الصراعات بينها وبين بريطانيا ، وكان هذا فى وقتها موقفا سليما . فاذا كان ذلك هو الوضع القائم حينئذ ، فهل كان من الممكن تاريخيا وقتها المناداة بالثورة الزراعية وضرب كبار الملاك المصريين ، فى وقت لاتستطيع فيه الحركة الوطنية ان تلغى امتيازات الاجانب حتى بغير المساس باموالهم ومؤسساتهم العاملة فى الاقتصاد المصرى ؟

واذا استفتينا خبرتنا التاريخية ، لوجدنا ان الغاء الامتيازات بدأ سنة ١٩٣٧ ، وتم سنة ١٩٤٩ • ولم يبدأ الاصلاح الزراعى الا سنة ١٩٥٢ • وانه بعد ١٩٥٢ كانت تصفية المصالح الاجنبية وتأميم المؤسسات الصناعية، اجنبية كانت او مصرية ، كانت اكثر حسما واقل تعقيدا من انجاز الثورة الزراعية • فهل مع هذا يمكن القول بان ثورة ١٩١٩ ، باى معيار من المعايير كانت مطالبة باجراء الثورة الزراعية وتحرير الفلاحين ؟

ان لثورة ١٩١٩ انجاز ديمقراطى هام • رغم مافرض عليه من قيود ، فانه اتاح للشعب قدرا من الحرية احتضن نموه الاجتماعى والفكرى • ويكفى فى هذا ان يقارن بين اسلوب حياة المصريين بعدها وبين اسلوب حياتهم قبلها فى عهد الولاة والخديويين ، وعهد العثمانيين والمماليك ، تكفى هذه المقارنة ليظهر كم كان انجازها زخرا ديمقراطيا . وثورة ١٩١٩ ايضا اقامت الجماعة المصرية على اساس من الوحدة الوطنية ورمت الخلافات الطائفية بعيدا • وهذا مكسب قد لانلتفت الى اهميته اليوم ، لاننا ننعم به وننهل من عينه آمنين انها عين لن تغيض ، ولو كان هذا فقط ما انجزته الثورة لكفى به مغنما •

على ان هذه الامور جميعا ، لاتكفى فيها كلمة من هنا وكلمتين من هناك ، انما تحتاج الى الدراسة الجادة الهادئة ، الصبورة لسائر الظروف والملابسات •

اما وما وصف به التعليق المقال من الاستخلاص « الآلى » او « شبه الآلى » لافكار سعد زغلول من الظروف ، فهذا امر ينبغى ان يترك الراى فيه للقارىء ، لانه يستحيل على الشخص ان يقيم عمل نفسه •



رؤية مؤرخ اشتراكى لحركة التحرر المصرية :

٦ زعماء مصريين

.. فى ألمانيا

يكتب هذا المقال للطليعة الدكتور لوثرراتمان ، مدير معهد الدراسات الشرقية بجمهورية المانيا الديمقراطية . وفيه يعرض رؤيته الاشتراكية لنضال زعماء الحزب الوطنى فى المانيا ضمن محاولاتهم الواسعة قبيل ثورة ١٩١٩ لكسب الرأى العام العالمى الى جانب « المسألة المصرية » برغم كل المصاعب التى وضعها فى طريقهم سلطات المانيا الاستعمارية .

ويستند الدكتور راتمان فى مقاله ، الى المصادر الالمانية نفسها — من صحف وارشيف الدولة الالمانية — مما يكسب المقال أهمية خاصة وجديدة .

شهدت حركة الاستقلال المصرية ، فى تسعينات القرن الماضى ، تقدما هائلا . واصبح **مصطفى كامل** برغم إنه كان فى مقتبل العمر ، ابرز شخصيات هذه الحركة . فمنذ ١٨٩٧ — فى أعقاب الاحتلال البريطانى — قام بتنظيم أول تجمع جماهيرى فى القاهرة . وأصبح المحامون الشبان الممثلين الاول للقوى الوطنية للشعب المصرى (١) .

مصطفى كامل .. «وطريق الخلاص»

وعلى عكس أساليب المساومة التى لجأت اليها الدوائر المحيطة **بعلى يوسف** ، **طالب** مصطفى كامل باستقلال وسيادة مصر وبانسحاب قوات الاحتلال البريطانية دون أية شروط . فقد كتب مصطفى كامل فى ذلك الوقت يقول « .. الاحتلال هو وصمة عار لبلادنا ، واهانة لكل شخص فيها ، وذريعة قصد بها الزعم بعدم قدرتنا على حكم أنفسنا بأنفسنا » (٢) .

وكان مصطفى كامل مقتنعا تمام الاقتناع ، بأن مصر قادرة على بلوغ هذا الهدف البعيد : الاستقلال ، بعد سنوات قليلة ، اذا ما نهجت الطريقين التاليين :

● تعليم المصريين — بدأب — وغرس روح النضال الوطنى فى الامة .

---

(١) من مقال « مصطفى كامل : فكر ونشاط الوطنيين المصريين السياسى » . ل . راتمان — عدد خاص ١٩٦١ ص١٠٢ — ١٢٢ .

(٢) ف . ستيبات : « القومية والاسلام عند مصطفى كامل » برلين ١٩٥٤ ص٨٧ .

● **الاستعانة بتأييد أوربا** *

وقد ذهب مصطفى كامل فى ثقته هذه بأوربا، الى حد أنه كتب مرة الى الرأى العام المصرى يقول « لستم فى حاجة الى بذل جهود خارقة لكى تنقذون الوطن، مادام ذلك نفسه موضع اهتمام اوربا . ان مسئولية المصريين المخلصين لا تزيد كثيرا عن العمل على نشر الحقائق عن بلادهم فى اوربا : الوطن الام، وان يسألونها المساندة، ذلك هو طريق خلاصنا » (٣) .

لقد كان مصطفى كامل يعقد آمالا كبارا على فرنسا . وفى واحدة من جولاته الدعائية المتعددة، قدم الى المانيا حيث وصل فى ١٨٩٦ . وكان يوشك أن يتم الثانية والعشرين من العمر حين نزل برلين لاول مرة ساعيا الى مخاطبة ود الصحافة وبعض الدوائر القيادية فى المانيا . جاء فى حديث له الى مندوب صحيفة « بوست » البرلينية قوله : « وحتى اذا لم أكن أتكلم الالمانية، فان ذلك لا يجعلنى أتردد فى المجيء الى المانيا، الى أولئك الذين يتكلمون بلغة العدالة، وحيث يمكننى استخدام أى لغة يحبونها . وأنى لاثق تماما - فى اننى سوف أنجح فى المانيا فى كسب العطف والتأييد للشعب المصرى » (٤) . وأشار فى حديث صحفى آخر له الى الوعود الكثيرة لحكومة بريطانيا فى الجلاء عن مصر . وفى الاجابة على سؤال لاحد المراسلين الصحفيين عما اذا كانت حركة الاستقلال المصرية تقوم أساسا على العداء للاجانب، قال مصطفى كامل « لا .. لا . اذ يقيم المصريون منذ أيام محمد على علاقات طيبة مع الاجانب . وقد أصبحت هناك علاقات صداقة وطيدة تربط فيما بينهم . ونحن المصريين لم نألوا جهدا لكى نعبر فى صراحة عن تعاطفنا مع أوربا . ودليل ذلك، الشعار الذى رفعه حزبنا الوطنى : « الحرية للجميع .. وحسن الضيافة للجميع » (٥) .

وبعد اقامته الاولى ببرلين، لم ينجح مصطفى كامل فى اجراء المحادثات التى كان يرغب فيها مع المسئولين بألمانيا الاستعمارية . وانما نجح فقط فى اقامة بعض الاتصالات بالصحافة الالمانية وخاصة صحف « برلينر » **تاجيبلات** » و « **بوست** » و « **فرانكفورتر كوريير** » . ولم يلبث ان سعى من جديد الى دعم علاقته ببرلين، عندما توترت العلاقات الالمانية البريطانية بشكل ملموظ بسبب مشكلة ترانسفال، وبسبب تأييد المانيا لتركيا فى حربها مع اليونان، وبسبب خطط المانيا الخاصة باقامة « رابطة قارية » معادية لبريطانيا .

ومن القسطنطينية، وجه مصطفى كامل فى ٢٥ يناير ١٨٩٧، نداء مشهورا الى المانيا من خلال تصريح نشر له فى « **برلينر تاجيبلات** » [٦] ، قدم فيه تحليلا عميقا للمسألة المصرية، انهاه بنداء عاجل الى المانيا يناشدها مساعدة شعب مصر على المستوى الدبلوماسى من اجل استعادة حقه التاريخى فى الحرية والاستقلال . وأسرع بعد ذلك مباشرة الى الذهاب مرة ثانية الى العاصمة الالمانية مارا بفيينا وبودابست . وفى حديث صحفى نشر فى ٩ أبريل ١٨٩٧، فى عدد من صحف برلين الواسعة النفوذ، صرح مصطفى كامل قائلا « **لقد أقامت مصر مدارس شاركت فيها** الاوربيين، لاعداد الشباب وفق النموذج **الاوربى . واستقدمت كثيرا من الرسميين من مختلف بلاد اوربا للعمل فى الادارة المصرية، وفتحت أبوابها للتجارة والصناعة الاوربية . والاكثر من ذلك انها استضافت بكرم كبير عددا غفيرا من الاوربيين . لقد أقامت مصر قناة السويس لتقدم بذلك خدمة هائلة للحضارة البشرية . ولكن، ماذا جنت مصر من ذلك كله ؟ الاحتلال البريطانى ! حقبة من الدمار ! ان المسألة المصرية مسألة دولية بالدرجة الاولى، وتتحمل القوى الدولية كل وفق مصالحها - مسئوليات متساوية فى حل هذه المشكلة** » (٧) .

مجرد عنصر .. للمناورة

وظل مصطفى كامل طوال فترات اقامته المتعاقبة فى المانيا - فى صيف ١٨٩٧ و ١٨٩٩ - يستخدم هذه الحجج . ولكن آمال هذا الوطنى المصرى العظيم المتفائلة فى الحصول على مساعدة أوربا، وخاصة فرنسا والمانيا، لم تتحقق على الاطلاق . فبينما كان الساسة المسئولون فى فرنسا مشغولين بالاعداد لاتفاقية سياسية استعمارية مع بريطانيا العظمى على أثر انسحاب فرنسا من « فاشودا »، ظلت السياسة الالمانية الرسمية المعلنة تجاه مصر - حتى توقيع « الاتفاق الودى » - تعمل على

(٣) نفس المصدر ص٩٥ .

(٤) صحيفة بوست . ١٧ اكتوبر ١٧٩٨ .

(٥) نفس المصدر .

(٦) برلينر تاجيبلات ٢٧ يناير ١٨٩٧ .

(٧) « بوست » ٩ ابريل ١٨٩٧ .

تشجيع ودعم احتلال بريطانيا لمصر، برغم كل التناقضات الانجليزية الالمانية التى كانت تتسع فى مختلف انحاء العالم (٨) . ففى هذه السنوات لم تعد المسألة المصرية من وجهة نظر الحكومة الالمانية، تمثل عنصرا للضغط والمساومة مع بريطانيا، كما كانت تستخدمها من قبل لتغطية أعمال التوسع الالمانى الاستعمارى فى افريقيا، جنوب الصحراء . بل أصبحت أهميتها الاساسية من وجهة النظر الرسمية الالمانية، تكمن فى استخدامها كعنصر فى سياستها الخارجية لتغذية التناقضات الفرنسية الانجليزية من خلال العمل على خلق تقارب المانى بريطانى . وكان هذا الاتجاه السياسى الرسمى لدى المانيا ازاء مصر، يقتضى باديء ذى بدء، عدم التعاطف مع الوطنيين المصريين .

وقد أدت هذه السياسة الالمانية الى رد فعل واسع من اليأس الكامل لدى الوطنيين المصريين، يماثل رد الفعل الذى أحدثه توقيع الاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا فى ١٩٠٤ . وقد كتب مصطفى كامل فى ذلك الوقت يقول : « **لقد كنا مقتنعين تماما، من ان الحضارة الاوربية تقوم فعلا على مباديء من العدالة والمساواة الحقيقيتين . كنا نؤمن بذلك بغير حد، ولكننا خدعنا، فقد اتضح لنا أن الحضارة والانسانية ليستا سوى مثل يتحدث عنها ساسة أوربا لتغطية أهدافهم الاستعمارية .**

الا تؤمنون أن المصريين بشرا ؟

أليس للانسان الذى ولد فى افريقيا نفس الحقوق التى يتمتع بها الاوربيون ؟ هل من الجرم أن يكون الانسان أفريقيا ؟ » (٩) .

وبعد عام ١٩٠٤، نمت المعارضة فى مصر ضد قوات الاحتلال بشكل مضطرد . وكان تأسيس الحزب الوطنى فى ١٩٠٧ دليلا ملموسا على نمو هذه المعارضة، فقد قامت العناصر المحيطة بمصطفى كامل وبجريدة « اللواء » بتأسيس هذا الحزب على أساس المطالبة بالجلاء التام وباستقلال مصر، وتم انتخاب مصطفى كامل رئيسا للحزب مدى الحياة .

لكن الجهد الذى بذله مصطفى كامل منذ فترة مبكرة من حياته، أثر على صحته وأسلمه الى المرض العضال . ولم يلبث أن مات بعد شهور قليلة من انعقاد المؤتمر الاول للحزب الجديد : الحزب الوطنى . وتحولت جنازته الى دليل جديد على اصرار الشعب المصرى على المطالبة بالحرية . وكان لهذا الحدث الجلل، انعكاساته الهامة الداخلية والخارجية، فقد صودرت الصحف الوطنية ووضع عدد كبير من قادة الحزب الوطنى تحت المراقبة، ونفى البعض الاخر منهم الى الصحراء أو الى خارج البلاد .

فى ذلك الوقت، اكتسبت حركة الوطنيين المصريين المقيمين فى الخارج، أهمية خاصة .

وبعد أن كفت فرنسا عن تأييد حركة الاستقلال المصرية، ثم وقعت الاتفاق الودى مع بريطانيا العظمى، اعتقد قادة الحزب الوطنى أن تدعيم العلاقات فيما بين مصر والامبراطورية العثمانية، سوف لا يحمى مصر فحسب من أن تضمها بريطانيا، وانما سوف يفتح الابواب أيضا أمام احتمالات استمرار الحصول على مساعدة المانيا الاستعمارية التى كان نفوذها يتزايد بشكل مستمر لدى القسطنطينية، وكانت تعارض بشدة مزاحمة بريطانيا لها فى صراعها من أجل السيطرة السياسية والاقتصادية .

وقد ظلت هذه الامال تداعب أحلام الوطنيين المصريين، عندما عقدوا مؤتمرهم الوطنى فى بروكسل فى ٢٢ ـ ٢٤ سبتمبر ١٩١٠ (١٠)، وحضره وفد من المانيا بينهم الدكتور **ويجلت** المستشار القانونى لبنك دويتش (١١) . كما بعث الرايخ الالمانى بتحياته التى حملها الى المؤتمر البروفيسير **هاوبتمان** عضو الرايشستاخ والناطق الرسمى باسمه (١٢) .

محمد فريد .. والرؤية الجديدة

وفور انتهاء المؤتمر، ذهب **محمد فريد** ـ خليفة مصطفى كامل ورئيس الحزب الوطنى الجديد ـ الى برلين لمدة أسابيع عديدة ليبدأ مرحلة جديدة

---

(٨) ل. راتمان . «سياسة الاستعمار الالمانى تجاه مصر قبل الحرب العالمية الاولى » . المجلد الثانى ـ برلين ١٩٦٠ ص٧٣ ـ ٩٩ .
(٩) ف . ستيبات . المرجع السابق ص١٠١ ـ ١٠٤ .
(١٠) راجع الوثائق التاريخية عن هذا المؤتمر المنشورة بهذا العدد (الطليعة) .
(١١) نفس المصدر .
(١٢) نفس المصدر .

من نشاط الوطنيين المصريين السياسى فى ألمانيا • ومن خلال الاجتماعات التى نظمتها هيئة أعضاء بنك دويتش (١٣)، نظم محمد فريد عددا من المناقشات مع ممثلين رسميين لوزارة الخارجية الالمانية • كما أجرى أحاديث صحفية مع كبريات صحف العاصمة الالمانية • وفى اجابته على سؤال لمندوب **برلينر تاجيبلات**، اشار الى أساليب الحزب الوطنى قائلا : « **أننا نركز جهودنا على تعليم الشعب المصرى • كما أسسنا نقابات عمالية فى المدن • وتعلم العمال القراءة والكتابة فى المدارس الليلية • وأسسنا نادى للطلبة • وبالاضافة الى ذلك أسس الحزب جمعيات تعاونية زراعية وبنوك تعاونية كذلك • وأود أن أؤكد بوضوح ان الحركة المصرية الفتية لا يغلب عليها الطابع السياسى فحسب، وانما هى أيضا فى نفس الوقت حركة اجتماعية واقتصادية** » • (١٤)

وفى أكتوبر ١٩١١، عاد محمد فريد مرة أخرى الى ألمانيا • وفى هذه المرة حاول عبثا الحصول على تصريح من السلطات الحكومية فى ألمانيا لعقد المؤتمر الثانى للحزب الوطنى فى برلين • ومنذ عام ١٩٠٨ وحتى وفاة محمد فريد فى ١١ نوفمبر ١٩١٩، أصبح **محمد لبيب محرم** – أحد مؤسسى الحزب الوطنى وأقربهم الى مصطفى كامل – واحدا من أبرز المصريين الوطنيين فى الحزب الموجودين فى ألمانيا فى ذلك الوقت • وعمل الدكتور محرم على اثارة المسألة المصرية فى الصحافة الالمانية أكثر من مرة • فكتب عن أساليب الحزب الوطنى، مقالا نشرته صحيفة **برلينر زايتونج**، يقول :

« ان مصر الفتية لا تفكر فى انقلاب ثورى مسلح كما أنها لم تفكر فى ذلك من قبل • فنحن متأكدون من اننا لا نستطيع أن نحارب بريطانيا بالسلاح • ولكننا نستطيع أن نبلغ أهدافها – فقط – بشن صراع تستخدم فيه أسلحة المثقفين من الثقافة والعلم » • (١٥)

ومرة أخرى، ذهبت كل هذه الجهود عبثا •

وحتى فى هذه المرحلة الحادة من الصراع، لم تعد ألمانيا الاستعمارية تقدم مساعدة ايجابية للوطنيين المصريين • وفى أعقاب توقيع الاتفاق الودى بين فرنسا وبريطانيا مباشرة، نهجت ألمانيا نهجا واضح العداء لبريطانيا فى السياسة الخارجية • ولم تعد تقدم أى تأييد علنى للاحتلال البريطانى فى مصر • وسعت الدبلوماسية الالمانية لمنع بريطانيا من فرض حمايتها على مصر • ولم يكن مرد هذا التغيير فى الخط العام للسياسة الالمانية، التعاطف مع حركة الاستقلال المصرية، وانما كان تعبيرا عن مصالح ألمانيا وصراعها من أجل اعادة تقسيم العالم • وكانت ألمانيا تأمل – من خلال علاقاتها بالقسطنطينية – فى أن تجد طريقا يمكنها من السيطرة على النيل •

الخطأ الفادح •• فى نظر ألمانيا

ويتضح مما نشر فى الصحافة البورجوازية الالمانية خلال السنوات ١٩٠٨ – ١٩١٤ حول المسألة المصرية، أن المطالب الشرعية للوطنيين المصريين، لم تكن تحظى بموافقة المسئولين فى ألمانيا، باستثناء بعض الدارسين المستشرقين البارزين فى كتاباتهم • ومثال على ذلك ما نشر فى « **بريوبيش (كرويز) زايتونج** » فى ٧ مارس ١٩٠٧، ويقول : « **ربما كان محتملا أن نرصد عددا من الاخطاء لادارة اللورد كرومر لمصر • ولكنه سيكون خطأ فادحا أن يمنح مصر حكما ذاتيا وفق ما يطالب به الوطنيون المصريون** » ! (١٦) •

وقد جاء فى التقرير الرسمى الذى قدمه فى ٢٤ أبريل ١٩١٣ – الهر **فون فالكنهاوسن** – القنصل العام للرايخ الالمانى فى القاهرة ومخطط السياسة الخارجية الالمانية تجاه مصر – عندما بعث بتقرير « سرى للغاية » الى المستشار الالمانى تبهمان هولويج تقول فيه « من البدهى انه فى **البلد الذى يميل سكانه الى الخمول وعدم الدقة والافتقار الى الاخلاص، بسبب التحلل الذى فرضته العوامل التاريخية الاخرى**، سوف يكون تحسين الوضع الاقتصادى بطيئا وتدريجيا • ان الانحطاط التام الذى بلغه المصريون، يمنعهم من بلوغ درجة النضج التى تسمح لهم بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم دون وصاية أوربا • **ولهذا يجب أن يحذر المرء من الانزلاق الى مواقف يسهم بها فى حماقات يروجها بعض المتحمسين للشرق، وأن يتجنب تصديق مايرددونه من ان المصريين معنيين حقا بتغيير الاوضاع الراهنة** »

وأثناء الحرب العالمية الاولى، تزايد نشاط الشبان الوطنيين المصريين فى ألمانيا • **وكانوا يأملون فى أن يؤدى انتصار القوى المناوئة**

---

(١٣) عبد الرحمن الرافعى « كتاب محمد فريد » – القاهرة ١٩٤١ ص٢٣٩.
(١٤) برلينر تاجيبلات ١٠ نوفمبر ١٩١٠، الطبعة المسائية .
(١٥) ل . راتمان . سياسة ألمانيا تجاه مصر . المرجع السابق . ص ٧٣ – ٩٩
(١٦) بريوبيتش [كرويز] زايتونج ٧، مارس ١٩٠٧.

لبريطانيا الى تحرير بلادهم وتأسيس دولة مصرية مستقلة . وخلال هذه السنوات كان ابرز المتحدثين منهم :**محمد فريد ، والدكتور منصور رفعت** - رئيس جريدة اللواء السابق ومؤسس نادى الوطنيين المصريين فى جنيف والذى أقام فى برلين بعد نفيه من سويسرا (١٧) .

وبمجرد انفجار الحرب العالمية الاولى كون ممثلو الحركة الوطنية المصرية المقيمين بألمانيا « اللجنة الوطنية المصرى » التى نظم محمد فريد باسمها عددا كبيرا من المحادثات مع ممثلى وزارة الخارجية الالمانية والمكتب السياسى للادارة العامة ، مثلما حدث فى ديسمبر ١٩١٤ ويناير ١٩١٦ ومارس وسبتمبر ١٩١٧ ، وقد طالب محمد فريد خلال هذه المحدثات ، أن تصدر ألمانيا تصريحا رسميا يمنح مصر الاستقلال مقابل الدعاية لتأييد الكتلة الالمانية التركية . كما قدم **محمد فهمى** - رئيس لجنة الشباب المصرى فى أوربا - طلبا بتحقيق السيادة لمصر فى خطاب مفتوح بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩١٥ أرسله الى رئيس وزراء بريطانيا (١٨) . وفعل ذلك ايضا **منصور رفعت** فى خطاب له بتاريخ ٩ نوفمبر ١٩١٦ بعث به الى امبراطور ألمانيا وحكومات النمسا والمجر وبلغاريا وتركيا (١٩) . وجاء ذلك ايضا فى نداء وجهه محمد فريد فى ١٩ ديسمبر ١٩١٧ الى حكومات كل دول العالم (٢٠) .

برقية الى مؤتمر السلام

وجاء فى العريضة المعروفة التى وجهها فى يناير ١٩١٨ محمد فريد باسم زملائه الى مؤتمر السلام فى **بريست ليتوفسك** (٢١) - بعد اسابيع قليلة من النداء التاريخى الذى وجهه **لينين** الى جميع الامم يتشرف اعضاء الحزب **الوطنى المصرى ، المجتمعون فى برلين بأن يلفتوا أنظار المؤتمر الى ضرورة تحرير مصر على أساس من المبدأ القومى الذى أقرته كل القوى . ولقد وقع السوفيت بكل اجلال على هذا المبدأ فى بطرسبرج . ان مصر لتؤمن بأن مؤتمركم بتصميمه على أن يضع نهاية للحرب وأن يمنع أى تكرار لهذه المذبحة المروعة ، سوف يعترف بحقوقها الطبيعية التى لاتنازع** » (٢٢) .

وبالاضافة الى هذا ، أخذ الوطنيون المصريون على عاتقهم - حتى أثناء فترة الحرب - مهمة العمل من خلال الصحافة الالمانية لكسب الرأى العام من أجل ايجاد حل للمسألة المصرية . ونسوق فى هذا الصدد بعض المقتطفات من مقال كتبه محمد فريد بعنوان « **مصر والمبادىء القومية** ! ، فيقول « يمكن القول بأن الامة المصرية قد أكدت أنها تمتلك كل مقومات الامة . ومن ثم فاننا نطالب بأن نمارس حقنا الطبيعى فى الحكم الذاتى . ونأمل أن تعاملنا أوربا كأمة حرة لا كعبيد طبعوا على الاستعباد . اننا نطالب بأن نمثل فى مؤتمر السلام القادم لتوضيح قضيتنا العادلة ضد أطماع الامبرياليين . ولسوف يشرق فجر الحرية على افاق كل الامم المضطهدة » (٢٣) .

مصر .. فى المخطط الالمانى

وفى خطط الحرب التى وضعها خبراء السياسة الالمان للشرق ، احتلت مصر مركزا مرموقا حيث خططوا لجعل حوض النيل على خط حدود منطقة النفوذ الممتدة فى آسيا وأفريقيا التى يزمع الاستعمار الالمانى اخضاعها لسيطرته على أن تستبدل الحكم البريطانى بسلطة حكم ألمانى - تركى . ولهذا عمل ضباط ألمانيا - منذ سبتمبر ١٩١٤ حتى خلال فترة الحياد الذى اتخذته تركيا فى البداية - بنشاط واسع فى فلسطين لاعداد الهجوم على مصر . (٢٤) كما حاولت الادارة السياسية بالقيادة العامةللجيش مع وزارة الخارجية الالمانية ، تنظيم أعمال الشغب والتمرد بين صفوف الشعب المصرى ضد بريطانيا . وأعطى خديو مصر ٤ ملايين فرنك ذهب بهدف أن يقوم بأعمال التمرد ضد بريطانيا تحت أعلام « الحرب المقدسة » . [٢٥] وقد كانت نفس هذه الخطط ، موضع مناقشات جرت مع اللجنة الوطنية المصرية القائمة فى برلين . وفى فبراير ١٩١٥ ، وبرغم كل

---

(١٧) فوسيسن زايتونج ٢٣ ديسمبر١٩١٦ .
(١٨) فوسيسن زايتونج ١٤ ديسمبر١٩١٥ .
(١٩) برلينر فولكنس زايتونج ٩ نوفمبر١٩١٦ .
(٢٠) برلينر نيوست ناشرشتين ٢٠ديسمبر ١٩١٧ .
(٢١) فوسيسن زايتونج ٤يناير ١٩١٨
(٢٢) فوسيسن زايتونج ٢٣ ديسمبر١٩١٧ . ومقال محمد فريد عن « الحركةالعربية »بجريدة برلنرنيوست ناشرشتين فى ٢٤ مارس ١٩١٧ .
(٢٣) ل. راتمان (اتجاه الغزو فىالشرق الادنى ١٩١٤ - ١٩١٨) . برلين١٩٦٣ . ص ١١٩ - ١٢٤ .
(٢٤) س . موهلمان (اخوة السلاحالالمانية التركية فى الحرب العالمية)ليبزج ١٩٤٠ . ص ٤٦ .
(٢٥) ف . فيشر . (اغتصاب العالم)دوسلدورف ١٩٦١ ص ٢٨٦ .

هذه الاعمال التمهيدية ، باء الهجوم الالمانى التركى على قناة السويس بالفشل الذريع . لكن المحاولة الثانية أعد لها بشكل أفضل . فقد أرسلت بناء على تصريح من [باشا] فلسطين - وبأمر من وزارة المستعمرات للرايخ الالمانى - بعثة استعمارية بقيادة الميجور **روشس شميدت** الى الحدود المصرية لاستطلاع احتمالات عن هجوم المانى تركى جديد . وكان الزحف لاحتلال مصر « يمثل اهمية عظمى لا لاضعاف مركز بريطانيا الدولى فحسب بل ولوضع خطط حكومة ألمانيا الاستعمارية فى التطبيق » كما جاء فى المذكرة التى رفعها شميدت الى وزارة المستعمرات .

وتكشف هذه الخطط بوضوح ، لماذا لم يكن ممكنا أن تعطى ألمانيا وعدا رسميا باستقلال مصر . ولماذا ذهبت عبثا جهود محمد فريد لدى وزارة الخارجية الالمانية للاحتجاج ضد تطلع حكومة تركيا الى الابقاء على مصر كمجرد اقليم من أقاليم الامبراطورية العثمانية بعد الحرب . فقد كتب محمد فريد الى صحيفة « **داجبلاد** » التى تصدر فى استوكهلم يقول « من المدهش ألا تشير صحف دول المحور الى مصر مطلقا أثناء مناقشاتها لقضايا السلام عامة أو بالتفصيل . »

مطالب مصر فى بيان

وفى السنوات التى أعقبت الحرب العالمية الاولى مباشرة ، بلغ النشاط السياسى للوطنيين المصريين فى ألمانيا ، قمته ، حيث دعموا قواهم فى « اللجنة المصرية للدفاع الوطنى » . ورفعوا أصواتهم مدوية بالاحتجاج ضد تمسك بريطانيا بالحماية على مصر . نشرت اللجنة بيانا بتوقيع « **منصور رفعت** » جاء فيه « لقد أثبت المصريون للعالم ، مرة أخرى ، أنهم لن يفرطوا فى حقوقهم الطبيعية التى لاتنازع . وأنهم سوف يجبرون بريطانيا على أن توفى بالتزاماتها ووعودها بالرحيل عن البلاد » .

وفى ٢ ابريل ١٩١٩ ، طالب محمد فريد باسم اللجنة ، مؤتمر الصلح المنعقد فى باريس :

١ - الاعتراف بالاستقلال التام لوادى النيل .

٢ - الموافقة على حضور ممثلين منتخبين عن مصر ، لمؤتمر الصلح .

٣ - الافراج فورا عن الوطنيين المصريين المسجونين لاسباب سياسية .

وبعد ٥ أيام ، طالب محمد منصور رفعت ، فى برقيات بعث بها الى قرينة الرئيس الامريكى ويلسون والى البابا والى رؤساء حكومات الدول المحايدة فى الحرب ، برفع أصواتهم من أجل استقلال مصر ودعوة بريطانيا لان توقف أعمال العنف ضد الشعب المصرى .

وفى ٣٠ أبريل ١٩١٩ ، وجهت اللجنة نداء عاجلا الى مؤتمر الصلح فى باريس ، تقول فيه : « باسم الانسانية ، وباسم العدالة ، وباسم كل ماهو مقدس ، انقذوا الشعب المصرى وأوقفوا أعمال المذابح وامنحوا هذا البلد التعيس حقوقه الطبيعية وحريته . »

وبالاضافة الى ذلك ، نظم أعضاء اللجنة عددا من الاجتماعات العامة فى مختلف مدن ألمانيا . كما حدث فى فندق « **ادلون** » فى برلين فى ٢ ابريل ١٩١٩ . كذلك كانوا يتحدثون عن المسألة المصرية فى لقاءاتهم مع المنظمات الدولية كما فعل **محمد حمزة** فى مؤتمر « اتحاد الشعوب المضطهدة » الذى انعقد فى عاصمة المانيا فى ٨ يونيو ١٩١٩ .

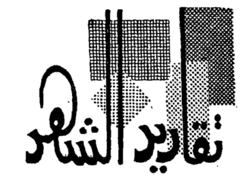
وفى ١٩ سبتمبر ١٩٢٤ ، دعت اللجنة المصرية للدفاع الوطنى فى ألمانيا فروعها **فى هايدلبورج وفيينا وابنسبروك وجراتز** : الى عقد مؤتمر طارىء فى برلين لمناقشة الموقف فى مصر . وقد رأس المؤتمر **محمد أبو الغيط** واتخذ عددا من القرارات رفعوها الى كل ممثلى الدول من الدبلوماسيين فى برلين ، وهى: استقلال وادى النيل ، الدفاع عن قناة السويس وحمايتها مسئولية مصر ، رفض اعطاء بريطانيا امتيازات خاصة فى مصر ، رفض التفاوض مع سلطات الاحتلال طالما بقيت قواته فى وادى النيل . »

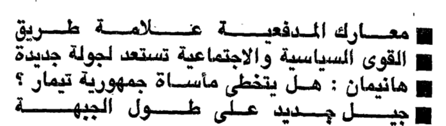
وبسبب هذا البرنامج الراديكالى ، وبايعاز من الحكومة المصرية ، قامت ألمانيا باضطهاد المصريين المقيمين على ارضها بزعم اشتراكهم فى مؤامرة ، وقامت وزارة الداخلية الالمانية باجراء تحقيقات مع أعضاء اللجنة الوطنية للدفاع عن مصر ووضعتهم تحت مراقبة دائمة [٢٦] .

وأمام هذه الاجراءات ، واجه الوطنيون المصريون فى ألمانيا وضعا جديدا لنشاطهم السياسى .

وأود أن أختم هذه السطور ، عند هذا الحد من الاجراءات التى اتخذتها ألمانيا والتى وضعت نشاط امام وضعية جديدة ،وانى لآمل أن اكون قد تمكنت بعد اطلاعى على هذا القدر المتاح من المعلومات - من القاء الضوء على صفحات مجيدة من تاريخ النشاط السياسى للوطنيين المصريين فى ألمانيا وخاصة نشاط مصطفى كامل ومحمد فريد .

(٢٦) « روت فاهن » اللسان المركزى للحزب الشيوعى ٢٤ ديسمبر ١٩٢٤ .كتب عن الجرائم ضد الوطنيين المصريين يقول : « من الواضح ان السلطات الالمانية ، تعاون الاستعمار البريطانى فى اضطهاد الثوريين والوطنيين المصريين. اذ يتعرض الثوريين المصريين المقيمين فى برلين ، بشكل مستمر ، لاعمال الاضطهاد على ايدى البوليس والسلطات الرسمية الاخرى بأمر من الحكومة الالمانية .





- معارك المدفعية علامة طريق
- القوى السياسية والاجتماعية تستعد لجولة جديدة
- هانيمان : هل يتخطى مأساة جمهورية تيمار ؟
- جيل جديد على طول الجبهة

■ **الجمهورية العربية المتحدة :**

« لن نؤخر المعركة عن موعدها الملائم ولو بيوم واحد »

أثار التقرير الذى عرضه الرئيس جمال عبد الناصر ، فى الجلسة الافتتاحية للدورة الثانية للمؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى العربى ، فى ٢٧ مارس ، اهتمام الدوائر السياسية العربية والعالمية . ففى هذا التقرير ، أجاب الرئيس على عدد من الاسئلة الحيوية الهامة وتناول الخطوط العريضة لعملية البناء العسكرى والتحرك السياسى وامداد الاتحاد السوفيتى للجمهورية العربية المتحدة بالسلاح وموقف أمريكا من أزمة الشرق الاوسط .

وتركز الدوائر السياسية العالمية فى اهتمامها بالتقرير على قضيتين هامتين من القضايا التى تعرض لها الرئيس . تتعلق الاولى باشارة الرئيس الى أن مواقف الدول الاربع فى نيويورك فى اجتماعها القادم « سوف تحدد علاقاتها بالامة العربية لسنوات طويلة قادمة » ، وتأكيده على أن أحدا لايستطيع أن يفرض على الامة العربية مايمكن أن تعتبره هذه الامة مجافيا للعدل أو متجنيا على حقوقها الشرعية والتاريخية . وتعهد الرئيس أمام المؤتمر « باننا لن نؤخر المعركة عن موعدها الملائم ولو بيوم واحد » أما القضية الثانية ، فتتعلق بموقف الجمهورية العربية المتحدة من الضربات التى توجهها اسرائيل الى المدنيين العرب حيث قال الرئيس « .. بعد التهجير الان وجه العدو فى كل مرة نيرانه الى المدن الى السويس والى الاسماعيلية لتخريب اكبر عدد ممكن من الاماكن وطبعا لاصابة أكبر عدد ممكن من المدنيين . طبعا هذه هى الحرب وسيأتى اليوم اللى حانرد فيه على ضرب المدنيين بضرب المدنيين » .

ومن أهم المنجزات التى تحققت فى الجانب العسكرى العربى — كما جاء فى تقرير الرئيس — تكوين « القيادة الشرقية » التى ينظر لها العدو الاسرائيلى باعتبارها نقطة تحول هامة فى الجبهة الشرقية للمعركة .

ثم واصل المؤتمر عقد جلساته لمناقشة القضايا المطروحة فى جدول أعماله . وحتى كتابة هذا التقرير لم تكن قراراته وتوصياته قد أعلنت بعد .

وكانت مؤتمرات الاقسام والمراكز والمحافظات للاتحادالاشتراكى ، قد عقدت على امتداد النصف الاول من شهر مارس ، دورتها الثانيـة تمهيدا لعقد الدورة الثانية للمؤتمر القومى العام .

توصيات هامة من المؤتمرات المحلية الى المؤتمر القومى

وكان أهم ما يميز عقد تلك المؤتمرات المحلية التقارير التى طرحت عليها والتى تناولت ـــ من ناحية ـ ما تم تحقيقه فى المجالات السياسية والتنظيمية والتثقيفية وفى مجال الدفاع الشعبى ومن ناحية أخرى طرحت على هذه المؤتمرات بعض المشاكل التى تمس حياة قطاعات واسعة من الجماهير . وجميع هذه التقارير أعدتها اللجان الخمس الدائمة التى تشكلت على مستوى لجان المحافظات ولجان الاقسام والمراكز .

العمل التنظيمى

وقد كشفت المناقشات التى دارت فى كثير من المؤتمرات المحلية حول انجازات العمل التنظيمى خلال المرحلة التى انقضت منذ الدورة الاولى للمؤتمرات ان الجهد الاكبر قد اتجه الى استكمال بناء التنظيم الجديد ، ولتحقيق المزيد من الاستقرار للهيكل التنظيمى ، وذلك عن طريق شغل الاماكن الشاغرة (نتيجة حركة التصعيد بالانتخاب) ، أو بسبب حركة العضوية وتدعيم شبكة الاتصال والبدء فى اعادة بناء منظمة الشباب والتنظيم النسائى .

وأبرزت التقارير التى قدمت مجموعة من السلبيات منها :

● ان النشاط والتحرك السياسى فى المستويات الاعلى لا يقابله بنفس المقدار تحرك سياسى على مستوى الوحدات القاعدية .

● عدم تنفيذ اسلوب للمتابعة والتقييم على كافة المستويات خاصة فيما يتعلق بالمتابعة الميدانية .

● لم تتم ممارسة النقد والنقد الذاتى على كافة المستويات .

● قلة عدد أعضاء اللجنة الاساسية (وهم عشرة) وخاصة فى الوحدات الكبيرة

● استمرار وجود بعض الحساسيات بين لجان الوحدات وبين التنظيمات الجماهيرية المساعدة ، واذا كانت هذه السلبيات قد نقدتها المناقشات ـــ ايضا ـــ حول قضايا التنظيم على أهمية النقاط التالية :

● ضرورة عقد مؤتمرات الوحدات الاساسية فى المرحلة المقبلة لتوسيع قاعدة المشاركة الجماهيرية فى العمل السياسى .

● ضرورة أن يتم تقييم القيادات وفقا لمعايير محددة فى أعقاب تقييم انجازاتها فى العمل السياسى ، وان يستتبع ذلك تنفيذ اسلوب تنزيل القيادات من عضوية لجان الاتحاد الاشتراكى وفقا لنظام تحدده اللجنة التنفيذية العليا .

● ضرورة تنشيط اللجان النوعية الدائمة المشكلة على مستوى المحافظات والاقسام والمراكز وزيادة فاعليتها فى العمل السياسى .

● ضرورة اعمال اللائحة وممارسة اسلوب المحاسبة على أساس لائحة الاجراءات النظامية ـ والتى بمقتضاها تشكلت لجان للتحقيق فى كل لجان الاقسام والمحافظات .

وفى مجال التثقيف السياسى دعت المؤتمرات الى الاسراع باصدار الخطة المركزية للجنة الثقافة والفكر والاعلام باللجنة المركزية والاسراع أيضا باعادة نشاط المعهد العالى للدراسات الاشتراكية والمعاهد الاقليمية .

وأوصى مؤتمر محافظة القاهرة بتعميم الاخذ بأسلوب النادى السياسى بالاقسام ـ كأداة للعمل التثقيفى ، لكى يعمق صلة الارتباط والوحدة الفكرية ووضوح المفاهيم بين قيادات الاقسام وبينهم وبين جماهير التنظيم .

واستعرضت مؤتمرات الاقسام ثم مؤتمرات المحافظات عددا من المشكلات المرتبطة بمطالب الجماهير اليومية فى مجالات الاسكان والتربية والتعليم والصحة والنقل العام واسلوب تحصيل الكهرباء وعدم وصول المياه للادوار العليا وتسديد فواتير التليفون ـ ناقشت المؤتمرات النتائج والحلول التى توصلت اليها المؤتمرات المشتركة بين التنظيم السياسى وبين الاجهزة التنفيذية على مستوى المحافظات . ومن أبرز قرارات مؤتمر

محافظة القاهرة فى هذا الشأن ـ ما تقرر من عقد لقاءات اسبوعية على مستوى كل قسم بين الصف والجنود وحضور امناء الاقسام ومساعديهم ومقررى الشباب ومأمورى وضباط الشرطة لدراسة مشاكل الجماهير ومشاكل الشرطة ، على أن تمتد هذه اللقاءات لتشمل الشياخات السكنية ونقط الشرطة ·

الدفاع الشعبى

وفى المؤتمرات كانت منظمة الدفاع الشعبى من أكثر الموضوعات اثارة للاهتمام والمناقشة ـ وبدون استثناء وجهت كل المؤتمرات **اهتماما واسعا وجديا الى استكمال منظمة الدفاع الشعبى ، وتوفير الامكانيات لها بحيث تتسع لاستيعاب اكبر عدد ممكن من المواطنين الراغبين فى التطوع للدفاع عن مدنهم وقراهم وعن الاهداف الحيوية فيها ، حتى** تتفرغ القوات المسلحة لاداء مهمتها على خط النار ، وحتى تشكل قوات الدفاع الشعبى خطا ثانيا ·

واعلن فى مؤتمر محافظة القاهرة أن القيادة السياسية والعسكرية قد وافقت على **انشاء فصائل اضافية من الجيش الشعبى تعطى مستوى عال من التدريب وتستخدم بتوجيه من القوات المسلحة ·** وان هذا القرار قد وضع موضع التنفيذ فعلا ·

اما الموضوعات الخاصة بالمؤتمر القومى ـ والتى طرحت على مؤتمرات الاقسام والمحافظات فتتضح أهميتها فى انها جاءت حصيلة دراسات ساهمت فيها مختلف المؤتمرات والمستويات ، كما ساهم فيها عدد من المختصين فى كل موضوع · ويمكن أن نلخص أهم الاتجاهات الاساسية حول كل قضية من هذه القضايا على النحو التالى :

قانون العمل

● طالبت المؤتمرات بتوحيد المعاملة بين كافة العاملين فى الحقوق والواجبات الاساسية يستوى فى ذلك العاملون فى القطاع الخاص والقطاع العام والعاملون فى القطاع الحكومى على أن تترك الاحكام التفصيلية لكل قطاع حسب ظروف العمل فيه ·

● **طالبت المؤتمرات بوضع حد أدنى للاجر على المستوى القومى بما يتفق مع نفقات المعيشة ـ وربط الاجر بالانتاج بشرط وضع معدلات أداء للمهن والاعمال التى يؤخذ فيها بهذا المبدأ ·**

● ودعت بعض المؤتمرات الى ضرورة التقريب ما آمكن بين الحد الادنى للاجور والحد الاعلى للمرتبات ـ وضرورة الاخذ بنظام الحوافز المعنوية والمادية · ودعت أيضا الى احاطة الاجور بالضمانات الكفيلة بعدم التحايل لانقاصها ·

● وأوصى مؤتمر القاهرة بضرورة النص فى القانون على الزام المنشأة التى تستخدم مائة عاملة فأكثر أو المنشآت التى تستخدم عاملات فى منطقة واحدة ـ بتوفير دور لحضانة أطفال العاملات .

العلاقة بين المؤجر والمستأجر

قدم مؤتمر محافظة القاهرة ثلاث توصيات رئيسية فى موضوع العلاقة بين المؤجر والمستأجر :

● اتاحة فرص تبادل المساكن للمواطنين الذين يعملون فى أماكن بعيدة عن محال اقامتهم مما يسبب ضياعا للوقت وزيادة فى أعباء الحياة ·

● الغاء شرط الاقامة المستمرة فى حالة التنازل للاقارب لكفالة الاستقرار العائلى وبشرط ألا يكون له سكن آخر .

● رفع نسبة تخفيض قيمة الايجار الى ٥ فى المائة بدلا من ٣ فى المائة فى العقود المبرمة قبل تاريخ العمل بأحكام القانون نظير التزام المستأجر بتحميل قيمة استهلاك المياه فور قيام المؤجر بتركيب عداد لحساب استهلاك المياه بالوحدة السكنية ·

التعاون الزراعى والتسويق التعاونى

وحظى موضوع التعاون الزراعى والتسويق التعاونى للمحاصيل الزراعية بأكبر قدر من الاهتمام فى مؤتمرات الاقسام والمحافظات التى تعيش على الزراعة .

ويكاد أن يكون هناك اجماع فى المؤتمرات على ضرورة توحيد جهة الاشراف على الجمعيات التعاونية وتدعيم جهازها الوظيفى ومتابعة أعمالها شهريا ، وأن يعاد تنظيمها على أساس أن يكون زمام كل جمعية ١٥٠٠ فدان ، وادماج جمعيات الاصلاح الزراعى فى جمعيات الائتمان حتى لا يطبق نظامان فى قرية واحدة ـ وضرورة اعتبار أموال الجمعيات التعاونية أموالا عامة . وتعميم نظام البطاقة الزراعية واعتبارها المستند الاساسى لمحاسبة الزراع ·

وطالبت المؤتمرات بالابقاء على التسويق التعاونى والتوسع فى انشاء مراكز التجميع ، والحد من ارتفاع تكاليف الدودة ، وضرورة صرف ثمن الاقطان

مشاكل الحرفيين ·

● طالبت المؤتمرات بضرورة اجراء حصر شامل للحرفيين ومعرفة احتياجاتهم من الخامات وقطع الغيار ·

● ضرورة قيام جمعية تعاونية لكل حرفة تعمل على توفير المواد الاولية وتسويق المنتجات للقضاء على السوق السوداء والوسطاء ــ وان يكون التعاون الحرفى ضمن قانون التعاون الموجود فى حالة صدوره ·

● ضرورة وجود جهاز متخصص لتمويل الحرفيين (أحد البنوك الحالية) وتشكيل لجنة لتسلم منتجاتهم وتقدير سعرها وتوحيد الاشراف على الصناعات الصغيرة ·

المجالس الشعبية

قدمت المؤتمرات مجموعة هامة من التوصيات بشأن تطوير الادارة المحلية وانشاء المجالس الشعبية ·

● ضرورة التمييز الواضح بين عملية انشاء المجالس الشعبية وبين عملية تطوير الحكم المحلى ·

● اختلفت توصيات المؤتمرات بالنسبة لطريقة تشكيل المجالس الشعبية · طالبت البعض بقصر عملية الانتخاب والترشيح على قيادات الاتحاد الاشتراكى ــ ولكن الاغلبية دعت لان يتم تشكيلها من بين قيادات الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب المباشر لمن لهم حق انتخاب أعضاء مجلس الامة ·

● وطالب عدد من المؤتمرات بتخفيض سن العضوية الى ٢٥ عاما بدلا من ٣٠ لتدريب الشباب على العمل الديمقراطى ·

● طالبت المؤتمرات بتعميم تشكيل المجالس الشعبية على مستوى المحافظات والاقسام والمراكز والقرى ، وعدم قصرها على المحافظات كما هو مقترح ·

● طالبت بعض المؤتمرات بالاخذ بمبدأ تعيين عدد من ذوى الخبرة بينما رفض البعض الاخر هذا الاتجاه على أساس الاستفادة من ذوى الخبرة والتخصص فى مكاتب فنية ·

● وافقت المؤتمرات على ان تكون مكافأة العضو مرتبطة بنشاطه وما يتحمله فعلا من اعباء بسبب عضويته فى المجلس الشعبى ·

وكانت أكثر النقاط اثارة للجدل هى تنظيم صلة هذه المجالس بمستويات الاتحاد الاشتراكى · بعض المؤتمرات اقترح أن يكون رئيس المجلس الشعبى هو نفسه أمين المحافظة أو القسم أو المركز · والبعض الاخر اقترح شرط موافقة لجنة المحافظة على قرارات المجلس الشعبى ولكن اتجاه الاغلبية كان يتمثل فى الاخذ بنفس الضمانات المأخوذ بها فى مجلس الامة ·

ويرى المراقبون أن الجهود التى بذلت فى اعداد المؤتمرات وادارة النقاش فيها ــ تمثل خطوة هامة نحو أسلوب أفضل فى العمل التنظيمى · وهذا ما دعا بعض المؤتمرات للتطلع الى التوصية « **بأنه من الضرورى قبل انعقاد أى دورة للمؤتمر القومى أن يتحسس مندوبوه رأى قواعدهم فى العمل السياسى عن فترة ماضية وآرائهم للفترة المقبلة · لهذا كان من الواجب أن تنزل اللجنة المركزية الى مؤتمرات الاقسام والمحافظات بمشروع تقرير عن انجازاتها فى المجالات المختلفة ، تنفيذا لقرارات المؤتمر القومى العام فى الدورة السابقة** » وذلك حتى تتوفر امكانية ممارسة المؤتمر القومى لرقابة فعالة على نشاط اللجنة المركزية من واقع آراء الجماهير ومواقفها ·

وأخيرا يرى المراقبون ان تجربة شهر مارس التى بدأت بمؤتمرات الاقسام ومهدت لانعقاد المؤتمر القومى العام ، هذه التجربة تتمثل أهميتها فى أنها وسعت نطاق مشاركة الاعضاء فى القواعد فى مناقشة المشكلات الهامة · لكن أهميتها الاساسية تكمن فى انها قدمت توصيات واقتراحات مستمدة من القواعد الجماهيرية · وعلى حركة القيادات والمستويات التنظيمية يتوقف مصير هذه الجهود البناءة ·

■

■ **النزاع العربى ــ الاسرائيلى**

معارك المدفعية علامة طريق

اجمع المراقبون على ان معارك المدفعية التى شهدتها جبهة المواجهة على طول القناة بين الجيش المصرى والقوات الاسرائيلية ، قد فاقت فى ضراوتها كل الاشتباكات التى وقعت منذ حرب يونيو ، وفى اوائل الشهر وقبل اندلاع معارك المدفعية استمر تبادل اطلاق النار لعدة ايام

بالاسلحة الخفيفة على طول القناة . واعلن **أوثانت** بانه اذا ماإستمر اطلاق النار على جانبى القناة فانه يهدد باندلاع القتال على نطاق واسع .

وبالفعل لقد بدأ تبادل اطلاق النار بالاسلحة الخفيفة يتزايد حتى تحول الى معارك المدفعية التى بدأت يوم ٣/٨ ، والتى استخدمت فيها المدفعية الثقيلة والصواريخ وامتدت على طول القناة . وتجددت هذه الاشتباكات العنيفة لاربعة ايام خلال اسبوع واحد .

وقد انزلت قواتنا خلال هذه المعارك خسائر فادحة بالعدو ، اذ دمرت استحكاماته على طول القناة وكبدته ما يقرب من مائة قتيل وجريح .



الشهيد عبد المنعم رياض

وذكرت المصادر العسكرية الاسرائيلية ان المدفعية المصرية صبت خلال تلك الاشتباكات التى جرت فى معارك المدفعية مايزيد عن ٤٥ الف قذيفة مدفع على المواقع الاسرائيلية فى سيناء وقناة السويس . كما اعترف المراقبون العسكريون فى تل ابيب بان المواقع الاسرائيلية على طول خط القناة قد لحقتبها خسائر جسيمة نتيجة لتلك المعارك .

«ولقد كان تعزيز المواقع الاسرائيلية على طول القناة ، هو بالتحديد » ، كما تقول وكالة الانباء الفرنسية «مادفع بالقاهرة الى اتباع سياسة الدفاع الوقائى التى ادت الى اشتباكات المدفعية الاخيرة » .

وصرح الفريق **محمد فوزى** اثناء زيارته للجبهة بأن القوات المسلحة أصبحت الان تمارس مهمة الدفاع الوقائى ، كما اعلن الدكتور الزيات «بأن مصر لا تستطيع المضى فى التسامح تجاه استمرار الوضع القائم ، وتجاه بقاء احتلال اسرائيل لتلك الاراضى » .

وكانت أكبر خسارة منيت بها بلادنا خلال معارك المدفعية استشهاد البطل **عبد المنعم رياض** وهو يقوم بواجبه فى الخطوط الامامية اثناء القتال .

وكان لمعارك المدفعية وما ترتب عليها ردود فعل متباينة فى مختلف الدوائر . ففى اسرائيل هدد كبار العسكريين بالانتقام كما توعد **ايجال ألون**

تعليق

الحضــــور العظيــــم

« غير أن الفتى قد يلاقى المنايا كالحات ولا يلاقى الهوانا »

(المتنبى)

فى ليلة التاسع من مارس خفق قلب مصر بألم وفرح عظيمين . وتذكر الناس على الفور أن هذا القلب لا يخفق بهذه القوة وعلى هذه الصورة الا فى لحظات نادرة ليؤكد الحقيقة القائلة بأن الشعب حى لايموت . هذه الحقيقة التى تكشف عن نفسها ساعة أن يوضع الوطن فيها فوق قمة الخطر ، وعندما تعبر البلاد ذلك البرزخ الذى يفصل بين الحياة والموت .

هكذا ، خفق ــ من قبل ــ قلب مصر ــ وبقوة ــ يوم أن مات مصطفى كامل ، ويوم أن شيعت الامة سعد زغلول . وفى كل مرة ــ وفى هاتين المناسبتين ــ يبدأ الناس بتشييع موكب حزين . لكنهم ماأن يلتقوا حتى يستأنفوا معركة لم تمت الا فى الظاهر ، وحتى يؤكدوا الموقف الثابت لامة باسرها : حب الاستقلال والحياة الحرة الكريمة .

كان حادث ليلة التاسع من مارس يتألف ببساطة من ثلاثة عناصر اولية :

الانسان : رئيس الاركان عبد المنعم رياض ، جنديا مقاتلا وشهيدا .

الزمان : بعد أكثر من عشرين شهرا من ٥ يونيو الكئيب .

المكان : خط الصمود على القنال فى مواجهة الارض المحتلة .

فى الانسان ، عرفت البلاد فى رياض القدوة التى يفتش عنها

الجمهورية العربية المتحدة اذا هى ما استمرت فى قصفها للمواقع الاسرائيلية ، واعربت كل من واشنطن ولندن وروما عن قلقها بسبب تدهور الموقف فى الشرق الاوسط نتيجة لتلك الاشتباكات العنيفة . وكتبت **النيويورك تايمز تقول : « ان هذه الاشتباكات تهدد بخطر تصاعد الموقف الى حرب شاملة فى الشرق الاوسط . وذكرت وكالة الانباء الفرنسية** ان المراقبين السياسيين فى باريس اصبحوا يعتقدون ان الموقف فى الشرق الاوسط يقترب من نقطة الانفجار خصوصا بعد الاشتباكات الضارية التى وقعت على طول القناة » ٠

غير أن رد فعل تلك المعارك كان مختلفا للغاية لدى الرأى العام العربى ٠ فقد أثارت موجة واسعة من الحماس المشوب بالامل فى تحرير الارض المحتلة ٠

كما اثارت هذه المعارك حماس الجماهير العربية فى الارض المحتلة وقطاع غزة ، وضاعفت من قوة نضالهم ضد العدو فخرجت الجماهير فى جميع مدن الضفة الغربية وقطاع غزة تتظاهر بعنف ضد الاحتلال الاسرائيلى وتأييدا لمعارك المدفعية وتحية للبطل الشهيد **عبد المنعم رياض** ٠ وتعالت هتافاتها فى كل مكان « ناصر ٠٠ فتح ٠٠ كلنا رياض » ٠ وأمام تعاظم موجة المظاهرات وعجز البوليس الاسرائيلى عن وضع حد لها اضطرت سلطات الاحتلال الى فرض حظر التجول فى نابلس وغزة والقت القبض على عدد واسع من المواطنين العرب بتهمة الانتماء الى المنظمات الفدائية ٠

ونظم رجال المقاومة سلسلة واسعة من الهجمات على المنشآت الحيوية الاسرائيلية كان أهمها نسف أجزاء من الجامعة العبرية فى القدس ، واذاعت القيادة العامة للجبهة الشعبية تفاصيل العملية التى قام بها رجالها لنسف مبنى الجامعة ٠ كما أعلنت قوات العاصفة أن المدفعية المضادة للطائرات تمكنت من اسقاط أربع طائرات للعدو ٠ وتمكنت قوات المقاومة من قتل عدد كبير من ضباط وجنود العدو وتدمير عدد من سياراته ٠

وفى مواجهة تعاظم النضال الجماهيرى ضد العدو فى الارض المحتلة وتزايد نشاط رجال المقاومة شنت اسرائيل عددا من الغارات على الاردن تحت دعوى تتبع قواعد رجال المقاومة ، كما شنت حملة واسعة من الاعتقالات واعمال الارهاب ، فاعتقلت حوالى ٢٠٠ عربى فى **القدس** بتهمة نسف مبنى الجامعة العبرية ، واعتقلت اعدادا واسعة من العرب فى جميع مدن الضفة الغربية وغزة بتهمة الانتماء الى منظمات المقاومة ، ثم أصدرت احكاما بالسجن على ١٧ عربيا فى غزة لمدة خمس سنوات لكل لتهمة الانتماء لمنظمة فتح ٠

وفى داخل اسرائيل وعلى اثر وفاة **ليفى اشكول** انتخبت اللجنة المركزية لحزب العمال الاسرائيلى **جولدا مايير** لترأس الوزارة مؤقتا حتى اجراء الانتخابات ٠ وقد صرحت عقب اختيارها لرئاسة الوزارة بأنها ستتبع خط الحكومة السابقة فى الاحتفاظ بالاراضى العربية المحتلة حتى يتم التوصل الى سلام عن طريق مفاوضات مباشرة ٠ واعلن **أبا ايبان** أنه لن يكون هناك أى تغيير فى سياسة

مثل الجندى الذى رفض أن تكون الجندية مكاسب وامتيازات تعزل الجيش عن الشعب ٠ وعرف فيه الناس القائد الذى يلازم جنوده ويتقدم الصف ٠ والمواطن الذى أبكته الهزيمة ولكنها لم تقهره وظل يطلب الثأر ، ويسعى وراء النصر ٠

وفى الزمان ، وبعد عشرين شهرا من ٥ يونيو كانت القوى الوطنية والشعبية الاصيلة فى مصر وفى الوطن العربى ، قد اكدت فى أكثر من موقف وفى اكثر من معركة ـ وعلى الرغم من كل محاولات الاعداء فى الخارج والداخل ـ على أنها تملك بالفعل ، وبفضل التضحية والصمود ، كل المقومات التى تمكنها من تجاوز اسباب الهزيمة ٠

أما مكان الحادث فهو ذلك الخط الملتهب خط المعارك الوطنية منذ الاربعينات وبعد تأميم القناة ٠ وهو الان ـ وفى وعى الناس ـ رمز الصمود ، ومنطلق الردع ، بل هو على الاصح خط الصعود المحتوم الى تحرير الارض ٠

فهل كان صدفة بعد ذلك ان يفجر حادث ليلة التاسع من مارس بعناصره الثلاث موقفا وطنيا من الطراز الاول ، اطاره الموكب الحزين وجوهره الحضور الشعبى العظيم ٠

وهل كان صدفة بعد ذلك أن يؤكد هذا الحضور الشعبى نفسه فيتجاوز الشعب اطار الجنازة الى المظاهرة الشعبية الجبارة ، ويحول بقوته النعش الى شعارات وأناشيد واعلام ٠

والواقع أن جموع الشعب عندما ذهبت لتودع عبد المنعم رياض ، عقدت مرة اخرى « مؤتمرها الكبير » واستأنفت الحوار كانت قد بدأته فى ٩ و١٠ يونيو ٠ ولكنها أيضا كانت قد اضافت اليه :

● لقد أكدت الجموع أن الشعب حقيقة ملموسة ودائمة لم

اسرائيل الخارجية فى ظل رئاسة جولدا مايير • وتقول وكالات الانباء أن الخطاب الذى ستلقيه جولدا مايير أمام الكنيست سيتضمن اعتراض اسرائيل على اية محاولات لفرض حل لمشكلة الشرق الاوسط من جانب الدول الكبرى ، كما سيتضمن مبدأ اجراء مفاوضات مباشرة بين العرب واسرائيل ». وفى ٣/١١ قام ابا ايبان بزيارة للولايات المتحدة لاجراء مشاورات مع المسئولين الامريكيين حول أزمة الشرق الاوسط وتنسيق الجهود بين البلدين فيما يتعلق بالسياسة التى يتبعانها ازاء محاولات تسوية الازمة • واعلن **هارولد ويلسون** فى مأدبة عشاء اقامها تكريما لايبان اثناء مروره على لندن فى طريقه الى امريكا « انه يجب على الدول العربية واسرائيل ان تقبل بعض التنازلات المتبادلة فى نطاق قرار مجلس الامن » • وعندما وصل ايبان الى واشنطن صرح بأنه واثق من أن موقف الولايات المتحدة لم يتغير فيما يتعلق بايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط تقوم على ما اسماه باتفاق الاطراف المعنية • **كما صرح عقب اجتماعه بوليام روجرز وزير الخارجية الامريكى « بانه اجرى محادثات خاصة ومفيدة فى اطار الحوار الامريكى الاسرائيلى على نحو ما حدث منذ ٢١ شهرا • وان صفة الاستمرار واضحة تماما فى وجهة النظر الامريكية تجاه الازمة »** • وقال ايبان أن هارولد ويلسون أكد له « أن بريطانيا تفضل التوصل الى تسوية توافق عليها دول المنطقة • وبالمثل توافق امريكا على هذا المبدأ وعلى ذلك فان نصف الدول الاربع الكبرى على الاقل يشاركنا التشاؤم ازاء الحل المفروض » •

وقد صرح **نيكسون** على ضوء الاتصالات التى اجراها مع المسئولين فى رحلته الى أوروبا قائلا « ان الدول الاربع الكبرى لا تستطيع فرض تسوية على العرب واسرائيل وانما هى فقط تستطيع ضمان أية تسوية يتوصل اليها الطرفان عن طريق المفاوضات » • ويكشف موقف بريطانيا وامريكا عن محاولة صريحة للتنصل من قرار مجلس الامن واجهاض اجتماع الدول الاربع الكبرى وتقديم أكبر مساندة ممكنة لاسرائيل فى استمرار سياستها العدوانية ضد الدول العربية • ويجىء تصريح ايبان عقب اجتماعه بنيكسون تاكيدا لذلك حيثما يقول « ان محادثاته مع الرئيس نيكسون قد حققت مزيدا من التقارب بين مواقف البلدين » • ويمتد التنسيق بين اسرائيل والولايات المتحدة من المجال السياسى الى المجال العسكرى فتقدم الولايات المتحدة فى الشهر الماضى مزيدا من الاسلحة الى اسرائيل اذ يتم شحن ٤٥٠ دبابة امريكية من طراز م ٤٨ من المانيا الغربية ، كما **يقوم الجنرال كونواى** القائد الاعلى للقوات الامريكية الضاربة بزيارة اسرائيل ويعقد سلسلة من الاجتماعات العسكرية التى أحيطت بالسرية التامة مع القادة العسكريين هناك • كما تقوم الولايات المتحدة بتدريب ١٢٠ طيارا اسرائيليا على طائرات الفانتوم •

هذا الموقف الامريكى يدفع كثيرا من المراقبين

يضل الطريق ، ولم ينس الهدف الرئيسى المقدس ، وان حضوره الحقيقى يتمثل على الدوام فى اليقظة ضد العدو ، والاستعداد لقبول التضحية بلا حد ، والاستعداد للحركة الايجابية فى اللحظة الحاسمة •

● **وأكد الحضور الشعبى فى جنازة رياض على أن القوات المسلحة انما تعبر بنجاح جسر الثقة واللقاء الضرورى بينها وبين الشعب • وهذا كسب كبير •**

● **وأكدت المظاهرة الوطنية على أن الجماهير وان كانت تحتضن قواتها المسلحة بيد فهى تحتضن باليد الاخرى وباعزاز رجال المقاومة والفداء ، وأنها كانت ستكون معهم ومن حولهم •**

● **لكن الحضور الشعبى الكبير فى موكب رياض قد أكد على أن الموقف النضالى الصميم للجماهير العربيه يتخطى دائما الحدود ليوجه القيادات الوطنية والتقدمية الى الموقف الذى تفرضه المعركة : موقف الوحدة ضد الاستعمار والصهيونية ، وفى هذا أوضح الحضور الشعبى فى جنازة الشهيد أن النكوص عن المعركة مرفوض ، وان اضعاف الجبهات العسكرية امر غير مقبول ، وأن تفتيت الصف الوطنى يجب أن يدان ، وذلك أيا كانت المبررات •**

بهذه اللغة تحدثت جموع الشعب فى جنازة الشهيد ، فكرمته ونفت عن ذكراه واقعة الموت الجزئية وخلدته واعادت غرسه كشجرة طيبة فى الارض الطيبة •

فسلام على عبد المنعم رياض •

((الطليعة))

الى التشكك فى امكانية ونتائج اجتماع الدول الاربع الكبرى وجدواها أو امكانية احراز أى تقدم فى مهمة يارنج . وقد كتبت جريدة **التايمز** تقول « ان فرص عقد اجتماع للدول الكبرى لبحث ازمة الشرق الاوسط لا تزال غامضة ، وكذلك فانه لا يبدو على الاطلاق أن هناك أى أمل فى مهمة يارنج »

ولكن على الرغم من ذلك يبذل الاتحاد السوفيتى وفرنسا وكل الدول التى تهتم باقرار السلم فى المنطقة ، جهودا مضنية لانقاذ الموقف وعقد اجتماع الدول الاربع الكبرى على اساس تنفيذ قرار مجلس الامن حتى يمكن تجنب حدوث كارثة جديدة فى الشرق الاوسط . ويؤكد **ميشيل دوبريه وزير** الخارجية الفرنسية ان عقد المؤتمر الرباعى فى نطاق الامم المتحدة لتنفيذ قرار مجلس الامن امر لابديل عنه . ويعرب **اوثانت** وغيره من المسئولين فى الامم المتحدة عن أملهم فى أن يجتمع ممثلو الدول الاربع الكبرى فى اقرب وقت لبحث أزمة الشرق الاوسط .

وازاء تضاؤل الآمال التى كان يعقدها البعض على اجتماع الدول الاربع الكبرى أو على مهمة يارنج ، بدأت الدول العربية تحركات واسعة على مختلف الجبهات من اجل تعبئة طاقاتها استعدادا لمواجهة ما يفرضه تحرير الارض المحتلة اذا ما فشلت المساعى التى تبذل من أجل التوصل الى حل سلمى على اساس قرار مجلس الامن . فقام الدكتور فوزى بجولة فى أوروبا اجتمع خلالها بعدد كبير من المسئولين وعلى رأسهم **ديجول وفرانكو وويلسون** ،وذلكبهدف شرحتطورات الازمةوالقاء الضوء على موقف الدول العربية وفضح تعنت اسرائيل . كما جرت اتصالات واسعة بين المسئولين العرب فى محاولة لتنسيق الخطط بين كل دول الجبهة الشرقية ومصر والاتفاق على تعزيز الجبهة الشرقية . كما تدور الاتصالات بين الرؤساء العرب بشكل مستمر لتبادل وجهات النظر .

وقد اجتمع مجلس الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية وقرر فى اجتماعه أن تواصل جميع الدول الاعضاء دعم المجهود الحربى فيجميع الجبهات المواجهة للعدو بأقصى ماتستطيع ، وأن تعمل الدول العربية على تعزيز نشاطها السياسى والاعلامى باعتباره عملا مكملا للجهد العسكرى دفاعا عن حقها وان تقدم الدول الاعضاء الدعم الكامل لمنظمة التحرير بتشكيلها الجديد ماديا وعسكريا .

■ **العراق**

مؤتمر الاقتصاديين العرب الثانى

عقد اتحاد الاقتصاديين العرب مؤتمره الثانى فى بغداد فيما بين ٨ و١٣ مارس الماضى . وانعقد المؤتمر تحت شعار : التعبئة الاقتصادية من اجل التنميةوالدفاع الوطنى .وبالفعل التزمت ابحاثالمؤتمر بهذا الشعار الايجابىلتؤكد الارتباط الوثيق بين مقتضيات التنمية الاقتصادية ومقتضيات الدفاع الوطنى ، باعتبار ان تحقيق زيادة مضطردة فى الانتاج لم يعد مطلبا ضروريا فقط من اجل التغلب على التخلف الطويل الامد ،بل ضروريا أيضا لتوفير الموارد اللازمة للمجهود الحربى . وبالتالى حسم المؤتمر منذ البداية مسالة الخيار بين مواصلة التنمية وبين التحول الى ما يسمى اقتصاد الحرب . وكانت نقطة الانطلاق الواضحة هى ان مقتضيات الدفاع القومى تعتبر حافزا اضافيا لبذل المزيد من الجهود فى سبيل التنمية الاقتصادية .

وبعد جلسة الافتتاح التى حضرها رئيس الجمهورية العراقية بدأت جلسات العمل فى المؤتمر . فكانت الجلسة الاولى مخصصة لدراسات تمسح الاقتصاديات العربية : مسح اقتصادى موجز للاقتصاد الثورى ، مسحاقتصادى للجمهورية العراقية ، نبذة عن الاقتصاد المصرىفى تطوره ، تجارة الجزائر الخارجية . وبالطبع لم تكن الصورة شاملة لكل البلاد العربية كما أنه لم توضع الصورة العامة للاقتصاد العربى كاقتصاد متخلف يسعى فى بعض اجزائه للاخذ باسباب التنمية .

وخصصت الجلسة الثانية لتحديد مفهوم التنمية الاقتصادية ومفهوم اقتصاد الحرب ، وامكانيات التعبئة البشرية ، ومقتضيات التنمية والدفاع القومى . وكانت خلاصة هذه الدراسات والمناقشات التى دارت حولها بحيث تنحصر فى أمرين : الاول أن عملية التنمية الاقتصادية هى فى النهاية عملية تحرير القوى المنتجة ثم تطويرها وذلك بتطوير ظروف الانتاج وأساليب الملكية واحلال تكتيكارقى واستخدام وسائل انتاجاحدث وأكثر كفاءة مع تحقيق اشباع متزايد للحاجات الفردية والجماعية . وهى من ثم تتطلب ادخال تعديلات جوهرية على ملكية الارض كما تتطلب تاميم المشروعات الاستعمارية ، والاتجاه نحو

التصنيع • وبالتالى فهى تقتضى تدخل الدولة لوضع حد للتبعية الاقتصادية للخارج ولتعبئة القوى المنتجة ، وتتخذ الدولة عندئذ قرارها باجراء تنمية مخططة تحقق الاتساق بين الموارد والاستخدامات •

أما الامر الثانى الذى كشفت عنه هذه الدراسات، فهو أنه لا يوجد تناقض بين التنمية الاقتصادية واقتصاد الحرب • وعلى العكس فان البلد الذى ياخذ باسباب التنمية يكون مهيأ أكثر من البلد المتخلف لمواجهة مهام اقتصاد الحرب • فعملية التنمية الاقتصادية تدرب البلد على عملية تعبئة الموارد وتحديد الاولويات وتوزيع الاعباء • كل ما هنالك أن اقتصاد الحرب يفرض مسألة توزيع اعباء تحويل الحرب بشكل حاد ، فى داخل البلد فيما بين مختلف الطبقات وفيما بين الجيل الحالى والاجيال المقبلة ، وفى خارج البلد فيما بين الادخار المحلى الذى يراكمه والعون الخارجى الذى يفلح فى الحصول عليه •

واهتمت الجلسة الثالثة بقضية الوحدة الاقتصادية بين البلاد العربية ، فاثيرت موضوعات عناصر التكامل الاقتصادى فى الوطن العربى ، واطار الوحدة الاقتصادية العربية . والتنسيق الصناعى بين الاقطار العربية .

وقد افضت هذه الدراسات والمناقشات حولها الى تاكيد أهمية الحقائق التالية :

أ ــ تكامل عناصر الانتاج للصناعة على المستوى القومى •

ب ــ التنسيق الصناعى بين البلاد العربية يحل مشاكل الصناعة على مستوى كل قطر عربى •

ج ــ ضرورة التنسيق الصناعى على المستوى القومى للتغلب على التفاوت من قطر الى قطر فى النمو الاقتصادى وللاسراع بالتنمية الاقتصادية •

د ــ الشكل المناسب للتنسيق هو شكل التعاون المشترك بين الاقطار العربية فى ميدان التنمية الاقتصادية والتصنيع القومى • ومن ثم طرحت قضية الوحدة الاقتصادية باعتبارها فى الجوهر قضية التنمية الاقتصادية نفسها •

وفى الجلسة الرابعة ناقش المؤتمر قضية البترول العربى من زاويتى التنمية والدفاع • فتطرقت البحوث الى الصناعة النفطية فى الوطن العربى وعلاقاتها بتمويل التنمية والتعبئة . والبترول فى ميزان القوى بين العرب واسرائيل • والاثار الاقتصادية لامتياز التكرير المحلى • ثم نظرات حول العلاقات بين الحكومة الجزائرية وشركات البترول •

وقد أوضحت هذه الدراسات والمناقشات بعدها أنه على الرغم من مرور وقت طويل على بدء صناعة انتاج البترول الخام فى الوطن العربى والذى أدى الى خلق صناعة أجنبية متقدمة مهمتها الرئيسية تصدير النفط الخام، الا أن هذه الصناعة الاستخراجية لم تندمج فى بقية القطاعات الاقتصادية الاخرى ، لقد أدت هذه العلاقة الى تطوير ظاهرة (الازدواجية) فى الاقتصاد العربى ، وهى المتمثلة فى خلق واحة وسط صحراء من التخلف الاقتصادى •

وطرح المؤتمر قضية ضرورة السيطرة على صناعة البترول فى الوطن العربى ، وتمهيدا لذلك طرح ضرورة تنسيق السياسة النفطية والعمل على زيادة تدخل البلاد العربية فى ادارة وتوجيه صناعتها النفطية من خلال أسلوب المشاركة الفعالة فى الادارة والمساهمة فى رءوس اموال الشركات وتحديد أرباحها وتقليص مدد الامتيازات والامتناع عن منح امتيازات جديدة ، ولهذا لابد من رسم سياسة بترولية تلائم مصالحنا الوطنية فى مختلف مراحل الانتاج والتكرير وتحديد الاسعار والنقل وانشاء الصناعات البتروكيماوية والصناعات الاخرى المتفرعة عن صناعة البترول والغاز أو المكملة لها •

وفى الجلسة الخامسة ناقش المؤتمر السياسات المختلفة للتنمية والدفاع . ولقد تولى وفد العربية المتحدة تقديمها جميعا ، وبالطبع فلقد تغلب على أغلب هذه الدراسات طابع السياسة النظرية لا القومية . فقدم الدكتور **اسماعيل صبرى عبد الله** السياسة النقدية ، والدكتور **رياض الشيخ** السياسة المالية ، والدكتور **سعيد حسنين** السياسة الزراعية ، والدكتور **فوزى رياض** السياسة الصناعية ، والدكتور **سلطان ابو على** السياسة الاستهلاكية •

وفى الجلسة الاخيرة طرح للمناقشة موضوع علاقات الوطن العربى مع العالم . فاثيرت مشكلات التنمية الاقتصادية وفوائض الاموال العربية ووسائل توجيهها للاستثمار فى البلاد العربية • والعلاقات الاقتصادية بين البلدان العربية والبلدان النامية ثم العلاقات التجارية مع الغرب الرأسمالى، وللاسف لم يقدم للمؤتمر بحث كان مطلوبا من علاقات العرب مع العالم الاشتراكى •

ولا شك أن الدراسات التى قدمت والمناقشات التى جرت والتى ساهم فيها عدد بارز من الاقتصاديين العراقيين مثل **عبد المحسن زلزلة وحسن**

تامر وصلاح دهب وعلى الساعدى وحافظ التكمجى وعبد العال الصكبان والاقتصادى اللبنانى وبشير الداعوق ، والاقتصادى السورى هشام متــولى، والاقتصاديون المصريون الدكتور ابراهيم سـعد الدين والدكتور رفعت المحجوب والدكتور فؤاد مرسى والدكتور عبد المنعم البنا والدكتور احمد المرشدى والدكتورة هناء خير الدين والمستشار محمود غانم ــ قد نجحت فى بلوغ المؤتمر غايتــه واصداره توصيات ايجابية ذات طبيعة وطنيــة وتقدمية واضحة . فان اهم ما أسفر عنه هذا اللقاء فى بغداد هو وضوح المدرسة الوطنية والتقدمية بين الاقتصاديين العرب، وذلك فى مواجهة مدرسة منقرضة تتحدث بلسان شركات البترول والمصالح الطفيلية المتجمعة حولها ، ومدرسة جديدة تروج بذكاء لافكار استحالة التنمية الاقتصادية فى البلاد العربية .

■

■ **اسرائيل**

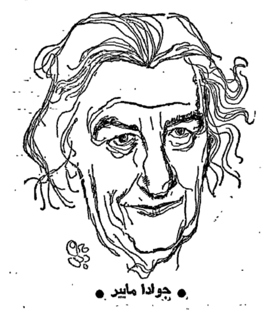
صورة الصراع بعد اشكول

فازت **جولدا مائير** رئيسة وزراء اسرائيل فى حكومتها الائتلافية الجديدة ، على جميع الوزراء السابقين فى حكومة **ليفى اشكول** وعددهم ٢١ وزيرا ، دون تغيير حتى فى مناصبهم . وقد أعلنت جولدا فى الاسبوع الثانى من مارس الماضى أنها « ستتبع خط الوزارة الاسرائيلية السابقة فيما يتعلق بالاحتفاظ بالاراضى العربية المحتلة ، حتى يتم التوصل الى تحقيق السلام عن طريق المفاوضات المباشرة » . كذلك فان البرنامج الذى قدمت بموجبه وزارتها الى البرلمان ، ليس سوى امتدادا للبرنامج الذى كانت تسيــر عليــه حكومة « أشكول » الا أن جولدا قد تحفظت مع ذلك ، على أساس ، « أن حكومتهــا ســتكون استمرارا للحكومة القديمة ، وذلك اذا لم يطرأ شىء يقتضى أى تعديل فى سياستها . »

والحقيقة أن اعلان جولدا عن استمرارها فى اتباع سياسة أشكول ، يؤكد التحليل القائل بأن تحديد المسار السياسى للحكومة الاسرائيليــة الائتلافية الحالية ، لايتوقف على شخص رئيس الوزراء نفسه ، بقدر مايتوقف على الاحتياجات التوفيقية الضرورية لاستمرار الائتلاف الحاكم ، وهى الاحتياجات التى أملت على أشكول خطه السابق فى قيادة ائتلاف الاحزاب الحــاكمة ، بنجاح .

وقد جاء اختيار جولدا لـرئاسة الوزارة الاسرائيلية ، استجابة لضرورة حزبية داخل حزب العمال الجديد ، أكثر من كونه استجابة لعواطف واتجاهات الرأى العام الاسرائيلى المتحمس بنسبة ٦٠ فى المائة لصالح ديان كرئيس للــوزراء . والمرجح أن تعيينها أرجأ الصراع العنيف داخل الحزب على رئاسة الوزارة حتى انتخابات نوفمبر القادم . وتميل بعض الاوساط الى التشكك فى قدرتها على مواجهة التحديات الضخمة للمرحلة المقبلة المتمثلة فى تزايد قوة الجيوش العربية ، والمقاومة العربية ، وتزايد دور الدبلـوماسية الدولية فى مشكلة الشرق الاوسط ، وهى تحديات يعتقد بعض المراقبين السياسيين أن اسرائيل لم تواجه مثلها منذ سنة ١٩٤٨ . كذلك يرى بعض المراقبين الاخرين ، أن أشكول حقق انتصــاره السهل ومضى ، وترك لجولدا « متاعب » مواجهة آثار ذلك الانتصار .

وقد أوضحت « الجويش أوبزرفر » البريطانية فى ٣/١٣ الماضى أنه «ليس من المتوقع ان يحدث اى تغيير فى موقف اسرائيل خــلال الشــهور القادمة » وأشارت مصادر واشنطون أنه « تبعا لهذا لن يتحقق تقدم كبير ازاء التوصل الى تسوية فى المستقبل القريب » وعبرت الدوائر الدبلوماسية فى واشنطون عن اعتقادها ، بــأن « المناورات السياسية الحادة التى ستشهدها اسرائيل بعد موت أشكول ستحول دون اجراء أى مفاوضات مثمرة » بين الدول الاربع الكبرى بشأن حل مشكلة الشرق الاوسط . لكن هناك حقيقة أخرى فى الموقف ينبغى ألا يغفلها المراقبون السياسيون الا وهى أن وجود جولدامايير التى اعلنت انها لن تخوض الانتخابات القادمة ، كرئيسة لوزراء اسرائيل ،



● جولدا مايير ●

يمكن أن يشكل – من زاوية ما – ظرفا ملائما يساعد بشكل غير مباشر المباحثات الدولية بشأن الشرق الاوسط ، نظرا لان جولدا لن تخضع لضغوط اللعبة الانتخابية الداخلية ، واحتياجات مزايداتها – كسائر ساسة اسرائيل الاخرين – لانه لو كان آلون أو ديان قد توليا رئاسة الوزارة الاسرائيلية ، لما عرضا قط مستقبلهما السياسى للخطر عن طريق استكشاف الحلول الوسط للمشكلة وترك المزايدات ، قبل انتخابات نوفمبر • وهو خط سيكشف أوراقهما أمام خصومهما ، ويجردهما من سلاح المزايدة البراق جماهيريا • كذلك اشارت الهيرالد تريبيون ، فى ٦ مارس الماضى الى ما معناه ان آلون وديان – سيكونان « سعيدين بأن تتحمل جولدا مسئولية القرارات الصعبة التى يفضلون اتخاذها قبل وصولهم للسلطة » •

وحسبما يرى بعض المراقبين السياسيين ، فان ما ستسفر عنه الانتخابات القادمة ، انما يتوقف جزئيا على ما اذا كان ديان سينجح فى اقناع الاخرين فى حزب العمال الجديد بوجوب تشكيل اللجنة المركزية لهذا الحزب والتى تقع عليها مسئولية اختيار زعيم الحزب ، عن طريق الانتخاب بدلا من التعيين • لانه اذا حدث ذلك ، فان ديان سوف تكون أمامه فرصة طيبة للفوز ، ولا يبدو أن ثمة احتمالا كبيرا هناك لان تسمح جولدا مائير (التى تؤيد بشدة ترشيح آلون) بأن ينجح ديان فى هذا المجال • وقد يكون الاختيار الصعب أمام ديان ، حسبما أشارت الايكونوميست البريطانية فى ٣/١٤ الماضى ، هو « الانشقاق على الحزب وتشكيل منظمة سياسية مستقلة فى الفترة القصيرة السابقة على الانتخابات » •

وقد أعلن ديان نفسه موقفه من حكومة جولدا فى ١٦ مارس الماضى على أساس « أنه سيعمل عن طيب خاطر فى حكومتها ، وسيبقى وزيرا للدفاع حتى الانتخابات المقبلة ، وعندما سيتحدد موعد وضع قائمة بأسماء مرشحى الحزب ، واذا مارفض طلبه بتصدر قائمة المرشحين ، فسوف ينسحب ليرشح نفسه هو ومجموعته فى الانتخابات » •

ومما هو جدير بالذكر أن الايكونوميست البريطانية قد أعلنت فى ٧ مارس الماضى أن حزب العمال الجديد يعتقد أن جولدا مائير ستتنحى وقت اجراء الانتخابات القادمة • الا أنه لايمكن التكهن بما ستتخذه جولدا من خطوات ، كما لن يكون من السهل ابعادها عن الحكم مالم تبد استعدادا للتنحى ، أى مالم تقل كلمتها بشأن من سيخلفها • وعلى أية حال فقد كتبت صحيفة « هاآرتس » الاسرائيلية المستقلة فى ٢٧ فبراير الماضى ، موضحة ، أن جولدا مائير ستعمل فى هذه الحالة لكى ترجح كفة آلون ، وتعده لكى يرثها • فاذا تم ذلك ، تكون زعامة الماباى المخضرمة ، قد سلمت منصب رئيس الوزراء ، لاول مرة ، لزعيم اسرائيلى من خارج الماباى ، ذلك لان آلون وان كان أحد زعماء حزب العمال الجديد ، الا أنه لم يكن من زعامات الماباى قبل ذلك ، بل كان زعيما لحزب أحدوت هافودا • لذا لاينبغى على الاطلاق استبعاد الفرص المتاحة امام **بنحاس سابير** وزير المالية السابق ثم سكرتير حزب العمال الجديد ، بالنظر الى انتمائه للماباى وسيطرته القوية على جهاز الاقتراع داخل حزب العمال الجديد •

■

■ **باكستان**

الاحكام العرفية •• ردا على مطلب الانتخابات والاصلاح الدستورى

اعلن الجنرال يحيى خان قائد الجيش الباكستانى ، الذى تسلم السلطة عقب استقالة الرئيس الباكستانى ايوب خان ، الاحكام العرفية فى جميع انحاء البلاد • ويرى عديد من المراقبين أن ذلك القرار يرتبط بحالة التفكك وعدم الاستقرار التى عمت باكستان الشرقية والاضطرابات التى قتل خلالها الكثير من المسئولين المحليين الذين ينتمون الى حزب الرابطة الاسلامية الذى يرأسه ايوب خان ، وبعد أن ثبت عجز ايوب خان عن الاحتفاظ بالسلطة •

ويعتمد يحيى خان على مساندة قادة سلاح الطيران والبحرية فى البلاد ، بالاضافة الى قيادة القوات البرية للجيش •وقد أصدر بمجرد استيلائه على السلطة ، عدة قرارات ضد حمل السلاح ولتحريم المظاهرات فى باكستان ، كما أصدر قانونا ينص على عقوبة ١٠ أعوام من السجن لكل من ينتقد فرض الاحكام العرفية فى البلاد ،وأعلن يحيى خان ان حكومته « ستمهد الطريق لاجراء انتخابات لاشبهة فيها » •

وكان الرئيس ايوب خان قد قال فى البيان الذى اذاعه على الشعب معلنا فيه انه لن يعود الى ترشيح نفسه لرئاسة البلاد « ان على الباكستانيين وضع ترتيب نستطيع بموجبه أن تجرى انتخابات حرة ومنصفة تتفق مع التقاليد الديموقراطية لتستطيعوا انتخاب رئيسكم كما تريدون » ••

وكانت استقالة ايوب خان مفاجأة للمعارضة فى باكستان وقد وجدت ردود فعل مختلفة من جانب قوى المعارضة • فعلق المارشال **اصغر خان** القائد

السابق لسلاح الطيران الباكستانى والمستقل قائلا « ان قرار الرئيس **خطوة الى الامام فى الطريق السليم** » . بينما اعتبرته جبهة **أحزاب اليمين المعارضة** المسماةبجبهةالعمل الديموقراطى خطوة يجب أن تصحبها خطوات أخرى فى طريق الاصلاحات الدستورية الواسعة والسريعة . أما على بوتو زعيم **حزب الشعب** فقد علق على قرار ايوب خان قائلا انه يعد القرار انتصارا للشعب ولكنه يطالب باستقالته فورا ودون انتظار لانتهاء مدة رئاسته فى مارس ١٩٧٠ . واقترح تعيين رئيس الجمعية الوطنية رئيسا مؤقتا للدولة واجراء انتخابات سريعة فى البلاد بدلا من الدخول فى مناقشات حول الاصلاح الدستورى وقال ان ذلك يمكن الشعب الباكستانى من انتخاب جمعية وطنية جديدة تعمل على وضع دستور جديد للبلاد » .

وبعد أن اذاع الرئيس ايوب خان قراره اعلن استعداده للالتقاء بزعماء المعارضة لاجراء محادثات معهم حول الاصلاحات الدستورية التى يريدونها . غير أن زعماء المعارضة اشترطوا لقبول الاجتماع به الغاء حالة الطوارىء واطلاق سراح زعماء المعارضة المعتقلين .

وفى سبيل تهدئة المعارضة ومحاولة منه للتوصل الى حل وسط للازمة اعلن ايوب خان الغاء حالة الطوارىء التى كانت قد فرضت على البلاد منذ حربها مع الهند عام ١٩٦٥ ، واطلق سراح مئات المعتقلين السياسيين وخاصة زعماء المعارضة وعلى رأسهم على بوتو زعيم حزب الشعب **ومجيب عبد الرحيم** زعيم رابطة عوامى . كما اعلنت الحكومة وقف الدعوى التى كانت قد رفعتها ضد عدد من زعماء رابطة عوامى فى ١٨ يناير الماضى بتهمة الدعوة لتأسيس حكومة انفصالية فى الباكستان الشرقية واطلقت سراحهم جميعا لتهدئة ثائرة المعارضة .

وعلى اثر ذلك اجتمع الرئيس ايوب خان بممثلى **جبهة العمل الديموقراطى التى** تمثل ثمانية من احزاب المعارضة اليمينية والتى تتركز مطالبها على برنامج الاصلاح الدستورى . فالجبهة كانت تطالب بتغيير نظام الانتخاب الحالى الى نظام انتخابى مباشر يعطى حق الانتخاب لكل من يبلغ الثامنة عشرة ، وان يتم انتخاب رئيس الجمهورية مباشرة من الشعب ، وان تنقل سلطاته الى برلمان ذى سيادة ، وان تلغى قاعدة المساواة فى التمثيل بين شطرى الباكستان ويتم التمثيل على اساس عدد السكان فى كل اقليم .

وتؤيد عناصر المعارضة المستقلة برنامج الجبهة للاصلاح الدستورى بينما يطالب حزب عوامى بالاضافة الى ذلك **بالحكم الذاتى لباكستان الشرقية** . ويطالب حزب الشعب الذى يتزعمه على بوتو باصلاحات دستورية واجتماعية جوهرية فى البلاد ويعلن انه دون أن يستمر الباكستان فى طريق التحول الاشتراكى فمن الصعب أن تتغلب على مشاكلها الاجتماعية المعقدة .

ويرى المراقبون ان **محاولة الرئيس الباكستانى قصر مفاوضاته مع المعارضة على جبهة احزاب اليمين فى محاولة لايجاد مخرج من الازمة بعيدا عن اتجاهات احزاب اليسار** .

وترجع الازمة السياسية التى اندلعت فى باكستان منذ فبراير الماضى واتخذت شكل صراع ضد ايوب خان ، فى الاساس ، كما اشارت الى ذلك جريدة **الاوبزرفر البريطانية** الى اسباب اقتصادية واجتماعية فالباكستان قد اضطرت كما تقول الجريدة الى استخدام رصيدها من العملات الاجنبية لحل الازمة الغذائية مما يؤدى الى التأثير على سرعة عملية التنمية بسبب استنزاف رصيد العملات الاجنبية . فاذا اضفنا الى ذلك ما تكلفه تسليح الباكستان بسبب صدامها مع الهند لامكن تصور وفهم ما يحدث الان من زيادة التضخم وارتفاع الاسعار وتخزين المواد الغذائية مما ادى الى اتساع حركة الاضرابات العمالية والى تزايد النقد الموجه الى ايوب خان .

كما اشارت **صحيفة الهيرالد تريبيون** الى ان هناك حوالى عشرين اسرة باكستانية تملك وحدها ٦٦ فى المائة من المنشآت الصناعية ، ٧٩ فى المائة من مؤسسات التأمين بالاضافة الى سيطرتها على ٨٠ فى المائة من البنوك .

وتقول جريدة **التايمز البريطانية** « على الرغم من الانجازات التى حققتها حكومة الباكستان فان الاثر الحقيقى لهذه الانجازات كان بطيئا وغير ملموس . فقد ازداد الاغنياء غنى ولم تتحسن احوال الفقراء كثيرا ولم تتضاءل الفوارق الاقليمية » .

هذا ولم يحدد أغلب المراقبين السياسيين الاتجاه العملى الذى ستتقدم عليه الحكومة الجديدة فى باكستان لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية المتفاقمة فى البلاد . بعد محاولاتها الاخيرة لتحقيق ما يسمى « باقرار الامن والنظام فى البلاد » .

■ فرنسا

القوى السياسية والاجتماعية تستعد لجولة جديدة

في بداية شهر مارس ظهرت ثلاثة احداث هامة ميزت الحياة السياسية الداخلية فى فرنسا ، ففى السادس من هذا الشهر قررت منظمة المشروعات الصغيرة والمتوسطة (وبصفة خاصة صغار التجار) القيام باضراب عام لمدة ستساعات، وقدبلغتنسبة المشتركين فى هذا الاضراب ٨٠ فى المائة من كل أصحاب هذه المشروعات ».

وفى الحادى عشرة من مارس قررت **النقابات العمالية** القيام باضراب عام لمدة ٢٤ ساعة وفى نفس اليوم ألقى **الرئيس ديجول** خطابا عن الاصلاح الاقليمى (اعادة تنظيم الادارة المحلية) •

ويرى المراقبون أن هذه الاضرابات تعتبر مرحلة جديدة فى نضال الطبقة العاملة • بعد أن أظهرت احداث مايو ويونيو ١٩٦٨ مدى القوة المنظمة والواعية للعاملين • وكان « **الاتحاد العام للعمال** » قد نظم فى ١٢ فبراير ١٩٦٩ يوما عماليا عقدت خلاله الاجتماعات ، ونظمت اضرابات جزئية ، وقامت بعض المظاهرات . وقد رفض كلا من « **الاتحاد الفرنسى الديمقراطى للعمل** » و « **اتحاد القوى العاملة** » الاشتراك فى هذا اليوم العمالى . وقد حاول الاتحادين التقريب بين وجهتى نظرهما لموازنة ازدياد نفوذ « الاتحاد العام للعمال » وكان هدف هذا الاتحاد الاخير من تنظيم هذا اليوم العمالى ، كما اعلن فى بياناته « زيادة نضالية العمال بهدف تدعيم موقفهم فى المحادثات التى من المقرر اجراؤها فى ٤ و ٥ مارس بين نقابات العمال واصحاب العمل والحكومة » وبالفعل تمت هذه المحادثات فى الموعد المحدد لها • ولكن اصحاب الاعمال ومعهم الحكومة رفضوا كل المطالب التى قدمها لهم ممثلو العمال والتى كانت تدور حول رفع الاجور بنسبة ١٠ فى المائة لتساير

ارتفاع نفقات المعيشة ، وتوسيع الحقوق النقابية فى الوحدات الانتاجية ، وعندما فشلت هذه المفاوضات اعلن « الاتحاد العام للعمال » ان عدم اشتراك الاتحادين الاخرين فى اليوم العمالى الذى نظمه « لم يسهل موقف ممثلى العمال فى المفاوضات ، ودعا الى « وحدة عمل » الحركة العمالية التى اصبحت اكثر ضرورة فى رأيه بعد رفض المطالب العمالية •

ولقد جاء رد العمال سريعا على رفض مطالبهم :

اذ أعلن الاتحاد العام للعمال الاضراب العام فى ١١ مارس وفى نفس اليوم انضم « الاتحاد الفرنسى الديمقراطى للعمل » الى هذا الاضراب • وذكرت الصحف ان عدد المشتركين فى هذا الاضراب قد بلغ تسعة ملايين عامل • واستمر الاضراب لمدة ٢٤ ساعة • ويرجع القيام بهذه الاضرابات العمالية كما تقول بيانات « الاتحاد العام للعمال » الى اسباب مباشرة واخرى غير مباشرة تسبب انتشار السخط فى صفوف الطبقة العاملة ».

والاسباب المباشرة ، كما تقول بيانات الاتحاد العام للعمال هى : أن ارتفاع الاسعار الذى بلغ ٦ فى المائة منذ مايو ١٩٦٨ والذى قد قضى على الزيادة التى حصل عليها العمال فى نفس الفترة نتيجة للاضرابات التى قاموا بها حينذاك • ومن ثم بدأوا يطالبون بزيادة اجورهم من جديد لتعويض هذا الارتفاع الحاد فى الاسعار والذى امتص كل مكاسبهم وابقى على وضعهم على ماهو عليه ان لم يكن قد زاده سوءا • ورفعوا شعار « **السلم المتحرك** » أى ربط الاجور بالاسعار اى زيادتها ، كلما زادت هذه الاخيرة • كما يطالب العمال

بتخفيض « سن التقاعد » ، ورفع قيمة المعاش الممنوح للعامل بعد تقاعده • واتخاذ الاجراءات اللازمة للقضاء على البطالة لاسيما وان هناك ما يزيد عن نصف مليون عامل عاطل بشكل كلى أو جزئى •

اما الاسباب غير المباشرة لهذه الاضرابات العمالية فهى — على حد رأى الاتحاد العام للعمال — نفس الاسباب التى ادت الى قيام الاضرابات الضخمة فى ١٩٦٦ و ١٩٦٧ ، كما انها هى الاسباب التى كانت وراء احداث مايو — يونيو ١٩٦٨ . ان هذه الاسباب تتمثل فى تخفيض معدل النشاط الاقتصادى ابتداء من ١٩٦٤ ، وذلك لرغبة الاحتكارات فى فرض اسعار أعلى ، ومن الحصول على ارباح اكبر . ممايترتب عليه زيادة البطالة خصوصا بين الشباب • (ولقد كان هذا من بين أسباب تمرد المثقفين) • ويقول الاتحاد العام للعمال ان هذه السياسة الاقتصادية تلاقى تشجيعا بفضل الاسلوب « المالتسى » الذى تسير عليه حكومة ديجول التى تحبذ وجود احتياطى من العاطلين وتنادى بتخفيض النشاط الاقتصادى للحصول على معدل ارباح اكبر •

وترى « لومانتيه » ان تركز المشروعات بين أيدى الاحتكارات الكبرى ، المالية والصناعية و « الموت البطىء » لصغار المزارعين ، وصغار التجار والحرفيين ، الذين يتم سحقهم تحت وطأة الاعباء المالية ، مثلهم فى ذلك مثل العمال (٨٠ فى المائة من الضرائب المباشرة التى تحصل عليها الدولة

تستقطع من دخول العاملين بأجر) • بسبب ازدياد السخط فى صفوف كل الطبقات الشعبية • ومن الطبيعى ان التعبير عن هذا السخط يتخذ شكلا عنيفا بين صفوف العمال بسبب وجود قوات منظمة لهم منذ وقت طويل ، وهى قوات متمرسة على النضال ضد رأس المال • وهكذا تصبح الظروف مهيأة ـ كما تقول لومانتيه ـ لاقامة جبهة واسعة معادية للاحتكارات ، تجمع حول الطبقة العاملة ، وهى القوة الرئيسية للنضال ، الطبقات الاجتماعية التى يخيم عليها شبح الخراب حاليا : وهم صغار الفلاحين ،وصغار التجار ومتوسطوهم والمثقفون.

وتذهب دوائر الحزب الشيوعى الفرنسى الى ان النظام الحالى فى فرنسا يمثل مصالح رأسمالية الدولة الاحتكارية ، وترى هذه الدوائر أن الجنرال ديجول يعى تماما الاخطار التى تهدد هذه المصالح . وأنه للتخفيف من حدة المطالب، فانه قد اقترح ، فيما اقترحه ، القيام « **باصلاح اقليمى** » والواقع ان فرنسا ، كما يقول المراقبون فى حاجة فعلا الى مثل هذا الاصلاح لان التقسيمات الادارية التى انشئت فى ١٧٩٠ لا تتفق مع متطلبات الواقع الحالى للاوضاع • فهى أولا لا تتفق مع الواقع الاقتصادى ، كما ان الرئاسة فيها تتم بتعيين من الحكومة فى حين يطالب الفرنسيون بانتخابها • هذا فضلا عن ان النظام الحالى يقتضى كثيرا من النفقات التى يتم توفيرها بتعدد الضرائب • ولكن الاصلاح الذى سيقدم للاستفتاء عليه فى ٢٧ ابريل القادم يؤدى الى زيادة المركزية المفرطة ومن ثم الى زيادة نفقات الادارة • والواقع ان حزب الرئيس ديجول (الذى حصل على اقل من ٥٠ فى المائة من الاصوات فى الانتخابات) هو الحزب الوحيد الذى يوافق على مثل هذا المشروع • أما الطبقة العاملة فهى ـ عن طريق منظماتها ـ تعارض المشروع • ويرى بعض المراقبين ان هذه المعارضة هى ايضا احد الاسباب التى حفزت قادة النظام فى فرنسا على تشديد الهجوم على العمال واتهام الطبقة العاملة بمختلف التهم • لكن السبب الرئيسى فى الخلاف بين نظام الرئيس ديجول وبين العمال لا يزال كما كان ، وهو حركة المطالب التسعة من جانب الطبقة العاملة • هذه الحركة التى دعت الجنرال ديجول الى أن يتهم العمال فى خطابه (١١ مارس) بأنهم يهددون الاقتصاد القومى ومركز الفرنك .

على ان دوائر الحزب الشيوعى وصحافته تعلق على هذا الاتهام مشيرة الى ان الحكومة لا تمل من تكرار هذا الاتهام .وقد سبق لها أن وجهتها فى مايو ١٩٦٨ عندما اتهم الجنرال ديجول « بعض العناصر الثورية » بالاعداد لانقلاب • وترى هذه الدوائر ان الالحاح على هذا الاتهام انما يمهد لمزيد من « بعث الدكتاتورية ».على أن الحجة الجديدة التى بات يشرحها الحزب الشيوعى فى صحافته تتلخص فى أن الحكومة تريد أن « تخوف » الجماهير من الحزب الشيوعى بعد أن ساهمت التطورات الاخيرة ـ على حد رأى الحزب ـ فى اتساع جماهيرية الحزب • ويدلل الشيوعيون على ذلك بالاشارة الى أن الحزب احرز نجاحات كبيرة ـ فى الفترة الاخيرة ـ وذلك خلال الانتخابات التى دارت لملء الاماكن الشاغرة فى الهيئات التمثيلية •

وفى الوقت نفسه تشير بعض الاوساط غير الشيوعية الى أن انتخابات البلدية التى جرت فى طاليه يمكن أن تعتبر بداية لتراجع نفوذ حزب الرئيس ديجول •

ومهما يكن من أمر فان كثيرا من المراقبين يتوقعون أن تكون معركة الاستفتاء حول « الاصلاح الاقليمى » من اشق واصعب المعارك التى سيخوضها حزب ديجول وذلك منذ عام ١٩٥٨ ، ويذهبون الى ان هذه المعركة ستكون فى جوهرها استفتاء على السياسة العامة للنظام .ولقد بدأت كل القوى السياسية تستعد لهذه المعركة وتحشد لها قواتها •

■ **المانيا الغربية**

جوستاف هانيمان : هل يتخطى مأساة جمهورية فيمار

رغم الحصار الذى فرضته سلطات المانيا الديمقراطية بغلقها الطريق الرئيسى الذى يربط برلين بالمانيا الغربية ، والاحتجاج من جانب الحركة التقدمية السلامية العالمية ، أصرت حكومة بون على عقد اجتماع المجلس الاتحادى لالمانيا الغربية لانتخاب رئيس جديد لها فى برلين الغربية ، متجاهلة ما يسببه ذلك من استفزاز وتوتر خطير فى أوروبا •

وبعد اجراء عملية التصويت ثلاث مرات نجح فى الانتخاب الزعيم الاشتراكى الديمقراطى د • **جوستاف هانيمان منتصرا باغلبية ستة** أصوات فقط على خصمه الديمقراطى المسيحى د • **جيرهارد شيرودر وزير الدفاع الحالى والذى** « يعتبر من ابرز ممثلى السياسة الرجعية فى المانيا الغربية ومن أكبر مؤيدى الحزب الوطنى الديمقراطى النازى الجديد ، وممثل لاصحاب الصناعات الثقيلة ، وأحد العاملين لاقامة حكم

استبدادى فى ألمانيا الغربية ، وأحد دعاة الحرب الباردة والتسلح الذرى ، والعدو الصريح للحركة النقابية » كما جاء فى بيان الحزب الشيوعى الالمانى عشية الانتخابات ·

و د · جوستاف هانيمان هو ثانى رئيس اشتراكى ديمقراطى فى تاريخ المانيا كله ، فلقد كان الرئيس الاشتراكى الالمانى الاول لالمانيا هو الرئيس **فردريك ايبرت الذى شغل هذ المنصب فى عهد جمهورية تيمار (١٩١٩ — ١٩٢٥) ·**

ولقد كان د · هانيمان من قبل عضوا فى الحزب الديمقراطى المسيحى ووزيرا للعدل فى حكومة اديناور ثم استقال منها عام ١٩٥١ احتجاجا على سياسة اعادة تسلح المانيا التى دعا اليها اديناور ، ثم ترك هانيمان الديمقراطية المسيحية لينضم الى الحزب الاشتراكى الديمقراطى ·

لقد استقبل انتخاب د. هانيمان بترحاب غير خاف فى البلدان الغربية ووصفته الصحافة الغربية ، خاصة تلك التى لم تخف قلقها من فرض حكومة بون لقرارها الخاص باجتماع المجلس الاتحادى فى برلين الغربية مع حلفائها الاطلنطيين — **مثل النيويورك تايمز — وصفته** بأنه « شخصية ذات وجهات نظر محافظة باعتدال ويتمتع بشخصية متكاملة الى درجة عظيمة » ·

أما البلدان الاشتراكية الاوربية فقد أولت اهتمامها الاكبر الى الهزيمة التى حاقت بوزير الدفاع شرودر الذى صوت اعضاء الحزب النازى الجديد لصالحه · ذلك أن البلدان الاشتراكية الاوربية ترى أن هزيمة وزير الدفاع فى انتخابات الرياسةتبرهن باستمرار على امكانية انزالهزائم حقيقية بدعاة الانتقام وبالنازيين الجدد فى المانيا الغربية ، وذلك اذا اتحدت قوى التقدم والديمقراطية والسلم والاشتراكية الالمانية ·

ومن الملاحظ ان صحافة المانيا الديمقراطية والبلدان الاشتراكية الاخرى لم توجه هجمات مباشرة الى الرئيس الالمانى الجديد ، خاصة وهو **لم يتسلم السلطة بعد · واكتفى والتر اولبرشت** بالتنديد بسياسة الزعماء الاشتراكيين التقليدية بشكل عام قائلا « ان السياسة الاستفزازية الانتقامية التى تتبعها حكومة بون قد اصبحت ممكنة فقط عندما سمح الزعماء الاشتراكيون الديمقراطيون لانفسهم ان ينساقوا فى ركاب الحزبين الرجعيين ، الاتحاد المسيحى الديمقراطى ، والاتحاد الاجتماعى المسيحى · » ثم الديمقراطية الداعية الى اقامة علاقات طبيعية بين الجمهوريتين الالمانيتين على أساس المساواة وعلى أساس تخلى المانيا الغربية عن دعواها فى التمثيل المنفرد لكل المانيا ، ومطالبها بتغيير الحدود القائمة فى برلين الغربية ·

واصدر الحزب الشيوعى الالمانى الجديد فى المانيا الغربية نداء الى د . هانيمان دعى فيه الى « الاعتراف بالحدود القائمة فى أوروبا والاعتراف بجمهورية ألمانيا الديمقارطية » وعن أمله فى أن يستخدم د · هانميان كل نفوذه لوقف الاتجاه نحو اليمين والعمل على حظر نشاط الحزب الوطنى الديمقراطى النازى الجديد والعفو عن جميع الذين صدرت ضدهم احكام لنضالهم فى سبيل الديمقراطية والتقدم الاجتماعى ·

كما دعا رئيس حزب الوحدة الاشتراكى فى برلين الغربية الى اصلاح الاضرار التى تسبب فيها مخططو الحرب الباردة باصرارهم على عقد اجتماع المجلس الاتحادى فى برلين الغربية ·

ويرى المرقبون أنه اذا أراد د. هانيمانأن يأتى بجديد فان فرصته لن تحين قبل الخريف القادم اذ قد تهيء له الانتخابات البرلمانية التى ستجرى حينئذ فرصة لتشكيل ائتلاف وزارى حاكم بين الحزب الاشتراكى الديمقراطى وحزب الديمقراطيين الاحرار · أما فى الوقت الحالى فان القوى المتطرفة فى المانيا الغربية مصرة على تجريد هانيمان من أى سلطة · وقد اتضح هذا فى الازمة التى نشأت بينه وبين **كورت كيزنجر رئيس الوزراء** الالمانى عندما أدلى هانميان بحديث الى صحيفة « شتوتجارتر » الالمانية جعل فيه البحث عن حلول لتوحيد شرطى المانيا هدفا مقدما على التزمات المانيا الغربية تجاه حلف الاطلنطى · ورفض فيه التراجع عن موقفه من الاعتراض على تسليح المانيا مطالبا فيه القوات المسلحة الالمانية أن تواجه سؤلا مطروحا (هو : هل يسهم وجودها فى حل مشكلة التقسيم التى مضى عليها ٢٤ سنة) · عندئذ انبرت القوى المتطرفة تثير هذه القوات المسلحة الالمانية وتعتبر حديثه اهانة لها · وانبرى كيزنجر معلنا انه سوف يستدعى هانيمان ليذكره أن المستشار **(أى كيزنجر)** هو المسئول دستوريا عن وضع سياسة الحكومة وأن منصب هانيمان كرئيس للجمهورية لا يزيد عن كونه « منصب مراسم » ·

■

■ **ثقافة**

جيل جديد على طول الجبهة الفنية

ربما

كان الفيلم التسجيلى القصير [١٧ دقيقة] الذى اخرجه **أحمد فؤاد درويش** عن الفن الفلسطينى المعاصر ،فىمقدمةالجهودالصادقة التى اثمرها ابداع الجيل الجديد · ففى هذا الفيلم يصور لنا **على الغزولى بدقة واتقان بالغين جانبا**

ماما من جوانب التصوير الفلسطيني عن الفنان اسماعيل شموط : وجانبا آخر أكثر اهمية من جوانب النحت الفلسطيني عن الفنان **مصطفى الحلاج** . وقد أشاعت **مارسيل متى بموسيقاها** طيلة العرض احساسا عميقا بالمأساة التى أثمرت هذا الفن وعبرت عنه في نفس الوقت. ولئن كان البعض يأخذ على المخرج أنه سجل الفن الفلسطيني تسجيلا اقرب الى رفع التاريخ مما يؤدى بالمتفرج الى الاعراض عن الفيلم لضعف لوحات الجزء الاول ، فان المخرج ـ في تصور البعض الاخر ـ قد نجح في تسجيل الضعف والقوة جنباالى جنب ، كتجسيد واقعى لمأساة فلسطين نفسها . ولا شك أن النحت كان أقوى واعمق من التصوير ، وذلك يرجع الى أن مصطفى الحلاج يختلف عن اسماعيل شموط مثلا ، في منهج التفكير الفنى لا في أدواته وخاماته فحسب . فبينما يرى شموط أن المشهد الواقعى المباشر للمحنة هو المادة الفنية الجديرة بالانتباه ، يرى مصطفى الحلاج أن مجرد أن يكون هناك « **فن** ! فلسطيني حقيقى ، كيفما كان المشهد الذى يصوغه ، فان ذلك أكبر الادلة وابقى البراهين على « وجود » فلسطين كيانا وروحا وأرضا وبشرا .

على أنه في جميع الاحوال سيظل هذا الفيلم نقطة تحول حاسمة بالغة الاهمية في وسائل تقديم « فلسطين » فنا وشعبا الى الرأى العام العالمى ، وذلك بمخاطبة هذا الرأى بلغة يفهمها ويحبها في كل زمان ومكان ، هى لغة الابداع المادية كما هو الحال في معرض النحاس المطروق الفنى .

● ● ●

وفي مجال الفن التشكيلي يواصل الجيل الجديد تقديم رؤياه المتجددة دوما ، سواء عن طريق التجارب اللونية والتكوينية كما هو الحال في معرض **أحمد فؤاد سليم : أو تجارب الخامات لمحمد رزق** .

ولم يتخل فؤاد سليم بعد تخليا نهائيا عنتجاربه في حقل التراث ، ذلك أن اعماله القديمة في استلهام الفولكور ، تطل من جديد في الجناح الصغير الذى خصصه لتجربة جديدة في الخط العربى . هو في هذه التجربة لا « يستلهم » الخطوط العربية التقليدية ولا يستوحيها في اقامة « زخرف» جديد مثلا ، وانماهويقدم منهجا تعبيريا جديدا في تناول الحرف العربى . وسواء قدر لهذا المنهج الجديد النجاح أو الفشل ، فانه منهج « تجريبى » من الاساس لا ينضم الى طرح القيم القديمة السائدة للبحث والتساؤل من جديد . ولا يعنى الفنان بعد ذلك أن يصل هو أو غيره الى حلول لهذه المشكلة التى عرض لها بالتفصيل « مؤتمر الخط العربى » العام الماضى ، وانما يعنيه أن تظل القضية في مركز الضوء . وهذا ما استطاع الجناح الصغير من معرضه أن يلح عليه الحاحا شديدا او ان يبرزه في المستوى المطلوب .

أما في التصوير فقد تخلى احمد فؤاد سليم تخليا تاما عن استلهام التراث الشعبى بألوانه الفاقعة وخطوطه البدائية وموضوعاته الاسطورية ، هذه العناصر الاساسية في تكوينات الاعمال السالفة للفنان .. وتحول الى عقبة التجريد الكامل . ولئن كانت له في الماضى محاولات تجريدية قليلة ، فانها كانت ـ في مجموعها ـ احدى التجارب التى يخوض غمارها .. أما الان فقد تحددت هذه التجارب في اطار التجريد وحده ، وهو تجريد لونى في الاساس ، اما **الثيمة** » الشكلية التى يتحركفى اطارها فهى قوس قزح بانماطه المختلفة ، وهو أداة تعبير عن اللون أكثر طواعية من غيرها ، وليس تكوينا دائريا كما يبدو للوهلة الاولى .. حتى ما يبدو في بعض اللوحات من أقمار وشموس لا يعبر عن « رؤيا » بقدر ما يجرب به الفنان تساوقا بين الالوان . وبالرغم من أن اللوحات الناجحة في حدود هذا المعنى لا تتجاوز ثلاث لوحات ، الا أن المعرض في مجموعه يعد مقدمة هامة لمعرض قادم ، يتجاوز مرحلة تجريب اللون ، الى مرحلة « **الرؤيا** ! .. فقد حطم أحمد فؤاد سليم اطار الرؤيا القديمة ، وبدأ يخطط لاطار الرؤيا الجديدة ، ولم يتبق سوى أن ننتظر هذه الرؤيا .

● ● ●

أما الفنان **محمد رزق** ، فيعرض نماذج من أعماله في النحاس المطروق ، تقع بين عامى ١٩٦٥ و١٩٦٨ .. وهى الفترة التى أنجز فيها القيمة التشكيلية الواقعية هنا الى جانب القيم التجريدية . وبالرغم من استخدام « النحاس » خامة أساسية في التشكيل عند محمد رزق ـ بغض النظر عن الالوان القليلة التى يستخدمها ـ الا أن ثمة فرقا جوهريا بين « **لوحات** » النحاس المطروق ، « **وتماثيل** » النحاس المنحوت .. ومن قبيل التعميم والتجاوز أن تسمى هذه وتلك نحتا .

ونحن نستطيع أن نتابع « تنويعات » القيم التشكيلية الواقعية وحرص الفنان على النسب التشريحية « والموضوعات » العامية والمألوفة كما هو الحال في لوحات « الصمود » و « الفلاح » و « الحصاد » و « العازفين » و «الشاعر» . وفي لوحة « الصمت » « تحولت الوجوه الى أقنعة متجاورة تمتص في تكوينها المنفرد وتشكيلاتها المجتمعة دلالة واحدة هى الحزن ، ثم الحزن المركب . وفي لوحة « الصرخة » نتابع الجسم في

طريقه الى التجريد يحطم الوحدات الشكلية التقليدية للوصول الى جوهر أكثر عمقا . وفى لوحة « مجموعة عاريات » تبدأ مرحلة التجريد الحر ، بتسجيد المشاعر فى الخط الخارجي للجسم البشرى دون التأكيد على التفاصيل ، بل ونزع الرؤوس المميزة للبشر . وفى لوحة « تمزق » بعد أن كانت الاجساد متراصة صفا جزينا فيما بينها على نحو يقترب من التجريد الزخرفى تتشابك الاجسام ـ أى خطوطها الخارجية ـ تشابكا يؤدى الى « شكل خارجي » .

وقام محمد رزق بعدة تنويعات نحتية على أجساد ثلاثة اتخذت منحى أكثر تجريدية فى تمثالي « طائر » و « تكوين » . وهى مرحلة تالية للوحة « أحزان المدينة » حيث يتطور البورترية الى مجموعة من الخطوط المتشابكة .. ولكنها فى نفس الوقت مرحلة سابقة على « البرقع » وفى هذه اللوحة يبدأ الوجه البدوى هلالا ثم يأكل منه الفنان ربع الوجه بتطريز عربى جميل . وفى « دراسات عارية » يوجز الفنان الجسم البشرى فى تكوينات تضمها ثيمة واحدة أقرب الى البيضاوى .. وهنا يتطور « خدش » الوجه ببروز اليد ومرورها عبر الوجه مرورا حادا .

أن محمد رزق فى معرضه الثالث للنحاس المطروق ، يضيف جديدا الى مجموع تجاربه السابقة ، وهى أساسا اضافة « تكوينية » وليست لونية ، لم تصل بعد الى الرؤيا » ولكنها تمهيد ضرورى لها .

● ● ●

ويقدم الموسم المسرحي وجهين من ألمع وجوه الشباب ، سبق لهما أن قدما أعمالا جيدة فى مواسم سابقة ، وبخاصة « الزوبعة » و « ليالى الحصاد » **لمحمود دياب** : و « الزنزانة » **للسيد الشوربجى** . والطريقان اللذان سلكهما الكاتبان يختلف أحدهما عن الاخر اختلافا شديدا .. فبينما يتزود محمود دياب من التراث الفولكورى ويرتبط بالقرية المصرية ، نلاحظ على السيد الشوربجى أنه يلجأ الى التجريد والرمز ويرتبط بالكليات والمطلقات ، سواء فى صورتها الوجودية العامة أوفى صورتها الاجتماعية الخاصة .

ولكن دياب والشوربجى كليهما لم يصلا فى عروضهما الجديدة الى المستوى السابق لهما .. فالضيوف والبيانو رغم التكنيك المحكم لمحمود دياب ، لا يقدمان قضية ذات بال ، أما **البلياتشو** للسيد الشوربجى فقد احتارت بين موضوعها الجيد والحيوى وصياغتها القلقة بين الفن والمباشرة . الضيوف تقول ان الابتعاد الطويل عن القرية يسبب انفصالا حادا بينها وبين اهلها من سكان المدينة ، والبيانو تقول أن ما يفتقده الانسان فى ذاته ـ كالموهبة الفنية مثلا ـ يجده فى الامتدادات الحية له كالطفل الذى اجاد العزف فعوض والده مشقة التعليم العقيم . ولولا أن المخرج الفنان احمد عبد الحليم قد بذل جهدا مضنيا فى خلق الجو المناسب للمسرحيتين ، لما استطاع النص أن يخرج من عنق الزجاجة ، أعنى القضية الثانوية التى يحمل عبئها الباهظ التكاليف ، عبء ما هو ساذج وسطحى . وكذلك لولا نبيل منيب وفرقة الطليعة بالمسرح القومى ، لما استطاعت هذه المسرحية ذات الموضوع الجيد « البلياتشو » أن تتلافى حيرتها الفنية بين الرمز والابانة .

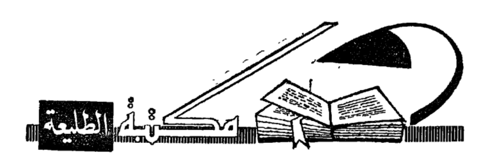
ولكن الهبوط النسبى فى انتاج هذين الكاتبين الجادين ، لا ينفى أن الرسم البيانى لتطور الفنان دائما يتضمن الصعود والهبوط جنبا الى جنب ، فلعلها تكون احدى لحظات الضعف التى تسبق لحظة القوة .

● ● ●

غير أن الجيل الجديد فى الادب ـ الشعر والقصة خاصة ـ أكثر ازدهارا منه فى المسرح .. فقد صدرت فى الاونة الاخيرة هذه المجموعة من الكتب والدواوين : « **أوراق شاب عاش منذ ألف عام** » لجمال الغيطانى ، و « **العودة الى المنفى** » لابى المعاطى ابو النجا ، و « **من دفتر الصمت** » شعر محمد عفيفى مطر ، و « **البكاء بين يدى زرقاء اليمامة** » شعر أمل دنقل .

ويعتمد الغيطانى وأبو النجا كلاهما على صحائف التاريخ ، ولكن الاول « يغترب » عن التاريخ والاخر « ينتمى » اليه . يبذل الغيطانى ـ خلقا وابداعا ـ جهدا فنيا عميقا يستشف منه دلالة التاريخ على عصرنا ، ويحاول أبو النجا محاولة ناجحة الى أبعد الحدود صياغة حياة **عبدالله النديم : صياغة لا تجعل** منها قصة تاريخية ، وانما قصة معاصرة بكل معنى معاصر للمقاومة البطولية التى يخوضها شعبنا .

أما **محمد عفيفى مطر وأمل دنقل فيقدمان تجربة** جديدة أصيلة فى حقل الشعر الحديث ، يتجاوزان بها رؤيا الجيل السابق تجاوزا يتمثل الماضى ويضيف اليه .



- استراتيجية العمل لتحرير فلسطين
- الصهيونية وحقوق الانسان العربى

استراتيجية العمل لتحرير فلسطين

■ تأليف : د. يوسف عبدالله صايغ
■ عرض : د. وليم سليمان

صرح يحيى حمودة رئيس منظمة تحرير فلسطين في ٣١ اكتوبر ١٩٦٨ بأن الرأى استقر على انشاء « مجلس أعلى للتخطيط الفلسطينى » مهمته وضع خطط شاملة تقوم على أساس علمي للعمل الفلسطينى في مختلف مجالاته العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية ..

وقال ان المجلس سيضم كبار العلماء والمتخصصين الفلسطينيين والعرب في حدود الالتزام بالخط السياسى الواضح للشعب الفلسطينى ، وهو أن الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير فلسطين ، وسيحتفظ جهاز المجلس بطابع السرية التامة سواء بالنسبة لأعضائه أو الخطط التى سيتولى وضعها • وسيتمتع باستقلال ذاتى ، كما أنه سيكون بمثابة جهاز استشارى يقدم الرأى والمشروعات للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لقبولها ، أو تعديلها ، ثم وضعها موضع التنفيذ بصفتها الهيئة القيادية للمنظمة •

ومن المقرر أن يتفرغ بعض أعضاء الجهاز الجديد لممارسة اعمالهم ، على أن يستعان بمجموعة

أخرى من الخبراء على اساس التكليف بالقيام بمهام محددة .

وقد تم تشكيل المجلس برئاسة الدكتور يوسف صايغ عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير . أما بقية أسماء أعضاء الجهاز فلم تعلن ، وسيبدأ مجلس التخطيط أعماله فورا ، وقد اختيرت مدينة بيروت مقرا له . (الاهرام ١٩٦٨/١١/١) .

وكان الدكتور يوسف صايغ قد نشر فى ابريل ١٩٦٨ ، البحث الذى نقدمه اليوم .

ويقول انه لا يقوم بوضع المعادلة السحرية الكفيلة بتحويل الهزيمة الى ظفر ، انما يرمى الى طرح مقترح باستراتيجية للعمل العربى القادر على ايقاف التوسع الاسرائيلى ، ومن ثم ارغامه على الانحسار واعادة اعتبار العرب . على أن تحويل الهزيمة الى ظفر ليس أمرا محتوما . كما ان الهزيمة ليست أمرا حتميا . ان العرب قادرون على الظفر اذا هم ((**أرادوا**)) الدفاع عن مصيرهم وكيانهم ، فتصرفوا بما ينسجم مع منطق الارادة ، والتزموا بواجب النضال ، وتقبلوا التضحيات ، وخططوا فى صمت وعقلانية ثم عملوا بتصميم وثبات .

ولقد كانت صدمة يونيو دافعا للكاتب كى يجهد نفسه فى بلورة استراتيجية شاملة للعمل العربى الفلسطينى من أجل فلسطين . وهو يقدم هذه المحاولة باعتبارها « ورقة عمل » طامحا الى النقد الموضوعى .

على أن هذا الجهد الفكرى تكتنفه الصعاب نظرا لاختلاف الرأى حول تحديد أسباب الهزيمة ، وبالتالى حول سبل « ازالة آثار العدوان » . وفوق هذا فان وضع الاستراتيجية المتوخاة يظل رياضة ذهنية ما لم تعمد الحكومات العربية والمؤسسات الفاعلة الى تحمل نصيبها فى اعتماد الاستراتيجية وتنفيذها .

ولدى الكاتب أن مسئولية ((**المفكر العربى**)) تظل قائمة ولو كان الاحتمال كبيرا بعدم تحول فكره فورا الى خطة عمل . ذلك أنه من الممكن أن يصبح للجهد الفكرى اذ تتجند له عشرات العقول والاقلام وزن كبير يصعب على الحكومات والقوى الشعبية أن تتجاهله وتتخطاه وان تعمل بمعزل عنه كان شيئا لم يحدث فى يونيو ١٩٦٧ . ان « **الفكرة** » أو ((**الرؤيا**)) التى يستخف بها رجل السياسة المحترف الذى يدعو نفسه عادة « رجل أفعال لا نظريات » تظل المنطلق الصحيح لاى عمل أو مؤسسة أو حركة عملاقة . والصهيونية نفسها بمؤسساتها ومواردها ودولتها بدأت فكرة ورؤيا . فحاجتنا القصوى اذن هى الى الرؤيا ـ رؤيا المستقبل العربى القائمة على الايمان بطاقة العربى ، وعلى تجسيد هذه الطاقة ضمن مهلة زمنية معقولة تعد بالسنوات القلائل لا بالعقود أو بالاجيال .

وقبل أن يقدم الكاتب عناصر الاستراتيجية التى يطرحها لتحرير فلسطين ، يعرض مايراه عاملا ضخما وراء هزيمتنا ووراء ضعفنا الاساسى تمتد آثاره فى عدد من النواحى والحقول . هذا العامل يدعوه : ((**الشتات العربى**)) . هذا الشتات أشد خطورة من الشتات اليهودى لثلاثة أسباب : **أولا** ـ لان مئات آلوف من العرب فلسطينيين وغيرهم اجلوا عن أوطانهم ومدنهم خلال السنوات الماضية ـ من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٧ ـ . **ثانيا** ـ لان الفلسطينيين أبعدوا وأبتعدوا عن الحركة خلال هذه السنوات الا ضمن نطاق محدود جدا . **ثالثا** ـ لان العرب ابتلوا بنواح من الشتات والتفتت الفكرى والسياسى والعسكرى والادارى ، ومنها خطر الشتات الجغرافى !

ثم يفصل النواحى السبع التى ضرب التفتت فيها مواقع خطيرة وحساسة .

١ ـ **التفتت السياسى والعسكرى** : لقد كانت المواجهة بين عدو متمركز سريع الحركة يتخذ مقرراته فى مركز عصب واحد ـ وبيننا ونحن مجزأون يعوزنا حتى التنسيق السياسى ان لم نقل الوحدة السياسية . ولم يكن بين العرب الذين تحركوا لمجابهة اسرائيل تنسيق عسكرى فعال وقيادة موحدة ومشاركة عملية فى مختلف الاسلحة . وترجع النواقص العسكرية التى ظهرت خلال حرب يونيو الى انشغال عدد من الجيوش العربية بصراع القوة فى الداخل ، أو بالصراع السياسى الذى كان دائرا بين الحكومات والانظمة العربية . ومن الخطأ المبالغة فى تقدير الفارق بين التنظيم والمواصلات والمستوى التكنولوجى بين العرب والعدو ، فان حرب فيتنام تظهر بوضوح ان التصميم واليقظة والمرونة تتكفل باسقاط قسم كبير من آثار التفوق الامريكى . ان جزءا كبيرا من الفارق هو فارق قيادة .

٢ ـ **التفتت الاقتصادى** : يقول المؤلف ان الاقتصاديات العربية حتى يونيو ١٩٦٧ ولا تزال تفتقر الى الحد الادنى من التنسيق والتعاون ، ولم يبرز من بينها الا اقتصاد الجمهورية العربية المتحدة الذى حول نفسه الى حد ما الى اقتصاد دفاع ، واعتمد أسلوبا فى التخطيط وفى التحكم بالموارد يمكنه بسرعة من التحول الى اقتصاد حرب ، فبقيت القوة الاقتصادية العربية غير مسخرة الا هامشيا لمتطلبات المجابهة مع اسرائيل ، وكذلك فان الفرد العربى لم يدع بعد الى تحمل التضحيات والاعباء الاقتصادية التى لا مفر منها فى هذه الظروف .

٣ ــ التناحر بين المواقف العقائدية المختلفة : ففى رأى الكاتب اننا سمحنا لاختلاف المذاهب الاجتماعية والاقتصادية بأن يحتل مكان الصدارة ففشلنا فى وضع سلم صحيح لاولويات العمل ولم ندرك ان الجدل حول هذه المفاهيم على اهميتها ينبغى الا يصل الى حد تقليص مساحة الارض المشتركة اللازمة قاعدة لانطلاق التعاون العربى تجاه اسرائيل . ورافق هذه الظاهرة تقاعس عدد من خيرة المفكرين العرب عن القيام بمهمة التحذير والتحليل والتوجيه . وأصيب المجتمع العربى بعدم الالتحام بين المثقفين والجماهير .

٤ ــ عدم الالتحام بين المثقفين والمؤسسات العسكرية : فكثيرا ما قيل ان الجند العرب لم يكونوا على مستوى المسئولية فى حرب يونيو ــ ولكن مالم ينطق به أحد هو أن المفكرين والمثقفين العرب هم أيضا خذلوا الجند . فلم يملأوا الفراغ الفكرى ولم يوجدوا المحتوى الاقتصادى الاجتماعى لارادة العمل لدى الجند ، فتقدم سواهم لملء الفراغ ، ولدغدغة غرور حاملى الرتب الرفيعة ، وللموافقة بدل التمحيص الصادق .

٥ ــ التباعد بين التجريد والواقع : فبينما كان الجدل دائرا حول أنواع الحرية والديمقراطية كان العدو يستعد ليسلبنا القواعد المادية ذاتها التى ينبغى أن نمارس هذه الحرية أو تلك ضمنها . فى حين كان قادة العدو يختلفون على أمور مذهبية ويتصارعون عقائديا ، لكن متى جاءوا الى نطاق العمل لتوسيع رقعة احتلالهم وحدوا جهودهم ، والتقوا حول مساحة الارض الفكرية المشتركة بينهم وحاولوا توسيعها بشكل تجريبى عملى .

ثمة أمرا آخر ــ موجهل أو تجاهل فكرة الفصل بين الامور التكتيكية والاستراتيجية والاهداف . فاذا رضى مسئول عربى ولو مضطرا والى حين القبول بما هو فى الاساس لا يستسيغه كقبول الرئيس عبد الناصر مثلا بوجود قوة الطوارىء الدولية فى سيناء وغزة بين ١٩٥٧ ويونيو ١٩٦٧ ملأنا الارض صراخا وتهويلا وتشكيكا لا بحنكته السياسية فحسب بل وبنواياه أيضا . ومن الممكن هنا بقليل من التبصر أن ندرك الغرض التكتيكى فى هذا المثال الذى يختلف عن استراتيجية العمل العامة التى يمكن أن يصار الى وضعها مع التنازل التكتيكى المؤقت ، كما يختلف عن الاهداف القومية التى قد لا تنسجم فى لحظة ما مع الموقف التكتيكى الظاهر . ويقول الكاتب ان ردود الفعل العربى فى حالة كهذه كانت تشير الى قلة الصبر والتشكيك المبالغ به وهى ظاهرة من ظواهر الشتات والتفتت وانعدام الثقة بين المسئولين والمثقفين .

٦ ــ التباعد بين الحكومة والمثقفين : فلقد خلقت الحكومات جوا من الارهاب الفكرى والكبت ، ووطدت سطوة المخابرات مما أدى الى تعطيل حرية التعبير وتخويف المفكرين العرب الذين لم يلتقوا مع الرأى الرسمى . لكن الاعتراف بثقل مسئولية الحكومة لا ينفى من وجوب قيام هؤلاء بالتمرد على الكبت . ولقد ترتب على هزال القيادة الفكرية هزال الارادة العربية والرغبة الحقة بالنضال وكلا العاملين من ظواهر الشتات العربى .

٧ ــ بلبلة الادوار بين التركيز العربى والتركيز الفلسطينى : فلقد حدث عزل الفلسطينيين عن النضال من أجل فلسطين ، اذ انتقلت القضية بعد ١٩٤٨ الى أيدى الدول العربية . وهذه الايدى كانت مغلولة لاتستطيع ما يقوى عليه شعب مناضل لو اتيحت له فرص التنظيم والعمل . وهكذا نشأت مدرستان متطرفتان ، الاولى ترى أن العمل المجدى هو العمل العربى المجموعى ، والاخرى قالت انه لا خير الا فى عمل يقوم به الفلسطينيون ، وفات كلا الطرفين أن العمل الناجح هو عمل يشترك فيه الفريقان فى تنسيق تام .

وهكذا يصل المؤلف الى شرح استراتيجية العمل العربى . وهى تنطلق لديه من الافتراض بأن حرب يونيو قد أصابت المجتمع العربى أو انها ستصيبه بهزة عميقة تجعله اليوم أو غدا مستعدا للقبول بما لم يكن يقبل به قبل يونيو من تعبئة وتصميم وتضحية . وأن العالم العربى يدرك الان أن القضية لم تعد قضية احتلال جزء من فلسطين أو فلسطين كلها . ثم انه يؤكد اعتقاده باللاحتمية ــ فليس هنالك من حتمية قدرية خارجة على ارادتنا بأننا سننتصر أو ننهزم . فقدرنا من صنعنا . وليس من سحر خاص يتمتع به حجم السكان اذا لم يشتبك هؤلاء بعدوهم وهم على مستوى لائق من الاستعداد النفسى والفنى والتنظيمى . الحتمية فى داخلنا أولا وآخرا .

فما هى عناصر هذه الاستراتيجية ؟

أولا : القيادة ــ فلدى المؤلف انه لاأمل يرجى لنضالنا فى غياب القيادة العليا الموحدة ، « هيئة أركان » فكرية ونضالية . هذا التوحيد يتم عن طريق :

أ ــ هيئة أركان فلسطينية .

ب ــ هيئة أركان عربية من مجموعة الدول التى تلتزم بالنضال .

ج ــ هيئة أركان موحدة تضم عناصر من الهيئتين السابقتين .

هذه الهيئة العليا يعهد اليها بأمر تعيين الاهداف النضالية من قريبة وبعيدة ، وبوضع استراتيجية

العمل الكبرى فى الحقول السياسية والنضالية والاعلامية والاقتصادية وتوزيع مسئوليات العمل من ضمن هذه الاستراتيجية وتعيين توقيت العمل ومراحله ٠

أما تعيين الاستراتيجيات الصغرى أو الجزئية فيجرى تحديدها وبرمجتها وتحريكها ضمن كل من هيئتى الاركان الفلسطينية والعربية ٠

ويقول الكاتب ان تشكيل هذه الهيئات ينبغى أن يتسم بالسرية التامة وأن يجرى اختيار اعضائها بموجب المؤهلات التى تمكنهم من الاسهام بالعمل وان تطبق مبادىء هذه المؤهلات بصرامة ودون استثناء ٠ بحيث تفرض القيادة النضالية نفسها ٠

ولكى تستطيع « هيئات الاركان » الثلاث أن تعمل ينبغى أن تتوفر لها وسائل الدراسات وأجهزتها - مع المرونة والابتكار ٠ والتزام الجندى بالمهام العسكرية . وامتناع الجيوش عن الاهتمامات غير العسكرية ٠

ثانيا : جرد المعطيات — فهيئة الاركان العليا لا تستطيع القيام بتعيين اهداف النضال قبل أن تكتمل لديها صورة واقعية عن المعطيات البشرية والمادية التى يمكن تعبئتها فى سبيل تحقيق الاهداف ٠ ومن حيث اسلوب الجرد لابد من التاكيد على أمرين : ضرورة الدقة والموضوعية ، ثم الاخذ بمبدأ الحركة عند القيام بالجرد . وهذا يعنى ان القوى العربية اذا تحركت فلابد أنها ستؤدى الى استثارة قوى وعناصر أخرى كانتقد تركتخارج الحساب . وثمة نتيجة اخرى لمبدأ الحركية وهى وجوب الانطلاق ولو بقدرات محدودة وجزئية صوب أهداف محدودة وجزئية بفضل التيقن من أن القدرات ستتعاظم ويجذبها النضال والبطولة والحركية فيصبح عندئذ بالامكان التحرك صوب أهداف أكثر طموحا ٠

أما من حيث محتوى الجرد : فلا بد أيضا من مراعاة أمرين : الاول هو **التخلص من عقدة المائة مليون عربى** • لان السؤال الهام هو كم هم العرب الملتزمون بمبدأ النضال ٠ وهنا يطالب المؤلف بأن نتصارح بمنتهى القسوة والصدق : فنحن لا نستطيع الاعتماد على اربع عشرة دولة عربية لان عددا من هذه الدول لا يشعر بالالتزام الفعلى الفاعل ٠ واذن فلنحص الدول التى ترضى بالالتزام ولنحدد نوع هذا الالتزام ومداه ٠ فلا قسر ولا احراج ٠ فاذا خرجنا من عملية الجرد بست دول أو سبع مثلا ترضى بالتزامات محددة واضحة كانت هذه نقطة الانطلاق ٠ ففى التخطيط للنضال كما فى الحسابات المصرفية يؤدى سحب الشيكات دون رصيد الى شهر الافلاس !

والامر الثانى هو **ايجاد التوازن بين الفائض والعجز فى بعض المعطيات ، وذلك عن طريق مبدأ المبادلة بين العناصر** • فالاعتماد على العدد الكثير قد يعوض النقص فى الفاعلية ــ مؤقتا ٠ لان السعى ينبغى أن يشتد لتحقيق التعادل فى الفاعلية والنوعية أولا ، ومن ثم لتحقيق التفوق العربى .

ثالثا : تعيين الاهداف — هنا يوضح الكاتب أسباب الريبة تجاه المقترحات التى تقول بالقبول بأى وضع راهن فى الساعة ذاتها ، لان رفضه قد يعنى الوصول الى وضع اكثر منه سوءا ٠ فالبعض يقول : كان بالامكان «احتواء» اسرائيل بحدودها وابعادها التى نص عليها قرار الامم المتحدة بالتقسيم عام ١٩٤٧ لو ان العرب كانوا واقعيين حينئذ ٠ ولو فعلوا لوفروا على انفسهم كل ما حدث فى ذلك الحين .

يجيب الكاتب على هذا القول بحجتين : الاولى شكلية ، وهى أن «النظرة الخلفية» لا تقدم البرهان على شىء ٠ فظروف اتخاذ القرار فى حينه هى التى ينبغى أن تقيم ، لا ظروف ما بعد تلك اللحظة التاريخية ٠

اما الحجة الحاسمة فهى أن القائلين بامكان احتواء اسرائيل التقسيم يجهلون حقيقة الصهيونية ووليدتها اسرائيل وأهدافها التوسعية ٠ فالصهيونية التى استطاعت خلق دولة من العدم لم يكن من الصعب عليها أن توسع حدود هذه الدولة ٠

ولدى الكاتب **أن الهدف من النضال ضد الصهيونية واسرائيل ينبغى أن يكون تحرير فلسطين أى زوال الاحتلال لارض فلسطين بزوال كيان اسرائيل كدولة ٠ وما لا نستطيع تحقيقه دفعة واحدة ينبغى ألا نقعد عن محاولة تحقيقه شبرا شبرا ٠ ولذلك فالمطلوب هو قيام هيئة الاركان المشار اليها بتحديد الاهداف وبوضعها مراتب من حيث توقيت السعى اليها ، وكذلك من حيث التصريح ببعضها ، وعدم التصريح بالبعض الاخر ٠ فالصهيونية أو اسرائيل لم تبلغنا مرحلة فمرحلة أهدافها المقبلة** ٠٠

ولكن هذا لا يمنع الجهر بأننا نرغب الان فى ازالة آثار العدوان دون أن ندفع لذلك ثمنا سياسيا ٠ فاذا ظهر أن هذا غير ممكن فى عالم الواقع وجب اعتماد النضال سبيلا لتحرير الاراضى المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ ٠

وهنا يوضح الكاتب النتائج التى ستترتب بالضرورة على الحاق هزيمة بالجيش الاسرائيلى ٠ أن هذه الهزيمة لن تسمح بأن تظل مؤسسات الدولة فى اسرائيل وتطلعاتها ومواقفها وارادتها كما هى

عليه اليوم . بل أن درع الوقاية الامريكى لن يعطى الاسرائيليين نفس الطمأنينة والثقة والسطوة التى كان جيشهم يوفرها كدرع داخلى .

وليس لدينا خيار فى أن ازالة آثار العدوان ستكون عسكريا ونضاليا . فالكاتب يعتقد أنه من قبيل خداع النفس الظن بأنه يمكن التعايش بين اسرائيل والعرب مادامت سطوة الجيش الاسرائيلى على ماهى عليه ، ومادام لم يتسن للعرب ولو مرة واحدة الوقوف بنجاح فى وجه هـذا الجيش وردعه .

ويواصل المؤلف تفصيل العناصر الرئيسية فى الاستراتيجية ، ولايدخل هنا صلب الاستراتيجية العسكرية والفدائية . بل ان المقصود هو بيان خطة العمل بالمعنى الشامل فى المجالات الاتية :

ا ـ العلاقات فيما بين الدول العربية ، وبين النظم السائدة فيها .

ومركز الثقل فى هذا العنصر هو « **التعايش المنسق** » ورغم الايمان بوجوب السعى الى الوحدة العربية كصيغة عضوية للتعاون العربى، الا ان الوقت لا يسمح بالانتظار ريثما تكتمل التهيئة لايجاد صيغة وحدوية مرضية وقابلة للحياة وفاعلة فى حين أن اسرائيل أصبحت خطرا داخل الديار العربيـــة .

فالتنسيق يجب أن يكون على أشده بين الدول التى تلتزم بجانب أو بآخر من جوانب النضال كما سبق البيان .

ويعرض الكاتب لناحية أخرى هى ناحية التباين فى النظم الاقتصادية والاجتماعية ، ويرى الكاتب أن الخبرة فى الحقبة الماضية أثبتت أن المسألة تحولت من جدل فكرى الى صراع عنيف دارفى اشد الفترات حرجا بحيث أصبح من المتعذر خلال قسم كبير من هذه الحقبة القيام بحد أدنى من العمل المشترك . وفى رأيه أن ما ينبغى عمله هو تجميد الجدل على الاقل أى وضعه فى مرتبة متدنية جدا من سلم الأولويات . ويؤيد الكاتب رأيه بأن اختلاف النظم والمذاهب الاجتماعية لم يظهر تباينا فى الالتزام . ومهما يكن من أمر فانه لا يجوز والخطر الاسرائيلى على ما هو عليه أن نؤجل الاستعداد للوقوف فى وجهه حتى نصفى خلافنا العقائدى .

ب ـ العلاقات فيما بين العرب والبلدان الاجنبية الرئيسية

يعرض الكاتب للعوامل التى ـ فى نطاق القضية الفلسطينية ـ تتحكم بموضوع علاقات البلدان العربية خاصة الملتزمة منها بالنضال من أجل فلسطين بالدول والشعوب الاجنبية ، وبحيث انه من الصعوبة بمكان تعيين الموقف العربى الاجمالى الملائم تجاه البلدان الاجنبية . وهو يرى انه اذا تم الاتفاق على أولويات العمل العربى ، ووضـع الخطر الاسرائيلى فى رأس هـذه الاولويات ، أصبح من المنطـق ان تقيم جميع العـلاقات العربية الخارجية على هذا الاساس . وبهذا نصل الى موقف منسجم عام .

ويعترف الكاتب بان علاقاتنا الخارجية قلما تخضع لمثل هذا الامتحان الصارم ، لان البلدان العربيه فى الغالب لا تعتمد مبدأ الاولويات المطروح اما بسبب الرؤية المشوشة أو الخشنة من نتائج هذا التطبيق . وهذا ما ينطبق على البلدان التى لاتزال تعتقد فى وجود صداقة بينها وبين الولايات المتحدة الامريكية ، فى حين أن هذه الدول « الصديقة » تطعننا يوميا فى اعز قضايانا المصيرية . وهنا أيضا يظهر التناقض بين الهدف الكلامى والموقف الفعلى واضحا كل الوضوح .

ج ـ الجامعة العربية : وهنا يقول الكاتب أن مستوى فاعلية الجامعة يعكس تفاعل عاملين : درجة حيوية الامانة العامة وهى منخفضة ، ونوع العلاقات بين الدول الاعضاء . وهذا العامل يحتم بقاء الفاعلية على مستوى منخفض . ففى الظرف السائد ليس من المتوقع أن تلعب الجامعة دورا كبيرا فى استراتيجية العمل العربى ، لانها لن تصبح فى المستقبل القريب « موضع سر » الدول العربية ولا موضع سر القوى الفلسطينية المناضلة . ويدعو الكاتب الدول التى تلتزم بالنضال لايجاد صيغه مستقلة تكون جهازا صالحا لتحديد نوع الالتزام ومداه ولتامين تنفيذه . ويرى أن يتم هذا عن طريق « قمة عربية مصغرة » وهيئة الاركان التى تنبثق عنها مما سبقت الاشارة اليه .

هذا كله ـ والمرجو أن يصار الى اختيار أمين عام جديد ديناميكى همه الاول يكون استبـاق خطوات الدول الاعضاء بتحريك اجهزة الجامعة والقيام بالدراسات العميقة وبعث الاعلام ووضع اساس علمى له .

د ـ المؤسسات الشعبية : يسجل الكاتب ان الشعوب العربية ظلت بمعزل عن العمل كأنما الحرب أو المجابهة قضية لا تتعلق الا بالجيوش . وكما قال الرئيس عبد الناصر فان الشعوب العربية حاربت فى يونيو بالترانزستور وبه فقط .

ولدى المؤلف أن الكثير من اللوم قد يقع على الحكومات التى لم تنسج شبكة من العلاقات بين الجيوش والشعوب . الا أن القوى النضـالية والفكرية مسئولة كذلك ، فلا بد من أن يتوفر فى

تنظيمات مجتمعنا صيغة « المواطن — الجندى ». ولابد من خلق المؤسسات الشعبية التى تشارك بالعمل مع السلطات الحكومية كى لا يعتاد الشعب الاتكال المفرط على السلطات بما يفقده القدرة على المبادرة والتصرف فى الازمات اذا تعرضت السلطات الرسمية للشلل فى ظروف الحرب • أما اساس نجاح هذه المؤسسات الشعبية فهو قدرة أفرادها على العمل معا ، وهذا يتطلب التوافق على برامج عمل مشتركة والاشتراك المخلص فى مساحة محدودة مع ارض المسئولية بدلا من الاصرار على مساحة أوسع لا يتوفر الاتفاق عليها •

هـ — الاقتصاد : مازال الكثير مما يعمل فى سبيل وضع الاقتصاد فى خدمة « **المصلحة القومية** » • فان مايبدو وكأنه تنازع على الموارد الاقتصادية بين التنمية والدفاع هو مجابهة خادعة • ذلك أن التنمية المستهدفة فى وطن مهدد بالغزو لا قيمة لها ما لم يحرسها درع القوة •

ويعرض الكاتب النواحى المختلفة لتوجيه الاقتصاد فى هذا الاتجاه ، كالحد من الاستهلاك تلقائيا وقسريا • وتحول اقتصادات مجموعة الدول الملتزمة بالنضال الى اقتصادات دفاع بمزيد من الصرامة والتحكم • ويقدم فى هذا المجال المقارنة الاتية : لقد خصصت اسرائيل من الاموال لاغراض التسلح والتجنيد منذ ١٩٤٩ حتى نهاية ١٩٦٥ ما يبلغ ٦٥ فى المائة مما خصصته مصر والسعودية ، والاردن ولبنان وسورية والعراق مجتمعة خلال نفس المدة •

ولقد كان متوسط العون الخارجى لاسرائيل من أول ١٩٦٠ لنهاية ١٩٦٦ هو ٤٦٩ مليون دولار • وحصلت فى عام ١٩٦٧ وحده على اكثر من ٦٥٠ مليون دولار • وارتفع مستوى احتياطها من العملات الاجنبية نتيجة للحرب [!] عما كان عليه قبل الحرب بعشرات ملايين الدولارات • ولقد جاء التزام السعودية والكويت وليبيا فى مؤتمر الخرطوم تجاه الجمهورية العربية المتحدة والاردن بمبلغ ١٣٥ مليون جنيه استرلينى فى العام ظاهرة تبشر بتعمق الادراك لمترتبات الالتزام الاقتصادى فى احدى نواحيه • الا ان الكاتب يسجل ما تدل عليه المقارنة من سخاء اليهودية العالمية وتقتير العرب •

ويعرض الكاتب بعد ذلك لضرورة المزيد من التعاون الاقتصادى العربى • ويقول ان هناك شروطا اربعة لتحقق السوق العربية المشتركة : الواقعية والتدرج • تطمين الاطراف بأن السوق ليست فخا لتحقيق وحدة سياسية لا تزال حولها تحفظات كثيرة • عدم تعرض المشروعات المشتركة للمصادرة والتأميم • تحكيم المنطق الاقتصادى لا منطق السيادات السياسية الضيق •

و — الاعلام : يضع الكاتب المبدأ الجوهرى وهو أن قيمة الاعلام تكمن فى قوة الوضع السياسى والعسكرى فى البلدان العربية • فبغير ذلك لا يحمل غير العرب وجهة النظر العربية محمل الجد •

ثم — لابد من معرفة « السوق » أو الجمهور المقصود بالاعلام ، ودراسة أفضل الوسائل التى توصل ما ينبغى ايصاله اليه •

كما ينبغى أن نميز بين القول والعمل • فلا نستخدم الشعارات الضخمة • فكأنما رجال السياسة العرب يرغبون فى تطمين مواطنيهم بنقاء نواياهم تجاه فلسطين ، الا أنهم فى غياب الرقابة الشعبية لا يضطرون الى اعداد بلدانهم كما يتطلب منطق الامور •

ينبغى أن لا يكون فى خطة العمل العربى مكان للكلام الا الضرورى منه • فالعالم لا ينتظر منا ولا نحن مطالبون بأن نقدم له كشف حساب عن اسلحتنا ونوعيتها وقوتها وحجمها ولا عن نوايانا واهدافنا • وأما الخشية من أن تثار شكوك الجماهير ان لم تسمح تقارير قياداتها يوما فيوما فان ذلك مردود اذا ما كانت القيادات العربية تدعو الى الاحترام والثقة •

ز — التعبئة النفسية : فهذه نقطة ارتكاز القيادة فى تركيزها على العمل • وينبغى أن تستهدف : تعميق الادراك الحقيقى للخطر الصهيونى ، وامكان الظفر فى صراعنا معه ، ووجوب اسهام المواطنين فى هذا الصراع ، ووجوب منح القيادة الثقة القادرة على المحاسبة عند الاقتضاء كى لا تضطر القيادة لارضاء الجماهير بالتصريحات والوعود الفضفاضة • وهنا تستطيع المؤسسات الشعبية القيام بدور كبير فى دور التعبئة النفسية •

ح — الفلسطينيون : يقول الكاتب انه ابقى العنصر الفلسطينى فى الاستراتيجية الى نهاية البحث لاعتقاده بأنه عنصر بالغ الاهمية والخطورة • •

ويرسم خطوط ما ينبغى على الفلسطينيين عمله فى نقاط خمس :

١ — ايجاد تنظيم يحفظ لهم كيانهم المميز وينطق باسمهم • هذا التنظيم يصح أن يظل منظمة التحرير الفلسطينية مع تأمين اشتراطين لتصويب أوضاعها : فمن ناحية تعديل بنية المجلس الوطنى واغراضه بحيث يصبح أكثر تعبيرا عن الروح النضالية ، دون أن يستدعى ذلك الاصرار على الوسيلة الانتخابية لتشكيله •

ومن ناحية أخرى قيام قيادة واحدة قادرة على تحمل أعباء المرحلة الحاضرة من النضال بوجوهها

السياسية والفدائية والاعلامية • وينبغى أن تظل بعض عناصر هذه القيادة سرية من أجل سلامة العمل وعدم تعرضها للضغوط والمساومات التى قد تحرفها عن خطها السليم

٢ ـ تصعيد اقبال الفلسطينيين على الاسهام بالعمل الفدائى •

٣ ـ دعم العمل الفدائى بالمال والدعاية والمساندة المعنوية •

٤ ـ اندماج سائر المنظمات السياسية المتباعدة فى منظمة التحرير (أو ما يقوم مقامها) منعا للتبعثر والتناحر

٥ ـ عقلية الاعلام الذى تقوم به المنظمة وأية مؤسسة فلسطينية أخرى وتخطيطه بدقة بحيث يجىء منسجما مع استراتيجية العمل الشاملة •

ويثير الكاتب بعد ذلك اسئلة متعددة ـ حول ارتباط العمل الفلسطينى بالعمل العربى الشامل • وحول خطر العمل الفلسطينى على البلاد العربية •

أما من حيث الارتباط فينبغى أن يتم على الصعيدين الرسمى والشعبى والسياسى والنضالى • وعلى العمل الفدائى تقع مسئولية استثارة الحكومات والشعوب العربية للعمل والتضحية وعدم الاسترخاء • ومن هنا كانت الاشارة السابقة عند جرد المعطيات الى حركية هذا الجرد •

وينبغى أن يتم التنسيق الدقيق بين المنظمات الفلسطينية والبلدان العربية عبر هيئة الاركان الفلسطينية وهيئة الاركان العربية على الصعيد الارفع ، ومنه نزولا الى مستويات دونه ضمن استراتيجية العمل المتفق عليها •

واما من حيث خطر العمل الفلسطينى على البلدان العربية ـ وهو مايردده البعض بمناسبة القصف الاسرائيلى لقرى غور الاردن ردا على النشاط الفدائى ، فان الكاتب يلاحظ :

أولا : أن التضحيات واجبةولو ازدادحجمها . وينبغى أن توضع فى جانب نتائج العمل الفدائى فى تحميل العدو مزيدا من الخسائر وفى اجباره على الاعتراف بحقوق الفلسطينيين ، وفى جانب آخر الخسائر البشرية والمادية .

وثانيا : فان العدو يرتئى من وراء رد فعله العسكرى الى ايقاف العمل الفدائى أو تكبيله بالقيود • ومن الواجب عدم الانسجام مع هدف الاسرائيليين •

وثالثا : فان استمرار العمل الفدائى ضرورى لجعل العالم يدرك ولو جزئيا واقع الاحتلال الاسرائيلى وضرورة رفعه •

ورابعا : فانردالفعل العربى الذىينسجم مع الالتزام بالنضال هو تعبئة قوى المجتمع وزيادة وسائل الرد العسكرى وتحسينها لا الانكماش والتعهد بحسن السلوك .

ويبرز الكاتب هنا الاثر الذى يرجح انيكون فى الجيوش العربية للعمل الفدائى البطولى والمتصاعد • ومن هنا فان العمل الفدائى يصبح صوت الضمير الذى يوقظ من آخذوا بسبات الاستكانة والترهل والانهزامية .

وفى الخاتمة يبرز رئيس المجلس الاعلى للتخطيط الفلسطينى بمنظمة تحرير فلسطين نتائج بحثه :

- ان اسرائيل والصهيونية تشكل **خطرا مصيريا** على العرب فلسطينيين وغير فلسطينيين •

- ان ادراك هذا الخطر يعنى حتما **الدفاع عن النفس** • وهذا من عمل غريزة البقاء •

- ولكن الدفاع عن النفس له ناحية ارادية • وهكذا يكون **تبلور الارادة العربية النضالية المرتكز** الثالث فى استراتيجية العمل •

- ان توفر ارادة الدفاع يستلزم **القبول بالتضحيات البشرية والمادية** على السواء مهما عظمت •

- ان الدفاع الارادى المخطط المستميت يتطلب **تعيين أولويات الاهتمام والتصرف العربى** فى الحقول السياسية والعسكرية والاقتصادية والاعلامية والمعيشية •

- ان عملية صد هذا العدوان القوى الشرس تتطلب **اعدادا** طويلاقد يمتد الىسنوات ، **وتعبئة** تامة للموارد البشرية **وتحولا عميقا** فى المؤسسات والتنظيم والتكنولوجيا والمواقف النفسية •

- ان القبول بالتضحيات والاعداد للعمل ينبغى أن يؤدى الى **العمل النضالى الفعلى** •

● ان العمل الفدائى يصبح جسرا بين الحاضر والمستقبل • فهو صوت ضمير العرب ــ يصبح صدى لعملية انتحارية يائسة ان لم يهتز العرب لهذا الصوت فيعبئوا قواهم ويجروا التغيير اللازم فى مجتمعاتهم وجيوشهم واقتصادهم ويستعدوا للقيام بدورهم على خط النار ».

وفى السطور الاخيرة من البحث ؟ يتساءل المؤلف : هل تبرز القوى القيادية الفكرية والنضالية لتفرض التحول وتقلب الهزيمة الى ظفر ·· ان هذا سيتحقق بفضل وجود عدد واف من العرب المؤمنين بحقهم الذين تمتلكهم ارادة الحياة الحرة والقادرين على هز المجتمع من الاعماق •

■ ■ ■

الصهيونية.. وحقوق الإنسان العربى

● تأليف : د • اسعد رزوق
● عرض : د• شكرى عازر

اختتم المؤلف هذا البحث قائلا « ويكفى فى خاتمة هذا البحث عن موقف الصهيونية من الحق العربى بفلسطين ونظرتهم العريقة الى حقوق شعب فلسطين أن نردد ماقاله وايزمان ، أول رئيس لدولة اسرائيل ، من أن العالم سوف يصدر حكمه على الدولة اليهودية فى ضوء ماتفعله بعرب فلسطين وما تقترفه بحقهم من ظلم وعدوان واغتصاب» . فماهى الجذور التاريخية للفكرة الصهيونية ؟ وما هى طبيعة النظرة الصهيونية لفلسطين، وبالتالى لاهالى فلسطين من العرب ؟ وماهو حقيقة « الحق التاريخى » الذى نادت به الصهيونية فى « ارض الميعاد » ؟ وماذا كانت تضمره الصهيونية لعرب فلسطين قبل تكوين دولة اسرائيل ؟ وماذا فعلت بهم بعد تأسيسها ؟

يجيب الكتاب فى عرض تفصيلى يقع فى جزءين يبلغ عدد صفحاتهما حوالى ٤٠٠ صفحة من القطع المتوسط ، على هذه التساؤلات ويوضح الاساليب الملتوية التى اتبعها قادة الصهيونية والتى تتفاوت بين « اللين » حينا و « التصلب » أحيانا كثيرة لابتلاع الحقوق العربية ،وتحريك أنظار الرأى العام العالمى عن حقوق الشعب الفلسطينى فى أرضه ، ووطنه • والكتاب قدمه الدكتور أسعد رزوق الى المؤتمر العربى الاقليمى لحقوق الانسان الذى عقد فى الاسبوع الاول من ديسمبر سنة ١٩٦٨ فى بيروت كأحد الاصوات التى تسعى الى اسماع العالم صوت الحق فى قضية فلسطين فى العيد العشرين لصدور الاعلان العالمى لحقوق الانسان • ومما يدعو الى الارتياح معرفتنا ان هذه الدراسة العلمية ، جارى ترجمتها حاليا الى اللغة الانجليزية

كما يتضح من كلمة السيد أنيس صايغ المدير العام لمركز الابحاث بمنظمة التحرير الفلسطينية فى تقديمه للكتاب ٠

يوضح المؤلف كيف تقف الصهيونية، منذ الوهلة الاولى، ضد كل مايمت الى حقوق الانسان العربى بصلة ٠ وهذا أمر طبيعى، فليس فى وسع الدعوة الصهيونية فى مطامعها الراميـة الى الاستيلاء على أرض الوطن الفلسطينى، الاعتراف بأية « حقوق للانسان العربى » ولا حتى بوجود هذا الانسان صاحب هذه الحقوق بـالذات ٠ فالدعوة الصهيونيــة لا تطبــق ذلك الحــق الذى (يناصبها العداء) ويفضح مزاعمها الباطلة المتأصلة فى دعواها ٠ الا أن المؤلف لا يكتفى بانطباع الوهلة الاولى على مافيه من صدمة، ويدعو الى استكمال معالم الصورة بـدراسة مايجوز تسميته بالجــذور التاريخية والمتوارثة لنظرة الصهيونية الى حقوق الانسان العربى :

فالفكرة الصهيونيـة وليـدة البنية والتفكير الاوربى فى النصف الثانى من القرن الماضى ووريثة الدعوة الى ارجاع ملك اليهود بفلسطين لسابق عهده القديم فى الربع الاولى من القرن السابع عشر ٠

ففى القسم الاول من الكتاب يشرح المـؤلف باسهاب **الجذور الاوربية للصهيونية** فيبيــن ان تيودور هرتزل وماكس نوردو قد شبا فى كنف الثقافة الالمانية التى كانت سائدة فى الامبراطورية النمساوية المجرية ٠ وفى المناطق التى أصبحت تؤلف الامبراطورية الالمانية منذ ١٨٧١ .كىيشرح كيف اتجه المثقفون اليهود الى الاحزاب الليبرالية الاوربية التى تعهدت مسألة التحرر اليهودى ٠ ويتتبع حركة هجرة اليهود الى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا، وكيف استطاعوا الذوبان فى الطبقة العمالية هناك ٠ بينما تجنب يهود أوربا الوسطى هذا المصير باتجاههم الى المهن الحرة واحتلالهم مراكز مرموقة فى عالم المال والتجارة، وتسنىلهم انيقطفوا ثمارالليبرالية، علىالرغممن أنهم لم يكونوا سوى ٢٥ر١ فى المائة من مجموع سكان الامبراطورية الالمانية ١٨٧١، وكان لابد من ظهور العداء واسقاط التهم على يهود النمسا والمانيا حتى ساءت الاحوال المالية فى البـلاد وطرأت الازمات، ووجه العداء فى المقام الاول الى ذلك القطاع من اليهودالذى حظى بأوفر نصيبمن النجاح فى عالم المال والتجارة ٠

وفى عام ١٨٧٩ عمد فيلهلم مار الى تأسيس رابطة (اعداء السامية) وهدفها :

١ ــ العمل على توحيدالالمان من غير اليهود،
٢ ــ اللجوء الى الطرق القانونية البحتة فى الوقوف ضد عملية استمرار التغلغل اليهـودى وارغام الساميين على الرجوع الى المركز المتكافىء مع قوتهم العددية. ومنذ ذلك الحين شاعاستعمال لفظ « العداء للسامية » بمعنى « العداء لليهـود » واخذت البورجوازية الالمانية والنمساوية تـربط العظمة القومية بعجلـة التـوسع السيـاسى والامبريالى فيما وراء البحار على اعتبـار ان « الاجناس المتفوقة » هى حاملة رسالة المدنية الى« الاجناس المتأخرة» ٠

وعلى نفس النهج تأسست جمعيـة « اسرائيل الفتاة » عام ١٨٩٢ ويدعو برنامجها الى ١: ـ خلق منظمة صهيونية موحدة ٢ ـ ايجاد صندوق للحركة الصهيونية ٣ ــ احياءاللغة العبرية ٤ ــ اعادة تنظيم النشاط الاستعمارىبفلسطين ،وهكذا اثبتت الفكرة الصهيونية وسارت على نفس النهـج العنصرى الامبريالي للبرجوازية الالمانية ٠

وبالفعــل حاول هرتزل التقرب من الاطماع الامبريالية الالمانية واستغل الاهتمام الامبريالى الاوربى بمصير الامبراطورية العثمانية خـلال الفترة من ١٨٧٦ ـ ١٩٠٩ وصعوباتها المالية، فخطر له ولبعض الصهيونيين البريطانيين فكرة الحصول على فلسطين لقاء عقد صفقة مالية مع السلطان نظير حوالى ٢٠ مليون جنيه ،ويخاطب السلطان قائلا : « الرجا ان تاخذوا بعين الاعتبار كوننا المتقدمين الوحيدين لشراء سلعة غير منتجة ولا قيمة لها لدىسائرالناس ،والثمن الذىنعرضه باهظ للغاية». وفى نفس الوقتيخاطب انجلترا محاولا اقناعها بهذاالحل بوصفه خير طريقلايجاد منفذ حيوى الى الهنـد، ويخاطب الامبراطور غليوم الثانى بأن هذا هو طريق تحريك سيـل المهاجرين المتدفق من أوربا الشرقية الى فلسطين بدلا من المانيا .

اما بالنسبة لـ « العداء للسامية» فيشرح المؤلف فى ختام هذا القسم من الكتاب كيف كانت هذه الظاهرة هى السبب فى توجيه النظرة الهرتزلية نحو اعتماد الحل الصهيونى للمسألة اليهودية عام ١٨٩٥ ٠ كى يشرح فلسفة أعداء السامية فى فرنسا وعلى رأسهم الصحفى ادوار درومون فىكتابه (فرنسا اليهودية عام ١٨٨٦)، وكيف اتخذ العداء للسامية شكل العداء للراسمالية . فما هى وجهة نظر الصهيونية فى العداء للسامية؟ يرى هرتزل «انالعداءللساميةهو وحده ،دونسواهالذىجعل منا يهودا » كما يرى فى الصهيونية محاولة جديدة لتسخير قوة الضغط المعادى للسامية، فى خدمة المسألة اليهودية، بل واعتبر ظاهرة العداء للسامية خاضعة للمشيئة الالهية وارادة الخير فى الكون ٠ ويقول « ان لم يكن العداء للسـامية واليهود موجودا فمن الواجب استنباطه كشرط لوحدة اليهود وشعورهم بيهوديتهم والحفاظ على كيانهم الانعزالى الخاص » ٠

وفى القسم الثانى من الكتاب، يوضح المؤلف

محاولات الصهيونيـــة الفلسفيـــة والسياسيـــة وتخطيطها « لخلق » الدولة اليهودية ، وفى بحثها عن الاساس القانونى لهذه الدولة لم يجد هرتزل الا مفهوم (الوكيل المفرض) فى القانون الرومانى. فالمنظمة الصهيونية العالمية هى الوكيل المفرض ، واليهود فى جميع انحاء العالم هـم (الشعب المفرض) ولا يبقى فى نظره سوى البحث عن السيادة على قطعة من الكرة الارضية يضمنها القانون « العام » بدلا من الاستناد الى القانون الدولى حتى لا يصطدم بحقوق العرب كما ينص عليها القانون الدولى ، لان الاقرار بأى حقوق عربية معناه بطلان الادعاءات الصهيونية كافة • ولم تجد الصهيونية سوى حجج من طراز (مالقيه اليهود من اضطهاد فى أوربا) أو الرغبة الشديدة فى (أحياء القومية اليهودية) أو (الحق التاريخى لليهود بفلسطين) فهى أرض الميعاد التى يتحدث عنها الكتاب المقدس • نجد أن هذه الحجج تخرج عن نطاق القانون الدولى فلا يمكن للصهيونية أن تدعى السيادة على اقليم انقطع وضع اليد عليه هذه الفترة الطويلة من الزمن • ويوضح المؤلف كيف ان هذه الادعاءات لا تختلف كثيرا عـن مسألة (الحق الالهى) التى قضت عليها الثورة الفرنسية ، ونبذتها عقلية القرن الثامن عشر الثائرة •

وكما تجاهلت الصهيونية فى مناداتها بحقها التاريخى فى فلسطين حقوق عرب فلسطين بل ووجودهم أصلا نجدها ترسم خطتها لاحتلال تلك القطعة من الكرة الارضية على اعتبار انها بلاد « خالية » ليس من السكان بالطبع ولكنها تؤلف نوعا من « الفراغ الحضـــارى » ، الذى سيملاه اليهود « رسل المدنية الاوروبية الى الشرق » وعلى الرغم من تطابق هذا المفهوم مع النظـرة الاستعمارية وفلسفتها السائدة فى أوروبا آنذاك، نجد الصهيونية تحاول ادعاء المثالية والانسانية فتتحدث عن انتزاع الارض بالوسائل « العصرية » وبـ «لطف» تتبع خطة مرسومة تتلخص فى انضمام اصحاب الاملاك الى معسكر الصهيونية وتجريدهم من حـق الملكية على أسـاس طوعى • أما الفقراء « فسوف نحاول تسريبهم عبر الحـدود بتأمين وظائف العمل لهم فى البلدان الانتقالية ، على أن نسد فى وجوههم كل مجالات العمـل والاستخدام فى بلادنا » •

وهذه هى ملخص الوسيلة العصرية للاستعمار الصهيونى اللطيف التى تختلف عن تلك الطرق البدائية التى اتبعها الافاقون والمغامرون مـن الاستعماريين فى كاليفورنيا وامريكا ، ولا تحبذها الحركة الصهيونية ، التى تضمن لعرب فلسطين حق الجوع والتشرد خارج وطنهم • وللقاء مزيد من الضوء على نظرة الصهيونية الى حقـوق الانسان العربى يبرز المؤلف ما يسمى **بعقلية المنفى** التى انمتها الصهيونية لدى اتباعها من اليهود وانعكاسها على سكان فلسطين وكيف انقلب عبيد الامس الذين انتقلوا الى بلاد يتمتعون فيها بحرية بلا حدود وينظرون الى العرب على أنهم وحوش همج لا يفقهون ما يدور حولهم على حد تعبير الصهيونى احدهما عام ١٨٩١ ، وكيف سعى اليهود لتجريد الاهالى العرب من حقوق ملكيتهم ، وخلق مشردين جددا من طراز عصرى الطابع والمضمون •

وحتى تتضح أكثر طبيعة الحقوق العربية فى مفهوم قادة الصهيونية ، يقول هرتزل ردا على تساؤل ليروى بوليو الكاتب الفرنسى بما سيحل بسكان فلسطـين الحاليين مـن المسلمـين والمسيحيين .. «ماذا .. سوف يكونون فى رأينا على أحسن حال .. لانهم سوف يحصلون على العمل والمواصلات والحضارة فى بلادهم الفقيرة والمتحجرة » فهذه هى كل حقوق من يتبقى من العرب داخل الوطن القومى المتحضر لليهود •

وأكثر من ذلك ، فان الحركة الصهيونية كانت تنظر الى عرب فلسطين على انهم بلا حقوق فى بلادهم وبالتالى لم يشيروا على الاطلاق الى أهالى فلسطين عندما طالبوا بجعل البـلاد التـى اسمها (فلسطين) وطنا للشعب اليهودى البالغ آنذاك ٩ ملايين ، ولا تكترث لوجود العرب المقيمين على تلك الرقعة ، ولا بمصيرهم ، بل تهتم فقط بالحصول على (براءة الاستيطان) من مـالكها وهو سلطان تركيا منذ قيام الحركة الصهيونية حتى صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ • وهذا المفهوم يفسر لنا الشعار الذى رفعه اسرائيل زانغويل « اعطاء الشعب الذى لا ارض له ، أرضا لا شعب فيها » هكذا بمنتهى البساطة « لا شعب فيهـا » !! وبالتالى لا حقوق لهم ! ••

وفى القسم الثالث من الكتاب ينتقل المؤلف الى شرح **موقف الصهيونية العملى وسياسة التغلغل الاقتصادى** ، وكيف أصبحت تنظـر الى براءة الاستيطان التى سعى اليها هرتزل سياسيا مجرد قصاصة ورق، مالم تتسع الى الهجرة والاستعمار العملى لفلسطين • وبالفعل بدأت الصهيونية عام ١٨٩٨ فى تأسيس صندوق الائتمان اليهـودى للاستعمار ، وتبعه تأسيس الصندوق القـومى اليهودى عام ١٩٠١ كمؤسسة تابعـة للمنظمة الصهيونية العالمية لابتياع الاراضى العربية فى فلسطين ، واعلانها ملكا دائما للشعب اليهودى بأسره وتصميمه على تجريد العرب من حقوق ملكيتهم لاراضى بلادهم ، واقصاء اليد العاملة العربية عن المشروعات الخاضعة لاشرافه • فهو يمتلك الارض كمقدمة للتخلص من أهاليها وسكانها العرب على النحو الذى خططه هرتزل من قبل •

وعقب صدور وعد بلفور ، سارع الصهيونيون المجتمعون فى لندن فى صيف ١٩٢٠ الى انشاء الصندوق التأسيسى لفلسطين (الـكيرين هايسود) ، والذى يعتبر بمثابة الذراع المالية للمنظمة الصهيونية فى سعيها لوضع فكرة الوطن اليهودى موضع التنفيذ . ودعا ماكس نوردو عام ١٩٢٠ الى تهجير اعداد كبيرة من الشباب اليهودى الى فلسطين بقصد (الاستيلاء السلمى) على (أرض الاباء) التى وعد بها الحلفاء . وسبقه اسرائيل زانغويل الى « كيفية التخلص مما يزيد عن ٣٠٠٠٠ مالك عربى ،وحوالى ٦٠٠٠٠٠من الفلاحين العرب الذين يملكون القسم الاعظم من التراب المقدس ،حتىتصبح فلسطين ، وطناقوميا يهوديا فى القلب والقالب » .

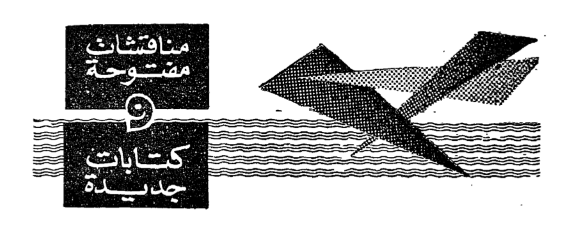
ويسلط المؤلف الضوء على « بلفور » نفسه صاحب « الوعد » المشهور ويفضح افكاره ازاء العربوحقوقهم ،فيصف نفسه فى الاحتفال العام الذى اقامه الاتحاد الصهيونى البريطانى تحت رئاسة اللورد روتشيلد فى ١٢ يوليو سنة ١٩٢٠ ابتهاجا بانتداب بريطانيا على فلسطين وادماج وعد بلفور فيبنود معاهدةالصلح مع تركيا.« انا صهيونى عن اقتناع منذ زمن طويل وبهذه الصفة اقف أمامكم اليوم » أما بخصوص حقوق العرب عامة وعرب فلسطين خاصة فيقول بلفور « بريطانيا هى التى أقامتالسيادة العربية المستقلة فى الحجاز وهى التى ترغب فى اقامة دولة عربية تتمتع بالحكم الذاتى فى بلاد ما بين النهرين ، فهل يضيق العرب بعد ذلك من استحواز الصهيونية على تلك « الثلجة » الصغيرة وسط الاراضى العربية الان ؟ »

وينتقل اللورد بلفور للرد على النقد الذى وجهه الكثيرون لوعده تحت شعار « مبدأ تقرير المصير » الذى لو جرى تطبيقه على نحو مستقيم لاصبح لزاما ترك امر فلسطين بيد الاكثرية الساحقة من العرب ، فيعتبر تلك الحجة « اداة بارعة » و « تكتيكا » يصعب الرد عليهما ويحاول التهرب بالادعاء بأن قضية اليهود فى جميع البلدان قضية استثنائية ، وتقع خارج نطاق القواعد والمبادىء الاساسية المألوفة ، ويصف دعاة مبدأ تقرير المصير بـ « المتحذلقين » و «أولئك الذين اعماهم التعصب الدينى والعنصرى » .

وللرد على فكرة الاكثرية العربية فى فلسطين تقدم الحركة الصهيونية تفسيرا ملتويا على لسان شحارب ليفين ١٩٢٩ يضع الاقلية اليهودية فوق الاكثرية العربية ، ومفاده ان«وعد بلفور لم يمنح للسكان اليهود فى فلسطين ، بل للشعب اليهودى بأسره » فالقضية ليست قضية ٦٠٠٠٠٠ عربى ضد ١٦٠٠٠٠ يهودى فى فلسطين ولكنها قضية ٦٠٠٫٠٠٠ عربى فى فلسطين ضد ١٦ مليون يهودى فىانحاءالعالم، وبالتالىفالاكثرية اليهودية فى العالم لها حق تقرير مصير فلسطين .. وليس للاغلبية « الاقلية » العربية هذا الحق فى تقرير مصير بلادهم ، وبدلا من محاولة حل « المسألة اليهودية » أصبحت الصهيونية تدعو لحل « المشكلة العربية » على مستوى « المثالية الصهيونية » .

وفى القسم الرابع من الكتاب ،يتحدثالمؤلفعن الصهيونية المقاتلة التى سعت بقوة السلاح لوضع وعد بلفور موضع التنفيذ والمسارعة فى اللجوء الى عصبة الامم حين تحقق الاكثرية العربية بعض المكاسب التى تأتى فى صميم حقوقها الاساسية المشروعة ، واتهام بريطانيا بخرق حقوق الشعب اليهودى والاخلال بالتزاماتها التى تعهدت بها فى وعد بلفور وصك الانتداب . وهجومها العلنى على حق العرب فى انجاز وحدتهم فى صورة (جامعة الدول العربية ١٩٤٥) واتهام بريطانيا بالعمل على تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية والسياسية بنوع خاص بين البلدان العربية والسماح لممثل عربى عن فلسطين بحق العضوية فى مجلس الجامعة العربية ، مما يشكل تحديا لحقوق اليهود ، ويجعل الصهيونية عدوة استقلال فلسطين والحق العربى المطالب بتقرير المصير والحرية فى التعبير عن ارادته القومية .

وهكذا ينتهى الكتاب بشرح وتوضيح الاسس الفكرية والتاريخية والعملية للنظرة الصهيونية لفلسطين وشعبها العربى .. نظرة قائمة على الانكار التام لحقوق الانسان العربى فى وطنه الفلسطينى والتقليل من شأن هذه الحقوق وتجاهل وجود المطالبين بها وسط سيل من الاوصاف التى تطلق على شعب فلسطين من أفواه الدعاية الصهيونية ، والابواق الاستعمارية ، فتعتبرهم [مخربين ومتسللين وارهابيين] دون الاشارة الفاضحة الى كيفية استيلائهم على هذه الارض بعد طرد أهلها العرب من بيوتهم وديارهم وارضهم . وبعدشرح الحقالعربى واقناعالرأى العام العالمى لا يبقى أمام أصحاب الحق والشعوب الواقفة الى جانبهم سوى استرداده بالوسائل نفسها التى انتزعت بها هذه الحقوق . وفى الحقيقة لقد بذل المؤلف مجهودا كبيرا فى توضيح افكاره على لسان قادة الصهيونية ذاتها واعتمادا على الوثائق الاصلية لكل فكرة أو حدث . ونهج نهجا علميا دقيقا فى البحث ، مما دعاه فى بعض الاحيان نتيجة استغراقه فى التفاصيل الى عدم ابراز بعض الاستدلالات الحاسمة والخروج بنتائج سهلة للقارىء العادى . وان كان الكتاب يسلح الشباب العربى بأسس واضحة للدفاع عن حقوقهم المهضومة فأهميته تزداد بالنسبة للرأى العام الاوربى الواقعتحت تأثيرالصهيونية منذ أكثر من مائة عام حتى يومنا الحاضر،ومنهناتبرزالاهمية الكبيرة لترجمته الى اللغة الانجليزية وهو ما يقوم به حاليا مركز الابحاث لمنظمة تحرير فلسطين .



كتابات جديدة

اسرائيل ..
واضطهاد اليهود الشرقيين

محمد السيد سليم
المعيد بقسم العلوم السياسية
كلية التجارة — جامعة الاسكندرية

بينما تروج اسرائيل لدعاياتها الزائفة عن « اضطهاد العرب لليهود » ، يمارس الكيان الصهيونى اشكالا مقوتة من الاضطهاد ضد اقسام من اليهود انفسهم حول هذه الحقيقة ، يكتب محمد السيد سليم — المعيد بقسم العلوم السياسية بتجارة الاسكندرية — هذا المقال .

يتألف الكيان الاجتماعى لاسرائيل من هرم يتربع قمته اليهود الاشكناز ، وهم المهاجرون من اوربا وامريكا ويليهم اليهود المهاجرون من اوربا الشرقية ثم يهود الشرق الذين هاجروا الى اسرائيل من البلاد العربية وايران والهند وغيرها وهم يمثلون قاعدة الكيان الصهيونى . وتأتى الاقلية العربية فى المحل الاخير . ويهمنا فى هذا المقال دراسة أوضاع اليهود الشرقيين فى الكيان الاجتماعى الاسرائيلى ، وذلك من النواحى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، وفى الاطار الطبقى والعنصرى العام لهذا الكيان . وفى الواقع فان الاضطهاد الذى يلاقيه اليهود الشرقيون فى اسرائيل أصبح امرا مسلما به ومعروفا فى الاوساط العالمية وحتى فى الاوساط الصهيونية والاسرائيلية .

فقد جاء فى القرار الذى اصدره المؤتمر السادس والخمسون للاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين ان التفرقة العنصرية بين اليهود الشرقيين واليهود المنتمين الى اصول غربية هى احد اسس السياسة الاسرائيلية . كما اكد مندوبو كثير من الدول حقيقة هذه التفرقة الموجهة ضد اليهود الشرقيين أمام لجان الجمعية العامة للامم المتحدة . كما يقول **فنساى مونتاى** المحرر بجريدة الموند الفرنسية « ان اسرائيل قلعة الديمقراطية

ليست الا بطلة التفرقة العنصرية بين اليهود انفسهم اذا كانوا افريقيـين او شرقيين ، والفلاشـــا الاثيوبيون ممنوعون من دخول اسرائيل » (١) .

كما يقول الكاتب الفرنسي **ماتياس كورفن** « رغم ان الاسرائيليين الاوربيين الاصل أقلية فى اسرائيل الا أنهم وهم اسياد البلد الحقيقيون ويعتبرون انفسهم ممثلين للحضارة الغربية،ويعاملون اولئك الذين اطلقوا عليهم الشرقيين » كمواطنين مـن الدرجة الثانية » . كذلك فان الاوساط اليهودية ذاتها تعترف بهذه التفرقة ، فالكاتب البلغـارى اليهودى اربن يقول « ان التفرقة العنصرية تتجلى فيما بين اليهود ذوى الجنسيات المختلفة ، فهناك يهود الشرق ويهود الغرب وهناك اليهود السود الذين آتوا من آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية . واليهود البيض الذين اتوا من أوربا وامريكا . والتفرقة تضم كل مكان فى القرية وفى العمل وفى السينما ، وفى الشـارع ، الســود ضـد البيض ، والبيض ضد السود . قرى لليهود البيض وقرى لليهود السود ، ومؤسسات يملكها يهودى أبيض يعمل بها يهود بيض وأخرى يملكها يهودى أسود يعمل بها يهود سود » .

كما ان الكاتب الصهيونى جوزيف ونر ، لا يجد بدا من أن يقول « ان اليهود السفارديم والشرقيين يشكلون طبقة أقل امتيازا اقتصاديا وثقافيا وأقرب الى العرب منهم الى باقى اليهود » .

مما دعا لويس فينكوس ان يحذر فى تقريره المقدم الى المؤتمر الصهيونى السادس والعشرين المنعقد فى القدس المحتلة سنة ١٩٦٥ من ان التمييز العنصرى الذى يظهر بشكل واضح فى المجتمع الاسرائيلى يهدد بأن يجعل من اسرائيل اسرائيليتين احداها شرقية والاخرى غربية .

فما هى الجذور الحقيقية لهذه التفرقة التى تصل الى حد الاضطهاد ؟ لايضاح ذلك يجب أن نبدأ بتحـديد ، ما الذى نقصده بكلمة اليهـود الشرقيين .

ما المقصود باليهود الشرقيين ؟

الواقع أن **اليهود الشرقيين** لا ينتمون الى آى من المجموعتين : الاشكنازيم ، والسفارديم . وانما يمثلون طائفة قائمة بذاتها ، استمدت اصولها من فلسطين أساسا أو من مراكز يهودية ثانوية . وبذلك فان الاشكنازيم هم يهود غرب ووسط شرق أوربا بالاضافة الى يهود العالم الجديد ثم جنوب افريقيا واستراليا . أما السفارديم فهم يهـود البلقان والشرق الادنى ، كما يضمون يهود بعض مستعمرات وجاليات مبعثرة على شواطىء البحر المتوسط . اما اليهود الشرقيون فهم يهود شمال افريقيا وفلسطين والعراق واليمن ثم القـوقاز وايران والتركستان الروسية وكذلـك الهنـد والصين (٢) .

طبقا لهذا التعريف نلاحظ ان اليهود الشرقيين يشكلون نسبة كبيرة من سكان اسرائيل فيقدر **ناداف صفران** ان المهاجرين من آسيا وافريقيا يشكلون ٢٨ فى المائة من سكان اسرائيل والمهاجرين من أوربا وأمريكا ٣٥ فى المائة والمولودين فى اسرائيل يشكلون ٣٧ فى المائة وفى هذه النسبة الاخيرة يشكل المواليد من ابناء المهاجرين الاسيويين والافريقيين نسبة كبيرة .

وهذه احصائية توضح توزيع السكان فـى اسرائيل حسب مكان الميلاد (٣) .

بلد الميلاد	١٩٤٨	١٩٥١	١٩٥٤	١٩٥٧	١٩٦٠	١٩٦١	١٩٦٤
فلسطين	٢٥٣ر٦٦١	٣٥٣ر٢٢٠	٤٧٠ر٨١١	٥٨٨ر١٩١	٧٠٨ر١٤٠	٧٩٥ر٤٣٤	٨٨١ر٤٩٠
آسيـا	٥٧ر٧٦٨	٢٨٩ر٥٦٥	٢٩٢ر٨٦٠	٢٩٦٩٢٣	٣٠٢ر٤٨٠	٣٠٤ر٤٣٩	٣٠٨ر٨٨٧
افريقيا	١٢ر٢٣٦	٩٨ر٥٧٦	١٢١ر٠٣٣	٢١٨ر٩٢٠	٢٢٨ر١٤١	٢٨٣ر٠٦١	٣٣٤ر٢٢٣
اوربا وأمريكا	٣٩٣ر٠١٣	٦٦٣ر٠٣١	٦٤١ر٣٠٥	٦٥٨ر٧٠٧	٦٧١ر٤٢٨	٦٨٥ر٩٤٨	٧١٤ر٥٦٧
المجموع	٧١٦ر٦٧٨	١ر٤٠٤ر٣٩٢	١ر٢٥٦ر٠٠٩	١ر٧٦٢ر٧٤١	١ر٩١١ر١٨٦	٢ر٠٦٨ر٨٨٢	٢ر٢٣٩ر١٧٧

(١) الطليعة . اكتوبر ١٩٦٨ ص١٥٤
(٢) د. جمـال حمدان ـ « اليهودانثروبولوجيا » ـ دار الكاتب العربى ـ ١٩٦٧ ـ ص٢٩ ، ٣٠ .
(٣) بسام ابو غزالة : التخطيط فى اسرائيل ـ مركز الابحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية . اغسطس ١٩٦٧ ـ ص٦١

الجـــذور الحقيقيـــة لاوضاع اليهود الشرقيين

يجب ألا نقع فى الشرك الصهيونى الذى يحاول أن يبرر الاضطهاد العنصرى لليهود الشرقيين الى أسباب تتعلق بالظروف التاريخية التى تتعلق بحياة كل من الطوائف اليهودية فى مختلف انحاء العالم ·

والواقع أن هذا الاضطهاد يرجع الى عوامل طبقية وعنصرية تتعلق بطبيعة الكيان الاسرائيلى والحركة الصهيونية ، ولا ترجع الى مجرد الاختلاف التاريخى · وتفصيل ذلك ان الحركة الصهيونية ـ بوصفها النتاج الطبيعى للتطور الراسمالى فى اوربا، والذى ادى الى نشأةالطبقة البورجوازية ، وعلى راسها كبار البورجوازيين والماليين اليهود ـ هى التى أثارت النعرات العنصرية والدينية لدى اليهود ، للانفصال عن مجتمعاتهم القومية فى اطار احياء خاصة عرفت باسم « غيتو » حيث يستغل رجال المال والصناعة اليهود طاقات البروليتاريا اليهودية، وذلك لتقوية مركزهم التنافسى فى السوق الراسمالية ، مما ترتب عليه حركة تعصب مسيحية مضادة لمقاومة المنافسين اليهود خاصة ازاء ما قام به كبار التجار اليهود من عمليات اقراض فاحش بالربا · ومن هنا كانت دعوة البورجوازية اليهودية الى تجميع اليهود فى منطقة واحدة تكون مركزا لعملياتهم الاستغلالية فى العالم كله ، وكان مناسبا لهم استغلال العواطف والمعتقدات الدينية القديمة ، ليكون هذا التوطين فى فلسطين [٤] . ويؤكد ذلك اليهودى آربن فيقول « لقد وجد الرأسماليون اليهود امثال البارون هيرش والبارون روتشيلد فى اليهود الذين هاجروا الى مختلف دول أوربا صيدا ثمينا أذ وجدوا فيهم الايدى العاملة الرخيصة فأخذوا يستغلونهم تحت ستار الانسانية والشفقة ، وأنشأوا لهم مستعمرات زراعية فى فلسطين والارجنتين ، وعاش اليهود فى ظل الاستغلال والاحتكار فى حالة لا يحسدون عليها ، ومات آلاف منهم فى فلسطين » [٥] ·

ويؤدى بنا هذا الى نتيجة هامة ، وهى ان الطبقة البورجوازية اليهودية الاوربية التى حركت الحركة الصهيونية لاهداف استغلالية اقتصادية بحتة هى التى سيطرت فيما بعد على مراكز القوة الاقتصادية والسياسية فى اسرائيل · وذلك فى مواجهة جماهير العمال من اليهود الذين هاجروا الى اسرائيل من الدول الشرقية وراء وهم « أرض الميعاد » ، واصبحوا المادة الخام للنزعات الاستغلالية للبورجوازية اليهودية الغربية .. وذلك هو فى الواقع الجذر الطبقى الاقتصادى الحقيقى للاضطهاد المفروض على اليهود الشرقيين فى اسرائيل · ويؤكد لنا هذه الحقيقة أن زعماء المنظمة الصهيونية فى غرب أوربا كانوا ينظرون الى اليهود الشرقيين على انهم الاداة الرئيسية لتنفيذ مخططاتهم . ومن ذلك ان بلفرينفلد يذكر أن فرانز أوبنهايمر حدثه فى المؤتمر الصهيونى الذى انعقد فى هامبورج سنة ١٩٠٩ قائلا « عليك أن تعرف أن الصهيونية هى كناية عن عملية نشرف منها نحن على الاخراج ويقوم اليهود الشرقيون بالتنفيذ » (٦) ·

وهكذا يضم الكيان الاسرائيلى مجموعة من العناصر لا يجمع بينها سوى رابط الدين ومجرد الرغبة فى العودة الى أرض الميعاد · وهو ما لا يكفى لتكوين رابطة سياسية قومية، خاصة ان هذه العناصر تتحدث بسبعين لغة وتنتمى الى ٩٢ دولة ، وقد سيطرت على هذه العناصر أقلية حاكمة تتشكل من يهود غرب اوربا وامريكا متحالفة مع يهود شرق أوربا الذين هاجروا الى اسرائيل ، وهم من غلاة الفكرة الصهيونية · وهذه الاقلية تعتبر نفسها ممثلة للثقافة الغربية المتقدمة ، ولذلك فهى تخشى الذوبان فى خضم الطوفان المتزايد من اليهود الشرقيين ، ولذلك فهى تعمل على الانفصال عن اليهود الشرقيين وتخشى من تكاثرهم مما قد يؤدى الى تحويل اسرائيل فى رأيهم ـ الى دولة شرقية الطابع على نحو ما يقول مكسيم رودنسون [٧] .

الاضطهاد الاقتصادى والاجتماعى والثقـافى لليهـــود الشرقيين

يشغل اليهود الشرقيون الوظائف الدنيا ، ويقومون بالاعمال الزراعية والحرفية الصغيرة ، بالاضافة الى انهم يحصلون على نسب ضعيفة من الدخل القومى · فمن ناحية الدخل نجد أنه فى الفترة من سنة ١٩٥١ حتى سنة ١٩٦٠ انخفض

---

(٤) الطليعة ـ دراسة جذور وابعاد الصراع العربى الاسرائيلى ـ مايو ١٩٦٦
(٥) على محمد على ـ فى داخل اسرائيل ـ ١٩٦٢ ـ ص٣٠٨ .
(٦) د. أسعد رزوق ـ نظرة فى احزاب اسرائيل . ص١١١ .
(٧) الطليعة ـ اغسطس ١٩٦٧ . ص١٦ .

معدل الدخل العام للاسر اليهودية الشرقية من ٨٩ فى المائة الى ٧٦ فى المائة من المعدل العام ، بينما ارتفع دخل الطائفة اليهودية الغربية بما فيها يهود البلقان ذوى الدخل المحدود من ١٠١ فى المائة الى ١١٢ فى المائة ، وحسب احصاءات بنك اسرائيل يقل الدخل الشهرى للفرد القادم من آسيا وافريقيا عن نصف الدخل الشهرى للرجل الابيض أو المولود فى اسرائيل • فدخل الاول يقل عن ٩٥ ليرة اسرائيلية بينما يزيد دخل الاخر عن ٢٠٠ ليرة • ويترتب على ذلك ان فئات المجتمع الاسرائيلى تترتب تنازليا من حيث الدخول كما يلى : الاوربيون القدامى والرواد الاوائل – المهاجرون الاوربيون الجدد – القدامى من الشرق الاوسط – المهاجرون من الشرق الاوسط • لذلك فانه بينما هبط مستوى دخل العائلات ذات الاصل الافريقى والاسيوى من ٨٩ فى المائة الى ٧٦ فى المائة بالنسبة للمتوسط العام فى الفترة من ١٩٥١ – ١٩٦٠ ، نجد تحسنا فى الموقف النسبى للعائلات ذات الاصل الاوروبى والامريكى (٨) • أما من ناحية الاعمال والوظائف فنلاحظ أن ٩٤ فى المائة من الوظائف الكبرى يشغلها يهود أوربيون بجانب احتلالهم لـ ٧٢ فى المائة من سائر المراكز الاخرى فى الدولة كالصحافة ، كما أن اليهود الشرقيين يشكلون ٩٠ فى المائة من مجموع العاطلين بينما لا يشكلون سوى ٥ فى المائة من مجموع عدد الطلاب • والملاحظ أن اليهود الشرقيين هم المصدر الاساسى للعمل الزراعى المأجور ، فيقول الانثروبولوجى الامريكى باتاى « ان اليهود الغربيين يعملون جاهدين على دفع اليهود الشرقيين والسفارديم على العمل فى الزراعة حيث يتاح لهم البقاء بالمدن » ، وللتدليل على هذه الحقيقة يورد الاحصائية الاتية التى توضح عدد المستعمرات الزراعية المنشأة فى الفترة من ١٩٤٧/١/١ حتى ١٩٥١/٥/٣١ « مع ملاحظة تساوى عدد المهاجرين الشرقيين والسفارديم مع المهاجرين الغربيين » [٩] •

ومن ناحية التعليم لوحظ أن متوسط سنوات التعليم للقادمين من أوربا وأمريكا هو عشر سنوات بينما يقل هذا المتوسط عن ٥ سنوات لليهود القادمين من افريقيا وآسيا ، كما أن ٣١ فى المائة منهم اميين ، بل أن اسرائيل تحرص على تأكيد مبدأ الفصل العنصرى فى ميدان التعليم بين اليهود الشرقيين وبين الاشكناز سواء فى نوعية التعليم أو فى مداه •

وبجانب ذلك فان الصفوة الاشكنازية الحاكمة تمارس سياسة مخططة هدفها ابقاء الثقافة اليهودية الغربية والقضاء على ثقافة اليهود الشرقيين ، وذلك تحت ستار الوحدة القومية • وتتضح هذه المحاولات فى فرض اللغة اليدية على اليهود الشرقيين ومحاولة تذويبهم ثقافيا فى اجهزة التذويب الاجتماعى التى أسستها هذه الصفوة ، مثل حركات الشباب الكشفى والمنظمات شبه العسكرية والجيش • وعمليات « العزل » واضحة فى ميدان العلاقات الاجتماعية ، وفى الزواج بوجه خاص ، فقد لوحظ انه فى القدس تزوج ٨٢ فى المائة من الرجال الشرقيين والسفارديم من نساء من نفس مجتمعاتهم المباشرة ، وتزوج الباقى من نساء شرقيات اخريات اومن نساء من جنوب وجنوب شرق أوربا ، أما الذين تزوجوا من الاوربيات الاشكنازى فنسبتهم ضئيلة جدا ، كما أن ٩٨,٥ فى المائة من الاشكنازى تزوجوا من طائفتهم انفسهم ، والنسبة البسيطة الباقية تزوجوا من يهوديات من جنوب وجنوب شرقى اوربا لامن يهوديات شرقيات •

ومن ابرز نماذج الاضطهاد الاقتصادى والاجتماعى ذلك الاضطهاد الموجه ضد اليهود الهنود الذين يسمون « بالكوش » وهى كلمة اصطلاحية تعنى « الكلب الاسود » وهم فى اسرائيل يعاملون معاملة « الانجاس » ويفرق بينهم وبين اليهود فى اسرائيل فى الزواج والطلاق والاحوال الشخصية وغيرها من المعاملات ، اذ أنه

البهود الشرقيون		يهــود سفارديم		يهود اشكنازى	
الموطن الاصلى	عدد المستعمرات	الموطن الاصلى	عدد المستعمرات	الموطن الاصلى	عدد المستعمرات
اليمـــن	٥٧	بلغاريا	٨	اوربا الوسطى والشرقية	٨٢
افريقيا الشمالية	٣٥	تركيــا	٥	الدول الانجلو ساكسونية	٩
العـــراق	١٥	يوغوسلافيا	٤	أمريكا الجنوبية	٤
اســران	٨	البـــونان	٢		
الهــــند	٢				
المجمـــوع	١١٧		١٩		٩٥

(٨) حاتم صادق – نظرة على الخطر – ١٩٦٧ – ص ٩٠ •
(٩) يوسف أبو الحجاج – بحوث فى العالم العربى ص ١٤٢ •

فى شهر يونيو سنة ١٩٦١ أصدرت الحاخامية قرارا باعتبار اليهود الهنود انجاس ، ورفضت الترخيص لهم بالزواج من الجاليات اليهودية الاخرى . وقد ثار اليهود الهنود على هذه الاوضاع وقاموا بمظاهرة فى القدس اشترك فيها ألفى شخص ، وانتهت المظاهرة بحرق تمثال الحاخام الاكبر نسيم . ونتيجة لذلك اجتمع الكنيست وقرر فى اغسطس سنة ١٩٦٤ مساواة هذه الطائفة فى الحقوق مع الطوائف الاخرى ، ولكن الحاخام الاكبر سارع باصدار عدة قرارات لافساد تدابير وقرارات الكنيست فقرر ما يلى :

١ - ان أحكام الحاخامية خاضعة لاحكام التوراة فقط ولا يمكن اصدار أحكام الا بموافقتها .

٢ - ليس من حق المحكمة العليا فى اسرائيل مناقشة احكام الحاخامية .

٣ - لا يمكن الغاء الاحكام الخاصة باليهود الهنود ، وكل ما يمكن عمله هو اصدار تعليمات أخرى من الحاخامية تخفف من وطأة قراراتها السابقة دون التعديل فى جوهرها .

٤ - أن الحاخامية سوف تلغى القرار باعتبار أبناء هذه الطائفة مثل غيرهم من أبناء الطوائف الاخرى اذا أجبرت على الغاء هذه التعليمات .

ونتيجة لتلك الاوضاع فقد عاد كثير من اليهود الهنود الى بلادهم ، وكتب عدد منهم الى وزارة الخارجية الهندية يوضحون أسباب عودتهم ، ومما جاء فى خطاب اليهودى آرون سولدم « اننا حين هاجرنا الى اسرائيل وجدنا انفسنا برغم اننا يهود لسنا احسن حال هناك من الافريقيين فى جنوب افريقيا » .

الاوضاع السياسية لليهود الشرقيين

ينعكس الاضطهاد الاقتصادى والاجتماعى لليهود الشرقيين على أوضاعهم السياسية بشكل واضح . اذ انهم يشاركون بالكاد بنسبة لا يعتد بها فى الحياة السياسية لاسرائيل ، بينما تظل السلطة السياسية الرئيسية فى أيدى اليهود الاشكناز . فالملاحظ أن عدد ممثلى اليهود الشرقيين فى الكنيست لا يتناسب اطلاقا مع قوتهم العددية ان لم يتناقض معها . فقد حصلوا فى الكنيست الاول على ٤ مقاعد من مجموع ١٢٠ مقعدا (١٥ر٢٨٧ صوتا من ٤١٥٢٦٠ صوتا أى بنسبة ٣ر٥٢ فى المائة) . وفى سنة ١٩٥٢ لم يكن يمثلهم فى الكنيست سوى ستة نواب بينما كانوا يمثلون ثلث عدد السكان ، ثم ارتفع الرقم الى ٢٠ نائبا اى ١/٦ عدد النواب ، بينما ارتفعت النسبة العددية للسكان من اليهود الشرقيين الى أكثر من ٥٤ فى المائة من السكان . أما فى الكنيست الخامس فلم يزد ممثليهم عن ثمانية اعضاء ، والمقعد الذى حصل عليه يهود اليمن فى الكنيست الاول والثانى لم يمكنهم الاحتفاظ به فيما بعد وحتى الان . فالنفوذ السياسى الحقيقى تحتكره الاقلية المكونة من كبار رجال المال والصناعة من يهود اوربا وامريكا والتى اشتركت فى تأسيس الكيان الاسرائيلى .

فالملاحظ ان جميع الوزارات الاسرائيلية التى شكلت حتى سنة ١٩٦٥ ، شغل المناصب الوزارية ١٤٧ اسرائيليا من بينهم ٣ وزراء شرقيون وهم الحاخام المتوفى توليدانو الذى شغل منصب وزير الشئون الدينية (١٩٥٨ - ١٩٦٠) ، وبخور شعرايت وزير الشرطة منذ مايو سنة ١٩٤٨ والياهو ساسون وزير البريد من نوفمبر سنة ١٩٦١ . على أن أيا من هؤلاء لايمثل اليهود الشرقيين الذين قدموا الى اسرائيل بعد سنة ١٩٤٨ (١٠) . هذا فضلا عن أنه لا يسمح لاى يهودى ملون باحتلال مركز اساسى فى الجيش الاسرائيلى ، ففى اجتماع لمجلس اركان الحرب بوزارة الدفاع قال أحد الضباط لاشكول انه لا يوجد لمشكلة التفرقة العنصرية وجود فى قيادة الجيش وأكمل أحد الضباط ان هذا يرجع الى عدم وجود ملونين فى قيادة جيش اسرائيل . كذلك فانه من الملاحظ أنه لا يوجد أى حزب أو تنظيم سياسى قوى يعبر عن قضية اليهود الشرقيين ، فكل التنظيمات التى تضمهم ليست الا تجمعات ضعيفة للغاية ، ويكفى أن نقول انه فى انتخابات الكنيست الرابع تألفت عدة تنظيمات لم يفز اى منها بأى مقعد فى الكنيست . فقد بلغت أعلى نسبة فاز بها تنظيم ، هى قائمة اتحاد مهاجرى شمال افريقيا التى فازت بنسبة ٨٤ر٠٪ من الاصوات . على انه يشترط للفوز بمقعد واحد ان تحصل القائمة على نسبة ١٪ من الاصوات .

وقد أثيرت مشكلة الاضطهاد الاقتصادى والاجتماعى لليهود الشرقيين فى كثير من اجتماعات المنظمة الصهيونية العالمية ، وبالذات فى المؤتمرين الخامس والعشرين والسادس والعشرين [١٩٦١ - ١٩٦٥] حيث كان التركيز فيهما واضحا على تشجيع الهجرة الى اسرائيل من دول غرب اوربا ، ومن الولايات المتحدة مع الحد بقدر

(١٠) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٥ ، ص٣١٦ ، و د. عبد الحميد متولى : نظام الحكم فى اسرائيل - ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ .

الامكان من هجرة يهود الشرق اليها • وغاية ما انتهى اليه هو تعيين عضو سفاردى (شرقى) فى الهيئة التنفيذية الصهيونية تكون مهمته التحقيق فى شكاوى اليهود الشرقيين (١١)

وهكذا يتأكد وضع اسرائيل كمجتمع عنصرى تتفاقم فيه حدة الاستقطاب الاجتماعى على أسس عنصرية وطبقية يوماً بعد يوم ، وتتزايد فيه التفرقة العنصرية ليس فقط بين العرب وبين اليهود ولكن أيضا وبنفس الدرجة بين اليهود انفسهم ، وبالذات اليهود الشرقيون الذين تسجل الاحصاءات الاسرائيلية ذاتها انهم يشكلون جزءا رئيسيا من تيار الهجرة اليهودية الهاربة من جحيم الاضطهاد العنصرى والطبقى فى اسرائيل •



القاهرة « ١٠٠٠ »

تحت هذا العنوان ، كتب عبد المجيد القط من دمشق ، رسالة ينقد فيها المقال الذى كتبه محمد عمارة عن القاهرة فى عصر الفاطميين والايوبيين بالعدد ٢-١٩٦٩ من الطليعة . وفيما يلى رسالته بالنص ، ليعقب عليها محمد عمارة بعد ذلك .

ليس لنا فى هذا المجال مانود قوله على الحاضر والمستقبل، الا بالقدر الذى تسمح به هذه الخاطرة فى سبيل ايضاحها •

القاهرة فى العصر الفاطمى :

كان هذا المطلب معهودا به للكاتب محمد عمارة ويصوب طريق هذا المطلب نحو التعريف بالمدينة فى تاريخها العملاق •

ويلاحظ :

- ان المطلب خاص بمجلة الطليعة التى تعنى بطريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر •

- ان الاسهاب فى ناحية من مناحى العرض بجانب السلامة الا بالقدر الذى يعطى القارىء فكرة متكاملة غير بتراء •

- ان رأى الكاتب فيما يعرضه من آحداث ويصفه من وقائع يعتبر تجاوزا على مبدأ الامانة المعهود به اليه ، فضلا عن تطوعه فى صياغة مبدأ تلك الحقبة التاريخية ، بل انزلاق المبدأ فى عموميته الى المستقبل مرورا بالحاضر وكأنه شهاب ثاقب لادمغة المفكرين •

أين محمد عمارة من الامانة ؟

فى الصفحة ٤٤ من العدد ٢ لسنة ١٩٦٩ وتحت عنوان : عودة المذهب السلفى ، ورد مايلى : « عندما يواجه مجتمع من المجتمعات خطر الابادة والزوال وعندما يطرح مصيره أمامه فى صيغة سؤال هو : تكون آو لاتكون ؟ كما حدث أثناء الحملات الصليبية للعالم العربى الاسلامى ، فنادرا ما يلجأ هذا المجتمع للعقل والمنطق والفلسفة والبحث فى العلوم الالهية والابداع فى الانسانيات ، ونادرا مايتيح لكل هذه العلوم الجو الملائم كى تزدهر والحريات الواسعة كى تؤتى

(١١) الكتاب السنوى للقضية الفلسطينية لسنة ١٩٦٥ . ص٢٨٩ ، ٢٩٠ .

أشهى الثمار • واذا جاز للبعض ان يفكر اليوم فى مثل هذا الطريق طريق الحضارة وسيلة يلجأ اليها المجتمع الذىتحدق به الاخطار الكبار،فما نظنأن فىعصورنا الوسطى من كان لديه الخيالالجامح كى يرى فى هذا الطريق السبيل الامثل لمواجهة بربرية الصليبيين . فلم يكن امـام العرب المسلمين سوى الجيوش والسلاح ، ومن ثم اسكات كل الاصوات حتى لايتعكر الجو على صليل السيوف ووقع حوافر الجياد ومن ثم النظر بريبة وشك وحذر بل وعداء الى كل الذين يريدون للعقل ان يفكر طويلا وعميقا وكثيرا،فضلا عن ان يسود وهكذا وجدنا الدولة الايوبية تصنع أوسع حركة وأمجد انتصارات على الجبهة العسكرية مع أكبر قدر من السكون القاتل على الجبهة الفكرية » .

وقد تعمدنا نسخالنص بحرفيتهوغايتنا فيهوجه الحقيقة لانها سبيل المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر •

وحرى بالنص ـ اى نص ـ الوقوف على جوانبه قبل الابحار فيه لنتحسس اعماقه .. لذلك ندرج الملاحظات التالية :

ـ ان اسم قائد الجيش الذى استعان بـه العاضد (خليفة الفاطميين) هو أسد الدين الايوبى وليس اسد الدين شيركوه اذ أن كلمة شيركوه تترجم عن الكردية بـ أسد الدين فضلا عن أنه عم لـ صلاح الدين الايوبى ولا يعقل اختلاف اللقب بينهما •

ـ فيما يتحرق القارىء الى استيعاب الطريقة التى مكنت صلاح الدين من دحر الصليبيين ، يجد نفسه فجأة وجها لوجه مع كيفية القضـاء على المذهب الشيعى وبكلمة اصرح على معتنقى المذهب الشيعى .

ـ جدير بالذكر ان المذهب الشيعى قد ألغى رسميا سنة ١٠٩٤ ايام خلافة المستنصر على يد قائد جيشه الارمنى الفضل بن بدر الجمالى •

ـ يرفض القـارىء التعريض ببعض وزراء الفاطميين بسبب ديانتهم غير الاسلامية خاصة حين الاستشهاد بالشعر .

ـ ان نور الدين زنكى نكل بالشيعة وأذلها فى بلاد الشام واتخذ من حلب عاصمة له سنة ١١٤٦ ومع اشتهار هذا التنكيل فقد طلب الخليفة الشيعى العاضد معونته ضد الصليبيين مقابل أقطاع الجند والقواد الاطيان المغرية حتى سار اليه بعضهم بقيادة أسد الدين وصلاح الدين •

ـ بعد ثلاث جولات حربية مع الصليبيين من سنة ١١٦٣ ـ ١١٦٦م طلب الخليفة العاضد مزيدا من المساعدات مقابل اقطاع نور الدين زنكى ثلث البلاد وكانت المعركة الفاصلة سنة ١١٦٨ •

ـ اصدر الخليفة العاضد مرسوما أسند فيه الوزارة الى أسد الدين الذى مالبث ان مات بعد شهرين وخمسة ايام نتيجة وجبة من اللحـوم الغليظة « لاتضحكوا » رحمه الله •

ـ استلم الوزارة صلاح الدين وأخذ يمهد لتغيير الخلافة الفاطمية واعادة مصر الى السلفية السنية وبهذا القول يقطع محمد عمارة حبل التساؤلات عن الغيرة الدينية او الوطنية اوالقومية [القديم على قدمه) فهل يلتقى مع وجهة النظر الاسرائيلية •

الخلاصة :

نرى ان الايوبيين والزنكيين كانوا مأجورين بمقابل مشروط من الخليفة العاضد من أجل محاربة الصليبيين •

ولما كان الغالب يكتب تاريخ المغلوب فقد انساق محمد عمارة مع الغالب (أى غالب) وهـو باختصار صلاح الدين لان المغلوبين لم يكونوا الصليبيين بل الفاطميين،ذلك ان السلطان الرحيم على أعدائه بعد انكسارهم سنة ١١٦٨ منحهم فرصة ثلاث وثلاثون سنة حتى يتم جلاؤهم عن البلاد محولا النصر العسكرى الى هزيمة سياسية والاخاء اللدود يؤجج صدره ضد الفاطميين لئلا يمنحهم مدة ثلاث وثلاثون يوما من مذاق النصر الذى بذلـوا من اجله ليس دمـاءهم واموالهـم وأرضهم بل ومقدساتهم •

فقد عاجل صلاح قائد جيش الفاطميين « مؤتمن الخلافة » فقتله فى نفس سنة النصر واحرقالحى الذىيسكنه جنده الخمسون الفابمنفيه ،وطبيعى ان يلوذ بالفرار من النار كل ذى عمر طويل من الفرسان ويتلذذ صلاح الدين برائحة شواء النساء والاطفال •

ثم كانت المذبحة الرهيبة سنة ١١٧٣ والتمثيل الشنيع بقادة الفكر الشيعى ، والتهمة مكاتبـة الصليبيين واستعداؤهم وهى نفس التهمة الموجهة سابقا الى مؤتمن الخلافة بعيد أيـام النصر مباشرة .

اننا لا نلوم محمد عمارة لانسياقه مع الغالب فى عرضه لتاريخ المغلوب رغم ابـاء الحقيقـة واعتراضها سبيلنا اذ مازالت مدارسنا تلقن طلابها وقائع التاريخ بالشكل الذى عرضه محمد عمارة وان يكن اجتلاء الحقيقة من بين السطور لايحتاج كبير عناء ولا حدة ذكاء

كما اننا لا نود ان نتحول باللائمة على الايوبيين بما اقترفته ايديهم ضد الفاطميين فى أنفسهم وحرياتهم وائتمانهم واستعدائهم •

ولو وقف محمد عمارة عند هذا الحد لكفانا مغبة التصدى له والاسى يغمر قلوبنا لا لكثرة أمثاله بين ظهرانينا فحسب بل للفكرة الثابتة لدى مناصرى قضايانا من المفكرين الغربيين ، الفكرة الثابتة التى تستمر بسبب مقولة من أمثال محمد عمارة : « الشرق المطل على البحر الابيض المتوسط يعتمد على خلفية صحراوية » ، « الشرق الاوسط ـ بعد حرب حزيران ـ يعيش مرة أخرى للاسف فى أوضاع مألوفة لديه » ـ بيير مارتيللو • ص ١٨١ نفس العدد من الطليعة ـ

ـ ان نشوة محمد عمارة بما فتح الايوبيون من تكايا وخوانق ووصفه من عاش فى رحابها وكأنه يوسع خرم الابرة يجد لدينا الصدر الرحب أيضا. الان النص المثمرفى مطلع هذه الخاطرة بعد تكرار تلاوته الظفر بما يوضح العنوان او يهدى اليه كان ضربا من المحال فضلا عن انطوائية الاسلوب والتركيب اللفظى ، اذ يقول مفاخرا بالايوبيين « فما نظن فى عصورنا الوسطى من كان لديه هذا الخيال الجامح ليرى هذا الطريق ـ الذى اتبعه الايوبيون ـ السبيل الامثل ضد بربرية الصليبيين «فماهو الطريق الامثل؟» ويجيب محمد عمارة : « اسكات كل الاصوات » اى أصوات المعارضة ، فما هى المعارضة وماذا تهدف ومن هم المعارضون ؟ •

المعارضة قطعا ليست فى مصلحة الصليبيين وتهدف حتما الى بناء الفكر بالعقل والمنطق فى جو من الحرية ملائم،اما المعارضون فلايمكن ان يكونوا غير المصريين الذين يهلل محمد عمارة لطريقة النظر اليهم : « بالريبة والشك والحذر بل بالعداء لانهم يريدون للعقل ان يفكر فضلا عن أن يسود » المعارضة لم تكن أبدا ضد الخليفة العاضد الذى جاء اليه بالايوبيين المأجورين بل ان المصريين تحملوا من شطط الايوبيين ماتعجز عنه الجبال ارضاء لخليفتهم وبذلا غير محدود من أجل دحر الغزاة الصليبيين •

يسترسل محمد عمارة : « وهكذا وجدنا الدولة الايوبية ـ لا الشعب المصرى ولا الدولة الفاطمية ـ تصنع أوسع حركة وأمجد انتصارات على الجبهة العسكرية » الا أنه يقرن الانتصارات العسكرية مع «السكون القاتل على الجبهة الفكرية» . أترانا بحاجة لان نرفع العصا على السبورة لنشير الى عدم التوافق الزمنى بين الجبهتين ، اذ كانت الثانية ـ الفكرية ـ نتيجة مباشرة للاولى وبذرة خبيثة تحت السطح موجودة قبلها وأثناءها •

أن مالا نقوى على عقرأنه ذلك المبدأ العام الذى قرره محمد عمارة وهو منسجم مع منطق عواطفه فيما يلى العنوان : « عندما يواجه مجتمع خطر الابادة نادرا ما يلجأ للعقل والمنطق » ثم يردف محذرا الجيل الحاضر من اتخاذ الحضارة ـ العقل والمنطق ـ وسيلة عندما تحدق الاخطار الكبار ، فاذا جاز للبعض القليل ان « يتشدق » بهذه الاقاويل ، فلا مجال لان يقول بها الباقون •

هل يستطيع محمد عمارة ان يبين الضرورة الملجئة الى الغاء العقل والمنطق سواء فى عهد الايوبيين أم فى عهدنا الحاضر ؟

فيما نعتقد ان محمد عمارة ليس ضد العقل والمنطق اطلاقا وانما يطلب اعلان الحرب ضدهما وسيلة للخلاص من الاخطاء الكبار المحدقة بالامة وكأنى به يقول « بنصف العدالة » التى قال عنها الاديب المفكر غالى شكرى تحت عنوان ، ابطال المقاومة فى المسرح المصرى ـ بأنها ظلم كامل ، ولسنا معه تماما فى هذا القول اذ نعتبر « نصف العدالة » « ظلم مركب » يهش له الاطفال •

العقل والمنطق هما الحرية والحرية هى مفهوم الضرورة التى تتميز بالفكر وتتزاوج مع الحقيقة والجهل خلاف ذلك •

أما وقد جانب محمد عمارة الحقائق التاريخية فى مبحثه وسار بها فى طريق وعرة وفى النهاية مسدودة فقد كان لزاما علينا تبيان حدود الامانة فى ما عهد به اليه من مطلب حتى نستطيع محو آثار عدوانه على صياغة المبادىء ـ كافة المبادىء ـ فى هذا المطلب بالذات •

وعقب محمد عمارة على هذا النقد ، يقول :

لى على هذه الرسالة «الدمشقية» التى كتبها الاخ العربى « **عبد المجيد القط** » ملاحظات عدة وان كنت أفضل تصنيف هذه الملاحظات ••

فأولا : هناك ملاحظتان رئيسيتان :

١ ـ الاولى تتعلق بذلك «الاتهام» الذى نسبه الى، والذى قال فيه اننى احبذ ان نشن الحرب ضد العقل والمنطق،وان نعتمد فقط على السلاح عندما تواجه مجتمعاتنا الاخطار الكبار ، وأنا لم أقل ان هذا هو الطريق الامثل الذى أنصح به أو أراه ، فقط قلت انه هو الذى سلكه الايوبيون فى مواجهة الصليبيين ، عندما أزالوا الحضارة الفاطمية العقلية وجعلوا السيادة للسيف والسلطان لامراء الجند ، وكل شىء للاجناد .. وهذا « الداء » هو الذى مرض به العالم العربى طوال الحكم الايوبى والملوكى والعثمانى ، حتى كانت التجربة المدنية

العصرية التى اقامها الشعب فى النصف الاول من القرن التاسع عشر على عهد محمد على .

ولعل فى الصياغة التى قدمتها لهذه الفكرة الهامة ـ رغم ايجازها ـ ايماء ، مقصود ، وتحذير من ان نسير فى نفس الطريق ، خصوصا وان الخطر الاسرائيلى قد جعل من مسرح السياسة وادوات الحكم فى بعض مناطق العالم العربى بؤرات تهدد مجتمعاتنا وحضارتنا بالعودة الى هذا الطريق .. فالاخ « عبد المجيد » قد « فهم » عكس ما اريد ؟ !

ب ـ والثانية تتعلق بالدفاع غير الموضوعى ، الذى ساقه صاحب الرسالة ، عن الفاطميين ، والهجوم غير الموضوعى كذلك ، على الايوبيين .. وانا اريد ان اقول : ان على الذين يتحدثون بلغة القرن العشرين ويعيشون احداثه ان يخلصوا أنفسهم وعقولهم من أسر القيود والقوالب والحزازات والاحقاد التى صنعتها سنوات الخلاف بين على ومعاوية ، لان التقدم ومواصلة السير الى الامام ، والانتصار على الاخطار الكبار التى تحدق بمصيرنا انما تطلب منا وحدة « وطنية » ، ووحدة « قومية » ، وتضامنا اسلاميا ، ونضالا مشتركا مع كل الشعوب المحبة للحرية والسلام والتقدم ، ونظرة « انسانية » لاحداث الحاضر ، فضلا عن احداث الماضى . وكل ذلك لا يتفق مع الحدة فى الحديث عن الماضى البعيد وتياراته الفكرية والسياسية، لاننا ورثة كل هذه الصفحات ، وعلينا ان نبرز المشرق منها ، وان نعى ظروف المظلم منها بعقلية المثقف العقلانى المستنير الذى يعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ..

وأيضا فانا أريد أن أقول للاخ « عبد المجيد القط » ، أن القضية ليست مفاضلة بين « مؤتمن الخلافة » وجيشه ، وبين « صلاح الدين الايوبى » وجيشه .. فكلا الجيشين كانت عناصره غريبة عن مصر ، مرتزقة مأجورة ، مجلوبة من خارج البلاد ، ولكن التاريخ والادب الشعبى منهما قبل الرسمى ، قد جعلا من صلاح الدين أسطورة وملحمة عاشت وما زالت فى ضمير الانسان العربى ، غناها الفلاح والعامل والمثقف ، ويغنيها الان ابطال « فتح » بعد عودتهم من عملياتهم ضد العدو الصهيونى على ارض فلسطين . وذلك لان جيش صلاح الدين المرتزق المأجور كان يدفع عن الوطن الخطر الاكبر ، خطر الابادة القادم فى ركاب الصليبيين ، بينما كان مؤتمن الخلافة وجيشه لايستطيع أكثر من الاشتراك فى اللعبة التى يحاول أطرافها الاستيلاء على الوزارة والاستئثار بالمظهر الخادع والبراق لحكم كان فى دور الاضمحلال .. وأخيرا وصل بهم الحال الى الاستعانة ضد بعضهم البعض بقوات الاعداء ، حتى دفعوا له الجزية «عنيد وهم صاغرون» ..بل وراضون؟!.

واذا ما سأل الانسان نفسه ، لماذا قبلت مصر التى عرفت ازدهار الحضارة والعقل والعلم فى عهدها الفاطمى ، حكم الايوبيين الاجناد ذوى المستوى الحضارى والفكرى المنخفض جدا بالقياس الى الفاطميين ؟؟ ولماذا جعلت من صلاح الدين بطلا وملحمة وأسطورة ؟؟ فان الجواب يكمن فى استطاعة الايوبيين اداء دور المنقذ للوطن من الابادة الصليبية ، بينما فشل فى ذلك الفاطميون ..

وثانيا : هناك عبارات غير مفهومة فى رسالة الاخ « عبد المجيد » .. وايضا « مجموعة » من الشتائم ، و « كمية » من ألفاظ السباب ، و « قدرا » غير قليل من الاتهامات ..

فبالنسبة للعبارات الغامضة غير المفهومة ، هناك مثلا :

● استشهاده بكلمة « **بيير مارتيللو** » القائلة « الشرق المطل على البحر الابيض المتوسط يعتمد على خلفية صحراوية » .. ماعلاقة هذه العبارة بموضوعنا ؟! .. وبالرجوع الى عدد الطليعة [٢ ـ سنة ١٩٦٩ م] ص ١٨١ ، وجدنا « مارتيللو » يتحدث عن أديان الشرق ويقول : « اننا لابد وأن نلحظ ظاهرة خاصة ، وهى أن الاديان الثلاثة الكبرى ، أى اليهودية والمسيحية والاسلام ، نشأت جميعا من جذع مشترك فى هذا الشرق المطل على البحر الابيض المتوسط والمعتمد على خلفية صحراوية » ... ففضلا عن أن المقام والموضوع مختلفان تماما وبشكل مطلق ، فان الاخ عبد المجيد قد حرف عبارة « مارتيللو » .. وايضا بترها ؟ !

● ثم ماهى العلاقة بين حديثنا عن أن صلاح الدين الايوبى عندما تولى وزارة مصر من قبل الخليفة الفاطمى « العاضد » ، قد أخذ يمهد لاعادة المذهب السلفى والخلافة العباسية السنية الى حكم مصر وازالة خلافة الفاطميين .. ما علاقة هذه الحقيقة التاريخية غير المنكورة ، بوجهة النظر « الاسرائيلية » ؟ هل تقيم اسرائيل هى الاخرى موقف صلاح الدين الايوبى من الفاطميين على هذا النحو ؟ ! .. كم كنت اتمنى ان يفصح الاخ « عبد المجيد » عن مايريد ، او ان يستطيع « الاعراب » عن هذا الذى يريد ..

اما بالنسبة للشتائم والسباب والاتهامات، فانا لن اتعرض لها ، اذ لعلها ثمرة حماس مذهبى ، ولما كنت أفضل تناول كل تراثنا وتياراته الفكرية والسياسية ـ حتى المتخلف منها والرجعى ـ بالموضوعية ، وتفهم العصر والظروف ، وتقييمها

بمعيار المنهج العلمى فى البحث ، فان دواعى الحماس ، الذى يثمر مثل هذه الهنات،غير قائمة عندى ، ومن ثم فلا مكان لهذه الملاحظات فى هذا التعقيب .

وثالثا : هناك ملاحظات تضمنتها رسالة الاخ « عبد المجيد » ، اراها فىحاجة الىتصويب تاريخى ، اذ من المحتمل أن تكون ذاكرته قد خانته فى الدقة ، او ان مراجعه ومصادره غير وافية المعلومات حول هذه النقاط ، ومن ذلك :

أ ـ انه يقول ان اسم قائد الجيش الذى استعان به « العاضد » هـو « أسد الديـن الايـوبى » وليس « أسد الدين شيركوه » .. وهذا غـير صحيح .. فكل المراجع التاريخية وفى مقدمتها المصادر التى كتبها الذين أرخوا للدولة الايوبية وهم معاصرونلها قد قالتاناسمه : « اسد الدين شيركوه » .. والذى يدل على ذلك ويقطع به أن اسم « أيوب » انما هو اسم والد صلاح الدين الايوبى الذى كان يلقب بنجم الدين ، و « شيركوه » هو أخو « أيوب » أما اسم ابيهما ـ جد صلاح الدين ـ فهو « شاذى » فايوب هو اسم والد صلاح الدين ، وليس لقب الاسرة التى تضم « شيركوه » ، الذى لقب «بأسد الدين» [راجعالقسم الثانى من الجزء الاول من كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية لشهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المقدس ، المعروف بـأبى شامة . طبعة القاهرة سنة ١٩٦٢م . ص٣٢٩، ٣٣٠ وغيرهما من الصفحات] .

ب ـ انه يقول ان الغاء المذهب الشيعى قد تم فى عهد الافضل بن بدر الجمالى فى خلافة المستنصر سنة ١٠٩٤م ، وليس ذلك صحيحا لانهذا الالغاء قد تم فى عهد لاحقلعهد المستنصر ، لان المستنصر قد مات سنة ١٠٩٤م ، وكان الوزير بدر الجمالى، وليس ابنه « الافضل » وعندما مات بدر الجمالى، بعد المستنصر ، تولى الوزارة ابنه «الافضل» ..

على ان المذهب الشيعى قد عاد لمصر مرة ثانية ، عندما اعيد افتتاح « دار الحكمة » مرة اخرى فى عهد الخليفة الامر بأحكام الله فىشهر ربيع الاول سـنة ٥١٧ هـ سـنة ١١٢٣م ، وظلت « دار الحكمة » ، كما ظل المذهب الشيعى قائما ، وان يكن ضعيفا ، حتى الغاهما صلاح الدين [راجع خطط المقريزى ج ١ . ص ٤٤٥ . طبعة بولاق القاهرة] .

جـ ـ ان الشعر الذى سقنا ابياتا للدلالة على اشتراك الشعر فى المقاومة للمظالم ، لم يقله صاحبه فى وزراء غير مسلمين كما فهم ، خطأ الاخ « عبد المجيد » ..بل قيل فىوزراء مسلمين، ثم انه لا داعى للنفور من هذه الابيات ذات الدلالة فى تاريخنا النضالى ، التى تحتاج صفحات للكشف والابراز .

د ـ ليس صحيحا أن صلاح الدين الايوبى قد منح الصليبيين ، بعد هزيمتهم بمصر سنة ١١٦٨م مهلة للجلاء عن البلاد قدرها ثلاثة وثلاثون عاما ، فلقد تم اجلاؤهم فى نفس تاريخ هزيمتهم ، مما جعل الايوبيين يتمكنون مـن قتـل الوزيـر الفاطمى .. «شاور» ، وتولى « اسد الدين » ومن بعده « صلاح الدين » ، للوزارة ..

ولو أجرى الاخ « عبد المجيد القط » حسبة بسيطة لادرك أن معنى كلامه أن الصليبيين قد ظلوا بمصر حتى سنة ١٢٠١م ، فى حين اننا نعرف أن صلاح الدين قد مات سنة ١١٩٣ م ، وان جلاءهم قد تم فى حياته لا عن مصر فحسب ، بل وعن بيت المقدس وكثير من حصونهم وقلاعهم فى الشام ..

واخيرا .. فأنا أشكر الاخ « عبد المجيد القط » على اهتمامه بمناقشة ما عن له مناقشته فى دراستى عن القاهرة ، وكم كنت أتمنى أن تكون ملاحظاته أكثر عمقا وصوابا وجدية ، حتى يكون الجهد المبذول فى النقاش ، والمساحة المعطاة لكل ذلك من صفحات « الطليعة » ، جهدا موضوعا فى مكانه الضرورى والسليم .

■■■

عن الشاعر .. محمود درويش

وفى رسـالة من أحمد رفاعى ـ بسوريا ـ يقول :

.. اننى أعيش دائما مع القضية الفلسطينية ، ومع العنف الثورى الذى يفجره أبطالنا فى الارض المحتلة . وبما أن الادباء الفلسطينيين وغيرهم من الادباء العرب ، أخذوا يزكون نار المقاومة بكلماتهم الثائرة الصادقة ، فقد أخذنا نحن الشباب نحيـا الحـوادث بكل جوارحنـا ، وشـعر المقـاومة الفلسطينية من داخل الارض المحتلة له تاثير بالغ فى قلوبنا . ومن الشـعراء المحببين الى قلوبنا ، السـاكنين بأعمـاقنا . الشاعر المناضل محمود درويش ، والآن انا اقرأ بعض المجلات وأسـمع من بعض الشباب المثقف عبارات تدين الشـاعر

محمود درويش . لذلك فانني أطلب منكم أن تجيبوني بمزيد من التفاصيل عن الشاعر محمود درويش .

الطليعة :

يقف الشاعر محمود درويش في طليعة شعراء المعارضة للنظام الصهيوني العنصري في اسرائيل . وقد تعرض مرارا للسجن والاعتقال والتعذيب من جانب السلطات الاسرائيلية ، سواء لانتمائه الى المنظمات الثورية والديمقراطية [كمنظمة الارض ثم حزب راكاح] ، أو لتنديده بالاساليب الدكتاتورية والعنصرية لدولة الاغتصاب فيما كتب من شعر ذاع أغلبه في أرجاء الوطن العربي .

وقد اختار محمود درويش موقعه في النضال الفلسطيني على الارض المحتلة ، فكان لزاما عليه لمواصلة هذا النضال من أن يضحي بالكثير .. وفي مقدمة هذه التضحيات ان تصطبغ بطاقة هويته وجواز سفره بالخاتم الاسرائيلي . ولكن الهوية الحقيقية التي يحملها محمود درويش ، هي تلك التي جاءت في مقدمة احدى قصائده « سجل .. أنا عربي » . ولقد سافر محمود الى مهرجان الشباب بصوفيا ، وكانت قصائده الوطنية اللاهبة تسري مسرى الدم في امسيات الشعر التي هزت الجميع . وهي القصائد « الفلسطينية » لحما ودما .

أصدر محمود درويش أربعة دواوين حتى الان ، أحدثها ديوان « آخر الليل » . وهو يواكب في شعره حركة التجديد الحديثة في الشعر العربي ، شكلا ومضمونا . وتعد انجازاته الشعرية الخالصة — بغض النظر عن قداسة القضية التي يحمل لواؤها — من المعالم الاساسية البارزة الى شعر عربي حديث .

■

الالم العميق والثقة والاعتزاز

جاءتنا البرقية التالي نصها :

كان للنبأ الذي انتشر كالبرق في جميع أنحاء العالم عن استشهاد الجندي العربي الباسل ، الفريق أول عبد المنعم رياض ، وهو على رأس جنوده وأفراد قواته المسلحة يتصدى للاعتداءات الاسرائيلية الغادرة ضد مدن القناة ومواطنيها ، آثاره العميقة في نفوسنا ونفوس أخواننا جميعا . فالى جانب الالم العميق لهذه الخسارة الكبرى ، اعترانا شعور قوي من الثقة والاعتزاز بقدرة شعوبنا على تخطي المحنة ، والتغلب على الصعاب ، وصنع النصر على الاستعمار والصهيونية .

لقد أعطى القائد العسكري الكبير عبد المنعم رياض بسلوكه ، المثل والقدوة ، ودل على الطريق الواجب اتباعه لاحباط كل اعتداء اسرائيلي جديد ، ولتحرير الاراضي العربية المحتلة ، وازالة آثار العدوان الاسرائيلي الاستعماري ضد البلدان العربية المحتلة ، وللحفاظ على الاستقلال وحماية المنجزات الوطنية التقدمية .

اننا — باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري — وباسم اخواننا وأصدقائنا ، نتقدم اليكم والى شعب الجمهورية العربية المتحدة الشقيقة وقادته وقواته المسلحة ، والى عائلة الفقيد الشهيد ، بأحر تعازينا القلبية الصادقة .

خالد بكداش — يوسف فيصل
ابراهيم بكري — دانيال نعمة
ظهير عبد الصمد

■

من عمال السودان .. الى الرئيس عبد الناصر

وفيما يلي نص البرقية ، التي أرسلتها اللجنة التنفيذية لاتحاد نقابات عمال السودان ، الى الرئيس جمال عبد الناصر ، نقلا عن صورة البرقية التي أرسلتها اللجنة للطليعة :

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

تحية اجلال وتقدير

كلفت اللجنة التنفيذية لاتحاد نقابات عمال السودان ، بعد اجتماعها الذي انعقد مساء الاربعاء ١٢ / ٣ / ١٩٦٩ ، والذي ناقشت فيه الوضع المتأزم في منطقتنا العربية — وبعد مناقشة مستفيضة للموقف ، ولدور العمال في المعارك المقبلة — كلفت الاخ عوض الله ابراهيم ، رئيس اتحاد نقابات عمال السودان أن يرفع لسيادتكم الرسالة التالية :

اسمحوا لنا باسم اتحاد نقابات عمال السودان ، وباسم الطبقة العاملة السودانية ، ان نتقدم لسيادتكم وللشعب المصري الشقيق بأحر آيات التعازي في فقيدنا البطل الفريق أول عبد المنعم رياض ، الذي استشهد في ميدان الشرف والكفاح .

لقد مات الشهيد كما يموت الابطال ، وكما يموت الجندي المقدام خاطا بدمه صفحة جديدة في صرح التضحيات التي عقدنا العزم على بذلها لتحرير أرضنا العربية المغتصبة شبرا شبرا .

وعزاؤنا في فقد الشهيد الراحل ، ذلك المثل الذي تركه بين ظهرانينا ، مرشدا وملهما فيما نستقبل من معارك فاصلة بيننا وبين العدو .

ان الشعب السودانى الذى آلمه وهزه فقد ابن بار من أبناء الامة العربية ، ليثق ثقة تامة بأن رفاق عبد المنعم وجنوده فى كل أرض عربية وتحت قيادتكم الواعية سيثأرون لكل شهدائنا وسيكملون الرسالة التى حملها البطل الراحل.

واسمحوا لنا يا سيادة الرئيس ان ننتهز هذه الفرصة وأصوات الرصاص والمدافع تدوى عبر القنال ، ونذر المعركة الفاصلة تلوح فى الافق ، لنؤكد لكم من جديد اصرار عمال السودان على مواصلة المعركة حتى النهاية ، وحتى يوم النصر .

لقد وقف عمال السودان فى كل المعارك الماضية خلف قيادتكم الرشيدة ، وعبروا بكل الوسائل والطرق عن تأييدهم المطلق لكل الخطوات التى اتخذتها الجمهورية العربية المتحدة فى نضالها البطولى من اجل استعادة الحق العربى المغتصب .

لقد أيدنا بكل حرارة الجهود التى بذلت فى الحقل الدبلوماسى ، وكلنا من جانبنا نبذل كل جهودنا وامكانياتنا لكسب الرأى العام العالمى فى المؤتمرات واللقاءات العمالية العالمية لشرح القضيةالعربية ، وتأمين تضامن الطبقة العاملة فى كل أرجاء الارض .

وأثلج صدورنا الجهد الشاق والتضحية العظيمة التى يبذلها الشعب المصرى على حساب قوته وتقدمه الاجتماعى ، لاعادة بناء قواته المسلحة ، وتغذية جبهة القتال بجنوده وضباطه الميامين .

فنحن فى كل الاوقات ، وتحت كل الظروف ، لم نغفل عن قولتكم السديدة ، عندما أعلنتم ان ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، فكنا دائما على استعداد لخوض المعركة المسلحة متى ما دعى الداعى .

نحن نعرف ان اسرائيل هى مخلب القط للقوى الاستعمارية العالمية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية .

وان هدف القوى الاستعمارية ، هو سلب الشعب العربى ، ومن مناراته وقلاعه المناضلة وعلى رأسها الجمهورية العربية المتحدة ، بهدف وقف زحفها وتقدمها نحو التحرر الاقتصادى والاجتماعى ، واقامة المجتمع الاشتراكى الخير .

ادراكا منا لكل هذا ، وجهنا معركتنا فى داخل الوطن السودانى ، نحو مراكز النفوذ الاستعمارية ومصالح الدول الرأسمالية الكبرى ، فطالبنا وما زلنا نطالب بضرب تلك المصالح وتصفيتها تصفية كاملة ، بهدف تقوية ظهر الامة العربية ، واطلاق طاقات الشعب السودانى ليسهم بكل ما عنده فى معركة المصير .

ونحن كنا وما زلنا نرى فى هذا الاتجاه اضعافا لنفوذ القوى الاستعمارية ، وردا قويا عليها جزاء مساندتها لاعدائنا .

واليوم يا سيادة الرئيس ، وأنتم تعبئون جهودكم لمواجهة حاسمة ، وتفتحون نيرانكم القوية لتردوا المعتدين ، وتردعوا صلفهم وشرورهم ، نرى لزاما علينا ان نجدد العهد وان نعلن فى قوة واصرار ، ان الطبقة العاملة السودانية وتنظيماتها النقابية المناضلة تقف معكم فى خط النار الاول ، لا تبخل بمال او نفس فى سبيل دعم صفوفكم حتى النصر .

والطبقة العاملة السودانية وتنظيماتها النقابية التى وقفت من قبل مقدمة كل شىء للمعركة ، تجد نفسها اليوم ، وقد صقلتها التجربة أكثر عزما وأشد مضاء لتقديم المزيد من التضحيات .

نحن معكم ..

والنصر لنا ..

والهزيمة لاعدائنا ..

المخلص

الشفيع أحمد الشيخ

السكرتير العام لاتحاد عمال السودان

■

« فلسطين الحرة » فى لندن

بعث الوطنيون الفلسطينيون ، الى الطليعة ، مجلة « **فلسطين الحرة** » التى يصدرونها بالانجليزية فى لندن ، لتعريف الرأى العام البريطانى ، والعالمى ، بالثورة الفلسطينية ، اهدافها ،طبيعتها، ومسارها وتستعرض«فلسطين الحرة » فىصفحاتها الثمانى، النشاط العسكرى والسياسى ، لحركة تحرير فلسطين « **فتح** » واهم النشاطات العربية المتعلقة بالصراع العربى — الاسرائيلى . كما تعرف بالمناضلين الفلسطينيين .

وتحدد « **فلسطين الحرة** » اهداف [فتح] فى العدد ٨ من عام ١٩٦٩ — ص ٢ ، فتقول : « تعبر حركة تحرير فلسطين — فتح — عن ارادة الشعب الفلسطينى من أجل تحرير أرضه من الاحتلال

الصهيونى ، واستعادة حقوقه القومية • ولا تستهدف فتح من كفاحها ، العمل ضد اليهود والاستعمار » • ثم تضيف « .. وتعلن حركة تحرير فلسطين ــ فتح ــ أن هدفها النهائى من الكفاح ، هو استعادة دولة فلسطين المستقلة الديمقراطية ، التى تتسع لكل المواطنين بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية ، وحيث يتمتعون جميعا بحقوق متساوية » .

ثم تعرض « **فلسطين الحرة** » فى صفحتها الرابعة ــ من نفس العدد ــ لمقال كتبه فى صحيفة لوموند الفرنسية بتاريخ ٩ ينـــاير ١٩٦٩ ، **م•ماكهاور** ـــ محاضر جامعى اسرائيلى يعمل فى كلية شلسيا (**بجامعة** لندن) فى قسم التاريخ والفلسفة . وقد عرضته «**فلسطين الحرة**» كوجهة نظر لهذا المحاضر • وبعد أن يتناول ماكهاور التاريخ الحديث لفلسطين منذ الانتداب البريطانى ثم تسلل الصهيونية ، يعرض لفكرة أساسية تقول بأن الملاحظ أنه فى أعقاب أى مرة تستخدم فيها اسرائيل القوة المسلحة فى صراعها مع الدول العربية ، تنفجر عناصر المقاومة بشكل متزايد • ويدلل على ذلك بشكل خاص بأحداث المقاومة الفلسطينية فى أعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ • ويرصد ماكهاور كيف أن محاولات اسرائيل فى القيام « برد انتقامى » على أحداث المقاومة ، تواجه بمزيد من أعمال المقاومة الفلسطينية لا العكس الذى ترجوه اسرائيل • ويتسلل ماكهاور بفكرته هذه الى أن ينتهى بأن الحل الامثل من وجهة نظره هو : « اقامة دولة يهودية عربية » ويرى أن هذا الحل هو مايجب طرحه للمناقشة وادارة الحوار حوله •

وفى الصفحة الاخيرة « **لفلسطين الحرة** » ، تقدم عرضا لاحد الكتب المتعلقة بقضايا الصراع العربى الاسرائيلى • وتحرص فى نفس الوقت على تعريف الرأى العام ــ بالكلمة والصورة ــ بالفظائع والاعمال البشعة التى ترتكبها سلطات الاحتلال الاسرائيلى ضد الفلسطينيين بشكل عام والمناضلين من المقاومة بشكل خاص •

ولاشك فى أن صدور مثل هذه المجلات الجادة الواعية بأساليب العمل الدعائى الصحيحة للثورة الفلسطينية ، يؤثر بلا شك فى تبديد المزعم وأعمال التضليل التى روجت لها اسرائيل وكسبت بها قطاعات واسعة من الرأى العام فى العالم ، مستفيدة فى ذلك بكثير من أساليب الدعاية العربية نفسها والتى لم تكن فى المستوى المسئول والملائم • والواقع أن الكلمة الواعية الجيدة الصنع ، تلعب دورا مؤثرا لا يقل فى فعاليته عن دور البندقية فى ايدى رجال المقاومة .



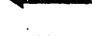




الأفغانى .. مفكرًا ومناضلًا

مائة وثلاثون عاما تمر هذه الايام منذ أن ولد المفكر المناضل العظيم جمال الدين الافغانى فى ١٨٣٩ .. واثنان وسبعون عاما قد مرت منذ أن توفى فى ٩ مارس ١٨٩٧ .

و « الافغـــانى » فكرا ونضالا ، جــزء لا يتجزأ من تاريخ الحركة الانسانية الشاملة ضد الاستعمار والاستغلال والاســتبداد والتخلف والجمود الفكرى فى القرن التاسع



عشر ، وظلت قضيته الاولى والاخيرة هي تحرير شعوب الشرق المستعبدة ابتداء من الافغان حتى الروس ، ومن الهنود حتى المصريين حيث اتخذوا من بلادهم قاعدة لحركته العربية الاسلامية المنفتحة على الانسانية والتقدم .

وصب اهتمامه على بذر بذور الوعي والثورة فى كل أرض انتقل اليها اختيارا أو جبرا ، وعمد الى تكوين كوادر الثورة وجمعياتها .. وانتهى فى زمن مبكر الى التبشير بأن طريق تحرير شعوب الشرق هو طريق الاشتراكية والديمقراطية والتقدم الاقتصادى والايمان بالعقل وقدراته على تسخير الطبيعة لخدمة الانسان والسلام العالمى . وبالنسبة للعرب انتهى الى القومية التقدمية المتطهرة من اوثاب العنصرية والتعصب الدينى كسبيل للتحرر والتقدم .

ومن هنا « فالافغانى » يحتل عالميا وعربيا واسلاميا ، مكانا هاما فى بؤرة الريادة بفكره ونضاله ، وظل حيا وميتا أبا عظيما لحركات التحرر الوطني والوحدة القومية التقدمية والتفتح الاسلامى على الاشتراكية وسيادة العلم والعقل وخاصة فى شعوب الشرق ومناضليها ومثقفيها الثوريين . ورغم ذلك فقد عمدت « بعض القوى الرجعية » الى محاولات لتشويه تراثه الفكرى والنضالى حينا والى اسدال ستار الاهمال والنسيان عليه حينا آخر .

ومن التزام « اسرة تحرير الطليعة » بايجابيات التراث الثورى الانسانى والعربى والاسلامى ، تقدم فى هذا الملف عن الافغانى ، رؤية جديدة لحياته الخصبة فى جانبيها النضالى والفكرى . وقد عهدت الى الزميل « محمد عماره » الذى ركز جهده خلال السنوات الاخيرة على جمع ودراسة تراث الافغانى بمنهج علمى باعداد هذا الملف الذى يتكون من تسعة أقسام : ١ – العاصفة والاعصار – ٢ – الجامعة الاسلامية – ٣ – القومية والعروبة – ٤ – من الرأسمالية الى الاشتراكية – ٥ – الديمقراطية – ٦ – الحرب والسلام – ٧ – سلطان العقل – ٨ – حياته فى سطور – ٩ – كتاباته .

اعداد : محمد عماره

■■■

[١] العاصفة .. والاعصار

فى تاريخ الصراع الذى دار بين الشرق والغرب ، هناك دورات قد رصدها التاريخ ، وجولات شهيرة لونت نتائجها الكثير من صفحات هذا الصراع ، وحددت الكثير من ملامح هذا التاريخ .

ففى الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد حسم الاسكندر الاكبر ، لصالح الغرب ، تلك الحرب السجال التى دارت طويلا بين الفرس والروم ، وبسط السيطرة الرومانية ، ثم البيزنطية لاكثر من تسعة قرون على الكثير من بلاد الشرقيين .

وفى النصف الاول من القرن السابع الميلادى لبست روح المقاومة الشرقية ثياب الاسلام ، واتخذت من العرب والعروبة رأس حربة لها ، وخاضت العديد من المعارك التى أزاحت نتائجها سلطان الغرب ، بل والفرس ، عن تلك الرقعة التى غدت امبراطورية للعرب المسلمين .

ومنذ سنة ١٠٩٧ حاول الغرب ، ثانية ، تحت شعارات زائفة ومستعارة من صليب المسيح ودينه ، أن يعيد الكرة على العرب ، وأن يورث أرضهم وديارهم لامراء اقطاعه البرابرة الصليبيين .

وبعد صراع دام قرنين من الزمان استطاعت الحضارة العربية الاسلامية ، بعد أن استعانت على الصليبيين بجنود مرتزقة من « الاتراك المماليك » ، أن تحسم هذه الجولة لحسابها ، بانتصارها على الحصن الصليبى الاخير فى بلاد العرب « عكا » ، سنة ١٢٩٢ .

غير أن الغرب قد عاد مرة ثالثة فى نهاية القرن الثامن عشر ، وفى القرن التاسع عشر ، رافعا أعلام التجارة ، متبعا اياها بالبوارج والجيوش ، مرتديا ثياب المدنية والتقدم والحضارة ، مدفوعا بالتوسع الامبريالى لتحقيق ذات الهدف الاول ونفس الحلم القديم .

ولقد كانت هذه الثياب الجديدة التى لبسها الغزاة ،مضافا اليها روح العصر الذى جاءوا فيه، تتطلب من شعوب الشرق العربى الاسلامى أن تبحث عن أدوات للمقاومة غير تلك التى واجهت بها غزوات الصليبيين ، غير سيوف المماليك وآفاقهم الضيقة المحدودة ، غير جيوش الاتراك وفكرياتهم المحافظة ، كما كان على هذه الشعوب ، كى تنتصر ، أن تصل حاضرها الحديث بعصر حضارتها الذهبى ، فتبدأ لنفسها عصر الاحياء ، وأن تفتح عقلها وقلبها لكل ما هو جديد ومفيد ، وأن تقدم الى صدر مسرح الاحداث ، أولئك الابناء البررة الذين يمثلون بالنسبة لها التجسيد الحى لكل هذه الشروط والمتطلبات ، شروط البعث والاحياء ، ومتطلبات الانتصار فى هذه الجولة الجديدة من جولات الصراع بين الشرقيين والغربيين (*)

واذا كان القرن التاسع عشر قد شهد ذروة الزحف الامبريالى على بلادنا ، وقمة عواصفه التى تمثلت فى الغزو والضم والاحتلال ، فلقد كان **جمال الدين الافغانى** ، والتيار الذى مثله فى الفكر العربى الإسلامى خاصة ، والفكر الثورى عامة ، وفى نضال الشرقيين ضد الاستعمار ، هو الاعصار الذى أجاب به الشرق على هذا الزحف الامبريالى الجديد .

● ففى سنة ١٨٣٢ ، وقبل ميلاد الافغانى بسنوات تسع ، كان الاستعمار الفرنسى قد أنجز أولى خطواته الناجحة فى استعمار الجزائر .

● وقبل شهور من ولادته ، وفى سنة ١٨٣٨ كان الاستعمار الانجليزى قد اتخذ لنفسه أولى القواعد العربية فى « عدن » والتى أخذ يمد منها الحبال حول عنق اليقظة العربية الحديثة التى كانت قد بدأت فى مصر ذلك العهد .

● وفى سنة ١٨٤١ تمكن الانجليز ،بالتعاون مع الاقطاعية التركية العثمانية ، من النزول الى ارض الشام ، واجبار الجيش المصرى الذى قاده « ابراهيم باشا » ، والذى بنى دولة كبرى وحدت الشام الكبير والحجاز ومصر والسودان ، ودانت لطلائع نفوذه امارات كثيرة على الخليج ، وغدت قوته عاملا هاما فى سياسة العراق ، تمكن الانجليز والعثمانيون من اجبار هذا الجيش على الانسحاب ، لتعود الرايات العثمانية الى هذه البلاد وتحت ظلالها المصالح الامبريالية للمستعمرين الانجليز .

● وفى سنة ١٨٦٠ نجحت دسائس الاستعمار بين الانجليز والفرنسيين فى خلق قواعد لارتكازها فى المشرق العربى ، واستطاعت أن تفجر النزاعات الطائفية ، فتريق الدماء العربية الغزيرة ، دماء الدروز بيد المارونيين ، ودماء المارونيين بيد الدروز ، والانجليز من خلف الدروز والفرنسيين من خلف المارونيين .

● واذا كانت هذه الاحداث الاستعمارية ، والانتصارات الامبريالية قد دارت وحدثت بعيدا ، نسبيا ، عن بلاد الافغان ، التى ولد بها جمال الدين ، فان حدوثها فى بلاد عربية اسلامية ، جعلها قريبة من وجدان الرجل الذى ينحدر نسبه من أصلاب عربية حجازية ، والذى انخرط منذ صغره فى محيط الثقافة الاسلامية وعداد المثقفين المسلمين .. بل ان مأساة الهند تحت الحكم المباشر للانجليز قد كانت تعيش على حدوده وتطل على قلبه وعقله ، ومثلها مأساة فارس (ايران) التى كان يتصارع على أرضها نفوذ الانجليز ونفوذ القيصرية الروسية الاتى من الشرق والشمال .

● ولم يأت عام ١٨٦٨ ، والافغانى فى عنفوان شبابه ، وبدايات حياته العملية وتجاربه فى الحكم والسياسة ، الا وأتى معه دخول النفوذ الاستعمارى الى قلب بلاد الافغان ، فلقد ساند الانجليز الامير الافغانى « **شير على** » ضد الامير الوطنى « **محمد أعظم خان** » ، ودارت حرب بين الاميرين ، كل بجيشه ، واستعان الامير الوطنى بجمال الدين الافغانى الذى وصل الى منصب الوزير الاول فى البلاد ، والذى شارك مشاركة فعلية فى هذه الحرب الوطنية . ولكن النصر فى هذه الجولة قد كان من نصيب « شير على » ومن خلفه النفوذ الانجليزى ، أضطر جمال الدين الى مغادرة وطنه ، ليواجه فى كل مكان نفوذ الاستعمار ، وليكون فى كل مكان حربا على هذا الاستعمار والاستبداد الخيطان اللذان نستطيع ان نسلك فيهما كل المواقف والصفحات التى صنعها وسجلها هذا المناضل الفيلسوف (*)

الثقة .. والثورية

وعندما خرج الافغانى من وطنه ، ورأى الهند بمئات ملايينها ترزح فى قيود المأساة المروعة تحت حكم الانجليز ، وعندما ساح فى بلاد المسلمين والعرب ورأى امتدادات الاخطبوط الاستعمارى ، وبالذات الانجليزى ، فى كل مكان ، أحس أن هول المصاب قد أفقد الكثيرين حتى القدرة على تصور

آمالَ التحرير وآحلام الخلاص من الاستعمار • وشهد حركات فكرية بعضها يتاجر بـالاسلام ، وبعضها **يستعير** من الغرب ، وبعضها يمزج مزجا عشوائيا ما بين معطيات الغرب ومعطيات الاسلام ، شهدها تفكر وتخطط جميعا للتعايش والعيش فى كنف سلطات الغرب وسلطات المستعمرين الانجليز فاندفع الافغانى الى ساحة المعركة ، لا داخل بلاد الافغان فحسب ، كما كانت بدايته ، وانما فى طول البلاد الشرقية وعرضها ، وأحس بضرورة العمل لزرع الثقة التى تزعزعت ، من جديد ، فى نفوس هذه الامم وهذه الشعوب . الثقة فى التراث التى تجرى عمليات تشويهه ، والثقة فى النفس التى تجرى عمليات اذلالها ، والثقة فى المستقبل الذى ولابد ان يكون بجانب هذه الشعوب . ومن ثم فلقد رأيناه يؤذن فى الناس بأن « **قد أوشك فجر الشرق انينبثق ، فقد ادلهمت فيه ظلمات الخطوب ، وليس بعد هذا الضيق الا الفرج** » (١) ثم يتحدث الى جماهير الشرقيين منكرا عليهـم اسـتكانتهم وخضوعهم ، قائلا : « **انرضى ، ونحن المؤمنون ، وقد كانت لنا الكلمة العليا ، ان تضرب علينا الذلة والمسكنة ؟ ! أو أن يستبد فى ديارنا وأموالنا من لا يذهب مذهبنا ، ولا يرد مشربنا ، ولا يحتـرم شريعتنا ، ولا يرقب فينا الا ولا ذمة ؟ ! بل أكبر همه أن يسوق علينا جيوش الفناء حتى يخلى منـا أوطـاننا ، ويسـتخلف فيهـا بعـدنا أبنـاء جلدته ؟ !!** » (٢) . فاذا ذهب الى بلاد الهنـد وشاهد مأساتها توجه الى ملايينها بهذا الحديث الثورى الذى يقول لهم فيه : « **يا اهل الهند ، وعزة الحق ، وسر العدل ، لو كنتم ، وانتم تعدون بمئات الملايين « ذبابا » مع حاميتكم البريطانية ، ومـن استخدمتهم من ابنائكم فحملتهم سلاحا لقتـل استقلالكم واستنفاد ثروتكم ، وهم بمجموعهم لا يتجاوزون عشرات الالوف ، لو كنتم انتم مئات الملايين ، كما قلت ، ذبابا ، لكان طنينكم يصم آذان بريطانيا العظمى ، ويجعل فى آذان كبيـرهم « غلادستون » وقرا . ولو كنتم انتم مئات الملايين من الهنود ، وقـد مسـخكم اللـه فجعـل كلا منكم « سلحفة » ، وخضتم البحر ، واحطتم بجزيرة بريطانيا العظمى ، لجزرتموها الى القعر ، وعدتم الى هندكم احرارا** » [٣] . ثم يمضى الافغانى فى مهمة بعث الثقة فى شعوب الشرق حتى يسلحها بأولى ضرورياتها فى المعركة ضد الاستعمار ، وضد الانجليز بالذات ، الذين قطع الافغـانى بأنه « **لا توجد نفس تشعر بوجود الحكومـة الانجليزية على سطح الارض الا وقد مسها منهم شيء من الضر** » [٤] .

وإذا كنا فى هذا العصر الذى تتفكك فيه القبضة الاستعمارية عن امبراطورياتها القديمة الواسعة ، نجد الجرأة لنصف الاستعمار بأنه قد أصبح « نمرا من ورق » ، فان الافغانى قد تحدث الى شعوب الشرق باعثا فيها الثقة بوصفه للمستعمر الانجليزى بأنه : « **ضعيف يسطو على حقـوق الاقوياء ، صوت عال وشبح بال ... كالدودة الوحيدة ، على ضعفها تفسد الصحة وتـدمر البنية** » (٥) .

ولم يكن الافغانى فى صراعه هذا ضد الانجليز، وفى حديثه هذا الملتهب ضدهم بالذى يخلط ما بين « **الامـة الانجليزية** » وبين « **الاسـتعمار الانجليزى** » . فهو لم يكن عدوا للانجليز كآمة ، بل لقد رأى فيها أمة « **من أرقى الامم ، تعرف معانى العدل ، وتعمل بها ، ولكن فى بلادهـا ، ومع الانكليز أنفسهم ، وتنصف المظلوم اذا كان من الانكليز ... والانسان فى عرفهم هو الانكليزى ، وغيره من البشر ليس بانسان** » ، وهويسوق هذا الحديث الانسانى الواعى بصدد تأكيد ان عداءه لهؤلاء القوم ليس الا فيمـا يتعلـق « **بسوء اعمالهم ... واستعمارهم ، وتدخلهم فى الممالك الشرقية كالهند ومصر ، وسومهم أهلها سـوء التصرف ومنتهى العسف والجور** » [٦] . وهو موقف يذكر للافغانى بالمزيد من التقدير .

ولعل هذا الموقف المبرأ من « التعصب الضيق الافق » هو الذى جعل موقف الافغانى مـن الاسـتعمـار مـوقفـا « **ثـوريا** » مبـرأ من « **الاصلاح** » ، فضلا عن « **التصالح** » ، كمـا سبق أن برىء مـن التعصـب المـذموم .

(١) الاعمال الـكاملة لجمال الـدين الافغانى ، مع دراسة عن حياته وآثاره ص٢٣ . دراسة وتقديم محمد عمارة ط القاهرة سنة ١٩٦٨ م .

(٢) المصدر السابق . ص ٣٥٦ .

(٣) المصدر السابق . ص ٥١٧ .

(٤) المصدر السابق . ص ٢٤ .

(٥) المصدر السابق . ص ٣٦٩ .

(٦) المصدر السابق . ص ٤٦٤

وهى « الثورية » التى نستطيع أن نلمسها ونتلمسها فى المواقف العديدة التى وقفها الرجل فى هذا المقام ٠

● فعندما تفشل الثورة العرابية ، وتصاب الكثرة الكثيرة من قياداتها باليأس والقنوط ، يرى الافغانى ضرورة مواصلة النضال الثورى ، بينما يشير عليه الشيخ **محمد عبده** بالذهاب « **الى مكان بعيد غير خاضع لسلطان دولة تعرقل سيرهما** »، وذلك لانشاء « **مدرسة للزعماء** » ، ولكن الافغانى يرى فى هذا الاقتراح « الطوباوى الحالم » والموقف « الاصلاحى » « **خورا فى العزيمة ، وجنوحا الى السلامة ، ومبالغة فى التشاؤم من الحاضر** » ٠ وقال للشيخ محمد عبده عندئذ : « **انما انت مثبط** » . كما عاب عليه تعوده عن مقاومة الانجليز ، وعدم تأليفه حزبا يناهضهم رغم وفرة تلاميذه وأعوانه ، الذين منهم « سعد زغلول واخوانه » [٧] وذلك بعد الاحتلال .

● وعندما يعرض الانجليز عليه ، بعد ثورة المهدى فى السودان ، أن يتوجوه سلطانا عليها ، يجيبهم بأن عرضهم هذا انما هو « **تكليف غريب** » وسفه **فى السياسة ما بعده** ! ثم يعنف اللورد الانجليزى « **ساليسبرى** » الذى قدم اليه هذا العرض قائلا : « **أسمح لى ياحضرة اللورد ان اسألك : هل تملكون السودان ، حتى تريدون ان تبعثوا اليه بسلطان** » (٨)

● وعندما يناقش العلاقة ما بين الشعب ومستعمريه ، ويحدد معالم « الخيانة » ، فانه لا يراها قاصرة على « المتعاونين » مع الاعداء ٠ بل ويراها كذلك عارا لاصقا بالسلبيين والمتهادنين فى المعركة ضد هؤلاء الاعداء ، فيقول « **لسنا نعنى بالخائن من يبيع بلاده بالنقد ويسلمها للعدو بثمن بخس اوبغير بخس ــ وكل ثمن تباع به البلاد فهو بخس ــ بل خائن الوطن من يكون سببا فى خطوة يخطوها العدو فى أرض الوطن ، بل من يدع قدما لعدو تستقر على تراب الوطن وهو قادر على زلزلتها** » (٩) ٠ الى غير ذلك من المواقف والصياغات التى تؤكد قسمة « الثورية » فى موقف الافغانى تجاه الاستعمار ٠

زلة قدم

على أن الدراسة الموضوعية لصفحات نضال الافغانى ضد الاستعمار لا تستطيع أن تغفل للرجل زلة قدم حدثت منه ازاء الاطماع الاستعمارية التى كانت تراود القيصرية الروسية يومئذ فى كثير من المناطق الاسيوية ، وبالذات بلاد الهنود ٠ فلقد منح الافغانى هذه الاطماع شيئا من رضاه وموافقته ، شريطة أن تقتسم القيصرية الروسية ثمارها مع دولة فارس وامارة الافغان ، وذلك عندما يقول ان « **الروس فى حاجة للمواصلة مع أمراء الهند ، وفى ضرورة للوقوف على أخلاقهم ومجارى ميلهم ومواقع أهوائهم ، ولا سبيل يوصلهم الى ذلك الا اشراك الفارسيين والافغانيين فى أعمالهم الحربية والسلمية ٠ ليس من السهل على الروسية أن تستعين بدولة فارس وامارة الافغان على فتح أبواب الهند ، الا أن تساهمهما فى الغنيمة وتشركهما فى المنفعة ، والا كانا سدا محكما دون أهم غاياتها** » (١٠)

على أن الامر الذى يجعلنا نضع هذا الموقف الخاطىء فى دائرة « **الخطأ والزلة** » فقط ، ولا نذهب به الى ما هو أبعد من ذلك ، ليس سلوك الرجل العام فحسب ، ولا مواقفه النضالية الثورية التحررية المتسقة والمتواصلة فقط ، وانما ــ بالاضافة الى ذلك كله ــ رؤيتنا للسبب الذى جعل الافغانى المناضل ضد الاستعمار يقف هذا الموقف من الاستعمار الروسى القيصرى لبلاد الهنود ، وهو السبب الذى نراه نابعا من ذلك **الكره المقدس** ، الذى ملك على الافغانى كل شىء ، للاستعمار الانجليزى ، والذى جعله يتلمس الحليف ، أى حليف ، ضد هذا الاستعمار ، حتى ولو كان هذا الحليف هو القيصرية الروسية ، ويسعى جهد الطاقة لاقامة الجبهات ضد احتلال الانجليز ومؤامراتهم ونفوذهم ، حتى ولو كانت هذه الجبهة مع طامع جديد فى هذه البلاد ٠ فهو اذن **سوء التقدير وخطأ الحساب** ، هما الذان جعلا جمال الدين يقف هذا الموقف الذى يحسب عليه ، لا له ، والذى لا يمكن لباحث منصف أن يغفله ، كما لا يمكن للباحث غير المغرض أن يتعدى به هذه الحدود ٠

---

(٧) د. احمد أمين (زعماء الاصلاح فى العصر الحديث) ص ٨١.طالقاهرةسنة ١٩٤٩ م . والاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ٤٧٩٥.٥
(٨) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ٥٠٥ م
(٩) المصدر السابق . ص٢٦ ، ٥٠٢
(١٠) المصدر السابق . ص ٣١٩.

[٢] الجـــــامعة الاســـــــلامية

اذا كان العداء للاستعمار ، والنضال الذى لا هــوادة فيــه ضــد الاستعمار الانجليزى بالذات ، قد كان القسمة الاولى فى حياة الافغانى ونشاطه وفكره ، واذا كان هذا الامر قد قاده الى موقف لا نرضاه ولا يتسـق مع جـوهر مواقفــه ، وهــو الموقف من الاطماع القيصرية الروســية ببــلاد الهنــد ، فان عــداء الافغــانى هــذا للاستعمار وكفاحه المقدس ضده قد جعله يستخدم فى هذه المعركة أسلحة أساء البعض من الباحثين تقييمها والحكم على صلاحياتها ، وخصوصا فى عصرنا هذا الذى نضج فيه الفكر القومى العربى ، وتأكدت فيه القسمة التقدمية وسط الحركة الفكرية فى وطننا العربى الكبير .. وفى مقدمة هذه الاسلحة التى حارب بها الافغانى الاستعمار الغربى ، والتى أسىء تفسيرها وتقييمها سلاح « **الجامعة الاسلامية** »

ونحن نعتقد أن الافغانى قد ظلم ظلما كبيرا من قبل كل الذين عابوا عليه استخدامه هذا السلاح فى الحرب ضد الاستعمار ، كما نعتقد أنه قد ظلم كذلك من قبل بعض الذين هللوا وكبروا لاستخدامه هذا السلاح ..

ذلك لان الذين هللوا وكبروا لرفع الافغانى علم الجامعة الاسلامية قد انطلقوا الى موقفهم هذا من فوق أرض فكرية تعادى الحركة القومية عموما وحركة القومية العربية على وجه الخصوص ، وهم قد حسبوا أن الافغانى يظاهرهم فى محاولاتهم الفكرية الرامية الى تقديم الاسلام من زواياه العالمية فقط ، مغفلين **تلك الملامح القومية التى تبدى بها الاسلام منذ نشأته بين العرب ، والتى جعلت عالميته تمتزج بالواقع القومى لكل شعب من الشعوب التى دانت به ، بحيث لم تعد هناك حوائل بين أن يكون له جانب عالمى ولكنه يتبدى فى اطار قومى لدى كل قومية من القوميات** . بحيث تصبح هذه القوميات المتعددة التى يدين أصحابها بالاسلام أشبه ما تكون بالجزر وسط محيط من **التضامن الأخوى** الذى تحكمه العقيدة الاسلامية السمحة ، مما ينفى **التناقض العدائى** بين القومية وبين العقيدة الملية للاسلام .

كما أن أصحاب هذا الموقف الرجعى والمحافظ قد خلطوا ما بين فكرة « **الجامعة الاسلامية** » عند الافغانى ، وبين دعوتهم « **للوحدة السياسية** » بين كل الدول التى تدين بالاسلام ، لانهم لم يفرقوا ما بين **التضامن** وبين **الوحدة او الاتحاد** وحيث لم يبصروا هم هذا الفرق الجوهرى ، أو تعمدوا عدم رؤيته ، نجد الافغانى يشير اليه صراحة عندما يقول : « **اننى لا التمس بقولى هذا ان يكون مالك الامر فى الجميع شخصا واحدا ، فان هذا ربما كان عسيرا ، ولكنى أرجو أن يكون سلطان جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه ، يسعى بجهده لحفظ الآخر ما استطاع ، فان حياته بحياته وبقاءه ببقائه . الا ان هذا ، بعد كونه أساسا لدينهم ، تقضى به الضرورة وتحكم بــه الحاجات فى هذه الاوقات** » [١١] ، فهو هنا يدعو الى **التضامن ووحدة النضال** ، الذى « تقضى به الضرورة وتحكم به الحاجات » ، فضلا عن أصول الدين التى يعتنقها المسلمون .

واذا كانت هذه هى الخلفية الفكرية المرفوضة لاصحاب هذا الموقف الرجعى والمحافظ ، فان هناك الكثير من الملابسات التى دعت بعض المفكرين القــوميين والتقــدميين الى اســاءة فهــم قضية « الجامعة الاسلامية » عند الافغانى ، ومن ثم النظر اليها بعداء ، أو بشك وارتياب على أقل تقدير .. ولعل فى مقدمة هذه الاسباب :

● تعذر الرؤيــة الصــادقة والواضــحة والموضوعية للجوانب الثورية والعقلية والعلمية التى يتضمنها الفكر الاسلامى فى أصوله النقية وجوهرياته الكلية ، والذى تمثل وتجسد على مر التاريخ فى الكثير من الاعلام والثوار والمصلحين المسلمين ، والذين كان الافغانى واحدا من أبرزهم فى تاريخنا الحديث ، اذ أن التفسيرات الرجعية والمتخلفة والمحافظة لاسس الفكر الاسلامى ، كثيرا ما حجبت عن المفكرين التقدميين العرب ما فى هذا الفكر من كنوز ثورية وطاقة محركة لابد منها لشعوب هذه الامم فى تطـورها السيـاسى والاجتماعى الى الامام .

● ان الكثيرين من المفكرين المسـلمين المحافظين ، أو المتهادنين مع الاسـتعمار ، أو أصحاب المواقف السياسية المشبوهة ، قد بذلوا الكثير من النشــاط الفكــرى والعملى تحت شعار « الجامعة الاســلامية » . فهنــاك « أحمد خان » [**١٨١٧ — ١٨٩٨** م] الذى قاد بين مسلمى الهند حركة اصلاحية مدنية وتعليمية وصلت فكر الهنود المسلمين بروح العصر ، والذى هادن ـ رغم ذلك ـ الاستعمار الانجليزى وفتح له الكثير من

---

(١١) المصدر السابق . ص ٣٢٥

الابواب والعقول والقلوب هناك (١٢) • وهناك كذلك « أغا خان » راعى طائفة الاسماعيلية السابق ، وصاحب المواقف السياسية القريبة جدا من مواطن الشبهات (١٣)

● أن السلطان العثمانى الطاغية « عبد الحميد » قد ظل قرابة الثلاثين عاما يدعو الى « الجامعة الاسلامية » ، ليحكم من قبضته على العالم العربى باسم الاسلام، حتى لقد قيل عنه انه اقام « بناء الجامعة الاسلامية وشيد اركانها » [١٤]

واذا كان هذا المفهوم الرجعى والمحافظ الذى تبدى لشعار « الجامعة الاسلامية » فى هذه المواقف ، وعند هؤلاء ، قد ألقى الظلال والشبهات على موقف الافغانى حياله ، فاننا نود أن نقول ان موقف جمال الدين من هذا الشعار انما كان مختلفا جذريا عن هذه المواقف ، كما كان نابعا من ادراك سليم لدور الرابطة الاسلامية وما تحدثه من تضامن بين الشعوب الاسلامية فى المعركة ضد الاستعمار الغربى الزاحف على البلاد ، كما كان مسوقا فى هذا الوقت الى عقد التحالفات التى رآها ضرورية ، من وجهة نظره ، ضد الاستعمار الغربى ، وهى التحالفات التى قادته الى أن يضع يده لفترة من الزمن فى يد السلطان عبد الحميد ، وأن يعقد على هذا السلطان الكثير من الامال • وهنا ، وفى هذه الحدود فقط ، كان الخطأ الذى وقع فيه الافغانى ، والذى عاد فرجع عنه ، كما وقع فيه ايضاوعاد فرجع عنه الزعيم المصرى « محمدفريد » [١٥].

أما الفروق الموضوعية والجوهرية التى تمايز ما بين مفهوم شعار « الجامعة الاسلامية » عند الافغانى ، ومفهومه عند غيره ، فاننا نستطيع ان نوجزها فى عدد من النقاط ، اهمها :

١ — انهقدكان لشعارالجامعة الاسلامية عنده **مضمون تحررى واضح وحاسم** ، يتناول أهم جوانب المعركة التى تخوضها شعوب الامم الاسلامية ضد الاستعمار الغربى الذى كان يمثل **الخطر الاساسى** عليها فى ذلك الحين ، فلقد كانت تعنى هذه الدعوة تحرير الارض الاسلامية المحتلة ، وخاصة مصر والهند ، ومنع التدخل الاوربى فى شئون الاجزاء الاخرى التى يزحف عليها الاستعمار ، وخاصة فارس وبلاد الافغان • كما كان لهذه الدعوة **مضمونها الاقتصادى** الذى يجتذب اعجاب الدارسين وتقديرهم ، عندما قصد من ورائها الافغانى تحقيق شعار (ثروة المسلمين للمسلمين) و « نفض اليد من رؤوس الاموال الغربية ، والاستعاضة عنها برؤوس مال اسلامية ، وفوق جميع هذا ، هى تحطيم نواجذ أوربة ، تلك النواجذ العاضة على موارد الثروة الطبيعية فى بلاد المسلمين ، وذلك **بعدم تجديد الامتيازات فى الارضين والمعادن والغابات وقطر الحديد والجمارك** ، العقودالتىمادامت خارجة عن ايدى العالم الاسلامىفهو يظلعالة على الغرب«[١٦]

٢ — ان هذه الدعوة **لم تكن ذات مضمون طائفى** عند جمال الدين ، بل ان الرجل لم يكن يتحدث عن بلاد المسلمين فقط ، وانما عن بلاد الشرق ، حتى لقد لقب بحكيم **الشرق** وليس بحكيم **الاسلام** ووجدناه يكتب عن الهند أكثر مما كتب عن الحجاز ، وحتى أننا نجد عنده أمتع دراسة وأعمقها ، وكذلك أهم نشاط عملى شهده عصره ، فى سبيل فكرة **وحدة الاديان ؟ !** وخاصة الاديان السماوية الثلاثة التى رآها « **على تمام الاتفاق فى المبدأ والغاية ، واذا نقص فى الواحدة شىء من أوامر الخير المطلق استكملته الثانية** » . كما رأى أن الاختلافات الطائفية انما هى غريبة عن أصول هذه الاديان ، وأن التناحر والتنافر الذى يحدث بين معتنقيها ليس من جوهرياتها **ولا » هو من تعاليمها ، ولا أثر له فى كتبها ، وانما هو صنع بعض رؤساء أولئك الاديان ، الذين يتجرون بالدين ، ويشترون بآياته ثمنا قليلا ، ساء ما يفعلون** » [١٧] • حتى لقد رأى فى صراع الغرب ضد الشرق جذوره الاستعمارية ، ولم يره فقط ، كما صنع الكثيرون على عهده ، فى اطار الصراع الدينى ، فقال:« **انمسألةالدينلم تكنهىوحدها الفاعلة فى أمر المسألة الشرقية** »، وانماالسببهو الاطماع الاستعمارية التى استغلت عقم الحكم العثمانى وضعفه وتفريطه ، ومن ثم فان هذه الحالة « **ستمتد الى غير تركيا ، وستعم كل قارة وكل حكومة تتفق فى شكلها وحكمها وتفريطها مع حكومة تركيا** » (١٨)

---

(١٢) زعماء الاصلاح فى العصر الحديث . ص ١٢١—١٣٨
(١٣) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص٣٣.
(١٤) لوثروب ستودارد (حاضر العالم الاسلامى) المجلد ١ ص ٣٠٨ ترجمة عجاج نويهض . ط القاهرة سنة ١٣٥٢ هـ .
(١٥) مذكرات محمد فريد المنشورة بالمجلد الثانى من كتاب محمد صبيح (مواقف حاسمة فى تاريخ القومية العربية . ص ٢٢٩ — ٢٣٠ . طالقاهرة سنة ١٩٦٤ م .
(١٦) حاضر العالم الاسلامى . مجلد١ ص ٣٢٨ .
(١٧) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ٢٩٠ .. ٢٩٦
(١٨) المصدر السابق . ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

٣ ـ ان الافغانى لم يكن يرى فى دعوة الجامعة الاسلامية **نقيضا معاديا** للدعوات القومية لدى شعوب الامم الاسلامية ، كما أن فكره ازاء العلاقة ما بين روابط « **الملة والعقيدة** » وروابط « **القومية والجنسية**» قد اتصف بالمرونة والتطور الفكرى والعملى الذى أصاب الكثير من مواقف جمال الدين ٠٠ ونحن نستطيع أن نقول ان فكر الرجل ازاء هذه القضية قد مر بمرحلتين أساسيتين :

الاولى : تلك التى تجسدت فى فكر مجلة (العروة الوثقى) التى أصدرها بباريس بعد فشل الثورة العربية فى الفترة ما بين ١٣ مارس ، و ١٧ أكتوبر سنة ١٨٨٤ م ٠ وهى مرحلة مبكرة فى فكره ونضاله ، ولقد رأى فيها الفكر القومى متضمنا وموجودا فى الفكر الاعتقادى لدى المسلمين ، وان فى الاسلام **غناء** عن القومية ، وليس **عداء** لها ٠

واحيانا أخرى كان **يرى** أن الروابط الملية والروابط القومية كلاهما ضرورى ، ولكن الاولى لدى المسلمين **أقوى** من الثانية ، كما كان يضيف بعض قسمات القومية ، مثل اللغة ، الى الروابط الملية ، وذلك بسبب من مكان اللغة العربية من القرآن والدين ٠

واذا كان اشتراك الشيخ محمد عبده مع **الافغانى** فى تحرير (العروة الوثقى) ، وعدم توقيع بحوثها ومقالاتها باسم كاتبها ، قد ساهم لفترة من الزمن ، فى شيوع هذه البحوث والمقالات بينهما ، كما ساهم فى وجود بعض المتناقضات فى أبحاثها حيال هذه القضية ، فاننا نستطيع أن نقول ، ونحن مطمئنون تماما ، تقول : ان الافغانى لم يهمل آثار الفكرة القومية فى هذه المرحلة من تفكريه ونضاله ، بل رأى فى كل من « **الوشيجة الدينية** » و « **علاقة الجنس والرابطة الجنسية (القومية)** ٠٠ » سبلا للالتحام بين المواطن ومجموع الامة ، والدليل على ذلك أنه لم يكن ـ كما قدمنا ـ يرى فى وحدة العقيدة الدينية ، وحدها ، سببا يرقى بأصحابها الى الوحدة السياسية ، كما لم يكن يرى فى الخلافات المذهبية الاعتقادية سببا يحول دون الوحدة القومية التى هى جوهر الروابط التى تجمع مابين الشعب الواحد (١٩) ٠

والثانية : من المراحل التى مر بها فكر الافغانى بهذا الصدد ، هى تلك التى نضج فيها فكره القومى ، حتى شهدناه يقدم لنا صياغات فكرية فى غاية من النضج والحسم والوضوح فى **هذا** الموضوع ، والتى تخلص فيها من ذلك الازدواج الذى جمع فى كتاباته ومواقفه مابين الروابط الملية والروابط القومية ، وذلك عندما وصل الى ترجيح كفة الروابط القومية وادرك أن روابط اللغة هى السبيل الوحيد لجمع شتات الامم التى مزقها الاستعمار ، وأنه بدونها فان شخصية الامة تغيب وتفنى ، وان الامم انما تغير معتقداتها واديانها بطريقة أسهل وأسرع مما تغير رابطة اللسان التى هى أهم مقومات الشخصية القومية ٠

الافغانى والخلافة العثمانية

واذا كان أمر **الموقف الفكرى** للافغانى ازاء شعار الجامعة الاسلامية قد اتضح ، وتأكد ما اشرنا اليه من أن أرضية النضال ضد الاستعمار العربى كانت هى المنطلق اليه ، وأنه لم يخرج عن كونه سلاحا اراد المفكر المناضل من خلفه جمع شعوب هذه الامم الاسلامية لصد الزحف الامبريالى على بلادها ، فان **الموقف العملى** للافغانى من الخلافة العثمانية ، وهو بمثابة التطبيق لشعار 'الجامعة الاسلامية' على نحو من الانحاء ، يفسر لنا هو الاخر **الموقف الخاص** للافغانى ، **والمتميز** ، حيال هذا الموضوع ٠

ففى الفترة الاولى من حياته ، كانت لديه آمال كبار علقها على كفاءة السلطان عبد الحميد ودهائه وقدراته ، ولقد حفلت هذه الفترة بعديد من عوامل الاحتكاك بين السلطان وبين الاستعمار الانجليزى الذى أخذ يغير على ممتلكات الامبراطورية العثمانية ويسلبها الامارات والولايات ، ولقد راودت الافغانى فى ذلك الحين فكرة **استغلال هذه التناقضات ، ودفع الخلافة فى طريق تصعيد هذه الاحتكاكات من اجل اقامة تماسك اسلامى خلف منصف السلطان العثمانى يلم شعث المسلمين فى المعركة ويخيف الغرب من دخول معركة لها جوانبها الروحية المقدسة فضلا عن الجوانب الوطنية والقومية المرتبطة بالتوسع والاحتلال.**

وهذه المرحلة هى التى بايع فيها الافغانى السلطان عبد الحميد بالخلافة ، وهو يعلل لنا أسباب تلك البيعة فى قوله : « أما ما رأيته من يقظة السلطان وشدة حذره ، واعداده العدة اللازمة **لابطال مكائد أوربا** ، وحسن نواياه واستعداده للنهوض بالدولة (التى فيها نهضة المسلمين عموما) فقد دفعنى الى مد يدى له ، فبايعته

---

(١٩) المصدر السابق ، ص ٣١٨ .

بالخلافة والملك عالما علم اليقين ان الممالك الاسلامية فى الشرق لاتسلم من **شراك أوروبا** ، ولا من السعى وراء اضعافها وتجزئتها ، وفى الاخير ازدرادها واحدة بعد اخرى ، الا **بيقظة وانتباه عمومى ،** وانضواء تحت راية الخليفة الاعظم » (٢٠) ، فهو اذن السعى وراء « ابطال مكائد اوروبا » وانقاذ الممالك الاسلامية من شراكها ، والوصول الى « اليقظة والانتباه العمومى » لبلاد الشرق ، الذى دفع الافغانى لمبايعة السلطان عبدالحميد ، والدعوة للانضواء تحت راية « الخليفة الاعظم » .. على أنه ينبغى لنا أن ننبه الى أن هذه الثقة انما كانت نتيجة خداع من السلطان عبد الحميد لجمال الدين ، وآمال مد حبالها هذا الطاغية للفيلسوف الكبير ، ونحن نستطيع أن نلمس ذلك عندما نقرأ كلمات الافغانى التى يتحدث فيها عن انطباعاته من أحاديث السلطان ومناقشاته ، فيقول : « **رأيت من السلطان ارتياحا لقبول كل ما ذكرته له من محاسن الحكم الدستورى ، وان الاسلام اول من عمل به فى سلطانه .. وأعظم ما أدهشنى ما أعد من خفى الوسائل وأمضى العوامل كى لاتتفق أوروبا على عمل خطير فى الممالك العثمانية ... !** » [٢١]

ولكن غشاوة هذه الدهشة سرعان ماتنقشع عن عينى الافغانى ، عندما تنمو تجربته مع السلطان ونظام حكمه ، وعندما يدرك ان احاديث الرجل ليست اكثر من البراعة فى الذكاء والدهاء والسياسة التى حذقها « **خصوصا فى تسخير جليسه** » وانه حتى اذا اقتنع ببعض مشورات جمال الدين ، فانه لايجرؤ على التنفيذ ، اذ « **ان عيب الكبير كبير ، والجبن من اكبر عيوب الملوك** » [٢٢] .

وعندما يدرك الافغانى ، وخاصة بعد اشتداد قربه من السلطان ، واقامته الدائمة فى الاستانة ، أن هذه الراية التى ظن فى يوم من الايام صلاحيتها لارهاب أوروبا وتجميع شمل الشرقيين قد أصبحت المظلة التى يزحف الاستعمار الغربى الى الشرق تحت كنفها ومن خلال ثغراتها التى اصبحت مستعصية على الترقيع ، عند ذلك يحسم الافغانى موقفه العملى ، كما حسم من قبل موقفه الفكرى ليتخطى رحاب هذه الساحة ، ساحة الجامعة الاسلامية والخلافة العثمانية ، الى ساحة الفكر القومى الناضج والقومية العربية بذاتها ، وتراوده أفكار عن الخلافة العربية على وجه التحديد .

والافغانى عندما حسم موقفه العملى هذا كانت لديه الجرأة لاعلانه ، كما أعلن بيعته من قبل للسلطان وعندما طفح به كيل اليأس مما يدور فى البلاط العثمانى قال : « **ماهذا الهذيان فى هذا الزمان ؟! وفى اى مقام جليل خطير هم يتلاعبون ؟؟ خلافة عظمى ! وامامة كبرى !!**

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سامها كل مفلس » [٢٣]

ولم يرهب بطش السلطان الذى « يلعب بمقدرات الملايين من الامة على هواه » فدخل عليه ليقول له : « **اتيت لاستميح جلالتك أن تقيلنى من بيعتى لك ، لانى رجعت عنها ... نعم .. بايعتك بالخلافة ، والخليفة لايصح أن يكون غير صادق الوعد** » [٢٤] .

وعلى الرغم من الخيوط الذهبية والحريرية التى ظلت تربط مابين السلطان والافغانى حتى وفاته فى سنة ١٨٩٧ م ، والتى استخدمها السلطان فى تكبيل نشاط المفكر المناضل ، الا أننا نستطيع أن نقول ان فكر الرجل ومواقفه العملية قد برئت تماما من كل آثار « الولاء » لهذه الخلافة ولهذا السلطان منذ ذلك الحين الذى أدرك فيه أن الخلافة العثمانية قد أصبحت عقبة أمام التحرر الوطنى لبلاد الشرق ، وان هذه السلطة قد غدت قيدا على محاولات « اليقظة والانتباه العمومى » التى ناضل فى سبيلها فى كل مكان .

على أنه ينبغى لنا أن نشير فى ختام الحديث عن موقف الافغانى من الجامعة الاسلامية ، الى أن تجاوزه لهذا الشعار ، وسحب ولائه من الخليفة العثمانى لا يعنى ان موقفه الاول كان موقفا رجعيا ، لان الافغانى ، لم يكن داعية من دعاة آل عثمان ولا عاملا على تثبيت سلطانهم فوق رقاب العرب والمسلمين ، بقدر ماكان مناضلا ضد الاستعمار الغربى ، اراد ان يستخدم كل الامكانيات والطاقات المتاحة ، **الحقيقى منها والمتوهم** ، فى هذه المعركة الرئيسية ضد الامبريالية والاستعمار ، كما أن الموقف الاجتماعى للافغانى ، وانحيازه الى

---

(٢٠) المصدر السابق . ص ٢٤٦ .
(٢١) المصدر السابق ص ٢٤٥ .
(٢٢) المصدر السابق . ص ٢٤٥ .
(٢٣) المصدر السابق . ص ٢٤٧ .
(٢٤) المصدر السابق . ص ٢٤٨ .

صفة جماهير الناس البسطاء ضد القلة الغنية والمستغلة ، انما تنفى عنه نفيا قاطعا أن يكون شريكا لاولئك الذين اتخذوا من شعار « الجامعة الاسلامية » سبيلا لتثبيت الاستغلال الاقتصادى والظلم الاجتماعى على كاهل جماهير المسلمين الفقراء ، وهؤلاء هم الذين توجهت اليهم فى عشرينيات هذا القرن هجمات المفكرين الاشتراكيين والشيوعيين فى الاتحاد السوفيتى بعد نجاح ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ وفى مقدمتهم « **لينين** » ، الذى طالب سنة ١٩٢٠ فى المسودة الاولية التى وضعها للمؤتمر الثانى للاممية الشيوعية (الكومينترن) حول المسألة القومية ومسألة المستعمرات ، طالب بضرورة « **النضال ضد الجامعة الاسلامية ، وماشاكلها من التيارات، التى تحاول ربط الحركة التحررية المناهضة للامبريالية الاوروبية والامريكية ، بتوطيد مراكز الخانات [السلاطين] والاقطاعيين والشيوخ الخ.. الخ** ![٢٥] ذلك لان الحركة التى أتخذت شعار الجامعة الاسلامية التى أراد أصحابها من خلفها « توطيد مراكز السلاطين والاقطاعيين » ، والتى عملت على « **توحيد** جميع الشعوب التى تدين بالاسم فى **كل وحدا** .. والتى استغلتها تركيا قصد اخضاع مسلمى العالم كله للسلطان التركى ، بوصفه « خليفة جميع المؤمنين » والتى حاولت عن طريقها « الطبقات السائدة فى الشعوب الاسلامية ان توطد مواقعها ، وتخنق الحركة الثورية لكادحى شعوب الشرق» [٢٦].

ان حركة « الجامعة الاسلامية » التى كانت تعنى كل هذا ، أو ما هو قريب من هذا ، هى التى كان بطلها السلطان العثمانى عبد الحميد ومن يقفون على الارض الفكرية والاجتماعية التى يقف عليها ، ولم يكن جمال الدين الافغانى من بين هؤلاء على وجه القطع واليقين • أى أننا نستطيع أن نقول ان النشاط الذى حدث تحت رايات الجامعة الاسلامية وأعلامها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر والعقود الاولى من القرن العشرين انما توزعه أكثر من تيار وأكثر من اتجاه • وفى الوقت الذى استمرت فيه « دائرة المعارف السوفيتية » تصف الجامعة الاسلامية فى جزئها الثانى والثلاثين من طبعتها الثانية بنفس أوصاف لينين لها ، فتقول انها « حركة دينية رجعية ، قام بها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر **أصحاب الاملاك والبرجوازيون وعلماء الدين الاتراك** ، ثم انتشرت فى الطبقات الثرية فى البلاد الاسلامية الاخرى •

وتعمل الجامعة الاسلامية على ضم الشعوب التى تدين بالاسلام تحت لواء **دولة واحدة** ، بدعوى انها **تكافح رؤوس الاموال الاجنبية فى بلاد الشرق** الاسلامى • وتستعمل الطبقات الحاكمة فى البلاد الاسلامية فكرة الوحدة الاسلامية لاذكاء نعرة **التعصب الدينى ، وبغض الاجنبى** ، كيما تثبت مراكزها ، وتقضى على الحركات الثورية التى تقوم بها الطبقات العاملة فى الشرق .. الخ .. الخ » • وهى جميعها صفات لاتنطبق على تيار الجامعة الاسلامية الذى مثله الافغانى ، والذى كان الد أعداء الطبقات الثرية والحاكمة ورجال الدين الاتراك • وألد اعداء التعصب الدينى والقومى الضيق الافق ، والقائل بحتمية سيادة الاشتراكية كل العالم لانصاف « الشعب العامل » الى غير ذلك من الفروق الاساسية بين تياره فى هذا الحقل والتيار الاخر الذى عناه لينين ومن بعده دائرة المعارف السوفيتية •

بل وأكثر من ذلك ، فاننا نجد فى اطار الحزب الشيوعى السوفيتى ، الذى كان يعالج قضايا تهم الجمهوريات السوفيتية الاسيوية المسلمة ، وكذلك فى اطار المؤتمرات التى عقدها « الكومنترن » فى العقد الثالث من هذا القرن ، أصواتا قد ارتفعت لتنبه الى المضمون التحررى المتقدم لهذا الشعار • ففى المؤتمر الرابع للكومنترن المنعقد سنة ١٩٢٢ م اعيدت مناقشة الموقف من الجامعة الاسلامية، وطالب الكثيرون، وفى مقدمتهم الزعيم الشيوعى الاندونيسى « **تان مالاكا** » بالتعاون مع هذه الحركة ، باعتبارها حركة تحرر وطنى لشعوب تمثل عقيدتها دينا ودولة واقتصادا وغذاء ، ولانها موجهة ضد العالم الرأسمالى • واستطاع هذا المؤتمر أن يعدل قرار المؤتمر الثانى حول هذه المسألة تعديلا نراه جوهريا وهاما ، وذلك عندما رأى « **أن الوحدة الاسلامية ليست الا التعبير العقائدى الاول الذى تتبلور فيه الحركة القومية فى الشرق ، وهكذا فان هذه الشعارات « الدينية السياسية » ، بنمو حركة التحرير الوطنى وتوسعها ، ستستبدل بمطالب سياسية مركزة**»

وأهمية هذا التعديل الذى ادخل على قرار المؤتمر الثانى — الذى قرر النضال ضد الجامعة الاسلامية ، بتعميم واطلاق — والذى قدم هذه الصياغة الجديدة للموقف من هذه الحركة ، أهمية ، فى نظرنا وبالنسبة لموضوعنا الذى نعالجه ، **انه اعتبر النضال الشرقى تحت شعار الجامعة الاسلامية التعبير الاولى « الذى تتبلور فيه الحركة القومية »** ، **ومن ثم فانها مرحلة ستفضى الى ساحات الفكر القومى والنضال السياسى**

---

(٢٥) لينين (المختارات) المجلد ٣ ج ٢ ، ص ١٣ ط موسكو العربية.
(٢٦) المصدر السابق ، المجلد ٣ ج ٢ ، ص ٤٩٩ .

المحدد والمركز عندما تنمو حركة التحرر الوطنى ويتسع مداها . واذا كان هذا التشخيص قد تم بعد ربع قرن من وفاة جمال الدين الافغانى ، فلقد رأينا كيف كانت قصة هذا المفكر المناضل مع هذه القضية مصداقا لهذا التشخيص ، وكيف كان النضال تحت رايات الجامعة الاسلامية المدخل الذى مر به الى ساحة الفكر القومى الناضج والاصيل . مع ملاحظة أن قصة الافغانى مع هذا الشعار وذلك النشاط هى السابقة على هـذا التشخيص .

والى حد ما ، فلقد ظلت النظرة ، نظرة الحزب الشيوعى السوفيتى ، الى هذه الحركة ودعاتها ، فى اطار معالجة « الحركات القومية » ، واذا كان مؤتمره المنعقد فى سنة ١٩٢٣ قد اعتبر هذه الحركة ، مثلها مثل « الحركة الطورانية التركية » مجرد « انحراف نحـو القـومية الديمقـراطية البورجوازية » فنحن لا نطلب من الذين يقيمون هذه الحركة ويؤرخون لها الكثرمن وضعها فى هذا الاطار ، اطار الحركة « القومية الديمقراطية » ، اما اعتبارها انحرافا ، فان ذلك انما كان بالنسبة للقادة الشيوعيين الذين آمنوا بها ودافعوا عنها فى صفوف الحزب الشيوعى فى ذلك الحين ، عندما كانت الافكار القومية ينظر اليها ـ لاسباب ليس هذا مكان الحديث عنها ـ كانحراف .

بل ان هذا « الانحراف » كان معتبرا ، عنـد ستالين ، من الاخطاء القابلة للغفران ، وذلك بدليل قوله عن دفاع الزعيم الشيوعى « سلطان جاليف » عن الجامعة الاسلامية : « لو أن سلطان جاليف قد اقتصر على ايديولوجية الوحدة الطورانية والوحدة الاسلامية لماكان انحرافه كثير السوء ، فلربما كان لى أن أقول انه يمكن التسامح مع هـذه الايديولوجية ... » (٢٧) .

ولعل الذى حدا بنا الى الاهتمام بابراز موقف الفكر الاشتراكى ، والثورة السوفيتية بالذات ، من هذه القضية وهذه الصفحة من صفحات نضال الشعوب الاسلامية ، هو أن القوى الرجعيـة والمحافظة قد اتخذت من هذه الحركة دليل ادانة للفكر القومى ، وزعمت غربته عن تعاليم الاسلام ومنافاته لحياة المسلمين ، فاذا مـادفعت بعض الحساسيات المفكرين التقدميين الى معاداة هذه الحركة عند التقييم التاريخى لها ، فاننا سنكون بازاء لقاء غير مقصود حول موقف خاطىء من حركة الجامعة الاسلامية ، قد اتخذه فى آن واحد كل من التقدميين والرجعيين على السواء .. بينما جلاؤها وتقدير المكان السليم لها من التطور القومى للشعوب العربية والاسلامية ، هو أمر هام ونحن بصدد تقديم الدراسات ذات المنهج العلمى عن صفحات هذا التراث وذلك التاريخ .

■■■

[٣] القوميـــــة .. والعـروبـــة

لعل من ابرز آيات النضـج للفكر القومى العربى عند الافغانى ، ذلك الرد الذى كتبه ونشره فى صحيفة « الدبيا » الفرنسية على المحاضرة التى القاها فى « السربون » المستشرق الفرنسى « ارنست رينان » . وكان « رينان » قد تناول فيها ، ضمن ما تناول ، هجوما على « الجنس العربى » اعاد فيه افكاره المعروفة عن سطحية العقلية العربية ، وعـدم ملاءمتهـا للفكر الفلسفى والقضايا التركيبية . وخلص من ذلك الى أن التراث العربى الاسلامى انما هو انتـاج اسلامى لشعوب وأجناس غير عربية ، وليس انتاجا عربيا لشعوب تعربت بالحضارة واللغـة والولاء ، وان كانت قد انحدرت من اصـلاب غير أصلاب عدنان وقحطان (٢٨) ، فتصدى الافغانى للدفاع الموضوعى عن الامة العربية والحضـارة العربية ، محددا ومبلورا فكره القومى الناضج حيال هذا الموضوع .

وهو فى هذا الصدد يحدد المعيار الذى يقيس به العروبة ، فيرفض معيار « رينان » القائم على العرق والجنس ونقاء الدم ، ويرى أن الحضارة واللغة والهوية هى المعيار فى هذا المقام ، ومن ثم فان العروبة شىء والدين الاسلامى شىء آخر . ولقد كانت العروبة أسبق من الاسلام فى الوجود ، كما ان الاسلام قد مد ظلالها ونشر مقوماتها بعد انتم لاصحابه الفتح واكتملت للشعوب التـى فتحت بلادها مقومات التعريب .. فيقول عن « الجرائيين » و « الصائبة » الذين سكنوا شمال العراق منـذ ماقبل الاسلام ، والذين احتفظوا بديانتهم القديمة بعد الاسلام ، ومع ذلك اسهموا فى بناء الحضارة

---

(٢٧) ولترلاكور (الاتحاد السوفيتى والشرق الاوسط) ص٣٧٦ ، ٥٥ ، ٥٦ . ترجمة مجموعـة . ط بيروت ١٩٥٩ م
(٢٨) رينان (ابن رشد والرشدية) ص١١٦ ، ١٨٥ . ترجمة عادل زعيتر ١ القاهرة سنة ١٩٥٧ م .

العربية الاسلامية ، يقول : « ان **الحرانيين كانوا عربا .. وان اللغة العربيـــة كانت الى ما قبـــل الاسلام بعدة قرون لغة الحرانيين ، وكونهم قد حافظوا على ديانتهم القديمة وهى « الصائبة » ليس معناه انهم لم ينتموا الى الجنسية العربية** » ثم يتحدث عن أن الحضارة التى ورثهــا العرب والتى ساعدوا على ازدهارها فى الشام ، انمــا هى حضارة غير مقطوعة الصلة بالعروبة ، فلقد « **كانت أكثرية نصـــارى الشام عربا غسانيين اهتدوا بهدى النصرانية** » . كما يتحدثعن عروبة المجتمع الاندلسىوعروبة حضارته وثقافته فيقول: « **أن العرب لما احتلوا أسبانيا لم يفقدوا جنسيتهم، بل ظلوا عربا .. أما ابن باجة وابن رشد وابن طفيل فلا يمكن القول بأنهم أقل عربية منالكندى بدعـــوى أنهم لم يولدوا فى جزيرة العرب** » .

فهـــو هنا ينفى أن يكون المعيـــار للادخال فى العروبة أو الاخراج منها الاصـــل العرقى أو العقيدة الدينية ، صائبة كانت هذه العقيدة ، أو مسيحية ، أو اسلاما ، لانه قد اتخذ معيـــارا أكثر انسانية واتساعا وتقدما ، وهو المعيارالحضارى الذى تقف اللغة فى مقدمة سماته وقسماته، وذلك عندما يحسم هذه القضية ـــ فى عصره ـــ بقوله : انه « لا ســبيل الى تمييز أمة عن اخـــرى الا بلغتها » (٢٩) ، **وعندما يقول ان « الامة العربية هى عرب قبل كل دين ومذهب ، وهذا الامر من الوضوح والظهور للعيان مما لايحتاج معهالىدليل أوبرهان** » (٣٠) .

مكونات القومية

ولم تكن هذه المقالة التى رد بها « الافغانى » على « رينان » هى المناسبة الوحيدة التى طرق فيها هذا الموضوع ، وانما وجدناه فى مناسبات كثيرة يلقى الينا بثمار ناضجة لمفهومه القومى الجديد .

فهو يحدثنا ، مثلا عن المؤثرات والاسباب التى تجعل من المجموعة البشرية التى تعيش ظروفها وملابساتها قومية متحدة ، وهو يعـدها **خمس** خواص ومؤثرات وعناصره أربعة منها نابعة من الطبيعة والواقع والظروف المادية التى يعيشها الناس ، وهى ١ ـــ « اللسان » [اللغة بآدابهــا ومتعلقاتها) ٢ ـــ و« الاخلاق » ٣ ـــ و «العوائد» ٤ ـــ و«الاقليم »»اما الخاصية الخامسة ، والتى هى «طارئة» من خارج الواقع المادى فهى ٥ ـــ « الدين » ، وذلك عندما يقول : « ان الحكمة قضت ان تكون الحواس البشرية المعروفة خمسا وان يكون للاقليم خواص خمس ، بهـــا تميزت الشعوب والقبائل التى خلقها الله مننفسواحدة، وتقسم المعمور الى مايسمونه ممالك وأوطانا .

أما الخواص فأربع ، منها تستمـــد من طبيعـــة الاقليم ، والخامسة تطرأ فتؤثر وهى « الدين » ، ويليها « اللسـان » و « الاخلاق » و « والعوائد » و « الاقليم » وتأثيره على المجموع .. وتحتهذه المؤثراتتحصل للاقوام ميزة ، وتتأصل فيهممحبة البقاء على مألوفهموالذود عنه ، واعتبار منخالفه انه ليس منهم ، بل هو غيرهم بمعنى الغـــيرية المطلقة .فمتى تم لقوم منسكان الارض ، او لاهل اقليم او مصر ، تلك الجوامع او الخواص الخمس المميزة ، وحصلت المساواة بها بين العموم منهم ، وتأثروا بمؤثراتها ، اصبحت دعوى الكفاءة بينهم ميسورة ، وامر التمييز أو تعيين الافضلية غير ميسور » (٣١) .

ولكن هذا المفهوم القومى عند الافغانى ، لا ينسيه ان وحدة الاصل بالنسبة للنوع الانســـانى انما تقتضى مستـــوى من النظرة الانسانيـــة والعـــلاقات الانسانية بين كل بنى البشر ، اذ الانسانية دائرة أرحب وأوسع وأشمل من دوائر القوميات ، وانه ، لذلك « خليق بالانســـان ، كما انه نوع واحد ، الا يكون له غير هـــذه الكرة الارضية الصغيرة وطنا ، بمعنى أن وحدة النوع تقتضى وحدة المكان ، فالانسان طالما لايمكنه أن يعيش فى الماء ، فموطنه اذن اليابسة » (٣٢) .

وهكذا تكتمل لديه ، بالنسبة للانسان، دوائر ثلاث هى ١ ـــ الدائرة القومية ٢ ـــ والدائرة الملية ٣ ـــ والدائرة الانسانية .

الوطنيـــة

واذا كانت**المشاعر الوطنية** التى تتجسدوتتبلور فى ولاء يمنحه الانسان لوطن من الاوطان هى احدى المميزات والقسمات غير المنظورة ، التى تلخص عملية الانتساب القومى بالنسبة للانسان ، فاننا يجب أن نميز ، بالنسبة للافغانى ،بيننوعين من الوطنية ، فمن احداهما ، وهو ذلك المتصف بالتعصب وضيق الافق والانغلاق على قطعة من الارض لا يرى الانسان أبعد من حدودها ولا يعيش غير قضاياها ومشكلاتها . واذا كان الافغانى قد عاش كما يعيش الراعى العملاق الذى يستشعر

---

(٢٩) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى . ص٢٠٨ ، ٢٠٩ .
(٣٠) المصدر السابق . ص ٥٧ .
(٣١) المصدر السابق ص ٤٢٨ .
(٣٢)المصدر السابق .ص٤٢٧ ، ٤٢٨

المسئولية بالنسبة للانسان الشرقي ، بل وبالنسبة لكل الذين « **يحامون عن الحرية والعدل المطلق** » ، واذا كان قد حمل على كاهله قضايا أمم عديدة ومشاكل شعوب كثيرة ، فانه لذلك قد برئ من ضيق الافق الوطني عندما « لم يتعلق ببلد من البلاد على أنه وطن ، ولم تدخل فكرة الوطنية بهذا المعنى في مذهبه الاجتماعي » (٣٣) .

أما الوطنية كسلاح بين الشعب في معركة تحقيق الذات والنضال ضد الاعداء ، فان الافغاني قد عرفها وحبذها وأشاد بها ، بل وقدم لنا في مجالها النفيس والجيد من الآثار .

فهو الذي يحدثنا عن عداء المدارس الاميرية العثمانية ، وعداء الاجانب للتربية الوطنية ، فيقول : « أما الوطنية ، أو حب الوطن ، فهو الداء الذي تخشاه المدارس الاميرية ، أو ماكان تحت سلطة الاوصياء الاجانب منها » ، ثم يلح في طلبه ودعوته الى « تعليم وطني ، يكون بدايته الوطن ، ووسطه الوطن ، وغايته الوطن » ، ثم يمضي قائلا : انه « يجب أن يكون الوطن في مفهوم الشرقيين كقاعدة حسابية : اثنان فاثنان = يعملان اربعة . فلا تستطيع المذاهب أو الطوائف أن تدعيها خاصة ، ولا أن تحاول نقضها . هذا هو الوطن ، وهكذا يجب أن يكون التعليم الوطني »[٣٤] . أي ان هذه المشاعر والروابط الولاءات التي هي نبت لقسمات وخصائص سبق حديث الافغاني عنها ، انما يجب الحفاظ على قدسيتها من أن تتدنس تحت أقدام الصراعات المذهبية والطائفية ، التي يحاول بعضها احتكار هذه العاطفة ، ويحاول بعضها الاخر نقضها وهدمها .

الخلافة العربية

واذا كان هذا هو مبلغ الحسم الذي بلغه **الفكر** القومي لجمال الدين الافغاني ، فان الرجل لم يقف عند حدود هذه الجبهة ، وانما امتد نشاطه **العملي** ليواكب هذا الطور الجديد من أطوار تقدمه ونضجه ، وليصنع الكثير في سبيل نزع الراية من آل عثمان ، وعلى وجه التحديد فك قيودهم الملية من حول أعناق الولايات العربية التي يحكمونها .

ونحن لن نتحدث عن الاحاديث الكثيرة التي القاها الافغاني على مريديه وتلاميذه ضد السلطان ، فانها أكثر من أن يتسع لها هذا المقام ، ولا عن كل النشاطات التي مارسها ضد الخلافة العثمانية ، والتي اعتبرها ، بحق ، الذين أسفوا على ذهاب هذه الخلافة ، من أهم العوامل في هذا المصير الذي بلغته ، وانما سنختار من كل ذلك حادثتين تاريخيتين فقط للتدليل على هذا الذي نقول :

الاولى : حدثت في سنة ١٨٩٣ ، وكان الافغاني يعيش يومئذ في الاستانة ، فخطط مع تابعه ومريده « **محمد باشا المخزومي** » لاصدار جريدة عربية ، على غرار (**العروة الوثقى**) ، تمثل هذا الطور الناضج من فكر الافغاني وتجاربه ، وأطلقا عليها اسم (**البيان**) . ولكن السلطان وحاشيته سرعان ماعطلاها ، واتهما الافغاني ومريده بأنهما يسعيان بذلك العمل « لتحرير اليمن واستقلالها » (وكانت قد شقت عصا الطاعة على السلطان) وذلك تمهيدا للسعي «**لاستقلال البلاد العربية**» [٣٥] .

والثانية : تلك التي اتهم فيها الافغاني صراحة بالسعي لاقامة خلافة عربية يكون مركزها القاهرة وخليفتها الخديوي عباس حلمي . أما قصة هذا الاتهام فانها تبدأ بذلك اللقاء الذي تم « بالصدفة » بين الخديو عباس في منتزه « الكاغدخانة » بالعاصمة العثمانية وبين جمال الدين الافغاني وعبد الله النديم ، ولقد تحدثت حيثيات الاتهام الذي رفع للسلطان عن « أن جمال الدين قد تعاقد وتحالف مع الخديوي على أن يؤسس له دولة عباسية » وأنه قد طلب تأمينا من الخديوي بعد أن يتم له الامر ، الا تكون عاقبته كما كانت عاقبة أبي مسلم الخراساني مع العباسيين ، وان سوريا الجغرافية لمن حكم مصر بمنزلة اللازم والملزوم ، وهي مفتاح العراق» وأن ختام هذا اللقاء انما كان بيعة من الافغاني والنديم للخديو عباس ، حيث « بايعاه تحت الشجرة » ، وقال له الافغاني أبياتا من الشعر تقول :

شاد الخلافة في بني العباس
عباس ، لكن نعته السفاح .
ولانت خير مملك ستشيدها
بالبشر ، ياعباس ياسفاح(٣٦)

ونحن لايعنينا كثيرا أن الافغاني قد نفى عن نفسه هذه « التهمة » عندما سأله عنها السلطان عبد الحميد ، فلم يكن متصورا على فرض صحتها ، أن يعترف بها وهو في قبضة الطاغية . «

(٣٣) مصطفى عبد الرازق . (ترجمة الافغاني) مقدمة .(العروة الوثقى) .ص١٤ . ط القاهرة سنة ١٩٢٧ م .
(٣٤) المصدر السابق . ص٦٣ ، ٦٤ ، ٥٨ .
(٣٥) المصدر السابق . ص ٧٦ .
(٣٦) المصدر السابق . ص٧٢ ، ٧٣ . والصفاح : هو الكثير الصفح عن الذنوب .

مهما أوتى من الشجاعة والاقدام ، فضلا عما فى الاعتراف من المخاطرات التى تهدد نجاح المسعى فى هذا السبيل .وانما الذى يعنينا هو : هل كان هذا الامر متصورا ومنسجما مع طبيعة الفكر القومى للافغانى يومئذ ؟ ومع تقديره لمصر وعاصمتها كمركز لخلافة عربية ؟ ومع رأيه فى عباس حلمى من حيث الصلاحيات لتولى هذا المنصب ؟ .. اذ فى الاجابة على هذه الاسئلة الوصول الى الموقف المطمئن الى معقولية هذا المشروع ، وامكانية حدوث هذا التدبير ، أو العكس ، دون الدخول فى متاهات الافتراضات والتحقيقات التى هى أقرب الى الاسلوب « القضائى » منها الى أسلوب معالجة السياسة والتاريخ ..

● وبالنسبة للموقف الفكرى القومى للافغانى ، فلقد سبق أن اتضحت لنا تطوراته ، التى بلغت مرحلة النضوج ، بل ولقد سبق وأشرنا الى اتهامه فى سنة ١٨٩٣ بالسعى «**لاستقلال البلاد العربية**» عن سلطان العثمانيين .

● اما عن رأى الافغانى فى مصر، وصلاحيات عاصمتها القاهرة لان تكون مركز خلافة عربية للامة العربية ، فهو موقف يجيب على هذا السؤال بالايجاب ــ ذلك أن الافغانى كانت له فى مصر سنوات عاشها [١٨٧١ ــ ١٨٧٩] عدها من اخصب سنوات عمره ، كما كانت له عن القضية المصرية ابحاث فى (**العروة الوثقى**) لم تحظ بمثلها دولة من الدول ، أو قضية من القضايا ،لانه كان يعتبرها « أهم مسألة شرقية » .. وأهم من ذلك فان الافغانى كانت له تقديرات صائبة لمدى النضج والتطور الذى بلغه المجتمع المصرى ، بالنسبة للمجتمعات العربية الاخرى ، وخاصة منذ قيام الدولة العصرية و « الحكومة النظامية » فيها على عهد محمد على ، الذى وصفه جمال الدين بأنه « **نابغة الدهر** » الذى تقدمت مصر على عهده فى كل المجالات ، « وتعارفت اهاليها ، وأئتلف الجنوبى بالشمالى ، والشرقى بالغربى ، وقوى فيهم معنى الوطنية .. واعتدلت المشارب المذهبية ، حتى كان لهم زمن أحس فيه كل واحد بنسبته من الاخر بأنه « وطنى مصرى » ، وارتفعت بذلك أصواتهم بعد ماجالت فيه أفكارهم ، وكيف كان المتأمل فى سيرها هذا يحكم حكما ربما لايكون بعيدا عن الواقع ، ان عاصمتها لابد ان تصير فى وقت قريب او بعيد ، كرسى مدنية لاعظم الممالك الشرقية ، بل ربما كان ذلك امرا مقررا فى أنفس جيرانها من سكان البلاد المتاخمة لها ، وهو أملهم الفرد كلما خطب أو عرض خطر » (٣٧) فاذا كان الخطر قد عرض ، والخطب قد الم ، فلا بد وان يكون فكر الرجل وعقله وبصره قد شخصوا جميعا الى مصر متطلعين ان تؤدى دورها التاريخى الذى تقرر لها تاريخيا ، والذى أصبح قدرها المكتوب والمحتوم ، كما أصبح الامل الفرد لهؤلاء الجيران.

● اما عن تقدير الافغانى لصلاحيات الخديوى عباس حلمى كى يتولى منصب الخلافة العربية ، فاننا نراه ايجابيا ، رغم ما احيط به من تحفظات فهو يرى أن « الخديوى بظروفه ، وما احاق واحاط بمصره ، هو عندى أعجز من السلطان » اذن لو زالت هذه الظروف التى تحيط به وبمصر لاكتملت للرجل الصلاحيات المطلوبة ، بل ان جمال الدين يريحنا من عناء الاستنتاج فيقول : « .. نعم لو تخلصت مصر من براثن بريطانيا ، وتسنى لعباس ، مع **ذكائه وتطلعه** ، ان تكون له همة محمد على الكبير ، ومضاء ابراهيم ، وسخاء اسماعيل ، لوقع من الخلافة على مايرجوه » (٣٨) .

فاذا أضفنا الى ذلك كله ان القاهرة كانت فى ذلك الحين مستقرا لكثير من الثوار العرب ومكانا لكثير من الحركات الثورية والقومية والاصلاحية التى قامت فيها لتحرير المشرق العربى من سلطان العثمانيين . وأن **المفكر القومى المناضل عبد الرحمن الكواكبى** (١٨٥٤ــ١٩٠٢م) قد اتخذمن القاهرة بعد وفاة الافغانى بقليل مركزا للدعوة للخلافة العربية ، وأنه كان يرشح لهذا المنصب الخديوى عباس حلمى بالذات .

وأن التناقضات التى قامت بين الخديوى وبين السلطان قد جعلت صوت العروبة عاليا ومسموعا فى القاهرة يومئذ ، حتى قيل « ان التدابير والخطط الكبرى **للجامعة العربية** قد نظمت وانضجت فى مصر . وأما البرنامج المصرى للجامعة فهو يرمى الى توحيد جميع الاقطار العربية ، وعلى رأسها الخديوى .. ويعزى الى الخديوى عباس حلمى .. تشجيعه لهذه الحركة » (٣٩) .

فاذا علمنا كل ذلك ، وجمعنا الى الموقف الفكرى القومى للافغانى ، مفهومه الناضج للوطنية ، وموقفه العملى من الخلافة العثمانية ، وقصته مع الخلافة العربية ، استطعنا أن نضع أيدينا على صفحة تجسد الموقف الفكرى ، والعملى للرجل حيال هذا الموضوع الهام .

---

(٣٧) المصدر السابق . ص٥ ، ٧٤ ، ٤٦٦ .
(٣٨) المصدر السابق . ص ٢٤٧ .
(٣٩) حاضر العالم الاسلامى . المجلد ٤ ص١٢ .

[٤] من الرأسـمالية الى الاشـتراكية

اذا تحدثنا عن التطور الفكرى الذى أصاب الافكار الاجتماعية عند الافغانى ، فاننا سنشهد وضوح معالم هـذا التغير وذلك التناقض بين الموقف الراسـمالى المنحاز للاقتصاد الحر ، والمعادى فى عنف وغلو ، للاشتراكيـة والاشتراكيين ، وبين الموقف الذى انتهى اليه والذى راى فيه « **حتمية** » سـيادة الاشتراكية جميع انحاء العالم .

ونحن نستطيع أن نقول ان الموقف الاخير هو **الموقف الاصيل المعبر عن حقيقة فكر الافغـانى** ونشاطه النضالى، بينما الموقف الاول لم يكن سوى قشرة رقيقة اقتضاها ظرف خاص مر به الرجل جعله يعادى الاشتراكية هذا العداء «الحماسى»، ويتهم الاشتراكيين هذه الاتهامات المشبعة بالعنف والظلم والتعميم .

أما تفسير ذلك فانه يتضح عندما نعلم ان الاثر الفكرى الوحيد الذى هاجم فيه الافغانى الاشتراكية هو رسالته التى كتبها فى الهند سنة ١٨٨٠ والتى اسماها (**الرد على الدهريين**) وهى رسالة كتبها ضد طائفة هندية مسلمة كانت تنحو فى الثقافة والتعليم منحى عصريا متطـرفا فى تقليـده للاوربيين ، وتهادن الاستعمار الانجليزى فى نفس الوقت وتتعاون معه وتركن الى سـلطانه كل الركون ، فجاءت هذه الرسالة على نحو مـن الحماسة والانفعال اللذين جرفا فى طريقهما كل الافكار الفلسفية والاجتماعية والاصلاحية والعلمية التى انتجتها الكثير مـن العقـول والامـم والحضارات ، ولقد كان مثل الاشتراكية فى ذلك الهجوم الحماسى كمثل الفلسفة اليونانية ، والتراث الفارسى ، والنشوء والارتقاء والثورة الفرنسية ، وغير ذلك من القيم الفكرية ، والحضـارية التى هاجمها الافغانى فى هذه الرسالة ، ثم عاد فيما بعد ذلك فصحح موقفه منها ، وقدملنا عنها الفكر الناضج الذى يمثـل وجهه الحقيقى بصـدد قضاياها .ويكفى أن نستعير هنا وصف « **الشيخ محمد عبده** » للظروف التى الفت فيها هذه الرسالة الحماسية ، والذى يقول فيه انه قد « **دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه ايام كان فى البلاد الهندية عندما رأى حكومة الهند الانكليزية نمد فى الغى جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان ، وحل عقود الايما ن**» [٤٠] . يكفى أن نستعير هذا الوصف لنعلم كيف رفض الافغانى وهاجم بعنف كل الفكريات والمواقف التى توهم فيها التناقض والعداء مع موقف التدين والايمان .

ونحن نجده قد عقد فصلا خاصا للهجوم على الاساس الايديولوجى للاشتراكية ، عنـوانه (مطلب فى السوسيالست) « الاجتماعيون » . والنهيليست « العدميـون » ، والـكمونيست « الاشتراكيون » يتحـدث فيه عن أن « هـذه الطوائف الثلاثة تتفق فى سلوك هـذه الطريقة (أى الالحاد) .. وزينوا ظواهرهم بدعوى أنهم سند الضعفاء ، والطالبون بحقـوق المساكين والفقراء ، وكل طائفة منهـا وان لونت وجهه مقصدهم بما يوهم مخالفته لمقصد الاخرى ، الا ان غاية مايطلبـون انما هو رفع الامتيـازات الانسانية كافة ، واباحة الكل واشراك الكل فى الكل . وكم سفكوا من دماء ، وكم هدموا من بناء ، وكم خربوا من عمران ، كل ذلك سعيا فى الوصول الى هذه **المطالب الخبيثة** .. وجميعهم يتعاونون على اذاعـة خيالاتهم الباطلة ، وبهـذا كثرت احزابهم ونمت شيعتهم فى أقطار الممالك الاوربية ، خصوصا مملكة الروسية » ثم يمضى الافغـانى ليدافع عن مواقع الفكر الراسمالى متحدثا عن أن « المبدا الحقيقى لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة فى الامتياز » وواصفا الافكار الاشتراكية بانها هى وأفكار «المصابين بالماليخوليا» سـواء ، وان تطبيقها سيجعـل « الانسان فى معيشته على مثال **البهائم البرية** » وان « هـذه الطوائف اذا استفحل امرها وقوى ساعـدها على المجاهرة بأعمالها ، فقـد تـكون سببا فى انقراض النوع البشرى .. اعاذنا الله من شرور أقوالهم واعمالهم » (٤١) الى أمثال هذه الاحكام التى رمى بها الاشتراكية والاشتراكيين .

على أن الامر الجدير بالملاحظة هو أن هـذه الرسالة الحماسية التى ذهب فيها الافغانى هذا المذهب قد لقيت رواجا منقطع النظير من قبل الذين ظلوا يطبعونها ويعيدون طبعها فى مصر مرارا وتكرارا ، حتى ظن الناس فى مصر أنه ليس للافغانى أثر فكرى سوى رسالة الرد علـى الدهريين ، ولقد كانت آخر طبعاتها بمصر تلك التى اخرجتها احدى دور النشر التى لاصلة لها بالتراث ولا بالاسلاميات ، وذلك عقب صدور قوانين يوليو سنة ١٩٦١م ، بينما الآثار الفكرية التى تحدث فيها

---

(٤٠) محمد عبده . مقدمة ترجمة الرد على الدهريين . ص ١٧ . الطبعة الرابعة . القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .
(٤١) الاعمال الـكاملة لجمال الدين الافغانى . ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

الافغانى عن الاشتراكية وحتميتها لم تعرف طريقها الى المطبعة المصرية الا فى سنة ١٩٦٨ ·

الجوهر الاصيل

أما كيف كان هذا الموقف الحماسى الذى اتخذه الافغانى حيال الفكرية الاشتراكية وأحزابها ، قشرة لا تعبر عن الجوهر الاصيل للرجل · فان على ذلك اكثر من دليل ، بل ان حياة الرجل ، ونضاله ، والمعسكر الذى انحاز اليه فى كل المجتمعات التى مر بها أو عاش فيها ، انما تؤكد جميعها على أن الجوهر الاصيل لهذه الشخصية ما كان له أن يتناقض أبدا مع مثل العدالة الاجتماعية والاخاء الانسانى ومحاربة الاستغلال التى تستهدفها الاشتراكية ويسعى لبلوغها الاشتراكيون ·

● فالافغانى الذى عرف باحترامه للتصوف والمتصوفة ، والذى كان شديد الاكبار للفيلسوف الاسلامى المتصوف « **محى الدين بن عربى** » (٤٢) ، عندما يسأل عن رأيه فيما يذهب اليه المتصوفون من دعوى « الفناء فى الله » يجيب اجابة تحدد موقفه الاجتماعى الى جانب جمهور الناس البسطاء فيقول : «**أنا لا أفهم معنى لقولهم ، الفناء فى الله · وانما الفناء يكون فى خلق الله ، ومعنى الفناء فيهم تعليمهم وتنبيههم الى وسائل سعادتهم وما فيه خيرهم** » (٤٣) ·

● وعندما يتحدث عن جمعية (العروة الوثقى) السرية التى كونها بعد فشل الثورة العرابية ، والتى كانت لها فروعا بمصر والهند وغيرهما يشير الى تحالف هذه الجمعية « **مع الذين يتململون من مصابهم ، ويحبون العدالة ويحامون عنها ، من أهل أوربا** » (٤٤) ·

● وعندما يتحدث عن « السلطة الزمنية » فانه يرى أن « الغاية المقصودة منها هى العدل **المطلق** ··· » (٤٥) ·

● وعندما يجىء الحديث عن القلة المالكة الغنية فانه يحدد بحسم موقفه المعادى لهم ويرى فيهم « سلاسل وأغلالا » قد وضعت فى رقاب المسلمين ، وذلك عندما يقول انه « ما أقعد الهمم عن النهوض الا أولئك المترفون ، يحرصون على طيب فى المطعم ، ولين فى المضجع ، وتطاول فى البنيان ·· **أولئك صاروا فى أعناق المسلمين سلاسل وأغلالا** » ؟ ! (٤٦) ·

● وعندما يجتمع فى « بطرسبرج » بالقيصر الروسى ، ويسأله القيصر عن سر خلافه مع الشاه الايرانى ناصر الدين ، فيقول الافغانى ، انها الحكومة الثورية ، أدعو اليها ، ولا يرضاها الشاه ، فاذا تعاطف القيصر مع الشاه ، مستنكرا رضاء اى ملك بأن يتحكم فيه فلاحو أمته ، أجابه الافغانى بدفاع عن الفلاحين أغضب منه القيصر حتى أنهى هذا اللقاء ، **فلقد** كان يعلن دائما انحيازه « للشعب العامل » ويقول انه « **لولا الزرع ولولا الضرع لما كان سرف الاغنياء ولاترف الامراء · موقف الزراع والصناع من الحضارة أنفع من موقف الامارة · رأينا شعبا يعيش بدون ملك ، ولكن ما رأينا ملكا يعيش بدون شعب** » ويخاطب الشاه الايرانى بقوله : « **الفلاح والعامل والصانع فى المملكة ، ياحضرة الشاه ، انفع من عظمتك ومن امرائك** » [٤٧] ·

● فاذا ما شئنا أن نبحث عن مكان الافغانى كانسان من الثروة والغنى فى حياته علمنا أنه لم يمتلك فى حياته سوى الثوب الذى كان يرتديه الى أن يخلق فيبدله ، والراتب الذى بلغ بمصر عشرة جنيهات وفى تركيا خمسة وسبعين ليرة عثمانية ، كان ينفقه على جلسائه وزواره فى ندوته اليومية ، وغيرهم من قاصديه ·

وهذه المواقف والاراء والاخلاقيات ، هى التى حددت للافغانى موقفه الى جانب جماهير الناس البسطاء ، ومثلت جوهره النضالى الاصيل ، ومن ثم قادت خطاه الثابتة الى رحاب الفكر الاشتراكى الذى آمن به وبشر منذ زمن طويل ·

ملامح الاشتراكية

واذا كان الافغانى قد أفاض فى الحديث عن الاشتراكية ، وخلف لنا صياغات فكرية واضحة نستطيع منها أن نتفهم بالتحديد الملامح التى تصورها عليها ، كما ناقش الفرق بين **الاشتراكية**

---

(٤٢) المصدر السابق · ص٢٩٩ ·
(٤٣) عبد القادر المغربى (جمال الدين الافغانى) · ص٣٤ · ط القاهرة · دار المعارف ·
(٤٤) العروة الوثقى · ص٣٣ ·
(٤٥) الاعمال الكاملة لجمال الدين الافغانى · ص ٣٢٣ ·
(٤٦) المصدر السابق · ص٣٤٤ ، ٣٤٥ ·
(٤٧) المصدر السابق · ص١٦ ، ١٧ ، ٨٧ ، ٨٨ ·

الغربية والتى جاءت رد فعل للتطرف الرجعي من قبل الاغنياء والاحتكاريين ، وبين الاشتراكية التى شهد تطبيقها المجتمع العربي الاسلامى الاول ، اذا كان ذلك كذلك ، فاننا نستطيع فى هذا المقام ان نشير الى بعض الاسس التى ضمنها الرجل حديثه عن الاشتراكية ، كى تساهم فى تحديد الملامح الاساسية لتصوراته عنها ، وفى مقدمة هـذه الاسس :

الطبقات .. وصراعها : وعلى عكس مايزعمه البعض من ان تمايز الطبقات الاجتماعيه وصراعها انما هى خاصية من خصائص المجتمعات الغربية ، وأن المجتمعات الاسلامية لم تعرف هذا التمايز ولا ذلك الصراع ، على العكس من هذا الزعم ، وعلى الرغم من أصحابه ، يقدم لنا الافغانى تحليلا عبقريا لنشأة الطبقات وتمايزها وصراعها فـى المجتمع العربى الاسلامى ، على عهد عثمان بن عفان ، فيقول انه « فى زمن قصير من خلافة عثمان تغيرت الحالة الروحية فى الامة تغيرا محسوسا ؛

واشتد ماكان منها ظهورا فى سـيرة وسـير العمـال [الولاة] والامراء وذوى القـربى من الخليفه وارباب الثروة ، بصورة صار يمكن معها الحـس بوجـود طبقـة تدعى « أمـراء » وطبقه « اشراف » وأخرى « اهل ثـروة وثـراء وبذخ » ، وانفصل عن تلك الطبقات طبقه العمال وابناء المجاهدين ومن كان على شاكلتهم من ارباب الحميه والسابقه فى تأسيس الملك الاسـلامى وفتوحاته ونشر الدعوة ، وصار يعوزهم المال الذى يتطلبه طراز الحياة الذى احدثته الحضـارة الاسلامية ، اذ كانوا مع جريهم وسعيهم وراء تدارك معاشهم لايستطيعون اللحاق بالمنتمين الى العمال (الولاة) ورجال الدولة ... فنتج عـن مجموع تلك المظاهر التى احدثها وجود الطبقات المتميزة عن طبقة العاملين والمستضعفين فـى المسلمين ، تكون طبقة اخرى اخذت تتحسس بشىء من الضم وتتحفز للمطالبه بحقهم المكتسب من مورد النص ومن سيرتى الخليفه الاول والثانى ابى بكر وعمر . وكان أول من تنبه لهذا الخطر الذى يتهدد الملك والجامعة الاسلاميه الصحابى الجليل ابو ذر الغفارى .. الذى اجتمع مع طبقة المتـألمين والمتذمرين من المسلمين ، وقص عليهم من سـيرة السلف اشياء ، واطلعهم على مافاله عامل الشام معاوية بن أبى سفيان ، واردفها باعلانه مشاركته لهم فى كل مايتحسسون به قلبا وقالبا ، وبمختصر القول : انه شجعهم على النهضة والمطالبة بحق صريح لهم اهتضمه جماعةبغير وجه شرعى»[٤٨].

والافغانى هنا لايقدم لنا تصورا واقعيا رائعا لهذه الفترة من حياة العرب المسلمين ، فقط ، وانما يقدم لنا نموذجا للمنهج العلمى عندما يكون هو الرائد فى كتابة صفحات التاريخ .

الاشتراكية بين الغرب .. والاسلام : والافغانى عندما كتب عن الاشتراكية الصفحات التى خلفها لنا فى تراثه الفكرى لم يكن بازاء نموذج او نماذج من المجتمعات التى طبقت هذه الافكار،واحالتها الى حقائق مادية ملموسة ، وانما كان يتجاذب عقله وعواطفه ازاء هذا الموضوع واقع تعيشه هذه الافكار والاحزاب التى تنادى بها ، والطبقات التى تتعاطف معها فى البلاد الاوربية،وذكرى لتجربة عربية اسلامية هى اقرب ماتكون ، فى التحليل الادق ، الى النظم الاشتراكية الاولى ، اقامها المسلمون الاوائل ، ثم اجهضت على يد القيم الاقطاعية التى نمت بالمجتمع العربى بعد فتح المجتمعات الزراعية الاقطاعية العريقة فى مصر والشام والعراق ، وبالذات زمن عثمان بن عفان . وللذكرى سحر على العقول والقلوب لا يدانيه الواقع المعاصر ، او المعاش بما فيه من جراحات وآلام وصراعات .

وهكذا انحاز الافغانى الى صف التجـربة الاسلامية الاولى ، ورآها أجدر بتحقيـق روح المبادىء الاشتراكية من تلك الصراعات التى كان يعيشها العالم الغربى وقتذاك .

وحتى لا نساهم فى القاء « ثـوب » المثالية وأوصافها على تفكيره هذا ، نبادر بتقديم تصوراته للميزات التى أبصرها فى تجربة العرب المسلمين الاولى وافتقدها عند الغربيين ، هذه الميزات التى نجد فى مقدمتها :

١ - ان الاشتراكية لدى المسلمين الاوائل لم تكن رد فعل نتج عن المظالم الاجتماعية والمغالاة من قبل الاثرياء ، ذلك لان « الرسـول عليه الصـلاة والسلام ، قد أقام المؤاخاة بين المهـاجرين والانصار » وحقق الاشتراك العمومى فى الثروة بينهم جميعا عندما هاجر القرشيون بـدينهم الى « يثرب » (المدينة) ، وذلك استجابة للضرورات الاقتصادية ، وايضا وذلك مهم جدا - استجابة للدعوة الى الاخاء التى تتضمنها آيات القرآن ،فهذا الحدث الهام الذى يعتبره الافغانى « أشرف عمل تجلى به قبول الاشتراكية قولا وعملا » [٤٩] لم يتأخر به التطبيق حتى يشهد مجتمع « المدينة » الصراعات الطبقية ومآسى الفقر والفقراء . بينما

(٤٨) المصدر السابق .ص٤٢١، ٤٢٢م.

(٤٩) المصدر السابق . ٤١٧ م.

الاشتراكية فى العالم الغربى، على عهد الافغانى وفى رأيه، ليست سوى **رد فعل** من قبل الطبقات المحرومة نتيجة افراط الاثرياء فى حرمان هذه الطبقات.

٢ ـ ان روح الاشتراكية فى التجربة العربية الاسلامية كانت مبرأة من **روح الانتقام**، لانها قد تمت ابتداء بلا عنف فى مجتمع «المدينة»، وبمبادرة من السلطة، ولانها قد حدثت فى ظرف نستطيع أن نقول انه استثنائى بالنسبة للظروف المعتادة فى حياة البشر، شهد من ظروف التسامى الروحى والدينى ما اذاب النوازع الانانية والغرائز الفردية واغرقها فى جو قدسى غير قابل للتكرار الكثير، بل وغير قابل للدوام، ولانها قد حدثت فى مجتمع محدود، كان يومئذ مجرد نواة للدولة الجديدة، وعندما ترامت الحدود تعذر الحفاظ على هذه النواة، بينما الاشتراكية فى الغرب والتى هى **رد فعل** المحرومين ازاء ثراء الاثرياء وسرفهم، قد تشبع انصارها **بروح الانتقام**، بل لعلهم حريصون على ان يربوا قواتهم الثورية بهذه الروح ضمانا للنصر على الاثرياء (٥٠).

ورغم أن تفكير الافغانى هذا، بمقاييس الاشتراكية العلمية، يبدو مغرقا فى «المثالية» الا اننا نعتقد انه ليس كذلك تماما، ذلك ان كراهية الافغانى **لروح الانتقام** النابعة من الظلم الاجتماعى فى البلاد الاوربية الراسمالية، والتى تحرك الطبقات الكادحة الى احداث الثورات الاشتراكية، لم يجعله يلقى المسئولية فى ذلك على الفقراء والكادحين، بل لقد اعتبرهم معذورين فى ذلك ازاء الظلم الاجتماعى الذى يعانونه، لان هذا الظلم هو الذى «**استنفر طبقة العمال للمطالبة بالاشتراكية، وفى تغيرهم روح الانتقام**» وهى اوضاع لن تظل قاصرة على الغرب، **بل لن «يسلم منها الشرق»** (٥١).

بل ان الافغانى قد سبق وبرر لما اسماه «**بالطبقة الاشتراكية**» العربية المسلمة أن تنهض للمطالبة بحقها، وهى مسلحة بروح الانتقام، على عهد عثمان بن عفان، وذلك عندما تحدث عن «**تكون طبقة أخذت تتحسس بشىء من الظلم، وتتحفز للمطالبة بحقهم المكتسب**»، وعندما اجتمع «**أبو ذر الغفارى**» مع «طبقة المتألمين والمتذمرين من المسلمين» وقادهم فى صراعهم الطبقى ضد عثمان ابن عفان ومعاوية بن ابى سفيان والنظام الاجتماعى الذى كان قائما يومئذ، كان تعاطف الافغانى مع ابى ذر ومع الثوار [٥٢]. فتعلق الافغانى، اذن، بالمثل الاعلى الذى حفظه التاريخ لتجربة المسلمين الاوائل، لايعنى انه قد رفض التطبيق الاشتراكى عن غير هذا الطريق، خصوصا بعد ان تكونت الطبقات بالفعل، واصبحنا نعيش فى مجتمعات طبقية ذات علاقات اقتصادية واجتماعية معقدة، وليست لها صلة بالبساطة البدوية التى كان عليها مجتمع المسلمين الاوائل فى شبه الجزيرة العربية.

وعلى الرغم من ان الحركات الاشتراكية الغربية كانت على عهد الافغانى، مليئة بالعديد من المنظمات، والتيارات الفوضوية المحسوبة على الاشتراكية والاشتراكيين، فان الرجل لم تجعله هذه الحركات الفوضوية يتخلى عن الانحياز المطلق الى صف الكادحين، حتى ولو سلكوا طريق الانتقام الى الحصول على مالهم من حقوق، بل ظل دائما يلقى اللوم على «الذين انما أثروا من كدهم وعملهم، وادخروا كنوزهم فى الخزائن، واستعملوا ثروتهم فى السفه»، لان كل عمل «يكون مرتكزا على الافراط لابد ان تكون نتيجته التفريط» [٥٣].

حتمية الاشتراكية، ومما يشهد للرجل ببعد النظر، ويقرب مفهومه الاشتراكى الى حقل الافكار الاشتراكية الجديرة بالدرس المفصل والجاد، أنه قد رأى فى هذا النمط من أنماط تنظيم حياة المجتمعات مرحلة تطورية لابد أن يصل اليها المجتمع، أى مجتمع، ويعيشها الانسان، أى انسان، وهو قد رسم لذلك طريقا معينا، لم يجعله سيادة طبقة من الطبقات أو انتصار حلف لمجموعة من الطبقات، وانما هو «**طريق العلم الصحيح**» وشيوع المعرفة بين بنى الانسان. ونحن نلاحظ ان الافغانى قد ربط تحقيق الكثير من آماله وأحلامه، مثل سيادة السلام، وانتهاء الحكم المطلق، وكذلك سيادة الاشتراكية كل مجتمعات العالم بسيادة الفكر والمعرفة **الصحيحة** حياة البشر، وتحولها الى قوة مؤثرة فى أحداث هذه الحياة، وعلو راية الاخاء الانسانى فوق كل الرايات. ولذلك وجدناه يقول:

---

(٥٠) المصدر السابق. ص٤١٤.

(٥١) المصدر السابق. ص٤١٥.

(٥٢) المصدر السابق ص٤٢١ ـ ٤٢٣.

(٥٣) المصدر السابق. ص٩٠، ٩١.

ان « دعوى الاشتراكية » وان قل نصراؤها اليوم ، فلابد ان تسود العالم ، يوم يعم فيه العلم الصحيح ، ويعرف الانسان انه واخاه من طين واحدا ، او نسمة واحدة ، وان التفاضل انما يكون بالانفع من المسعى للمجموع ، وليس بتاج اونتاج ، او مال يدخره او كثرة خدم يستعبدها ، او جبوش يحشدها ، او غير ذلك من عمل باطل ومجد زائل ، وسيرة تبقى معرة لاخر الدهر » [٥٤] .

■■■

[٥] الديمقراطية

واذا كان فكر الافغانى الاجتماعى قد اصابه الظلم من قبل الذين وقفوا منه وبه عند حدود المرحلة والصياغات التى تعاطفت مع المفهوم الراسمالى ومعاداة الاشتراكية . واذا كانت محاولات استغلال هذه الصياغات قد حدثت بعد وفاة فيلسوفنا الكبير ، فان الفكر الديمقراطى لديه قد أصيب بما هو أكثر من الظلم ، عندما تعرض الرجل بصدده لافتراءات وأكاذيب نسبت له ما لم يقله ، بل ضد مايعتقده ويبشر به ، ولم تنتظر فى ذلك وفاته ، بل صنعت ذلك وهو حى يرزق يسعى بين الناس .

ومن منا لم يسمع ويقرأ ان الافغانى قد كان يبشر بأن صلاح المجتمعات الشرقية لايمكن ان يتم الا على يد حاكم « مستبد عادل » وأن الرجل كان نصيرا للحكم الفردى المطلق ، على شرط أن تتوافر العدالة لمن يمسك بزمام الامر فى هذا النظام !؟ .

ونحن لن نسلك فى سبيل تفنيد هذا الافتراء الجرىء على الافغانى ، سبيل الاحتكام الى حياته فقط ، وما حفلت به من معارك ونضالات ضد الاستبداد والمستبدين ، ولا سبيل كتاباته فقط التى اودعها الكثير من آيات الشورى والديمقراطية ، والايمان الذى لايحد بالحكم النيابى الدستورى السليم ، ولا سبيل ايراد النماذج السياسية الديمقراطية التى حبذها فحسب ، والتى اشار على شعوب الشرق العربية الاسلامية بالاستفادة منها ، وانما سنسلك كل هذه السبل ، فى ايجاز يناسب المقام ، مع البدء برأى الافغانى نفسه فى هذا الافتراء ..

فلقد سأله يوما مريده ومسجل خواطره وخاطراته « **محمد باشا المخزومى** » **فقال** : « ان المتداول بين الناس على لسانك ، يحتاج الشرق الى **مستبد عادل** .. » فاذا بالافغانى يجيب فيقول : « **هذا من قبيل جمع الاضداد** ، وكيف يجتمع **العدل والاستبداد** ؟ ! ... وخير صفات الحاكم « **القوة والعدل** » ، فلا خير بالضعيف العادل ، كما أنه لاخير فى القوى الظالم »

فهو هنا حاسم الموقف ، واضح الرأى لايترك مجالا للبس او الغموض . ومع ذلك فان فى فكره الديمقراطى ماهو أبدع من ذلك بكثير ..

فى الغرب : واذا كنا قد سبق واشرنا الى ان الافغانى قد رأى فى انتشار العلم الصحيح والمعرفة الحقة السبيل لسيادة الاشتراكية جميع أنحاء العالم ، فانه قد رأى كذلك فى العلم والمعرفة السبيل لخلاص البشر من الحكم المطلق وآثار المستبدين .. فهو يتحدث عن الديمقراطيات الغربية الاوربية ، وكانت على عهده أكثر النماذج الديمقراطية فى العالم تقدما ، ان لم تكن النماذج الديمقراطية الوحيدة فيه ، فيقول لشعوب الشرق : « انظروا الى العالم الغربى ، ترونه على تقسيماته الحاضرة ، واستقلال عناصره بميزاتهم القومية ، لما تساؤوا **على الوجه النسبى** بالفضيلة (واهمها العلم بالواجبات ، سواء كانت لهم أو عليهم ، ومعرفة وجوه المطالبة بها ، والمساواة لادائها) **انتفى من بين ظهرانيهم أمر التفرد بالسلطة ، وسوق الامة على هوى السلطان** » . ثم يمضى ليبشر بأن ماحدث فى الغرب من زوال سلطان الحكم الفردى سيعم غير الغرب أيضا « وسينتفى مابقى فى العالم البشرى من هذا النوع من الحكم المطلق » وأن ذلك سيحدث عندما يصبح « **الحكم للعقل والعلم** » ، لانه « متى فشى العلم فى الامة ناول ماتناهض ذلك الشكل من الحكم ، وتعمل على التخلص منه ، سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا » [٥٥] .

---

(٥٤) المصدر السابق ، ص٤٢٣ .
(٥٥) المصدر السابق . ص٤٢٨ ، ٤٢٩ .

ونحن نلاحظ أن الافغاني يستخدم هنا تعبير « النهضة » ، ومشتقاتها ، كسبيل للجماهير في إزالة الحكم الفردي المطلق والقضاء على المظالم الاجتماعية ومقاومة الاستعمار .. الخ .. كبديل لكلمة « الثورة » ، لا لانه لم يكن ثوريا ، وانما لان « النهوض » انما يعني الثورة في أصل الكلمة الاول ومعناها الذي كان شائعا في ذلك الحين ، وان تكن قد اكتسبت في عصرنا هذا ظلالا دون ماتوحي بها كلمة « الثورة » في هذا المجال .

في اليابان : والتجربة التي شهدها المجتمع الياباني خلال القرن الماضي ، والتي ادت الى بعثه واحيائه ومنافسته للدول الغربية الاوربية ، في مجالات الصناعة والزراعة والتقدم الحضاري ، هذه التجربة كانت في مقدمة النماذج التي يسوقها المصلحون والثوار في المجتمعات الشرقية الى شعوبهم سعيا الى زرع الثقة التي يزعزعها الاستعمار . اليس هذا بلدا شرقيا ؟ اذن فان الحضارة والتقدم، بل والسبق في هذا المضمار ليس وقفا على الاوربيين ؟ .

والافغاني عندما تحدث عن هذه التجربة الحضارية الشرقية ، ركز كثيرا على جانب الحكم الشورى الدستوري ، والنظام النيابي الذي أخذت به اليابان .. فهو يعتقد أن من أكبر أسباب هذه النهضة هو « تقييد الحكومة بالدستور ، والنظام الشورى » ، ويورد محادثة ـ لعله يسوقها لامراء الشرق ـ دارت بين امبراطور النمسا « فرانسوا جوزه ف » وبين ابن عم « الميكادو » امبراطور اليابان ، يقول فيها **فرانسوا** : « ياعجبا من امبراطوركم ، كيف يسعى لايجاد الحكم الدستوري النيابي في مملكته ؟ ونحن في اوروبا نود لو أمكننا التخلص من تحكم النواب في البلاد ؟! » ، **فيجيبه الامير الياباني** : « ان جلالة الميكادو [**ومعنى اسمه** : **العادل**] ، يحب اربعة أشياء ، يحب بلاده أولا ، ورعيته ثانيا ، ويحب العدل ثالثا ، وراحة نفسه رابعا . وماوجد من ينيله مايحب الا بالحكم الدستوري النيابي ، واشتراك الامة بانهاض نفسها وصون ملكها » [٥٦] .

بل اننا نلحظ هنا أن الافغاني يقدم المجتمعات الشرقية ، من خلف اليابان ويزكيها ، على اعتبار أنها الاجدر برعاية أصول الشورى ، والاحرص على الحكم النيابي الدستوري أليست اليابان حريصة عليه ، بينما يود الخلاص منه امبراطور النمسا ؟!

في مصر ؟ وإذا كنا نعتقد أن رحلات الافغاني الى أوروبا ، علاوة على وعيه بحقائق كنوز التراث العربي الاسلامي ، قد أنضجت فكره الاشتراكي ، فاننا نؤمن بأن درجة التطور التي كانت عليها مصر عندما عاش فيها الافغاني ، وتجربة الدولة العصرية التي اقامها فيها محمد علي ، والتي درسها الافغاني ولمس آثارها ، عندما تصورها الافغاني في ضوء الفكر الاسلامي عن الشورى ، هما اللذان أنضجا لديه الفكر الديمقراطي ، وجعلا منه عاشقا للحكم الدستوري ، منافحا عن سياسة أمور المجتمع بواسطة البرلمان والنواب .. بل لقد جاهد الافغاني حينا غير قليل من الدهر ليجعل من مصر النموذج الذي يطبق فيه أفكاره حتى يقدم لشعوب الشرق القدوة التي تحتذى في هذا السبيل .

● فهو عندما انخرط في سلك **الحركة الماسونية** بمصر ، انما كان يهدف الى تحويل شعاراتها : « الحرية والاخاء والمساواة » ومنفعة الانسان، والسعي وراء دك صروح الظلم، وتشييد معالم العدل المطلق) ، تحويل هذه الشعارات الى واقع حي معاش ، وعندما لم يجد من هذه الحركة تجاوبا ، بل صادف حربا من أعضاء محفلها ، وجه اليهم الانتقادات المرة ، وخرج عليهم ليكون محفلا ماسونيا شرقيا خاصا ، جمع فيه الكثيرين من الرجالات والقيادات ، ونظمه شعبا على غرار « النظارات » و «الدواوين » السياسية من حيث التخصص والدراسة والاهتمامات ، وذلك حتى يخلق **قاعدة عريضة للعمل السياسي** تحول دون الانفراد بالسلطان ، ولقد كانت مدرسة الافغاني هذه هي التي قادت الثورة العرابية ، وكان مكان الدستور والشورى والحكم النيابي ملحوظا بين ما طرحت من مبادىء وأهداف ، بل ولقد ظل تأثيرها دائم السريان في مصر ، حتى لقد ساهم في تفجير ثورة سنة ١٩١٩ باعتراف سعد زغلول « ٥٧ » .

● ولقد حاول الافغاني أن يعيد مع الخديوي توفيق ، قبل ان يتولى السلطة ، ذكريات الحركات الثورية الاسلامية التي كانت تتعهد الامراء بالتثقيف والاقناع ، حتى اذا ما تولوا مقاليد الامور ساروا بالبلاد وفي الاتجاه الذي تريده هذه الحركات، فكان الامير توفيق على صلة بحلقات الافغاني ودروسه ومحاضراته ، وكان حديث الحكم النيابي والدستوري يحظى من اهتمام الافغاني معه بالنصيب الكبير ، وكثيرا ما دافع الرجل عن

---

(٥٦) المصدر السابق ، ص٢٠٠ .
(٥٧) المصدر السابق ، ص٢١٨ ، ٢٢٢ .

الشعب المصرى ، ورد حجج الذين يريدون سيادة الحكم المطلق بحجة انتشار الجهل والامية بين الجماهير ، وقال « ليسمح لى سمو أمير البلاد أن أقول بحرية واخلاص ، أن الشعب المصرى كسائر الشعوب ، لايخلو من وجود الخامل والجاهل بين افراده ، ولكنه غير محروم من وجود العالم والعاقل . فبالنظر الذى تنظرون به الى الشعب المصرى وأفراده ، ينظر به لسموكم . وان قبلتم نصح هذا المخلص وأسرعتم فى اشراك الامة فى حكم البلاد عن طريق الشورى ، فتأمرون باجراء انتخاب نواب عن الامة تسن القوانين وتنفذ باسمكم وبارادتكم ، يكون ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم « ٥٨ » .

● ولم يكن الافغانى باحثا عن قيام **الشكل** النيابى والدستورى ، وانما ساعيا وراء تحقيق **الجوهر** والمضمون الحقيقى لهذا النظام . فهو يرى « ان القوة النيابية لأى أمة كانت ، لا يمكن أن تحوز المعنى الحقيقى الا اذا كانت من نفس الامة . وأى مجلس نيابى يأمر بتشكيله ملك أو أمير ، أو قوة أجنبية محركة لهما ، فاعلموا ان حياة تلك القوة النيابية موقوفة على ارادة من احدثها » «٥٩» .. وسعيه هذا التحقيق **الجوهر والمضمون**، قد قاده الى أن هذا الجوهر هو الحرية المرتبطة بالاستقلال ، ومن ثم فان الطريق اليهما انما هو النضال ، لا الهبات الملكية والتعطف من ولى النعم ، فيقول انه « اذا صح أن من الاشياء ما ليس يوهب ، فأهم هذه الاشياء الحرية والاستقلال ؟ لان الحرية الحقيقية لا يهبها الملك والمسيطر للامة عن طيب خاطر ، والاستقلال كذلك .. أما تغيير شكل الحكم المطلق بالشكل النيابى الشورى فهو أيسر مطلبا وأقرب منالا .. » « ٦٠ » بل لقد راى فى هذه المؤسسات النيابية التى لاتحقق غير الشكل اشياء عدمها خير من وجودها ، وذلك على الرغم من أن القاعدة تقول : « **ان الوجود خير من العدم** » .

● واذا كان الافغانى قد راى ان الحكم الجمهورى « لا يصلح للشرق اليوم ، ولا لاهله » فانه قد وضع للحكم الشورى النيابى الدستورى من الشروط والضمانات ما يجعل تنفيذها وافيا بمتطلبات الانطلاقات الشعبية فى العصر الذى عاش فيه ، ويكفى أن نستمع الى كلماته الجامعة التى تقول ، انه « لا تحيا مصر ، ولايحيا الشرق بدوله وإماراته الا اذا أتاح الله لكل منهم رجلا **قويا عادلا يحكمه بأهله على غير طريق التفرد بالقوة والسلطان ، لان بالقوة المطلقة الاستبداد ، ولاعدل الا مع القوة المقيدة ، وحكم مصر بأهلها انما اعنى به الاشتراك الاهلى بالحكم الدستورى** الصحيح .. ذلك الرجل .. **تأتي به الامة فتملكه على شرط الامانة والخضوع لقانونها الاساسى ، وتتوجه على هذا القسم ، وتعلنه له ، يبقى التاج** على رأسه ما بقي هو محافظا أمينا على صون **الدستور ، وانه اذا حنث بقسمه ، وخان دستور الامة ، اما ان يبقى راسه بلا تاج ، او تاجه بلا راس** » (٦١) .

■■■

[٦] الحرب والسلام

منذ نحو قرن من الزمان ، وقبل ان يشهد عالمنا هذه الحروب الكونية الشاملة ، التى فاقت فى دمارها وضحاياها خيالات السابقين وتخيلاتهم ، والتى الهبت المشاعر فى اتجاه النضال من اجل السلام ، وحفزت العقول لدرس أسباب قيامها ووسائل اراحة البشرية من عذاباتها ، طرق جمال الدين الافغانى هذا المبحث ، وقدم لنا فيه ما يعجب ويدهش ويجتذب أعمق مشاعر التقدير والاعجاب .

فتجاه ايديولوجيات كثيرة ومنتشرة ، كانت ترى فى الحروب قدر الانسانية الذى لا يمكن الخلاص منه ، لانها ثمار غرائز التوحش والغضب عند الانسان ، نجد الافغانى يبصر الاسباب الحقيقية والمادية التى تقوم لها الحروب ، وكيف أن الشعوب انما تساق اليها لتذبح على مذابحها وفى ساحاتها تنفيذا « لارادة ملك مسرف مغرور » يسلط على رعيته حمى من الدعايات الحربية التى يقوم بها « أفراد يقبضون على زمام الاحكام » بينما هم يهدفون من وراء اشعال هذه الحروب تحقيق الغنى

---

(٥٨) المصدر السابق . ص٤٧٣ .
(٥٩) المصدر السابق . ص٤٧٣ .
(٦٠) المصدر السابق . ص٤٧٨ .
(٦١) المصدر السابق .ص٤٧٧ ـ ٤٧٩ .

والثراء ، عندما « يغتنمون **فرصة الحرب ليكنزون من ورائها الذهب والفضة** » (٦٢) .

كما يبصر الافغانى أيضا زيف تلك الدعاوى التى استخدم فيها الرأسماليون والمستفيدون من الحروب الاستعمارية والتوسعية ، **اسم الوطن وكرامة الوطن وشرف الوطن** ، ليسوقوا البسطاء من الناس « للقتل كالانعام » ، فلا يفوته - وهو الذى حارب وناضل فى سبيل الوطنية الحقة - أن يسفه من هذا الزيف وهذا الاستغلال لمقدسات الوطنية ، عندما يقول ان دعاة الحرب وتجارها يهولون على الناس « **ويستهووونهم باسم «الوطن» والوطن بقاع من الارض لو انصف الناس بعضهم بعضا ، لوسعتهم** » [٦٣] .

كما يبصر ،وهو الذى تاوم الزحف الاستعمارى الاوربى على الشرق ، تلك الاهداف التوسعية والاستعمارية وراء قيام الحروب ، وكيف كانت تستخدم شكليات الاسباب ، مثل « عدم احترام سفير ، لان كرسيه وضع فى المأدبة الملوكيةفىغير الموضع الذى يريده » سببا لحروب تراق فيها « دماء مئات الالوف من تلك الانفس الزكية » ، والحقيقة أن الهدف انما كان « الارض يطمعون بضمها للمملكة ، او ليستعمرونها » [٦٤] .

يبصر الافغانى ذلك ، ويضع يده عليه ، ثم يقول : « ان الانسان لتعروه الدهشة عندما يرى أفراد الامة يسوق بعضهم بعضا للثكنات ، فصفوف القتال ، وجلهم غير راض عنها ، بل نافر منها ، اذ يعلم ان من ورائها يتم الاطفال ، وموت الشيوخ ، وهتك الاعراض » [٦٥] .

ولذلك فان الافغانى لا يعلق آماله فى السلام على الفئات الحاكمة والمستفيدة من اشتعال الحروب ، وانما على جماهير الشعوب التى تساق الى المجزرة « وليس بين القاتل والمقتول لا نزاع ولا خصام ، بل حتى ولا تعارف بالوجوه » [٦٦] ، وهو يرسم لها طريق السلام الدائم و « ابطال الحروب » ويحدد لها معالمه التى تتلخص فى هذه الخطوات :

١ - تحكيم العقل فيما ينشب بين الامم والشعوب من خلافات .

٢ - وحل هذه الخلافات والمنازعات على اساس من قاعدة العدل .

٣ - والعصيان من قبل الجماهير للقلة الظالمة الحاكمة عند ما تدعوها للحروب وسفك الدماء .

٤ - وان السبيل الى كل ذلك انما يكون بالرقى الانسانى فى مجالات المعرفة الحقة والعلم الصحيح .. [٦٧] .

ولقد كان حديث الافغانى عن الحرب والسلام مناسبة وضع يدنا فيها على مفهومه « للمعرفة الحقة والعلم الصحيح » الذى كثيرا ما عول عليه فى تخلص الانسان من كثير من الشرور ، والذى رآه سبيلا الى الاشتراكية ، والديمقراطية ، كما رآه طريقا للسلام ، فهو لا يعتبر المدنية والتمدن والعلم والمعرفة ذات قيمة ، بل ولا تستحق حتى هذه الاسماء ، ما لم توضع فى خدمة الانسان ، وتؤدى دورا نافعا فى حياة البشر ، اذ « لا يقدر الفرد ، ولا تقدر الامة ، ولا تقدر الاشياء ، ولا تقدر المكتسبات العلمية ، الا بنسبة ما يترتب على ذلك من الفائدة » و « صحيح العلم انما يكون له قدر على نسبة ما يترتب عليه من الفائدة » .. ثم يناقش صراحة « مدنيات » الامم التى سخرت العلم والمعرفة فى الحروب والدمار ، ويرفض الاراء التى تعتبر ذلك تمدنا ، فيقول ، « فلنأخذ من ذكرتم من الامم المتمدنة [الانكليز والفرنسيس والالمان والأمريكان] ومكتسباتهم العلمية ، وما صنعوه وعملوه وكسبوه وربحوه ، وما ترتب على ذلك وما حصل من المنافع والفوائد للبشر من وراء تلك المكتسبات المدنية والثروة » ، فاننالوجمعناكلمافى ذلك من المكتسبات العلمية ، ومافىمدنية تلك الامم من خير ، وضاعفناه أضعافا مضاعفة ، ووضعناه فى كفة ميزان ، ووضعنا فى الاخرى الحروب وويلاتها ، لا شك ان كفة المكتسبات العلميةوالمدنية والتمدن هى التى تنحط وتغور ، وكفة الحروب وويلاتها هى التى تعلو وتفور » وذلك لان هذه المدنيات انما تهتم بالشكل دون الجوهر الانسانى

---

(٦٢) المصدر السابق . ص ٤٣٤ .
(٦٣) المصدر السابق . ص٤٣٤ .
(٦٤) المصدر السابق . ص ٤٣٥ .
(٦٥) المصدر السابق . ص ٤٣٤ .
(٦٦) المصدر السابق . ص٤٣٤ .
(٦٧) المصدر السابق . ص١١١ ، ١١٢ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

للحضارة والمدنية ، مما يجعلَ « الرقى والعلم والتمدن ، على ذلك النحو ، وفى تلك النتيجة ان هو التوحش » [٦٨] .

وهو حديث مفكر ناضج عن مرض الشيخوخة الذى أبصره ينخر فى أبنية تلك الحضارات والمدنيات ، والذى كثر الحديث عنه فى عصرنا الراهن ، بعد ارتفاع درجة المأساة التى سببتها وتسببها الحروب .

بل ان ايمان الافغانى بالسلام وتقديره للعلم الصحيح والمعرفة الحقة ليذهب به الى الحد الذى يرى فيه **المعنى الحقيقى لانسانية الانسان وجدارته** بأن يكون سيدا لهذا الكون وخليفة عن الله فيه .. وهو هنا يعطى معنى عميقا وجديدا وذكيا لقصة خلافة الانسان عن الله فى الارض ، والحوار الذى ساقه القرآن بين الله سبحانه وتعالى وبين الملائكة عندما اصطفى الانسان ، دونهم ، ليجعله خليفة عنه فى هذا الكوكب ، ذلك ان الملائكة لم تجد من بين نواقص الانسان ومثالبه جريمة تذكرها كدليل على عدم صلاحيته لهذه المهمة الا **القتل وسفك الدماء** !؟ فقالت لربها : [اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفكَ الدماء] !؟ ، وذلكَ باعتبار القتلَ وسفكَ الدماء جريمة تغطى كل المحاسن وتلغى كل الميزات .. والله سبحانه وتعالى قد اختار ، فى حوار ملائكته ، من بين محاسن الانسان وكفاءاته ميزة « **العلم والمعرفة** » ، لانها الكفيلة بالغاء هذه السيئة الكبرى التى ذكرتها الملائكة له ، وعندما اخبر الملائكة بأنه [**علم آدم الاسماء كلها**] اقتنعوا أن العلم والمعرفة دونهما كل نقيصة ، وفيهما وبهما يستطيع الانسان ان يحقق انسانيته ، وان يكون جديرا حقا بخلافة ربه فى هذا الكوكب الذى عليه يعيش [٦٩] .

واذا كانت هذه الاشارات هى بعض ما قدمه لنا الافغانى فى حقل « الحرب والسلام » ، واذا كان فكره قد استشرف وتناول حديثا عميقا عن الحرب العادلة والحرب العدوانية ، والفرق بينهما [٧٠] ، فقد كان وفاء لتراث هذا المفكر المناضل الانسان أن يتخذ مجلس السلام العالمى قرارا منذ خمسة عشر عاما باقامة المهرجانات والاحتفالات وعقد الندوات والقاء المحاضرات فى كل انحاء العالم فى ذكرى جمال الدين الافغانى نصير السلام .

■■■

[٧] ســـــــلطان العقـــــــــل

لم يكن الافغانى مفكرا موسوعيا ، على الرغم من انه كاد أن يكون قد تحدث فى كل شىء خطر ببال معاصريه ، لان المفكر الموسوعى هو الذى يلم بالمختصرات والعموميات ، و « العناوين » ، اما الافغانى فاننا نجده مفكرا مبدعا وخالقا عميق الغوص وحاد الذكاء ومجودا فى الاستخدام للخاطر واللمحة بما يغنى عن الاطالة والاستطراد ، والذى جعل من هذا الرجل **الذى فاق فى نشاطه العملى ماخلف من آثار فكرية** ، **والذى صنع من الرجال والثورات والاحداث ما لا يقارن بما خلف من صفحات وسطور** ، الذى جعل منه خالقا ومبدعا فى كل ما طرق من موضوعات اعتماده الذى لا حدود له على العقل وملكاته ، وايمانه الذى لا يتزعزع بقدرات هذا العقل على فض كل المغاليق ، واقتحام كل العقبات ، وفتح كل الابواب ، وهتك كل الاستار .

ولعل هذا الايمان المطلق الذى منحه الافغانى للعقل ، هو الذى جعله يتخذ من المواقف الفكرية والعملية ما جلب عليه معارك الحرب الضروس التى خاضها ضد الرجعية والرجعيين ، وضد المحافظة والجمود والجامدين والمحافظين ، ولقد كان الرجل يدرك ، كما أدرك الكثيرون من فلاسفة العرب والمسلمين ، ان معطيات العقل كثيرا ما ترفضها الفطر المريضة ، ولا تستسيغها أفهام العوام لان « العقل لا يوافق الجماهير ، وتعاليمه لا يفقهها الا نخبة من المتنورين . والعلم ـ على ما به من جمال ـ لا يرضى الانسانية كل الارضاء ، وهى التى تتعطش الى مثل أعلى ، وتحب التحليق فى الافاق المظلمة السحيقة التى لا قبل للفلاسفة والعلماء برؤيتها او ارتيادها » [٧١] ، ولم يكن ذلك من طبع التعالى عند الرجل ، ولا نفورا من الجماهير ، فلم يكن ذلك من خلقه ، وانما هو تقدير الانسان المسئول الذى يحترم العقل ومعطياته ولا

---

(٦٨) المصدر السابق . ص ٤٣١ ، ٤٣٥ .
(٦٩) المصدر السابق . ص ٤٣٢ ، ٤٣٣ .
(٧٠) المصدر السابق . ص٤٣٧ ـ ٤٤١ .
(٧١) المصدر السابق . ص٢١٠ .

يريد أن يبلبل أفكار « العامة » بقضايا وأبحاث تفوق الادوات الفكرية والاستعدادات العقلية التى لم تستطع ، لاسباب كثيرة ، ان تصل الى ما هو أبعد منها وأرقى .

بين العقل والنقل : ولقد كان طبيعيا ان يضارع الافغانى قوى عاتية تحصنت بظواهر النصوص ، وزعمت وأشاعت أن « باب الاجتهاد » قد أغلق منذ قرون ، وبالذات منذ امتلك الفكر الاسلامى أعمال الفقهاء الاربعة ابى حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل ، ولكن الافغانى يرفض هذا الموقف ويشن عليه الهجمات تلو الهجمات ، ويقول لهم : « **اننى لا ارتاب بأنه لو فسح فى اجل أبى حنيفه ، ومالك ، والشافعى ، واحمد بن حنبل ،وعاشوا الى اليوم ، لداموا مجدين مجتهدين ، يستنبطون لكل قضية حكما من القرآن والحديث ، وكلما زاد تعمقهم وتمعنهم ازدادوا فهما وتدقيقا** » [٧٢] . وذلك لان الافغانى كان يدرك أن الاجتهاد لا يمكن أن يغلق بابه ، لان التشريعات انما تتبدل بتطور الزمان ، وأن السابقين انما « اتوا بما ناسب زمانهم ، وتقارب مع عقول جيلهم » وأن « تبدل الاحكام بتبدل الزمان» يجعل من الخطأ الذى لا يغتفر أن نقف موقف « الجمود والوقوف عند أقوال أناس ، هم انفسهم لم يقفوا عند اقوالّ من تقدمهم » [٧٣] .

أما عن العلاقة بين العقل وبراهينه ومعطياته وبين ظواهر النصوص ، فاننا نجد الافغانى يحتكم الى معطيات العقل والبرهان ، ويقطع بوجوب الاحتكام للعلم فى كل ما يعرض من شبهات خلافية ، لان القرآن قد أتى بالكليات والعموميات فيما يتعلق بهذا الحقل ، وتفسير هذه الكليات والاشارات انما يكون على ضوء احكام العقل ومنجزات العلوم ، والتأويل لظواهر النصوص هو السبيل الى هذا التوفيق المنشود « فاذا لم نر فى القرآن ما يوافق صريح العلم ، والكليات ، اكتفينا بما جاء فيه من الاشارة ورجعنا الى التأويل ، اذ لا يمكن أن تأتى العلوم والمخترعات بالقرآن صريحة واضحة ، وهى فى زمن التنزيل مجهولة من الخلق كامنة فى الخفاء لم تخرج لحيز الوجود » كما ان « **القرآن يجب أن يجل عن مخالفته العلم الحقيقى ، خصوصا فى الكليات** » [٧٤] .

الانسان والكون : فاذا ما ذهبنا لنتلمس رأى الافغانى فى العلاقة ما بين الانسان والكون ، ومدى فعالية الانسان وقدراته على اكتشاف المجهول من الاسرار ، وجدنا لايمان الرجل بالعقل وسلطانه اثرا كبيرا فى هذا المجال . ذلك ان الانسان فى رايه انما هو النموذج المصغر الذى تجسد فيه هذا الكون بما حوى من نظام ، وهو يستعير كلمات ابن عربى التى يقول فيها ، « **أيحسب الانسان انه جرم صغير ؟** ، وفيه انطوى العالم الاكبر ؟! » .. **ثم يمضى قائلا** : « **نعم ... ان الانسان من أكبر أسرار هذا الكون** ، ولسوف يستجلى بعقله ما غمض وخفى من أسرار **الطبيعة ، وسوف يصل بالعلم وباطلاق سراح العقل الى تصديق تصوراته ، فيرى ما كان من التصورات مستحيلا قد صار ممكنا ، وما صوره جموده وتوقف عقله عنده بأنه « خيال » قد اصبح « حقيقة »** [٧٥] .

فاذا علمنا أن حديث الافغانى هذا انما كان يخاصم ويعادى كل الفلسفات التى تؤمن بأن فى الكون مناطق مغلقة الى الابد دون عقل الانسان وتفكيره ، وأنه لا سبيل الى اقتحام هذه الساحات وفض هذه المغاليق ، أدركنا مدى خطورة هذا الموقف واهمية صدور هذا الحديث من الافغانى بالذات .

● ولقد قادنا هذا الموقف العقلى المتقدم الذى وقفه فيلسوفنا الكبير من علاقة الانسان بالكون ، الى لمحة جزئية ولكنها هامة جدا ، تلك التى تصور بها الافغانى العلاقة بين **الفكر** وبين **المادة** فى هذا الكون والصلة التى بين **الافكار والاعمال** ، فنراه يتحدث عن أن الملاحظة [الشهود] تحدث « فكرا » ثم يعود « الفكر » الى التأثير فى « العمل » والواقع ، ثم تستمر علاقة التأثير المتبادل والتأثر المتبادل دائما ، وباستمرار لتحدث التغيير الدائم المستمر فى كل الاشياء ، وذلك عندما يقول : ان « كل شهود يحدث فكرا ، وكل فكر يكون له أثر فى داعية يدعو اليها ، وعن كل داعية ينشأ عمل ، ثم يعود من العمل الى الفكر ، دور يتسلسل ، **ولا ينقطع الانفعال بين الاعمال والافكار ما دامت الارواح فى الاجساد ، وكل قبيل هو للاخر عماد ، آخر الفكر اول العمل ، وأول العمل آخر الفكر** .. » [٧٦] .

● فاذا ماتعرض للقضية التاريخية والشهيرة الخاصة بالعلاقة بين الانسان والظروف الموضوعية

---

(٧٢) المصدر السابق . ص٣٣٠ .
(٧٣) المصدر السابق . ص٣٢٩ .
(٧٤) المصدر السابق . ص٤٤٠ ، ٤٤١ .
(٧٥) المصدر السابق . ص٢٦٤ ، ٢٦٥ .
(٧٦) المصدر السابق . ص١٠٤ .

المحيطة به والقوى الغيبية المؤثرة فيه، وهل هو حر صانع لافعاله ومن ثم صانع للحضارة والتاريخ، أم هو مجبر لا يختلف امره عن الريشة المعلقة فى مهب الريح .. وجدنا الافغانى ينحاز الى صف الفكر الذى مجد الانسان فاعترف له بالحرية والاختيار، وهو لا ينفى أن فكرة « القضاء والقدر » التى نستطيع أن نجعل منها حافزا للشجاعة والاقدام فى المخاطر والملمات، قد شابتها أفكار « جبرية » غريبة عن الروح الحق لفكر الاسلام وتقديره لقدرات الانسان، فيدعو الى التفريق بين الاعتقاد بالقضاء والقدر، وبين الجبر وسلب الحرية والاختيار عن الانسان .. [٧٧].

● فهل نجد بعد هذا التقدير العالى الذى منحه الافغانى للعقل، غرابة فى أن يثق هذا المفكر الثائر ثقة لاحدود لها فى اتساع ميادين المنجزات العلمية الانسانية، بما فيها غزو الفضاء ؟! انه لايطلب شروطا لذلك، ولما هو أكثر منه، سوى اطلاق سراح العقل من القيود . وخاصة قيود الاوهام التى رآها أقسى على العقل من قيود الاغلال، لان ذلك سيفتح أمام الانسان صفحة بلا نهايات وميدانا بلا حدود، أشار اليه الافغانى عندما قال : « ... وعندى، اذا ظفر العقل فى هذا العراك والجدال، وتغلب اقدامه على الاوهام، واستطاع فك قيوده، ومشى مطلق السراح، لايلبث طويلا الا وتراه قد طار باسرع من العقبان، وغاص فى البحار يسابق الحيتان، وسخر البرق بلا سلك لحمل أخباره، وتحادث عن بعد اشهر مع غيره كانه قاب قوسين أو أدنى، وهل يبقى مستحيلا ايجاد مطية توصله للقمر، أو الاجرام الاخرى ؟! .. وما يدرينا بعد ذلك مايأتيه الانسان فى مستقبل الزمان، اذا هو ثابر على هذا السير لكشف السر بعد السر من مجموع أسرار الطبيعة التى ماوجدت الا للانسان وما وجد الانسان الا لها » [٧٨].

وهو أفق بلغ من السمو والاستشراف درجة لاتحتاج الى التعليق .

النشوء والارتقاء : وكما سبق ورأينا ذلك التطور الفكرى عند الافغانى فيما يتعلق بفكره الاجتماعى، فاننا نجد أن تفكيره حيال قضية التطور والنشوء والارتقاء قد سلك نفس الطريق ..

ففى رسالة (الرد على الدهريين) نجده يرفض هذه النظرية، ويصب جام غضبه على « تشارلز داروين » موجها اليه الكثير من الاعتراضات التى شاعت ضد هذه النظرية فى ذلك الحين، وواصفا اياه بأقبح الصفات (٧٩) . ولكن الافغانى يعود فى أخريات سنى حياته لنقض هذا الموقف القديم، فنجد له ازاء هذه الافكار حديثا علميا يقدم به هذه النظرية الى الناس، ويدلل على صحتها، ويستخدم طاقاته الاقناعية فى سد ثغراتها وجلب المؤيدين والانصار الى الاعتقاد بها، فيؤيد نظرية « الانتخاب الطبيعى »، ويتحدث عن شمولها عوالم النبات والحيوان والانسان . بل ويذهب الى أبعد مما ذهب داروين عندما يطبق قواعد النشوء والارتقاء على عالم الافكار عند الانسان، فيقول : « أن الافكار تتجدد، ومعقولات عن اخرى تتولد، وصفات تسمو وهمما تعلو، حتى يفوق اللاحقون فيها السابقون، ويظن ان هذا من تصرف الطبيعة لا من آثار الاكتساب، ولكن الحق فيه أنه ثمرة ماغرس ونتيجة ماكسب » (٨٠) . بل ويمضى قدما فى هذا السبيل ليضفى نوعا من الاصالة والقدم على تطبيقات هذه النظرية فى الحياة العربية والاسلامية الاولى، ضاربا الامثلة على ايمان العرب وتطبيقهم للانتخاب الطبيعى فى عالمى الانسان والحيوان [٨١] .

ولقد كان طبيعيا مع هذا التطور الذى أصاب فكر الافغانى حول هذه النظرية، أن تتغير نظرته وتقديره « لداروين »، فبعد أن كان يصمه « بالتنفد » و « الحائر المسكين الواهم » .. الخ .. الخ .. نراه يتحدث عن « الاعتراف بفضل الرجل، وثباته، وصبره على تتبعاته وخدمته للتاريخ الطبيعى من أكثر وجوهه » (٨٢) . وان كان قد ظل على خلاف معه ومع أنصاره حول موجد أصل الحياة، أو « نسمة الحياة » كما يسميها جمال الدين، ولكنه رغم هذا الخلاف يناقش بمرونة كبرى تعكس افقه المستنير، وثقة الانسان الباحث عن الحقيقة حيثما تكون، وذلك عندما يقول : « ان كل ماجاء فى مذهب الطبيعيين من حصر الاحياء بأنواع قليلة، وتفرع الكثير منها وعنها، كل هذا لايضر التسليم به، كما انه لايفيدهم أن الحياة وظهور الاحياء نتيجة طبيعية لقوى طبيعية، نعم .. ان أمكنهم اثبات التولد

---

(٧٧) المصدر السابق . ص١٨١ ــ ١٨٨ .
(٧٨) المصدر السابق . ص٣٢٤، ٢٦٥ .
(٧٩) المصدر السابق . ص١٣٣ ــ ١٣٦ .
(٨٠) المصدر السابق . ص١٠٧ .
(٨١) المصدر السابق . ص٢٥٢، ٢٥٣ .
(٨٢) المصدر السابق . ص١٠٨ .

الذاتى كان لاقوالهم معنى ، ولمذهبهم مستندا» [٨٣] .

ونحن اذا كنا قد حفلنا بايضاح رأى الافغانى فى هذه القضية ، وتطوره الفكرى ازاءها فليس مرادنا هو ابراز موقفه هذا كموقف فكرى مجرد ، بقدر ما نريد رؤية الآثار التى يمكن ان تترتب على موقفه هذا عند معالجته لقضايا أخرى تحتاج فى معالجتها الى الارتباط الوثيق بمنجزات العلم والعقل ومعطيات الحقائق العلمية الحديثة والبراهين .. ذلك لان التعاطف مع مذهب التطور انما يعنى ايمان العقل بالعلم ، واستعداده لكسر اغلال الجمود والتقليد ، واقتحام الميادين البكر الجديدة بقلب ثابت وعقل جسور .. وهو ما امتاز به جمال الدين الافغانى عندما اتخذ الموقف الثورى والعقلى من كثير من القضايا وعديد من الامور . بل انه هو الامر الذى غدا طابع حياته ، ومن ثم احله من تراثنا وتاريخنا الحديث ذلك المكان الرفيع .

■■■

[٨] حيـــــاته فى ســـــطور

■ ولد فى سنة ١٨٣٩ فى قرية «أسعد آباد» فى خطة «كنر» من اعمال «كابل» عاصمة بلاد الافغان ، لاسرة ذات نفوذ سياسى وادارى فى المنطقة ، وتنحدر من أصول عربية حجازية ، يرجع بها النسب الى الامام الحسين ابن على بن أبى طالب ، مرورا براوية الحديث المشهور الامام « الترمذى » .

■ وفى الثامنة من عمره انتقل مع الاسرة الى العاصمة «كابل» ، عندما خشى حاكم البلاد « دوست محمد خان » تمكن نفوذ أسرته فى المنطقة التى تعيش فيها . وفى نفس العام بدأ والده السيد «صفتر» الاشراف على برنامج تعليمه .

■ عندما بلغ الثامنة عشرة كان قد درس مبادىء العلوم العربية ، والتاريخ ، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه واصول وكلام وتصوف ، والعلوم العقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية ، وحكمة نظرية طبيعية والهية ، والعلوم الرياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ، ونظريات الطب والتشريح !؟[٨٤]

■ اجاد اللغات العربية ، والافغانية ، والفارسية ، والتركية ، والفرنسية ، مع المام بالانجليزية والروسية .

■ بلغ منصب الوزير الاول فى وطنه فى حكم الامير الوطنى «محمد أعظم خان» ، ثم رحل عن البلاد بعد هزيمة هذا الامير أمام خصمه «شيرعلى» الموالى للانجليز .

■ فى الهند حاربه الانجليز ، وأحاطوه بالجواسيس ، وطلبوا منه مغادرة البلاد .

■ فى مصر أقام أول مرة اربعين يوما وهو فى طريقه الى الآستانة درس فيها للطلبة الشوام بالازهر دروسا فى النحو والحكمة . ثم أقام بها فى الزيارة الثانية من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٧٩ م حيث اتخذت حكومة الخديوى توفيق قرارا بنفيه بحجة «أنه رئيس جمعية سرية من الشبان ذوى الطيش مجتمعة على فساد الدين والدنيا»

■ أقام حزبا سياسيا سريا بمصر سمى [الحزب الوطنى] وهو الذى قاد ونظم الثورة العرابية

■ كانت له ندوة يومية يلتقى فيها بمريديه ، ومقالات ينشرها باسم مستعار ، او بأسماء تلاميذه ، وكان من بين تلاميذه ومريديه من ينتسبون الى الاديان السماوية الثلاثة .

■ زار تركيا مرارا ، وتولى

---

(٨٣) المصدر السابق . ص١٠٨ ، ٢٥٢ .
(٨٤) محمد عبده (مقدمة الرد على الدهريين) . ص٤ .

عضوية مجلس المعارف بها زمنا ، ودخل فى صراعات كثيرة مع الاوساط الرجعية فيها ، وخاصة الشيخ أبو الهدى الصيادى ، الذى حارب النديم والكواكبى ، وكل الاحرار .

■ فى ايران دخل فى صراع مع الشاه المستبد «ناصر الدين» ، واجبره على سحب امتياز شركة «التمباك» الانجليزية [ريجى] بعد ان نجح فى جعل الشعب يقاطع انتاجها . مما جعل الشاه يرسل خمسمائة من فرسانه يقتحمون عليه فراش مرضه فى مكان مقدس عند الايرانيين هو « شاه عبد العظيم » ، ليقودوه على محفة خشنة ، وهو ينتفض من الحمى ، الى خارج الحدود

■ كان يعتبر نفسه سلطة للحق أعلى من سلطات السلاطين، وعندما طلب منه السلطان عبد الحميد وقف الهجوم على الشاه ناصر الدين ، أجابه اجابة أفزعته ، اذ قال : «امتثالا لاشارة أمير المؤمنين فانى الان قد عفوت عن الشاه ناصر الدين»

■ وفى روسيا القيصرية أقام ببطرسبرج أربع سنوات ، نشر فيها عدة أبحاث عن العالم الشرقى والسياسة الدولية ، والتقى بالقيصر ، واختلف معه حول تقدير كل منهما لدور الجماهير الشعبية فى تسيير دفة الامور فى البلاد .

■ زار لندن ثلاث مرات ، وكتب عدة أبحاث فى صحيفة [ضياء الخافقين] بتوقيع « السيد الحسينى » ، وكانت تصدرها شركة انجليزية ، بالعربية والانجليزية ، بغرض «حصول التواصل والتعارف بين الغربيين والشرقيين»

■ مكث مدة فى باريس بعد فشل الثورة العرابية ، وأصدر بها ، بمساعدة الشيخ محمد عبده جريدة [العروة الوثقى] التى توقفت بعد ثمانية عشر عددا ، بسبب محاربات الانجليز .

■ زار مكة والحجاز ، كما زار فيينا وميونيخ ، وفكر فى زيارة أمريكا ولكنه لم يتم المشروع

■ استدعاه السلطان عبد الحميد فى اخريات حياته حيث مكث، شبه محدد الاقامة، بالاستانة خمس سنوات ، قضاها كما قالوا — فى « سجن النعمة ، خلف القضبان الذهبية »

■ لم يتزوج ، تخففا من أعباء الاسرة وتفرغا للنضال ، وعندما أهداه السلطان احدى جواريه الجميلات ، ليقيد حريته بالزواج ، رفض ، وعندما أحس بضغط الحاشية هدد بأن يزيل من نفسه مؤهلات الرجل للزواج !؟ . وعندما قال له الطبيب : انك بذلك تعاند الطبيعة ، قال له : ان الطبيعة اقدر منك على تنظيم نفسها بنفسها !؟

■ توفى فى الاستانة فى ٩ مارس سنة ١٨٩٧ م بمرض السرطان الذى اصاب فكه ، وقيل ان السلطان عبد الحميد قد دس عليه من ساعد على موته . ودفن فى قبر متواضع بمقبرة «شيخلر مزارلغى» فى «نشانطاش» ، ثم نقل رفاته الى بلاد الافغان سنة ١٩٤٤م عبر البلاد العربية فى موكب رسمى وشعبى مهيب .

■ على الرغم من انه اقام من الاحزاب والجمعيات ، واقعد من الطغاة والحكومات ، واشعل من الثورات والانتفاضات ما لم يتيسر بعضه لكثير من عظماء عصره وغيره من العصور، فانه عندما طلب منه البعض ترجمة موجزة لنفسه وحياته قال :

«واى نفع لمن يذكر اننى ولدت سنة ١٢٥٤ هـ .. وعمرت أكثر من نصف عصر .. واضطررت لترك بلادى « الافغان » مضطربة تتلاعب بها الاهواء والاغراض .. واكرهت على مبارحة الهند .. واجبرت على الابتعاد عن مصر ، أو ان شئت قل : نفيت منها .. ومن الآستانة .. ومن أكثر عواصم الارض .. كل هذه الاحوال « خاطرات » لا تسرنى وليس فيها ادنى فائدة للقوم .

أما القول بانها لا تسرنى لا بمعنى انى نفيت من البلاد أو سجنت . كلا .. لانى أعتقد ان السجن بطلب الحق من الظالمين العتاة « رياضة » والنفى فى ذلك السبيل « سياحة » والقتل « شهادة » وهى اسمى المراتب . فانا عن نفسى غير راض ، ذلك لان الخمول قد قعد بى فلم يوصلنى الى اسمى مرتبة وهى « مرتبة الشهداء » وحطنى فى مصاف المنفيين من ارض الى ارض، والمسجونين فيها .

فما ابعدنى فى كل هذا عن اولى الهمم، ومن قام بالاعمال الخطيرة او المطلب الجلل » .

[٩] كتـــــــــــاباته

لم يكتب الافغـــانى على هيئة كتب او رسائل سوى :

١ ـ رسالة الرد على الدهريين

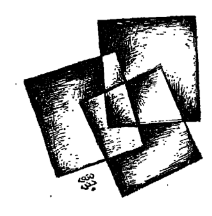
٢ ـ تتمة البيان فى تاريخ الافغان وهى رسالة صغيرة فى تاريخ البلاد الافغانية وقبائلها واصولها العرقية، وهى مطبوعة فى اواخر القرن المــاضى وموجودة بـــدار الكتب المصرية [تاريخ ١٧٨٥ ، ٤٧٩ ، ٧٣٧]

وما عـــدا ذلك فان أفكـــار الافغانى قد صاغها فى عـــدة ابحـــاث ومقـــالات نشرت فى (العروة الوثقى) او بعض صحف مصر باسم مستعار ، او باسم تلاميذه ومريديه وفى بعض صحف لندن وباريس وبطرسبرج . وأخيرا فى صورة خواطر املاهـــا على مريده « محمد باشا المخزومى » بالآستانة فى السنوات الخمس الاخيرة من حياته ..

كما كتب بعض مقـــالات عن الاسلام باللغة الفارسية لم تجمع وانما تفرقت عنـــد اصـــدقائه ومريديه فى الهند والبصرة ومصر ولنـــدن .

كمـــا بعـــث بمجمـــوعة من الرسائل والخطابات لعديد من الاصدقاء والمريدين والشخصيات

وفيما عدا مقالاته فى صحف لنـــدن وبطرسبرج ، ومقـــالاته الفارسية التى تبعثرت ولم يعرف ســـبيلها ، وجملة من رسائله وخطاباته الشـــخصية ، وبعض اوراقه الخاصة التى اســـتولى عليها بعد موته اعوان السلطان عبدالحميد ، ورسالة تتمة البيان فى تاريخ الافغان فان كافة انتاجه الفكـــرى ودراساته وبحـــوثه ومقالاته وحكمه القصيرة وامثاله قد جمعت فى إعماله الكـــاملة التى صدرت بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .





وثيقة سياسية

محاضر جلسات الحزب الوطنى المصرى عام ١٩١٠

١٦

أعمال مؤتمر الحزب الوطنى
المنعقد فى بروكسل عام ١٩١٠

كتقليد حزب جديد ،انعقدت فى ظل رئاسة محمد فريد للحزب سلسلة من المؤتمرات الحزبية التى تحولت الى مؤتمرات لمصر كلها .

ان « المؤتمرات الوطنية » التى عقدها الحزب الوطني فى فترة تولى فريد رئاسة الحزب .. كانت بالغةالاهمية وبالغة الدلالة ..

● فهى فى ذاتها تقليد حزبى جديد لم تشهده الاحزاب المصرية التى كانت فى ذلك الحين مجـرد تجمع للقـادة وجريدة تعبر باسم هؤلاء القادة .

● وهى ايضا تعبير عن احساس الحزب بمسئوليته تجاه مصر وقضاياها المختلفة . فهذه المؤتمرات لم تكن مؤتمرات حزبية بالمعنى المفهوم لمناقشة مشاكل الحزب أو خططه ، وانما هى مؤتمرات تناقش مشـكلات مصر من



مختلف نواحيها ، الصناعة ، التعليم، الجيش، الزراعة، الصحة ، الصحافة ، حرية الراى .. الخ ..

و «الطليعة» اذ تقدم لقرائها وثائق مؤتمر عام ١٩١٠ الذى عقد فى بروكسل وهو واحد من أهم هذه المؤتمرات وأكثرها تحديدا لمعالم الطريق الذى حاول فريد أن يقود الحزب الوطنى اليه ، انما تقدمه لان أعمال هذا المؤتمر بالذات قد غمرها النسيان ولم يشر اليها المؤرخون الا لماما ، خاصة وأن السلطات البريطانية التى طاردت هذا المؤتمر وحرضت حليفتها فرنسا على منع عقده فى باريس قد طاردت وثائقه فمنعت نشرها وتداولها .

■ ■ ■



الخميس ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ فتحت الجلسة فى الساعة الرابعة والربع

السيد الرئيس ـ أعلن افتتاح المؤتمر الوطنى

خطاب فريد بك رئيس المؤتمر

سيداتى ، سادتى :

اسمحوا لى أولا ، سيداتى ، سادتى ان أشكركم باسم المؤتمر الوطنى المصرى على تقبلكم الطيب لدعوتنا . نحن لم نكن نتوقع أقل من ذلك ، من جانب أحرار كل البلدان الذين توجهنا اليهم بهدف عرض الموقف فى وطننا ، من وجهات النظر المختلفة، السياسية والاقتصادية والاجتماعية الخ .. الخ . ان تقبلكم الطيب هذا ، سيداتى ، سادتى يثبت ان قضية الحق والعدل لا تزال تجد ، وستجد دوما ، اصدقاء ومدافعين عنها بين الامم التى اعلنت ، وتطبق فى بلادها ، مبادىء الحرية والاخاء والمساواة العزيزة .

ان وجود ممثلين لامم مختلفة ، بين صفوفكم فى هذه القاعة يثبت ان حركتنا التحررية تكتسب تعاطف الامم التى تمثلونها تمثيلا طيبا للغاية ، وجديرا بالثناء، اشكركم، واوجه تحياتى الاخوية الى الشعوب التى تتشرف بانتسابكم اليها ، واشكر بشكل خاص ، هذه الامة التى فتحت ابوابها لابناء الشعوب المقهورة ، واستقبلتنا باذرع مفتوحة ، الى هذه الامة البلجيكية ، الصغيرة العدد ، ولكن العظيمة الروح ، النبيلة القلب .

ان الامة البلجيكية تستحق منا عرفانا ابديا بالجميل ، بقدر ما أبدت نحونا من استقبال أخوى ، بعد العمل الذى أقدمت عليه الحكومة الفرنسية ، التى رأت أن من مصلحتها منع انعقاد مؤتمرنا فى بلادها ، مخالفة بذلك تقاليدها الكريمة ، لكنى أود القول بان الامة الفرنسية ليست مسئولة عن هذه الاعمال التى هاجمتها ولعنتها صحف كافة الاحزاب . وستلقى هذه الامة النبيلة ، الكريمة ، الشريفة على الدوام ، كل ود وحب من جانبنا .

وسنظل مع ذلك وكما كنا فى الماضى اصدقائها المخلصين . ومن ثم ، أبعث للامة الفرنسية بتحية قلبية وأخوية .

وان مبادرتكم ، سيداتى ، سادتى ، بحضور اجتماعاتنا ، والاستماع الى مطالبنا ، انما يثبت من ناحية أخرى ، ان الرأى العام الاوربى لا يطلب سوى أن يحاط علما بالحقائق، وان يصغى بانتباه الى الادلة التى يقدمها الطرف الاخر ، بعد الاستماع الى أدلة الخصوم . أن الوزراء الانجليز لا يخشون وهم يتكلمون من فوق منصاتهم ، من الاقدام على مسخ الوقائع ، وتحريف الحقائق ، انهم واثقون من سطوة كلماتهم ، التى ستعتبر ، مادامت قد صدرت منهم ، كآيات الانجيل . انهم لا يخشون ان يناقضوا انفسهم ، وان ينسوا اليوم ، ما سبق واعلنوه بالامس . وهم لا يودون الاعتقاد بانه من بين تلك الامم التى

يمهـونها خطئا بالجهل ، والقصور ، والتعصب ، وكراهية الاجانب ، يوجد أناس وطنيون بدرجة كافية ، بحيث يكرسون انفسهم لمهمة توضيح عدم الدقة - كي لا نقول سوء النية - فيما يتعلق بهذه الاتهامات التي يوجهونها اليها ، لتبريروجودهم الكريه ، وإطالة أمد احتلالهم .

انهم لا يقنعون بسلطتهم ولا بالصحافة التي تحدد لهم الخطى ، لينهالوا علينا بالافتراءات والاتهامات الباطلة ، ويوعزون في بعض الاحيان ، لاناس مثل روزفلت باهانتنا في عقر دارنا ، والسماح لهم بتكرار هذه الاهانات في جيل دهول ، بهدف أرهابنا ، وحرماننا من عطف أولئك الذين يضعون الحق والعدل فوق السياسة ومتطلباتها .

وان السير ادوارد جراي عندما أخذ على عاتقه مسئولية الهذيان الذي ألقى به روزفلت ، قد فضح نفسه ، واثبت للعالم أجمع ان حامل الهراوة لم يكن سوى المتحدث باسمه ، أو بمعنى أصح حامل تهديده الى الامة المصرية .

ولكن لم تحدث موافقة الرئيس السابق ، وتهديدات السير إدوارد جراى ، فينا ، التأثير الذي كان منتظرا منها . ولم يسوء وضع الحركة القومية المصرية ، بل على العكس أصبحت أكثر حيوية من أي وقت مضى ، وهذا المؤتمر دليل على ذلك ، سادتي ، اننا نسير نحو الحرية ، ولن يستطيع شيء أن يوقف مسيرتنا .

يتلخص برنامجنا ، سيداتي سادتي في كلمتين : الجلاء والدستور . وجلاء القوات الاجنبية ، وتحرير وادي النيل العزيز ، حقان طبيعيان لا يستطيع احد أن ينازعنا فيهما ، أن علينا ان نطهر بلدنا من كل احتلال ، ووفق نفس الحق الذي تخلصت ايطاليا على اساسه من النمسا ، وانفصلت بلجيكا وفقه عن هولنده ، وكذلك اليونان ودول البلقان عن الامبراطورية العثمانية .

وتحرير ارضنا هذا ، ضروري لكرامتنا القومية ولوجودنا كامة حرة .

ان مصر ترنو الى المكان الذي تستحقه وسط مجموعة الشعوب الحرة . وتبحث عن مكانها تحت شمس الحرية . ينبغي ان تحتل مصر أم كل الامم المكانة اللائقة بها ، والتي لا يمكن لقوة أخرى أن تنازعها فيها . ان احفاد اولئك الذين بنوا الاهرامات ، ونحتوا مقابر الملوك والذين يعجب العالم بعملهم . يعرفون ، بعملهم ومثابرتهم وحبهم للعلم والحرية ، كيف يكونوا جديرين ، بتلك المكانة ، وكيف يحصلون عليها . تلك المكانة التي يأباها عليهم الامبرياليون الانجليز ، والماليون الدوليون ، بهدف تحقيق ارباحهم وفوائدهم الربوية ، اننا سنعرف كيف نكون جديرين ، وكيف نكسب عطف الرأى العام العالمي ومساندته المعنوية ، ذلك الرأى العام الذي يساند أمما أقل حضارة وثقافة من الامة المصرية .

اننا ، سيداتي ، سادتي ، امة تعدادها ١٣ مليون نسمة ، لها نفس اللغة ، ونفس الدين ، ونفس الاخلاقيات ، ماعدا قلة قليلة ، حقوقها مصانة على الدوام .

ولست اعرف ، لم ينبغي على مصر ان تظل دوما ، حسبما أوضح السير ادوارد جراي ، في حالة تبعية لانجلترا ؟ هل لانها تقع على الطريق الى الهند ، ولان قنال السويس تخترق البرزخ الذي يربط أفريقيا باسيا ؟ انكم جميعا تعرفون جيدا ، سيداتي ، سادتي ، بان هناك معاهدة دولية موقعة عام ١٨٨٥ تضمن حياد القنال . يمكن للانجليز ان يعترضوا على هذا الحياد على اساس انه نظري اكثر منه عملي ، وان القنال سوف تقع بشكل محتم في حالة الحرب ، في أيدي القوة السياسية الاكثر قوة ، وان مصالح الامبراطورية البريطانية تتطلب ان تكون القوات الانجليزية في منطقة القنال ، لاحتلالها ، والدفاع عنها في حالة الحرب .

ففي هذه الحال ، يمكن للقوى الاخرى ان ترد هذه الحجج على اعقابها ، وتقول « اننا ايضا لنا مصالح في المشرق ، ولنا مثلكم مصلحة في حرية الملاحة في القنال في وقت الحرب . اننا لا نستطيع قط تركتكم في مصر ، وترك هذا الطريق الدولي الحيوي في ايديكم وتحت رحمتكم » .

وهكذا نرى أن المصلحة الدولية للعالم أجمع ، تتطلب ألا تكون مصر محتلة من قبل أي قوة ، وان تملك زمامها بنفسها ، وتصبح دولة محايدة تحت حماية كل القوى . وأمام أعيننا مثل بلجيكا التي ساعدتها فرنسا على الانفصال عن هولندة ، ودافع عنها الانجليز - هي والاراضي المنخفضة - ضد المانيا . علما بان موقع مصر هام كموقع بلجيكا ، من وجهة النظر العالمية . والقوة التي تحتلها ، تحقق بفضل هذا العامل وحده ، تفوقا ضخما على القوى الاخرى .

ولا تزال للامبراطورية العثمانية ، مصلحة أكبر ، - لو أن ذلك بالامكان - في اعادة مصر الى الوضع السابق الذي كانت عليه عام ١٨٨٢ . فبلدنا تقع في الحقيقة في قلب الامبراطورية بين المغرب وسوريا من ناحية وبين الاراضي الاسلامية المقدسة والولايات الشمالية ومن يحتلها يستطيع أن يخلق لها مشاكل سواء في الشرق أو في الغرب ، ويخلق فجوة في الحدود الساحلية للامبراطورية على البحر المتوسط . وقد صار لامبراطوريتها أخيرا اسطول ، ينبغي عليه بالطبع ، عبور قناة

السويس ؟ اذا ارادت زيارة ولايات الجزيرة العربية أو الدفاع عنها ، ونقل القوات اليها • حقيقى ان عبد الحميد اعتقد ان بامكانه تجنب هذه الصعوبة ، بانشاء سكة حديد الحجاز ، ولكن لا ينبغى ان ننسى أن هذا الخط ذا الشريط الواحد ، انشىء على عجل ، وهو غير كاف لنقل القوات العسكرية وبخاصة الى اليمن حيث يعتدى الانجليز على ساحل عدن • افترضوا ، والحال هذه ، قيام تمرد فى اليمن، ومنع مرور القوات العثمانية فى قنال السويس ، فماذا سيؤول اليه أمر الجزيرة العربية ؟ سيكون من السهل حينذاك ان تنفصل عن الامبراطورية العثمانية ، وان تقوم فيها مملكة تحت الحماية الانجليزية • ويمكن ان تنضم سوريا اليها ويقتطع نصف الامبراطورية العثمانية وتصبح تحت رحمة انجلترا •

وهكذا ترون سيداتى ، سادتى ، ان مصالح كل القوى ستظل دوما مهددة ، ما دامت انجلترا لن تجلو عن مصر ، هذا فضلا عن مصالح مصر نفسها ، صاحبة الحق الطبيعى الذى لا ينازع ولا يمكن ابطاله ، حقها فى التحرر من كل سيطرة اجنبية . ولكن هذه النقطة الاخيرة تعتبر بالنسبة لكم ذات طبيعة عاطفية خالصة ، ولذا فقد اطلت كثيرا فى بحث المسألة المادية التى تمس عن قرب ، امبرياليى القوى الكبرى •

لقد وضع المؤتمر الدولى الثامن عشر للسلام المنعقد فى استكهولم ، وضع فى اعتباره اهمية القضية التى ندافع عنها، وعدالة مطالبنا ، ولم يتردد هذا المؤتمر للحظة فى اقرار اقتراح يعبر عن تعاطفه الحار تجاه امتنا ، ورفع المسالة الى لجنة برن بهدف بحثها وتقييدها فى جدول اعمال المؤتمر القادم الذى سينعقد فى روما فى أكتوبر سنة ١٩١١ •

وهكذا وضعت قضيتنا أمام أعين الرأى العام العالمى ، وأننا لنرجوا حلها وفقا لمصالحنا ، اى وفقا لمبادىء الحق والعدل الخالدة .

ويسعدنى ان أوجه من هنا تحية أخوية عاطرة بالسلام والتوفيق الى جميع اعضاء مؤتمر استكهولم .»

اسمحوا لى سيداتى ، سادتى ، ان احدثكم عن المسالة التى تهمنا أكثر ، بعد مسالة الجلاء ، والتى بدونها سيصبح كل اصلاح وهما ، وكل مشروع ، سرابا ، وهى فى الحقيقة مسالة الدستور الذى سيسمح لنا بالاشتراك فى صياغة القوانين ، ومراقبة ماليتنا ، التى تدار شئونها حاليا ، دون أدنى مراعاة لمصالح البلاد •

ان حق كل أمة فى حكم نفسها بنفسها حق طبيعى •• وممثلو كل أمة هم وحدهم القادرون على تقدير احتياجات مواطنيهم ، واصدار القوانين وفق اخلاقياتهم ، وبشكل متطابق مع عاداتهم وتقاليدهم •

ان المستشارين الانجليز الذين يعتبرون الوزراء الحقيقيون فى بلادنا ، يقومون بالابحاث ، وينقضون اليوم ما فعلوه بالامس ، ويضربون باعتراضات الجمعية التشريعية عرض الحائط • واذا كان بعض وزرائنا يبدون مقاومة احيانا ، الا انها تنتهى دوما بالاستسلام تحت ضغط التهديد بالاخضاع او الاقالة •

ولا أستطيع الدخول فى تفصيلات بشان ادارتنا وماليتنا ، فأصدقائى سيتعرضون لذلك فى هذا المؤتمر . وانما اقنع بالقول بأن ميزانيتنا تبلغ ١٦مليون جنيه استرلينى [٤٠٠ مليون فرنك) • وجيشنا يتكون من ١٢٫٠٠٠ رجل ، وليست لدينا بحرية ، كذلك فنادرا ما نستطيع ايجاد القروض اللازمة ؟ لجعل التعليم الابتدائى أجباريا ، أو لانشاء مدارس ثانوية تتناسب مع زيادة تعداد الامة • وباختصار فان حالة البلاد قد تدهورت منذ الاحتلال ، بدلا من أن تزداد رخاء ، حسبما يريد الانجليز وصنائعهم أن يوهموا أوربا •

والعلاج الوحيد لهذا الوضع سيداتى ، سادتى ، هو الدستور الذى سيسمح لنا بتسيير أمورنا وفقا لمصالحنا ، لان الامور لاتسير أمامنا اليوم ، الا لمصلحة الامبريالية الانجليزية •

لقد كرر السير ادوارد جراى كثيرا من فوق المنابر ، اننا لسنا ناضجين بعد ، لنحكم انفسنا بأنفسنا • انها الحجة ، التى يستخدمها الاوصياء سيئو النية، ليستمروا فى التهام ثروة القصر • ولقد هددنا ، بالاضافة الى ذلك ، بالاستمرار فى اعتراضه على هذا المطلب ، مادام يوجد فى مصر حزب يطالب بالحكم الذاتى • انهم يضعوننا أمام مشكلة غير منطقية حقا • فاذا سكتنا قالوا اننا راضين سعداء فى ظل الحكم المطلق • واذا ماتقدمنا بمطالبنا يجيبوننا : ابداوابالسكوت ، وستنالون كل ما تريدون . ماهى القدرات اللازمة لشعب من الشعوب كى يستطيع حكم نفسه بنفسه ؟ ان هذه القدرات لا تتطلب الحصول على ديبلومات معينة ، ونحن لم نفكر بعد فى فتح مدارس لتعليم فن حكم الانسان لنفسه • ألسنا أمة متحضرة مثقفة مثل كثير من الامم الاخرى التى تتمتع بهذا الحق الطبيعى ؟ لكل شعب ، الحكومة التى يستحقها ، هذه بديهية سليمة مثلما هى صادقة تماما • وما ينبغى قوله ، هو ان الحكومة لكونهامنبثقة عن الامة، لذا يجب ان تكون على شاكلتها . ولكن قلما يسير نظام الحكم المطلق وفق الامانى القومية ، فهو يضع نفسه دوما فوق الامة التى يحكمها •

يزعمون أننا لانفهم النظام البرلماني ، وبناء عليه ، فلسنا به جديرين . ولكن آية أدلة يمكن أن نقدمها لاثبات عكس ذلك ، من انتقال عدد كبير من المواطنين من القاهرة الى باريس . ثم الى بروكسل ، ليشرحوا للعلم أجمع ، الوضع الحكومي المتدهور الذي نجد فيه انفسنا بسبب اعتراض انجلترا على اعادة دستور سنة ١٨٨١ . اننا لا نستطيع ان نقتنع بالقانون الجديد ، الخاص بالمجالس المحلية ، اذ يلزمنا الدستور كله . واسمح لنفسي هنا كي انهي كلمتي ، ان أذكر لكم بعض عبارات من الكتيب الذي وزعه الكونت ا. ابواني وزير التعليم العام في المجر ، على أعضاء المؤتمر البرلماني الذي انعقد في هذه المدينة في بداية هذا الشهر . « نعلن أنه لو كانت اعادة الدستور غير الكاملة رفضت ، لاستمرت البلاد تعاني ، وتنتظر ، ولكن دون ان تتخلى عن اى من مطالبها العادلة ، لانه وفقا لكلمات ف. ديك البسيطة السامية ، « ان ما نفقده عن طريق القوة يعيده لنا الزمن والظروف ، ولكن الحقوق التي نتخلى عنها بانفسنا ستفقد الى الابد دون رجعة » .

اننا سننتظر ، لكننا لن نتخلى قط عن حقوقنا (تصفيق متواصل) .

السيد الرئيس : سنقرأ عليكم الان خطابات وبرقيات التعاطف التي جاءت من اصدقائنا في فرنسا والبلاد الاخرى .

ولقد رجونا السيد : جوبرناتيس عضو مجلس الشيوخ الايطالي أن يقبل الرئاسة الفخرية لاحدى جلسات هذا المؤتمر ، ولقد كان بوده قبول ذلك ، ولكنه اعتذر لان المؤتمر الوطني الايطالي للسلام سينعقد من ١٨ الى ٢٤ من هذا الشهر وقد أرسل لنا خطاب اعتذار [١] .

ولقد قبل السيد **اوجانيور** ايضا أن يكون أحد الرؤساء الفخريين الممثلين لفرنسا ولكنه اعتذر لعدم استطاعته الحضور الى بروكسل .

ولقد قبل السيد **بلنت** الصديق القديم للمصريين رئاسة الشرف (تصفيق) ولقد أرسل خطابا طويلا مطبوعا حول المسألة المصرية ختمها بنصائح للمصريين سواء من وجهة النظر القومية أو الدولية ، وسنقرأها عليكم .

ولقد وصلنا أيضا خطاب طويل من السيد **ديللون** نائب رئيس الحزب الايرلندي وخطاب من السيد **كيتل** عضو الحزب الايرلندي والخطابين شديدي التعاطف مع مصر ، ولقد وصلتنا كثير من الرسائل من نواب واعضاء في مجلس الشيوخ الفرنسي وفرنسيين آخرين من بينهم السيد **بوفيزاج** عضو مجلس الشيوخ عن الرون ، الذي ارسل لنا خطابا شديد الروعة والتعاطف [٢] .

واليكم الان هذه البرقيات التي وصلتنا من اصدقائنا بالقاهرة ، وسأقول لكم ملخصها فقط ، جاءت احداها من طنطا وتلا أرسلها طلبة اكبر مديرية في مصر (تصفيق) .

طنطا في ٢٢ سبتمبر .

« طلبة طنطا يقدرون أعضاء المؤتمر ويؤيدون قراراته »

واليكم برقية من سيدة من سانت بطرسبورج وهي السيدة / داماشكي الصحفية ، وهي ترسل بتهنئتها الى المؤتمر .

وهذا نصها :

« ليعش مؤتمركم ولينمو وليزدهر بعملكم حتى يبلغ الافلاك في علوها » !

ووصلتنا من القاهرة والاسكندرية عديد من البرقيات بلغ عددها حوالي عشرة .

وأرسل السيد لوسيان **لوفوابيه** مندوب جمعية « السلام عن طريق القانون » . ونائب باريس السابق برقية أخرى هذا نصها :

« الحضور الى بروكسل مستحيل . تعاطفي مع الاتجاه السلمي ومع وئام الشعوب وحريتها » .

وبرقية من السيد **كير هاردي** زعيم حزب العمال في انجلترا يعلن لنا فيها عن مجيئه هذا الصباح (تصفيق) .

أعطي الكلمة للسيد **لطفي جمعه** الذي سيقرأ عليكم خطاب السيد ـ بلنت .

لكنه ينبغي على أن أقول قبل ذلك أن اللجنة قد قررت من البداية ، أن اللغات التي سيجرى التعامل بها في المؤتمر ، هي العربية والفرنسية والانجليزية ، ولكن لما كنا قد رأينا تعاطفا كبيرا من جانب الالمان [تصفيق] وبعض نواب الرايشستاغ والديت البروسي ، مع وضعنا في الاعتبار متاعب المجيء الى هنا ، لحضور مؤتمرنا ، لكل ذلك وجدنا أنه من المفيد والاكثر لياقة ، أن نقبل اللغة الالمانية ، كلغة رسمية في المؤتمر .

---

(١) ارسل السيد جوبرناتيس ، عضو مجلس الشيوخ الايطالي خطابا للمؤتمر يعبر فيه عن امتنانه الشديد لاختياره رئيس شرف للمؤتمر ويعتذر عن عدم تمكنه من الحضور شخصيا .

٢ ـ سينشر هذا الخطاب كجزء من الوثائق .

أعطى الكلمة للسيد الدكتور محرم وهو مصرى مقيم فى برلين ليرحب بأصدقائنا الالمان باللغة الالمانية (تصفيق) ٠

يقرأ السيد محرم كلمة ترحيب باللغة الالمانية [تصفيق] ٠ ويترجم بعد ذلك نصها الى العربية ٠

ثم يترجم السيد لطفى جمعه نصها الى الفرنسية بعد ذلك ٠

السيد لطفى جمعة : باسمى وباسم لجنة المؤتمر الوطنى ، أشكر السادة الذين أرهقوا أنفسهم من أجل المشاركة فى مؤتمرنا ، شكرا عميقا ٠

انهم أصدقاؤنا ، وانى أود بصفة خاصة أن أعبر لهم عن عرفاننا بالجميل بلغة ستدخل عليكم دون شك السرور ، لانها لغتهم ٠

ان العلاقات القائمة حاليا بيننا وبين المانيا ، لا تزال فى بدايتها ، ولكننا نأمل أن تقوى وأن تتدعم هذه العلاقات بمرور الزمن وتصبح اكثر اتساعا وأثرا ٠

واذا كان ممثلو هذه الامة قليلى العدد بيننا ، فاننا نامل ان يزداد عددهم فى المستقبل ، وأن تصبح روابطنا أكثر قوة ، والخدمات التى يقدمونها لنا اكبر مما هى عليه الان ونشكركم مقدما من أجل ذلك (تصفيق) ٠

السيد الرئيس : الكلمةللسيد لطفى جمعه الذى سيقرأ خطاب السيد بلنت وهو خطاب هام جدا والسيد بلنت صديقنا منذ اربعين عاما وهو أكثر الانجليز معرفة بشئون مصر ٠

السيد لطفى جمعة : « خطاب موجه الى المؤتمر الوطنى المصرى » [٣]

السيد حامد العلايلى يقرأ خطابا موجها من السيد ديللون

ثم يقرأ خطاب السيد النائب كيتل [تصفيق] [٤]

قام السيد جمعه بترجمة هذين الخطابين الى الفرنسية ويقوم الان بقراءتهما ٠

السيد الرئيس : الكلمة الان **السيد فؤاد حسيب ، ليتكلم عن** قدرة الامة المصرية على حكم نفسها بنفسها ٠

السيد فؤاد حسيب : [٥]

---

(٣) جاءفى خطاب النائب البريطانى ديلون وعضو الحزب الايرلندى الموجه الى محمد فريد : « . لقد كنت طوال عشرين عاما مؤيدا لقضيتكم ، وبذلت من آن لاخر كل مابامكانى للدفاع عنها ، على ان الاجنبى لا يستطيع الا القليل فى مساعدته لامة مضطهدة لاستعادة حريتها . يجب أن يقوم بهذا العمل الشعب نفسه ، وفى بلاده اساسا .

« واستطيع ان اقول انى لم اؤمن ابدا باسلوب تعليم اى شعب فن الحكم الذاتى عن طريق احتلال بلاده عسكريا او بفرض حكومة بيروقراطية يتولاها بالقوة رسميون أجانب .

« ويجب على المصريين ، شأنهم شأن كل الامم المناضلة من أجل حريتها ، أن يصوغوا مصيرهم بأنفسهم ، وبوسعهم ان يعتمدوا على تعاطف القوميين الايرلنديين معهم لاننا عشنا نحن ايضا تحت النير .

« وقدرتنا على المساعدة ليست كبيرة ولكن البعض منا عقد العزم على بذل كل جهده فى الدفاع عن الوطنيين المصريين ضد عاصفة الاكاذيب والافتراءات التى يصبها الطغاه على كل الوطنيين المناضلين ضدهم. وبالرغبة من ان النشاط الاساسى للوطنيين المصريين يجب ان يتم فى مصر بالذات ، الا انى اقترح على المؤتمر أنه سيكون من المفيد اصدار مجلة شهرية تقدم تفاصيل صحيحة عن الوضع فى مصر ، وتوزيعها بانتظام على كل اعضاء البرلمان واهم الصحف فى انجلترا . فالجهل السائد فى انجلترا حول القضايا المصرية مما يمكن تصديقه .

(٤) جاء فى خطاب النائب البريطانى كيتل :

« لقد كانت السياسة الدولية شاهدا على خيانة اكبر جمهوريتين ، وهما فرنسا وامريكا [على حسابكم) للمبادىء التى قامت كل منهما عليها . وقد حصلتم على انتقامكم الكبير من فرنسا لانها : بمنعها عقد مؤتمركم فى اراضيها ، قد اعلنت عن تفاهتها بتوقيعها على الاتفاق الودى وسجلت على نفسها انها لم تعد سوى صفر فى المسائل الدولية ..

« وهل تسمحون لى بأن اقدم لكم اقتراحا او اقتراحين :

[١] لقد اشرت عليكم فى العام الماضى فى جنيف ، بأن تعقدوا مؤتمرا عام ١٩١٠ فى لندن ، وانا اكرر لكم هذه النصيحة بالنسبة لعام ١٩١١ .

[٢] من الضرورى وضع كتاب عن المسالة المصرية يكون فى متناول القراء حتى يستنير الراى العام فى انجلترا وامريكا .

[٣] يجب اتخاذ التدابير لكى يكون اصدقاؤكم فى برلمان لندن على دراية وثيقة وصحيحة بتطورات الاحداث فى مصر ، لانهم واقعون حتى الان تحت رحمة وزارة الخارجية ووكالات الانباء المعادية . »

(٥) تحت عنوان « هل نحن مستعدون للنظام البرلمانى ؟ » قال فؤاد حسيب فى تقريره :

« .. كانت ثورة دول اوروبا عملا مشروعا . وقد سبق ان قلنا ان الثورة من حق الشعوب ومن العدل ان نطالب بها . ولكن مصر لا تريد ولا تستطيع أن تستخدم الوسائل العنيفة للحصول على حريتها ؛ نحن نطالب بحقوقنا باسم العدل والمساواة .

« سيداتى ، سادتى . ضموا اصواتكم الينا وايدونا فى مطالبنا ، فالمصرى ليس قاصرا .

« لا شك انكم لو قارنتم وضعنا الحالى باوضاع الامم الاوربية : فسيكون الفارق كبيرا بيننا . ولكننا لسنا بصدد عقد مقارنة بين مراحل مختلفة . ولو اننا لم نحصل على النظام البرلمانى ، الا فى اليوم الذى نبلغ فيه مستوى ارقى الشعوب ، فلن نصل اليه ابدا لاننا فى الوقت الذى نسير فيه الى الامام ، تتقدم هذه الدول ايضا ، وكل خطوة نخطوها تقابلها مئات الخطوات من جانبها لان وسائل تقدمها ايسر بالنسبة لها . »

السيد الرئيس : سيداتى سادتى ، ينبغى على قبل أن أرفع الجلسة أن أكرر شكرى لسلامة البلجيكية التى أحسنت استقبالنا وخاصة لممثلى الامة الذين شرفونا بحضورهم ، وبشكل اكثر خصوصية أيضا الى حزب الشعب الذى أراد باخلاص أن يقدم لنا مساعدته الفعالة .

وينبغى على ان اشكر اصدقاءنا الفرنسيين الذين بالرغم من قرار حكومتهم بمنع المؤتمر ، تحملوا المشاق من أجل الوصول الى هنا ، وأخيرا أقترح على المجلس أن يرسل برقية شكر للسيد بلنت (تصفيق) .

وبرقية اخرى الى السيد جوبر نالى عضو مجلس الشيوخ الايطالى .

واخرى للسيد اوجانيور رئيسنا الفخرى الفرنسى [تصفيق]

وبرقية الى السيد ديللون ردا على الخطاب الذى وصلنا ، وبرقية أخيرة الى السيد كيتل .

وأعتقد أن أحدا لايعترض على ارسال هذه البرقيات (تأييد) .

« يعلن السيد الرئيس لاعضاء المجلس أنه ستقام سهرة فنية وموسيقية فى الساعة التاسعة من هذا المساء فى « الصالون مودرن » . وقد أجلت باقى المناقشات الى الساعة التاسعة والنصف من صباح اليوم الثانى

ورفعت الجلسة فى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين .

■



يوم الجمعة الموافق ٢٣ سبتمبر سنة ١٩١٠ صباحا

افتتحت الجلسة فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الاربعين برئاسة السيد محمد فريد

السيد الرئيس : سيداتى ، سادتى ، افتتحت الجلسة . ولكن بما ان اليوم يوافق العيد القومى لاستقلال بلجيكا ، لذا قررنا ، مراعاة لابسط قواعد اللياقة ، وردا على حسن ضيافة بلجيكا التى اتاحت لنا ان نجتمع هنا ، رفع جلسة هذا الصباح والذهاب جميعا لاخذ اماكننا فى موكب الاستقلال ، فاذا لم نجد لنا مكانا ، فسنستطيع على الاقل إن نجد مكانا نشرف منه على مرور الموكب ، وان نحيى بهتافنا المحاربين القدماء من أجل الاستقلال .

ولكن قبل ان نرفع الجلسة ، ينبغى على أن أوجه تحية قلبية للسيد « **كيرهاردى** » النائب الانجليزى المشهور وزعيم حزب العمال ، وصديق المصريين .

ان السيد كيرهاردى لا يدع أى فرصة تفوته ، دون أن يظهر تعاطفه مع كافة الشعوب المقهورة ومع الامة المصرية بصفة خاصة . وهو انجليزى ، ولكنه نصير للعدل والحق ، قبل كل شىء (تصفيق) .

ان جنسيته لم تمنعه من أن يستبين موضع العدل ، ولم تلزمه بأن يتبع خطى الرأسماليين الدوليين الذين يسعون الى الاثراء عن طريق استعباد الشعوب .

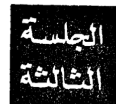
ان السيد كير هاردى انجليزى ، ولكنه مواطن عالمى بشكل خاص .

اعطيت الكلمة للسيد لطفى جمعة ليرحب بمقدم السيد كيرهاردى بالانجليزية .

السيد لطفى جمعة : يلقى كلمة بالانجليزية (تصفيق) .

السيد الرئيس : سنجتمع فى الساعة الثانية والنصف بالضبط وأرجو من كل زملائنا ان يأتوا فى الموعد بالضبط .

[رفعت الجلسة فى الساعة الحادية عشرة]



الجمعة ٢٣ سبتمبر ١٩١٠ (بعد الظهر)

افتتحت الجلسة فى الساعة الثالثة :

برئاسة السيد محمد فريد

السيد الرئيس : يزورنا اليوم الدكتور **هاينريش هوفر** ، عضو الرايشستاغ الالمانى ، وهو معنا الان . واشكره باسم اللجنة وباسم مصر لتشريفنا بحضوره فى هذه الجلسة وتحمله المشاق بمجيئه موفدا من قبل برلين (تصفيق) .

وقد وصلتنا الكثير من البرقيات المتعاطفة معنا ، قال السيد **جوفان** النائب الايرلندى فى احداها : « تهانينا بالنسبة للحاضر ، وأطيب امانينا بالنسبة للمستقبل » .

وبرقية وقعها عدد كبير من المصريين ، تقول « القلوب الجسورة تجتاز العوائق ، نضم أصواتنا الى أصواتكم » .

وهناك برقية ذات مغزى ، من طلبة ليفربول ، لانها صادرة عن طلبة مسلمين ومسيحيين معا .

لقد اتهمونا كثيرا فى بعض الصحف ، خاصة الصحف التى نشرت مذكرة صغيرة ، أوعزت بها الحكومة الفرنسية باننا متعصبون ، وحزبنا حزب اسلامى .

والحقيقة أن برقية ليفربول المذكورة ، والصادرة عن طلبة مسلمين ومسيحيين انما تقدم تكذيبا قاطعا لهذه الاتهامات ، تقول هذه البرقية « الطلبة المصريون ، مسلمون واقباطا يتعاطفون معكم ، باحتجاجهم على احتلال مصر ، ويهتفون معكم من كل قلوبهم : تحيا مصر حرة مستقلة » (صيحات أعجاب وتصفيق) .

وبرقية أخيرة من اللجنة الوطنية بأسيوط ، وهى مديرية كبيرة فى مصر العليا يشكل الاقباط اغلبيتها : « نؤيد تصريحاتكم . ان الحياة المصرية العامة ، وكرامتها القومية ، يتوقفان على الجلاء والدستور — لجنةالحزبالوطنى باسيوط» [تصفيق]

ووصلتنى بطاقة اعتذار من عضو فى البرلمان المجرى هو الدكتور **الكسندرجريسفاين** وهو كاهن ، كان قد وعدنى بالحضور ، ولكنه أضطر فى آخر لحظة الى العدول عن المجىء . (تصفيق) .

وأخذا فى الاعتبار ، ضيق وقتنا الشديد ، قررت اللجنة الا تتجاوز الكلمات والتقارير أكثر من ربع ساعة . وأرجو من أولئك الذين سيلقون تقارير او كلمات أن يأخذوا نقطا بموضوعاتهم . واذا كان التقرير طويلا جدا فسنقنع بقراءة ملخص له ، والنتائج التى خلص اليها .

وأرجو من السيد كيرهاردى أن يتولى الرئاسة الفخرية لهذه الجلسة (صيحات أعجاب وتصفيق) .

(يصعد السيد كيرهاردى ، الى المنصة ويجلس على يمين الرئيس) .

السيد الرئيس : المفروض ان يقدم لنا السيد **مصطفى عزت** فكرة عن العدل فى مصر ، وهو غير موجود ، فننتقل لمن بعده .

الكلمة للسيد **حامد العلايلى**، ليقرأ تقريرا بالانجليزية عنوانه : « مستقبل مصر ، الوجه الاخلاقى والثقافى للقومية المصرية » [٦]

[تصفيق حاد]

---

(٦) جاء فى تقرير حامد العلايلى :

« ان موضوعى ليس سياسيا فى طبيعته او مراميه .أنه اعمق من السياسة . وقد عزمت على القاء الضوء على بعض الجوانب الاخلاقية والفكرية لحركتنا السياسية لتقديرقوتها وتقديم كشف بمصادرها الاخلاقية والفكريه . فهذا التامل خليق بأن يبث الثقة فى نفس شعبنا وأن يدفعالاوربيين الى الايمان بالانتصار النهائى لحركتنا

« وسأحاول بعد ذلك ان اقدر طبيعة ومدى الخسائرالاخلاقية التي تلحق بمصر وبالعالم من جراء استمرار الاحتلال البريطانى . وسأحاول ان أصف التدهور الاخلاقىوالجمود الفكرى الحتمي الذى لابد وأن يتبع استمرار الحكم البريطانى لمصر . »

السيد الرئيس: باب المناقشة مفتوح .. ومن يريد الكلام فى الموضوع الذى ناقشه السيد العلايلى ينبغى عليه ألا يستغرق أكثر من ٥ دقائق •

السيد الدكتور محجوب ثابت الاستاذ المساعد السابق بمدرسة الطب بالقاهرة : أستطيع القول أن مواطننا مؤلف هذا الكتيب قد عالج كثيرا من الموضوعات الاقتصادية والاجتماعية والتاريخية، وحتى تاريخ العلم العربى •

ولقد تكلم كذلك — وهذا مايدفعنى الى قول بعض الاشياء — عن مسألة عزيزة جدا علينا ، ألا وهى نسبة وفيات الاطفال التى تتزايد أكثر فأكثر • لقد اوضح لنا ذلك فى صفحة ٢٤ ، وسآخذ على عاتقى غدا مهمة توضيح نتائج الاحتلال الانجليزى لمصر ، ذلك الاحتلال الذى يدعى قيامه بدور حضارى ورسالة انسانية فى هذا البلد ، أى مهمة توضيح تزايد نسبة وفيات الاطفال فى مصر ، ذلك التزايد الذى وصل حدا لم يبلغه فى أى مكان آخر ، حتى فى بناما ، وريو دى جانيرو وفى كل البلاد الواقعة جنوب خط الاستواء •

وأنا أذكر هذه البلاد لان سير الدون جورست قد أوضح فى تقريره الخاص بوفيات الاطفال ، أن نسبتها لدينا عالية • ولكن علينا ألا ننسى أن نسبة وفيات الاطفال فى البلاد الحارة مرتفعة جدا ، ونحن نزعم بأن نسبة الوفيات هنا ينبغى ألا تزيد عن أنجلترا ، حيث تبلغ بالكاد ١٢ فى المائة ، أو عن فرنسا حيث تبلغ ١٨ فى المائة فى عام ١٩٠٦ •

وقد استبعدت برلين والمانيا من كلامى حيث بلغت نسبة الوفيات فيهما ١٤ فى المائة ، وتناولت مثل بناما أو ريو دى جانيرو ، وهما بلدين استوائيين بلغت نسبة وفيات الاطفال فيهما ، مثيلتها فى بعض البلاد الاوربية ، وذلك بفضل جهود حكومتها التى تعمل بكل معنى الكلمة من أجل الصالح العام • ولقد أحضرت لكم معى مقالا كتبه انجليزى منصف ، هو الدكتور روس ، أخو استاذ ليفربول الشهير ، وكان روس يعمل مفتشا بمدينة القاهرة ، وقد أوضح فى مقاله أن الحكومة المصرية لم تفعل شيئا طوال العشرين عاما الاخيرة لتقليل نسبة وفيات الاطفال فى مصر • وسأستشهد هنا ببعض ماكتبه فى أحد المقالات التى نشرها فى «الجريدة الطبية البريطانية» [تصفيق]

السيد كير هاردى يتكلم بعض كلمات بالانجليزية •

السيد لطفى جمعة : لقد قال السيد كير هاردى أن وفيات الاطفال مسألة هامة جدا ، واشار كذلك الى وطنية المتكلم وشعوره الوطنى ، ولكنه أوضح أنه ينبغى على المتكلم وكل السادة الذين يودون المشاركة فى هذه المناقشة الا يخرجوا عن نطاق موضوع المناقشة •

السيد الرئيس : الكلمة للسيد **فؤاد حسيب** ليلخص لنا بالفرنسية تقرير السيد **مصطفى الشوربجى المحامى** عن الامتيازات الاجنبية فى مصر » [٧]

وقرأ السيد فؤاد حسيب ذلك الملخص •

السيد الرئيس : نفتح باب المناقشة : الا يطلب احد الكلمة ؟ ننتقل الان الى مذكرة السيد **وفيق** المحامى عن « التعليم فى مصر » [٨]

وبدأ السيد وفيق فى قراءة تقريره :

يقول السيد **كير هاردى** بضع كلمات بالانجليزية • (تصفيق مرة أخرى) •

السيد لطفى جمعة : ان السيد كير هاردى الذى يعتبر مسألة التعليم برغم عدم كونها مسألة سياسية احدى المسائل الهامة ، يعطى اهمية كبيرة جدا لمسألة تعليم المرأة ، حسنا جدا .. وحيث اننا قررنا فى العام الماضى فى المؤتمر الثانى للشباب المصرى فى جنيف ، ضرورة عقد مؤتمر فى مصر لمناقشة مسألة التعليم يعطى زمام المبادرة فيه للسيد كير هاردى ، ليبدأ فى وضع خطة لهذا المؤتمر ، لذا سيقدم لنا لهذا السبب ، عرض مختصر

---

(٧) يستعرض هذا التقرير تاريخ الامتيازات فى مصر من عهد السلطان الغورى عندما منح فرنسا امتيازات فى الاسكندرية وسوريا قبل ان يقدم على ذلك الباب العالى ويمنح امتيازات للدول الاوروبية فى مصر .

وبعد استعراض مستفيض للامتيازات الاوربية والخطوات والمناورات المختلفة التى لجأت اليها انجلترا لتشديد قبضتها على مصر واقصاء بقية الدول الاوربية ، يقول السيد « مصطفى الشوربجى » المحامى فى نهاية تقريره :

« لا شك اننا نتمنى ان ياتى اليوم الذى تصبح فيه ثقة اوروبا فى حكومتنا وفى قوانيننا وفى قضاتنا كافية حتى تطالب هى نفسها بالغاء الامتيازات ! وستكون هذه الثقة ذات قيمة كبيرة بالنسبة لنا ودليلا على الصداقة المتينة .. غير ان هذه الثقة لن تتواجد طالما ظلت البلاد محتلة وطالما ترفرف على مصر راية الحرية والاخوة والمساواة » ..

(٨) هذا التقرير وعنوانه « انجلترا والتعليم فى مصر » اقرب الى دراسة عن اوضاع التعليم فى مراحله المختلفة ، وهو يثبت بالارقام ان جميع هذه المراحل ، ابتداء من الكتاتيب حتى المعاهد العليا ، قد تاثرت بالاحتلال من حيث عددها ومستوى التعليم فيها . ويطالب الاستاذ وفيق رفعت المحامى فى نهاية تقريره بانهاء الاحتلال لرفع شان البلاد والقضاء على تدهور التعليم ..

جدا ، تفتتح عن طريقة باب مناقشة صغيرة فى هذا الموضوع ، سأبداها انا .

ان مشكلة التعليم لهى ذات اهمية كبيرة جدا ، فالتعليم من أفضل الوسائل التى نستطيع عن طريقها محاربة انجلترا وكل أعدائنا .

ولقد قال احد الفرنسيين العظام : « افتح مدرسة تغلق ١٠ سجون » وهو أمر تعلمناه اياه التجربة. اننا نجد فى اوربا أن الجريمة تقل فى البلاد التى ينتشر فيها التعليم . بينما وجدنا فى مصر ، فى وجود الاحتلال الانجليزى المرير ، أن نسبتها تزايد . ونجد فى نفس الوقت كذلك ، وعن طريق احصاءات صادقة ، أن التعليم يضعف ويتهاوى .

ففى سنة ١٨٨٢ ، وهى السنة التى بدأ فيها التعليم كانت نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة ٤ فى المائة . وفى هذا العام (١٩١٠) ، واستنادا الى التقرير الرسمى ، لم تبلغ نسبتهم سوى ٥ر٤ فى المائة . وهكذا فبعد ٣٠ عاما من الاحتلال البريطانى لم يزد التعليم سوى بنسبة ٥ر فى المائة بينما زاد عدد السكان زيادة ضخمة .

ولذا فعندما تدعى انجلترا ، أنها تعمل من أجل سعادة بلدنا، وأنها حملت اليها الثروة والمال ، اجاب عليها مكررا كلمات زعيمنا المحبوب مصطفى كامل :

« ان مصر ليست بنكا ، انها أمة » .

(تصفيق)

ولكى نعطى لمؤتمرنا طابعا فعالا وعمليا ، اقترح تكوين لجنة اليوم تحت رياسة السيد كير هاردى نفسه. ويشترك فى هذه اللجنة **فريد بك** رئيس المؤتمر ، والسيد **هاوبتمان** عضو البرلمان البروسى والمدرس بجامعة فريبورج ، والسيد **احمد لطفى بك** المحامى المصرى ، وعددا من اعضاء لجنة المؤتمر . وتجتمع هذه اللجنة اليوم او غدا لتضع الخطة الاولى لمؤتمر التعليم الذى ينبغى عقده فى القاهرة فى نوفمبر القادم ، وتقدم لنا غدا قرارا خاصا ، يوضح لاوربا لا بالاقوال وانما بالافعال ، اننا شعب يسعى من اجل حريته ، وانا نود ان نكون جديرين بهذه الحرية (تصفيق) .

السيد احمد بك لطفى : اذا كنت قد اخذت الكلمة ، فذلك لاننى أود بالتحديد ، مناقشة مشكلة التعليم ، أقصد تلك المبادرة الخاصة بعقد مؤتمر فى مصر .

وانا ارى بالطبع ان تكون باسرع مايمكن لجنة تحت رئاسة السيد كير هاردى ، لانه كان مكلفا فى العام الماضى فى مؤتمر جنيف بالاهتمام بمشكلة التعليم

ولذا فانى أضم صوتى الى صوت صديقى جمعة مؤيدا اقتراحه بالنسبة للمؤتمر . ولكنى أود أولا السؤال عن هدف مؤتمر التعليم وما هى الاساليب التى سوف تستخدم فى هذا المؤتمر ــ حسنا جدا .

واقترح أن يقوم هذا المؤتمر الذى سيعقد فى مصر ، ببحث اسرع السبل ،وافضلها للوصول الى تعليم عام بقدر الامكان ، واختيار برنامج سليم ، وان يعمل بالقرب من أهل البلد من أجل قضية مشتركة وعامة .

سيداتى ، سادتى ، المسالة ليست صعبة فى مصر . لقد حرمتنا الحكومة من التعليم ، ولكننا وجدنا اناسا بالغى الكرم من بين صفوف الشعب ، دفعوا اموالا كثيرة ، منذ ثلاثة او اربعة سنوات فقط ، لانشاء جامعة فى مصر . وهى أول جامعة تنشأ فيها منذ الاحتلال . وهذا العمل كان بمبادرة خاصة تماما . وهو يسير سيرا حسنا . ولكنه لم يكن من أجل الشعب ، لان ما يدرس فيها هو التعليم العالى فحسب . ويتخرج منها المدرسون والادباء ورجال القانون . ولكن الفلاح البائس محروم من التعليم

وبالاضافة الى تلك الجامعة ، انشأ الحزب الوطنى فى مصر ، تعليما عاما ، تعليما للعمال فى مدارس شعبية . واستطعنا خلال عام أن نكفل تعليما أوليا لاكثر من ١٢٠٠ شخص

وكلى أمل ، سيداتى سادتى ، اننا سنستطيع بمساعدة السيد كيرهاردى ، أن ننشىء اللجنة ، أولا بهدف بحث أفضل السبل لنشر التعليم فى مصر ، ثم وضع برنامج يتفق مع حالة الشعب الاجتماعية والثقافية ، ومع احتياجاته ، ثم فى المحل الثالث ، لبحث أفضل السبل لانشاء صندوق عام يخصص لجمع النفقات الضرورية [تصفيق]

يتكلم السيد **سامى افندى** بضع عبارات بالعربية .

السيد لطفى جمعة : يقول السيد **سامى افندى** انه توجد بالقاهرة فى مصر مدارس لتعليم البنات ، ولكنه شديد الاسف ، لان هذه المدارس لا تعلم الفتيات الا حتى سن الثانية عشرة . والمنهج الدراسى الذى يتلقينه أولى بدائى الى أقصى حد ويقترح ضرورة انشاء مدارس تعمل على تنشئة وتشكيل الشخصية الفردية والاجتماعية للفتيات ، بحيث لا تتوقف دراستهن عند الثانية عشرة ، وانما تستمر حتى السادسة عشرة أو السابعة عشرة ، أى حتى تصبح الفتاة ناضجة ، وقادرة على ادارة شئون منزلها [تصفيق]

وهو يقترح ضم بعض الاعضاء الذين يخصصون لمناقشة تعليم المرأة ، الى اللجنة التى تكلمنا عنها للتو (تصفيق)

يتكلم السيد طه العبد بالانجليزية [تصفيق حار]

السيد لطفى جمعة : يقول الاستاذ طه العبد ان التعليم هو أساس الحياة الاجتماعية والسياسية للامم • وانه ينبغى تسمية وزارة المعارف العمومية فى مصر ، بوزارة تثبيط الهمم • فالى جوار جيش الاحتلال الموجود فى مصر فى الوقت الحالى ، يوجد هناك جيش آخر ، أكثر خطرا على حياة مصر الاجتماعية والقومية ، ألا وهو جيش المدرسين الانجليز الذين أحضروا الى مصر باعداد كبيرة على الدوام • والتعليم فى مصر مؤسس وفق نظام سىء جدا ، وضار جدا بتكوين شخصية الشباب المصرى • والاكثر من ذلك ، ان الانجليز ، يسيئون معاملة الطلبة المصريين فى جامعاتهم الحرة فى انجلترا نفسها • وقد قال اللورد كرومر بنفسه ، انه لخطأ كبير من جانب الحكومة الانجليزية ، أن تسمح للطلبة الشرقيين ، والمصريين بخاصة ، أن يأتوا لتلقى العلم فى انجلترا • وكان يخشى أن يعود هؤلاء الطلبة الشديدى الذكاء الى بلادهم بعد ان تلقوا العلم فى منابعه ، مشبعين بنظريات سياسية يمكن أن تحطم السياسة الاستعمارية •

وأضاف السيد طه : بما اننا فى مصر مضطهدون من حكومة الاحتلال ، وفى انجلترا تساء معاملتنا ، لذا يطلب من الاحزاب السياسية فى مصر أن تتحد حول هذه النقطة وتكون وزارة قومية للتعليم تسير بفضلها قضية تعليم الفلاح سيراحسنا . فبهذا الاسلوب وحده ، يمكن انقاذ الامة العربية من تاثيرات انجلترا المثبطة لهممنا [تصفيق]

تصعد السيدة **كاما** على المنصة وسط عاصفة طويلة من التصفيق • وتلقى خطابا بالانجليزية ، كانت تقاطعه فى الكثير من المرات ، صيحات الاعجاب • وقوبلت فى ختام كلامها بعاصفة طويلة من التصفيق

السيدلطفىجمعة : سيداتى ، سادتى ، لن أستطيع ، أن أكون فى مثل بلاغة وتأثير السيدة كاما ، التى أضافت الى جانب بلاغتها الشديدة ، جاذبيتها ومغناطيسيتها ، التى اثرت علينا جميعا بالغ التأثير •

وقد بدأت السيدة كاما كلامها بشكركم على تكرمكم بالسماح لها بالكلام فى المؤتمر •

وهى تقول انه لا ينبغى ان تنتظروا منها تقديم افكار غير عادية ، وانها ستتكلم ببساطة باحساس المرأة القلبى ، ستتكلم بطريقة نسائية •

انها تسالكم ، ايها المصريون ، اين نصف سكان مصر •

اذا كان النصف الاول من سكانها هم الرجال ، فاين هن اذن الامهاتوالاخوات ، والزوجات؟ [صيحات اعجاب]

وتقول كذلك أنه ما دامت أم الوطن تعاني ، فلا ينبغى على أبناء هذا الوطن قط أن ينعموا بالسعادة • اذ ينبغى عليهم أن يعملوا جميعا معامن اجل قضية الحرية • وتقول انه لا ينبغى قط احتقار اليد الحانية ، البيضاء والدقيقة للمرأة التى تهدهد طفلها ، لانها هى ، المرأة ، التى تشكل شخصية الرجل •

ان العمل من أجل الحرية مهمة نبيلة ، ولكنها مهمة صعبة جدا • الحرية لا يمكن اكتسابها قط بنصف الامة ، انها تتطلب جهدا مشتركا من الرجال والنساء [صيحات اعجاب] .

واذا دفعتم بالرجل فقط الى الامام ، وتركتم نصف الجيش ، خلفكم ، فماذا سيكون الموقف ؟ أى فقدان للتناسب والتوازن يمكن ان يصيب الشعب المصرى ، بين الرجل الذى يعلو بفكره وارائه الى السماء ، والمرأة التى تقعد قابعة على الارض [تصفيق]

وهى تقدم لنا نصيحة فيما يتعلق بالزواج من أجنبيات ، أى عندما يتزوج مصرى أو هندى من سيدة اجنبية • وهى تعلن بادىء ذى بدء ، اننى لااود ان اقول اى شىء مضاد لاخواتى من الامريكيات أو الاوربيات ، اذ أننى اقدرهم تقديرا كبيرا من هذه الناحية ، ومن ناحية أخرى فلست قومية الاتجاه ، ولكننى أممية ، وسأعتبره يوما سعيدا بالنسبة لى ، ذاك الذى أسمى فيه بالمواطنة العالمية !

ولكن قبل ايجاد هذه الروح الاممية ، هذه الحياة الانسانية المشتركة ، ينبغى ان توجد الامم ، والسمات الفردية ، والشخصية المتميزة •

لهذا السبب ، لا تنصح السيدة كاما المصريين بالزواج من نساء اجنبيات ، لان ذلك ، حسبما تقول ، غزو أجنبى جديد ، ويكفينا الغزو الموجود حاليا • (تصفيق) •

وتقول أنه من غير المعقول التفكير فى تكوين أمة مصرية بالفعل ، بازواج فرنسيين لبناتكن او بزوجات فرنسيات للرجال المصريين • ان التاريخ يعلمنا ان زيجات كهذه تكون مفعمة دوما بالصعاب والوان الشقاء • وتضيف « اننى أتكلم بحسن نية ، فلست » أرملة طروب » (ضحكات) •

واذا كانت تدافع عن قضية الفتيات المصريات أو الهنديات ، الا انها لم تسع قط للحصول لنفسها على زوج ، ولكنها تسعى من اجل ايجاد ازواج ورجال للفتيات الهنديات والمصريات ولكن لماذا ؟ من أجل خلق جيل

جديد قومي تماما ووطني تماما . (صيحات أعجاب) :

وهي تقول ان مشكلة التعليم ، مشكلة قومية ، وقد انتقلت بعد ذلك من مشكلة التعليم الى المشكلة السياسية . وهي ترى ان برنامج هذا المؤتمر ، برنامج دستوري . وليس لديها ماتقوله ضد تلك الحقيقة . وهي تعلم ان أي حركة نحو النور والحرية ، في كل الامم والبلاد ، انما تبدأ على الدوام بطلب دستور . لماذا ؟ لان الدستور معناه الاعتراف بحقوق الانسان ، وأول شيء يفكر فيه انسان حر ، هو الدفاع عن حقوقه الطبيعية . ولكنها تقول : ان الحقوق الانسانية ينبغي ان تتحقق أولا ، وتضرب لنا مثلا بالامةالهندية . فمنذ ٢٥ عاما يعقد كل عام مؤتمر قومي ، تجرى فيه المطالبة بتكوين لجان لتعليم الشعب الهندي . ولكن هذه اللجان لم تفعل شيئا . لماذا ؟ لقد أثبتت التجربة انه لا يمكن قيام التعليم في أمة تسيطر عليها أمة أخرى . (تصفيق) .

اذا اردتم الحصول على الحرية ، فعليكم ان تقدروا الثمن الذي ينبغي عليكم ان تدفعوه من أجلها . ان الحرية تتطلب ثلاث مطالب : المعاناة والتضحية والدم (تحدث حركة في المؤتمر) .

ان الحرية ليست هدية تمنح ، أو منحة تعطى ، وانما هي شيء يكتسب ويؤخذ . ولا توجد أمة حصلت على حريتها بالكلام . ينبغي دائما العمل على كسب الحرية وشن النضال من أجلها .

وحينئذ قال السيد كيرهاردي ، رئيس الجلسة ، للسيدة كاما : ينبغي ان ترجعي الى موضوعك . واستجابة لكلام الرئيس ، قالت : حسنا جدا . لقد وددت أن أقرر ان تعليم أمة لا يمكن ان يكون الا من عمل هذه الامة . وأول واجب على الامة ، اذا ماكانت تريد تثقيف ابنائها وتربيتهم هو اعطاء الدروس الاولى للاطفال عن حب الحرية ، والوطن ، حب تاريخنا وحضارتنا . فاذا كان لانجلترا حضارتها ، فقد كان لمصر والهند هما ايضا حضارة أفضل ، واعظم بكثير ، واكثر تألقا . [تصفيق] .

السيد كيرهاردي : لدى في القائمة ٥ متكلمين آخرين فلا ينبغي ان يتجاوز اى عضو مدة الخمس دقائق .

يلقى السيد **هار ديال** كلمة بالانجليزية . وكانت تقاطع بالتصفيق في كثير من الاحيان . آخر كلماته بالفرنسية كانت : « لا تثقوا بالاجانب » (تصفيق متواصل] .

السيدلطفيجمعة : ان نصف هذا التصفيق موجه ضدى، حسبما رأيتم من ترجمة كلمة السيد هار ديال .

فقد قال ان الخطوة التي نخطوها الان ، بنسيان مشكلة التعليم ، خطوة خاطئة .

لا ينبغي ان يشكو الطلبة المصريون قط من اساءة معاملتهم في جامعات انجلترا الحرة ، لانه اذا اسيئت معاملتهم في اى جامعة ، في اى بلد كان ، فالعالم واسع . ويستطيعون الذهاب الى المانيا ، أو فرنسا ، ويستطيعون عبور البحار من أجل التعليم .

وقد وصف السيد هار ديال اقتراحي ، بأنه اقتراح حزين ، ذاك الذي يرى تكوين لجنة عالمية من أحد الفرنسيين وأحد الانجليز وأحد الالمان . وقال ان التفكير في جعل التعليم وطنيا في الوقت الحالي ، بهذه الطريقة ، معناه وضع الحصان قبل العربة .

فاذا أردتم تعليم الاطفال في هذه المدارس وتربيتهم على حب الحرية ، فان الانجليز الشديدى الوعي والشجاعة سيحطمون ويلغون في الخمس سنوات القادمة كل المدارس التي تنشئونها ، وذلك رغبة منهم في المحافظة على سلطتهم في مصر ، لانهم يعلمون جيدا ان التعليم هو سلاحكم الوحيد من أجل نيل الحرية .

ويقول ان تعليم أمة ليس سلاحا اساسيا لنيل الحرية ، بما ان « أمبوما » حيث لا توجد أمية بين الرجال والنساء ، قد أمكن غزوها بدون اية مقاومة . ويضرب مثلا بانجلترا ، ويقول انه عندما أقرت في سنة ١٨٣٢ ، وثيقة الاصلاح وهي مشروع القانون الذى كفل حق الاقتراع العام في انجلترا ، لم يكن يعرف القراءة والكتابة من الانجليز سوى ١٠ في المائة من السكان . ولم يكن الجهل بالنسبة للشعب الانجليزي مانعا من خوض معركة الحرية ، كذلك لم ينجح العلم والتعليم في أمبوما ، في رد الغزاة الاجانب . وافضل شيء هو ان نغرس في المصريين حب الحرية قبل كل شيء ، وان نركز كل جهودنا من أجل شيء واحد ، ألا وهو الجلاء عن مصر . وانهى كلمته قائلا : « لا تثقوا بالاجانب »

لكنني يجب ان أرد في كلمتين على صديقي هارديال : بوجه السيد الرئيس بعض كلمات بالانجليزية .

السيد لطفي جمعة : ليسمح لي السيد الرئيس كير هاردى ان أوجه له بضع كلمات للرد باعتباره صديق هارديال ، فقد قال لكم : يجب الا تثقوا بالاجانب . ولكن أمامنا عمل يجب ان ننجزه هنا في المؤتمر الوطني المصرى . هو انارة أوربا بالحقائق . لقد دعونا العديد من الاوربيين والاوربيات لكى نعبر لهم عن تعاستنا ، ولكى نشرح لهم موقفنا السياسى والاجتماعى

الحاليين . ومن المهم ان يحاط هؤلاء الاجانب علما بحركتنا الوطنية والعلمية ، والاجتماعية والسياسية . ذلك هو ردى على صديقى هارديال . (**تصفيق**) .

السيد حسين هيكل : سيداتى ، سادتى ، ان الكلام عن تعليم الفتيات أشد اثارة للاهتمام من الكلام عن تعليم الفتيان ،لان الفتاة هى أساس العائلة ، والعائلة هى التى تكفل الاستقرار . وبهدم العائلة يمكننا هدم كل شئ . لقد سألت السيدة « كاما » : اين توجد اخواتنا الشابات ، وبناتنا الخ .. ؟ وردا عليها يمكننا ان نقول : انهن فى بيوتهن ، ولا يهتممن بالسياسة . [مقاطعة]

السيد الرئيس : هذاليس فى صلب الموضوع اذ ينبغى علينا التكلم فى موضوع تعليم المرأة . لا تخرج عن الموضوع ، والا سحبنا منك الكلمة ، تكلم فى موضوع تعليم المرأة .

السيد حسين هيكل : السيد الرئيس يذكرنى بموضوع تعليم المرأة . هناك كلمة أخرى أود ان اقولها . يجب القول ان المرأة فى مصر اليوم ، أحسن حالا منها منذ بضعة سنوات . كنا نقول منذ ٤ أو ٥ سنوات ان المرأة لا ينبغى ان تتلقى التعليم لانها عن طريق التعليم تستطيع كتابة الخطابات الغرامية الخ ، وبذا يصبح الوضع اكثر تعقيدا عن ذى قبل (احتجاج) .

السيد الرئيس : كفى كفى

السيد عبداللطيف الصوفانى يطلب ترجمة كلمة السيدة « كاما » الهامة جدا الى اللغة العربية .

ويقوم السيد لطفى جمعة بترجمته [تصفيق]

السيد محجوب ثابت : اننى أطلب من السيد الرئيس السماح لى بمناقشة مسألة تعليم المرأة ، اذ اننى قد اعددت تقريرا .

السيد الرئيس : الموضوع نوقش ..

السيد محجوب ثابت : لقد طلبت الكلمة منذ ربع ساعة .

السيد الرئيس : فى الوقت الحالى ، علينا أن نناقش مسألة التعليم الطبى فى مصر ، والمناقشة فى موضوع تعليم المرأة قد اغلق بابها

السيد محجوب ثابت : انى آسف لان طلبى الكلام حول موضوع تعليم المرأة ، لم يحز القبول وسأتكلم عن موضوع تعليم الطب فى مصر [٩]

السيد الرئيس : لقد امدتنا أنسة مصرية بافادة مكتوبة حول تحرر مصر والقضايا السياسية المرتبطة بهذا التحرر وأعتقد ان هذه هى أول وجهة نظر تصل من أنسة مصرية الى مؤتمر وطنى او دولى ، وانى لاشعر بسعادة غامرة فى ان يقوم السيد فؤاد بقراءة هذه الافادة لان الانسة لم تستطع المجىء الى هنا وقراءتها بنفسها طبقا لتقاليد البلاد .

يقرأ السيد فؤاد الافادة [١٠]

السيد كير هاردى : يلقى كلامه بالانجليزية .

السيد الرئيس : رفعت الجلسة وسنجتمع غدا الساعة التاسعة والنصف ولا تزال امامنا موضوعات هامة جدا ، علينا مناقشتها . المالية ـ الجيش ـ حياد مصر الخ ... الصحة العامة ـ الامن الخ ... وأطلب منكم جميعا ان تلتزموا بالمواعيد بدقة ، وان تلتزموا جميعا بالحضور .

(رفعت الجلسة فى الساعة الخامسة وخمس واربعون دقيقة) .

[نواصل نشر وثائق المؤتمر فى العدد القادم]

---

(٩) كان الدكتور محجوب ثابت يعمل استاذا مساعدا بمدرسة طب القاهرة عندما قدم هذا التقرير التفصيلى عن المدرسة التى اشتغل بها لمدة عامين . وهو يقول فى تقريره أن المدرسة مرت خلال العشرين عاما [منذ انشائها عام ١٨٩٠ حتى كتابة التقرير] بثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : من ١٨٩٠ حتى ١٨٩٨ ، وكان التدريس فيها يتم باللغة العربية اساسا ، باستثناء استاذ أو اثنين كانا يستعينان بمترجم عربى .

المرحلة الثانية : من ١٨٩٩ حتى ١٩٠٥ ، حيث بدأت عملية التصفية التدريجية للاساتذة المصريين واحلال الاساتذة الانجليز محلهم .

المرحلة الثالثة : من ١٩٠٥ حتى كتابة التقرير : وقد تقرر فيها ربط مؤهل مدرسة الطب بالدبلومات الانجليزية بحيث اصبح يتعين على الاساتذة المصريين القلائل ان يدرسوا موادهم باللغة الانجليزية .

(١٠) كتبت هذه الرسالة للمؤتمر الانسة انشراح شوقى ابنة مصطفى شوقى المستشار بمحكمة الاستئناف الوطنية . وتطلب فيها انهاء الاحتلال الذى فرضته انجلترا على مصر « لحماية السلطة الخديوية من قائد عسكرى متمرد ، وللحفاظ على الامتيازات والضمانات الممنوحة لاوروبا . وقد مضى ٢٨ عاما على هذا الاحتلال منذ احداث ١٨٨٢ المشئومة . وتحقق الهدف ، الا ان الاحتلال لا يزال قائما على ضفاف النيل ، اننا نطالب بكل قوانا ، بانهاء هذا الاحتلال الذى لم يعد له أى مبرر » .

وجدير بالملاحظة ان هذه الرسالة ذات طابع سياسى بحت ، ولم تتعرض لوضع المرأة المصرية .


Port-Said
MENTHOLATED
FILTER CIGARETTES
بورسعيد!!
نموذج رائع
للسجاير المصرية
الفاخرة
بالمنتول ..

مطابع مؤسسة الاهرام



٥

مايو ١٩٦٩ - السنة الخامسة

■ ملاحظات لمنظمات المقاومة

وحدة الطبقة العاملة ضد الاستعمار والعنصرية

الأدب المصرى بعد الخامس من يونيو

منظمة الشباب

دروس التجربة .. إعادة البناء .. التثقيف السياسى

[حوار بين ممثلى المنظمة وأسرة الطليعة]

ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية: بداية الكفاح ضد الصهيونية

مشاكل القوى الاجتماعية داخل التحالف الوطنى

متى نرفع الكاميرا فى وجه العدو؟



طـريق المناضلين الى
الفـكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
عبد المنعم القصاص

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦٤ ـ ٥٩٠١٠ ـ ٥٩٥٦٠

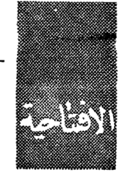
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد الخامس ـ السنة الخامسة ـ مايو ١٩٦٩

ان ((الطليعة)) ميدان مفتوح لكل رأى حر ، وفى اعتقادنا أن تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية أصيلة .

من هذا المفهوم تفتح ((الطليعة)) صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها ـ مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتيرفى القرن الثامن عشر ((قداختلف معكفىالرأى ولكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك))



٣ ملاحظات لمنظمات المقاومة

أعتقد

اننا ننطلق من نقطة بداية موضوعية، اذا قلنا : ان مقاومة الاحتلال الاستيطاني الصهيوني وتصفيته جذريا، هو جوهر مسئولية « الجيل المعاصر» في وطننا العربي. وبدون انجاز هذه المسئولية، والخروج بها من دائرة الامل والارادة الى دائرة الفعل والواقع، فان جيلنا لن يستطيع قط ـ ورغم كل اضافاته ـ ان يبرر وجوده تاريخيا .

ماذا نقصد « بالجيل المعاصر » ؟

الجيل المعاصر ـ **كخط اول في التحديد** ـ هو جيل السلطة والقيادة والانتاج ـ ماديا وفكريا واجتماعيا ـ في كل اجزاء الوطن العربي دون استثناء . بمعنى انه الجيل الذي يتحمل مسئولية حركة « ادارة الحياة واتراتها » في البلاد العربية . وهو بالتالي ـ **كخط ثان في التحديد** ـ ذلك الذي شرع يتفتح لتحمل المسئوليات بعد الحرب العالمية الثانية . ويتراوح عمره الان بين العشرين والخمسين عاما . وهو ايضا ـ وهذا هو **الحد الثالث في التحديد** ـ الجيل الذي اختمرت فيه وتفجرت منه وبه ، حركة التحرر العربية المعاصرة ذات الافاق التقدمية . حيث تتزاوج اهداف التحرر من الامبريالية والاستعمار القديم والجديد ، مع اهداف التوحد القومي للشتات العربي الممزق ، مع اهداف تحرير الانسان العربي من الاستغلال ومفاهيمه ونظمه واخلاقياته . وذلك بديلا عن حركة التحرر العربية التقليدية ، فيما بين الحربين العالميتين ، المحدودة النفس والقدرة ، حيث كانت اقصى اهدافها تقف عند الحصول على الاستقلال السياسي الشكلي .

صحيح ان جيلنا ، كان في غالبيته على اعتاب المسئولية ، حينما ورث في نهاية

الاربعينيات الكيان الصهيونى فوق فلسطين المنهوبة الممزقة ، وذلك ضمن ماورثه من قيود استعمارية ، وقواعد عسكرية ، واحتكارات اجنبية ضخمة ، ونظم اقطاعية واخرى شبه اقطاعية شبه رأسمالية ، واوضاع وفكريات متخلفة ٠٠

وصحيح ان جيلنا ، استطاع ان يوجه ضربات قاتلة الى الوجود الامبريالى والاستعمارى فى الوطن العربى ، وان يصفى العديد من القواعد العسكرية والاحتكارات الاجنبية ، وان يحقق تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية تقدمية فى عدد من الاقطار العربية ٠٠

غير ان هذا كله لا يحجب اليوم حقيقة ان « الكيان الصهيونى » — وهو اخطر تجسيد للوجود الامبريالى ، والنفوذ الاستعمارى العنصرى فى المنطقة — قد توسع الى ماهو اكثر من اربعة اضعاف حجمه عام ١٩٤٨ ٠ وذلك نتيجة الهزيمة التى منى بها هذا الجيل عام ١٩٦٧ ٠

وهذا الكيان — كما اثبتت الاحداث — لايلتهم فلسطين فحسب ، بل يقصد ضم اجزاء اخرى شاسعة من لبنان وسوريا والاردن والعراق والسعودية ومصر ، تحقيقا لما يسمى « باسرائيل الكبرى » ٠ أو « ملكوت اسرائيل الثالث » .

ويعمد فى نفس الوقت الى قطع الطريق » بكل الوسائل — بما فى ذلك العدوان المسلح — على تقدم الوطن العربى ووحدته القومية ٠

ومن هنا ، فان القضية « فلسطينية » فى المنطلق ، « عربية » فى الابعاد والجوهر ٠ والمهم الان هو الوصول الى الصيغة الصحيحة والملائمة لممارسة مسئوليات جيلنا فى النضال ضد هذا « الكيان الصهيونى » دون ماتورط فى عداء عنصرى ضد اليهود ٠

واذا كانت « المقاومة الفلسطينية » بابعادها السياسية والمسلحة قد تفجرت كطليعة حقيقية وطبيعية للنضال ، فان ذلك يجب ان لا يحول دون مشاركة القوى العربية بكل ثقلها ٠ فالقضية ايضا وبنفس الدرجة هى قضيتها ٠ بل ان الطليعة الفلسطينية لن تستطيع — وحدها — ان تواصل المعركة بحسم ، دون تجنيد مباشر ومكثف للقوى الاستراتيجية العربية ، وذلك بنفس منطق واسلوب المقاومة ٠

وصحيح ان هذا هو مسئولية القوى العربية جميعا ٠ لكنه ايضا وفى نفس الوقت مسئولية القوى الفلسطينية بطلائعها ٠ وهنا تتبلور **الملاحظة الاولى** لمنظمات المقاومة الفلسطينية ٠

لقد كان المأزق الخطير قبل حرب ١٩٦٧ ، هو عدم توافر الطليعة الفلسطينية للنضال ، بوزن فعال ومؤثر ٠ اما الان فان المأزق الخطير ، بعد تجسد هذه الطليعة بقوة قادرة نسبيا ، هو عدم انفتاح « المقاومة » للقوى العربية فى تناسق محكم ، ودون اهدار للاستقلال الذاتى ، وحرية الحركة للشعب الفلسطينى وطلائعه ٠

والواقع ان عدم الاهتمام — نظريا وعمليا — بهذه النقطة الجوهرية فيه اهدار لتجميع القوى الاستراتيجية الضاربة فى المعركة ، وايا كانت الصعوبات والحساسيات ، فان وقتا يجب ان لا يضيع فى الوصول عمليا ، ودون اعلان دعائى ، الى اثراء « المقاومة » بالجهد العربى الشامل .

وثمة ملاحظة اخرى ، يكشف عنها الواقع الراهن • وهى ملاحظة تتعلق بحماية منظمات المقاومة • وبالدقة حماية ظهرها وهى تواجه العدو كل لحظة فى معركة الحياة والموت • وذلك بعد تعرضها فعلا للمخاطر التى لاتزال قائمة •

صحيح ان عواطف ومشاعر الجماهير العربية فى كل مكان تحوط بالتقدير والحب والمساندة ابناء المقاومة وبناتها • ولكن هذه العواطف والمشاعر لاتعطى ثمارها الا بالتنظيم • ومن هنا يصبح ضروريا وحتميا ،مع تطور حركة المقاومة عمليا وفكريا واتساع نطاق عملياتها ، وبالتالى تزايد مشاكلها وتنوع الضغوط السياسية والمالية عليها ، ان تنظم المساندة الجماهيرية العربية فى وعاء قادر على الحركة بسرعة وفاعلية ، وعلى مواجهة الضغوط ايا كانت اشكالها ومصادرها • والحق انه ليس هناك ـ فى ظروفنا الراهنة ـ ماهو الزم من بناء ـ ما سبق ان نادينا به مرارا فى الطليعة ـ من بناء جبهة عربية جماهيرية من حول هدف واحد ووحيد ، وهو حماية المقاومة الفلسطينية •

وهذه الجبهة من شأنها ـ بجانب حماية الظهر ـ ان تقوى من عامل « وحدة العمل » • بين منظمات المقاومة من ناحيه ،وتأمين مطالبه المادية من ناحية الاخرى ، ومواجهة مايثور بين آن وآخر من مزايدات ومساومات حول العمل الفدائى ، من ناحية ثالثة •

واما الملاحظة الثالثة التى نود ان نتوجهبها الى منظمات المقاومة ، فهى فى التأكيد على تجنب مزالق الصراعات المفتعلة مع القوى الحليفة والصديقة فى المعركة • ونعنى بها البلاد الاشتراكية عامة والاتحاد السوفيتى خاصة •

لقد اثبتت الاحداث والتجارب ، ان هذه القوى الحليفة والصديقة ، وقفت معنا دائما ـ سياسيا وماديا وتسليحيا ـ فى جميع معاركنا ضد الاستعمار والعدوان الصهيونى •

وليس سرا ان السلاح المادى الذى نحاربه العدوان الصهيونى الامبريالى ، هو سلاح سوفيتى • فى حين ان السلاح الذى يحاربنا به العدو هو سلاح امريكى خاصة وغربى عامة •

قد يكون هناك ـ فى الظروف الراهنة ـ خلاف بين منظمات المقاومة وبين القوى الحليفة حول بعض النقاط ، وخاصة فيما يتعلق بالمصير النهائى للكيان الصهيونى • ولكن المعركة من حول الكيان الصهيونى مازالت طويلة وممتدة • وبقدر مانستطيع ان نصمد فى المعركة ونحققه من نتائج ايجابية ،وبقدر ماتقدمه خلال المعركة من ممارسة فعلية لخط التمييز بين اليهودية والصهيونية ، بقدر مايزداد اقتراب القوى الحليفة من موقفنا وقناعاتنا الفكرية •

ومايهمنا تأكيده الان ، هو ان ما بين القوى الفلسطينية والعربية المناضلة ، وبين القوى الحليفة وخاصة الاتحاد السوفيتى ،من نقاط مشتركة ، اكثر واعمق ، من نقاط الخلاف •

فكلتا القوتين تستهدف ـ فى الاساس ـ ضرب وتصفية الامبريالية والاستعمار القديم والجديد والعنصرية • ومن هنا تتوحد الاهداف الاسراتيجية لهما •

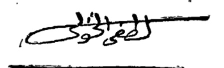
وكلتا القوتين تستهدف ــ عمليا ــ تحقيق التحرر العربى الكامل والشامل من النفوذ الامبريالى والاستعمارى ، وقواعده العسكرية • وفى هذا ابعاد للخطر عن حدود الاتحاد السوفيتى • ومن هنا تتوحد المصالح المشتركة الراهنة لهما فى صمود العرب وتخطيهم لهزيمة يونيو ١٩٦٧ •

ويبقى ، فى النهاية ان القدرة الفلسطينية والعربية ، هى التى ستحسم فى النهاية مصير الكيان الصهيونى المتجسد فى اسرائيل ، وامكانية بناء بديل حقيقى له واكثر تقدما ، وهو الدولة الفلسطينية الديمقراطية التى لاتفرق بين مواطنيها من العرب واليهود •

ورغم الاختلاف الجوهرى فى طبيعة امريكا كحليف للكيان الصهيونى ، عن طبيعة الاتحاد السوفيتى كحليف للشعب الفلسطينى والشعوب العربية ، فاننا نرى كيف تحرص اسرائيل على توثيق تحالفها الصهيونى الامريكى ، وذلك باعتباره عاملا لا غنى عنه فى المعركة •

وبنفس القدر ، هدفا ومصلحة ، فان التحالف العربى السوفيتى ، هو ايضا عامل لا غنى عنه فى المعركة •

ومهمتنا بالتالى هى توثيق هذا التحالف ، مع استمرار الحوار المسئول مع الحليف ، من ارضية صديقة ، للوصول الى قناعة فكرية وعملية موحدة من القضية • وفرق شاسع بين هذا الحوار ووسائله ، وبين الانزلاق الى تناقضات غير مجدية ، تضعف ــ موضوعيا ــ من تماسك قوانا الضاربة والحليفة ضد العدو ، فى هذه المرحلة الخطيرة من المعركة •



مشاكل القوى الاجتماعية

داخل التحالف الوطني



ميشيل كامل

مفهوم

التحالف الوطنى يخضع ــ كغيره من المفاهيم ــ للموقع الطبقى ، وزاوية الرؤية التى ترصد منها كل طبقة هذا « المنظور » ، ويعكس وجهة نظر القوى الاجتماعية المتباينة من قضية السلطة . والمسار الطبيعى لعملية الصراع الطبقى يجعل كل طبقة تسعى الى احتلال موقع الصدارة وتولى المركز القيادى فى هذا التحالف ، خاصة الطبقات « الاساسية » فى المجتمع .. قطبا الصراع : الراسمالية والطبقة العاملة .

كما أن **الصيغة الرسمية المعلنة** للتحالف هى محصلة لعلاقات القوى بين الطبقات المتصارعة ، ووزنها الاجتماعى والسياسى فى مرحلة معينة من التطور .

أما **تشكل التحالف** وطبيعته الواقعية فى الممارسة العملية ، والصورة التى يطبق بها فرهن بالقوة الاجتماعية السائدة والتى تمسك بزمام السلطة الحقيقية بين ايديها :

وقبل ان نخوض فى تحليل طبيعة التحالف الوطنى لقوى الشعب العاملة فى بلادنا ، يجدر بنا ان نتفق على قواعد عامة ، و « بديهيات » نظرية هى خلاصة التجربة الانسانية المعاصرة . وفى مقدمة هذه النقاط :

● ان العلاقة بين قطبى الصراع فى المجتمع تظل دائما عدائية ، بحكم المصالح المتناقضة جذريا ، فليس من المتصور ان تتولى الرأسمالية قيادة تحالف لهدم الرأسمالية ، واجتثاث جذورها والقضاء على الاستغلال . ان اقصى ما يمكن ان تحققه اى فئة من الرأسمالية ـ بما فى ذلك يسارها «المتطرف» .. البورجوازية الصغيرة ـ لا يتعدى بحال من الاحوال حدود **الثورة الوطنية الديمقراطية** . والقوى الاجتماعية الوحيدة القادرة على **قيادة** عملية التحول من المجتمع الرأسمالى الى المجتمع الاشتراكى هم العمال .

● والقول بأن البورجوازية بكل فئاتها غير قادرة على قيادة عملية البناء الاشتراكى ، لا يعنى على الاطلاق الانتقاص من طابعها الوطنى ودورها الثورى ، او افتئات على امكانية كسب قطاعات كبيرة منها ، الى جانب التحول الاشتراكى . الا انه يجب ان نميز بدقة وحسم بين **القدرة على القيادة والقابلية للمشاركة** ، فالرأسمالية الوطنية رغم عجزها عن القيام بمهام قيادة المجتمع فى طريق التحول الاشتراكى ، يمكنها ان تلعب دورا ايجابيا فى هذا المجال فى ظل قيادة اشتراكية علمية .

● الاشتراكية هى نظرية الطبقة العاملة ، وهى القوانين العلمية التى ترشدها الى طريق خلاصها وتحرير الشعب بأجمعه من جميع صور الاستغلال . ورغم ان هذه النظرية لم تنبثق من داخل صفوف العمال ، او تنبع من واقع نضالهم اليومى ضد رأس المال ، بل صاغها مثقفون ثوريون استنادا الى اكثر النظريات الفلسفية والاقتصادية والسياسية تقدما ، فانها تتحول الى نظرية عقيمة ، وتفقد كل فاعليتها اذا لم ترتبط عضويا بحركة الطبقة العاملة ، واذا لم نواصل تطويرها واثرائها بالخبرات المتجددة للصراع الطبقى فى ضوء اعظم الانجازات العلمية الحديثة ، مع الحفاظ على نقائها ضد الحملات المسعورة والذكية من جانب القوى الاجتماعية المناوئة [*] .

● ان نظرية حيادية الدولة واجهزتها ومنطق استقلالية السلطة يتناقض مع النظرة العلمية للامور ، ويتعارض مع مبدأ « الصراع الحتمى والطبيعى بين الطبقات » الذى اقره الميثاق . فالدولة فى جميع الظروف تخدم مصالح طبقة او مجموعة من الطبقات المتحالفة بدرجات متفاوتة ، ولكنها لا تمثل المصالح بعيدة المدى لقطبى الصراع معا ، او تقف فيما بينهما ، مستقلة عن كليهما ودون انتماء لايهما . ومن ثم لا يمكن ان توجد « **مجموعة اشتراكية** » تتخذ مواقعها فوق الطبقات « وتتسامى » عن الصراعات الدائرة فيما **بينها دون انحياز** .

● ان الاجراءات الثورية الاجتماعية والاقتصادية فى اطار البناء التحتى للمجتمع ، من الضرورى ان يصحبها تغيير ثورى مواز وشامل فى البناء الفوقى [السلطة] . وأى حركة ثورية تتساهل او تتردد فى نقل الثورة الى مستوى البناء الفوقى ، مصيرها الى الانتكاس والتجمد فى منتصف الطريق دون ان تبلغ اهدافها او تحقق شعاراتها . فالحركة الثورية حينئذ لا تخرج عن النطاق الاصلاحى ، لا تتعداه بحال الى مرتبة التغير النوعى فى علاقات الانتاج .

● كذلك يتعارض مع قوانين الصراع الطبقى الاتجاه القائل بالمشاركة على قدم المساواة بين كل القوى الوطنية والثورية ، اذ لابد ان تحتل احدى هذه القوى موقع القيادة ، وعندما تمسك بزمام السلطة ، توجه أجهزة الدولة ومؤسساتها فى خدمة مصالحها . والفارق هنا هو ان قيادة اى قطاع من الرأسمالية ـ حتى فى حالة تحقيقه مكاسب جزئية لبعض الطبقات الاخرى فى محاولة لتعبئتها من ورائه ـ لا يخرج عن الاطار الاصلاحى ، ومصيره الى طريق مسدود فى قضية الغاء الاستغلال . اما الطبقة العاملة فان عملها على تحقيق مصالحها يتسق فى مجراه مع مصالح الجماهير الشعبية العريضة ، اذ انها تزيل التناقض بين قوى الانتاج وعلاقاته ، وتطلق طاقات الانتاج بلا عوائق او قيود . فالكفاح السياسى للعمال يمتد الى كل مجالات الحياة الاجتماعية فى علاقتها بالطبقات الاخرى .

● اذا اردنا ان يتم الصراع الطبقى سلميا علينا ان نكفل للقوى الطبقية الوطنية جميعا ودون استثناء **منابر واطارات** تعبر فيها عن آرائها وتدافع عن مصالحها داخل التجمع الوطنى . ان محاولة طمس ايديولوجية احدى الطبقات لمصلحة طبقات اخرى ، او فرض فكرية طبقة بعينها على باقى الطبقات ، وكبت حرية التعبير او التضييق عليها يؤدى حتما الى فشل التحالف واحتدام الصراع ليخرج عن نطاقه السلمى . ان المصالح الطبقية والايديولوجيات التى تعبر عنها ، ليست من « اختراع » بعض النظريين او الحزبيين ، بل توجد كحقيقة موضوعية لا يمكن اغفالها ابان الصراع الطبقى المحتدم فى المجتمع .

● ان مجال « التوفيق » بين المصالح الطبقية لا يجب ان يتعدى الحقل السياسى ، حول مهام محددة

يتضمنها برنامج الجبهة او التحالف فى مرحلة تاريخية معينة . اما فى الاطار الفكرى فان أى محاولة للتوفيق تكون ضارة ومفتعلة . فالالتزام داخل نطاق التحالف لا يمكن ان يمتد الى الافكار او يشمل الحجر على حرية الحوار الخلاق لمصلحة طرف من اطراف الصراع .

● فى الظروف الدولية المعاصرة ، فى مرحلة التزاوج العضوى بين حركة التحرر الوطنى والثورة الاجتماعية ، تكون مهام معركة التحرير مرتبطة أوثق ارتباط بمهام التحول الاجتماعى الثورى ، فهما وجها عملة واحدة ، والافتقار لجانب منهما يفقد القدرة على التصدى لمهام الجانب الآخر .

● عملية التحول الثورى من الرأسمالية الى الاشتراكية لا يمكن ان تتم بدون قيادة اشتراكية منظمة ، هى الحزب الاشتراكى .. كتيبة الصدام المتحركة على مدى استراتيجى ضد كل قوى التخلف والثورة المضادة .. فالحزب الاشتراكى هو القيادة القادرة على حشد وتعبئة جماهير التحالف الشعبى وحل التناقضات الاجتماعية سلميا **لمصلحة استمرار الثورة**.. التنظيم الطليعى المسترشد بفكر الطبقة العاملة ، الاشتراكية العلمية ـ المعبر عن مصالح هذه الطبقة والمرتبط عضويا بحركتها والمدافع بصلابة عن نقاء الفكر الاشتراكى من حملات التشويه والعدوان من جانب الفكر الرأسمالى ، والمسلح بخط استراتيجى بعيد المدى بجانب الخط التاكتيكى القريب المدى المحدد لمسار الثورة فى مرحلة ثورية كاملة على امتداد طريق التحول الى الاشتراكية .

● من المستحيل ان نبنى تحالفا وطنيا ثوريا يستهدف تحقيق الاشتراكية دون وحدة كل قوى اليسار . كما ان اى تحالف من هذا القبيل مصيره الفشل حتما اذا عادى او استبعد اى تيار فكرى يتبنى الاشتراكية .

● الطابع الاجتماعى للثورات الحديثة وارتفاع مستوى الوعى وانتشار الفكر الاشتراكى اصبح لا يسمح لفئة قليلة بأن « تسحب » وراءها الامة جميعها حينما تريد وتجمد نشاطها عندما تشاء ، لتحقيق مصالحها الضيقة تحت شعارات براقة. ان انجاز اهداف الثورة يتطلب بالضرورة اسهام اوسع قطاعات جماهيرية فى النشاط السياسى وصياغة القرارات وتحديد الخط العام لمسارها ، يقتضى اطلاق الحريات الديمقراطية لقوى الثورة جميعها . واى تضييق على الحريات بهذا المفهوم ، أو عرقلة لحركة المنظمات الجماهيرية والديمقراطية التقدمية او محاولة فرض وصاية فئة بعينها على نشاطها ، يفتح المجال لتخريب التحالف ويحيله الى شكل مزيف يفتقر الى المضمون . ومن هنا تبدو اهمية تمكين الجماهير الشعبية ـ وخاصة الطبقة العاملة ـ من القيام بدورها فى المعركة ، والغاء جميع القيود التى تكبل حركتها وحرياتها الديمقراطية والنقابية ، وافساح المجال امام جميع القوى الوطنية والتقدمية دون تمييز لممارسة نشاطها .

الرأسمالية وحدود امكانياتها

وقد سادت فى السنوات الاخيرة نظرية امكانية قيام قطاعات من البورجوازية ، او المثقفين (وغالبيتهم ينتمون اصلا الى الطبقات الرأسمالية) بقيادة الجماهير الشعبية فى مجال انجاز مهام التحول الاشتراكى . والغريب أن بعض القوى التقدمية والاشتراكية هى التى أخذت زمام المبادرة فى صياغة وترويج هذه المفاهيم . بدعوى التغييرات التى طرأت على توازن القوى الدولى، وضعف الحركة العمالية بسبب تخلف التطور الاقتصادى فى البلدان النامية ، وهذا بالرغم من ان الانتصارات التى حققتها الاشتراكية امتدت اساسا عبر المناطق الاكثر تخلفا فى العالم ، وبقيادة الطبقة العاملة وحزبها الطليعى .

ونحن لا ننكر حقيقة التغييرات الجذرية التى جدت على العالم بعد الحرب العالمية الثانية بصفة خاصة ، وانعكاس هذه التغييرات على مواقف القطاعات المتباينة من الرأسمالية .. لكن نقطة البداية هى التعرف على طبيعة هذه التغييرات ومداها .. كميا أم نوعيا ؟ ومن ثم حدود امكانياتها وقدراتها فى معترك العمل الوطنى والثورة الاجتماعية .

ليس من شك ان هناك فروقا اساسية بين بورجوازية بلدان الغرب والبلدان حديثة التحرر ، كما أن ظروف ما بعد الحرب العالمية الثانية والتغييرات التى طرأت على توازن القوى على النطاق العالمى والانتصارات التى احرزتها القوى الاشتراكية . كل هذه العوامل قد ابرزت الجوانب الايجابية للرأسمالية الوطنية ، خاصة فى مرحلة المد الثورى وتصاعد مستوى واتساع نطاق حركة التحرر الوطنى .

وهناك عناصر اخرى ساعدت على تدعيم الجوانب الايجابية ، تتمثل اساسا فى رفض الشعوب لطريق التطور الرأسمالى ، وانتشار الفكر الثورى والوعى الاشتراكى الى جانب تضاؤل فرص التراكم الرأسمالى للبورجوازيات الوطنية الجديدة بالاساليب التقليدية .. اى عن طريق السلب والنهب الاستعمارى ، او بواسطة منافسة

عمالقة الاحتكارات الغربية ، اذ أن تلك المنافسة تتطلب رؤوس أموال ضخمة للغاية ـ نتيجة تمركز رؤوس الاموال فى الغرب ـ ومستوى تكنيكى مرتفع .. وكلاهما غير متوفر .

لذلك نجد الرأسمالية فى الدول النامية تنحو الى سلوك احد سبيلين :

● التحول الى بورجوازية كومبرادورية ـ مجرد وكلاء وعملاء صغار الشأن للاحتكارات الاجنبية وواجهات مزيلة لاضفاء طابع وطنى مزيف على الشركات والمؤسسات الغربية ـ وهى فى هذه الحالة تعرض نفسها لاخطار الافتضاح والانهيار العاجل تحت وطأة الحركات الوطنية المتنامية والتى تضعهم فى صفوف الاعداء .

● اتخاذ مواقف وطنية ، وقيادة الحركات القومية المعادية للاستعمار وغلق الاسواق فى وجه الاحتكارات الاجنبية وتأميم فروعها والصدام مع الفئة الكومبرادورية ، بانتزاع ملكياتها ، ثم الاثراء على حساب الشعب استنادا الى الملكيات المنتزعة ، سواء بتمليكها اوبعضها للبورجوازية النامية ، او بتأميمها وتحويلها الى رأسمالية للدولة .

والمهم هنا ان ندرك ـ دون تأثر بمظاهر عابرة ـ ان ثورية الرأسماليه فى البلدان النامية لا تنبع من طبيعة طبقية خاصة بها . فهى فى المراحل الاولى من تطورها تتطابق مصالحها الخاصة مع المصالح العامه لامةفى معاداتها للاستعمار . فالرأسمالية دائما ذات طابع مزدوج . احدهما ايجابى يتجلى فى معاداة الاستعمار ، والاخر سلبى ينبع من الطبيعة الاستغلالية للرأسمالية كطبقة . وتبرز السمات الايجابية فى مراحل معينة من تطورها ، ولكنها لا تفقداو تتخلص مطلقا من الجانب السلبى الذى يبدأ فى الظهور والاشتداد بعد تحقيق الاستقلال السياسى ، عندما يصبح همها الاول تثبيت وتدعيم مصالحها وتاكيد سيطرتها على الشعب . وبذلك تفقد تدريجيا طابعها التقدمى ، وتتردى بصورة منتظمة ومضطردة فى منزلقات العداء للشعب ،حتى انها تحاول حل تناقضاتها مع الاستعمار بالوسائل الاصلاحية ، مع استمرار عملية الاستقطاب محليا بين قواها النامية وقوى الشعب العاملة ـ وهى فى اللحظات التاريخية الحاسمة تنحو دائما الى التفاهم والتقارب مع الرجعية سواء فى النطاق المحلى او عالميا .

وعلى كل القوى التى تريد حقا ان تتابع المسيرة الثورية الى افاق ابعد من الاستقلال السياسى والثورة الوطنية الديمقراطية ان تذكر دائما ازدواجية الرأسمالية وطابعها المتقلب والمتذبذب .

والملاحظ كقاعدة عامة ان السلطة كانت السبيل الى اثراء الرأسمالية الوطنية ، ويعزى الى ذلك كثرة الانقلابات والصراعات الدموية على السلطة فى البلدان حديثة الاستقلال . وان جاز لنا ان نعتبر المعادلة التقليدية فى تطور الرأسمالية هى : (رأسمال ـ سلطة ـ مزيد من رأس المال)، فانه يمكننا ان نقول انه فى البلدان النامية اصبحت تحت وطأة الظروف المحلية والدولية الراهنة تتركز فى : [السلطة ـ رأس المال ـ مزيد من رأس المال] . أى ان التراكم يتحقق من موقع السلطة . وتبرز هذه المعادلة فى أوضح صورها فى البلدان المتخلفة نسبيا فى تطورها الاقتصادى ، حيث كانت الرأسمالية ضعيفة لاتمثل وزنا يذكر فى الحياة الاقتصادية والسياسية ، ولكنها تنطبق ايضا على البلدان التى سبق ان حققت تطورا رأسماليا واضح المعالم .

وفى مثل هذه البلدان تلجأ قوى الرأسمالية الجديدة الى استخدام اساليب متباينة تتوقف على علاقات القوى ، الا انها تتمثل اساسا فى الخطوات التالية :

● الاستيلاء على بعض ممتلكات الاحتكارات الاجنبية لحساب الرأسمالية المحلية ، او تمليكها للدولة لتتحول الى قطاع عام ينصب عليه قيادات بيروقراطية وتكنوقراطية تعمل ـ استنادا الى مواقعها ـ على الحصول على امتيازات ضخمة .

● ضرب القطاعات من الرأسمالية والاقطاع المتعاونة مع الاستعمار والاستيلاء على ممتلكاتها او الحد منها .

● التيسير على الرأسمالية الوسطى وبعض القوى المنتمية اليها وأصحاب السلطة الجدد بما يتيح لهم فرص الاثراء على حساب الممتلكات المنتزعة والقطاع العام ، يساعد على ذلك التداخل والتزاوج بين السلطة الجديدة وابناء هذه الطبقة .

● العمل على ابعاد الجماهير الشعبية عن السلطة وعزلها عن العمل السياسى . وهى تحت ضغط الجماهير الشعبيه قد تلجأ الى استخدام شعارات ثورية تفرغها من مضمونها فى مجال التطبيق ، واقتباس عبارات متناثرة من قاموس اليسار ، بل والتقاط بعض افكار ومعطيات الفكر المعبر عن ايديولوجية نقيضها الاجتماعى ـ الطبقة العاملة ـ ، ومزجها بمفاهيم اخرى تفسد من فاعليتها وتستنزف قواها .

● الاعتماد على جهاز الدولة الموروث ، وهو ليس من قبيل الخطأ فى التقدير ، بل ينبع عن موقف طبقى تغلب فيه المصالح المشتركة على التناقض

الذى لايبلغ مصاف العداء ، اذ يدور فى اطار اجتماعى واحد . وبذلك يمس التغيير بعض الافراد الذين يلعبون دورا سياسيا متميزا فى مصلحة هذه الجماعة او تلك ، دون ان يتطرق الى المحتوى الطبقى او جذور اجهزة السلطة ومفاهيمها .

وقد راجت نظرياتعن امكانية قيام البورجوازية الصغيرة - باعتبارها اقصى اليسار الراسمالى - بقيادة عملية التحول الثورى الى مجتمع اشتراكى ، على اثر انتشار وتصاعد حركة المد الثورى الوطنى على نطاقالعالم اجمع بعد الحرب العالمية ، ثم نتيجة الطابع الاجتماعى الذى اتسمت بههذه الحركات.الان تجربة الشعوب -وخاصة خلال السنواتالاخيرة - اثبتتفساد هذه النظرية وريبها . بعد الانهيارات المتلاحقة المفجعة للانظمة الوطنية التقدمية التى تولت البورجوازية الصغيرة والوطنية قيادتها فى آسيا وافريقيا ، فهى لم تعجز عن اداء مهام التحول الاشتراكى فحسب ، بل وخلقت من الثغرات وتسببت فى قدر من التفسخ . مكن قوى الثورة المضادة من القيام بمذابح مروعة ضد شعوبها . والسبب فى هذا يرجع الى وضعها البينى المتناقض ، ضد الاستعمار والرسمالية الكبيرة وبقايا الاقطاع فى نفس الوقت الذى تخشى فيه الشعب وتستشعر الخطر منه وتعمل على عزله والاستئثار بالسلطة . واحتكار القيادة وصياغة القرارات بما يتمشى مع مصالحها ، مما يؤدى الى تفتيت الوحدة القومية والقضاء على اى صورة فعالة للتحالف الوطنى .

ان هذه الطبقة بحكم وضعها الاجتماعى ، لامجال لبقائها مستقلة او مستقرة ، اذ سرعان ماتتجه الى تحقيق امانيها وتطلعاتها الطبقية فى التطور لتبلغ منزلة البورجوازية الكبيرة ، او تنقسم على نفسها وتتفتت بحكم حركة الاستقطاب الحتمية ، فتميل بعض فئاتها الى اليسار تنضم الى موكب الثورة - فى حاله وجود قطب ثورى له وزنه - بينما تنحاز فئات اخرى منها الى اليمين وتعادى الثورة . وبطبيعة الحال فان اتجاه الحركة يتوقف على الظروف السياسية الخاصة بكل بلد على حدة ، بالاضافة الى موقع كل فئة من السلم الاجتماعى ، فالبورجوازية الصغيرة اكثر ميلا الى الالتقاء بالتيار الثورى من الراسمالية الوسطى .

وانصار فكرةقدرة البورجوازيةالصغيرة - او فئة من المثقفين تنتمى اليها - على قيادة الثورة الاشتراكية ، قد وضعوا انفسهم فى موقف لايحسدون عليه ، بعد ان سقطت كل الحجج التى جهدوا فى صياغتها مع انهيار الانظمة الوطنية التقدمية الواحد تلو الاخر ، والازمة المزمنة التى يعانيها من بقى منها على قيد الحياة ، بل ان

ان تطور الصناعة والتكنولوجيا والثقافة يؤدى الى تكوين قطاع عريض من الانتلجنسيا ممن يشتغلون بالعمل الذهنى . والمثقفون لا يشكلون طبقة مستقلة ، اذ ينتمون الى مختلف الطبقات ، وعلى سبيل المثال فان الطلبة ومعلمى المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والقاعدة العريضة من موظفى الحكومة والقطاع العام ينتمون الى فئة البورجوازية الصغيرة ، اما كبار الموظفين ، الاداريين والفنيين ، الذين يقبعون على قمة الجهاز البيروقراطى ، فينضوون فى غالبيتهم الى قطاع البورجوازية الوسطى .

وهذه الفئةالاخيرة تلعب اخطردور فىالثورات الوطنية الجديدة . وعندما تقوم القيادة الوطنية بتأميم ممتلكات الشركات الاجنبية وكبار الرأسماليين ، يقفز هؤلاء الى المراكز القيادية فى القطاع العام الذى يملك وسائل الانتاج ويديرها باسم الجماهير . ثم انهم بحكم المواقع الحيوية التى يحتلونها فى السلطة والمؤسسات الاقتصادية يملكون حرية واسعة فى اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية ، وفى مقدمتها اخطر هذه القرارات قاطبة .. فى المجال السياسى بما يسمح لهم بالانفراد بالسلطة وفى المجال الاقتصادى والاجتماعى بتوريع الفائض الاقتصادى بما يرضى تطلعاتهم الطبقية . ومن هذه الفئة تتكون « الطبقة الجديدة » وتعمل على تجميد التطور واستنزاف القطاع العام لمصلحتها الخاصة ، والمشاركة فى عمليات المضاربة والتجارة واستثمار الفائض من دخلها فى العقارات والاراضى الزراعية ، فيتحول قطاع منهم الى ملاك جدد .

وقد اشار الرئيس عبد الناصر الى هذه الظاهرة فى مصر اذ قال فى خطابه امام مجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٤ : « ان البيروقراطية فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ستعملعلى ان تحصل بكل الوسائل على اكبر قدر من السلطة حتى تستطيع ان تقوم بدور حاسم فى الانتاج وفى العلاقات الاجتماعية ، وان تحتكر هذا الدور . وتستطيع البيروقراطية بفضل هذا الاحتكار ان تأخذ مكان الرأسمالية فى المجتمع الرأسمالى »

التغيير الذى تنشده الجماهير

منذ اعلان الميثاق الوطنى ، وتكوين الاتحاد الاشتراكى العربى ، تحول هذا التنظيم الى حلبة صراع رئيسية بين القوى الاجتماعية المتباينة ، كل منها يعكس مفهومه الخاص عن التحالف الوطنى معبرا عن المصالح الطبقية التى لاتتحقق الا عن طريق السلطة .وبعد النكسةوطرح مطلب التغيير الذى رفعت شعاره الجماهير الشعبية قاطبة ،

تركزت الانظار على الاتحاد الاشتراكى ، وشكلت قضية تغيير محتواه الطبقى بالذات ، الحلقة الرئيسية فى برنامج اعادة البناء السياسى . وقد اعلنت الجماهير عن ارادتها فى ضرورة نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة جميعها ، وتصفية مراكز القوى الطبقية . فتقرر ـ فى وجه معارضة ضارية ـ اجراء انتخابات من القاعدة الى القمة داخل الاتحاد الاشتراكى على اساس « ان اسلوب التعيين ليس افضل الاساليب ، وان التعيين فى النهاية قد لايعطينا الا ماتقرره مراكز القوى او ماتقدمه المجموعات المختلفة والشلل » وبعد ان « تجاوزت الامور حدا لايمكن قبوله بعد النكسة ، لان مراكز القوى وقفت فى طريق عملية التصحيح خوفا من ضياع نفوذها ومن انكشاف ماكان خافيا من تصرفاتها » . كما جاء بيان ٣٠ مارس ـ حصيلة للنضال الشعبى .

ولن نخوض فى حديث معاد عن تحليل لطبيعة الاتحاد الاشتراكى والتناقض بين الصيغة المعلنة والمتفق عليها وبين واقعه فى التطبيق ، فلقد اولته الاقلام التقدمية فى الصحافة والنشرقدراكبيرامن الاهتمام .

وقد اشار الرئيس عبد الناصر فى احاديثه العديدة الى طبيعة التناقضات داخل السلطة ، والتى ادت الى النكسة . وكشف عن وضع مراكز القوى الطبقية التى تحكمت فى القوات المسلحة والاداة الحكومية وسيطرت على الاتحاد الاشتراكى . وتبنى الشعار الجماهيرى الذى ينادى بالتغيير ونقل السلطة الى قوى الشعب العاملة .

واقتحمت الجماهير العاملة المسرح السياسى ، بعد ان صدمتها مأساة الهزيمة العسكرية ، وبعد ان امتد « الشرخ » فى النظام مهددا بانهيار كل ماشيدناه . وسادت مرحلة من الانتعاش السياسى بلغت ذروتها قبيل المعركة الانتخابية لاعادة بناء التنظيم السياسى بالانتخاب .

وتميزت هذه الحقبة التاريخية بسمات معينة لها دلالتها :

● دخول القاعدة العريضة من قوى الشعب العاملة ـ العمال والفلاحين وابناء البورجوازية الصغيرة ـ بصورة ايجابية كطرف فى المعركة من اجل السلطة . الا ان حركتها اتسمت بالتلقائية وافتقرت الى قيادة توجه وتعبىء نشاطها . وقد بلغ وعى الجماهير التلقائى ارفع مستوياته ممثلا فى ردود الفعل المتماثلة والمواقف الموحدة بمبادرة سريعة وعلى نطاق الجمهورية كلها ، دون ان تصدر عن مركز موجه او قطب قيادى ، بل تتجه اليها الجماهير بدافع من يقظتها وذخيرة من خبرتها ووعيها . مما يكشف عن مدى الامكانيات الجبارة التى يمتلكها شعبنا ، والتى كانت تستنزف بسبب الافتقار الى القدرات التنظيمية، والنماذج هنا عديدة، نقتصر على ذكر واحد منها على سبيل المثال ، وذلك عندما نشرت احدى الصحف خبرا مؤداه ان النية معقودة على حرمان الذين لم يسددوا اشتراكاتهم من حق الإنتخاب ، اذ نجد ان المؤتمرات المنعقدة فى جميع انحاء البلاد ودون توجيه او اتفاق مسبق ، تبادر بالمطالبة بتوسيع القاعدة الديمقراطية للانتخابات ، وتتمسك بحق الجميع فى الادلاء بصوتهم .. ليس هذا فحسب ، بل وبفتح باب العضوية على مصراعيه ، ورفض الوصاية الادارية، وعزل القيادات القديمة عن كل مايتعلق بعمليات الاشراف على مجرى الانتخابات ، والمطالبة بعدم ابطال صوت الناخب الذى لاينتخب عددا مساويا للمطلوب انتخابهم والمطالبة بحق سحب الثقة من المنتخب اذا اتضح انه لايعبر عن ارادة الجماهير ..

● وضوح الطابع الاجتماعى العميق للحركة الوطنية .. ان مطلب **التغيير** فى حد ذاته ، لم يكن يعنى الاشخاص .. لم يقصد به بعض افراد من هنا او هناك ، بل التغيير ذو المحتوى الاجتماعى ، التغيير المرتبط بشعار **نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة** ، والذى يضمن **استمرار الثورة** ... والاستمرار ، لا بمعنى مجرد حماية النظام والحفاظ على ما أنجز فى حقل البناء ، وماتحقق من مكاسب ، انما لنتعدى الحاضر ونتجاوزه فى مجال الثورة الاجتماعية ، الى ابعد الافاق الاستراتيجية التى تتطلع اليها جماهير شعبنا . ومن هنا كان الطابع الغالب على المؤتمرات الجماهيرية يتميز **بالعمق الاجتماعى** .. الاجماع على ضرورة تعديل تعريف العامل والفلاح بما يتيح رقعة افسح من الارض فى ميدان العمل السياسى ومؤسسات السلطة لاصحاب المصلحة الحقيقية ، والاصيلة فى الثورة . وهناك المطالبة بمنع العمد والمشايخ ورجال الادارة من الترشيح فى الريف ، ومنع المشاركة فى الانتخابات حتى الدرجة الرابعة بالنسبة للعائلات التى طبقت عليها قوانين الاصلاح الزراعى او الحراسة ، رفض فكرة التزكية التى يستغلها كبار موظفى الدولة وابناء العائلات الرأسمالية فى الريف للاستحواذ على المواقع القيادية .. الحد من الامتيازات المالية والعينية للقيادات الفنية والادارية فى مراكز الانتاج ، والقضاء على الاسراف والتبذير .. النقد الحاد للفروق الشاسعة فى الدخول والاجور .. الخ من القضايا الاجتماعية ، حاول البعض ان يصورها كانحراف اقتصادى وقصور عن فهم طبيعة التحالف فى مرحلة تبرز فيها مشكلة تحرير الارض المحتلة لتحتل مكان الصدارة .

لكن المنطق الشعبى الصادق كان يرى الامور من

زاوية مختلفة .. فاذا كانت مراكز القوى الطبقية هي التي تسببت في النكسة ، واوجدت من الثغرات ما سمح للعدو باحتلال ارضنا ، ثم ان هذه القوى قد « وقفت في طريق عملية التصحيح » ، ومازالت امتداداتها ترتع في العديد من الاجهزة القيادية.. فمن الطبيعي أن يكون البديل هو نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة وعلى رأسها العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون باعتبارهم قوى الثورة الرئيسية واصحاب المصلحة الحقيقية في الوطن ، وهم الجيش الذي لا يقهر ولا يعرف التخاذل ، لذلك كانت كل المطالب تدور حول **الضمانات** السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تكفل « تنظيم البيت من الداخل » بما يهيء القاعدة المادية لتحرير الارض المحتلة .

وكانت الجماهير تدرك ان اي اجراء يتخذ ، هو في نهاية الامر لمصلحة طبقة من الطبقات ، لايتفق مع مصالح الطبقات الاخرى في معظم الحالات ، وخاصة اذا روعي في الاجراء مصلحة احدى فئات الطبقة الرأسمالية . والجماهير بوعيها قد تسمح بتنازلات ، بل وتراجع جزئي في ظروف معينة ، لكن على ان تكون **مؤقتة** وبهدف ومبرر مقنع وقوي .

وقد قدمت الطليعة في عدد نوفمبر ١٩٦٧ تحليلا للاوضاع الداخلية ، وقضايا السلطة والاتحاد الاشتراكي اذ جاء في كراسها « نظرات في الوضع الداخلي الراهن » أنه « بينما كانت قوى الثورة وقيادتها تؤكد على ضرورة نقل السلطة الى تحالف قوى الشعب العاملة جميعها بلا استثناء ، فلقد ظلت قيادات الدولة والجيش والقطاع العام تنتسب في غالبيتها الى المثقفين والطبقات الوسطى والصغيرة ، بحيث كاد الاتحاد الاشتراكي نفسه ، وهو مجرد تجمع او تحالف على المستوى الوطني ، ان يتحول الى حزب لتلك الطبقات . وفي الوقت ذاته ، لم تصل الجهود التي بذلت لتكوين حزب اشتراكي طليعي يوحد في صفوفه كل القوى الاشتراكية الى نتيجة حاسمة بعد .

التراكم الرأسمالي والنمو المتوازي

والثورة الاجتماعية تستهدف رفع مستوى معيشة الجماهير الشعبية ، مع التضييق تدريجيا وبدرجات متزايدة على الاتجاهات الاستغلالية والحد من فرص الاثراء والتوسع في القطاع الرأسمالي . أما اذا اتضح أن حركة التطور تسير في **خطين متوازيين** ، أي نمو القطاع العام والقطاع الرأسمالي معا ، فلا مجال للشك من أن هناك خطأ ما ، ولا مفر من أن يتحكم القطاع الرأسمالي في القطاع العام .

ولا شك أن الثورة قد حققت مكاسب عديدة واساسية للعمال والفلاحين .. الا ان البورجوازية الوسطى قد حققت لنفسها أيضا تراكما رأسماليا ، فزادت من ملكياتها وتوسعت في امتيازاتها . وعملت في الوقت نفسه على فرض فكرياتها والحد من حرية التعبير لاي منبر يمثل القوى الاجتماعية الحليفة . وحاولت الاستئثار بالسلطة وابعاد باقي فئات التحالف عن المراكز القيادية في جميع المؤسسات . وفي هذا المجال نتناول **بعض** مظاهر هذا النمو المرضي .

اقتصاديا : والارقام هنا تغني عن التعليق ، رغم أننا لن نتطرق الى جميع المجالات ، ونكتفي بنموذجين أحدهما تقليدي - **ملكية الارض** - والاخر وليد التطور العصري - **امتيازات كبار الاداريين والفنيين** - ، وذلك مع مراعاة الارتباط العضوي بين الفئتين .

فقد زاد عدد المالكين لخمسين فدانا من ٦ آلاف مالك الى ٢٩ الف مالك بين عام ١٩٥٢ و١٩٦٥ (نحو خمسة أضعاف) ارتفعت ملكيتهم ٤٣٠ الف فدان الى ٨١٥ الف فدان . وزاد ملاك المائة فدان من ثلاثة آلاف الى اربعة الاف فدان ، وملاك العشرين فدانا من ٢٢ الف فدان الى ٦١ الف فدان في نفس الفترة وبذلك اصبح ملاك مابين ٢٠ - ١٠٠ فدان يسيطرون على ٢٧ ٪ من مجموع الاراضي الزراعية ، في حين انهم يشكلون نسبة ٢ر٩ في المائة من مجموع المالكين . كما انهم يستثمرون ايضا عن طريق الايجار اراض زراعية اخرى تبلغ مساحتها ٢ر١ مليون فدان أي انهم يتحكمون في ٤٥ في المائة من مجموع الاراضي الزراعية .

ومن مظاهر نمو وتوسع الطبقة الجديدة أن عدد أفرادها في قطاعي الخدمات والاعمال قد زاد في أربع سنوات من ٩١٧ الى ١٥٤٤ بنسبة ٦١ في المائة بينما زاد دخلها الاجمالي (مرتبات وبدلات تمثيل) من ٥٧٦ر٤٥١ جنيها سنة ٦٢ - ٦٣ الى ٠٨٢ر٤٣٩ر٣ جنيها سنة ٦٦ - ٦٧ بنسبة ٢٣٠ في المائة في حين كان الارتفاع في اعتمادات الاجور النقدية بميزانيتي الخدمات والاعمال (بدون الشركات التابعة) خلال تلك الفترة بنسبة ٥٣ في المائة (١) .

والارقام تقدم مؤشرات واضحة الدلالة في هذا الاتجاه ، فمن جانب نجد أن التطور النسبي

---

(١) الطليعة - عدد فبراير ١٩٦٨ ص ٩٠ من مقال عادل غنيم

لاجمالى الاجور النقدية يزيد بنسبة ١٥٣ فى المائة بينما تصـــل الزيادة لرواتب التمثيل للوظائف العليا الى نسبة ١٧٨ فى المائة عـن نفس الفترة (خلال السنوات من ٦٢ ـ ١٩٦٣ الى ٦٦ ـ ١٩٦٧) وبينما نجد التطور النسبى لاجمالى عدد درجات الوظائف العليا يبلغ ١٦١ فى المائة ، نلحظ هبوطا فى الوظائف العمالية الى ٩٦ فى المائة عن نفس الفترة (ميزانية الخدمات والاعمال) [٢] ... وهكذا !

وهناك قطاع التشييد والبناء والمقـاولات والتجارة كمجالات خصبة ومثمرة للغاية فـى عمليات التراكم الرأسمالى ، وقد حققت أرباحا طائلة بمعدلات خيالية للبورجوازية الوطنيـة ، وخاصة العناصر الطفيلية منها ، الاوثق ارتباطا ببعض العناصر الفاسدة فى أجهزة الدولة والقطاع العام ٠

هذا التراكم « المرضى » ، والنمو السرطـانى ، يمثـل خطـرا علـى الثـورة الاجتمـاعية ، ويهدد « الجسد » كله ، لانه يعنـى أن بعض مؤسسات السلطة ما زالت تتحكم فيها بعض القوى التى تخدم حركة النمو الرأسمالى ــ نقيض التطور الاجتماعى الثورى ــ وتنتمى اليها ، وان قـوى الشعب العاملة الاصيلة مازالت مبعدة عن التحكم فى مسار الثورة ٠

ايديولوجيا : وهى اخطر العناصر ، بسـبب آثارها البعيدة والعميقة على قضية التطـور ، فالقوى الرأسمالية تتجه الى امداد الجماهير بعتاد فاسد يرتد الى الوراء ، اذ انها تحت شعارات الاشتراكية وبدعوى التثقيف الثورى تبث مفاهيم رأسمالية وتروج لمنهج غير علمى تغلب عليـه التجريبية يهدف الى تجميد الثورة ووقف عجلة التطور ٠ وقد حاول البعض ممن نصبوا مـن أنفسهم أوصياء على الشعب ــ فى تناقض مع أحكام الميثاق الوطنى ــ أن يفرض السيطرة الفكرية لفئة بعينها من قوى الشعب العاملة ، واتجهوا الى شن حملات من الارهاب الفكرى ضد كل من تواتيه الجرأة أو الشجاعة على مجرد محاولة الخروج عن الاطار الحديدى الذى حددت أبعاده ووقفت تحرس مخارجه ،فيتهم حينا بالعمالة والانتماء الى القوى المعادية ، وحينا آخر بالمروق على خط الثورة والامساك بمعول الهدم ٠٠٠ الخ ٠ وهم يصدرون براءات الولاء ويوقعون قرارات الحرمان من مواقع القوة التى يحتمون بها ، ومن ثم ينجحون فى كسب بعض **عناصر** من الطبقـات « المتحالفة » الى معسكرهم الفكرى ، تكون بمثابة جواز المرور الى المراكز القيادية المخصصة لابناء الطبقات الحليفة ، على أن يضمنوا انسلاخهم الفكرى (الطبقى) عن الفئات التى ينتمون اليها أصلا ، سواء عن وعى أو تحت تأثير التشويش والبلبلة الايديولوجية ٠

وتنهال معاول الهدم والتخريب على القوانين الاساسية للاشتراكية ،وتركز النيران على الصعيد الايديولوجى ، أى فى ميدان الوعى الاجتماعى ، باعتباره المحرك الرئيسى للتطور ومكمن الخطـر الحقيقى على النظام الرأسمالى ٠

وهى حملة توجه بذكاء ، وبتخطيط متكامل ، تدور تحت لواء الاشتراكية وتغلف بشـعارات ثورية تحمل « عبوات » رأسمالية و « شـحنات » مدمرة من الفلسفات والفكريات المعادية ٠ وينصب التشويه بالدرجة الاولى على :

قضـية السـلطة ٠٠
فكرة الاستغلال ومفهومه العلمى

برزت اتجـاهـات تنحو الى انكار الصراع الطبقى ، وظهرت نظريات الاشتراكية اللاطبقيه ٠ وهى عندما تواجه باقرار الميثاق لنظرية الصراع الطبقى ، تحاول باسم سلمية الصراع ، الدعوة الى تعايش سلمى بين الطبقات والتضامن والمصالحة الطبقيـة ، والحلـول الوسـط واسـتخلاص محصلة « الجـوانب الايجابية فى الرأسـمالية والاشتراكية معا » ، عملية انتقاء واختيار ذى مزيج « غير متحيز » ! فالرأسمالية التقليدية قد تطـورت وأخـذت بعض سـمات المجتمـع الاشتراكى (هكذا يقولون !) والاشتراكية تخلت عن جمودها فأدخلت بعض ما تتميز به النظم الرأسمالية ! وهناك وسط عصرى تفرضه ثوره التكنولوجيا والعلوم ! ٠٠ الخ من محـاولات التحريف والتزييف ، وهو طريق « الابتلاع السلمى للاشتراكية » ، التكنيك الذى برع الاستعمار فى استخدامه فى الميدان الايديولوجى وفكرة التنازلات المتبادلة فى الميدان الايديولوجى تؤدى الى احلال الفكر الرأسمالى محل الفكر الاشتراكى ٠

ثم هناك نظرية حيادية الدولة وأجهـزتها ، واعتبارها فوق الطبقات ، تسمو على النزاعات الطبقية والصراعات السياسية وايديولوجية « فوق الطبقات » المتالية هذه ، تستخدمها البورجوازية المعاصرة لاخفاء أهدافها الطبقية ، وتسـتهوى وتكسب عن طريقها أنصار الوئام والسـلام الطبقى ٠ وسرعان ماينفض انصار هذه النظريات ومروجوها على الشعوب فى مذابح دموية (ولنذكر اندونيسيا مثلا) يكون اول ضحاياها من وقعوا فريسة هذه الفكريات ، كما راجت فكرة امكانية

---

(٢) الاحصاء الوظيفى للسنة المالية ٦٦ ـ ٦٧ ٠

قيام « مجموعة » اشتراكية ، او جماعة من العائديين – غير المنحازين ودون ارتباط عضوى بالعمال كطبقة – بانجاز مهام التحول الاشتراكى .. ونظرية قيادة البورجوازية الصغيرة أو المثقفين من أبنائها لعمليات البناء الاشتراكى .

ويدخل فى اطار نفس المحاولات ، المفهوم غير العلمى « للطبقه » والتعريفات غير الدقيقة للعامل والفدح والرأسمالى والمثقف .. الخ من الفئات الاجتماعية ، مما يؤدى الى الخلط والتداخل وتمييع الحدود الفاصلة بين الطبقات لمصلحة الرأسمالية . وقد تحدثنا كثيرا عن هذه التعريفات ، عاملين على تصويبها على أساس علمى ، الا أن الفكر الرأسمالى لا ينضب له معين ، فقد خرج علينا أخيرا بالجديدمن ابتكاراتهفى هذا المجال ، اذجاءفى توصيات مؤتمر قسم عابدين فى تعريف قطاع الانتاج الحرفى الصغير ، بأنه « ذلك القطاع الذىيشمل المنشآت التىلايزيد رأس مالها عن **عشرين ألف جنيه** والتى تستخدم عددا من العمال لا يزيد عن **مائة عامل** » !

هذه المواقف ليستمجرد حوار للمثقفين فى ابراج عاجية أو رفاهية فكرية يزاولها أصحاب النظريات ، اذ أنها تتحول فى التطبيق الى أسلحة ماضية وحاسمة فى النزاع من أجل السلطة ولتأكيد السيطرة علىالمؤسسات الاجتماعية ،بما فى ذلك الاتحاد الاشتراكى الذى يجسد – نظريا – تحالف قوى الشعب العاملة .

والمسألة هنا لا تتعلق بالجانب العددى وحده ، او بالنسبة المخصصة لكل فئة اجتماعية علىحدة، بل بحق التواجد والتعايش السلمى ككيان طبقى مستقل ، داخل اطار التحالفالقومى . .ان تمارس كل فئة اجتماعية حقها فى التعبير عن فكرها كمنبر متكامل يصطرع سلميا مع الفكريات المعبرة عن الطبقات الاخرى الحليفة ، مع الالتزام بالبرنامج السياسى المرحلى للتحالف .

والعمل على فرض هذه الافكار على التحالف ككل ، هو من قبيل فرض أيديولوجية فئة بعينها – الطبقةالوسطى – على كلقوى التحالف ،وطمس للصراع الطبقى السلمى والحتمى بين الطبقات لمصلحة طرف واحد منها .

ومفهوم التحالف والوحدة بين قوى الشعب العاملة لا ينفى أو يتعارض مع الصراع ، وكذلك التحالف على نفس المستوى من الثورية ، ولا هى معنية بدرجات متساوية بتحقيق مهام البناء الاشتراكى ، ودورها فى عملية البناء يتفاوت بين قوى اساسية وقوى ثانوية . فى اطار هذه النظرة العلمية انحاز الميثاق الى جانب العمال والفلاحين باعتبارهما القوى الرئيسية للثورة الاشتراكية وابرز الرئيس عبد الناصر حقيقة ان « الطبقة العاملة تمثل فى النظام الاشتراكى المركز القيادى » (٣) .. وهو تحيز لا تمليه رغبة أو عواطف شخصية او تحامل على قطاعات اخرىمن التحالف ، بل تفرضه ضرورات وحتمية تحديد موقع كل من القوى الاجتماعية طبقا لطاقاتها وامكانياتها ، لانه لا يمكن بناء الاشتراكية دون أن تشكل قواها الرئيسية الوزن الحقيقى داخل مؤسسات السلطة – لا من الناحية العددية بل فكريا وسياسيا – واذا لم يتأكد المركز القيادى للطبقة العاملة داخل التحالف .

هذا فى مجالالسلطة .. أما فيما يتعلق بتثبيت الرأسمالية وبعض صور الاستغلال على أنها من أصول « اشتراكيتنا » المتميزة ، فقد لجأت هذه القوى نفسها الى الدفاع عن الملكية الخاصة لوسائل الانتاج كهدف انسانى ومبدأ مقصود لذاته .

وهنالك فارق اساسى بين تقديس الملكية الخاصة لوسائل الانتاج وبين ما ننادى به جميعا –ولا خلاف عليه – من ضرورة تأمين القطاع الرأسمالى ضد التأميم فى حدود رأس مال معين وعدد محدد من العمال وفى مجالات متفق عليها . لكننا ننادى بحماية وتأمين رأس المال الخاص ونحن ندرك انها ضرورة تحتمها اعتبارات سياسية واقتصادية ، وليس تحت ستار انه قطاع غير مستغل . لان كل ملكية خاصة لادوات الانتاج وخاصة المصحوب منها باستخدام العمل الاجير تحتوى على عنصر الاستغلال . لكنهناك استغلالمقبول مرحليا وعن وعى به ولابد من حصره حتى لا يتحكم ويسيطر . وهنالك فارق جذرى بين النظرتين ، فالنظرة التى ترغب فى رفع « مسبه » الاستغلالية عن قطاع من الرأسمالية او اسلوب من الانتاج الرأسمالى ، تتعارض مع الاشتراكية وتهدف الى تخليد الاسلوب الرأسمالى فى الانتاج .

ونجد ايضا محاولات اظهار التأميم فى حد ذاته او مجرد وجود القطاع العام دليلا على الاشتراكية ،وتصوير الهيكل التعاونى فىاىشكل وجد عليه بانه تعاون اشتراكى ، بينما هو يعنى الملكية المشتركة لادوات الانتاج او وسائل الانتاج ،

---

(٣) حديث الرئيس عبد الناصر فى الجلسة الافتتاحية لمجلس الامة فى نوفمبر ١٩٦٤ .

وتوزيع عائدها على اساس كمية العمل الذى يقدمه كل عضو بالتعاونية . وهناك الجهود التى تبذل .. لابراز التخطيط الموجه بما يوحى بأنه التخطيط الاشتراكى .. الخ وهى جميعا افكار أقل ما يمكن ان يقال عنها انها مثار للبلبلة ليس فى مصلحة التطور الى آفاق أبعد من الثورة الوطنية الديمقراطية .

سياسيا : بعد استكمال تنظيمات الاتحاد الاشتراكى القيادية بانتخاب المؤتمر القومى واللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا ، ونجاح الجهاز السياسى فى ايصال النسبة الغالبة من اعضائه الى هذه المواقع القيادية ، عن طريق اقرار قاعدة التزام الاعضاء بالدعوة لمرشحيه وانتخابهم ، طبقت نفس قواعد الالتزام والانضباط فى جميع المستويات المنتخبة للاتحاد الاشتراكى ، ابتداء من اللجان الاساسية ، واصبحت الترشيحات لمجلس الامة بناءعلى قرار يصدر من القيادة ، ويلتزم الاعضاء بالعمل على مساندة والدعوة الى مرشحى القيادة ، حتى نص على اتخاذ اجراءات تأديبية بالنسبة لكل من يخرج على هذه القاعدة ، وذلك رغم قصر حق الترشيح على اعضاء الاتحاد الاشتراكى .

وليس بمستغرب اذن ان يظهر اتجاه داخل بعض مؤتمرات الاتحاد الاشتراكى التى سبقت انعقاد المؤتمر الاخير ، وان تنص توصياته على « ان يكون حق الترشيح والتصويت لعضوية هذه المجالس (المجالس الشعبية) مقصورا علىاعضاء لجان الوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى العربى والمستويات الاعلى » (٤)

والدولة كمؤسسة اجتماعية هى التى تملك القطاع العام وتديره نيابة عن المجتمع وباسم قوى الشعب العاملة ، تقوم بادارة وتنظيم الانتاج ، وتتخذ القرارات الاقتصادية وتتصرف فى توزيع الفائض الاقتصادى ، ومن هنا تبرز خطورة الدور الذى تلعبه الادارات البيروقراطية والفنية من حيث هى مؤسسة اجتماعية ، اذا لم تنظم حركتها ويجرى التحكم فى نشاطها تحت اشراف ورقابة ومشاركة العمال والفلاحين كقوى طبقية سياسية وباعتبارها صاحبة المصلحة الحقيقية فى عملية البناء الاشتراكى ،والعمال بالذات كقوة قائدة بحكم موقعها الاجتماعى وعلاقتها بأدوات الانتاج .

ان اى قرار سياسى او اجراء اقتصادى ، لا يصدر فى فراغ ، فهو يخدم مصالح طبقة او مجموعة من الطبقات ويتعارض مع مصلحة الفئات الاجتماعية الاخرى . ولكى تضمن التحرك بثبات فى طريق ارساء قاعدة التحول الاشتراكى لابد اولا ان نضمن « نقل السلطة الى قوى الشعب العاملة » التى لاتتناقض مصالحها مع هذا التحول . ليس هذا فحسب ، بل واكثر القوى المعنية حقاومن واقع مصالحها الطبقية بالتحول الاشتراكى والتى يتسم نشاطها من اجل تحقيق هذا الهدف بالثبات والاستمرار .

وان كانت بعض القوى المحافظة تعمل جاهدة على الترويج لفكرة التيسير على الرأسمالية والقطاع الخاص ، و « التساهل » او « الابطاء » و « التراجع » احيانا فيما يتعلق بمتطلبات الثورة الاجتماعية ، بدعوى ظروف المعركة الوطنية ، فيجب ان نضع فى اعتبارنا ايضا ان كل مكسب لهذه الفئات يتم على حساب القوى الشعبية ومصالح مجموع الشعب العامل . ويجدر بنا ان نبنى حساباتنا على اساس من الموازنة بين « كسب » ـ غير مضمون ـ لفئات محدودة، ولاؤها مشكوك فيه ، وبين اهمية حشد القاعدة الاساسية العريضة والاصيلة للثورة ، جماهير العمال والفلاحين ، المندفعة بلا تردد من اجل تحرير الارض وبناء المجتمع الجديد . ومن هنا الترابط العضوى بين الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية .

الصراع بين المنابر المتعددة
طريق الوحدة الثورية

لا خلاف هناك حول تحديد قوى الثورة والقوى المضادة للثورة ، لكن هذا التحديد وحده غير كاف ، اذ ان نجاح الثورة فى انجاز مهامها رهن بموقع هذه القوى من العملية الثورية ووضعها داخل التحالف وفى علاقاتها المتبادلة .

وقد أكد الميثاق موقع العمال والفلاحين المتميز واشار الرئيس عبد الناصر الى الطبقة العاملة ودورها القيادى . وتأكيد هذا الخط فى الواقع العملى والممارسة الثورية له هى السبيل لتحقيق الثورة الاجتماعية وحدها ، بل هى شرط ضرورى لتحرير الوطن واستعادة الارض المغتصبة .

واذا كان التناقض الرئيس الذى ظل يحكم حياتنا السياسية وكان السبب المباشر للنكسة هو ذلك التناقض بين الصيغة المعلنة للتحالف وبين

---

(٤) من توصيات مؤتمر عابدين . طليعة ـ موضوع الاستاذ ميشيل كامل

واقعها وطبيعة السلطة ومحتواها الطبقي ٠٠٠
لتناقض اهداف الثورة مع القوى التى تتحكم فى المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، يصبح من المهام العاجلة والحاسمة العمل على أن يتطابق واقع التحالف الوطني مع الصيغة المعلنة للتحالف وبين واقعها وطبيعة السلطة ومحتواها الطبقى ، ولتناقض اهداف الثورة مع القوى التى تتحكم فى المؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، يصبح من المهام العاجلة والحاسمة العمل على ان يتطابق واقع التحالف الوطنى مع الصيغة المعلنة له ، حتى تستمد الوحدة الوطنية صلابتها من صلابة النواة التى تتشكل حولها ، وهى الصلابة التى نستمدها من وحدة العمال والفلاحين، وتقودها القوى الاجتماعية الطليعة فى المجتمع ٠

والطريق الى انجاز هذه المهام طريق صعب وشاق للغاية ، بسبب الواقع القائم ، ولان هذه المهام موكولة بكل العناصر الثورية على تباين مواقعها ورغم تفككها وبعثرة قواها ٠ ولكنها فى الوقت نفسه مسئولية لا مفر من مواجهتها والتصدى لها وطريق لابد من اقتحامه وتمهيده ، فهو سبيلنا الوحيد الى تحقيق آمالنا فى تحرير الارض وبناء المجتمع الجديد ٠

ونحن نعرض هنا لبعض الجوانب التى يجدر بنا الاستناد اليها :

● ان تكوين الاتحاد الاشتراكى من طبقات متمايزة المصالح وضمان معالجة الصراع الطبقي داخل صفوف الشعب العامل بطريقة سلمية وامينة ، يقضى بأن تتعدد المنابر وان نكفل حرية التعبير للفئات الاجتماعية المتباينة التى يضمها التحالف ، بالسماح بالحوار المفتوح واوسع قدر من الديمقراطية لقوى التحالف الشعبى فى التعبير عن آرائها وفكرياتها واتجاهاتها السياسية ٠

● ان يسمح لكل فئة اجتماعية من قوى الشعب العاملة باختيار الامانة (العمال ، الفلاحون ، الرأسمالية الوطنية) التى تعبر عن وجهات نظرها داخل صفوف الاتحاد الاشتراكى، وان يحق لهذه الامانات اصدار صحف ومطبوعات تكون بمثابة منابر علنية لها ٠

● تنشيط الوحدات الاساسية ، والالتزام بدعوة مؤتمراتها بصفة دورية وفى مواعيد متقاربة ، باعتبارها حلقة الاتصال الرئيسية بالقاعدة العريضة للاتحاد الاشتراكى ، وللتعرف على رأيها فيما يتعلق بجميع القضايا القومية ٠

● اقرار حق سحب الثقة واعادة الترشيح والانتخاب للمواقع القيادية ، بما يضمن الرقابة اليقظة ويبقى على حيوية التنظيم وتجدده المستمر ٠

● تجنب الخلط بين التنظيم السياسى الطليعى وبين التحالف الوطنى الواسع ، والتخفيف من القيود والقواعد التنظيمية داخل التحالف ، لتقتصر على قبول العضو للميثاق الوطنى والتعهد بالنضال من اجل تحقيق اهدافه المرحلية وسداد الاشتراك ٠

● لا يحق للاتحاد الاشتراكى ان يفرض وصاية او سيطرة من اى نوع على التنظيمات الجماهيرية الديمقراطية كالنقابات ومنظمة الشباب ٠٠ الخ ، بل عليه ان يحرص على استقلاليتها ٠ ومن الطبيعى ان نتوقع ان يعمل الجهاز السياسى الطليعى على ربط هذه التنظيمات وتوجيه نشاطها ٠ لكن نشاطه يجب ان يقتصر على التأثير من خلال اعضائه العاملين فى هذه التنظيمات وبواسطة الاقناع وحده ٠ ان يعمل على قيادتها من خلال كسب ثقة جماهيرها ، التى تنتخب اعضاء الجهاز الطليعى فى قياداتها اذا اثبتوا جدارتهم واخلاصهم وقدرتهم على التعبير عن مصالحهم وآمالهم ٠

● كما ان الاتحاد الاشتراكى ليس سلطة دولة ، ولا ينبغى بحال ان يسعى الى ان يحل محل الاجهزة التنفيذية ، لكن الجهاز السياسى الطليعى ايضا من خلال اتصاله وتأثيره فى جماهير التحالف من حقه ان يوجه ويؤثر بطريقة ايجابية على كافة الاجهزة التنفيذية وعلى جميع أوجه النشاط الذى تقوم به الدولة ٠

● وقد آن الوقت الذى يجب فيه أن تطرح على الشعب خطة استراتيجية بعيدة المدى لاهدافنا القومية فى مرحلة ثورية بأكملها هى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ٠



تشعبت المناقشة فى ندوة الطليعة مع منظمة الشباب ، ورغم التركيز على الجوانب المتعلقة بالمنظمة ، الا ان الحوار امتد الى المناخ العام الذى ساد البلاد — وبصفة خاصة بعد يونيو ١٩٦٧ — وذلك باعتبار المنظمة جزء من كل ، خضع لنفس مؤثرات وردود الفعل التى اجتاحت المؤسسات السياسية والجماهيرية جميعها ، بدرجات متفاوتة .

وقد اتسم الحوار بالصراحة والتفتح، استهل بتقييم للايجابيات والسلبيات طوال المرحلة الماضية ، الامر الذى استلزم العودة الى تحديد الهدف من تنظيم الشباب ، ليكون معيارا للتقييم ونقطة انطلاق لوضوح الرؤية اثناء التخطيط لعملية اعادة البناء . واختلفت وجهات النظر حول عديد من النقاط .. عوامل تفكك التنظيم والتمزق الذى عاناه الشباب .. اسباب توقف النشاط ومبررات القرار الذى اتخذ بتحريم الاتصالات الرأسية .. التطرف فى الاستناد الى المركزية فى مواجهة ديمقراطية بلا حدود . اسلوب التجنيد وشروط العضوية .. سياسة التثقيف العقائدى والسياسى .. الحجر على بعض الافكار والتضييق على اتجاهات فكرية اخرى .. « وقولبة » الاعضاء فى اطر فكرية متعسفة .. قضية الولاء ومفهومها بين الولاء للاشخاص ، ام المبادىء والافكار .. التركيب الاجتماعى واثره على سياسة المنظمة .. التناقضات التى تحولت الى مستوى الصدام مع بعض وحدات الاتحاد الاشتراكى .. الخ من القضايا الحيوية التى برزت من خلال الممارسة العملية ، وكانت مثار حوار واسع بين جماهير الشباب .

وامتدت المناقشة الى خطة اعادة بناء المنظمة ، ومن ابرز المشاكل التى استحوذت على القدر الاكبر من الاهتمام ، تمسك الخطة بسياسة التعيين دون الانتخاب ، قضية الكم والكيف ، الاساس التنظيمى لوحدات المنظمة ، اهى الوحدات الجماهيرية أم السكنية ؟ — خاصة فيما يتعلق بطلبة الجامعة — ثم العلاقات التنظيمية الداخلية ، وعلاقة المنظمة بالتنظيم السياسى ، والمنظمات الشبابية الاخرى ، واثر قواعد العضوية خلال عام اعادة البناء على التركيب الاجتماعى للمنظمة ، ومدى الاسهام فى المهام القوية الملحة لتحرير الارض المغتصبة .

وانتقل الحديث فى الجزء الاخير من الندوة الى قضايا التربية الفكرية والتثقيف السياسى .

وقد اثمرت الندوة اتفاقا على عديد من النقاط ، ولا شك ان هناك ايضا مسائل كثيرة — لم تحسم ، الا ان بلورة نقاط الالتقاء ، والخلاف هى سبيلنا الى الوضوح ومستهل طريق تصل بنا الى تحقيق آمالنا .

وقد قامت امانة الشباب بالاتحاد الاشتراكى بمراجعة الندوة .

وتتضمن الدراسة تعليقا من اعضاء اسرة الطليعة الذين شاركوا فى الندوة ، على المسائل الاساسية التى تناولها البحث ، والاتجاهات الرئيسية التى برزت من خلال النقاش :

منظمة الشباب

دروس التجربة

.. إعادة البناء

.. التثقيف السياسى

وقد شارك فى الندوة من جانب منظمة الشباب : د • مفيد شهاب ، صلاح الشرنوبى ، سعيد حشمت ، فوزى بشرى ، عبد اللطيف حنفى ، هانى خلاف ، اسامه غيث ، ابراهيم صديق ، عزه وهبى ، مجدى عرفه ، منيره نصير ، علاء حمروش ، احمد يوسف ، مصطفى الفقى ، جلال غانم ، عاطف الصانع .

ومن اسرة الطليعة : د. محمد الخفيف ، د • ابراهيم سعد الدين ، مصطفى طيبه ، عبد المنعم الغزالى ، عبدالمنعم القصاص ، خيرى عزيز ، حسين شعلان ، رفعت السعيد ، ميشيل كامل ، ولطفى الخولى .

جدول الاعمال

أولا : لماذا نعيد بناء منظمة الشباب ؟

– الجوانب الايجابية فى تكوين المنظمة فى الماضي ، ومدى امكان الاستفادة منها في عملية اعادة البناء ؟

– الجوانب السلبية والاخطاء المستهدف علاجها •

ثانيا : خطة اعادة البناء في خطوطها الرئيسية ، مفهوم اعادة بناء المنظمة وجوانب الاختلاف مع المفهوم القديم . ومدى انعكاس المفهوم الجديد على :

– التكوين الاجتماعي •

– مجالات النشاط •

– البناء الداخلي والعلاقات التنظيمية الداخلية بين الاعضاء والمستويات المختلفة •

– علاقة المنظمة بالتنظيم السياسي ومنظمات الشباب الاخرى .

– مدى ارتباط خطة اعادة البناء بالظروف الخاصة لبلادنا وطبيعة المرحلة التي نجتازها الان ازاء المعركة ضد الاحتلال الصهيونى الامبريالي .

ثالثا : البرامج التثقيفية وتربية الاعضاء •

■■■

ملخص مشروع الاطار العام لخطة الشباب الاشتراكى فى عام ١٩٦٩

تناول المشروع محاولة للاجابة على ثلاثة اسئلة عامة هي :

ا – كيف يعاد البناء ؟

ب – لماذا يعاد البناء ؟

ج – بناء المنظمة – اين والى اين • ؟

وفي الاجابة على هذه الاسئلة الثلاث اكد مشروع الخطة « ان « المدخل الطبيعى لممارسة اعادة البناء هي الانتخابات المباشرة » •• لكن المشروع عاد فقرر انه « لما كانت نتيجة الانتخابات تتقرر بمدى نضج ظروف المجتمع الموضوعية وظروف الشباب الذاتية ، فلقد كان من الطبيعى ان تكون هناك فترة انتقالية لمدة سنة يتم فيها « انضاج هذه الظروف » حتى تصبح قابلة لافراز القيادات الاكثر شعبية والاكفا » •

وتحدث مشروع الخطة عن دور المنظمة في تعبئة الشباب في معركة ازالة اثار العدوان فاعلنت ان المنظمة سوف تتولى تشكيل كتائب مقاتلة للشباب الاشتراكى .

واكد المشروع ايضا ان الخطة تستهدف الاهتمام بالكيف وعدم تغليب الاعتبارات الحكمية عليه •

وقد حاول مشروع الخطة بعد ذلك ان يحدد الواجبات التي ستضطلع بها المنظمة خلال هذه السنة الانتقالية في مجالات خمس :

العمل التنظيمى ، العمل السياسى والانشطة ، العمل التثقيفى ، العلاقات الخارجية ، المبعوثين •

وفيما يتعلق بالعمل التنظيمى •• جاء بالمشروع ان المستوى المركزي يتمثل فى لجنة الشباب المتفرعة من لجنة التنظيم باللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي واعضاء السكرتاريات النوعية المختلفة •

وحول العلاقة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى العربى ، قال المشروع انه « يتم اتصال رأسى بين كافة المستويات القيادية داخل المنظمة •• وفي نفس الوقت يتم اتصال افقى بين



مستويات المنظمة والمستويات المقابلة فى الاتحاد الاشتراكى العربى .. وذلك بما يؤكد ويعمق دور الاتحاد الاشتراكى كتنظيم سياسى قائد ودور المنظمة كجناح شبابى لهذا التنظيم » .

وحول النظام الداخلى .. وضع المشروع نظامان داخليان ، احدهما للاعضاء يتحقق فيه الانضباط من خلال عقد اجتماع شهرى للمجموعات القاعدية .

ونظام داخلى آخر للكوادر يسرى على جميع المستويات القيادية واحتياطيها ، ابتداء من المستوى المركزى حتى مستوى اللجان القيادية بالوحدات الاساسية وينفذ فيه نظام التكليفات التنظيمية ذات الطابع الحزبى كالتقارير والاجتماعات ونظام المتابعة .. الخ .

وحول اسلوب تجديد العضوية اورد المشروع النقاط التالية :

● يفتح باب تجديد العضوية امام جميع اعضاء المنظمة لمدة شهر واحد اعتبارا من ١٩٦٦/٣/١٥ الى ١٩٦٩/٤/١٥ »

● يشترط الا يزيد سن العضو الراغب فى تجديد عضويته عن ٢٥ سنة باستثناء العمال والفلاحين فحتى ٣٠ عاما وللمستوى المركزى ان يستثنى من القيادات من يرى ضرورة استمرار عضويتهم خدمة لاهداف المنظمة .

● بالنسبة لاعضاء المنظمة من طلاب الجامعات والمعاهد العليا الراغبين فى تجديد عضويتهم التقدم بطلب التجديد الى لجان المراكز والاقسام التابعة لها محال اقامتهم ، حيث تنشأ وحدات اساسية سكنية ينضم اليها من ليس لهم وحدات جماهيرية مثل الحرفيين وطلاب الجامعات والمعاهد العليا .

● بعد موافقة مستوى المراكز والاقسام على تجديد العضوية يقوم مستوى المحافظة باصدار قرارات العضوية بعد موافقة لجنة الاتحاد الاشتراكى بالمحافظة والمستوى المركزى للمنظمة .

وفى مجال العمل السياسي والانشطة حدد المشروع ثلاثة اهداف للمنظمة :

١ ــ ربط الشباب بقضية المعركة عمليا .

٢ ــ دعم الاقتصاد المصرى ورفع مستوى الجماهير الشعبية .

٣ ــ دعم كيان المنظمة فى المجتمع باعتبارها نموذجا متفوقا للعمل الشبابى .

اما المهام فتتلخص فى :

● اعمال المقاومة الشعبية والدفاع المدني .

● الاسهام فى تنفيذ مشروع محو الامية .

● المشاركة فى تحقيق زيادة الانتاج .

● المشاركة فى دفع مشروع تنظيم الاسرة .

● المعاونة فى رفع مستوى الطبقات الشعبية من خلال مشروعات متعددة كالحقول الطليعية والاسر المنتجة .

● العمل مع الفتيات .

● العمل مع الطلائع .

● ما يتحدد للمنظمة من مهام من قبل الاتحاد الاشتراكى العربى مركزيا او محليا .

وفى مجال الانشطة تحدث المشروع عن ضرورة العمل فى مختلف المجالات التي تجذب اهتمام الشباب وهى النشاط الثقافى ، الرياضى ، الرحلات ، المعسكرات ، الفنون التشكيلية ، المسرح ، السينما ، الموسيقى ، الفنون الشعبية ، الادب ، هوايات اللاسلكى والتصوير) .

وفى مجال العمل التثقيفى حدد المشروع واجبين اساسيين يتعين على العمل التثقيفى ان يستهدف تحقيقهما وهما :

ا ــ خدمة القضايا العملية والتطبيقية المتصلة بالمعركة الراهنة مع العدو .

ب ــ دعم التحول الاشتراكى ومكاسب قوى الشعب العاملة .

واكد المشروع ان هذا الهدف يلقى على الشباب الاشتراكى عبء اكتساب الرؤية الثورية الصادقة ، وعبء المواجهة الفكرية والعملية ــ بقيادة الاتحاد الاشتراكى العربى ــ للقوى المضادة للثورة ، رجعية كانت او انتهازية .

وبعد ذلك حدد المشروع المجالات الثلاثة للعمل التثقيفى وهى :

المجال العقائدى ويشمل الدراسة الفلسفية والمنهجية والدراسات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية ودراسة اساسيات الفكر الاشتراكى المعاصر وتاريخ القوميات وطبيعة الامبريالية والصهيونية والتناقضات الاساسية فى الوطن العربى وطبيعة المجتمع المصرى وآفاق معركته وتطوره .

والمجال السياسي ويشمل دراسة العدوان والنكسة وازالة آثار العدوان واوجه النضال السياسى والعسكرى والاقتصادى والمعنوى ضد العدو .. كذلك يشمل دراسات حول قضية التغيير ومعناه ودلالاته ومجالاته .. ومحاولة لتحديد ماهى قوى الثورة وقوى الثورة المضادة .

وفى المجال التنظيمى دراسات للاساسيات التنظيمية

وحدد المشروع وسائل التثقيف فقال انها مدارس الكادر وحلقات النقاش النوعية والتثقيف الذاتى ..

وعند الحديث عن العلاقات الخارجية اكد المشروع التزام المنظمة بالمبادىء التى رسمها الميثاق فى مجال العلاقات الخارجية وهى : الحرب ضد الاستعمار والعمل من اجل السلام العالمى . والتعاون الدولى من اجل الرخاء »

على ان يتم ذلك كله من خلال عمل شبابى يتمتع بالحركة المرنة والطليقة بعيدا عن اى حساسيات متعصبة او مشاعر معقدة بحيث يكون تنظيم الشباب دائما بمثابة طلائع الحركة العربية المتقدمة فى الساحة الدولية ، ومن اجل تأكيد الصداقة وروح الاخوة بين كل الشعوب .

وفى مجال العلاقة مع المنظمات الوطنية والعالمية للشباب دعا المشروع الى دعم العلاقة مع منظمات الشباب العربية ومنظمات الشباب الاشتراكية الصديقة وفى مقدمتها منظمة شباب الاتحاد السوفييتى مع توسيع دائرة العلاقات مع المنظمات التقدمية فى العالم الرأسمالى .. ودعم العلاقات مع المنظمات التقدمية فى دول العالم الثالث ..

واخيرا تحدث المشروع عن دور المنظمة تجاه المبعوثين قائلا ان عمل المنظمة سوف يدور فى المحاور الاساسية التالية :

ا ــ اعداد المبعوثين قبل السفر .

ب ــ رعايتهم اثناء وجودهم بالخارج .

ج ــ متابعتهم وحل مشاكلهم بعد العودة .

حوار بين ممثلى المنظمة وأسرة الطليعة

الايجابيات والسلبيات وخطة اعادة البناء

لطفى الخولى : نرحب بكم ونشكر استجابتكم للدعوة من اجل عقد هذه الندوة · وارجو ان تسمحوا لى فى البداية ان اعرض عليكم مشروع جدول الاعمال الذى تقترحه الطليعة للندوة .. ثم اترك لكم ابداء وجهة نظركم ، فيما لو رأيتم ادخال اية تعديلات بالحذف او الاضافة او تقديم مشروع بديل ·

[بعد اقرار المشروع بدأ النقاش حول النقطة الاولى] ·

د · مفيد شهاب : اود ان اوضح نقطة هامة فى البداية ، وهى اننا اتينا الى هنا ، لا لندافع عن عملنا ابان الفترة الماضية بسلبياتها وايجابياتها ، وانما جئنا الى هنا لنفتح حوارا عميقا مع اسرة الطليعه التى نؤمن بأن لها من الخبرة ما يفيد الشباب الحاضر معنا الان والذى عاصر التجربة من الداخل ، وله رأيه الخاص · ويستمد الحوار اهمية خاصة لانه يأتى فى اعقاب مؤتمر الشباب الذى عقد اخيرا فى حلوان حيث توصلنا الى مشروع خطة نبدأ تنفيذها فى ابريل .·

لطفى الخولى : فى الواقع ، ان هذه الروح هى نفسها التى تحكمنا ، فنحن نؤمن بان اى تنظيم ليس جهدا فرديا ، لانه اساسا مسألة تجميع وبلورة الخبرات بكل ماتشتمل عليه من سلبيات وايجابيات · ومن جانبنا ، ليست لدينا افكار مسبقة ، ولكن لدينا انطباعات عن تجربة سابقة · وقد تعتور رؤيتنا القصور نتيجة بعض الظروف والاوضاع الداخلية للمنظمة · واعتقد ان من يرى الامور من الخارج ، يستطيع ان يقدم شيئا يخفى احيانا عمن يعيش فى الداخل · واخيرا فاننا ننظر الى بناء منظمة الشباب كاداة من ادوات النضال الحقيقية فى بلدنا ·

والان ، فليبدأ الشباب من جانبهم ، بتقديم العرض الرئيسى لوجهة نظرهم ·

صلاح الشرنوبى : ابدأ من حيث انتهى الدكتور مفيد من كلامه حول الخطة الجديدة ، فاقترح ان تكون هى نقطة البدء فى المناقشة ، ذلك اننا سوف نستفيد كثيرا بتعميقها ·· واذكر فى هذا الصدد ان الطليعة ناقشت معنا خطة العام الماضى فقدمت لنا بذلك مساهمة هامة · ومادام مشروع الخطة الجديدة ليس معنا الان ، فلنؤجل الحديث حوله فى الجلسة القادمة ·

فوزى بشرى : بالنسبة لتقييم عمل وحركة منظمة الشباب خلال الفترة الماضية ، لى ملاحظتان : اولاهما ان المنظمة قد نشأت فى احضان الاتحاد الاشتراكى ·

والملاحظة الثانية هى ان التنظيم القائد لم يكن لديه العدد الكافى من الكوادر ، وكان التعيين هو الاسلوب المتبع ، فنتج عن ذلك ان تناقضت الاشكال التنظيمية بين لجان الشباب ولجان الاتحاد الاشتراكى فى الواقع المشتركة ، على ان هاتين الملاحظتين لاتنفيان الوجه الايجابى لقيام المنظمة ، فهى بمثابة اول تنظيم شبابى مستقل فى تاريخنا السياسى ، لان الاجنحة الشبابية فى احزاب ماقبل الثورة لم تكن قط تنظيمات قائمة بذاتها · كما ان المنظمة استطاعت ان تنشر الفكر الاشتراكى على نحو لم يسبق له مثيل ، من حيث الكثافة الجماهيرية التى تلقت هذا الفكر ، ومن حيث الطبيعة الخاصة للثقافة الاشتراكية التى



تبنتها المنظمة ، وهى الطبيعة التى تتلاءم مع ظروفنا ولا تتعارض مع قيمنا فكان ذلك من عوامل القبول الجماهيرى الواسع للاشتراكية كحل اجتماعى وسياسى واقتصادى ومعنوى لمشكلاتنا · ولقد استطاع اعضاء المنظمة في وقت قصير ودون سابق معرفة بالقواعد التنظيمية ان يحققوا نجاحات هامة فى هذا الميدان ، وذلك بالتحامهم بالواقع التحاما يوميا هيأ لهم من الخبرات النضاليه ما اسهم فى تكوين بعض التقاليد التنظيمية الناجحة · وقد تمكنت المنظمة بواسطة ما اتيح لها من الخبرات الثقافية والتنظيمية ان تؤدى دورا فى مجال الانتاج والخدمات عن طريق مشاريعها الجزئية فى الصناعة والزراعة ، كمشروع الحقول الطليعية ومشروع فرق العمال الطليعيين . واذا كانت هذه المشروعات لم تثمر نتائج ضخمة ، فلانها مشروعات « تجريبية » لم تعمم على الصعيد القومى · ولقد ادى اعضاء المنظمة واجبهم فى المدارس والمستشفيات والدفاع المدنى ضمن تعاون وثيق مع المؤسسات والاجهزة الاخرى ، لا ينفى ذلك بطبيعة الحال ، ان سلبيات عديدة قد عرفت طريقها الى مجال العمل السياسى للشباب ، سواء عن طريق التركيب الاجتماعى حيث كانت المنظمة تشترط اجادة القراءة والكتابة واجتياز العضو مرحلة تثقيف فى المعهد الاشتراكى ·· فكان الطلبة والموظفون والمهنيون هم المادة البشرية الرئيسية للمنظمة ، وحرمت قطاعات واسعة من شباب العمال والفلاحين من عضويتها · والاحصائية الرسمية تقول ان عدد المثقفين بلغت نسبة ٦٥ فى المائة من عدد الاعضاء ، وتبقت ٣٥ فى المائة من هذه النسبة للعمال والفلاحين · وقد كان اهتمامنا بالبناء الداخلى للمنظمة هو السبب فى ابتعادنا عن الافاق العريضة للعمل السياسى ، وفى انغلاقنا على انفسنا ، ومن ثم لم نصل الى الصيغة الصحيحة لمشكلة الكم والكيف فى اختيار الاعضاء ·

د · مفيد شهاب : اوافق تماما على تقييم الوجه الايجابى للمنظمة كما عرضه الاخ فوزى ·· واريد ان افسر اوجه النقص التى لاحظها . والحق ان منظمة الشباب قد أعطت مفهوما جديدا للعمل السياسى ، وهو انه ليس مجرد خطب وشعارات وانما يرتبط اساسا بالعمل اليومى لزيادة الانتاج وتحسين الخدمات لاوسع رقعة من جماهير الشعب · وبالنسبة للسلبيات اعتقد ان جانبا كبيرا مما اصاب المنظمة يرجع بالدرجة الاولى الى الظروف العامة للعمل السياسى فى بلادنا . كما ان هناك جانبا من الاخطاء ترجع مسئوليته الى بعض الافراد بصفتهم الشخصية لا كأعضاء فى المنظمة ·

ولكننا لانستطيع انكار الجانب الثالث من السلبيات ، الذى يرجع بغير شك الى اسلوب عمل المنظمة ، فلو تناولنا العمل السياسى فى الجامعة على وجه التخصيص نجد ان المنظمة ركزت جهودها فى تجنيد الطلبة دون سواهم نتيجة اشتراطها منح العضوية عن طريق التثقيف القصير المدى بالمعاهد الاشتراكية . والعمل السياسى بمختلف اشكاله فى الجامعة عمل صعب ، نتيجة ظروف الجامعة نفسها ، ونتيجة انفصالها عن القضايا الملحة للمجتمع ، فليست المنظمة وحدها هى التى لم تنجح تماما فى الجامعة . ومن الملامح السلبية على المستوى الفردى ان يدعى هذا العضو او ذاك انه مكلف بكتابة تقارير ، يستخدمها احيانا استخداما شخصيا محضا كأن يهدد بها او يسىء استعمالها فينسحب اثر ذلك على جهود المنظمة كلها على ان اسوأ العيوب فى اسلوب العمل كان المركزية الشديدة التى ادت الى ظاهرة الانفلات والقوقعة · وربما كان القول بان مرحلة البناء الداخلى تحتاج الى مزيد من الانضباط ، وهذا صحيح ، ولكن خطورة المبالغة انها تخنق روح الابتكار والتجديد والخلق والمبادرة · ومن اسباب القوقعة ايضا من ناحية اسلوب العمل ، هو الالحاح على البرامج النظرية فى التثقيف دون اعتبار للمشكلات الواقعية التى تساعد بلا ادنى ريب على الانفتاح ، وهذا يجرنا الى التساؤل : هل منظمة الشباب تنظيم طليعى ، ام تنظيم جماهيرى ؟ وفى رأيى انها مدخل للاتحاد الاشتراكى الذى يفرز له كوادره النضالية وقياداته التى تشكل له جهازه الطليعى · وبالتالى ارى فى منظمة الشباب — الان — تنظيما جماهيريا لا تقتصر فيه العضوية على نماذج بعينها ، وانما كل من تتوفر فيه الشروط العامة للعضوية يجب ان يجد باب المنظمة مفتوحا لاستقباله ، بغير ان يكون هناك — من جانب آخر — اى ضغط فى عملية التجنيد ·

صلاح الشرنوبى : يجب ان نفرق ابتداء بين المراحل المختلفة لقيام المنظمة ·· فالمرحلة الاولى قد بدات باعداد الكوادر التى تولت قيادة المنظمة واعلانها فى يوليو سنة

١٩٦٦ ، والمرحلة الثانية بدأت من يوليو ١٩٦٦ حتى النكسة وهى المرحلة التى يقصدها فيما اظن الاخ فوزى بما ذكره من سلبيات وايجابيات · أما المرحلة الثالثة التى تبدأ من عام ١٩٦٨ التى شاركت « الطليعة » فى مناقشة خطتها فانها قد تجاوزت الكثير من السلبيات المشار اليها ·

لطفى الخــولى : اريد ان اســتفسر هنا عمــا اذا كان نشاط المنظمة قد تجمد تلقائيا بعد يونيو ، أم أنه جمد بقــرار مــن الاتحــاد الاشتراكى ؟

د · مفيــد شــهاب : الواقع ان احدا لم يقرر تجميد النشاط ، ولكن الذى حدث ان الشباب تمزق فتوقف نشاطه · ثم بدانا الخطـة الجديدة عام ١٩٦٨ ، وحدثت حساسيات بين المنظمـــة وبعض وحـــدات الاتحـــاد الاشتراكى ، فصدر قرار اعتبره نوعا من التجميد غير المباشر لنشاط المنظمة كمنظمة وهو تحريم الاتصال الرأسى بين مستويات المنظمة · وكان ذلك فى فبراير او مارس ١٩٦٨ بحيث ان القيادة المباشرة والاتصال لايتم الا مع لجنة الاتحاد الاشتراكى فى المستوى المقابل ·

لطفى الخولى : دون صدور قرار بالغاء المنظمة .

د · مفيد شهاب : دون قرار بذلك ، وانما اعتقد أنه الغى المستوى المركزى عمليا .

لطفى الخولى : هل هناك استفسارات ؟

د · ابراهيم ســـعد الدين : قـــال الدكتـــور مفيد ان المنظمة فشلت فى الجامعة ، وسؤالى هو ما مقياس الفشل او النجاح ؟

د · مفيد شهاب : لم اقصد ان المنظمة فشلت فى الجامعة وانما قصدت ان ظروف العمـــل السياسى فى الجامعة والاخطاء التى وقع فيها بعض اعضاء المنظمة لم تمكنها من اداء دورها كما ينبغى .

عبــد المنعم الغـــزالى : الدكتور مفيــد يقـــول انه نوعا من الاستقلال او اللامركزية ينبغى ان يحل مكان المركزية الشديدة ، فهل يعنى بذلك المركزية الديموقراطية ام اللامركزية بالمفهوم المركزى ايضا ؟ أى ، ما المقصود بمفهوم الاستقلال لوحدات منظمة الشباب ؟ ومامدى حرية الحركة داخل المنظمـــة ؟ والسؤال الثانى حول « الجديد » فى العمل السياسى الذى اضافته المنظمة ، فما هو المقصود بهذه الاضافة وهذا الجديد ؟

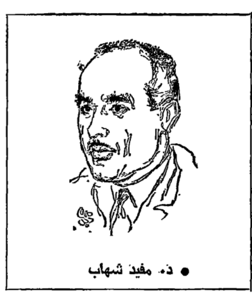
مصطفى طيبة : بالنســبة لمــا ســماه الدكتور مفيد بالاخطاء الفردية لبعض اعضــاء المنظمة ، الم يكن فى حدود اسلوب العمل الذى ادين ؟ واقصد بذلك اسلوب كتــابة التقارير بالذات .

د · محمــد الخفيف : اســمحوا لى ان اطـــرق الموضوع مباشرة متجاوزا ماقد يشعر به البعض من حساسية خاصة ونحن نتكلم عن ايجابيات وسلبيات المرحلة الماضية · وكما قال الدكتور مفيــد ، فالقصـــد فعلا من هذه المناقشة ، هو تبادل الرأى وتصحيح ماقد يكون موجودا لدى احدنا من اخطاء · والواقع اننا حين نتكلم عن الســلبيات والايجابيات ، لا بد وان يرتبط كلامنا بهدف مانظمنا انفســنا لتحقيقــه ·· فــالتقييم الموضوعى هو ان نتخذ من هذا الهدف معيارا للنجاح او الفشل فى تحقيقه · والا اصبح الكلام عن السلبيات والايجابيات شيئا مجردا لايصل بنا الى نتائج محددة · لابد اذن من التساؤل : لماذا قامت منظمـــة الشباب ؟ فالبعض يرى ـ وانا اختلــف معه ـ فى ان قيامها ذاته كان عملا ايجابيا كبيرا .

ان قيام المنظمة ـ وعلينا ان ننسى مؤقتا ماقيل من انها اول تنظيم شبابى فـــى تاريخنا ـ لا يصبح عملا ايجابيا الا اذا اقترن بهدف يحققه او يسعى الى تحقيقه . واعتقد ان قيام تنظيم شبابى فى بلادنا يهدف الى اتمام مرحلة التحول الاشتراكى لنصل بالفعل لا بالقول الى المجتمع الاشتراكى ·· فبغير الشباب السياسى المناضل الذى يعى هذه المرحلة ويجعل منها هدف حياته لاتتم ابدا عملية بناء الاشتراكية ، ونظل فى مرحلة انتقال دائمة · ذلك ان عملية البناء ـ وهى فى جوهرها عملية التجدد والاســتمرار تحتاج ان يتصدى لها جيل يتصــف بالخصائص التى ذكرها السيد الرئيس فى مجلس الامة · وكان الرئيس قد اوضح ان على الجيل الجديد ان يتحمل مسئولية اتمام مـــرحلة التحـــول الاشـــتراكى وبنـــاء الاشتراكية · فهل هذا ماحققته منظمـــة الشباب ، نتورط فى تناقض صارخ عندما نضع فى خانه الايجابيات ان المنظمة ربت جيلا من الكوادر منحته التجربة والثقافة قدرات تنظيمية وسياسية ، ثم نضع فى خانة السلبيات التقوقع والانفلات والبعد عـــن الواقع والسلوك المخرف الذى لم يخضع لحساب · ولايكفى ابدا ان نحل هذا التناقض بقولنا ان عدد الكوادر كان قليلا ، او ان المنظمة عن طريق الفرق قد زادت من الانتاج



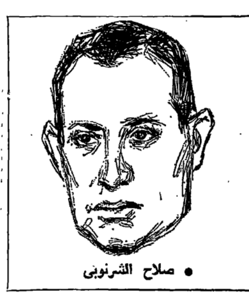
وحسنت من الخدمات ، اذ لابد لنا حينئذ قبل ان نحصى هذه الاشياء فى بند الايجابيات من ان نتساءل : هل كان الشباب وهو يقوم بهذه الاعمال ، يدرك أنه يبنى الاشتراكية ، أم كان الامر مجرد توجيه جهده نحو الخدمات الاجتماعية ؟ هل استطاع مثلا عن طريق هذا العمل الذى نصفه بالنجاح ان يجند كوادر جديدة ويزيد بها عدد الكادر الموجود ؟ هذا هو مقياس النجاح ، وليس مجرد زيادة الانتاج ، فالمعيار الاساسى هو الكسب المستمر لعناصر قيادية لهذه المجالات . ولا يعنى هذا ان العمل على زيادة الانتاج عمل سلبى ، وانما معناه انه ليس معيارا للنجاح او الفشل فى منظمة سياسية للشباب .


● د. مفيد شهاب

ولست اشك فى ان العدوان كان امتحانا عميق الدلالة للمنظمة ، بالطبع كان امتحانا للمجتمع ككل ، ولكنا الان نتكلم عن جزء منه ، فماذا حدث ؟ قلتم بانفسكم ان الشباب تشتت ، ومنظمته تجمدت من قبل صدور التعليمات بمنع الاتصالات الرأسية . بل لماذا صدرت هذه التعليمات ؟ الان القيادة رأت فى احداث فبراير الطلابية مبررا لذلك؟ لو صح ذلك لكان حكما واضحا على المنظمة . ولكنى اعتقد ان السبب هو التفكك وظهور تيارات متضاربة مع بعضها البعض . والا كيف نفسر ما حدث ، والمنظمة لديها كوادر فى السياسة والتنظيم كما قيل . وكيف نفسره والمنظمة كما قال الاخ فوزى بشرى قد توسعت ـ لاول مرة فى تاريخنا ـ فى نشر الفكر الاشتراكى .


● لطفى الخولى

وبهذه المناسبة اختلف مع هذا الحكم اختلافا تاما . ولكنى اعود الى التساؤل : كيف حدث ذلك من منظمة لديها هذه الكفاءة التى تتحدثون عنها ؟ لست اقصد بهذا الكلام ان ادين منظمة الشباب فى شىء ، وانما اتكلم من وجهة نظر من عمل مرة فى هذه المنظمة وتابع نشاطها .. وانما اقصد الوصول الى رأى مؤداه ان المنظمة قامت ولم يكن هناك هدف واضح ومحدد لقيامها . لذلك ترجح كفة السلبيات فى تصورى كفة الايجابيات تحت ضغط عاملين اساسيين : الاول هو الاتحاد الاشتراكى ، والاخر هو المنظمة نفسها . فالاتحاد الاشتراكى كان يعانى من نفس الالام التى اصابت المنظمة ، وفى مقدمتها انعدام الرؤية الواضحة والهدف المحدد ، وأمسى واجهة عريضة تضم فئات الشعب المختلفة ، ينقصها اسلوب العمل فيما بينها ، ثم بينها وبين الناس خارج التنظيم . ولاشك ان الميثاق دليل عملنا ، ولكنه لايكفى فى تحديد عمل مفصل .


● صلاح الشرنوبى

والواقع ان المنظمة لم تنشأ كما قيل فى احضان الاتحاد الاشتراكى ، بل نشأت قبل المكاتب التنفيذية .. لقد احست بعض عناصر الاتحاد الاشتراكى بان ثمة عناصر شبابية اقدر منها على الحركة والكلام عن الاشتراكية ، فبدأ النزاع والتناقض بين الاتحاد الاشتراكى والمنظمة . والعامل الاخر توضحه المذكرة التى امامى ، والتى تقول اننا لم نفتح الباب امام العضوية بقدر كاف ، وفى موضع آخر تشكو من التوسع فى الحكم دون ان يكون هناك عدد كاف من الكوادر لقيادة هذا الحكم . اما بالنسبة لما اثاره الدكتور مفيد حول مايسمى بالتنظيم الطليعى والتنظيم الجماهيرى ، فالحقيقة اننى لا افهم هذه التفرقة ، لان كل تنظيم طليعى هو بالضرورة تنظيم جماهيرى ، يقود الجماهير ويعمل وسط الجماهير ويجند عناصر من الجماهير .. فالتنظيم الجماهيرى لايقصد به مجرد « جمع » الجماهير ، والتنظيم الطليعى لايقصد به انه قلة تقوقعت وبعدت عن الحياة .. التنظيم السياسى سواء كان شبابيا ، او لم يكن هو تنظيم يقود الجماهير التى نظم من اجلها .

د . مفيد شهاب : اختلف مع الدكتور الخفيف حول تعبيرى طليعى وجماهيرى .. فالمقصود بهما — فى المناسبة التى اثير النقاش حولهما — ان المنظمة تصبح جماهيرية اذا فتحت باب العضوية فيها على مصراعيه .. اما اذا اقتصرت على اختيار عناصر قليلة قادرة على القيادة بعد تدريب وتثقيف فانها حينئذ تصبح منظمة طليعية وفى رأيى أنه من الافضل بالنسبة لتنظيم الشباب ان يكون تنظيما جماهيريا بغير حاجة الى الضغط فى التجنيد .

وبالنسبة للفكرة اللامركزية التى اشار اليها الاستاذ الغزالى ، فان مانهدف اليه هو تحقيق قدر من الاستقلال فى الحركة مع الارتباط العملى بالقيادة . نكتفى مثلا بوضع خطة عامة او اطار عام ، ونترك لكل محافظة ان تكيف خطتها الخاصة من وحى ظروفها فى حدود هذا الاطار .

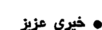
وبالنسبة لما اثاره الاستاذ مصطفى طيبة حول كتابة التقارير اقول ان هذا الاسلوب مسلم به فى كل التنظيمات المماثلة ، حتى يشعر كل عضو بأنه مسئول عن تصرفاته . ولكن هذا لاينفى ان بعض الاعضاء على المستوى الشخصى اساءوا استخدام كتابة التقارير لغير الاهداف الحقيقية فاتخذوها سلاحا للتهديد ، لا عملا سياسيا . الخطأ هنا فردى والسلوك شخصى ، لايلغى اسلوب العمل من اساسه .

هذا ولا نستطيع ان نحكم على المنظمة خلال عام واحد من نشاطها ، ونطلب منها الصمود فى الخامس من يونيو ، والتماسك ، بينما كانت البلد كلها فى مختلف اشكالها السياسية والتنظيمية قد تبعثرت . طبعا هذا يؤكد اننا لم نكن بالصلابة الكافية ، ولكنه لايؤكد اننا فشلنا نهائيا .

ابو سيف يوسف : اننا نظلم المنظمة كثيرا اذا حددنا معيار نجاحها او فشلها بمعزل عن المناخ السياسى العام . فالعلاقة — مثلا — بين الاتحاد الاشتراكى والمنظمة ، لم تكن يوما محددة او واضحة . الاتحاد الاشتراكى كتحالف بين طبقات مختلفة غير مؤهل لقيادة منظمة الشباب او الاشراف عليها . واخشى فى مشروع الخطة الجديدة ان تمنح الاتحاد الاشتراكى مزيدا من الاشراف .. فهذا لا يؤدى بالفعل الى اصلاح المنظمة او الخروج بها من الاوضاع الصعبة التى واجهتها . ومن وحى التجارب فى التنظيمات الشبابية خارج بلادنا ، نلاحظ ان منظمة الشباب هى الاداة والجهاز والمصدر للكوادر الاشتراكية لحزب او تنظيم اشتراكى . على ذلك تتحدد العلاقة بين منظمة الشباب والجهاز السياسى ، بمعنى ان تكون القيادة للجهاز السياسى وليست للاتحاد الاشتراكى .

النقطة الثانية هى الوضوح الفكرى ، فلو اننا تذكرنا ماقيل عن نسبة العمال والفلاحين فى المنظمة ، لاستطعنا ان نتصور هذا الحكم الهائل (٦٥ فى المائة) الذى يأتى الى المنظمة بافكار متضاربة عن الاشتراكية .. اذا قرانا برامج التثقيف الاشتراكى فى المنظمة لانجد رابطة بينه وبين برامج الجامعة او مؤسسة الثقافة العمالية .. أى انه ليست هناك وحدة فكرية .

ولا اعتقد انه من اسباب ضعف المنظمة انها توسعت فى التجنيد بغير ان تكون لديها الكوادر القائدة . فالحق ان الكوادر موجودة دائما ، والمهم هو اسلوب العمل الذى يوجدها او لايوجدها .. لذلك فانى اتفق مع د. مفيد شهاب فى ان تضم المنظمة الالاف والالاف دون خوف ، فالاسلوب السليم فى العمل كفيل بان يمد المنظمة بكوادرها القادرة على القيادة . والحق كذلك ان حركة المجتمع وخدمها هى التى تضبط معنى الكم والكيف ، فاذا كانت الثورة فى حالة مد



● خيرى عزيز ● ابراهيم صديق محمد حسن ● ابو سيف يوسف

وتقدم فاننا نتوسع فى التجنيد ، واذا كان المجتمع يتعرض لخطر الردة او الثورة المضادة ، فان طبيعة الامور تقتضى ان نقصر خطوطنا ونتوقف فترة من التجنيد :

مصطفى الفقى : هناك ٣ تحفظات نطرحها فى البداية عند مناقشة موضوع منظمة الشباب :

اولا : ان منظمة الشباب جزء من المجتمع بسلبياته وايجابياته ٠

ثانيا : اننا من الناحية التاريخية فى بلد لم يحفل بتاريخ تنظيمى لحركات يمكن ان نستمد منها التجربة ، ولم يكن لدينا المواطن السياسى القادر على اقتحام التنظيمات او صنعها ، سواء قبل الثورة او الفترة التالية للثورة لاسباب كثيرة ، قد نختلف فى تحديدها ، ولكنها حقيقة قائمة ٠

لطفى الخولى : هذا يدل على ان دراسة التاريخ لازمة فعلا٠

ثالثا : ان تسييس الشباب بالذات يختلف عن أى فئات اخرى بحكم ظروفه النفسية وعوامل تكوينه وتطلعاته ٠ بعد ذلك انا باتفق مع الاستاذ لطفى الخولى فى ان من يقيم تجربة من خارج الاطار ، وجهة نظره تكون اقوى ممن بداخلها ٠

لطفى الخولى : ارجو ان نلاحظ انى لم اقل ذلك ٠ جائز ان نرى نقطا لا يراها الاخرون ، لكن من يقوم بالتقييم هو من يعيش داخل التجربة ٠

مصطفى الفقى : لما نتعرض لايجابيات المنظمة وسلبياتها ، أبدأ بالسلبيات :

اولا : ان المنظمة اصيبت بما يمكن ان نسميه « باحتكار الاخلاص » ، اذ تصور الشباب، ونحن جزء منه ــ ان كل من بداخل المنظمة هم العناصر الصادقة المخلصة ، ومن هم خارجها ، انتهازيون نفعيون ، وصموا تاريخيا وموضوعيا ، وكانت هذه مسلمة خاطئة فى الحقيقة اكتشفناها فيما بعد ٠

ثانيا : الجمود الفكرى الذى اصيب به بعض من عاشوا داخل اطار ، عبر عنه الكثيرون باسم « القولبة » ، اى الانحصار فى « قالب » يمكن ان نميزه فى كل مكان ، بحيث يعرف من ينحصر فيه بأنه عضو فى المنظمة ، وهذا نتيجة للنقطة الاولى ٠ ثم ميكانيكية الحركة فى الجانب الفكرى والتنظيمى ، بحيث اصبح الشباب فى كثير من المراحل وكأنهم ادوات تتحرك بفعل فاعل ، من اعلى ولا تنبع تصرفاتها من ذاتها ٠ ويمكن هذا يرجع لبعض النقط التى اشار اليها الدكتور مفيد وهى المركزية ٠

ثالثا : عدم وضوح المنطلق ، ويمكن هذا ترتب عن النقطتين الاولتين ٠ ان المنظمة لم تحدد من البداية منطلقها والظروف الموضوعية التى يجب ان تنطلق منها ٠ فى القرى مثلا لم يكن واضحا انها وعاء التاريخ ومختزن القيم فحدث صدام جذرى بين قيم الشباب المستحدثة وبين القيم التاريخية التى كان يجب معالجتها عن طريق دراسة موضوعية واضحة ٠

فيما يتعلق بالايجابيات : اختلف مع الدكتور الخفيف فى قوله ان قيام التنظيم فى حد ذاته لايعد وحده جانبا ايجابيا ٠ وقد تكون وجهة نظره ان قيام التنظيم لم يكن بالشكل الذى طرحه القائد ٠ ومع ذلك ينبغى القول بانه كان على الاقل مجرد عمل تحضيرى يسمح للمناقشة ٠

النقطة الثانية : يكفى فيها ان منظمة الشباب كانت مواجهة صريحة للعزلة التى اصيب بها الشباب فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات ، فى الجامعة خاصة . منظمة الشباب استطاعت ان تقدم ولو بشكل تنظيمى فى البداية ، معنى من معانى تجمع الشباب ووحدته فكريا وتنظيميا ، وان كان يغلب فى هذا المعنى ، الشكل على المضمون

النقطة الثالثة : ان منظمة الشباب تعتبر اول تنظيم شبابى استند الى الفكر حقيقة وعملا ، الفكر الذى طرحه الميثاق الوطنى والاتحاد الاشتراكى . وبغض النظر عن مواقفنا من هذا الفكر ، الا انه كان مادة سياسية تحت يدها ، تصرفت على اساسها ، وتلك ايجابية فى حد ذاتها .

قال الدكتور الخفيف : ان اعضاء المنظمة كانوا يقومون بكثير من الاعمال دون ان يكون لديهم وعى بالهدف ، كأنهم كانوا يقومون بخدمات عامة ، دون ان يرتبط فى اذهانهم انهم يرسخون قيما اشتراكية ويبشرون بقيم جديدة . هذا الكلام لا يبدو مطابقا للواقع فى كثير من الحالات . اختم كلامى بالقول انه كان هناك وعى بالهدف فى كثير من المراحل . كما وان التفكك الذى اصيبت به المنظمة لم يكن الا نتيجة طبيعية للتفكك الذى اصيبت به اجهزة الدولة كلها بعد النكسة ، نتيجة المباغتة والهوة السحيقة التى ظهرت بين المثل والافكار .

د . ابراهيم سعد الدين : اريد ان ابدأ بالسؤال الذى القيته على الاخ مفيد شهاب وهو معيار الفشل والنجاح . ليس اتجاهى لوم اعضاء المنظمة على عدم بلوغهم لهدف كان يجب ان يبلغوه ، انما المسألة هى ما اذا كانت المنظمة كتنظيم مترابط استطاعت ان تحقق الاهداف التى انشئت من اجلها ، او لم تستطع ؟ ولماذا ؟ هذا كان موضع سؤالى للدكتور مفيد ، لما اقول المنظمة فشلت فى الجامعة او نجحت فى الجامعة ، يبقى كان لها هدف فى الجامعة ، ما هو هدفها ؟ اذا كانت قد حققت هدفها نقول انها نجحت واذا كانت بتهدف لهدف معين ولم تنجح فى الوصول اليه ، اذن بنقول انها فشلت فى الجامعة . ومن هنا انا باتفق مع الدكتور محمد الخفيف من زاوية محددة وهى زاوية ربط التقييم بالهدف .

يمكن اختلف قليلا مع الدكتور الخفيف ، ومع ابو سيف لما بنحدد ما هو الهدف من قيام المنظمة ؟ اريد ان اقول ان هناك هدفا نهائيا بطبيعة الحال باتفق بشأنه مع الدكتور الخفيف وهو الكفاح من اجل اتمام عملية التحول الاشتراكى . ولكن هذا هدف عام لكل التنظيمات السياسية ولابد من اهداف اكثر تفصيلا لكل نوع من التنظيمات ، وهنا فى تصورى ان القضية الاساسيه التى تعالجها المنظمة هى قضية تربية الشباب واكسابه عددا من القيم الجديدة التى تساعد على التحول الاشتراكى ، لا من ناحية العمل السياسى فقط وانما فى النواحى الثقافية والانتاجية والاجتماعية . وكل ما اريد قوله ، انه اذا كنا بنتفق على كل هذه النواحى باعتبارها هدف الشباب ، وهدف المنظمة يجب ان نضع عند قياسنا لنجاح او فشل المنظمة مدى تحقيق هذه الاهداف . وهنا ليست القضية ، قضية اتهام لانه قد تكون طريقة خلق المنظمة ، وما حدد لها من . . . ، هو فى حد ذاته عائق مفروض على المنظمة اثناء العمل .

فوزى بشرى : سأعود لكلام الدكتور الخفيف ، انا باقول ان التنظيمات الشبابية فى الخارج ، فى البلاد الاشتراكية تقوم على ايدى الحزب ، الحزب القائد بيربى كوادر شبابية ويعطيها من ذاته وخبراته . ماحدث فى الخارج ، حدث عكسه فى مصر ، لماذا ؟ انا باقصد بهذا ان الاتحاد الاشتراكى لما قام ، لم تقم المنظمة فى احضانه ، انما حدث من الاحتكاك اليومى ان منظمة الشباب اثبتت قدرة وكفاءة وايجابية اكثر ، وبالتالى حصل تناقض ، وهنا حدث افتقاد لاحدى السمات الاساسية لاى تنظيم شبابى ، ذلك انه بينما على المستوى النظرى والرسمى ، تعد المنظمة الجناح الشبابى للاتحاد الاشتراكى ، والتنظيم القائد له ، اصبحت منظمة الشباب ، على المستوى الفعلى والعملى متناقضة تماما فى بعض المواقع وبصورة اساسية وفى البعض الاخر بصورة غير اساسية مع الاتحاد الاشتراكى . منظمة الشباب ضربت وحوربت من الاتحاد الاشتراكى فى مستوياته بالمحافظات والمراكز ، كيف حدث هذا التناقض ؟ لان قيادات الاتحاد الاشتراكى ..

لطفى الخولى : كيف حوربت ، ما المقصود بانها حوربت ؟

فوزى بشرى : كان بيحصل ان اعضاء منظمة الشباب نظرا لانهم ـ مثلما اوضح الدكتور ابراهيم ـ حملوا فعلا قيما جديدة ،

وبدأوا ينشطون سياسيا بمفاهيم اكثر جدية ممن دخلوا الاتحاد الاشتراكى بالتعيين او بالانتخاب ، لذا بدأ الصدام بين الجانبين ، بين اعضاء الاتحاد الاشتراكى الذين احسوا ان الارض تنسحب من تحتهم وبين القيادات الشبابية الجديدة التى بدأت تظهر • طبعا فى الريف القيم والتقاليد فجرت العملية اكثر •

السبب الثانى ان جزءا كبيرا من القيادات التى تصدت للعمل السياسى فى الريف كانت قيادات بورجوازية ومن طبقة الملاك المتوسطين • وفى الواقع حدث صدام فى المصلحة بين قيادات الاتحاد الاشتراكى الموجودة فى المواقع وبين اعضاء المنظمة • وقد حدث ان بعض أعضاء من المنظمة فصلوا من الاتحاد الاشتراكى وآخرين شتتوا من مواقعهم التنفيذية والادارية وغيرهم نقلوا من القاهرة ووجه بحرى الى اسوان ووجه قبلى • بالطبع لم يكن هذا هو الاتجاه العام ، وانما هذه نماذج حدثت فعلا ، بالطبع الاتحاد الاشتراكى فى صورة قيادته المركزية ، كان يحاول بعد كل ما يحدث ان يعيد لعضو المنظمة المضطهد حقوقه ، ولكن هذه الاحداث وقعت فعلا ، وحوربت المنظمة عمليا •

ومن اساليب المحاربة الاخرى وهى الاخطر والاهم ، هى الحرب الفكرية ، فبدأت عملية ترويج اشاعات مضادة للمنظمة بحيث اصبح عضو المنظمة — حسب التعبير السياسى — « يتحرق » قبل ما ينزل للعمل • وقد شاهدنا ذلك فى معركة الانتخابات الاخيرة وكيف « اتحرق » اعضاء المنظمة ، حتى انهم لم يحرزوا اصواتا برغم ايجابيتهم الكبيرة •

وفى مجال نشر الفكر الاشتراكى ، انا لا اقصد انه كان لنا الفضل الاول فى نشر الفكر الاشتراكى انما اقول ان المنظمة يكفيها انها كانت مؤسسة رسمية فى هذا البلد وتبنت قضية نشر الفكر الاشتراكى • ونحن فى نفس الوقت نؤكد ونشيد بجهود السابقين فى نشر الفكر الاشتراكى •

رفعت السعيد : اعتقد ان من الخطأ القول ان منظمة الشباب ، كانت تجربة خالية من الايجابيات • الايجابية فى منظمة الشباب انها استطاعت ان تجمع جيشا واسعا من الشباب يهتم بالعمل السياسى ويرغب فى هذا العمل باخلاص وجدية ، وهذا المجتمع ، او التلاطم لعدد كبير جدا من الشباب داخل المنظمة ، هو فى حد ذاته عنصر ايجابى خلق عناصر جيدة جدا من الشباب المخلص الواعى المتفهم للفكر الاشتراكى •

ولكن للاسف ، فان هذا الجيش ، لم يستطع ان يخوض القتال ، ولدى اول صدام تفكك • ومن الظلم ان نتهم التجربة فى ذاتها بأنها مسئولة عن التفكك وحدها ، لان تجربة المجتمع ككل وطبيعة النظام والاسلوب الذى كان مطلوبا من المنظمة ان تنهجه ، كان من العوامل التى ادت الى هذا التفكك •

ولكن كانت هناك سلبيات خاصة بمنظمة الشباب ادت الى ظهور التفكك فيها على نحو خاص : لماذا ؟ هناك عدة اسباب لذلك :

اولا : التكوين الاجتماعى الغالب على المنظمة من عناصر البرجوازية الصغيرة ، اى اطار الطلاب والخريجين الجدد من الجامعة وصغار الموظفين الخ — ولذا شاب المنظمة كل ما يشوب البرجوازية الصغيرة من تسارع الى الحماس ، وفى نفس الوقت تسارع الى التردد ، مع التعالى على الجماهير ، والرغبة الجامحة فى النقاش والتفلسف ، وسرعة اليأس عندما يقع الشخص فى مأزق • وانعزلت المنظمة عن الجيش الحقيقى الذى كان من الممكن ان يحولها الى منظمة مناضلة ، الا وهو جيش العمال والفلاحين •



● أ. محمد الخفيف



● عبد اللطيف محمد خلف

● عزه وهبى



● فوزى بشرى احمد

مصطفى طيبة : هناك مسألة اساسية لابد ان تتضح فى اذهاننا هى الوضوح الفكرى، بمعنى، الى أى فكر طبقى ينتمى التفكير الموجه ؟ الى فكر قوى الشعب ، العمال والفلاحون أم الى غيرهم . قضية العمل السياسى لم تعد قضية التكلم فى السياسة، فالشعب المصرى كله يتكلم فى السياسة وانما أصبحت القضية الملحة هى اختيار الشعار الذى يتحرك فى اطاره العمل السياسى، نذلك لا نستطيع ان نقيم ما قامت به منظمة الشباب فى مجال الخدمات أو فى مجال الانتاج ، لان ماهية الشعار المحدد الذى ينبغى تحقيقه فى مجال الانتاج او الخدمات نفسها ، غير معروفة . كذلك نلاحظ بين الشباب من يطالب بديموقراطية مطلقة مع أن جوهر التنظيم السياسى هو الديموقراطية المركزية لا المطلقة .

عزة وهبى : فيما يتعلق بالهدف الخاص بمنظمة الشباب . فقد كان أساسا امداد الاتحاد الاشتراكى بالقيادات الاشتراكية ، بحيث تتولى اتمام عملية التحول الاشتراكى . انا يمكن اعكس صورة واقعية لعلاقة المنظمة بالكوادر داخلها فى مسألة اختيار الكادر على سبيل المثال . كانت هذه العلاقة تقوم اساسا على عنصر الاختيار الشخصى ، وكان هناك من يرشح مجموعة من الناس ثم تحدث بعد ذلك مقابلة شخصية لا اعتقد أنها كافية ، للتعرف عليهم ثم يدرس المرشح فى معهد اشتراكى فترة معينة . وفى رأيى ايضا ان هذه الدراسة لم تكن كافية ، وحسب التقييم فى المعهد يتم قبول العضوية فى المنظمة . وهذه المسألة تثير نقطة مهمة ، وهى ان انتماء شخص الى معهد لفترة دراسية معينة لا يثبت ولاءه للفكر الاشتراكى .

وهناك نقطة أخرى هى قيمة هذا الفكر الذى كان يقدم ، وهو فى الواقع كعمل تمهيدى جيد ، أنما متابعة التربية العقائدية لهذا الشاب لم تكن تتم . وهذا يفسر اننا كنا داخل المنظمة بنعكس اتجاهات فكرية مختلفة بالرغم من ان الهدف العام للتنظيم الشبابى واحد .

وفى رأيى ان مسألة التربية العقائدية فى المنظمة هى المسألة الاساسية وهى التى ترتب عن القصور فيها اخطاء فى كثير من المجالات ، واذا كان الدكتور ابراهيم سعد الدين يقول ان العمل داخل المنظمة لا يقتصر على السياسة وحدها ، وانما يمتد الى المجالات المتعددة الاخرى ، هو امتداد للعمل السياسى لان الشخص المرتبط بعقيدة معينة لاشك فى انه بيؤكد هذه العقيدة عن طريق اثبات ارتباطه بالشعب وتأكيد ايمانه من خلال هذه المجالات .

أما بالنسبة للجنة المركزية لمنظمة الشباب وانا كنت عضوا فيها ، فقد احسست عندما تم اختيارى انها مسئوليه كبيرة ، ثم شعرت اننى فى حاجة الى نوع من التبنى بمعنى توجيه الطاقات التى عندى، كما احسست اننى فى حاجة الى بلورة فكرية ، ولكن هذه

الاحتياجات كلها لم توفرهـا لى عضـوية اللجنة المركزية ، مما يعكس الوضع العام داخل المنظمة •

من المتصور الان أن أى تخطيط للمنظمة فى المستقبل لن يتم الا اذا حسمت المسألة الفكرية فى داخلها ، وكذلك مسألة التكوين الاجتماعى •

خيرى عزيز : وفيما يتعلق بمنظمـة الشباب ، باعتقـد ان السـلبية الرئيسـية فيهـا تكمن فيما يمكن ان نسميه بافتقاد « الدستور الفكرى » لهذه المنظمة ،فلابد من دليل نظرى فكرى يقود عملية بناء الشباب الجديد فى مصر • بالنسبة لمنظمة الشـباب لاحظت عموما عدم وجود الدستور الفكرى الموحد الذى يمكن على أساسه بناء شباب اشتراكى جديد فى بلادنا • فالميثاق على سبيل المثال ، يفسر التجربة المصرية ويحللها ، ويقـدم تفسيرات علمية سليمة لاوضاع التجـربة المصرية وتطورها التاريخى عامة ، وفـى التاريخ الحديث خاصة ، وصحيح ان الميثاق قد أرسى خطوطا نظرية ثورية عامة ، لكنه لم يوضع ليكون نظرية لطرق التفكير العلمى فليس ذلك الهدف منه أصلا • لم يكتب ليعلم الشباب كيف يفسرون ظواهر الطبيعـة والمجتمع والسياسة والاقتصاد تفسيـرا علميا • وباعتقد ان هناك تراثا انسانيا خاصا بالفكر الاشتراكى العلمى ، العالمى ، هو نتاج للحضارة الاوربية الحديثة اصلا وملك لكل الشعوب بعد ذلك • فما اعتقده فيما يتعلق بنا فى التجربة المصرية • وحتى فى مجال الشباب ، أنه لم يكن هناك الانفتاح الذى نطالب به على الفكر الاشتراكى العلمى ومازلنا نضع انفسنا فىاطارات قومية ضيقة تتجاهل هذا التراث العلمى العالمى فى مجال الفكر الانسانى •

ولذا فمن أجل بناء شباب ثورى جديد فى مصر ، لابد من اعادة تربيته تربية ثقافية جديدة مختلفة جذريا عن التربية الثقافية التقليدية السابقة ، تتضمن التفسير العلمى للتطور التاريخى عامة ، والقوانين المحركة للتاريخ ، والتفكير العلمى فى الفلسفة والاقتصاد •

احمـد يوسـف : النقط التى سـاثيرها هى فى جزء كبير منها ، تعليق على الكلام الذى قاله الدكتور الخفيف • ويمكن أنا متأكد أن الخلافات بيننا هى نتيجة ان أنا كنت فى التجربة من الداخل ، وهو كان بيراقبها من الخارج او من المستويات الاعلى فى المنظمة، بالنسبة لقرار تجميد نشاط المنظمة ، لقد عايشت هذه المسالة ، وكان السبب فى رأيى متصـلا اتصـالا وثيقا بأزمة الكوادر فى المنظمة لان أنا باعتبر ان خطة فبراير كانت الى حد كبير بتعبر عن الامال الثورية لشباب المنظمة والذى تبنى هذه الخطة قيادة ثورية موجودة فى منظمة الشباب ، واقصد قيادة احمد كامل ،لكن الخطأ الاساسى الذى وقعت فيه أن هذه الخطة نزلت لكوادر غير قادرة على تنفيذها والذى حدث ان معظم كوادر المنظمة نزلوا فى جميع انحاء الجمهورية على حد ما سمعنا بعد ذلك يقولوا أن المنظمة اعلنت الحرب على الرجعية وكان مفهومهم للرجعية لا يفرق بين أحد بطريقة جعلت كل المؤسسـات القائمة بصرف النظـر عن تقييمها ، تعاديهم وتضربهم • وهـذا كان السبب فى رأيى لتجميدالمنظمة •لوكانفيه كوادر قادرة بالنسبة لخـطة فبـراير ٦٨ ومارس ٦٨ لما حدث ما حدث •

فيما يتعلق بدور المنظمة فى نشر الفكر الاشتراكى ، أنا شخصيا باشعر بـالوفاء لمنظمة الشباب لانها كانت مدخلا لنا للفكر الاشتراكى للكثير من النماذج العـادية للشباب المصرى • ويمكن نفهم هذا المعنى اكثر لو رأينا واقع الشباب فى الجامعة مثلا وفى مصر عامة • كيف كان معزولا عن العمل السياسىفترة طويلة ومبتعدا تماماعن الحياة السياسية فى بلده ، بحيث لم يكن له أى

موقف فكرى ؟ أو أى تقدير على الاطلاق لدور يمكن أن يقوم به فى مجتمعه ٠

وهناك مسألة أخرى خاصة بالجامعة ورغم انى باعبر عن وجهة نظر شخصية ، لكنى واثق أنها وجهة نظر تكاد تكون اجماعية فى الجامعة ، ان المنظمة فشلت بمعنى الفشل الذى يقصده الدكتور ابراهيم سعد الدين ، وفشلت بمقياس الامور وفق الاهداف التى طرحها الدكتور الخفيف سواء العام ، أو الهدف الخاص ، وهذا الفشل كان واضحا فى الناحية التنظيمية والحركية وفى الناحية الفكرية . يمكن اعطى مثلا كيف فشلت فى الناحية الحركية ٠ على سبيل المثال يذهب البعض الى قرية ويردموا بركة دون اى اتصال بالناس من ابناء القرية ، وكان يحدث هناك ان بعض أهل القرية يبعدون ابناءها عن « الافندية » القادمين لردم البركة ٠

وان كان تركيب الجامعة الاجتماعى قد تغير بعد قرار مجانية التعليم ، ويمكن ان تكون اكثر المواقع خصوبة لتخريج قيادات لمرحلة التحول الاشتراكى ٠ الا أنها فى نفس الوقت اكثر المواقع خصوبة فى البلد فيما يتعلق بالتطلعات ، أى يمكن ان تمثل اخطر بؤرة تنتج للبلد عناصر لا تصلح لتكون كادرا للتحول الاشتراكى ٠

أما بخصوص التقارير ٠ انا رأيى انها مسألة لها وجهان . هناك جزء ضرورى وهى التقارير المتعلقة بالنشاط وحصيلة عملنا ». وهناك التقارير بالمعنى المنحرف التى كانت تتخذ وسيلة للارهاب وتضاف كسلبية الى سلبيات المنظمة ».

عبد المنعم الغزالى : صحيح ان قيام المنظمة كان عملا ايجابيا ولكن ذلك لا يعنى أنها حققت أهدافها ٠ فمثلا تكوين كوادر الشباب وتربيتها تمت فى عزلة عن تاريخ شعبنا وتاريخ الشباب ٠ بمعنى انها تجاهلت نضال شبابنا منذ قيام حركة مصطفى كامل وحتى قيام ثورة ١٩٥٢ ».

ان تكوين الشباب لابد وان يرتبط بتاريخه ، وتاريخ الشباب المصرى تاريخ نضالى سواء ضد الاستعمار أو من أجل الاشتراكية فى ظروف صعبة ٠ وهناك خبرات تنظيمية لدى كثير من شبابنا أهملت من جانب المنظمة ٠ والواقع أنه كانت هناك قيادات شبابية سابقة أدت أدوارا بطولية . وأعطى أمثلة على ذلك : تنظيمات الشباب ودورها الهام فى ثورة ١٩١٩ وفى ١٩٣٥ وبعد الحرب الثانية ، وقيادة الشباب الاشتراكى لعمل تاريخى هام من الكفاح ضد الاستعمار فى ١٩٤٦ بقيادة **اللجنة الوطنية للطلبة والعمال** ٠٠ ثم دور الشباب فى الكفاح المسلح فى ١٩٥١ ثم دور الشباب المصرى فى تأسيس اتحاد الشباب العالمى ».

ان تكوين الشباب وخاصة فى مرحلة بناء الاشتراكية . يجب ان يرتبط بمشاكل المجتمع ومن هنا تأتى أهمية الحديث عن التكوين الاجتماعى للمنظمة الذى يجب أن يرتبط أساسا بالعمال والفلاحين، ورأيى ان نسبة الـ ٣٥٪ التى يقال عنها غير صحيحة لانها تمت فى اطار التعريف السابق للعمال والفلاحين ٠

ابراهيم صديق : تعرض الزملاء لعلاقة الاتحاد الاشتراكى بالمنظمة ، ورأيى ان التعارض نشأ نتيجة لان المنظمة كانت أكثر



مبادرة من الاتحاد الاشتراكى بدلا مـن العكس . ومن هنا بدأ التصادم .

ورأيى ان المنظمة نجحت فعلا فى تربية الكوادر بدليل نجاح كثير من اعضائها فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى الاخيـرة . والذين دخلوا الاتحاد الاشتراكى من اعضاء المنظمة ، يمكن أن يلعبوا دورا هاما فى حل مثل هذه التناقضات .

د. محمـد الخفيـف : ان كـل ماسمعته من تعليقات تؤيد ـ بشكل عام ـ ماجاء فـى كلمتى . ولكن لى بعض الملاحظات .فقد لفت نظرى تركيز كل المتحدثين فى كلامهم على ما اسموه مسألة المجتمع واثره على مابه من تنظيمات ، ومع اعترافى بدور الظـروف الاجتماعية السائدة الذى لا ينكر ، الا ان الوقوف عند هذا الحد يشكل خطرا . فالمهم هو تغيير هذه الظروف لا مجرد رصدها وتعليق كل خطأ على « مشجبها »، وهنادور المنظمة الحقيقى . ان جيلنا قد « شاخ » والامل فى جيل الشـباب الذى ينتظم فى المنظمة التى يتحدد هدفها التفصيلى .

وأنا اتفق مع د . ابراهيم سعد الدين فى تربية اعضائها تربية جديدة وبقيم جديدة . ومن الواضح من كلام كل من تحدث ان المنظمة لم تحقق نجاحا كبيرا فى هذاالشأن، وخير دليل على ذلك كلام الاخت عزة عضو اللجنة المركزية .

وهناك كلمة هامة جدا قالها أحد الاخوة من المنظمة ،بأنالافكار والمثل تعارضتبعده يونيو معالواقع فلماذا غرست المنظمة أفكارا ومثلا تتعارض مع الواقع ؟

اما حديث الاخ رفعت عن التـلاطم او التزاحم داخـل المنظمـة حـول الفكر الاشتراكى ، باعتبار ان ذلك ايجابيةكبيرة ، فهو نفسه قد عاد ليقول ان الطابع الطبقى الغالب على المنظمة كان للبـورجوازية الصغيرة مما انعكس على افكارها وطباعها التى حـددهـا فى سرعة الحمـاس السياسى .. الخ ، فماذا فعلته المنظمـة مع هذه البورجوازية الصغيرة التى اعتمدت عليها من اجل تغيير الواقع عن طريقها ؟

قيل أيضا من قبيل التبرير ـ فى رأيى ـ انالاسلوب الذى فرض على المنظمة أدى الى سلبيات كذا وكذا . اذن ماذنبى اناأهل هذا عمل سلبى أم لا ؟ اليس من اكبر سلبيات المنظمة ان يفرض عليها أسـلوب معين ؟ ثم .. ماذا فعلت المنظمة لرفـض هـذا الاسلوب ؟ وتقول الاجابة : ظروف المجتمع ورأيى ان هذا المنهج لن يقود الا لنفس النتيجة وسوف نلقى اللوم يومها على ظروف المجتمع . الحقيقة اننا صنعنا « شماعة » علقنا عليها كل ماهو سلبى لنبرره ، وهى شماعة : مرحلة الانتقال .

واذا انتقلنا الى موضوع الكم والكيف ، أى الشكل والمضمون ، فانى مقتنع تماما بان اى تنظيم يفقد المضمون ليحتفظ بالشكل فقط ، لابد وان ينقلب الى تنظيمفاشىاساسه العلاقات الشخصية ، ومراكز القـوى والشللية . اذن فليس من البساطة ان اكتفى بالقول بأن مجرد قيام منظمة يعد عمـلا ايجابيا حتى وان لم يكن لهـا مضمونـا واضحا وهدفا عاما ، واهدافا تفصيليـة ، ليربى اعضاؤها على اساس فهم ذلك كله. وتلك فى اعتقادى قضية هامة لا بد وان نفكر فيها ونحن نعيد بناء المنظمة والا فلماذا اعادة البناء ؟

لقد شاهدت فى التليفزيون حوارا بين الدكتور مفيد والاخ العشيرى ، واخ آخر من حلوان . ماذا قال هذا الشاب ؟ قال نحنلا نعيد بناء المنظمة وانما يجب أن نجددها . تلك مسألة هامة والاهم من ذلك انه قال ان المنظمة فى حلوان لم تجمد على الاطلاق لماذا ؟ لانه رفض ومن معه ـ كما يقول ـ قرار التجميد وظل يعمل ، ولايزال ، هـذا موضوع غير بسيط ، لان امامنـا احـد احتمالين : أما أنه صادق وعمل معه كادر استطاع ان يجمع الشباب حول مفـاهيم واحدة ، وحول اهداف تفصيلية ، وتمكن من الاستمرار فى النشاط رغم الضربات ورغم النكسة . والاحتمال الثانى انه يدعى ذلك. طبعا أتمنى أن يكون صادقا لان ذلك يعنى أمامنا مثلا حيا لواقع معين فرض عليه أسلوب لا يتفق معه ، فرفضه .

سـعيد حشـمت : اعتقد ان الفترة التى مرت على عمر المنظمة قصيرة جدا على احتمال عملية تقييم كاملة . وهذا لا يعفى المنظمة من ضرورة التقييم المرحلى كمنظمة سياسية للشباب بعد فترة عقم طويلة لعمل الشباب السياسى .

ومن اهم الايجابيات ان المنظمة كانتمجالا لاكساب الالاف من الشباب ، بحد ادنى من التثقيف الاشتراكى يمثل نواة لا يمكن ايقاف نموها . صحيح ان التقييم يجب أن يتم قياسا على هدف محدد كما قال الدكتور

ابراهيم سعد الدين . وفي رأيي ان الهدف كان واضحا على الورق وأن لم يكن واضحا باستمرار في أذهان كثير من القيادات ومن الشباب نفسه ، الهدف باختصار هو تربية جيل جديد من الشباب تربية اشتراكية واعداده لتولى مسئوليات القيادة في المجتمع ، سواء في المجال السياسي أو في مجال الانتاج أو الخدمات . وعملية التربية هذه لاتتم في رأيي الا عن طريق اتاحة الفرص العملية والميدانية لان يمارس الشباب القيم الاشتراكية ممارسة تطبيقية ، بهدف ان تتأصل هذه القيم في سلوكهم مستقبلا لا من خلال التلقين أو المناقشة فحسب بل من خلال الممارسة وعن طريق القدوة الصالحة للقيادة .

فاذا انتقلنا الى التقييم قياسا على هذا الهدف ، فانني أرصد هنا الملاحظات الاتية :

أولا : لم يكن أسلوب **التجنيد** في رايي هو الاسلوب الامثل . مجرد ١٠ أيام في معسكر يدخله شباب اغلبه غير واع بما دهب من أجله، لماذا لم يكن الهدف واضحا في اذهان الشباب . كل ماهنساك تطلعسات تنبثق من خلال هذه الحركة غير الواضحة . وانسب اساليب التجنيد في رأيي يجب ان تتم من خلال تعريض عدد ضخم من الشباب لعديد من التحديات ، الملائمة لامكانياتهم . كتكليفات محددة تتعلق بخطة الانتاج ، أو بخطة التنمية الاجتماعية ، مع استثارتهم بشتى الحوافز الادبية المناسبة لسنهم ، ثم نلتقط من خلال هذه الحركة العناصر الطيبة لاعدادها نظريا لا مجرد تمكينها من القدرة على المناقشة دون ان ينعكس ـ مايعبر عن قيم ـ في سلوكه اليومي .

وهنا يأتي الحديث عن المنظمة الجماهيرية والمنظمة الطليعية . فالمنظمة الجماهيرية تفتح باب عضويتها للناس جميعا على عكس المنظمة الطليعية التي تقصر عضويتها على عدد منتقى . ولا يمكن في رأيي الوصول الى منظمة جماهيرية بهذا المفهوم الا عن طريق منظمة طليعية تعيش فترة كافية لتتسع وتصبح جماهيرية بهذا المفهوم ، وانا لاافهم ان تبدأ منظمة ما ، وتقول انها جماهيرية منذ الوهلة الاولى . كيف يتم هذا ؟

ثانيا : ان المنظمة قد تعجلت مرحلة **التحريك في المجتمع** دون أن تعد أعضاءها لمواجهة ما يترتب على ذلك في ضوء ظروف المجتمع . عيبنا أننا نريد منظمة شباب بسرعة وهذا مستحيل لا يأتي بمجرد ضم الآلاف ، وامامنا امثلة من الدول التي سبقتنا في هذا المجال واخذت مدة طويلة لذلك .

ثالثا : هناك التناقض بين حقيقة ان الشباب بطبيعته عنصر ثوري ومتمرد على الاوضاع غير السليمة ويسعى لتغييرها ، وبين قيادات الاتحاد الاشتراكي على مستوياتها التي تحتك به ، وهذا تناقض من الصعب ان يذوب خاصة اذا راعينا الكيفية التي وصلت بها هذه القيادات وظروف المجتمع . لذلك فانا اؤيد الاقتراح القائل بان المنظمة يجب أن تتبع قيادة الجهاز الطليعي المفترض ان يقوم داخل الاتحاد الاشتراكي . ولايمكن أن تنمو المنظمة في أحضان الاتحاد الاشتراكي كواجهة جماهيرية . لان هذا يحمل تناقضا اساسيا بين طبيعة الاتحاد الاشتراكي وبين طبيعة الشباب .

رابعا : ان المنظمة لم تهتم الا بالشباب الكبير ، ان صح هذا التعبير . لم ارفي المنظمة الفتيان . سن من ١٥ الى ١٨ هو الاهم، لانه يستطيع بعد ذلك ان يصبح عضوا في الاتحاد الاشتراكي . هذا مايجب ان تهتم به المنظمة لا من سن ١٨ الى ٢٥ . لهذا لا بد أن نهتم ببناء منظمة للطلائع ، والا فلا فائدة .

خامسا : عدم اهتمام المنظمة بطبيعة سن الشباب واحتياجاته ، اذ لا يمكن فصل التربية السياسية عن مجالات التربية الاخرى . انها جميعا عملية متكاملة ، صحيح ان معسكرات التدريب التي اقامتها المنظمة كانت تضم بعض الانشطة الداخلية ، ولكن لم تكن كافية لتعطش الشباب بالحياة الخلاقة والمسيرات والبطولة والفنون . تلك في رأيي المدخل الطبيعي الذي على المنظمة أن تسلكه لتصل الى الشباب في تجمعاته الطبيعية التي كانت مهملة .

واعتقد اخيرا ان المنظمة كانت قد بدات بعد النكسة ، خطة عمل شاركت في مناقشتها مجلة الطليعة ، كانت خطة موفقة وناجحة في محاولتها تجنب السلبيات وتأكيد الايجابيات . ولكن المنظمة تعرضت الى التوقف ـ سواء بسببها او بسبب غيرها ـ ولا اقول التجميد .

لطفي الخولي : أرجو ان يسمح لي في نهاية مناقشة الجزء الاول من جدول الاعمال ، ببعض الملاحظات ، الحقيقة ان هناك ظاهرة صحية جدا في المناقشة وهي أن لا جانب الطليعة ولا جانب الشباب « متقولب » في رأي واحد وهذا دليل صحة لديمقراطية الحوار . فنحن نلاحظ أن الشباب من المنظمة يعبر عن وجهة نظره في



اطار المنظمة .. ومن هنا فأننا نعقد الامل الكبير فى الحياة الديمقراطية داخل المنظمة فى شكلها الجديد القادم · وتلك نقطة هامة كنا نرصدها كاحدى سلبيات الوضع القديم ·

والواقع أننا بتحليلنا ـ من الخارج ـ وتحليلكم من الداخل ـ لتقييم المنظمة ، نجد اننا جميعا لم نصل بعد الى تحديد حقيقة هنا اقول ان عمليات التحليل لا تزال فى ايجابيات وسلبيات المرحلة القديمة . ومن حدود الانطباعات الشخصية والجزئية سواء من جانبنا أو من جانبكم ·

الاخ البشرى قال انه كانت توجد فرق عمال طليعيين الى اخره . فهل توجد دراسة فى هذا الصدد ؟ زاد الانتاج الى أى نسبة ؟ ما هى الصعوبات التى واجهتهم ؟ وذلك حتى تخرج الخبرة من نطاقها المحدود الى نطاق عام ، والى نظرة اشمل .

أما قضية الظروف .. فأنا رايى انه لا يمكن انكار دور وتأثير هذه الظروف على المنظمة ، لكن المسألة ليست احادية الجانب . فالمنظمة نفسها كونت ظروفها الخاصة التى تستطيع ان تؤثر بها فى هذه الظروف ، ولهذا فأنا اقول ان هناك عدة نقاط اساسية :

● **النقطة الاولى** : لا جدال فى ان لظروف المجتمع وسلبياتها آثارا على المنظمة جعلتها لاتقوم بواجبها . وأنا اعتقد ـ بناء على التجربة حين عقدنا ندوة افريقية ، واتصلنا بالشباب من المنظمة عن قرب ـ ان المنظمة برغم سلبياتها وعيوبها ، كانت اكثر صحة واكثر تقدما بالقياس الى الاتحاد الاشتراكى وقتها .

● **النقطة الثانية** ، نبه اليها الدكتور ابراهيم سعد الدين بقوله ان المنظمة فى النهاية تكوين موضوعى خارج عن نطاق شخصى ، كل من شارك فى بنائها ، اولايزال عضوا فيها . اى اصبح لها ارادة مستقلة وكيانا ولها اوضاعا ومنطقا . تلك كلها نتاج علاقات القوى التى تواجدت فى القيادة ولكن المشكلة التى يجب ان تبحث هى كيف تمكنت القوى غير الايجابية والمركزية من اضعاف كل هذه الطاقة الشبابية فى المنظمة ؟ وكيف لم تستطع القوى الايجابية ان تقف ضد هذه الاتجاهات ؟ واظن ان ذلك كان دليلا على عدم توفر حياة ديمقراطية سليمة داخل المنظمة .

وهنا تأتى قضية الولاء او الالتزام . للاسف فى المرحلة الماضية التى لايزال لها آثارها ، كان الالتزام يفسر على أساس الولاء الشخصى لا الولاء الموضوعى لفكرة ونصية وخط . فالذين يلتزمون على اساس شخصى يبدون حماسا مادام هؤلاء فى السلطة · فاذا اهتزت هذه السلطة انتهى كل شىء · وتلك سلبية أخرى هامة · واعتقد بضرورة تصفية رواسب هذا النوع من الالتزام الذى قد يكون مترسبا فى المنظمة ·

● **النقطة الثالثة** : اننى لاحظت من كلام الزملاء ، ان تاريخ حركات الشباب فى مصر غير واضح ولم يقدم للشباب بدقة · والواقع انه كان هناك اتجاهان منذ بداية الثورة · اتجاه واضح حتى فى التعليم بشكل خاص ، يقول بأن الحياة فى مصر بدأت من ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . واتجاه آخر مثله الميثاق بتخطئته لمثل هذه الاتجاهات · وفى رأيى أنه ما لم يرتبط الشباب ـ كما قال عبد المنعم الغزالى ـ بتاريخه ، فلن تتيسر له قدرات الافق الواسع

وانتقل بعد ذلك الى قضية التكوين ، وليست هذه قضية المنظمة وحدها . وانما قضية المجتمع ككل · وفى امكان المنظمة أن تقود العمل من أجل تكوين الكادر ليصل الى أعلى مستوى من الاتحاد الاشتراكى وحتى على المستوى العام . وكما قال الاخ سعيد بس هناك انفصال بين الخط السياسى والخط الفكرى او الفلسفى الذى يلعب دورا فى تكوين هذا الكادر · والخلط هذا لم يكن بين أعضاء المنظمة فقط · بل وحتى بين الشباب الذى لم يكن بالمنظمة . فزميلنا خيرى عزيز لم يفصل بين قضيتين اساسيتين ، لم يفصل بين انسانية وعالمية الفكر الاشتراكى ، وبين الطريق القومى الى الاشتراكية · والواقع أن حتى غلاة الماركسية الان يسلمون بان لكل شعب طريقه الخاص الى الاشتراكية ·

● **النقطة الرابعة** : والمهمة فى رأيى ، هى قضية العلاقة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى · ففى رأيى أن المنظمة تواجه نفس المازق التنظيمى التى واجهته فى المرحلة السابقة · فليس صحيحا أن الاتحاد الاشتراكى هو القائد أو التنظيم القائد ، وهو لن يكون كذلك الا اذا تحول من اتحاد قومى الى حزب ، سواء سيطرت عليه الرأسمالية الوطنية أو القوى الاشتراكية · واذا ما خرج الاتحاد الاشتراكى من اطاره كتحالف فليس ذلك فى صالح القوى الاشتراكية أو القوى الوطنية التقدمية . ما الذى يمكن ان يحدث عند ذلك ؟ امامنا تجربتين : تجربة البلاد التى حققت الاشتراكية حيث يوجد حزب طليعى يمكن ان تقوم الى جانبه جبهة كما هو

الحال فى بلغاريا ويوغوسلافيا ، أو حزب منفرد كما فى الاتحاد السوفيتى .

وهنانتساءل : هل تظل المنظمة مرتبطة، أم ذات استقلال ذاتي تام ؟ فالمنظمة ترتبط بالحزب على أساس أنها وعاء الاعداد لعضوية الحزب . ومن الممكن كما قال الدكتور سعد الدين أن يدخل أعضاء من المنظمة الحزب بعد ذلك ، أو لا تدخل .» ولكن فى رأيى أنه بعد سنوات معينة من التحول يصبح ضروريا أن يمر عضو الحزب بالمنظمة . فى بلغاريا مثلا تنظيم الشباب ليس مرتبطا بالجبهة وانمابالحزب الشيوعى البلغارى . كذلك فى يوغوسلافيا . وبالتالى ، مالم يرتبط التنظيم الشبابى بالتنظيم الطليعى للاتحاد الاشتراكى فسوف تنعكس عليه كل سلبيات الاتحاد الاشتراكى .» والواقع أنه فى حالة ارتباط المنظمة بالاتحاد الاشتراكى - لا جهازه الطليعى - فتصبح مهمة المنظمة لا تربية كوادر اشتراكية وانما تربى تحالف قوى الشعب الوطنية كما يفعل الاتحاد الاشتراكى نفسه . وذلك يكون غريبا جدا . فالمفروض ان مهمة المنظمة هو العمل على تربية شباب اشتراكى فى نهاية الامر .» ونتيجة لهذا الخلط أو لعدم الوضوح ، كان هناك التفكك فى المنظمة .» وكان ان ضربت فى مرحلة من المراحل عناصر اشتراكية .. أو بعضا منها ضرب فى المنظمة ، وهذا البعض طبعا يئس، اذ لكل انسان قدرة معينة على الاحتمال .»

الدكتور مفيد شهاب : لى بعض الملاحظات حول المناقشة التى تمت فى لقائنا الاول .»

الملاحظة الاولى : ان المناقشة تشعبت الى موضوعات غير موضوع المنظمة ، وفى اعتقادى انه من الافضل ان يقتصر حديثنا على موضوع المنظمة ، أما موضوع التحالف وطبيعته وموضوع الميثاق الوطنى والاتحاد الاشتراكى فيحتاج الى ندوات خاصة .

الملاحظة الثانية : فى نهاية اللقاء بلور الاستاذ لطفى الخولى المناقشات فى مجموعة من الاتجاهات ، فهو يرى أن المناقشة كانت روحها ديمقراطية وتميزت بالصراحة والعمق ، وانه ونحن نقيم المنظمة كمؤسسة جماهيرية لا يمكن ان نفصلها عن قضايا وظروف المجتمع ، وأثار قضايا تكوين الكادر من داخل المنظمة وعلاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى ووجوب ارتباطها مباشرة بالتنظيم الطليعى أو بالحزب ، وأنا اتفق معه فيما اثاره ، وان كنت اختلف معه فى القضية الاخيرة - وهو ما سأعرض له عند الكلام عن علاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى .

الملاحظة الثالثة : اننا لم نحضر الندوة لندافع عن عملنا فى الفترة الماضية بايجابياته وسلبياته ، وانما جئنا لنقول بنية صادقة ان هذ االحوار يفيدنا فى المرحلة القادمة .

الملاحظة الرابعة : لقد حرصنا من جانبنا ونحن نناقش ايجابيات وسلبيات المرحلة الماضية ان التركيز اكثر على السلبيات على اساس الاستفادة من هذا اللقاء - ولا يعنى ذلك انه ليس عندنا ايجابيات ، او ان السلبيات ترجح كفة الايجابيات ، لانه حكم قاسى يستلزم منا اليوم ان نتكلم بتفصيل اكثر عن التجربة منذ ان قامت .

الملاحظة الخامسة : انه كثيرا ما نصدر الاحكام نتيجة انطباعات شخصية دون معرفة كاملة بالجوانب المختلفة للموضوع .» وعلى ضوء هذه الملاحظات المبدئية أريد




● رفعت السعيد



● منيرة نذ



● احمد يوسف احمد

ان اعلق على بعض مـا أثير فى اللقـاء الماضى . قيل مثلا ان المنظمة تمثل تجمعا بورجوازيا ، لانها كانت تمثل نسبة كبيرة من الطلبة والمثقفين ، وسبق ان قيمنا هـذا التركيب وقلنا انه تركيب اجتماعى خال من التوازن • ولكنى اعتقد ان الطلبة لا يمثلون طبقة معينة ففيهم ابن الفلاح وابن العامل ، وفيهم كل الاتجاهات • وفى لقاءات اخرى قيل ان المنظمة لا تمثل الفكر الاشتراكى ولا تعطى السلوك الاشتراكى • وفى لقـاءات عديدة سمعنا العكس .ففى لقاء لى مع طلبة معهد التربية الفنية العالى قيل ان المنظمـة شيوعية ـ لماذا ؟ يقولون : لانكم تتصلون كثيرا بالاتحاد السوفيتى والدول الاشتراكية ومتأثرين بتجربتهم .. وهذا صـحيح لان المنظمات فى الدول الاشتراكية هـى اول المنظمات التى اتصلنا بها واستفدنا منها ، بسبب الرابطة التى تربطنا بشـعوبها • ويقول آخرون اننا لا نوجه عناية كافية لدراسة الدين وهذا غير صحيح •• بل وقال البعض اننا منظمة شيوعية لان اتوبيس المنظمة لونه احمر .. واتوبيسات القاهرة كلها لونها احمر .

الشيء المهم الذى اريد ان اقوله ان البعض اتهم المنظمة بانها يمينية والبعض الاخر اتهمها بأنها شيوعية ـ وفى الواقع اننا لسنا هذا ولاذاك ـ ان الذين يلقون هـــذه الاتهامات لا يعرفون واقع المنظمة .فالمنظمة منظمة ثورية تدعم النظام الاشـتراكى • ومصدر هذا الاتجاه المعادى للمنظمة قوى مضادة ، فان وجود تنظيم للشباب معناه تدعيم للنظام الثورى وخاصة بعد النكسة •

اذن تقتضى المسألة منا ان نبحث بعمق اكثر اتجاهنا كفكر واتجاهنا كسلوك ، وامامنا المحاضرات التى كانت تدرس فى معاهدنا فى المراحل الثلاث ، ومن تصفحنا لها ومعرفة اصحابها نتبين انها لم تكن تحمل فكرا بورجوازيا ، فالذين اعدوها هم الدكتـور ابراهيم سعد الدين والدكتور الخفيـف والدكتور وليم سليمان والدكتور عبد الرازق حسن والدكتور محمد انيس ، فقد كانوا من اوائل الذين ساهموا فى وضع برامج المعاهد ، وبدراستنا لهذه المحاضرات يمكننا القول بيقين اننا لم نقدم فكرا غير اشتراكى فى معاهدنا .

وبالنسبة للقيم والسلوك ، فان اسلوب المعسكرات والاقامة الكاملة داخلها ومعايشة المسئولين فى المنظمة للدارسين والحرص على وجود عمل يدوى مع البرامج الفكرية ، والحرص على اسلوب العمل الجمـاعى وحيث كان يشترك استاذ الجامعة مع العمال والفلاحين فى كل المشروعات دليل على ان اتجاهنا كسلوك لم يكن اتجاها بورجوازيا •

وقيل ايضا ان المنظمة ادانت حركات الشباب السابقة من ايام مصطفى كامل حتى ثورة ٢٣ يوليو ، او انها تصورت تاريخ الشباب يبدأ بها . واذا كان هذا تصورنا فهو انحراف ـ ولكنه غير صحيح • فاى شعب لا يربط حاضره بماضيه هو شعب لا اصالة له ، ولا يكون فى استطاعته استكشاف مستقبله ، ولقد اعلنت ثورة ٢٣ يوليو نفسها انها لم تكن الا تتويجا لحركات سابقة كان الشباب طليعتهـــا فى ١٩١٩ و ١٩٣٥ و ١٩٤٦ و ١٩٥١ . ويمجد الميثاق وهو ايدولوجيتنا و ظريتنا ودليل عملنا الوطنى دور الشباب المصرى فى الفترة الماضية • وكان برنامجنا يتضمن محاضرة حول هذا الموضوع . اننا لم ندع اطلاقا ان دور الشباب فى مصر لم يبدأ الا بمنظمتنا •

ان المنظمة تنظيم سياسى للشباب ومدخل للاتحاد الاشتراكى وتهدف للتربية السياسية ولربط الشباب بقضايا المجتمع ،وتسعى لخلق الشخصية المتكاملة للشباب .

ولقد مرت المنظمة بعدة مراحل ، فالمرحلة الاولى من اخر ١٩٦٣ حتى سبتمبر ١٩٦٥ كانت هى مرحلة اعـداد البرامج الفكرية واعداد الموجهين السياسيين ، وكانت هناك سكرتارية مؤقتة ضمن مجموعة من اساتذة الجامعة ومجموعة من العاملين فى الحقل السياسى ، وتعتبر هذه المرحلة الاساسية لبناء المنظمة حيث وضعت البرامج واختير مجموعة من الموجهين السياسيين الذيـن مثلوا الرعيل الاول للمنظمة • وفى رأيى انها كانت مرحلة سهلة لانها خلت من مشاكل ومصاعب اختيار القيادات ، دون صعوبة اختيار هيكل تنظيمى وتحريكه وسـط تناقضات المجتمع •

واما المرحلة الثانية فقد بدأت بالتدريب السياسى للشباب من سبتمبر ١٩٦٥ حتى

اعلان قيام المنظمة رسميا فى ١٩٦٦/٧/٢١ . وهنا بدأ التوسع فى عمليات التدريب السياسى ، وبذل القائمون على المنظمة جهدا مضنيا ــ وتم تدريب ٤٢ الف شاب فى معهد حلوان وبعض المعاهد الاخرى وكان هؤلاء يمثلون نواة المنظمة بحماسهم واخلاصهم • وفى هذه المرحلة ظهرت بعض الصعوبات وان لم تكن صعوبات خطيرة مثل اعتراض بعض المديرين على ذهاب الافراد للدراسة فى معاهد الشباب •

اما المرحلة الثالثة فكانت اشق المراحل ، وهى مرحلة بناء الهيكل التنظيمى ، وبدأت من ٢١ يوليو ١٩٦٦ حتى يونيو ١٩٦٧ • حيث تم الانطلاق فى عملية التدريب السياسى على مستوى الجمهورية كلها ، وبدأ فى نفس الوقت استكمال الهيكل التنظيمى ابتداء من لجان الوحدة الاساسية حتى اللجنة المركزية للمنظمة • وتركزت الصعوبات التى واجهتها هذه المرحلة فى قلة الكوادر ، والتناقضات مع بعض القيادات السياسية والتنفيذية واخطاء بعض اعضاء المنظمة ، وفتح باب العضوية لافراد ليسوا على مستوى المسئولية ، ومع ذلك فقد كان هناك عمل سياسى ضخم ، ووجدت لجنة مركزية للمنظمة تخطط وتتابع التنفيذ • وكنا نتقدم بسرعة كبيرة ادهشت الكثيرين ، وقامت قيادات الشباب نفسها بتقييم للمنظمة وركزت على سلبياتها ومارست نقدا ذاتيا عنيفا •

ويتساءل البعض لماذا لم يحمل اعضاء المنظمة السلاح اثناء العدوان ؟ والحق ان اعضاء المنظمة تحركوا فى بعض مشروعات الدفاع المدنى وفى عمليات منطقة القنال بصفة خاصة ، وكانوا نماذج مشرفة فى عملية استقبال الجنود العائدين ، وفى عمليات التمريض وايضا فى عمليات حربية ، ما زال اعضاء المنظمة يقومون بها حتى اليوم •

وتبدأ المرحلة الرابعة من اغسطس ١٩٦٧ حتى مايو ١٩٦٨ ، وفيها تمت دراسات انتهت بمشروع لخطة المنظمة ، وكان قد بدىء فى تنفيذها ولكن جاءت مظاهرات الطلبة فى فبراير ١٩٦٨ فعطلت التنفيذ • ففى الجامعة لم يكن هناك ارتباط بين اعضاء المنظمة وبين قياداتهم ، وكان العمل السياسى فى الجامعة ضعيفا سواء من ناحية نشاط المنظمة او الاتحاد الاشتراكى • ويرجع هذا الضعف الى عدم العناية بتنظيمنا فى الجامعة ، والى ظروف العمل السياسى فى الجامعة عموما • ولقد ادى ضعف الصلة بين قيادة المنظمة واعضائها فى الجامعة الى حدوث اخطاء من بعض الطلبة اثناء المظاهرات • الامر الذى اثار نقاشا حول .. هل من الاجدى ان تبقى سلوك اتصال خاصة بالمنظمة والاتحاد الاشتراكى ام تكون سلوك اتصال واحدة ؟ وانتهى الجدل بصدور قرار يجمد سلوك الاتصال الخاصة بالمنظمة مما ادى الى ضعف شديد فى نشاط المنظمة •

وفى الفترة من مايو الى اكتوبر ١٩٦٨ استمر ضعف نشاط المنظمة وخاصة بعد استقالة قيادة الاتحاد الاشتراكى تنفيذا لبرنامج ٣٠ مارس ، واصبحت المنظمة بدون قيادة لها • ورغم ذلك استمر نشاط الشباب فى المنظمة فى اعمال سياسية بمحافظتهم وعلى المستوى الخارجى .. فاشتركوا مثلا فى مهرجان الشباب فى صوفيا ببعثة مكونة من ٣٠٠ شاب اعطت صورة مشرفة لاعضاء المنظمة • واستمر الشباب فى مواقعهم واشتركوا فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى ونجح عدد كبير من قياداتهم ، ووصل ٢١٦ من اعضاء المنظمة الى المؤتمر القومى و ١٩ الى اللجنة المركزية •

ومن اكتوبر ١٩٦٨ بدأت مرحلة اعادة بناء المنظمة او مرحلة تجديد المنظمة ، وشكلت لجنة فرعية للشباب كانت مهمتها تقييم نشاط المنظمة وانتهت الى وضع مشروع اعادة البناء ، تمت بالفعل بعض خطواته التنفيذية •

والعرض التفصيلى الذى قدمته ليس القصد منه الدفاع المطلق عن الفترة الماضية لان هذا يعنى جمودا وفشلا ، ولكن تجاهل الايجابيات كذلك يتبط الهمم ويضعف الثقة • وانه كما نذكر الايجابيات يجب وان نذكر السلبيات • ولقد ضمت المنظمة مجموعة من القيادات المخلصة وغالبية من الشباب المخلص ، ولكن كانت هناك اخطاء فى المنظمة ترجع لحجم العمل الكبير الذى قامت به وبسرعة •

انه يجب على كل القيادات السياسية والتنفيذية اليوم ان تعمل لتدعيم المنظمة ، وان تكون نظرتنا اليها على انها ليست ملكا



للشباب ، أو لبعض القيادات الموجودة انما هى مؤسسة يملكها المجتمع كله .

واحب ان اوضح اننا لا نبنى منظمة جديدة ، وقد اشار الدكتور الخفيف الى هذه النقطة ، وهذا واضح فى مشروع اعادة بناء المنظمة أننا لا نبنى شيئا جديدا ، ولذلك فضلنا استعمال كلمة اعادة البناء ، وهو تعبير وصفت به كل عمليات البناء بما فيها عملية بناء الاتحاد الاشتراكى ، واعادة بناء الاتحاد الاشتراكى لا تعنى انه غير فلسفته .

[هذه هى بعض الجهود التى انجزت منذ عام ١٩٦٤ الى اليوم [التى شاهدها من عاش التجربة بالداخل] والتى على اساسها يمكن ان نستمع لوجهات نظر من شاهدوا التجربة من الخارج .

نبيل كامل : قبل ان نناقش عملية اعادة البناء اريد التأكيد على المعانى التى اثارها الزميل لطفى الخولى فى المرة السابقة ، واشار اليها الدكتور مفيد فى مقدمة حديثه الا انه سرعان ماتناقض معها . ففى الجلسة الماضية كان من الواضح اننا لسنا طرفين متنازعين حول تقييم من جانبين ، جانب يبين السلبيات فقط ، والجانب الاخر معنى بابراز الايجابيات وحدها . لقد كان كشف السلبيات وتقييم الايجابيات من الجانبين معا ، بل وقد اثار بعض الزملاء من المنظمة سلبيات اكثر مما اثرناها نحن من اسرة الطليعة . وتوضيح هذه النقطة هام ، حتى لايبدو ان هناك معسكرين متنازعين .

وتجنبا للدخول فى جدل حول النقاط التى اثارها الدكتور مفيد تعليقا على الجلسة الماضية وماقيل فيها ، اكتفى بايضاح نقطتين اثارهما فى حديثه ، فهو قد اشار الى كلمة الزميل رفعت السعيد عن التركيب الاجتماعى للتنظيم باعتبارها مجرد تجمع بورجوازى ، والواقع ان هذا القول لم يجىء على لسانه بل ذكر مامعناه ان الطابع الغالب على تكوينها من ابناء البرجوازية الصغيرة فى الاساس انعكس فى طبيعة نشاطها من اتجاهات متقلبة كسرعة الحماس وسرعة اليأس .. وهناك فارق اساسى بين التعبيرين .

د. مفيد شهاب : لقد اردت ان اعرض لما يقال فى مجالات متعددة فى الخارج ، ولم اقصد الرد فقط على ماقيل هنا .

د . محمد الخفيف : أحب ان ابدأ بتحية للمواجهة الصريحة التى واجه بها واضعو الخطة الوضع فى المنظمة وهم يفكرون فى اعادة تنظيمها ، فقد ذكروا انهم واجهوا عضوية قد تسيبت وكوادر فقدت وحدتها التنظيمية وتماسكها وقدرتها على الفعل . وان الكثير من كوادر المنظمة عانى حالة من التشكك وفقدان الثقة نتيجة عوامل عديدة ترجع الى تجربة عملهم داخل المنظمة وخارجها . وهذه المواجهة الصريحة والقاسية مفروض ان تكون بداية موفقة لاعادة بناء المنظمة ، خاصة اذا اضفنا اليها الظروف الجديدة المحيطة بعملية اعادة البناء والتى يبرز على السطح منها هزيمة يونيو وما صاحبها لدى الشباب من القلق الشرعى الذى اشار اليه السيد الرئيس عندما تحدث عن حركة الشباب فى فبراير - والذى حدث نتيجة انفجار التناقض بين ماكانوا يسمعونه وبين الواقع الذى لم يكن يتفق تمام الاتفاق مع ماكانوا يتلقونه وهو تناقض بلغ قمته فى حرب يونيو . الى جانب ذلك اثر الظروف العالمية الجديدة بالنسبة لحركة الشباب سواء فى المعسكر الغربى،او فى المعسكر الاشتراكى،حيث كانت فى المعسكر الغربى تعبيرا عن ازمة النظام الراسمالى التى بلغت ذروتها فى حرب فيتنام ، وحيث كانت فى المعسكر الاشتراكى صورة من صور التعبير عن جمود بعض القيادات فى الدول الاشتراكية وعدم استطاعتها ان تتمشى مع متطلبات الثورة التكنولوجية الحديثة .. ان كل هذه العوامل الداخلية والخارجية لابد وان تراعى تماما ونحن نفكر فى اعادة بناء المنظمة .

تقول خطة اعادة بناء المنظمة ان الارادة الشعبية حسمت بشكل قاطع اسلوب البناء وقالت ان لا اسلوب الا الديمقراطية . تقول الخطة « انه نتيجة فقدان الجماهير الشبابية الثقة فى كثير من القيادات المعنية وتطبيقا للمبدأ الديمقراطى داخل التنظيم فانه كان ضروريا تقرير مبدا الانتخاب » ، ولكن هذه المقدمة السليمة تنتهى بالمطالبة بالا يحدث

انتخاب ، والخطة فى ذلك ترى ان الظروف الموضوعية للمجتمع والظروف الذاتية للشباب لم تنضج بعد لهذه العملية ، لان نتيجة الانتخاب مترتبة على وجود هذه الظروف ، وانه ليس هناك معايير موضوعية يحدث على اساسها المفاضلة ، فلابد اذا من فترة انتقالية نضع فيها المعايير ثم يكون الانتخاب ٠

والسؤال : هو لماذا نضجت الظروف لاعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب ، ولمتنضج بالنسبة للشباب ؟ الا اذا قلنا ان اعادة بناء الاتحاد الاشتراكى بالانتخاب كان خطأ ٠

السؤال الثانى : هو من الذى يعين ، ويعين من ، ومن أين ؟ وعلى أى أساس ؟

لقد وضعت الخطة اربعة او خمسة معايير فكرى وتنظيمى وحركى وجماهيرى ، ووصفت الجماهيرى بأنه النجاح فى الاتحاد الاشتراكى وموافقة مستوى الاتحاد الاشتراكى على الترشيح ٠ ثم وضعت ما يسمى بتجديد العضويةالقديمة للاعضاء القدامى حتى لانفقد الخبرات التى تكونت لديهم ، ويفتح باب التجديد لمدة شهر ٠٠ فهل لم يكن من الممكن ان الاعضاء القدامى الذين ستجدد عضويتهم هم الذين ينتخبون قياداتهم بدلا من الهيئة المركزية العليا ولمدة سنة انتقالية ايضا وعلى اساس المعايير الخمسة التى وضعتها الخطة ؟ خاصة وان الفرملةموجودة ، فاذا كنا نخشى بعض العناصر القديمة فلا محل للخشية لان تجديد العضوية معلق على موافقة المستوى المركزى ٠

والنقطة الاخرى التى تحتاج الى ايضاح هو موضوع الانتساب ، وانا غير معترض طبعا على ان تكون هناك سنة انتساب ، ولكن هل سيشترك الاعضاء المنتسبون فى الانتخاباتالتى ستحدثبعد سنة أم لا ؟ وهل ستكون سنة الانتساب قد انتهت قبل بدء الانتخاب ؟

فاذا كان الجواب بالنفى فان الانتخاب سيكون مقصوراعلى الاعضاءالقدامى الذين سمح لهم المستوى المركزى ان يصبحوا اعضاء ٠ وانا اريد ان تكون الانتخابات بعد سنة الانتساب ٠ ، اى بعد ان يصبح كل عضو منتسب عضوا عاملا ، لنضمن على الاقل بعد سنة اشتراك دم جديد فى الانتخاب ٠

ولاحظت ايضاانالخطةلم تتعرضاطلاقا، ولو حتى بطريق عام لاسلوب العمل الداخلى او الحياة الداخلية للمنظمة ، فالكادر يذهب ويضيع عندما لايكون هناك اسلوب داخلى او حياة داخلية تضمن له الاستمرار والحياة والازدهار ٠

لماذا لم تتعرض الخطة لاسلوب العمل الداخلى علما باننا متفقين بان الحياة الداخلية لاى تنظيم هى حجر الاساس وهى ايضا التى تملى على الاعضاء اسلوب العمل الخارجى . انه لايمكن اطلاقا ان تطالب الجماهير بالتصرف اذا لم تكن تملك قدرة التصرف كعضو منظمة داخل المنظمة ، لايمكن ان تكون ديمقراطيا مع الجماهير الا اذا كنت ديمقراطيا مع نفسك ومع باقى الاعضاء داخل المنظمة .انه لايمكن القيام بأى عمل او تحقيق أى صلة حيوية او ثورية مع الجماهير الا اذا كان اسلوب العمل الداخلى أو الحياة الداخلية للمنظمة اسلوبا ثوريا وعلى اساس المركزية الديمقراطيه ، وان يعرف كل عضو حقوقه وواجباته بالضبط ، الا اذا اطلق لكل عضو الحرية فى ابداء رأيه بصراحة وبجرأة ، ان العضو اذا لم ينطلق داخل المنظمة فانه لن ينطلق مع الجماهير ـ وقد يكون هذا هو السبب الرئيسى فيما اسميتموه أنتم بتقوقع المنظمة .

الدكتور ابراهيم سعد الدين : سأقتصر فى حديثى الان على المسائل المتعلقة باعادة بناء المنظمة ، **المسأله الاولى** : عن الاساس التنظيمى لبناء المنظمة ، على اى اساس تتكون وحداتها : هل هى وحدات جماهيرية ام سكنية ؟ ومتى تكون وحدات جماهيرية ، ومتى تكون وحدات سكنية وكيف تبنى ؟ **والمسألة الثانية : هل هى منظمة جماهيرية ؟** ام منظمة كادر وما العلاقة بين الاثنين ؟ **والمسألة الثالثة** : ما علاقه المنظمة بالاتحاد الاشتراكى ؟

وبالنسبة للمسألة الاولى ، يتضح من الحديث عن البرنامج فى عمومه أن أساس البناء فى المنظمة والعمل فى المنظمات الجماهيرية لايكون الا عندما تكون هناك



وحدة جماهيرية تضم الشباب ــ وهذا يشابه تقريبا الاساس الذى بنى عليه الاتحاد الاشتراكى فى التكوين . وهو اساس معقول ، لان النشاط داخل الوحدات الجماهيرية اى داخل منظمات العمل وفى المعاهد التى يشتغل فيها الناس هو فى واقع الامر الاساس الطبيعى للنشاط ، وهناك مخاوف من حركة الشباب داخل الجامعة وعلى هذا الاساس تستبعد المنظمة النشاط داخل الجامعة ، وانا اضع المسألة على اساس انه من اجل هذا يجب ان تكون المنظمة فى الجامعة وفى المعاهد العليا . لانه اذا كانت المنظمة غير قادرة على القيادة فى الجامعة وفى المعاهد العليا فان معنى هذا انها ستترك الميدان خاليا لغيرها .

واذا كانت المنظمة تضم بالفعل الشباب الاشتراكى واذا كانت تضم بالفعل القيادات القادرة على العمل ، واذا كان الدكتور مفيد يشكو من خلو الجامعة من العمل السياسى فان تنظيم اعضاء الجامعة خارج اماكنهم يصبح وضعا شاذا ، فالجامعة ونشاطها عامل حاسم فى داخل مجتمعنا وله تأثير كبير على الاوضاع ، لذلك ارجو ان نواجه هذا الامر بصراحة ووضوح لان القاعدة التنظيمية للمنظمة كالقاعدة التنظيمية للاتحاد الاشتراكى . انه يجب ان يكون العمل فى المنظمات الجماهيرية كلما كان الوضع يتطلب ذلك .

اما المسألة الثانية : فهى قضية الكيف والكم ، وكثير منا كان ينتقد المنظمة فى محاولاتها التوسعية ، لكننا نريد هنا ان نفرق بين امرين : النقد لاسلوب معين من اساليب التجنيد والنقد لطبيعة المنظمة الجماهيرية ، فالنقد ينصب فى رأيى على محاولة ضم اناس لا يرغبون فى الانضمام او اعطاء ميزات لاعضاء المنظمة تجعل الانضمام الاختيارى ليس مبدئيا وانما مبنيا على محاولة الحصول على مزايا ، ونحن اذا استبعدنا هذين الاعتبارين فانه يجب ان تكون المنظمة مفتوحة لكل من يرغب فى الانضمام اليها . يجب ان تكون عضويتها مفتوحة لكل الناس . اى ان كل من يقدم طلبا للانضمام فانه يصبح عضوا فى المنظمة ، وليس من حق لجنة الاتحاد الاشتراكى فى المنطقة ولا القيادة المركزية ان تمنع عضويته .

والمنظمة تستهدف ايضا ان توجه الشباب وتقودهم نحو الاتجاه الاشتراكى وهى تربى الكوادر وتدربها بروح الوعى الاشتراكى .

والمنظمة مفتوحة امام جميع الشباب الا اذا استثنيت فئات معينة بواسطة قانون او ما الى ذلك ، وفيما عدا هذه الاستثناءات فان العضوية مفتوحة . وهكذا فانه عند اعادة بناء المنظمة يتعين الالتزام بنفس القاعدة . فلا يمكن للقيادة المركزية ان ترفض الاعضاء القدامى .. الا فى حدود هذه القواعد والاستثناءات المحددة سلفا .

اما المسألة الثالثة فهى تحديد العلاقة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى ، فعلاقة المنظمة بالاتحاد كعلاقة اية منظمة جماهيرية بالتنظيم الام . الاتحاد الاشتراكى يوجه المنظمات الجماهيرية ، لكنه لايقودها ولايحل محل قيادتها ، فهو مثلا لا يحل محل قيادة الحركة العمالية ولا محل قيادة الحركة النسائية ــ ان وجدت ــ فمنظمة الشباب هى تنظيم جماهيرى مستقل للشباب والاتحاد الاشتراكى يلعب دورا اساسيا فى قيادته من خلال كوادره العاملين بالمنظمة ومن خلال التوجيه .

لكن الفكرة المطروحة الان هى تحويل المنظمة الى جناح من اجنحة الاتحاد الاشتراكى وليست تنظيما مستقلا ، بل هى تنظيم تابع تقر كل اموره بواسطة مستويات الاتحاد الاشتراكى . وهذا فى رأيى تغيير اساسى فى وضعية المنظمة . ومن هنا يمكننا ان نقول ان الذى يتم الان هو الغاء للمنظمة وليس مجرد اعادة بنائها . فاذا كنا نريد المحافظة على المنظمة كجهاز مستقل له وضعيته التى تمكنه من العمل بين جماهير الشباب والانطلاق الجاد يتعين بالضرورة الحفاظ على استقلالية هذه المنظمة .

مصطفى الفقى : هناك عدة نقاط اود الاشارة اليها :

النقطة الاولى : تتصل بالظروف التى يمر بها الوطن وهى ظروف غير عادية ، فالعدو يحتل جزءا من ارضنا ونحن فى مرحلة تعبئة نفسية نرتكز فيها على الشباب اساسا ومن هنا فان اسلوب العمل يجب ان يكون مغايرا للاساليب التى سبق إتباعها .

وهناك خلال عملية اعادة البناء محظور اخشى ان نقع فيه وهو اننا سنواجه بعناصر عاشت التجربة الماضية ومن الممكن ان تحاول ان تفرض نوعا من الوصاية على الاعضاء الجدد ، بحيث تقمع حق اى قيادات جديدة فى الظهور او ان تفرض واقع التجربة الماضية بحذافيره .

النقطة الثانية : تتصل بقضية الكم والكيف

وفى رأيى انها تشبه قضية الحل السلمى والحل العسكرى .. وهذا تقسيم معيب فالكم هو الذى يصنع الكيف ومن خلال الكم يمكن ان نلتقط الكيف المتميز . وليست هناك منظمة تعتمد على الكم ومنظمة اخرى تعتمد على الكيف . فان استيعاب الكم هو الذى يسمح بظهور الكيف . ومن هنا فان المنظمة يجب ان تفتح بابها دون ما حاجز يصنع الحساسيات التى واجهنا مثلها فى الفترة الماضية . فهذا عضو بالمنظمة وذاك ليس عضوا ، واصبحت المنظمة سبيلا جديدا للتفرقة بين الشباب دون ان تكون تجميعا وتوحيدا لهم .

كذلك فان علينا ان ندرك ان الشباب فى هذه المرحلة لم يعد مستعدا لقبول مسلمات جاهزة فى اية ناحية من نواحى الحياة .. يتصل بذلك ظاهرة عالمية هى وضعية الشباب فى عالم اليوم وهى ظاهرة برزت عالميا وامتد اثرها الى داخل البلاد ..

ويتصل به ايضا ظروف محلية هى ظروف ما بعد النكسة وما استتبعها من مراجعة سياسية فى كافة المجالات لا يمكن ـ مثلا ـ ان يسير معها الالتزام على النحو الذى كان عليه فيما سبق فى صفوف المنظمة . فلا يمكن للالتزام ان يكون نوعا من القمع الفكرى او الحجر على حرية الرأى للشباب وهذه نقطة اساسية لان فاقد الشىء لا يعطيه . والذين يفتقدون الحرية فى التعبير أو فى التفكير انطلاقا من اى قيد يمكن ان يوضع عليهم ، لا يمكنهم ان يعطوا الوطن ـ فى لحظة الخطر ـ حريته .

ومن هنا فان الالتزام فى المنظمة يجب ان يأخذ معناه العلمى السليم على اساس ان لكل عضو مهما كان مستواه حق المراجعة وحق المكاشفة ، وعلى اساس ان الالتزام والارتباط هو ارتباط بوطن وليس باشخاص هذه الحقيقة يجب ان نلح عليها عند اية محاولة لبناء المنظمة على اساس ان هذه كانت ابرز اخطاء الماضى ويجب ان تكون ابرز ملامح العلاج فى المستقبل .

رفعت السعيد : هناك قضايا عديدة اثارتها الخطة، لكنى سأحاول ان اركز على الموضوعات الهامة :

النقطة الاولى : هى طبيعة العلاقة بين المنظمة والاتحاد الاشتراكى . وفى الحقيقة انه قبل بحث هذا الموضوع يجب ان نحدد اولا طبيعة ومحتوى كل من هذين التنظيمين فالاتحاد الاشتراكى هو وعاء يجمع كل قوى التحالف بهدف انجاز مرحلة الانتقال نحو الاشتراكية على اساس الميثاق الوطنى . ومن المفترض انه بعد انتهاء هذه المرحلة تجرى اعادة النظر فى الميثاق وقد نص فى صلب الميثاق على ذلك وان يعاد التفكير ايضا فى طبيعة القوى التى يتكون منها قوى التحول وفقا لطبيعة المرحلة الجديدة وما تفرضه من واجبات .

اما منظمة الشباب فهى تستهدف فى الاساس اعداد كادر المستقبل كادر المرحلة القادمة مرحلة البناء الاشتراكى ذاتها . اى المنظمة يتعين عليها فى الاساس وهذا مقياس نجاحها تهيئة كوادر من نوع جديد وبافكار اكثر تحديدا واكثر وضوحا ومؤهلة لكى تقود مرحلة المستقبل .

من هذه الزاوية يتعين ان نفكر فى موضوع العلاقة بين التنظيمين . وان نسأل انفسنا : هل من المفيد ـ لصالح المستقبل ـ ان نخضع منظمة الشباب وقياداتها القاعدية وعملية تكوين كوادرها للقيادات القاعدية للاتحاد الاشتراكى ؟ .

واجابتى : ان هذا الاخضاع غير مفيد ، لانه سيؤدى بنا الى ان نضع طاقة اكثر تقدما تحت قيادة قوى ليست مؤهلة ـ لا طبقيا ولا ايديولوجيا ـ لهذه القيادة ، وهذا لا ينفى ان منظمة الشباب هى بطبيعة الحال جزء من العمل السياسى العام الذى يجب ان يخضع لقيادة واشراف وتوجيه القيادة السياسية العامة فى المجتمع ، لكن هذه القيادة السياسية العامة تختلف من حيث القدرة والوعى والرغبة والادراك لطبيعة ومضمون المنهج السياسى ، واسلوب هذا التغيير عن الكثير من هذه القيادات القاعدية .. ذلك ان كثيرا من هذه القيادات القاعدية لا يمتلك لا القدرة ولا الرغبة بصورة مماثلة للقيادة العامة .

وبالتالى فان اخضاع القيادات الوسطى والقاعدية لمنظمة الشباب للقيادات الوسطى والقاعدية للاتحاد الاشتراكى فيه تكبيل للطاقات الثورية فى المنظمة وفيه محاولة لاستمرار الاوضاع الراهنة ، ومحاولة لان تنبت منظمة الشباب للمستقبل قيادات مثيلة للقيادات الموجودة حاليا فى المستويات الوسطى والقاعدية للاتحاد الاشتراكى .. اى ان نهيىء للمستقبل كوادر مشابهة من الناحية الفكرية او من الناحية السياسية



للقيادات الراهنة • وهذا مستحيل •• لانه يعنى وقف استمرارية الثورة وتقدمها •

ويرتبط بهذه الفكرة ايضا مسألة تكوين القيادة الحالية لمنظمة الشباب من لجنة الشباب المتفرعة من لجنة التنظيم باللجنة المركزية • اى اننا نضع على قمة تنظيم الشباب الان قيادة انتخبت من جماهير التحالف ، من جماهير مختلفة فى الوعى والرغبة والتفكير وانتخبت لقيادة تنظيم يختلف كما قلنا عن تنظيم الشباب •

واسمحوا لى ان اكرر التساؤل الذى اثاره الدكتور الخفيف وهو لماذا لا تنتخب قيادة تنظيم الشباب فورا كى ينضج التنظيم من خلال عملية الانتخاب دون اى خشية من تسلل عناصر غير صالحة لان منح العضوية سيكون فى يد قيادة التنظيم •

كذلك من المكن النص على تجديد الانتخاب بعد فترة وجيزة ولتكن عاما واحدا بحيث تتاح الفرصة بعد عام امام جماهير الشباب لاختيار قيادة لهم مختبرة فى محك التجربة العملية •

وينبع من ذلك ايضا ـ وهذا هو الاخطر ـ ان الخطة المقترحة تتضمن نظامين داخليين مقترحين . احدهما للاعضاء ينص فيه على انه حتى يتحقق الانضباط بين الاعضاء ينبغى على الاقل ان يعقد اجتماع شهرى للمجموعات القاعدية •• وهذا هو المقياس الوحيد المقترح للانضباط عند العضو القاعدى . بينما هناك نظام آخر للكوادر ، ويتضمن نظام للتكليفات التنظيمية ذات الطابع الحزبى كالتقارير والاجتماعات ونظام المتابعة •

ومعنى ذلك ان المطلوب هو اقامة تنظيم فضفاض وليس تنظيما طلائعيا •• المطلوب تنظيم ذو قاعدة واسعة غير منضبطة وغير ملتزمة أى اننا نقيم فسحة اخرى وربما اكثر اتساعا من الاتحاد الاشتراكى ولا يبشر ذلك بالرغبة فى اقامة تنظيم طلائعى قادر على ان يبنى جيلا جديدا متشبعا بروح الاشتراكية متفانيا فى الدفاع عنها •• تنظيم قادر على ان ينبت للمستقبل قيادة اكثر تقدما واكثر ارتباطا بالفكر الاشتراكى •

هناك بعد ذلك ملاحظات سريعة حول قضية الكم والكيف ، وانا اعتقد انها مسألة تخضع للظروف السياسية • وكل الاحزاب السياسية تناقش باستمرار مسألة توسيع او تضييق منح العضوية حسب الظروف •

وهناك مقياس اساسى فى التجارب الثورية فى العالم ، هو انه خلال الظروف الصعبة وحينما يعانى التنظيم والفكرة التى يدافع عنها من نكسة او هجوم فان المقبلين على العضوية يكونون فى الاغلب عناصر صلبة لم تأت تحت تاثير الانبهار العام بنفوذ التنظيم •• بينما فى ظروف انتصار التنظيم وانتصار افكاره او فى ظروف بناء التنظيم وهو فى السلطة فان الكثيرين يأتون تحت تأثير الانبهار العام والرغبة فى الاستمتاع بقسط من السلطة •

هكذا كان فتح الباب على مصراعيه فى الماضى اى فى ظروف الانبهار العام بقدرة منظمة الشباب وما اعطى لها من نفوذ وسلطة ـ خطأ اتاح للكثير من العناصر غير الصالحة ان تتسلق بحثا عن المغنم وعن السلطة ، بينما محاولة التضييق الان فى ظروف النكسة العامة وفى ظل الظروف الصعبة التى تمر بها المنظمة هى خطأ ايضا ، فالمقبلون الان على باب العضوية هم العناصر الاكثر اخلاصا ، والاكثر استعدادا للتضحية والاكثر جرأة .

وهناك نماذج كثيرة ، فالحزب الكوبى مثلا عندما كان مجرد تنظيم يحمل السلاح فى الجبال ، مطارد من السلطة ، والعضوية فيه مخاطرة غير مأمونة العواقب ،وتتطلب تفانيا واستعدادا كبيرا للتضحية •• فى ذلك الحين كانت القاعدة العامة منح العضوية لكل من يحمل البندقية •

اما الان وبعد ان انتصرت الثورة وتحول حملة البنادق الى حكام للمجتمع فان الملايين على استعداد للانضمام للحزب ليس لمجرد الاستفادة ، ولكن هناك عناصر جيدة كثيرة تاتى للحزب تحت تأثير الانبهار العام بالنصر وهنا اتخذ الحزب سياسة تضييق العضوية الى اقصى حد ووضع شروطا قاسية لها •

بقى تساؤل أخير حول ماورد فى الخطة من أن المنظمة سوف تتولى تشكيل كتائب مقاتلة للشباب الاشتراكى فهل هذا صحيح ؟ أم انه مجرد حماس وتحميس ؟ • وان كان صحيحا فلماذا لم يبدأ فى تنفيذه ؟ •

سؤال اخر : هناك برنامج زمنى فى الخطة فهل تم تنفيذه وفقا للجدول الزمنى ؟ مجرد تساؤل يحاول أن يتلمس جدية الخطة •

ميشيل كامل : لدى بعض ملاحظات على كلام الزميل رفعت السعيد ، فقد قدم مفهوما

مختلفا عن المفهوم السائد هنا حول التنظيم الشبابى ، فهو يتصور منظمة الشباب مدرسة للكادر ترسل خريجيها ليقودوا الاتحاد الاشتراكى وانها منظمة مكونة من العناصر الاشتراكية فقط وانه يتعين أن يكون هناك انضباط غير عادى فى صفوفها .. وهذه المسائل كلها بحاجة الى مناقشة .

جلال غانم : اسمحوا لى ان أعالج قضية الانتخابات ، ومدى جدية اجراء انتخاب فى الظروف الراهنة للمنظمة . فان هناك معايير محددة يتعين توافرها قبل البدء فى الانتخابات لاى تنظيم سياسى .. يجب أن يكون هناك عمل سياسى ناجح وواضح ومحدد ومتكامل فى الموقع الذى تجرى فيه الانتخابات ، ولابد أولا من بروز قيادات جماهيرية ذات تأثير ونفوذ فى الموقع .

يجب أن يتكون لدى القاعدة الايمان والثقة بهذه القيادات .

ولا شك فى ان هذه المعايير غير متوافرة فى المنظمة الان فان فترة الركود التى عانت منها المنظمة بعد النكسة تحد من امكانية اجراء انتخابات جادة .

بل ان القيادات السياسية التى كانت تمارس العمل فى المواقع قد أصاب الكثير منها حالة من التشكك وفقدان الثقة وليس من السهل دفعها الى النشاط .

المطلوب هو تنشيط المنظمة أولا وغرس الثقة فى النفوس وبعد ذلك تجرى الانتخابات .

كذلك هناك قضية المنتسبين وهم قاعدة واسعة ويتعين الانتظار حتى تمر الفترة المقررة للانتساب وحتى يصبحوا أعضاء عاملين وبعدها تجرى الانتخابات .

وهناك بعد ذلك القضية التى أثارها الدكتور ابراهيم سعد الدين حول الاساس التنظيمى لبناء المنظمة وهل هو الوحدات الجماهيرية أم الوحدات السكنية طبعا الاساس هو الوحدات الجماهيرية ، ولكن حرصا على ضم العناصر التى ليس لها وحدات جماهيرية مثل طلاب الجامعة والحرفيين قلنا تقام لهم وحدات سكنية .

والحقيقة انه لا يمكن البدء بالنشاط فى الجامعة الان ، وخاصة ان هناك فترة امتحانات بالاضافة الى انه لم يتحدد بعد الشكل الواضح لعمل المنظمة داخل الجامعة . ونحن متفقون تماما على اهمية تكوين وحدات داخل الجامعة لكن الظروف الحالية لا تسمح بالبدء فى ذلك الان .

وبالنسبة لما اثاره الاستاذ رفعت السعيد حول وجود نظامين داخليين بالمنظمة ، فاننا قد اتفقنا هنا على ان المنظمة هى منظمة جماهيرية ،بل اننا نطالب بأن تكون منظمة لكل جماهير الشباب ، ولا نرد أى شخص يطلب العضوية ، وهذا يتطلب نظاما مرنا يسمح باوسع عضوية ممكنة ونظام آخر للكوادر ولاحتياطى الكوادر والعناصر النشطة .

وطبعا انتم تعرفون انه فى الفترة الماضية كان هناك تحميل للعضو بأكثر مما يحتمل من اجتماعات وتكليفات .

ميشيل كامل : لى تعليق على مسألة الانتخاب ،والحقيقة انها مسألة اساسية ،وهى الحلقة الرئيسية فى المناقشة ، فنحن نبدأ الان من جديد ولا نريد أن نبدأ بداية تنفر جماهير الشباب ، وتوحى بافتقاد الديمقراطية فى تنظيمهم .

وواضح مما ورد فى الخطة ، ومن التقييم الذى قدمناه فى البداية انه من بين السلبيات الاساسية التى عانت منها المنظمة ، ان الشباب قد اهتزت ثقته فى المنظمة وفى القيادة والهدف من عملية اعادة البناء هو استعادة ثقة هذا الشباب فى المنظمة ، فما هو سبب أزمة الشباب والعوامل الكامنة وراء أزمة الثقة هذه ؟

هناك أسباب عديدة نوقشت وهناك شبه اتفاق عليها . ويمكن تلخيصها فى عبارة واحدة هى التناقض بين الاقوال والافعال ، بين النظرية والمبادىء المعلنة وبين الممارسة العملية .

وكما أشار الدكتور الخفيف فانه لا خلاف على الكلام المعلن الذى يقرر ان الانتخاب هو



الاساس ، وحديث طويل ومقنع عن ان الثورة قد حسمت موضوع الانتخاب ، وان الرئيس عبد الناصر قد أكد ان أسلوب التعيين لا يفرز الا مراكز القوة ولا يفرز الا الشللية ورغم ذلك وبعد كل هذه الكلمات الجميلة فانه عند أول خطوة عملية نتجاهل هذه الكلمات الجميلة ونقرر .. تعيين لا انتخاب .

وانا أرى انه بهذه البداية غير الموفقة لن نستطيع كسب ثقة الشباب فى عملية اعادة البناء .

ولاشك ان هناك مبررات عديدة تقال ، مثل القول بأن اسلوب الانتخاب فى المرحلة الحالية لا يأتى باقدر العناصر ، واظن ان هذا يناقض خبرتنا التى لخصها الرئيس عبد الناصر عندما قال ان التعيين لا يأتى الا بمراكز القوة والشلل ، أى ان له اثرا سببيا وله تأثيرات سيئة وضارة عانينا منها فى الماضى القريب .

وثمة حجة أخرى تثار وهى الافتقار الى معايير الاختيار . وأنا أرى عكس ذلك فالوقت الحالى هو أنسب وقت للانتخاب والمعايير واضحة وقد خضعت لنقاش كثير من القاعدة حول تقييم الفترة الماضية .

ولعل من اهم الايجابيات هو ذلك النقاش الذى غمر القاعدة كلها حول سلبيات الفترة الماضية وايجابياتها وعلى ضوء هذا النقاش يمكن تحديد المعايير المطلوبة فى القيادة الجديدة .

ولست أدرى لماذا لا نثق فى الشباب الذى أرسى هذه المعايير واستنبطها من واقع خبرته ، ونعطيه حقه الشرعى فى اختيار قيادته الجديدة ؟

والحقيقة ان المسألة – فى رأيى – ليست مسألة الدفاع عن مبادىء مجردة ولا مسألة نظرية ترى فى الانتخاب الاساس الافضل ، لكنها مسألة مرتبطة بواقعنا الراهن فى مصر ، فنحن فى مجتمع متخلف يسابق الزمن ليدخل عصر التكنولوجيا وعصر الاشتراكية ، ومثل هذا التحول يخلق مشاكل اجتماعية عميقة ذات تأثير هام على الشباب ولا يجدى فيه محاولة فرض نوع من التحكم الابوى عليه . فالشباب يعانى من محاولة التحكم فيه فى البيت وفى المدرسة وفى العمل .. هذه المعاناة المتكررة والمتلاحقة يتعين لها أن تجد متنفسا صحيا فى منظمة الشباب ، فالشباب الذى يعانى من مثل هذا التحكم ويلجأ الى منظمة الشباب انما يلجأ اليها كى يجد فى رحابها متنفسا وتعبيرا عن ذاته ، وليجد فيها فرصة لممارسة حرية النقد وحرية التعبير .

وهذا الشباب يجد ان المنظمة فى المرحلة السابقة كانت فيها قيود على حرية التعبير وهذه القيود مرتبطة فى أذهان الشباب – سواء عن خطأ أو صواب – بوجود قيادة معينة كانت موجودة قبلا ومسئولة عن كل ما حدث .

لكن الذى يحدث الان هو أننا نقول للقاعدة انها غير كفء وقاصرة عن الاختيار وفى نفس الوقت نفرض عليها نفس القيادة القديمة .

ولا شك ان هذه بداية غير موفقة . وقد تسبب فشلا جديدا للمنظمة .

عاطف الصانع : الذى لا شك فيه ان مجرد وجود القيادة فى السلطة التنفيذية هو حافز لدفع التنظيمات التى يجرى بناؤها فى ظل هذه القيادة للوقوع تحت سيطرة الانتهازية .

كذلك ونحن نناقش مسألة الكم والكيف يجب الا نتناسى تجربة المنظمة السابقة وما وقعت فيه من خطأ ضم اعدادا كبيرة ، بعضهم دخل بدافع الاغراء بحوافز ، بل ان البعض قد دخل اجبارا ، ولو تركت المسألة بغير حوافز لكان المبدأ والعقيدة هى الحافز الاساسى .

والحقيقة ان فتح الباب فى التجربة السابقة بغير حدود قد دفع الى صفوف المنظمة ، وانما اطالب بالانفتاح فى حدود العمل السياسى فى مصر عموما .

ولست أطالب بالانغلاق أى بغلق أبواب المنظمة وانما أطالب بالانفتاح فى حدود معايير معينة ومقاييس محددة ٠

كذلك فاننى أرى ان العمل بالجامعة هام وضرورى ويتعين البدء به فورا ٠

عبد المنعم الغزالى : فى مرحلة التحرر الوطنى كان المركز الرئيسى للثقل فى حركة الشباب هو حركة جماهير الطلاب ٠ اما فى مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية فان مركز الثقل هذا ينتقل ليتجه نحو حركة شباب العمال والفلاحين بصفة رئيسية ٠

والحقيقة أنه من بين الاخطاء التى وقع فيها يسار ما قبل الثورة هو عدم اهتمامه اهتماما كافيا بشباب العمال والفلاحين مما يضع علينا مسئولية تلافى ذلك الآن .

ان على منظمة الشباب ان تتجه خلال عملية اعادة البناء الى توسيع قاعدتها بين شباب العمال والفلاحين ٠ أن تتجه الى المصنع والقرية أساسا ٠

وأنا أخشى أن تكون عملية اعادة البناء بقصر الاختيار على الاعضاء القدامى سببا فى أن يظل التركيب الاجتماعى القديم كما هو ٠

كذلك يتعين أن نضع فى الاعتبار طبيعة المرحلة التى نمر بها وهى مرحلة مواجهة العدوان والعمل على تصفيته ٠ وهذا بطبيعة الحال يتطلب من المنظمة الانتشار الواسع حتى تتمكن من تعبئة أوسع جماهير الشباب فى معركة ازالة آثار العدوان ، وهو أمر مفيد للمعركة وللمنظمة على السواء ، فالمنظمة سيجرى بناؤها من خلال المعركة وعلى أساسها وهذا هو السبيل الصحيح لبناء تنظيم قوى ٠

ولهذا فلابد من البدء فى تكوين كتائب الشباب المسلحة ،أى صهر الشباب فى اتون المعركة ومن خلال المعركة تتم عملية اعادة البناء ٠

منيره نصير : لدى ملاحظتين ٭٭٭

الاولى : ان المنظمة عليها ان تفتح باب الترشيح على مصراعيه ، فالمطلوب الان من المنظمة هو تزويد القاعدة الواسعة من الشباب بحد أدنى من السلوك والمنهج الاشتراكى فى الحياة والعمل ٠

ومن خلال هذه القاعدة الواسعة جدا من العضوية يمكن اختيار الكوادر الكفء والواعيه لتكون الطليعة للعمل السياسى ولتمد الاتحاد الاشتراكى بالقيادات والدماء الجديدة ٠

الثانية : حول عمل المنظمة فى الجامعه ، أنا أرى ان اعلان ان الظروف غير ملائمة لبدء هذا العمل هو مجرد هروب من المشكلة ٠

اذا كانت الظروف صعبة ومعقدة فى الجامعة فان هذه الصعوبة هى فى ذاتها دافع لكى تؤدى المنظمة واجبها هناك ٠٠ والا فان الامر لا يفسر الا على أنه هروب ٠٠٠

هانى خلاف : اسمحوا لى ان اسأل هل عملية اعادة بناء المنظمة تأتى نتيجة لمبادرة من جانب قيادة المنظمة بعد أن وعت وأدركت حقيقة سلبيات المرحلة السابقة وضرورة اعادة البناء على أسس جديدة ؟ ام ان اعادة البناء كانت نزولا على مطالبات شعبية متكررة بدأت بانتفاضات فبراير ويونيو وانتهت بانعقاد المؤتمر القومى ؟ ان الاجابة على هذا السؤال هى التى تحدد صياغة الاطار الجديد للمنظمة فى قالب معين ، حتى لا يكون هذا الاطار متخلفا عن حركة الشباب ٠

وهذه أمور أساسية لابد أن نعيها عند محاولة انشاء الاطار التنظيمى الجديد ٠

فالمنظمة سوف تصبح اطارا ضيقا على الشباب اذا أحسوا ان عضويتهم تصبح قيدا عليهم ، وعندما يتحول مفهوم الالتزام الى الزام ٠ واذاتحولت المنظمة من تنظيم سياسى الى القيام بدور رجل المباحث ٠

وأنا اعتقد ان الحركات الطلابية فى فبراير ويونيو الماضى كانت بسبب ان التنظيمات الشبابية والتنظيمات السياسية بصفة عامة كانت غير قادرة على أن تستوعب بداخلها حركة الشباب .

وعندى بعد ذلك سؤال اخر هو : هل السنة التى تقترحها الخطة كافية لاحداث كل التغييرات المطلوبة والتى تضمن فيما بعد اجراء انتخابات سليمة ؟ هل هى كافية لخلق

المناخ الصحي ؟ • هذا مجرد تساؤل أطرحه •

كذلك أود الالحاح على أهمية الحركات العملية فالمعسكرات والنقاش الفكرى وحدهما ليسا كافيين في تقييم الكادر ، بل لابد من الاهتمام بالحركات العملية •

سعيد حشمت : اتحدث ايضا عن الكم والكيف • اذا كنا متفقين على أن هدف المنظمة أن تستوعب الغالبية العظمى من الشباب ، فمعنى هذا أن المنظمة جماهيرية وليست منظمة تضم الطلائع فحسب • والقضية هي كيف تصل المنظمة الى تحقيق هذا الهدف ؟

والجواب : هو انه هناك بالفعل خلافبين مهام وطبيعة الاتحاد الاشتراكى او اى تنظيم سياسى اخر وبين مهام وطبيعة منظمة الشباب • ان مهامها تتمثل في تكوين وتربية الشباب أى التأثير في سلوكيات الشباب وبناء عقيدتهم في اتجاه الكفاح من أجل التطبيق الاشتراكى الخاص بنا ، لكن مثل هذه المهمة تتطلب وجود كوادر من الشباب تضطلع بها • واعداد هذه الكوادر يستلزم وقتا ولايمكن أن يتم بين يوم وليلة • ويصعب على بلادنا في الظروف التى تجتازها أن توفر هذه الكوادر بالسرعة التى تحول منظمة الشباب الى تنظيم جماهيرى واسع • وفي الوقت نفسه لايمكن أن تتخلى عن مراعاة الكيف •

اذن كيف نحل هذا التناقض ؟ هناك حلول اساسية :

- مضاعفة الجهود للتوسع الرأسى في اعداد الكوادر (راجع الخطة) •
- أن تتحرك كوادر المنظمة في وسط التجمعات العريضة والطبيعية للشباب •
- توسيع قاعدة الاصدقاء السياسيين والمنتسبين تمهيدا لضمهم الى المنظمة وعلى أساس تحريكهم في اتجاه الاهداف التى تناضل من أجلها المنظمة •

د • مفيد شهاب : اتصور ان القلق من تغلب الكم على الكيف مصدره ماكان يحدث في الماضي من الضغط لضم الناس بكم كبير دون أن تكون لهم رغبة في ذلك • وفي الوقت نفسه ليس المقصود من الاهتمام بالكيف أن تكون منظمة للنخبة • وأتفق هنا تماما مع ماقاله في هذا الصدد الاستاذ أبو سيف والدكتور ابراهيم ان منظمتنا جماهيرية ، مفتوحة لكل الشباب ، وان كنا نحرص أن يتم تناسق بين زيادة حجم العضوية وبين عملية اعداد الكوادر •

وبالنسبة لعلاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى فنحن لانحيد هذا المبدأ وهو أننا نعمل تحت قيادة الاتحاد الاشتراكى • لكن هذا لايتناقض مع ماأعلناه منذ ١٩٦٥ وهو انه لابد وان يكون للشباب تنظيمه المستقل الخاص به ، تحت اشراف الاتحاد الاشتراكى • ولكن كيف تتحدد هذه العلاقة ؟ هناك حساسية تنشأ بين الاتحاد الاشتراكى وبين المنظمة • وقد وجد مثلها في كل التنظيمات الحزبية في الخارج (مثلا بين الحزب الشيوعى وبين الكومسومول في أول قيامهما : الحزب يطالب باشراف كامل والشباب يطالب بالاستقلال) . لكن هذه الحساسية زالت على مر الزمن عندما أصبحت كوادر الحزب كلها آتية أصلا من تنظيمات الشباب •

وفيما يتعلق بنا فنحن أمام اختيارين : بين ان نبعد المنظمة عن الاتحاد الاشتراكى وبذلك تفقد جماهيريتهاوبين ان نربطها ربطا قويا بالاتحاد الاشتراكى وبقواعده وعلى جميع المستويات ، وأنا افضل هذا الحل الاخير رغم أن الشباب يحس دائما بنوع من التناقض •

في موضوع الانتخابات : اتفقنا ان تتم الانتخاب في يوليو ١٩٧٠ . والحكمة في هذا ان يكون الاعضاء المنتسبون قد منحوا العضوية . وانتظارنا مدة سنة هدفه اننا نريد أن نتجنب اجراء انتخابات شكلية •

لقد اثير سؤال حول تعيين قيادة المنظمة، وقيل في هذا كيف يمكن لقيادة معينة أن تكسب ثقة الشباب . والواقع ان المنظمة كانت مجمدة فعليا بعد بيان ٣٠ مارس الذى

نص على اعادة بناء التنظيمات المختلفة بناء جديدا . من هنا قامت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى بتكوين اللجنة الفرعية للشباب وعهدت اليها بوضع مشروع لاعادة بناء المنظمة • وهذا المشروع قد أقرته اللجنة التنفيذية العليا منذ شهرين فقط . فاذا كانت القيادة المعينه لم تتحرك فهذا امر بديهى لانه لايمكن لها أن تبدأ العمل إلا بعد اقرار الخطة •

وأخيرا وجهت استفسارات حول تحديد الفترة الانتقالية لبناء المنظمة . الاخ هانى يرى ان سنة فترة قليلة • ود • الخفيف يقول العكس • والواقع أن هناك هدفين من تحديد فترة الانتقال بسنة • **الاول** اعادة النشاط الى المنظمة ، حتى يتم الانتخاب على اساس نشاط تم فعلا • **والثانى** فى هذه الفترة تكون قد منحت العضوية لدم جديد من الشباب يباشر حقه الانتخابى . طبعا هذه المرحلة الانتقالية ليست فيها ديمقراطية كاملة لكن الحرص على الشكليات الديموقراطية فى ظروف المنظمة ربما يأتى بقيادات لاتمثل الشباب • وعلى العموم ففى هذه الفترة الانتقالية ليست فيها ديموقراطية كاملة ، معيار موضوعى فى اختيار قيادات المنظمة • ولذلك قلنا أنها تختار من بين عناصر الشباب التى نجحت فى انتخابات الاتحاد الاشتراكى وذلك رغم أن الانتخابات قد تقترن بسلبيات فى بعض الاحيان . هذا الاختيار ليس تعيينا مطلقا ، وليس انتخابا مطلقا ، ولكنه مرحلة وسط بين الاثنين •

د . الخفيف : اريد أن أطمئن الى ان الـكم سيسير وفقا لتطور اعداد الكيف • بمعنى اننا لن نتوسع الا بقدر ما نتوسع فى اعداد الكوادر • واذا لم يتم هذا فسنعود مرة أخرى الى الشكوى القديمة • فالمنظمة بدأت فى الماضى بـ ٤٢ ألف عضو ولكن لم يكن فيها من الكوادر غير ٣٠ أو ٤٠ واحدا . وهذا يعنى احد امرين : اما ان تعجز هذه المجموعة الصغيرة من القادة عن القيام بأعباء المنظمة ، واما أن تقودها ولكن تتم القيادة هنا بأسلوب القرارات والاوامر ، وهذا ماحدث •

وفيما يتعلق بعلاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى • فيجب أن نلاحظ أن هناك وضعا فريدا فى بلادنا من حيث أن الاتحاد الاشتراكى ليس حزبا ولكنه تحالف • ورأيى أن العلاقة بينه وبين المنظمة سيحكمها ويصلحها أسلوب عمل المنظمة (أساسا حياتها الداخلية) وأسلوب عملها بين الناس • وهذا كفيل بأن يحمى المنظمة من التهم التى تكال لها •

صلاح الشرنوبى : اوافق على ما قاله د . ابراهيم عن علاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى . أى أنه ليس من المتصور اطلاقا أن تكون المنظمة فى الماضى منظمة لها شخصيتها ولها استقلالها ثم تصل الى أن تكون الان « قسما » للشباب فى الاتحاد الاشتراكى . **النقطة الثانية** فى كلامى خاصة بفترة الانتقال • واهمية هذه الفترة أنه من خلال تجديد العضوية يمكن القيام بعملية اختيار وانتقاء للعناصر التى تصمد وتجتاز الازمة • فضلا عن تغذية المنظمة بدم جديد • وكل هذا يتطلب فترة من الزمن تمارس فيها المنظمة النشاط بحيث يتعرف أعضاؤها على القيادات القادرة على قيادة حركتها فى فترة مقبلة ، وبالتالى يمكن أن تأتى الانتخابات بنتيجة سليمة • **النقطة الثالثة :** خاصة بالتكوين الاجتماعى للمنظمة • لست أتفق مع الرأى القائل بأن الطلاب يكونون فئة اجتماعية خاصة فى الفترة الماضية ركزت المنظمة على تجنيد الطلاب فى الجامعة لان الطلاب كما هو معروف يمثلون قيادات متحركة ونشطة فى بيئتهم • فأرادت المنظمة أن تسلحهم بفكر اشتراكى يواجهون به المجتمع . من ناحية اخرى اذا كانت المنظمة فيما مضى قد ركزت على تجنيد الطلاب أكثر من تركيزها على العمال والفلاحين فقد دفعها الى هذا مالوحظ من أن الرجعية تنشط لتجنيد الطلاب • فالتركيز على الطلاب كان بهدف حمايتهم •

أبو سيف يوسف : أحب أن أؤكد على هذه النقطة • وهى أنه اذا لم نستطع أن نبنى المنظمة فى ظروف المعركة — وهى ظروف ثورية — فان فرص بنائها فى وقت آخر قد تكون قليلة جدا • وعلينا هنا أن نعتبر بقيام الاحزاب الجماهيرية القوية • فهذه الاحزاب اصبحت جماهيرية فى اللحظة التى تمكنت فيها الكوادر من أن تلتقى بحركة الجماهير وتحتضنها • وظروف المعركة الحالية تتطلب من المنظمة أن تنفتح على أوسع قطاعات



الشباب • وعلينا ألا نخشى شيئا لان المعركة بطبيعتها تقدم لنا معيارا محددا لتقييم الناس وهو الموقف النضالى والعملى من قضية التحرير وما تفرضه من أعباء • بهذا نستطيع ان نبنى منظمة واسعة ، وبهذا نجد آلاف الكوادر القيادية •

فيما يتعلق بما ذكر من أن المنظمة اندفع الى عضويتها — فى الماضى — الاف الشباب تحت تاثير اعتبارات « وصولية » وتحت جاذبية « السلطة » فلست أوافق على هذا الرأى • واعتقادى أن غالبية الشباب الساحقة جاءت الى المنظمة فى ظروف عالمية وداخلية تمثل فيها الاشتراكية نقطة جذب شديدة جدا • ولا ننسى أن الشباب ظل مدة طويلة محروما من العمل السياسى ومن التنظيم •

فيما يتعلق بالعلاقة مع الاتحاد الاشتراكى فانه اذا كان لابد أن يكون لمنظمة الشباب علاقة بتنظيم معين فلن يكون الا التنظيم الطليعى وليس الاتحاد الاشتراكى •

فوزى بشرى : اعتقد ان الاستاذ الغزالى يبدى تخوفا ليس له أساس من التمسك بقضية الكيف فى بناء المنظمة • واخشى أن يستنتج من هذا أن المنظمة تتجه فى حرصها على الكيف الى الاعتماد على الطلاب والمثقفين • لكن القضية التى تحتاج الى تأكيد لابد من وجود معايير موضوعية وواضحة للتصعيد ولتكوين الكوادر •

ولى تحفظ على كلام د • الخفيف فى موضوع علاقة المنظمة مع الاتحاد الاشتراكى • اوافق على ان اسلوب المنظمة الداخلى يجنبها الوقوع فى الاخطاء • لكن موقف الاتحاد الاشتراكى — فى بعض الاحيان — لايكون مجرد رد فعل على موقف تتخذه المنظمة ، ولكن يحدث ان يكون رد فعل ضد مضمون وجوهر حركة المنظمة ، واضرب مثلا لذلك ما حدث فى بعض المحافظات ، فنحن نعلم انه لاتوجد نقابات لعمال الزراعة الا على الورق • ولقد أراد شباب المنظمة هناك ان يتبنوا قضية تنظيم عمال الريف . لكن قيادة الاتحاد الاشتراكى — وهى فى نفس الوقت — قيادة لمجلس القرية قد وضعت احد اتباعها (وهو لا يمثل عمال الزراعة) ليقود التنظيم النقابى • من هنا حدث صدام بين منظمة الشباب هناك وبين تنظيم الاتحاد الاشتراكى • واعتقادى ان سلامة العلاقة بين الاتحاد وبين المنظمة لاتتوقف — فى الاساس — على النيات الحسنة ، ولا على المعاملة الطيبة من جانب اعضاء المنظمة لانه فى بعض الاحيان لابد وان يثور صدام ، وذلك كلما وجدت داخل الاتحاد الاشتراكى فئات أو عناصر من كبار الملاك أو البورجوازية الكبيرة فى الريف وفى المدينة •

هذا ينقلنى الى علاقة الاتحاد الاشتراكى بالمنظمة . علينا ان نعترف بأنه فى داخل الاتحاد الاشتراكى توجد قطاعات وقيادات غير واعية او غير اشتراكية بحكم مصالحهم التاريخية وبحكم تكوينهم السياسى • ومن هنا ينشأ تناقض ، وفى اعتقادى ان أعضاء المنظمة أكثر تقدما من الناحية الفكرية من كثير من القيادات الموجودة داخل الاتحاد الاشتراكى • وهذا الوضع يتطلب تأكيد استقلالية المنظمة • صيغة هذا الاستقلال ليست واضحة فى ذهنى تماما ، لكنى اتصور انه لو تم تشحين الجهاز الطليعى داخل الاتحاد الاشتراكى فان هذه المشكلة ستحل •

د • ابراهيم سعد الدين : احب ان ابدى بعض الملاحظات :

الملاحظة الاولى : قضية جماهيرية المنظمة وحق العضوية الكامل فيها ليس معناه ان كل الشباب سينضم • لكن لابد من التأكيد على حق كل الشباب فى الانضمام دون تمييز • وكل منظمة تضع شروطا للانضمام ، وحق الانضمام هنا معناه ، حق كل الشباب الذين يوافقون على هذه الشروط فى ان يكونوا اعضاء فى المنظمة ، ولا اتصور ان حضور المعسكر يعتبر شرطا للعضوية ، ولكن مسلك الشخص هو الحكم الاخير على العضوية •

الملاحظة الثانية : عن علاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى • جوهر اعتراضى على المذكرة هى انها تتضمن وصاية من لجان الاتحاد الاشتراكى على نشاط المنظمة • وهناك فرق بين القيادة والوصاية • الاتحاد

الاشتراكى يقود كما يقود كل انواع المنظمات الجماهيرية . لكن هذه منظمة مستقلة لها قيادتها المنتخبة منها . وعلى الاتحاد الاشتراكى خلال كافة الوسائل الديمقراطية ان يسعى لكى يجعل هذه المنظمة ملتزمة .

واخيرا فى العلاقة مع التنظيم الطليعى اذا كانت اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى جزء من التنظيم الطليعى ، وهذا هو المفروض ، فان منظمة الشباب ستكون مرتبطة بشكل او بآخر بالتنظيم الطليعى .

بشيل كامل : بالنسبة لعلاقة المنظمة بالاتحاد الاشتراكى ، بى تساؤل ينصب على مشروع البرنامج العام الذى قدم لنا منذ اسبوع .

فى المشروع الجديد توضع العلاقة بين المنظمة وبين الاتحاد الاشتراكى كما يلى : القيادة المركزية للمنظمة تكلف لجان المحافظة بترجمة خطها العام الى خطة تفصيلية تراعى فيها ظروف المحافظة . لجان المحافظة تقوم بمتابعه تنفيذ هذه الخطة ورفع تقرير عنها الى لجنة الشباب المتفرعة من لجنة التنظيم .

لجان المحافظة تبدى رأيها فى ترشيحات العناصر القيادية . والواقع انه يبدو لى ان مستويات منظمة الشباب فى هذا الوضع الجديد هى اشبه « بساندوتش » داخل الاتحاد الاشتراكى . اى ان لجنة المحافظة هى المسئولة تماما عن وضع الخطة ، هى التى تجسد الخطة ، هى التى تعطيها للشباب ، وهى تتابع نشاط الشباب ، وتعطى الاوامر . بهذا الشكل نحن امام تبعية كاملة وليس مجرد وصاية ، واذا كان هذا هو الوضع القائم فعلا فالمسأله خطيرة لان منظمة الشباب تفقد الاستقلالية وتصبح مجرد مستويات جديدة تضاف الى الاتحاد الاشتراكى .

د . **مفيد شهاب** : هناك اتفاق على ان القيادة للاتحاد الاشتراكى ، وكان بما لايلغى حق الشباب فى استقلاله . كل ما فى الامر اننا امام وضع انتقالى .

اما عن الدور الذى تقوم به اللجنة الفرعية للشباب [المتفرعة من الاتحاد الاشتراكى] ، وهو الامر الذى تحدث عنه الاستاذ رفعت السعيد فان هذه اللجنة الفرعية تمثل قيادة المنظمة ، لان هذه مرحلة انتقالية مؤقتة ، تقوم فيها هذه اللجنة باعادة بناء المنظمة .

وفيما يتعلق بالعلاقة بين الاتحاد الاشتراكى فان هناك اتفاقا على أن المستوى المركزى للمنظمة هو الذى يضع الخطة موحدة فى مؤتمر الشباب . وقرارات تعيين كل مستويات لجان المنظمة صادرة عن المستوى المركزى للمنظمة . هذا المستوى هو الذى يعين ، ونحن الذين نضع اطار الخطة العامة ، ونحن الذين نقر الخطط الموضوعة على مستوى كل المحافظات . وهذا وان كان يحفظ على المنظمة استقلالها لكنه لا ينفى ان يكون للجان الاتحاد الاشتراكى رأى بالنسبة للقيادات الموجودة .

اما ان القيادات الموجودة اليوم ليست هى القيادات المنتخبة من المنظمة ، او انها مفروضة من الاتحاد الاشتراكى فهذا وضع مؤقت كما قلنا .

خطة المنظمة للتثقيف

انتقلت الندوة بعد ذلك الى مناقشة خطة التثقيف المقدمة منها لعام ١٩٦٩ .

اسامه غيث : اتناول موضوع التثقيف من ناحيتين : ناحية ما يجب ان يؤخذ فى الاعتبار ونحن نضع خطة تثقيفية ثم من ناحية المواضيع التى تطرحها المنظمة كمواد للتثقيف .

نحن فى منظمة الشباب نقع فى خلط وتضارب حول نوع المنظمة التى نريدها، وهل هى جماهيريه ام طليعية . وهذا الخلط ينعكس على برامج التثقيف ويصيبها بالاختناق . فمن ناحية نوعية الاعضاء ، نحن نفترض فى منظمة الشباب انها منظمة جماهيرية ، اى انها تفتح الباب للشباب جميعا مع استثناءات بسيطة . ثم بعد ذلك من ناحيه انضمام اعضاء قدامى فى التنظيم واعضاء منتسبين ، نحن نفتح الباب على مصراعيه للاعضاء القدامى ، ثم للمنتسبين ، ثم نحدد شروطا خاصة لدخولهم ، فاذا نظرنا بعد ذلك الى نوعية الاعضاء سنجد ان بينها فئات ربما لا تكون مؤهلة لتقبل الفكر الاشتراكى . من ناحية اخرى هناك بين السادة الذين يتناولون مواضيع التثقيف من يعمل على اخضاع مادة التثقيف لمناهجه



الذاتى • هذا المنهاج ربما يتعارض مع قيم اصيلة وطرق فى التفكير قد وجدت واستقرت [بغض النظر عن صحتها او عدم صحتها] وهذا كله يؤدى الى مزيد من البلبلة الفكرية •

نقطة اخرى فى موضوع التثقيف هى ان هناك من يتوهم انه من الممكن ان نخلق انسانا يتبع فى سلوكه القيم الاشتراكية بمجرد اعطائه جرعات ثقافية من ايديولوجية معينة • ولكن الواقع يبرهن لنا على انه لا يوجد تأثير ميكانيكى بين تعليم افكار معينة وبين السلوك الذى نريد ان نغرسه (خصوصا فى ظل مجتمع تأكدت فيه قيم معينة ، وتقاليد ليس من السهل اقتلاعها] من خلال برنامج تعليمى او تثقيفى مدته شهرا او اسبوعين

النقطة الثانية ، هى انه عند وضع برامج التثقيف لابد وان يؤخذ فى الاعتبار ما يمكن ان يفيد الشباب من طرق التفكير فى حل مشاكلهم الذاتية •

واعتراضى على برنامج التثقيف ، الموضوع يمكن ان يلخص فيما يلى :

ان لبرنامج التثقيف ثلاثة مجالات : مجال عقائدى ومجال سياسى ومجال تنظيمى • فى المجال العقائدى لم ينص فى الخطة على ان هناك دراسات دينية ستولى الاهتمام مع اننا فى مجتمع متأصل فيه الدين وجذوره ممتدة، وذلك بغض النظر عن انها من الجائز ان تكون ممتدة حاليا وهى منقطعة الاصل عن الدين الاساسى • وفى هذه النقطة نحن لانبدأ من فراغ . لان هناك قيما متأصلة وهذه القيم الكثير منها صالح والكثير منها مفيد •، ويجب ان نبدأ منها • والدين يعطينا قوة لانه مرتبط بفكرة الثواب والعقاب وهذا اساس الضمير الحى القوى الذى يراقب الانسان فى غياب مرءوسيه •

آخر نقطة : ان العدوان الذى نواجهه مرتبط بعقيدة دينية فى الاساس • وهذا يعطينا مثل على مدى ما يمكن ان تعطيه العقيدة من قوة دافعة للشعوب ومدى ما تعطيهم من سبيل للجهاد والتضحية •

أبو سيف يوسف ، خطة التثقيف التى تقدمها منظمة الشباب لعام ١٩٦٩ هى بلا شك خطة طموحة • ولكن السؤال هو هل تستطيع المنظمة ان تنفذ هذه الخطة فى الفترة الانتقالية المحدودة وفى الوقت نفسه تقوم بمهامها النضالية والتنظيمية ؟ واعتقد مخلصا ان الخطة تضع من الاهداف مالا يمكن انجازه فى سنة •

لكن هنا نجد انفسنا امام موقف متناقض • وهو ان المنظمة مكلفة من ناحية باعداد جيل من الشباب المزود بالوعى الاشتراكى • فاذا ركزت على هذا الهدف وفقا للبرنامج المقدم فسوف يتم هذا على حساب الواجبات النضالية والتنظيمية • فكيف يمكن حل هذا التناقض •

الحقيقة ان هذه الصعوبة تعود بنا مرة اخرى الى ضرورة وضع المنظمة فى اطار المجتمع وفى اطار المؤسسات السياسية والاجتماعية المختلفة • واول مايلاحظ هنا هو ان مهام التثقيف الاشتراكى تقع فى المحل الاول على نوعين من المؤسسات : مؤسسات حزبية ومؤسسات الدولة التى تشرف على التعليم العام والعالى • وفيما يتعلق بالمؤسسات الحزبية فان مهمة غرس الوعى الاشتراكى تقع فى المحل الاول على عاتق الحزب الطليعى ، حزب الطلائع الاشتراكية . وعليه اذا لم توضع قضية التثقيف الاشتراكى اساسا فى ايدى الحزب الطليعى ومؤسسات التعليم فان منظمة الشباب ستقع عليها ـ فى مجال التثقيف الاشتراكى ـ مهمات واعباء باهظة قد تحد من حركتها وتحولها الى مدرسة منعزلة عن الحياة او الى ناد للنقاش •

فاذا كان الوضع كذلك فما هو الدور الذى يمكن ان تقوم به منظمة الشباب فى عملية التثقيف الاشتراكى ؟ بشكل عام مهمة الثقافة الاشتراكية ان تعد الطلائع والجماهير لاصعب واشق مهمة وهى مهمة بناء المجتمع الاشتراكى ، وهذا واردفى الخطة ولا خلاف حوله • وهذا ينطبق ايضا على منظمة الشباب لان هدف التثقيف فيها هو اعداد جيل جديد يتولى مهام بناء المجتمع الجديد • وهذا ما أشارت اليه الخطة ونحن نتفق أيضا معها فى هذا •

لكن تثقيف الشباب داخل المنظمة يختلف عن تثقيف الشباب فى معهد من المعاهد الاشتراكية ، فبينما يركز المعهد على تدريس الاشتراكية العلمية فى جوانبها الفلسفية والاقتصادية والسياسية ، فانه تقع على منظمة الشباب ان تباشر مهام التثقيف من زاوية الاهداف العاجلة التى تتحدد فى كل مرحلة من مراحل العمل الثورى وهذا يعنى فى التطبيق ان يقدم اعضاء المنظمة فى سلوكهم المثل الذى يجسد ارتباط الفكر بالعمل . ومن هنا نقول ان اهداف التثقيف

الاشتراكي في منظمة الشباب هي انتقتم للجماهير التي لاتعرف الاشتراكية القدوة والمثل الحي على تفوق الاشتراكية كما يعكسه السلك العملي والاخلاقي لاعضاء المنظمة • باختصار يقع على عاتق التنظيم السياسي ان يحدد الخط السياسي العام والمهام المطلوبة ، وعلى منظمة الشباب في هذه الحالة – ان تقدم المادة التثقيفية التي تخدم تنفيذ المهام السياسية المطلوبة •

اذا رجعنا الى الخطة الثقافية لعام ١٩٦٩ وجدنا انها تحدد ثلاث مجالات للثقافة : المجال العقائدي والمجال السياسي والمجال التنظيمي • ثم هي تحدد ثلاث دوائر للعمل التثقيفي للاعضاء والكوادر والمتنسبين • واذا نظرنا كمثال الى خطة التثقيف في المجال العقائدي وجدنا انها تشتمل على عشرة مواد من الدراسات الفلسفية والاقتصادية والنفسية والاجتماعية • الخ لكن النظرة الواقعية تبين ان تنفيذ مثل هذا البرنامج لابد وان يتم على حساب مواقفها النضالية ومهامها التنظيمية • ويباعد بين المستويات العليا والدنيا فيها •

واقتراحي : ان يوضع برنامج التثقيف في ارتباط كامل مع مهام تحرير ارض الوطن والدفاع عن المكتسبات الاقتصادية والاجتماعية • واتصور لذلك برنامجا يتفق ايضا مع الامكانيات الذاتية والعملية في عام ١٩٦٩ وهو العام الذي يوصف بانه فترة الانتقال في حياة المنظمة . والبرنامج في خطوطه العامة يمكن ان يوضع تحت العناوين التالية :

اولا – العدوان ثانيا – تصفية العدوان

بالنسبة للعدوان :

الموضوع الرئيسي ، هو حركة التحرر العربي المعادية للامبريالية والصهيونية والرجعية : طبيعتها – نجاحاتها – تناقضاتها – آفاق تطورها •

– الحلفاء والاعداء :

– الحلفاء هم : البلدان الاشتراكية – حركة التحرر الوطني في القارات الثلاث – نضال العمال والقوى الديموقراطية في البلدان الرأسمالية •

– الاعداء هم : الامبريالية – الاستعمار الجديد – الصهيونية – الثورة المضادة في الداخل

بالنسبة لتصفية العدوان : ماهو المطلوب على المستويات :

– السياسية ،

– العسكرية ،

– الاقتصادية ،

– الاجتماعية والثقافية ،

[وهنا يدخل الحديث بالضرورة عن العمل الفدائي ، نظريته وتجاربه المختلفة – العمل في منظمات الدفاع الشعبي – القطاع العام والدفاع عنه – زيادة الانتاج – القضاء على الامية) •

مثل هذا البرنامج – كما اتصوره – هو المطلوب الان لمنظمة مناضلة تريد ان تصهر عودها في معارك حقيقية • وهذا البرنامج يمكن ان يكون اساسا لعمل نظري عميق ، ومتعدد المستويات : للاعضاء وللكوادر ولاصدقاء المنظمة ، للعمال والفلاحين والمثقفين جميعا النظرية ولكن ميزته هي ان الخلفية النظرية له لاتنفصل عن المهام النضالية المطروحة على الشباب في بلادنا ، وفي هذه المرحلة بالذات . واعتقد ان مثل هذا البرنامج يساعد المنظمة على تجنب الوقوع في الاخطاء التي اشار اليها بعض الاخوة من اعضاء المنظمة ، عندما قالوا ان انفصال الدراسة النظرية عن الواقع النضالي سمح للعناصر الثرثارة والتي تطنطن بالشعارات الجوفاء ان تحجب العناصر المخلصة •

طفي الفقي : ان العمل التثقيفي يعد اكثر المسائل خطورة ، اذ انه يمثل ارضية العمل السياسي واداة الاقناع التنظيمي ، وهو مهمة من اصعب مهمات التنظيم السياسي خصوصا في البلاد المتخلفة ، لارتباطه بمشكلات مثل مستوى التعليم وانتشار الثقافة ، ثم هو يرتبط بصورة مباشرة بنوعية التكوين الاجتماعي الذي يقدم الوعاء البشري للفكر الذي يتم تقديمه • وعلى هذا الاساس فنحن مطالبون بالبحث عن صيغة جديدة للعمل التثقيفي تكون اكثر ملاءمة للواقع ، واكثر بعدا عن المتاهات النظرية والفلسفية • وفي رايي فان الثقافة الثورية هي وعي بحركة المجتمع وادراك لقوانين التطور ، والتزام بمناصرة قضايا الانسان العادلة ، اي انها وعي بالابعاد المختلفة لوضع الانسان ، بما فيها ابعاد الزمان والمكان •

ولقد كان من الملاحظات التي اثيرت في المرحلة الماضية حول طبيعة التثقيف لمنظمة الشباب ان هناك عبارات تتكرر على السنة الشباب الاشتراكي في مختلف مواقعه حتى وان لم يع مضمونها ، ولهذا فان التثقيف يجب ان يأخذ طابعا ميدانيا ديناميكيا لا يقتنع بحلقات المناقشة او بالدراسات النظرية • ولكن الملاحظ على المجال العقائدي الذي اقترحته الخطة انه نظري للغاية ، بل انه في



بعض نقاطه معزول عن طبيعة المرحلة والواقع .

اما النقطة الثانية وهى المتصلة بالثورة الاجتماعية ، فيجب ان ينصرف جهد التثقيف فيها الى التبشير بقيم المجتمع الجديد . ويتركز فى الفترة الحالية على نقطتين هامتين : الاولى هى التحميس للمعركة والدفع لها وذلك بايضاح الحوادث المتعاقبة المتطورة كل يوم ، والتنوير بالحقائق لازالة الغموض وتبديد الشكوك . وضرورة التبشير بقيم المجتمع الجديد ترجع الى ان النكسة قد اثبتت ان محنة الامة العربية ارتكزت فى بعض عناصرها على الانسان العربى ، وطبيعة القيم التى يحملها . فاذا استطعنا ان نصل الى خلق المثقف الثورى الشاب الذى يستطيع ان يعى موقفه ودوره فى معركة التطور القومى والعالمى ، كان للتثقيف فى منظمة الشباب مايبرره .

هناك ايضا قضية الربط بين التثقيف وبين مستوى ثقافى وتعليمى معين ، فلا يمكن الانتقال بعضو المنظمة من العمال والفلاحين او غيرهم من القاطعات التى لم تظفر بحكم التاريخ وطبيعة الظروف بقدر معين من العلم والثقافة ، الى دراسة اساليب التفكير ومناهج البحث والقيام بدراسات نفسية وكذلك اساسيات الفكر الاشتراكى . ولكننا على اية حال مطالبون بحد ادنى من الوضوح ، والوضوح لايرتبط بدرجة معينة من الثقافة بمفهوم حشد المعلومات والطنطنة بها ، وقد عانينا كثيرا من أن الانتهازيين والمتسلقين وهم اقدر من غيرهم على الكلام والطنطنة ، وكانت العناصر القيادية تنتخب فى الماضى ، من الاقدر على ترديد الشعارات وتقليد الافكار ، وهو امر غير متصور فى ظروف المعركة والتحول الاشتراكى .

السعيد : أبدأ بالخلاف مع الاخوين اسامه ومصطفى الفقى ، وبعد ذلك احاول عرض وجهة نظرى فى البرنامج التثقيفى المطروح . فى الحقيقةلم افهم الكثير مما قاله الاخ اسامة ، واختلف معه فى انه يحاول ان يفرض على المنظمة القيم المتأصلة فى المجتمع ، راغبا فى أن تكون هذه القيم هى المنطلق التثقيفى للشباب الجديد . الحقيقة أن فى المجتمع قيم متأصلة غرستها المجتمعات السابقةعلى الاقطاع والرأسمالية والاستعمار والتخلف وهذه القيم يجب اقتلاعها وبدون ذلك لا يمكن بناء شباب جديد . ومن الطبيعى ان هناك قيما أصيلة وجيدة مغروسة ايضا فى المجتمع . ومن المفيد ان نتبنى هذه القيم ونلقى عليها الضوء ونفهمها من زاوية جديدة متقدمة ، أما كون ان المثقفين ، كل يفكر بمنهج مختلف ، فذلك أمر طبيعى ولا يمكن افتراض انهم نسخة واحدة . والنقطة الاخرى التى أود الكلام فيها هى نقطة الدين ، ان منظمة الشباب فى الاساس منظمة سياسية وليست منظمة دينية فهى تستوعب الشباب من مختلف الديانات ، ثم فموقفها من الدين هو محاولة تأكيد القيم الروحية ، وتاكيد ان القيم الاشتراكية والقيم المتقدمة تتمشى مع التعاليم الاصيلة لهذه الديانات دون محاولة لان ندخل فى دراسات تفصيلية حول هذا الموضوع .

بالنسبة للاخ مصطفى الفقى ، اخشى أن يكون وصفه للبرنامج بأنه استغراق مطلق فى المتاهات النظرية ، مقصود به ابعاد الشباب عن الدراسة النظرية للفكر الاشتراكى العلمى . هو يقول ان برنامج التثقيف يجب أن يركز على التحميس للمعركة ، على ايضاح الامور وازالة الغموض ، ولكن هذا هو دور التعبئة السياسية . اما التثقيف فشىء مختلف ، فالهدف منه تدريس القيم والافكار والنظريات الاشتراكية ولذا فانا اختلف مع الاخ مصطفى الفقى فى رأيه ، واعتقد ان شباب العمال والفلاحين اكثر قدرة على فهم المنطلقات النظرية للاشتراكية ، لانهم يدركونها بوعيهم وبحكم وضعهم الاحتمالى .

بالنسبة للبرنامج ، انا أحيى هذا البرنامج . لكن من الملاحظ أننا لو انتزعنا هذه الورقات التى تتضمن البرنامج وطرحناها على أى انسان ، لما استطاع أن يحكم لاى منظمة وضع هذا البرنامج : لمنظمة نقابية ؟ لمنظمة فلاحية ؟ للاتحاد الاشتراكى ؟ لمدرسة ؟ لجامعة ؟ البرنامج يفتقر الى المواد التى تهم الشباب ، واقترح أن يضاف الى البرنامج النقاط الاتية : تاريخ حركة الشباب فى مصر ، حركة الشباب فى العالم ، والاتجاهات الجديدة فيها ، اتجاهات اليسار الجديد فى العالم ، واتجاه موجة الشباب نحو هذا اليسار ، اتجاهات التمرد داخل الشباب وانعكاساتها فى السياسة والفن

والادب والازياء والموسيقى والسينما . وبهذا نستطيع ان نقدم ليس فقط برنامجا يهم الشباب وانما ايضا يسلح الشباب ».

ميشيل كامل : اعتقد ان الزميل رفعت حمل الالفاظ اكثر مما تحتمل ، فانا لم أفهم من كلام الزميلين مصطفى وأسامة ما فهمه رفعت . طبعا توجد قيم متأصلة فى المجتمع ، خليط من قيم سيئة وقيم جيدة . فالمجتمع الرأسمالى نفسه به قيم ايجابية ، يجب التمسك بها ، وقيم سلبية هى التى نعمل على استئصالها ، لا يمكن تصور ان كل القيم السائدة اجتماعيا على النطاق الشعبى ، قيم غير أصيلة يجب القضاء عليها ، بل على العكس يجب أن نأخذ الجوانب الايجابية فيها ، وندعمها بالفكر الجديد ، وبالقيم الاشتراكية الجديدة .

د . ابراهيم سعد الدين : اعتقد ان الخطة فى اطارها الحالى ، هى خطة جادة ، ولكنها ناقصة .. فقد ركزت على ثلاث دوائر أساسية هى تثقيف الاعضاء وتثقيف الدوائر وتثقيف الهيكل التنظيمى . ولكن البرنامج التنفيذى للكوادر وليس للاعضاء ، ولا للهيكل التنظيمى للمحافظات . والكلام الذى جاء عن تثقيف الاعضاء يكاد يكون ما جاء حول حلقات المناقشة للتوعية وتعميق الفكر الاجتماعى والسياسى . وأعتقد أن البرنامج التثقيفى الشامل يتطلب دراسة وثيقة تفرق بين العمل التثقيفى على نطاق المنظمة ككل ، والعمل التثقيفى للكادر . لقد كان من سلبيات البرنامج التثقيفى القديم للمنظمة أنه يغفل هذه التفرقة الهامة ، فالبرنامج يدرس لكل المستويات ، على الرغم من الاختلاف الطبيعى فى الاهداف والوسائل بين كل مستوى وآخر . وهى النقطة التى كان ينبغى مراعاتها فى البرنامج الجديد . ثم ما هو المقصود تماما بحلقات المناقشة للتوعية ؟ ربما كان الامر يحتاج الى دراسات مشتركة بين المستويين مع ملاحظة برامج التدريب الخاصة للكوادر القيادية .

ولقد ادهشنى حقا ان تخلو الخطة من الاشارة الى المصدر الاول لكل تثقيف اشتراكى ، سواء للمنظمة أو غيرها من الاشكال التنظيمية والسياسية ، وأقصد به ميثاق العمل الوطنى ، فالارتباط بالميثاق يحدد نوعية البرامج التثقيفية ومستواها حتى لايحدث التشتيت الفكرى ، ويتحقق الحد الادنى من الوحدة الفكرية . وقد تحتاج بعض مقولات الميثاق الى تعميق او تطبيق على الواقع الجزئى والخاص ، فيمكن للبرنامج التثقيفى أن يضع ذلك فى اعتباره . فالميثاق هو الدليل الادنى للعمل العقائدى ابان هذه الفترة . ان العديد مما ورد فى الميثاق من نقاط وقضايا نظرية تحتاج الى الشرح المستفيض ، كالتاريخ المصرى وحركة التطور الاجتماعى . ويحدد لنا الميثاق موقعنا من الافكار الاشتراكية الاخرى ، وهو يحدد لنا هذا الموقع بغير انغلاق او تعقد ، وانما بانفتاح على تجارب الاخرين مهما اختلفنا معهم ، لاختلاف واقعنا عن واقعهم .. وذلك مع ضرورة التركيز على مايهم المرحلة الحالية التى يجتازها وطننا وما تتضمنه من مشكلات ، كقضية الديموقراطية ، وطبيعة الامبريالية ، والصهيونية ، والمجتمع العربى ، وما اليها من تحديات تواجهنا الان ، ونرى فى الميثاق منهجا علميا ومرشدا ثوريا فى تفهمها وتحليلها ومجابهة نتائجها ».

واجابة على استفسار الاخ أبو سيف بشأن تثقيف الكادر ، فان لجنة الاعلام فى الاتحاد الاشتراكى هى المسئولة عن وضع خطة مركزية تتضمن خطة العمل فى مجال الشباب . ومعنى هذا أن هناك ضرورة لاعداد كادر داخل الشباب . وأعتقد أن معسكرات الشباب التى استبعدت من الخطة ، تؤدى دورا هاما فى تدريب الشباب ولابد من الاحتفاظ بها .

جلال غانم : قد تبدو المجالات الفكرية انها ملزمة لكل النوعيات بالمنظمة ولكنها ليست كذلك فهى ستتنوع باختلاف المستويات ، فبالنسبة للكوادر بالذات يعطى البرنامج ، أما الاعضاء والهيكل التنظيمى فيوضع لهم برنامج يدور حول نفس الاطار ، ولكن دون توسع . ونحن لن نتقيد بأسلوب المعاهد والمعسكرات كما كان الامر فيما مضى ، وانما نحن بأشد الحاجة الى تنويع أساليب التثقيف .. صحيح أن البرنامج التثقيفى سيظل مركزيا ، ولكنه عند التطبيق سوف يختلف من حلقة المناقشة للتوعية الى الرحلات الى معسكرات العمل دون التقيد بحرفية البرنامج القديم .



عـاطف الصـانع : الى عـدة مـلاحظـات عن موضوع الدين أولا : أن القيم الدينية فى جوهرها لا تتعارض مع القيم الجديدة . وهناك بعض محاولات لالصاق قيم ليست من جوهر الدين . وهذه محاولات يجب أن تنحى لانها اضافات غير ملائمة . **ثانيا** : أن القيم الدينية مقدمة من خلال مواقف وسلوك اجتماعى كان المجتمع البدوى وقتها بعيدا عما جاء فيها من تقدم . **ثالثا** : أن مجتمعنا فى هذه المرحلة يحركه أمل الشـهادة . واغفال هذه الناحية يعرقل عملية تجميع الشباب حول المنظمة وربما هذا هو ما قصد اليه الزميل أسامة .

عبـد اللطيف حنفى : اريد ان أبـدا بتوضيـح بعض النقاط . ففيم يختص بالقيم الدينية وأهمية تدريسها ، جاءت بالفعل فى البرنامج ولكنها للاسف سقطت عند النسخ . وهناك توصـية من مؤتمـر قيـادات الشـباب فى حلوان بانشـاء مكتب للدراسـات الدينيـة يتبـع السـكرتارية المركـزية وجارى العمل لتنفيذ التوصية . فنحن لا ننطلق فى التثقيف من موقف معاد للدين .

امـا فيمـا يختص بدراسـة الفـكر الاشـتراكى العلمى فأنا اتفق مـع الاخ رفعت السعيد على اهميته واهمية بناء الكادر الاشتراكى . فبناء الاشـتراكية لا يمكن ان يتم بدون اشتراكيين ولا يمكن ان يعتبر بنـاء الـكادر الاشـتراكى الحقيقى استغراق فى المتاهات النظرية . أما ما ذكره د . ابراهيم سعد الدين عن اغفال الميثاق ، فاننى أقول أنه لم يرد لاننا نعتبر ذلك أمر بديهى اذ لا يمكن أن ننطلق من أساس غير الميثاق .

وتصورنا للعمل التثقيفى ، يتضمن ثلاث مجالات . مجال التعبئة السياسية لاعضاء المنظمة والاعضاء المنتسبين وللاصـدقاء السياسيين . ثم مجال الدوة لعضـوية التنظيم ، ودعوة اعضاء التنظيم للاشتراك فى الانشطة المختلفة . واخيرا بناء الكادر وهو اخطر هذه المجالات .

ونحن لا نتصور للتربية السياسية شكلا واحدا ، وانما نعتقد انها تتم مـن خـلال أشكال ومجالات متعددة مثل مدارس الكادر المحليـة والاقليمية والمركزية ، وحلقـات المناقشة النوعية ، ومعسكرات العمل التى يتخللها برنامج فكرى ، والنوادى السياسية والاهم من ذلك هو تعايشه مع الجماهير الكادحين والتعلم منها على نحو مباشر . ومن هذه الاشكال ايضا ، التثقيف الذاتى وهو فى رأيى مرحلة متقدمة . على أى حال اعتقد نا متفقون على ما ورد فى اطار الخطة من ان اهداف العمل التثقيفى هى التعبئة للمعركة ودعم عملية التحول الاشتراكى باعتبار ان معركة التحرير تتم من خلال عملية التحول حيث لا تعارض بينهما بل على العكس فان المزيد من التحول الاشـتراكى هو الضـمان الاساسى لنجاحنا فى معركة المواجهة ضد اسرائيل .

ميشـيل كامل : تعقيبـا على كلام د . ابراهيم سـعد الدين الذى ايده فيـه الاخ عبـد اللطيف حنفى بخصوص التركيز على الميثاق فى المجال العقائدى ، فانى أسلم بأن الميثاق من أساسيات التثقيف . كما أن الميثـاق يتضمن جوانب عقائدية أساسية لكنه فى جوهره برنامج سياسى لتحالف وطنى بمعنى أنه يراعى محصلة اتجاهات قوى مختلفة . ومن هنا أقول أنه من الصعب أن نضع الميثاق بشكل كامل كاطار عقائدى . فالميثاق يتحدث مثلا عن رأسمالية مستغلة ورأسمالية غير مستغلة . وهو هنا يستخدمها — فى رأيى — كتعبير سياسى لظـروف محـددة ، ولا يستخدمها كصياغة عقائدية . ومن المعروف أن الميثاق خاضع — بعد وقت معيـن — لاعتبارات التغيير . ومعروف أيضـا أن العقائد لا تتغير بين حين واخر ، كلما طرأ تغيير ما على الموقف السياسى .

د . ابراهيـم سـعد الدين : فى رأيى ان الميثاق يتضمن عددا من القضايا والمواقف . فاذا تركناه كأساس ، فنحن قد خرجنا عن موضـوع الاتفاق الرئيسى الى موضـوع الاختـلافات الرئيسـية . نقـول مثـلا : الاشـتراكية العلمية . هنا احدى النقاط الاساسية الموجودة فى الميثاق كمثل للحد الادنى مـن الاتفـاق على مـواقف تلزم الجميع ، أما مالم يرد فى الميثاق فلا يلزم الجميع . بمعنى أنه يمكن أن يكون لى وجهة نظر فى قضايا لم ترد فى الميثاق ، ولكنها وجهة نظر لا تتعارض معه .. ولا بأس من هذا . ولكن انا ألتزم أساسا بـالميثاق . وعندما أقوم بالتدريب فى المنظمـة أو فى الاتحـاد الاشـتراكى ، فأننى ادرب على أساس المتفق عليه وليس على أساس المختلف عليه . وتلك قضية يجب أن تكون محسومة

وواضحة • أن الميثاق هو الاساس وأية خلافات فى التفسير بعد ذلك تكون موضع نقاش ونظر •

القضية الاساسيةهى تعميق الميثاق ، لانه يضم أشياء كثيرة يجب أن نؤكدها ونعمقها بالدراسة •

مثلا قضية الفلسفة وموقف الميثاق من المادية ، موقف محسوم فى الميثاق • وفى مثل هذه القضية لا أستطيع أن ألجأ للاشتراكية العلمية واجعلها اساسا للتدريب مختلفا فى ذلك مع الميثاق •

ميشيل كامل : لقد حددت الخطة التثقيفية مجالين للعمل : عقائدى وسياسى. العملفى منظمة الشباب عمل سياسى أساسا وليس عملا عقائديا • بمعنى أنك مواجه بجماهير ضخمة جدا ، وأساس العمل معها هو الميثاق • وأنا أتفق تماما مع كلام الدكتور ابراهيم حولهذا الموضوع •• أىأن الميثاق هو الاساس فى التربية السياسية لاعضاء المنظمة • لكن حديثى ينصب على التثقيف العقائدى اى الاشتراكى لكادر المنظمة وهو المستهدف منمشروع الخطة ، وهذا المستوى من التثقيف يجب أنيتوخى القوانين العلمية للاشتراكية ،تلك القوانينالتى يمكن انتطور ولكنها لا تتغير ، وهى قوانين تتميز بالثبات والتكامل ، وليست محصلة عملية ، فان طبقة ممثلة فى برنامج تحالف واسع وتضم مختلف الطبقاتبفكرياتها المتباينة • والخلط بين التثقيف السياسى العام بأهداف مرحلية تاكتيكية وبين التثقيف العقائدى ، أمر ضار للغاية •وشكرا •

■■■

كلمة من الطليعة عن النـدوة

هـذا هو اللقاء الثانى بين ممثلين وقـادةلمنظمة الشباب وبين أسرة تحرير الطليعة • كان اللقاء الاول فى عام ١٩٦٧ لمناقشة مشروع الخطـة ، واشـترك فيـه مـن جـانب المنظمـةأمينهـا السـابق « احمـد كامل » والدكتور « مفيد شهاب » وعدد من الاخوةاعضاء لجنتها المركزية • اما اللقاء الثانى فقد حضره ايضا امينها د • مفيد شهاب بعدان اصبح أمينا ، وممثلين للمنظمة من فتياتها واعضائها •

وليس مـن قبيـل المجـاملة انتبدأ « الطليعة » تعليقها على أعمال هـذه الندوة الاخيرة فتثمن تثمينا عاليا الموقفالايجابى لقيادات المنظمة ، ذلك الموقف الذى يتمثل فى الاستجابه البناءة للدعوة التىوجهتها اليها اسرة تحرير الطليعة لمناقشة التجربة المـاضية فـى حيـاة المنظمة ،وتناقش ـ فى الوقت نفسه ـ خطة العمـل للمستقبل •

وعندما يطلع الانسان على اعمال الندوةفسوف تواجهه بعض الحقائق التـالية :

اولا : لم تكن الندوة بين ممثلى المنظمةوبين اسرة التحرير نوعا من المنـاظرة او المبارزة بين فريقين • وعلى العكس ، كانتحوارا صريحا يجرى على ارض مشتركة ، وبين تقدميين قد تتعدد مدارسهم الفكرية ،ولكن تجمعهم رغبة مشتركة فى ان تقوم فى



بلادنا منظمة للشباب تقدم الطلائع الجديدةوالواعية بمهام مرحلة التحول من الرأسمالية الى الاشتراكية ·

ثانيا : لم تكن هناك مواقف مسبقة وآراءجاهزة للعرض في الندوة ، لا من جانب ممثلي المنظمة ، ولا من جانب اسرةالطليعة · وهذا ما توضحه فقط الاتفاقات والخلافات ـ في الاراء التي طرحت ـ فيداخل كل جانب على حدة ·

ثالثا : ان منظمة الشباب بقبولها اجراءحوار صريححول المشكلات والاخطاء ، حول النجاحات واوجه التقدم ، انما تضرب المثلكل تنظيم جاء يريد ان يتقدم ويكسب ثقة الرأى العام التقدمى فى بلادنا · ومن هنافان ظاهرة الانفتاح من جانب منظمة الشباب على القوى الاشتراكية الاخرى هودليل صحة · بل هو مؤشر على موقفها الجاد من معالجة المشكلات الصعبة التيتواجهها · والواقع انه لا تدعم الممارسة الديموقراطية الا باقامة حوار بناء بين كلالقوى التقدمية والاشتراكية فى بلادنا على تعدد مدارسها واتجاهاتها · والواقع ايضاان التجربة تثبت انه لا يخشى مثل هذا الحوار غير « مراكز القوى » التى لا تستطيعان تواجه الجماهير فى ضوء الشمس ، والتى لاهم لها الا العمل على تفتيت وحدةالقوى التقدمية والاشتراكية ، منطلقة من رفضفكرة العمل الموحد بينهذه القوى ، بلومحتكرة لنفسها كل الحق فى العمل السياسى ·

رابعا : واخيرا فان هذا اللقاء بينممثلى منظمة الشباب وبين اسرة تحرير الطليعة كان ذا فائدة محققة للجانبين · وفيما يتعلق باسرة تحرير الطليعة فلقد كانت الندوة فرصة هامة للتعرف المباشر علىالقضايا والصعوبات التى تحيط ببناء المنظمة ، كما اتيح لهم أن يلمسوا هذهالحقيقة وهى ان فى المنظمة كوادر من الشابات والشبان لا ينقصهم الوعى اوالشجاعة فى مواجهة النواقص والاخطاء ولا تنقصهم الرغبةفىتجاوز السلبيات ، منطلقيندائما من افق وطنى ومن مواقع تقدمية واشتراكية ·

المنظمة بين الايجابيات والسلبيات

ولقد دار النقاش فى الندوة حولماسمى « بالايجابيات والسلبيات » فى الفترة التى سبقت ٥ يونيو · واذا كان التقييمالعام للمنظمة يتم فى النهاية على ضوء الاهداف التى حققتها او لم تحققها · الا انهذا المقياس الرئيسى وحده لا يكفى · ويتعين أن ننظر بكيفية موضوعية فى اطار المجتمعوالنظام وحركة الشباب فى بلادنا وهكذا نرى :

● ان المنظمة قامت فى ظل التحولاتالاقتصادية التقدمية التى امتدت من عام ١٩٦١ (قوانين التأميم) حتى عام ١٩٦٤ · وكان لابد وان تطرح هذه التحولات والمكاسب التى تحققت قضية القياداتالجديدة المدعوة الى دعمها والمحافظة عليها · فلم يكن من قبيل الصدفة اذن انيقترن بناء المنظمة بمحاولات لتكوين كوادرها على اسس اشتراكية وتقدمية · ومن هنا فان اهم ما حققته المنظمة بوجودها هو أنها كانت مدخلا لكثيرين من اعضائهالكى يتعرفوا على الفكر الاشتراكى · ولكى يحددوا مواقفهم منقضايا العصر ، واظهرتالتجربة السابقة ان الشباب المصرى ـ فى غالبيته ـ انما يختار الاشتراكية ويرفضالطريق الرأسمالى للتطور ·

● لابد وان نتذكر انه قبل قيام المنظمةعام ١٩٦٤ كان الشباب فى بلادنا فى عزلة حقيقية عن العمل السياسى فى التنظيماتالديموقراطية · من هنا كان قيام المنظمة يمثل خطوة الى الامام فى حياة الشباب : مناللاتنظيم الى التنظيم · وبقيام المنظمة كظاهرة موضوعية مستقلة عن ارادةالاشخاص (ويتجمع فيها عشرات الالوف من الشباب) سعى الشباب الى تحديد مواقفهالفكرية ، والى البحث عن الدور الذى يمكن ان يقوم به فى مجتمعه · ورغم كلالسلبيات ، فان قيام المنظمة كان خطوة الى الامام فى تاريخ الحركة الشبابية فىبلادنا ·

وربما امكن ان نستطرد فى البحث عن بعض الجوانب الايجابية الاخرى فى حياة المنظمة . ولكن هذه الجوانب تظل ثانوية وفرعية بالقياس الى اهم شيء تحقق . وهو ان المنظمة بقيامها وعملها قد نقلت قطاعات هامة من الشباب من موقع فكرى وسياسى الى موقع اكثر تقدما . ولا يغير من هذه الحقيقة السلبيات والاخطاء التى حالت بين المنظمة وبين ان تحقق اهدافها الرئيسية .

عن السلبيات

وقد دار نقاش مستفيض حول السلبيات التى ظهرت فى نشاط المنظمة قبل ٥ يونيو وركز البعض كل التركيز على اسلوب العمل الداخلى والخارجى للمنظمة ، واهتم البعض الاخر بأن يبحث عن اسباب لفشل المنظمة كامنة فى المجتمع والحياة السياسية .

وفى رأينا انه يجب ان ناخذ بالمنهجين معا . فالمنظمة جزء من مجتمع معين ونشأت ونشطت فى مناخ سياسى معين . ولكن للمنظمة ايضا كيانها المستقل ، وقياداتها واسلوب عملها الخاص ، فهى مسئولة ايضا عن عملها . فاذا وضعنا المنظمة فى اطار الحياة السياسية للبلاد امكن ان نقول :

● ان علاقتها بالاتحاد الاشتراكى لم تكن واضحة او محددة . وهذا اوجد ماسمى بالتناقضات بين بعض لجانها وبين بعض لجان الاتحاد الاشتراكى . وفى رأينا ان الاتحاد الاشتراكى باعتباره تجمعا عريضا وتحالفا لطبقات متمايزة المصالح ، لايمكن ان يتولى قيادة منظمة الشباب ، لان القيادة الحقيقية لمنظمة الشباب هى الطلائع الاشتراكية ، او التنظيم السياسى الذى يجب ان يقود الاتحاد الاشتراكى وكافة المنظمات الجماهيرية فى البلاد . واذا لم تحسم هذه النقطة فان منظمة الشباب ستظل عرضة لتناقضات وتيارات تضعف كيانها كمنظمة للشباب الاشتراكى ، وكتنظيم سياسى مستقل وديموقراطى .

وعلى الرغم من ان تجربة المنظمة ، قبل ٥ يونيو مليئة بالامثلة والوقائع التى تشير الى ماسمى « بالحساسيات » التى قامت بين المنظمة وبين الاتحاد الاشتراكى : الا ان الخطة الجديدة لاعادة بناء المنظمة لم تدخل للاسف – دروس الماضى فى الاعتبار . ليس هذا فحسب بل مضت الخطة الجديدة شوطا ابعد فى وضع منظمة الشباب تحت وصاية الاتحاد الاشتراكى بحيث بدت المنظمة فى وضعها الجديد كجناح للشباب داخل الاتحاد الاشتراكى ، لا كتنظيم له استقلاله الذاتى تحت قيادة التنظيم السياسى . وهذا فى اعتقادنا اشد الامور خطرا على حياة وتطور منظمة الشباب فى مرحلة من ادق المراحل التى تجتازها والامل ان يتدارك المسئولون هذا الوضع .

● واذا انتقلنا بعد ذلك الى مسئولية منظمة الشباب عن النواقص الكبيرة والصغيرة التى بدت فى اوجه نشاطها واسلوب عملها . فاننا سنجد ان ممثلى المنظمة كانوا مبادرين فى الواقع الى كشف النواقص والسلبيات وفى البحث عن اسبابها ، بل أنهم اكدوا عليها بأشد من تاكيدهم على النواحى الايجابية فيها . ولقد تعرضت الندوة لعديد من النواقص والسلبيات ، فكان هناك حديث عن المركزية المفرطة التى تخنق المبادرات ، وعن الالتزام للاشخاص لا للمبادىء ، وعن الانفصال بين النظرية وبين التطبيق ، وعن قلة الكوادر وعن اسلوب التعيين لقيادات المنظمة ، وعن التجنيد الاجبارى ، وعن غلبة عناصر البرجوازية الصغيرة من المثقفين .. الخ .

ومع تسلمنا بأن هذا كله صحيح – ويدخل حتما فى باب النواقص التى شابت عمل المنظمة – الا انه من الخطأ ايضا ان نستطرد بلا توقف فى سرد النواقص الى ما لا نهاية ، ولابد من عودة الى الاصول التى تتحكم فى هذه النواقص فتفاقمها أو تحد منها .

● وهنا تطرح قضية الديمقراطية نفسها . لكن الديمقراطية ليست ولن تكون قضية شكلية خاصة « بانتخابات » أو « بنقد ذاتى » صورى . وانما هى – فيما يتعلق



بإعادة بناء المنظمة قضية التكوين الاجماعى لمنظمة الشباب . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هى قضية اسلوب العمل (الميكانزم) الخاص بالحياة الداخلية للمنظمة .

ففى بلادنا طبقات ديموقراطية ، هى صاحبة المصلحة الحقيقية فى التقدم الاجتماعى والاشتراكية . وهذه الطبقات فى مقدمتها الفلاحون والعمال والمثقفون ويدخل فيها ايضا قطاعات عريضة من البرجوازية الصغيرة فى الريف والمدينة . ومن هنا يحدد الوزن الاجتماعى للعمال والفلاحين داخل المنظمة الطبيعة الديمقراطية لهذه المنظمة .
من حيث ان ازدياد وزن الشباب من العمال والفلاحين فى داخلها هو الاساس فى حل قضايا ارتباطها باوسع الجماهير ، وهو مصدر حصولها على القيادات الجديدة ، وهو الذى يضعها فى النهاية تحت رقابة وإشراف اوسع الجماهير . وبدون أن تعاد صياغة التكوين الاجتماعى للمنظمة فان الكلام عن الديموقراطية الداخلية فيها يظل من قبيل الاحلام . بل ان الكلام عن منظمة جماهيرية تضم مئات الألوف من الشباب يظل نوعا من السراب . وتبقى المنظمة بعد ذلك فريسة للعزلة والتقوقع الذى شكا منه أعضاؤها .

والواقع أن الموقف من جماهير الشباب يجب أن يتحدد انطلاقا من الثقة فى الغالبية العظمى من شباب العمال والفلاحين والطلاب . وهى ثقة موضوعية بكل معانى الكلمة وليست موقفا رومانتيكيا ، اساسها - كما قلنا - أن هذه القطاعات من الشباب تنحاز - فى ظروف عالمية ومحلية - الى الاشتراكية والى قضايا التقدم بوجه عام . ومن هنا يكون مفتاح التكوين الديموقراطى للمنظمة : ان تكون منظمة مفتوحة للشباب ، ينضم اليها باختياره كل من يرغب فى الانضمام اليها مادام لا يحرمه من ذلك انحراف ينال من سمعته ومكانته فى أعين الشعب .

● اما فيما يتعلق بسيادة الحياة الديمقراطية داخل المنظمة . فهذا ايضا موقف من الجماهير . بمعنى أن الثقة فى قدرة الجماهير على الفهم والوعى يجب أن تنعكس داخل منظمة الشباب فى نظام للحياة الداخلية يسمح باطلاق مبادرات الشباب ، ويستوعب فكرهم الخلاق ، ويصحح أخطاءهم بالحوار والنقاش قبل أن يلجأ الى سلاح الاجراءات التنظيمية . ومن تكون محصلة هذا كله ان تتمكن مستويات المنظمة المختلفة من أن تختار قياداتها التى تثق فيها بحرية ، بحيث لا تتحول الانتخابات الى مجرد طقوس شكلية ورسمية .

ولما كانت مقدرة أى تنظيم من التنظيمات على أن يجدد نفسه من خلال انتخابات ديموقراطية قضية اساسية ، فان الملحوظة التى نحب أن نؤكد عليها ، هى أن اعادة تكوين المنظمة - وفقا للخطة الجديدة - عن طريق التعيين ، تعتبر ثغرة خطيرة فى بنائها الى جانب هدم استقلاليتها . ونقول « ثغرة خطيرة » لان منظمة الشباب كمؤسسة جماهيرية وديموقراطية كان لابد - رغم كل الصعوبات - أن تطبق منهج وروح بيان ٣٠ مارس الذى طالب بإعادة بناء المؤسسات السياسية والجماهيرية بالديموقراطية .
واذا كانت الانتخابات قد اجريت لتكوين الاتحاد الاشتراكى ، فان اجراءها بالنسبة لمنظمة الشباب كان أمرا حيويا . ولا يعتبر من هذه الحقيقة كل الاهتزازات التى تعرضت لها المنظمة بعد ٥ يونيو . وكان ينبغى أن يتم هذا انطلاقا من المبدأ القائل بأن « الديموقراطية تتحقق دائما بوسائل ديموقراطية » .

قضية التثقيف الاشتراكى

وفى الندوة طرحت آراء قيمة وملاحظات بناءة عند مناقشة خطة التثقيف التى وضعتها المنظمة لعام ١٩٦٩ . ومن الظواهر التى تثير الثقة فى مستقبل شبابنا هو احتفاله بقضايا الفكر التقدمى واقتناعه العميق بالدور الذى تلعبه الايديولوجية فى حل المشكلات وتحديد المواقف .

وفى تعليقنا على قضايا الفكر والثقافة - كما نوقشت فى الندوة - ان يكون

المفيد أن نستغرق فى بحث التفصيلات ، وربما كان فى تقديرنا ان البرنامج المقدم لعام ١٩٦٩ قد يكون اكثر مما تتحمل المنظمة فى فترة الانتقال وهى فترة حافلة بالمهام السياسية والتنظيمية • ومع ذلك فان الحياة نفسها هى التى ستحكم على هذا البرنامج وهل هو يدخل فى حيز الامكان •

على أن ما يهم فى قضية التثقيف الاشتراكى هو المبادىء العامة التى تحكم المنهج والاهداف المتوخاة •

وفى هذا ينبغى ان نؤكد على نقطتين :

١ ــ الاشتراكية العلمية كايديولوجية •

٢ ــ برامج التثقيف يجب ان تجسد الارتباط بين النظرية والتطبيق بمشاكله القومية •

فيما يتعلق بالنقطة الاولى : فان الاشتراكيين قد يختلفون حول الجانب الفلسفى للاشتراكية العلمية • قد يقبله البعض ويرفضه البعض الآخر تحت تأثير اوضاع تاريخية واجتماعية وطبقية • لكن تظل الاشتراكية العلميه ــ وهى حصيلة الفكر الانسانى المتقدم ــ تظل هذه الاشتراكية هى الايديولوجيه الخاصة بالعمال والفلاحين والمثقفين الثوريين • وهذه الايديولوجية لا تشكل عقيدة جامدة بل هى فى جوهرها المنهج العلمى لحل قضايا المجتمع • من هنا يجب أن يبذل كل جهد لكشف المحاولات التى تريد أن تستبعد نظرية الاشتراكية العلمية ، وتحل محلها اشتراكيات « بورجوازية صغيرة » • تجرى المحاولات لتجميعها باعطائها اسماء « الاشتراكية العربية » • الخ • فالاشتراكية علم ، والاشتراكيه واحدة ، وان تعددت الطرق القومية للوصول الى المجتمع الاشتراكى •



والنقطة الثانية : تتعلق باسلوب التثقيف • فاذا كان هدف منظمة الشباب أن تربى الجيل الجديد المؤهل للقيام ببناء المجتمع الاشتراكى فانها تفعل ذلك عن طريق تقديم امثلة حية من الشباب تتجسد فيها السلوك والاخلاق الاشتراكية • واذا اتفقنا على هذا ، فان برامج التثقيف ينبغى أن تعاد صياغتها بحيث لا يتحول الشباب الى حفظة للنصوص وحملة للشعارات الجوفاء ، بل يجب أن توضع ــ ومن وجهة نظر الاشتراكية ــ فى ارتباط وثيق بالمشاكل التى يواجهها المجتمع فى كل فترة من فترات تطوره •

وأخيرا •• فاذا حاولنا ان نلخص الخطوط والملامح العامة لمنظمة الشباب ــ كما نتصورها ــ فى عهدها الجديد ــ أمكن ان نقول :

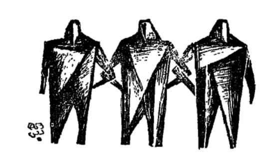
١ ــ منظمة الشباب هى تنظيم مستقل للشباب ، يقوده التنظيم السياسى ، وليس جناحا للشباب فى الاتحاد الاشتراكى •

٢ ــ منظمة الشباب منظمة ديموقراطية ذات جماهيرية ، تجذب الى صفوفها ــ بكيفية اختيارية ــ قطاعات واسعة من شباب العمال والفلاحين والمثقفين ، ويغلب على تكوينها الاجتماعى الطبقات التى لها مصلحة فى الاشتراكية •

٣ ــ اسلوب العمل ، والحياة الداخلية لمنظمة الشباب ، تقوم كلها على المبادىء والاجراءات الديمقراطية التى تمكن اعضاءها فى النهاية من ان يختاروا قياداتهم ، ويجددوا هذه القيادات بالانتخاب الحر •

٤ ــ عملية التثقيف فى المنظمة تقوم على اساسين : التمسك بايديولوجية الاشتراكية العلمية من ناحية ، ومن ناحية أخرى ربط المادة الثقافية بالموقف النضالى والعملى المحدد •

وحدة الطبقة العاملة ضد الاستعمار والعنصرية



كمال رفعت

ما من عامل يشعر حقيقة بالانتماء الى الطبقة العاملة ، ويؤمن ايمان صادقا بوحدة نضالها ووحدة مصيرها ، الا ويعى دوره فى مكافحة الاستغلال والعدوان ، ويدرك ابعاد هذا الدور فى اطار النضال العمالى المشترك لوضع حد نهائى للمظالم الاجتماعية والتفرقة العنصرية ، ومختلف مظاهر استغلال الانسان لاخيه الانسان بوجه عام !

واذا ماوضعنا جانبا الاستغلال الرأسمالى لطبقة العمال الكادحين الاجراء كظاهرة جد واضحة ، لايختلف عليها اثنان ، ولا تحتاج الى تفسير أو ايضاح ، فاننا نجد العمال هم اشد طبقات المجتمع تعرضا لوطأة السيطرة الاستعمارية فى البلاد التى تبتلى بالوقوع تحت نير الاستعمار . وذلك لان الدول الاستعمارية انما تحتل مثل تلك البلاد وتحكم السيطرة عليها لكى تستغل مواردها الطبيعية والبشرية اقصى استغلال، ولتتخذ منها سوقا لتصريف منتجاتها الصناعية فى ظروف اقرب الى الاحتكار وبأبهظ الاثمان . اى ان العمال يستغلون استغلالا مزدوجا اى ذا حدين كمنتجين وكمستهلكين فى وقت واحد . فهم كمنتجين يعاملون كمعين لاينضب للعمل الرخيص . بينما لايستطيعون كمستهلكين ان يحصلوا على السلع الاستهلاكية بأثمان معقولة فى ظل ماتفرضه الدولة الاستعمارية من رسوم جمركية مرتفعة لكى تضمن لنفسها تصريف منتجاتها دون ان تخشى مضاربات المنافسين فى اسواق المستعمرات .

وبالمثل نرى الطبقة العاملة هى التى ينوء كاهلها تحت ــ بل وتكاد تتحمل وحدها ــ اعباء الضغوط الاقتصادية فى اوقات الحروب ، التى غالبا ماتصحبها موجات التضخم ، وتجمد فيها الاجور فى الوقت الذى يتفاقم فيه ارتفاع الاسعار باطراد !

ذلك لان الحروب تستنفذ الجانب الاكبر من الموارد الاقتصادية والبشرية على حساب الانتاج المدنى وحجم ومستوى الاستهلاك ، الامر الذى يؤدى سريعا الى التضخم نتيجة لاختلال التوازن بين حجم سلع الاستهلاك والخدمات المجمد او المتناقض بين حجم القوة الشرائية المتزايد بالتوســـع فى الدفاق الحربى وزيادة حجم اجور العاملين فيه بوجه عام . واذا كان العمال بدافع من وطنيتهم يتقبلون عن طيب خاطر ، ما يسببه التضخم من انخفاض فى مستوى استهلاكهم وبالتالى مستوى معيشتهم . فانهم وحدهم الذين يسهمون بجل ان لم يكن كل التضحيات ، فى الوقت الذى تمتلىء فيه خزائن صناع وتجـــار الاســـلحة والعاملين فى حلقـــات اوشـــباك الســـوق الســـوداء بالمزيد والمزيد من الارباح ، ومن هنا كانت الطبقة العاملة هى اكثر الطبقات رغبة فى السلام واشدها حرصا على استقراره واسرعها الى استنكار العدوان ! .

والطبقة العاملة اينما كانت ، وعلى الرغم من تباين ظروف عملها ومستويات معيشتها من دولة لاخرى ، نتيجة للاختـــلاف فى درجـــة التقـــدم الاقتصادى ، ومتوسط دخل الفرد ، ومدى تقدم التشريع العمالى ، ومدى قوة الحركة النقـــابية الخ .. انما تشعر عن وعى سليم وادراك بعيد النظر لحقيقة الاوضاع التى تعيش وتعمل فيها ، انها لايمكن ان تحمى نفسها وتدافع عن كيانها فى مواجهة قوى العدوان والاستغلال والاستعمار ، ومايصحب الاستعمار من مظالم اجتماعيه صارخة كالتفرقة العنصرية وعمل السخرة الخ .. ، الا اذا توحدت وحرصت على المحافظة دائما علـــى وحدتها .. ولقد كانت هذه الوحدة ولاتزال هدف الطبقة العاملة فى كل مكان .. ولئن خاضت قد تتابعت اجيال العمال وتلاحقت معارك النضال ، دون ان تتحقق هذه الوحدة المنشودة ، فان هذا لايعنى انها بعيدة المنال .

وعلى مسار الوحدة وفى الطريق الى الهدف المنشود بدأ روبرت اوين دعوته المبكرة عام ١٨١٨ عندما تقدم الى مؤتمر « اكس لاشابل » بمذكرة تدعو الى بذل مجهود دولى مشترك لتحديد يوم العمل ، محاولا ان يقنع صناع السلام والراى العام العالمى يومئذ بوجوب تجميد التأثير الســـلبى الضاغط للمنافسة الدولية بين المنتجين على ظروف وشروط العمل ، بمحاولة وضع حد ادنى ومعقول لمستويات العمل يلتزم به المنتجون فى جميع دول العالم . ولئن لم تصادف هذه الصرخة الانسانية المبكرة تجاوبا فى وقت اشتدت فيه حمى الاستغلال الراسمالى وبلغ السباق الاستعمارى ذروته ، الا انها لم تلبث ان تجددت هذه الدعوة النبيلة على يد المفكر الاشتراكى الفرنسى « لويس بلانكى » الذى عاد ينبه الاذهان الى انه اذا اريد للاصلاحات الصناعية والاجتماعية ان تنجح وتثمر ، لكان من الواجب حتما ان تطبق باخلاص فى جميع الدول المتنافسة وفى وقت واحد . ولقد اثار بلانكى يومئذ اخطر تساؤل ، بل تحدى للعالم المتحضر قائلا «لكم عقدت المعاهدات بين دولة واخـــرى ، والزمت الاطراف المتعاقدة بقتل البشر . فهل ياتى اليوم الذى تبرم فيه المعاهدات لفرض الحفاظ على حياة الناس ولجعلهم اكثر سعادة من قبل ؟! » ولم تكن دعوة بلانكى بالاحسن حظا من دعوة روبرت اوين .. الا ان هذا الاتجاه الفكرى النبيل وقد تبناه آخرون ، لم يلبث ان اثمر بعقد مؤتمرات دولية بين بعض الدول الصناعية الاوروبية لبحث فكرة وضع تشريع دولى للعمل . ولئن كانت تلك المؤتمرات لم تصل الى نتيجة ايجابية فى جو سياسى يسوده التنافس والتوتر ، الا انها تمخضت سريعا عن انشاء « الجمعية الدولية لتشريـــع العمل » التى اتخذت من مدينة بازل فى سويسرا مقرا لها . وبدأت تمارس بحوثها ونشاطها حتى ليمكن اعتبارها نواة للمكتب الدولى للعمل او مقدمة لظهوره بناء على ماقررته معاهدة فرساى التى وضعت اسس السلام عقب الحرب العالمية الاولى ، آخذة فى الاعتبار ان السلام العالمى الدائم لايمكن ان يتحقق الا اذا اقيم على اساس مكين من العدالة الاجتماعية . وان وجود ظروف عمل من شانها تعريف جموع كبيرة من الناس للمظالم والمشقة والحرمان ، وماينجم عن ذلك من عدم استقرار ، هو من الكثرة بحيث يهدد الســـلام والوئام فى العالم ..

لقد برزت فى تلك المحاولات الانسانية فكرة وحدة مصير الطبقة العاملة . ولكنها لم تبرز وحدة نضالها الايجابى من اجل تقرير المصير ، ولم تلبث ان ظهرت فكرة الوحدة النضالية فى ختام المنشور الشيوعى الذى اصدره ماركس وانجلز فى عبارات نارية مثيرة : « دعوا الطبقات الحاكمة ترتعد من ثورة شيوعية ، فلن تخسر البروليتاريا فى هـــذه الثورة شيئا عدا قيودها » وحاول ماركس ان يدفع فكرة الوحدة العمالية سريعا الى طريق التنفيذ بانشاء الدولية الاولية التى ضمت بعض المفكرين الاشتراكيين والزعماء النقابيين ولم تكن لتصل الى مستوى اتحاد عمالى دولى يرتكز الى قاعدة قوية من النقابات والاتحادات والجماهير العمالية . ولهذا تحطمت سريعا على صخرة الخلاف بين ماركس وباكونين . ولم يكن حظ الدولية الثانية بالاحسن كثيرا من حظ الدوليه الاولى ، اذ تحطمت هى الاخرى على صخرة الخلاف بين الحـــزب الروسى بزعماة لينين وبين الاحزاب الاشتراكية والديمقراطية فى دول اوروبا الغربية حول موقف العمال والاشتراكيين من الحرب على اثر قيام الحرب العالمية الاولى فى اغسطس ١٩١٤ حيث تخلت تلك الاحزاب عن قرارات مؤتمر الدولية

الثانية المنعقد بلندن عام ١٨٩٦ الخاصة بتسريح الجيوش واحلال فرق الحرس الوطني الشعبي محلها ، وبانشاء اداة دولية للتحكم في المنازعات بين الدول · بينما تمسك لينين بتلك القرارات مهيبا بالعمال ان لايحملوا السلاح بعضهم ضد البعض الاخر · وبأن يحمل كل منهم السلاح في بلده ضد الطبقة الرأسمالية الحاكمة التي تدفع بالعمـــال كالخراف في اتون الحروب التوسعية الامبريالية !
وبانهيار الدولية الثانية انهارت محاولة تكوين اتحاد دولي للعمال ، وهو الاتحاد الذي تبنته ، ولم يعمر طويلا بسبب الخلافات سالفة الذكر · وكانت الدولية الثانية أيضا هي التي قررت اتخاذ احداث مايو الدامية في شيكاغو عام ١٨٨٦ عيدا دوليا للعمال يحتفل به عمال العالم اجمع في اول مايو من كل عام ·

على الرغم من تلك الجهود المتواصلة والمضنية لتوحيد الطبقة العاملة على المستوى الدولي ، لم يتح لهذه الوحدة ان تتحقق منذ قرن ونحو ربع القرن من الزمان · والفترة القصيرة جدا التي عاشت فيها هذه الوحدة كحقيقة قائمة بالفعل هي الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨ ، اي التي تخللت بين انشاء الاتحاد العالمي للنقابات على اثر اجتماع مؤتمره التأسيسي في باريس عام ١٩٤٥ ، وبين حدوث الانشقاق في الاتحاد على اثر الخلافات التي دارت بين بعض الاتحادات القومية حول مشروع مارشال للانعاش الاوروبي في نهاية عام ١٩٤٨ ·
واذا كانت اتحادات العمال في الدول الاستعمارية والرأسمالية العربية هي التي تسببت في فصم عرى الوحدة وانشقت لتكون اتحادا مضادا وهو الاتحاد الدولي للنقابات الحرة ، فان احدا لايمكن ان يجادل في انها هي التي احدثت الانقسام الحالي في الحركة العمالية الدولية ، التي كادت تصبح صورة طبق الاصل للصراعات القائمة في المجتمع الدولي · الامر الذي يدعو الى اطالة التفكير في كيفية تخليص الحركة العمالية الدولية من الانعكاسات والمؤثرات السلبية لهذه الصراعات !
ولا اعتقد ان الامر من السهولة كما يتصور البعض فرب محاولة غير واعية او غير ناضجة لاقامة الوحدة تؤدي عكس الغرض وتوسع شقة الخلاف وتزيد من مضاعفات الانقسام ·

ان هناك مجالات موضوعية وفنية كثيرة يمكن ان تجتمع حولها كلمة جميع الاتحادات العمالية الدولية القائمة ، فليكن التمهيد الى اعادة الوحدة هو التعاون في اطار هذه المجالات، ولاشك ان التجربة التي قام بها الاتحاد العالمي للنقابات عندما دعا الى مؤتمره الخاص بتطوير العلاقات التجارية والاقتصادية الدولية لصالح الشعوب والعمال ، والذي انعقد في بودابست في ديسمبر ١٩٦٦ · والاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب واتحاد جميع نقابات افريقيا وبعض الاتحادات القومية المنتمية الى الاتحاد الدولي للنقابات الحرة ·· لاشك ان تلك التجربة وما اثبتته من استجابة لاية عمل دولي مشترك في صالح الطبقة العاملة بوجه عام مايؤيد اعتقـــادي هذا ·· وانا لنرجو مخلصين ان تتكرر مثل هذه التجربة وان يأتي اليوم الذي يصفى فيه الانقسام الحالي في الحركة العمالية الدولية لتعود اليها وحدتها ، وحدة الهدف ، ووحدة النضال ووحدة المصير !





مشروع قانون العمل الجديد



عبد المنعم الغزالي



المؤتمر القومي في آخر شهر مارس الماضي مشروع قانون العمل الجديد تمهيدا لتقديمه الى مجلس الامة لاصداره . وقد ناقشته مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي في الشهر الماضي — ومشروع القانون الحالي هو تعديل لمشروع القانون الذي ناقشته المؤتمرات النقابية والنقابات العامة في فبراير ومارس ١٩٦٨ .

والمذكرة الايضاحية لمشروع القانون توضح الضرورة الموضوعية لاصدار قانون عمل جديد يوحد كل القوانين والقرارات العمالية في قانون واحد — تقول المذكرة الايضاحية : « ان ملكية الجزء الاكبر من وسائل الانتاج وأدواته انتقلت الى الشعب وأن وظيفة الملكية في القطاع الخاص اصبحت وظيفة اجتماعية تمارس في نطاق الصالح العام للمجتمع وتحت رقابة الدولة ، وأن العمل لم يعد سلعة تخضع للعرض والطلب بل أصبح حقا .. ان ذلك رتب ان العامل أصبح لا يرتبط بصاحب عمل معين ولكنه يرتبط بأدوات العمل والمنشأة التي يعمل بها · وأن العمل اصبح واجبا تجاه المجتمع والتقصير فيه خطأ في حق المجتمع لابد وأن يخضع للجزاء الرادع وان المساواة وتكافؤ الفرص لاتقتصر على فرصة الالحاق بعمل جديد بل تمتد الى تقدير عمل العاملين خلال ممارستهم لهذا العمل · وتنتقد المذكرة الايضاحية الانظمة المتعاقبة التي وضعت في الفترة الماضية لتنظيم علاقات العمل والانتاج في القطاع العام ، وتعتبر أن هذه الانظمة : « سارت على نهج معاملة منشآت القطاع العام على أنها وحدات ادارية من أجهزة الدولة التنفيذية ، وقد ادى ذلك الى امراض البيروقراطية

وانشغال العاملين فيها بالسعي وراء الفئات الوظيفية مما أشاع التواكل بينهم وأدى الى سعيهم للحصول على مزيد من العلاوات والترقيات بضغوط ليست فى صالح العمل ولا ترجع الى زيادة الانتاج أو تطويره أو اتقانه » • ولقد اقتضى ذلك : « ان يساير تشريع العمل هذه التغييرات الثورية فى علاقات العمل والانتاج ليجعل منه اداة فعالة فى تدعيم مبادىء الكفاية والعدل فى كافة ميادين العمل بتوحيد التشريع الذى يخضع له العاملون فى مختلف القطاعات ... » •

ويتضمن مشروع العمل الجديد خمسة عشر بابا و ١٨٦ نصا • **ولقد جاء الباب الاول متميزا عن** القانون السابق ، وقدم تعريفات أكثر وضوحا وتحديدا سواء بالنسبة للقانون نفسه أو لتعريف المنشأة والعامل والاجر والعمل بأنواعه • فيعرف قانون العمل بأنه : « القانون المنظم للجهود المشتركة للعمال والمنشآت فى تشغيل وادارة أدوات الانتاج والمحدد للحقوق والالتزامات المتبادلة بينها والناشئة عن علاقة العمل وعمليات الانتاج بهدف تحقيق خطة الدولة الاقتصادية » • كما أورد تعريفا جديدا لعقد العمل ، فعقد العمل هو : « مظهر التعبير القانونى عن ارادتى العامل والمنشأة فى التعاون المشترك والمنظم بين العامل بقدرته على العمل وبين المنشأة بأدوات الانتاج لتحقيق خطة الدولة الاقتصادية ومصالح المجموع ، يحصل بمقتضاه العامل على أجر يتكافأ مع عمله » • وذلك على خلاف التعريف السابق فى القانون ٩١ لسنة ١٩٥٩ الذى أعتبر عقد العمل هو العقد الذى يتعهد بمقتضاه عامل بأن يشتغل تحت ادارة صاحب عمل أو اشرافه مقابل أجر • وهكذا أصبح عقد العمل عقدا اجتماعيا هدفه انشاء علاقة انتاج اجتماعية تهدف الى تحقيق خطة الدولة الاقتصادية ، كما اصبحت قاعدة تحديد الاجر هى العمل ونوعه •

ونظم الباب الثانى والثالث ، التلمذة الصناعية والتدريب المهنى والحق فى العمل — ويلاحظ على هذين البابين — أن المشرع لم يحدد ضرورة الربط بين خطط التنمية الاقتصادية وسياسة التشغيل والتدريب والتعليم بهدف احداث توازن بين الاحتياجات الاقتصادية وفرص العمل ، كما أنه كان يجب النص على ان تنظيم الحق فى العمل يوجب وضع الرجل المناسب فى العمل المناسب ، وأن يقتصر تعيين أى شخص على وظيفة واحدة ، الامر الذى يدعم عملية تنظيم العمل ويوسع قاعدة العمالة • وكما أن المجتمع يواجه فى مرحلة التحول الحالية مشكلة على جانب كبير من الخطورة — هى مشكلة تخلف نسبة كبيرة من الناشئين عن المراحل التعليمية سواء بسبب الانفجار السكانى ، أو بسبب عدم استيعاب المدارس للاعداد الكبيرة من التلاميذ (وعلى سبيل المثال بلغ عدد المتخلفين فى عام فى الاسكندرية وحدها فى عام ١٩٦٧ فى المرحلة الابتدائية ٣٨٧٨١ تلميذا من ٤٧٩٥٤ تلميذا) نقول ان هذا يوجب أن تشارك المؤسسات الصناعية فى حل هذه المشكلة ، وأن ينظم القانون هذه المشاركة فتلزم المنشآت الصناعية بقبول عدد محدد من هؤلاء المتخلفين بنسبة تتفق وحجم الصناعة والعمالة فيها بهدف تعليمهم الصناعة أو المهنة •

وتنظم نصوص الباب الرابع الالتحاق بالعمل ، وقد اوجبت المادة (٣٠) اثبات عقد العمل بالكتابة ، وأن يحرر منه أربع نسخ لكل من المنشأة والعامل والنقابة والهيئة العامة للتأمينات الاجتماعية — وهو مطلب طالب به العمال ، وذلك حتى يكون هناك ضمان لتدخل التنظيم النقابى وهيئة التأمينات للمحافظة على حقوق العاملين • وهنا يجب ملاحظة أن القانون مازال يجيز وجود عقود عمل غير مكتوبة الامر الذى يسمح بكثير من التلاعب فى القطاع الخاص • **وهن ثم يجب النص صراحة على ان جميع عقود العمل الفردية فى القطاع الخاص يجب وأن تكون مكتوبة وباشراف من قبل التنظيم النقابى** •

وينظم الباب الرابع من المشروع الاجازة السنوية ويحدد مدتها بين اسبوعين وخمسة أسابيع — ولكنه يترك لوزير العمل حق اصدار القرار الخاص بتحديد هذه المدة وفق عناصر السن والمرتب وموقع العمل بالاتفاق مع الوزير المختص والجهاز المركزى للتنظيم والادارة • والاجدر بالمشروع أن يحدد بحسم نظام الاجازات — والا يترك تنظيم الحق فى التمتع بالاجازة لقرارات وزارية قد يتعطل اصدارها مما يسبب الكثير من المشاكل بسبب سيادة العقليات البيروقراطية • والمطلوب ان يرد نص قاطع ملزم ، يمنح كل عامل أمضى فى الخدمة سنة كاملة اجازة سنوية لمدة خمسة عشر يوما بأجر كامل ، تزاد الى ٢١ يوما متى أمضى العامل عشر سنوات متصلة فى عمله وتصبح شهرا لمن تجاوز سنه الاربعين •

والباب الخامس من المشروع ينظم الاجور : والمشروع هنا لم يحدد القواعد الاساسية لسياسة الاجور • فهو أولا لم ينص على تحديد حد أدنى للاجر على المستوى القومى يتفق ونفقات المعيشة ، **وثانيا** ان المشرع مازال يبتعد عن ربط الاجر بالانتاج ، ان سياسة الاجور فى القطاعات المنتجة الصناعية والتجارية بصفة خاصة يجب ان تقوم على أساس ربط الاجر بالانتاج مع وضع معدلات

للاداء على أساس معايير تتفق وكل عمل ، على أن يشترك فى تحديد هذه المعدلات التنظيم النقابى مع الادارة الاقتصادية . **وثالثا** يجب وان ينص فى صلب القانون على نظام الحوافز سواء كانت مادية أو معنوية حتى يضمن للعاملين نصيبا عادلا فى كل زيادة تنتج عن ارتفاع معدلات الانتاج عن معدلات الاداء الموضوعة سواء كان هذا الارتفاع كميا أو نوعيا . **ورابعا** ،فانه بخصوص ضمانات حماية الاجر (المواد من ٤٧ وما بعدها) فان المشرع أهمل النص على ضرورة أداء الاجور فى أحد أيام العمل وفى مكان العمل مع تحديد فترات صرف الاجور، اسبوعية، وكل اسبوعين، وشهرية .وتحديد ذلك مهم اساسا بالنسبة للعمال فى القطاع الخاص . وكذلك يجب النص على عدم الزام العامل بشراء أغذية أو سلع من محال معينة أو مما ينتجه صاحب العمل .

وينظم الباب السادس والسابع ساعات العمل والراحات وعمل الاحداث وعمل النساء والفئات الخاصة . وتنظم المواد ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ — عمل الاحداث والنساء — وفى هذه المواد **لم يحدد المشرع الحد الادنى لسن الحدث دون الثامنة عشرة** — وقد كان محددا فى القانون السابق بالثانى عشر — وقد ترك تحديد ذلك لقرار يصدر من وزير العمل ، كما وان المشروع خلو تماما من الشروط الواجب توفرها عند تشغيل الحدث أو بعد تشغيله — بحيث يجب النص صراحة على عدم استخدام الاحداث والمراهقين الذين دون الثامنة عشرة فى مشروع صناعى مالم تثبت لياقتهم الصحية للعمل الذى يستخدمون فيه بعد كشف طبى دقيق وأن تكون لياقة الاحداث والمراهقين للعمل الذى يمارسونه موضع رعاية طبية مستمرة ، كما انه فى الاعمال التى تشكل أخطارا جسيمة على الصحة يتعين اجراء الفحص الطبى وتجديده بانتظام حتى سن الواحدة والعشرين على الاقل . وبالنسبة للنساء العاملات أغفل المشرع النص على ضرورة التزام المنشأة التى تستخدم مائة عاملة فأكثر أو المنشآت التى تستخدم عاملات فى منطقة واحدة بتوفير دور حضانة لاطفال العاملات .

ومازال المشرع يستثنى الاحداث والنساء العاملين فى مجال الزراعة من الحماية القانونية — وهو بذلك يحرم قطاعا كبيرا من الحقوق الواجب توفيرها لهذا القطاع الذى يعمل فى ظروف متخلفة وقاسية مازالت تحمل آثار علاقات الانتاج الاقطاعية .

وينظم الباب الثامن والباب التاسع ،حماية القوى العاملة ، والمشاركة والتشاور والمسئولية عن الانتاج — وقد تضمن الباب التاسع نصا مستحدثا يوجب انشاء مجلس أعلى للعمل بدلا من المجلس الاستشارى الاعلى للعمل . وأوجب ضرورة عرض كافة القرارات الوزارية عليه للموافقة عليها واقرارها — وتشكيل المجلس الجديد يختلف عن تشكيل المجلس الاستشارى ، فهو يتشكل من وزير العمل رئيسا وأعضاء يمثلون الوزارات والاجهزة المركزية المختصة ، واعضاء يمثلون المنشآت والاتحاد العام للعمال والاتحاد الاشتراكى العربى .

واقرارا لسياسة مشاركة العاملين فى وضع خطط الانتاج وأهدافه استحدث المشرع نظام لجان الانتاج على مستوى المنشأة وهى لجان تتشكل من رئيس مجلس الوحدة الاقتصادية رئيسا وعضوية لاتقل عن خمسة عشر عضوا يمثلون ادارة الوحدة الاقتصادية ولجنة الاتحاد الاشتراكى العربى واللجنة النقابية للعاملين ورؤساء الاقسام الانتاجية والمشرفين عليها فى الوحدة . وحدد المشروع مهام هذه اللجان مثل مناقشة خطط الانتاج، والبرامج اللازمة لتنفيذها — ومتابعة تنفيذ الخطط واقتراح الحلول للمشاكل والخطط التى تكفل تطوير الانتاج واقتراح معايير ومعدلات الاداء وتقييمها ومناقشة سياسة العمالة وسياسة تنمية الوعى لدى العاملين بهدف العمل على خفض التكاليف والقضاء على الاسراف والمحافظة على ممتلكات الوحدة الانتاجية ، والارتفاع بمستوى جودة الانتاج — ومناقشة الميزانية العمومية والحسابات الختامية .. الخ وأجاز المشرع كذلك سريان ذلك على فئات من القطاع الخاص يحددها وزير العمل . ورغم أخذ مشروع القانون بنظام لجان الانتاج فانه قد شكلها على اساس ادارى بحت ، وترك المشرع المشروع المقدم عن مؤتمرات الانتاج والذى يحقق مشاركة جماهيرية اكثر للعاملين فى العملية الانتاجية اعمالا لما جاء بميثاق العمل الوطنى بخصوص اشراك العاملين فى الخطة الاقتصادية .

ومن الباب العاشر حتى الباب الاخير ، يعالج القانون الحقوق والواجبات والضمانات وانتهاء الخدمة وعقد العمل المشترك والتوفيق ،والتحكيم فى منازعات العمل ونقابات العمال وتفتيش العمل والعقوبات . والملاحظ على هذه الابواب أن المشرع **اولا** . نص على مجموعة من الضمانات لحماية العاملين من التعسف والشطط من قبل الادارة فى تطبيق العقوبات فأوجب ضرورة عرض الامر قبل اتخاذ قرار بفصل العامل على لجنة ثلاثية تشكل من مدير مديرية العمل رئيسا وممثل للمنشأة وممثل للعاملين يختاره التنظيم النقابى . وهذه اللجنة

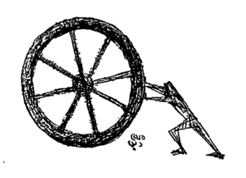
تكون مهمتها تحقيق ماهو منسوب الى العامل وتبدى رأيا فيه وترفع توصياتها الى مجلس الادارة أو المسئول عن ادارة المنشأة ـ والنص بوضعه الحالى مازالت به ثغرة تضعف فعله وأثره ، وهو أن قرار اللجنة غير ملزم ، فهو فى النهاية مجرد توصية ترفع الى نفس الجهة التى اتخذت القرار الاول .

وهناك ضمانات اخرى ، كفلها القانون للعامل المطلوب فصله اذا كان عضوا باللجنة الانتاجية أو بمجلس ادارة اللجنة النقابية أو لجنة الاتحاد الاشتراكى العربى للوحدة أو عضوا منتخبا لمجلس الادارة ـ وهو أنه لايجوز فصل هذا العامل الا بقرار او حكم من المحكمة الابتدائية . كما كفل القانون لكافة العاملين الحق فى الطعن على قرارات المنشأة التأديبية بطلب الغائها اوالتعويض عنها أمام محاكم العمال الجزئية أو المحاكم الابتدائية تبعا لنوع القرار التأديبى .

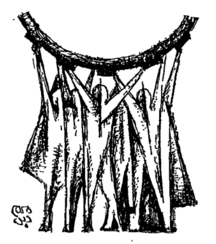
وفى الباب الثانى عشر ، الخاص بعقد العمل المشترك ـ أخذ المشرع فقط بعقد العمل المشترك وجعل نطاقه القطاع الخاص وحده ـ بينما المفروض أنه وقد أصبحت السيادة للملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج أن يجعل المشرع عقود العمل الجماعية هى المنظمة لعلاقات العمل فى المجتمع سواء فى القطاعين العام والخاص ـ حيث أن غرض طرفى العقد أصبح هو ادارة الانتاج وتنظيم حقوق العاملين وظروف معيشتهم وشروط عملهم ومعدلاته ومعايير أدائه ونظام الاجور والكتابة الانتاجية والامن الصناعى وأخطار المهنة وأمراضها والشروط المفروض توافرها فى الانتاج والخدمات الثقافية والتعليمية والصحية .. الخ .

اما الباب الرابع عشر ، الخاص بالتنظيم النقابى فانه لم يحدث تغييرا بالنسبة لتحرير التنظيم النقابى من التبعية للادارة ـ فما زالت سلطة وزارة العمل هى سلطة التحكيم ـ **ان المشرع يجب أن يوسع من استقلالية التنظيم النقابى عن الاجهزة الادارية وأن يمنحها الحق الكامل فى التفتيش على النقابات وفى الرقابة على تطبيق وتنفيذ قوانين العمل والتدابير الخاصة بحماية العمال من مخاطر المهنة وأمراضها وعلى التأمينات الاجتماعية والحق فى التفاوض والتخاطب مع اجهزة الدولة والاجهزة العامة باسم العمال .**

وبدراسة عامة لمشروع القانون نلاحظ ان المشرع مازال يعطى الادارة السلطات الواسعة ، وخاصة بالنسبة لعلاقتها بالتنظيم النقابى (*) . ومازالت كثير من نصوصه معلقة على القرارات التى يصدرها وزير العمل لتنفيذ ما جاء به ـ وهى قرارات يطول انتظار العاملين لصدورها وخبرة العاملين السابقة مع كافة القوانين أكدت ان الاجهزة البيروقراطية تماطل كثيرا فى اصدار القرارات التنفيذية ـ الأمر الذى يوجب أن يصدر القانون هذه المرة ، وليس فيه من أمر معلق على قرار يصدر فى المستقبل وخاصة اذا كانت هذه القرارات تتعلق بحرية التنظيم النقابى فى حركته او تتعلق بحقوق العاملين وشروط وظروف عملهم .



الطريق الى حل
مشكلات الانتاج الحرفى الصغير



عادل سيف النصر

لعل من ادق واعقد مشـكلات مرحلة التحول الاشـتراكى هو اعتمـاد البنيان الاقتصادى فى بلادنا على ثلاثة قطاعات ، القطاع العـام ـ القطاع التعاونى ـ القطاع الخاص ، قطاعات تحكمها قوانين اقتصادية متميزة ، وعلى طبقـات اجتماعية مختلفة لهامصالح مشتركة ومتناقضـة فى نفس الوقت .

ووضع هذه الحقيقة فى التطبيق والممارسة طوال السنوات الماضية ، اسفر عـن مشكلات اجتماعية واقتصادية اثرت بدرجات متفاوتة على موقف الطبقات الاجتماعية المشكلة لقـاعدة القطاعات الثلاثة ، خاصة الرأسمالية الوطنية من قضية التنمية الاقتصادية ، ومن ثم من قضية البناء الاشتراكى لمجتمعنا .

واليوم اذ تحتل قضايا الجبهة الداخلية والوحدة الوطنية الاهمية القصوى لخدمة اهداف تحرير الارض المحتلة ، يصبح الواجب الاول على القوى الوطنية والتقدمية هو التصدى لحل مشاكل التطبيق التى طرحتها موضوعيا مرحلة التحول ، وهى مشاكل واجبة الحل الجذرى .

وبالقدر الذى ستكون فيه هذه الحلول واقعية وعملية سيمكن حل التناقضات الاجتماعية وتخطى كافة العقبات باقل قدر من التضحيات والالام وفى النهاية بطريقة تؤكد الطابع السلمى لعملية الانتقال للاشتراكية .

ولاشك ان كافة مشكلات مرحلة التحول تطرح فىنفس الوقتمن كافةالقوى المتطلعة لتحالف قوى الشعب العامل من حيث ان هذه المشكلات تمس مصالحها المشتركة ، غير ان كل قوى اجتماعية تطرحها بطريقة مختلفة ، وتراها من زاوية رؤيتها الاجتماعية الخاصة بها وتشخصها بشكل بعيد عن موقفها الاجتماعى من تلك المشكلات ومن ثم تضع اسس حل يختلف عن تلك التى قد تضعها قـوى اخرى من تحالف قوى الشعب العامل .

قضـــايا المشـــتغلين

بالانتاج الحرفى الصغير

فمثلا اليوم تثار وتطرح قضية ومشاكل قطاع هام من قوى الشعب العامل ، قطاع المشتغلين بالأنتاج الحرفى الصغير فى مجال الانتاج او الخدمات ، ولما كانت هذه القوى تحتل بمواقعها الاقتصادية وبقواها العددية مكانا حيويا فى التخالف خاصة بالنسبة لقوى الرأسمالية الوطنية والتى تعتبرها قاعدتها الاجتماعية العريضة فى المدينة ، لذلك فهى تشخص مشكلة تلك القوى الاجتماعية بالشكل الذى تراه من موقعها الاجتماعى الخاص بها ، وبالدرجة الاولى مصلحتها الاقتصادية فى المرحلة الراهنة ، تطرحها على انها مشكلة الوحدات الاقتصادية المتوسطة والصغيرة على السواء ،، أى باختصار تطرح مشكلاتها هى، مشكلات القطاع الخاص المنتج فى بلادنا ٠

لذلك نجد أن قسما هاما من الرأسمالية الوطنية يعرف قطاع الأنتاج الحرفى الصغير على انه ذلك القطاع الذى يشمل المنشآت التى لا يزيد رأس مالها عن عشرين الف جنيه والتى تستخدم عددا من العمال لايزيد عن مائة عامل ، وفى الحقيقة ان مثل هذا التعريف يخلط بوعى بين نوعين مختلفين تماما من الوحدات الاقتصادية ذات الطبيعة الاقتصادية المتباينة ٠

الوحدات الرأسمالية الخاصة

وهى تلك الوحدات الاقتصادية المشتغلة بالانتاج او الخدمات والتى تستخدم فى الاساس العمل المأجور ، وهى وحدات نجد منها عنصر العمل منفصلا تماما عن عنصر راس المال ، ووسائل الانتاج السائدة داخل هذه الوحدات هى وسائل الانتاج الالية ٠ وبالقطع فان هذه الوحدات لها مشاكل حقيقية متفاقمة كثيرا ماأثرت ليس فقط على وضعها الاقتصادى بل امتد أثرها على موقع هذه القوى من تحالف قوى الشعب العامل فى لحظات معينة ٠

ونقطة البداية فى حل مشكلات هذا القطاع الرأسمالى الوطنى هو تخطيط وتحديد دوره فى خطة التنمية فى مجال الانتاج والخدمات بالشكل الذى يمكنه فعلا من اسهام وحدات القطاع العام والقطاع التعاونى فى تحقيق برامج واهداف مهام المرحلة ، مهام تحرير الارض والسير فى طريق بناء مجتمعنا الاشتراكى ٠

اما القول بأن مشكلات تلك الوحدات الرأسمالية يمكن ان تحل عن طريق ربطها بالقطاع التعاونى فهو قول يتعارض فى نهاية الامر مع مصالح مالكى تلك الوحدات ، حيث ان المفهوم العلمى للملكية التعاونية فى اطار اشتراكى يعنى بقبول المنتجين الرأسماليين لمبدأ الملكية المشتركة لوسائل الانتاج كلها او معظمها ، وتوزيع عائدها على اساس كمية العمل الذى يبذله كل عضو ، وليس على اساس مقدار ما يملكه فى رأس المال ٠

غير أن هذا لا يعنى من حيث المبدأ حرمان جانب من اصحاب تلك الوحدات الراسمالية من حق الانضمام للقطاع التعاونى لو وجدوا مصالحهم قد تتحقق بالانخراط فى رحاب التنظيمات التعاونية الانتاجية ٠

وحـــدات الانتـــاج

السلعى الحرفى الصغير

وهى تلك الوحدات الانتاجية الصغيرة التى نجد فيها وسائل الانتاج مملوكة ملكية خاصة للمنتجين الذين يقومون هم انفسهم او مع افراد اسرهم أحيانا باستخدامها ٠

والصفة الغالبة على انتاج هذا النوع من الوحدات أنه لم يتحول بعد الى انتاج آلى كبير ، والسمة المميزة لاصحابها هى اتقانهم للصنعة او الحرفة وليست للملكية ٠

ولا حل أمام مشكلات هذا النوع من الوحدات الاقتصادية الا الاخذ بمبادىء واشكال الانتاج التعاونى ، تلك الاشكال التى توفر للمنتجين الحرفيين الصغار وسائل الانتاج الالى الكبير والتى يعجز كل منهم على حدة الحصول عليها ٠

لذلك فان هؤلاء الملاك الصغار يقبلون منذ البداية فكرة الملكية التعاونية المشتركة ، تلك الملكية التى تتأكد باستمرار على حساب مبدأ الملكية الفردية ،وهكذايمارس المنتجون الحرفيون الصغار فى ظل التنظيمات التعاونية نوعا جديدا من الانتاج المشترك المعتمد على الملكية المشتركة لاغلب وسائل الانتاج ، وهكذا يصبح العمل المبذول من اصحاب تلك الوحدات الانتاجية الصغيرة والحرفية ـ هو المقياس الوحيد لاسهام كل منهم فيما تحققه كل جمعية تعاونية من نجاح او تقدم ٠

خطوط عريضة للحل

وعلى ضوء ما سلف عرضه يتحدد بشكل موضوعى آخر حل المشكلات الاساسية لتلك الوحدات الاقتصادية وهى :

● ان الجمعية التعاونية الانتاجية هى الشكل الوحيد الذى يضمن تطوير وسائل انتاج الوحدات الانتاجية الحرفية الصغيرة ومن ثم انتاجية العمل لأصحابها ورفع مستوى معيشة العاملين بها ٠

● ان هذه التنظيمات التعاونية يجب أن تشكل بالوسيلة التى تضمن هيمنة وسيطرة اصحاب المصلحة الحقيقية فى تكوينها ، اى تضمن فى الإساس مصلحة المنتج الحرفى الصغير ٠

وقبل ان نتعرض للخطوات التى تكفل نجاح تكوين هذه التنظيمات التعاونية يفضل أن نشير بشكل موجز الى أهم المشكلات والعقبات التى تصادف الانتاج الحرفى الصغير اليوم ٠

فأهم المشكلات الحالية التى تصادف الانتاج الحرفى الصغير :

ـ تخلف وسائل انتاج تلك الوحدات لاعتماد أغلبها على الانتاج اليدوى ، وفى ظل ضعف الامكانيات المادية لاصحابها يصبح من المستحيل عليهم ادخال او استخدام الوسائل الالية فى عمليات الانتاج ٠

ـ ندرة الخامات ومستلزمات الانتاج ولاسباب موضوعية وذاتية مما يضطر أغلبها الالتجاء الى السوق السوداء للحصول عليها ٠

ـ تعقد مشكلة التمويل والتوزيع ، فالموارد المالية لتلك الوحدات محددة للغاية ولا تكفى بالطبع لمواجهة اعباء الانتاج والتوزيع ، وهذا يدفع باصحابها الى الارتباط بالتجار والوسطاء أو الممولين ، الذين يقدمون الخامات او يقومون بالتوزيع بالشروط التى تكفل لهم بالطبع اكبر قدر ممكن من الربح على حساب المنتج الاصلى الصغير ٠

ـ الارتفاع المستمر فى الطاقة الانتاجية المعطلة وانخفاض فى انتاجية العمل ، ومن ثم تدهور فى أحوال ومعيشة العاملين بها نتيجة عدم التشغيل المستمر لهذه الوحدات ٠

ـ ونتيجة لاستمرار المشكلات السالفة والنتائج المترتبة عليها تتفتت وحدة المنتجين والصناع الحرفيين وتدب فى صفوفهم عوامل التشتت والعجز واليأس بحيث يصعب عمليا تجميعهم او تنظيمهم ٠

والان وعلى ضوء تلك الحقائق ما الحل ؟

فى الحقيقة آن لنا أن نقول ان حل كافة هذه المشكلات ليس فقط فى تشخيصها النظرى ولا فى وضع الصياغة النظرية لحلها ، ليس فى رفع شعار الجمعيات التعاونية الانتاجية ولا فى ترديدها وابراز فوائدها ومحاسنها . ولكن بشكل قاطع فى كيفية وضع هذه الصيغة النظرية فى التطبيق وتحقيقها بنجاح ٠

الجمعية التعاونية الانتاجية

ان صيغة الجمعية التعاونية الانتاجية صيغة نظرية نعلمها جميعا ونرددها كل يوم ، ولكن لماذا لم تنجح حتى الان هذه الصيغة فى التطبيق فى معظم الحالات التى امكن استخدامها ؟ ببساطة لاننا لم ندرس بعمق الواقع الفعلى والعملى للوحدات الانتاجية الصغيرة المشتغلة بالانتاج او الخدمات المتنوعة النشاط ، لم نفهم وجهات نظر المنتجين الصغار ، لم نعش قضاياهم ومشكلاتهم الحقيقية ، وباختصار شديد لا نعرف بالضبط اين يقف المنتجون الصغار حاليا وعلى ضوء تجربة القطاع العام والقطاع الخاص طوال مرحلة التحول من القطاع التعاونى ؟

وفى اعتقادى ومن واقع تجاربى الخاصة فى ممارسة العمل بين قطاعات الحرفيين فى مجال الانتاج والخدمات برزت لى حقيقة عملية مارستها فى التطبيق وهى : « ان تكوين الجمعيات التعاونية يجب ان يتم خلال مراحل انتقالية او تتعدد وفقا للظروف الخاصة بكل حرفة او صنعة او خدمة » ٠

ولا أدعى ان هذه الفكرة أصبحت صالحة تماما للتطبيق العام ولكننى أطرحها للنقاش والتطوير ٠

التنسيق التعاونى

من واقع التمزق والتشتت الذى توجد به اغلب الوحدات الانتاجية الصغيرة واحتدام مشكلاتها السالفة الذكر ، يجب أن نبدأ بابسط أشكال التنظيم التعاونى سواء على مستوى الحى او القسم او المدينة أى يجب أن نبدأ بفكرة التنظيم التعاونى من النطاق المحلى وليس على النطاق القومى او حتى النوعى للصنعة او الحرفة ٠

والتنسيق التعاوني يعني البدء بأبسط اشكال التفاوض بين عدد من الوحدات المشتغلة بنفس النوع من النشاط الانتاجي بهدف حل مشكلة الخامات ، او الاتفاق على تشغيل طلبية محددة يتفق عليها بين عدد من الوحدات الخ .. ويمثل هذه الخطوات البسيطة يمكن وضع قواعد عريضة للتعاون والتنسيق بين عدد اكبر من الوحدات قد يصل الى حد وضع برامج للتشغيل مشتركة يتم فيها الانتاج والتوزيع بالتعاون بين الوحدات المتعاونة .

ان ذلك هو اسهل واجدى سبيل عملي لاقناع المنتجين الصغار بجدوى التعاون واهميته بشكل لا يمس كيانهم الفردي المستقل ويمهد السبيل لمرحلة ارقى — مرحلة التجميع التعاوني .

التجميع التعاوني

تبدأ هذه المرحلة بالضرورة من اولئك الذين شاركوا وساهموا في انجاح مرحلة التنسيق التعاوني ، فهم دون أدنى شك أقدر من غيرهم على مواصلة التجربة بل وقيادتها .

وهذا التجميع يتم في شكل عقد اتفاق مسجل بين الوحدات المجمعة ، عقد يحكم وينظم علاقة تلك الوحدات بعضها ببعض وعلاقة الوحدات المجمعة في التعامل مع الغير .

وهذا الشكل لايمس الشخصية المعنوية المشتغلة للوحدات وان كان يتعامل باسمها جميعا وفقا لعقد الاتفاق المبرم بينها .

وهذا الشكل ايضا يسعى بالطبع طوال هذه المرحلة لتنمية الملكية الخاصة للمنتجين لوسائل المرحلة على الملكية الخاصة للمنتجين لوسائل انتاجهم وان كان يبدأ في نفس الوقت عن طريق اقتطاع نسبة صغيرة جدا من عائد انتاج كل وحدة في تكوين رأس مال مشترك لشراء آلات انتاج جديدة تصبح ملكا مشتركا للوحدات المنضمة للمجمع .

انه في النهاية شكل انتقالي بين مرحلة الملكية الخاصة للمنتجين الحرفيين الصغار ومرحلة الملكية التعاونية المشتركة للمنتجين التعاونيين . انه الشكل الذي يمكن عمليا أن يبدأ في تطوير انتاج وانتاجية عمل الوحدات الانتاجية الحرفية الصغيرة .

وهذا الشكل الانتقالي يجب أن يحقق :

— تشغيل اكبر طاقة ممكنة للوحدات المنضمة للمجمع التعاوني .

— تحقيق عائد اكبر نسبيا للوحدات من ذلك الذي كانت تحققه على انفراد

— تطوير وسائل انتاج الوحدات عن طريق الاسهام المشترك في شراء آلات تعمل لصالح الوحدات ككل .

— ادخال مبدأ التخصص التدريجي في انتاج الوحدات بحيث تعمل بعض وحدات في انتاج انواع معينة من المنتجات لا تنتجها في نفس الوقت الوحدات الاخرى المنضمة للتجمع التعاوني .

وهذا يمكن أن يتأتى عن طريق :

— دعم الحكم المحلي لهذه الاشكال التعاونية ، اي تشجيعها والارتباط معها في عمليات الانتاج والتوريد بل والتوزيع ايضا .

— الربط المباشر بين هذه الوحدات ووحدات القطاع العام اما المشتغلة بنفس النوع من النشاط الانتاجي أو المشتغلة بتوزيع هذا النوع من المنتجات او الخدمات .

اي ان تتعاقد مثلا بعض شركات القطاع العام مع هذه الوحدات المجمعة اما على توزيع منتجاتها او استخدامها في اداء عمليات الخدمات .

ويمثل هذا المنطق يمكن أن تتاح الفرصة الواسعة امام المنتجين الصغار للانتاج الكبير بل وللحل المباشر لمعظم مشكلاتهم سواء مشكلات التمويل او الخامات التي يمكن أن تقدمها لهم ، اما وحدات القطاع العام او اجهزة الحكم المحلي وفقا للشروط التي تضمن رقابة الحكم المحلي او القطاع العام المباشرة على الوحدات الانتاجية المجمعة .

وتكفل مرونة حركة تلك الوحدات في الانتاج او الخدمات تبعا لظروفها الخاصة المتميزة ومستوى تطورها .

وبهذا الشكل وحده يمكن البعد عن التعقيد الروتيني في الاجهزة التنفيذية ، او المؤسسات النوعية ويمكن أن تتحقق الشروط الضرورية لنجاح مرحلة التجميع التعاوني ، تلك المرحلة التي ترسي تدريجيا اسس القاعدة المادية لمرحلة الجمعيات التعاونية الانتاجية من حيث انها :

— تبدأ في تكوين الملكية المشتركة لوسائل انتاج الوحدات المجمعة ويوم ان تنجح مرحلة التجميع التعاوني في تحقيق المهام والاهداف المعرقلة لها نكون بالفعل قد انتهينا من تكوين الجمعية التعاونية الانتاجية .

وفي رأيي ان فكرة الربط المباشر بين الجمعيات التعاونية واجهزة الحكم المحلي والقطاع العام سواء في مجال الخدمات او الانتاج يمكن أن تحقق للجمعيات التعاونية نجاحا اكبر ، وتؤكد في النهاية بشكل عملي فكرة أن الملكية التعاونية هي احدى صور الملكية الاشتراكية في بلادنا .



ثورة ١٩٣٦ الفلسطينية بداية الكفاح المسلح ضد الصهيونية

عبد القادر ياسين

تمخضت الصادمات التي وقعت — فيما بين ١٥ و١٩ ابريل [نيسان] ١٩٣٦ — بين العرب من جهة والجنود الانجليز والعصابات الصهيونية من جهة اخرى ، عن ثورة مجيدة عاشتها البلاد لاكثر من ثلاث سنوات .. فقد أخذت الأحداث تتصاعد ، ابتداء من اعلان الجماهير في يافا — ١٩ ابريل [نيسان] — **الاضراب العام** ، وتبعتها بقية قرى ومدن فلسطين .

ولهثت البورجوازية للحاق بالثورة ، فتألفت — في الخامس والعشرين من ابريل [نيسان] ١٩٣٦ — [**اللجنة العربية العليا** ،

كجبهة تضم الاحزاب العربية الفلسطينية • ودعت تلك القيادة الجديدة ـ فى بيان اصدرته فى اليوم التالى لتأليفها ـ الى الاضراب العام ، هذا فى الوقت الذى كان الشعب لا يزال مستمرا فى اضرابه قبل اصدار بيان اللجان هذا بسبعة ايام ! !

ثم سارعت البورجوازية الى افراز مؤسساتها [النضالية] فى محاولة منها للالتفاف حول الثورة واحتوائها ، فتألفت (**اللجان القومية**) فى القرى والمدن الفلسطينية ، ومما يجدر ملاحظته أنه كان لمدينة نابلس فضل السبق فى تأليف تلك اللجان ، فهذه المدينه معقل للبورجوازية العربية فى فلسطين ، ومركز لاعرق صناعة فيها : وهى الصابون •

كما اقامت [**الحرس الوطنى**] « للاشراف على تنفيذ القرارات وحراسة الاضراب فى المدن والقرى » [١] •

وفى الثامن من مايو (آيار) ، انعقد فى القدس المؤتمر العام للجان القومية ، الذى قرر ـ بتأثير عناصر البورجوازية الصغيرة التى تسللت الى اللجان القومية ـ اعلان **العصيان العام** اعتبارا من السادس عشر من الشهر نفسه •

وفى يوم تنفيذ العصيان العام فى المدن ، اقدم الفلاحون الفلسطينيون على خطوة اكثر تقدما ، اذ هجر عدد كبير منهم اراضيهم ، وتفرقوا فى **جماعات مسلحة** ، بادئين **الكفاح المسلح** فى الجبال • ونشرت جريدة [الاهرام] المصرية فى عددها الصادر فى الرابع والعشرين من مايو [أيار] ١٩٣٦ ـ على لسان متحدث رسمى لحكومة الانتداب « ان الطائرات البريطانيه اكتشفت تجمعا لعصابات عربية فى الجبال ، وانها طاردتهم بقنابلها ، واعلن ان **الاضطرابات والاضرابات قد تحولت الى ثورة مسلحة** ، وقد هاجمت مجموعة من الشباب العربى معسكرا للجيش البريطانى واستولت على البنادق والذخيرة » [٢] • وكان قد سبق لحكومة الانتداب أن أصدرت بلاغا رسميا ـ فى التاسع من مايو (ايار) ـ أعلنت فيه وقوع هجوم على سيارة يهودية على طريق الرملة ـ يافا ، واشعال النار فى مصنع للظروف قرب حيفا • وقد بلغ عدد القنابل التى القيت على الجنود البريطانيين ـ يوم الثالث من مايو (ايار) ١٩٣٦ ـ فى مدينة نابلس ـ وحدها ـ ١٥ قنبلة (٣) •

ومنذ اليوم التالى للاضراب ، سنت حكومة الانتداب قانونا تعسفيا اسمته (**قانون الطوارىء**] ، تضمن عقوبات بالغة القسوة ضد كل عربى يحمل سلاحا او يخرب أيا من ممتلكات الحكومة ، من طرق ، وخطوط حديدية ، واسلاك تليفون الخ •• كما منح (قانون الطوارىء) هذا حكومة الانتداب حق مصادرة ونسف اى منزل تشك فى انه كان مصدرا لاطلاق النار • ومع بدء العمليات المسلحة للثوار العرب ، اعلنت حكومة الانتداب ـ فى الثالث من مايو [أيار] ـ انها ستعين مجموعات من الشرطة فى كل قرية او مدينة يخل فيها النظام ، بحيث تتكفل القرية أو المدينة المعنية بمصاريف تلك المجموعات ، وما أن يدخل الاضراب يومه العشرين ، حتى يرتفع عدد **المعتقلين** العرب الى ستمائة ، عدا العشرات من القتلى والجرحى •

وتنتشر الاعمال الثورية ، ويطلق الثوار النار على المندوب السامى البريطانى ، فى الحادى عشرة من يونيه [حزيران] ١٩٣٦ ، ثم حاولوا اغتيال (سيكرست) مفتش شرطة القدس البريطانى •

وخاض الثوار معارك طاحنة مع الجنود الانجليز ساهمت فى بعضها الدبابات والطائرات الانجليزية ، كما شنوا هجماتهم على المستعمرات والسيارات اليهودية • وقد فقد اليهود والانجليز فى شهر يوليو (تموز) ١٩٣٦ ـ وحده ـ ٢٨ قتيلا وجريحا •

وتحاول السلطات البريطانية تجريد الثورة من جنودها ، فتلوح ـ فى منشوراتها ـ للفلاحين باعفائهم من الضرائب ، ومنحهم الاعانات ، ان هم تخلوا عن الثورة • ثم عمدت السلطات البريطانية الى اعتقال ونفى المئات من العرب ، وفرضت الغرامات الباهظة على القرى ، وهدمت احياء وقرى باكملها • وضاعفت قواتها المسلحة ، وعينت الجنرال **جون ديل** قائدا لها ، وعززت تلك القوات بالدبابات والطائرات •

---

[١] [فلسطين بين مخالب الاستعمار] ـ صادق سعد ص ٩٤

[٢] [جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن] ـ صالح مسعود ابونصير ص ١٨٦ ، ١٨٧

[٣] المصدر السابق ص ١٨٦ •

أما الشعب فقد استقبل الثورة بحماس شديد ، ورددت ارجاء فلسطين اصداء اغنية نوح ابراهيم :

صهيوني دبر حالك ، هجموا الثوار .

فيهم فوزي القاوقجي البطل المغوار .

وواضح ان الشعب يفتخر بالثورة ، ويحتفي — بهذه الاغنية — بفوزي القاوقجي ، ابن طرابلس الشام ، الذي دخل فلسطين على رأس ٥٠٠ مجاهد عراقي .

وسارت الثورة المسلحة في اتجاه التأطير، اذ سرعان ما تشكلت — في الريف والجبال — **الفصائل المسلحة** ، وابرزت المعركة القادة من الفلاحين ، الذين طالما عانوا من الاستغلال الطبقي من كبار الملاك ، والقهر الاستعماري ، حيث ضاعفت حكومة الانتداب الضرائب المفروضة على الفلاح ، وخفضت اسعار المحاصيل التي ينتجها ، ورفعت اسعار المواد التي يستهلكها ، كما قاسى الفلاحون الكثير نتيجة طرد اعداد هائلة منهم وبالجملة من تلك الاراضي التي كان الانتداب يسلمها لليهود ، او يبيعها الاقطاعيون العرب من غير الفلسطينيين لهم .

وفي الاشهر الاولى للثورة ، أصدرت حكومة الانتداب البريطاني بيانا رسميا ، كان بمثابة **تقييم بريطاني للثورة** ، ذكرت فيه ان الاضطرابات اتخذت في البداية «شكل اضراب عام ، اعلنته لجنة **من وجهاء العرب** » ، « ويرمي الى تحقيق مآرب لا تتفق والانتداب ، واستعملت — في مواصلته — وسائل هي بمثابة تحد مباشر للسلطة القائمة » و « اشتملت اعمال العصابات المسلحة على محاولات متكررة في شل وسائل المواصلات ، وقطع خطوط البرق والتليفون ، واخراج القطارات عن الخط ، وعلى محاولات لمنع حركة السير على الطرق العامة » ، ووقعت محاولات عديدة لاتلاف **خط انابيب البترول بين حيفا والعراق** » وتم « **اقفال ميناء يافا** اقفالا فعليا » وتنهي الحكومة بيانها بقولها : « وعلى كل حال ، وبالايجاز ، فقد أصبحت الحالة التي أوجدت في البلاد بمثابة **تحد مباشر لسلطة الحكومة** البريطانية في فلسطين » [٤] .

وتحركت عناصر الثورة المضادة في البلاد العربية ، بهدف تصفية الثورة الفلسطينية ..

الاحزاب الفلسطينية

تشكلت ، فيما بين عامي ١٩٣٠ و١٩٣٢ ، الاحزاب العربية الفلسطينية السته . وتألفت جبهة متحده من تلك الاحزاب عرفت باسم [اللجنة العربية العليا] ، ترأسها الحاج امين الحسيني رئيس المجلس الاسلامي الاعلى وشارك في عضويتها رؤساء الاحزاب السته وهم : جمال الحسيني [العربي] ، راغب النشاشيبي [الدفاع] ، حسين فخري الخالدي [الاصلاح] ، عبداللطيف صلاح [الكتلة الوطنية] ، يعقوب الغصين [الشباب] ، وعوني عبد الهادي [الاستقلال] . كما ضمت تلك اللجنة ثلاث شخصيات اخرى مستقلة هي : الفريدروك ، احمد حلمي عبد الباقي ، ويعقوب فرج .

وتميط الوثائق البريطانية اللثام عن محاولات تلك العناصر ، فتذكر : « .. وقد تقدم اصحاب النوايا الحسنة من الملوك والامراء العرب ، وذوي المقامات العالية في البلاد المجاورة ، فاعربوا — من حين لآخر — عن رغبتهم في **استعمال نفوذهم لمحاولة الوصول الى مسالمة** » [٥] .

ويحضر **نوري السعيد** — وكان وزيرا للخارجية العراقية آنذاك الى فلسطين في ٢٦ اغسطس (آب) ١٩٣٦ ، ويتفق مع « اللجنة العربية العليا » على وقف الاضراب ، مقابل منع الهجرة اليهودية مؤقتا ، وقيام « حكومة العراق بالسعي لدى بريطانيا لانجاز مطالب فلسطين المشروعة » و « تصفية الثورة على اساس : [أ] الغاء الغرامات [ب] وقف عمليات التفتيش [ج] اطلاق سراح المعتقلين [د] العفو العام عن المتهمين بحوادث الثورة » [٦] .

ويتفاقم الوضع ، ويتأزم موقف بريطانيا في فلسطين ، ويسارع اصدقاؤها من الحكام العرب — آنئذ — الى تكسير الاضراب ، فيدعون — في ٩ اكتوبر [تشرين اول] ١٩٣٦ — « ابناءهم » [!] عرب فلسطين « للاخلاد الى السكينة ، حقنا للدماء ، معتمدين على حسن نوايا

---

[٤] [فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية] — عيسى السفرى
[٥] من قرار تكليف لجنة التحقيق الملكية البريطانية لسنة ١٩٣٦ — المصدر السابق ص ٣٩ .
[٦] [الثورة العربية الكبرى في فلسطين] صبحي ياسين ص ٥١ عن بيان الهيئة العربية العليا الذي اصدرته في اعقاب محادثاتها مع نوري السعيد في ٢١ اغسطس [آب] ١٩٣٦ .

صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل » ! !

وتستجيب « اللجنة العربية العليا » لنداء الحكام العرب هذا ، وتدعو الشعب ـ فى بيان اصدرته فى ١١ اكتوبر [تشرين اول] ١٩٣٦ ـ الى انهاء الاضراب ، ولم تنس اللجنة ان تطلب من « افراد الامة الكريمة » التبكير الى « معابدهم لاقامة الصلاة على ارواح الشهداء » [٧] ! ! والذين كان عددهم قد بلغ ١٩٢ شهيدا .

وانهى الاضراب الذى دام ستة اشهر بدون انقطاع (من ١٩ ابريل ـ ١٢ أكتوبر ١٩٣٦) وشاركت فيه كل طبقات الشعب الفلسطينى وفئاته، من الطلبة والمدرسين ، وأصحاب المهن الحرة من اطباء ومهندسين ومحامين وصيادلة ، الى الباعة والكناسين، وحتى الشرطة والمساجين. أما الموظفون فقد أعلنوا الاضراب ليوم واحد ، بعد أن تقاضوا مرتباتهم فى اول مايو (آيار) وتقدموا بمذكرة طالبوا فيها حكومة الانتداب بزيادة مرتباتهم ! !

وما أن انهى الاضراب ، حتى أقدمت حكومة الانتداب على منح ١٨٠٠ يهودى شهادة هجرة الى فلسطين ، كما نفذت الاعدام فى عدد من الشباب العرب ، فتحرك الشعب ، وحاولت « اللجنة العربية العليا » مقاطعة لجنة التحقيق الملكية البريطانية ، والعودة الى العنف ، الا ان سفنها كانت قد احرقت ، بقبولها بيان الحكام العرب فى اكتوبر ، فلم تجد بدا من لقاء « **لجنة بيل** » الملكية ، والتى جاءت الى فلسطين للتحقيق فى ظلامات العرب ، وتقترح تلك اللجنة على الحكومة البريطانية ـ فى بيانها الذى نشر فى ٧ يوليو (تموز) ١٩٣٧ ـ **تقسيم فلسطين بين العرب واليهود** .

تجـدد الثورة

لم يستمر الهدوء فى البـلاد الا زهاء اربعـة اشهر ، عاد العرب بعدها الى السلاح ، وتجددت المعارك . ويغتال الثوار ، فى العشرين من ابريل (نيسان) ١٩٣٧ مساعد مدير البوليس بحيفا العميل «**حليم بسطا**» ، وفى الثالث والعشرين من اغسطس (آب) يقتلون « **موفات** » حاكم لواء جنين البريطانى . وفى ٢٦ سبتمبر (ايلول) من السنة نفسها يقتلون حاكم لواء الجليل « **مستر اندروز** » .

وعمدت حكومة الانتداب ـ فيما بين سبتمبر واكتوبر ١٩٣٧ ـ الى تغيير تكتيكاتها القمعية فى اتجاه التصعيد ، فأمرت بحل (الهيئة العـربية العليا) ونفت قادتها الى سيشل وروديسيا ، كما حلت اللجان القومية ، واعتقلت معظم اعضائها ، وعزلت رئيس المجلس الاعلى الحاج امين الحسينى، الذى فر بدوره الى لبنان ، وعززت الحكومة البريطانية قواتها المسلحة حتى وصلت الى ٣٩ الف جندى ، بالاضافة الى ٢٠ الف شرطى ، **و١٨ الفا من اليهود** المسلحين من حرس المستعمرات . وعينت (**الجنرال ويفل**) قائدا لتلك القوات . وفى الثامن عشر من اكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٧ **فرضت حكومة الانتداب الحكم العسكرى** ، واجازت للمحاكم العسكرية اصدار أحكام بالاعدام ضد كل من يحمل ولو طلقة واحدة من العرب . . .

واعلنت حكومة الانتداب ، انه فى خلال عام ١٩٣٧ **قتل مائة** من الجنود ورجـال الادارة الانجليز . وفى ديسمبر (كانون اول) ١٩٣٧ ، وتحت ضغط المقاومة العربية المجيدة ، اعلنت حكومة صاحب الجلالة سحب مشروع التقسيم ، فى محاولة منها لتجنب نقمة الجماهير وتجميع الثورة .

أما الثورة فلم تعر اعلان الحكومة هذا أدنى اهتمام ، وواصلت تقدمها . وتتصاعد الثورة ، وتتمكن قوات الثوار ـ فيما بين مـايو (ايار) واكتوبر (تشرين اول) ١٩٣٨ ـ من احتلال مدن الخليل وبئر السبع وطبريا ونابلس ، والاستيلاء على اموال الادارة والبنوك الانجليـزية ، وكذا اخلاء سبيل المعتقلين والمسجونين فيها . كما استولى الثوار ـ فى سبتمبر (ايلول) من السنة ذاتها ـ على اموال جمرك ميناء يافا .

ويروى الدكتور **يوسف هيكل** فى كتابه (القضية الفلسطينية] ، ان داورية من الجنود الانجليز كانت تجوب قرى الشمال ، حين فوجئت برأس انسان يطل عليها من وراء شجرة صغيرة ، فعاجله الجنود برصاصهم ، ثم هرعوا الى حيث يختفى ليجدوا امامهم جثة لغلام لا يتجـاوز العاشرة يسبح فى بركة من الدماء ، وقد قلب على رأسه طبقا من الزنك فى شكل خوذة ، وعلق على كتفه عصا على هيئة بندقية . وتكشف تلك الواقعة عن مدى الذعر الذى اصاب الجنود الانجليز ، وعن ان نبض الثورة كان قد وصل حتى للاطفال .

---

[٧] . جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن] ص ٢٠٩ .

ومن الوقائع الطريفة التى لا تخلو من الدلالات فى هذا المجال، حيث كان الثوار العرب يميلون الى ارتداء الكوفية والعقال ، لاخفاء ملامحهم عند التلثم بها ، وحدث أن اخذ الانجليز فى القاء القبض على كل من يرتدى الكوفية والعقال ، وعندما وصلت الامور الى هذا الحد ، طالبت اذاعة الثورة الجماهير العربية بارتداء الكوفية والعقال ، وفى اليوم التالى لاذاعة بيان الثورة هذا ، كان كل سكان فلسطين يرتدون الكوفية والعقال ، حماية للثوار واعرابا عن تأييد الجماهير المطلق لهم . ولم تشمل تلك الحركة عرب فلسطين ، بل شاركهم أيضا بعض رجال الادارة الانجليز !!

وفى مايو (ايار) ١٩٣٨ جرى تعزيز القوات البريطانية فى فلسطين بثلاثة آلاف جندى ، وأخضعت الحكومة الشرطة لقيادة الجيش . وتوسعت فى عمليات الاعتقال ، حتى انها اعتقلت فى الاسبوع الاخير من أكتوبر ١٩٣٨ ـ وحده ـ ٧٥٧ عربيا .

وفى السابع عشر من ابريل (نيسان) ١٩٣٨ ، تصل الى البلاد « لجنة وودهيد » البريطانية الفنية ، لمتابعة توصيات لجنة بيل الخاصة بتقسيم البلاد . ويستقبلها العرب بالاضراب العام « فليس فى الوطن العربى اقسام للمنح » (٨) ، ويقاطع العرب تلك اللجنة ، وها هى اللجنة توحد فى تقريرها الذى رفعته الى حكومة صاحب الجلالة انه « لم يتقدم لنا اى شخص عربى لاداء الشهادة » . كما أن احد اعضاء تلك اللجنة وهو « المستر ريد » يعترف فى مذكرته المرفقة بتقرير اللجنة « ان اعلان سياسة التقسيم قد حول الاضطرابات فى فلسطين الى ثورة عربية قومية » [٩] . ولم يقرر ريد الا الحقيقة .. ذلك ان الفلسطينيين لم يكونوا وحدهم ، اذ سرعان ما حمل السلاح معهم العديد من ابناء سوريا والعراق والاردن ولبنان ومصر .. فهذا الشيخ محمد الاشمر يتسلل الى البلاد على راس مجموعة من السوريين ، ومثله يفعل سعيد العاص الذى لعب دورا كبيرا فى تنظيم الثورة بمنطقة القدس .. وفوزى القاوقجى الذى شارك فى المرحلة الاولى للثورة .. والشيخ محمد حنفى احمد (مصر) الذى ذاع صيته من خلال اشتراكه فى انتفاضة ١٩٣٥ ، وثورة ١٩٣٦ .. كما ان الملك غازى بن فيصل يمد يد المساعدة للثورة بالمال والسلاح ، ويقيم لها محطة اذاعة فى قصره ببغداد ـ وهذه عمان ودمشق وبيروت وبغداد تعلن الاضراب اكثر من مرة ، وتنظيم المظاهرات العديدة ، مؤازرة منها لشعب فلسطين فى ثورته .

وتصدر الحكومة البريطانية بيانا ـ فى اوائل نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٣٨ ـ تعلن فيه عدولها رسميا عن التقسيم ، وتوجه الدعوة الى الدول العربية ، وعرب فلسطين ، والوكالة اليهودية ، لحضور اجتماع فى لندن مع الحكومة البريطانية .

ثم تطلق سراح الزعماء العرب المنفيين فى سيشل وروديسيا ، فى السابع من ديسمبر (كانون اول) ١٩٣٨ .

وبدات جلسات مؤتمر لندن ، فى السابع من فبراير (شباط) ١٩٣٩ ، بحضور الوفود المدعوة كلها . الا ان المؤتمر سرعان ما يفشل لتمسك بريطانيا بوجهة نظرها .

وتستمر القوات البريطانية ـ قبل واثناء ، وبعد مؤتمر لندن ـ فى ملاحقة الثوار ، ونسف المنازل ، واعتقال « المشبوهين » ، واعدام حملة السلاح من العرب . كما تواصل القيادة العسكرية للثورة عملياتها العسكرية غير آبهة بما يجرى فى الكواليس من مناورات . ويخوض الثوار ـ خلال يناير ١٩٣٩، فقط ـ ٥٤ معركة كبيرة ضد الانجليز واليهود ، اسفرت عن مقتل ٢٢٠ من الانجليز واليهود والعرب . وهذا وزير المستعمرات البريطانى يؤكد ـ يوم ٢٨ فبراير (شباط) ١٩٣٩ فى مجلس العموم انه « فى المدة من ٢٠ ديسمبر (كانون أول) الى ٢٠ فبراير (شباط) حدثت ٣٤٨ حادث اغتيال و١٤٠ حادث تخريب و١٩٠ حادثة خطف و٢٣ حادثة سطو ، وانفجرت ٩ الغام و٣٢ قنبلة» وخسر الانجليز فى نفس المدة « ١٨ قتيلا و٣٩ جريحا » (١٠) .

وعندما لاحت سحب الحرب العالمية الثانية فى الافق ، تظاهرت الحكومة البريطانية بقبول مطالب العرب ، وأصدرت فى ١٧ مايو (آيار) ١٩٣٩ الكتاب الابيض ، الذى تضمن وعدا بمنح فلسطين الاستقلال بعد عشر سنوات « وايقاف الهجرة

---

[٨] من بيان الهيئة العربية العليا الذى اصدرته بمناسبة وصول لجنة وودهيد ـ المصدر السابق ، ص ٢٤٩.

[٩] [القضية الفلسطينية] ـ اكرم زعيتر ص ١٢٩ .

[١٠] الاهرام ١ مارس ، اذار ، ١٩٣٩ .

اليهودية بعد خمس سنوات » وتقييد انتقال الاراضى لليهود ».

وعندئذ بدأت المنظمات اليهودية فى ممارسة ارهابها ضد الانجليز فى البداية ، ثم سرعان ما تحولت الى العرب ، بدعوى ان « ماحققته الثورة العربية يجب ان تزيله الثورة اليهودية » .

وتكالبت كل من السلطات **البريطانية** ، والعصابات **الصهيونية** ، وعناصر **الثورة المضادة** على الثورة ، التى انهكتها جسامة التضحيات ، وزاد من ترنحها **استشهاد القائد العام للثورة عبد الرحيم الحاج محمد** فى ٢٧ مارس [اذار] ١٩٣٩ .

وشددت السلطات البريطانية النكير على الجماهير العربية ، ففتشت عشرات الاحياء والقرى ، ثم فرضت على اهل القرى تقديم كميات معينه من الاسلحة النارية والبنادق والمسدسات ، وامهلتهم مددا قصيرة والا نسفت سائر بيوتهم ودمرت قراهم (١.١)، كما اصدرت المحاكم العسكرية العديد من احكام الاعدام ضد العرب .

أما الثورة المضادة والمتمثلة فى عناصر حزب الدفاع ، فقد شكلت عصابات اجرامية اسمتها **فصائل السلام** ، وقامت تلك العصابات ببعض الاعمال البشعة ونسبتها للثورة بهدف تشويهها وتنفير الجماهير منها ، ثم بدأت تلك الفصائل فى فرض الاتاوات على الفلاحين وملاحقة واغتيال الثوار .

وكان حزب الدفاع قد انكفأ على نفسه ، فانسحب ـ عند تجدد الثورة ـ من اللجنة العربية العليا ، ليحتل موقعه الطبيعى على رأس معسكر الثورة المضادة . وقد لعبت خصومه آل النشاشيبى (قادة هذا الحزب) لآل الحسينى (قادة الحزب العربى) أكثر مما لعب موقعهم الطبقى فى دفعهم الى أحضان الاستعمار .

وقد كان خروج حزب الدفاع من الثورة بمثابة دفعة لها . وساعد خروجه على اتخاذ مواقف أكثر ثورية ضد الاستعمار والصهيونية ، كما أدى الى الحد من ذبذبة القيادة .

وما أن يهل شهر سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩ ، حتى تكون اصداء الثورة قد بحت ، واخذ الاتجاه الى القبول بالكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ ينمو فى صفوف العرب .

لجان التحقيق :

دابت الحكومة البريطانية على ارسال لجان تحقيق ملكية الى فلسطين فى اعقاب نشوب اضطرابات فيها ، بزعم النظر فى ظلامات شعب فلسطين .

وقد اوفدت الحكومة البريطانية الى فلسطين ـ طوال فترة انتدابها تسع لجان تحقيق ، واعتمدت فى لجنة عاشرة قاضى قضاة فلسطين [هايكرافت] لرئاسة اللجنة الاولى والتى عرفت باسمه . وقد باشرت تلك اللجنة اعمالها فى اعقاب هبة الشعب الفلسطينى الثانية فى مطلع عام ١٩٢١ .

ونسبة الى [لوردبيل] سميت اللجنة رقم ٨ التى حققت فى اسباب ثورة ١٩٣٦ . وكانت قد وصلت الى البلاد ، فى اعقاب انهاء الاضراب .

وكانت اللجنة التالية للجنة بيل برئاسة [السير جون وودهيد] ، وكانت لجنة فنية مهمتها متابعة توصيات لجنة بيل الخاصة بالتقسيم . وقد وصلت الى فلسطين فى ١٧ ابريل [نيسان] ١٩٣٨ . وقد اجرت تلك اللجنة تعديلا على مشروع التقسيم التى كانت لجنة بيل قد اقترحته .

طبيعة الثورة

ثورة ١٩٣٦ **ثورة وطنية ديمقراطية** ، ويتضح هذا من اهدافها ، والطبقات التى شاركت فيها فاهدافها ـ التى صاغتها اللجنة العربية العليا فى شكل مطالب ثلاثة وقدمتها للمندوب السامى عشية الثورة ـ هى :

- ايقاف الهجرة اليهودية .
- منع انتقال الارض الى اليهود .
- انشاء حكومة وطنية نيابية .

وقد قامت الثورة على تحالف الطبقات الوطنية ، المعادية للاستعمار والصهيونية ، وهى : المثقفون والعمال والفلاحون ، وقد مثلت تلك الطبقات

---

(١١) المؤامرة الكبرى لاغتيال فلسطين ومحق العرب ـ اميل الغورى ص ١٠٣ .

بدرجات متفاوتة فى الثورة ، وتباينت أحجام مساهماتها بما يوازى ثقل كل منها .

١ ــ المثقفون :

كان المثقفون هم الطبقة السائدة فى قيادة الثورة ، مما طبع الثورة بالطابع البورجوازى ، اذ كان المثقفون جزءا من الطبقة البورجوازية ، لان سياسة الانتداب التعليمية جعلت التعليم محصورا بين أبناء الفئات العليا من البورجوازية المتوسطة فى الريف والمدينة ، اولئك القادرون على دفع نفقات التعليم الباهظة .

وقد كان العمال وفقراء الفلاحين أعجز ــ والحال كذلك ــ من أن يعلموا أبناءهم . ومع ذلك فقد افلت من الحصار بعض ابناء البورجوازية الصغيرة ، وخاصة فى الريف ، وتسللوا الى الازهر مستغلين انخفاض تكاليف التعليم فيه .

ولقد كان أبناء كبار الملاك يسافرون الى أوروبا لتلقى العلم ، ثم يعودون منها وقد تشبعوا بالافكار البورجوازية الديمقراطية ، مما يحفزهم الى المطالبة بالحكم ، حيث يتصورون أنهم أصبحوا أهلا له .

وقد ادى ملء الوظائف العليا والمتوسطة بالانجليز واليهود الى تذمر وسخط تلك الطبقة . ومن جدول تقدم به المندوب السامى البريطانى **للجنة هايكرافت** ، يتضح لنا ان الانجليز كانوا يحتلون ــ حتى أغسطس (آب) ١٩٢١ ــ ١٢ وظيفة عليا ، واليهود ٣ وظائف عليا ، فى حين حرم العرب من أية وظيفة عليا .. أما بقية الوظائف ، فقد خص الانجليز منها خمس وظائف ، ونال اليهود ٤١ منها ، فى حين لم ينل العرب الا ١٦ وظيفة فقط . هذا فى الوقت الذى كانت فيه نسبة اليهود الى السكان العرب هى ١ : ٧ . (١٢)

وقد ساهم المثقفون فى اثارة وتحريض الجماهير بالخطب والمقالات ، مما أسهم ــ بشكل فعال ــ فى تنوير الرأى العام العربى الفلسطينى . ومن المعروف أن المثقفين يشملون الفئات الثلاث التالية : الطلبة .. ذوى المهن الحرة .. والموظفين .

اما **الطلبة** ، فهم جنود العمل السياسى فى الثورة ، منظمو المظاهرات والندوات والمؤتمرات . وكانت مدارسهم تجمعات جماهيرية للبورجوازية المتوسطة ، وظلوا ــ بالاضافة الى المدرسين ــ مستمرين فى اضرابهم منذ اليوم الاول لاعلان الاضراب حتى يومه الاخير . ومن **ذوى المهن الحرة** كانت تتشكل القيادات السياسية للثورة . فى حين اكتفى **الموظفون** بتقديم مذكرة طالبوا فيها بزيادة مرتباتهم ، ثم أعلنوا الاضراب فى أوائل مايو (أيار) بعد أن كانوا قد تقاضوا رواتبهم . والضحالة الثورية التى يعانى منها الموظفون ــ دائما ــ انما مصدرها وضعهم الاقتصادى ، حيث يرتبطون بخزينة السلطة أكثر من ارتباطهم بشىء آخر !

٢ ــ العمال :

كانت الصناعة العربية تتقدم بخطى جنائزية ، وبالمثل كان نمو الطبقة العاملة العربية فى فلسطين .

وكان التناقض الوطنى مع الاستعمار ، هو الذى يحكم حركة العمال ، فى حين تراجع التناقض مع الرأسماليين العرب الى مرتبة التناقض الثانوى . ونتيجة لضعفها ، وعدم نضوجها ، وافتقارها الى الخبرة والتقاليد العمالية والتنظيم ، وبسبب القهر الاستعمارى ، لكل هذا لم تستطع الطبقة العاملة أن تلعب ــ كطبقة ــ دورا بارزا فى الثورة .

٣ ــ الفلاحون :

كان الفلاحون هم سداة ولحمة الثورة المسلحة . وضاعف من ثوريتهم مالاقوه من استغلال وقهر . وليس غريبا ــ والامر كذلك ــ أن ينجب الريف الفلسطينى خيرة المناضلين ، والذين كانو ــ بحق ــ **القيادة الفعلية للثورة** ، قيادة الكفاح المسلح . فى حين لم تكن اللجنة العربية العليا **الا القيادة الواجهة** .

وباستقراء المنشور الذى كانت قد أصدرته ــ ابان الثورة ــ حكومة الانتداب ، والذى وعدت فيه بمكافآت مالية ضخمة لمن يرشد عن القادة العسكريين للثورة ، سنجد أنه قد تضمن أسماء ٢١ قائدا بينهم ١٧ فلاحا .

---

[١٢] [الثورة العربية الكبرى] ــ امين السعيد ص ٩٢ ، ٩٣ جـ ٢ .

هذا بالاضافة الى ان القائد العام للثورة انمـا اتى من اعمـاق الريف الفلسـطينى ، مـن قريه (ذنابة) شرقى طولكرم .

خبرات الثورة

● اعترى قيادة الحركة الوطنية ـ ابان ثورة ١٩٣٦ ـ مايعترى ـ عادة ـ حركات التحرر التى رزئت بقيادات بورجوازية او شبه اقطاعية ، فهذه القيادات هى ـ دائما ـ الوتر المتراخى فى قيثارة الثورة .. وعيوبها الرئيسية تتمثل فى **التردد ، والخوف من حركة الجماهير** .

وهذا الحاج أمين الحسينى يرجع ثـورة ١٩٣٦ ـ فى خطاب ألقاه فى المؤتمر العام للجان القومية فى ٧ مايو (أيار) ١٩٣٦ ـ الى « أن العرب لم يعودوا يثقون فى الانجليز » (١٣) .

وحين يريد ان يقيم سياسة حكومة الانتداب ، يقول امين الحسينى فى شهادته أمام لجنة بيل فى ١٢ يناير (كانون ثانى) ١٩٣٧ : « ان الاصرار على هذه السياسة ليس فى مصلحة أحد ، وأن مما يؤلم العرب كثيرا ان يروا الحكومة الممعنة فى ظلمهم ، والاجحاف بحقـوقهم وتعـريض كيانهم القومى للاضمحلال ، وهى تخضع للمطـامع اليهودية » وفى ختام شهادته يقترح رئيس اللجنة العربية العليا على لجنة بيل عقد « **معاهدة بين بريطانيا وفلسطين** » (١٤) .

ولم يكن هذا هو موقف أمين الحسينى وحده ، **فعونى عبد الهادى** يطالب فى شهادته أمام نفس اللجنة بـ « الغاء الانتداب وأن تحل محلـه معاهدة» (١٥) . كمايؤكد [الاب جريجورى] فى تخاذل واضح للجنة بيل « أن **العرب** برهنوا فى الحرب العامة وما بعدها الى اليوم على أنهم **أصدقاء بريطانيا** » (١٦) .

ويجد اهتزاز قيادة الحركة الوطنية أصدق تمثيل له فى قبول اللجنة العربية العليا وقف الاضراب فى أكتوبر ١٩٣٦ .. وفى انزلاقها الى مائدة المفاوضاتفيما عرف بمؤتمر لندن ، مما أدى الى سيادة البلبلة الفكرية فى أوساط الجماهير ، وبالتالى اصابة صفوف الثـورة بـالخلخلة والتصدع .

ولم تنفرد (الهيئة العربية العليا) بـاتخاذ المواقف المهتزة تلك ، بل شاركتها ـ أيضا ـ **قيادة الحرس الوطنى** ، حيث تخاطب فى بيانها الاول السلطات البريطانية ، فتقول : « لامهادنة بيننـا وبينكم حتى تجاب مطالبنا الحقة » ، ثم تعود فى نفس البيان لتقرير « ان يدنا مبسوطة للسلام والخصام » ، ثم تستدير عن الجملة الاولى مائة وثمانين درجة ، لتؤكد للانجليز « اننـا لانهـدد قواتكم الهائلة » (١٧) .

أما الخوف من حركة الجماهير فيتمثل فى اهمال **تعبئة وتنظيم وتسليح الجماهير** ، فالاحزاب لم تكن الا هياكل علوية ، وتجمعات عصبية . فقد تم تسليح الجماهير ذاتيا ، بدون تدخل الهيئة العربية ، ووصل الامر بالفلاح أن يبيع كل مايمتلكه من أجل شراء بندقية .

وخلاصة القول ان ثورة ١٩٣٦ كانت **تفتقر الى القيادة الثوريه** .. وأن قيادتها طالما تـلاعبت بالثورة ، وأدارت ظهرها لتعبئة وتنظيم وتسليح الجماهير .

● واذا كانت قوات الثورة قد خضعت ـ فى البداية ـ لقيادة مركزية واحدة ، فأنها سرعان مانعدم انضباطها ، فلم تعد تستجيب لاوامـر القيادة العامة للثورة ، بل وصل الامر الى انعدام التنسيق ، ليس بين قادة المناطق فحسب ، بل وبين قادة الفصائل أيضا .

● وقد ساد الثورة غموض فكرى ، فلا **تحديد لاى من معسكر الثورة او معسكر الاعـداء** ، والضباب يلف أهداف الثورة مما أدى الى تخبط الثورة فى مواقفها ، **لافتقارها الى برنامج سياسى واضح** .

● وقد تجاهلت قيادة الحركة الوطنية ضرورة

---

[١٣] [جهاد شعب فلسطين خلالنصف قرن] ص ١٨٤ .
[١٤] المصدر السابق ص ٢١٢ ، ٢١٣ .
[١٥] [فلسـطين بين مخـالبالاستعمار] ص ٩٠ .
[١٦] المصدر السابق ص ٩١ .
[١٧] [فلسـطين العـربية بينالانتداب والصهيونية] ص ٨٢

الاستجابة للمرحلة النضالية الجديدة ، تلك التى **تتطلب برنامجا اجتماعيا** •

● وصدرت بعض مواقف قيادة الثورة عن **تقديرات ذاتية** ، وعن **تبسيط للامور** طالما اضر بها .. فهى **تتعاون مع النازى** على اعتبار أن عدو عدونا لابد وان يكون حليفنا . ولم تع تلك القيادة درس الثورة العربية ضد الاتراك ابان الحرب العالمية الاولى ، والتى تحالفت فيه الثورة آنذاك مع الاستعمار البريطانى المعادى للدولة العثمانية . وان الاستعمار البريطانى ، برغم عدائه للدولة العثمانية الا أنه كان أيضا عدوا لدودا للثورة العربية • فمن الخطأ أن نكون ألعوبة فى أيدى أعدائنا ، نحالف من يعادون ونعادى من يحالفون ، ونرفض مايقبلون ، ونقبل مايرفضون •

● كما انزلقت الثورة الى ممارسة **الاغتيال السياسى** ، وكان الاغتيال سلاحا ذو حدين ، اذ سرعان ماتلقفته الثورة المضادة ، وأخذت عناصرها فى اغتيال العناصر الوطنية ، وكانت فى حين تلصق تلك الاعمال بالثورة ، ممادى الى عزل **الثورة جماهيريا** ، وبالتالى سهل القضاء عليها •

● كماوقعت الثورة فى خطأ استراتيجى جسيم فى المجال العسكرى ، اذ كانت تخوض مع الجنود الانجليز معارك مواجهة ، مما أعطى القوات البريطانية الفرصة لاستخدام طائراتهم ودباباتهم ضد الثوار ، الذين كانوا قليلى الخبرة ، ضعيفى التسليح والتدريب •

● وكان الدرس الهام الاخير الذى خلفته لنا ثورة ١٩٣٦ المجيدة هو : ضرورة **التحالف مع القوى الوطنية العربية والعالمية، وذلك بالتلاحم مع يسارها ، وتحييد وسطها ، والحذر من يمينها .**

وبعـــد ...

كان يمكن لثورة ١٩٣٦ المجيدة ان تنتصر ، لولا عيوبها الذاتية الخطيرة ، ولولا ميل ميزان القوى ـ محليا وعالميا آنذاك ـ لصالح الاستعمار • ويبقى أن نتمثل خبرات تلك الثورة وأن نستخلص منها الدروس ، بما يدفع ثورتنا الحالية خطوات واسعة فى طريق التحرير وبناء فلسطين الجديدة •



الابعاد الجديدة للصراعات

بين الدول الرأسمالية

وديع وهيب

عندما اعلنت الحكومة الفرنسية قرارها بمنع توريد السلاح لاسرائيل ، مع كل ما كان لهذا القرار من نتائج موضوعية ممتازة ، لم يخف المراقبون ان القرار كان « ضربة معلم » يلاحق بها الجنرال ديجول السياسة الامريكية فى منطقة جد حساسة من مناطق التوتر فى العالم ·

وعندما أقدمت المانيا الغربية على انتهاك اتفاقيات بوتسدام والاصرار على اجرائها الاستفزازى ضد جمهورية الالمانيا الديمقراطية بعقد انتخابات الرياسة لها فى برلين الغربية لم تخف الصحافة الغربية ضيقها من انفراد المانيا الغربية باتخاذ القرار وفرضها له على حليفاتها من دول حلف الاطلنطى ·

واينما وجهنا النظر فى المجالات السياسية والاقتصادية للدول الغربيه الكبرى ستبرز تلك التناقضات التى تعكس فى الاساس بناء اقتصاديا متنافسا ومتناقضا للدول الرأسمالية المختلفة · لقد ولدت هذه التناقضات مع نشأة الرأسمالية نظرا للنمو غير المتكافىء للبلدان الرأسمالية ثم تعمقت مع تطور الرأسمالية وبلوغها مرحلة الاحتكار والامبريالية · وليس الهدف هنا تقديم عرض مفصل للنمو غير المتكافىء للرأسمالية وكيف يعمل فى مرحلة الامبريالية بل هو أبراز الابعاد الجديدة والسمات الخاصة لتناقضات الدول الرأسمالية فى عالمنا المعاصر مع تعمق الازمة العامة للرأسمالية وتفجر الثورة التكنولوجية ، وبعد مضى أكثر من خمسة وعشرين عاما على الحرب العالمية الثانية التى اشعلت فتيلها هذه التناقضات ذاتها · خاصة وأن الدبلوماسية العربية تبذل جهودا كبيرة للاستفادة من هذه التناقضات لصالح القضية العربية ·

وكان من شأن تقلص السوق الرأسمالي العالمى من جراء بزوغ مجموعة الدول الاشتراكية التى انتزعت من أيدى الرأسمالية العالمية فيما بعد الحرب ٢٦ فى المائة من مساحة اليابس و ٣٦ فى المائة من سكانها وحوالى ٣٨ فى المائة من الانتاج العالمى ، ومن جراء مواقف حركة التحرر الوطنى الرامية الى التخلص من التبعية الاقتصادية للدول الرأسماليه الكبرى ، كان من شأن ذلك أن يزيد من حدة الصراع بين الاقتصاديات الرأسمالية المتنافسة بقدر ماتضيق الحلبة التى تتصارع فيها ·

ولكن الوضعية التى خرجت بها الولايات المتحدة أعطتها تفوقا هائلا على الدول الرأسمالية الاوربية المنهزمة والمنتصرة على السواء ، والتى خرجت من الحرب بأوضاع اقتصادية منهكة ٠

لقد « خرجت الولايات المتحدة من الحرب بخسائر بشرية محدودة ولم تصب مواردها بأى خسارة بل زاد انتاجها خلال سنوات الحرب بنسبة ٢٠٠ فى المائة واستأثرت بـ ٥٤ فى المائة من الانتاج الرأسمالى العالمى فى عام ١٩٤٨ ٠ وقفز الاسطول التجارى الامريكى الى المحل الاول منتزعا من بريطانيا السيادة على البحار ، كما تراكم لديها ٧٥ فى المائة من احتياطى الذهب فى العالم ، وغدا نصيب الصادرات الامريكية من اجمالى الصادرات العالمية حوالى ٢٥ فى المائة ، كما انفردت عسكريا باحتكار انتاج القنبلة الذرية وفى هذه الظروف وتحت اغرائها رسمت واشنطن استراتيجيتها فى « السيطرة العالمية » ، واندفعت لتحقيقها مجلية حلفاءها الاوربيين من معظم مراكزهم الهامة فى السوق الرأسمالى العالمى ، بل ومكتلة لهم تحت سيطرتها ضد المعسكر الاشتراكى وحركة التحرر الوطنى من اجل مزيد من تحقيق سيطرتها العالمية ٠ وفى هذه الظروف أسست الرأسمالية الامريكية امبراطوريتها المالية المترامية الاطراف ٠

جدول رقم [١]
تطور نصيب الدول الرأسمالية الكبرى من الانتاج الرأسمالى العالمى

	الولايات المتحدة	المانيا	فرنسا	بريطانيا	اليابان
١٨٧٠	٢٣	١٣	١٠	٣٢	—
١٩١٣	٣٦	١٦	٦	١٤	١
١٩٢٠	٤٧	٩	٥	١٤	٣
١٩٣٧	٤٢	١٢	٥	١١	٣
١٩٤٨	٥٤	٤ (١)	٤	١١	١
١٩٦٥	٤٥	٩ (١)	٥	٨	٦

لكن السنوات التى انقضت منذ الحرب أتت للرأسمالية الامريكية برياح مضادة فتبين أرقام الجدول رقم ٥ هبوط مركز الولايات المتحدة الى ٤٥ فى المائة فقط من الانتاج الرأسمالى العالمى فى عام ١٩٦٥ ، وهبوط نصيبها من الصادرات العالمية من ٣٢ر٦ فى المائة فى ١٩٤٨ الى ١٦ر١ فى المائة فى عام ١٩٦٦ ، أما رصيدها من الذهب والذى بلغ فى عام ١٩٤٠ ماقيمته ٢٤ الف مليون دولار وأعطى لمصرفيى وول ستريت القدرة على فرض ارادتهم على كل الترتيبات المالية للرأسمالية الدولية ومن الاحتفاظ بأسعار الذهب عند مستوى أسعار عام ١٩٣٤ (٣٥ دولارا للاوقية) رغم وضوح الشواهد على انخفاض هذا السعر كثيرا عن القيمة التبادلية الحقيقية للذهب كسلعة ، وهو الاجراء الذى استهدف منه مصرفيو وول ستريت بخس قيمة مشتروات الرأسمالية الامريكية فى الدول الاخرى من املاك او قدرة عمل وفى نفس الوقت الذى رفع معدل أرباح الاحتكارات الامريكية التى تستثمر أموالها فى تلك البلدان ، تقول أن رصيدها الذهبى هذا قد انخفض فى أواخر ١٩٦٧ الى ماقيمته ١٢ ألف مليون دولار فقط ، ثم جاءت أزمة الدولار فى عام ١٩٥٨ لتطيح بصورة الدولار الامريكى الذى لايتزعزع ٠

جدول رقم [٢]
أنصبة الولايات المتحدة ودول السوق الاوربية المشتركة فى الانتاج الرأسمالى العالمى

	١٩٣٧	١٩٤٨	١٩٥٨	١٩٦٥
دول السوق الاوربية المشتركة	٢١	١٣	٢٠	٢٠
الولايات المتحدة الامريكية	٤٢	٥٤	—	٤٥

ومن جانب اخر كانت دول السوق الاوربية المشتركة تنمى نفسها بسرعة كما يبين الجدول رقم ٢ وتغير موازين القوى بينها وبين الولايات المتحدة بسرعة ، ولقد قفزت صادرات هذه الدول من ١٤ر٣ فى المائة من اجمالى الصادرات العالمية فى عام ١٩٤٨ الى ٣٠ فى المائة من الصادرات العالمية فى عام ١٩٦٦ ، كما نمت هذه الدول من أرصدتها على حساب الارصدة الامريكية ٠

لقد أطاحت التطورات الاقتصادية فى السنوات العشرين التى تلت الحرب العالمية الثانية بموازين القوى الاقتصادية النسبية الذى استقرت عليها مراكز الدول الرأسمالية المختلفة غداة الحرب العالمية الثانية ، ولذا فليس غريبا أن ترفض الدول الاوربية اليوم أن تقر للرأسمالية الامريكية ليوضع أكبر مما يمثله بالفعل وزنها الاقتصادى الحالى ٠

ويعترف **جون ديبولد** مستشار وزارة الخارجية الامريكية فى عددى يناير ومارس ١٩٦٨ من مجلة الشئون الدولية الامريكية بهذه الحقيقة بقوله « لسنا الان فى عام ١٩٤٧ عندما كانت أوروبا المحطمة شغوفة بتلقى التوجيهات الامريكية

(١) حتى يمكن المقارنة يعتبر نصيب المانيا الغربية هذا عبارة عن ٦٦٪ من اقتصاد المانيا ماقبل الحرب ٠

مقابل المساعدات المادية التى تقدم لها • واستخدام الاساليب القديمة للسنوات العشرين الماضية لن يجر سوى المشاعر المعادية للولايات المتحدة فى أوروبا • »

وهكذا ، فان مركز الولايات المتحدة الاقتصادى داخل العالم الرأسمالى ليس مركز ذلك العملاق الذى تحاول الدعاية الامريكية ابرازه أمام العالم أو على الاقل ليس هو المركز الذى كانت تشغله الرأسمالية الامريكية عندما وضعت استراتيجيتها فى السيطرة العالمية • واصرار الولايات المتحدة على الاحتفاظ بالمركز الذى احتلته غداة الحرب العالمية الثانية هو السبب الاساسى للتوتر داخل العالم الرأسمالى •

دور وحقيقة التفاوت المتزايد فى معدل النمو التكنولوجى

تنفخ أبواق الدعاية الامريكية بعنف فيما يطلق عليه بـ « الهوة التكنولوجية » بين الولايات المتحدة وأوروبا كمبرر لاستمرار احتلال الرأسمالية الامريكية لوضع لا يؤهلها له وزنها الاقتصادى •

فى المراحل السابقة منذ تطور الرأسمالية كانت التطورات العالمية تحمل معها تفجرا لافاق الثورة الصناعية ومساواة فى المستويات التكنولوجية بين البلدان المختلفة باستعارة المتخلفين للخبرة التكنيكية الحديثة من غيرهم من البلدان المتقدمة ، وهو مامكن بلدا مثل اليابان من أن تنمو بسرعة من دولة زراعية اقطاعية الى قوة صناعية امبريالية • وبدا للبعض فى ذلك الوقت أن هذا الاتجاه للتساوى فى المستويات التكنولوجية قد يؤدى الى التقليل من النمو غير المتكافىء بين البلدان الرأسمالية الاساسية الا أن الحربين العالميتين الاولى والثانية لم تؤكدا هذا التوقع بل ناقضته على طول الخط •

وبعد الحرب العالمية الثانية وما بدا عندئذ من أن التطورات التكنولوجية الحديثة بما تستلزمه من نفقات باهظة وبنيات اقتصادية ضخمة لم تعد فى متناول كل البلدان الرأسمالية على السواء انعكس الاتجاه نحو التساوى الى اتجاه نحو نمو غير متكافىء للمستويات التكنولوجية • ووجدت الرأسمالية الامريكية فى هذا الاتجاه فرصة لا تعوض لتضمن بها تفوقا مطلقا على النطاق العالمى وفى دخل العالم الرأسمالى •

لقد عملت على أن تنشىء لنفسها احتكارا عاليا « للادمغة » ، وفرضت بالقانون حجرا على تسرب المعلومات التكنولوجية ونتائج الابحاث الى غيرها من الدول ، بل وذهبت تسطو على نتائج الابحاث فى تلك الدول ، ولقد استطاعت بالفعل أن تحقق تقدما تكنولوجيا هائلا •

ومع أن التطورات التكنولوجية الامريكية فى بعض الحالات تمثل تحديا أمريكيا لاشك فيه للدول الاوربية فان خبراء بارزين فى أوروبا الغربية ينكرون الصورة الامريكية المقدمة عن الفروق فى المستويات التكنولوجية بين السلع الامريكية ومثيلتها الاوربية ويشيرون الى أن التفاوت الموجود بالفعل انما يقتصر أساسا فى مجال التكتيك العسكرى حيث تنفق الولايات المتحدة أربعة أضعاف ماتنفقه أوروبا الغربية على البحوث العسكرية ، بينما لايزيد ماتصرفه على البحوث فى المجالات المدنية عن ٥٠ فى المائة عما تنفقه أوروبا •

وعلى كل حال فان التطورات الاقتصادية قد أثبتت أنه مع هذا التفوق التكنولوجى للولايات المتحدة فى السنوات الاخيرة فان نسبتها من الانتاج الرأسمالى العالمى قد تدنت فى عام ١٩٦٥ الى نسبة قريبة من نصيبها فى عام ١٩٣٧ (٤٥ فى المائة ، ٤٢ فى المائة) ، لقد فشلت التكنولوجيا الامريكية المتفوقة فى أن تضمن للولايات المتحدة مركزا متزايد النمو داخل العالم الرأسمالى • بل لقد فشلت حتى فى أن تجمد موازين القوى داخل العالم الرأسمالى ، بل ان هذا التفوق دفع بالدول الاوربية الى التكتل لمواجهة الولايات المتحدة فى هذا المجال ، كما أدى احتكار الخبرة التكنولوجية من جانب المؤسسات بل والدول الامريكية الى احتكاكات متزايدة بين الدول الاوربية والولايات المتحدة •

وهكذا فان التطور التكنولوجى غير المتكافىء بين الدول الرأسمالية انما يعقد مشكلة التناقضات فيما بينها : ولا يحل هذه التناقضات لصالح سيطرة احداها بمركز مطلق على غيرها •

الولايات المتحدة الامريكية فى أوروبا الغربية

لم تقتصر الهجمة الامريكية على حلفائها الاوربيين على العمل على اجلائهم عن أسواق المستعمرات وعن مراكزهم فى السوق العالمى كما كان العهد أساسا فى الصراعات السابقة بين الدول الرأسمالية بل كانت السيطرة الامريكية على أوروبا الغربية جزءا أساسيا فى الاستراتيجية الامريكية للسيطرة العالمية • وكانت الاسلحة

الاساسية لعملية « الانزال الامريكية فى أوروبا » هى :

أولا : فرض نظام للنقد الدولى يلائم مصالحها ويتيح لها تمرير أزماتها على حساب حليفاتها وهو ما سبق أن أشرنا اليه ٠

ثانيا : تدفق الاستثمارات الامريكية الى البلدان الخام اللازمة للصناعة الاوربية وهنا تعطى لنا صورة البترول العربى مثالا نموذجيا حيث تسيطر الولايات المتحدة على مايقرب من ٧٠ فى المائة من استثمارات البترول العربى بينما كانت أوروبا هى المستهلكة لـ ٧٠ فى المائة من هذا الخام فى عام ١٩٦٧ ٠ فاذا لاحظنا أن البترول يمثل حوالى ٤٠ فى المائة من الطاقة الكلية المستخدمة فى غرب أوروبا لاتضح عنق الزجاجة الذى تجد الصناعة الاوربية نفسها فيه بازاء هذه السيطرة الاحتكارية الامريكية على موارد البترول العالمية ٠

ثالثا ، تدفق الاستثمارات الامريكية الى البلدان الأوربية والتى بلغت حتى عام ١٩٦٧ ١٤ مليار دولار ، حيث تشكل الشركات الامريكية الواحدة تلو الاخرى « **هيئات أركان** » لها فى بلدان أوروبا الغربية المختلفة مهمتها ترأس مجموع نشاطاتها فى كل أوروبا الغربية ٠

ولقد جاء فى تقرير وزارة التجارة الامريكية أن الاستثمارات المالية الامريكية الاجمالية فى عام ١٩٦٦ قد زادت بمعدل ١٧٪ فى المائة داخل الولايات المتحدة وبمعدل ٢١ فى المائة فى باقى أنحاء العالم وبمعدل ٤٠ فى المائة فى بلدان غرب أوروبا ٠

وفى عام ١٩٦٣ كانت الشركات الامريكية فى فرنسا مثلا تتحكم فى ٤٠ فى المائة من توزيع البترول ، ٦٥ فى المائة من انتاج الورق والافلام الحساسة و٦٥ فى المائة من انتاج المعدات الزراعية ، ٦٥ فى المائة من معدات الاتصال البعيدة و٤٥ فى المائة من المطاط الصناعى ٠ وتسيطر على نطاق أوروبا كلها على ١٥ فى المائة من انتاج سلع الاستهلاك (الراديو ... التليفزيون ... الخ) ، ٥٠ فى المائة من انتاج شبه الموصلات ، و٨٠ فى المائة من انتاج الحاسبات الاليكترونية ٠

ولا يقتصر الامر على ماتمارسه هذه الشركات الامريكية من استغلال لليد العاملة الاوروبية الارخص نسبيا ومن استغلال للمرافق التى يتم انشاؤها على حساب دافع الضرائب الاوروبى فحسب ، بل ان هذه الاستثمارات الامريكية يتم تمويلها فى الاساس بموارد أوروبية ، فمن بين الاربعة مليارات دولار التى استثمرتها الشركات الامريكية فى أوروبا الغربية فى عام ١٩٦٥ كانت ٥٥ فى المائة منها ممولة عن طريق قروض من بنوك الاصدار الاوربية و٣٥ فى المائة ممولة بمعونات خاصة من ميزانيات البلاد الاوربية وتمويل ذاتى محلى من ارباح هذه الشركات من السوق الاوروبى ، ولم تستلزم عمليات نقل صافية للدولارات من الولايات المتحدة الا فى حدود ١٠ فى المائة من الاستثمارات ٠

وتشن الشركات الامريكية حرب الاسعار التقليدية على مثيلاتها من المؤسسات الاوربية القائمة داخل السوق الاوروبى ، وكثيرا ما أدت هذه الحرب الى استيلاء الشركات الامريكية فى النهاية على منافساتها الاوربية ٠

رابعا : التدخل فى الحياة السياسية لبلدان أوروبا الغربية وافقادها استقلالها السياسى ومحاولة جرها فى المغامرات العسكرية الامريكية الفاشلة كما حدث فى حرب كوريا والحرب الفيتنامية ٠

وكان من شأن هذه السياسة الامريكية أن تزايدت مشاعر العداء الاوروبى للامريكيين واتسعت الدعوة الى المواقف الحيادية ولم يعد خطر الغزو الامريكى خافيا أمام سياسى واحد فى أوروبا الغربية ، وليس من دولة أوربية واحدة الا وحاولت مواجهة هذا الخطر بهذا النوع أو غيره من الاجراءات ٠

وهكذا فالى جانب صراعات السيطرة التقليدية للدول الرأسمالية الكبرى على أسواق المستعمرات أدى اندفاع الرأسمالية الامريكية اقتصاديا وسياسيا على بلدان أوروبا الغربية ذاتها الى خلق نوع من المشكلة القومية فى هذه البلدان وزاد من عمق التناقضات بين حلفاء الاطلنطى ٠

المواجهة الفرنسية تميز مرحلة جديدة

من المعتاد أن يعزو الامريكيون كل متاعبهم فى أوروبا الى الجنرال ديجول ، الا أن هذا التبسيط الشديد يتجاهل كل الحقائق الاقتصادية والسياسية الجديدة فى أوروبا الغربية ٠

ان مايمكن أن يعزى الى ديجول بالفعل هو أنه كان القائد البرجوازى الاوروبى الذى أدرك قبل غيره امكانية المنازلة الصريحة للولايات المتحدة فى الظروف الجديدة ، ثم عناده المستمر للاستمرار فى النزال الصريح رغم كل الالغام التى بثتها

الاحتكارات الامريكية فى طريقه منطلقا من حقيقة أن فرنسا قد استطاعت ان تجمع لديها اكبر احتياطى مركزى للذهب فى العالم الرأسمالى بعد الولايات المتحدة بالاضافة الى المختزن من الذهب لدى افراد الشعب الفرنسى (وهو وضع غير موجود قانونا فى الولايات المتحدة) ولقد وجه ديجول سهامه الى مواقع الدولار مطالبا باحلال الذهب محله كأساس للمبادلات الدولية ، وعمل على رسم سياسة اقتصادية جديدة لفرنسا تستهدف تدعيم مركز الاحتكارات الفرنسية على حساب الاحتكارات الامريكية داخل فرنسا وخارجها ، وتدعيم مركز فرنسا التنافسى داخل اطار الوحدة الاوروبية ، كما عمل على تحديد ملامح سياسة أوروبية مستقلة فى المشاكل الدولية المختلفة وتجاه الدول الاشتراكية ، غير مرتبط بحلف الاطلنطى ٠ وفي نفس الوقت عمل على تنمية « القوة الضاربة الفرنسية » ، ومحاولة التصدى للتفوق الامريكى التكنولوجى ٠

لقد مثلت الديجولية فى فرنسا مرحلة جديدة من تطور العلاقات بين أوروبا الغربية والولايات المتحدة الامريكية تحاول فيها دول غرب أوروبا اعادة تحديد المراكز فى العالم الرأسمالى على أساس موازين القوى الجديدة الا أن المواجهة الفرنسية تميزت بنقاط ضعف خطيرة كثيرا جعلتها فى مهب الريح ٠

فالاقتصاد الفرنسى ليس أقوى اقتصاديات غرب أوروبا ولم يكن أسرعها فى معدل نموه ، وفى محاولة ديجول لتخطى هذا الواقع بمشروعاته الطموحة كان لابد وأن يصطدم بعقبات عسيرة كما حدث فى أزمة الفرنك التى وضعت سياسته الاقتصادية كلها فى مهب الريح لفترة من الوقت على الاقل ٠

كما أن لجوء الديجولية الى تدعيم مراكز الاحتكارات الفرنسية وتركيزها على حساب الجماهير الفرنسية كان لابد وأن يصطدم بمصالح الجماهير الواسعة من الشعب الفرنسي خاصة وأن التصفية الحتمية للامبراطورية الفرنسية مع بقاء تحكم الرأسمالية فى فرنسا كانت له آثاره على الاوضاع الاجتماعية العديدة التى لامجال للخوض فيها فى هذا المقام ٠

ولعل أضعف نقطة فى السياسة الديجولية هى دعوته الى محور بون ــ باريس كمرتكز للمقاومة الاوربية للولايات المتحدة والذي يخطره الى التغاضى كثيرا عن الاتجاهات العدوانية للقوى الانتقامية فى بون ٠

الوضع الخاص لالمانيا الاتحادية

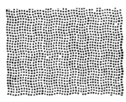
مرة أخرى ترشح التطورات الاقتصادية الصرفة الرأسمالية الالمانية لتمثل دور أكثر الدول « نشاطا »فى صراعات الدول الرأسمالية ٠ فلقد تميزت المانيا الغربية بأعلى معدل للنمو بين البلدان الاوربية وتتمتع اليوم بأقوى مركز اقتصادى داخل السوق الاوربية المشتركة ٠

ولاشك أن لالمانيا الغربية تناقضاتها مع الولايات المتحدة الامريكية وغيرها من البلدان الرأسمالية ، ولقد اعترفت جريدة الراين ماركر الالمانية فى نوفمبر ١٩٦٨ « أن الصناعة الالمانية تشتبك فى صراعات متزايدة الحدة مع الاحتكارات الامريكية العملاقة على نطاق العالم اجمع وداخل المانيا الاتحادية ٠ » الا ان المانيا الغربية تنفرد بوضع خاص الى حد ما بين دول أوروبا الغربية ، ولقد مثلت الدوائر الحاكمة فيها دائما أكثر اجنحة الحلف الغربى عدوانية والسبب الواضح لذلك هو أن الصراع ضد الاشتراكية بالنسبة للبرجوازية الالمانية ليس مجرد مهمة طبقية للقوى الامبريالية فحسب ولكنه ايضا الاندفاع لاكتساح الاشتراكية من فوق ارض المانية انه الاندفاع لاعادة المواقع السديمه للامبراطورية الالمانية ٠ ولذا فان المانيا تشعر أن صراعا صريحا من جانبها ضد الولايات المتحدة هو امر سابق لاوانه كثيرا ، وان لم تستبعده ، وهى ترى فى قوة الولايات المتحدة ضمانا لها لتحلق مطامعها العدوانية تجاه جمهورية المانيا الديمقراطية وتغيير الحدود الاوربية ولقد اعلن ويلي براندت بصراحة فى ٤ أغسطس ١٩٦٨ « بدون غطاء من الولايات المتحدة فان المانيا قد تغامر بدق عنقها اذا مااندفعت الى سياسة خارجية نشطة ٠ »

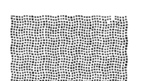
وتجند المانيا الغربية كل قواها لخلق « أوروبة متحدة تحت قيادة المانيا » تتجه بها للصراع نحو الشرق ٠

ومثال المانيا يبرز من جديد كيف يؤدي النمو غير المتكافيء للرأسمالية الى تاكيد عدوانية رأس المال الاحتكارى ٠ وان التركز والتمركز الجاريين على قدم وساق فى كل من اوروبا وامريكا يوضحان ان الرأسمالية الامبريالية مازالت تمثل خطرا لايستهان به على السلم العالمى ٠

التطبيق الاشتراكى فى الزراعة بين بولندا وألمانيا الديمقراطية



قام « فتحى عبد الفتاح » أخيرا برحلة الى كل من بولندا والمانيـا الديمقراطية ، ركز اهتمامه اثناءها على دراسة المشكلة الزراعية . وفى هذا المقال يعرض الكاتب لتجربة التطبيق الاشتراكى فى المجـال الزراعى وتطوراتها ، بما يتناسب مع الظروف الخاصـة فى كل من البلدين ..



فتحى عبد الفتاح

تحتل المشكلة الزراعية جانبا هاما فى التطوير الاقتصادى فى البلدان الاشتراكية ، واذا كانت قضـايا التصـنيع والتجـارة الخـارجية وقطاعات الانتاج المختلفة قد اصبح ينظمها عدة خطوط عامة مشتركة فى التطبيق الاشتراكى ، الا ان مشكلة الارض وعلاقات الانتاج فى المجال الزراعى ، نظرا لطبيعة العمل الزراعى نفسه ، والتعقيدات والظروف الخاصة فى كل بلد ، فان التطبيقات الاشتراكية فى الزراعة ما زالت تختلف من بلد لاخر اختلافا يصل فى بعض الاحيان الى وجود أسس قد تبدو من الوهلة الاولى متناقضة مع المبدأ الاشتراكى نفسه .

فبينما نجد فى بلد مثل المانيا الديمقراطية ، نظم للتعاون الزراعى تصل فى بعض اشكالها المتقدمة الى سيادة الانتاج الجماعى ، نجد فى بلد مثل بولندا لا تمثل التعاونيات سوى ١ ٪ من الارض المنزرعة ، بينما يوجد ٨٥ ٪ من هذه الارض فى شكل ملكيات خاصة ..

ومن ناحية اخرى ، فكلا التطبيقين ، سواء فى بولندا او فى المانيا ، يختلف بشكل كبير عن نظام الزراعة السوفيتية .

ومن خلال جولة استمرت حوالى الشهر ، فى مزارع المانيا الديمقراطية وبولندا ، ومناقشات مع الفلاحين والمسئولين عن العمل الزراعى فى البلدين سأحاول هنا ، تقديم صورة للتطبيق الزراعى فى البلدين مبينا أوجه الشبه والخلاف فى الظروف والتطبيقات الزراعية هناك ، والملامح الخاصة لكل منها ..

عندما صدر قانون الاصلاح الزراعي في جمهورية المانيا الديمقراطية سنة ١٩٤٥ ، كان القانون يهدف اساسا الى ضرب نفوذ «الجونكرز» وهم طبقة كبار الملاك الالمان ، والذين كانوا يسيطرون على حوالى ٣٠٪ من الارض المزروعة ، وكانت نسبتهم حوالى ٢ ٪ من الملاك [٢٨٠٠ مالك] . وقد نص القانون على مصادرة اراضي عدد كبير من هؤلاء الملاك ، نظرا لانهم « كانوا يمثلون مراكز قوية للرجعية والفاشية » ، ووزعت الارض المصادرة على المعدمين وصغار الفلاحين ٣ ملايين و ٢٩٨ الف هكتار] ، وتقرر ان يدفع الفلاحون المنتفعون اثمانا رمزية للارض الموزعة عليهم ومقسطة على فترة تتراوح بين ١٠ و ٢٠ عاما ، اما الماشية والمباني فقد منحت دون مقابل ، كما نص القانون على ان الارض الموزعة غير قابلة للتصرف فيها بالبيع او الإيجار .

وبالرغم من محاولات كبار الملاك عرقلة تطبيق القانون ، والتسلل داخل بعض اللجان المنفذة لقانون الاصلاح الزراعي ، وايضا استخدامهم بعض الوسائل الارهابية ، الا ان القانون نفذ في النهاية في خلال فترة قصيرة . وأدى تطبيق القوانين الجديدة الى اجراء تغيرات اساسية في التركيب الطبقي والملكية الزراعية .

وهذا الجدول يبين التغيرات التي حدثت ، سواء في نسبة الملاك الصغار او في نسبة ملكيتهم ، وكذلك بقية الفئات المختلفة من الزراع ..

حجم الملكية	النسبة الى مجموع الملاك قبل القانون	بعد القانون	نسبة الحيازة قبل القانون	بعد القانون
خمسة هكتارات فاقل	٥٦٪	٤ر٥٪	١٠ر٣٪	١١ر١٪
٥ — ١٠ هكتار	١٦ر٤٪	٣١ر٦٪	١٠ر٥٪	٢٥ر١٪
١٠ — ٢٠ هكتار	١٦ر٦٪	١٠ر٩٪	١٩ر٥٪	٢٣ر٩٪
٢٠ — ٥٠ هكتار	٨ر٥٪	٦ر٨٪	٢٠ر٨٪	٢٢ر٢٪
٥٠ — ١٠٠ هكتار	١ر٠٪	١٪	٩ر٢٪	٨ر١٪
مائة فاكثر	١ر١٪	٢ر٪	٢٩ر٧٪	٩٪

ولكن الارض المصادرة لم توزع كلها ، بل خصص جزء منها لانشاء مزارع دولة [٦ر٨ ٪ من الارض المزروعة] ، وخصصت هذه المزارع لتقوم بالمهام التالية :

- انتاج الانواع الجيدة من البذور .
- تدريب قطاعات كبيرة من الفلاحين على الاعمال الفنية والمهارات الخاصة في الزراعة .
- ان تكون حقلا تجريبيا لاستخدام كل الوسائل الحديثة في الزراعة .. ويبلغ عدد هذه المزارع حوالى [٦٦٩ مزرعة] .

ويلاحظ انه منذ سنة ١٩٤٥ حتى سنة ١٩٥٢ ؟ لم يصحب الاصلاح الزراعي في المانيا الديمقراطية تكوين جمعيات تعاونية ناضجة ، بل كان هناك فقط مراكز الالات والخدمات التي تملكها الدولة وتقدم المساعدات للمزارع المختلفة ، وخاصة صغار الفلاحين ، وغيرهم من الملاك ، كانوا يعتمدون على مواشيهم او على تأجير بعض الالات من متوسطي الملاك .. فتكونت في تلك السنوات محطات تأجير الالات الزراعية [حوالى ٣٤٠٠ محطة] ، وقد قامت في هذه الفترة ليس فقط بتأجير الالات ، بل وايضا بتقديم الخبرة الفنية للفلاحين ..

كما كانت هناك « لجان التعاون » بين بعض الفلاحين ، وكانت مهمتها محصورة في تنسيق تأجير الالات والمساعدة على تمويل وتسويق المحاصيل ، كما تكونت في تلك الفترة ايضا بعض الجمعيات التعاونية المتخصصة في شراء او بيع بعض المحاصيل ..

وفي عام ١٩٥٢ ، وبمبادرات اساسية من الفلاحين ، صدرت قوانين التعاون الزراعي ، ووفقا لهذه القوانين تشكلت ثلاثة انواع من التعاونيات تضم الان اكثر من ٨٥ ٪ من الاراضي المزروعة ..

النوع الاول : وهو ابسط انواع التعاونيات ، ففي هذه الحالة تزرع الارض بشكل تعاوني ، ولكن المراعي والغابات تظل ملكية خاصة وكذلك الماشية والالات ، الا انه يمكن استخدام الالات والماشية الخاصة بأي مزارع في العمل التعاوني لقاء أجر .. ويمثل هذا النوع ٣٦ ٪ من مجموع المزارع التعاونية .

النوع الثاني : تزرع الارض والغابات والمراعي بشكل تعاوني ، ولكن الماشية والالات تبقى ملكية خاصة ، ويمثل هذا النوع ٧ر٪ من التعاونيات .. وتبلغ مساحة الارض التي تقوم عليها تعاونيات من النوع الاول والثاني ٥ر١ مليون هكتار ...

النوع الثالث : وهو اكثر الاشكال التعاونية تطورا واتساعا ، ففيه يصبح كل شيء ، الارض والماشية والالات ، خاضعة للعمل التعاوني . تستخدم بشكل جماعي ، ويمثل هذا النوع ٦٢ر٩٪ من مجموع التعاونيات ، كما تعطى مساحة تدرها ٣ر٩ مليون هكتار ..

وفي كل هذه الاشكال ، هناك اسس مشتركة هي :

١ — الانضمام الى عضوية الجمعية التعاونية اختياري .

٢ — احتفاظ كل فلاح بملكيته الفردية ، ومن حقه الانسحاب بأرضه من الجمعية ، بشرط ان يأخذ مساحته فى طرف اراضى الجمعية .

٣ — من حق كل فلاح ان يمتلك ما يوازى نصف هكتار يزرعها بنفسه ويستغلها بالشكل الذى يريده ..

٤ — تشكل الجمعية العمومية المشكلة من فلاحى المزرعة ، السلطة العليا ، وتنتخب مجلس ادارة للجمعية انتخابا مباشرا مرة كل سنتين ...

ومجلس الادارة [٧ — ١١ عضوا] ، يشرف على اعمال المزرعة من جميع النواحى ، ويشكل اللجان المختلفة التى تشمل كل اعضاء الجمعية التعاونية [لجان الالات — البذور — الزراعة — الثقافة — التعليم — الصحة ...] .

● يوزع العمل بين جميع اعضاء الجمعية وفقا لاجتماعات واختصاصات الفلاح ، ويقسم العمل على اساس « وحدات عمل » يتفق عليها وعلى اجرها ..

● فى كل هذه الجمعيات يحصل الفلاح على دخله من عمله من ناحية ، ومن ملكية ارضه من ناحية اخرى ، الا ان التوزيع يختلف وفقا لاختلاف شكل الجمعية التعاونية .

ففى النوع الاول يحصل الفلاح على ما يساوى ٦٠ ٪ من دخله من وحدات العمل التعاونى ، ٤٠ ٪ وفقا لحجم ملكيته ..

وفى النوع الثانى تبلغ النسبة ٧٠ ٪ « وحدات عمل » ، ٣٠ ٪ حجم الملكية .

وفى النوع الثالث ، يحصل على ٨٠ ٪ وفقا لوحدات العمل ، ٢٠ ٪ وفقا لحجم ملكيته .. [وبالطبع تقوم الجمعية فى اعتماد ميزانيتها وتوزيع الدخول بتخصيص اعتمادات عامة مطلوبة للاعمال والخدمات العامة التى تقوم بها الجمعية مثل ميزانية خاصة لشراء الالات او اقامة معاهد ابحاث وأيضا الميزانيات الخاصة ببيوت الاطفال والتعليم وبيوت الثقافة .. الخ ..

الميكنة والعمل السياسى

والواقع ان النجاح الذى يحققه الزراعة فى المانيا الديمقراطية لا يعود فقط الى قوانين الاصلاح الزراعى ، والى اشكال التعاونيات المختلفة ، ولكن ثمة عاملين اساسيين اعتقد انهما يلعبان الدور الرئيسى فى تطوير الزراعة الالمانية .. ويتوقف عليهما ايضا مستقبل التجربة ، وهما الميكنة ، والعمل السياسى ..

ويلاحظ انه منذ اللحظة الاولى لصدور قوانين الاصلاح الزراعى ، كان التركيز الرئيسى على نشر الميكنة ، فأنشئت محطات الجرارات والالات الزراعية التابعة للدولة ، كما انشئت مراكز الابحاث الزراعية لتقدم الخبرة الفنية للفلاحين ..

وباتساع التنظيم الزراعى ، وتكوين الجمعيات التعاونية زاد دور الميكنة ، حتى انه من الصعب ان تجد اليوم فى المانيا اى عمل يدوى يتعلق بالحرث او الرى او الحصاد ، فكلها تقوم بها آلات متطورة . ولقد زرت جمعية تعاونية من النوع الثالث فى شنكلبرج [٢٠ كم شمال ليبزج] ، وتبلغ مساحة الارض الزراعية فيها ٤٢٠٠ هكتار ، ويبلغ عدد سكان المزرعة ٨ آلاف ، ولكن الذين يعملون فى زراعة الارض لا يتعدى عددهم [٧٢٠] يقومون بكل الاعمال الخاصة بالزراعة وتربية الماشية ، اما بقية السكان فيتعلمون فى المصانع المجاورة ..

وفى هذه المزرعة يوجد ٦٠ جرارا وحصاد ودارس آلى ، كما يوجد معهد للابحاث الزراعية لدراسة التربة وتطوير الانتاج ، ولقد شهدت مثلا عملية حصاد لـ ٥٠٠ هكتار قمح ، قام بها ستة آلات و ١٢ فلاحا فى فترة لا تزيد عن ست ساعات ..

ان هذا يوضح الدور الكبير الذى تلعبه الميكنة فى الزراعة الالمانية ، توفير فى الجهد ، توفير فى الوقت . وطبيعى فى هذه الحالة ان الماشية [الابقار — الخنازير] ، لا تستخدم فى العمل الزراعى ، بل تربى اما من اجل اللحوم ، واما للالبان ..

واستخدام الالات والوسائل العلمية فى الزراعة ، هو الذى مكنهم من الوصول الى ان كل شخص يعمل فى الزراعة حاليا ينتج ما يكفى لـ ١٣ شخصا آخرين ..

والتوسع فى استخدام هذه الالات والوسائل العلمية ، هو الاساس الذى بنى عليه **د . اجوستين** ، رئيس الاكاديمية الزراعية فى حديثى معه خطته فى أنه سنة ١٩٨٠ ، سينتج الفلاح ما يكفى لـ ٣٠ شخصا ..

العمل السياسى

أما العامل الثانى ، والذى فيما اعتقد قد لعب دورا هاما فى تطوير الزراعة الالمانية ، فهو العمل

السياسي بين الفلاحين — والحزب الاشتراكي الموحد [الشيوعي] ، ليس له اي ارتباط تنظيمي بالجمعيات التعاونية ، فهذه الجمعيات ، والتي تتكون مجالس ادارتها بانتخاب عام كل سنتين ، لها مجلس تعاوني اعلى منتخب من القاعدة التعاونية، وهو السلطة الموجهة للعمل التعاوني .

ولكن الذي يحدث ان اعضاء الحزب الاشتراكي الموحد ، وكذلك حزب الفلاحين ، غالبا ما يكون لهم نشاط خاص داخل المجالس التعاونية ، نتيجة الجهد الذي يبذلونه ، سواء في ميدان الانتاج ام التوعية .. ودور الحزب في هذه الحالة يتأكد من خلال فاعلية اعضائه في الجمعيات التعاونية ، وغالبا ما يحصل عديد منهم على جوائز كفلاحين مثاليين ، وعلى سبيل المثال ففي مجلس ادارة جمعية سنكلبرج المكون من ٧ اعضاء ، هناك ثلاثة اعضاء في الحزب الشيوعي ، وواحد في حزب الفلاحين ، وواحد في الجبهة المعادية للفاشية ، واثنان ليسا منتمين لاي حزب ..

والثقافة والتوعية السياسية والاجتماعية احد المهام الرئيسية التي يقوم بها التعاون الزراعي في المانيا ، فالقانون يخصص مبالغ ضخمة لانتشار وسائل الثقافة المختلفة من نواد الى مسارح وفرق للغناء والرقص ..

ولا شك ان الاتساع في الخدمات الثقافية والاعلامية في الريف الالماني ، يعود الى عدة عوامل ، من اهمها القضاء على الامية ، وتوفير الكهرباء ، واهم من هذا كله ميكنة الزراعة ، فلقد ساعد هذا على خلق « وقت الفراغ » اللازم والضروري لشد الفلاحات الى العمل الثقافي والفكري .

التجربة البولندية

واذا انتقلنا الى التجربة الزراعية في بولندا ، فسنجد كما قلنا تطبيقا يختلف اختلافا كبيرا عما يوجد في المانيا الديمقراطية ، ويتميز بعدة قسمات خاصة .. ولقد مرت الثورة الزراعية في بولندا بعد كسب الاستقلال ، وقيام السلطة الاشتراكية فيها سنة ١٩٤٥ ، بمرحلتين هامتين :

المرحلة الاولى : وهي تلك التي بدأت باصدار قانون الاصلاح الزراعي حتى سنة ١٩٥٦ .

والمرحلة الثانية : وهي التي بدأت باصدار قوانين التنظيم الزراعي سنة ١٩٥٦ حتى الآن ..

وفي المرحلة الاولى ، صدر قانون الاصلاح الزراعي الذي يشبه الى حد كبير في مواده قانون الاصلاح الزراعي عندنا ؟ فجعل الحد الاعلى للملكية ٥٠ هكتارا في جميع انحاء بولندا ، ١٠٠ هكتار في الغرب ، كما سمح القانون بالبيع والشراء في حدود ١٥ هكتارا ، ولكنه منع التفتيت لاي ملكية تقل عن ٤ هكتارات ..

ولقد ضرب هذا القانون في الاساس كبار الملاك والذين كانوا يمثلون ٨ر ٪ من نسبة الملاك ويسيطرون على ٤٩ ٪ من الاراضي المنزرعة . كما انه بتوزيع الارض المصادرة على المعدمين وصغار الفلاحين ، امكن الى حد كبير حل مشكلة « عمال الزراعة » ، والذين كان يتراوح عددهم بين ٦ و ٧ ملايين ، اما من لم يحصل منهم على ارض ، فقد وضعت الخطط لسحبهم من الارض وتحويلهم الى العمل في الصناعة والمؤسسات الانتاجية الاخرى ..

ولكن التطبيق في هذه الفترة ، ارتبط بمحاولة الاسراع في بناء مزارع تعاونية على النظام السوفيتي « الكولخوزات » ، وفي مدة لا تزيد عن خمس سنوات ، كانت هذه التعاونيات قد وصل الى نسبة ١٢ ٪ من الارض المنزرعة ، بالاضافة الى ١٥ ٪ مزارع دولة ..

وقد ادى ذلك الى نتائج خطيرة كادت تفرغ عملية الاصلاح الزراعي من مضمونها الحقيقي ، ووفقا لاحصائيات سنة ١٩٥٥ ، انخفض الانتاج الزراعي بصورة كبيرة ، وبدأت قطاعات هامة من الفلاحين تعارض بشكل علني هذا الوضع ..

وبدأت مناقشة واسعة للمشكلة الزراعية ، وخاصة داخل الحزب الشيوعي ، وحزب الفلاحين وعقد كونفرنس خاص في الحزب الحاكم اصدر فيه قرارات التنظيم الزراعي الشهيرة سنة ١٩٥٦ ، والتي اعادت تخطيط الثورة الزراعية في بولندا على اسس جديدة مستمدة في الاساس من تراث الفلاح البولندي ومتمشية مع ظروفه ..

وتعود اهمية هذه التجربة ليس لبولندا فقط ، بل ولكل الدول الحديثة التي تسعى الى تطوير زراعتها ، انه لا يمكن باي حال نقل تجربة قد تكون ناجحة في بلد ما الى بلد آخر لا تتوافر فيه نفس الظروف ..

كما اكدت هذه التجربة ايضا انه لايمكن الانتقال بالجماهير ، والفلاحين بشكل خاص ، الى الاشتراكية بدون توفير اسس سياسية اجتماعية لهذا الانتقال ، بالاضافة الى الاسس المادية ..

وفي مناقشة مع دكتور **ليبسكي** ، عضو اللجنة المركزية لحزب الفلاحين البولندي ، ورئيس تحرير مجلة « الريف الجديد » ، شرح الاخطاء

التى وقع فيها التطبيق الزراعى فى بولنــدا فى الفترة ما بين ١٩٤٥ ، ١٩٥٦ . وقال ان الاساس الذى انطلقت منه خطتنا فى تطوير الزراعة سنة ١٩٥٦ ، انه يمكن تحقيق الاشتراكية فى الزراعة دون التمسك بنفس التجارب التى حدثت فى الاتحاد السوفيتى او فى بلاد اخرى ، مع مراعاة الظروف الخاصة للفلاح البولندى والزراعة البولندية ..

وكان اول نتيجة لقوانين سنة ١٩٥٦ ، هو الغاء المزارع التعاونية بشكلها القديم ، وتقلصت حتى اصبحت لا تمثل سوى ١ ٪ فقط من الاراضى المنزرعة ، فى حين عادت ٨٥ ٪ من الارض الى الفلاحين فى شكل ملكيات خاصـــة .. ونفس مزارع الدولة تمثل ١٤ ٪ من الاراضى . ولقــد ظل هناك داخل صفوف الحزب الشـــيوعى من وصف قوانين ســـنة ١٩٥٦ ، بأنها ارتداد عن الطريق الاشتراكى . ولكن التجربة اثبتت ان هذه القوانين كانت منطلقة من اسس سليمة ، فبالرغم من انه من ناحية الشكل ، فقد توحى الملكية الخاصة التى تصل الى ٨٥ ٪ بهذا المفهوم ، الا انه بعــد مناقشة للتجربة ، يمكننا ان نقول ان الزراعة فى بولندا تتجه على نفس هذه الاســس الى تحقيق الاهداف الاشتراكية فى الزراعة ..

الدوائر الزراعية .. الجديدة

يقول دكتور **هاجراى** ، عضو البرلمان ، واحد كبار المسئولين عن تخطيط الزراعة فى بولنــدا ، اننا ونحن نعيد النظر فى اسس الانتاج الزراعى سنة ١٩٥٦ ، كان امامنا ثلاثة عوامل رئيسية ، وهى الارض ، ورأس المال الذى تتطلبه عمليــة الانتاج الزراعى ، والعمل .. ولقد تركنا الارض للفلاحين ليمتلكوها ملكية خاصــة ، وذلك حتى لا نصطدم بتراثهم الطويل فى الملكية ، ولكنا ، وفى الوقت نفسه ، عملنـــا على ان تســيطر الدولة الاشتراكية على « تمويل الزراعة » ، وبمعنى آخر فان التركيز على تجميع رأس المال المستخدم فى الزراعة فى يد الدولة الاشتراكية ، ساعدها على ان تلعب الدور الرئيسى فى الانتـــاج الزراعى ، وتتجه به نحو الاشتراكية .. وكانت الوســيلة الرئيسية للوصول الى هذا الهدف هى الدوائر الزراعية ..

والدوائر الزراعية ، اسم بولندى قديم ، لعبت دورا سياسيا واجتماعيا هاما فى الريف البولندى قبل سنة ١٩٤٥ ، وقد كانت بمثابة جمعيات وطنية لتنظيم حركة الفلاحين ضد الاستعمار الالمـــانى وضد سيطرة كبار الملاك ، كما انها كانت تقوم فى الوقت نفسه بارشاد صغار الزراع ومساعدتهم .

وفى سنة ١٩٥٦ ، اعيد من جديد بعث هـــذا الشـــكل القومى من التعاونيـــات مع تطويرات جديدة ، وتكونت « الدوائر الجديدة » بمبادرة من الفلاحين واعضاء الحزب الشيوعى ..

وفى ســـــنة ١٩٥٨ ، دعمت الدولة الدوائر الزراعية ، حين قررت تحويل فرق الاسعار التى تحصل عليها من الفلاحين الى مؤســـسة لتطوير الزراعة تكون مهمتها مد « الدوائر الزراعية » بما تحتاجه من آلات ومعونات مالية وفنية .

ولقد ادى ذلك الى ان تنتشر الدوائر الزراعية فى فترة وجيزة ، حتى تشمل ٣٥ الف قرية ، اى ما يوازى ٨٦٪ من الريف البولندى تشمل مليونا و ٩٦ الف فلاح .

وهذه الدوائر الزراعية تقوم بمهام انتـــاجية واجتماعية وســـياسية وثقافية ، فمن النـــاحية الانتاجية تمد الزراع بالالات والبـــذور والخبرات العلمية ، كما تقوم بالتعاقد نيابة عن الفلاحين فى بيع المحاصيل المختلفة .. ومن الناحية الاجتماعية والسياسية تشرف الدوائر الزراعية على عـــدة تنظيمات اجتماعية اخرى ، مثل لجـــان الفلاحات وجمعيات الشباب الريفى ، ومن خـــلال هـــذه التنظيمات تقوم بالاشراف على التعليم والصـــحة والمشاكل الثقافية فى القرية .

والانضمام الى هذه الدوائر اختيـــارى ، ويتم بانتخاب المجلس القيادى للدوائر الزراعيـــة عن طريق الانتخاب المباشر كل عامين ، وهناك الاتحاد المركزى للدوائر الزراعية ، والذى يعتبر السلطة العليا ، وينتخب اعضاؤه كل ثلاث سنوات انتخابا هرميا عن طريق دوائر المناطق والاقاليم ..

وفى الفترة بين سنة ١٩٥٨ و سنة ١٩٦٨ ، حققت الدوائر الزراعية النتائج التالية :

● اتساع الميكنة فى الزراعة ، وصلت الى حد ان اصبح ٧٠ ٪ من الزراعة البولندية تعمل بالالات . وقد ادى هذا الى تقليل نسبة العاملين فى الزراعة ، فانخفضت من ٦٢٪ سنة ١٩٤٥ الى ٣٤ ٪ ســـنة ١٩٦٨ ، وفى تلك الفترة انتقـــل حوالى ٣ر٥ مليون من العمـــل فى الزراعة الى العمل فى الصناعة والقطاعات الانتاجية الاخرى ، وهم يخططون لكى تصبح الميكنة كاملة سنة ١٩٧٥ .. وبذلك تنخفض نسبة العاملين فى الزراعة الى ٢٦ ٪ .

● فى نفس الوقت الذى قلت فيـــه الايدى العاملة فى الزراعة ، نتيجة الميكنة والتصنيع ، ارتفع الانتاج الزراعى بنسبة تتراوح بين ٥ و ١٠٪

● بالرغم من المـــكية الفردية ، والقـــانون باستحواذ اكثر من خمسين هكتارا ، الا ان سياسة

الدوائر الزراعية فى تعاون مع الدولة ؟ وعن طريق الضرائب التصاعديه الخاصـــة بالارض ، والقضاء على عمال الزراعة الماجورين ، قد ادت الى تقارب كبير فى نسب الملكية ، حتى ان نسبة من يملكون اكثر من ٢٠ هكتارا حاليا ، لا يتعدى ٢٪ ، كما ان هناك ٧ ٪ من هذه المزارع الكبيرة نسبيا معروضة للبيع نتيجة ان اصحابها فضلوا العمل فى الصناعة ، وقد ادى ذلك الى زيادة العمـــل الجماعى والتعاونى بين الفلاحين ، كما ادى الى زيادة التقارب الاجتماعى والاقتصادى .

● ارتفع دخل الفلاح البولندى فوصل الى متوسط ٣٥٠٠ زلوتى فى الشهر [حوالى ٤٠ الف زلوتى فى العام] وهذا الدخل يقارب الى حد كبير دخل العاملين فى الصناعة ، وهنا تقترب بولندا مع بلاد مثل هولندا وبريطانيا وهما الدولتان الوحيدتان فى العالم والذى يتساوى فيهما دخل العاملين فى الزراعة مع دخل العاملين فى الصناعة .

شباب الفلاحين

وفى معرض الحديث عن الزراعة البولندية ، لايمكن ان نتجاهل العمل السياسى فى القرى والذى لعب ويلعب دورا اساسيا فى تطوير هذه الزراعة وهذا العمل يقوم به الحزب الشيوعى البولندى وحزب الفلاحين فى تعاون وثيق سواء فى مزارع الدولة ام فى الدوائر الزراعية ام فى التعاونيات .

ولكن ثمة تنظيما [ربما كان الوحيد من نوعه فى البلاد الاشتراكية) يلعب دورا خاصا فى القرية البولندية وبالذات فى مجالات الثقافة والتعليم وتلك هى منظمة شباب الفلاحين .

وهذه المنظمة التى تكونت سنة ١٩٥٧ وتضم حاليا حوالى ٨٧٠ الف عضو من الشباب العـــامل فى الزراعة ، اى من المنتفعين الذين ينتمون الى اصول ريفية تعمل على « حل المشاكل الاجتماعية والثقافية والتعليمية لشباب الريف » .. ولهـــا فروع فى اغلب القرى وتصدر خمس مجـــلات اسبوعية وشهرية بعضها ثقافى والاخر انتاجى .

وتقوم المنظمة حاليا بالمهام التالية :

● انشاء مدارس التدريب الزراعى لتـــدريب الفلاحين انتاجيا وسياسيا ، وقد تخرج منها حتى الان حوالى ٢٥٠ الف فلاح حصلوا على شهادات « تثقيف زراعى » .

● الاشراف على النوادى الثقافية والاجتماعية فى القرية فى تعاون مع الدوائر الزراعية وانشاء المســـــارح وفرق الاداء والمغنين والموسيقيين والمنشدين .

● تكوين لجان العمل الاختيارية التى تقـــوم بمساعدة بعض القرى والمزارع التى تتخلف فيها الانتاج لسبب او لاخر .

وهـــذه المنظمـــة الجمـــاهيرية لاتخضـــع لتنظيم حزبى مثلها مثل المنظمات السياسية الاخرى (اربع منظمات) الموجودة فى بولندا .

وليس معنى هذا ان المنظمة منفصلة عن اهداف الاحزاب الموجودة فى بولندا ؟ ولكن هذه الاحزاب وخاصة الحزب الشيوعى تعمل من داخلها فهناك مثلا ٩٧ الف عضو فى الحزب الشيوعى ، ٣٣ الف عضو فى حزب الفلاحين

عناصر النجاح فى التطبيق

من هذه الصورة العامة للتطبيقات الزراعية فى كل من المانيا الديمقراطية وبولندا نجد انه بالرغم من ان الهدف فى كل من البلدين يسعى الى تحقيق الاشتراكية فى مجال الزراعة ، الا ان ثمة فروقا كبيرة فى التطبيق .

وسنجد ان قوانين الاصلاح الزراعى فى بلادنا قريبة الى حد كبير مع قوانين الاصـــلاح الزراعى التى صدرت فى البلدين والتى استهدفت ضرب كبار الملاك ووضع حد اقصى للملكية ، وتوزيـــع الارض على المعدمين وصغار الفلاحين .

ولكن اشكال التعاونيات والتطبيقات الاخرى تختلف اختلافا كبيرا وبالرغم من كل هذا فان ثمة عوامل مشتركة فى التجربتين المعروضتين اعطت قوانين الاصلاح الزراعى فاعلية كبيرة فى التطور نحو تحقيق الاشتراكية فى الزراعة وهى .

اولا : الاهتمام بالميكنة بشكل واسع وهـــذه بدورها قد ادت الى زيادة الانتاج وتحسينه مـــن ناحية ، ومن ناحية اخرى زيادة التعاون والترابط بين الفلاحين وتدريبهم على عمليـــة الانتـــاج الاشتراكى . فالمعـــروف ان الالات تحتـــاج الى مساحات واسعة للعمل ومن خلال هذه العملية الانتاجية يقنع الفلاح بأن مصلحته الخاصة ترتبط بوجود اكبر تعاون ممكن مع زملائه فى القرية او المزرعة

وقد ارتبط بميكنة اللف فى البلدين التخطيـــط لاستيعاب فائض الايدى العاملة فى اللف حـــتى لاتشكل عقبة او معوقا للتطور الاجتمـــاعى والاقتصادى فى القرية .

ثانيا : ربط العمل السياسى بالعمل الانتاجى فى اللف ربطا مباشرا وذلك برفع المستوى الثقافى والسياسى للفلاح وتحويل التعاونيات او الدوائر الزراعية ليس الى مجرد خلايا انتاجية نشطة بل الى وحدات سياسية واجتماعية تقوم بتمهيـــد الارض للانتقال اللازم لعقلية الفـــلاح من افق المصالح الشخصية الضيقة الى آفاق اجتماعيـــة اوسع وارحب ترتبط فيها مصالحه بمصالح الشعب عامة .

كتب شاندر جاشبار هذا المقال لمجلة الطليعة عن تجربة النقابات المجرية فى البناء الاشتراكى وتطور حقوقها وواجباتها ، وقد اجاب فى مقاله عن كثير من الاسئلة الهامة المتعلقة بعلاقة النقابات بالحزب والاجهزة الاقتصادية والادارية والتشريعية ودورها فى المؤسسات وفى حياة المجتمع .

النقابات المجرية .. والبناء الاشتراكى

شاندر جاشبار

عضو المكتب السياسى لحزب العمال الاشتراكى المجرى ورئيس الاتحاد العام للنقابات المجرية ...



يرجع تاريخ الحركة النقابية المجرية الى أكثر من مائة عام خلت . والسمة الاساسية لهذا الماضى ان النقابات المجرية (باستثناء بعض الاتجاهات المنعزلة) لم تقصر نشاطها على النضال الاقتصادى فقط ، فقد انغمست منذ مراحلها الأولى فى العمل السياسى واستمرت تواصل هذا العمل . وتكافح النقابات المجرية معتمدة على خبرات الماضى الغنى المتلوعة من اجل أن تستغل بصورة افضل الامكانيات التى تيحها الظروف الاشتراكية .

ان للتنظيمات والاجهزة فى نظامنا الاجتماعى والسياسى وظائف محددة واعمالا متميزة . وهذه الوظائف والاعمال تظل دون تغيير طالما انها تؤدى خدماتها لسلطة العمال ، ولكن مهامها تتغير ووظائفها تتطور طبقا لمتطلبات واحتياجات المجتمع . ان ممارستها لوظيفتها تختلف فى وقت الاستيلاء على السلطة وتدعيمها عنها فى مرحلة البناء الكامل للاشتراكية .

ان حزب العمال الاشتراكى المجرى باعتباره طليعة للطبقة العاملة ، مهتديا بالايدولوجية العلمية يحدد مهام الثورة والبناء الاشتراكيين ويوجه كل حياتنا الاجتماعية . وينفرد الحزب بالقيادة السياسية ، وتحت قيادته تعمل كل حلقات النظام الاجتماعى والسياسى – ومن بينها النقابات – والتى تعمل جنبا الى جنب لاشباع احتياجات المجتمع ، وكل جهاز منها يعمل طبقا لرسالته .

وتشترك النقابات فى تحديد الاهداف بما لها من قدرة تنظيمية ، مستخدمة نفوذها السياسى ، وتعبىء أعضاءها – ثلاثة ملايين عامل منظم – لانجاز الأهداف . وهى تتعاون لتحقق الانسجام بين مصالح المجتمع والمجموعات والافراد على أكمل وجه ممكن .

وتشبع النقابات المتطلبات الاجتماعية المتعددة والحقيقية فى المجتمع الاشتراكى ، وبذا تصبح عنصرا مساعدا لا غنى عنه للحزب . ويمكننا استنتاج ذلك من خبرة الحركة النقابية المجرية .

ان للنقابات دورا فريدا فى تطور العلاقات بين الحزب والجماهير . فبسبب الصلات العديدة

والوثيقة بين النقابات والجماهير تكون هذه قادرة على ادراك مصالح وأفكار وآمال العمال الواقعية فى مختلف قطاعات ومجموعات ومهن وفروع الصناعة لكل الطبقة العاملة ، وهى فى وضع يمكنها من التدخل ـ لمعرفتها بقدرات البلاد المالية ـ للمطالبة بوضع مطالب العمال الواقعية ومقترحاتهم فى الاعتبار ٠

وقرارات حزب العمال المجرى ملزمة للشيوعيين العاملين فى النقابات ولكنها ليست ملزمة للنقابات نفسها ٠ وعلى الشيوعيين فى النقابات أن يقنعوا زملاءهم بصحة موقف الحزب وقراراته. ان حزبنا يطالب بأن تعمل النقابات بصورة مستقلة وبطريقة مسئولة عند تنفيذ القرارات التى اتخذت بصورة مشتركة ٠

ويتأكد الدور القيادى للحزب بطريقة لا تنتهك بأى حال المبدأ الاساسى الذى تكون النقابات بمقتضاه مستقلة تعمل وفق لوائحها ، كما وأن نشاطها اليومى يسير ويدار بواسطة أجهزتها القيادية المنتخبة ٠

وهناك قاعدة أساسية هامة فى بلادنا فيما يتعلق بعلاقة وتعاون أجهزة الدولة مع النقابات ٠ أن أجهزة الدولة الاشتراكية ملزمة باحترام استقلال النقابات ٠ ولا تتدخل فى نشاط أو عمل النقابات ، ولا فى حريتها فى وضع لوائحها أو نظام الانتخاب ـ والدولة الاشتراكية لا تشرف على أجهزة النقابات القيادية ولا تطلب منها تقديم حساب عن عملها ٠ ان الدولة الاشتراكية تعتبر النقابات هيئات قانونية مستقلة وهى على ثقة بقدرتها على مماسة حقوقها دون ماقيود ٠ وفى نفس الوقت فان النقابات تشارك بواسطة ممثليها فى نشاط الحكومة وفى عمل أجهزة الدولة والاجهزة الادارية ٠ ومنذ استيلاء الطبقة العاملة على السلطة تقوم النقابات ـ خطوة فخطوة ـ بالمهام التى كانت تقوم بها الاجهزة الادارية من قبل ٠ وهى اليوم تقوم بصورة مستقلة بتقديم التامين الاجتماعى لكل السكان ، وتدير وتشرف على قضاء الاجازات برسوم مخفضة ، الى جانب بعض النشاطات الاشرافية المرتبطة بسلامة العمل ، والتفتيش عليها ٠

وفى البدء شاركت النقابات بطريقة واحدة ـ عن طريق التمثيل الشخصى ـ فى عمل أجهزة الدولة التشريعية وفى الاجهزة الادارية التنفيذية ، اما فى المستقبل فان القادة النقابيين ـ عموما ـ سيشاركون بصفتهم الشخصية فى أعمال أجهزة الدولة البرلمان ، المجلس الرئاسى ـ ولكنهم لن تشاركوا فى الاجهزة الادارية ـ على سبيل المثال اللجان التوجيهية للوزارات ـ وبالمثل لن يصبح الوزراء أعضاء فى المجالس الرئاسية للنقابات ٠

ورغما عن ذلك فان الوزراء ملزمون باستشارة النقابات ـ هذا هو ما نص عليه القانون ـ عندما يريدون اتخاذ قرارات فى المسائل المتعلقة بالعمال ٠

وابتداء من هذا العام ومع اتساع مجال سلطة ونشاط أجهزة الدولة المختصة وأجهزة المؤسسات والمديرين فقد اتيح للنقابات ايضا مجالان جديدان للنشاط يمثلان نموا متزايدا فى دورها الاجتماعى ـ فللنقابات حق الاعتراض (حق الفيتو) على بعض قرارات المديرين الاقتصاديين ٠ وفى امكانها ان تقترح اقالة المديرين الاقتصاديين غير الاكفاء للمهام الموكولة لهم ٠

وفى ظل الظروف الاجتماعية ، تمارس النقابات نشاطها الاكثر أهمية فى حماية مصالح العمال بالنضال المستمر لتقوية سلطة العمال ٠ وتعنى حماية المصالح كذلك الدفاع عن مصالح القطاعات والمهن والافراد ٠

وفى مجتمعنا تتفق المصالح الفردية اتفاقا أساسيا مع مصالح كل المجتمع ، بتقدم الفرد وتحسين مستوى معيشته يعتمد على تطور الاقتصاد الوطنى ٠ وفى نفس الوقت توجد تناقضات صغيرة أو كبيرة بين المصالح المختلفة ، بل توجد حتى مصالح متعارضة ، وفى مثل هذه الحالات فان النقابات تساهم فى كشف هذه التناقضات وايجاد الحلول لها ٠

ولقد أنشأت النقابات المجرية أجهزة اقليمية تنفيذية موازية للادارة العامة تشارك فى المجالس الاقليمية ومهمتها الاشراف على مستوى معيشة العمال والمستخدمين فى اقليمها ، وخاصة الاشراف على مستوى العمال وظروف السكن والخدمات الصحية والبلدية وتوفير السلع واتخاذ الاجراءات وتقديم الاقتراحات بخصوص هذه المسائل ٠ كما تشارك فى اعداد خطة التنمية للاقليم ومتابعة انجازها ٠ انها فى نفس الوقت تؤدى دورا تمثيليا وتنسيقيا على مستوى الاقليم بين الاجهزة القيادية لنقابات مختلف الصناعات وأجهزة الدولة المحلية ٠ وهنا يكفل التوافق بين نشاط نقابات مختلف المهن وفروع الصناعة فى الاقليم ٠

ومفتاح الموقف فى تحسين نشاط النقابات هو بتوسيع صلاحيات الاجهزة المحلية وتطوير نشاطها ٠ ولقد منح نظام الادارة الاقتصادية الجديد للمؤسسات استقلالية أكبر ، واضعا فى اعتباره متطلبات الصناعة الوطنية عن الامكانيات والمصادر المحلية ، فالمؤسسات تعد خططها الخاصة وتقرر الهدف المطلوب تحقيقه والوسائل التى ستتبع للوصول اليه ٠

ويتطلب الوضع الجديد أن تحدد صلاحيات الاجهزة النقابية المحلية طبقا للاستقلال الجديد للمشروعات والمؤسسات • فيجب أن تحدد صلاحيات الاجهزة المحلية بدقة ، ويجب أن يحدد خط فاصل بين صلاحيتها وصلاحيات الاجهزة الوسيطة والاجهزة المركزية التنفيذية • ويجب أن تقدم المساعدة الضرورية لتطوير نشاط المستوى المحلى •

وبقدر ما تتسع صلاحيات المؤسسات وامكانية وأهمية توسع المشروع أو المصنع يجب أن تزداد وأن تتسع الديمقراطية الداخلية فيه • وطبقا لذلك يكون للعمال دور أكبر فى ادارة المشروع ، فقبل كل شىء المشاركة فى ادارة مراكز عملهم بواسطة الرقابة الاجتماعية على نشاطات المديريين الاقتصاديين عندما يقومون بتخطيط وتنفيذ مهام الانتاج الاقتصادى وعند اتخاذ القرارات المتعلقة بالمشاكل المالية والاجتماعية والثقافية التى تؤثر على العمال •

واتباعا للتقاليد التاريخية فان ديمقراطية المصنع تتحقق فى المقام الاول من خلال النقابات • وفى ظل ظروفنا فان النقابات هى الاطار التنظيمى الذى تتحقق من خلاله المشاركة المنتظمة للدوائر العريضة للطبقة العاملة ، للعمال الذين يعيشون من الاجور والمرتبات ، فى الادارة الاقتصادية للانتاج وتوزيع الواجبات التى تتعلق بمصالحهم •

ان مشاركة العمال فى ادارة المشروعات قد جعلت مسألة اتساع حقوق وواجبات النقابات هى قضية الساعة . ولقد اقر البرلمان فى العام الماضى قانون عمل جديدا يعطى للعمال — وللنقابات باعتبارها ممثلة لهم — سلطة وحقوقا أوسع • والاتفاقيات الجماعية التى تعقد على هذه الاسس تتضمن حقوق وواجبات العمال والادارة الاقتصادية على مستوى المشروع •

وطبقا لقانون العمل والاتفاقيات الجماعية فان للنقابات الحق فى اصدار توصيات وقرارات ولها حق المتابعة وحق اصدار القواعد التنظيمية المستقلة ، وحق الاعتراض (الفيتو) فى المسائل الخاصة بحياة العمال وظروف عملهم ، وتمارس أجهزة النقابات فى المؤسسة حقها فى الاتفاق قبل كل شىء على المسائل الخاصة بتنظيم علاقات العمل فى المشروع والذى يظهر بعد ذلك فى الاتفاقيات الجماعية •

ومن حق النقابات ان تقدم آراءها وان تضع او تقترح المشروعات الخاصة بالنشاط الاقتصادى للمؤسسة • والادارة الاقتصادية ملزمة باعطاء اجابة مسببة لجهاز النقابة الذى يمارس هذا الحق • وحق الادارة فى اتخاذ القرارات لا يتأثر بهذا التدخل ، ولكن فى حالة اختلاف وجهات النظر ، تتزايد المسئولية الشخصية حيال القرار المتخذ •

وهناك حق هام جديد لاجهزة النقابات هو انها تعبر عن رأيها بخصوص التعيين والفصل للمديرين الاقتصاديين واختبار نشاطهم • ويجب أن تستشار بهذا الخصوص • وتمارس أجهزة النقابات هذا الحق على أساس معرفة وخبرة العمال ، واضعة فى اعتبارها كل زوايا ومصالح الاقتصاد الوطنى والمشروع •

ولاجهزة النقابات الحق فى الاستقلال باتخاذ القرارات فيما يتعلق باستخدام المبالغ المخصصة من ربح المؤسسة للاغراض الاجتماعية والثقافية والرياضية • وعليها قبل اتخاذ القرار أن تستشير المدير الاقتصادى المختص ولكنها غير ملزمة برأيه • وبنفس الطريقة فان أجهزة النقابة فى المؤسسة لها الحق فى اتخاذ قرارات فى العديد من المسائل الاخرى •

وتستطيع النقابات أن تمارس حقها فى الاعتراض (الفيتو) لحماية فرد أو مجموعة من الافراد أو كل مجموع المشروع ، اذا ما انتهكت الادارة الاقتصادية الاتفاقيات الجماعية او الارتباطات المشروعه ، أو الخلق والسلوك الاشتراكيين • ويجب ألا ينفذ الاجراء القضائى المتخذ مسبقا من قبل المشروع قبل أن تحسم القضية بواسطة السلطات العليا المختصة •

وبالطبع فان للاجهزة النقابية فى المشروع والمصنع وحدها حق الاعتراض فى المجالات التى يكون فيها للمدير فى الوحدة الاقتصادية المعنية الحق فى اتخاذ اجراءات مستقلة •

وفى ظل نظام الادارة الاقتصادية الجديد يستمر ما للمبادرة الاشتراكية من أهمية كبيرة • وان اتساع استقلال المؤسسات وتزايد مشاركة العمال فى الادارة علىحد سواءيخلق اوضاعا اكثر ملاءمة للمبادرة الاشتراكية •

ان النشاطات العديدة التى تقوم بها النقابات تخدم كل شعبنا ، تخدم رفاهية المجتمع والافراد ، انها تقوى الاشتراكية ، والنظام الاجتماعى الذى بذل اخوة عمال فى كل مكان من العالم وما زالوا يبذلون التضحيات العديدة من أجله • اننا اذا واصلنا عملنا من اجل تقوية سلطة عمالنا ، فاننا ستجعل الافكار الاشتراكية أشد جاذبية على النطاق الدولى وسنقوى النظام الاشتراكى العالمى •

ان العمال المجريين اخلاصا لروح الدولية البروليتارية يؤيدون أهداف الصراع الطبقى للاتحاد العالمى للنقابات ويكافحون سويا مع عمال العالم ضد الامبريالية من أجل التقدم والسلام •

الوحدة الأفريقية حقيقة أم خيال ؟

ميزاوندل بيليسو

ميزاوندل بيليسو ، مناضل افريقى من جنوب افريقيا ، يشارك – كعضو فى اللجنة التنفيذية لحزب المؤتمر الوطنى – فى الكفاح المسلح من اجل تحرير بلاده من قبضة العنصرية والاستعمار العالمى . وهو – مثل غيره من التقدميين الافريقيين – صديق لبلادنا وقضاياها العادلة فى التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى . وجدير بالذكر ان مناضلى حزب المؤتمر الوطنى لجنوب افريقيا ، قد بادروا فى الايام الاولى لعدوان ٥ يونيو ، باصدار بيان يدين العدوان الاسرائيلى الاستعمارى داعيا الى نصرة الشعوب العربية وتاييدها فى نضالها المشروع ضد المخططات الاستعمارية .

وفى هذا المقال ، «الوحدة الافريقية .. حقيقة ام خيال »، يعالج ميزاوندل بيليسو قضية هامة من قضايا التحرر الوطنى الافريقى .. وذلك من وجهة نظره الخاصة . والطليعة اذ تنشر هذا المقال ، فانها تحقق بذلك التزاما اخذته على نفسها وما زالت تأخذ به ، بان تفتح صفحاتها لوجهات نظر المناضلين من اجل حرية بلادهم وتقدمها .. على طريق نضال شعوب العالم لتصفية الاستعمار العالمى كنظام والى الابد .

لا يهدف هذا المقال بأية حال الى وضع حلول لمشاكل الوحدة الافريقية ، كما انه لا يسعى لان يكون نقدا للوضع القائم . ولكنه مجرد محاولة لطرح بعض القضايا ، املا فى ان يثير ذلك المناقشة ، وخاصة بين الشباب ، حول أفضل الطرق التى يمكن ان تجعل من الوحدة الافريقية حقيقة حية .

لقد كنا نناقش المرحلة الحالية للثورة الافريقية مع بعض الاصدقاء ، وكنا نشير بشكل خاص لفترة ١٩٦٠ ، ونتذكر عمالقة رجال السياسة الافريقية السابقين والحاليين – لومومبا ، بن بللا ، عبد الناصر ، سيكوتورى ، موديبوكيتا ، جوليوس نيريرى – هؤلاء الرجال الذين كانت تتطلع اليهم شعوب افريقيا ، وخاصة تلك الشعوب التى مازالت تئن تحت نير الاستعمار ، من أجل تحرير القارة باكملها . وقد حظى بعضهم بسخط الامبريالية لانهم اختاروا ، كما قال سيكوتورى عام ١٩٥٨ « الفقر فى ظل الحرية عن الغنى فى ظل العبودية » . وقد طرح

احدنا سؤالا ، ولكنه لم يتقدم عليه جوابا ، ولا اعتقد اننى سأحاول الاجابة عليه . وهذا السؤال هو « **أيهما افضل جيش من الاغنام يقوده اسد ، او جيش من الاسود يقوده احد الاغنام ؟** ».

حقا ، لقد كان عام ١٩٦٠ عام امل للجماهير الافريقية . فمن رأس الرجاء الصالح حتى القاهرة ، ومن مالاجاش حتى داكار كانت الثورة الافريقية تلفح بنيرانها بلدا اثر آخر تحت تأثير حركة التحرر الوطنى الافريقية .كانت شعوب افريقيا بأسرها تطالب بالاستقلال الكامل من أسيادها المستعمرين . وعندما حصلت على الاستقلال فى النهاية ، كانت فخورة بجهودها وتضحياتها وتطلعت لان تتمتع بثمرات عملها .

غير أن قوى الامبريالية كان لها مخططات اخرى . وسرعان ما اصبح واضحا ان منح الاستقلال كان مقصودا فى كثير من الحالات كتغيير فى المظهر فحسب — كمحاولة للتلاؤم مع الظروف الجديدة من جانب الاستعمار الجديد الذى تمثل الولايات المتحدةقلعته الرئيسية،والتى تشكل سياستها تجسيدا مركزا لكل اشكال الاستعباد غير المباشر لشعوب وقارات بأسرها وترتبط بالاساليب القديمة للعنف والنهب .

ولا تزال افريقيا تحكم من عواصم اوروبا وشمال امريكا — فالاحتكارات الدولية لا تزال تمثل الاسياد الذين يدفعون ويملكون السلطة لحمايةواثراء الذينيستمرونفى الولاء لهم ، بينما يتخلصون من الذين يؤمنون بضرورة نقل سلطة الدولة بشكل كاملباعتبارها الدليل الاساسىعلى الثورة . ويجب ان نعترف ، رغم ما فى ذلك من مرارة ، ان بعض البلدان ظلت خاضعة لنفوذ الاستعمار ، رغم القول المأثور والمجرب فى عصرنا الذى يتلخص فى « ان الاستقلال سيظل غير مستقر ووهمى اذا لم تحدث الثورة تغييرات اقتصادية واجتماعية بعيدة المدى ، واذا لم تحل المشاكل الهامة للبعث القومى » .

وفى ضوء هذا الوضع يجب التفكير فىالوحدة الافريقية . ولكن قبل ان نتطرق بعيدا يجب ان نبدأ باقرار حقائق محددة :

١ — ان جماهير القارة هى التى طلبت وحدة القارة ومازالت تطالب بذلك لايمانها بان مثل تلك الوحدة ستقوى مركز البلدان الاضعف وبالتالى تساعدها على مقاومة ضغوط الامبريالية .

٢ — ان شعار الوحدة الافريقية شعار سليم سواء فى جوانبه السياسية او العملية .ولذلك، فاننا لا نزال فى حاجة الى جهد اكبر لتدعيم الوضع القائم .

لقد تعرضت شعوب هذه القارة للقهر والاستغلال لفترة طويلة من الزمن .ولذلكفعندما حصلت على استقلالها ، كان عليها ان تؤمن ذلك الاستقلال . وكانت اقتصاديات بلادها ضعيفة ، متخلفة ، وتعتمد كلية على البلدان الام التى تركت جيوشها ضعيفة الغاية ، ومخربة ، ومدربة للدفاع عن مصالح الاحتكارات الدولية . وفى كثير من بلدان افريقيا . تغيرت الاوضاع لدرجة ما.ولكن مازال **الفلاحون** لا يملكون الارض ومازالت **قوى عمل العمال** تتعرض لنفس الاستغلال التىتعرضت لهخلالحكم المستعمرين.

لقد قيل : « ان الاستعمار كان نتيجة لا يمكن تجنبها للرأسمالية . فالنظام الرأسمالى ، الذى يقوم على استغلال الانسان للانسان لا يمكن ان يوجد دون ان يستغل شعوبا باكملها » .

ولذلك فقد كان من الواجب علينا ان نتيقظ عندما حصل بلد وراء الاخر على استقلاله منذ ١٩٦٠ فصاعدا . وكان علينا ان نسأل انفسنا عن السبب الذى من اجله يشجع الامبرياليون تكوين منظمة الوحدة الافريقية . ولكن عندما يصل الامر الى حد اقتراحهم لمشاريع الدساتير ، فان ذلك يكشف بوضوح عن وجود خطأ ما .

فى البداية ، كان بعض الناس يعتقدون ، انه سيكون من ايسر الامور ان نتحد كافريقيين . وهؤلاء لم يسألوا انفسهم لماذا لا تزال اوروبا غير متحدة بعد كل تلك السنين الطويلة من وجودها . حقا ، ان معظمنا قد خرج لتوه من السيطرة الاجنبية . ومن الممكن فهم حماسهم . ولكننا فى الحقيقة ايضا كانت تسيطر علينا دول استعمارية مختلفة . ويجب ان نخرج من ذلك كنتيجة طبيعية بان الكثيرين منا يحملون افكار الاستعماريين السابقين وتناقضاتهم وربما تأثروا بفلسفاتهم .

لقد دافع بعض الناس عن الوحدة العاجلة بحيث يتنازل كل بلد عنسيادته .وهذا بالضرورة يعطىصورة لذاتيةايديولوجية تبدوبعيدة التحقيق فى الوقت الحاضر رغم انها موجودة فى القارة وينظر آخرون الى الوحدة الافريقية باعتبارها **عملا مشتركا مرنا ، غير محدد الملامح** ، ولا تقع اى عقوبة قانونية على من يتجاوزه — وكل دولة حرة فى ان تتبع سياساتها القومية الخاصة مع حقها فى ان تتعاون ، او تمالىء من تشاء بما فى ذلك الامبرياليين الذين نعترف جميعا باننا نحاربهم . **فمن اجل اى غرض نتحد فى**

الحقيقة وضد ماذا ؟ وأى نوع من الوحدة نريد تحقيقه ولمصلحة من ؟ فى هذه الظروف يضطر المرء لان يشعر باننا فى حاجة الى تعريف اكثر دقة لاتحادنا .

ان الامبريالية العالمية لا تزال على قيد الحياة، وان كانت كحقيقة تسير فى طريق الضعف ، وضعفها ليس نتيجة لامر من اعلى وانما نتيجة للقوى الثورية الرئيسية الثلاث وهى :

● نجاح الدول الاشتراكية فى بناء مجتمعها.

● نضال الطبقة العاملة فى البلدان المتطورة صناعيا .

● تصاعد حركة التحرر الوطنى المعادية للامبريالية .

ولولا تخبط بعض العناصر فى المجموعة الاخيرة ، واذا ما امكن توحيد تلك الثورات الثلاث معا فى تيار ثورى جارف واحد ،وقد ثبت ان ذلك ممكن فى الحقيقة عندما توجد الرغبة الصادقة والاخلاص للهدف ، لامكن ضمان النصر ضد الامبريالية . واذا ماأردنا ان نهزم الامبرياليين فان علينا ان نأخذ فى الاعتبار عدة عوامل وهى :

ا — ان القومية وحدها لا تقضى على الخلافات الايديولوجية .

ب — يجب ان نضع خطا فاصلا بين اصدقائنا واعدائنا — يجب ان نتحد مع اصدقائنا للنضال ضد اعدائنا .

ج — اذا ما أردنا محاربة الامبريالية وهزيمتها فان تصميمنا يجب ان ينبع من الايمان والاخلاص للمبادىء التى تتعارض تماما مع الفلسفة الامبريالية .

د — لا يمكن ان يكون هناك حياد فكرى — اى انه لا يمكن ان يكون هناك حياد بين الرجعية، والديموقراطية ، بين القاهرين والمقهورين سواء فى فيتنام ، أو امريكا اللاتينية او فى افريقيا ، **ولا يمكن ان يكون هناك حياد بين الصواب والخطأ .**

هـ — ان الوحدة بين الذين يحاربون الامبريالية أمر ضرورى واساسى . واذا ما اتحدوا كما يجب ضد قوى القهر والاستغلال ، فانه :

أولا : لابد ان يكون هناك **برنامج سياسى مشترك كأساس للوحدة** ، وعندئذ فقط يمكن أن يوجد عمل موحد .

ثانيا : لابد وان تقوم الوحدة دائما على أساس **المصالح المشتركة** . والا فسوف تستفيد الامبريالية ، التى تبحث دائما عن فرصة لتقسيم صفوف الدول الفتية وحركات التحرر ، من ذلك محاولة منع [ولو مؤقتا] الدول الفتية وحركة التحرر من تحقيق اهدافها المباشرة .

ثالثا : لكى نتحدولكى يقوم تعاوننا على أساس مبدئى ، لابد ان يقوم على اساس **تنفيذ برنامج محدد** .

رابعا : ان الوحدة ليست تعويذة ، ولا يجب أن تؤخذ على انها قضية مسلم بها . انها قضية تحتاج **لعمل** صبور ، وواع ، ومخلص .

خامسا : يجب على الدوام تقديم المقترحات من أجل **وحدة العمل من اجل تنفيذ سياسة طويلة المدى** ، ويجب ان تكون دائما تعبيرا عن خط سياسى ثابت تمليه رغبة مخلصة فى تخفيف الام الجماهير المناضلة .

ولذلك **فان انشاء منظمة الوحدة الافريقية ، على اساس المدى الطويل ، كان خطوة تقدمية، ولا يزال** . ان حقيقة انها تستطيع الاجتماع كمجرد مركز التقاء لنشر الافكار [وعلى الذين يحملون افكارا تقدمية الا يظلوا داخل قوقعتهم] يعطى املا فى المستقبل ، كما يعطى الفرصة للجيل الشاب للاحتفاظ بالفكرة فى عقولهم طول الوقت بمناقشتها والاقتناع التام بضرورتها .

ويجب الا نتحول وراء تحول الرأى السياسى فى افريقيا الذى يمكن ان نراه فى التشويش القائم لدى بعض الجهات التى تعترف بمعارضة الامبريالية ، ولكنها فى نفس الوقت تنهج سياسة معاداة الشيوعية التى رسمها الامبرياليون والتى ترمى الى اضعاف نضال الشعوب من اجل استقلالها التام والى تدعيم مراكز الامبرياليين . وربما كان ذلك ليس بمستغرب فى الواقع العملى ، وهو ان كثيرا من بلدان افريقيا ليست حرة بالمعنى الحقيقى للكلمة ولا يمكن ان تكون حرة طالما كانت اقتصادياتها مرتبطة برؤوس الاموال فى اوروبا وامريكا الشمالية وخاضعة لهــا .

ولننظر الى مثل او اثنين من حياتنا اليومية المعاصرة التى تنعكس على تعاوننا وتضامننا — لقد قلنا ان الهجوم على اى بلد انما هو هجوم على القارة باسرها — وهذا شعار حسن . ولكن برهنت الاحداث على انه لا وجود له من الناحية العملية . ففى يونيو من العام الماضى ، هاجمت اسرائيل ذلك الجيب الاستعمارى فى الشرق الاوسط ، الجمهورية العربية المتحدة التى هى دولة افريقية ، ان الدول التى اظهرت اهتماما ما ،

بادانة العدوان الاسرائيلى ، واتخاذ موقف ايجابى الى جانب الشعوب العربية ، لم يتجاوز عددا محدودا من أعضاء المنظمة الافريقية .

لقد اتخذت منظمة الوحدة الافريقية فى اول اجتماع لها قرارا بان تقدم كل مساعدة حيوية وضرورية لحركة التحرر ، واعادت اتخاذ هذا القرار فى كل مؤتمراتها منذ ذلك الحين . ولكن تكشف حقائق اليوم عن ان عبء ذلك قد القى على عاتق عدد محدود من الدول ، خاصة تلك الدول القريبة من مسرح الصراع . ولا يستطيع المرء ان يصدق ان الذين يرفضون المساهمة يفعلون ذلك لانهم لا يستطيعون تقديم شيء . بل ان المرء ليميل الى الاعتقاد بان هـذا الرفض من جانب البعض يتم بناء على نصيحة الامبرياليين الذين لهم مصالح مادية فى الوضع القائم .

وفى بداية العقد الحالى كانت كل البلدان الافريقية تقريبا حتى اكثرها تخلفا تتكلم عـن التطور فى طريق الاشتراكية . وحتى فى الوقت الذى كان التركيز يدور حول تطور الاشتراكية القومية كان الاعتقاد لا يزال سائدا بتعدد طرق التطور نحو الاشتراكية . ولقد كانت الجماهير الافريقية نفسها تنظر بوضوح الى هذه الخطوة باعتبارها رفضا حاسما لطريق التطور الراسمالى ووضع حد لاستغلال الانسان للانسان . غير ان الامبرياليين من جانبهم ايدوا هم الاخرين تطور ما يسمى « **بالاشتراكية البراجماتية** » فى بلدان افريقيا ، حيث لا يتم اصلاح زراعى ولا تأميم الا فى الظروف التى تضطر فيها البرجـوازية الوطنية الى استخدام اساليب اشتراكية معينة للتغلب على التخلف الاقتصادى ، ولكنها لا ترمى الى أن تسمح باى انتهاك لمصالحها الطبقية . ونستطيع اليوم ان نرى بوضوح فى بعض بلدان افريقيا أن تلك البدايات للتطور الاشتراكى لم تكن سوى تكتيكات معوقة ، ووسيلة لكسب الوقت حتى تقوى البرجوازية الوطنية من مراكزها ليكون فى مقدورها خنق كل المطامح نحو اى تطور تقدمى .

لقد حل مؤتمر شعوب افريقيا فى وقت كان يتطور فيه كمركز التقاء للفكر التقدمى الافريقى . وتم رسم تخريبه بعناية فى دوائر معينة ليخلف لنا فراغا وبذلك يحرمون شعوب القارة من منبر ومن مركز التقاء لتبادل الاراء . **ومازالت افريقيا فى حاجة الى مثل هذا المنبر [وربما هى فى حاجة اليه اليوم اكثر من ذى قبل]** ، حيث يستطيع أن يجتمع الناس كمواطنين احرارا فى هذه القارة بعيدا عن شكليات البروتوكول والخوف من العدوان على سيادة الدول الاخرى .

ان هناك ضمانا واحدا فقط لكى تقوم وحدة مستقرة ومبدئية وهو ان **نشجع ونطور القوى التقدمية فى قارتنا** . ومن اجل هذا الغرض فاننا نحتاج الى تربية جماهيرنا لادراك معنى وجوهر النضال المعادى للامبريالية والمعادى للاستعمار القديم والجديد . ونحن فى حاجة الى **تعبئة وتدعيم تنظيمات الشعب العامل باعتبارها طليعة النضال ضد الرجعية . ان شعوبنا يجب ان تكون قادرة على ان تميز بنفسها بين الصوت الحقيقى لنيريرى وناصر وبين الصراخ المفتعل لامثال باندا .**

ان على القادة التقدميين فى افريقيا ان يتحملوا العبء على اكتافهم وان يحددوا مبادىء وحدة العمل . وعليهم ان يسعوا ودون تردد لان يلعبوا دورهم القيادى فى المسائل المبدئية . ان التهاون عندما يزيد عن الحد يمكن ان يكون سـيئا كالانحراف .

ان الثورة لا تستطيع ان تصل الى غايتها دون طليعة ، تماما كما سبق ان قيل : « انه لا يمكن ان توجـد اشتراكية بدون اشتراكيين » فاذا كنا نهدف حقا الى تطوير الاشتراكية فى بلادنا ، ففى مقدورنا ان ننتج الاشتراكيين بالتأكيد ، وربما كان ذلك هو العامل الذى يوحدنا ويخلق اساسا محددا ، يكون حجر الزاوية ، وضمانا للوحدة الافريقية . وعند ذلك فقط يمكن ان يكون لدينا جيش من الاسود يقوده اسود ، او مجتمع من الرجال والنساء مستعد لمواجهة تحـدى الامبريالية .





الأدب المصرى بعد الخامس من يونيو

غالى شكرى

هل يمكن اعتبار الخامس من يونيو حدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ الاب العربى ؟

لا اعتقد ان جوابا موضوعيا امينا على هذا السؤال يمكن نعطيه اليوم او فى الغد القريب · ذلك ان الاحداث الكبرى فى حياة الامم لا تعكس صداها مرآة الاب والفن غداة وقوعها ، وانما يرهص الفنان بهذا الحدث او ذاك لو أنه ارتفع الى مستوى النبوءة ، وينتظر سنوات طويلة لا يتعجل خطوها فى الرصد والتحليل ، لو أنه التقى بموقع المؤرخ للاحداث . وفى أحيان كثيره يرفض الفنان او ترفض له الطبيعة ان يكون نبيا أو مؤرخا ، ويؤثر على هاتين الوظيفتين ان يلاحق الحدث ويواكب نتائجه · وقد درج نقاد الادب على تخصيص ارفع المراتب للكاتب الذى تحبوه الفطرة والخبرة والثقافة ببصرة الانبياء النافذة الى أعماق المجهول ، ولكنهم افسحوا مكانا بارزا للكاتب الذى لا يستبق الحدث حقا ، ولكنه يتمهل فى رؤيته عبر الزمن تمهلا يتيح له القدرة على التسجيل الموضوعى الامين · ولا أعلم ما اذا كان تاريخ الادب قد احتفظ فى ذاكرة الاجيال بهذه الاعمال التى تتواتر على الاسماع والعيون فور حدوث الحدث . غير ان هذا لا ينفى ما لهذه الاعمال من تاثير بالغ الاهمية على الوجدان ابان اللحظة العابرة ، ولا يبقى لهذا التاثير الموقوت من حقوق على النقاد والدارسين الا فى حدود « الطوارىء » التى يعلن عنها ويحفز لها ، لا فى اطار الحياة العريضة باشواقها واحزانها التى لا تحد ·

وليس أعتقد أن الادب العربي الحدث يشذ عن هذه القاعدة العامة • فلعلى لا أجاوز الصواب اذا قلت ان ادب الخامس من يونيو قد ظهر قبل الخامس من يونيو ، وأن أدب ما بعد الخامس من يونيو – فى أهم نماذجة – هو امتداد لما ابدعه الكتاب قبل هذا التاريخ • أما هذه الاعمال « المفاجئة » بكسر الجيم وفتحها فانها لا تصوغ قيما باقية تستحق انتباه النقد• احتفاء او ازدراء لان دورها ينتهى قبل ان يتمكن صداه من الوصول الى مرحلة التقييم• وانه لما يشرف الادب العربى المعاصر انه كان سباقا الى استشراق الغيب الحزين قبل ان تطل علينا الكارثة فى حزيرانها الدامى • وانه فى ذلك لم يكن عينا لزرقاء اليمامة ، فحسب ، تخترق الحجب وتستكشف المستقبل ، وانما كان مناضلا عنيدا على أكثر الجبهات حماسية واوضحها اشتمالا على المخاطر • ولن ينسى تاريخنا الادبى ان بعضا من ادبائنا قد عانى من الاهوال ما يصل فى مضمونه الى درجة الاستشهاد ، ومع هذا فقد ظلوا صامدين على خط المواجهة الاولى ، لم يعبأوا فى قتالهم بالجزء ، من أجل الكل ، ولم تنل منهم وحشة الطريق المجهول اذا تخلى عنهم فى منتصفه او قرب المنتصف اقرب الاصدقاء •

واسمحوا لى أن اتخذمن الادب المصرى الحديث مثالا ، مجرد مثال لا أشك فى أن له نظائر فى بقية أرجاء الوطن العربى ربما كان غيرى اكثر الماما واحاطة بها .، وفى الادب المصرى كذلك لن اتناول سوى الشواهد البارزة على بطولة الكاتب العربى فى تحدى الهزيمة قبل أن تكشف عن وجهها الدميم فى الخامس من يونيه • وكانت قضية الديمقراطية من أهم الجبهات واكثرها حساسية فى ظل مجتمع الانتقال من ظلمات الاستعمار والملكية والاقطاع وما يعنيه هذا الثالوث لشعبنا من قهر وطغيان وتخلف كان النضال المصرى ضد الاحتلال البريطانى والعرش العلوى والمتحالفين معهما من كبار الملاك الرأسماليين ، نضالا ذا وجهين : احدهما ندعوه بالحرية الاقتصادية والاخر ندعوه بالحرية السياسية • واقبلت ثورة يوليو العظيمة عام ١٩٥٢ لترث اثقالا من الظلمة يحتاج الامر فى تبديدها دفعة واحدة الى معجزة .ولم تكن ظروف الثورة ومصر والعالم لتسمح الا بقليل من الشموع اضاءت لنا الاهم فالمهم ، أجلت جنود الاحتلال عن ديارنا واخذت تسن قوانين العدل الاجتماعى المستطاعة • وفى غمرة الانهماك المضنى للبحث عن حلول ، لم تصل تجربتنا السياسية بين يوم وليلة الى صيغة يتفق عليها مختلف الاطراف الوطنية حول الحرية . وايمانا عميقا من كتاب مصر بالثورة وليس خروجا عليها ، بل حرصا عميقا ومعاناة صادقة فى رؤية ما هو ابعد من اللحظة العابرة ، بادروامن مواقع مختلفة فى تقديم الصيغ البديلة لازمة الحرية • ولم تصادر السلطة من جانبها عملا واحدا لهم ، ايمانا منها بانتمائهم الجوهرى – وليس العارض – اليها • وربما كان توفيق الحكيم فى مسرحيته « السلطان الحائر » (١) من أوائل الذين اشاروا وناقشوا مشكلة الشرعية والحكم الديمقراطى مؤثرا القانون على السيف فى معالجة شئون الدولة والشعب ، حتى اذا اتصلت هذه الشئون باكبر المراكز القيادية فى المجتمع . ولم يأل الحكيم جهدا فى التأكيد على هذا المعنى من زاوية جديدة فى « بنك القلق » ولم يجنح فيها الى استعارة العصر المملوكى عن كتب التاريخ كما فعل فى « السلطان الحائر » وانما اتجه الى الواقع المعاصر بكل سماته وخصائصه فناقش مباشرة أجهزة الامن فيه ، هذه التى دعونا انعكاس الهزيمة عليها بسقوط دولة المخابرات •

ويختلف الفريد فرج ويتفق مع توفيق الحكيم فى تناول قضية الديمقراطية ،يختلف معه فى الاتجاه بها اتجاها تجريديا • ويتفق معه فى اعتبارها اساسا خطيرا من أسس البناء الاجتماعى العادل ويتخذ الفريد فى مسرحيته « حلاق بغداد » (٢) ديكورا شعبيا من الف ليلة وليلة . ولم يكن هذا الديكور مجرد معادل رمزى للواقع المصرى كما هو الحال فى مسرحية الحكيم ، وانما كان يتضمن موقفا فكريا محددا فى ارتباط مدلول الحرية بمصلحة الجماهير الواسعة من الشعب ، فهى ليست حرية مجردة .ليست شكلا جميلا فحسب ،بل هى صياغة سياسية لاوضاع الشعب فى مجموعه ، الاقتصادية والاجتماعية . لذلك كان « منديل الامان » الذى يحتاج اليه ابو الفضول من السلطان مطلبا جماعيا يحتاج اليه كل فرد • على أنه اذا كان الحكيم والفريد فرج يعالجان القضية فى اطار نسبى من وحى ظروفنا • مهما اختلف كلاهما فى زاوية النظر ، فانهما معا يختلفان مع يوسف ادريس فى مسرحيتيه « الفرافير » و « المهزلة الارضية » (٣) •• ذلك أن يوسف قد بلغ بالتجريد فى هذين العملين مرحلة الرفض التام لكافة الانظمة السياسية على ظهر هذا الكوكب

---

[١] الطبعة الاولى مكتبة الاداب بالقاهرة ١٩٦٠ .

[٢] الطبعة الاولى – دار النهضة العربية – ١٩٦٤ ومثلت فى نفس العام .

[٣] صدرت المسرحيتان فى مجلد واحد عن سلسلة « المسرحية » التى كانت تصدرها مجلة المسرح .. عدد مارس ١٩٦٦ م .

لانها فيما يرى لم تحقق فكرته المثالية عن الحرية ، ولانه ليست هناك حقيقة موضوعية فى هذا الوجود . ولست أشك أن يوسف ادريس فى مثل هذه الاعمال قارب الفكر الفوضوى خطوة أو خطوات ، ولكنى أعتقد فى نفس الوقت أنه كان يقوم — عن طريق الفن — بتعرية كاملة للحجج المعادية للحرية . وانه فى هذه التعرية لجأ الى الاسلوب الفانتازى احيانا لمجرد أن يضخم — فنيا — ويحذر فكريا من الاخطار المحيطة بقضيتنا الديمقراطية .

صدرت هذه الاعمال للكتاب الثلاثة ابان الفترة الواقعة بن ١٩٥٩ و ١٩٦٦ ولعلنا نذكر ان اولى الصيحات التى ارتفعت عاليا بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ هى صيحة «سيادة القانون» حتى أنها اصبحت شعارا رسميا تتبناه الدولة ، كما انها اصبحت فى صلب الدرسات التى حللت الهزيمة وابعادها عنصرا رئيسيا . واكرر القول ان جبهة النضال من أجل الديمقراطية كانت ولا تزال من اكثر الجبهات حساسية ، لان كتابنا هؤلاء وغيرهم كثيرين ينطلقون فى الدفاع عنها من معسكر الثورة وهم يعلمون حق العلم ان معسكر الاعداء قد يسحب الارض من تحتهم ويرفع نفس الشعار بصوت ربما كان اكثر ارتفاعا ولاهداف ابعد ما تكون عن الايمان بالحرية .. ومع هذا فانهم مضوا فى الطريق الصعب ، المليء بالصخور والالغام والاسلاك الشائكة ، فادوا دورهم كاعظم مايكون الاداء . ولذلك يضع الناقد اعمالهم فى ارفع المراتب وأعلاها ، مرتبة التنبؤ بما يكون . ان ادبهم ، وان كان قد صدر قبل الهزيمة بسنوات ، بل ولهذا السبب بالذات ، يعد فى تقديرى ادب الخامس من حزيران .

والقضية الثانية التى ترافق الحرية هى قضية العدل الاجتماعى ، وقد تبناها فى صراحة ووضوح كاتب مثل عبد الرحمن الشرقاوى فى مسرحيته « الفتى مهران » (٤) ، وروايته « الفلاح » (٥) . وكاتب مثل سعد الدين وهبه فى مسرحيته « بير السلم » و « سكة السلامة » وشاعر مثل صلاح عبد الصبور فى « مأساة الحلاج » (٦) ويتفق ثلاثتهم على ان مشكلة الديمقراطية فى جوهرها هى مشكلة العدل الاجتماعى . وذلك بعد ان دلت تجربتنا الاجتماعية على انه لا انفصال بين الوجه السياسى والوجه الاقتصادى لقضية العدل ، فانحراف احدهما يؤدى بالضرورة الى انحراف الاخر ، وليست صحيحة تلك المعادلة القديمة القائلة بالاهم فالمهم لان الاحتياجات الاساسية للبشر لا سبيل الى تصنيفها على نحو هرمى . هكذا كتب عبد الرحمن الشرقاوى مسرحيته « الفتى مهران » هذا المنتمى الى الثورة ولكنه حين يرى الظلم وقد استفحل — وعلينا ان نلاحظ بناء الفتى المستلهم من العصر المملوكى — لم يأبه بحياته ويخاطب السلطان محذرا ومنذرا . ويجند السلطان كافة اسلحته فى غواية فتى الفتيان ، سلاح التجميع والتقريب ، ولكن مهران ضحى


سعد الدين وهبة


عبد الرحمن الشرقاوى


صلاح عبد الصبور

[٤] نشرت على ثلاثة اعداد فى « الكاتب » عام ١٩٦٥ ومثلت عام ١٩٦٦ وطبعت فى سلسلة « المكتبة العربية » عن الدار القومية بالقاهرة عام ١٩٦٦ .

[٥] نشرت معظم فصولها بجريدة الجمهورية فى ابريل ومايو ١٩٦٧ ثم طبعت فى كتاب عام ١٩٦٨ اصدره « عالم الكتب » .

[٦] الطبعة الاولى — دار الاداب اللبنانية — ١٩٦٦

بنفسه من أجل الاخرين، لتظل سيرته من بعده ملهما لايجارى فى الاستبسال من أجل الحق ولو كان مصيره الاستشهاد · ويعود الشرقاوى فى رواية « الفلاح » التى كتب معظم فصولها قبل الخامس من يونيو · ليناقش قضية « الارض » التى كان قد عالجها من قبل هذا التاريخ بخمسة عشر عاما ، وبعد ان آلت القضية الى قوانين الاصلاح والاستصلاح والجمعية التعاونية والتجميع الزراعى ، فلا يألو الكاتب جهدا فى وضع الاصبع على الجرح ويشير باصرار الانبياء وشجاعتهم الى مواطن الداء فى تنظيماتنا السياسية · واذا كان عبد الرحمن الشرقاوى قد لجأ الى الرمز المملوكى فى « الفتى مهران » فان جماهير المشاهدين للمسرحية لم تفتهم للحظة واحدة هذه الاشارة أو تلك الايماءة فاهتاجت الخواطر كل ليلة فى ثورة غاضبة من أجل الثورة · وهذا هو المعنى ـ ربما ! · الذى فات النقاد الذين هاجموها باسم الثورة ، للاسف ! وهو أيضا المعنى ـ ربما انه الذى لا يزال غائبا عن المسئولين فى مؤسسة المسرح وهم يحرمون ظهورها فى مواسم الاعادة خوفا من القيل والقال ، بالرغم من زيارة المسئولين الرسميين والسياسيين للمسرح ومشاهدتهم للمسرحية وتسجيل تقديرهم لاوضح ما عنيته بأن بعض أدبائنا قد ناضلوا على خط المواجهة الاول نضالا ضاريا يصل أحيانا الى درجة الاستشهاد · فالحق ان هذا « المنهج » فى استقبال « الفتى مهران » عند ظهورها كاد أن يكون « نظاما نقديا » من جانب البعض فى تلقى الاعمال الفنية الناقدة لسلبيات الثورة ·· حتى أن صفة « استعداء السلطة » أو العمالة لها قد شاعت ابان تلك الايام ،ولست أميل هنا الى استخدامهما، وانما اكتفى بالقول الى ان اولئك النقاد كانوا أقصر نظرا من أن يروا الحقيقة الخافية عن العين المجردة ، بينما استطاع بعض الكتاب ان يروا الحقيقة السوداء فى الغرفة المظلمة.وما يدل على ان « نظاما نقديا » كاد ان يتكون من جانب البعض فى تلقى الاعمال الفنية الناقدة لسلبيات الثورة · أن ما حدث لعبد الرحمن الشرقاوى ، تعدد حدوثه فى مستويات مختلفة، كهذا الذى أحاط بمسرحية « بير السلم » « ٧ » لسعد الدين وهبه ، و «مأساة الحلاج» لصلاح عبد الصبور . وانه لما يثير الاستياء حقا أن يقبل الاعتراض على هذين العملين ، من جانب النقد بالنسبة « لبير السلم » ومن جانب مؤسسة المسرح بالنسبة « لمأساة الحلاج» ·· ولم يحدث فى الاغلب الاهم ان جاء الاعتراض فنيا أو فلسفيا وانما كانت فى معظمها اعتراضات سياسية صارخة ··

وكان يدهشنى ـ على ضوء المعرفة الشخصية والفكرية معا ـ ان الكتاب موضع الاتهام السياسى لا يقلون ولاء وانتماء وانتسابا للثورة عن نقادهم · فى « بير السلم » و « سكة السلامة » [٨] اوضح سعد الدين وهبه بما لا يدع مجالا للشك ان ثمة أزمة عميقة فى مجتمع الانتقال الذى نعيشه كأبطال تراجيديين ، نصفنا مع الثورة واهدافها ونصفنا الاخر يتلوى ألما ويترف دوما من التطبيقات المنحرفة والفاسدة هذا « الفصام » فى شخصيتها الانسانية هو محور البناء الفكرى فى المسرحيتين ، وان اتخذت الاولى مسارا رمزيا فى شخص الغائب طيلة العرض ، بينما اتخذت الثانية مسارا واقعيا فى هذه المجموعة من الشخصيات التى توقفت بها عربة الاوتوبيس المتجه نحو الاسكندرية فى بقعة مهجورة من الصحراء · واذا بهذا المأزق الذى يضع الجميع على حافة الموت يكشف أستارهم الكثيفة من الالقاب والعز والجاه ويبرز حقيقتهم التى اصطبغت بلون واحد هو المصلحة الشخصية والمصلحة الطبقية ، وبخاصة عند أولئك الذين صورهم سعد وهبه فى اطار ماندعوه الان بلغة السياسة والاقتصاد « الطبقة الجديدة » · وهى الطبقة التى قادت بلادنا الى كارثة الخامس من يونيو بالاشتراك مع عديد من العوامل الاخرى · ولكننى أردت القول بأن « سكة السلامة » كانت الدقة الاولى فى ناقوس الخطر الذى نبه الاذهان الى جرثومة السقوط فى البناء الاجتماعى · أما « مأساة الحلاج » فضربت المثل على وحدة الفكر والسلوك فى حياة قائد الفكر للدرجة التى يبذل فيها هذه الحياة رخيصة على خشبة الصليب ، فداء الايمان بما يقول والعمل على تحقيق ما يقول ، ولذلك يدهش المرء لهذه التفسيرات الملتوية التى غمزت صلاح عبدالصبور ولزمت عمله الفنى باتهام مستتر حول حرية الفكر وموقف السلطان ومعنى العدل والتعبير العملى عن الفقراء من عامة الناس لاستجداء العرش باسمهم ثم ضربهم بعد ذلك ، الى غير هذه المعانى التى استوحاها الشاعر من سيرة الحلاج ومأساته ، لم يلتزم فيها حرفية التاريخ لانه استودع الكلمة سر الواقع المعاصر وهمس لها بعذابه الشخصى وناجاها بأنات شعبه ، فلبت النداء .

وكانت أزمة المنتمى الى الثورة من أكبر الهموم التى اعتلج بها صدر المثقفين والثورة على السواء ، فكتب الكثيرون حول ماسمى آنذاك بأزمة المثقفين ، وتجاهل معظمهم ـ عن عمد أو عن غير عمد ، فالنتيجة واحدة ـ الاسباب الحقيقية لهذه الفجوة التى اتسعت حينا لدرجة خطيرة بين

---

[٧] لاتزال مخطوطا مثلت على المسرح لاول مرة فى موسم ١٩٦٦ .
[٨] مثلت فى موسم ١٩٦٥ ونشرت فى كتاب عن دار الكاتب العربى بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٧/٢/٢٠ .

المثقفين والثـــورة . ولقـــد اقيلت خطـــورة هذه الفجوة من انها كانت بين الثورة والمنتمين اليها من حيث الجوهر وفى خطها العام ولكنهم تناقضوا معها فى الوسائل والتفاصيل لان رؤيتهم الثورية انبثقت من واقع مختلف وماض مستقل . وقد تخصـــص كاتب كبير مثل نجيب محفوظ فى متابعة هذه الازمة من بداياتها الاولى ، اى من ذلك الميراث الذى تخلف عن المجتمع القديم حيث ردد كمال عبد الجواد بطل الثلاثية كلمات ابن أخيه أحمد شوكت عن الثورة الابدية وهو يغيب عن ناظريه وراء الاسوار العالية فى سجن الطور ، الى عثمان خليل الاسم الجديد لنفس المنتمى القديم وهو لا يزال وراء الاسوار بالرغم من ان بعضا مما دعا اليه وسجن من أجله قد تحقق بانتصار دولة الثورة على سلطة الاستعمار والعرش والاقطاع (٩) . ويختار نجيب محفوظ من الناحية الفنية أن يصور الازمة لا من خلال بطلها المباشر عثمان خليل وانما من خلال انعكاسها على عمر الحمزاوى الثورى القديم الذى فضل حياة الدعة والهدوء والسيارة الكاديلاك على ذلك الطريق الاخر الذى انتهى بزميله الى غياهب الظلام فكان ذلك انذارا انصاع له وانحنى للعاصفة . ولكن الفنان ببصيرته الداخلية كان يدرى ان عـــذابا يكتوى به هـــذا التوقف ــ جبرا واختيارا ــ عن النضال ، فاهدانا نموذجا لا ينسى لما يمكن أن تؤول اليه هذه الفجوة من الاتساع بين الثورة والمثقفين . وهى القضية التى عالجها بعدئذ فى « ميرامار » (١٠) فجسد انماطا مختلفة من المنتمين وانماطا اخرى من اعداء الثورة كحسنى علام وطلبة مرزوق من فلــول الطبقات المنهارة . ونعلم ان أحمد شوكت لا يزال سجينا باسم «فوزى» وان منصور باهى هو ثمرة هذا الانحناء الدائم للعاصمة الذى عرفنا بدايته فى عمر الحمزاوى فقادته الهزيمة الى الجنس والتصوف ، اما منصور باهى فقادته الى الارتداد فالخيانة مرموزا اليها بالعلاقة بينه وبين زوجة أستاذه فوزى . على أن الاضافة الهامة التى يضيفها الكاتب فى هذه الرواية فهى شخصية « سرحان البحيرى » الذى يمثل الانتماء الى الثورة بغير ان يختلف معها فى الموقع ولا يستقل عنها فــى الماضى .. فمن هيئة التحرير الى الاتحاد القومى الى الاتحاد الاشتراكى كان سرحان عضوا نشيطا بمنظمات الثورة تدرج فى مسئولياتها حتى وصل ذروة ما يرجوه فى مجلس ادارة الشركة التى يعمل بها ، ولكن الوجه الاخر له كان « الانتفاع » بالثورة لا النضال عنها فاختتم حياته هذه الخاتمة الرمزية العنيفة .

اخفق فى احدى الصفقات المثيرة وانكشف امره فانتحر ! ولين « الشحاذ » و « ميرامار » كان نجيب محفوظ قد أبدع اعظم اعماله الفنية على الاطلاق وهى روايته « ثرثرة فوق النيل » التى كشف فيها اللثام عن مأساة الضياع الدامية فى حياة مجموعة من البشر يقضون امسياتهم فى دخان الخدر وايامهم فى التلهى بالجنس والموت مادامت « الحياة » غير ميسورة لهم فى ضـوء النهار واشراقة الشمس .. الحياة التى تخلو من الرعب وامتهان الحرية والكرامة والسلام التى دفع صابر فى رواية « الطريق » حياته ثمنا لها دون جدوى . وهى الحياة التى رفعها الحكيم المصرى القديم فوق سن الرمح أو سن القلم ــ فكليهما سواء حين خاطب فرعون باســم نجيب محفوظ ورسم ايبورور » .

ان ندماءك قد كذبوا عليك

هذه سنوات حرب وبلاء

ما هذا الذى حدث فى مصر

ان النيل لايزال يأتى بفيضانه

ان من كان لا يمتلك أضحى الان من الاثرياء

ياليتنى رفعت صوتى فى ذلك الوقت

لديك الحكمة والبصيرة والعدالة

ولكنك تترك الفساد ينهش البلاد

انظر كيف تمتهن اوامرك

وهل لك ان تأمر حتى يأتيك من يحدثك بالحقيقة (١١)

هذه الاعمال الشجاعة وغيرها كثير ، قد انارت بالوعى قلوب شعبنا وارتفعت من أعماق الظلمة الى مستوى المسئولية التى ارتضى الكاتب ان يتحمل تبعتها يوم امسك القلم . واذا كانت هناك بعض الاذان لم تسمع وبعض العيون لم تر ، واذا كانت هذه الاذان والعيون ــ لسوء حظ أمتنا ــ فى مواقع القيادة والسلطة ، فان هذا لا ينفى ان بصائر نقية من غشاوة اللحظة العابرة قد رأت ما هو أبعد من اقدامها وانوفها ، رأت الهول قبل وقوعه ولم تفاجأ بما رأت لانه كان فى الحسبان عذابا مضنيا لا يخفف من وطأته البوح به . اولئك الكتاب كانوا انبياء الهزيمة حقا ، فلم يخرجوا على الثورة ونظامها وانما ناضلوا سلبياتها من بين

---

[٩] راجع « الشحاذ » ــ الطبعة الاولى ــ مكتبة مصر ــ ١٩٦٥ .

[١٠] الطبعة الاولى ــ مكتبة مصر ١٩٦٧ [وقد نشرت فى « الاهرام » خلال ١٩٦٦]

[١١] راجع « ثرثرة فوق النيل » الطبعة الاولى ــ مكتبة مصر ــ ١٩٦٦ .

صفوفها . ولتنت أعرق نظاما سياسيا نقد نفسه بمثل ما نقد النظام المصرى نفسه ، ولو اننا طالعنا هذا النقد فى صبر وأناة لشعرنا حتى النخاع باهمية هذه الكتابات الرائدة فى الكشف عن جذور الهزيمة قبل ان تثبت وتزهر وتثمر هذه الفواجع المتلاحقة التى نكبت امتنا . وعندما نقارن بين ما انطوى عليه النقد الذاتى المصرى من وقائع حدس بها الادب والفن وسجلها وحذر منها نتيقن من صدق هذه البديهية القائلة بأن الكاتب فى جوهره مقاتل ، ليس طريقه مفروشا بالورود وانما باشواكها فعليه ان يناضل نفسه وغيره من أجل ما يعتقد انه الحق ، حتى ولو استشهد فى سبيل هذا الحق على يدى اقرب الاصدقاء • فلا ريب ان هذه الكتابات الكاشفة - فى مناخ مختلف - كانت تصبح عونا للثورة لاعليها وسياجا لنظامها السياسى لا سجنا له مهما تسبب هذا العون او هذا السياج فى ظل مناخ مضطرب ، فى اختلاط القيم وضياعها احيانا واستشهاد الانبياء فى معابد الصلاة على ايد مؤمنة •

هذه الاعمال الشجاعة ، وغيرها كثير ، هى العصب الحى لادب الخامس من يونيو ، وليست الاعمال التالية لهذا التاريخ - لنفس الكتاب - الا امتدادا لهذه الرؤيا وتعميقا لها • اما الاعمال التى واكبت الهزيمة حتى الان فلا ترتفع الى مستوى التاريخ ، وانما تتدرج فى غالبيتها تحت مايسمى بأدب المناسبات • ولو أننا ألقينا نظرة على انتاج الحكيم ومحفوظ والشرقاوى وسعد وهبه ويوسف أدريس والفريد فرج بعد الخامس من يونيو ١٩٦٧ لما أحسسنا ان ثمة فرقا جوهريا بينه وبين انتاجهم فيما قبل هذا التاريخ • بل ان الشماتة والتشفى التى تبدو فى قصائد بعض الشعراء لم تعرف طريقها الى انتاج اولئك الذين لهم وحدهم الحق فى ان يقولوا « أرأيتم » ؟ « لقد قلنا لكم » . وكذلك النواح والعويل والندب وتمزيق النفس ونهش الذات ، كل هذه النغمات التى تستريح اليها الاذن ويدمع لها القلب فى وقت المحن والازمات لم تستدرج أولئك الكتاب الى أن يقيموا من أدبهم الجديد سرادق للعزاء •

وانما كتب توفيق الحكيم « كل شىء فى محله » (١٢) ونجيب محفوظ « تحت المظلة » (١٣) لاينعيان شيئا وانما يجسدان بشاعة اللحظة التى تحياها من زاوية البحث عن حل لتجاوزها • فلقد كانت « الفوضى المخيفة » هى أول ماأسترعى انتباه الكاتبين من اصداء الهزيمة ، جردها نجيب محفوظ فى صورة فانتازية تراقصت بها ألوان الجنون والقتل ، وجسدها الحكيم فى لوحة واقعية تشابكت فيها خيوط الحقيقة والزيف • ولسان حال الكاتبين أن الهزيمة فى ذاتها ليست عيبا اذا لم تكن الاستجابة لها بقاء الحال على نفس المنوال الذى أدى اليها ، حال الجنون والموت والدم • وقد شارك سعد وهبه غداة الهزيمة فى الحوار الدائر حول الحل السلمى والحل العسكرى بمسرحيته « المسامير » (١٤) التى اختار لها هذه النهاية المباشرة الصارخة « اضرب ياعبد الله » • وهى لاترتفع من حيث قيمتها الفكرية ومستواها الفنى الى مستوى الاعمال التى سبقتها والتى تلتها على السواء لمسرحيتى « ٧ سواقى » [١٥] و « الاستاذ » [١٦] اللتين كتبهما بعد ذلك .

وفى « ٧ سواقى » يجيب على سؤال محفوظ والحكيم بأن الحال لايزال كما كان عليه ، فقد أحيا من الموت بعض جنودنا الذين لقوا مصرعهم فى سيناء وعاد بهم الى القاهرة لشعورهم بالقلق من طول الرقدة فى الصحراء التى لم تسترد بعد - وهو نفس الخط الفكرى فى المسامير - وقد أرادوا أن يدفنوا فى مقابر الامام • ولكن مشكلة تثور حول امكانية دفنهم مع شهداء النضال المصرى على طول التاريخ • ويستعرض الفنان عبر المشكلة مختلف الوجوه لواقعنا الكئيب ، ومختلف الوجوه لبطولات نضالنا التى كادت الهزيمة بأهوالها أن تنسينا قسماتها . ويلعب الفنان على هذا التوازى المحكم بين الماضى المجيد والحاضر المعذب ليقول أنه وان كنا على هذه الدرجة من السوء فاننا لا ينبغى أن نفقد ايماننا وقدرتنا على استعادة أنفسنا من لجة الناس فتاريخنا يؤكد هذه القدرة بل ويختتم الفنان مسرحيته بعودة جنودنا الى سيناء على طلقات الانباء القائلة بأن منظمة مصرية فى سيناء بدأت العمل •

وفى المسرحية الثانية « الاستاذ » يعالج قضية الديمقراطية على نحو مشابه لتوفيق الحكيم فى استعارته الرداء الخارجى للاحداث والشخصيات والمواقف من عصر موغل فى القدم ، هو عصر الحضارة السومرية فى مسرحية سعد الدين وهبه ، ولكنه يختلف عن الحكيم فى النظر الى القضية من موقع الشعب لا من وحى الفكرة التجريدية عن معنى الحرية • ويصل يوسف

---

[١٢] راجع الطبعة الجديدة التى اصدرها من « المسرح المنوع » ١٩٦٨ •

[١٣] نشرت اولا بالاهرام فى اواخر ١٩٦٧ ثم فى كتاب صدر عن مكتبة مصر ١٩٦٩ •

[١٤] مثلت عام ١٩٦٧ ونشرت فى سلسلة « مسرحيات عربية » عن دار الكاتب العربى ١٩٦٧ •

[١٥] نشرت فى كتاب عام ١٩٦٩ ولم تمثل بعد •

[١٦] مخطوط •

أدريس بهذه الفكرة المجردة الى أقصى مداها فى مسرحيته « المخططين » (١٧) التى تذكرنا برواية « ١٩٨٤ » لجورج أوبرويل ورواية « ظلام فى الظهيرة » لارثر كوستلر ومسرحية « الخرتيت » ليوجين اونيسكو ورواية « العنقاء » للويس عوض . ولكنها تذكرنا قبل هذه الاعمال وبعدها بمسرحيته السابقة « الفرافير » حيث تجيب فيها كافة الانظمة فى محاولة الوصول الى حل لمشكلة الحرية . ولكن هنا فى « المخططين » يختار احد هذه الانظمة التى تعلقت بها آمال البشرية وهو النظام القائل بالمساواة المطلقة بين الناس ، فلا تكون النتيجة الا تحول الانسان الى حيوان آلى أو عقل الكترونى بلغة التكنولوجيا الحديثة وقد اراد الكاتب ان يحذر من اختزال قدرات البشر لان الحياة أغنى من أن يحدها لونان فقط ، وانما هى « حياة » ونحن « بشر » لان الوجود بطبيعته من التنوع بحيث لاتحده حدود . كما كانت « الفرافير » بناء فانتازيا جاءت هذه النتائج التى يومىء بها الكاتب بمعايير الواقع الحرفى ، وانما نتصور الامر على أنه صورة مكبرة للواقع المشوه تميل أحيانا فى مبالغتها نحو الكاريكاتير ، ولكنها مبالغة فنية قصد بها المؤلف أن يحذر وينذر مما يمكن ان تؤول اليه الامور لو اهدرنا قيمة الحرية لمصلحة قيمة اخرى ، حتى ولو كانت هذه القيمة هى الاشتراكية . وعلى النقيض ومن هذا التصور للحرية والعدل كتب الفريد مسرحيته « التبريزى » [١٨] مستلهما من جديد ديكور الف ليلة وليلة مؤكدا من جديد على قضية الاشتراكية كحل ناجح لمشكلات هذا المجتمع المتخم بالفقر للغالبية والثراء للقلة ، وكذلك عبد الرحمن الشرقاوى فى عملية العظيمين « الحسين ثائرا » « الحسين شهيدا (١٩) فانه يربط فيهما رباطا لاتنفصم عراه بين الحرية والعدل ، ورباطا آخر لاتنفصم عراه بين الفكر والسلوك . ولا يحتاج منه الامر الى اتخاذ التاريخ ديكورا رمزيا وانما هو يضرب من التاريخ مثلا واقعيا فى شخصية من أعظم شخصيات تراثنا هى شخصية الحسين ثائرا وشهيدا ،

واذا كان النقاد فى معظمهم قد تعلموا درسا من هزيمة يونيو فلم يتصيدوا لهذه الاعمال الجديدة بأية تفسيرات أو تأويلات يساء استخدامها عند الضرورة فان بعض المؤسسات التى اتخذت فى الماضى موقفا محايدا من الاعمال الفنية المختلف بشأنها راحت تتراجع عن سابق عهدها وأخذت تتدخل بما يشكل عقبة حقيقية أمام تطور كتابنا وفنانينا ، وأمام ضمائرهم المناضلة على الخطوط الاولى من الجبهة المعادية للاستعمار والصهيونية والرجعية .



على أننى اذا كنت أقول بأن أدب مابعد الخامس من يونيو – فى أهم آثاره – هو امتداد لادب ماقبل الخامس من يونيو ، فاننى لست أنسى فى هذا الصدد نقطتين : الاولى أن هذا الامتداد وان كان يؤكد مجموعة القيم التى دعا اليها أولئك الكتاب فاقبلت الهزيمة تعلن انهيارها ، فان هذا الامتداد من ناحية أخرى يتجاهل ماتنطوى عليه الهزيمة من « صورة جديدة » للمجتمع تستلزم قيما جديدة غير هذه التى تبنوها فيما مضى وأدت دورها وانتهت بسقوط مجتمع الهزيمة . النقطة الثانية هى أن الضباب فى واقع الامر يغشى العيون بحيث يعسر كثيرا أن ترى بنفس القدرة القديمة على الابصار . وبالرغم من أن واقع مابعد الهزيمة لايزال يحمل فى قسماته الرئيسية بعض ملامح الوجه القديم لمجتمعنا الا أن الاعتراف العميق بالهزيمة يقتضى اعترافا موازيا بما طرأ على فهمنا من تغيرات ربما لاتظهر بوضوح وجلاء ، ولكن هذا لاينفى وجودها سلبا وايجابا . ولذلك كانت أجود الاعمال التى ظهرت بعد الخامس من يونيو فى الادب المصرى الحديث ، مهددة بخطر التكرار المنعزل عما يحدث فى باطن الظاهرة من تغير . لاأستثنى من ذلك سوى القلة النادرة من انتاج الجيل الجديد الذى عاش سنوات تكوينه الاولى فى ظل المناخ المأساوى المضطرب ، واستيقظت فيه رعشة الخلق عشية الهزيمة وضحاها .

ومن الطبيعى أن يتمتع الجيل الجديد برؤيا ،

---

[١٧] مخطوط .

[١٨] مثلت نهاية عام ١٩٦٨ ونشرت فى نفس العام بسلسلة « مسرحيات عربية » التى تصدرها دار الكاتب العربى بالقاهرة .

[١٩] نشرت المسرحيتان فى مجلدين منفصلين عن دار الكاتب العربى عام ١٩٦٩ ولم تمثلا .

تختلف من حيث الجوهر عن رؤيا الجيل السابق عليهم ، ذلك هو حكم الزمن وتلك هى مقتضيات التاريخ .. هكذا تابعنا هذه المجموعة من الشعراء والقصاصين الجدد ، تلهج ألسنتهم كسكان برج بابل قبل سقوطه ، بشتى اللهجات ومختلف اللغات التى تكاد أن تخرق طبلة الاذن فى النهاية : صوتها عال وضجيجها مرتفع ، يهمس الواحد منهم فتنط الكلمات من حلقه كالقذائف المتفجرة دوما ليس هو بالقطع جيل الغضب أو العبث أو الاحتجاج ، وانما كان ولا يزال جيل التحدى . وهو تحد لما كان وما هو كائن ولا يطمح الى التنبوء بما سيكون . وليس من قبيل الصدفة أن يجيد شاعر شاب كمحمد ابراهيم أبو سنة كاروع ماتكون الاجادة حين يكتب قبل الخامس من يونيو مباشرةقصائد مثل (الدمعة والسيف ، طفلة القمر ، السر ، الصرخة والخوف ، غزاة مدينتنا) (٢٠) فى هذه القصائد جميعها يركز الشاعر على معنى « الخوف » ودلالته التراجيدية على جيلنا المعذب بين وقدة القيم الجديدة وتدهور القيم القديمة ، و « لن ينقذنا ما يأتى من ايام — كما يقول ابو سنة — فالنار هنالك ماتركت جسرا نعبره بعد أن أصبح هذا الحب » — أو القيمة الجديدة التى يدعو اليها — سرا غير قابل للبوح وطفلا لقيطا ينكره أبوه .. هذه الرؤى فى « الدمعة والسيف » هى فى « طفلة القمر » المرادف للحرية .. وهى الطفلة التى يقشعر الشاعر من أن يسلمها أهلها لاعدائهم ، فيصرخ :

فلتصمتوا وليخرس اللسان

ان جفت الضروع

أو مات فى حقولكم ربيع

لان خلف هذه الجدران

تموت طفلة القمر

وفى قصيدة « السر » لاينى الشاعر عن ترديد المأساة فى ذروتها عندما تنفك العرى بين الناس وتصبح القوقعة هى ملجأهم اليتيم وتحمى سرهم من الذيوع والانتهاك فلا أحد يبوح مادامت مدينتنا « قبضة شيطان يرقص فيها الذعر » والابحار محال لان أحدا لايطلق بروميثيوس المغلول . ذلك أن بطولتنا فى هذا العصر — كما يقول فى « الصرخة » — ان نغلق بابا تأتى منه الريح ؟ فنجهر أن الله اله واحد ونهمس أن الله كثير . وينفذ الشاعر الى أعمق الاعماق ، فيلغى المسافة بين الوجه والقناع ، بين السطح والقاع ويمسك « انساننا » بكلتا قبضتيه ويهزه هزا عنيفا حتى ليتقيأ سره تحت قدميه فيرسم القىء الملوث علامة استفهام دامية :

حين تعلمنا أن نتقن أدوارا عدة

فى فصل واحد :

حين أقمنا من أنفسنا آلهة أخرى

وعبرنا آلهة شوهاء :

حين أجبنا الغرقى بالضحكات

حين جلسنا نصخب فى أعرس الجوع :

حين أجاب الواحد منا :

مادمت بخير فليغرق هذا العالم طوفان ؟

كنا نحن الاعداء :

كنا نحن غزاة مدينتنا

وكان صنع الله ابراهيم فى روايته « تلك الرائحة » (٢١) التى صدرت فى نسخ قليلة قبيل الهزيمة قد جسد بضمير المتكلم هذه الرؤى الشعرية على لسان أحد أولئك الذين أتيح لهم الانعتاق من الاسوار العالية لوقت يقصر أو يطول .. فلما خرج من أبواب السجن لم يكن فى انتظاره أحد ولست أقصد بالانتظار أن يجد على بوابة القسم من يفرح بلقياه ، وانما قصدت الانتظار بمعناه العريض ، فى الحياة العريضة .. اختلفت هموم الناس عن همومه والتحق كل منهم بمصيره الشخصى فى غنى عن مصير أى شىء آخر ولو كان هذا الشىء الاخر أعز مانمتلك من قيم ، وأعمق ما يحقق لنا الوجود . لا الاخ ولا الاخت ، لا الاب ولا الام ، لا الزميل ولا الصديق ، استطاعوا أن يصنعوا شيئا لهذا « الغريب » الذى أطل عليهم كشيخ عثمان خليل على عمر الحمزاوى فى قصة نجيب محفوظ ، اختلاف جوهرى هو أن بطل صنع الله ابراهيم — وهذا مالا يدركه الاخرون الذين لايرون فيه سوى الماضى وبطاقة السجن — لم يعد

---

[٢٠] راجع ديوان « قلبى وغازلة الثوب الازرق » المكتبة العصرية ببيروت — الطبعة الاولى ١٩٦٥ — راجع ايضا جريدة الاهرام ١٩٦٦/٢/٩ وكذلك مجلة « حوار » عدد ٣١ مارس وابريل ١٩٦٦ .

[٢١] نشرتها مع مقدمه ليوسف ادريس دار يوليوبالقاهرة ١٩٦٦ .

عن البطولة فى شىء ، لم يعد هو مناضل الامس القريب ، صفيت نضاليته وصلابته من الداخل ، وأمست حياته بلا معنى الا بين أحضان امرأة واكلة شهية . وقد كتب صنع الله ابراهيم روأية خرى بعد الخامس من يونيو دعاها (٦٧) لاترتفع الى مستوى روايته الاولى وان كانت امتدادا لها اذ مر اليوم الكئيب الدامى أمام ناظرى البطل وكانه أمام شاشة سينما يشاهد فيلما من أفلام الرعب يزيده التحاما بلحم المرأة واقتحاما لمباهج الحياة ولا يكاد يشعر بأية رابطة تصل بينه وبين مايجرى من حوله ، لانه فقد هذه الصلة يوم أن صفوه من الداخل تصفية أليمه خلعوا فيها الجذور من الارض .. فاذا تبقى النبات كان هيكلا هشا يابسا لايقوى على مقاومة نسمة هواء .

ولعل هذه الرؤيا هى التى أملت على قصاص مبدع جديد هو جمال الغيطانى أن يكتب قصته « أيام الرعب » ضمن مجموعته التى صدرت فى أوائل عام ١٩٦٩ تحت عنوان « أوراق شاب عاش منذ ألف عام » (٢٢) .. وهى المجموعة التى يبرهن كاتبها على أن جيله قد تجاوز بالفعل رؤيا الجيل السابق عليه ، ففى قصة « أيام الرعب » على سبيل المثال نتذكر قصصا أخرى لنجيب محفوظ هى « الخوف » و « الجبار » وغيرها ، ولكن جمال الغيطانى لايكتفى بصورة تجريدية للرعب والفتوة والظلمة التى أجاد محفوظ تصويرها .. وانما يميل عن التعمم ناحية التخصيص فيبدأ قصته ببطاقة الهوية التى يحملها محروس فياض سلامة ، وتعلن هذه البطاقة أن صاحبها من مواليد ١٩٤٤ وتلك هى أولى السمات الهامة فى « أيام الرعب » انها تجسد أزمة الجيل الجديد من وجهة نظر هذا الجيل لا من وجهة نظر « المشاهدين » من أبناء الاجيال الاخرى .. ان المشاهدين مهما كان المشهد الذى امامهم حزينا مأسويا لن تنال منهم فى احسن الاحوال سوى دمعة رقراقة ، كما أن الجيل الذى تنبأ بالهزيمة ، هو من ناحية أخرى من صنعها ، هو جزء منها لاينفصل عنها ولا يقدر على تجاوزها . أما الغيطانى وزملاؤه فهم أبطال المشهد الحزين المؤسى تخترق النصال جلودهم الرقيقة فتصل حتى شغاف القلب والنخاع . وهم لذلك جيل « تجاوز » الهزيمة وتحديها فى مختلف أبعادها . حتى فى المستوى الجمالى الخالص يختلف جمال الغيطانى عن معادلات الحارة والخلاء والفتوات فى قصص نجيب محفوظ ، انه وهو يتابع فى صبر الحركة التفصيلية لمحروس فياض سلامة منذ جاءه الخبر اليقين بأن عويضة خرج من السجن وسوف يحضر الى مصر ليثأر منه لدماء خاله التى لم تجف منذ أربعين عاما ، نعيش معه لحظات الرعب الحقيقى وننسى هذا الهيكل الصعيدى من الاحداث المنطقية . وعندما ينتهى الامر بمحروس ان يخلع ثيابه فى ميدان الحسين ويوشك على الجنون يتقدم اليه عويضة وسط الزحام « واثقا ، ثقيل الخطى لايوقفه أحد » ولا يتبقى أمامنا مجال للتروى فى تلقف الدلالة العميقة لهذه الشخصية « المطاردة » دون ذنب جنته ، المطاردة حتى شاطىء الجنون ومع هذا فالجلاد لايسمح لها بالحياة مع الجنون ، ويفضل لها الموت على مرأى من العيون المذهولة أو الجذلانة او الصامتة فى رعب أو هذه التى ترى فى الموت والجنون لعبة من أحد الحواة .

وربما كانت هذه هى النغمة الاساسية فى شعر أمل دنقل ، الذى استطاع بقصيدته « البكاء بين يدى زرقاء اليمامة » (٢٣) وقد كتبها غداة الهزيمة بساعات قلائل ، أن يضع شعر الشماتة والتشفى وتمزيق النفس ونهش الذات فى مأزق حرج .. لانه تمكن بصدق حار مع النفس أن « يعترف : بالهزيمة حقا ، وضاع جيله حقا ، ولكنها الهزيمة والضياع الذ القلوب والعقول فى تأن وعذاب .. لايستهويه أن يداعب جرحا أو يثير دملا ، لان السادية خلت من شعره . يخاطب « النبية المقدسة » :

لاتسكتى .. فقد سكت سنة فسنة
لكى أنال فضلة الامان
قيل لى « اخرس .. !
فخرست .. وعميت .. وائتممت بالخصيان !

وماذا عن جيل السر والرعب ، هذه المفردات اللامعة فى أدب الجيل الجديد ؟ يجيبنا أمل دنقل فى قصيدة له كتبها فى مارس ١٩٦٩ تحت عنوان « فقرات من كتاب الموت » أن رأسه فى النهار أضحت هيكلا حديديا للراديو بهتافه وصداعه ، وفى الليل أمست هيكلا زجاجيا للخمر بمرارته وعناده . وهو بين الليل والنهار يفتح

---

[٢٢] الطبعة الاولى – كتاب « الطليعه » – ١٩٦٩
[٢٣] الطبعة الاولى – دار الاداب اللبنانية – ١٩٦٩

صنبور المياه فيسقط منه الدم ويجلس على مائدة الطعام فلا يرى فى الاطباق سوى الجمـاجم ، ويتوقف عند عمود النور ليستأجر المومس ليلة فتجبهه صور الشهداء معلقة تطل منها العيون الرصاصية كالنصال :

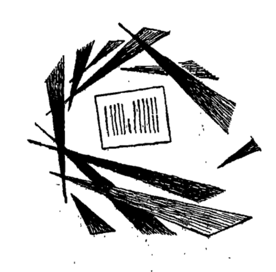
وها أنا خلف النوافذ الزجاجية

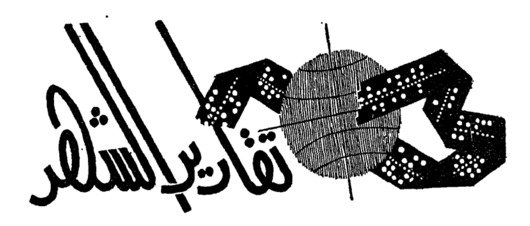
أرقب عند المغرب الشاحب

طائرى الغريب !!

هكذا يصدق الجيل مع نفسه فى هذه الرؤية الضبابية الغائمة ، فبالرغم من تجاوزه لـرؤيا الجيل السابق ، الا أن ضراوة الهزيمة بلغت حدا لايتيح الرؤية النقية من أوشابها ، كانت الامور قبل الخامس من يونيو غاية فى الوضوح ، بدرجات متفاوتة ومن زوايا متعددة باختلاف الاجال وتنوع وجهات النظر · ولكن الخامس من يونيو قد أسدل ستارا كثيفا على الابصار وغشاوة ثقيلة على جميع الرؤى · على أن هذا الجيل هو « الامل » فى عطاء جديد وجاد لان ادران الهزيمة لم تفرخ فى كيانه جرائيم الفناء ، فلم يتآكل بناؤه ولم يتهرأ ، ولا تزال فى جذوره مشعلة الحياة ·

وبعـد ، فلعلى تحدثت عن الادب المصرى والخامس من يونيو « لا عن الادب العربى بعد الخامس من يونيو » ولكن عذرى الوحيد هو اننى لاأستطيع أن أجيب الان ـ والى وقت طويل ـ عما اذا كان يمكن اعتبار الخامس من يونيو حدا فاصلا بين عهدين فى تاريخ الادب العربى ·





- بين تصاعد المعارك ومباحثات الدول الاربع
- استقالة ديجول تقلب صفحة من تاريخ فرنسا
- قلوب من الداكرون ، تحركها الطاقة الذرية
- متى نرفع الكاميرا فى وجه العدو ؟

■ المؤتمر القومى العام

قضايا المعركة وقضايا الجماهير

بالرغم من اهمية القضايا المتعلقة بمشاكل الجماهير ، والتى طرحت على الدورة الثانية للمؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى (٢٧ ــ ٣٠ مارس) والتى اصدر فيها المؤتمر ما يقرب من المائة قرار ، فان الجو العام الذى ساد المؤتمر تخطى المسائل المعروضة فى جدول الاعمال ، وركز الانتباه على الموضوع الرئيسى والاساسى ، وهو « العدوان وازالة آثاره » .

ان « الظروف الجديدة » التى عقدت فيها الدورة الثانية للمؤتمر القومى قد فرضت قضية مواجهة العدوان على كل اعمال المؤتمر . ولم يتمثل ذلك فى التقرير الذى افتتح به الرئيس **عبد الناصر** اعمال المؤتمر ، او فى البيان الختامى للمؤتمر فحسب ،بل يمكن القول ان التقارير التى عرضت على المؤتمر وكثيرا من القرارات التى اصدرها كانت تاخذ من المعركة ، وتصفية العدوان منطلقا لها فى تصور ما تراه كفيلا بحل مشكلات الجماهير ، ومن اجل تدعيم الجبهة الداخلية ، « ان كل ما يهم مصالح قوى الشعب العاملة ويمس نضالها اليومى ،خصوصا على جبهات الانتاج له بالمعركة اتصال وثيق بل هو سند لها قوى واكيد » .

واذا كان التقرير الافتتاحى الذى قدمه الرئيس عبد الناصر . قد تضمن عرضا لحقائق الموقف الراهن حول ازمة الشرق الاوسط من الناحية العسكرية والسياسية والعربية والعالمية ، فقد جاء الخطاب الختامى للرئيس فى نهاية اعمال دورة المؤتمر ليحدد اين نقف اليوم . ولم يركز الخطاب على الامال والوعود بقدر ما ركز على صعوبات المرحلة القادمة ، وذلك عندما اشار الى ان علينا ان : « نتوقع ضربات من العدو ، وعلينا ايضا ان نتوقع النجاح لبعض ضرباته ، وذلك ليس له ان يخيفنا او يذهلنا او حتى يدفعنا للشكوى والصراخ . وانما ذلك له وعليه ان يدفعنا الى ضربه ، وضربه بنجاح ، وذلك تحول له قيمته فى مجرى الصراع » .

ولقد اثبتت تطورات الوضع على خط المواجهة فى القتال المعنى الذى ابرزه الرئيس عندما قال : « اننا مررنا بوقت كنا فيه نحاسب الجندى ، اذا رأى العدو واطلق نارا عليه ، والان فان الصورة اختلفت ، فنحن نحاسب اى جندى يرى اثرا للعدو ولا يطلق النار عليه » .

ولقد اكد المؤتمر فى بيانه الختامى على بعض النقاط الهامة فى موقف الشعب :

الحركة النقابية العالمية

صدر عن مؤسسة الاهرام الشهر الماضى العدد الرابع من مجلة الحركة النقابية العالمية والتى يصدرها الاتحاد العالمى للنقابات بعشر لغات . وهى تصدر من القاهرة لاول مرة باللغة العربية . وقد استعرض عدد أبريل ١٩٦٩ لقاء كوناكرى بين الاتحاد العالمى للنقابات واتحاد نقابات عموم افريقيا والذى اشتركت فيه منظمات نقابية من ٢٨ بلدا أفريقيا ومن ١٦ بلدا فى اوربا و١٢ سكرتارية مهنية دولية .

وقدم عدد أبريل دراسة هامة عن الكفاح ضد الامية حيث استعرض مشكلة الامية فى الهند وأمريكا اللاتينية كما عالج قضية محو الامية المهنية . الى جانب مجموعة من المقالات الهامة عن المشاكل النقابية فى بعض بلدان العالم

والطليعة تحيى الزميلة « الحركة النقابية العالمية » وتتمنى لطبعتها العربية النجاح لخدمة العمل الفكرى المشترك فى النضال ضد الاستعمار والاستعمار الجديد — ومن أجل ارتفاع رايات الحرية والاشتراكية والسلام .

● حدد المؤتمر طبيعة الصراع العربى — الاسرائيلى بوصفه جزءا لا يتجزأ من الصراع العالمى الذى تقوده قوى التحرر ضد قوى الاستعمار ، وقوى التقدم ضد القوى التى تريد فرض التخلف على الشعوب .

● اذا كان الصمود العربى قد مكن للرأى العام العالمى ان يمارس ضغطه من اجل اجتماع الدول الكبرى الاربع ، فان المؤتمر كان حريصا على ان يؤكد على « مبدأين اساسيين لا سبيل الى ان نحيد عنهما او نساوم فيهما .

اولهما — ان احدا لا يستطيع ان يفرض على الامة العربية ما تعتبره استسلاما لا سلاما .

ثانيهما — ان اى قرار لا يتضمن الانسحاب الكامل غير المشروط من كافة الاراضى المحتلة هو قرار مرفوض من الامة العربية جمعاء » .

● سجل المؤتمر نهاية مرحلة العمل السياسى العربى وبداية مرحلة جديدة تختلف فى طبيعتها ونوعيتها عما سبقها من مراحل . وان العمل السياسى ينبغى ان يعمل على اعداد الرأى العام العالمى لحتمية المعركة بيننا وبين اسرائيل .

● عبر المؤتمر « عن امتنانه وتقديره الكبير لشعوب الاتحاد السوفيتى العظيمة ولقادته الاصدقاء ولحكومته الذين جعلوا اعادة بناء القوات المسلحة ممكنا — واكد على ان الشعب العربى « يحمل كل مشاعر التقدير والعرفان على هذه المواقف الشريفة والنبيلة التى تصدر عن ايمان بالمبادىء السامية التى يجب أن تسود العالم » .

واقتصرت الجلسات الشاملة التى عقدها المؤتمر خلال دورته الثانية — على الاستماع للتقرير الشامل الذى قدمه الرئيس عبد الناصر ولتقريرى الفريق محمد فوزى ومحمود رياض . وشهدت اللجان العشرون للمناقشات التى شكلها المؤتمر مناقشات واسعة . وفى داخلها تبلورت الاتجاهات حول التقارير الثلاثة ، وايضا حول القضايا والموضوعات الخاصة بمشكلات الجماهير .

وقد شهدت لجنتا التعاون والزراعة اكثر المناقشات حيوية واحتداما — ففى لجنة التعاون كانت المناقشة حول ضمان تمثيل صغار الفلاحين بـ ٨٠ فى المائة من مقاعد مجالس ادارة الجمعيات التعاونية حيث وقفت الاغلبية الساحقة الى جانب ان يكون اربعة اخماس اعضاء المجلس من الحائزين لخمسة افدنة فاقل . وبذلك رفضت الاتجاه الى جعلها من الحائزين لعشرة افدنة فاقل طبقا للتعريف الحالى للفلاح . واستندت اللجنة فى قرارها **الى ضرورة المحافظة على مكاسب صغار الفلاحين باعتبارهم يمثلون ٩٤٫٤ فى المائة من مجموع الحائزين وما اثبته التطبيق** العملى فى جمعيات الاصلاح الزراعى وكذلك ماتضمنه التقرير السنوى لبنك التسليف من ان نسبة التحصيل والوفاء بالالتزامات لدى صغار الزراع اعلى بكثير جدا منها لدى كبارهم — وطالبت اللجنة بان يكون لمجلس الادارة السلطة العليا واعتبار الموظفين تابعين لمجلس الادارة .

وفى لجنة الزراعة كانت مشكلة التسويق اكثر المشاكل حيوية وجذبا للاهتمام . وكانت الاغلبية ضد نظام المخازن الخاصة التى لم تخدم سوى كبار الزراع فى الوقت الذى ضغطت الاجهزة المسئولة عن التسويق عدد مراكز التجميع من ١٨٠٠ الى ١٠٠٠ على امل ان المخازن الخاصة سوف تستوعب جزءا كبيرا من المحصول مما سبب ارهاق المزارع الصغير وحمله مشقة ومصاريف النقل والانتقال الى مراكز التجميع التى تبعد عن قريته بمسافات كبيرة .

واوصى المؤتمر بحل **مشكلة المديونية المتأخرة** بمراجعتها وتنقيتها رجوعا الى سنة ١٩٦١ وحتى نيلى ١٩٦٧ واخطار الفلاح بها وكفالة حقه فى الطعن فيها لمدة شهر امام لجنة محايدة مع اخطار امين الاتحاد الاشتراكى بالمركز بصور هذه المديونية ، واسقاط فوائد التأخير على هذه المديونية فى السنوات التى احتسبت فيها ، وتقسيط

سدادها على مدة طويلة نسبيا ودون احتساب فوائد عن هذه الاقساط .

ولعل حل هذه المشكلة يمكن ان يكون بداية حقيقية لتنظيم حسابات الزراع واعتبار البطاقة الزراعية سندا لها ـ على ان يتم حصر الحيازة بالكامل فى موعد غايته نهاية مايو ١٩٦٩ ٠

وبعد مناقشات طويلة فى لجنة الاعلام حول اوضاع الصحافة وكيفية ممارسة التنظيم السياسى لحقه فى ملكيتها وانتهت اللجنة الى دعوة اللجنة المركزية لاستئناف دراسة هذا الموضوع على ان يعرض ماتنتهى اليه اللجنة فى هذا الشأن على المؤتمر فى دورة قادمة ٠

لقد غطت قرارات المؤتمر الى جانب ما يخص المعركة مباشرة قطاعات واسعة من الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وشملت النقابات العمالية والمهنية والشباب والطلاب والبحث العلمى ومشكلات الحرفيين والاسكان والمواصلات والتطوير التشريعى والصحة والتعليم العام والجامعى والفنى ومحو الامية ، وتطوير الادارة المحلية ٠

ويرى بعض المراقبين بانه بالرغم من ان المناقشات قد امتازت بدرجة اكبر من الموضوعية ـ فقد كانت « احدى العقبات الحقيقية فى المناقشة اختلاف معانى الكلمات بين الاعضاء من مختلف المناطق ومن مختلف البيئات والطبقات الاجتماعية » ٠ ان كل عضو كان يتكلم ليختتم فى العادة كلماته بان الموضوع فى حاجة الى دراسة ولجنة فنية متخصصة تبحثه ، الامر الذى يظهر ان الحاجة ماسة الى وجود دراسات فنية تكون فى خدمة اعضاء المؤتمر القومى . كما اصبح **من الضرورى التفكير فى المجالس القوميه المتخصصة لا على اعتبار انها جهاز جديد للسلطة** ، وانما لتقدم ابحاثا فى المشاكل القومية تعرض على الامة ، ويستفيد منها التنظيم السياسى والجهاز التنفيذى ٠ كما دعا بعض المراقبين الى ضرورة وضع نظام لنشر الدراسات والتقارير التى تعدها المستويات التنظيميه العليا على الجماهير بكل الوسائل قبل اتخاذ القرارات النهائية فيها .

ودعا بعض المراقبين الى ضرورة تخصيص كل دورة من دورات المؤتمر القومى لقضية كبرى واساسية من القضايا المؤثرة فى حياة البلد يعد لها قبل المؤتمر بوقت طويل ـ وتناقش على اوسع نطاق جماهيرى ثم يصدر بها عن المؤتمر قرار شامل مفصل يكون بمثابة السياسة القومية التى تتبع بشأن هذه القضية ، وهذا كله يعنى ان تجربة المناقشات فى الدورة الثانية للمؤتمر القومى العام تؤكد على اهمية اشراك اوسع الجماهير اشراكا « فعالا » فى مناقشة اهم القضايا التى ستعرض فى المستقبل على المؤتمر ٠

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

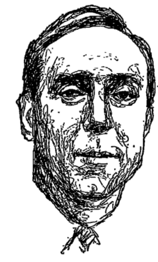
بين تصاعد المعارك ومباحثات الدول الاربع

لم يتوقف دوى المدافع طوال الشهر الماضى على خط المواجهة فى القناة وتميزت اشتباكات هذا الشهر بالعنف والضراوة والاستمرار مما اعطى للحرب ابعادا جديدة ، مما يهدد فى نظر كثير من المراقبين بتحولها الى صدام جديد واسع النطاق فى الشرق الاوسط ٠ وقد واصلت المدفعية المصرية طوال الشهر قصف المواقع الاسرائيلية وكبدتها خسائر محققة ٠ وكانت كلما سجلت أجهزة الرصد تحركات جديدة للعدو لمحاولة تعويض خسائره وتعزيز خطوطه الامامية فتحت المدفعية المصرية نيرانها الكثيفة على مواقعه وذلك تطبيقا لسياسة الدفاع الوقائى التى سبق أن أعلن المسئولون فى ج ٠ ع ٠ م تطبيقهم لها من قبل ٠ وبالاضافة الى معارك المدفعية المتصلة فى جبهة القناة قام الفدائيون المصريون من رجال منظمة سيناء ووحدات خاصة من الجيش المصرى بسلسلة من الهجمات الجريئة على معسكرات الجيش الاسرائيلى بمدافع البازوكا كان أهمها عبور وحدة من الفدائيين المصريين قناة السويس وانقضاضها على موقع اسرائيلى،وابادته واشتباكها مع دبابات العدو ٠ واعترفت اسرائيل بهذا الهجوم ٠ واذا أضفنا الى ذلك اشتراك الطيران المصرى فى بعض الاشتباكات الاخيرة ، أمكننا أن نقدر ماأشار اليه راديو باريس عندما قال أن عبور وحدة خاصة مصرية قناة السويس وبقاءها ساعتين مسيطرة على أحد المواقع انما هو تطور يسترعى الانتباه ٠ وأنها مرحلة جديدة فى تصاعد العمليات الحربية ٠

لكن هذا التصاعد نفسه هو الذى دعا **ميشيل** دوبريه وزير خارجية فرنسا الى ان يعلق على أحداث منطقة القناة بقوله « ان الموقف فى منطقة القناة خطير للغاية وأنه يتدهور باطراد ٠ وأن المحادثات الرباعية تبدو على نحو متزايد الفرصة الوحيدة للعثور على تسوية سلمية وأن فرنسا تنظر الى الموقف العسكرى المتدهور فى الشرق الاوسط بقلق كبير » ٠

اما فى الجبهة الاردنية : فقد واصلت طائرات اسرائيل غاراتها على المدن الاردنية بحجة ضرب مواقع الفدائيين وأدت تلك الغارات فى أحيان كثيرة الى اشتباكات بالمدفعية بين القوات الاردنية والقوات الاسرائيلية ٠ وكان أهم مامنيز المقاومة



الملك حسين **محمود فوزى** **ميشيل دوبريه**

داخل الارض المحتلة فى الشهر الماضى هو أن هجمات الفدائيين المنسقة كانت تسير جنبا الى جنب مع تصاعد المقاومة الجماهيرية للاحتلال. وكان أهم عمل قام به الفدائيون هو قصف ميناء ايلات بالصواريخ الثقيلة ردا على غارات الطائرات الاسرائيلية على العقبة ، مما أثار ذعرا شديدا فى الدوائر الاسرائيلية . كما قامت وحدات الفدائيين بسلسلة من الهجمات فى مناطق طولكرم وبيسان، دفع بالسلطات الاسرائيلية الى فرض حظر التجول والقيام بحملات تفتيشية واسعة فى القرى والاقاليم المحيطة ، وفى القدس قام الفدائيون بنسف جزء من مبنى وزارة الداخلية الاسرائيلية ٠

وفى غزة نسف رجال المقاومة عددا من السيارات العسكرية بالقنابل اليدوية، كما هاجموا عددا من المعسكرات الاسرائيلية ٠ ونشط الفدائيون كذلك على الحدود اللبنانية الاسرائيلية فقاموا بنسف بعض محطات المياه فى المستعمرات القريبة من الحدود كما زرعوا الالغام فى الطرق الرئيسية وقد أثار نشاط الفدائيين الذعر بين سكان مستعمرات الحدود ٠ وقد ناشد مدير الامن الاسرائيلى سكان مستعمرات الحدود عدم النزوح وترك بيوتهم ولكن النازحين رفضوا العودة الى المستعمرات خوفا من الفدائيين ٠ وقد صرح **موسى ديان** تعليقا على تزايد نشاط الفدائيين بقوله « ان اسرائيل سترد بضربات مضاعفة اذا واصل الفدائيون العرب هجماتهم ٠ »

وفى المناطق المحتلة : ورغم الارهاب الذى يفرضه الاحتلال الاسرائيلى واصلت الجماهير مظاهراتها ضد الاحتلال وكانت أهم التحركات الجماهيرية فى نابلس حيث استمرت المظاهرات لفترة طويلة ٠ وقد أنذر ديان أهالى المدينة بأن عليهم أن يختاروا بين التعهد باعادة الهدوء وبين الدخول فى حرب مع السلطات الاسرائيلية ٠ ورفضت شخصيات نابلس عرض ديان بسحب القوات كلها بشرط التعهد بوقف المقاومة ٠ وقد قامت سلطات الاحتلال بحملات ارهاب وتفتيش واعتقال ومحاكمات واسعة ضد المواطنين العرب فى الارض المحتلة ، كما ان عدد المعتقلين فى الارض المحتلة يزيد على عشرة آلاف معتقل ٠

ولم تتوقف الجهود العربية عند حد تصعيد العمل العسكرى والفدائى والجماهيرى من أجل اجبار اسرائيل على تنفيذ قرار مجلس الامن بالانسحاب الى حدود ماقبل ٥ يونيو ، وانما واصلت الدول العربية جهودها فى الميدان الدبلوماسى والدولى من أجل محاولة التوصل الى حل سلمى ومساعدة الدول الاربع على الوصول الى تسوية للازمة ، وذلك بفضح نوايا اسرائيل وتعنتها ومساندة كل مامن شأنه أن يؤدى الى تنفيذ القرار كاملا غير منقوص ٠ ففى أوائل الشهر سافر **الملك حسين ومحمود فوزى** الى واشنطن واجتمعا بالرئيس **نيكسون** لشرح وجهة النظر العربية للولايات المتحدة ٠ وقام الملك حسين بتقديم تفسير لشروع مجلس الامن يتكون من ست نقاط بهدف التوصل الى حل مرض لتسوية الازمة يرتكز فى أساسه على انسحاب اسرائيل من كل الاراضى العربية التى احتلتها بعد عدوان يونيو ٠ غير أن الصحف والاذاعات الغربية حاولت تصويره كمشروع جديد بغرض اشاعة البلبلة فى الصف العربى والاستفادة من ذلك لتحقيق مكاسب أكبر بالنسبة لاسرائيل ٠ وقد قام الملك حسين بجولة واسعة فى الولايات المتحدة لشرح وجهة النظر

العربية وأعلن وهو يغادرها « بأنه مالم يتم التوصل الى تسوية سلمية عاجلة فان الحرب ستنشب وقد تمتد خارج حدود الشرق الاوسط . وانه يرى أن برنامج النقاط الست الذى قدمه يصلح أساسا لتسوية سلمية للازمة .

ومع بداية **الشهر الماضى** ، كان مندوبو الدول الاربع يفتتحون محادثاتهم حول الشرق الاوسط. غير انهم بعد اجتماعهم الاول توقفوا عن اصدار بيانات رسمية حول سير المحادثات . وكان **جونار يارنج** قد اوقف نشاطه مع بداية المحادثات ، وقرر العودة الى مقر عمله فى موسكو بعد أن استنفذ كل جهد ممكن فى اقناع اسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الامن . وعلق **اوثانت** على ذلك بقوله « ان مهمة يارنج لم تحقق نجاحا ، فقد ظل المبعوث الدولى عاما ونصف العام يعمل فى ظروف غير مواتية ».

وقد أعلنت الدوائر المتصلة بسير المحادثات الرباعية أن مندوبى الدول الاربع بدءوا مناقشاتهم بحصر نقاط الاتفاق ونقاط الخلاف فيما بينهم حول تنفيذ قرار مجلس الامن . ثم انتقلت المناقشة الى اعداد بيان مشترك بالنوايا . وتقوم فكرة هذا البيان على تحديد نوايا كل من العرب واسرائيل من قرار مجلس الامن فى بيان يصدره مندوبو الدول الاربع ويوقع عليه كل من الدول العربية واسرائيل . الا انمندوبى الدول الاربع عجزوا بعد مناقشات حامية عن اصدار البيان . ويرجع السبب فى هذا العجز الى الاختلاف البين بين وجهة النظر الامريكية البريطانية من ناحية ووجهة النظر السوفيتية الفرنسية من ناحية أخرى . فبينما ترى وجهة النظر السوفيتية الفرنسية ان يبدا بيان النوايا بتعهد اسرائيلبالانسحاب تنفيذا لقرار مجلس الامن ترى وجهة النظر الامريكية البريطانية ان يبدا بيان النوايا بتعهد الدول العربية بالاعتراف بسيادة اسرائيل . وبينما ترى وجهة النظر



موشى ديان

الاولى النص على ان يتم الانسحاب الى حدود ما قبل ٥ يونيو يصر الجانب الامريكى البريطانى على أن يتم الانسحاب الى حدود آمنة ومعترف بها من جميع الاطراف ، وأن يتم تحديد تلك الحدود على أساس التفاوض بين الاطراف المعنية . وازاء عجز الدول الاربع عن الوصول الى اتفاق تقرر استبعاد فكرة اصدار بيان بالنوايا وبدأت محادثات الدول الاربع تتعثر فى مواجهة العقبات التى تواجهها .

وفى الوقت الذى أعلنت فيه الدول العربية ترحيبها بالمحادثات الرباعية على أساس أن ذلك قد يفتح طريقا لايجاد مخرج سلمى للازمة على أساس قرار مجلس الامن تعلن اسرائيل رفضها للمحادثات الرباعية ، ويصرح **ديان** فى المؤتمر السنوى لطلبة اسرائيل برفض أى رأى تتوصل اليه الدول الاربع لايتفق مع موقف اسرائيل . كما حاولت اسرائيل ايهام الرأى العام فى العالم بأن لايوجد خطر من اندلاع حرب شاملة فى الشرق الاوسط وأن استمرار الازمة لايهدد السلام العالمى . والواضح ان هدف هذه التصريحات — كما يقول بعض المراقبين — تخريب المحادثات الرباعية .

وبينما تعد اسرائيل العدة لاعلان ضم بعض المناطق العربية المحتلة الى اسرائيل نهائيا يحاول بعض القادة الاسرائيليين التلويح بعروض « للسلام » وذلك أملا فى صرف أنظار الرأى العام العالمى عن خطر اسرائيل فى المنطقة وعن خطر استمرار الوضع القائم .

أما بخصوص موقف الولايات المتحدة فقد أعلن جوزيف سيسكو وكيل وزارة الخارجية الامريكية أن الولايات المتحدة لاتعتبر أى حل تتوصل اليه الدول الكبرى بشأن الازمة بديلا عن الاتفاق بين الاطراف المعنية . وقال **وليم روجرز** وزير الخارجية الامريكية « أن سياسة أمريكا ازاء الشرق الاوسط لم تتغير ، وانها لم تتزحزح عن موقفها الخاص بضرورة وجود اتفاقية بين اسرائيل وبين الدول العربية . وأن مادعا الولايات المتحدة الى الدخول فى المباحثات الرباعية انما هو احتمالات انفجار الموقف .

ويرى المراقبون أنه لاينبغى أن يتوقع الرأى العام العالمى نتائج سريعة من وراء اجتماعات الدول الكبرى . وهذا ماعبر عنه زعيم حزب المحافظين ادوارد هيث ، أثناء زيارته للقاهرة ، عندما قال : « لاتتوقعوا نتائج سريعة او مفاجئة من مباحثات الدول الاربع الكبرى . أعتقد أنها ستطول . ولذلك أرى أن يكون شعار الجميع فى المرحلة القادمة هو الصبر » .

وعلى أية حال فان المراقبين يرون أن اسرائيل وقد باتت محاصرة بين نمو القوة العسكرية للدول العربية ، وبين نمو العمل الفدائى ، وتركز جهودها بمساعدة قوى الامبريالية والرجعية ـ لتوجه ضربات من الداخل تقسم بها صفوف الدول العربية المشتبكة معها على خطوط القتال ، وتحاول ان تمزق بها الجبهات الداخلية فى هذا البلد اوذاك. واسرائيل اذ تفعل ذلك تحاول ان تحاصر العمل الفدائى وتخنقه . ومن هنا يؤكد كثير من المراقبين العاطفين على قضية العمل الفدائى على ان هذا العمل يواجه قرارات حاسمة تجنبه الوقوع فى شرك الامبريالية والصهيونية . ومثل هذه القرارات تقوم من ناحية على دعم علاقات المقاومة الفلسطينية وتنسيق عملها مع كل القوى الوطنية والثورية فى الوطن العربى ، وتقوم ـ فى الوقت نفسه ـ ومن ناحية أخرى على صيانة وبناء علاقات متينة مع القوى الصديقة فى الخارج ، هذه القوى التى أثبتت بالاعمال لا بالاقوال أنها ضد الصهيونية ومع الثورة العربية ، بل ومع المقاومة الفلسطينية والعمل الفدائى على وجه الدقة .

■ ■ ■

■ لبنان

الاربعاء الدامى

يتابع المراقبون والرأى العام فى البلدان العربية باهتمام بالغ التطورات الخطيرة فى لبنان . وذلك على اثر الصدامات الدامية التى وقعت فى أواخر الشهر الماضى بين المتظاهرين اللبنانيين والفلسطينيين ، وبين قوات الامن ، وراح ضحيتها ١٧ قتيلا و١١٦ جريحا . واعتقل ١٣٢ آخرين من اللبنانيين والفلسطينيين . وكان عدد من الاحزاب التقدمية والوطنية (حزب البعث والحزب التقدمى الاشتراكى والحزب الشيوعى) قد اصدروا بيانا دعوا فيه الى القيام بمسيرة شعبية سلمية بعد ظهر يوم الاربعاء ٢٣ أبريل . تأييدا للعمل الفدائى وحق الفدائيين فى استخدام الاراضى اللبنانية ، ورفض كل المشاريع الرامية الى تصفية كفاحهم المشروع . كما أعلنت التجمعات والهيئات التقدمية والوطنية فى الجنوب ، واتحاد جامعة بيروت العربية والجامعة الامريكية فى بيانات لها تأييدها للمظاهرة الشعبية . وذكرت الصحف اللبنانية أنه قد تمت اتصالات بين كبار المسئولين وكمال جنبلاط رئيس الحزب التقدمى الاشتراكى بشأن العدول عن المظاهرة . وأن جنبلاط ابدى استعداده للاتصال ببقية القوى التقدمية ، اذا ما تأكد من تراجع السلطات عن الاجراءات التى اتخذت ضد العمل الفدائى .



شارل الحلو

وتقول صحيفة الانوار أن الرئيس **شارل حلو** قد طلب من المسئولين « اعادة النظر فى التدابير التى اتخذت ضد الفدائيين وضد العناصر التى تساند العمل الفدائى ، والتى كانت سببا فى الدعوة للتظاهر ».ويبدو ان المنظمين للمسيرة الشعبية لم يقتنعوا بأن توجيهات رئيس الجمهورية قد وضعت موضع التنفيذ .

وزاد من تفاقم الازمة تهديد **بيير الجميل** زعيم حزب الكتائب اليمينى ، وأحد أركان الحلف الثلاثى (بيير الجميل ـ ريمون اده ـ كميل شمعون) بأن الحلف سيتخذ اجراءات مضادة فى حالة ماذا قامت المسيرة الشعبية .

وتردد أن جنديا أطلق الرصاص على أحد الشبان الفدائيين أثناء المظاهرة وقتله . فكانت الشرارة التى أثارت غضبة الجماهير . وتحولت المسيرة السلمية الى اشتباكات دامية ، وفرض حظر التجول فى معظم المدن اللبنانية ، واخضاع أجهزة الصحافة والاعلام للرقابة العسكرية . مما دعا **برشيد كرامى** الى تقديم استقالة وزارته بعد تفاقم المشكلة معلنا : « أن هناك جانبين فى لبنان يقول أحدهما بضرورة قيام العمل الفدائى من لبنان مهما كانت الظروف وجانب آخر يعارض هذا الرأى . ولهذا فليست هناك حكومة تستطيع أن تتخذ أيا من وجهتى النظر دون أن تحدث انشقاقا فى البلاد » .

وحتى كتابة هذه السطور ، فان الموقف لايزال


رشيد كرامى

متأزما ، رغم أن الحكومة استجابت فعليا لمطلب جماهيرى أساسى وهو التجنيد الاجبارى • وقد تبادل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء المستقيل خطابين رسميين بشأن الموقف • ويفهم من خطاب رئيس الجمهورية أنه يختلف مع رئيس الوزراء بشأن استقالته • بمعنى أنه كان يفضل بقاء الوزارة ، ويبدو أنه قد نجح مبدئيا فى اقناع رشيد كرامى بالبقاء • ولكن جلسة البرلمان العاصفة بعد ذلك جعلت رشيد كرامى وزملاءه يصرون على الاستقالة • فلم يجد رئيس الجمهورية بدا من قبولها مع تكليف الوزارة بالاستمرار فى العمل حتى يتم تأليف حكومة جديدة •

والاتجاه العام ــ حتى كتابة هذه السطور ــ هو العمل فى اتجاه تأليف حكومة وطنية قوية تمثل كل القوى اللبنانية وتحظى فى نفس الوقت بثقة البرلمان • وهى مهمة صعبة للغاية حيث أنها تتطلب التوفيق بين متناقضات شديدة وعديدة •

ويعيد المراقبون الى الذاكرة حادث الاعتداء الاسرائيلى على مطار بيروت الذى فجر الازمة ودفع الى المقدمة بمطالب شعبية هامة كانت تجرى محاولات من بعض القوى لقطع الطريق عليها • فعلى أثر العدوان انهارت أسطورة الضمانات الدولية التى تحمى لبنان من الاعتداءات الاسرائيلية ، وسقطت حجج دعاة عزلة لبنان عن البلدان العربية • وحينئذ رفعت القوى الوطنية شعارات المطالبة بالتجنيد الاجبارى ورفع القدرة الدفاعية للبنان والتسلح من الاتحاد السوفيتى وحماية قرى الحدود وتدريب سكانها على السلاح والمطالبة بالتنسيق العسكرى مع الدول العربية وحماية ودعم العمل الفدائى •

■ سوريا

مؤتمر استثنائى ••
فى ظروف استثنائية

تابع الرأى العام العربى ، بقلق ملحوظ ، تطورات الازمة التى نشبت فى سوريا فى الاسابيع الماضية ، والتى كادت ان تؤدى بالبلاد الى منزلق خطير لا يهدد مصير سوريا وحدها بل يهدد مستقبل قضايا الصراع العربى الاسرائيلى • ولكن اتفاق الجناحين المختلفين ــ او ماسمى بالجناح المدنى ، والجناح العسكرى ــ على دعوة المؤتمر القطرى لحزب البعث الحاكم ، الى عقد دورة استثنائية ، قد اجل ــ بتعبير المراقبين ــ انفجار الصراع الى حدود الخطر الفعلى • وبغض النظر عما يمكن ان تكون القرارات النهائية لهذا المؤتمر الاستثنائى ، فى صالح هذا الطرف او ذاك الا انها وفرت ــ بدون شك ــ كثيرا من الطاقات والامكانيات على شعب سوريا ، كان من الممكن ان تتبدد فى وقت هو اشد مايكون فى حاجة اليها ، والى تضامن كل قواه الوطنية والتقدمية •

وقد اصدرت القيادة القطرية لحزب البعث السورى ، بيانا بعد انتهاء « المؤتمر القطرى الرابع الاستثنائى » ، اوضحت فيه ان الازمة الاخيرة « كانت بحكم الظروف التى تحيط اليوم بالوطن العربى » اخطر ازمات الحزب واشدها حساسية • ويحلل البيان اسباب الازمة ، فيقول انها « كانت نتاجا لمجموعة من الاسباب البعيدة والقريبة ، لعبت فيها الظروف القاسية الصعبة التى يمر بها الوطن العربى بعد النكسة ، والظروف الذاتية التى يمر بها الحزب ... دورا رئيسيا » • ثم يوضح البيان ان اختلاف وجهات النظر حول افضل وضع لمواجهة الاحتلال •• « ادت الى مواقف تختلف فى بعض جوانبها مع مواقف القيادة السياسية » •

وقد تضمن بيان القيادة القطرية ، القرارات الستة التى اتخذها المؤتمر والتى يتناول القرار الاول منها « المجال الداخلى » فيؤكد المؤتمر « على قيادة الحزب العمل على ايجاد الصيغة والاطار اللذان يكفلان متانة الجبهة الشعبية الداخلية وتحقيق مشاركة فعالة لمنظمات الجماهير والتقدميين والوطنيين الشرفاء .. ويوفران لهم حق الرقابة والنقد والمشاركة فى تحمل المسئولية وابداء الرأى

فى القضايا القومية والوطنية .. بما لا يتعارض مع مبدأ الحزب القائد للثورة » ويدعو القرار الثانى الى ضرورة التأكيد على « تحقيق التنسيق الفعال بين الجبهات العربية » . وتمضى قرارات المؤتمر بعد ذلك لتوضح اهمية العمل « لتحقيق الخطوات الوحدوية » ومن اجل « تعزيز العلاقات مع موسكو وباريس » . كما دعا المؤتمر الى العمل على « تحقيق وحدة مناضلى الحزب داخل القطر وخارجه وبذل كل الجهود الممكنة لاستقطاب واعادة الرفاق المناضلين من الحزبيين القدامى لصفوف الحزب » وبعد ان يشجب المؤتمر « الاتهامات المتبادلة التى لا تستند الى دليل والتى رافقت تطورات الازمة » ، دعا الى الغـاء « الاجراءات الناجمة » عنها .

وقد علقت صحيفة الاخبار اللبنانية ، علـى المؤتمر ، بقولها انه « خيب آمال قوى الرجعية والامبريالية واحبط مؤامراتها ونشاطاتها المسعورة التى تهدف للقضاء على الحكم التقدمى فى سوريا من طريق ركوب وتأجيج مابرز من تناقضات فى داخله » وتأمل الدوائر الوطنية والتقدمية العربية ، فى أن تنجح القيادة السورية فى سد الطريق نهائيا على قوى الرجعية ، وصيانة منجزات الشـعب السورى . وتعتقد هذه الدوائر ، انه بقدر ما تساهم سوريا اليوم فى جبهات النضال التحررى العربى ضد العدوان الاستعمارى ـ الصهيونى ، وبخاصة فى مجال « الجبهة الشرقية » .

■ ■ ■

■ **اسرائيل**

مسـاء واحـــد فقط

القت السلطات العسكرية الاسرائيلية فى الشهر الماضى [ابريل ١٩٦٩] القبض على الشاعر والمناضـــل الشاب « **سميح القاسم** » عضو حزب راكاح [الحزب الشيوعى العربى اليهودى الذى يتزعمه مايرفلنر وتوفيق طوبى] .

وليست هذه اول مرة يتعرض فيها « سميح القاسم » ابن الثلاثين ربيعا للقبض والسجن والتعذيب والمطاردة مـن جـانب الحكومـة الاسرائيلية . فقد سبق ان عانى ، مثله مثل زملائه محمود درويش وتوفيق زياد ومحمد خاص وسالم جبران وغيرهم من الكتاب والشعراء المناضلين العرب ، مرارة السجون الاسرائيلية اكثر من مرة فضـــلا عن الطرد من العمل وتحـديد الاقـامة الجبرية الخ ..

وصبيحة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، شملت حملـــة الاعتقالات الواسعة النطاق التى شنتها الحكومة الاسرائيلية ضد مئات المناضلين العرب من الكتاب والشعراء والصحفيين والعمال ، **وخاصة من اعضاء حزب راكاح** الذين يعادون الصـــهيونية ويناضلون من اجل تطهير البلاد منها ، ومن قيمها ومؤسساتها باعتبارها حركة رجعية عنصريـة مرتبطة بالامبريالية العالمية . ويسعون من اجل اخوة عربية يهودية دون ماتمييز او تعصب دينى او عنصرى ، او ارتباط بالصهيونية والاستعمار . وعلى هذا الطريق ناضـــلوا بقوة ـ عربـا ويهودا ـ ضد الحرب العدوانية التى شـنتها اسرائيل ضد البلاد العربية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وأدانوها كمخطط صهيونى امبريالى ضد حركة التحرر العربية .

وقد انعكس هذا « الموقف المبدئى الشجاع » فى مضامين الاعمال الفنية للشـعراء والكتـاب التقدميين ، حيث يتمتع « سميح قاسم » بينهـم بمكانة ممتازة وصوت واضح وقدرة ابـداعية ممتازة .

وكان سميح القاسم حتى سجنه فى ٥ يونيو صديقا لراكاح فحسب ، ويعمل رئيسا لتحرير المجلة العربية « هذا العالم » التى كان يصدرها « **يورى افنيرى** » عضو الكنيست وزعيم الجماعة المحدودة والمعروفة باسم « **هاعولام هذيه** » التى اعلنت معاداتها للصهيونية . بيد انه ما ان شن عدوان ٥ يونيو حتى اتخذ منه « افنيرى » موقف التـأييد والمساندة باعتباره « عملا دفاعيا » ، فسارع « سميح القاسم » الى الاستقالة والانضمام لعضوية حزب راكاح خلال السجن .

وتعادى السلطات الاسرائيلية « سميح القاسم » لاكثر مـن سـبب . فهـو ـ نتيجة اصـوله الدرزية ـ استطاع أن يشن حملة قوية ضد خطة الحكومـــة الاسرائيليـــــة للتفــــرقة بيـــن ماتسميه « العرب » و « الدروز » لتشتيت قـوى العرب واثارة التفرقة بينهم .

وهو مناضل سياسى شجاع ، بعمله وقلمه ، ضد الصهيونية وخططها العدوانية والتوسعية .

وهو فوق هذا وذاك ، شاعر عربى مسموع الصوت ـ فنيا وموضوعيا ـ وله قدرة فائقة على تعبئة الجماهير ضد الاستبداد والظلم وانتهاك



سميح القاسم

انسانية الانسان والسلطة الصهيونية ، من خلال شعره الذى يدفىء الوجدان ويستحضر فى اعماق الناس القدرة على رفض الواقع المظلم ، وتغييره .

وسميح القاسم ، فنان غزير الانتاج. فقد صدر له ـ على الرغم من الرقابة الصارمة ـ خمسة دواوين شعرية : مواكب الشمس (١٩٥٨) اغانى الدروب (١٩٦٤) ارم (١٩٦٥) دمى على كفى (١٩٦٧) دخان البراكين (١٩٦٧) .

ووفقا لما تناقلته وكالات الانباء اخيرا فانه تعرض للسجن من جديد بسبب ديوانه الجديد الذى اصدره اخيرا بعنوان « **ويكون ان يأتى طائر الرعد** » .

واذا كان « طائر الرعد » لايزال كصاحبه سجين الصهيونية ، الا انه لن يمر وقت حتى يحمل العصفور على الرغم من كل القضبان صوت سميح فى اشعاره الجديدة . واغلب الظن ان آخر قصيدة نشرتها الاتحاد ـ جريدة راكاح العربية ـ لسميح القاسم بعنوان « مساء واحد فقط » هى احدى قصائد « عصفور العاصفة » وفيها يقول سميح مخاطبا سجانيه ومطارديه :

« **تستطيعون هذا المساء**
ان تكونوا الذى لا اكون
وتشاءوا الذى لا اشاء
تستطيعون ان تضحكوا
من وقوفى على رابيه
عاريا .. عاريا ..
واحتقان البكاء
فى شرايين وجهى المضاء
بالرؤى الدامية
تستطيعون ياسادتى
مخلبى بعته فى المزاد
بعته .. من قرون
واشتريت الرقاد
فى ظلال النخيل الحزين
تستطيعون ياسادتى
بصماتى غدت كلها اليوم معروفة
فى محطات بوليسكم كلها
وكلاب الاثر
اتقنت كلها
مهنة الركض خلفى ،
وفن ، اكتشافى ، طريحا
على زهرة او حجر
نازفا .. نازفا .. احتضر
تستطيعون هذا المساء
ان تحزوا رقاب الشجر
لتنالوا اقاصى الثمر
تستطيعون ياسادتى
ان تحيلوا القمر
مخبرا تافها ،
والجبل ..
خائنا او بطل !
لمساء فقط ..
تستطيعون ياسادتى
ان تكونوا الذى لا أكونْ
وتشاءوا الذى لا اشاء
فانا ، زهرة ، سنبلة
مـرة ،
وانا مرة .. قنبلة
وعروقى انابيب نفط وماء
وجدير انا بالبقاء ..
الهموم التى اثقلت كاهلى فى الطفولة
مسختنى حجر
واقتحامى وعور الرؤى المستحيلة
شدنى .. شدنى كالوتر
فاسمعوا صرختى فى الرياح
واشهدوا عودتى فى المطر !!!

■ الصين الشعبية

المؤتمر التاسع بعد الصين « لما بعد ماو »

انعقد المؤتمر الوطنى التاسع للحزب الشيوعى الصينى فى جو من التكتم والسرية ، فلم تذع وكالة انباء الصين الجديدة أى بيانات تفصيلية عن التقارير التى قدمت للمؤتمر ، او المناقشات التى دارت خلاله ،او القرارات التىتوصل اليها. وانما اكتفت بتوضيح جدول اعمال المؤتمر المكون من ٣ نقاط رئيسية هى : مناقشة التقرير السياسى الذى قدمه **لين بياو** وزير الدفاع، وتعديل دستور الحزب الشيوعى الصينى ، وانتخاب لجنة مركزية جديدة للحزب • وقد حضر هذا المؤتمر ١٥١٢ مندوبا جاءوا من جميع انحاء الصين • ولم تحضر المؤتمر أية وفود أجنبية •

وقد اصدرت امانة هيئة رئاسة المؤتمر فى ١٤ الماضى بيانا صحفيا اشارت فيه الى « ان مؤتمرنا هذا ، قد جرى تحت قيادة الرئيس ماو المباشرة فى غاية التوفيق والوحدةوالنجاح » •• وان حزبنا قد حقق وحدة منقطعة النظير بعد سحق مقر القيادة البرجوازية والذى كان يترأسه **ليوشاوشى** » وجدير بالذكر أن هذه هى الاشارة الوحيدة عن رئيس الجمهورية السابق فى كافة البيانات والمعلومات التى أصدرتها وكالة انباء الصين الجديدة وراديو بكين عن المؤتمر •

وذكر بيان أمانة هيئة الرئاسة أن تقرير « **لين بياو** » السياسى انما « يوضح بعمق نظرية الرئيس « **ماو** » حول مواصلة الثورة فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، ويلخص بصورة منتظمة ، تجارب الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى بلادنا ، ويحلل الوضع الداخلى والخارجى ، ويطرح المهمات الكفاحية المقبلة أمام كل الحزب وكل الجيش وشعب بلادنا » • واشار الى ان المندوبين قدموا اقتراحات جيدة ، وكذلك كثيرا من الاضافات والتعديلات حول التقرير • وقد اتخذ المؤتمر قرارا بادخال هذه التعديلات على النص • كما اشير فى الجزء الخاص بمشروع دستور الحزب، الى أن هذا الدستور قد « نص بوضوح جلى على ان الرفيق « **لين بياو** » هو الخلف للرئيس ماو » •

وقد تلقى المؤتمر التاسع برقيات تهنئة بانعقاده من القيادة الالبانية ومن حزب العمال الرومانى ومن الجماعاتالتى كانت قدانشقت عن الاحزاب الشيوعية والعمالية فى عدد من البلدان (النمسا ، المانيا الغربية ، سان مارينو •• الخ) ، هذه الجماعات التى كونت منظمات صغيرة مستقلة •

ونظرا لاجراءات التكتم والسرية التى أحاطت بالمؤتمر ، وهى اجراءات غير مألوفة بالنسبة للاحزاب الشيوعية والعمالية التى تتولى السلطة ، فان ماعرف عن أعمال المؤتمر حتى الان لايسمح باعطاء صورة تفصيلية وواضحة المعالم عن الخط السياسى الذى أقره المؤتمر •

غير أن عددا من المعلقين فى البلدان الاشتراكية قد ركز اهتمامه حول التعديلات التى أدخلها المؤتمر على لائحة (أو دستور) الحزب • وهو الدستور الذى كان قد أقره المؤتمر الثامن فى سبتمبر ١٩٦٥ •

ويرى هؤلاء المراقبون ان عددا من المبادىء الجوهرية التى تضمنها الدستور السابق للحزب قد حذفت أو عدلت تعديلا جذريا •

فبينما نص الدستور الذى أقره المؤتمر السابق على أن الماركسية اللينينية هى بوصلة الحزب • أدخل تعديل على الدستور الجديد يشير الى **أن أفكار ماوتسى تونج هى « أعلى مرحلة فى تطور الماركسية اللينينية »** •

وفوقذلك فقد تضمن الدستور الذى أقره المؤتمر التاسع نصا لم يسبق له مثيل لا فى تاريخ الاحزاب الشيوعية والعمالية ، ولا فى تاريخ الجمهوريات البورجوازية الديموقراطية ، وهذا النص يحدد بالاسم خليفة ماو وهو لين بياو •

وبينما أكدت نصوص الدستور الذى أقره المؤتمر السابق على أن « الحزب يسعى الى تنمية وتطوير صداقة الصين مع جميع البلدان الداخلة فى معسكر السلام والديموقراطية والاشتراكية الذى يقفعلى رأسه الاتحاد السوفييتى » •• خلت نصوص الدستور الذى أقره المؤتمر التاسع من الاشارة الى التعاون والتضامن مع الاتحاد السوفييتى •

على أن المراقبين يرون أن المسألة لم تقتصر على موقف من الاتحاد السوفييتى وقيادته ، بل ان التغييرات الحقيقية التى طرأت على قواعد الحزب هى تلك التى تتناول شكل الحزب ، والقواعد

التى تحكم حياته الداخلية . ويؤخذ من كلام بعض المعلقين السوفييت أن اللجان الحزبية على جميع المستويات ، بما فى ذلك اللجنة المركزية ، والمكتب السياسى لم تعد تخضع لقاعدة الانتخاب وفقا للدستور الجديد . وحتى فى المواضع التى يرد فيها ذكر الانتخاب فانه يوضع بطريقة شكلية لان مقدمة دستور الحزب تقرر مقدما اسماء المرشحين لمنصب رئيس اللجنة المركزية للحزب الصينى ونائبه فى شخص ماو ولين بياو .

ويميل بعض المراقبين الىالاعتقاد بأن مجموع هذه التعديلات مضافا اليها حملة التطهير الجديدة التى بدأت ضد كثيرين من الاعضاء القدامى سيترتب عليها ـ من الناحية العملية ـ تغيير أساسى فى نظرية الحزب الشيوعى كما أقرها لينين ، بحيث أن الحركة الشيوعية والعمالية ستواجه نموذجا جديدا من التنظيم لم تألفه من قبل .

وفيما يتعلق بالخطوط السياسية التى أقرها الحزب فان المعلومات التى تحت أيدينا لاتزال قليلة . ولكن حتى فى حدود مانشرته بعض الصحف الصينية يمكن القول بأن مهمات البناء الاشتراكى المصطلح عليها بين الاحزاب الشيوعية هذه المهمات قد أصابها تغيير كبير . فقد كتبت جريدة الشعب الصينية فى ١٩٦٩/٣/٣ تقول :

« ستاتى هذه السنة بنصر الثورة الثقافية العظمى التام ، **وبما أن الزراعة هي أساس الاقتصاد القومي فان للنصر على الجبهة الزراعية أهمية عظمى لتحقيق السياسة الاستراتيجية** ». وهذه الاشارة الى الزراعة كأساس للاقتصاد القومى توضح الخلاف العميق بين سياسةالمؤتمر الثامن وبين سياسة المؤتمر التاسع .

ومن الاشارات السياسية التى تخص المؤتمر التاسع ، تلك التى أبرق بها من بكين فى ١٩٦٩/٤/٧ **ادوار ديلون** مراسل وكالة الانباء الفرنسية . فقد ذكر أنه يؤخذ من وثائق نشرتها وكالة انباء الصين الجديدة أن المؤتمر تعرض للموقف فى آسيا والشرق الاوسط وأفريقيا . وأن القيادة الصينية كعادتها أكدت على تأييد الكفاح المسلح ضد الحكومات القائمة فى بورما وتايلاند وأندونيسيا وماليزيا . ليس هذا فحسب ، وانما ضد حكومتى الهند واليابان أيضا . ويضيف ادوار ديلون الى أن تأييد القيادة الصينية للكفاح المسلح فى مختلف بقاع العالم هو « تأييد ايديولوجى فى جوهره ، وأنه ينبغى أن يشتمل على تزويد الثوريين بما تعتبره الصين أقوى سلاح وهو فكر ماوتسى تونج . وفيما عدا هذا فان الايديولوجية المادية ، تريد ـ كقاعدة عامة ـ أن يعتمد الثوريون على أنفسهم أولا وقبل كل شىء ، حتى اذا كان من المحتم عليهم أن يشرعوا فى النضال وليس فى أيديهم سوى المناجل » .

واخيرا ،فان ماحققته عمل انصار ماو فىداخل المؤتمر التاسع دفع كثير من المراقبين للاعتقاد بان الـ٢٤ من كبار شخصيات الحزب والدولة والجيش الذين يتولون تسيير الصين بالفعل منذ عمليات التطهير التى جرت خلال ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ يستمرون فى القيام بدورهم بعد المؤتمر . وحسبما اوضحت وكالة الانباء الفرنسية فى اول ابريل الماضى فان ترتيب الشخصيات الكبرى فى الزعامة الصينية ، بعد « ماو » على النحو التالى ، « **لين بياو** » « **شواين لاى** » ، « **شن بوتا** » ، « **كانج شينج** » « **شيانج شينج** » (زوجة ماو) ، **وشانج شونج شياو** » رئيس لجنة شنغهاى الثقافية ، يليه الفيلسوف الشاب « **ياو وين يوان** » يتلوه« **هسيان فوشيه** » وزير الامن . كذلك اشارت نفس الوكالة فى اول ابريل ايضا الى ان الجيش الشعبى ممثل فى المجموعة القيادية بعدد كبير من الشخصيات (١٠ من ٢٤ شخصا) ، على انه اذا كان المؤتمر قد ادان « **ليون شاوش** » ، ولم ترد من ناحية أخرى أى ايضاحات حول مصير **تنج هسياو بنج** السكرتير العام السابق للحزب الذى هاجمته الثورة الثقافية واقصته .

■ **كوريا الشمالية :**

أساطيل بحرية وجوية « لحماية » التجسس !

ارسلت الولايات المتحدة قوة بحرية وجوية ضخمة الى بحر اليابان تتكون من ٤ حاملات للطائرات ، و ٣ طرادات ، و١٦ مدمرة، ومئاتمن الطائرات لفرض الحماية اللازمة لطائرات التجسس الامريكية فى تلك المنطقة . وقد جاء ذلك القرار من جانب الرئيس الامريكى ، **ريتشارد نيكسون** بعد اسقاط كوريا الشمالية لطائرة تجسس امريكية تقل ٣١ شخصا ، اخترقت المجال الجوى لكوريا الشمالية .

ويعد اسقاط هذه الطائرة ثانى ضربة توجهها كوريا الشمالية ، لاعمال التجسس الامريكية على أجوائها وشواطئها ، بعد أسر سفينة التجسس

الامريكية « بويبلو » فى العام الماضى . كذلك فقد اثبتت الولايات المتحدة ـ وللمرة الثانية ـ عجزها عن اتخاذ ما تسميه باجراء رادع ضد كوريا الشمالية . وقد فشلت محاولتها للانتقام من المطار الكورى الشمالى الذى اقلعت منه الطائرات التى هاجمت طائرة التجسس الامريكية ، بسبب الاستعدادات الكورية التى اخلت المطار تماما،كما أخرجت السفن الكورية على الفور الى أعالى البحار مما يكشف عن مدى يقظة القيادة الكورية .

على انه اذا كان قرار نيكسون باخراج كل هذه القوة الجوية والبحرية الضخمة الى بحر اليابان لتوفير الحماية المسلحة لاعمال التجسس ، يعد بمثابة محاولة لفرض الشرعية على اعمال التجسس الامريكية بالقوة ، الا ان مثل هذا القرار كان رد فعل سياسيا عصبيا ، وان كان لم يقلل من اثر الضربة الفعالة التى وجهتها كوريا الشمالية . ويرى الخبراء ان توفير الحماية الكاملة لطائرات التجسس باستخدام طائرات نفاثة مرافقة امر صعب للغاية بسبب التفاوت الكبير فى السرعة بين النفاثات وطائرات التجسس البطيئة ، كذلك فان الطائرات الاخيرة تستمر فى الجو مددا طويلة تتراوح بين ٨ و١٢ ساعة وهى فترة طيران طويلة بالنسبة للنفاثات .

والحقيقة ان التهديد الامريكي الذى وصل الى اقتراح **مندى ريفرز** رئيس لجنة القوات المسلحة بالكونجرس الى حد المطالبة باستخدام الاسلحة النووية ضد كوريا الشمالية ، وكذلك مطالبة بعض المسئولين الامريكيين باتباع الولايات المتحدة مع كوريا الشمالية ، لنفس الاسلوب الذى اتبعته اسرائيل مع الدول العربية . كل ذلك لم يسفر هذه المرة ايضا ـ وحتى كتابة هذا التقرير ـ عن شىء ، اكثر من نفس مظاهر التهديد واستعراض القوة فى الشرق الاقصى مثلما حدث عند أسر السفينة بويبلو .

وذلك يلقى الضوء فى الحقيقة على التكتيك الذكى الذى يتبعه الكوريون الشماليون فى هذه الفترة بالذات ، ففضلا عن انهم باسقاطهم طائرات التجسس واسرهم لسفن التجسس الامريكية يقومون بواجب وطنى مفروض فى الدفاع عن حدودهم ، الا انهم اختاروا ايضا توقيتا زمنيا ملائما جدا لتوجيه ضربات لاعمال الولايات المتحدة العدوانية بالقرب من حدودهم ، فى الوقت الذى تجد فيه امريكا نفسها متورطة فى الحرب الفيتنامية .

■ بيرو :

بيرو .. بين النفوذ الامريكي والثورة الاجتماعية

يتابع الرأى العالمى باهتمام ، تطورات أزمة النزاع بين بيرو والولايات المتحدة الامريكية ، حيث تبدو احتمالات حدوث « نهاية سعيدة » ـ كما تقول وكالات الانباء حتى كتابة هذا التقرير ـ « منعدمة تقريبا » .

وكان مبعوث الرئيس نيكسون الى بيرو ، قد عقد عدة اجتماعات مع المسئولين فيها ، ثم يذع عن نتائجها شىء ، بعد انتهاء الزيارة فى ٨ ابريل . وقد صرحت المصادر الامريكية بانه « لابد وان بيرو تشعر بأى قلق من احتمال قطع المعونة الاقتصادية الامريكية لها والتى تبلغ ٢٥ مليون دولار سنويا »

وكانت حكومة جوان القارادو ، قد بادرت الى تأميم « شركة البترول الدولية » التابعة لشركة « استاندارد اويل اوف نيوجرسى » دون دفع أية تعريضات لاصحاب الشركة . وهنا أنذرت الخارجية الامريكية حكومة بيرو بأنها ستوقع العقوبات الاقتصادية على بيرو واذا لم تدفع الاخيرة التعويض المناسب عن تاميم الشركة قبل ١٩ ابريل (أى هذا الشهر) . وقد اوضحت الخارجية الامريكية بأن توقيع هذه العقوبات سوف يتم بمقتضى ما يسمى « بتعديل هيكنلوبر » الامريكي والذى يقضى بوقف المساعدات الامريكية كلية عن أية دولة تؤمم مصالح امريكية دون ان تدفع تعويضات « مناسبة » بعد مضى ستة أشهر على صدور قرار التأميم . واذا فرضت الولايات المتحدة عقوبات اقتصادية على بيرو ، فان هذه العقوبات سوف تشمل بالاضافة الى قطع المعونات العادية ـ حرمان بيرو من حصتها من السكر الامريكي وهو ضرورى للمستهلك فى بيرو ، ومن قروض البنك الدولى وقروض بنك التنمية الامريكية .

وكرد فعل لذلك الانذار الامريكي اعلن **الجنرال فاليسكور** رئيس الجمهورية أن بلاده تطالب الشركة الدولية بمبلغ ٦٩٠ مليون دولار بصفة تعويض عن استغلالها غير الشرعى لبترول بيرو لمدة ٤٤ عاما منذ مارس ١٩٢٤ وحتى أكتوبر ١٩٦٨ . وناشد



نيكسون

فالبسكو دولَ امريكا اللاتينية الأخرى الوقوف الى جانب بلاده ضد « العدوان الاقتصادى الامريكى » ، فأعلنت فورا كل من **بوليفيا والارجنتين تأييدها لبيرو** • ثم احتجزت سلطات بيرو سفينة صيد أمريكية بدعوى توغلها داخل المياه الاقليمية لبيرو التى تمتد لمسافة مائتى ميل فى المحيط الهادى • وبعد ذلك انشأت حكومة فالبسكو علاقات دبلوماسية مع **الاتحاد السوفيتى** الذى افتتح أول سفارة له فى « ليما » وارسل بعثة تجارية أبرمت اول اتفاق اقتصادى بين البلدين ».

وهناك ، مع ذلك ، عدة اعتبارات تدعو المراقبين الى الاعتقاد بأن الولايات المتحدة سوف تحجم من توقيع عقوبات اقتصادية على بيرو • وهذه الاعتبارات هى : (١) ان توقيع هذه العقوبات سوف يدفع بيرو الى رفع المسألة الى منظمة الدول الامريكية والى عرضها على الامم المتحدة ، وهو أمر قد يؤدى الى تفكك جبهة الدول اللاتينية وهى جبهة بالغة الاهمية بالنسبة للولايات المتحدة عند التصويت على مشروعات القرارات المختلفة • (٢) ان ذلك قد يؤدى الى نشوب خلافات حادة بين أمريكا اللاتينية المنتجة للبترول من ناحية وبين الولايات المتحدة من ناحية أخرى حول نشاط شركات البترول الامريكية فى هذه الدول • (٣) ان هذه العقوبات لن تلقى قبول الراسماليين الامريكيين نظرا لانها ستؤدى فى النهاية الى نتائج عكسية تهدد الاستثمارات الامريكية فى أمريكا اللاتينية كلها • (٤) ان توقيع الولايات المتحدة لعقوبات اقتصادية على احدى دول أمريكا اللاتينية سوف يعرقل كل محاولاتها لاحياء برنامج « **التحالف من اجل التقدم** » الذى وضعته حكومة كيندى ليكون أساسا للعلاقات بين الدول الامريكية • ومما يزيد هذه الاعتبارات أن هذه هى أول أزمة مع أمريكا اللاتينية يواجهها **الرئيس نيكسون** • فهو ، وان لم يتحدث عن سياسته الجديدة تجاه أمريكا اللاتينية فى خطابه الافتتاحى يوم تنصيبه ، الا أنه كان قد أعرب عن أمله فى أن تلعب القروض والاستثمارات الخاصة الدور الرئيسى فى المعونة الامريكية الى دول أمريكا اللاتينية •

وعلى اية حال يرى المراقبون انه لايمكن فهم حقيقة العلاقات بين أى من دول أمريكا اللاتينية دون الالمام بالترابط الوثيق بين البنيان الاقتصادى والاجتماعى ، فى هذه الدول وبين السياسة الخارجية الامريكية •

١ـ ففى بيرو توجد كميات هائلة من المعادن الاستراتيجية • فهى أكثر دول امريكا اللاتينية انتاجا لخام الحديد والزنك ، وثانية هذه الدول فى انتاج البترول والفحم والنحاس ، الى جانب انتاجها التقليدى من المعادن الثمينة • وتقوم الشركات الامريكية باستخراج وتصدير هذه المعادن التى تعتبر المصدر الرئيسى للدخل فى بيرو •

٢ـ وفى بيرو لايزال يعيش نظام الاقطاع منذ الغزو الاسبانى • وهو يقوم على المزارع التجارية الكبرى (وتسمى لاتيفانديو) التى تنتج القطن وقصب السكر • وهذه المزارع ـ مع ذلك ـ تعتمد على نظم انتاج بدائية قائمة على علاقة « السيد » صاحب المزرعة بالعبيد وهم الهنود الذين يعملون فى المزرعة • وهناك ستة من هذه المزارع تحيط بالعاصمة ليما لاتقل مساحة كل منها عن خمسة عشرة ميلا مربعا بينما لايتجاوز أجر العامل فيها سبعين سنتا مقابل ١٣ ساعة عمل يوميا •

٣ ـ وفى بيرو بالذات ظهر رواد الفكر السياسى فى التاريخ الحديث لامريكا اللاتينية • ففى ١٨٨٣ هاجم الفيلسوف « **جونزاليزا برادا** » تحالف الكنيسة وكبار الملاك والعسكريين لاستغلال الهنود • وفى العشرينيات من هذا القرن دعا « **خوزيه مارياتيجى** » الى انشاء حركة جماهيرية تقوم على تحالف الفلاحين والعمال ضد الاوليجاركية الزراعية ورأس المال الامريكى • وكان مارياتجى يرى أن هناك ثلاثة نظم أقتصادية توجد فى بيرو فى آن واحد : أولها النظام الاقطاعى وهو ميراث الغزو الاسبانى ، وثانيها نظام شيوعى بدائى وهو ميراث قبائل « الانكا » التى لاتزال تتعامل

بالمقاصة ، وثالثها النظام الرأسمالى الذى أرسته الاحتكارات الامريكية · ومنذ ١٩٣٠ شهت بيرو ترجمة الفكر الثورى الشعبى الى تنظيم حقيقى هو تحالف العمال والفلاحين والمثقفين بزعامة « هاياديللاتورى » .

ومع ذلك ، لم تتمكن أية قوة ثورية فى بيرو من الوصول الى السلطة والاطاحة بالبنيان الاقطاعى الرأسمالى . ويرجع ذلك الى ان كلا منكبار الملاك الزراعيين والاحتكارات الرأسمالية الامريكية يلجأ دائما الى التحالف مع العسكريين لضرب أية قوة ثورية تهدد مصالحهم · وفى داخل هذا الاطار وقع الانقلاب العسكرى فى بيرو فى أكتوبر الماضى · وبالاضافة الى ذلك هناك نقطتان هامتان متعلقتان بظروف وقوع ذلك الانقلاب ، وتلقيان الضوء على حقيقة الازمة بينه وبين الولايات المتحدة وهما : ١ـ انحكومة الرئيس السابق « **بيلاونديتيرى** » التى اطاح بها الانقلاب لم تفعل شيئا لتغيير البنيان الطبقى الراهن ، سوى عدة برامج « اصلاحية » فى ظل سيطرة كبار الملاك والرأسماليين ، وكان الاصلاح الزراعى هو أبرز هذه البرامج اذ أنه قد تضمن بندا ينص على عدم سريانه على مزارع القطن وقصب السكر وغيرها من المزارع التى تتسم ادارتها بالكفاءة ! · ٢ ـ أن هذا الانقلاب جاء بعد اقل من مضى شهر واحد على المؤتمر الثامن لقادة الجيوش الامريكية الذى انعقد فى **ريودى جانيرو** فى أواخر سبتمبر الماضى بدعوى تنسيق الامن الحقيقى للمؤتمر ـ الذى مثل الولايات المتحدة فيه **امريكا اللاتينية : وخاصة نشاط العصابات فى** فيتنام ـ **هو بحث مواجهة نشاط القوى الثورية فى فنزويلا وبوليفيا** ·

ومهما كانت توقعات المراقبين بأن الازمة بين الجنرال وستمورلاند قائد قواتها السابقة فى الجماعى لدول أمريكا اللاتينية · ولكن السبب حكومة الانقلاب وبين الولايات المتحدة سوف تنتهى قريبا خاصة بعد تصريحات فاليسكو الاخيرة بان حكومته لاتعارض الاستثمارات الامريكية ولا غيرها فى بيرو وأن مسألة شركة البترول هذه « حالة فريدة » لان غيرها من الشركات لايزال يعمل فى بيرو ، الا أن الاشهر القليلة القادمة سوف تبين ما الذى تستطيع حكومة فاليسكو انتفعلهفى بلد يجمع المراقبون انه يموج بعوامل ثورةاجتماعيه شاملة ·

■ **تشيكوسلوفاكيا**

دعم وحدة الحزب اساس تجاوز الازمة

اشارت الانباء الاخيرةالى التغييرات الهامة التى طرأت على تشكيل قيادة الحزب الشيوعى فى تشيكوسلوفاكيا . فقد تولى جوستاف هوزاك ـ الذى وصفته الانباء بأنه من اقوى اعضاء الحزب ـ منصب السكرتير الاول بدلا من الكسندر دوبتشك .

وقد بدأ التمهيد لهذه التغييرات بعد ان وقعت مظاهرات معاديه للاتحاد السوفيتى اعتدى فيها المتظاهرون على مكتب الطيران السوفييتى وعلى جمعية الصداقة التشيكية السوفييتية · كما احرق المتظاهرون عددا من السيارات السوفيتية ·

والمعتقد أن هذه المظاهرات قد أثارت قلق الكثيرين من اعضاء قيادة الحزب الشيوعى ، هذه العناصر التى كانت ترى ان هذه القيادة قد تبنت فى التطبيق سياسة لينة ووسطية تهدد بفتح الطريق امام القوى المناهضة للاشتراكية . وبالفعل لم يتأخر جوستاف هوزاك عن نقد دوبتشك عندما وصف زعامة تشيكوسلوفاكيا بانها « لينة أكثر مما ينبغى » ·

ويرى عدد من المراقبين فى البلدان الاشتراكية أن نقد هوزاك له ما يبرره تماما · لان القوى المناهضة للاشتراكية قد اثبتت انها لا تزال نشطة وقوية ومطلقة السراح ، ولا ادل على ذلك من ان المظاهرات المعادية للاتحاد السوفييتى وللاشتراكية قد تم تفجيرها من حادث يبدو بسيطا وهو انتصار الفريق التشيكوسلوفاكى لهوكى الانزلاق على الفريق السوفيتى فى احدى المباريات ، الامر الذى يوضح مرة أخرى أن القيادة السابقة للحزب قد سارت على سياسة لينة مع اعداء النظام ·

ويضيف المراقبون الى ذلك أن هذه القوى المعادية ، ظلت ـ تحت شعارات ليبرالية ـ تستخدم الصحافة رغم ما قيل من ان عناصر معادية موالية لالمانيا الغربية وللصهيونية قد اقصيت عن الاذاعة والتليفزيون · وهذا يفسر لماذا اقدمت الحكومة على وقف مجلة « بوليتكا » من الصدور بعد وقوع المظاهرات الاخيرة .



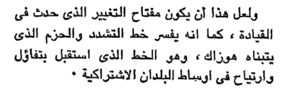
جوستاف هوزاك

وأيا ما كان الامر ، فان الوضع فى تشيكوسلوفاكيا لا يزال برمته متأزما بل وحرجا واذا كان دخول قوات حلف وارسو قد افسد خطة الامبريالية والعناصر اليمينية فى ابعاد البلاد عن الاسرة الاشتراكية (توطئة لضرب الاشتراكية نفسها فيما بعد) الا ان هذا الاجراء لم يحل الازمة ، ولميكنمقدرا لهان يفعل ذلكلسبب بسيط هو ان حل الازمة سيظل قضية داخلية فى المحل الاول من اختصاص شعب تشيكوسلوفاكيا ».

واذا كان عدد كبير من اصدقاء الشعب التشيكوسلوفاكى يبدون قلقهم من استمرار تحرج الموقف هناك ، فان المتبعين للاحداث يرون أن المشكلة الحقيقية لا تكمن فى عجز قادة الحزب الشيوعى عن تقديمالحلول ووضع البرامج الكفيلة بتخطى الازمة • فالواقع أن الجميع ــ تقريبا ــ يتفقون داخل قيادةالحزب على برنامج الاصلاحات الذى قدمته قيادة الحزب فى ١٩٦٨ • هذا البرنامج الذى تبناه دوبتشك والذى يطالب جوستاف هوزاك بتطبيقه ايضا •

ولكن ــ وهنا يطرح السؤال ــ ما الذى يعطل تنفيذ برامج الاصلاح فى المجالات الاقتصادية والسياسية •

الواقع أنه لايصعب على أى مراقب أن يتبين أن الحلقة الرئيسية فى الوضع كله هو الحالة التى يجد فيها الحزب الشيوعى نفسه • فالحزب يعانى من التناقضات داخل صفوفه وبين قياداته ، ويجد الحزب نفسه فى نهاية الامر غير قادر على توحيد صفوفه ، وبالتالى غير قادر على توحيد صفوف الامة •



ولعل هذا أن يكون مفتاح التغيير الذى حدث فى القيادة ، كما انه يفسر خط التشدد والحزم الذى يتبناه هوزاك ، وهو الخط الذى استقبل بتفاؤل وارتياح فى اوساط البلدان الاشتراكية •

ويرى بعض المراقبين أن منهج الحسم فى علاجات المشكلات المتفاقمة ، هو المنهج الذى تثبت صحته الحياة ذاتها • وهم يدللون على ذلك بالاشارة الى الاخطار التى تتعرض لها تشيكوسلوفاكيا ، هذه الاخطار التى اعترف بها **جوزيف يولين** ، وهو امريكى متخصص فى دراسة سياسة العداء للشيوعية • فلقد قدم يولين تقريرا الى اللجنة الفرعية المختصة بالامن الداخلى فى مجلس الشيوخ الامريكى • واثنى هذا التقرير على موقف الصحفيين التشيكوسلوفاك الذين « يتهجمون على مواقف الحزب الشيوعى » • وجاء فى التقرير : ان هؤلاء الصحفيين احتلوا النقاط الحصينة الحيوية فى الراديو والتلفزيون والصحافة والمجلات الادبية وبذروا فى المجال الايديولوجى بذور الشك فى قيم الماركسية اللينينية • وجاء فى التقرر ايضا « ان هؤلاء الصحفيين ذوى الاتجاهات المعادية للاشتراكية لم يقصروا نشاطهم على الحبر والورق بل عمدوا الى الاعمال السياسية المباشرة »،

واخيرا فان هؤلاء المراقبين يرون ان امام القيادة الجديدة مهام جسيمة حقا ، ولكن لايزال هناك من الظواهر الايجابية ما يدعو الى الاعتقاد بأنالقيادةالجديدة بعملها على دعم وحدة الحزب وتأكيد قيادته ، تستطيع أن تقود هذا البلد الاشتراكى الذى حقق انجازات رائعة فى الميادين الاقتصادية والثقافية الى شاطىء الامان •

لينـــين : ٩٩ عـــامـــا

لقد تصدى لينين فى مجال الفكر لاعقد المشاكل التى اعترضت عصره ، وهذه المشاكل لم تكن فقط تلك التى ترتبط مباشرة بالممارسة اليومية للنضال الثورى .

وقد يبدو غريبا لاول وهلة أن يملك لينين الوقت ، والتفرغ ، والجهد كى يتناول على سبيل المثال ، بأبحاث متمعنة ومتأنية ، قضايا كانت تتصل **بأزمة علم الفيزياء** فى بداية القرن ، كما تعرض لها ـ بالتفصيل ـ فى مؤلفه الشهير « المادية والنقد التجريبى » او انه ينصرف بتفكيره الى دراسات مستفيضة فى تاريخ الفلسفة ، ابتداء من اعمال **ديموقريطس** و**هراقليطس** من فلاسفة اليونان الى امام الفكر الفلسفى الاوربى فى بداية القرن التاسع عشر **هيجل** . وان يتناول فى « **ملاحظاته الفلسفية** » التى دون معظمها فى وقت كانت نيران الحرب العالمية الاولى مستعرة ، التعرض بنظرة نقدية نفاذة الى ابحاث هيجل فى علم المنطق وتاريخ الفلسفة وفلسفة التاريخ . وربما كان مقال لينين عن « **مسألة الجدلية** » (١٩١٥) اعمق ما كتب فى استخلاص القوانين العامة التى تحكم المنهج الجدلى « والانتقال من معرفة الحقيقة الموضوعية عن طريق الحواس الى الفكر المجرد ، ومنه الى التطبيق » .



غير أن لينين قد اكتسب مكانة بين أكبر مثقفى كل عصر ، لانه لم يكن فى أى يوم من الايام يرمى الى ان يصبح مثقفا لمجرد ان يعيش حياة الثقافة او يستمتع بما تنطوى عليه من اثراء للذات وآفاق للارتياد .

كان لينين ينصرف الى قضايا تتصل بالفكر والعلم والثقافة لخدمة اغراض التطبيق ، وكان ذلك مصدر اثرائه المذهل فى هذه المجالات . لقد انشغل **لينين** بقضايا الفلسفة فى السنوات التى شهدت ردة الحركة الثورية فى روسيا فى اعقاب فشل ثورة ١٩٠٥ ، لان افكارا فلسفية بعينها هى التى كانت تعكس وتبرر انصراف بعض قطاعات الحركة الثورية عن مواصلة النضال الثورى ، وكانت تنهض سندا فكريا **للاتجاهات التصفوية** التى أخذت تجتاح الحركة الثورية فى السنوات التى امتدت من ١٩٠٧ الى ١٩١٠ ، وعرفت فى تاريخ روسيا « **بالردة الستوليبينية** » . وكانت مقاومة هذه الاتجاهات على **أرضيتها الفلسفية** ، وبالرد على **الحجج الفكرية** التى كانت تثيرها ، ضرورة بتعريتها ، وتفنيد منطقها واقتلاع جذورها . ومن هنا كان سر اهتمام لينين بالتعرض للامثلة الملموسة التى كانت تتذرع بها ، وكان يلجأ اليها انصار تصفية الماركسية ، وكل الترسانة الفكرية للنضال الثورى ، ومنها حجج مستمدة من التعثرات التى واجهت وقتذاك علم الفيزياء .

والملفت للانظار فى هذا الشأن أن لينين ببحثه أعماق أزمة الفيزياء ، وتعرضه للقضايا المنهجية التى تفجرت بمناسبة هذه الازمة ، تخطى مجرد المنهج الكفيل بمواجهة الازمة الى تنبؤات بمستقبل دور العلوم والتكنولوجيا فى التحولات الاجتماعية والثورية المعاصرة ، وبدراسة لينين للتناقضات التى اعترضت مجالا علميا متخصصا ، طرح قضايا **منهجيه** وجدت حلها **الفنى** فى اعمال **اينشتاين** فى نظرية النسبية وأعمال **نيلز بوروبلانك** وغيرهما فى نظرية « الكمات » ، وهى الخلفية النظرية لكل انجازات الطبيعة النووية الحديثة ـ والواقع انه ليس فى هذا غرابة ـ فان قضايا العصر الكبرى تجد تجاوباتها فيما بينها ، والتعثرات الاجتماعية لعصر الامبريالية وجدت انعكاساتها فى مجالات متعددة . ولان لينين كان يعيش هذه المشاكل بكل أعماقها فى جوانبها الاجتماعية الثورية ، كان يمتلك الادوات الفكرية التى تتيح علاجها فى جبهات أخرى ، منها جبهات تبدو فنية محضة ومتخصصة محضة ، مثل جبهة الفلسفة أو جبهات العلوم الطبيعية . فان محتويات أبحاثه فى « **الملاحظات الفلسفية** » (١٩١٦) كانت فى واقع الامر الخلفية الفلسفية للقضايا النظرية والسياسية المثارة فى مؤلفات لينين فى هذه المرحلة « **الاستعمار أعلى مراحل**

الرأسمالية » ، « الاشتراكية والحرب » « الثورةالاشتراكية وحق الامم فى تقرير المصير » .

ان لينين الذى حلق بأفكاره فى هذه الافاق البعيدة والرائدة ، كان فى الوقت نفسه يخصص جهده الرئيسى للترجمة العمليةلافكار الثورة خدمةلاغراض التطبيق ــ وكما كان للتطبيق الفضل الاعظم فى استطلاع آفاق تختص بحلول لاعقدالقضايا المجردة ، كان هذا التوسع فى التجريد اساس تكشف الارضية النظرية التى تحكم مشاكل التطبيق . وكان لتعمق لينين فى القسمات المميزة لعصر الامبريالية ، ودراسته المتمعنة لواقع روسيا ولا مجرد الافكار النظرية المجردة لخط الثورة ، مذه الدراسة التى كانت باكورة أعماله الكبرى «تطور الرأسمالية فى روسيا» ، كانت هذه الاعمال أساس تصوره للحزب الثورى فى مطلع هذا القرن ـ وبلور هذا التصور فى كتاباته الشهيرة « ما العمل ؟ » و « خطوة الى الامام ،خطوتان الى الوراء » ــ ولولا هذه الصياغة الجديدة للحزب الثورى ، لكان من المستحيل توفير الاداة الكفيلة بانجاز الثورة الاشتراكية

ان لينين سيظل على الدوام النموذج الحى لمايعنى التلاحم المطلق بين النظرية والتطبيق .. بين أوسع ارتياد للفكر وأعمق استيعاب للواقع .

« الطليعة »

■ فرنسا

اســـتقالة ديجـول تقلب صفحة من « تاريخ فرنسا »

نفذ الرئيس شارل ديجول تهديده بالاستقالة من رياسة الجمهورية الفرنسية بعد ان اقترعت اغلبية الناخبين الفرنسيين ضد مشروعات التعديلات الدستورية فى الاستفتاء الذى جرى فى ٢٧ ابريل ، والذى اعتبره ديجول اقتراعا على الثقة به (نحو ٥٣٪ مقابل ٤٧ ٪ صوتت ضد المشروع) .

وطبقا لنص الدستور اصبح الين بوهير رئيس مجلس الشيوخ رئيسا مؤقتا للجمهورية ، على ان تجرى الانتخابات الجديدة للرياسة خلال فترة لا تتجاوز ٣٥ يوما ، وهى الانتخابات التى يتوقع المراقبون ان يفوز فيها جورج بومبيدو .

وبمجرد اعلان نتائج الاستفتاء صرح كوف دى مورفيل « ان صفحة من تاريخ فرنسا تقلب الان، وهذا حدث ستظهر خطورته بالنسبة لفرنسا كلها وفى العالم فى وقت قريب » وتوقع حدوث اضطرابات . وهو ما حدث فعلا بمجرد اعلان نتيجة الاقتراع ، فقد انطلقت المظاهرات رافعة شعار « مع السلامة يا ديجول » ووقع صدام مع رجال الأمن ادى الى اصابة عدد كبير من المتظاهرين والقاء القبض على بعضهم .

وقد رحبت المعارضة بهزيمة ديجول ، باعتبارها دليلا على الرغبة فى التغيير والتمسك بالديمقراطية ، ودعا الاتحاد العام للنقابات احزاب اليسار الى توحيد صفوفها وجهودها فى مواجهة الموقف .

وكان مجلس الدولة الفرنسى قد أفتى ان الرأى القاطع الذى توصل اليه هو ان الاستفتاء الذى يجريه الجنرال ديجول على نظام مجلس الشيوخ فىفرنسا،اجراء غيرشرعى لايتفق مع الدستور الذى أقره استفتاء عام ١٩٥٨ فى ظل ديجول نفسه . ولكن موقف مجلس الدولة لم يكن ليثنى ديجول عن المضى فى مشاريعه : فان فلسفة الجنرال فى الحكم والتى أعلنها صراحة تقوم على اعتباره « أن سلطة الدولة التى لاتتجزأ ، قد فوضها الشعب كلية الى رئيس الجمهورية بعد انتخابه ، ولا توجد سلطة أخرى ، لاوزارية ولا مدنية ولا عسكرية ولا قضائية يجوز قيامها أو بقاؤها الا صادرة منه . » كما لخص ديجول نفسه هذه الفلسفة فى مؤتمره الصحفى فى ٣١ يناير سنة ١٩٦٤ .

وتركز الاستفتاء الاخير الذى يجرى بعد عام من مظاهرات مايو الشهيرة حول نقطتين فى السياسة الداخلية :

الاولى : ضم ممثلى النقابات والمنظمات المهنية والاجتماعية الى مجلس الشيوخ الفرنسى مع تحويل المجلس كله الى هيئة استشارية تكون أول من تعرض عليها القوانين فتناقشها ولكن لايكون لها حق التصويت عليها .

الثانية : توسيع دور السلطات المحلية فى المقاطعات الفرنسية بنقل سلطة الدولة فى انشاء ورعاية المؤسسات العامة كالمدارس والمستشفيات والطرق الى الهيئات المحلية بحيث لا يبقى على عاتق الدولة الا تلك المؤسسات التى لامجال لانكار طابعها القومى العام كالطرق الدولية مثلا ، وتوسيع صلاحيات المحافظين، وفى ايجاز فان الاستفتاء يهدف الى



ديجول

تنفيذ سياسة « المشاركة » التى أعلن عنها ديجول بعد مظاهرات مايو فى ظل استمرار الديجولية كحكم فردى ٠

وقد ركزت المعارضة لمشروع ديجول على كون هذا التغيير الدستورى انما يمثل تركيزا خطرا للسلطات ، فلم يعد توازن السلطات فى الدستور الجديد قائما على التوازن بين مجلس البرلمان بل ميزان القوى الموجود بين رئيس الجمهورية وبين الجمعية الوطنية وكلاهما منتخب عن طريق الاقتراع المباشر العام ، كما ان اشراك النقابات والمنظمات فى مجلس الشيوخ نوع من التمثيل الفئوى الذى لم تعرفه التقاليد الفرنسية. وحرى بهذا التمثيل أن يثير أوسع القلق فى صفوف المدافعين عن تقاليد الديموقراطية الفرنسية ؛ أما الاجراءات الخاصة بالحكم المحلى فلن تصبح لها قيمة مالم يكن للهيئات الاقليمية حق اتخاذ المبادرات الاقتصادية المستقلة ، والقدرة على تأمين الموارد المالية الذاتية ، وأن تكون السلطات التنفيذية فى المقاطعات سلطات منتخبة وليست معينة من قبل الدولة ٠

■ ■ ■

■ الولايات المتحدة الامريكية

صواريخ لامعة .. ومدن متآكلة

صرح السناتور **ج . مانسفيلد زعيم** الاغلبية الديمقراطية بالكونجرس الامريكى ، تعليقا على قرار الرئيس نيكسون بالمضى فى تنفيذ المشروع المعدل « لشبكة الصواريخ المضادة للصواريخ » بقوله « **فى النهاية سنجد اننا بنينا صواريخ هائلة لامعة حول مدن متآكلة تتحول ببطء الى خرائب دون تجديد ، او وسط حقول خاوية وفقيرة** » ٠

الا ان المعارضة المتعاظمة داخل الولايات المتحدة للمشروع المذكور لاتقتصر على زعيم الاغلبية الديمقراطية او على فريق من حزبه فقط ، بل لقد حظى هذا المشروع الذى يستحوذ باكبر اهتمام من الرأى العام الامريكى بعد حرب فيتنام مباشرة بمعارضة اجماعية ممن يسمون بالشيوخ المستنيرين فى الكونجرس ، واثار الانشقاق التقليدى فى الدوائر الحاكمة بين المجموعة التى تمثل التحالف الصناعى العسكرى من جنرالات البنتاجون ، واصحاب الصناعات الحربية من جانب (والمسيطرة فى كلا الحزبين) وبين اصحاب المصالح المالية والصناعية « غير المرتبطة » ارتباطا مباشرا بالصناعات العسكرية ، والتى كانت قد وضعت آمالها فى الانتعاش على مشروع « المجتمع العظيم » الذى تبدد فى « نيران حرب فيتنام ، ثم اتى المشروع الجديد ليذروه مع الرياح ٠ وتكونت اكثر من لجنة مشتركة وعقد اكثر من اجتماع ، من جمهوريين وديمقراطيين وشخصيات بارزة فى معظم الولايات الامريكية لمعارضة المشروع ٠

ومعروف ان مشروع الشبكة الصاروخية قد ولد فى عهد جونسون ، وهو عبارة عن اقامة شبكة من قواعد الرادار والصواريخ فى نحو ١٥ او ٢٠ مدينة فى انحاء الولايات المتحدة تعتمد على نوعين من الصواريخ ، احدهما طويل المدى «سبارتان» والاخر متوسط المدى « سبرنيت » ، ويقصد بهما الانطلاق لتدمير الصواريخ المهاجمة ، وهى فى الجو . لكن المشروع تعثر منذ الاعلان عنه باعتباره **ابهظ شبكة دفاعية فى التاريخ ، واقلها فائدة ، واكثرها خطرا على اصحابه انفسهم** ، الى جانب مايمثله من اندفاع فى جولة جديدة باهظة التكاليف فى سباق التسلح ٠

لقد وصلت تقديرات التكاليف المبدئية للمشروع الى عشرة الاف مليون دولار ، ويقدر العلماء الذين بحثوا المشروع ان تكاليفه سوف تصل الى ١٠٠ الف مليون دولار ٠

ومن الناحية التكنولوجية لقى المشروع معارضة « شبه اجماعية » من العلماء الامريكيين ، ونشر ٣٢٠٠ عالم امريكى خطابا مفتوحا الى نيكسون يعلنون فيه معارضتهم للمشروع باعتباره مشروعا خطيرا يهدد المدن التى سينشأ بجوارها ولايحميها ، ويمثل تبذيرا لامعنى له فى وقت تعانى فيه الولايات المتحدة من مصاعب اقتصادية غير خافية ، وتتبدد

فيه الامال فى معالجة المشاكل الاجتماعية الخطيرة التى تتفشى فى المجتمع الامريكى. بل عندما طلبت لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس من وزارة الدفاع الامريكية التى ادعت انها وضعت مشروعها الجديد «لشبكة الصواريخ الرقيقة» بعد استشارة العلماء المختصين، عندما طلبت لجنة الشئون الخارجية من وزارة الدفاع ان تقدم لها اسماء هؤلاء العلماء الذين عضـدوا المشروع لم يجـد دافيد باكارد وزير الدفاع سوى اسم واحد يقدمه هو البروفيسور ولفجانج بانوفسكى الذى جاء ليعلن امام اللجنة «اننى لم اشترك فى تقديم اى مشورة للوزارة بهذا الصدد» ثم أعلن عـدم موافقته على المشروع.

ومن الناحية العسكرية فان عددا كبيرا من القادة الامريكيين يعبرون عن تشككهم فى جدوى هذا المشروع ويقولون انه بعـد تطوير الصـواريخ السوفيتية «فوبس» والصواريخ المدارية والمتعددة الرؤوس «ميرف» سوف تصبح هذه الشبكة لعبة اطفـال.

هذا الى جانب مايمثله وضع هذه الكمية الهائلة من المتفجرات النووية بجوار المدن الامريكية الاهلة بالسكان من اخطار رهيبة تجثم بالرعب على قلوب قاطنيها، وهو مادفع بعمد المدن الامريكية الكبرى الى عقد اجتماع أعلنوا فيه معارضتهم للمشروع.

ولم يعد خافيا على المراقبين ان الاسباب التى دعت للسير فى هذا المشروع لاعلاقة لها لابالامن القومى الامريكى ولا بالاهمية العسكريـة او

تعليـق

جورج حنا : صفحة مضيئة فى الفـكر العربى

هناك نفر من المفكرين الذين يمكن ان ندعوهم بالمفكرين الشهداء، وهم أولئك الذين ينفقون اعمارهم فى التنـوير والتبشير، ولايتركون فى الاغلب الاعم تراثا باقيا من الادب المكتوب، وانما يتركون ماهو أهم، أجيالا تلو اجيال تحمل شعلة القيم التى أضاءوا لنا بها الطريق.

ومن أمثلة هؤلاء المفكرين الشهداء فى ادبنا العربى، سلامه موسى وعمـر فاخورى وجورج حنا، الرائد التقدمى الكبير الذى فقدناه مؤخرا. وقد بدأ جورج حنا حياته وانتهى بها طبيبا جنبا الى جنب حرفة القلم التى كرسها طيلة العمر من أجل الحرية والتقدم والسلام، للبنان والوطن العربى، والعالم اجمع.

وعلى النقيض من غالبية الادباء والكتاب الذين يتركون تراثهم مـن الكلمـة المكتوبة، يبدأ المفكرون الشـهداء كجورج حنا حياتهم الفكرية مـن أرض الواقع الخام، لامن الكتب. هكذا كانت المعركة الوطنية فى لبنان والحصول على الاستقلال عام ١٩٤٣ هى المهاد الطبيعى لمجموعة القيم التى اعتنقهـا جورج حنا فى غمرة النضال، واسهم فى ترسيخها وتدعيمها على مدى الايام. وعندما كان طبيبا فى الجيش وراى بعينيه وسمع باذنيه كيـف يكون عـذاب الانسان، آلت هذه المجموعة من القيم الى التبلور والازدهار.

فى المقدمة من هذه القيم، تاتى قضية الحرية التى أشعل نيرانيها فى الوجدان اللبنانى تلك القبضة الحديدية المزدوجـة من السلطنـة العثمانيـة والاستعمار الفرنسى. هكذا برزت فكرة الحرية كمحور نضالى فى حياة جورج حنا، بمعنى تحرير الارض من سيطرة الغازى والاجنبى، ثم تطورت هذه الفكرة مع الزمن، بعد الاستقلال، حيث قدمت له التجربة الواقعية معنى جديدا للحرية، فور زوال الهيمنة التركية واندحار الاحتلال الفرنسى. اذ ظهرت فى الافق بعض الفئات الوطنية التى استفادت فيما مضى من الاوضاع القديمة، وقدفهمت من الاستقلال معناه الذى يخدم مصالحها الاقتصادية ويعبر عـن اتجاهاتها السيـاسية، ويسـحق — فى نفس الوقت — مصلحة الغالبية المطحونة من الشعب اللبنانى. حينئذ ربط جورج حنا بين الحرية كتحرير للارض والحرية كتحرير لـلانسان، واصـبح «التقدم» الاجتماعى هو المحور النضالى الثانى فى حياته الفكرية. فاذا كان الاستقلال هو التعبير السياسى عن الحرية، فان التقدم هو التعبير الاجتماعى منها. غير ان اوضاعا كثيرة معقـدة ومتشابكة تخص المجتمع اللبنانى فى طبيعته وتطوره، قد حالت دون ان ياخذ لبنان طريقه الى التقـدم الاجتماعى بالمعنى الذى أراده جورج حنا. وكانت الطائفية فى الداخل والعلاقات الدولية فى الخارج ضمـن عوامل عديدة قادت جورج حنـا الى المحور النضالى الثالث فى حياته الفكرية وهو «السلام».

ولان جورج حنا بدأ هذه الحياة من أرض الواقع والتجربة لا من بين دفتى الكتب، فان الحرية والتقـدم والسـلام — هذه المحاور النضالية الثلاثة — قد عبرت من نفسها أصدق تعبير فى التنظيمـات الجماهيرية للشعب اللبنـانى، كمجلس السلام واتحاد الكتاب ومجلة الثقافة الوطنيـة وغيـرها مـن المنـابر الديمقراطية.

ولان جورج حنا بدا هذه الحياة من الواقـع الحى المبـاشر جـاءت لغتـه وموضوعاته هى لغـة هـذا الواقع وموضوعاته : اللغة العلمية الدقيقـة البعيدة عن زخارف المعاجم، والقريبة من الادراك المتوسط، والموضوعات التى تشغل بال الرجل العادى وترتفـع به الى مستوى جديد من الوعى بمشكلاته اليومية وتصل بينها وبين مشكلات المجتمع والانسانية كلها برباط سحرى لايرى

وتكتسب حياة جورج حنا المناضلة معنى الاستشهاد، حين يتجاوز العصر منهجه فى التفكير وادواته فى التعبير ولايبقـى منـه لـلاجيال القـادمة سوى «النموذج» البشرى، ومجموعة القيم التى ارساها فى ظل أبشـع الظروف، وأصبحت اليـوم كالمـاء والهواء. حتى لاتكاد الاجيال الجديدة تذكر شيئا عن الصعاب الكبيرة والمعاناة الهائلة التى عاناها أمثال جورج حنا لدرجة الاستشهاد.

غالى شكرى

السياسية للمشروع ،بل هي على حد تعبير سناتور فولبرايت « مساومة مع اولئك الذين يهمهم المحافظة على سباق التسلح قائما » والمحافظة على مستوى تعاقدات مؤسسات الصناعات الحربية باقامة مشاريع « لا تبتلع كل ما يمكن ان يتوفر من انهاء حرب فيتنام فقط ، بل ويزيد من مستوى هذه التعاقدات » .

ان تعاظم ونفوذ وسيطرة « التحالف الصناعى العسكرى » قد اصبح مثار كل تعليق حول قرار

تعليق

فلنحيي ذكرى الاب عيروط باصدار كتاب [الفلاحة]

كأن لنبأ وفاة الاب هنرى عيروط وقع اليم فى نفوس كل من تعرف عليه شخصيا أو من خلال كتاباته ونشاطه .

رغم الاتجاه الاصلاحى المثالى الذى سيطر على تفكير الاب هنرى عيروط ومنهجه فى العمل ، بحكم تكوينه الفلسفى والفكرى الا أن احتكاكه بواقع الحياة ، وتجاوبه العميق مع آلام الفقراء والمضطهدين ، فرض عليه فى كثير من الاحيان اتخاذ مواقف تتسم بالثورية . فهو عندما نبذ حياة الترف والرفاهية فى كنف عائلته الثرية ، عندما بلغ التاسعة عشرة من عمره ، كان يمثل ثورة على اسرته وتقاليد العائلة وتراث طبقته . وبعد ان رسم كاهنا ، رفض الانعزال والانغلاق فى ابراج التأمل العاجية ، ونزل الى ساحة العمل ، مناضلا فى سبيل حياة أفضل « للانسان على الارض» . وكان يردد دائما ان الله تجسد فى الانسان ، فالفكر يجب أن يتجسد فى الممارسة العملية من خلال الانسان ولمصلحته فى الدنيا والاخرة . وان الفكر وحده عقيم .

وقد ثار على منطق التسامى على « الصراعات المادية » واتخذ موقفا « متحيزا » الى جانب الشعب ، فكرس حياته للدفاع عن الفلاحين كطبقة . وهو لم يكتف فى كفاحه هذا بترديد شعارات المحبة والوفاق بين الاغنياء والفقراء ،

بل استخدم الارقام والاحصاءات يفضح بها ابشع اساليب الاستغلال الرأسمالى واتجه الى التحليل الموضوعى فى دراسات جادة مستفيضة عن الواقع المصرى الاجتماعى والاقتصادى ، ومن أهمها كتابه

« الفلاحون » الذى ترجم الى العديد من اللغات الاجنبية ، فى البلدان الراسمالية والاشتراكية على حد سواء. واصدر طبعته الاولى عام ١٩٣٨ .

وعلى مدى نحو ربع قرن من صداقتنا كنا نختلف دائما ، الا ان صداقته للتقدميين ظلت تزداد رسوخا على صخرة الايمان بالانسان . كان يلقبنى «بالصديق اللدود» فاذا الححت اليه بان هذا التعبير فى حد ذاته يعنى ايمانه بقاعدة «وحدة الاضداد» من قوانين المادة الجدلية ، اجابنى بانه يتقبل الجانب الهيجلى الجدلى منها ، ويرفض مادية فوير باخ .. ثم يشير الى جانب التقاء النقيضين استشهاد القديسين الاوائل من جانب .. والمقاتلين باختلاف مذاهبهم فى الجزائر وفيتنام وامريكا اللاتينية .. تجمعهم رغم تناقض العقائد ومنهج العمل ، وحدة المحبة والفداء من اجل تحرير الانسان .

وهنا يبرز جانب المعاناة فى شخصية الاب عيروط بين فكر اصلاحى ليبرالى الطابع ، وواقع يفرض حتمية العمل الثورى . ويمكن أن نتابع هذه المعاناة من خلال كتاباته .

فقد جاء فى مذكراته الخاصة — عام ١٩٤٨ « ان الدولة مسئولة عن بؤس الفلاح ، لانها هى وحدها تستطيع علاج حالته ، وهى وحدها القادرة على زيادة عدد صغار الملاك — عنصر الاستقرار بتوزيع الارض ، وفى يدها الغاء الوقف بحكم القانون ... الخ » ثم يعود ويتساءل « لكن الحكومة والبرلمان يتشكلان من كبار الملاك ، فكيف تتوقع اقدامهم على اتخاذ اجراءات من هذا القبيل — بصفتهم رجال دولة — بينما هى تتعارض مع مصالحهم الخاصة . ومن ثم يجب تغييرهم ، فهم المذنبون المسئولون عن بؤس الفلاح » لكنه عندما ينشد حل هذا التناقض يقول « والامر يتعلق أولا بخلق روح اجتماعية داخل الرأى العام »

وظاهرة تنوع وتباين المجموعات التى اعتصرها الاسى بفقد الاب عيروط تكشف عن اصالة وعمق ايمانه بالانسان.. فمنهم فلاحون من جاراجوس واخميم والحوالجة وعشرات من القرى فى اعماق الريف ، حيث اشرف على ١٢٢ مدرسة ومركزا للنشاط الاجتماعى ومحو الامية والتدريب المهنى وبينهم العلماء والفلاسفة ورجال الدين من كل المذاهب ، والمشتغلون بالسياسة من كافة الاتجاهات التقدمية . المسلمون والمسيحيون واليهود .

والابعاد الانسانية فى شخصية الاب عيروط ، والتى تجاوزت التحيز الاقليمى والعنصرى ، الدينى ، والفكرى ، لم تؤثر بحال على « مصريته » الصميمة وارتباطه بأرض الوطن . فقد ظل طوال حياته داعية لمصر وحضارتها . وعندما استقر رايه على القيام بجولته الاخيرة فى بلدان حوض النيل ، حدد الهدف من رحلته بقوله «لقد ازف الوقت لاعطاء مصر ابعادا جديدة ». كانت مصر قاعدة نشاطه ، والفلاح محور تفكيره ونضاله ، والانسان رسالة حياته ، والقيم الاخلاقية شاغل نشاطه الروحى .

وقد الف الاب عيروط كتابا بعنوان « الفلاحة » ، سلم اصوله لاحدى دور النشر . وفى عام ١٩٥٩ صدر قرار باغلاق هذه الدار ، واحتجز هذا المخطوط الثمين والوحيد مع المضبوطات . واذا شئنا كدين فى اعناقنا ووفاء لخدماته الجليلة أن نكرم ذكراه ، فعلينا ان نسعى جاهدين لنشر هذا البحث القيم .

وكلنا ثقة ان السيد شعراوى جمعة سيبادر الى اتخاذ الاجراءات الكفيلة بالعثور على هذا المخطوط لنشره .

ميشيل كامل

نيكسون ، ولقد كتبت جريدة الهيرالد تريبيون تقول « ان النفوذ العسكرى فى الولايات المتحدة قد **وصل الى ابعاد كبيرة بحيث انه يجرى خلق** «دولة **للامن القومى** » . ويزداد الاحساس بوطأة هذا النفوذ مما دعا مدير معهد واشنطن للدراسات السياسيه ، بروفيسور راسكين ، الى ان يعلن فى المؤتمر الذى عقده عدد من الشيوخ الجمهوريين والديمقراطيين ان الطريق الوحيد لمقاومة هذا الاتجاه هو تجميد وكالة المخابرات الامريكية ووزارة الدفاع ووكالة الامن القومى طيلة العشر سنوات القادمة .

■ ■ ■

■ حلف الاطلنطي

٢٠ عاما = ٠٠٠ر٣٠٠ر١ مليون دولار للتسليح

استقبلت الدوائر الشعبية العربية ، نبأ قيام **حلف الاطلنطى** بمناورات عسكرية فى « القسم الشرقى من البحر المتوسط » ، بالاستياء الشديد . فقد جرت هذه المناورات — فى اوائل الشهر الماضى ولمدة ١١ يوما — حيث « الوضع المتأزم الى اقصى حد بين الدول العربية واسرائيل »

وقد قامت بهذه المناورات ماسميت « بالقوات البحرية الحربية الموحدة لحلف الاطلنطى فى البحر المتوسط » ، التى تشكلت فى اعقاب العدوان الاسرائيلى على الدول العربية ، حين أصدر المجلس الوزارى لحلف الاطلنطى فى نوفمبر ١٩٦٧ ، قرارا بانشاء « **القوة البحرية المتعددة الاطراف** » التى تتكون من وحدات بحرية تساهم فيها **الولايات المتحدة وبريطانيا وايطاليا واليونان وتركيا** .

ويقول ج . **سافين** — مراسل وكالة نوفوستى السوفيتية — ان « قيادة الطيران الاستطلاعى التابعة لحلف الاطلنطى [ميريرميد] التى تكونت حديثا ، لها علاقة وثيقة بالسلاح الجوى الاسرائيلى . فقد قدمت اسرائيل مطارين عسكريين لهبوط طائرات (ميريرميد) فيهما لكى تتزود بالوقود بعد أن تقوم برحلات التجسس فى هذه المنطقة من البحر المتوسط والتى تمتد الى الخليج العربى » . ثم يضيف « وطبقا للاتفاق بين حلف الاطلنطى وقيادة السلاح الجوى الاسرائيلى . ينقل طيارو [ميريرميد] جزءا من المعلومات التى يحصلون عليها اثناء تحليقهم ، الى مخابرات السلاح الجوى الاسرائيلى »

ولايربط المعلقون اتجاه أمريكا الى بناء ودعم هذه التشكيلات الجديدة للحلف ، بأزمة الشرق الاوسط ومساندتها الدائمة لاسرائيل فحسب . بل وبرغبة أمريكا فى التستر على الخطط الامبريالية تحت شعار « محلى » ، والقاء تبعة الاعمال العسكرية الامريكيه فى البحر المتوسط على حلفاء امريكا . ويرى المراقبون ان نجاح امريكا فى تشكيل هذه القوة الجديدة ، يحقق لها « ضرب عصفورين بحجر واحد » . فهى تدرك مدى تزايد عداء شعوب المنطقة لدور ووجود الاسطول السادس الامريكى فى البحر المتوسط والاتجاه المتزايد لدى بعض دول الحلف فى التخفف من أعباء الارتباط بالحلف ومحاولة انتهاج سياسة استقلالية فى هذا المجال .

وبمناسبة مرور ٢٠ عاما على قيام حلف الاطلنطى — منذ وقعت معاهدته فى ٤ أبريل ١٩٤٩ بواشنطن — تجرى منذ الشهر الماضى مباحثات بين الدول الاعضاء فى الحلف لتجديد المعاهدة . وتاتى احتفالات الغرب بهذه المناسبة ، فى أعقاب سلسلة من التطورات الحرجة التى تواجه اجهزة الحلف العسكريه . ومن أبرز هذه التطورات فى الفترة الاخيرة ، الذعر الذى اصاب قيادة الحلف بسبب عجزه عن انجاح مؤامرته ضد تشيكوسلوفاكيا وفشل أجهزته فى التنبؤ بتطورات أحداثها فى العام الماضى ، وعدم معرفتها مسبقا بدخول قوات حلف وارسو الاراضى التشيكية ، فضلا عن عجز اجهزة الحلف الفنية على حدود المانيا الغربية — تشيكوسلوفاكيا من متابعة نزول هذه القوات وكان آخر تلك التطورات الحرجة ، تزايد قوة الاسطول السوفيتى سواء فى البحر المتوسط او فى المحيط الاطلنطى نفسه ، وذلك على اثر العدوان الاستعمارى — الصهيونى ضد الشعوب العربية .

ويجمع المراقبون على آن حلف الاطلنطى يمر الان بفترة من أخطر فترات حياته . اذ يعانى من عدد من الازمات الداخلية بسبب موقف بعض الدول الاعضاء فيه .. هذه الدول التى ترمى الى ممارسة سياسة مستقلة الى حد ما عن السيطرة الامريكية .

ذلك أن الجنرال ديجول ، كان قد بعث فى ٢٤ سبتمبر ١٩٥٨ بمذكرة رسمية الى حكومات كل من الولايات المتحدة وبريطانيا ، طالب فيها بتعديل ميثاق حلف الاطلنطي وجهازه العسكرى بحيث تكون القيادة فيه لمجلس ثلاثى مكون من أمريكا وفرنسا وبريطانيا ،وان يمتدالتشاورين اعضاء الحلف الى مسائل السياسة الدولية العامة.ولكن أمريكا وبريطانيا اهملتا المذكرة وقتها لضعف موقف فرنسا حينئذ بسبب حرب الجزائر • وفى ٧ مارس ١٩٦٥ ، حدد الرئيس ديجول ثلاثة مطالب لفرنسا : ١ ـ تعديل اتفاقية الحلف واستبداله بمعاهدات ثنائية • ٢ ـ العمل على اقامة قوة ذرية خاصة لفرنسا • ٣ ـ رفض المشروع الامريكى الخاص باقامة قوة نووية متعددة الاطراف •

ولم يلبث ان اتخذ ديجول عدة اجراءات ،منها اعلان انسحاب فرنسا من المنظمات العسكرية للحلف ، ونقل جميع المنشآت العسكرية التابعة للحلف من باريس ، وفى ١٦ اكتوبر ١٩٦٧ تم بصفة رسمية نقل هيئات الحلف الى بروكسل •

ولم تكد تمر فترة طويلة على موقف فرنسا هذا ، حتى أعلنت كندا بدورها عن عزمها على سحب جزء من قواتها فى غرب أوربا • ويضيف المراقبون

تعليق

متى نرفع الكاميرا فى وجه العدو ؟

رغم مرور عامين تقريبا على حرب يونية ١٩٦٧ بكل نتائجها المظلمة والمضنية لم ينتج فيلم مصرى واحد يتصل بهذه الحرب من قريب او من بعيد • وذلك رغم تدفق الافلام الاسرائيلية التى تتناول هذه الحرب على شاشات العالم كله ، وفى المهرجانات السينمائية الدولية تزيف الحقائق وتبرر العدوان وتحقق اهدافها دون أن تجد فيلما عربيا يواجه مزاعمها •

ونحن اذ نترك لاسرائيل هذا الميدان تنتصر فيه بغير معركة نترك لها الوسيلة الاولى للاتصال بالجماهيروالتاثيرعليها فى عالمنا المعاصر ، وأيا كانت الاسباب التى تؤدى الى هذا الموقف فيجب القضاء عليها •

اقول هذا وخطة مؤسسة السينما ـ اذا جاز لنا ان نسمى ما تفعله المؤسسة خطة وليس برنامجا ـ على وشك ان تتقرر وتحدد مسار السينما ـ او المفروض انها تفعل ذلك ـ خلال الموسم القادم •

وقد اتيح لى أن اشاهد فى عرض خاص اول فيلم تنتجه فيتنام الشمالية ، وهو فيلم « فان تروى » الذى يجدر بالمؤسسة ان تعرضه وتكرر النجاح الجماهيرى العظيم للفيلم الجزائرى الايطالى « معركة الجزائر » لجيلوبونتيكورفو .

وفى « فان تروى » تقدم لنا « هانوى فيلم » نموذجا للفيلم الثورى صنعته ايدى الفنانين الفيتناميين فى غمار المعركة ، انهم لم ينتظروا حتى « تنصهر التجربة » لينتجوا الفن ، كما يقول بعض فنانينا البورجوازيين الذين فما زالوا يعيشون فى اوهام القرن التاسع عشر ، وقدموا الدليل على ان المستوى الفنى الرفيع لا يتعارض مع الثورية الصادقة ، ومن خلال الحرب الثورية فى فيتنام تنشأ اليوم سينما ستحقق الكثير ، وما « فان تروى » الذى انتج عام ١٩٦٦ الا بداية لها •

ويصور الفيلم كفاح ١٤ مليون فيتنامى فى جنوب فيتنام ضد الاحتلال الامريكى لبلادهم ، وذلك من خلال « فان تروى » العامل الشاب الذى حاول اغتيال ماكنمارا واعدم فى نفس العام الذى انتج فيه الفيلم •

ويمزج البناء الدرامى للفيلم بين بطولة فان تروى وبطولة الشعب كله بحذق وبراعة ، ففى البداية وقبل العناوين نرى لقطات سريعة لحياة العامل المناضل وهو يمارس عدة اعمال ، وفى اللقطة الاخيرة نراه وهو يشترك فى مقاومة الاحتلال مع الجماهير ، وبعد هذه المقدمة تتتابع مشاهد الفيلم بنفس الاسلوب الموجز الموحى لنراه فى قريته ومع زوجته ، ثم لنراه وهو يصمد مع الثوار داخل المعتقلات الفاشية الجديدة ويموت وهو يهتف بحياة بلاده وبحياة زعيمها العظيم هوشى منه •

وينجح المخرج ترانكيم فى التعبير عن موضوعه بأسلوب سينمائى ناضج ، فنراه يخلق الواقعية بالتصوير الخارجى واستخدام الممثلين غير المحترفين ، ونراه يوظف زاوية التصوير وحركة الكاميرا واحجام المناظر والموسيقى التوظيف الدرامى الصحيح ، ويبدع ايقاعا مأسويا بتقطيع المشاهد الى لقطات طويلة وبحركة الكاميرا الاستعراضية البطيئة ، ولعل مشهد القبض على فان تروى ومشهد النهاية يوضحان لنا اسلوب الفنان الفيتنامى •

فى المشهد الاول نرى زوجة فان تروى وهى تنتظره فى لقطة طويلة تتابعها فيها الكاميرا ، وهى تروح وتجىء ، تقوم وتجلس ، تتصفح احدى المجلات او تنظر الى الشارع ، وفجاة يقطع المخرج مع حركة انقضاض الى منظر قريب لتروى وهو بين الجنود مقبوضا عليه ، وعندما يبدأون فى تعذيبه ليعترف على رفاقه نراهم من وجهة نظره فى مناظر كبيرة مصورة بزاوية عريضة ومن خلال حركة حرة عنيفة للكاميرا ، وفى النهاية يمضون به الى المعتقل وترتفع الكاميرا لنرى كوان زوجة تروى ملقاة على ارض المنظر مهانة ووحيدة •

وفى مشهد النهاية نرى كوان وهى تدخل السجن الذى سيعدم فيه زوجها بين صفين من الجنود المسلحين ، ويخدعها ضابط المراقبة فتعود ادراجها وتدخل سيارة حربية ضخمة تلتفت كوان اليها فترى فى داخلها نعشا ووراء السيارة مجموعة من الصحفيين ، ويغلق الباب الحديدى الكبير ، وفى مونتاج متواز ننتقل بين اعدام فان تروى وبين زوجته وهى تسرع نحو الباب فى لهفة تتابعها الكاميرا فى منظر كبير ، ثم وهى تدق على الباب من زوايا متعددة من اسفل ومن اعلى ومن اليسار ومن اليمين ، ومع اطلاق الرصاص لا نرى فان تروى وهو يسقط ، والما لقطات وثائقية لحرب التحرير مع كورال يعلى من شان البطل ويربطه ببطولة الشعب ، وفى اللقطة الاخيرة نرى كوان بين صفوف المقاتلين وقد خلعت رداء المنزل وامسكت بالبندقية •

وما نراه فى هذا الفيلم من صمود وعذاب وأمل لا يموت ، كل هذا يحدث على الارض العربية المحتلة ولا يجد من يشعر به من السينمائيين •

سمير فريد

الى هذه المشاكل داخل الحلف ، توتر العلاقات بين أمريكا وأسبانيا بسبب طلب الاخيرة ازالة القواعد العسكرية الامريكية من الاراضى الاسبانية مالم توف امريكا بطلبات اسبانيا المالية والاقتصادية .

وتقول وكالات الانباء ، ان دول الحلف انفقت منذ قيامه مايريد على ١٫٢٠٠٫٠٠٠ مليون دولار على التسلح ، وبلغ حجم القوات العسكرية التابعة للحلف فى اوربا ٢٫٧٥٠٫٠٠٠ جندى . وتنتشر القواعد العسكرية الامريكية التابعة للحلف على امتداد اراضى الدول الاوربية الاعضاء . فهناك ٢٢ قاعدة جوية امريكيه فى اوربا و١٧ قاعده برية و٦ قواعد بحرية . كما ان لامريكا ٧ آلاف رأس نووى فى ألمانيا الغربية التى يرابط فى أراضيها ٢٢٥ الف جندى امريكى .

ويعتقد المراقبون انه برغم كل عمليات « الحقن » التى تقوم بها امريكا للحلف — ماديا وعسكريا — الا ان تناقضاته الداخلية الملتهبة ، تلقى الضوء على المسار الطبيعى للحلف .. وهو التفكك .

وجدير بالذكر أن دول حلف وارسو التى اجتمعت فى الاونة الاخيرة ، كانت قد وجهت نداء بمناسبة مرور ٢٠ عاما على حلف الاطلنطى ، الى دول وشعوب اوربا ، تدعو فيه الى عقد مؤتمر مشترك للامن الاوربى ولدعم السلام العالمى كخطوة نحو حل جميع الاحلاف العسكرية . وكان الاتحاد السوفيتى قد تقدم فى ٣١ مارس ١٩٥٤ ، فى محاولة بارعة لكشف حقيقة الحلف ، يطلب الانضمام لعضويه حلف الاطلنطى استنادا الى كونه دولة أوربية . وقد أحدث ذلك ارتباكا شديدا فى دوائر الحلف التى سارعت بمهاجمة الاتحاد السوفيتى ورفض طلبه .

■ ■ ■

■ **علوم**

قلوب من الداكرون تحركها الطاقة الذرية

تستحوذ عمليات نقل القلب ، اليوم ، على تفكير وخيال ومشاعر الناس فى كافة انحاء الارض ، وتثير جدلا صاخبا بين رجال العلم والقانون والدين فى جميع دول العالم . ولقد أثارت عملية نقل القلب الصناعى التى اجراها دكتور **دانتون كولى** فى مستشفى سانت لوك بمدينة هيوستون الامريكيه مزيدا من هذا الجدل . فلماذا ومتى يستبدل القلب ؟ وهل يتفوق القلب الطبيعى عن الصناعى أم العكس ؟ .

وتجرى عملية استبدال القلب فى حالات الاصابة بالذبحة الصدرية والجلطة الدموية ، حيث تؤدى هذه الامراض الى انسداد الشريان التاجى الايسر الذى يؤدى الى موت الجزء من القلب الذى يستمد تغذيته من هذا الشريان فيصبح عاجزا عن القيام بوظيفته ، مما يهدد حياة المريض . وبهذا بدأت مرحلة عمليات استبدال القلب المريض بقلب طبيعى لميت « حديث » . وقد تمت أول عملية فى تاريخ البشرية بواسطة **د. كريستيان برنار فى ٣** ديسمبر سنة ١٩٦٧ ومات بعد اجرائها بعشرين يوما ، وفى ٢ يناير سنة ١٩٦٨ تمت العملية الثانية لطبيب الاسنان فيليب بليبرج وكانت اول عملية ناجحة لرجل يعيش بقلب آخر حتى الان .

ومنذ ٣ ديسمبر سنة ١٩٦٧ حتى اخر ديسمبر سنة ١٩٦٨ تم نقل ١٠٠ قلب لمائة مريض توفى منهم فى نفس الفترة ٦١ مريضا أى أن نسبة الوفاة تبلغ حوالى ٢/٣ مجموع المرضى الذين أجريت لهم تلك العمليه . ومن أهم المشكلات التى تواجه الجراحين هى كيفية الحصول على قلوب سليمة فى الوقت المناسب ، وموافقة أصحاب هذه القلوب أو أهلهم على استخدام قلوبهم فى هذه العمليات . فمن أين يحصل الجراحون على هذه القلوب ؟

تدل الاحصائيات فى الولايات المتحدة على أن أغلب أصحاب هذه القلوب من ضحايا حوادث السيارات التى تقتل الالوف سنويا فى أمريكا مما دعا رجال المرور فى ولاية تكساس الى تعليق اللافتات الضخمة فى الطرق ، تدعو السائقين الى الحذر فى قيادة السيارات اذا لم يرغبوا فى مقابلة د . دانتون كولى .

وتثير قضية الحصول على قلب « ميت حديث » جدلا عنيفا فى الدوائر الطبية العالمية مما دعا بعض الاطباء الى المناداة بعقد مؤتمر لتعريف الموت ، وذلك بمناسبة نقل قلب شاب زنجى فى جنوب افريقيا اختلفت الاراء حول اعتباره ميتا ، وقد أثيرت نفس هذه القضية فى أمريكا عندما نقل د . كولى قلب فتاة أطلق عليها الرصاص . فقد أثار محامى القاتل الشك فى نفوس القضاة عندما تساءل قائلا : لاأحد يستطيع الجزم بسبب موت الفتاة هل هو رصاص موكله ؟ أم نقل قلبها ؟ واتفق المدعى مع المحامى بعدم القطع بسبب الوفاة مادام قلبها كان لايزال حيا حتى ساعة نقله الى المريض .

وقرر الدكتور كولى عقب ذلك عدم نقل اى قلب من قلوب ضحايا جرائم القتل • ولتجنب تلك المشكلة فى جنوب أفريقيا أصدر البرلمان قانونا يمنع ذكر اسم الشخص الذى ينقل منه القلب الى الشخص المريض • أما فى ايطاليا ـ فعلى العكس ـ فهناك قانون يمنع نقل أى جزء من جسم الميت الا بعد ٢٤ ساعة على الاقل من الوفاة وبالتالى تصبح عمليات زرع القلب ممنوعة ضمنا فى ايطاليا •

والمشكلة الثانية التى تواجه نجاح عملية نقل القلب ، هى عملية طرد الاعضاء ، والانسجة الدخيلة • فجسم الانسان يقاوم كل شىء غريب عنه مثل الميكروبات والفيروسات أو الانسجة المزروعة داخله ، والعضو المزروع يخضع لنفس عملية المقاومة من جانب الجسم ، وعلى هذا الاساس يحاول الجسم الحى التخلص منه تماما • وقد توصل بعض العلماء الى مصل مضاد للمناعة يستخدم مع عقارات [الازاثيوبرين] و [البردينسون] وقد نجحت هذه العقاقير الى حد ما ولكنها لم تحقق الامل بدليل أن طبيب الاسنان بليبرج قد حصل على كميات ضخمة منهم ومع ذلك فهو يستعد الان لاجراء عملية نقل قلب جديد قبل أن يتخلص الجسم من القلب المزروع • الا أنه قد أعلن أخيرا أنه أمكن التوصل الى التركيب الكيماوى الكامل للاجسام الحيوية المضادة فى داخل جسم الانسان ، مما سيساعد فى التغلب على قوانين « الرفض » الطبيعية التى تمثل عنصر مقاومة فى تقبل الجسم الحى للاعضاء المزروعة •

وهناك مشكلة عملية أخرى تواجه تجارب وأبحاث نقل القلب وهى التكاليف الباهظة التى تحتاجها هذه العملية . ففى هيوستون مثلا تكلف العملية ٢٥٫٠٠٠ دولار •

ولتجنب هذه المشكلات (أو حتى تحسم الحلول فى هذه المسائل) تتجه جهود العلماء فى بعض الدول الى التركيز على أبحاث القلوب الصناعية باعتبار أن القلب الصناعى يمكن الاعتماد عليه والتحكم فيه بصورة أكبر من القلوب البشرية • ومن هنا كانت اهمية « التجربة » التى قام بها

تعليق

التفرغ •• لاعادة طبع كتاب « وصف مصر »

فى التقييم الذى صاغه الميثاق لتاريخنا ان «جاءت الحملة الفرنسية ومعها زاد جديد لطاقة الشعب الثورية فى مصر فى ذلك الوقت • كذلك جاءت معها بالاساتذة الكبار الذين قاموا بدراسة أحوال مصر، وبالكشف عن أسرار تاريخها القديم • وكان هذا الزاد يحمل فى طياته ثقة بالنفس ، كما كان يحمل آفاقا جديدة تشد خيال الحركة المتحفزة للشعب المصرى »

وكتاب « وصف مصر » يجمع هذه الدراسات التى قام بها العلماء والفنانون الفرنسيون الذين جاءوا مع الحملة الفرنسية •

وفى الصفحات الاولى من الجزء الاول من هذا الكتاب نقرأ الرسالة التى وجهها الناشر الفرنسى بانكوك الى الكونت سيمون وزير الداخلية أيام الملك لويس الثامن عشر يطلب منه ان يعيد طبع ونشر هذا الكتاب على نفقة الحكومة الفرنسية وفى هذه الرسالة يقول بانكوك : « هذه البلاد ـ مصر ـ التى زارها أعظم فلاسفة اليونان ، كانت المنبع الذى استقى منه هؤلاء الفلاسفة مبادىء العلوم والفنون والقوانين »

وفى ٢٠ يونيو ١٨٢٠ اصدر الملك لويس الثامن عشر الامر بالبدء فى اعادة طبع ونشر كتاب « وصف مصر » بدأ علماء الحملة الفرنسية فى وضع هذا الكتاب وتبويبه بعد عودتهم الى فرنسا واخذوا يجمعون دراساتهم وابحاثهم التى قاموا بها اثناء اقامتهم بمصر (١٧٩٨ ـ ١٨٠١) وقضوا فى تاليف هذا الكتاب سبعة عشر عاما ، ومات بعض مؤلفيه اثناء تاليفه •

وكان وضع هذا الكتاب وطبعه للمرة الاولى بطلب من الحكومة الفرنسية فقد امر نابليون ، بعد عودة الحملة الفرنسية من مصر • أن تجمع الابحاث والخرائط والرسوم وجميع المذكرات الخاصة بالعلوم والفنون مما انتهى اليه علماء الحملة فى كتاب واحد ، وان يطبع على نفقة الحكومة • واختار جماعة المؤلفين لجنة من ثمانية من كبار علماء الحملة لتبويب الكتاب وجمع مواده واخراجه وكان اعضاء هذه اللجنة . مونج وبرتوليه وكونتى وكوستاز وديجينيت وفورييه وجيراز ولانكريه . وتولى برتوليه رئاسة هذه اللجنة •

وقد ظهرت الاجزاء الاولى من الكتاب عام ١٨٠٩ واستمرت تظهر تباعا الى عام ١٨٢٦ •

واعيد طبع هذا الكتاب ـ بأمر الملك لويس الثامن عشر ـ من ١٨٢١ الى ١٨٣٠ ، وهى الطبعة التى اطلعت عليها دار الكتب ، ويبلغ عدد الخرائط والرسوم الكبيرة والصغيرة فى هذه الطبعة ثلاثة الاف •

والكتاب ينقسم الى قسمين : قسم النصوص وقسم الخرائط والرسوم •

والقسم الاول يحتوى على مذكرات علماء الحملة الفرنسية وتقاريرهم ومشاهداتهم ويقع فى (٣٦) ستة وعشرين جزءا من القطع المتوسط ، ومتوسط عدد صفحات كل جزء خمسمائة (٥٠٠) صفحة •

والقسم الثانى يقع فى أحد عشر مجلدا كبيرا وهو يحتوى على رسوم الاثار القديمة ورسوم مصر الحديثة ومدنها ومبانيها وصناعتها وزراعتها وطبقات سكانها وكذلك رسوم حيواناتها وطيورها واسماكها ومديرياتها وسواحلها وترعها وبحيراتها وصحاريها وجبالها وثغورها واسماء البلاد الكبيرة والصغيرة بالفرنسية والعربية •

وينقسم الكتاب من جهة الموضوعات الى ثلاثة اقسام :

● وصف مصر القديمة الى عهد الفتح العربى •

● وصف مصر الحديثة من الفتح العربى الى عهد الحملة الفرنسية •

● التاريخ الطبيعى لمصر •

د.كولى بنقل قلب صناعى الى المريض هاسكل كارب ونجح القلب فى استمرار حياة المريض اكثر من ٦٠ ساعه متواصله ·

وقد صمم هذا القلب الطبيب الارجنتيني الاصل **دومنجو ليوت** ، وهو يعمل استاذا بكلية بايلور الامريكية · وهو مصنوع من الياف الداكرون ونوع خاص من البلاستيك ويزن ٢٢٤ جم بينما يزن القلب الطبيعى حوالى ٣٤٠ جم · وينقسم هذا القلب مثل القلب الطبيعى الى ٤ تجاويف و٤ صمامات ويتصل بأنابيب رفيعة من البلاستيك بجهاز الكترونى معقد جدا يوجد خارج الجسم ويدفع الغاز المضغوط بين الغشاء الخارجى للقلب وبين القلب نفسه ، حتى يدفع القلب للانقباض والانبساط بكيفية تماثل عمل القلب الطبيعى .. وهذا بالطبع يجعل امكانيات القلب الصناعى محـدودة فى الوقت الحاضر . فالمريض يلازم الفراش. والقلب البلاستيك داخل صدره ·· وجهاز التشغيل خارجه · فلا يستطيع اذن التنقل أو الحركة ولكن مع الوقت يسعى العلم الى التغلب على هذه العقبة · وهناك محاولات بالفعل فى هذا السبيل تعمل على استخدام قلب صناعى يتحرك بالطاقة الذرية تساعد القلب المريض على تأدية وظائفه او تحل محله · وفى نفس الوقت اعلن الدكتور **فرانك هيستنجر** مدير برنامج أبحاث القلب الصناعى فى المعهد الوطنى للقلب بواشنطن بانه يمكن فى عام ١٩٧٣ صنع قلب آلى يتخذ من طعام الجسم المهضوم والاوكسيجين الذى يستنشقه وقودا لتحريك القلب · وبنجاح احدى هاتين المحاولتين يمكن التغلب على مشكلة التشغيل من الخارج ·

وهناك مشكلة اخرى تواجه القلب الصناعى ، وهى ان هذا القلب سيكون بلا انفعالات · فمن المعروف أن القلب الانسانى يتحرك تحت تأثير العصب التمبثاوى المستقل عن العواطف والعصب الحائر · فتزداد ضربات القلب مثلا فى حالات الغضب والخوف والفرح الخ . وذلك باستثارة العصب الثمبثاوى وتبطىء ضربات القلب باستثارة العصب الحائر · أما فى حالة القلب الصناعى فمهما كانت الظروف التى تحيط بالمريض ومهما كانت انفعالاته ازاءها ، فستستمر ضربات القلب ثابتة لاتتغير تحت تأثير الجهاز الالكترونى المتحرك

وبعد ذلك يقول عبد الرحمن الرافعى وهو يقيم هذا الكتاب :

« ولا يسع المطلع على هذا الكتاب العظيم الا ان يقر بمقدرة علماء الحملة الفرنسية فى استيعاب الحقائق العلمية واستقصاء المشاهدات والمعلومات والبيانات الدقيقة التى جمعوها فى الفترة القصيرة التى قضوها فى مصر ، ويعجب لما تذرعوا به من الصبر والجلد لاتمام عملهم الجليل · »

وبونابرت (١٧٦٩–١٨٢١) هو الذى اختار بعثة العلوم والفنون من ١٤٦ عالما وفنانا وجهز هذه الحملة العلمية بمجموعة كاملة من أحدث اجهزة الطبيعة والرياضة فى ذلك الوقت ·

وكان على راس هذه البعثة مونج العالم الرياضى الذى أختير رئيسا للمجمع العلمى المصرى (٢٢ اغسطس ١٧٩٨) وهو اكبر علماء الرياضيات فى ذلك الوقت ومؤسس الهندسة الوصفية واحد مؤسسى مدرسة الهندسة بفرنسا وعضو المجمع العلمى الفرنسى وقد تلقى عليه بونابرت علـوم الطبيعـة فى مدرسـة باريس الحربية · وعندما عاد الى فرنسا بذل جهدا كبيرا فى جمع ابحاث ودراسات ومقالات علماء البعثة ·

وقـد عهـد بونابرت الى مونج وصديقه العالم برتوليه ـ وهو من اكبر علماء الكيمياء ـ باختيار علماء وفنانى البعثة ·

وكان بيت السنارى الذى يتبع الان وزارة الثقافة والذى يقع فى حـارة مونج ـ المتفرعة من ميدان السيـدة زينب كان مقرا للرسامين والفنانين الذين قاموا بعمل لوحات ورسـوم كتاب ((وصف مصر)) .

وفى عام ١٩١٧ انشا جلياردو بك فى بيت السنارى متحفا اسماه متحف نابليون وكان يحوى كل الوثائق والمستندات والمحفوظات عن عهد الحملة الفرنسية فى مصر . ولا أدرى مكان هذه الوثائق الان وما أشد حاضرنا الى ان يتفرغ بعض المتازين من خريجى أقسام التاريخ فى جامعاتنا المصرية للاستفادة بهذه الوثائق لكتابة مقدمة ضخمة لتاريخنا الحديث ·

اختار نابليون بونابرت قصر حسن كاشف (المدرسة السنية) ليكون مقرا للمجمع العلمى المصرى والحق به القصور المجـاورة له ، التى بناها المماليـك وخصصها لسكنى اعضاء المجمع وبعثة العلوم والفنون .

وكانت اولى جلسات هذا المجمع فى ٢٢ اغسطس ١٧٩٨ · واجتمع الاعضـاء وانتخبوا مونج رئيسا ونابليون بونابرت نائبا للرئيس وفورييه (صاحب مقدمة كتاب وصف مصر) سكرتيرا وكوستاز نائبا للسكرتير · وانشا المجمع بالقاهرة مطبعة عربية فرنسية كان نابليون قد احضرها معه الى مصر (وهـى اول مطبعة فى تاريخ مصر الحديثة) وعهد بادارتها الى المستشرق مارسيل ـ عضو بعثة العلوم والفنون ـ واتخذ لها دار عثمان بك الاشقر فى الازبكية ، على مقربة من بيت الالفى الذى سكنه نابليون بونابرت ، ثم نقلت الى الجيزة ثم الى القلعة ·

وكتاب ((وصف مصر)) هو الكتاب الخالد ـ كما يقـول عبـد الرحمـن الرافعى ـ الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية وهو اعظم كتاب ظهر فى العصر الحديث ، أو هو دائرة معارف لمصر القديمة والحديثة الى نهاية الحملـة الفرنسية · ولعظم قيمتـه لايمكن ان يستغنى عن دراسته كل من يريد الكتابة عن تاريخ مصر من اى ناحية مـن نواحيه ·

واقترح ان تتعاون مصر وفرنسا وهيئة اليونسكو فى مشروع دولى كبير لترجمة هذا العمل العظيم واصداره فى طبعة أنيقة ·

لقد قدم بونابرت لعلماء فرنسا وفنانيها فرصة للتفرغ تفرغا كاملا لدراسة كل مايتعلق بمصر القديمة والحديثة . الايجدر بنا نحن ان نكون لجنة من العلماء والفنانين والخبراء المصريين ، تتفـرغ تفرغا كاملا لترجمة هذا الكتاب واخراجه فى اجمل صورة . ويختار اعضاء هذه اللجنة من أساتذة الجامعات والمعاهد العليا ومن الاخصائيين والخبراء فى الوزارات المختلفـة . ومن العلمـاء والباحثين فى المركز القومى للبحـوث والمجمع اللغـوى والمجمـع العلمـى المصرى · وهى خير هدية نقدمها للقاهرة فى عيدها الالفى ، وبمناسبة مرور ١٦٠ عاما على اصدار الجزء الاول من هذا العمل الكبير الرائد ·

توفيق حنا

تعليق

لمحات من المعارض

هذا الموسم للفن التشكيلي كان فياضا بالمعارض والانتاج الفني ولعل المساهمة التى تقدم بها المركز التشيكي باقامته سلسلة من المعارض الفنية قد أضافت الى النشاط الذى تمارسه الادارة العامة للفنون الجميلة نشاطا جديدا ،

اعمال الجزار

وبمبادرة من الناقد صبحى الشاروني ومساعدة زوجة الفنان الراحل أقيم معرض « الجزار » • تم لهما جمع ما توصلت اليه ايديهما من اعمال ومن تحضيرات لاعمال « اسكتشات » وانبثق هذا الجهد عن معرض يضم حوالى مائة من اعمال الجزار •

والجو الغريب الذى خلقه الجزار فى اعماله والموضوعات الخاصة التى امتلات بها لوحاته جعلت الشاروني يطلق عليه اسم فنان « الاســاطير » وهو يقول :

« الاسطورة هى محاولة فكرية لتفسير ظاهرة او التعرف على قانون لم يتوصل العلم الى تبريره • وقد استخدم الانسان خياله وخبرته ومعارفه ثم قدراته التعبيرية فى صياغة الاسطورة »

والحقيقة أن خيال الجزار لم يكن يهدف الى صياغة اسطورة ما بقدر ما كان مشغولا باساطير موجودة فعلا ومتداولة فعلا • هذه الخيالات من الرمـوز والطقوس والتمائم التى تزخـر بها تربة معينة وتنتشر فيها أفكار غيبية غير علمية قدرية غير واقعية ، انها افكار وتقاليد عميقة تاخذ على شريحة اجتماعية معينة حياتها تلك هى طبقة البرجوازية الصغيرة الريفية والمدنية على السواء • وهى طبقة واسعة تنبع مفاهيمها من الانتاج الحرفى الصغير والملكية المحدودة المهددة دائما . ونظرا لاتساع هذه الرقعة الكبيرة من المنتجين الذين يشكلون غالبية بين السكان فى بلدنا حيث يسود التخلف الاقتصادى والاجتماعى فانها تعتمد على هذا اللون من التفكير القدرى وعلـى سيـادة الميثولوجيا الشعبية • وتترجم هـذه المفاهيم الى تقاليد وعادات وقيم اجتماعية واخلاقية وتفسيرات غيبية لمعنى الحياة والموت •

وقد شغل ذهن الجزار بتلك الطبقة وحقائق حياتها واولاها اهتماما ونشاطا فنيا يكاد يسـتغرق حيـاته الفنيـة القصيرة • وكان الجزار فى نفس الوقت ياسى لهموم هذه العناصر الشعبية الغريبة وما تعيش فيه من اوهام كما كان يعجب !! تنبض بها قلوبها من قوة وعزيمة •

وفى هذا لمسة لجانب من الواقع وضع الجزار يده عليه • ومع هذا الجـو الاسطورى الشعبى خلق الجزار لنفسه اسلوبا ميتافيزيقيا فى التصـوير يمت بصـلة الى اسـلوب « جورجيو دى جريكو » وان كانت مصـرية الموضـوع وحقيقة التربة النابع منها توحى بدور الجزار فى خلق جو فنى خاص .. مصرى حتى الاعماق •

وها نحن نرى الجزار وقد تفتحت عيناه على انجازات الثورة الاجتماعية وقد مست مصالح تلك الشريحة الاجتمـاعية التى شغل بها فانطلق الى محاولات للابتهاج بانتصار الانسان فى مصر مع انتهاج سياسة السلام ومع الاتجاه للتصـنيع والبناء « لوحة السلام » لوحات « السد العالى » « التصنيع » .

وكما ابتهج قلب الجزار للانسان فى مصر نهلل للانسان المنتصر فى العالم وهو يغزو الفضاء •

وبقدر ما كانت اهمية هذا المعرض ودلالته بقدر ما كانت الفرصة متاحة امام الهيئات الرسمية المسئولة لتتخذ موقفا فيه ايجابية من اعمال الجزار .. ولكنها لم تفعل •

جورج البهجورى مصورا

وهو يحمل ريشته مصورا كبيرا ، بل انه يحمل تحديا خطيرا للمصورين الذين فصلوا فى عنف بين انتهاج اسلوب تشكيلى حديث وبين القيمة الخاصة بالموضوع الذى يتناوله المصور • فثمة لقطات تنبع من احساس خاص بقيمة الطبيعة وما تضمه من اسرار لا تمنحها لكل من يرى وانما تهبها لمن تزود فحـسـب ببصـيـرة الفنان الصادق •

فلوحة « النخلة والطفـل » تطـالعنا وكان النخيل يصور لاول مرة فـى مصر !! والطفل يجلس فى اعلى نخلة مقطوعة ويأتى فى جلسته برمز يمتد الى حقيقة العلاقة بين الانسان والطبيعة • ويجسد وجود الطفل فى هذا المكان بالذات القيمة الحقيقية لهذه العلاقة .

نفس الشىء نراه فى لوحة « الصياد »

وهى لوحة ناجحة وقوية وقوتها فى البساطة المذهلة التى تناول بها الموضوع والعمق فى لمس الجانب الانسانى واضفاء هذا الجانب على كل شىء عبرت عنه الخطوط والظلال والخلفية وعـلاقتها بالمقدمة •

، واننا ونحن نتامل دراساته فـى معسكرات الفدائيين نحس وكان المصور نفسه قد اصبح فدائيا . وذلك ليس لانه يقدم هذه الدراسات بحماس وطنى فحسب بل انه يقدمها بلغة تشكيلية متقدمة تحاول الربط بين كل جزء فى العمل وبين الكل ، كما تقدم اتجاها تحليليا يذكر بمحاولات التكعيبيين الاولى .

وهذا الاتجاه التحليلى الذى ينتشر فى اعمال الفنان الاخيرة قد دعا البعض الى التنبؤ للفنان بأن خط مسيرته نحو التجريد المطلق • غير أن ما تكشف عنه اعماله تؤكد اهمية المحاولة الجدية للربط بين الطاقة التعبيرية التى تجسد فى عمق رؤيته الباطنة للانسان ، فى علاقته بما يحيط به وبين السعى وراء قيم تشكيلية متقدمة بحيث تصبح الاطار الحى للقيم التعبيرية •

وهذا طابع بعض المدارس الحديثة فى التصوير .. تلك المدارس التى حاولت ان تربط بين حياة الانسان وآماله وبين الرؤية التشكيلية الحديثة • والطـريق طويل •

شخصية أنجى أفلاطون الفنية

وكانت انجى افلاطون فى معرضها الخاص ذات شخصية فنية نشطة ذات معالم خاصة واضحة . وقد تكونت هذه الشخصية الفنية مع دأبها فى ممارسة الانتاج الفنى بطريقة مستمرة •

كما تكونت على الاخص فى اعتمادها على اسلوب فى الصياغة تكاد ان تستقر عليه ويصبح طابعا لها . انه اسلوب يتخذ من البقعة ذات الايقاع المتحرك والمتفاعلة مع بقع أخرى متجاورة وسيلة لخلق تكوين يتجمع فى آخر الامر فى عمل تتوفر له فى اغلب الاحيـان عنصر الوحدة •

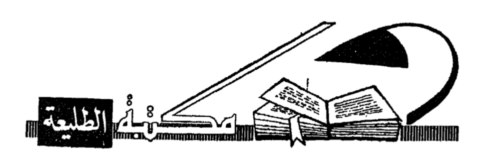
وهذا الاسلوب قد بدا اكثر تطورا فى اعمالها الاخيرة فهى تترك مسـاحات بيضاء صغيرة حول البقع الملونة او بجوارها فيساعد ذلك على اكساب الوانها اشعاعا ملحوظا كما ان نغمات سلمها اللونى بشكل عام قد اصبح اكثر غنى كل هذا مع ديناميكية فى حركة البقعة اكسب اعمالها الاخيرة حيوية ملموسة •

وموضوعات الفنانة تسير فى نفس الاتجاه الذى انتهجته كثيرا ـ الفلاحات وسط اجواء العمل أو الطبيعة التى تحيط بهن : مناظر من الريف • موضوعات العمل • موضوعات وطنية •

والفنانة تعالج كافة هذه الموضوعات متخذة اسلوبها المعروف وسيلة لذلك •

غير إنه تجدر الاشارة الى أن الفنانة تؤكد نظرتها للطبيعة بطريقة يغلب عليها الجانب الحسى • وهى لا تحاول أن تخوض تجربة تثرى الاتجاهات الواقعية الجديدة • فليست الواقعية موضوعات فحسب انما هى ايضا اسلوب يعتمد اول ما يعتمد على اعتبار الواقع شيئـا موضوعيا خارجا عن ذات الفنان واحاسيسه وحدها .

داود عزيز



الصحة والتنمية

■ تاليف : الدكتور شريف حتاته

□ عرض ونقد : د. رزق عبد المسيح

حياة بلا مرض ، حلم رائع راود البشرية من قديم الزمن .. فالصحة هى احد اهداف الانسان الرئيسية .. وحق اساسى مشروع تكافح من اجله الشعوب ..

وفى كتابه القيم عن « الصحة والتنمية » يبين لنا الدكتور شريف حتاتة المحاولات المستمرة التى بذلت وتبذل فى بلادنا على الطريق الطويل من آجل أن يتحول ذلك الحلم الى حقيقة . والمؤلف يضع مسألة الصحة فى الاطار الصحيح باعتبارها هدفا ووسيلة .

فى بلاد مثل بلادنا ، تحررت من سلطة الاستعمار وعملائه ، وبدأت تنفض عن كاهلها عبء تركة التخلف والفقر والمرض ، تخطط لتنمية مواردها واستغلال ثرواتها لخير ابنائها ورفع مستواهم ماديا وفكريا ، كان لابد أن ترتفع قيمة الانسان ، باعتباره اثمن راسمال ، وأن تصبح صحته هدفا ووسيلة لكل خطة تنمية اقتصادية ناجحة . وحتى اذا نحينا جانبا الاعتبارات الانسانية المجردة ، فالاهتمام بالصحة وسيلة فعالة للتقدم المادى .

يقدم المؤلف مفهوما صائبا عن ضرورة اعتبار ان الصحة بجانب الوسائل الاخرى كالتعليم

ومستوى التدريب الفنى .. الخ تتصل اتصالا وثيقا بالعنصر البشرى فى عملية التنميه ، اذا ما توفرت لها الاموال اللازمة ، سارت التنمية فى طريقها بمعدل اسرع وأتت بنتائجها المتوقعه . ومن ثم كان على اية خطة للتنمية الاقتصادية ان تضع فى اعتبارها كافة النتائج الصحية التى من الممكن ان تترتب عليها وتعمل على اعداد العدة لها . وعلى المخطط الصحى ان يعمل جنبا الى جنب مع المخطط الاقتصادى عند وضع خطة التنمية .

يجسم لنا الدكتور شريف حتاتة ابعاد المشكلة الصحية ، ومدى تعقدها تحت وطأة قلة الموارد وتدهور المستوى الصحى . فالصحة والمرض هما نتاج الكثير من العوامل الاجتماعية والاقتصادية كدخل الفرد ، ومستوى المعيشة ، والتعـذية ، والسكن، والثقافة ، والتعليم ، وعدد السكان .

التحول الاجتماعي وأثره في الميـــدان الصـــحي

بصدور قرارات يوليو سنة ١٩٦١ ، بدأ المجتمع المصرى مرحلة جديدة فى حياته ، مرحلة الانتقال من النظام الاستغلالى الى السير فى طـريق الاشتراكية ، ومن ثم تهيأت الظروف للبدء فى تنفيذ أهم واضخم مشروعين صحيين فى البلاد ، وهما مشروع الوحدات الصحية الريفية ومشروع التأمين الصحى .

لقد صاحب اجراءات يوليو سنة ١٩٦١ توسيع نطاق الخدمات فى الخطة الخمسية الاولى . فبعد أن كانت استثمارات الخدمات الصحيه فى المشروع المعتمد ٦٫٥ مليون جنيه زادت فى المشروع المنفذ ثلاثة أضعاف وبلغت قرابة العشرين مليون جنيه . وبعد ان كانت ميزانية وزارة الصحة ٦٫٧٦١٫٠٠٠ جنيه ٥٢ ـ ٥٣ بلغت ٢٢٫٦٥٩٫٠٠٠ جنيه ٦٦ ـ ٦٧ .

وبهذا تحددت اهداف الخطةالخمسيه فى المجال الصحى فيما يلى :

أولا : السياسة العلاجية المجانية

وتهدف الى تعميم الخدمات الصحية المجانية فى الريف والمناطق النائية والمحرومة ، مع المساواة فى التوزيع الجغرافى ، وذلك بتنفيذ اربعة مستويات اساسية من الخدمات :

١ ـ الوحدات الصحية الريفية .

٢ ـ المجموعات الصحية والاقسام الصحية فى الوحدات المجمعة .
٣ ـ المستشفيات المركزية .
٤ ـ المستشفيات العامة .

ثانيا : خلق قطاع عام فى الخدمة الطبيـة وتوسيعه ، ويتمثل فى :
١ ـ التامين الصحى .

٢ ـ تنظيم العمل الطبى فى الشركات والهيئات والمؤسسات التى لم تطبق التأمين الصحى .

٣ ـ انشاء المؤسسات العلاجية .
٤ ـ العلاج بأجور رمزية فى المستشفيات الحكوميـة ومسـتشفيات التـأمين الصـحى والمؤسسات العلاجية والمستشفيات الجامعية .

٥ ـ رفع الكفاية الانتاجية للوحدات القائمة عن طريق توفير الامكانيـات المـادية والبشـرية المطلوبة (أجهزة ـ أدوية ـ افراد .. الخ) .

ثالثا : اقامة مراكز مختلفة للعلاج النوعى

١ ـ التوسع فى المستشفيات المتخصصـة وتدعيم المعاهد النوعية .

٢ ـ تنظيم العلاج فى الخارج وطريقة استقدام الخبراء .

٣ ـ تطوير الاسعاف .
رابعا : السياسة الوقائية العلاجية

١ ـ وضع الانظمة الكفيلة بحماية البلاد من الامراض الوبائية .

٢ ـ اتخاذ بعض الخطوات بهدف حل المشاكل الاساسية واهمها البلهارسيا والملاريا والدرن .

خامسا : السعى الى تحقيق الكفاية العددية والفنية .

من العاملين فى القطاع الصـحى : الاطباء والفئات المساعدة ، والاهتمام بتدريبهم .

سادسا : توفير الدواء للمنشآت الصـحية المختلفة وللشعب

باسعار مخفضة مع التوسـع فى سـياسة التصنيع

سابعا : توسيع مجالات البحث العلمى

بعدهذا العرض الشامل لمختلفجوانبالمشكل الصحية ، يبدا الدكتور شريف حتاتة فى القاء الاضواء على اهم المسائل التى تستوجب العناية من المسئولين عن العمل الصحى :

فى جبهة الوقاية :

يدق المؤلف الناقوس عاليا معلنا ان مسألة استئصال الامراض المتوطنة (اخطر الاعداء على صحة المواطنين) هى المهمة الاولى فى اى خطة صحية ناجحة • ومهما كانت هذه المهمة صعبة ، وتحتاج الى جهود طويلة والى مصروفات كبيرة ، فانه من الواجب رسم خطة طويلة الامد للتخلص منها •

ويعلل المؤلف هذه الظاهرة بان النظرة التى مازالت تحكم اسلوب العمل فى الاجهزة الادارية تثق اساسا فى المال والامكانيات المادية (وان كان لايقلل المؤلف من اهميتها) ، اكثر مما تثق فى قوة البشر وقدرة الجماهير

ويقول المؤلف ان المشاريع العلاجية والتوسع فى الانشاءات عملية اكثر سهولة ، واشد ظهورا ، وتصلح لان تكون موضوعا للدعاية فى الصحف امام الراى العام • مع العلم بان العلاج وحده لن يحل اى مشكلة رئيسية من مشاكلنا الصحية •

الخدمات الصحية فى الريف

يعرض لنا المؤلف تطور الخدمة الصحية فى الريف منذ سنة ١٩٤٢ حين بدأ تنفيذ مشروع تحسين الصحة القروية حتى بدأ انشاء الوحدات الصحية الريفية •

ومن الملاحظ ان هناك انجازات كبيرة فى هذا المجال حيث يعيش الجانب الاكبر من السكان والذى كان محروما لعهود طويلة من اى رعاية صحية • فلقد بلغ عدد الوحدات الطبية بالقطاع الريفى سنة ١٩٥٢ ، ٢٢٢ بمعدل وحدة لكل ٥٠٠٠٠ من السكان وصلت سنة ١٩٦٠ الى ٥٦٦ وحدة بمعدل وحدة لكل ٢٠٠٠٠ ثم قفز الرقم سنة ١٩٦٧ الى ١٧٤٥ وحدة بمعدل وحدة لكل ١٠٠٠٠ • كما زاد عدد الاسرة بالريف من ١٨١٦ سنة ١٩٥٢ الى ٨٠٠١ سنة ١٩٦٧ ، وعدد الاطباء من ٢٢٢ سنة ١٩٥٢ الى ١٨٧٩ سنة ١٩٦٧ •

لقد زادت قدرة الخدمات الصحية بالريف بنسبة ٦٠٠ فى المائة نتيجة لمشروع الوحدات الريفية وللتقدم الكبير السريع الذى تم تحقيقه بالذات فى مجال توسيع شبكات الخدمات والمنشآت اللازمة لعلاج المرضى فى الريف ، والتى صرف عليها مبلغ ضخم ٥٫٦٨٧٫٧٨٠ جنيه • ولكن المؤلف يعلن فى صراحة ان كفاءة هذه الخدمات اصبحت فى حاجة ماسة الى مراجعة شاملة حتى يمكن الارتفاع بمستواها ، وتحقق الاغراض الاساسية التى من اجلها وضعت الخدمات الريفية فى مقدمة الخطة الصحية •

الخدمات الصحية فى المدن

تتميز هذه المرحلة التى مر بها بوجود العديد من الانظمة العلاجية المختلفة والتى تسيطر الدولة على الجانب الاساسى منها ، وجزء منها يقدم الخدمات العلاجية المجانية كمستشفيات وزارة الصحة والمستشفيات الجامعية وبعض أسرة المؤسسة العلاجية .

وقد نشطت الدولة فى انشاء المزيد من الاسرة خاصة بعد قرارات يوليو سنة ١٩٦١ وارتفع عدد الاسرة العمومية من ٢٥٠١٦ سريرا سنة ١٩٥٩ الى ٤٥٩٢١ سريرا سنة ١٩٦٧ بنسبة ١٫٥ سرير لكل ١٠٠٠ من السكان ، كما بلغ عدد الاسرة الخاصة (صدرية وعقلية وحميات ورمد) ٢٤٩٦٧ سنة ١٩٦٧ بنسبة ٠٫٨ سرير لكل ألف من السكان ، كما زاد عدد المستشفيات العامة والمركزية من ١٢٥ سنة ١٩٦٠ الى ١٥٥ سنة ١٩٦٦ • كما تم انشاء عدة مستشفيات تخصصية كمستشفى جراحة الصدر والقلب بامبابة ، ومستشفى شلل الاطفال •

ويتعرض المؤلف للعديد من العيوب المزمنة فى مستشفياتنا المختلفة ، كما يخص المستشفيات الجامعية بفصل كامل حيث يبرز الدور العلاجى لها وأنها من خلال القيام بهذه المهمة على أعلى مستوى علمى فى البلاد ، تستطيع أن تؤدى مهمتها الاخرى وهى اعداد أجيال من الاطباء والاخصائيين الاكفاء ويهاجم الراى الاخر الذى يقدم وظيفة المستشفى الجامعى فى التعليم الطبى على وظيفته الاصلية وهو العلاج ، فهذا المفهوم هو الذى أدى الى تدهور الخدمة بها •

ثم يبين الهدف من انشاء المؤسسات العلاجية وهو توسيع سيطرة الدولة على المستشفيات التى كانت ملكا للقطاع الخاص ، واستكمال تجهيزها بكافة الامكانيات المادية والبشرية من أجهزة ومعدات ومعامل وفنيين وأطباء مقيمين وأخصائيين واستشاريين واداريين وحسابات منظمة دقيقة ، بحيث تستطيع أن تقدم أعلى مستويات الخدمة العلاجية بأقل التكاليف الممكنة للمواطنين مقابل أجر ، وللشركات والمؤسسات والهيئات الملزمة بتقديم خدمات طبية للعاملين بها بموجب تعاقدات •

التأمين الصحى

وهو ذلك المشروع الثورى الذى تمخضت عنه اجراءات يوليو ١٩٦١ وما ارتبط بها من تطورات اقتصادية واجتماعية فى بلادنا من خلق قطاع عام قادر وقوى فى الصناعة ، وما تبع ذلك من انشاء مناطق صناعية ضخمة تضم عشرات الالاف من العمال ، وما يتطلبه هذا من ضرورة توفير فرص

متكافئة فى الوقاية من الامراض وعلاجها ، حفاظا على القوى البشرية المنتجة حتى تستطيع ان تؤدى دورها فى الانتاج على خير وجه .

ولقد بدأ تطبيق نظام التأمين الصحى فى محافظة الاسكندرية منذ أول أكتوبر سنة ١٩٦٤ حيث تتوفر الامكانيات المادية والبشرية والوعى لدى المنتفعين ، وقد واجه تطبيق التأمين الصحى فى بداية مراحله صعوبات وعقبات شتى وجوا عدائيا كاد يعصف به ، لولا الدور الذى قام به بعض أطباء الاسكندرية بالتعاون مع نقابات العاملين فى الخدمات الصحية والاتحاد الاشتراكى .

وعلى الرغم مما حققه التأمين الصحى من نجاح فمازالت تشوبه بعض العيوب التي يجب أن تعالج ، وبعض المشاكل التى يجب أن تحل .

ويركز الدكتور شريف حتاتة على أخطر عيب يسىء الى التأمين الصحى ، وهو **الاساليب الادارية الخاطئة السائدة** والتى تخلو من الديمقراطية اللازمة لمشروع يتعلق بالمصالح الحيوية لاوسع الجماهير ، ويعتمد على الجهود الجماعية لآلاف العاملين والفنيين ، ويمس عن قرب مشاكل العمل فى وحدات الانتاج .

وفى محافظة القاهرة ، أخذت الهيئة تعد الامكانيات لتطبيق التأمين الصحى فى أكبر منطقتين صناعيتين وهما حلوان وشبرا الخيمة ، وأتمت فعلا عمليات الحصر وبلغوا ١٣٢٫٠٠٠ منتفع ، منهم ٦٠٫٠٠٠ فى منطقة حلوان و ٥٠٫٠٠٠ فى منطقة شبرا الخيمة ، كما اقامت عيادتين شاملتين فى المنطقتين ، واصلحت ورممت مجموعة المستشفيات التابعة لها وهى مستشفيات صيدناوى والمقطم وحلوان وشبرا الخيمة والدقى ووحدة رمسيس العلاجية وزادت عدد الاسرة بها من ٢١٨ سريرا الى ٦٥٧ حتى آخر اكتوبر سنة ١٩٦٧ .

وعلى الرغم من كل هذه الاعدادات وأن المشروع قابل للتنفيذ فعلا ، فان الوضع مازال معلقا ، مما يبدد من هذه الامكانيات التى تم توفيرها ، والتى كان من نتيجتها أن اقتصرت نسبة تشغيل الاسرة على ٤٥ فى المائة ــ ٥٥ فى المائة فقط .

ومما لاشك فيه أن نظام التأمين الصحى هو نظام المستقبل . فهو النظام الشامل والفعال للخدمات الطبية الوقائية والعلاجية فى المدن ، والذى سيقضى على العديد من الانظمة المتباينة التى مازالت تطبق فى الشركات ، والتى تتفاوت بين تقديم الخدمة الطبية عن طريق امتلاك عيادات ومستشفى ، وتعيين الاطباء الممارسين والاخصائيين [مثل الشركة المصرية لغزل ونسج الصوف ــ بوليتكس ــ متوسط تكلفة العامل ١٢٫٧٤٢) ، أو عن طريق وثائق التأمين الصحى الجماعية لدى احدى شركات التأمين نظير دفع قسط ثابت عن كل منتفع (البنك المركزى كان يدفع لشركة التأمين الاهلية ١٨ جنيها سنويا عن كل عامل) ، أو عن طريق التعاقد مع المستشفيات والصيدليات والاطباء الممارسين والاخصائيين او تعيينهم (معظم الشركات) .

الدواء

باعتباره وسيلة العلاج ، ولقد خصص له الدكتور شريف حتاتة فصلا فى الباب السادس من كتابه يحمل عنوان « الصحة فى معركة العدوان » ، وبصرف النظر عن موضع هذا الفصل من الكتاب ، فقد غطى سريعا فى صفحاته القليلة نسبيا أهم المسائل المتعلقة بمشكلة الدواء ، وان كنا نحس اننا نريد المزيد فى هذا الموضوع الحيوى .

ولقد أوضح لنا المؤلف ما بلغته صناعة الدواء فى ج . ع . م . من نمو كمى حيث أصبحت تغطى ٨٠ فى المائة من الاستهلاك المحلى وان كانت لا تمثل الا ٥٠ فى المائة فقط من انواع المستحضرات المتداولة . وأن الدواء المستورد أصبح يمثل ٢٠ فى المائة من الاستهلاك وان كان يمثل ٥٠ فى المائة من انواع المستحضرات المتداولة عام ٦٦ ــ ٦٧ . ثم ألمح الى أزمة الاختناق وتكدس المخزون السلعى الذى بلغت قيمته ١٢ مليون جنيه فى اواخر سنة ١٩٦٧ ، على الرغم من ان ثلث الطاقة الانتاجية لمصانع الدواء معطل وانها تعمل فقط بنسبة ٧٢ فى المائة من طاقتها الفعلية .

والمخرج من الازمة هو **التخصص** بمعنى دمج الشركات وتكوين عدد أقل من الوحدات الانتاجية ذات الامكانيات الانتاجية والفنية والعلمية الكبيرة والتى تعمل على اسس اقتصادية سليمة . وتدعيم الابحاث ماديا وفنيا حتى نتمكن من استنباط أدوية جديدة والتى تحتاج الى خبرة خاصة ولم نقتحم مجالها حتى الان كى تحل محل الادوية المستوردة ، وتحسين مستوى انتاج الادوية الموجودة حاليا والتى تمكننا من التصدير على نطاق أوسع .

العنصر البشرى فى الخدمات الطبية

ويفرد الدكتور شريف حتاتة الباب الخامس من كتابه تحت عنوان « العاملون فى الصحة » عن العاملين فى الصحة .

ومما لاشك فيه أن العنصر البشرى هو أهم العناصر فى أى خطة ، فهو المنفذ لها والقادر على احباطها او انجاحها ، ولذا أفاض المؤلف فى طريقة توفير العنصر الانسانى اللازم كما وكيفا على كافة مستويات المهنة الطبية .

فمن ناحية الكم يبين لنا ان مجتمع الاطباء بفضل انشاء العديد من كليات الطب ، قد اصبح يتزايد بسرعة كبيرة تفوق فى معدلها سرعة تزايد

السكان ، فلقد زاد عدد الاطباء المتخرجين من ٤٤٥ سنة ١٩٥٢ الى ١٠٢٤ سنة ١٩٦٦ ، حيث كان مجموع الاطباء فى هذا العام ١٥٠٠٠ طبيب بنسبة طبيب لكل ٢٣٠٠ من السكان تقريبا ، وهى نسبة عالية بالنسبة للشرق الاوسط (فيما عدا لبنان طبيب لكل ١٠٠٠ من السكان)

ومن حيث الكيف يخصص الدكتور شريف فصلا كاملا طويلا عن التعليم الطبى وكيف يجب أن يوضع فى خدمة المجتمع ملبيا لاحتياجاته محققا لاهدافه ، مقدما الحلول لمشاكله المتميزة •

ان الدكتور شريف حتاتة يرسم لنا صورة طبيب المستقبل ، الطبيب الذى يريده مجتمعنا • « اننا نريد اطباء قادرين على القيام بمهام المستقبل خلال العشرين أو الثلاثين سنة القادمة ، يتمتعون بقدرة على الملاحظة ، والتشخيص ، وتحصيل المعرفة ، ورغبة فى الاستزادة من العلم ، اننا نريد أطباء فعاليين ، وواعين بواجباتهم الانسانية والاجتماعية ، الى جانب مهاراتهم الفنية ، ومرتبطين بقضايا الشعب ونضاله فى سبيل الاشتراكية ، اننا نريد عددا متزايدا من الاطباء النابعين من صفوف العمال والفلاحين ، حتى لا تكون العلوم حكرا على ابناء الطبقات المتوسطة ، وحتى نربى أجيالا جديدة من الفنيين » •

وفى فصل سريع عن طب الطوارىء يشير الدكتور شريف الى ما تم اثناء العدوان فى هذا المجال ودور نقابة الاطباء المجيد ووزارة الصحة •

وفى خاتمة الكتاب يحاول الدكتور شريف حتاتة القيام بتقييم موضوعى للخطة الخمسية الاولى وما تم فيها من انجازات وخطوط عريضة لما يجب أن يتم فى المستقبل • فالتقييم جزء لا يتجزأ من التخطيط •

بقى أن أشير الى نقطة هامة اكد عليها المؤلف بالنسبة لخططنا فى المستقبل ، وهى خلق اجهزة موحدة للاشراف على الخدمات الصحية . ان المؤلف يقترح لكى تتحقق مركزية التخطيط ولامركزية التنفيذ ، النظام الهرمى التالى : **على قمته وزير الصحة (يعاونه المجلس الاعلى للخدمات الصحية)** هو المسئول عن جميع الخدمات الصحية فى البلاد ، رسم سياستها ومتابعة تنفيذها ، ووضع المعدلات لتقدير مستوى الاداء ، وتقييم نتائجها على مستوى الجمهورية •

والمستوى التالى الذى يشرف عليه الوزير هو الاجهزة التنفيذية المختلفة التى تقوم بتنفيذ السياسة الصحية للدولة وهى :

١ ــ **الهيئة العليا للخدمات العلاجية** . وتشرف على كل الهيئات التى تقدم خدمة علاجية •

أ ــ الهيئة العامة للتأمين الصحى وفروعها بالمحافظات والوحدات العلاجية التابعة لها •

ب ــ المؤسسة العلاجية والمجالس العلاجية بالمحافظات والمستشفيات التابعة لها •

جـ ــ المستشفيات الجامعية •

د ــ الخدمات الطبية بالهيئات والمؤسسات العامة والشركات والمصالح •

هـ ــ الخدمات الطبية بالقطاع الخاص :

و ــ الاجهزة العلاجية المختلفة بوزارة الصحة مستشفيات عامة ومركزية ومتخصصة •

٢ ــ **المؤسسة المصرية العامة للادوية** والكيماويات والشركات التابعة لها •

٣ ــ **مؤسسة المعامل والابحاث** • [يقترح المؤلف تأسيسها] •

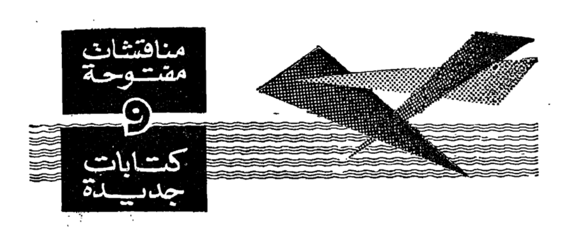
٤ ــ **مؤسسة التجهيز** وتشكل عن طريق دمج التموين الطبى وشركة الجمهورية الطبية وتكون مهمتها تجهيز المستشفيات والوحدات الصحية المختلفة فى المدينة والريف ، وصيانة هذه الاجهزة •

٥ ــ **وزارة الصحة ومديريات الشئون الصحية بالمحافظات** [بعد ان خففت الوزارة من عبء الادارات العلاجية المختلفة ، والتى تشرف عليها الهيئة العليا للعلاج] وتكون مهمة الوزارة الاساسية الوقاية من الامراض واستئصالها وفقا لخطة ذات مراحل زمنية محددة يتم فيها تخليص البلاد من الامراض الواحدة تلو الاخرى •

فلتنطلق طاقات الجماهير ضد المرض

نعم فالجمهور هو المستفيد الاول والاخير ، فاذا آمن المسئولون عن الصحة بدور الجماهير وفعاليته قدر ايمانهم بالامكانيات المادية والاجهزة والانشاءات ، وبذلوا الجهد فى تثقيف الجماهير صحيا وتوعيتها بدورها فى كيفية تجنب العدوى ومنع نشرها ، لحققنا اضخم انتصار فى ميدان الوقاية واستطعنا القضاء على الامراض المتوطنة الى الابد • ولو اشتركت الجماهير فى ادارة مرافق الخدمة العلاجية ، ومارست رقابتها على سير العمل بها ، وقامت بدورها الايجابى فى صيانتها ، لتطور العمل بها ، وارتفع مستوى الخدمة الطبية ، وانخفضت تكاليفها .

واخيرا ما أجمل ان نشارك المؤلف فى المناداة بذلك المطلب الذى لم يمل من المطالبة به خلال العديد من فصول كتابه القيم ، والذى بلغ عدد صفحاته ٤٩٤ ، واستغرق فى اعداده ثلاث سنوات ، وهو اشراك الجماهير فى المعركة ضد المرض حتى نحقق الثورة الطبية الحقيقية ونمد نطاق العمل الصحى الى اعماق بلادنا التى ما زالت تفتقر الى الكثير منه •



رأى فى الحركة التعاونية الزراعية

كمال ابراهيم اباظة

تحظى الحركة التعاونية الزراعية ، فى بلادنا ، باهتمام ومتابعة الدارسين والرأى العام فى الريف المصرى . وذلك نظرا لمساتمثله من دور هـام فى التطور الاقتصادى والاجتماعى لمجتمعنا . وفى هذا المقال ،يعرض كمال ابراهيم اباظه ــ بالتدريب السياسى بلجنة النقابات العمالية ــ لوجهة نظره فى هذا الموضوع الهام .

يهدف مجتمعنا الى تحقيق واستكمال البناء الاشتراكى الذى يقضى على استغلال الانسان لاخيه الانسان . وذلك عن طريق بناء مجتمع صناعى زراعى متقدم ، يتصف بارتفاع الكفاية الانتاجية بالنسبة للفرد وتحقيق توزيع عادل للدخل القومى .

وبالقطع فان تحقيق هذا المجتمع مرهون وبالدرجة الاولى بمقدرة الشعب على صنع القاعدة المادية الصلبة التى يبنى عليها تقدمه وانطلاقه، والتى تمكنه من توسيع قاعدة ثروته الوطنية بحيث تستطيع الوفاء بالحقوق المشروعة لجماهير الشعب العاملة .

وهنا يبرز الدور الكبير الذى يلعبه القطاع الزراعى فى المساهمة التى يجب ان يقوم بها فى قضية التنمية فى مرحلة التحول الاشتراكى ، حيث انه يساهم بما تقدر قيمته بثلث الدخل القومى . فالتنمية تتضمن زيادة نسبة الانتاج الصناعى فى مجتمعنا ، ومعنى هذا فان القطاع الزراعى مطلوب منه أن يحقق الفائض الذى يمكن استخدامه من أجل الاستثمارات فى عملية التصنيع وهذا يتطلب :

أولا : زيادة انتاجية الارض الزراعية .
ثانيا : هذه الزيادة المرجوة فى قطاع الزراعة يجب الا يقابلها زيادة الاستهلاك فى القطاع الزراعى نفسه .

وهنا تبرز اهمية التعاون الزراعى ودوره وتأثيره لا فى القطاع الزراعى ومصالح الفلاحين فحسب ، وانما فى قضية المجتمع ككل : قضية التنمية .

ولقد كان طيبا من قيادة التنظيم السياسى ان تضع نصب أعينها هذه القضية الهامة التى تمس مصالح احد الركيزتين الهامتين لتحالف قوى الشعب ، فينبثق من اللجنة المركزية لجنة خاصة بالتعاون ، وهذا يجعل العبء الملقى على عاتق هذه اللجنة جسيما وضخما يتطلب منها الجهد الكبير من اجل السير بالحركة التعاونية الزراعية قدما ، كما انه يتطلب من كل من يمكنه المساهمة فى هذا المجال بدور ان يبادر بتوضيح فكره • وانطلاقا من هذا ساعرض لبعض جوانب الحركة التعاونية الزراعية فى مجتمعنا •

لقد انشئت الجمعيات التعاونية كأسلوب ثورى من اجل حماية مصالح المنتجين فى الريف وخاصة صغار الملاك الذين طالما وقعوا فريسة للاستغلال من قوى الاقطاع ومن ذيولهم من الوسطاء والمرابين • فكان الهدف من انشائها :

ـ ان تكون اداة تمويل للفلاح بتقديم السلفيات التى يحتاجها لاعداد ارضه للزراعة ، وخلاف ذلك بما تقدمه الجمعيات لجماهير الفلاحين •

ـ مد الفلاحين بمواد الزراعة على اساس مقررات طبقا للحيازة •

ـ المساعدة فى عملية التسويق ، حماية له من براثن المرابين والوسطاء •

ولكن •• من خلال التجربة العملية التى مر بها مجتمعنا الريفى مع الجمعيات التعاونية اتضح بجلاء انه لم ينشأ تعاون فى ريفنا ، وانما نشأت مؤسسات حكومية فى القرى باسم التعاون • فالرقابة الديمقراطية الشعبية عليها صعبة وغير قائمة • والرقابة الوحيدة المتوفرة الى حد ما هى الرقابة الادارية •

ومن هنا كان الفلاح يشعر تماما بأنه غريب عن هذا التنظيم التعاونى •• وأن هذه الجمعيات بكل مافيها لم ترق الى مستوى حقه وكده وجهده •• وقد يرى الانحراف ويقف منه موقفا سلبيا دونما مبادرة فى مواجهته •• والسبب ، هو احساسه بأن المال الموجود بهذه الجمعيات لا يخصه وان قدرته على المواجهة او لفت الانظار لا تقابل بالجدية المطلوبة •• فعلى الرغم من وجود مجلس ادارة للجمعية من الفلاحين الا انه كان تمثيلا شكليا فى غالبيته • اذ لايقام لرأيه اى وزن او اعتبار •

ووصلت الجمعيات الى حالة اصبحت لا تحتمل •• ومن خلال اللقاءات مع جماهير القرية •• اخذت تعلو الاصوات مطالبة بالتغيير الذى يجب ان يشمل عدة نواح :

اولا : قيادات الجمعيات التعاونية المتمثلة فى مجلس الادارة ، والتى اثبتت التجربة عدم صلاحيتها •

ثانيا : الجهاز الادارى الذى يفرض سيطرته على كل نواحى النشاط فى الجمعيات التعاونية والذى اثبتت الممارسة الفعلية فى الفترة الماضية عدم ايمانه بالتعاون •

ثالثا : ضرورة النظر فيما آل اليه الوضع بالجمعيات التعاونية نتيجة الاخطاء والانحرافات التى وقعت ، والتلاعب القائم فى حسابات الفلاحين •• دون رقيب او استجابة لنداء •

رابعا : وضع حد لهذا التضارب الذى يعانى منه الفلاحون من تعدد الاشراف على الجمعيات وتكون النتيجة ضياع حقوقهم دون معرفة المتسبب فى ذلك وتمييع المسئولية •

خامسا : ان التعاون الزراعى الى الان يحكمه اطار القانون ٣١٧ لسنة ١٩٥٦ الذى لا يتواءم مع طبيعة التعاون فى ظل المجتمع الاشتراكى •

واذا كانت أصوات جماهير فلاحينا علت لتنادى بضرورة التغيير فى المجالات السابقة الذكر ، فيجدر بنا أن نشير الى الاسباب التى أدت الى شلل حركة الجمعيات التعاونية الزراعية • ويرجع العجز الذى اصابها فى رأيى الى عدة نقاط هامة يمكن بلورتها فيما يلى :

ـ نقص الوعى التعاونى بين العاملين فى مجال التعاون الزراعى سواء كانوا اعضاء منتخبين فى مجلس الادارة او قائمين بالعمل فى المجال الفنى او الادارى •

ـ تدخل الاجهزة الادارية، بل وسيطرتها على اعمال مجلس الادارة مما افقده أى فاعلية على التحرك او المراقبة الشعبية •

ـ عدم تجديد مجلس الادارة لفترات طويلة ، الامر الذى يساعد على الانحراف لافتقاد المحاسبة الشعبية •

ـ انعدام عقد جمعيات عمومية لفترات طويلة فى كل مستويات التنظيم التعاونى التى كانت موجودة، فانعدمت الرقابة وانعدم الاحساس بالمسئولية •

ـ عدم ضبط حسابات الفلاحين •

وذلك راجع الى عدة عوامل :

(أ) التضارب القائم بين جهات الاشراف على الجمعيات التعاونية الزراعية وتعدد هذه

الجهات .. ويتضح ذلك فى المنافسة القائمة بين وزارة الزراعة وبنك التسليف الزراعى بالنسبة لتبعية الجمعيات رغم القرار الوزارى رقم ٥٠ لسنة ١٩٦٨ الخاص بتنظيم العمل فى الجمعيات التعاونية .

[ب] الطريقة التى يتم بها تقييد حسابات الفلاحين قبل استخدام البطاقة الزراعية المستحدثة .

[ج] الاسلوب الذى يتم مثلا فى توزيع تكاليف المقاومة على المساحات المنزرعة قطنا فى زمام الجمعية التعاونية .

● برغم سيطرة الاجهزة الادارية على نشاط الجمعيات فان المتابعة والتقييم والرقابة المستمرة لم تتوافر ، لدرجة احس معها الفلاحون بمدى انتشار الانحراف ، ورفعوا شكواهم ولا مجيب ، وعدم معاقبة المنحرفين ليكونوا عبرة لامثالهم .

● عدم فعالية العمل السياسى بالقرية ، وعدم قيامه بالدور المطلوب منه فى التوعية وادارة المناقشات بين جماهير القرية والتفاعل معها ، للتعرف على مشاكلها ومحاولة المساهمة بجهد فى حلها .

ومن هنا فانى ارى ان الحل لكل هذه المشاكل يكمن فى عدة اساسيات لابد وان تتوافر للحركة التعاونية الزراعية فى مجتمعنا ، ويمكن اجمالها فيما يلى :

- ان يشارك الفلاح بدرجة اكبر فى اموال الجمعية .

- تشجيع وحث الفلاحين على ممارسة الديمقراطية ومتطلباتها فى هذا المجال ، كضرورة عقد الجمعيات العمومية على مستوى القرى للمحاسبة .

- العمل على تمكين صغار الحائزين من السيطرة على الجمعية ومجلس ادارتها .

- تنشيط العمل السياسى فى القرية ليؤدى دوره فى قيادة جماهيرها .

وهذا يستلزم فى الحقيقة ، النظر فى بعض المواد التى احتواها قانون التعاون الجديد .

اولا : يجب ان ينص القانون الجديد على عقد الجمعية العمومية مرة كل ستة شهور لمحاسبة مجلس الادارة المنتخب وخصوصا بعد ان حددت مسئولية كل عضو بحوض زراعى ، ولكى يعرض الفلاحون المشاكل والعقبات التى واجهتهم فى هذه الفترة ويقترحون الحلول لهذه المشاكل لتكون امام نظر اعضاء مجلس الادارة .

ثانيا : لابد ان ينص القانون الجديد على كيفية سحب الثقة من مجلس الادارة ، او من احد اعضائه ، فى حالة ثبوت اى انحراف على سلوكه تجاه مصلحة جماهير الفلاحين .. بما يؤكد فعلا سيطرة الفلاحين على الجمعيات التعاونية .

ثالثا : بالنسبة لما ورد فى قانون التعاون الجديد من اشتراط الالمام بالقراءة والكتابة فى اعضاء مجلس الادارة .. فان هذا الشرط سيحول — فى رأيى — دون وصول الممثلين الحقيقيين الكادحين من ابناء القرية .. حيث ان واقع مجتمعنا يقول بان نسبة الامية بين جماهير فلاحينا تتعدى ٧٥ فى المائة وهذا يتطلب ضرورة الاعفاء من شرط القراءة والكتابة حتى نضمن تمثيل الفلاحين ، ثم وضع خطة قومية للقضاء على الامية فى مجتمعنا الريفى .

رابعا : كذلك بالنسبة لما ورد بالقانون الجديد من اشتراط وجود ٥٠ فى المائة فى المجلس من صغار الزراع الذين تقل ملكيتهم عن عشرة افدنة ، فان هذا الشرط يعنى ببساطة فتح باب الجمعيات التعاونية للطبقة الوسطى فى الريف لتسيطر وتدير دون أن تعبأ بمصالح الكادحين من الفلاحين والذين يمثلون حسب الاحصاءات ٩٣ فى المائة من الملاك (لا تزيد ملكيتهم عن خمسة افدنة) .. بالاضافة الى ما تشير اليه الدراسات للمديونيات المتراكمة على الفلاحين للجمعيات من ان اكثر من ٨٠ فى المائة من هذه المديونيات لدى كبار الملاك .

ولذا ينبغى الالتزام بالقانون القديم الذى كان ينص على تخصيص اربعة أخماس المقاعد لصغار الزراع ممن لا تزيد حيازتهم على خمسة افدنة .

خامسا : عدم السماح للعمد بالترشيح فى مجالس ادارة الجمعيات التعاونية أسوة بما حدث فى الاتحاد الاشتراكى حتى لا يستخدم وضعه كممثل للسلطة التنفيذية فى القرية للتأثير على مجلس الادارة والسير به وفقا للمصالح الشخصية والشللية .

سادسا : ضرورة الاسراع بتكوين الهرم التعاونى على اسس ديمقراطية إبتداء من قاعدته ، فتنشأ الجمعية المشتركة ثم المركزية او العامة ، فالاتحادات التعاونية تعبيرا عن روابط اقتصادية حقيقية قائمة بالفعل بين التعاونيات .

سابعا : ان يتم تحديد واضح لاختصاصات مجلس الادارة ، والجهات الفنية والادارية ، حتى تتمكن الحركة التعاونية من الانطلاق ، وتتخلص من التضارب الذى كان قائما بين جهات الاشراف المتعددة .

فالقانون الجديد لم يعالج ثغرة تعدد الاشراف اذ انه يفصل الاعمال الحسابية عن الاعمال الادارية والفنية فيخضع الاعمال الحسابية والكتابية وميزانية الجمعية والمخازن ، وكذلك كاتب الجمعية وامين المخازن لبنك التسليف الزراعى، وفى نفس الوقت يعتبر المشرف الزراعى رئيسا للجهاز الوظيفى بالجمعية ويتبع وزارة الزراعة • كما انه لم يحدد الدور القيادى لمجلس الادارة تحديدا قاطعا وواضحا، وترك السلطة الفعلية فى يد الجهاز الادارى •

ففى الوقت الذى يحدد فيه القانون الجديد مسئوليات اعضاء مجلس الادارة بالنص على ان يكون كل عضو فيه مسئولا عن حوض زراعى فى قريته بحيث يتناسب عدد الاعضاء مع عدد الاحواض ولتكون مسئوليته امام اخوانه المزارعين واضحة .. فمن الضرورى ان يقابل هذه المسئوليات سلطات واضحة المعالم •• تعطيهم القدرة على التحرك والقيام بهذه المسئوليات ومواجهة ما قد يعترض طريقهم من عقبات او مشاكل •

ولذا يجب حسم هذا الاشراف المتعدد •• فتعطى المسئولية كاملة للمشرف الزراعى مع تحديد دور قيادى واضح لمجلس الادارة، وتأكيد سلطته باحقية المساءلة لكل العاملين بالجمعية فيما يختص بمصالح الفلاحين ومشاكلهم فضلا عن ضرورة المحاسبة الدقيقة للنواحى المالية والحسابية بمعرفة الجهات الحكومية المختصة •

ثامنا : ضرورة وضع خطة مركزية لتدريب جميع العاملين فى قطاع التعاون الزراعى سواء اكانوا منتخبين او قائمين بالعمل الادارى والفنى •• تدريبا سياسيا تعاونيا، تتولاه وتشرف عليه وتضع برامجه لجنة التعاون المنبثقة عن اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى •

■■■



تعقيب على •• « الافتتاحية »

كتب **اسماعيل سراج الدين** - الذى يدرس بجامعة كامبريدج — رسالة يعقب فيها على افتتاحية عدد ابريل التى كتبها **لطفى الخولى** بعنوان « **جبهة عربية - يهودية عالمية •• ضد الامبريالية والعنصرية** » ، فيقول :

قرات باهتمام بالغ مقالكم ، وانا وان كنت احيى هذه النظرة التقدمية ، فاننى اشكو من عدم اطلاع الجماهير العربية على الوثائق الهامة التى تبين بوضوح ان هناك عناصر تقدمية اسرائيلية تحارب التيار الصهيونى العنصرى السائد • وعلى رأس هذه القائمة المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، وجريدتها « البوصلة Matzpen » فهذه المنظمة اليسارية طرحت حلولا تقدمية للمشكلة ، ونشرت عدة بيانات سياسية فى غاية الاهمية • وباختصار ، تتلخص آراؤها فى ان الحل السليم للوضع فى الشرق الاوسط هو :

١ — انهاء النظام الصهيونى — العنصرى فى اسرائيل

٢ — السماح لكل الفلسطينيين بالعودة ، واعادة تكوين دولة اشتراكية فى حدود فلسطين القديمة •

٣ — اشتراك هذه الدولة مع النظم التقدمية العربية فى توحيد الشرق الاوسط المشتت فى دولة اشتراكية تقدمية من المحيط الى الخليج ، تحارب كل التدخلات الامبريالية •

ان اهمية نشر هذه المعلومات ، هو للمحافظة على التفرقة الواجبة بين اليهودية والصهيونية ، والا ساهمت الصحافة العربية ـ بسكوتها ـ فى خلق جو من العنصرية بين الجماهير العربية .

واذا تعثر الحصول على هذه الوثائق فى مكتبة مركز الدراسات الفلسطينية ، فيمكن الحصول عليها من اى من الدول الاخرى .

ارجو ان تتأكدوا من اننى لست اوجه نقدا لمجرد النقد ، ولكن لايمانى العميق بفكرة المحافظة على الحركة العربية التقدمية بعيدا عن غبار العنصرية .

●

مؤامرات بريطانيا ضد الحزب الوطنى

جاءنا من رابح **لطفى جمعة** ـ **رئيس** نيابة بمكتب النائب العام ـ التعقيب التالى حول وثائق مؤتمر الحزب الوطنى الذى عقد فى بروكسل عام ١٩١٠ ، والتى تنشرها الطليعة ابتداء من العدد الماضى :

نشرت مجلة الطليعة فى عددها الصادر فى ابريل سنة ١٩٦٩ فى بابها الشيق « وثائق » محاضر جلسات المؤتمر المصرى الوطنى الذى انعقد فى بروكسل سنة ١٩١٠ .وقد جاء فى خطاب محمد فريد بجلسة افتتاح هذا المؤتمر يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩١٠ قوله :

« اشكر بشكل خاص هذه الامة التى فتحت ابوابها لابناء الشعوب المقهورة، واستقبلتنا بأذرع مفتوحة ، الى هذه الامة البلجيكية الصغيرة العدد ، ولكن العظيمة الروح ، النبيلة القلب .. ان الامة البلجيكية تستحق منا عرفانا ابديا بالجميل، بقدر ما ابدتنحوها من استقبال اخوى، بعد العمل الذى اقدمت عليه الحكومة الفرنسية ، التى رأت ان من مصلحتها منع انعقاد مؤتمرنا فى بلادها ، مخالفة بذلك تقاليدها الكريمة ... »

ولعله ان يكون من المفيد لتاريخ حركتنا الوطنية الذى تأخذ « الطليعة » على عاتقها تسجيل بعض أحداثه ـ أن نتحدث عن العمل الذى أقدمت عليه الحكومة الفرنسية حينذاك لمنع انعقاد المؤتمر الوطنى فى بلادها ، وأن نلقى بعض الاضواء على الظروف التى لابست انعقاد ذلك المؤتمر حتى تكتمل أمامنا الصورة مستعينين فى ذلك بما سجله فى مذكراته السياسية محمد لطفى جمعه الذى كان سكرتيرا للمؤتمر ، والقى فيه خطابا عن « وجوب حياد مصر حيادا دوليا احتراما لقناة السويس » كما شارك فى أعمال المؤتمر كما هو ثابت بمحاضر جلساته التى تنشرها الطليعة .

ونود قبل ذلك أن نشير الى ان الحزب الوطنى قد عقد ثلاثة مؤتمرات سياسية لخدمة القضية الوطنية، ومناقشة مشكلات مصر من جميع نواحيها ،واول هذه المؤتمرات انعقد فى جنيف سنة ١٩٠٩، والثانى فى بروكسل سنة ١٩١٠ ـ وهو ما تنشر الطليعة محاضر جلساته ـ والثالث فى باريس سنة ١٩١١ .

وقد اسهم **لطفى جمعة** فى جميع هذه المؤتمرات ودعا اليها فى كبرى الصحف الفرنسية والانجليزية ـ كما طبع منشورا لارساله لاكابر النواب والكتاب فى انجلترا، وسافر الى لندن حيث قابل **توم كيتل** العضو الايرلندى فى مجلس العموم البريطانى ، وتعرف ببعض الاعضاء من الايرلنديين امثال **ريموند وديلون وهازلتون** وبعض اعضاء حزب الاحرار ، كما قابل **كير هاردى** زعيم حزب العمال ومؤسسه ،**ورمزى ماكدونالد** سكرتير الحزب **وبارنز** احد اعضائه، **والمستر ويلفريد بلنت** وغيرهم، ودعاهم جميعا للحضور الى المؤتمر الوطنى الاول الذى انعقد فى جنيف سنة ١٩٠٩ والمشاركة فى أعماله .

وقد سجل لطفى جمعة أعمال هذا المؤتمر الاول فى مذكراته السياسية كما سجلها فى كتاب مخطوط استولت عليه السلطات الانجليزية للاسف الشديد عندما دهمت منزله بالقاهرة سنة ١٩١٦ ضمن ما استولت عليه من أوراق ووثائق ومخطوطات وخطابات ، لقد كان هذا المخطوط كما يقول لطفى جمعة فى مذكراته السياسية « وثيقة ثمينة حقا » وكان يجب على ان اخفيه عن الاعين اوابادر بطبعه بعد عودتى من اوربا مباشرة، ولكن المال كان يعوزنى وكان على الحزب الوطنى أن يتولى نشره ، ولكن أعمال المؤتمر وأعمالى خاصة مودعة بطون الصحف والمجلات ، ولاسيما أمهات الجرائد الانجليزية كجريدة التيمز والديلى تلغراف والديلى نيوز وليبور ليدز ، وجرائد ايرلندا ومصر والهند .

ولنعد الى مطاردة السلطات البريطانية للمؤتمر الوطنى الثانى الذى انعقد فى بروكسل سنة ١٩١٠ وحرصت حليفتها فرنسا على منع عقده فى باريس.

يروى لطفى جمعة فى مذكراته السياسية عن ظروف منع الحكومة الفرنسية انعقاد هذا المؤتمر بباريس فيقول « بلغت باريس .. ونزلت بشارع

فوجيرار رقم ٣٢ فى غرفة علوية عتشة كهلة مترملة .. وبعد وصولى واستقرارى قصدت الى العنوان المكتوب لى وهو « فاميلى هاوس » على قيد خطوات من بالاس اوتيل (ميدان الكوكب بشانزليزيه) وهو خان أقرب الى الفندق منه الى المثوى العائلى « بنسيون دى فامى » وصعدت الى الدرج وكان أول من لقيت وجه امرأة دميمة زرقاء صفراء هزيلة اسمها الانسة دى روشيرون ، وهى نفسها التى كانتتكاتبنى منذ سنة تطلبمنى مقالة فى مجلة تزمع اصدارها نجدة للمسألة المصرية . وقد بعثت اليها فعلا بمقالة عن الثورة العرابية وعن جهاد مصطفى كامل.كانت تلك المرأة تعمل كاتمة أسرار لجنة المؤتمر الوطنى الثانى فى باريس عينها فى هذه الوظيفة محمد فريد بك رئيس الحزب الوطنى بعد أن سعت للتعرف اليه منذ أشهر .

قابلت هذه المرأة وحدها تدق على الالة الطابعة فى الغسق وكنت أظن ساقابل فريد بك والدكتور منصور رفعت والدكتور عثمان غالب باشا عميد الوطنية المصرية فى باريس ، وحامد العلايلى . فانقبض صدرى عندما رأيت وجه تلك البنت .. فلما عرفتها بنفسى تظاهرت بالفرح بهذا اللقاء المفاجىء وأخذت تثرثر بلسان ذرب ونطق فسيح وعبارة بليغة ضاعت كلها محجوبة بتلك الدمامة .. فسمعت اليها على مضض ، فوعيت من أقوالها أنها تتكلم عن الزعيم الوطنى فريد ... وتسالنى لماذا لم أحضر متاعى وأين نزلت وكيف أصنع لاحضر جلسات اللجنة وأنا سكرتيرها وأنها سكرتيرة مساعدة لى ...

وفى تمام الساعة السابعة قصدت الى فاميلى هاوس فوجدت الحفل حاشدا بالسادة والاعيان وقد حضروا لتناول العشاء .. وفى تلك الليلة الاولى رأيت فريد بك وعشرات من البكوات الذين هاجروا من مصر جماعات وأفرادا ليساهموا فى خدمة الوطن وبينهم الدكتور محجوب ثابت والاستاذ حسين هيكل ... وفى هذه الجلسة العشائية عرض على فريد بك والح أن أنزل معهم بالخان لانه اقرب الى واجدى لاننى اكون ضيفا على الجماعة فاعتذرت بأننى الفت النزول بأحياء الطلبة مادمت طالبا وأننى أستمتع بخلوة عذبة وأننى طول اليوم أكون فى صحبتهم أعمل معهم وأننى لا أستطيع الطعام معهم لاننى اتبع تدبيرا طبيا وحميةغذائية فقبلعذرى ،واعفانى ثمافترقنا وعدت الى ركنى السعيد فى شارع فوجيرار على أن أعود فى الصباح الباكر لنبدأ العمل .

وفى اليوم التالىقابلتفؤاد حسيب،وكان كاتبا بالفرنسية وانضم الى المصريين يكتب فى الصحف الفرنسية ورأيت عمدا ومشايخ ولقيت المرحوم شفيق منصور وكان حديثالعهد بالنجاة منقضية الوردانى ؟ كما لقيت كثرة أخرى من المشبوهين المندسين رسل فيلبيدس وهارفى باشا ..

فلما خاطب بعض المخلصين فريد بك فى أمرهم ضحك وقال « ياإخوانى لا تظهروا علمكم بأمرهم فأولا نحن نستفيد من أموالهم التى يدفعونها بمثابة اشتراك وثانيا ليس عندنا أسرار نخشى عليها واننا لو اظهرنا اهتمامنا بهم لبلغوا امانيهم عند سادتهم وكادوا لنا كيدا ، ثم اتجه الى وقال : يالطفى دع الخلق للخالق والله منتقم جبار ، فقلت له : ياسعادة البيك انا لا يهمنى هذا الامر لاننى لست موظفا ولا غنيا ، ولا مليونيرا لاخشى عواقب تجسسهم ، وما دمت انت ترى هذا الرأى فالقول لك ..

وفى هذه الايام رأيت الاستاذ محمد حسين هيكل وكان يطلب الدكتوراه . وكان يقابلنا ونتحدث ونسير معه . ولقيت شفيق منصور وكان حديثالانضمام الى الحزبالوطنى، وحديثالنجاة من تهمة الاشتراك فى اغتيال بطرس غالى باشا، وعلمت أن الحكومة المصرية أرسلت لفيفا من المصريين الموظفين والعاملين،وجعلتهم جواسيس على لجنة المؤتمر وتظاهروا بأنهم وطنيون لاول مرة فى حياتهم ، كذلك ارسل الانجليز جواسيس من الرجال والنساء وكذلك حكومة فرنسا .

وكان رئيس الوزارة اريستيد بريان ثبت علينا العيون والارصاد ولا سيما عزيزة دى روشيرون وجاء الينا عنصرجديد منالرجال والنساء،وهؤلاء هم الهنود المقيمون فى باريس تحت رياسة السيدة الفاضلة طيبة الذكر والاثر الوطنية المخلصة مدام كاما وكانت تقيم على بعد امتار من فاميلى هاوس ويعيش فى كنفها رهط من الوطنيين الهنود امثال هارديال وتشاتوبا دايا وأكبرهم سافا ركار الذى فر من لندن عقب اغتيال سير كرزون وايلى رأس الجاسوسية الانجليزية على طلاب الهنود الذى قتله دنجرا الشهير ، وسجن الشيخ جاويش بسبب تمجيده بمقال فى اللواء بعنوان « اليوم يعدم دنجرا » . كنت أقسم وقتى بين مؤتمرنا فى فاميلى هاوس وبين مجامع الهنود . ورأيت مدام كاما تتاهب للحضور معنا محفوفة بعشرات الشبان والفتيات وقد اعدت خطابا لالقائه فى المؤتمر . وكتبت باسم فريد بك خطابا مطولا الى مستر بلنت فاجاب بمكتوب طويل الى فريد بك بوصفهرئيس المؤتمر ومعهخطابجليلباللغة الفرنسية،واشترط أن أتولى تلاوته وهذا الخطاب نشر بالعربية فى مصر مرارا وكل ما تكهن به بلنت فى خطابه عن سياسة الانجليز الاستعمارية ومسالكهم الملتوية وخططهم الجهنمية قد تحقق كأنه كان يقرأ فى كتاب مبسوط ، وعملنا واشتغلنا وتعبنا اياما وليالى واتصلت بالصحافة وكافة الاوساط السياسية

وحضر الينا من انجلترا مستر كيرهاردي زعيم حزب العمال ومؤسسه ، وكانت خطتنا ان نعقد المؤتمر فى أيام ثلاثة ١٤ ، ١٥ ، ١٦ سبتمبر وهى أيام الاحتلال البريطانى بعد موقعة التل الكبير .
وفى الاسبوع الاخير وقبل الموعد المحدد تفاقمت حوادث التجسس حولنا وظهر لنا للاسف أن عزيزة روشيرون فى مقدمة الجواسيس. وفى ١٠ سبتمبر وصلت دعوة باسم فريد بك وأخرى باسمى لمقابلة وزير الداخلية مسيوبريان بقصر وزارة الداخلية فذهبنا ومعنا حامد العلايلى، وقابلنا رئيس مكتب الوزير ، فمهد الى الحديث بأن انجلترا تنظر الى مؤتمرنا بعين السخط وان حكومة فرنسا متحالفة مع بريطانيا منذ ١٩٠٤ وان الاحوال الدولية متحرجة وانا احسنا صنعا فى العام الماضى أن عقدنا مؤتمرنا بمدينة جنيف وهى جمهورية حرة محايدة فاجبناه ورددنا حججه فقال : ان خلاص المسألة فى يد موسيو بريان. ودعانا الى مقابلته ..

كان بريان فى أول الامر هاشا باشا ثم تغير وقال :

ـ انت طالب بكلية الحقوق فى ليون وتعلم آن القانون لا يبيح لك الاشتغال بالسياسة . فقلت له ، نعم ولكننى لا اشتغل بسياسة فرنسا، ولكن بسياسة وطنى، وفرنسا وطن ثان لكل ضيف، وهى ام الحرية وحقوق الانسان . وتكلم فريد بك بعبارات بليغة فقال بريان : لاجل هذه الاسباب كلها أنصح لكم ان تعقدوا مؤتمركم خارج فرنسا وليكن فى سويسرا أو فى امارة لكسمبرج لاننا لا نود أن نصدر أمرا بطردكم من فرنسا [كذا] ، واذا صدر هذا الامر تحرمون من الدخول وتقعون تحت مراقبة الشرطة السرية ..

فقلت له : ان فرنسا لا تفعل هذا لاننا دعونا

عشرات من أعضاء البرلمان الفرنسى والرايشتاج الالمانى والبرلمان الانجليزى وامليت عليه اسماءهم

وقلت ان هؤلاء اذا صدر قرار نفينا يقدمون استجوابات بشأنه ، على اننا مسالمون ، ولا يزيد عملنا فى المؤتمر عن الخطابة والكتابة فى حدود للقانون ...

فاعتدل الرجل وقال :

ـ على الرغم من هذا فاننى لا أريد أن أصدر قرارا بطردكم ولا أريد أن يعقد مؤتمركم عندنا وأنصح لكم بمغادرة البلاد بطريق المودة ..

فأشار لى فريد بك اشارة فهمت منها أن لا فائدة من مناقشة هذا الرجل : ثم قال له : وكيف يمكننا الان أن ننتقل بقضنا وقضيضنا الى بلد آخر ونغير خططنا وقد أزف الوقت واتخذنا أهبتنا فى هذه العاصمة .

قال بريان : الحقيقة اننى بذلت جهودا كثيرة لاستبقيكم ولم أتمكن .

فنهض فريد بك ونهضنا ونهض بريان لتوديعنا فقلت له مبتسما :

ـ لم أكن أظن ياسيدى الوزير الاكبر ورئيس المجلس أن كلمة دولة كائنة من كانت تكون هى العليا فى باريس وانا اقصد ان انجلترا تحكمت فيهم الى هذه الدرجة .

فقال الرجل : ماذا تريد ان تقول ؟

فقال فريد بك : انت ونحن رجال قانون، ونعد افراد اسرة واحدة وانا اؤكد لكم اننا رأينا جواسيس من دولة اجنبية يحيطون بنا ، ويتبعون خطواتنا فى كل مكان .

فابتسم بريان ابتسامة صفراء .. وقال :
ـ ان الاوهام ياسيدى تجعلكم ترون الانجليز فى كل مكان .

فقال فريد بك :

ـ سواء كانت أوهاما أو حقائق فقد لمسناهم فى باريس ، وتظاهرنا كلنا بالضحك لننقذ هذا الموقف الاليم .

وخرجنا نجر أذيال الاسف والندم على أننا وثقنا بدولة يحكمها الانجليز واجتمعنا وتحرينا أن لا يكون بيننا ذو ريبة حتى لا يذيع سر هذه الخيبة وبحثنا وتناقشنا واستعرضنا كل الممكنات والمستحيلات والمدن والدول التى نستطيع الالتجاء اليها قبل ان يعرف الامر ويشمت بنا الانجليز أو يلجاون الى دسيسة أخرى ، فابدى المرحوم أحمد وفيق اسم بروكسيل وكان فيها معرض دولى فوافقنا على اختيارها، وقررنا ايفاده فى فجر اليوم التالي ليهيىء لنا مكانا وجوا للاجتماع فيه بعد ثلاثة أيام .

وقضينا الايام والليالى الباقية فى فضيحة فرنسا باعلانات الجدران وتوزيع منشورات بالايدى ، وفى التظلم الى الصحافة وبذلنا جهودا جبارة فى لم شعثنا. وقد وفق الله احمد وفيق فى اتخاذ مكان فسيح بديع فى قلب العاصمة البلجيكية وحجز ثلاث طبقات فى فندق كبير وكانت بروكسيل مزدحمة جدا بسبب المعرض الدولى . وقد أراد الله أن يعقد المؤتمر الوطنى المصرى الثانى فى نفس موعده تقريبا الذى كان محددا الايقاده فى باريس

وقد حضر اليه كل المدعوين والاعوان والانصار وقد ابلغناهم الدعوة فى وقتها المناسب ، وعددنا هذا العمل نصرا من الله ٠

●

نشرة « لجنة انقاذ القدس »

جاءنا من « **لجنة انقاذ القدس** » ـ عمان (الاردن) ـ عدد مارس من النشرة التى تصدرها مرة كل شهر وتعرض فيها الاحداث المتعلقة بمقاومة ابناء القدس والاراضى المحتلة ضد سلطات الارهاب الاسرائيلية ٠

وبعد ان تعرض النشرة للمؤتمر الصحفى الذى عقده بعض الزعماء الوطنيين الاردنيين والفلسطينيين وفى مقدمتهم السيد سليمان النابلسى ، تنقل انباء مظاهرة الاحتجاج التى قامت فى القدس احتجاجا على وفاة قاسم ابو عسكر داخل السجن بعد مضى اسبوع على اعتقال السلطات الاسرائيلية له ٠

وفى الصفحة الثانية للنشرة ، تنقل صورة للمعاملة التى يلقاها ٤١٣ مناضلا سياسيا عربيا فى سجن نابلس ، مما اضطرهم الى الاضراب عن الطعام لمدة ٦ ايام « مطالبين بتحسين معاملتهم » ٠ وعن مجلة المرصاد الاسرائيلية (عدد ٩ يناير ١٩٦٩) تنقل نشرة « **لجنة انقاذ القدس** » نص النبأ التالى « نتيجة للصدامات على خط وقف اطلاق النار واعمال الفدائيين ، بلغ عدد الضحايا من الاسرائيليين منذ حرب حزيران سنة ١٩٦٧ حتى اليوم ٢٨١ قتيلا و ١١١٥ جريحا فى ١٢٨٨ حادثة منها ٣٩ فى مدينة القدس و ١٣٠ فى قطاع غزة » ٠

وفى الصفحة الخامسة من النشرة ، عرض لمرافعة هيئة الدفاع المكونة من : المحامية الاسرائيلية فولا لانغر والمحامين عبد الحفيظ درادشة ووليد صلاح وعلى رافع ، وذلك امام المحكمة العسكرية الاسرائيلية ضد المناضلين العرب : احمد الهدهد ومسعود زعيتر وربحى حداد ويعقوب دوانى ، بتهمة الانتماء لحركة المقاومة العربية وحمل السلاح ٠ وقد اعترضت هيئة الدفاع على صلاحية المحكمة « لان الموكلين مواطنون فى المملكة الاردنية الهاشمية » . كما ان « الانظمة غير الشرعية فى نظر الاحتلال هى شرعية فى نظر المتهمين ٠٠ » وحمل السلاح المحظور على سكان المناطق المحتلة ، هو واجب وفرض على السكان اياهم حسب قوانين الدولة التى ينتمون اليها فى هذه الظروف بالذات » .

وفى الصفحة الاخيرة من النشرة ، تقدم « لجنة انقاذ القدس » الى الرأى العام العالمى نماذج لاسلوب السلطات المحتلة الاسرائيلية فى ترحيل المواطنين فى الضفة الغربية ، وقطاع غزة مستخدمة شتى اساليب الارهاب والبطش » ٠ وتناشد اللجنة فى نهاية هذا العرض ، الرأى العام العالمى بهيئاته وقادة الرأى الحرفية « ان يساعد على فضح الاساليب البربرية التى تلجأ اليها قوات الغزو العنصرية فى معاملة اصحاب البلاد ، ويظهر اسرائيل على حقيقتها كدولة قامت على الغضب والعدوان » ٠

ولاشك ان الدور النضالى الذى تلعبه نشرة لجنة انقاذ القدس ، جدير بتقدير كل الوطنيين والشرفاء سواء فى الوطن العربى او خارجه ٠

دعم الكفاح المسلح

وبناء جبهة شعبية ثورية

جاءنا من الحزب الشيوعى الاردنى ، بيانا يقول فيه : العشرون عاما ونيفا التى انقضت على المؤامرة الاستعمارية ـ الصهيونية وعلى الشعب العربى الفلسطينى بكل ما انطوت عليه من ظلم واغتصاب وتقتيل وتشرد وعذاب ، لم تقض على روح الشعب العربى الفلسطينى الكفاحية ولا على ارادته الفولاذية وتصميمه الراسخ على استرداد حقوقه المغتصبة ٠ وقد جاء العدوان الاسرائيلى الغادر فى حزيران ١٩٦٧ ففجر الحقد المقدس لهذا الشعب العريق فى الكفاح والهب نضاله البطولى ضد الغزاة الفاشيست ٠

ان الانتفاضة الشعبية البطولية وتنامى المقاومة المسلحة اللتين تجريان على ارض ـ فلسطين فى قطاع غزة والضفة الغربية ـ وآيات البطولة والتضحية والصمود التى تبديها الجماهير فى تحدى الغزاة ومقاومة احتلالهم الاسود واساليبهم الوحشية ، كل ذلك يقدم ادلة ساطعة على ارادة الشعب العربى الفلسطينى التى لاتقهر وعلى عدالة قضيته ونبل اهدافه ٠

لقد تجاوزت الجماهير الشعبية فى الاراضى المحتلة مرحلة الخيبة المريرة والذهول والحيرة التى سببتها لها الهزيمة المفاجئة التى لحقت بالجيوش العربية والانتكاسة المريرة التى نجمت عنها ، كما ان الجماهير الشعبية وقواها الوطنية والتقدمية فى الاراضى المحتلة قد نفضت عنها كل المآسى وروح التمزق التى خلقتها لها اساليب الحكم التعسفى التى كانت سائدة ما قبل الاحتلال الاسرائيلى البغيض ، تلك الاساليب التى كان سداها ولحمتها كبت حريات الشعب وهدر كرامته .

ان نضال الجماهير الشعبية فى الاراضى المحتلة يدخل فى الوقت الراهن مرحلة جديدة ، وهى تتميز باسترداد الجماهير ثقتها بنفسها واخذها قضيتها بأيديها ، وبتنامى استعدادها للبذل والتضحية وتصميمها على مواصلة النضال الذى لاهوادة فيه بمختلف الاشكال لطرد الغزاة بما فى ذلك العمل المسلح الذى اخذت بوادر الاستعداد لتقبله وممارسته تتشابك وتمتزج مع اشكال النضالات الاخرى .

ان نضال الجماهير الشعبية فى الاراضى المحتلة يرتفع فى الوقت الراهن الى مستوى اعلى ، من ناحية عمقه واتساعه وتطور اشكاله واساليبه الكفاحية . وتتطلب هذه المرحلة الجديدة من جميع القوى الوطنية والتقدمية دفع خلافاتها الى المؤخرة والعمل بجد واخلاص على وحدة صفوفها وتلاحم قواها فى مجرى مقاومة الاحتلال وطغيانه ومخططاته الالحاقية والتوسعية والاستعبادية .

ومما لاشك فيه ان وحدة القوى الوطنية والتقدمية والتحامها بالجماهير واستيعاب تجاربها والاهتمام الجدى بمبادراتها يضع على عاتق هذه القوى مهمة اكتشاف اشكال واساليب تنظيم ونضال ملائمة لظروف وامكانيات المرحلة الجديدة لتطوير المقاومة بجميع اشكالها ، بما فى ذلك حماية المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها ، والعمل الجاد لجذبه اوسع الجماهير الشعبية فى المدن والريف الى ميدان المعركة مع العدو المحتل لارغامه على التراجع والانسحاب .

ان جميع الظروف آخذة فى النضوج لاقامة جبهة شعبية ثورية تضم فى الاساس ممثلين عن الاحزاب والمنظمات الثورية التى تمثل العمال والفلاحين ومختلف فئات الكادحين والطلاب والمثقفين الثوريين ، تكون مؤهلة لقيادة الجماهير الشعبية فى الاراضى المحتلة بشكل واع ، وتعمل على رفع مستوى الجماهير السياسى والكفاحى وتغرس فيها روح التنظيم وتطور كفاحها ؛ وتتولى انشاء منظمات للمقاومة فى احياء المدن والمعاهد الدراسية واماكن العمل وفى القرى .

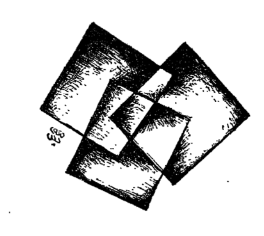
ان تعاظم النضال فى الاراضى المحتلة ودخوله فى مرحلة جديدة يستدعى لقاء جميع الاحزاب والقوى الثورية والمنظمات الفدائية فى الضفة الشرقية لتكون جبهة شعبية ثورية الى جانب التجمع الوطنى ، تكون مهمتها دعم المقاومة فى الاراضى المحتلة وتقديم العون المادى والمعنوى لها ، وتنسق العمل بين قطاعى المقاومة فى الاراضى المحتلة والضفة الشرقية .

واذا كانت الجماهير الشعبية الفلسطينية فى الاراضى المحتلة انما تناضل لتصفية الاحتلال الاسرائيلى كهدف مباشر فى الوقت الراهن فهذا لايعنى ابدا تنازلها عن حقوقها المغتصبة . فللشعب العربى الفلسطينى قضيته العادلة وحقوقه المشروعة التى نصت عليها قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالقضية الفلسطينية . والتى تتضمن حق الشعب العربى الفلسطينى فى استرداد حقوقه التى تغتصبها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وعودة اللاجئين الى اراضيهم وديارهم ، وحقه فى تقرير مصيره بحرية تامة .

ومما لاشك فيه ان تصفية الاحتلال الاسرائيلى ستفتح الطريق لمواصلة النضال لحل القضية الفلسطينية حلا عادلا لصلحة الشعب العربى الفلسطينى وحركة التحرر العربية .

ان القضية الفلسطينية تطرح الان نفسها بقوة كجزء من حركة التحرر العربية ومن قضية النضال العالمى التحررى ضد الامبريالية . وكلما كان طرح هذه القضية سليما وواقعيا كلما اكتسب نضال الشعب العربى الفلسطينى وحركة التحرر العربية قوة اكبر وانصارا اكثر فى الجبهة العالمية المعادية للامبريالية . وبخاصة لدى قوى التحرر والتقدم والاشتراكية فى العالم .

أواسط آذار ١٩٦٩.



وثائق



وثيقة سياسية

محاضر جلسات الحزب الوطنى المصرى عام ١٩١٠

١٦

أعمال مؤتمر الحزب الوطنى المنعقد فى بروكسل عام ١٩١٠

تواصل « الطليعة » نشر وثائق مؤتمر الحزب الوطنى (بروكسل ١٩١٠) .

فتقدم فى هذا العدد محضر الجلسة الرابعه للمؤتمر والخطاب العام الذى وجهه بلنت الى المؤتمر .

ويتضمن محضر الجلسة الرابعة موضوعات هامة تحدد بالدقة حقيقة موقف الحزب الوطنى وعمل محمد فريد على تقديم صورة معتدلة للحزب ، يحاول فيها ان ينفى عن الحزب « تهمة » الثورية ، مؤكدا ان الحزب حزب سلمى تماما ، ولا يود الوصول الى اهدافه الا بالوسائل المشروعة .

وأيا كان الهدف الحقيقى لكلمات كهذه الا انها تستطيع أن تعطى للقارىء والباحث صورة واقعية للظروف التى عاشها الحزب وقادته فى ذلك الحين ..

كذلك فان سيل برقيات ورسائل التأييد التى انهالت على المؤتمر من مختلف الاتجاهات الوطنية والاشتراكية فى عديد من بلدان العالم لتوضح النجاح الذى حققه الحزب تحت قيادة محمد فريد فى الاقتراب من حركة التحـــرر العالمية المعادية للاســتعمار ، ومن الحـــركة الاشتراكية ومحاولة كسب تأييدها للقضية المصرية .

■■■



السبت ٢٤ سبتمبر صباحا فتحت الجلسة فى الساعة العاشرة برئاسة السيد / محمد فريد

السيد الرئيس : فتحت الجلسة ، لقد قررت اللجنة بالامس تعيين **عبد الحميد بك عمار** عضو مجلس النواب المصرى رئيسا فخريا للمؤتمر (تصفيق) وأدعوه ليأخذ مكانه على المنصة .

يتكلم عبد الحميد بك عمار بالعربية (تصفيق حاد)

السيد لطفى جمعة : المتكلم عضو مجلس النواب المصرى يشكر المؤتمر لاختياره رئيسا فخريا ويقدم له بعض النصائح .

وهو يعتقد أن أفضل شىء بالنسبة لمصر فى الوقت الحالى هو الاستمرار فى التحرك الدستورى والكفاح السلمى من أجل الحرية ، ذلك الكفاح الذى ينبغى أن يتصف بالاستمرار لضمان المقاومة الدائمة . ان أفضل شىء أن تتوفر لنا قوة الشخصية والاعتماد على الارادة الالهية ، فذلك كفيل بزيادة عدد الاحرار فى جميع أنحاء البلاد من أمثال السيد كير هاردى ، لان وجود الاحرار والفكر الحر سيساعد يوما ما على شروق شمس الحرية على العالم كله وعلى انتشار الفكرة العالمية (تصفيق)

السيد الرئيس : أدعو النائب البروسى هوبلمان ليرأس هذه الجلسة (تصفيق)

السيد هوبلمان : سيداتى سادتى اسمحوا لى أولا أن أشكركم على الشرف الكبير الذى أوليتمونى اياه باسناد رئاسة هذه الجلسة الى .

وأصدقكم القول اننى دهشت لذلك لاننى جئت الى هنا لاتعلم وأصغى واستزيد علما لا لاتولى أعمال القيادة، واذا كنتقد قبلت ذلك فلاننى أعتقد انكم تودون باختيارى رئيسا أن تكرموا وطنى وشعبى (تصفيق) اذ أعتقد ، كما أنكم مقتنعون ، بأنه يعطف دوما على المدافعين عن حقوقهم وحريتهم (تصفيق)

ولا أريد أن أرفض هذا الشرف لانى اعتدت كأستاذ للقانون على مواجهة كل المسائل من وجهة نظر القانون والعدل ، ولا يمكن انكار أن القانون يقف الى جواركم فى القضايا التى تناقشونها هنا وانه بهذا المعنى ووفقه أقبل ذلك الشرف الذى اوليتمونى اياه وأشكركم (تصفيق)

السيد محمد فريد : قبل أن نبدأ عملنا أعرفكم اننى تسلمت أخيرا برقية من الطلبة المصريين فى استانبول تتضمن تهنئة يقولون فيها أنهم يشاركوننا آمالنا وأعمالنا (تصفيق)

السيد الرئيس : الكلمة الان للسيد طه العبد .

يلقى السيد طه العبد كلمته بالانجليزية .

وتكلم السيد طه العبد عن الوضع الحالى للعامل المصرى وخاصة الحالة الراهنة للفلاح . وقال ان البلاد تعانى من هذا الوضع معاناة ضخمة ، فالانجليز لم يفعلوا شيئا واذا كانوا قد أنقذوا المصرى من يد المرابى ، فانهم أسلموه الى أيدى مراب آخر أكثر جشعا وأخطر شأنا ، ألا وهو الاحتلال نفسه وهو مصاص دماء .

ان الحضارة الانجليزية فى مصر تقدم لنا المثل عن السرقة المستترة خلف الشكل السياسى . ان المصرى يتهم بأنه غير مؤهل لممارسة الحكم ، لكن ذلك غير صحيح ، لانه لا توجد شروط للحرية ، التى هى حق طبيعى (تصفيق) .

السيد الرئيس : باب المناقشة مفتوح • ولا ينبغى أن يستغرق اى متكلم أكثر من ٥ دقائق ، بسبب ضيق الوقت ، ألا يطلب احد الكلمة ؟ « اذن سننتقل الى بقية جدول الاعمال •

السيد محمد فريد : لقد وصلتنا توا برقيتين من مصر ، الاولى من مديرية « بنى سويف » ، تقول :

« موقف فرنسا أغضبنا ـ نشاركم بكل قلوبنا فى كفاحكم الشريف »

والثانية من مديرية « شكير »

« أساءنا موقف فرنسا ، نشارككم عواطفكم المخلصة نحو الوطن » • (استحسان من الحاضرين) (١) •

ووصلتنى توا رسالة من السيد دوفيز النائب الفرنسى عن منطقة « جارد » يعتذر فيها عن عدم استطاعته الحضور الى المؤتمر ويمنحنا تأييده •

ووصلتنا أيضا برقية من مكان آخر ، من السيد كريشنا فارما أود أن نتناولها فى هدوء •

« باريس ٤٤٩١٦ـ٤٨ ـ ٢٢ ـ الساعة ١٣ر٣٥ » •

« أتمنى للمؤتمر النجاح ، من كل قلبى ، لتعاطفى العميق مع أهدافه ، وباعتباره ذكرى للشهيد الوردانى ، وأقدم ألف فرنك جائزة لبحث يقدم فى موضوع أفضل السبل لتحرير مصر من حكم النهب البريطانى ، عدو الهند ومصر معا »

« كريشنا فارما • ناشر وعالم اجتماعى هندى » •

ولكن هذه البرقية مكتوبة بطريقة ثورية جدا ، وهى تتعرض بالذكر لقضية الوردانى التى أدناها جميعا • وانا لا أود التعليق عليها ، ولكن الذى أرسلها ، نشرها فى صحيفة « الايمانيتيه » (٢) وفى بعض الصحف الانجليزية •

وذلك يضطرنا الى القول ـ برغم أنه صديقنا ـ وبأسف كبير ، أن اللجنة لا تستطيع أن تقبل هذه البرقية ، لانها تتعارض ومبادىء الحزب الوطنى • ان حزبنا ، حزب سلمى تماما ، ونحن لا نود الوصول الى أهدافنا سوى بالوسائل الشرعية • وهذا السيد يتكلم بعض الشىء عن الوسائل الثورية • انى أرجو من ممثلى الصحافة أن يراعوا هذا الموضوع ، وان مؤتمرنا لايقبل هذه البرقية ولا يوافق على الافكار التى تضمنتها • (تصفيق)

السيد الرئيس : الكلمة الان للسيد / مصطفى عزت لكى يقوم بقراءة تقرير موضوعه « العدالة والنظام القضائى فى مصر » مرسل من السيد / رحمى :

السيد / مصطفى عزت : سيداتى سادتى ، ان السلطة التشريعية فى مصر متخلفة بالنسبة لحركة التقدم وهى متناقضة كذلك مع أبسط مبادىء القانون العام • والحقيقة انه فى كل دول العالم تمنح هذه السلطة لممثلى الامة وليس لممثلين أجانب •

هنا ، فان الوضع هو العكس تماما ، فالوزراء هم الذين يعدون القوانين والذين يصدرونها ثم ينفذونها •

انى أقول الوزراء من الناحية الرسمية ، ولكن الحقيقة أن المستشارين الانجليز هم الذين يقومون بذلك وليسوا الوزراء •

ولقد اهتم الحزب الوطنى بالقيام بدراسة مفصلة عن هذه المسألة وله الشرف أن يعرضها عليكم، ولكن بما ان هذه الدراسة طويلة بعض الشىء فانى لن أتمكن من قراءتها بالكامل ولكنى سأكتفى بقراءة بعض الفقرات حتى لا نفرط فى وقتنا الثمين •

ويبدأ بقراءة مقدمة تاريخية

هذه هى المقتطفات التى أستطيع أن أعطيها لكم ولكن الكتيب سيوزع عليكم وسيكون لديكم متسع من الوقت لقراءته حينما تفرغون من أعمالكم وآمل أن تمنحونا تأييدكم وترون اننا على حق فى مطالبنا •

السيد الرئيس : اننى أشكر المتكلم خاصة وأنه لم يتعد الوقت المخصص له وبذلك يضرب مثلا رائعا • افتح الان باب المناقشة • هل يطلب أحد الكلمة ؟ اذن ننتقل الى الموضوع التالى •

الكلمة الان للسيد / لطفى جمعة الذى سيتكلم عن حياد مصر (تصفيق)

يلقى السيد لطفى جمعه كلمته

---

(١) كان الحزب الوطنى قد قرر عقد مؤتمره فى باريس ولكن حكومة اريستيد بريان « الاشتراكية » قررت منع عقد المؤتمر كجزء من سلسلة التراجعات التى أقدمت عليها الاشتراكية الديمقراطية الاوروبية لتثبت ولاءها للنظام القائم مع قدرتها على كبح جماح الطبقة العاملة .

وكان الحزب الوطنى يعتقد بالطبع أن فرنسا ستشجع عقد المؤتمر فى باريس لكون حكومتها «اشتراكية» وعملا بالتقاليد الليبرالية الفرنسية، واستمرارا لسياسة فرنسا السابقة التى كانت تقف فى صف كل مجهود يبذل ضد استمرار الاحتلال الانجليزى لمصر وتوسع نفوذه الاقتصادى على حساب فرنسا وغيرها من الدول الاجنبية، ولكن حكومة اريستيد بريان اثبتت هنا ايضا حرصها على الحفاظ على روح الاتفاق الودى (سايكس ـ بيكو) المعقود بين فرنسا وانجلترا عام ١٩٠٤

(٢) جريدة الحزب الشيوعى الفرنسى

بالانجليزية ؟ وكانت تقاطع بالتصفيق . وهذا ملخصها :

يعتمد المتكلم اعتمادا وثيقا على القانون باعتباره أرضية صلبة جدا بهذا الصدد ويلاحظ أن النضال عن طريق القوة مستحيل فى الوقت الحالى ويعلن أن قناة السويس ملك للمصريين وانهم قد حفروها بجهودهم وبمالهم وبثرواتهم •

وبما أن القناة محايدة فيجب أن تكون مصر كذلك محايدة مثل سويسرا وبلجيكا •

ان الموقف الذى اتخذته انجلترا فى مصر سىء للغاية وخطر جدا بالنسبة لها من وجهة النظر الاقتصادية والعسكرية •

ويعتقد الخطيب أنه يجب تحويل المؤتمر الوطنى المصرى الى مؤتمر دولى حتى يثير اهتمام أوربا كلها بحياد مصر • يزعم الانجليز أنهم فى اللحظة التى سيجلون فيها عن مصر ستحتلها قوة أخرى ولكن المتكلم يرى على عكس هذا الادعاء ان مصر تنتمى الى أمة حريصة كل الحرص على حريتها (تصفيق متواصل)

السيد الرئيس : أفتح الان باب المناقشة حول المسألة التى تناولها الخطيب •

اقفل باب المناقشة •

الكلمة الان للسيد محجوب ثابت الذى سيقرأ بيانا حول الصحة العامة فى مصر مقدما منه ومن الدكتور منصور رفعت •

وليعلم المتكلم أنه لن يسمح له بالحديث أكثر من ربع ساعة بالطبع •

السيد محجوب : آسف اذ سأضطر الى تجاوز هذا الوقت لانى سأتناول موضوعين ، ومن ناحية أخرى يجب أن أقرأ عمل زميلى ثم أتكلم فى موضوعاتى •

السيد الرئيس : يطلب المتكلم منا أن نمنحه نصف ساعة لانه سيتكلم نيابة عن شخصين (موافقة)

السيد محجوب ثابت : الموضوع الذى سنتناوله يمكن أن يكون مملا وذلك لانه للاسف لا يمكن استخدام البلاغة فى مثل هذه المواضيع • انى آسف ولكن فى كل الاشياء العلمية نشعر قليلا بالايجابية وسأعمل جاهدا حتى لا أثقل عليكم كثيرا بالمسائل العلمية • سأقرأ لكم تقريرا عن « الصحة العامة فى مصر » لزميلى الدكتور رفعت •

السيد محمد فريد : لقد وصلتنا توا برقيتان جديدتان من مصر (تصفيق)

هذا نص البرقية الاولى :

«نستنكر موقف فرنسا ونساهم معكم من كل قلوبنا فى كفاحكم الشريف»

سكان بنى سويف

نص البرقية الثانية :

«ياجنود مصر السلميون ان الوطن كله يتجه نحوكم، اظهروا للعالم آلامنا وآمالنا » •

محامو طنطا •

السيد الرئيس : الكلمة الان للسيد حسيب لكى يقرأ تقريرا حول « دور الصحافة فى مصر » •

السيد / حسيب : دور الصحافة فى مصر »

السيد الرئيس : باب المناقشة مفتوح حول هذا التقرير ـ الا

تقرير الصناعة :

فى هذا التقرير تناول السيد / سيد مرعى النقاط التالية :

١ ــ الصناعة المصرية فى عهد محمد على وسعيد •
٢ ــ تصفية الصناعة المصرية على يد الاحتلال •
٣ ــ محاربة الاحتلال للجهود المبذولة لاقامة صناعة وطنية •
٤ ــ جهود الجمعيات الوطنية والهيئات والافراد لاقامة مدارس صناعية • ومن نماذجها :

ــ مدرسة الصنائع التى اقامتها فى الاسكندرية • جمعية العروة الوثقى برئاسة محمد سعيد باشا فى عام ١٩٠٨ •
ــ مدرسة الصناعة التى ساهم البرنس حسين كمال بنصيب وافر فى اقامتها بدمنهور •
ــ مدرسة الصنائع التى انشاتها بطريركية الاقباط فى بولاق بتبرعات أعيان الطائفة القبطية •
ــ مدرسة الفنون الجميلة التى اقامها البرنس يوسف كمال بك ويرأسها ناظر فرنسى •

ويرى السيد سيد مرعى أن هذه الجهود بطيئة وغير كافية لسد احتياجات البلاد ، وهو يطالب بمساندة الحكومة للجهود الاهلية، ويقول انها لو كانت وطنية حقا لبذلت جهودها فى دفع هذه الحركة ، بل لتصدرتها •

وهو يقترح على المؤتمر فى ختام تقريره تاسيس جمعية كبيرة مكونة من مصريين واجانب مقيمين بمصر ، لتشجيع التعليم الصناعى • ويرى أن الحزب الوطنى قادر على القيام بدور أساسى فى انشاء هذه الجمعية التى ستكون أهم أهدافها :

● تعميم التعليم الصناعى •
● اتخاذ الاجراءات اللازمة لاقامة الصناعات التى تلزم البلاد •
● اقامة معارض للصناعة والفنون •
● التدخل لدى الحكومة المصرية والبنك الرسمى أو الشبه رسمى [البنك الاهلى] لحثهما على مساندة الصناعة المصرية ماديا وادبيا •

يطلب أحد الكلمة ؟ اقفل باب المناقشة .

الكلمة للسيد / **سيد مرعى** حول الصناعة فى مصر .

السيد / سيد مرعى يقرأ تقريره (تصفيق)

السيد الرئيس : باب المناقشة مفتوح .

أحد الاعضاء : انى اسمع كلاما حول قرارات تتخذ لتكوين لجنة أو بالاحرى جمعية تتولى نشر الصناعة عندنا واطلب من أولئك السادة أن يؤسسوا لجنة تتكفل بمسئرلية منح الارشادات للشركات المصرية أو لاى شخص يضطلع باقامة أى صناعة على نفقته الخاصة وأطلب تكوين لجنة من عدد من الاعضاء تستطيع امداد أى شخص فى مصر بالمعلومات فيما يتعلق بأى صناعة من الصناعات .

السيد محمد فريد : الاقتراح فى حد ذاته مقبول ولكن بما أن مؤتمرنا سوف ينفض فاننا لن نستطيع تشكيل لجنة اذ علينا الان أن نباشر أعمالنا .

كما ان مهمتنا تنتهى باختتام أعمالنا . والحزب الوطنى هو الذى يستطيع تكوين اللجنة فى مصر .

العضو : انى أود أن نختار بعض الاعضاء المصريين الحاضرين فى هذا المؤتمر ، لتكوين هذه اللجنة .

السيد محمد فريد : أظن انه يجب تحديد ذلك فى مكان آخر وليس هنا ولكننا نستطيع التصويت على الاقتراح التالى : « ان المؤتمر يقترح تشكيل لجنة لنشر الصناعة فى مصر »

السيد محجوب ثابت : اعتقد انه ينبغى صياغة توصية من

تقرير الصحة :

ملخص تقرير د. منصور رفعت

ان الظروف الصحية الرهيبة وانتشار الطاعون فى مصر لعدة سنوات متتالية والزيادة المستمرة فى الاراضى وارتفاع معدلات الوفيات خاصة بين الاطفال ، وقذارة الاحياء الشعبيه التى تحتل اكبر جزء من المدينة : تشكل كلها آدلة على سوء الادارة الصحية وعدم قدرتها على مقاومة الامراض والاوبئة وفرض الرقابة الصحية على الاهالى .

ويقترح الدكتور منصور رفعت على المؤتمر :

● ضرورة امتحان كل صاحب شهادة طبية اجنبية أمام لجنة طبية حكومية تمنحه ترخيصا بمزاولة المهنة فى مصر لمحاربة الدخلاء على المهنة .

● تعليم مبادىء الصحة فى المدارس الثانوية على الاقل .

● مراقبة الحلاقين وتدريب القابلات ومعاقبة الدجالين الذين يمارسون مهنة الطب .

● اقامة مستوصفات حرة فى القاهرة وعواصم الاقاليم .

● فرض رقابة صحية حازمة على انتاج الاغذية وعلى المحال العامة .

● انشاء ادارة صحية مستقلة تتبع البلدية ولا تخضع للرقابة الرسمية .

وينهى الدكتور منصور رفعت تقريره بمقال نشرته مجلة « بولمول جازيت » لمراسلها فى القاهرة تحت عنوان «وفيات الاطفال فى مصر » جاء فيه ان الاحصائيات الاخيرة تؤكد ان عدد المواليد فى مصر من عام ١٨٩٩ حتى ١٩٠١ (١٠ سنوات (كان ٣٩٦ر٦٢١ طفلا مات من بينهم ٣٠١ر١٧٦ اى ٣ر٢٨ فى المائة قبل بلوغهم سنة من عمرهم . وانه فى الفترة ما بين عام ١٩٠١ و١٩٠٨ (٨ سنوات) مات ٩٠٧ر١١٩ اطفال لايزيد سنهم عن ١٠ سنوات .

●

ملخص تقرير د. محجوب ثابت

وتكلم الدكتور محجوب ثابت طويلا وبتفاصيل فنية عن عيوب مشروع اقامة شبكة مجارى القاهرة واكد ان المواصفات التى تقررت غير صالحة بالتجربة فى عدد من البلاد . كما أكد سوء نية القائمين على المشروع لقبولهم العطاء المقدم من الشركات الانجليزية بالرغم من العروض الاقل التى تقدمت بها شركات اوروبية أخرى .

وتكلم بعد ذلك عن مشكلة تزايد معدلات الوفيات بين الاطفال فاشار الى كلام زميله الدكتور منصور رفعت مؤكدا ان ٤٠ فى المائة من ابناء مصر يدفنون فى ترابها قبل بلوغهم السادسة عشرة من عمرهم .

وتساءل عن اوجه صرف ميزانية مصلحة الصحة العمومية التى بلغت ٥٠ ألف جنيه وعن السبب فى عدم تخصيص جزء منها للحد من معدل الوفيات الرهيب بين الاطفال .

وتقدم الدكتور محجوب بالمقترحات التالية « لحكومتنا الرشيدة » :

● اقامة عيادة لامراض الاطفال لتدريب الاطباء الذين ينقلون للعمل فى القرى حيث يخدم الواحد منهم احيانا ٥٠ الف نسمة .

● ضرورة اجراء ابحاث حول النزلات المعوية عند الاطفال . فالدكتور منتشيكوف يقوم بابحاث من هذا النوع فى فرنسا حيث يقل معدل الوفيات بين الاطفال عن ٢٤ فى المائة بينما يصل عندنا الى ٧١ فى المائة حتى السنة الاولى من سن الطفل .

● ضرورة التوسع فى عدد المدارس الخاصة بتعليم القابلات وزيادة مرتباتهن مع العمل من اجل اقامة مدرسة طب للنساء فى السنوات القادمة .

● وتعرض الدكتور محجوب ثابت بعد ذلك لموضوع تنقية مياه الشرب فى القاهرة وهاجم اعطاء العملية لشركة امريكية لقاء ١٤٠ الف جنيه بينما عرضت شركة فرنسية القيام بالعملية باسلوب افضل واضمن لقاء ٧٠ الف جنيه فقط .

وهو يرى أن السبب فى سوء التصرف فى هذه المسائل الحيوية انما يعود الى افتقار البلاد لدستور . فالمطلوب من المصريين هو ان يدفعوا فقط دون أن تكون لهم أى كلمة .

المؤتمر بأن تلقى مسألة التعليم الفنى اهتماما كبيرا · لا ينبغى أن تكون المدارس الابتدائية مجرد مراكز لتعليم القراءة والكتابة ووسيلة للابتعاد عن الزراعة والصناعة ينبغى تنمية حب العمل اليدوى وجعل التعليم الفنى اجباريا فى المدن مع تعليم الحساب واللغة العربية · وليس هناك فى الحقيقة ما نخشاه سوى ان ذلك سيؤدى بمرور الوقت الى الهجرة من القرى والريف وستكون القرى بعد ذلك مليئة بالعمال والفلاحين المثقفين الذين لا يستخدمون مجرد أدوات بدائية فحسب ولكن يستخدمون أدوات متقدمة ، وانى أود أن يتوصل المؤتمر الى هذه التوصية كى يتجه شبابنا نحو التعليم الفنى والميكانيكى بدلا من اقتصاره على مهن أخرى · ينبغى اتباع نموذج اليابان التى طورت دراسة العلوم الطبيعية والكيمائية والزراعية · فاذا تصرفنا على هذا النحو نكون قد ضمنا تعليما حقيقيا فى البلاد (استحسان من الحاضرين)

السيد الرئيس : لكى يمكن طرح هذا الاقتراح للتصويت ، ينبغى أن يصاغ كتابة ·

(رفعت الجلسة فى الساعة الثانية عشرة وربعا) ·

نواصل نشر الجزء الاخير من وثائق المؤتمر فى العدد القادم

■■■

خطاب من ويلفريد بلنت الى المؤتمر الوطنى المصرى

أيها السادة :

لا أعرف كيف أعبر لكم عن مدى تقديرى للتحية المتمثلة فى دعوتى للمشاركة فى مؤتمركم كرئيس شرف · فتلك التحية شاهد عزيز على الثقة التى يخصنى بها الشباب المصرى بالرغم من جنسيتى الانجليزية · وكم كنت أود أن أكون على قدر من الشباب لاستحق هذه الثقة بخدمة قضيتكم بطريقة أكثر شخصية وأكثر فعالية مما تتيحها لى سنوات حياتى التى بلغت السبعين · وكل ما يمكننى أن أجازف به فى الوقت الحالى ، هو أن أعلن تضامنى مع برنامجكم الوطنى وأن أسدى لكم خير النصائح بخصوص وسائل تنفيذه وأن أعلن مرة أخرى على الملأ ، أنه عندما يتعلق الامر بمصر فانى لاأكون انجليزيا أو أوروبيا بل وطنيا شديد الايمان ، لا يخفى حقيقة أهدافه ·

وأنتم تعرفون تماما رايى فى القضية المصرية ، فهذا الرأى نتاج خبرة طويلة بمشاكلكم دامت خمس وثلاثين عاما ، ودراية بالمؤامرات المالية التى مهدت لاحتلال الاجانب لبلادكم وحافظت عليه · لقد عرفت مصر فى عهد الخديوى ورأيتها أثناء الحكم الثنائى وشاهدت مولد الحزب الوطنى عام ١٨٨١ وعاصرت مناقشة دستور ١٨٨٢ واقراره وأقمت آنذاك علاقات وثيقة مع قادتكم الثوريين المدنيين منهم والعسكريين · ودافعت عن

التشريع فى مصر

ملخص تقرير عبد السلام ذهنى

يشير التقرير فى مقدمته الى ان محمد على باشا حاول علاج الفوضى التشريعيه الموروثة عن عهدالمماليكفاصدر عددا من القوانين المستوحاة منالشريعة الاسلامية وانشأ عددا منالمحاكم ·وقدسار خلفاؤه على نهجه الىأن كون الخديو توفيق لجنة من المصريين والاجانب وضعت فى عاد ١٨٨١قانونا اشبه بقانوننابليون،ونظمت المحاكم على غرار المحاكم الفرنسية · وصدر فى نفس السنة ايضا الدستور : وكان قانونالانتخابات مبنىعلى مبادىء الديمقراطية الاوروبية ويعطى لكل فرد الحق فى ترشيح نفسه لعضوية مجلس النواب ، والحق فى الانتخاب دون اشتراط نصاب مالى معين ·

وفى عام ١٨٨٣ الغى الدستور (بعد قيام ثورة عرابى ودخول القوات البريطانية مصر) ، حل محل مجلس النواب « مجلس تشريعى » و «جمعية عمومية » لا حوللهما ولا قوة، حتى انه لا يحق لاى منهما أن يناقش الحكومة فى اسباب رفضها لاى قوانين او تعديلات يقترحها أى من المجلسين ·

وتحولت الجنحةالصحفية الىجناية ، كما نص القانون على ان يكون كلمرشح مالكا لعقارات يدفععنهاضرائب سنوية لا تقل عن خمسين جنيها ·

وفى ٢٧ فبراير ١٨٩٥ صدر بناء على طلب اللورد كرومر ، قرار بتاليف محكمة خاصة لمحاكمة الافراد الذين يرتكبون اعمالا موجهة ضد قوات الاحتلال · وقد مثل امام هذه المحكمة عدد من الاطفال اتهموا بالقاء الحجارة على عدد من الجنود الانجليز فحكم عليهم بمدد تتراوح بين ٦و٨ شهور ، واصدرت احكاما بالاشغال الشاقة فى السودان · كما مثل امام هذه المحكمة ايضا شهداء محاكمة دنشواى

وفى عام ١٨٧٦ ، انشئت المحاكم المختلطة بناء على اتفاق بين الدول الكبرى · وتتمتع هذه المحاكم باستقلالية تامة وتتميز بنزاهتها ، وهى حسب قول صاحب التقرير ، اكبر ضمان للعدالة فى مصر ·

اما السبب فى نزاهه هذه المحاكم فهو عدم قدرة الحكومة على التدخل فى تنظيمها أو ادارتها لانها تحت اشراف مشترك من جانب الدول الكبرى ، ومن المؤسف حقا الا تختص هذه المحاكم الا بالقضايا المدنية والتجارية · اما الجنايات والجنح التى يرتكبها اجانب فتحال على المحاكم القنصلية · فاذا اشترك عدد من المصريين والاجانب فى ارتكاب جريمة ، احيل الاجانب الى المحاكم القنصلية واحيل المصريون على محاكم وطنية ليحاكم كل من الطرفين بموجب تشريعات مختلفة ·

ويتضمن برنامج الحزب الوطنى ، المطالبة بالغاء ذلك الازدواج ·

قضيتهم أمام وزرائنا فى لندن ولكن دون جدوى للاسف ، وحزنت لعدم تمكنى من منع ضرب الاسكندرية ، وربما كنت الوحيد بين مواطنى بلدى ، الذى بكى لنكبة التل الكبير . ولذا فهناك أسباب تمتد الى الماضى تدعونى لان أسمى نفسى وطنى مصرى ، بل ومتطرف أيضا اذا شئتم .

ومنذ تلك الايام الحزينة ، شهدت مرتين بعث الحزب الوطنى من جديد . المرة الاولى مع تولى الخديوى الحالى فى عام ١٨٩٢ ، وكان آنذاك شابا يجيش صدره بالحماس الوطنى وكنت من آن لاخر موضع ثقته وكاتم سره ، ولكنه سرعان ما فترت همته من جراء الاساليب السيئة لمثلنا اللورد كرومر . وشهدت بعث الحزب الوطنى للمرة الثانية عندما ولد من جديد بوحى من محامى الشعب الشاب مصطفى باشا كامل . وقد حييته كل مرة بسرور كما عاونته بقدر ماأمكننى . ولكن السن توهن قوانا بكل قسوة ، وقد اضطررت منذ مدة الى العدول عن أى سفر ولو الى باريس التى قضيت فيها أياما جميلة فى عهد الشباب . ولو سافرت بمناسبة مؤتمركم لكان ذلك عيدا مزدوجا بالنسبة لى .

وسأقول لكم رأيى بصراحة فى وضعكم السياسى الراهن لقد مررتم بأزمة شديدة ولكنها أقل قسوة من الازمات التى أتذكرها ان مجرد وقوف الحزب الوطنى على قدميه ، بالرغم من ثلاثين سنة من تثبيط العزيمة تحت سيطرة دولة مثل دولتنا ، لدليل على حيويته التى سيتغلب بها على هذه الازمة وغيرها وغيرها من الازمات . وسيأتى بلاشك يوم الحرية . فمستقبل مصر لايتوقف الا على شجاعة واصرار أبنائها على التعجيل بهذا المستقبل لتنعموا به (؟) يجب الا تيأسوا اذن ، اذا فرضوا عليكم مرة أخرى نظاما قاسيا . فلن يبقى ذلك أبدا . وقد قطعت مصر اليوم شوطا بعيدا فى طريق التقدم وهى واضحة المعالم تماما أمام العالم المتحضر بحيث لايمكن أن يفرض عليها مصير الاقاليم البائسة المنزوية فى آسيا وأفريقيا ، حيث يستبيح فيها الحكام لانفسهم أى شىء وحيث ينعدم الامل فى الحصول على مساندة من الخارج . فلن تسمح أوروبا بذلك . وتذكروا أيضا أن أى حركةمثل حركتكم لم تنجح بلا تضحيات او ضحايا . فما عليكم الا أن تواصلوا كفاحكم بكل شجاعة فى الداخل وأن تنشروا دعايتكم فى الخارج حتى تستعيدوا حريتكم . واستعدوا لصدور الاحكام السياسية عليكم فى القاهرة اذا لزم الامر ، فهى لن تتعدى الحدود القضائية ، وواصلوا عقد مؤتمراتكم فى

تقرير الصحافة : عبد الرحمن الرافعى

تعرض الاستاذ عبد الرحمن الرافعى المحامى فى هذا التقرير لنقاط ثلاث : الصحافة فى ظل كرومر ، الصحافة فى عهد جورست، المعركة القائمة بين الصحافة الوطنية وسلطات الاحتلال .

قرر اللورد كرومر أن يعيد للصحافة الحرية التى كانت تتمتع بها فى مصر اثناء حكم الخديوى توفيق قبل قيام الثورة العرابية .

وهو لم يقدم على ذلك بدافع من التفكير المتحرر ، وهو المعروف بعدائه الشديد للمطالب الوطنية ، ولكن لاعتقاده الراسخ فى عدم قدرة الصحافة على تشكيل الرأى العام . ولكن رد فعل الاحداث ، وبالاخص مذبحة دنشواى ، زعزع فكرته هذه ولكنه لم يتجاسر على اتخاذ اجراءات ضد الصحافة لان الفرصة لم تواته ، فترك هذه المهمة لخليفته جورست .

وتصور جورست فى بداية الامر ، انه يستطيع أن يطبق سياسة التهدئة والمصالحة على الصحافة لاعتقاده أن الخديوى هو السبب فى قيام الحركة الوطنية . ولكن داب جريدة اللواء على كشف السياسة الجديدة التى ينتهجها الاحتلال ، وهى استمالة الخديوى ، دفعت جورست الى اعلان الحرب على الصحافة الوطنية ، فحاول ، بمجرد تفاهمه مع الخديوى ، ان يرهب جريدة اللواء بجرها امام المحاكم . ولكن المحكمة برأت الشيخ عبد العزيز جاويش رئيس تحرير اللواء المتهم بتعكير الامن بمقالاته .

وهكذا اضطر جورست الى اللجوء الى وسائل أخرى لمحاربة نفوذ الصحافة فاحيا من جديد «قانون الصحافة» الصادر فى ٢٦ نوفمبر ١٨٨١ عشية قيام الثورة . ولكنه اعتمد فى ذلك على الخديوى ووزرائه حتى لا يتحمل وحده صيحات احتجاج الرأى العام . وهكذا صدر هذا القانون من جديد فى ٢٥ مارس عام ١٩٠٩ .

ولكن صحافة المعارضة واصلت كفاحها بالرغم من المخاطر التى يعرضها لها قانون الصحافة واهمها الالغاء . وكانت النتيجة عكس ما توقعه اصحاب القانون، اذ ان تطبيقه رفع من شأن الحزب الوطنى ووثق ارتباطاته بالامة .

فقد حكم على الشيخ جاويش بثلاث سنوات سجن، وتلقت اللواء الانذار الاول الذى يسبق الالغاء . وحلت محل اللواء بعد الغائها ، جريدة « العلم » التى حملت لواء المعركة ضد مد امتياز قنال السويس .

وصدرت سلسلة من القوانين المقيدة للحرية الشخصية تجعل الصحافة رهينة فى ايدى السلطة حتى ان الجانب الاكبر من الصحافة الاجنبية المحلية ، وبالاخص الصحافة الفرنسية وجد أن تدهور الاوضاع لا يخدم المصالح الاوروبية فى مصر .

وقد دعت جريدة « البروجريه » الموالية للانجليز الى اصدار قوانين تحد من حرية الصحافة الاجنبية فى مصر .

وهنا يقول الاستاذ عبدالرحمن الرافعى فى تقريره انه يشك فى قدرة الاحتلال الانجليزى على فرض هذه القيود على مواطنى دول أوروبية حصلوا من قبل على حرياتهم .

وفى ختام التقرير ، يتنبأ الاستاذ عبد الرحمن الرافعى بانتصار الامة فى معركتها ويستنهض الرأى العام الاوروبى للدفاع عن مصالحه الخاصة التى يتهددها سكوت الحكومات الاوروبية ويؤكد أن « قضيتنا ، كما ترون ، ليست قضية وطنية بحته ، تخص فقط شعبا يناضل من اجل استقلاله ، ولكنها قضية دولية تهم اوروبا باسرها . فلتسهر اذن أوروبا على مصالحها ولتضع حدا للتعسف البريطانى الذى يتهددها ! » (تصفيق) .

عواصم الدول الحرة • وستحكم اوروبا بيننا وبينكم ، وستقف فى صف قضيتكم نتيجة لثباتكم • اما نحن الانجليز فسنخجل فى نهاية الامر من الاساليب الملتوية التى نتبعها مع بلد ليس ملكا لنا ، والتى تجعلنا نعانى من الان حالة ضيق ستزداد سنة بعد سنة دون أن تحقق لنا أى ميزة أو شرف •

والواقع أن وضع الانجليز فى مصر لم يستقر أبدا بالرغم من الاحتلال العسكرى الذى دام سنوات طويلة • وقد تخلت فرنسا فعلا ، منذ ست سنوات عن معارضتها الدبلوماسية فى القاهرة ، كما أن دول اوروبا الاخرى قبلت الوضع دون أن تحتج رسميا • غير أن ذلك الاتفاق مؤقت ولن يكون الوضع الراهن شرعيا أو دائما • فوضع مصر السياسى ، كأحد ولايات الامبراطورية العثمانية ، لايزال الوضع الوحيد المعترف به بمقتضى القانون الدولى الاوروبى ، ولاشك أن أى محاولة من جانبنا لضم مصر لن تقبل • فطالما ظلت الامبراطورية العثمانية قائمة فان ذلك الوضع سيظل قائما هو أيضا ، كماسيظل وضع الانجليز على ضفاف النيل ضعيفا وغير مستقر •

وانى اوصى الذين لايشاركوننى الثقة فى ذلك ان يتمعنوا النظر فى خريطة أوروبا والبلاد المطلة على البحر الابيض المتوسط لكى يدركوا السبب • وسيتضح لهم أن مصر المسيطرة على برزخ السويس تحتل اهم وضع فى العالم ، وأهم وضع بالنسبة لكل الامم ولانجلترا • غير أن ذلك الوضع يهم بقدر اكبر دول البحر الابيض المتوسط المجاورة لذلك البرزخ • ولامجال لان تسمح هذه الدول لبلد يطل على المحيطات بأن يستقر فى ذلك المكان الى الابد ، ليظل مسيطرا عليه • فتخلى دول البحر الابيض المتوسط نهائيا عن المفتاح الشرقى لبيتها وعن مخرجها المباشر الى البحار الهندية سيلحق أضرارا كبيرة بتجارتها فلا النمسا ولا ايطاليا بل ولا فرنسا نفسها ستقبل ذلك ولن يبلغ تواطئها هذا المدى • وبالطبع فان ألمانيا لن تقبل هذا الوضع • ويجب أن يكون المرء مجنونا حتى يتصور عكس ذلك • ولاشك أن ألمانيا ستحصل فى يوم من الايام على ميناء لها يطل على البحر الابيض المتوسط ، فهل ستسمح لانجلترا منافستها الكبيرة فى التجارة ، بأن تحتكر الى الابد وضعا عسكريا يقطع عليها الطريق الى الشرق، ويسد الطريق فى وجه كل الامم الاوروبية الاخرى التى تريد ألمانيا أن تهيمن عليها ؟

ومن جهة أخرى فانه من غير المحتمل أن تتخلى الامبراطورية العثمانية بعد أن تستعيد شبابها وتزداد قوتها العسكرية ، عن ولاية تتبعها وتكون جزءا لا يتجزأ من الخلافة • لا • ان مستقبل مصر ليس فى يد انجلترا وحدها ولن تستطيع انجلترا أن تضمها اليها كأحد ممتلكاتها أو محمياتها أو توابعها • ذلك هو الوضع اذا نظرنا اليه من بعيد ، وهذا ما ستؤكد الايام صحته •

وسأحاول أن أشرح لكم السياسة الانجليزية الحالية • فهناك وعى تام لدينا ، اقصد لدى رجال الدولة المستنيرين (لان البلاد بصفة عامة ، بما فى ذلك كل اعضاء البرلمان ، فى حالة جهل تام بكل مايتعلق بالسياسة الخارجية) ، بخطورة الوضع الذى أوجدناه فى مصر منذ سنوات عديدة • انهم يعترفون بأن الحال غير مستقر وغير ثابت ويرغبون فى التراجع اذا أمكن دون أن يتعرضوا لاى مخاطر من جراء الغرور والمصالح المالية المرتبطة بالوضع القائم • فمن المعروف ان خبراءنا العسكريين والبحريين يرون أن ثمة صعوبة كبيرة فى الاستمرار فى احتلال مصر أثناء حرب بحرية مع أى دولة أوروبية كبيرة ، وأن الخطر سيكون شديدا اذا أبدى شعب النيل روحا عدائية ازاءنا • ومن جهة أخرى فان الرأى العام عندنا ظل مخدوعا لمدة طويلة فيما يختص بمصر فهو يعتقد فعلا أن وادى النيل من حقنا وأنه يتعين علينا الحفاظ عليه • ولا يوجد أى وزير انجليزى أو رئيس حزب ، يتحلى بقدر كاف من الشجاعة يسمح له بأن يقترح الجلاء ولو فى المدى البعيد ، فمثل هذا البرنامج سيفتقر الى الشعبية • ولما كانوا يفتقدون الشجاعة ، لاقرار سياسة غير مغرضة وسلمية ، ويدركون منذ سنوات أن الحرب ضد ألمانيا لا يمكن أن ترجأ الى أجل غير مسمى ، فقد بحثوا بكل اهتمام عن حل وسط بين استحالة ترك مصر من الناحية الانتخابية وخطورة البقاء فيها • وقد أرادوا أن يحتموا من العاصفة

ويلفريد بلنت :

شخصية لعبت دورا هاما فى تاريخ مصر ، سواء بعلاقاتها الوثيقة بالثورة العرابية وبأشخاص قادتها مثل عرابى والبارودى والنديم ومحاولتها أن تلعب دور الوساطة بينهم وبين الوزارة البريطانية فى ذلك الحين •

وعندما تأزم الموقف واعلن عرابى الثورة لم يخف بلنت عواطفه نحو الثورة وتأييده لها •

وعندما قبض على عرابى وقف بلنت الى جانبه ونظم حملة فى بريطانيا لجمع تبرعات لتغطية نفقات الدفاع عنه •

وظل بلنت على صلة وثيقة بالحركة الوطنية المصرية ، وله كتاب يعتبر مرجعا هاما فى تاريخ فترة الثورة العرابية وما بعدها هو التاريخ السرى للاحتلال البريطانى فى مصر •

القادمة (وتلك سياسة السنوات العشر الاخيرة) بمحاولة التوفيق بين الشعور الوطني في مصر وبين كسبها ، ان أمكن ، الى جانب النظام القائم ٠

أما اللورد كرومر ، الذي جعله غروره متفائلا ، فقد اعتقد في امكانية خلق حزب انجليزي ذي نفوذ في البلاد ، بل في امكانية خلق حزب يتبعه شخصيا ٠ وقد تباهى بذلك ، حسب ماسمعت ، الى حد أنه كان يحلم في يوم من الايام ، في عام ١٩٠٣ ، بأن يجعل وضعه كحاكم فعلي Marie de ralais وراثيا بين افراد اسرته .كانكرومر يتصور ان معارضة الحزب الوطني له آنذاك ، ليست سوى مناورة خديوية تمولها القسطنطينية ٠ كما كان يتصور أن مشاعر الشعب المصري في صفه ٠ وبعد ذلك بعام ، عندما استبعدت المعارضة الفرنسية باتفاقية ١٩٠٤ الانجليزية الفرنسية ، دفعه غروره الى التصريح بأنه يستطيع الاستغناء تماما عن الحامية الانجليزية في القاهرة وأن يعتمد مستقبلا في سلطته على ولاء الجيش الانجليزي - الخديوي وعلى ولاء البوليس الانجليزي - المحلي ٠ وكان لابد له من حماقة احداث العقبة ليدرك أن الجيش على استعداد للتمرد وكان لابد له من الجنون الاجرامي في دنشواي ليتأكد من الحقد الشعبي عليه وليقتنع بأن مصر لاتحبه ٠ وهكذا زال عنه غروره وبلغ حزنه وذهوله حدا أجبره على الاستقالة ، فراح يعزي نفسه في غلطته بنظرية المؤامرة الاسلامية الجامعة التي قادها ضده السلطان عبد الحميد ٠

تلك هي سياستنا في مايو ١٩٠٧ ٠ فماذا أقول لكم عن السيد الدون جورست ؟ الواقع ان اختيار السيد جورست للحلول محل لورد كرومر يرجع في الواقع للملكنا الراحل أدوارد ، فقد قدم له السيد جورست خدمات شخصية منذ بضعة سنوات كما ان دار المعتمد البريطاني بالقاهرة كانت تشعر بضرورة الخروج من المأزق الاداري الذي اشتد نتيجة للخلاف الطويل بينها وبين سراي عابدين حيث كان السيد جورست من الشخصيات المرغوب فيها ٠ وقد أخطأوا في مصر وتصوروا أن وجود معتمد جديد في مصر سيؤدي بالضرورة الى انتهاج سياسة جديدة وأنه مكلف باعداد البلاد أخيرا للحرية ، وأنه تقرر الوفاء فعلا بوعود الجلاء ٠ وكان من الممكن افتراض حدوث تغيير في هذا الاتجاه نظرا لتغيير الوزارة في لندن ودعوة حزب جلادستون حزب الحكم الذاتي الذي تؤيده أغلبية برلمانية راديكالية » غير أن كل هذه التصورات لم تكن سوى أحلام ٠ وأستطيع أن أؤكد لكم أن دوائر الخارجية لم تفكر في ذلك ولو لحظة واحدة ٠ كانت كل التعليمات الصادرة للسير جورست في عام ١٩٠٧ تتلخص في الوصول الى تفاهم شخصي مع الخديوي وابعاده عن الحزب الوطني المطالب بالجلاء ٠ أما فيما عدا ذلك فهو نفس سياسة اللورد كرومر بكل دقة ٠ كانوا يعتقدون أن كسب الخديوي سيؤدي الى تسهيل كل الامور فتستعيد انجلترا وضعها كقوة مسيطرة على مصر بموافقة أهاليها ، كما كانوا يعتقدون أن سياسة الكلمات المعسولة ستجعل انجلترا محبوبة ٠ ويبدو أنهم كانوا يحلمون بأن يصبح ادوارد وريث السلطان في زعامة الاسلام وحمايته ، لا في مصر وحدها ، ولكن في الهند وبلاد العرب وبين الشعوب السامية في الشرق ٠

واذا كانت هذه الخلافة غير مستساغة فان الخديوي سيصبح أمير المؤمنين الخاضع على أي حال لاوامر الملك ٠ أما فيما يختص بالنظام الدستوري لمصر فان أحدا لم يفكر فيه حتى أن الملك أرسل ، كما تعلمون ، خطابا كتبه بيده للخديوي يدعوه فيه الى التخلي عن التفكير الدستوري الذي تبناه ٠ أما مادار بخلدهم فانه لا يتعدى تكوين ما يشبه البرلمان الصغير بالتوسع قليلا في امتيازات المناقشة الضئيلة التي منحت لمجلسكم التشريعي البائس ولهام مجالس الاقاليم ٠ وأما الدستور الحقيقي ، فلم تفكر فيه وزارة الخارجية قط ، اذ ان سياستها لم تتقدم خطوة عما كانت عليها عام ١٨٨٢ ٠ وأنتم تذكرون جيدا أن التدخل المسلح عام ١٨٨٢ تم بحجة عدم رضانا عن دستور تلك السنة ، كما أن غرض المعلن كان اعادة السلطة المطلقة للخديوي ، أي للحكومة الاجنبية التي تمارس هذه السلطة ٠ وما كان يمكن أن نأمل أن تقتنع وزارة الخارجية فجأة ، وبعد ثماني وعشرين سنة من المراوغة والعنف ، بفكرة تأسيس مجلس حر يكون أول عمل له هو المطالبة بالجلاء ٠

وقد أخطأوا في القاهرة أيضا عندما اعتقدوا أن شخصية السيد جورست تجعله أنسب من يستهل سياسة الحرية التي لم يتبناها اللورد كرومر ٠ والسيد جورست متعاطف الى حد ما مع الفكر الشرقي ، وهو يتكلم العربية ، وشخصيته محبوبة لا تشوبها الغطرسة البريطانية التي تميز بها سلفه ، وهو قادر على اقامة علاقات طيبة مع العالم المحلي ٠ أما أماني الاستقلال الوطني فهو يبعد عنها آلاف الفراسخ ٠ فالسيد جورست استعماري وبيروقراطي ، شأنه شأن أمثاله ٠ وقدتعلم اساليبالحكم التياتبعها أستاذه اللورد كرومر طوال السنوات الستة عشر التي اشتغل فيها تحت رئاسته ٠ والذين عينوه معتمدا يعلمون تماما أن تكليفه بمهمة اظهار الاحتلال في صورة أقل اثارة للبغض ، لايؤدي الى المخاطرة بأي شيء أساسي يتعلق بالمحافظة على الاحتلال ٠ فالسيد جورست لا يقل تمسكا بالاحتلال عن سلفه ٠ والفارق الوحيد بينه وبين اللورد كرومر

هو أنه حاول الوصول الى هدفه بالكلمات الزائفة ، بينما فضل الاخر اللجوء الى التهديدات ٠

وقد تبين لكم الى حد ما كيف وفق السيد جورست فى دوره كداعية للمصالحة ٠ فقد نجح ، فى الظاهر على الاقل ، فى كسب الخديوى الى صف سياسة الاحتلال وفى خلق حزب صغير مشايع للانجليز يحقق مصالحه الفردية ٠ وقد حالفه التوفيق فى بداية الامر ٠ فقد فجع الحزب الوطنى فى شخص زعيمه المحبوب مصطفى باشا كامل فحدث نوع من الارتباك فى صفوف المعارضة وأحسن السيد جورست استغلاله ٠ وكان من الممكن أن يقنع مصر بقبول الحرية الزائفة التى عرضها عليها وأن يرجىء الى أجل بعيد مطالبتها بالاستقلال لولا قيام ثورة القسطنطينية ٠ ولكن انتصار حزب تركيا الفتاة الدستورى فى يوليو ١٩٠٨ أنقذ مصر لحسن حظها من هذه الورطة ٠ اذ أن نجاح شعب اسلامى مجاور وحليف فى الحصول دون مساعدة من الخارج ، أمد مصر بقدر جديد من الشجاعة ودفعها الى رفض الصدقة الزائفة التى عرضتها عليها انجلترا ٠ لقد شملت حركة معاداة الاحتلال كل العالم الاسلامى المصرى وبذلك خسر السيد جورست والسيد ادوارد جراى المعركة ٠ ولم يعد مسلمو مصر يقبلون أى كلام عن استمرار النظام الانجليزى الى مالانهاية مهما أظهر رغبته فى المصالحة ومهما أسرف فى ألفاظه المنمقة ٠ لقد طالبوا بالجلاء بحماس أشد ٠ أما ماعدا ذلك فلم يعد يهمهم فى شىء ٠

ومن الصعب أن نحدد بالضبط اللحظة التى أدركت فيها وزارة الخارجية أن سياسة المصالحة والهيمنة الانجليزية على البلاد الاسلامية ستفشل فى تحقيق هدفها ٠ كانت دبلوماسيتنا تعتقد فى بداية الثورة العثمانية عام ١٩٠٨ أنها تحظى برضاء الحكومة الجديدة حتى أنها حاولت أن تحصل على الاعتراف بشرعية احتلالها لمصر ٠ ولذا فقد وثقوا صلاتهم تماما برئيس الوزراء كميل باشا ولكن سقوطه أدى الى زعزعة النفوذ الانجليزى ٠ وكادت السياسة الخاطئة المتمثلة فى تأييد الثورة المضادة ابتداء من عام ١٩٠٩ ، أن تقضى تماما على ذلك النفوذ ٠ ومن هنا فقد اضطروا الى البحث عن وسائل أخرى لكى تقبل مصر سياسة الاحتلال ٠ كان الحزب الاسلامى المشايع للانجليز الذى أنشأه جورست قد تلاشى ، فتفتق ذهنه عن فكرة تعيسة وهى استخدام الاقباط كقوة يوازن بها القوة المحلية ، فعين بطرس باشا غالى رئيسا للوزراء وأعلن فى صخب أنه « أول مصرى أصيل » يتبوأ هذا المنصب ٠ وكان هذا الاجراء بمثابة ضربة غادرة موجهة الى التفاهم بين الطائفتين الدينيتين داخل الحزب الوطنى ،

وهو منقول على أى حال من سياسة « فرق تسد » التى تطبقها حكومتنا فى الهند ٠٠ وقد نجح لسوء الحظ فى فعلته ٠ وأنا آسف جدا لانسياق القاهرة وراءه بقبولها التحدى الذى أوقع فيه جورست الشباب الاسلامى لان مصر فى حاجة الى وحدة جميع قواها ، والضغينة الدينية أمر مؤسف دائما ٠ غير أن النتيجة المؤسفة التى اسفرت عن هذه المناورة ، وهى اغتيال بطرس باشا ، أوضحت على الاقل الموقف فأكدت للسيد جورست أن التصالح مع المعارضه الاسلامية مستحيل وكشفت عن الهوة التى تفصل بين مشاريعه لكسب الاسلام لجانب السياسة الانجليزية وبين المشاعر الحالية للانجليز ٠ ويمكننا أن نقول دون أن نخشى الوقوع فى الخطأ أن سياسة حكومتنا فى لندن أصبحت ، منذ ذلك الحين ، معادية بصراحة للاسلام ٠ فهى لاتريد أى خير سواء لفارس أو لبلاد العرب أو للقسطنطينية ، أو لمصر ٠

ومن هنا فان دسيسة روزفلت — جراى لاتبعد سوى خطوة واحدة عن هذه السياسة ، وانا اسميها « دسيسة » لانه من الثابت بوضوح أن وزارة الخارجية استخدمت هذا الشخص الامريكى المقزز لكى تهىء الاتجاهات الليبراليه عندنا لتقبل التغير السياسى المزمع اتباعه مع مصر منذ مدة ٠ ولكى نفهم جيدا هذه الواقعة يجب أن نتذكر ان الرئيس الامريكى استمع أثناء زيارته لمصر الى الكلمات المهينة للاسلام التى أسرتها فى أذنه الارساليات البروتستانتية الامريكية ، وأن السيد جراى فى لندن متأثر بالتعصب الكامن عند الطوائف المسيحية الانجليزية والمشابه تماما لتعصب الطوائف الامريكية ٠ وستفسر لكم هذه الاعتبارات التفاهم بين رجلى السياسة عند وفاة الملك ، اذ أن السيد جراى كان قد فقد الامل فى سياسته الطموحة الرامية الى الهيمنة على العالم الاسلامى ، فقرر اللجوء الى المشاعر المسيحية لتؤيده فى مصر ٠ كان السيد جراى على علم سابق بالخطاب الذى ألقاه السيد روزفلت فى مانيون هاوس وقد وافق عليه واستخدمه كنص فى البيان المعادى للاسلام الذى كان ينوى القاءه بعد ذلك بأيام فى مجلس العموم ٠ وعلى أى حال يجب أن تكونوا واثقين فى أنه لايوجد أى فارق بين شعور السيد جراى الحالى وشعور السيد روزفلت وأن السياسة ستكون من الان فصاعدا معادية للتقدم سواء فى تركيا أو فارس أو مصر ٠ فلا تركنوا اليها أبدا ٠ وأنا أنتهز هذه الفرصة لا لاحذر الوطنية المصرية وحدها من هذه السياسة ، ولكن لكى أحذر منها الشباب التركى أيضا فى القسطنطينية وكل المسلمين فى انحاء العالم ٠

وفى هذه الظروف الجديدة ، لايمكننى الا أن أقدم لكم نصيحة واحدة ٠ وأنا أقولها لكم وأنا

متألم لانى مخلص لبلادى انجلترا وان كنت أكره سياستها العدوانية فى الشرق ، ولانه من المؤلم لى أن أكون فى تعارض سافر مع الشعور العام لمواطنى . ولكن واجبى نحوكم يحتم على أن أقول لكم بصراحة أن الوطنية المصرية ستكون مخطئة فى المستقبل الى حد الحماقة اذا لم تعاملنا كأعداء لها . ان التأييد العام الذى صادفته كلمات السيد جراى من جانب الحزبين السياسيين الانجليزيين ، سواء حزب الاحرار أو حزب المحافظين ، يثبت أنه لايوجد لدينا أى احساس بالالتزام من جانبنا نحوكم ولا أى احترام منا لوعودنا ، وانه يجب الا تتوقعوا منا سوى سياسة العنف والعدوان ، والاستنزاف المادى والانحطاط الاجتماعى كما يحدث حاليا فى بلاد الهند التى نكبت بالخضوع لنا .

ولا ادرى ما اذا كانت كلماتى ستصل الى أسماع صاحب العطوفة الخديوى ولكنى اسمح لنفسى بأن الفت نظره وان أتوسل اليه أن يتذكر وطنيته السابقة والدلائل المتكررة التى قدمتها له فى الماضى على اخلاصى لمصالحه عندما كان يحارب بشجاعة ضد عداء كرومر له . وأود أن الفت نظره الى أن العداء لايقل عما كان فى الماضى وان بدا أقل سفورا وانه اذا ظل يتقبل سياسة السيد جورست والسيد أ . جراى ووزارة خارجيتنا فان نهاية عهده ستكون سيئة . فسيخونه هؤلاء ولن يكون فى نهاية الامر أميرا على بلد معترف باستقلاله بل مجرد واحد من أولئك المهراجات الهنود التعساء المستأنسين الذين يعيشون فى حالة عبودية دائمة .

وانى لاتوجه بنفس الرجاء الى صديقى القديم الشيخ على يوسف والى كل مصرى سمح لنفسه بأن يقتنع بحسن نوايانا فخدم بذلك سياسة الاحتلال . وانى أقول لهم : لاتأمنوا جانبنا . نحن نسعى لأى نخين لكم . ولن تحصلوا منا على دستور أو حرية صحافة أو حرية تعليم او حرية شخصية . فغرضنا منذ الان ، وطالما بقينا فى مصر، هواستغلال بلادكم لصالح صناعة القطن عندنا فى مانشستر ، واستخدام المالية المصرية لتدعيم امبراطوريتنا الافريقية بالسودان ، والتمادى فى المضاربات الانجليزية ـ اليهودية بلا حياء كما كان الامر فى الماضى ودون أن نستشيركم ولو للحفاظ على المظهر ، وترككم بلا قيد ولا شرط نهبا لاطماعنا التجارية ، ولاعذر لكم من الان فى الانخداع حول نوايانا . فقد ظهرت بوضوح ، فلا تستسلموا لاستعباد بلادكم ودمارها .

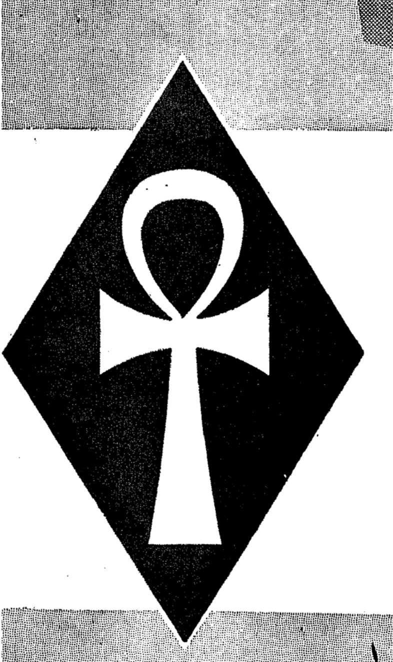
واليكم نصيحتى أقدمها للحزب الوطنى : واصلوا معارضتكم اليومية لنا بصراحة ومثابرة وشجاعة ، وطالبوا معا ، فى كل مناسبة بانهاء الوضع القائم عندكم وطالبوا بعودة الاوضاع الشرعية ، وبسحب قواتنا من بلادكم وبالكف عن التدخل فى شئونكم . لن تفقدوا شيئا بهذا الاسلوب فى الكلام : فنحن أجانب فى بلادكم ومن حقكم أن تطالبوا بذلك وتحصلوا عليه ، ذكرونا دائما ، وبكل وسائل الدعاية أن انجلترا لاتملك أى حق شرعى فى التسيد عليكم، وانكم لاتريدون أن نبقى عندكم لا كحماة مستشارين أو اداريين . ولاتقبلوا أى تبرير لموقفنا . اظهروا عداوتكم لنا بكل صراحة ، لا بالهبات السابقة لاوانها التى لن تفيدكم ، ولكن بالوسائل التى تستخدمها الشعوب ازاء الاجنبى لكى يشعره بسوء مراميه ، بالمقاطعة التجارية والرسمية والابتعاد شخصيا عنه ، وتوجد لديكم جالية أجنبية كبيرة . ارتبطوا بها . تعاملوا معها بدلا من التعامل معنا . تصالحوا مع الجميع ولكن لاتحاولوا أن تتصالحوا معنا ، لانه جهد ضائع . وأى مناقشة لنا باسم العدالة أوالشرف أو الانسانية لن تكون سوى أضحوكة فلن يكون الرد عليها من جانبنا سوى الازدراء . لا . لاتوجد امامكم سوىوسيلة وحيدة لاقناعنا ، وهى أن تثبتوا لنا أن احتلال بلدكم يثير لنا مصاعب متزايدة ومضايقات يومية فى عهده السلام وخطر داهم فى حالة قيام الحرب . وفى اليوم الذى سيرسخ فيه فى ذهن جمهورنا البليد ، أن اللعبة لا تساوى ما يتكبده من خسائر ، فاننا سنقتنع بانكم محقين ، وسنترككم . ولن يحدث ذلك قبل اقتناعنا .

وبعد ذلك ، أنصحكم بشدة أن تحسنوا علاقاتكم الى أقصى حد ممكن مع اخوتكم فى الوطن والدين فى تركيا . فمن حق السلطان ومن واجبه أن يحمى مصر بوصفها أحد ولايات الامبراطورية ومن حقه وواجبه أن يحمى دينكم بوصفه خليفتكم ، فاستفيدوا بقدر الامكان من الميزة السياسية المتمثلة فى كونكم جزء لايتجزأ من الامبراطورية . ولن تفقدوا بذلك قوميتكم اذ سيأتى اليوم (وهو ليس ببعيد) الذى سيطالب فيه السلطان انجلترا بالوفاء بالتزاماتها وذلك باتفاقه مع الدول الاوروبية المسلحة . وستذعن انجلترا حينئذ بالرغم من قوى البحر والبر التى تمتلكها وبالرغم من نفور الحزب الاستعمارى من ذلك وبالرغم من مصالحها المادية والتجارية . وستظهر حينئذ مشاعر الود وستنعم عليكم بخيراتها وتترككم .

والله أدعو أن يعجل بذلك اليوم حتى نراه بعيوننا . تلك هى الدعوة الدائمة لصديقكم المخلص لكم .

ويلفريد سكاون بلنت
نيوبويلدنجز
هورشام سسكس
١٣ سبتمبر ١٩١٠
الذكرى الثامنة والعشرين لمعركة التل الكبير


Port-Said
MENTHOLATED
FILTER CIGARETTES
بورسعيد!!
نموذج رائع
للسجاير المصرية
الفاخرة
بالمنتول..


مفتاح الحياة
عند قدماء المصريين
رمز
كيما
للجودة
والانطلاق
بإنتاجها الجديد
نتروكيما ٣١٪ آزوت
أعلى نسبة فى آزوت تضاعف
خيرات أرضنا الطيبة وترفع
مستوى الإنتاج الزراعى
شركة الصناعات الكيماوية المصرية «كيما» بأسوان
إحدى المصرية
العامة للصناعات الكيماوية

الثمن ١٠ قروش
مطابع مؤسسة الاهرام



٦

يونيو ١٩٦٩ - السنة الخامسة

عدد خاص

يونيو ٦٧ - يونيو ٦٩

رؤية المقاومة الفلسطينية للعدو

■ ملف خاص : فرنسا .. وديجول

حوار بين "فتح" و"الطليعة"

■ وثائق : خطاب الجنرال وستمورلاند عن مواجهة العسكرية الأمريكية لحرب العصابات



طريق المناضلين الى الفكر الثورى المعاصر

مجلة شهرية
تصدر اول كل شهر

رئيس التحرير :
لطفى الخولى

مستشارو التحرير :
د. ابراهيم سعد الدين
ابو سيف يوسف
د. اسماعيل صبرى عبدالله
د. جمال العطيفى
د. رشدى سعيد
د. عبد الرازق حسن
د. لطيفة الزيات
د. محمد الخفيف
محمد سيد احمد

مدير التحرير :
ميشيل كامل

سكرتير التحرير :
عبد المنعم القصاص

■

عنوان المراسلات :
مبنى مؤسسة الاهرام شارع الجلاء القاهرة تليفون ٤٦٤٦١ — ٥٩٠١٠ — ٥٩٥٦٠

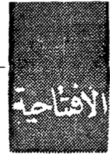
الاشتراكات :
لسنة بالبريد العادى ج.ع.م ودول اتحاد البريد العربى ودول الدار البيضاء ١٢٠ قرشا .

الفهرس

العدد السادس — السنة الخامسة — يونية ١٩٦٩

ان « الطليعة » ميدان مفتوح لكل راى حر ، وفى اعتقادنا ان تفاعل الآراء الحرة على اختلافها هو وحده الذى يستطيع ان يبلور ويستخلص وحدة فكرية اصيلة .

من هذا المفهوم تفتح « الطليعة » صفحاتها لكل رأى لديه كلمة يقولها — مؤمنة بشعار الحرية المجيد الذى أطلقه فولتيرفى القرن الثامن عشر « قداختلف معكفىالرأى ولـــكنى على استعداد لان ادفع حياتى ثمنا لحقك فى الدفاع عن رأيك »



يــونيو ٦٧ – يـــونيو ٦٩

لم يحدث فى التاريخ ، ان تثاقل «عبء الزمن» على منتصر فى معركة عسكرية ، وحقق «**بعض الكسب**» للمهزوم فيها ، مثلما حدث فى حرب يونيو ١٩٦٧ بين العرب واسرائيل .

فى العاشر من يونيو ١٩٦٧ ، جلس «ديان» منتشيا بخمرة النصر امام مراسلى الصحف فى القدس المحتلة ، يعلن لهم وهو يضع يده على سماعة التليفون :

– « **انى انتظر بين لحظة واخرى نليفونا من العرب بالاستسلام لشروطنا** » .

وفى الثانى عشر من مايو ١٩٦٩ ، القى « ديان » خطابا فى تل أبيب يقول فيه :

– « **اننا يجب أن نصمد فى مواجهة الضغط الحالى والخسائر اليومية ، حتى ولو استمر هذا عدة سنوات ..** »

وتعلق مجلة « جويش اوبزرفر » التى تصدر فى لندن ، فى عددها الصادر فى ١٦ مايو ١٩٦٩ على خطاب ديان الاخير فتتساءل بنبرة يشوبها الجزع من المستقبل :

« **اذا كان الامر كذلك ، فالى متى وعلى أى مستوى يمكن ان نتوقع اسرائيل ان تستمد العون من امكانيات وارادة الشعب اليهودى ؟ وكم من المال يمكن ان تتوقع اسرائيل خلال السنوات الخمس او العشر ، او الخمس عشرة القادمة ؟ وكم سيكون عدد**

المهاجرين الذين سيأتون الى اسرائيل لزيادةحجم مدنها ومستعمراتها ، واحتياطها العسكرى؟ من أين سيأتون؟ وماذايستطيعون ان يقدموا ؟ ٠٠»

ماذا يعنى هذا كله ؟

يعنى ــ **من ناحية** ــ أن المنتصر ، الذىكان يتوقع الاستسلام الفورى غداة حرب يونيو ، صار يشكو من الضغط والخسائراليومية ، ويناقش مدى امكانياته لاحتمالهما فترة مقبلة من السنين تمتد ــ فى تقديره ــالى خمس عشرة سنة ٠

ويعنى ــ **من ناحية ثانية** ــ أن المهزوم قداستطاعان يمارسضغطا على العدو ،ويلحق به خسائر يومية ، لا يسعفه الزمن فىاحتمالها ــ حسب تقديره ــ الا فى حدود خمس عشرة سنة .

واذن « **حـركة الزمـن** » تتجه الىغير صالح اسرائيل . وبالتالى اصبح الزمن ــ موضوعيا ــ عبئا عليها .وأعباء العدو فى ميزان علاقات القوى، تترجم الى نقط ضعف فى كفة اسرائيل ،ونقط قوة فى كفة العرب ٠

هذه حقيقة موضوعية من حقائق الموقفالراهن ، بعد عامين من هزيمة يونيو ١٩٦٧ ٠

ولكن هذه الحقيقة ، ينبغى ــ بادىء ذىبدء ــ ان لا نبالغ ميكانيكيا فى تقديرها ، ونرتب عليها نتائج تصورية غير واقعية ٠ولكى نتفادى الوقوع فى هذا الخطأ يجب ان نرى الحقيقة بجميع ابعادها ولا نقتصر علىبعد واحد ٠

حقيقة ان « **ثقل الزمن** » يقع غالبا علىالعدو ، ولكن هذا لا ينفى أن له ايضا « ثقله » علينا ، وان كان بدرجة اقل .

فالاحتلال ، وان كان يتلقى يوميا ضرباتنا ذات الخسائر ، فانه ما زال قائما ولم نقض عليه بعد ٠

وموقفنا ــ خلال عامين ــ وان كان قدحقق انجازات هامة فى جميع المجالات . واستعاد الى حد غير قليل زمام المبادأة ،فان موقف العدو ــ رغم ما طرأ عليه من ضعف نسبى عما كان عليه فى يونيو ١٩٦٧ ،فما زال قويا ٠

ومن هنا يتبلور السؤال الرئيسى : **كيفنستطيع أن نستفيد من حركة الزمن الى اقصى حد ، ونضاعف من ثقلها على العدوقبل أن يستطيع حل مشاكله التى طرحتها بوضوح مجلة « جويش أوبزرفر » فى تعليقهاعلى خطاب ديان الاخير ؟**

وفى الاجابة على هذا السؤال ، يجب أننضع فى الاعتبار اكثر من عامل :

مثلا : عامل ردود الفعل الاسرائيليةللخسائر التى تلحقها ضرباتنا ، والتى بلغت على حد تقدير وزارة الدفاع الاسرائيليةنفسها خلال العامين التاليين لحرب يونيو ،



١٦٠٠ جندى وضابط فى مجال القـوةالبشرية وحدها . أى اكثر من نصف مجموع خسائر العدو التى أعلنها فى حرب يونيووتبلغ ٣٠٠٠ جندى وضابط ·

ومثـلا : ما قـد تسـتلزمه ضروراتمعركةالانتخابات المقبلةلاعضاء الكنيست فى نوفمبر ١٩٦٩ ، من مغامرات عسكريـةعدوانية عنيفة من جانب المؤسسة العسكرية الصهيونية ، ترجيحا لزعامة « ديان » وزيرالدفاع فى وجه منافسيه على السلطة فى اسرائيل ·

ومثلا : مدى مـا تسـتطيع اسرائيلالحصول عليه من عون مادى ومعنـوى خارجى ، سواء من يهود العالم او من القوىوالاوساط الاستعمارية والعنصرية . وذلك لتغطيـة احتياجاتهـا الضرورية والتى لايستطيع كل من اقتصادها المحلى ومعدل العون الخارجى الراهن ان يغطيها . وفىالوقت الذى بدأت تيارات ذات وزن نسبى داخل يهود العالم تنفصل عن اسرائيـلوتتشكك فى كونها حلا مجديا وممكنـا للمشكلة اليهودية · وتعبر مجلـة « **جويشأوبزرفر** » عن ذلك بوضوح حين تقول : « لا يليق باليهود اليوم ، أكثر من أى وقت مضى ،أن يكتفوا باسداء نصائح عقيمة طالبين من اسرائيل ان تصـمد ، او تتقـدم اكثر اوتستسلم » ·

ومثلا : قدرة اسرائيل على تعويض ماتفقده من الامكانيات البشرية ، أو زيادتها عن طريق هجرة واسعة النطاق · والعاملالبشرى ، يحتل المرتبة الاولـى ، فـى الاستراتيجية الاسرائيلية نتيجة لعدم تكافؤمع متطلبات الحياة والامن الاسرائيليين من ناحية ، ومع الوزن البشرىالعربى من ناحيةأخرى ·

ومثلا : احتمالات التغيير فى المـوقفالفرنسى ازاء اسرائيل بعد اختفاء ديجول من قمة السلطة · سواء بالنسبة لحظر شحنالطائرات والاسلحة ، وسواء بـالنسبة للسياسـة الفرنسية التى اتخذت نهج الحيادالموضوعى فى المجال الدولى ·

ومثلا : مدى ما تنبىء عنه المقـاومةالفلسطينية المسلحة والسياسية ، التى أثبتت فاعليتها ، من تطوير رئيسى فى عملياتهابحيث تضاعف مـن خسـائر العـدو الاستراتيجية ، وخـاصة بعـد قيـامهابعمليتى « الحمة » فى مرتفعات الجـولان السورية ، و « داميا » فى الضفة الغربية ·

ومثلا : القدرة القتالية والتنظيمية التىتصل اليها عملية بناء الجيوش العـربية النظامية عامة ، والجيش المصرى خاصة ،والذى اثبت فى معارك القناة الاخيرة امكانية كبيرة على الردع ·

ومثلا : تحقيق ما تتطلبه المعركة من تعبئةشاملة وواقعية لكل الامكانيات العـربية ، المادية والمعنوية ، البشرية والفنية ، الشعبيةوالدبلوماسـية ، الجيـوش النظـاميـة والمقاومة الفلسطينيةالمسلحة . متخطية فىذلك كل العقبات والتناقضات الفـرعية الثانوية ·

ولا أريد هنا أن استطرد فى عـرضمختلف العوامل · ولكن من الواضح أنه ، على الرغم من كل القصور الذى لا يخفى ،فقد استفاد العرب « بالزمن » الذى امتـد خلال العامين الماضيين . وتحركوا خلالهبمعدل سرعة غير عادى · بالقياس الى معدل السرعة التقليدى · واستطاعوا بـذلك أنيحققوا الحد الادنى والضرورى من متطلبات

ارادة الصمود الشعبية ، ويحرموا اسرائيل — طوال العامين الماضيين — من ان تترجم نصرها العسكرى فى حرب يونيو الخاطفة الى واقع سياسى مستقر — محليا ودوليا — مفروض بالقوة كأمر واقع ٠

بيد أن معدل سرعة تحريك العرب للزمن وظروفه ، خلال العامين الماضيين ، لم يعد كافيا ، في العام الثالث ٠ والمطلوب هو تحقيق معدل سرعة قياسى جديد . ذلك ان العام الثالث ، بلا جدال ، سوف يكون حاسما فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ٠ فالمشكلة الملتهبة تزداد التهابا ولا يمكنها الانتظار كثيرا على هذا الوضع دون ان تنفجر لتبدأ معركة طويلة وساخنة ومعقدة ٠

بمعنى أنه اذا كنا — بمعدل العامين الماضيين — قد استطعنا ان ننجز مثلا فى أربعة شهور ما كنا ننجزه فى عام كامل بالمعدل التقليدى ، فقد أصبح من الضرورى فى العام الثالث أن نختصر الاربعة شهور الى شهر واحد أو شهرين على الاكثر ٠

وهذا كله ، ليس بدعة أو عملا مستحيلا ٠ فقد حققته من قبل شعوب واجهت ما واجهناه من تحد ٠ فضلا عن أن ظروف التحدى نفسها تولد قوة مادية معنوية للشعوب فى اوقات محنتها ، تحقق انجازات قد تعتبر معجزات فى الاوقات العادية المسترخية ٠
وعلاوة على ذلك فان ما كسبناه من خبرة — خلال العامين الماضيين — يسلحنا بمزيد من القدرة على مضاعفة الحركة المنظمة المنتجة . ولا عذر لاحد ٠

وقبل ذلك ، وبعد ذلك .. فليس أمامنا من خيار الا هذا الطريق ، لنقطع على العدو كل فرصة أمامه ، لمعالجة ما يواجهه اليوم من ضغط وخسائر يومية ٠

لطفى الخولى



رؤيـة المقـاومة الفلسطينية للعدو

منذ عدوان يونيو ١٩٦٧ برز دور المقـاومة الفلسـطينية المسلحة ، مما اكسب المعركة ابعادا جديدة ، ووضع على كاهل هذه الحركة فى طورها الجنينى ومطلع حياتها مهاما بالغة الخطورة والتعقيد . والمقاومة الفلسطينية بحكم تلاحمها المباشر مع العدو من أقدر القوى على التعرف على حقيقته وطبيعته وأساليبه .

وبالرغم من الظروف القاسية فان ما حققته المنظمات الثورية الفلسطينية فى مجال النضـال المسـلح من ضربات موجعة للعدو ، تزداد حدة واتساعا ، هو خير مؤشر للافاق المرتقبة والمأمولة التى يمكن تحقيقهـا من خلال حركة الكفاح المسلح بمساندة النضال العربى بصوره المختلفة العسكرية والسياسية

والاقتصادية ، من أجل تحرير فلسطين والاراضى المغتصبة .

وفى مثل هذه الظروف الصعبة وفى مواجهة عدو مزود بأحدث عتاد وخبرة ، ويخطط عملياته على أسس علمية ، يصبح فى مقدمة مهام حركة النضال المسلح الفلسطينى أن نحقق وضوحا فى رسم استراتيجية تحرير فلسطين على أسس علمية سليمة وفى استنباط أكثر الاساليب فاعلية فى مواجهة العدو ، واستخلاص قوانين حرب التحرير الشعبية استنادا الى القاعدة العامة لحروب التحرير مع مراعاة خصوصية القضية الفلسطينية وطابعها المتميز ، ثم العمل من اجل توحيد كل القوى الثورية وتجميع الطاقات وتركيزها وتعبئتها وصولا الى الهدف الواحد

وتقدم « الطليعة » دراستها الحالية عن رؤية المقاومة الفلسطينية للعدو ، ورأيها فى استراتيجية تحرير فلسطين فى مواجهة الاستراتيجية الإسرائيلية الاستعمارية ، بعرض المنهج الفكرى للمنظمات الفلسطينية وأسلوبها فى العمل وموقفها فى مواجهة الحاضر والمستقبل .

فى العدد القادم نستكمل الدراسة بعرض لرؤية العدو للمقاومة الفلسطينية المسلحة ومخططاته السياسية والعسكرية والاقتصادية فى مواجهتها ، عملا بالمبدأ القائل بأن معرفة العدو واهدافه ومخططاته ودراسة نقاط القوة والضعف لديه هو السبيل الى وحدة وتحقيق النصر فى المعركة المصيرية التى نخوضها

■

الخلفية التاريخية للمقاومة العربية فى فلسطين

عبد القادر ياسين

كحمامة نوح ، عاد فيصل من سوريا الى مكة — فى ٢٠ يونيو (حزيران) ١٩١٥ — يبشر والده الشريف حسين بأرض جديدة .. حاملا له (**بروتوكول دمشق**) ، الذى يحدد المطالب الاقليمية لقادة الحركة الوطنية السورية * ، والتى «يريدون من الشريف حسين ان يتقدم بها الى البريطانيين فى نظير انضمام العرب اليهم واعلان الثورة على تركيا » (١) .

---

* كان يطلق على مجموع سوريا ولبنان والاردن وفلسطين اسم [سوريا]. اما التقسيمات السياسية السابق الاشارة اليها ، فقد ادخلها الاستعمار فى اعقاب الحرب العالمية الاولى .

(١) الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، — دكتور محمد انيس ورجب حراز ص ٢٦٢

وكانت قد بدأت **الجمعيات السرية** فى الانتشار بسوريا منذ نهاية القرن الماضى ومطلع القرن الحالى • وكان محور الحركة الوطنية السورية ـ آنذاك ـ هو مطالبة العثمانيين **بالاصلاح** •

وعندما خاب رجاء العرب فى جماعة (الاتحاد والترقى) التركية بعد توليها الحكم فى استانبول ، انفضوا من حولها ، وشكلوا **جمعياتهم وأحزابهم العلنية** العربية الخاصة ، وانحصرت استراتيجية تلك الجمعيات والاحزاب فى : **اللامركزية** ، ومنح العرب **الاستقلال الذاتى** ضمن الامبراطورية العثمانية •

وما أن أعلن (بروتوكول دمشق) ، الذى يطالب **باستقلال** البلاد العربية ، حتى سارع (جمال باشا) ـ والى سوريا التركى ـ الى اعدام العشرات من قادة البلاد فى أغسطس (آب) ١٩١٥ ومايو (أيار) ١٩١٦ •

وواضح هنا أن **العدو** هم **الاتراك** •

أما **الاشكال النضالية** ، فقد مارست الحركة الوطنية أشكالا متعددة منها ••• فتدرجت من تشكيل **المنتديات الادبية والسياسية السرية** ثم العلنية ، كما عقدت العديد من **المؤتمرات والندوات** ، ثم أصاب التشريع حركتها ، لتصل الى **التمرد والكفاح المسلح ضد الاتراك عند مهاجمة الجيش البريطانى وقوات الشريف حسين لسوريا** عام ١٩١٦ •

وبانتهاء الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٨ ، تم احتلال كل سوريا وقسمت ـ كما هو معروف ـ بين الاستعماريين البريطانى والفرنسى • وانتهت بذلك المرحلة الاولى للحركة الوطنية ، باستبدال الانجليز مكان الاتراك فى فلسطين •

مرحلة التخبط والصراع العنصرى

فى حديث شفوى للاستاذ حمدى الحسينى ، أحد قادة الحركة الوطنية الفلسطينية فى فترة الانتداب ، صرح بأن مجموعة من قادة البلاد قابلوا الحاكم العسكرى البريطانى لفلسطين عام ١٩١٨ ، وأعربوا له عن مخاوفهم من نتائج وعد بلفور • وقد طلب منهم الحاكم العسكرى البريطانى أن يسلكوا نفس مسلك اليهود حين طالب هؤلاء بالوطن القومى • وفعلا خرج قادة البلاد ليشكلوا (**الجمعيات الاسلامية المسيحية**) فى كل مدينة وقرية ، لمطالبة الحكومة البريطانية ـ من خلال تلك الجمعيات ، وكنصيحة الحاكم البريطانى ـ بالغاء وعد بلفور !

وقد عقدت تلك الجمعيات ، فى المدة مابين عامى ١٩١٨ ـ ١٩٢٣ نحو عشرة مؤتمرات ، وأوفدت **ثلاثة وفود** لمفاوضة الحكومة البريطانية فى لندن •

وفى تلك المرحلة ، والتى امتدت من سنة ١٩١٨ ـ ١٩٣٣ ، كان **اليهود** هم **الاعداء** • وكان اعداء الحركة الوطنية لهم ذا طابع **عنصرى دينى** • وقد قررت (**لجنة شو**) ، التى كانت الحكومة البريطانية قد أرسلتها للتحقيق فى أسباب هبة عام ١٩٢٩ فى فلسطين ، قررت تلك اللجنة بأن السبب الرئيسى كان شعور (العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود ، نتيجة لخيبة أمانيهم السياسية والوطنية ، وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادى) (٢) •• وقد جاء هذا الموقف بفعل تضليل وقصور القيادة شبه الاقطاعية الفكرى أولا •• وبفعل حرف الاستعمار لاتجاه المقاومة العربية ثانيا •

وكان الاستعمار البريطانى يرمى من حرف المقاومة العربية نحو اليهود كدين ، الى تبديد الطاقات الثورية للمقاومة العربية •• كما أن اتجاه المقاومة العربية هذا من شأنه خلق المبرر لبقاء الاستعمار البريطانى فى فلسطين ، بدعوى قيامه بدور (**الحكم**) بين الاطراف « المدنية » المتصارعة •• هذا بالاضافة الى أن ذلك يوفر للاستعمار البريطانى فرصة ذهبية يتمكن بها من الفتك بحركة الجماهير العربية الفلسطينية •

أما **الاسلوب النضالى** ـ الذى اعتمدته قيادة الحركة الوطنية فى تلك المرحلة ـ فكان **المظاهرات** • كما أن العديد من **الهبات الثورية** العفوية كانت قد شبت ابان تلك المرحلة فى أعوام ١٩٢٠ و١٩٢١ و١٩٢٢ و١٩٢٩ ، والتى تميزت بالالتحامات والصدامات الدموية العنيفة بين العرب واليهود •

مرحلة اكتمال المعالم

اثر تطورها ونموها ، ازداد نمو ونفوذ البورجوازية العربية ـ فى مستهل الثلاثينات ـ فى

(٢) (القضية الفلسطينية) ـ أكرم زعيتر ص ٧٩ •

قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية وتدعم مركزها فيها ، وأخذت معالم تلك الحركة فى الاكتمال ، وبدا التحول فيهـا واضـحا . فيكتب (صبحى الخضراء) – مدير اللجنة التنفيذية – مقالا فى جـريدة (الجامعة العـربية) عـام ١٩٣١ بعنـوان (بريطانيـا أصـل الـداء ورأس البلاء (٣) .. وهذا **مؤتمر الشباب** الذى عقد فى يافا فى ٦ مارس (آذار) ١٩٣٣ ، يقرر مبدأ **عدم التعاون مع حكومة الانتداب** ، ويعتبر **صادق سعد وأميل الغورى** هذا المؤتمر بمثابة المنعطف الرئيسى فى اتجاه الحركة الوطنية الفلسطينية ، أخذت الحركة الوطنية بعده فى **التوجه ضد الاستعمار** أولا ثم **الصهيونية** .. وفى يوليو (تموز) عام ١٩٣٢ يخرج (**حزب الاستقلال**) الى الوجـود كباكورة للاحزاب البورجوازية الفلسطينيـة فى محاولة « لتجديد شـباب الحـركة الوطنيـة ، وتصحيح سيرها ، بحيث يدخل فى منهجها **النضال ضد الانجليز ومصارحتهم العداء** » (٤) . وقد وصف البيان التأسيسى للحزب موقف قيادة الحركة الوطنية شبه الاقطاعية بـأنه « موقف عجـز ومسكنة ، محصورا بمقاومة القضية المصطنعة التى نكبنا بها الاستعمار ليلهينا عن أغراضنا المقدسة العليا » (٥) ، وأن الحـزب « سيكافح الاستعمار وماجره من نكبات » (٦) .. كما أن مظاهرات أكتوبر (تشرين أول) ١٩٣٣ احتجت ليس ضد اليهود فحسب بل ضد حكومة الانتداب أيضا (٧) . ومع نشوب ثورة ١٩٣٦ ، فـى أبريل (نيسان) ، وجه الحرس الوطنى الفلسطينى نداء للشعب الفلسـطينى جاء فيه ان **الانجليز** « ... هم **الاصل فى قضيتنا** ، **واليهود الفرع** ، وهم الذين رمونا بالصهيونية ، وهم الذين يهدرون دماء أبنائنا » (٨) .

من كل هذا ، يتضح ان الحركة الوطنية قد **اعادت ترتيب اعدائها بشكل** صحيح ، فوضعت **الاستعمار على راس معسكر اعدائها** . وصعدت الحركة الوطنية **اساليبها النضـالية** .. فكانت **الانتفاضة المسلحة فى** نوفمبر (تشرين ثـانى) ١٩٣٥ – والتى عرفت **بثورة القسام** – تمثل اسلوبا نضاليا جديدا فى مواجهة الاستعمار ، **وهو الكفاح المسلح** . واذا كانت انتفاضة نوفمبر قد فشلت بعد استشهاد قائدها **عز الدين القسام** ومعظم قادة تنظيمه ، الا ان تلك الانتفاضة لمتضع سدى ، ذلك انها **اوضحت للشعب الفلسطينى ان الكفاح المسلح ليس ممكنا فحسب ، بل وضرورى ايضا لمواجهة الاستعمار والصهيونية** .

ما بعد الهزيمة

وبعد انتكاس الثورة فى سبتمبر (ايلول) ١٩٣٩ ، نما فى فلسطين اتجاهان متضادان : الاول **استسلامى انهزامى** ، يدعو الى مصادقة الغرب وانشاء **مكاتب دعاية** فـى الدول الغـربية لتبصيرها (!) بحقوقنا . وكان على رأس هذا الاتجاه – والذى تجسد فيما عرف بـ (المكتب العربى) – **موسى العلمى** ، كما ضم كل من برهان الدجانى واحمد الشقيرى ووديع ترزى ورشاد الشوا ، وغيرهم من المثقفين الذين تشبعوا بالافكار الغربية ، والذين كانوا يرون « ان اول واجب على الامة العربية المتيقظة ، ان **تحدد علاقاتها بالدول الغربية على اساس الاحترام والمساواة ، وان تطبق افضل ما فى الحضارة الغربية ، ولكن السياسة الصهيونية من اعظم العقبات التى تعطل تحقيق هذا الواجب** بسبب المعاونة التى تقدمها بعض الدول الغربية لها ، بل الواقع ان الصهيونية باتت تبدو فى اعين العرب كتجربة توضح لهم النيات الغربية نحوهم » (٩) !!

اما الاتجاه الثانى فهو **الاتجاه اليسارى** .. ففى سبتمبر (ايلول) ١٩٤٣ ، انشق الشـيوعيون العرب عن الحزب الشيوعى الفلسطينى ، كرد فعل للدعاوى التى بدأ بعض الاعضاء اليهود فـى ترديدها : فى أن **نواة قومية يهودية** آخذة فى التبلور ، بعد تجمع اليهود فى **ارض** فلسطين ، وبعد احياء **اللغة العبرية** . مما دعا الاعضاء العرب الى الخروج من الحزب وتكوين (**عصبة التحرر الوطنى**) ويشترك عضوان بارزان من عصبة التحرر الوطنى فى (مؤتمر نقابات العمال العالمى) الذى عقد فى باريس عام ١٩٤٥ . وقد ادى اشتراكهما الى « **محاربة الصهيونية** بين صفوف العمال ، وفضحها **كحركة استعمارية راسمالية** ، مما الغى ونفى مساعدة العمـال

---

(٣) (حول الحركة العربية الحديثة) محمد عزة دروزة ج ٣ ص ١٠٢ . اما اللجنة التنفيذية فهى اللجنة التى كانت قد انبثقت عن مؤتمرات اللجان الاسلامية والمسيحية ، وكانت تشرف على قيادة الحركة الوطنية حتى ١٩٣٣ . وجريدة (الجامعة العربية) هى لسـان حال (المجلسيين) أى انصار رئيس (المجلس الاسلامى الاعلى) الحاج أمين الحسينى.

(٤) المصدر السابق – ص ١٠٣ .

(٥) المصدر السابق – ص ١٠٤ .

(٦) المصدر السابق – ص ١٠٥ .

(٧) (فلسطينيين مخالب الاستعمار)صادق سعد ص ٩٢

(٨) (جهاد شـعب فلسطين خلال نصف قرن) صالح مسعود ابو يصيرص ١٨٩ .

العالميين لها »(١٠) • ويصرح المندوبان لوكالة الانباء الفرنسية بباريس بان « **المسألة الفلسطينية ليست مسألة عنصرية بل مسألة سياسية** • واذا كان اليهود ديمقراطيين ، فلا يجب عليهم ان يكافحوا من اجل دولة يهودية ، بل من اجل **استقلال الدولة الوطنية الديمقراطية الفلسطينية** ! (١١)

وفى ١١ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٦ ، اصدر المكتب السياسى لعصبة التحرر الوطنى بيانا جاء فيه « وترى العصبة فوق هذا ، ان **تكون قيادة النضال الوطنى فى فلسطين بأيدى الشعب العربى المجاهد** » ويجدد المكتب السياسى مطلب عصبة التحرر الوطنى » وهو **الغاء الانتداب وانشاء حكومة وطنية ديمقراطية مستقلة** ! (١٢) •

كما تميزت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بتكوين **منظمات عربية شبه عسكرية ذات طابع** فاشى .. فتأسست منظمة (**النجـادة**) بقيادة محمود الهوارى ، وشكل (الحزب العربى) ؛ منظمة (**الفتوة**) •

ومما هو جدير بالملاحظة ، انه بعد هـزيمة ١٩٤٨ ، هجر رئيسا هاتين المنظمتين النضال نهائيا •• فشغل رئيس المنظمة الثانية منصب مستشار سياسى لاحدى الدول العربية ، قاطعا كل ما يربطه بالقضية الفلسطينية ، فى حين فر الهوارى الى فلسطين المحتلة ليضع نفسه فى خدمة الصهيونية ،

مرحلة التغييب

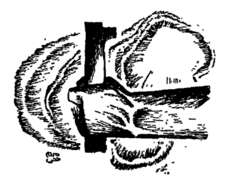
وبدأت الاضطرابات فى فلسطين ، فى اعقاب صدور قرار التقسيم فى ٢٩ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٤٧ ، الا ان الديماغوجية والأرتجال عادا الى السيطرة على قيادة الحركة الوطنية ، ومع ذلك ابدى الفلسطينيون بسالة نادرة فى الدفاع والحفاظ على مدنهم وقراهم فى وجه الاجتياح الصهيونى •

وما ان دخلت الجيوش العربية الى فلسطين بقيادة **جنرال جلوب** ـ فى ١٥ مايو (ايار) ١٩٤٨ حتى سارعت الى **انتزاع سلاح الفلسطينيين • وحريتهم فى الحركة** • ومنذ ذلك التاريخ **غيب الفلسطينيون** عن ميدان قضيتهم •

وبانتهاء حرب ١٩٤٨ ، بدأت مرحلة جديدة فى المقاومة الفلسطينية ، خاض فيها الفلسطينيون **المعارك الدامية** من اجل الحفاظ على كيانهم ، ولانتزاع حريتهم فى العمل والحركة • وحطموا بنضالهم هذا كافة **مشاريع الاسكان والتوطين** الاستعمارية التصفوية ، والتى كان قد تقدم بها الاستعمار الامريكى فى سنوات ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ •

وفى مساء ٣١ (ديسمبر) كانون اول ١٩٦٤ ، دوى انفجار مروع هز شمال فلسطين المحتلة ، معلنا بداية **مرحلة نضالية جديدة** فى حياة الشعب الفلسطينى ، حيث عاد فيها ذلك الشعب الى ممارسة حقه وواجبه النضالى •

ولقد كان من حسنات عدوان يونيو (حزيران) ١٩٦٧ ــ على ندرة تلك الحسنات ــ ان تمكن الفلسطينيون ، فى اعقابه ، من احتلال موقعهم الطبيعى كطليعة لمعسكر تحرير فلسطين •



(٩) من مذكرة (المكتب العربى)بالقدس والمقدمة الى لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية سنة ١٩٤٦ •
(١٠) مجلة (الفجر الجديد)القاهرة ــ مقال مخلص عمرو (المندوبون العرب فى مؤتمر نقابات العمال العالمى) ــ عدد اول نوفمبر ١٩٤٥ •
(١١) المصدر السابق ــ عدد اول اكتوبر ١٩٤٥ •
(١٢) جريدة (الاتحاد) الفلسطينية ــ عدد ١٨ يناير (كانون ثانى) ١٩٤٦ •

عدو قوى

ولكنه ليس اسطوريا



كاتب هذا المقال، مناضل فلسطينى — مقاتل فى فتح — خرج لتوه من الارض المحتلة

ابو خالد

عندما طلبت الى مجلة الطليعة، ان اقدم تصورى عن المعركة مع العدو الصهيونى كمقاتل فلسطينى، منظم فى حركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح . وعن تصورى للعدو الصهيونى .. نقاط قوته، ونقاط ضعفه التى يستند المقاتل الى معرفتها فى تقريره لحتمية النصر ونتائجه من ارض الواقع فى فلسطين، كان لابد من الاجابة على مجموع التساؤلات المطروحة من خلال بحث علمى مدعم بالمعلومات المتوفرة عن هذا العدو .. ذلك ان كتابة مقال مركز حول هذه

القضايا ، مسألة ليست شاقة ، لكنها لا تؤدى الى الهدف ٠

والهدف هنا ليس مقالة عابرة ، ولكن وثيقة تتحدث عن عدو علمى متقدم على كافة المستويات ، لكنه وفى نفس الوقت ليس عدوا اسطوريا لا يمكن قهره ، وانما هو عدو واقعى يعيش على الارض ٠ ومن هنا فستظل صورته دائما فى مستوى الواقع ، ولن تكون فوقه ٠ ٠ دون ان ينفى ذلك كونه عدوا ذكيا ومتقدما ٠ ويملك منهجا وبرنامجا فى ممارسته للتوسع والعدوان عبر تاريخ طويل من المثابرة على تحقيق حلم ميثولوجى ، بدا انه ممكن التحقيق فى نظر الكثيرين من انصار الامر الواقع فى العالم ٠ لكنه بالمقابل يبدو مستحيلا فى نظر الثورة والثوار ، فكل واقع هو فى حقيقته مجموعة من الظروف التى تمثل واقعة او مجموعة من الواقعات قابلة للنفى بالمفهوم العلمى للموضوع ٠

وما حدث فى فلسطين ، لا يختلف اثنان على انه واقعة قابلة للنفى اذا ما جوبهت بمحاولة جادة واصيلة لنفيها ٠ والثورة الفلسطينية فى هذا المجال ، انما تمثل الاداة الطليعية لنفى هذه الواقعة ، ولكى اجيب على هذه المسألة ، كان لابد من تقديم مراجعة تاريخية لنشأة هذا العدو وتطوره وممارساته قبل وبعد وجوده على هذه الصورة فى فلسطين ٠

ومن هنا ٠٠ فالسؤال المطروح كله ، يتمثل فى الجملة التالية : من هو العدو الصهيونى ، وكيف حقق انتصاراته المتوالية فى ثلاث معارك رئيسية ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ٠٠ ما هى القوى التى تقف خلفه ، ماذا يمثل بالنسبة لها ؟ ماذا فعل الشعب الفلسطينى لكى لا يهزم ٠٠ واين تمت جذور ثورته الراهنة التى قدم فى المسيرة اليها ١٣٫٠٠٠ شهيد حتى عام ١٩٤٨ ٠

ومن هنا كان لابد من هذه المقدمة ، للتعريف بالتراث الثورى للثورة الفلسطينية ، التى تمتد جذورها الى ما بعد عام ١٩١٧ ، متواصلا فى الفترة الممتدة من عام ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ٠ ومنذ ذلك التاريخ حتى عام ١٩٤٨ ، ثم راكدا حتى عام ١٩٦٥ حيث تواصل فى المطلع منه ميلادا اصيلا وخلاقا للشعب الفلسطينى الذى تمثلت ارادته فى العمل الثورى الطليعى الذى فجرته وقادته حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح »

ويتمثل التراث الثورى الفلسطينى اكثر ما يتمثل فى ثورة عام ١٩٣٦ ، باعتبارها الثورة المسلحة للشعب الفلسطينى المثلة لرصيده الفلسطينى فى الكفاح المسلح الذى يخوضه الان بقيادة فتح ٠ ولذا فالحديث عن التراث الثورى هنا يجب أن يتركز حول هذه الثورة ، دون ان ينفى ذلك كونها نتيجة لظروف موضوعية مرت بها القضية الفلسطينية سنأتى على ذكرها ، وذكر الدروس المستفادة من التجربة ككل فى مسار البحث ٠

اولا : تشكلت عدة مجموعات مقاتلة فى كل من **حيفا وجنين ونابلس وطولكرم** ، وبدأت المظاهرات تنتشر فى المدن والقرى ، وظهرت بوادر العصيان المدنى ، بالامتناع عن دفع الضرائب ٠

وقد اتصفت هذه الثورة بالشمول ، سيما وان بعض النجدات قدمت من سوريا ولبنان ، وشرق الاردن والعراق ٠ ومع ان هذه النجدات كانت ضعيفة ، ورمزية ، الا انها وضعت البذور الاولى التى انبتت فكرة وحدة النضال العربى المسلح ، ضد الصهيونية والاستعمار فى ارض فلسطين ٠ وشارك المواطنون العرب فى الاضراب العام وقدموا مذكرات تندد بموقف السلطات البريطانية ، وعم الاضراب جميع انحاء فلسطين ، واستمر طيلة ١٧٤ يوما ٠ وكان بذلك اطول اضراب وطنى فى تاريخ الحركات التحررية العربية ٠ وقد اثر ذلك فى اقتصاد البلاد من جراء توقف قطاعات الاقتصاد المختلفة ٠ وانتشر الجوع والبؤس فى العديد من المدن والقرى ، الا ان الشعب الفلسطينى ظل صامدا فى مواجهة الاحتمالات المترتبة على هذا الظرف ٠٠ بالرغم من قلة الامكانات وقلة الاسلحة والذخائر ٠

وقد اتصفت الاشتباكات والمعارك فى هذه الثورة بعنفها ٠ كما اظهر الثوار العرب ـ المسلحون ، باسلحة ضعيفة جدا ، لا تتجاوز البندقية القديمة ، حتى « العثملية » القديمة مع القليل من الذخائر التى لا تكفى لاستمرار المعركة ، اكثر من ١٥ دقيقة ـ بطولات وتضحيات وسقط منهم مئات القتلى والجرحى ، مما دفع بكبار العسكريين البريطانيين الى الاعتراف ببطولاتهم ، وقدراتهم القتالية على حرب العصابات ، حيث قال الجنرال هنرى متيلاند ولسون قائد القوات البريطانية فى الشرق « **ان خمسمائة من الثوار العرب يحاربون فى الجبال ٠٠ لا يمكن التغلب عليهم بأقل من فرقة بريطانية كاملة السلاح** » ٠ اى بنسبة ٥٠٠ مقاتل عربى الى ١٥٫٠٠٠ جندى بريطانى ٠٠ وهو عدد إفراد الفرقة البريطانية آنذاك ٠

وقد قدرت القوات البريطانية التى اشتركت فى التصدى للثورة الفلسطينية بحوالى ثمانين الف جندى تحت امرة الجنرال « ديل » ثم الجنرال « ويفل »

ثانيا : تواصلت الثورة فى عام ١٩٣٧ منيفة

وضارية شاملة قطاعات كبيرة من الجماهير ، التى انتظمت فى صفوف الثورة • حيث اخذ الثوار يحتلون المدن والقرى ، ويهاجمون الثكنات البريطانية ، ومراكز الشرطة ليحصلوا على السلاح • وقد سيطر الثوار على القسم الاكبر من فلسطين سيطرة شاملة ، وساندهم فى ذلك متطوعون عرب من سوريا ، ولبنان وشرق الاردن •

وقد احتل الثوار مدينة القدس القديمة • ووضعوا المتاريس واقاموا عدة مراكز دفاعية بامكاناتهم الضعيفة ، تمكنت من الصمود امام جيش مدرب ، ومسلح بأحدث الاسلحة • وثارت مدينتا الخليج وطبريا ، وسيطر عليهما الثوار سيطرة تامة ، كما قام الثوار بنسف عشرات من المنشآت البريطانية والمستعمرات الصهيونية •

وكانت الحصيلة ، سقوط اكثر من الفى شهيد ، اما خسارة العدو فكانت مائتى قتيل من الجنود البريطانيين ، ومئات الجرحى • وبلغت خسائر الصهيونيين خمسين قتيلا وثلاثمائة جريح • وتواصلت الثورة فى معارك فاشلة وناجحة حتى عام ١٩٣٩ ، حيث اجهضت على يد القوى المضادة لها ، والممثلة بسلطات الاحتلال وقوى الغزو الصهيونى والوجاهات المرتبطة بهما •

ان هذا الرصيد الذى تحمله الثورة الفلسطينية اليوم من العمل المسلح الملىء بالمبادرة والتضحيات ، لابد وان يقيم من جديد لوضعه فى مكانه الحقيقى من تاريخ النضال العربى •

وان الحديث عن الثورة الفلسطينية الراهنة لا يكون حديثا مكتملا الا بربطه ربطا منهجيا بتلك الثورة ، وهو ما اقدر ان هذا البحث ليس مجاله المتخصص • • حيث ان الموضوع الان هو العدو الصهيونى ••

فمن هو •• ؟

للاجابة على هذا لابد من البدء بالحديث عن الاستعمار واثره فى تكوين هذا العدو ونشوئه •

[١] الصراع الاستعمارى وأثره على نشوء وتطور الحركة الصهيونية

كانت الحرب العالمية الاولى ، قد خلقت ظروفا جديدة ، منها التحالف البريطانى الاستعمارى الصهيونى الذى انتج اول صيغة دولية تعترف للغزو الصهيونى بحقه فى النمو وبناء دولته غير الشرعية على ارض فلسطين •

فبالرغم من كل المحاولات التى قامت بها الصهيونية طوال اكثر من ثلاثين عاما لتحقيق برنامجها فى استعمار فلسطين فقد بدا نجاحها محدودا ، ويمكن تلخيصه فى النقاط التالية :

● كان الصهاينة اقلية لا تتجاوز ١ فى المائة من مجموع يهود العالم •

● كان اليهود المواطنون الاصليون منهم والغزاة اقل من ٨ فى المائة من مجموع سكان فلسطين •

● لم يكونوا يملكون اكثر من ٥ر٢ فى المائة من الارض •

وما من شك فى ان الحرب العالمية الاولى كانت ذروة الصراع الاستعمارى الذى بلغ نقاط التهديد بالحرب بين الدول الكبرى فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ••

ومن الطبيعى ان الصراع لم يكن ظاهرة منعزلة عن مصالح تلك الدول • وانما كانت اساسا وخافزا رئيسيا يكاد يوصله الى نقطة الانفجار ، التى ولدت عليها الحركة الصهيونية ومدى تأثيرها من القرن العشرين •

وبرسم ملامح الصورة العامة للاستعمار العالمى فى تلك الفترة نستطيع ان ندرك طبيعة الارضية التى ولدت عليها الحركة الصهيونية ومدى تأثيرها عليها •

ففى الثلاثينات والاربعينات من القرن التاسع عشر ، كانت المصالح الاستعمارية الفرنسية تمد تطلعاتها الى مختلف انحاء العالم ، حتى وضعت بعضها موضع التطبيق فى موضوع شق قناة السويس الذى قام فرديناند دليسبس بتنفيذه مع خديوى مصر الذى منحه امتيازا عام ١٨٥٤ • وبالرغم من ان بريطانيا حصرت اهتمامها فى تأمين الحماية الاستراتيجية للطرق البحرية والتجارة ، وامنت طريق الهند بالحصول على مستعمرة الرأس من هولندا ، وجزيرة موريشيوس (فى المحيط الهندى) من فرنسا ، كما امنت طريقها الى الصين بالحصول على سنغافورة عام ١٨١٩ ، وعلى عدن عام ١٨٣٩ ، فقد عارضت مشروع قناة السويس باعتبارها منفذا للهجوم على الهند من طريق آخر •

لكن القناة شقت • وكان على بريطانيا ان تجد وسيلة للاستيلاء عليها ، فقامت بشراء اسهم الخديوى فيها عام ١٨٧٥ ، وبذلك اصبحت اكبر مالك لاسهمها متنازلة مقابل كل تلك المكاسب الاستراتيجية عن جزائر جواد ديلوب ، ومارتينيك لفرنسا ، وثروة جاوة لهولندة •

ولقد تأثرت الحركة الصهيونية باسلوب الاستعمار القديم الذى مثلته الدول الخمس الكبرى المتصارعة على الشكل التالى :

اولا : بريطانيا ، التى قامت بتوطين الفائض من سكانها فى القارات الثلاث قبل ان تشرع سائر الدول الاوروبية فى ارسال افواج المهاجرين الى ما وراء البحار •

ثانيا : فرنسا ، التى كان اسلوبها فى الاستعمار يتخذ شكلا آخر ، هو عبارة عن الجمع بين الاسلوب البريطانى فى الاستيطان وبين الصورة العادية لبناء الامبراطورية والتوسع الاستعمارى عن طريق التحكم الاقتصادى فى الشعوب المتخلفة ومواردها عن طريق الشركات او الحكومات الغربية كما حدث فى الجزائر •

ثالثا : المانيا ، التى كانت مصالحها التجارية تفرض نفسها بقوة على النظام الذى اعلن الحماية على كل جنوبى غرب افريقيا من جنوب غرب انغولا (البرتغالية) حتى الحدود الشمالية لمستعمرة الرأس وعلى الخط الساحلى للكاميرون ، بالاضافة الى توجولند عام ١٨٨٤ وحيث تمت سيطرته على القسم الشمالى من غينيا الجديدة وعلى تنجانيقا فى نفس العام والعام الذى اعقبه •

رابعا : بلجيكا ، وبنفس الطريقة الالمانية ، وبهدوء ودون الحاجة الى تحريك جندى واحد فتحت هذه الدولة الكونغو ، حيث اقتنعت القبائل بعقد معاهدات لانشاء دولة جديدة ذات طابع دولى تجارى فى الاعوام الواقعة بين ١٨٧٨ و ١٨٨٥ • حيث اصبحت تدعى دولة الكونغو الواقعة تماما فى دائرة السيطرة البلجيكية بعد مؤتمر برلين — اكتوبر ١٨٨٤ — فبراير ١٨٨٥ •

خامسا : روسيا ، وكان الاستعمار بالنسبة لها يعنى زراعة اراضى سيبيريا ، والتوغل الى اواسط آسيا ، حتى تحولت باتجاه الصين فى عام ١٨٩٢ •

واذا ما قمنا بمراجعة اولية للفكر الصهيونى فى تلك المرحلة ، وجدنا انه جزء من الفكر والممارسة الرجعيين للدول الاستعمارية فى تلك المرحلة • وان تطبيقاته فى المرحلة التى اعقبتها لم تكن بعيدة عن الصورة التطبيقية للاستعمار القديم بكل اشكاله ••

ولقد طرح «**هرتزل**» مشروعه الاستعمارى لحل المسألة اليهودية مقابل المشروع الثورى الذى طرحه « **كارل ماركس** » لحل نفس المسألة فى النصوص التالية :

● ان تنظيم المجتمع الذى يلغى الظروف الاساسية للاتجار بواسطة الوسطاء والباعة المتجولين ، والدلالين ، ويلغى بالتالى امكان القيام بذلك العمل . يجعل صفة اليهودى مستحيلة • فالوعى الدينى لليهودى سيتحلل ويذوب كالسديم فى الهواء الحيوى الحقيقى للمجتمع •

● ان القومية الوهمية لليهودى هى قومية التاجر ، ورجل المال بصورة عامة •

● فور نجاح المجتمع فى القضاء على الجوهر العملى لليهودية ، وهو البائع المتجول ، والظروف والاوضاع التى تنتجه ، فان صفة اليهودى تصبح مستحيلة ، لان وعيه لن يكون له موضوع يقابله • ذلك لان الاساس الذاتى لليهودية ، اى الحاجات العملية ، يرتدى طابعا انسانيا بسبب القضاء على النزاع والصراع بين الوجود الحسى للفرد مع وجوده العام •

● تصل اليهودية ذروتها عند اكتمال المجتمع البورجوازى

● ان تحرير اليهودى من الناحية الاجتماعية سيحرر المجتمع من اليهودية •

وقد خلص « **ماركس** » فى موقفه من المسألة اليهودية الى القول بأن تحرير اليهود يتطلب الثورة على المجتمع البورجوازى الذى تنتعش فيه اليهودية كظاهرة اجتماعية ، باعتباره مجتمعا قائما على التجارة والربح وعمل الوسطاء • والثورة وحدها هى القادرة على الغاء هذه الظروف التى يكمن فى الغائها حل المسألة اليهودية •

بينما حاول « **هرتزل** » الاستفادة من الصراع الاستعمارى الحاد ، والتطلع للاستيلاء على تركة الامبراطورية العثمانية المنهارة ، وعمل على الاتصال بمختلف محاور الصراع حاملا فى رأسه الاتجاهات الرجعية اليهودية التى تحددت بثلاثة اتجاهات رئيسية تستمد جذورها من الفكر والممارسة الاستعماريين للدول الكبرى الاستعمارية •

الاول : الاتجاه الدينى الذى ينتظر الخلاص عن طريق المعجزة القادمة بعودة المسيح المنتظر •

الثاني : الاتجاه الهروبي ، بواسطة الهجرة وهو اتجاه حققته موجات الهجرة المحدودة من اوروبا الشرقية ، الى اوروبا الغربية . او من اوربا كلها ، الى الولايات المتحدة الامريكية ، وامريكا اللاتينية وفلسطين .

الثالث : الاستيطان المجرد ، عن طريق المساعدات المالية التيكان يقدمها اثرياء اليهود من امثال البارون دى روتشيلد ، والبارون موريس دى هيرش ، وكان الاخير قد اسس الجمعية اليهودية للاستيطان فى عام ١٨٩١ .

وقد اعتمد « **هرتزل** » فى بلورة افكاره حول « **الدولة اليهودية**» على التفاعل مع رصيد ثقافى صهيونى رجعى مثله ثلاثة من المفكرين هم :

- الحاخام زفى هيرش كاليشر « ١٧٩٥ — ١٨٧٤ » .
- موزس هيس « ١٨١٢ ـ ١٨٧٥ » .
- ليوبنسكر « ١٨٢١ — ١٨٩١ » .

أكد **الاول** على القومية اليهودية ، ودعا الى استيطانفلسطين ،وهاجم الحل الدينى الذى نادى به البعض وذلك فى مؤلفه (**البحث عن صهيون**) .

كما اكد **الثانى** على صفاء العرق اليهودى عبر التاريخ والتبعثر ، وعلى « ان النهضة القومية اليهودية هى القادرة وحدها على وهب عبقرية اليهودى الدينيةالحياة من جديد » داعيا الى اقامة المستعمرات فى الارض المقدسة من خلال مؤلفه الصغير (روما والقدس) .

اما اهم ما تدمه **الثالث** فقد كان فى ندائه الذى وجهه الى اليهود بعد احداث عام ١٨٨١ فى روسـيا ، والذى كان تحت عنـوان (**التحـرر الذاتى**) .حيث دعا فيه الى تحرراليهود الذاتى والسريع ،مهاجما الدعوة الى الاعتماد على تغيير الحكومات الاوروبية لاساليبها ونظـرتها الى اليهود .

وجاء **هرتزل** (١٨٦٠ — ١٩٠٤) ليدور فى نفس الاطار الرجعى ، محاولا مقابلة **البـارون هيرش** مؤسس حركة الاستيطان فى الارجنتين ، ليطلعه على افكاره الخاصة باقامة دولة قومية لليهود .فلما فشلتوجه الى **البارون روتشيلد** ،لكن فشله الثانى لم يمنعه من نشر مـؤلفه (الدولة اليهودية) الذى اكد فيه على ان المخرج الوحيد لليهود من مشاكلهم ومعاناتهم لا يمكن ان يكون الا عبر سعيهم لاقامة دولتهم . ومن اجل هذا دعا الى اقامة مؤسستين هما : جمعية لليهود ، وشركة يهودية .

وما من شك فى ان ظاهرة اللاسامية التى عانى منها اليهودالاوروبيون قد ساهمت فى تكوين الفكر الصهيونى لدى رواد الحـركة الصـهيونية ، باعتبارها ظاهرة مرتبطة بمجموع ظواهر المجتمع البورجوازى الاخرى .

ولقد كانت جمعيات « **احياء صهيون** » هى رد الفعل العملى الاول على الظاهرة . حيث انتشرت فى جميع انحاء اوروبا بشكلعام ،وفى شرق اوربا بشكل خاص ،محددة اهدافها بدعمحركةالاستيطان اليهودى فى فلسطين بواسطة تشجيع الهجـــرة وتقديم المساعدات المالية لها .

وكانت حصيلة ذلك كله اقامة المستعمرات الصهيونية الاولى فى فلسطين ، وهى التى حملت الاسماء التاليه الى جانب الاسماء العـربية للموقع :

- **بتاح تكفا (ملبس ١٨٧٨) .**
- **ريشـون لـى زيـون (عيون قـارة** ١٨٧٨ ـ ١٨٨٢) .
- **روش بيناه (الجاعونة ١٨٧٨) .**
- **زخرون ياكوف (زمارين ١٨٨٢) .**
- **والجديرة (قطرة ١٨٨٤) .**

وفى عـام ١٨٨٤ عقـد المؤتمـر الاول لجمعيات « احياء صهيون » حيث اختير « بنسكر » رئيسا له ، وانبثقت عنه لجنه تنفيذيه قامت بدور هام فى مركزة وتنسيق وتوجيه اعمال الاستيطان فى فلسطين » ونجحت فى مجالين :

الاول : نشر فكر يحث اليهود على استيطان فلسطين

الثانى : تحقيق موجة الهجرة الاولى العالية ، ونقل فكرة الوطن القومى من مجال الفكر المجرد الى واقع التطبيق العملى .

وبهذا مهدت لنشوء الحركة الصهيونية الجديدة التى بدأها وقادها « **تيودور هرتزل** » على عدة مستويات :

الاول : فكـرى
الثانى : سياسى
الثالث : تنظيمى

فعلى المستوى الاول اصدر هرتزل صحيفته الاسبوعية (دى فنت) حيث ظهر العدد الاول منها فى يوليو ١٨٩٧ ، كما قام **على المستوى الثانى** بمحاولة غير ناجحة لمقابلة الامبراطور الالمانى ، توجه بعدها الى القسطنطينية حيث قابل الصدر الاعظم دون ان تنجح محاولاته فى مقابلة السلطان العثمانى ، كما قام بمحاولة فاشلة للقاء البارون

ادموند دى روتشيلد • لكنه نجح على **المستوى الثالث** فى عقد المؤتمر الصهيونى الاول الذى بدأ فى اواخر اغسطس من عام ١٨٩٧ ، والذى كان انجازا هاما وحاسما على طريق غزو فلسطين • حيث حقق الشكل التنظيمى الاول للعمل الصهيونى من خلال :

- **وضع البرنامج الصهيونى**
- **واقامة المنظمة التنفيذية •**

ومن هنا بدأت استفادة الحركة الصهيونية من الصراع الاستعمارى فى اوروبا عن طريق اتخاذ خطوات تمهيدية للحصول على موافقة الدول لتحقيق الهدف الصهيونى •

وبالرجوع الى « **يوميات هرتزل** » التى تسجل نشاطه وفكره فيما بين ايار (مايو) ١٨٩٥ وايار ١٩٠٤ ، نستطيع ان نتتبع الصلة العضوية للحركة الصهيونية بالاستعمارمن خلال توجهه مباشرة الى السلطان العثمانى ، والى مجموعة من الدول الاوربية فى آن واحد . ففى الفترة التى تلت نشر كتابه (**الدولة اليهودية**) قام هرتزل بالاتصال مع امبراطور المانيا ووزرائه ، ومع وزيرين بريطانيين ، ومع المسئولين فى الامبراطورية النمسوية ، وروسيا ومع ملك ايطاليا ، ومع البابا . كما حاول الاجتماع مباشرة بملك بريطانيا وبقيصر روسيا • وهو فى كل ذلك يحاول ان يقدم « الصورة المشرفة » لمشروع العمل الصهيونى الذى من شأنه ان يعود بالفائدة الكبيرة لكل دولة ، بحيث يبدو الامر لها وكأنه مشروعها وحدها وانها المستفيدة الوحيدة • وقد قام هرتزل فى هذا السبيل بممارسة شتى الاساليب التى يمكن وضعها تحت العناوين التالية : الرشوة ، والكذب ، والعنف ، والانتهازية ، والعمل على محاربة الحركات الاشتراكية فى اوربا ، مما يقدم ادلة واضحة على ان الحركة الصهيونية فى جذورها التاريخية انما هى حركة استعمارية ، ولدت فى حضن الاستعمار ، وانها كانت تعتمد على مساندة الاستعمار ، بالرغم من فشلها فى البداية على مستويين :

الاول : الحصول على البراءة السياسية من السلطة التى تستعمر فلسطين .

الثانى : حمل الدول الاستعمارية الاخرى على التدخل لصالح الحركة الصهيونية •

لكن هذا الفشل لم يستطع ان ينفى عن الظاهرة الصهيونية كونها ظاهرة استعمارية ، عاشتفى مرحلتها الاولى بافكار الاستعمار القديم وممارساته فى الغزو والاستيطان ، والعمل على البقاء بالقوة المسلحة •• مما يؤكد كون الكيان الصهيونى امتدادا متطورا للاستعمار القديم ، وقاعدة عسكرية للاستعمار الحديث الذى تمثله الامبريالية العالمية بقيادة الولايات المتحدة الامريكية .

[٢] الحلف البريطانى الصهيونى وأثره على تطور الحركة الصهيونية

تركزت السياسة البريطانية فى الشرق الاوسط حتى الحرب العالمية الاولى ، على المحافظة على وحدة الامبراطورية العثمانية فى آسيا وسلامتها لعدة اسباب :

الاول : ان الاجزاء الاوربية من الامبراطورية قد تحررت •

الثانى : ان الاجزاء الافريقية منها كانت مقسمة بين الدول الاوربية الاخرى •

الثالث : ان الاجزاء الاسيوية منها كانت فى معزل عن الصراع الاستعمارى ، وفى وضع يؤهلها ـ فى المستقبل ـ لخدمة المصالح البريطانية الاستعمارية فى المنطقة وذلك بدءا من السيطرة على قناة السويس الى حماية المنطقة من التنافس والسيطرة على الطريق البرى الى الهند •

لكن انضمام تركيا الى دول المحور ، قلب الحسابات البريطانية،وأدى الى عقداتفاقيات بين العرب وبريطانيا تنص على تهيئة وضع جديد فى الشرق الاوسط ، يتمتع فيه العرب بحكم ذاتى ،كان من نتائجها قيام الثورة العربية عام ١٩١٦ بهدف تحقيق هذه الغاية •

غير ان ضغط الدول الاوروبية على بريطانيا حال دون احتكارها السيطرة على المنطقة ، وتم الوصول فيما بينها الى اتفاقية « سايكس بيكو » السرية عام ١٩١٦ لاقتسام تركة الامبراطورية العثمانية بين بريطانيا وفرنسا ، وروسيا القيصرية •

وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا التى كانت قواتها العسكرية تبدأ غزو فلسطين فى معركة غزة ، فى الفترة التى كان وزير خارجيتها بلفور يوقع التصريح الذى عرف باسمه فيما بعد •

ومنذ اللحظة الاولى للوجود البريطانى فى فلسطين ، بادرت الدولة المنتدبة الى تعيين السير « هربرت صمويل » الصهيونى كأول مندوب سامى لها فى فلسطين،معترفة بالمنظمةالصهيونية العالمية كبديل عن « الوكالة اليهودية » التى تنص على قيامها صك الانتداب على فلسطين .

ولم تكن بريطانيا قد اقدمت على هذا التحالف مع الصهيونية الا لانها توقعت ان يخدم مصالحها فى المنطقة بالدرجة الاولى . فقامت بفتح ابواب فلسطين امام الغزوة الصهيونية الجماعية ، وملكتها اراضى الدولة ، وبسطت حمايتها على مؤسساتها الاستعمارية ، كما سمحت لها بادارة مدارسها ، وانشاء منظماتها العسكرية « الهاجاناه » . ثم قامت سلطتها المنتدبة بعد ذلك بتدريب وحدات « البالماخ » .. متجاهلة ايضا المنظمات الارهابية الصهيونية التى حملت اسماء **شتيرن ، واراغون وزفاى ليومى** .. حيث اصبحت الحركة الصهيونية دولة داخل الدولة على حد تعبير اللجنة الملكية البريطانية فى منتصف الثلاثينات .

وقد قسم الكاتب اليهودى « **جورج فريدمان** » لغزوة الصهيونية لفلسطين الى ست موجات فى سبع مراحل على الشكل التالى :

الاولى : ١٨٨٢ — ١٩٠٣ وتضمنت الغزاة من روسيا وبولونيا ورومانيا .

الثانية : ١٩٠٤ ـ ١٩١٤ ومعظمهم من روسيا ، وقد تولوا انشاء مستعمرات الكيبوتز الزراعية .

الثالثة : ١٩١٩ — ١٩٢٣ ، ٤٥ فى المائة من روسيا و ٣٠ فى المائة من بولونيا

الرابعة :١٩٢٤ — ١٩٣١مجاميع البورجوازيين الصغار من روسيا وبولونيا .

الخامسة : ١٩٣٢ ـ ١٩٣٨ من المانيا التى ازداد الغزو منها بسبب الاضطهاد النازى .

السادسة : ١٩٣٩ — ١٩٤٨ من بولونيا ، ورومانيا ، والمانيا ، وتشيكوسلوفاكيا ، وهنغاريا، واليمن ، وتركيا ، والعراق .

وبلغ مجموعها حتى اواخر المرحلة السادسة حوالى ٦٥٣٫٠٠٠ غازى .

ولم تكن هذه الموجات المتلاحقة من الغزو الصهيونى الا نتيجة الآفاق الواسعة التى فتحتها سلطات الصهيونية على ارض فلسطين ، والتى كانت نتيجتها تقدما « صناعيا » كان فى جزء كبير منه صهيونيا . فقد بلغ عدد المشاريع الصناعية الصهيونية ١٧٩٤ مشروعا سنة ١٩٢٢ و ٢٤٧٥ مشروعا سنة ١٩٢٩ . وكانت قابلة للازدياد والتطور .

وعلى الرغم من ان نسبة الغزاة الصهاينة الى عدد السكان لم تكن قد بلغت ٣٥فى المائة حتى عام ١٩٤٨ ، الا انهم كانوا مهيأين للسيطرة على الصناعة ، لان الحركة الصهيونية كانت تخطط وتؤمن المال اللازم والخبرة اللازمة لهم .

وكان الغزاة يملكون قرابة ٢ فى المائة من اراضى فلسطين عام ١٩١٨ ، فاصبحوا يملكون ٥٫٦٧ فى المائة سنة ١٩٤٨ من الاراضى الصالحة للزراعة والتى تشكل ٣٣ فى المائة من المساحة الكلية للاراضى الفلسطينية .

ولقد حصل الغزاة على هذه النسبة الضئيلة من الارض بالوسائل التالية :

- عن طريق الشراء من كبار الملاك غير الفلسطينيين الذين كان ٢٥٠ منهم يملكون ٤٫١٤٣٫٠٠٠ دونم ، أى ما يعادل كل ما يملكه الفلاحون الصغار المعدمون تقريبا .

- عن طريق التملك الصهيونى لنسبة من اراضى الدولة .

وبالرغم من ان نسبة الاراضى التى تملكها الغزاة الصهاينة كانت ضئيلة ، الا انها اتاحت لهم حتى عام ١٩٤٨ فرصة النمو السياسى والعسكرى السريع على ارض فلسطين ، فى ظل حماية السلطة العسكرية للانتداب البريطانى . وذلك فى وقت لم يزد عددهم فيه على ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة ، يمثلون ٣٥ فى المائة من مجموع السكان .

ولقد قامت عصبة الامم بالدور الدولى الضرورى لتبرير الحلف البريطانى الصهيونى ،قبل انهيارها بسبب من نشوب الحرب العالمية الثانية ولقد ادى نشوب الحرب ونتائجها الى تجديد الظروف الملائمة لتطور حركة صهيونية قوية ، ومسلحة فى فلسطين ، رعتها الامم المتحدة فيما بعد ، وادت نفس دور عصبة الامم ، لكن بالنسبة للتحالف الصهيونى الامريكى هذه المرة .

[٣] النكبة ، عواملها الأساسية ، نتائجها على شعب فلسطين

يمكن ان نلخص العوامل الاساسية فيما يلى :

العامل الاول : غياب الحركة الثورية الفلسطينية المنظمة ، ووجود حركة جماهيرية تقودها فئات تتصدرها وجاهات متخلفة وجاهلة ، ومتخاذلة تتهافت على مصالحها المباشرة دون وعى منها لابعاد المعركة وطبيعة القوى المعادية .

فقد مرت حركة نضال الشعب بثلاث مراحل رئيسية هى :

الاولى : مرحلة الانتفاضات والمؤتمرات التى إمتدت من عام ١٩١٩ الى عام ١٩٢٩ التى بدأت بمؤتمر الجمعيات الاسلامية ــ المسيحية الاول الذى أصدر ميثاقا قوميا نص على مايلى :

- رفض وعد بلفور ، والهجرة الصهيونية ، والانتداب البريطانى
- اعتبار فلسطين جزءا من سوريا ، وتسميتها سورية الجنوبية والمطالبة بوحدة سوريا الكبرى
- استقلال فلسطين التام ضمن الوحدة العربية .

وكان مما قرره المؤتمر ، ارسال وفد الى دمشق للاتصال بالحركة الوطنية هناك ، والعمل مع الحكومة العربية لتنفيذ الميثاق ، وارسال وفد آخر الى مؤتمر الصلح لتبليغه بالميثاق ، وللدفاع عن قضية القضية ، وشرح الموقف العربى لممثلى الحلفاء .

وتتابعت بعد ذلك المؤتمرات ، والانفجارات الشعبية طول عشر سنوات فى يافا والقدس والخليل ، وصفد ، دون أن تكون قيادة الحركة الوطنية قادرة على استيعابها ، وتنظيمها فى مواجهة الخطر الزائد .

والمرحلة الثانية : هى مرحلة الاضراب الكبير والثورة المسلحة فى الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ و ١٩٣٩ . وقد بدأت فى وقت كانت فيه القيادة التقليدية للحركة الوطنية ساقطة فى صراع مع أطرافها ، ومستعدة للمساومة فى ظروف أزدياد موجات الغزو ، وتملك الارض ، وانشاء حاميات صهيونية لمنع العرب من العمل فى المؤسسات والمزارع والبيارات الصهيونية ولارغام أصحاب المؤسسات الصهاينة على عدم تشغيل العمال العرب . وكان هؤلاء يفضلون تشغيلهم لرخص أجورهم .. وفى ظروف انشاء حرس المستعمرات .

غير أن الحركة الوطنية ، بدأت تتجاوز قيادتها التى راحت تعمل فى اطار مؤتمرى اسلامى ، دعت فيه الى عقد مؤتمر عربى لمواجهة الموقف ، كما عملت على نشوء حزب الاستقلال .

لكن الحركة الوطنية ، بجماهيرها الفقيرة المضطهدة ، والمهددة فى واقعها ومصيرها طرحت نفسها فى الساحة من خلال حلقات كفاح سرية نشأت فى أوساط فلاحية ــ عمالية بمدينة حيفا بقيادة **الشيخ عز الدين القسام** ، الذى خرج بمجموعته الاولى الى منطقة جنين ، ليبدأ معها ثورة الشعب الفلسطينى المسلحة . لكن حركته لم تحقق أهدافها الاولية ، اذ استشهد ، لكنها حققت تفجيرا هائلا للنقمة الشعبية التى تصعدت بالاضراب الكبير ، وبالثورة المسلحة التى تواصلت خلاله حتى أواخر عام ١٩٣٩ ، متجاوزة كل المعوقات ، ومخلفة القيادة السياسية لاهثة لتلحق بها . غير أنها ركبتها فى النهاية ، وأجهضتهما كما أجهضت الدول العربية الاضراب من خلالها .

والمرحلة الثالثة : هى مرحلة الهزيمة وهى الممتدة ما بين ١٩٤٠ و ١٩٤٨ . وفى هذه المرحلة شهدت فلسطين تسيبا فى قيادتها السياسية التى راحت تتعامل مع القيادات العربية الاخرى ، بنفس المغزول شعبيا ، دون ان تدرك مسئولياتها ، ودون أن تضع برنامجا للمواجهة القادمة على ضوء التطور السريع لنمو الحركة الصهيونية ، والدعم الامبريالى المتعاظم . فلما جاءت لحظة الحسم ، حدثت النكبة فى غياب كامل للقيادة السياسية ، وفى حضور عاجز للشعب الفلسطينى ، والجيوش الامبريالى المتعاظم . فلما جاءت لحظة الحسم ، حدثت النكبة فى غياب كامل للقيادة السياسية ، وفى حضور عاجز للشعب الفلسطينى ، والجيوش العربية .

فعلى المستوى الفلسطينى ، كانت الفئات القائدة مثل كل الفئات القائدة فى الوطن العربى ، ومستفيدة بصورة خاصة من ظروف الاحتلال ، والحركة الصهيونية استفادة زادت من نفوذها وثروتها ، مؤملة أن يؤمن لها التعاون مع الاستعمار المزيد من المكاسب . ولهذا فقد كانت حريصة على عدم الاصطدام به ، مؤثرة المساومة بعكس الجماهير التى كانت تتحرك فى انتفاضات شعبية متواصلة وغير منظمة ، فلما بدأت المعركة ، تبلورت حركة الجماهير فى جيش الجهاد المقدس الذى كان متخذا الشكل التالى :

● المجندون ويتراوح عددهم بين ٨ ـ ١٠ آلاف مقاتل .

● المقاتلون غير المتفرغين وهم من ١٢ ـ ١٨ الفا .

أما التسليح فقد كانت مصادره المتعددة من الدول العربية مؤمنة بالشراء أو التبرع ، مما أدى الى عدم توحيده . الامر الذى أضعف قوته النارية بالنتيجة ، وولد المشاكل والصعوبات الادارية للتموين بالذخيرة وقطع الغيار ، الى جانب ضعف الجهاز الفنى المختص بالتخزين والتوزيع والصيانة والتصليح .

وفيما يلى قائمة بالاسلحة والعتاد التى توفرت لهذه القوات ، وهى مختلفة النماذج والعيارات ومختلفة الصنع ، فبعضها انجليزى والاخر فرنسى صنع قبل الحرب الاولى ، بالاضافة الى بعض البنادق الالمانية والبلجيكية :

١ ـ أسلحة خفيفة

٥ر٣٩٦ بندقية مختلفة الصنع
٣٦٤ رشيش ـ تومى وستن
٣٠٩ مسدس مختلف الصنع
٧٤٠ر١٤٦ قنبلة يدوية

٢ ـ اسلحة متوسطة

١٨٠ رشاشا
٢٣ مدفع هاون
١٢٤ مدفع بويز

٣ ـ أسلحة مضادة للدرع

٦٦ مدفع مضاد للدبابات
٣ معدات ومواد للتخريب
٨٦٧ر٣ لغما متنوعا ضد الدبابات والاشخاص
٠٠٠ر٣٢ صاعقا عاديا
٨ أطنان متفجرات معظمها من البارود السلطاني الاسود

٤ ـ الذخيرة

٢١٦ر١٠٢ر٦ طلقة بندقية
١١٨ر٢٦٧ طلقة رشاش
٢٥٧ر٥٦٦ طلقة تومى وستن
٢٤٢ر٤ طلقة مسدس
٤٥٥ر٧ طلقة ضد المصفحات
٠٩٩ر٦٠ طلقة ضد الدبابات
٤٨٣ر١٢ قذيفة هاون .

وقد بنت القيادة العامة للجهاد المقدس مخططها على أساس دفاعى اقل قدرة من المهمات العسكرية الملقاة على عاتقها ، فقامت بتوزيع قواتها فى سبع مناطق رئيسية على طول وعرض ارض فلسطين ، من غزة جنوبا الى الجليل شمالا ، وبالرغم من ذلك فقد قامت باعمال عسكرية ناجحة بالمفهوم القتالى للعمل العسكرى

أما العامل الثانى للنكبة فهو أن الوطن العربى كان بكافة اقطاره ، واقعا ضمن دائرة النفوذ الامبريالى بشكليه القديم والحديث ، وكانت الفئات الحاكمة فيه ، رجعية شبه عشائرية ، شبه اقطاعية ، وشبه برجوازية فى بعض الاحيان ، مرتبطة بالاستعمار ارتباط مصلحة ومصير . وقد اشتركت فى تنفيذ المؤامرة عبر كل مراحلها فى غياب الجماهير العربية التى كانت حركاتها السياسية عاجزة عن التأثير فى الواقع ومؤسساته .

ولقد كان الوطن العربى ، بواقعه المجزأ والمتخلف منتجا لمؤسسات عسكرية هزيلة ، لم يكن بامكانها القيام بدور أفضل فى التصدى للتحدى العسكرى الصهيونى .. ولم تكن القوة العسكرية العربية التى تحركت الى فلسطين ، تتجاوز خمسة عشر الفا ، بدت عاجزة حتى عن تطبيق المبادىء الاساسية للحرب والتى يمكن تحديدها كما يلى :

● الهجوم والحركة .
● التعاون والتنسيق .
● وحدة الهدف الاستراتيجي وتحقيق الوصول اليه .

فقد توقف **الجيش اللبنانى** عند حدود فلسطين الشمالية متخذا موقفا دفاعيا فى منتهى الضعف . كما قام **الجيش الاردنى** بالتحرك وفقا لمشروع التقسيم الذى كانت حكومته قد وافقت عليه . كما احتل **الجيش العراقى** منطقة المثلث العربي نابلس جنين طولكرم ، وهى منطقة خالية من قوى العدو .. بذل جهده فى محاولة الدفاع عنها الى جانب **القوة الشعبية الفلسطينية** . بينما انصرف **الجيشان المصرى والسورى** الى مهاجمة المستعمرات الصهيونية التى استهلكتهما .. فلما حدث الصدام مع القوات الصهيونية ، لم يعد فى وسعهما الاستمرار ، واضطرا الى اتخاذ موقف دفاعي يائس .

أما **جيش الانقاذ** الذى تشكل بناء على قرارات اللجنة العسكرية المنبثقة عن الجامعة العربية ، فقد كان مؤلفا من تركيبة غير متجانسة من حيث التنظيم والتسليح والتدريب ، بلغ عدد افراده ٧٠٠ر٧ في ثمانية كتائب . لم يكن سلاحها أفضل من سلاح الجهاد المقدس .

وفيما يلى بيان بتسليح احدى الكتائب :

٢٣٧ بندقية فرنسية قديمة (٨٦ـ ٩٣) ٣٠ فى المائة منها غير صالح

١٣٥ بندقية فرنسية قصيرة ٢٠ فى المائة منها غير صالح .

٣٢ رشيش فرنسى أف لم ١٣ منهـا متعطل
١١ رشيش انجليزى برن ٢ منها متعطل
٣٢ رشيش ستن وتومى ١٤ منها غير صالح .
٧ هـاون خفيف فرنسى [٦٠ مم] ٣ بـدون جهاز تسديد

٣ رشاش فرنسى [هوشكيز] ٢ منها كثير الاستعصاءات
٢ رشاش انجليزى ١ سبطانة مشعورة
٢ مدفع مضاد للدبابات بدون ذخيرة
٢ جهاز لاسلكى فرنسى قديم ٢ متعطل بدون عامل لاسلكى

٧٥ الف طلقة بنادق اكثر من ٣٠ فى المائة غير مأمونة الاستعمال نظرا لقدمها ، وصدأ الاغلفة .

٦٣ قنابل الهاون ١٣ منها بدون صمام .

وقد فشل هذا الجيش فى تحقيق مهمـاته العسكرية لعدة أسباب أهمها :

- ضعف قيادته .
- عدم وحدته الفكرية والعسكرية . فقد ضم الى جانب العرب مجموعات من الاتـراك ، واليوغوسلاف والالمان والانجليز ، وانخفـاض مستواه العسكرى .
- لم يكن له أهداف وخطة عسكرية واضحة
- تعدد انواع الاسلحة ، وفساد بعضها والنقص الخطير فى مختلف معداتها .

والعـــامل الثالث للنكبـــة يخلـص فى انه جـــاء عـام ١٩٤٨ ليكشف عن مؤسسة عسكرية صهيونية تملك عمقا استراتيجيا فـى مجموعة من المؤسسات التنظيمية المترابطة حسب خطة موضوعة ومطورة من خلال المـؤتمرات الصهيونية المتعاقبة .

وقد كان مشروع قرارات التقسيم الذى نص على تقسيم فلسطين بين مواطنيها والغزاة عام ١٩٤٧ ، فرصة اتاحت للحركة الصهيونية القيام بتحـرك عسـكرى مدعـوم على المسـتوى الدولـى لصالح قيام كيان صهيونى (دولة) على حساب شعب فلسطين والارض الفلسطينية .

وقد كانت الحركة الصهيونية مهيأة تمـاما للمعركة التى انتهت بالنكبة ، فبالرغم من توافر الاسلحة التى كانت تتدفق عليها من الخارج ، تمكنت أثناء سنوات الانتداب من انشاء صناعة حربية شبه حديثة ومتطورة ، ساعد على تطويرها البريطانيون للاستفادة منها فى الحرب العالمية الثانية . ويمكن تحديد هذه الصناعة كما يلى :

- كانت المصانع الحربية الصهيونية تنتج مائة رشاشة خفيفة يوميا حتى آذار (مارس) ١٩٤٨ . وقد ارتفعت هذه النسبة الى مائتين بـانتهاء الاسبوع الاول من نيسان [ابريل] فى السنة ذاتها .
- كانت تنتج ٤٠٠ الف طلقة عيار ٩ ملم من الذخيرة شهريا
- كما كانت تنتج مائة وخمسين الف قنبلة ميلز وفقا لبرنامج معين سريع التنفيذ
- وتنتج أيضا ثلاثين الف قذيفة عيار ٣ بوصة [انشى] .
- وبالاضافة الى ذلك فقد كانت تنتج مدافع مورتر ٢ انش و ٣ انش مع ذخيرتها ، وقاذفات لهب ، ومدفع مضاد للدرع (بياتس) ومدفع مورتر ثقيل (دافيدكا) وتحتوى قذيفته على ستين رطلا من المتفجر T. N. T.

أما صناعة الالغام فقد كانت غاية فى الدقة والفاعلية ، ولا تختلف عن الصناعات البريطانية ، أو الامـريكية ، وخـاصة الالغـام المضـادة للاشخاص (أبو رجيلة) والالغام المضادة للدبابات التى كان تصنع فى تل أبيب .

وفيما يلى جدول بالقوات الصهيونية عـام ١٩٤٨ :

٢٠,٠٠٠ جندى مدربون تدريبا كاملا ، ومزودون بالسلاح الكامل .

١٠,٠٠٠ جندى مدربون تدريبا كاملا وغير مزودين بالسلاح .

٣٠,٠٠٠ جندى مدربون تدريبا جزئيا وغير مزودين بالسلاح .
٦,٠٠٠ ارهـــابى وأكثـــرهم مـــزود بالسلاح (الاراغـون) .

١,٠٠٠ ارهـــابى مختص بـــأعمال التخريب « شتيرن »
المجموع العام ٦٧,٠٠٠ وبينهم نسبة من المجندات

كانت هذه القوة هى التى حققت انتصـــار الصهيونية الاول على ارض فلسطين .

والعامل الرابع للنكبة نراه على المستوى الدولى ، حيث كانت الامبريالية الامريكية ، تطمح الى السيطرة على الوطن العربى كبديل للاستعمار القديم الذى مثلته كل من بريطانيا وفرنسا .

وكان إمتياز النفط الذى حصلت عليه فى الجزيرة العربية، أول مصلحة حيوية تربطها بالمنطقة العربية • كما كانت كذلك حصتها من نفط الكويت والخليج العربى •

وكانت الحركة الصهيونية التى ارتبطت ببريطانيا طوال فترة الانتداب والحرب العالمية الثانية ، قد واصلت ارتباطها بالقوة الامبريالية الجديدة ، والتقت مصالحها مع مصالح الامبريالية الامريكية التى قادت المؤامرة فى مرحلتها التنفيذية الاولى على صعيد بناء الكيان الصهيونى (الدولة) فى المؤسسة الدولية • بينما وقف الاتحاد السوفيتى من هذه المسألة موقفا سلبيا فرض ظله على مجموع الاحزاب الشيوعية فى أوروبا التى اندفعت على طريق تأييد نتائج الغزو الاستعمارى الصهيونى بصورة عامة ••

ولم يكن للرأى العام فى آسيا وافريقيا وجود فعلى •• يؤثر ، سلبا أو ايجابا ، فى قرارات المؤسسة الدولية ، بسبب خضوع القارتين للنفوذ الاستعمارى ، وبسبب ارتباطات نظمهما الممثلة فى الامم المتحدة بالاستعمار •

وكما هدفت بريطانيا الى توطيد مصالحها فى المنطقة من وراء دعم الغزوة الصهيونية وحمايتها ، فقد هدفت الولايات المتحدة الامريكية الى تحقيق نفس الغرض •

ولم يكن قيام الكيان الصهيونى [الدولة] فى فلسطين ذا أثر سلبى على مصير الشعب الفلسطينى وحده •• وانما كان عاملا هدف الى تعويق حركة التحرر والتقدم العربية ، اذا ما أخذنا بعين الاعتبار ما تمثله الحركة الصهيونية (الدولة) من واقع استعمارى يتطلع الى التوسع عن طريق بناء مؤسسته العسكرية القوية ، وبدعم من الامبريالية العالمية التى تقودها الولايات المتحدة الامريكية •

نتائج النكبة

أولا : على قوى الغزو الصهيونى

١ ــ من حيث السكان ••

لا شك أن تطور السكان فى فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ يعتبر حالة فريدة فى العالم كله • اذ ازداد عدد السكان فى خلال أربعة عشر عاما أكثر من أربعة أضعاف (أى بمعدل نمو سنوى قدره ٧ فى المائة) والسبب الرئيسى فى هذه الزيادة الكبيرة ، الى جانب معدل الزيادة الطبيعية ذاته الذى يعتبر كبيرا ــ اذا ما قورن بالدول الاوروبية ــ هو بلا شك الغزو الذى ازداد بوجه خاص فى السنوات التى تلت قيام الكيان [الدولة] • وكان عدد الغزاة يقارب مائتى الف سنويا ، بحيث كانت الفترة من ١٩٤٨ الى عام ١٩٥١ ، وخاصة فى عام ١٩٤٩ كثيفة الغزو • وبلغ عدد الغزاة ٦٩٠ر٢٣٤ غازى شكلوا ٩٢٪ من الزيادة التى طرأت على السكان ، بحيث لم تشكل الزيادة الطبيعية (المواليد ــ الوفيات) الا ٧ر٢ فى المائة فقط (٣ر٢٠ ألف نسمة) • وقد حدث بعد هذه الفترة هبوط شديد فى معدلات عملية الغزو ، حيث لم يصل عدد الغزاة عام ١٩٥٢ الا أكثر قليلا من عشرة آلاف • بل ان عام ١٩٥٣ قد سجل هجرة من الارض المحتلة الى الخارج أكثر من الغزاة الذين وصلوا اليها • ويرجع هذا الهبوط المفاجىء الى عدة أسباب أهمها :

- استيعاب جميع اليهود الذين كانوا فى معسكرات اللاجئين فى قبرص وأوروبا بعد الحرب •
- عدم وجود مصادر أخرى مفتوحة •
- الحالة الاقتصادية السيئة التى كان يعانى منها الكيان الصهيونى (الدولة) فى فلسطين فى ذلك الوقت ، وهو السبب الذى حد من تدفق الغزو ••

ومع بداية التعويضات الالمانية الغربية الرسمية والشخصية ، فى عام ١٩٥٣ ، بدأت موجة الغزو تتصاعد مرة أخرى لتصل الى ١١ ألفا عام ١٩٥٤ و٣١ ألفا عام ١٩٥٥ و٤٣ ألفا فى عام ١٩٥٦ الخ ••

ويمكن تقسيم السكان الغزاة فى فلسطين الى ثلاث فئات :

- الذين ولدوا فى فلسطين قبل وبعد النكبة •
- الذين غزوا فلسطين من الولايات المتحدة الامريكية ، واوربا وامريكا اللاتينية .
- الذين غزوا فلسطين من آسيا وافريقيا •

٢ ــ من حيث الوضع الاقتصادى

أ ــ التعويضات الالمانية الغربية :

يتضح من اتفاقية التعويضات التى توصل اليها المفاوضون الالمان الغربيون والصهيونيون ،

وممثلو مؤتمر المطالب اليهودية فى لاهاى ، والتى وقع عليها مبدئيا « كونراد اديناور » و « موسى شاريت » فى لوكسمبورج عام ١٩٥٢ انها تتضمن المبالغ التالية :

من المانيا الغربية الى سلطة الغزو الصهيونى (الدولة) ٧١٤ مليون دولار ٠

من المانيا الغربية الى مؤتمر المطالب اليهودى ١٢٠ مليون دولار ٠

من المانيا الغربية الى المجلس المركزى لليهود ١٢ مليون دولار ٠

أما مجمل المبالغ المدفوعة فقد زاد على ذلك كثيرا ، فقد اعلن الناطق الصحفى بلسان ايرهارد عام ١٩٦٥ أن الصهيونية (الدولة) قد حصلت حتى ذلك التاريخ على مبلغ (٥ر٦٧٨٧) مليون دولار من أصل (١١ر٢٨٧) ستدفع لها فى النهاية ٠٠

كما أعلن **جاكوب بلوشتاين** رئيس اللجنة اليهودية الامريكية ونائب رئيس مؤتمر المطالب اليهودية ، أن مجموع التعويضات الالمانية للصهيونية (الدولة) يبلغ عشرة آلاف مليون دولار دفع منها ٥٠٠ر٦ مليون دولار ، غير ان الارقام والبيانات تشير كلها الى أن مجموع التعويضات الالمانية الغربية للصهيونية (الدولة) واليهودية العالمية ، تقارب مبلغ (٠٠٠ر١١ مليون دولار ، تحتل التعويضات الشخصية المكان الاول فى المبلغ كله ٠

ب ـ السياحة والاقتصاد ٠٠

تمثل السياحة فى فلسطين المحتلة عاملا رئيسيا فى دعم الاقتصاد الصهيونى ، فللدخل السياحى دور كبير فى تغطية العجز فى الميزان التجارى (للدولة) ٠ والجدول التالى لميزانها التجارى فى السنوات الثلاث التى تلت قيامها وفى الفترة التى سبقت التعويضات الالمانية الغربية يبين هذا العجز :

وقد ارتفعت قيمة الصادرات ارتفاعا كبيرا خلال السنوات العشر ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ . فبعد أن كانت قيمة الصادرات عام ١٩٥٥ حوالى ٨٩ مليون دولار ، أصبحت عام ١٩٦٥ حوالى ٤٠٦ ملايين دولار ٠ أما الزيادة فكانت بنسبة ٣٥٥ فى المائة ٠ بينما كانت الزيادة فى الدخل السياحى فى المدة نفسها بنسبة ٦٦١ فى المائة ، مما يدل على ان الدخل السياحى قد ارتفع خلال السنوات العشر ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ بنسبة أكثر من دخل الصادرات ٠ كما أزدادت قيمة الواردات خلال السنوات العشر ١٩٥٥ ـ ١٩٦٥ ٠ فبعد أن كانت قيمتها حوالى ٣٣٤ مليون دولار عام ١٩٥٥ أرتفعت خلال السنوات العشر الى ٨١٤ مليون دولار عام ١٩٦٥ ٠

أما نسبة الصادرات الى الواردات ، فقد تحسنت من ٢٧ ٪ عام ١٩٥٥ الى ٥٠ ٪ عام ١٩٦٥ ، الا أن هذا التحسن كان تحسنا فى النسبة اذ أن العجز فى الميزان التجارى قد ارتفع فى هذه المدة ٠٠ وبعد أن كان العجز فى الميزان التجارى حوالى ٢٤٥ مليون دولار عام ١٩٥٥ أصبح ٤٠٨ ملايين دولار عام ١٩٦٥ ٠

ويسد الدخل السياحى الان ١٣ فى المائة من هذا العجز ٠٠ ويعتبر الدخل السياحى ثانى أكبر مورد للعملة الصعبة فى الاقتصاد الصهيونى ٠٠ ومن هنا فالاقتصاد الصهيونى والسياحة فى الارض المحتلة ، هما وجها العملة الواحدة فى الوضع الاقتصادى ٠٠

جـ ـ من حيث وضع الكيبوتز والموشاف :

الكيبوتز والموشاف ، هما الشكلان الرئيسيان العامان للحركة الاستعمارية الصهيونية فى فلسطين ٠ ولكنهما يختلفان عن بعضهما بعضا اختلافات هامة يمكن تلخيصها كالتالى :

● الكيبوتز قرية ، يتراوح عدد سكانها بين ٣٠ ـ ١٥٠٠ شخص ٠ ويسمى النوع الصغير من هذه القرى كفوتزا ٠ والارض فى الكيبوتز ملكية عامة توزع على المستوطنين بموجب سند ايجار اسمى ٠ وكذلك فان الممتلكات كلها تعود الى المجموع باستثناء بعض الحاجيات الشخصية القليلة ٠ ينظم العمل والتسويق بصورة مركزية ،

السنة	الواردات بالليرات	الصادرات بالليرات	العجز بالليرات
١٩٤٩	٧٨ مليونا	١٠ ملايين	٦٨ مليونا
١٩٥٠	١٠٣ ملايين	١٣ مليونا	٩٠ مليونا
١٩٥١	١٢٣ مليونا	١٦ مليونا	١٠٧ ملايين

ويدار من قبل مديرين ولجان منتخبة فى اجتماع عام يحضره جميع أعضاء الكيبوتز • وكل كيبوتز ينتمى الى أحد اتحادات الكيبوتز الاربع التى تنتمى بدورها الى بعض الاحزاب السياسية ، وتلتزم بايديولوجيتها ، وبرامجها • يعمل جميع الراشدين من الجنسين عملا كاملاً فى الكيبوتز ، أما المراهقون فيعملون جزءا من وقتهم ، بينما يذهب الاطفال جميعا الى المدرسة حتى الثامنة عشرة • ولا تعتبر العائلة وحدة اثناء تقسيم العمل ، اذ يوزع على الافراد وفقا لاحتياجات الجماعة • ويربى الاطفال فى مراكز خاصة للحضانة ، ويعود كل الدخل فى الكيبوتز الى الجماعة ، وتؤمن حاجيات الاعضاء بالتساوى من قبل المؤسسات الجماعية ، حسب الوضع العائلي والاقدمية . يتم تناول الطعام فى الكيبوتز فى قاعات مشتركة • كما يوجد فيه مخزن ملابس جماعي ومصبغة الخ •• ويتقاضى اعضاؤه مالا فى العطل السنوية •

● الموشاف أوفديم .. وارضه ملكية عامة أيضا • ولكنها توزع بالتساوى بين عائلات المستوطنين ، ويمنع الموشاف العمل بأجر ، ويخطط العمل فى المزارع بشكل يمكن افراد العائلة من اتمام العمل وحدهم •• ومع ذلك فأن قسما من مزرعة العائلة قد يوضع تحت الزراعة المشتركة •

يتم تسويق انتاج الموشاف تعاونيا • وهناك ترتيبات للمعونة المتبادلة ، وصناديق المرض ، وتأمين الخدمات العامة والحصول على قروض لشراء المعدات والسلع الاستهلاكية • وهكذا فان للادارة الداخلية التى تنتخب من قبل الاعضاء فى الاجتماع العام لها وظائف هامة ، وان لم تكنبنفس أهمية وظائف الادارة فى الكيبوتز . وبما أن كل عائلة تشكل وحدة استهلاكية وسكنية مستقلة ، فان الحياة الجماعية فى الموشاف أخفبكثير من تلك الحياة فى الكيبوتز وتبقى فى الموشاف فروقات اجتماعية واقتصادية بارزة وان كانت تضبط ضمن حدود •

وتشير الدراسات ، الى أن معظم الموشافيم قد تحولت منذ أواسط الخمسينات الى الاعمال التى تدر أرباحا سريعة • ففى الفترة ما بين ١٩٥٥ ــ ١٩٥٩ ارتفع عدد الاغنام فى الكيبوتزيم بنسبة ٧٠ فى المائة ، بينما ارتفع فى الموشاف بنسبة ١٣٨ فى المائة كمثال • وقد حدثت زيادة فى عدد سكان الموشافيم بلغت ١٥ فى المائة ، مقابل نقصان فى عدد سكان الكيبوتزيم بلغ ٤ فى المائة •

وقد تمكنت العائلة الواحدة فى الموشاف القديم من الحصول على ربح سنوى صاف مقداره ٢٣٧٥ ليرة فى عام ١٩٥٤ ، أما فى الموشاف الجديد فقد بلغت الارباح الصافية ٣٠٠٦ عام ١٩٥٧ .

د ــ من حيث الاحزاب السياسية

أ ــ الاحزاب المحسوبة على اليسار

أ ــ الماباى : تأسس عام ١٩٣٠ ، وانحصرت مهمته فى المرحلة الاولى التى سبقت النكبة على تنظيم الهاجاناة ، والاشراف على الوكالة اليهودية ، وتنظيم خطة الاغتصاب ، وقد اتسمت خطته فيما بعد بالاسس التالية :

● تشجيع توظيف رؤوس الاموال الاجنبية •

● تأكيد صيانة حقوق العمال •

● تشجيع الغزو الصهيونى (الهجرة) •

● تقوية الجيش •

● اقامة مجتمع صهيونى يصفه بالاشتراكية الديموقراطية •

● الدعوة الى التعاون مع الدول التى تعترف (بالدولة) •

● الدعوة الى السلام بمفهومه الصهيونى مع الدول العربية

ب ــ احدوت هاعافودا : وقد تأسس عام ١٩٥٤ ، بعد الانشقاق الذى حدث لحزب **المابام** : ويمكن ايجاز أهدافه بما يلى :

● جمع غالبية يهود العالم فى الارض المحتلة .

● ينادى بضرورة تخطيط الاقتصاد على أساس التوسع فى تأسيس المستعمرات الزراعية •

● ينادى بضرورة تعاون الاحزاب الاشتراكية والصهيونية داخل الحكومة .

● ينادى بعدم التحالف مع أى من الكتل ، وبالاستعداد العسكرى الكامل لمواجهة الخطر العربى •

● وفى الوقت نفسه يدعو الى اقامة سلام دائم مع العرب لتطوير منطقة الشرق الاوسط على كافة المستويات الاقتصادية ، والثقافية والفنية ••

جـ ــ المابام : وتأسس عام ١٩٤٨ • وفيما يلى أهدافه فى نقاط :

● ينادى بالتأميم ، وحصر ملكية مختلف المشاريع بالقطاع العام وبفرض ضرائب تصاعدية ، ووضع مخطط اقتصادى يكفل استيعاب المزيد من الغزاة •

● يدعى أنه يقف موقفا صلبا ، ويكافح من أجل تأمين الحقوق المدنية الكاملة للعرب فى الارض المحتلة ، ومن أجل الغاء قيود الحكم العسكرى المفروض عليهم •

● يدعو الى تطبيق سياسة خارجية محايدة نسبيا ، ويدعى بأنه يعمل للتوصل الى صلح مع

العرب عن طريق اجراء مفاوضات دون شروط مسبقة •

● يرحب بالخطط الداعية الى نزع السلاح وتحريم الاسلحة النووية •

د ـ الحزب الشيوعى الاسرائيلي : وقد تأسس هذا الحزب فى أعقاب وصول أوائل الشيوعيين الى فلسطين عام ١٩١٩ • يمكن تحديد أهدافه كما يلى :

● يدعو الى السلام العالمى ، والى نزع السلاح ، ويطالب بالغاء المساعدات الامريكية ، والغربية بما فيها التعويضات الالمانية الغربية •

● يدعو الى المساواة بين العرب واليهود ، والى اعطاء العرب حقوقهم ورفع الحكم العسكرى عنهم ، والى اقامة علاقات سلمية مع الدول العربية على أساس اعترافها بدولة الغزو وباستقلالها ••

● انشق الحزب فى عام ١٩٦٥ الى شقين •• قسم يهودى وآخر غالبيته عربية • وكان ذلك بسبب الموقف من الحركة العربية التحررية •

● مازال الموقف فى الشقين يدعو الى تحرير الغزاة من حكامهم كحل بديل للتحرير •••

٢ ـ الاحزاب اليمينية

أ ـ الاحرار : تأسس عام ١٩٦١ بعد اتحاد الحزب التقدمى والصهيونيين العموميين . وتتحدد أهدافه كما يلى :

● يطالب بوضع دستور يحفظ الديموقراطية ، ويحقق التوازن السياسى والاجتماعى •

● يدعو الى الغاء الحكم العسكرى فى المناطق العربية •

● يدعو للمحافظة على القدرة الدفاعية ، وتنسيق التعاون بين القوات المسلحة ، والقوى الداخلية •

● يطالب بالبحث عن طرق جديدة لايجاد سلام مع الدول العربية •

وقد انقسم هذا الحزب الى حزبين : الاحرار ، والاحرار المستقلون •

ب ـ حيروت : وقد تأسس عام ١٩٤٨ •

وهو يضم افراد منظمة الاراغون الارهابية وزفاى ليومى ، ويشكل المعارضة الرئيسية فى الكنيست منذ عام ١٩٤٨ ، واهدافه :

● يطالب بالتشدد فى معاملة السكان العرب •

● بوضع دستور ـ وبالغاء قانون الطوارىء •

● يدعو للتعاون مع دول الغرب وعقد التحالفات المشتركة •

● ينادى بسياسة عدوانية صريحة ضد الدول العربية ويعلن عن أطماعه فى الارض العربية بشكل سافر ••

٣ ـ الاحزاب الدينية

أ ـ بوعال هامز راحى •

ب ـ بو عالى أغودات اسرائيل •

جـ ـ مزراحى •

د ـ أغودات اسرائيل ••

د ـ المؤسسة العسكرية الصهيونية

تطورت المؤسسة العسكرية الصهيونية ، بتطور نسبة الغزو الصهيونى الاستيطانى للارض المحتلة • وما من شك فى أن هذا التطور قد تصاعد بسرعة كفلتها له مجموع صفقات الاسلحة السرية والعلنية التى عقدتها الحركة الصهيونية (الدولة) مع المانيا الغربية ، وفرنسا ، والولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا • وليس فى المعلومات المتداولة ، ما يشير الى خط هذا التطور • لكن الجدول التالى للطاقة العسكرية الصهيونية عام ١٩٦٥ ، تدل على القفزة الهائلة التى حققتها العسكرية الصهيونية خلال السنوات التى أعقبت قيام كيانها على أرض فلسطين ، بالمقارنة مع الجدول المثبت حول هذه المؤسسة نفسها عام ١٩٤٨ :

عدد السكان	مجموع القوات العسكرية بعد التعبئة
٢ر٢ مليون	٢٥٠ ألفا

مجموع النفقات الحكومية بالملايين	الميزانية الدفاعية
١٥٠ر١ مليون دولار	٢٧١ مليون دولار

النسبة المئوية لميزانية الدفاع على الانتاج القومى
١٠ر٣ ٪

جدول القوات الارضية والجوية للعدو عام ١٩٦٥

عدد الدبابات	القاذفات	المقاتلات	الميزانية الدفاعية
٦٠٠	١٢٠	من ٨٠ ـ ١٠٠	٢٧١ مليون دولار

ثانيا — الشعب الفلسطيني

بلغ عدد الذين اجبروا على مغادرة فلسطين ، حتى الرابع عشر من أيار مايو ، ١٩٤٨ حوالى ٤٠٠ر٠٠٠ نسمة ٠ وبين هذا التاريخ ، وتاريخ توقيع اتفاق الهدنة غادر البلاد حوالى ٣٥٠ر٠٠٠ نسمة ، فأصبح عددهم حوالى ثلاثة أرباع المليون تزايدوا،وتوزعوا فى الوطن العربى والعالم على الشكل التالى :

القطـــر	عدد المسجلين فى الوكالة لغوث اللاجئين	غير المسجلين	العدد الاجمالى
قطاع غزة	———	٣١٣ر٠٠٠	٣١٣ر٠٠٠
ســورية	١٤٤ر٣٩٠	٥٦١٠	١٥٠ر٠٠٠
لبنـــان	١٦٠ر٧٢٣	٧٢ر٧٧٧	١٦٨ر٠٠٠
السـعودية	———	٥٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠
الـكويت	———	٩٥ر٠٠٠	٩٥ر٠٠٠
أمارات الخليج العربى	———	١٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠
بلاد عربية أخرى	———	٤٠ر٠٠٠	٤٠ر٠٠٠
المهجـر	———	١٠ر٠٠٠	١٠ر٠٠٠
بالاضافة الى عدد اللاجئين فى غزة والضفة الغربيةقبل ٥ يونيو			
الاردن	٧٢٢٦٨٧	٤٩٠٣١٣	١ر٢١٢ر٠٠٠
غــزة	٣١٦٧٧٦	٨٨٢٢٤	٤٠٥ر٠٠
المجمـــوع •	١ر٣٤٤٥٧٦	١ر١٠٩٤٢٤	٢ر٤٥٣ر٠٠٠

كانت فترة السنوات التى شهدت تشرد الشعب الفلسطينى وغربته مليئة بالنضـــال الذى راح يقوض مرتكزات الاستعمار القديم فى المنطقـة العربية والعالم ٠٠

وقد جاءت المرحلة الجديدة فى تاريخ نضال الامة العربية لتمثل الاثر الذى أحدثته النكبـة الفلسطينية فى الوطن العربى وجماهيره اذ حدثت فى الوطن العربى مجموعة من التغيـرات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، كان للانسان الفلسطينى فيها دور ايجابى ٠

فالمعروف أن الشباب الفلسطينى ، وبسبب من غياب قيادتهم السياسية ، قد انتموا لمجمـوع الحركات والاحزاب السياسية فى الوطن العربى على المستويات الثلاثة : اليسار واليمين والوسط٠

وقد كانوا فى انتماءاتهم السياسية مدفوعين الى الالتزام بها لسببين :

الاول : أنها كانت تمثل أسلوبا فى العمـل السياسى رأوا أنه الاسلوب الذى يمثل البداية العملية على طريق التحرير ٠

الثانى : أنهم لم يكونوا متقوقعين فى اطـــار اقليمى يجد من تطلعاتهم للمشاركة فى معركة تحرير الامة العربية على كافة المستويات ٠

لكنهم ، وبعد عشرين عاما من النضـال المتواصل ، وبعد أن بدأت طليعتهم تشق الطريق بالعمل الفدائى ، بداوا يدركون أن كل ماقاموا به وشاركوا فيه ، لاينفى ضرورة العمل خلف الطليعة المناضلة لتحرير فلسطين ٠

وكان ميلاد فتح ، هو التعبير الحقيقى عن ثقة الشعب الفلسطينى بنفسه ، وبأمته ٠ وبدأت الثورة مسيرتها من المخيمات والازقة والمنافى ، لتلم فى اطارها المتطور كل قوى الشعب المؤمنة بالكفاح المسلح طريقا للتحرير ٠

فبالرغم من الاوضاع الاقتصادية المتردية التى عاشت فى ظلها جماهير الشعب الفلسطينى ، فقد تأكد لدى كل الذين تعاقبوا على ادارة وكالة غوث اللاجئين ٠ أن هذه الجماهير مصرة على الصمود حتى العودة ٠

ففى عـــام ١٩٥٦ ذكر احد مديرىالوكالة فى تقريره الى الجمعية العامة ٠ « ٠٠٠ ان غالبية اللاجئين العظمى ، مازالت تعتقد ، ان ظلما كبيرا قد أنزل بها ، ومازالت تعبر عن الرغبة فى العودة الى ديارها ٠٠ »

وجاء فى تقرير آخر « **للورانس متشـلمور** » المدير الجديد للوكالة ، بأن كل ما رآه وما سمعه ، يؤكد الرأى المسجل فى التقارير السابقة »

وفى عام ١٩٦٦ شدد « **متشلمور** »قائلا [**فيما تمر السنون لاتبدو بادرة تشير الى أن اللاجئين أصبحوا أقل شعورا بالالم والمرارة نتيجة اعتقادهم بان ظلما كبيرا قد نزل بهم ٠٠٠ وهكذا فان تاثير**

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين باستمرار على السلام والاستقرار مازال خطيرا)

وقد بلغت نسبة التعليم فى فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، ٣٨ فى المائة من أصل السكان العرب . وبلغت نسبة التعليم بين الفلاحين منهم قبل عام ١٩٤٨ : ١٥ فى المائة فقط . وفى عام ١٩٤٦ ، بلغ عدد الذين هم فى سن التعليم ٠٠٠ر٣٠٠ ولد ادخل منهم ٥ر٣٢ فى المائة • وقد أدى هذا الوضع بالطبع الى بقاء نسبة كبيرة ممن هم فوق الثلاثين محرومة من التعليم بسبب من ظروف النكبة والتشريد ••

وفى الجدول التالى ، والموضوع عام ١٩٦٥ ، نثبت فيما يلى تقديرات المختصين لـدخل الفلسطينيين فى البلاد العربية •

ويبين هذا الجدول لمخصصات اللاجـىء الفلسطينى فى الشهر الواحد ، مدى المعاناة التى يتعرض لها فى فترة التشريد :

- ١٠ كلجم من الدقيق •
- ٦٠٠ جرام بقول « فول وحمص الخ •
- ٦٠٠ جرام سكر •
- ٥٠٠ جرام أرز •
- ٣٧٥ جرام زيت (كوكز) •
- قطعة واحدة من الصابون •

وكان لابد لهذا الواقع أن ينتج الثورة ، فقـد كانت جماهير شعب فلسطين لغما موقوتا لابد أن ينفجر فى اللحظة الحاسمة والمناسبة • وكانت الصهيونية والامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الامريكية تعرف ذلك ، ومن أجله كانت تسعى باستمرار لتصفية القضية تحت تشكيلة متنوعة من الشعـارات كشـفتها الجمـاهير الفلسطينية أولا بأول ، وضمن مشاركتها الفعلية فى النضال العربى •

وفى منتصف الخمسينات • وبعد العـدوان الثلاثى على الامة العربية ممثلة بمصر ، بدأت تتحرك فى أوساط الطلبة الفلسطينيين ارهاصات تنطوى على احتمالات تحرك ثورى •. لكن هذه الارهاصات بدت بطيئة الفعالية ، بسبب من تصاعد النضال العربى فى ذلك ضد الاحلاف ــ والمشاريع الامبريالية الاخرى التى كانت تستهدف استيعاب الوطن العربى ، وجماهيره . وكان ابناء فلسطين حتى ذلك الحين مازالوا ملتزمين بـانتماءاتهم السياسية ، ومازالوا تحت تأثير الاحساس بأنهم انما يسيرون باتجاه التحرير • وكانت الشعارات التى تطرحها المرحلة آنذاك تؤكد على أن تحرير الارض العربية المجاورة لفلسطين شرط لتحرير فلسطين • غير أن الاحداث تتابعت ، ولم تكن الحركة العربية قادرة على أن تعطى فى المرحلة أكثر من قدراتها ، بالرغم من أنها استطاعت أن تعطى نواة دولة الوحدة عام ١٩٥٨ . غير ان هذه النواة التى مثلت خطوة على طريق التحرير من وجهة نظر الجماهير الفلسطينية ، ما لبثت أن تلقت الضربة القاصمة على يد القوى المعادية للحركة العربية الصاعدة •• ولم تكن دولة الوحدة بالمقابل تملك مقومات الصمود فى وجه المؤامرة الامبريالية الصهيونية وأداتها فى المنطقة العربية ، وذلـك بسبب من طبيعة تكوينها كدولة لم تستطع أن تبنى أداتها الشعبية المنظمة ، والقادرة على حمايتها •• ومن هنا •• بدأت حركة الشعب الفلسطينى مرة أخرى تتواصل معلنة عن ميلاد بداية التحرك الثورى الذى بدأ يطرح فلسطين المعركة ، والتحرير طريقا للوحدة •• وليس العكس • ونشأت مجموعة من التجمعات الصغيرة التى تعلن الشعار ، وتطرح نفسها سرا كممثلة لخط جديد هو الكفاح المسلح • وما من شك فى أن لانتصار ثورتى الجزائر وكوبا اثرا كبيرا فى بلورة البدايات الاولى لهذا التحرك .

وكانت حركة التحرير الوطنى الفلسطينـى الطليعية الاولى من هذه التجمعات التى رفعت شعار الكفاح المسلح من خلال مجلة « **فلسطيننا** » • ودعت له دون أن تعلن نفسها حركة منظمة ، غير أنها فى ذلك ساهمت بنشوء المجموعات الاخرى من الشـباب الذيـن اسـتجابوا للخـط الذى تطرحه « **فلسطيننا** » • والذى يلفت النظر أن هذا الخط قد وجد استجابة شبه مطلقة لدى جمـاهير الشعب الفلسطينى فى الجزيرة العربية والخليج العربى • وكأن هذه الجماهير التى كانت تعيش فى مستوى أفضل تريد أن تجابه تحدى الاستيعاب المفروض عليها بسبب من ظروف تشريدها • وكان الرحلة فى الصحراء ، وظروف المعيشة المترفة نسبيا بالمقارنة مع ظروف معيشة المخيمات والازقة

تقديرات دخل الفلسطينيين فى البلاد العربية ١٩٦٥

القطر	العدد الكلى	عدد من هم دون سن ١٨ وفوق سن ٦٠ ٥٠٪	تقدير نسبة بطالة	عدد الرجال العاملين	عدد النساء العاملات	تقديرات دخل الرجال العاملين: أقل من ٢٠٠ دينار فى العام	تقديرات دخل الرجال العاملين: من ٢٠٠-١٠٠٠ دينار فى العام	أكثر من ألف دينار	تقديرات دخل النساء العاملات: أقل من دينار فى العام	تقديرات دخل النساء العاملات: من ٢٠٠-١٠٠٠ دينار فى العام	أكثر من ألف دينار
الأردن	١,٢٠٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٥٠٪ ذكور ٩٠٪ إناث	١٥٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	١٠٠,٠٠٠	٣٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٢٥,٠٠٠	٥,٠٠٠	—
قطاع غزة	٤٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	٥٠٪ ذكور ٩٠٪ إناث	٥٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٣٥,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٥,٠٠٠	٨,٠٠٠	٢,٠٠٠	—
سورية	١٣٠,٠٠٠	٦٥,٠٠٠	٥٠٪ ذكور ٩٠٪ إناث	١٦,٠٠٠	٣,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٦,٠٠٠	—	٢,٥٠٠	٥٠٠	—
لبنان	١٥٠,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	٦٠٪ ذكور ٩٠٪ إناث	١٥,٠٠٠	٣,٥٠٠	٧,٥٠٠	٤,٠٠٠	٣,٥٠٠	٢,٠٠٠	١,٥٠٠	—
السعودية	١٦,٠٠٠	٨,٠٠٠	—	٧,٠٠٠	١,٠٠٠	—	٥,٠٠٠	٢,٠٠٠	—	١,٠٠٠	—
الكويت	٤٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٥٠٪ ذكور ٨٠٪ إناث	١٠,٠٠٠	٢,٠٠٠	—	٦,٠٠٠	٤,٠٠٠	—	١,٠٠٠	١,٠٠٠
بلاد عربية أخرى	٤٠,٠٠٠	٢٠,٠٠٠	٥٠٪ ذكور ٩٠٪ إناث	٥,٠٠٠	١,٠٠٠	—	٢,٠٠٠	١,٠٠٠	٥٠٠	٥٠٠	—
المجموع	١,٩٧٦,٠٠٠	٩٨٨,٠٠٠		٢٥٣,٠٠٠	٥٠,٥٠٠	—	٦٣,٠٠٠	٣٥,٥٠٠	٣٨,٠٠٠	١١,٥٠٠	١,٠٠٠

قادرة على افقاد هذه الجماهير شخصيتها لو لم تكن اصيلة .

ومن هنا بدأ التفكير فى مواجهة هذا التحرك على مستوى الدول العربية كلها خاصة وأن المعركة كانت تطرح نفسها بعنف وصراحة ، بعد الاعلان عن مشروع الاستفادة من نهر الاردن لتعمير منطقة النقب المحتلة فى فلسطين لجعلها قادرة على استيعاب الملايين من الغزاة الجدد .

فكان **مؤتمر القمة العربى الاول** الذى أعلن عن ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية مؤسسة فلسطينية تمثل الشخصية الفلسطينية .

وكانت الجماهير العربية والفلسطينية ترى أن وقت المعركة مناسب فى أية لحظة . اذا ما وجدت القوة الجادة ، وأن الزمن يعمل لغير صالح القضية ، وأن تحويل مجرى نهر الاردن هو معالجة للنتيجة ، أما السبب الرئيسى وهو الحركة الصهيونية فلم يكن فى الحساب على أى مستوى من مستويات العمل الجدى .

وكانت حركة الشعب الفلسطينى الممثلة آنذاك بالتجمعات التى تطرح أسلوب الكفاح المسلح تمثل خطرا على الاتجاهين . لذا ، كان لابد للاتجاهين الاول والثانى ، من أن يلتقيا عند نقطة فى الوسط يتفقان فيها على مواجهة الحركة التى كانت تهدد بالنمو ، وبالتالى بجر الدول العربية الى معركة قبل الاوان .. فكانت منظمة التحرير الفلسطينية فى مرحلتها الاولى . غير أن حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » لم تنعطف فى هذا الاتجاه ، ومضت فى مشروعها وفجرت اولى عملياتها فى الفاتح من يناير ١٩٦٥ .

لكن الحركة صمدت ، ومضت فى الطريق حتى معركة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، التى طرحتها الصهيونية كرد فعل للتحرك المسلح الذى تقوم به حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » .

غير أن حركة التحرير الوطنى الفلسطينى مضت لتقدم فى معركة الكرامة بالذات ، برهانا على أن المواجهة الجدية للعدو الصهيونى يمكن أن توقع به خسائر تؤثر عليه . بالاضافة الى ان احتلاله لكل هذه المناطق الواسعة يجعله اقل قدرة على مجابهة حرب عصابات مركزة ، ومصعدة . وبدا العدو الصهيونى يخسر فعلا . وبدات الجماهير العربية كلها تؤمن بذلك . وكانت حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » ، ومعها مجموع المقاتلين على ارض المعركة يقدمون ثلاث اجابات على الاسئلة المطروحة :

الاول : انه اذا كانت مهمة الحرب هى افناء قوات العدو ، والمحافظة على قواتنا ، فقد نجح العمل المسلح فى تحقيق مجموعة من الانجازات فى هذا السبيل .. داخل الارض المحتلة ، وقرب خطوط النار

الثانى : ان المواجهة الجدية للمقاتل الصهيونى تمزق الصورة « السوبرمانية » لهذا المقاتل .

الثالث : ان العمل الفدائى ينطوى على احتمالات التطور الى ثورة شعبية مسلحة بمقدار ماتدعمه الجماهير .. وبمقدار ماتكون مؤسساته التنظيمية قادرة على تنظيمها وقيادتها بعد ان حركتها انجازات المعركة ..

الرابع : انه ليس وسيلة ضغط من اجل تحقيق التسويات السلمية الاستسلامية . ولكنه ممثل شرعى ثورى لجماهير الشعب الفلسطينى ، وطليعة حرب التحرير الشعبية التى يجب ان تخوضها الجماهير العربية ضد كل اشكال الاستعمار فى النهاية .

الخامس : انه يتشكل كحركة تحرر وطنى فلسطينى ، معادية للاستعمار والصهيونية فى كل مكان .. وزمان ..

السادس : انه يمثل خطرا حقيقيا على كل القوى المرتبطة بالاستعمار والصهيونية ارتباط مصلحة ومصير كلما تصاعد اكثر ، وكلما كان قادرا على استقطاب الجماهير العربية ، وانه صاعق المنطقة بلغة المتفجرات .

السابع : ان القضاء عليه ، شرط لتحقيق اية تسويات استسلامية فى المنطقة ، خصوصا وانه ذو وزن سياسى مؤثر ، وان حجمه فى العمل التحريرى طليعى واصيل ، وان الثورة الفلسطينية — فى النتيجة — التى تصعدها وتقودها حركة التحرير الوطنى الفلسطينى فتح ..

[٤] العدو الصهيونى •• كقوة عدوانية توسعية •• فاشيـة

ترتبط المخططات الصهيونية التوسعية ، بازدياد نسبة الغزاة فى فلسطين المحتلة . وتمتد جذور هذه المخططات الى ماقبل النكبة ، حينما تقدمت المنظمة الصهيونية العالمية بمذكرة الى المجلس الاعلى لمؤتمر الصلح فى باريس عام ١٩١٩ ، اقترحت فيها ضم شرقى الاردن الى فلسطين ، مشيرة الى ان جبل الشيخ ، وجنوبى لبنان (حتى صيدا) يجب ان تضاف الى فلسطين • وحين استثنى « **كتاب تشرشل الابيض** » عام ١٩٢٢ شرقى الاردن من فلسطين ، اعتبر الصهيونيون ذلك خسارة فادحة لقضيتهم •

وقد بذل « **وايزمن** » محاولات كثيرة مع السلطات الفرنسية لينال موافقتها على ضم جنوبى لبنان الى فلسطين . وكتب « ماينر تزهاجن » وهو كولونيل بريطانى صهيونى ، كان مسئولا عن الشئون السياسية فى فلسطين فى بداية عهد الانتداب ، كتب يقول :

● « ان وايزمن عدو عنيف بطبيعته للعرب ، ان كلمة (يهودى) او (صهيونى) تعنى بالنسبة له التقدم وقلب النظام القائم فى فلسطين •• اما كلمة [عربى] فتعنى الركود واللااخلاقية ، والحكومة المتعفنة ، والمجتمع الفاسد غير الامين » •

● « قال لى وايزمن بان الدولة اليهودية يجب ان تمتد عبر شرقى نهر الاردن ، والا فان فلسطين لن تتسع لملايين اليهود الذين سيهاجرون اليها » •

● « تكلم هربرت صمويل — اول مندوب سامى بريطانى الى فلسطين ، واكد على الحاجة الى التعاون مع العرب • وقال بان اليهود لن يحرزوا اى نجاح فى فلسطين دون كسب جانب العرب • وهنا نظر وايزمن الى وغمز بعينه استخفافا بالتعاون الذى سيقوم بين النسناس والارنب » •

● « ان وايزمن يخفى فهمه الحقيقى للصهيونية ، ولاحلامه فى فلسطين يهودية • اننى مقتنع تماما بان الدولة اليهودية هى الهدف الكلى للصهيونية ، وهذا هو بالضبط مايعمل له وايزمن » •

● سألت وايزمن ما اذا كانت بريطانيا ستمنح قواعد جوية وبحرية وبرية ، فى فلسطين فى حال قيام الدولة اليهودية ، فطلب « **وايزمن** » مهلة ليعطى الجواب • وبعد ايام حصلت على جواب « وايزمن » • قال لى « انه يرحب بالفكرة • واقترح « **حيفا** » قاعدة بحرية ، والمناطق المجاورة **لغزة ويافا** قواعد جوية فسيحة، والساحل الممتد بين **حيفا وغزة** مجالا للقواعد البرية ، واضاف « **وايزمن** » قائلا ان هذا سيعطى الدولة اليهودية امنا مطلقا •• وسيخفف من نفقاتها الحربية • ولكن « **وايزمن** » ربط هذه الموافقة باعطاء فلسطين وشرق الاردن والجزء الجنوبى من لبنان ، وبعض اجزاء من سوريا لليهود •• وقال بان « وضعنا من هذا النوع سيضعنا حتما فى مواجهة مسلحة ضد العرب ، ومادام هذا سيحصل فى يوم من الايام فلم لايحصل الان ؟ » •

● ان الاعتراض الرئيسى على المطالب الصهيونية ، كان يستند الى ان فلسطين صغيرة بالنسبة ليهود العالم •• هذا صحيح •• ولكن لنفسح لهم المجال ليأخذوا فلسطين • وبعد ذلك يستطيعون ان يحصلوا على مايريدون •

واوضح « **بن جوريون** » بعد ذلك بقوله : « **ان على (اسرائيل) ان تستعيد حدودها التاريخية التى وضعت وحددت منذ بدء التاريخ ، حتى المترددون لايستطيعون ان ينكروا غرابة هذه الحدود حيث لاتتطابق الدولة والارض** » •

ولقد انتقل هذا المنهج التوسعى الى برامج ثلاثة احزاب رئيسية فى الحركة الصهيونية على ارض فلسطين ، وهى احزاب تمثل اكثر من ثلث الناخبين •

فبرنامج حزب **حيروت** يدعو الى « الوحدة الاقليمية لارض (اسرائيل) ضمن حدودها التاريخية على جانبى نهر الاردن » ، بينما يدعو برنامج حزب **احدوت هاعفودا** الذى دخل فى تحالف مع **حزب الماباى** الحاكم ، الى اقامة (دولة اسرائيل) اشتراكية فى كل ارض الميعاد » ويقول برنامج حزب **الصهيونيين العامين** ان [دولة اسرائيل] لاتوجد كغاية فى حد ذاتها ، بل كاداة لتنفيذ الحلم الصهيونى » •

وفى مباحثاته مع « **الكونت برنادوت** » اعلن « **موشيه شاريت** » رئيس [الحكومة المؤقتة] والذى يعتبر من وجهة نظر بعض الاتجاهات الصهيونية صهيونيا معتدلا « ان **رقعة (اسرائيل) يجب ان تتوسع بعد قيام الدولة** » •

كما التزمت الحركة الصهيونية نفسها حين اعلنت فى الكتاب السنوى الذى يعتبر اوثق المصادر الرسمية للحركة الصهيونية « ان قيام [**الدولة الجديدة**] **لاينتقص باى حال من الاحوال من افق ارض [اسرائيل]التاريخية** » .. وان « (**دولة اسرائيل) قد قامت فى الجزء الغربى من الارض** » .. و « **اننا حصلنا على [الاستقلال] فى جزء من ارضنا الصغيرة** ».

وبالاضافة الى هذه المخططات التوسعية ، فقد كانت هناك فى الارض المحتلة، منذ النكبة ، ممارسات فاشية تجاه اصحاب الارض الحقيقيين الذين لم يغادروا فلسطين .. فهؤلاء العرب الفلسطينيون مازالوا يعيشون فى جو خانق من الارهاب ، وكبت الحريات ، ويمارس العدو الصهيونى ضدهم ابشع انواع التمييز العنصرى واعمال العنف .. وقد نقلت جريدة « لوموند » الفرنسية حديثا لاحد الشباب العرب فى الارض المحتلة يقول فيه : « **اننى شاب عربى انتسب الى عائلة عربية .. انتسبت الى هذه الارض منذ الازل • ولكننى تعلمت فى المدرسة ان هذه الارض كانت دائما ملكا لليهود • وتعلمت فى المدرسة كذلك « التاناخ » اى تاريخ الشعب اليهودى وشهدائه فى (المنفى) وفى الوقت نفسه كان يقال لنا ان اللاجئين الفلسطينيين العرب اخوتنا واخواتنا واعمامنا يجب ان يبقوا حيث هم • يقولون لنا اننا مواطنون اسرائيليون كاملون ، ولكننا نعامل كمواطنين من الدرجة الثانية بل كاغراب ، حتى وكاعداء** ».

ان العرب فى (اسرائيل) يعيشون فى مناطق مقفلة يتمتع فيها حكامها بسلطات مطلقة .. تحركهم مقيد ، ومعرضون باستمرار للاقامة الجبرية ، وممنوع عليهم الانتماء الى اية جمعية سياسية غير (اسرائيلية) ويعيشون فى اغلب الاحيان فى ظل نظام منع التجول فى ساعات الليل وبعض ساعات النهار » •

ولم يقتصر الامر على ذلك • بل تعداه الى ممارسة اعمال عنف وحشية ضد العرب فى الارض المحتلة ، ولعل المجازر التى ارتكبت فى **الطيرة والطيبة وكفرقاسم** فى عام ١٩٥٦ ، والمجازر التى ارتكبت فى **الرملة** ، **وعكا والناصرة** فى الفترة التى اعقبتها ، مايعطى دليلا قاطعا على ان العنف الفاشى المنظم فى الحركة الصهيونية ، انما هو مسألة خاضعة لمنهج متواصل من الممارسات التى تضمنت الحرمان من التعليم والعمل ، ومصادرة الاراضى وهدم البيوت ، وعمليات القتل الجماعية .. يمكن التدليل عليها بهذه المحاولة القصيرة التى سجلتها صحيفة « **ها آرتز** » بين احد الجنود ــ فى جيش الاحتلال ــ الذين اشتركوا فى تنفيذ مجزرة « كفر قاسم » ، وبين الضابط المسئول عن المجزرة •

سؤال الجندى : ماذا نفعل بالاطفال والنساء ؟

جواب الضابط : يجب ان يعاملوا كالاخرين بدون رحمة •

سؤال الجندى : ماذا نفعل بالجرحى ؟

جواب الضابط : يجب ان لايكون هناك جرحى

سؤال الجندى : ماذا نفعل بالسجناء •

جواب الضابط : يجب ان لايكون هناك سجناء •

وقد ثبت فى (المحكمة) ان الاوامر بقتل كل عربى يوجد خارج بيته ، قد صدرت من السلطات العليا • ومامن شك فى ان الممارسات الفاشية المتواصلة ضد الجماهير فى الارض المحتلة فى حزيران تؤكد الظاهرة المرافقة لنشوء وتطور الحركة الصهيونية فى فلسطين •

وقد قدر عدد العرب الذين ظلوا فى فلسطين المحتلة ، عقب عام النكبة ١٩٤٨ ، بحوالى ١٧٠ الف شخص • بينهم ٣٢٫٠٠٠ من سكان المدن و ١٢٠ الفا من سكان الريف و ١٨٫٠٠٠ بدوى • وفى نهاية عام ١٩٦٦ كان مجموعهم ٣١٢٫٥٠٠ نسمة •

ويتجمع معظم السكان العرب فى منطقة الجليل التى كانت مخصصة اصلا حسب مشروع التقسيم ــ المرفوض من شعب فلسطين ــ للدولة العربية • ونقطة التجمع الثانية هى المثلث الذى يقع فى وسط فلسطين المتاخم للضفة الغربية للنهر ، اما النقطة الثالثة ، فهى النقب فى الجنوب •

وقدفرضت على هذه الاقلية العربية هناك عدة قيود ، منذ عام ١٩٤٨ ، وذلك عن طريق سلسلة من القوانين والانظمة التى تجعل اغلبية العرب ، اى ٨٠ فى المائة منهم خاضعين للحكم العسكرى •

ومن الناحية الاقتصادية يرزح العرب تحت ضغط شديد ، نتيجة القوانين التمييزية والتقييدية وقد صودر حوالى ٧٠ فى المائة من اراضيهم بسبب هذه القوانين • وهم عرضة للتمييز فى التعليم ومجالات العمل ، وفى موارد الماء للرى • كما ان تنقلاتهم بقيت محدودة منذ عام ١٩٤٩ الى اول كانون الاول [ديسمبر] ١٩٦٦ بالحصول على تصريح عسكرى لكل سفرة داخل الارض المحتلة ، وفى منطقة محدودة منها •

وقد مارس العدو الصهيونى كذبة الديموقراطية والترشيح للانتخابات ، بهدف اعطاء وجه مزور

لواقع الاحتلال .. وقد قام بتقديم مبررات الحصان كاسباب تتعلق بالامن على حد تعبير « بنجوريون » انهاجراءات لمنع احتمال قيامأى عمل تخريبى » .

امالتشريع الذى يحكمهم منذ عام١٩٤٨فقدتمثل فيما يلى :

- انظمة الطوارىء العسكرية لعام ١٩٤٨ .
- قوانين وانظمة الطوارىء المدنية .
- قانون امتلاك الاراضى لاضفاء الصبغة الشرعية على مصادرتها .
- قانون التحديد ١٩٥٨ بهدف مصادرة الاراضى اذا لم يبرز المالك دليلا على ملكيته للارض لمدة ١٥ سنة دون منازع .
- قانون العودة والجنسية (خاص باليهود لمنحهم الجنسية] .

اما العرب فهم كما قال « **ديريك توزير** » وزير داخلية اسرائيل « فالعرب كاليهود فى المانيا النازية يعتبرون رسميا مواطنين منالدرجةالثانية ، وهذه حقيقة مسجلة فى بطاقات هواياتهم » . وقد قدمت سلطات الاحتلال شواهد كثيرة تثبت الممارسات الفاشية تجاه السكان العرب ، منها :

- فى ١٦ ايلول [سبتمبر] عام ١٩٥٣ طرد سكان كفر برعم من قريتهم وهدمت وقد تدخل البطريرك مبارك باسم القرية فوعد باعادتهم اليها .
- فى يوم الجمعة العظيمة ١٩٥٤ ، حطم ٧٣ صليبا فى المقبرة المسيحية فى حيفا وديست بالاقدام .

وتعتبر هذه الممارسات الفاشية جزءا مكملا للوجود الصهيونى على ارض فلسطين ، باعتباره قائما على العدوان والتوسع من اجل استيعاب مامجموعه ١٢ر٦٥٠٠٠ يهودى موزعين فى العالم على النحو التالى حسب آخر احصائية متاحة :

فى الولايات المتحدة الامريكية ٥ر٥٠٠ر٠٠٠
فى الاتحاد السوفيتى ٢ر٣٠٠ر٠٠٠
فى فلسطين المحتلة ٢ر٤٥٠ر٠٠٠
فى فرنسا ٥٠٠ر٠٠٠
فى انجلترا ٤٥٠ر٠٠٠
فى كندا ٢٥٤ر٠٠٠
فى رومانيا ١٥٠ر٠٠٠
فى الارجنتين ٤٥٠ر٠٠٠
فى البرازيل ١٤٠ر٠٠٠
فى المغرب ١٢٥ر٠٠٠
فى جنوب افريقيا ١١٠ر٠٠٠
فى تونس ٣٥ر٠٠٠
فى الجزائر ٦٠٠٠

والتقدير الان يزيد على ١٥ر٠٠٠ر٠٠٠ يهودى .

ولكى تحقق الحركة الصهيونية آهدافها ، كان لابد من أن تمارس عدوانا مستمرا على الارض العربية يستهدف مايلى :

- تركيز نفسها وقدراتها الاقتصادية والاجتماعية ، والاعلان عن قوتها بهدف جر المزيد من اليهود ليتحولوا الى غزاة لارض فلسطين .
- لتتمكن من رفع قدرتها القتالية من خلال العمليات العسكرية المستمرة على خط النار .
- لتحقق التوسع فى عدوانات رئيسية .

وفى بيان اجمالى بالاعتداءات الصهيونية على الارض العربية ، بلغ مجموع الاعتداءات منذ عام ١٩٤٩ وحتى عام ١٩٦٤ ، رقما عاليا : هو **١٦١ر٦٣ عدوانا** بما فى ذلك العدوان الثلاثى . كما بلغ مجموع قرارات الادانة للوجود الصهيونى فى مجلس الامن والامم المتحدة منذ اغتيال الكونت برنادوت ١٩٤٨ وحتى العدوان على قرية السموع ١٩٦٦ ، **١٧ قرارا** . كما بلغ عدد ادانات لجان الهدنة منذ العدوان على بئر قطار ١٩٥٠ وحتى العدوان على السموع ١٩٦٦ ، **واحدا وستين قرارا** .. أما عدد الاعتداءاتالمدبرة حسب بيانات أدلى بها أعضاء فى مجلس الامن ، وموظفون مسئولون فى الامم المتحدة من غير العرب . وذلك حسب السجل الرسمى لمجلس الامن ما مجموعه **واحد وخمسون بيانا** منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٦٢ .. مما يؤكد ان حديث الحركة الصهيونية عن السلام الصهيونى ، لم يكن يعنى فى حقيقته الا قناعا للعدوان . فقد بلغت عروض السلام الصهيونية منذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٦ ما مجموعه **٥٥ عرضا** مقابل **٢٠٢ اعتداء خطير** بما فى ذلك احتلال جزء من فلسطين عام ١٩٤٨ والعدوان الثلاثى ، وعدوان حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، الذى يعتبر مرحلة حاسمة وخطيرة فى تاريخ الحركة الصهيونية والامة العربية . اذ يطرح على كليهما السؤال الواحد : « أكون أولا أكون ؟ » . ويضعها لاول مرة فى مرحلة المواجهة الحاسمة على كافة المستويات . وهنا تأتى الثورة الفلسطينية التى تصعدها وتقودها حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » لتضع الاجابة على هذا السؤال بالايجاب .

[٥] العدو الصهيونى فى وضعه الراهن

مواطن القوة ..

ما من شك فى أن للعدو الصهيونى قوة ذاتية قادرة على الصمود فى وجه الثورة لفترة طويلة . لكن هذه القوة الذاتية ليست ذاتية بالمعنى الدقيق للكلمة، ذلك أن المعونات التى يتلقاها من الامبريالية العالمية، وبالذات من الامبريالية الامريكية، هى التى تجعل من هذه القوة الذاتية اكثر قدرة على التحمل ومواصلة الثبات لفترة أطول . لكن هزيمة واحدة كافية لتقويض هذا العامل، وفى معركة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ بدا العدو مقاتلا فى ظروف أقرب لليأس منها للايمان بحتمية النصر ، فقد كان امام احتمالين : اما أن تتحقق هزيمته مرة واحدة والى الابد ، واما أن يواصل المعركة الخاطفة حتى يستطيع استعادة نفسه كمجتمع يملك مؤسساته المتعطلة بفعل الحرب ، والتى غابت قواها العاملة فى اطار الجيش ، مما يترتب على هذا الغياب — فى حالة امتداده — أزمات اقتصادية غير محدودة ، وكفيلة بخلق عامل يساهم بصورة حاسمة فى تقويض الكيان الصهيونى ..

وبدون أن نذكر أرقاما حول المعونات التى يتلقاها العدو لعدم توفر المصادر ، اثناء اعداد هذا البحث ، يبدو الامر بديهيا ولا يحتاج الى اثباتات نظرا لكون العدو الصهيونى فقيرا فى بلد ليس فيه من الثروة مايؤهله للاستمرار والنمو فى ظروف غير طبيعية ومفتعلة كالتىتحيط بوجوده فى فلسطين .

والبيانات المتوفرة لدينا حول تطور القوة العسكرية عما كانت عليه فى عام ١٩٤٨ ، تثبت ان هذا التطور لم يكن ممكنا لولا المعونات المتدفقة بكثافة .

ففى جدول تقريبى للقوة العسكرية الصهيونية قبل العدوان الحزيرانى (١٩٦٧) بشهر كانت الارقام كما يلى :

عدد الجنود ٣٠٠,٠٠٠ — الدبابات ٨٠٠ — الطائرات ٣٥٠ — القطع البحرية ٢٠ قطعة .

وبالمقارنة مع الارقام الاخرى السابقة لهذا التاريخ بثمانية عشر عاما ، ندرك أن هذا التطور ليس نتيجة ظروف موضوعية عادية ، كما فى بقية المجتمعات الاخرى .

وبالرغم من ذلك فمواطن القوة لدى العدو الصهيونى هى :

أولا : المؤسسة العسكرية المتطورة والمشتملة على ما يلى :

● جيش قوى ومدرب ، وفيه خبراء مارسوا الحرب فى معارك الحرب العالمية الثانية ، يملك قدرة متفوقة على التحرك برا وجوا .. وهذا ما اثبتته معركة حزيران .

● وجود « معهد الدفاع الوطنى » على غرار معهد الدفاع الوطنى الفرنسى ، ويخرج كبار الضباط ، وكبار الموظفين العسكريين ، ورجال الادارة الذين يقع عليهم عبء ادارة الحرب وقيادتها ، مع الاستفادة الكاملة من الدراسات الاستراتيجية العالمية وتطبيقاتها السياسية والاقتصادية ، والعسكرية ، خاصة لمعهد الدفاع الوطنى الفرنسى ، ومركز الدراسات العسكرية العليا الفرنسى ، ومعهد حلف الاطلسى ، والمجلة العسكرية العامة لحلف الاطلسى ، ومعهد الدراسات الاستراتيجية فى باريس ، ومعهد الدراسات الاستراتيجية فى لندن ، ومعهد هدسون فى امريكا . وهذا المعهد الاخير يهتم بدراسة القضايا الاستراتيجية الضخمة التى تواجهها الولايات المتحدة ، بالاعتماد على تطور التكنيك ، كما يدرس قضايا العالمالثالث ، ويحلل الاحداث ، ويستخلص النتائج المترتبة عليها ، بالاضافه الى أنه يدرس القضايا الكبرى للحرب والسلام والعمل السياسىوالاقتصادى ، ويخطط للثوراتالمضادة .

وهناك أيضا برنامج البحث الجامعى المشترك ، وصندوق القرن العشرين ومشروعه الخاص بالعلاقات المدنيه والعسكرية فى الولايات المتحدة ، وما ينشر من سلسلة دراسات عن اعداد السياسة العسكرية والخارجية ، وكذلك معهد دراسات السلم والحرب التابع لجامعة كولومبيا .

● وجود القوات المسلحة للعدو الصهيونى فى ثلاثة تشكيلات رئيسية عاملة هى :

● قوات [الحدود] والمستعمرات .

● قوات [الحدود] والمستعمرات .

● قوات التدخل الضاربة والتشكيلاتالميدانية

● التخطيط العسكرى للقرى والمستعمرات الامامية .

مواطن الضعف ..

الحديث عن مواطن ضعف العدو هنا بالنسبة لمقاتل حرب العصابات عمل محرم . ومن احتياطات الامن الثورى عدم التعرض لهذا الموضوع الا أثناء بحث عملية عسكرية على هدف محدد وفى اطار السرية المطلقة ، حتى ان الحديث العام فى هذا الموضوع قد يفيد العدو . ويدخل ضمن استراتيجية وتكتيك الثورة بوجه عام . والحديث عن مواطن القوة مسألة واردة فى كثير من المراجع التى استندت اليها فى هذا البحث ، وهى مراجع متداولة . ولا خطر من التعرض لها ..

بقيت ملاحظة نرى ان لابد من ايرادها لتحديد طبيعة العدو الصهيونى الذى نقاتله . والذى يرد ذكر مدنيين كثيرا على لسان أجهزة الاعلام الامبريالية والداعية كثيرا الى الاستسلام العربى تحت شعارات السلام .

فمما لا شك فيه أن المؤسسة العسكرية الصهيونية التى نمت طوال اكثر من نصف قرن ، هى التى قادت المؤسسة الصهيونية كلها على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . فالمجتمع الصهيونى كله ، بهذا المفهوم ، مؤسسة عسكرية مكتاملة . تترابط فيها العلاقات التى تستهدف الحفاظعلى الشكل والمضمون العسكريين فى مواجهة تحديات التحرير . ذلك أن القوات المسلحة تبلغ حوالى ٨٠٫٠٠٠ جندى ، وتتم تعبئة ١/٧ التعداد السكانى حوالى ٣٠٠٫٠٠٠ فى حالة الحرب ، فمعنى هذا أن المجموع الكلى للافراد العاملين فى اطار القوات المسلحة يبلغ ١٫٨٨٠٫٠٠٠ ، وذلك اذا أخذنا فى الاعتبار أن كل جندى لابد أن يكون فى خدمته ستة أفراد على جبهة العدو الداخلية .

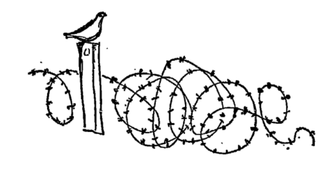
وهذا يعنى اننا نقاتل قاعدة عسكرية محضة أشبه بقاعدة « ديان بيان فو » .. أو خى سانة .. أو أية قاعدة أخرى .

ومن هنا فالحديث عن المدنيين يصبح حديثا غير علمى اذا استثنينا الاطفال والشيوخ من الرجال والنساء . ونحن بالطبع لا نستهدف هؤلاء فى قتالنا للعدو الصهيونى ، كما لم تستهدف قاذفات القنابل السوفياتية ، الشيوخ والاطفال عندما قامت بقصف برلين ، وعندما اشترطت تسليم المانيا .. المانيا البلد بلا قيد أو شرط .

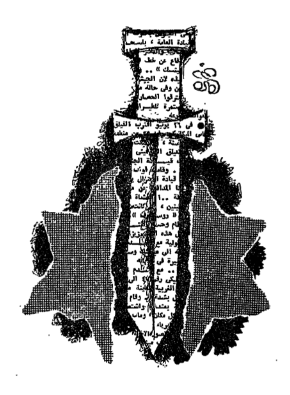
وهنا يبقى سؤال :

ماذا يجب أن نفعل بالذين يفضلون البقاء فى فلسطين بعد النصر ؟

ولن نجيب كما أجاب الضابط الصهيونى حول مذبحة كفر قاسم . ولكننا نؤكد على أننا لسنا قتلة او مجرمين ، ولكننا محررون ، وبالثورة الفلسطينية التى تصعدها وتقودها حركة التحرير الوطنى الفلسطينى ، هذه الثورة ذات العمق الاستراتيجى الذى تمثله الجماهير العربية بهذه الثورة ، بمواصلتها حتى النصر الحتمى ، انما نقوم أيضا بتحرير اليهودى من وهم الدولة الصهيونية ، ومن سيطرة الحركة الصهيونية .



السلاح النظرى في معركة التحرير



د. جورج حبش

كاتب هذا المقال المناضل الفلسطيني، « د. جورج حبش » .. مسئول قيادي للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

ان شرطا اساسيا من شروط انتصار اية ثورة هو الرؤية الواضحة للامور . الرؤية الواضحة للعدو ، الرؤية الواضحة لقوى الثورة . وعلى ضوء هذه الرؤية ، وعلى ضوء تحديد طبيعة المعركة تتحدد استراتيجية الثورة .

وبدون هذه الرؤية يظل العمل الوطنى عفويا ومرتجلا ولا يلبث أن ينتهى الى الفشل . ولقد بات ضروريا بالنسبة للشعب الفلسطينى ، بعد عشرات السنين من القتال والتضحيات ، وقد تولد أمامه مثل هذا النضج في الظروف الموضوعية المحيطة بقضيته اثر هزيمة ٥ حزيران (يونيو) والتى أفرزت ظاهرة الكفاح المسلح الذى يجسده العمل الفدائى .. بات ضروريا أن يضمن لكفاحه المسلح

هذه المرة كل مقومات الانتصار والنجاح . اذ ليست هذه أول مرة يحمل فيها شعبنا السلاح دفاعا عن تحرره وعن وجوده . فمنذ وعد بلفور سنة ١٩١٧ حمل شعبنا السلاح هذه المرة فى وجه الاستعمار البريطانى والغزو الصهيونى . كما قدم شعبنا آلاف الشهداء وتحمل أشق التضحيات . ولكنه رغم ذلك كله لم يحقق النصر ، بل منى بالهزيمة تلو الاخرى حتى أصبحت غالبيته تعيش فى مخيمات النزوح والشقاء أو تحت نير الاحتلال

اذن ، لايكفى أن نحمل السلاح حتى نطمئن الى نتيجة المعركة . والثورات المسلحة فى التاريخ انتهى بعضها الى النصر ، فى حين انتهى بعضها الاخر الى الفشل . ولذلك لابد من مواجهة الحقائق بعقلية علمية ثورية ، صريحة وجريئة . ان مايقرر النجاح ، نجاح أية ثورة ، هو الرؤية الواضحة للامور وللقوى الموضوعية التى تخوض الصراع ، وما يقرن الفشل هو العفوية والارتجال . واذا كانت هذه الحقيقة الموضوعية تنطبق على كل الثورات ، فان وعيها يزداد الحاحا بالنسبة لمعركة تحرير فلسطين نظرا لكل التعقيدات والظروف المتشابكة التى تحيط بها .

من هنا تبرز أهمية الفكر السياسى العلمى الذى يرشد الثورة ويحدد لها استراتيجيتها ، ويكون دليلها النظرى . والفكر السياسى الثورى بهذا المعنى ليس فكرا مجردا معلقا فى الهواء ، ولا مجرد ترف فكرى يتسلى به مثقفو الصالونات . وانما هو ذلك الفكر الواضح الذى تستطيع به الجماهير أن تفهم طبيعة معركتها وطبيعة العدو الذى تجابهه ، والقوى التىتسنده وتتحالف معه . وهو الفكر الذىتستطيع بهالجماهير معرفةقواها هى ، قوى الثورة ، وكيف تعبؤها وتجندها . كيف تستفيد من نقاط ضعفه ، ومن خلال أية برامج سياسية وعسكرية وتنظيمية تستطيع أن تتصاعد بقواها حتى تسحق عدوها وتحقق النصر .

ان الفكر السياسى الثورى هو الذى يفسر لجماهير شعبنا أسباب فشلها حتى الان فى مواجهة العدو وأسباب هزائمها . لماذا فشلت ثورتها المسلحة سنة ١٩٣٦ ، ولماذا أصيبت بهزيمة سنة ١٩٤٨ وما هى أسباب هزيمة ٥ حزيران (يونيو) سنة ١٩٦٧ . كل ذلك بلغة واضحة تفهمها الجماهير ، لكى تتضح أمامها ، من خلال ذلك الفهم ، الرؤية الموضوعية للمعركة وابعادها وأسلحتها ومداها . بحيث يتحول هذا الفكر بالتالى الى قوة مادية والى سلاح حقيقى فى يد الجماهير .

ان امتلاك الفكر السياسى الثورى هو بالنسبة لنا على مثل هذه الدرجة منالاهمية والخطورة . وان معنى أن نقاتل بدون فكر سياسى ثورى وبدون وضوح نظرى هو أن نقاتل بشكل مرتجل وأن نقع فى أخطاء دون أن نعيها ونعى أسلوب معالجتها ، وأن تكون مسيرة الثورة عرضة للتخبط والتعثر والانحراف . معناه أن تتحدد مواقفنا السياسية بشكل عفوى ، وعندما تتحدد المواقف السياسية بشكل عفوى فانه لابد أن تتعدد تلك المواقف وتتخبط .

ونحن فى الوقت الذى نطرح فيه هذه المسألة ونؤكد على مقولة لينين بأنه لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، انما نريد أن نحذر من خطورة الاتجاهات التى تحاول الاستخفاف بهذه المسألة تحت أى مبرر كان . كما نحذر فى الوقت ذاته من الخلط بين الفكر السياسى الثورى وبين « الفذلكات » النظرية المجردة والمعقدة التى يمارسها مثقفو الصالونات فى مناقشاتهم لقضايا الثورة . ونعتقد أن مثل هذا الخلط هو الذى يدفع بالعديد من جماهيرنا الى مواقف تلقائية غير واعية تستخف بالفكر السياسى وتزدريه .

ولكى يكون الفكر السياسى فكرا ثوريا ، وعلى مستوى الفكر السياسى الثورى الذى كان وراء كل حروب التحرير الثورية الظافرة كالصين وكوبا وفيتنام ، فان هذا الفكر لابد وأن يعتمد المنهج العلمى فى التفكير **أولا** : كما لابد وأن يكون فكرا واضحا وفى متناول الجماهير الثورية ومعبرا عن أيديولوجيتها **ثانيا** ، ثم لابد وأن يكون فكرا متجاوزا للعموميات وموغلا قدر الامكان فى الرؤية الستراتيجية والتكتيكية التفصيلية للمعركة بحيث يشكل برنامج عمل ودليلا للمقاتلين فى مواجهة تساؤلاتهم وقضاياهم اليومية **ثالثا** .

من هو عدونا ؟؟

يقول ماوتسى تونج فى مطلع كراسة « تحليل لطبقات المجتمع الصينى » : « من هم أعداؤنا ؟ ومن هم أصدقاؤنا ؟ هذه مسألة فى الدرجة الاولى من الاهمية بالنسبة للثورة . والسبب الاساسى فى أن جميع النضالات الثورية الماضية فى الصين لم تحقق الا نجاحات ضئيلة جدا يعود الى أن الذين قاموا بتلك النضالات لم يستطيعوا الاتحاد مع الاصدقاء الحقيقيين يهاجموا الاعداء الحقيقيين . ان الحزب الثورى هو مرشد الجماهير ،فاذا قادها فى الثورة الى طريق خاطىء ، فلابد ان تفشل الثورة . واذا أردنا الا نقود الجماهير فى الثورة الى طريق خاطىء ، وان نكفل النصر للثورة ينبغى لنا أن نهتم بالاتحاد مع أصدقائنا الحقيقيين لنهاجم أعداءنا الحقيقيين . » .

اذن .. فان الفكر السياسى وراء أية ثورة من

الثورات يبدأ بطرح هذا السؤال « من هم أعداؤنا ؟ » والاجابة عليه ·

فمن هم أعداؤنا فى حرب التحرير الفلسطينية التى نخوضها ؟

لابد من الاعتراف منذ البدء ان حركة التحرير الوطنى الفلسطينية بكافة فصائلها المقاتلة مازالت مطالبة بأن تجيب على هذا السؤال بشكل واضح ومحدد وحاسم لكى تتضح معه ابعاد معسكر الخصم وطبيعته ، ومن ثم أبعاد معسكر قوى الثورة وطبيعتها · وعدم تحديد الاعداء الحقيقيين انما يكرس تلك النظرة الجزئية للعدو التى تنحصر فى العدو المباشر المتمثل فى « الكيان الاسرائيلى » · ولا يغير من جزئية تلك النظرة قولها : « اسرائيل ومن هم وراء اسرائيل » ، اذ لابد من تحديد أولئك الذين يقفون « وراء اسرائيل » ومعها ، وتحديد طبيعة علاقتهم بها وعلاقتها بهم ، وتحديد طبيعة المصالح والتحالفات التى تربط مابين مجموع أولئك الاعداء ·

والبداية الموضوعية لمحاولة الاجابة على ذلك السؤال وتحديد معسكر الخصم ، هى فى تحديد طبيعة المعركة التى يخوضها شعبنا ·

ان معركتنا هى فى جوهرها معركة تحرر وطنى ، واذا كان لها من خصوصية تميزها عن باقى حركات التحرر الوطنى فى اسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، فانما تنبع هذه الخصوصية من كون شعبنا يواجه « استعمارا » من نوع خاص لم تشهد باقى حركات التحرر الوطنى مثيلا له ·: استعمارا استيطانيا اغتصابيا يهدف الى احلال تجمعات بشرية غريبة محل شعبنا وفوق أرضنا · وهذا الاستعمار الاستيطانى الاغتصابى هو موضوعيا أعلى مراحل الاستعمار وأبشع أشكاله · وهدف النضال الفلسطينى من خلال معركة التحرر الوطنى التى يخوضها هو تحطيم الكيان السياسى والاقتصادى والعسكرى لدولة اسرائيل · التى تمثل التجسيد العملى للفكرة الصهيونية التى تطرح حلا رجعيا دينيا وعنصريا وعدوانيا للمسألة اليهودية بالاستيلاء على فلسطين واقامة دولة تضم التجمعات اليهودية الموزعة فى مختلف بلدان العالم · ويهدف النضال الفلسطينى فى مقابل تحطيم الكيان الاسرائيلى الى اقامة كيان ديمقراطى تقدمى بديل تتعايش فيه مختلف الاديان ويكون جزءا لا يتجزأ من حركة التحرر الوطنى العربية بكل آفاقها التحررية والوحدوية والتقدمية ·

وعلى ضوء هذا التحديد لماهية معركتنا وطبيعتها يمكن تحديد الاطراف التى يتشكل منها معسكر الخصم ·

أولا : الكيان الاسرائيلى : تمثل اسرائيل العدو المباشر ككيان سياسى وعسكرى واقتصادى واجتماعى يحاول أن يعبىء حوالى المليونين ونصف المليون من اليهود هم سكان اسرائيل تعبئة شاملة وعالية · وهذه التعبئة الشاملة والعالية تشكل بالنسبة للكيان الاسرائيلى أمرا لاغنى عنه دفاعا عن وجوده العدوانى الاغتصابى وضمانا لاستمراره وبقائه · كما يتمتع هذا الكيان بتفوق تكنولوجى واضح ينعكس مباشرة على مستوى تسليحه وتدريبه وديناميكية حركته · كما ينطوى هذا الكيان الاسرائيلى بحكم طبيعة تكوينه على جملة من الخصائص والتناقضات · ودراسة هذه الخصائص والتناقضات لابد وأن تشكل مادة أساسية لبناء استراتيجية وتكتيك الحرب الثورية التى نخوضها ضد هذا الكيان :

١ ــ **العنصر البشرى : يشكل** العنصر البشرى بالنسبة لاسرائيل أمرا فى غاية الاهمية والحساسية نظرا لطبيعة تكوين الكيان الاسرائيلى من حيث قلة تعداد السكان بالمقارنة مع بحر السكان العربى الذى يحيط باسرائيل ويحاصرها ، ومنحيث اعتماد هذا الكيان على المهاجرين الذين يستقدمهم من شتى بلدان العالم ·

واسرائيل تعى هذه المسألة وحساسيتها وعيا تاما · وكثيرا ماعبر قادتها وصحفها عن ذلك بالقول بأن العرب يستطيعون تعويض أية خسائر فى الارواح تلحقهم ، فى حين ان خسائر اسرائيل فى الارواح تعتبر خارقة بالنسبة لها لانها لاتستطيع تعويض الجندى الذى تخسره والذى كلفها آلاف الدولارات حين استقدمته مهاجرا ، وأنفقت عليه الوكالة اليهودية المبالغ الكبيرة · بل ان صحيفة **هايوم** لسان حزب **حيروت لم** تتورع عن القول بأن مقتل عشرة من الفدائيين لايعوض خسارة جندى اسرائيل يسقط فى معركة ·

وتزداد حساسية اسرائيل تجاه خسائرها فى الارواح عندما تكون تلك الخسائر من الضباط · ويكفى للتدليل على هذا أنه عندما تعددت خسائر العدو من الضباط خلال المعارك مع الفدائيين ،فان رد فعل عنيفا قد ثار فى داخل اسرائيل عبرت عنه الصحف الاسرائيلية نفسها وذهبت الى حد المطالبة بعدم الزج بالضباط فى المعارك مع الفدائيين ، ووجهت نداءات الى الاركان العامة والى موسى ديان تطالب بعدم اشراك الضباط فى العمليات ضد الفدائيين ·

٢ ــ **الشعور بالاستقرار : ان** طرح اسرائيل لنفسها أمام سكانها اليهود وأمام يهود العالم كحل عملى وناجح للمسألة اليهودية ، يتوقف الى حد بعيد على مقدار عنصر الاستقرار الذى تستطيع توفيره لليهود من مواطنيها · وبقدر ماينجح

الكفاح الفلسطيني المسلح في تحطيم هـذا الاستقرار ، بقدر ماتسهل نسبيا عملية عزل الكيان الاسرائيلي وتحطيمه ٠

ولقد أخذ العمل الفدائي يترك آثاره الملموسة على هذا الصعيد ويبدد جو الطمأنينة النفسية والمعنوية للسكان الاسرائيليين ٠ وقبل شـهرين نشرت صحيفة عل همشمار : **خبرا عن حادثة تنطق بمدى تدهور معنويات الاسرائيليين : فقد روت الصحيفة أن أحد باعة الصحف قد تسبب في موجة من الخوف والهلع في تل أبيب عندما وضع رزمة من الصحف في محطة الاوتوبيسات المركزية وذهب لجلب رزمة أخرى ٠ وفي أثناء ذلك شاهد جمع من المسافرين تلك الرزمة : فاعتقدوا أنها عبوات ناسفة على غرار العمليات السابقة للمقاومة : فأخذوا يصرخون مستنجدين بالشرطة : وراحوا يتدافعون الى الشوارع القريبة هاربين ٠**

كما أن اذاعة اسرائيل ذكرت في الشهر الماضي أن مظاهرات اجتاحت مدينة ايلات ، قام بهـا السكان مطالبين باقامة المخابيء الارضيـة ، وهددوا بمبارحة المدينة وهجرها مالم تبـادر السلطات الى اقامة الملاجيء ٠

ولكن أوضح دلالة على هذه النقطة تبقى في تلك العبارة التي قالها أحد المثقفين اليهود عندما تساءل : « وما جدوى أن تكون لنا دولة في اسرائيل اذن ، مادمنا قد تركنا أحياء « الجيتو » في أوروبا لننتقل الى « جيتو » أكبر (أي اسرائيـل) ؟ ! ٠ مشيرا بذلك ، وبدلالة قاطعة ، الى فشل الحل الصهيوني للمسألة اليهودية ، والى عجز الكيان الاسرائيلي عن توفير الاستقرار لليهود وانهاء تغربه وعزلته عن العالم ٠

٣ ـ مسألة الهجرة الى اسرائيل والهجـرة المضاده : وترتبط هذه المسألة الحيوية بالنسبة للكيان الاسرائيلي بـالمسألة السـابقة ـ مسألة الاستقرار ومدى توفره للكيان الاسرائيـل ـ وبالتالي انعكاس ذلك المباشر على تشجيع الهجرة اليهودية الى اسرائيل ، أو دفع المزيد من يهود اسرائيل الى تركها والهجرة الى الخارج ٠

ولقد استطاع العمل الفدائي وفي مسـتواه الحالي أن يترك آثارا واضحة على مسـألة الهجرة ٠ فمنذ هزيمة حزيران ، وعلى الرغم من أن الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة لم تتوقف الا أنها في ذات الوقت لم تكن متناسبة في حصيلتها مع الجهود الضخمة التي بذلت في الخـارج لاستقدام اليهود الى اسرائيل ٠ فرغم كل الجهود الجبارة التي قامت بها اسرائيل والاجهـزة الصهيونية والحمـلات التي نظمتها في كل من أمريكا الشمالية والجنوبية وأوروبا لتشـجيع الهجرة ، ورغم الزيارات التي قام بها العديد من شخصيات اسرائيل وقادتها العسكريين للترويج للهجرة واستغلال نتائج حرب حزيران في دفع اليهود الى التوجه الى اسرائيل والمشاركة في المشروعات الاستيطانية واقـامة المسـتعمرات الجديدة ، ورغم الاجراءات العديدة التي اتخذتها اسرائيل تشجيعا للهجرة ، كالاعفاءات الجمركية ، وتخصيص مبالـغ كبيرة لكل أسرة مهاجرة ٠٠ الا أن كل ذلك لم يغر اليهود على الهجرة بالاعداد الكبيرة التي كانت تتوقعها اسرائيل والاجهـزة الصهيونية

وفي مقابل ذلك ، ومع تصاعد عمليات المقاومة المسلحة ، فان اسرائيل لم تفلح في ايقاف حركة الهجرة المضادة ونزوح اليهود عن فلسطيـن المحتلة ٠ ويؤخذ مما نشر عن مكتب الاحصاءات المركزي الاسرائيلي أن عدد الذين هاجروا من اسرائيل خلال عام ١٩٦٨ قد بلغ تسعة آلاف يهودي صرحوا عن رغبتهم الواضحة في ترك اسرائيل ، بخلاف عدد آخر يزيد على ١٢ ألف يهودي هاجروا كسواح وزوار ، ولم يعودوا الى اسرائيل ٠

هكذا ، ولم تقتصر آثار العمل الفدائي على الهجرة الاسرائيلية عند هذا الحد ، وانما خلق أيضا نوعا من « الهجرة الداخلية » أدت بأعداد كبيرة من الاسـرائيليين الى ترك المستعمرات التي تتعرض لهجمات الفدائيين ، الى مناطق أخرى أكثر أمانا ٠

٤ ـ أوضاع اسرائيل الاقتصادية : نستطيع أن نرصد النتائج التي يمكن أن تحدثها حرب تحرير ثورية طويلة الامد ضد الـكيان الاسرائيلي على صعيد أوضاعه الاقتصادية ، من خلال عدد من النقاط ، ومن خلال متابعة الاثار التي خلفها فيها العمل الفدائي الفلسطيني واستمرار الحـالة الساخنة وتصاعدها على خطوط وقف اطـلاق النار . خاصة اذا ما استعدنا الى ذاكرتنا الازمة الاقتصادية الطاحنة التي كانت تعيشها اسرائيل قبيل حرب حزيران سنة ١٩٦٧ ، تلك الازمة التي كانت اصلا احد دوافع اسـرائيل الاسـاسية لشن الحرب ٠

● ان طبيعة تركيب الكيان الاسرائيلي لاتحتمل وجود حالة تعبئة عسكرية ولو جزئيا لمدى طويل ٠ لان المعنى المباشر لهذا بالنسبة لاسرائيل ارتباك المجهود الحربي ، بكل مايحدثه هذا من تعطل في عجلة حياتها الاقتصادية نتيجة سحب الايـدي العاملة في قطاعات الانتاج والخدمات وزجها **في المجهود الحربي ، بكل مايحدثه هذا من تعطل في الانتاج وفي الخدمات ٠**

● ويرتبط بذلك بشكل مباشر أيضا ، زيادة النفقات العسكرية فى الميزانية الاسرائيلية ·

ولقد بلغت جملة المخصصات العسكرية لهذا العام مثلا ، مايزيد على ٦٠ فى المائة من مجموع الميزانية · وهذه الزيادة حدثت نتيجة حالة الاستنفار الدائمة ، والاحتفاظ بقوات كبيرة لمواجهة العمل الفدائى وتدهور الحالة على خطوط اطلاق النار ، ونتيجة مد الخدمة العسكرية الاجبارية مدة ستة شهور أخرى بحيث أصبحت ٣٠ شهرا بدلا من ٢٤ شهرا ، ثم نتيجة الاضطرار الى رفع مرتبات الجنود ·

● اضطرار اسرائيل الى الاخذ بسياسة الانكماش الاقتصادى وتخفيض مخصصات الخدمات والتوقف عن تنفيذ الكثير من المشروعات ، وتوجيه أموالها الى المجهود الحربى ·

● الاضرار والخسائر المباشرة التى تلحقها عمليات الفدائيين بالمنشآت الاقتصادية والصناعية وبالمناطق الزراعية · وتعترف الصحف الاسرائيلية بهذه الخسائر والاضرار ، وتذكر أن الحكومة الاسرائيلية قد اضطرت الى دفع تعويضات زادت عن ١٥ مليون ليرة للمستعمرات الاسرائيلية التى تتعرض لهجمات الفدائيين ·

● تأثر حركة السياحة الى اسرائيل والتى تشكل موردا هاما من موارد الاقتصاد الاسرائيلى · وباستقراء المعلومات المأخوذة من المصادر الاسرائيلية نستطيع أن نلمس أثر عمليات المقاومة المسلحة فى تدهور حركة السياحة · وعلى سبيل المثال ذكرت مجلة هعولام هزيه أنه على الرغم من الجهود التى بذلت لتشجيع وتنشيط حركة السياحة ، وعلى الرغم من طواف وزير السياحة فى دول أوروبا وأمريكا الشمالية والجنوبية ، فان الموسم السياحى فى هذا العام كان رديئا نظرا لاحجام السياح عن زيارة اسرائيل ولا سيما فى مواسم الاعياد ــ أعياد الميلاد ورأس السنة وقد اوردت المجلة ان عدد الذين زاروا اسرائيل خلال الاشهر الثلاثة الاولى من هذا العام لم يزد عن ٣٥ الفا مقابل ١٥٠ الفا زاروا اسرائيل خلال نفس الفترة من عام ١٩٦٦ ·

● تأثر حركة استثمار رؤوس الاموال الاجنبية فى اسرائيل · خاصة وأن هذه الاستثمارات تشكل ركيزة أساسية من ركائز الاقتصاد الاسرائيلى ·

٥ ــ تناقضات المجتمع الاسرائيلى الداخلية : ينطوى المجتمع الاسرائيلى على جملة من التناقضات الداخلية بحكم طبيعة تشكيل المجتمع الاسرائيلى من المهاجرين اليهود القادمين من شتى بلدان العالم ، ولا رابط بينهم الا رابط الدين ، والا العقيدة الصهيونية ، وحلم اقامة الدولة التى تجمع شتات يهود العالم ·

فهناك التناقضات القائمة مابين اليهود القادمين من المجتمعات الاوروبية الصناعية المتقدمة وبين اليهود القادمين من مجتمعات شرقية متخلفة والذين ينظر لهم ويعاملون على أنهم دون اليهود الاوروبيين (الاشكناز) ·

وهناك التناقضات التى بدأت تفرزها ممارسة الشعب الفلسطينى للكفاح المسلح ، وبروز قضيته على حقيقتها كحركة أصيلة من حركات التحرر الوطنى فى العالم · مقابل افتضاح واقع اسرائيل ككيان عدوانى توسعى · ومن ثم احتمالات نمو تيار داخل اسرائيل ــ مهما يمكن أن تكون ضآلته ــ ممن يرفضون هذا الكيان الاسرائيلى ، ويتمتعون برؤية تقدمية لحل المسألة اليهودية ويدينون الحل الصهيونى الرجعى العنصرى لهذه المسألة ، ومستعدون لتقبل اقامة كيان ديمقراطى تقدمى فى فلسطين ، على أنقاض الكيان العدوانى العنصرى الذى تمثله دولة اسرائيل ، وما يمكن أن يمثله مثل هذا التيار من حليف فعلى لحركة التحرر الوطنى الفلسطينية ، خصوصا مع تنامى مثل هذا التيار أو هذه الظاهرة ، بين أوساط الكثير من المثقفين اليهود فى الخارج ·

ولابد لحركة التحرر الوطنى الفلسطينية ، وفصائلها المقاتلة بالذات ، من رصد حركة التناقضات التى يعيشها ويمكن أن يعيشها المجتمع الاسرائيلى مستقبلا ، ورسم السياسات والمخططات التى من شأنها الاستفادة من تلك التناقضات ·

ثم هناك مسألة الاقلية العربية التى تعيش داخل اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ والامكانيات والطاقات الثورية الهائلة التى يمتلكونها ، والتى يمكن أن تسهم فى تحطيم الكيان الاسرائيلى من الداخل ، خاصة وأنهم يلعبون دورا هاما فى البنيان الاقتصادى الاسرائيلى كمورد للايدى العاملة الرخيصة ، وخاصة أيضا وأن المناطق التى يقطنونها ذات أهمية استراتيجية حيوية بالنسبة لمستقبل أية حرب ثورية فلسطينية ، كمنطقة جبال الجليل المليئة بالاحراش ·

ثانيا : الحركة الصهيونية العالمية : ــ تمثل اسرائيل جزءا لا يتجزأ من الحركة الصهيونية العالمية · وموقع اسرائيل فى الحركة الصهيونية والتجسيد الواقعى للفكرة الصهيونية العالمية نابع من كون اسرائيل تمثل النتاج العملى

والتجسيد الواقعى للفكرة الصهيونية العالمية كحركة عنصرية دينية رجعية تقودها الرأسمالية اليهودية • وتحاول هذه الحركة تنظيم وتعبئة وتجنيد ما يقرب من ١٤ مليونا من اليهود موزعين فى شتى أنحاء العالم لمساندة اسرائيل ودعمها ، ولحماية وترسيخ وجودها العدوانى الاغتصابى التوسعى •

ولا تقتصر هذه المساندة على المساندة المعنوية ، وانما هى مساندة مادية تتضمن مد اسرائيل بالمزيد من المهاجرين ، والمزيد من الاموال والاسلحة والخبرة العملية التكنولوجية ، كما تتضمن المزيد من العلاقات والتحالفات التى تعقدها الحركة الصهيونية لصالح اسرائيل بحكم النفوذ الواسع الذى تتمتع به الرأسمالية اليهودية بحكم طبيعة مواقعها وامتيازاتها • كل ذلك مضافا اليه السند الاعلامى والدعائى فى كل جزء من العالم .

وهكذا فاننا نحدد الحركة الصهيونية العالمية كطرف محدد ثان فى معسكر الاعداء يضاف الى اسرائيل ، فان هذا لا يعنى مجرد اضافة كلمة من الكلمات لمعسكر الاعداء بل قوة ماديةذاتحجم معين وطبيعة معينة لابد من أخذها بعين الاعتبار عندما نقف أمام حسابات القوى فى معركتنا •

ولابد من التأكيد على ضرورة متابعة دراسة الكيان الاسرائيلى والحركة الصهيونية العالمية دراسة علمية دقيقة وتفصيلية تضع أمامنا كل الحقائق المتعلقة بعدونا فى مختلف جوانب نشاطاته السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية لكى تكون رؤيتنا له قائمة باستمرار على اسس مادية وواقعية وبعيدة عن أى تصور مثالى أو سطحى •

ثالثا : الامبريالية العالمية : ــ تقف الحركة الصهيونية العالمية واسرائيل فى تحالف موضوعى مع الامبريالية العالمية تتشابك فيه مصالح الطرفين وتتلاحم بحيث لا يمكن رؤية اسرائيل والحركة الصهيونية الا من خلال تحالفهما مع الامبريالية العالمية • بل ان هذا التشابك فى المصالح والتلاحم وهذا التحالف هو الذى وفر للحركة الصهيونية العالمية الظروف الموضوعية والامكانية العملية لتحقيق مخططها فى الاستيلاء على فلسطين ، وهو الذى ما زال يوفر لها ولاسرائيل القدرة على الاستمرار والتوسع •

وحقيقة التحالف الصهيونى ــ الامبريالى تعود الى تلك الفترة التى بدأت فيها الانظمة الرأسمالية الاوروبية تتطلع الى وراثة الامبراطورية العثمانية المتهاوية فى ذات الوقت الذى كانت فيه الحركة الصهيونية ــ التى تقودها الرأسمالية اليهودية ــ تتطلع الى الاستيلاء على فلسطين تحت ستار دينى رجعى لتقيم عليها دولة تضم التجمعات اليهودية الموزعة فى كثير من بلدان العالم •

وهكذا ، وبحكم المصالح المتبادلة التى جمعت ما بين الاستعمار والامبريالية من جهة ، وبين الحركة الصهيونية من جهة أخرى وقفت هذه القوى المضادة لحركة التحرر الوطنى الفلسطينى والعربى فى جهة واحدة لتتقاسم تركة « الرجل الشرقى المريض » على حد التعبير الذى كان يطلق على الامبراطورية العثمانية المنهارة . خاصة بعد ان فشلتمحاولات الحركةالصهيونية لعقد صفقات تسهل لها عملية الاستيلاء على فلسطين مع السلطان العثمانى تحصل بموجبها على اذن بالسماح للمهاجرين اليهود بالقدوم الى فلسطين • كما كانت قد فشلت قبل ذلك أيضا محاولات **هيرتزل** زعيم الحركة الصهيونية للاعتماد على **غليوم الثانى** •

وفى أعقاب الحرب العالمية الاولى الحقت الدول الامبريالية المشرق العربى بامبراطوريتها الاستعمارية وتقدمت بريطانيا بوعد بلفور سنة ١٩١٧ الذى يمنح الصهيونية « حقا قوميا لليهود فى فلسطين » • ولم يكن الموقف البريطانى هذا من قبيل الصدفة أو نتيجة غلطة سياسية ارتكبها وزير خارجية بريطانيا وانما كان هذا الموقف نتيجة موضوعية للسياسة الاستعمارية فى منطقة المشرق العربى وتعبيرا عنها • وذلك لزرع قاعدة بشرية مسلحة للاستعمار فى المشرق العربى تكون قادرة على الوقوف فى وجه حركة التحرر الوطنى العربية وردعها وضربها كلما استدعت الضرورة ذلك • نظرا لما تمثله حركة التحرر الوطنى العربية من تهديد لمجموع المصالح والامتيازات الاقتصادية والاستراتيجية الاستعمارية فىهذه المنطقةالحيوية من العالم • كما جاء هذا الموقف البريطانى فى ذات الوقت تلبية للمطامع الاستيطانية الصهيونية التى تلتقى مع الاستعمار والامبريالية فى جبهة واحدة معادية لحركة التحرر الوطنى الفلسطينية والعربية •

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية انتقلت قيادة الامبريالية العالمية الى الولايات المتحدة الامريكية التى أخذت تتطلع الى الحلول محل بريطانيا فى السيطرة على المصالح والامتيازات الاقتصادية والستراتيجية فى منطقة الشرق الاوسط • ومن ثم فلقد كان من الطبيعى أن تستفيد الولايات المتحدة من الحركة الصهيونية فى تأمين وتثبيت وحماية هذه المصالح وعلى النحو الذى سلكته بريطانيا من قبل • كما كان من الطبيعى أن تحول الحركة الصهيونية تركيز نشاطها باتجاه الولايات المتحدة ، والتحالف معها بصفتها القيادة الجديدة للامبريالية العالمية تأمينا لمخططها ومطامعها فى الاستيلاء على فلسطين واقامة دولة اسرائيل •

واضح اذن حقيقة وأبعاد التحالف الصهيوني ــ الامبريالي . وان أى فهم آخر للعلاقة ما بين الحركة الصهيونية واسرائيل وبين الاستعمار والامبريالية يصور فيها الحركة الصهيونية على أنها مجرد امتداد ــ لا أكثر ولا أقل ــ للامبريالية للولايات المتحدة، هو فهم يبسط الحقائق تبسيطا تفقد معه الرؤية العلمية الموضوعية لطبيعة المصالح التى ربطت وتربط ما بينهما فى تحالف موضوعى يجعل من غير الممكن محاكمة الصهيونية واسرائيل الا من خلال هذا التحالف مع الامبريالية .

ان العلاقات التى تربط ما بين الولايات المتحدة كقاعدة للامبريالية العالمية وبين الحركة الصهيونية واسرائيل تقوم أولا وفى الاساس على التقاء مصالح الطرفين فى عدائهما لحركة التحرر الوطنى العربية والفلسطينية . الامبرياليون بقيادة أمريكا يريدون الحفاظ على مصالحهم واحتكاراتهم وامتيازاتهم وقواعدهم فى المنطقة العربية . والصهيونيون والاسرائيليون يريدون الابقاء على وجودهم الاستيطانى العدوانى فى فلسطين كما يريدون المضى فى تحقيق مطامعهم التوسعية فى الارض العربية . وهكذافان الامبرياليين يسندون اسرائيل ويوفرون لها كل وسائل الدعم والحماية مقابل الدور الذى تلعبه فى ردع وضرب حركة التحرر الوطنى العربية والفلسطينية التى تهدد المصالح والاحتكارات والقواعد الاستعمارية فى المنطقة بنفس القدر الذى تهدد فيه الوجود الاسرائيلى .

كما أن أى فهم يصور الولايات المتحدة أو غيرها على أنها ــ فى سياساتها ومواقفها من قضايانا ــ انما هى مجرد اسيرة لسيطرة وتحكم النفوذ الصهيونى عليها هو فهمسطحى وخاطىء وينطوى على جانب كبير من الخطورة . ومحس تلك الخطورة هو فى ما ينطوى عليه مثل هذا الفهم من تبرئة ــ واعية او غير واعية ــ للامبرياليةالعالمية وللولايات المتحدة بالذات منعداتهاالاصيللحركة التحرر الوطنى العربية والفلسطينية . وايضا فيما ينطوى عليه هذا الفهم من تجاهل لطبيعة المصالح والاطماع الامبريالية فى المنطقة العربية اقتصاديا واستراتيجيا . هذه المصالح والمطامع التى تتحكم هى اولا واخيرا فى مواقف وسياسات الدول الامبريالية واولها الولايات المتحدة تجاه قضايانا . وهذه المواقف والسياسات لا يمكن بالضرورة الا أن تكون تصادما مع حركة التحرر الوطنى العربية والفلسطينية ، ولا يمكن بالضرورة الا ان تكون تحالفا مع اسرائيل والحركة الصهيونية .

وهكذا فان أى فصل للنضال ضد اسرائيل والصهيونية عن النضال ضد الاستعمار والامبريالية . انما هو فصل مفتعل ومشبوه . كما ان من شأنه تكريس الاخطاء القاتلة التى وقعت فيها حركة التحرر الوطنى الفلسطينية والعربية طوال سيطرة القيادات التقليدية على مقاليد أمورها ، تلك القيادات التى لم تستطع ــ وبحكم مواقعها الطبقية ــ أن تربط النضال ضد مخططات « تهويد » فلسطين ثم النضال ضد الوجود الاسرائيلى بالنضال ضد الاستعمار والامبريالية .

رابعا : القوى الرجعية والعميلة ــ عربيا وفلسطينيا ــ : ــ ان مسألة تحديد القوى الرجعية والعميلة ــ العربية والفلسطينية ــ كطرف من أطراف معسكر الخصم الذى يقف فى مواجهة تحرير فلسطين مسألة سياسية لابد من حسمها ولابد من رفض وتفنيد أية محاولة لطمسها أو تمويهها مهما كانت المبررات التى تسوقها . لان مثل تلك المحاولة انما تعنى طمسا لحقيقة موضوعية على حساب امتلاك شعبنا لرؤية واضحة وحاسمة لطبيعة وأبعاد معسكر الخصم الذى يتحتم عليه مجابهته فى معركة تحرير فلسطين . كما ان مثل هذه المحاولة انما تعنى فى النهاية أن نتجاهل او نغمض اعيننا عن عدو حقيقى قائم بيننا وكامن وسط صفوفنا ويمارس عداءه وتخريبه لمسيرة الثورة ممارسة يومية وفعلية . ولابد أن يترتب على تجاهلنا لهذا العدو ولدوره ضمن معسكر الخصم ابقاء الفرص متاحه لتوجيه الضربات لقوى الثورة من الداخل وطعنها من الخلف .

ان أية محاكمة لموقف القوى الرجعية ــ عربيا وفلسطينيا ــ ولسلوكها العملى ازاء قضية فلسطين بالتحديد . وليس ازاء أى موقف لها من قضايا الثورة والتقدم كفيلة بحسم مسألة حقيقة هذه القوى كطرف أصيل من أطراف معسكر الخصم .

● **فعلى الصعيد العربى :** وقفت الطبقات الرجعية ــ طبقات الاقطاع والبورجوازية العربية الكبيرة ــ وبحكم تشابك مصالحها مع مصالح الاستعمار والامبريالية وبحكم كونها ركائز حقيقية للاستعمار والامبرياليه فى المنطقة العربية وقفت مكتوفة الايدى تجاه المخططات الصهيونية الاستعمارية « لتهويد » فلسطين . بل وراحت أكثر من ذلك تسهم جديا فى تدمير واجهاض كل المحاولات والانتفاضات الثورية التى قام بها شعب فلسطين فى وجه الاستعمار البريطانى والغزو الصهيونى . وخير مثال على ذلك ما حدث لثورة سنة ١٩٣٦ على أيدى الرجعية عندما راحت تناشد شعب فلسطين « الخلود الى الهدوء والسكينة » و « انهاء الاضراب العام » و « الكف عن أعمال الاضطرابات » واعدين اياه بالسعى لدى « الصديقة » بريطانيا « العظمى » لكى تتفهم حقوق شعب فلسطين .

ثم كانت هزيمة عام ١٩٤٨ نتيجة حتمية لتخاذل الرجعية وارتمائها فى احضان الاستعمار والامبريالية • ولم تكتف هذه القوى الرجعية بذلك وانما راحت تمارس وعلى امتداد العشرين سنة الماضية من خلال أجهزة حكمها عمليات قمع ومحاصرة لاى نشاط فلسطينى يستهدف بناء حركة وطنية فلسطينية ثورية قادرة على الارتفاع الى مستوى مجابهة العدو الامبريالى الصهيونى •

وانه لمن الطبيعى ان تتخذ تلك القوى من خلال اجهزة حكمها الرجعية العربية مثل كل تلك المواقف المتخاذلة والمتواطئة انسجاما مع طبيعة تكوينها الطبقى الاقطاعى — البورجوازى الكبير • اذ انها وبحكم هذا التكوين ترتبط مصالحها وتتشابك مع مصالح الاستعمار والامبريالية فى المنطقة العربية ويرتبط كل وجودها وبقائها بالتالى باستمرار الوجود الاستعمارى والامبريالى فى هذه المنطقة • الامر الذى يقودها الى التحالف مع الاستعمار والامبريالية والارتماء فى أحضانهما •

كما ان هذه القوى وبحكم نفس التكوين الطبقى الاقطاعى البورجوازى الكبير لا تستطيع أصلا ولا تملك المقدرة على مجابهة الاستعمار والصهيونية ، طالما أن تلك المجابهة تتطلب تسليح الجماهير وتعبئتها وتنظيمها لخوض حرب شعبية مريرة طويلة الامد • وهذا ما ترفضه تلك القوى لانه ضد طبيعتها وضد مصالحها ولانها تخشى الجماهير أكثر مما تخشى الاستعمار •

● **وعلى الصعيد الفلسطينى :** فلقد وقف الاقطاع والبورجوازية الكبيرة الفلسطينية طوال فترة تحكمها فى مقاليد امور الحركة الوطنية الفلسطينية موقفا متهاونا مع الاستعمار البريطانى طوال فترة الانتداب ، كما وقفت موقفا متخاذلا تجاه كل مخططات الصهيونية للاستيلاء على فلسطين وبتواطؤ وتحالف مع بريطانيا • ورغم صدور وعد بلفور الواضح المقاصد والاهداف فان هذه القيادات الاقطاعية البورجوازية الكبيرة ظلت ترفض رفع الشعارات المعادية لبريطانيا فى الوقت الذى كان فيه واضحا أن محاربة الاحتلال البريطانى تشكل المدخل الحقيقى والاساسى لافساد المخطط الصهيونى الاستعمار « لتهويد » فلسطين •

وعندما قامت ثورة سنة ١٩٣٦ بقيادة عناصر شعبية كادحة ومن خلف ظهر تلك القيادات الاقطاعية البورجوازية الكبيرة ، فان دور هذه القيادات كان فى المسارعة الى تطويق تلك الثورة • وراحت ، بالمشاركة مع مثيلاتها من قيادات الاقطاع والبورجوازية الكبيرة فى البلاد العربية ، تناشد بريطانيا « الصديقة » « والحليفة » تفهم حقوق شعب فلسطين كما راحت تغوص فى المساومات والتسويات التى انتهت باجهاض ثورة سنة ١٩٣٦ •

ولم يقف دور الاقطاع والبورجوازية الكبيرة الفلسطينية قبل سنة ١٩٤٨ عند حد الارتماء فى احضان الاستعمار والتخاذل أمام مخطط الصهيونية للاستيلاء على فلسطين وانما مارست بالاضافة الى ذلك دورا أبشع فى خيانة النضال الفلسطينى عندما كانت رؤوس الاقطاع والبورجوازية الكبيرة الفلسطينية تمارس عمليات السمسرة وبيع الاراضى للشركات اليهودية •

والسؤال الذى لابد من الاجابة عليه الان هو : هل غيرت نكبة ١٩٤٨ التى حلت بالشعب الفلسطينى ثم هزيمة ٥ حزيران ١٩٦٧ من واقع هذه الطبقات شيئا ؟

بعد عام ١٩٤٨ وطوال أكثر من عشرين عاما مضت ، ورغم أن قسما كبيرا من الشعب الفلسطينى قد طرح خارج أرضه ووطنه ، ورغم ما تبقى منه داخل الاجزاء الباقية من وطنه كان مهددا باستمرار بأن يلقى نفس المصير كما حدث بعد حزيران الهزيمة ١٩٦٧ • رغم كل هذا فان أوضاع شعب فلسطين قد استقرت على أوضاع طبقية محددة أصبح معها من الخطأ القول بأن الشعب الفلسطينى كله بدون وطن وكله ثورى تبعا لذلك • اذ لم تعد البورجوازية الفلسطينية بدون مصالح وانما أصبحت لها مصالح محددة هى الاساس فى تحديد مواقفها • وأصبح يهمها بالتالى استمرار هذه المصالح واستمرار تأمين أوضاعها الطبقية المتميزة • والبورجوازية الفلسطينية الكبيرة التى هى فى الاساس بورجوازية تجارية ومصرفية تتشابك مصالحها وتترابط مع المصالح الامبريالية التجارية والمصرفية • ولما كانت معركتنا ضد اسرائيل والصهيونية هى فى ذات الوقت معركة ضد الامبريالية فان هذه الطبقة ستقف وفى المدى الاستراتيجى مع مصالحها أى مع الامبريالية وضد الثورة • وأوضح مثال على أن سلوك هذه الطبقة بعد ١٩٤٨ لم ولن يختلف عن سلوكها المتخاذل والخائن الذى سلكته قبل ١٩٤٨ هو أنه بعد هزيمة حزيران ، وبينما كان شباب المخيمات والقرى من شعبنا يحملون السلاح ، ويختبئون فى الجبال ، ويختفون فى المدن ، يوجهون الرصاص لصدر الاحتلال الاسرائيلى ويتلقون رصاص الاحتلال بصدورهم ... فى هذا الوقت بالذات كانت القيادات البورجوازية التقليدية فى الارض المحتلة تستقبل ساسون وديان وباقى الحكام الاسرائيليين ، وتبحث معهم موضوع الكيان الفلسطينى المسخ الذى كانت تخطط له اسرائيل لتصفية القضية الفلسطينية ، ذلك الكيان المسخ الذى لم تفسده ولم تسقطه الا ضربات العمل الفدائى وتصاعد عملياته • وفى هذا الوقت بالذات

ايضا كان التجار يتسابقون فى البحث عن سبل ربط مصالحهم مع دولة الاحتلال .

بعد كل هذا ، لا يجوز لنا أن نسمح بترديد عبارات من نوع « كلنا فدائيون » و « الشعب الفلسطينى بكل طبقاته يخوض الكفاح المسلح » و « لا أغنياء ولا فقراء ما دمنا مشردين عن الوطن » .

ان الثورة علم .. والفكر العلمى يبحث عن الحقائق المادية الملموسة . والحقائق المادية الملموسة التى يبرزها تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية بنفس المقدار الذى يبرزها واقع النضال الفلسطينى الان كلها تؤكد موقع هذه الطبقات من حركة التحرير الوطنى الفلسطينية ودورها فى معركة تحرير فلسطين .

ان البورجوازية الفلسطينية الكبيرة التى تعيش الان فى الارض المحتلة اذا لم تكن قد انضمت بشكل سافر لاسرائيل الا أنها فى الوقت ذاته بالقطع ليست من قوى الثورة ولا يمكن أن تكون كذلك وانما تبقى موضوعيا القوة الطبقية التى سيحاول العدو من خلالها اجهاض الثورة وايقافها عند منتصف الطريق .

أما البورجوازية الفلسطينية الكبيرة التى تعيش الان خارج الوطن المحتل فان مصالحها لن تتعارض مع العمل الفدائى طالما بقى هذا العمل الفدائى يعيش اجمالا ضمن آفاق نظرية وسياسية وقتالية معينة لاتتناقض مع آفاق مصالح هذه الطبقة وهى فى حدود ذلك تدعم العمل الفدائى بجزء بسيط من فائض ثرواتها . ولكن النمو الثورى للحركة الوطنية الفلسطينية وتصاعد العمل الفدائى الفلسطينى باتجاه التحول حول الى حرب تحرير شعبية ، والى المستوى الذى يضع الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية فى تصادم واضح مع الامبريالية سيجعل البورجوازية الكبيرة الفلسطينية تتخذ الموقف الذى يتطابق موضوعيا مع مصالحها الطبقية .

اننا بطبيعة الحال نعترف ان قطاعات بسيطة من البورجوازية الكبيرة الفلسطينية قد تشذ عن القاعدة ، وانها بحكم خصوصية القضية الفلسطينية ، قد تبقى الى جانب الثورة أو لن تعمل ضدها على الاقل . ولكن هذه الاستثناءات لا يجوز ان تحجب ان اعيننا القانون العام الذى سيحكم مواقف هذه الطبقية .

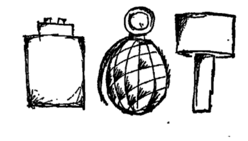
وأخيرا ، وعلى ضوء هذا التحديد لطبيعة معسكر العدو وأطرافه تتبلور الرؤية العلمية الواضحة وتنتفى كل نظرة سطحية للمعركة وطبيعتها ولمداها الزمنى والمكانى .

١ ـ ان معركة تحرير فلسطين لا يمكن أن تكون معركة تخص حركة التحرير الوطنى الفلسطينى وحدها ، وانما تخص كل حركة التحرر الوطنى العربية ، لا لمجرد الاعتبارات القومية ، وانما أيضا بالدرجة الاولى لاعتبارات تنبع من حقيقة ما يمثله الخطر الصهيونى الاسرائيلى على صعيد نواياه التوسعية وعلى صعيد الدور الذى تلعبه اسرائيل فى ردع وضرب حركة التحرر الوطنى العربية . واذا كانت الجماهير الفلسطينية تتحمل الان عبء مقاومة الاحتلال الاسرائيلى فان تحقيق الانتصار لا يمكن أن يتم الا اذا كان النضال الفلسطينى المسلح طليعة لحركة تحرير شعبية مسلحة وطويلة الامد تخوضها الجماهير العربية ملتحمة بالجماهير الفلسطينية .

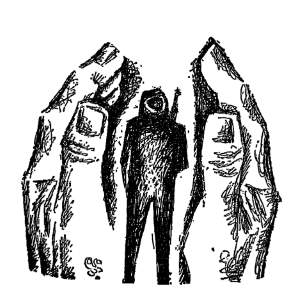
٢ ـ ان طبيعة معسكر الخصم على ذلك النحو لابد وأن تحدد طبيعته وحجم التحالفات الثورية التى يجب تجنيدها لمواجهة كل معسكر الخصم بعد تحديدها لطبيعة قوى الثورة .

٣ ـ أهمية النظرية الثورية والفكر السياسى الثورى الذى يستطيع تعبئة كل قوى الثورة لتستطيع مواجهة كل معسكر الخصم ومواجهة كل وسائل العدو فى اجهاض العمل الثورى وتخريبه .

٤ ـ اهمية التنظيم السياسى القوى الذى يستطيع أن يقود قوى الثورة الى كفاح مسلح يتصاعد ويتنامى باتجاه حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد .

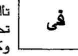


تحويل العمل الفدائى الى قضية جماهيرية



تكتب هذا المقال المناضلة الفلسطينية، « ثروت كاتبة » ، عضو « الجبهة الوطنية بغزة »

ثروت كاتبه



فى اعقاب العدوان الثلاثى ١٩٥٦ ، تألفت فى قطاع غزة جبهة يسارية تحمل اسم « **الجبهة الوطنية** » وكانت تلحق باسمها — فى نشراتها — صفة «**المعادية للاستعمار والصهيونية**» وحاولت تلك الجبهة التحالف مع بقية التنظيمات فى قطاع غزة، الا ان تلك التنظيمات رفضت فكرة التحالف ، خاصة وان مشروع الميثاق الذى تقدمت به (الجبهة الوطنية) ، كان يتضمن ـ ما اعتبرته تلك التنظيمات — « خيانة وطنية » . فقد جاء فى المشروع « اننا نعتمد فى كفاحنا ، ضد طغمة بن جوريون ـ بيجن ، على كفاح شعبنا والشعوب العربية اولا ، وعلى تأييد القوى التقدمية ثانيا ، وعلى مساندة الشرفاء فى اسرائيل ثالثا٠ وقامت

القيامة احتجاجا من تلك التنظيمات على الجملة الاخيرة ، فهم يعتبرون ان كل من اقام فى الوطن المحتل صهيونى لا يجب التعامل أو التحالف معه وغير ذلك يعد بمثابة خيانة وطنية ».

الجبهة الوطنية المتحدة

ومنذ اليوم الاول للاحتلال الاسرائيلى ، بادرت عناصر طليعية فى قطاع غزة ، وتصدت - فى بسالة - لمسئوليات العمل الوطنى ، فنظمت عمليات ايواء العسكريين ، ووفرت الاتصال والامن والغذاء لهم ، كما ساهمت تلك العناصر - بشكل فعال - فى عمليات نقل وتخزين الاسلحة ، المبعثرة فى بعض الكمائن المهجورة .

ووضعت تلك الطلائع « **الوحدة الوطنية** » فى رأس سلم أولويات العمل الوطنى ، ملحة على أن تسبق تلك الوحدة كل ما عداها . وفى اوائل اغسطس ١٩٦٧ ، تم تحالف **حزب البعث ، وجبهة تحرير فلسطين ، والحزب الشيوعى ، والجناح العسكرى لمنظمة التحرير** ، فى « **الجبهة الوطنية المتحدة** » .

وفى تقييمها للعدوان اكدت الجبهة انه « جزء من **الثورة المضادة** التى يقودها **الاستعمار** الامريكي ضد حركات التحرر الوطنى ، والانظمة الوطنية والتقدمية فى كافة انحاء العالم » [١]

ويحدد الميثاق مهام الجبهة فى :

١ - انجاز **وحدة القوى الوطنية الفلسطينية** بقطاع غزة .

٢ - **حشد كل الجهود والطاقات الثورية** الكامنة فى جماهير شعبنا ، **وتعبئتها وتنظيمها فى** عمل يومى دائم ، مستهدفة بذلك تصعيد المقاومة ضد مشاريع الاحتلال

٣ - تحصين جبهتنا الداخلية وزيادة مناعتها

كما يحدد الميثاق **المطالب والاهداف الاتية :**

١ - **سحب قوات الاحتلال** دون قيد أو شرط ..

٢ - **عودة الادارة العربية كمنطق** لتحرير فلسطين - **ورفض مشاريع « الضم للاردن ، والتدويل واقامة الكيان الهزيل »**

٣ - اسقاط كل مشاريع التصفية .

٤ - عدم التعامل مع العدو .

٥ - **مقاومة مؤامرات تهويد الحياة العامة فى** القطاع ، وخاصة فى مجالى الاقتصاد والتعليم .

وترى الجبهة « ان النضال ضد العدو المحتل ، يجب أن يكون **مدروسا** ، بعيدا عن الارتجال ، وان يصعد تدريجيا من خلال معارك يومية تشارك فيها جماهير الشعب ، كما يجب ان يكون مرتبطا باهداف محددة يمكن انجازها » **(٢)** ، وان « **المهمة الرئيسية** لشعبنا - فى هذه المرحلة - هى فشل مؤامرات التصفية واسقاطها » (٣) .

وواجهت الجبهة منذ قيامها ، اتجاهين خطيرين بين المواطنين : **الاول** اتجاه استسلامى متأثر باعتبارات لحظة الهزيمة الراهنة ، وينظر باستخفاف الى كافة اشكال النضال ، اما الاتجاه الثانى - وكان محدود الاثر والانتشار - فكان ينادى **بالتصدى عسكريا للاحتلال** الصهيونى .

وبالنسبة للاتجاه الثانى ، فقد رأت الجبهة فى الشهور الاولى بعد الهزيمة أن هناك **هوة عميقة** تفصل امكانية العمل العسكرى عن جماهير الشعب اليائسة ، وان هذه الهوة لن يجتازها الا تنظيم قوى ، قادر على ممارسة كافة اشكال النضال ، بادئا بالنضال الفكرى والسياسى ، بهدف انتشال الجماهير من وهدة اليأس ، وافساد أثر الحرب النفسية التى تشنها الصهيونية ، وتوفير الوضوح الفكرى للعمل العسكرى ، واستقطاب الجماهير حوله ، واعداد المقاتلين له .

ومنذ اول اغسطس ١٩٦٧ ، بدأت الجبهة فى اصدار جريدة « **المقاومة** » بدأت نصف شهرية ، ثم سرعان ما تحولت - اعتبارا من العدد الثالث - الى اسبوعية ، وتطرح شعارات : « **التقشف .. مقاطعة الكماليات .. مقاطعة مناهج التعليم غير العربية .. والتصدى للحرب النفسية** » (٤) . و « **البقاء على أرض الوطن .. صفا واحدا ضد**

---

(١) (ميثاق الجبهة الوطنية المتحدة) ١٩٦٧/٩/٢٠ م.
(٢) جريدة (المقاومة) - العدد الاول - اول اغسطس (آب) ١٩٦٧ م.
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق - العدد السادس عشر ١٩٦٧/١٢/٣٠ م.

الصهيونية .. الصمود فى مواجهة ارهـاب **المحتل** » [٥]

وتتصدى المقاومة لقضايا **الوحدة الوطنية** ، **والنعينة الشعبية ، وفضح المشاريع التصفوية** كمشروع اقامة الدولة الفلسطينية وهو المشروع ، الذى افرزته واحتضنته الدوائر الصهيونية .. كما قاومت مشاريع « **تهويد** » مظاهر الحياة العامة ، وخاصة فى مجالى التعليم والاقتصاد ، والحرب النفسية ، وفضحت ميل بعض التجار الى التعامل والتعاون مع الشركات والدوائر المالية الاسرائيلية ، كما هاجمت وعرت تلك المجموعة التى خرجت تنادى « بأن يتولى شعب فلسطين قضيته بنفسه . لان هذا الشعار يعنى ـ فى التطبيق ـ عزل الشعب الفلسطينى عن الامة العربية ، وبالتالى وقوعه فريسة فى براثن الصهيونية والاستعمار » [٦]. كما طالبت (المقاومة) بان « لا نقف مكتوفى الايدى ، انتظارا لما تسفر عنه دورة الامم المتحدة ، بل علينا ان نصعد عملية المقاومة ضد العدو ، ونفشل مخططاته » و « ان نفضح ـ من خلال المواقف العملية ـ أكذوبة الاستقرار » مطبقين « شعاراتنا النضالية ، فى عدم التعاون ، والمقاطعة الشاملة ، ومقاطعة التعليم بصورة خاصة ، وافساد مشاريع التهويد والتصفية مستخدمين اساليب النضال السياسى ، **كالمظاهرات ، والاضراب السياسى ، والعصيان المدنى** » [٧].

كما ركزت « المقاومة » هجومها على اولئك الذين دأبوا على الهجوم على الادارة العربية الشقيقة للقطاع ، ونبش الماضى ، وتهويل الاخطاء التى ارتكبتها الادارة ، والتغنى بحسنات سلطات الاحتلال .

وفى السابع عشر من نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٦٧ ، اكدت (**المقاومة**) ان « **الحل العسكرى اصبح فى طريق الحتمية** » ، **وان تجارب وخبرات الشعوب المناضلة قد علمتنا ، بان النضال المسلح ، هو الطريق الثورى الوحيد لمقاومة الاستعمار وانتزاع حقوق الشعوب** [٨] .

وتتفاقم **الازمة الاقتصادية** فى القطاع ، وتضع « المقاومة » أمام الجماهير حلولا نضالية ، طالبة اليها تبنيها ، والعمل على تنفيذها :

١ ـ اعلان التقشف »

٢ ـ مقاطعة البضائع الكمالية الصهيونية

٣ ـ مطالبة التجار بعدم اخفاء السلع الاستهلاكية

٤ ـ ان تبقى النقود المصرية متداولة [٩]

وترى الجبهة ، ان النتيجة الحتمية الوحيدة للارهاب ، هى تدفق الالاف من ابناء شعبنا الشجاع الباسل الى خنادق المقاومة المجيدة ، والتعجيل بنهاية المحتلين ، وتحدد للفئات الوطنية المختلفة مهامها فى مواجهة الارهاب ، فهى ترى انه يجب « على **الشخصيات الوطنية والمخاتير** [العمد] تكوين الوفود للاحتجاج وتنظيم عرائض الاستنكار ، وارسالها للمحافل والهيئات الدولية . وعلى المثقفين ان يبصروا ابناء شعبنا باهداف هذه الحملة الارهابية ، ويحضونهم ضد مؤامرات العدو » وان « علينا جميعا ان نضيق الخناق على عملاء العدو وجواسيسه وادعياء الوجاهة المتصدرين باسمه » . [١٠]

وتبدأ بعض قواعد « الجبهة » فى التململ ، والمطالبة ليس فقط بممارسة العمل العسكرى ، بل بنبذ العمل السياسى ايضا . وترد « المقاومة » بان « مقاومة الاحتلال تتخذ اشكالا نضالية متنوعة وبتصاعد المقاومة من مرحلة لاخرى ـ بشكل مدروس غير مرتجل ـ وفقا لظروف كل مرحلة ومتطلباتها» وانه «فى الاشهر الستة الماضية ،كان العمل السياسى هو حجر الزاوية فى النضال من اجل انجاز المهام التالية :

١ ـ تحقيق الوحدة الوطنية

٢ ـ انتشال جماهير الشعب من وهدة اليأس ، التى سقطت فيها بعد النكسة

٣ ـ فضح المشاريع الرامية الى تصفية ونسف قضيتنا الوطنية ودفنها .. كالتهجير ، ومشروع الكيان ، والتدويل ».

---

(٥) المصدر السابق ـ العدد السابع عشر ١٩٦٨/١/٧ .
(٦) المصدر السابق ـ العدد السادس ١٩٦٧/٩/٢٩ .
(٧) المصدر السابق ـ العدد السابع ١٩٦٧/١٠/٦ .
(٨) (المقاومة) العدد الحادى عشر .
(٩) (المقاومة) العدد الخامس عشر ١٩٦٧/١٢/١٥ .
(١٠) (المقاومة) العدد السادس عشر ١٩٦٧/١٢/٣٠ .

٤ ــ مقاومة الارهاب .

٥ ــ التصدى للحرب النفسية .

وتبشر [المقاومة] بأننا نقف ــ الآن ــ على أعتاب مرحلة نضالية جديدة ، تتطلب اشكالا نضالية اعلى . ومع ذلك يظل للنضال السياسى اهميته وضرورته ، ليشارك مع الاشكال النضالية الاخرى فى اعمال المقاومة .. فالعمل السياسى هو بوصلة العمل الوطنى باختلاف اشكاله ومستوياته ، اذ يقوم بتوضيح الاهداف ومساندة الاشكال النضالية الاخرى ، والتخطيط لها ، واستقطاب الجماهير حولها ، واعداد المناضلين فى كافة المجالات [١١] .

وفى مواجهة مؤامرة التهجير ، تحركت اللجان الوطنية سريعا لتعبئة الجماهير فى خط التصدى لها وافسادها ، ورفعت الجبهة شعارات : «**الوطن أو الموت**» و «**البقاء على أرض الوطن تحت كل الظروف**» و «**الهجرة خيانة وطنية**» و «**لن نتحول الى لاجئين من جديد**» .. وساهمت «المقاومة» فى الحملة ، فدأبت على نشر الاخبار التى توضح المصاعب والاهوال والتى يتعرض لها النازحون من القطاع من متاعب معيشية ، واهوال طبيعية ، الى ازدراء سكان المناطق العربية المضيفة لهؤلاء الفارين من أرض المعركة .

وفى ديسمبر (كانون اول) ١٩٦٧ ، أصدر أحد أجنحة الجبهة ، برنامجا مرحليا دعا فيه الى خوض **الكفاح المسلح** ، والعمل على ان يأتى هذا الكفاح **انعكاسا للوحدة الوطنية** .. مع توفير حرية العمل له فى البلدان العربية .. وان يجرى التنسيق بين هذا الكفاح والقوى الثورية العربية ، وان يتم الارتباط بالمعركة النظامية العربية [١٢]

وفى مجال **الدعاية الخارجية** ، أجرت « الجبهة » اتصالات عديدة بالصحفيين الاجانب ، منهم (**ما يكل آدامز**) ، الذى عاد ليكتب فى جريدة الجارديان اللندنية مقالاته الشهيرة عن أوضاع المناطق المحتلة ، كما نظمت الجبهة زيارات شبه سرية لمندوبى صحيفتى « **ليونيتا** » الايطالية ، و « **ليمونيتيه** » الفرنسية .

وفى مارس (اذار) ١٩٦٨ أصدر « **اتحاد المعلمين بالضفة الغربية** » وهو تنظيم مهنى سرى مرتبط **بجبهة النضال الوطنى بالضفة الغربية ــ واللجنة الوطنية للمعلمين** التابعة للجبهة الوطنية بقطاع غزة ، بيانا فضحوا فيه الاساليب الاسرائيلية فى مجالات الثقافة والتعليم ، وفى ممارسة اسرائيل ابشع الاساليب الارهابية ضد معلمى وطلبة الضفة والقطاع . وقد أرسلت من ذلك البيان عدة صور الى **أوثانت** ، **واليونيسكو** ، **والجامعة العربية** ، **وكافة الهيئات الدولية** .

كما وجهت [الجبهة الوطنية] نداء « الى كافة المناضلين من اجل كرامة الانسان وشرفه .. الى انصار السلم والحرية والديمقراطية فى العالم » بان « اوقفوا هذه المجزرة الرهيبة » التى تمارسها سلطات الاحتلال الصهيونى ضد عرب المناطق المحتلة . وقد وزعت الجبهة هذا النداء فى ١٥ يونيو [حزيران] ١٩٦٨ .

ورصدت « الجبهة » **حوادث العنف فى قطاع** غزة ، وجمعتها فى تقرير ، وزعته على الاتحاد العالمى للنقابات ، ومجلس السلم العالمى ، والامم المتحدة الخ ..

التجربة التنظيمية

وفى **المجال التنظيمى** ، عمدت الجبهة الى اقامة **اللجان الوطنية** ، فى الاحياء ، ومعسكرات اللاجئين ، والقرى ، والتجمعات الجماهيرية . وكانت تلك اللجان ــ فى مجموعها ــ تشكل تنظيما مفتوح الذراعين ، يتخطى أعضاؤه الشروط الضيقة المطلوب توافرها فى الاعضاء الحزبيين ، تنظيم جماهيرى واسع ، يرفد التنظيمات الطليعية المؤتلفة فى الجبهة ، ويتسع لكل وطنى معاد للاستعمار والصهيونية .

كما قامت لجان وطنية اخرى ، لقيادة الفئات المهنية **كاللجنة الوطنية للمعلمين** ، **والاتحاد الوطنى للطلبة** ، **والتنظيم النسائى** .

واستفادت «الجبهة» من التجربة التنظيمية لعام ١٩٥٦ ، حيث كان قد ادى تركيز المسئولية التنظيمية فى يد شخص واحد ، الى وقوع تنظيم الجبهة فى أيدى العدو ، بمجرد سقوط مسئول الجبهة التنظيمى هذا ، وادلائه باعترافات كاملة ، شملت كافة أسرار الجبهة التنظيمية والسياسية . مما جعل الجبهة تلجأ فى ١٩٦٧ الى توزيع المسئولية التنظيمية على ستة اعضاء من قياديى الجبهة ، بعدد مناطق القطاع التنظيمية ، كما وفرت « الجبهة » ــ فى نفس الوقت ــ لتلك العناصر الستة كافة وسائل الامن ، مما جنبهم الوقوع فى

---

(١١) (المقاومة) العدد الخامس عشر ١٥/١٢/١٩٦٧ .
(١٢) (برنامج الحزب الشيوعى الفلسطينى بقطاع غزة) ديسمبر ١٩٦٧ .

أيدى العدو ، ووفر بالتالى لتنظيم الجبهة ضمانات الامن والاستمرار .

وعندما تحركت الجماهير فى أعقاب العدوان ، كان واضحا انها تتحرك مستقلة عن نفوذ التنظيمات السياسية فى القطاع ، مما دفع الجبهة الى اعتماد صيغة اللجان الوطنية ، فى محاولة منها لاستيعاب الجماهير وتنظيمها .

وقد واجهت الجبهة - فى مستهل ممارستها لنشاطها - مشكلة افراز **الكوادر القيادية** ، لقيادة الاعداد الضخمة من اللجان الوطنية التى احتواها تنظيم الجبهة . الا أنه وبعد مرور اسابيع قليلة ، اتضح لقيادة الجبهة ، ان من بين عناصر اللجان الوطنية من يفوق أعضاء التنظيمات وعيا ، وشعبية ، وقدرة على الحركة والقيادة ، وبذلك حلت ازمة قيادة اللجان الوطنية .

وبدىء فى تنظيم وتعبئة الجماهير ، فزرع القطاع - من اقصاه الى أقصاه - باللجان الوطنية واعطى العمل الفكرى والسياسى أولى ثماره فى اغسطس ١٩٦٧ ، حيث قامت مظاهرتين نسائيتين بمعسكر الشاطىء بغزة ضد ارهاب جنود الاحتلال ، ووقع - فى اليوم نفسه - أربعون من وجهاء غزة عريضة احتجاج ضد ارهاب جنود الاحتلال ، أرسلوها الى ممثل سلطات الاحتلال فى القطاع .

وهكذا ، نجحت الجبهة فى الوصول بالنضال الجماهيرى الى مستوى المظاهرة والاحتجاج بالعريضة منذ الشهر الاول لممارستها النشاط . وهذا فى حد ذاته يعكس تقدما كبيرا ، خاصة اذا اخذنا فى الاعتبار الحالة النفسية السيئة التى تمكنت من جماهيرنا فى اعقاب اخفاقة يونيو العسكرية .

وفى أواخر اكتوبر (تشرين أول) ١٩٦٧ ، بدأت اللجان الوطنية فى اجراء استطلاع سرى لرأى الفئات المهنية ، فى امكانية خوضها الاضراب . وجاءت النتيجة بموافقة السائقين والطلبة والمدرسين فى القطاع على خوض الاضراب ، واشترط التجار ضرورة توفير المبرر لهم ، حتى يتجنبوا ارهاب جنود الاحتلال والغرامات المالية الباهظة التي تفرضها المحاكم العسكرية الاسرائيلية ، ضد كل من يقفل حانوته من التجار .

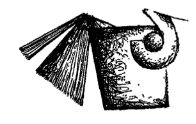
وفى مساء يوم ١ نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٦٧ ، جرى توزيع منشور سرى فى كافة انحاء القطاع ، يحمل توقيع « الجبهة » دعا الجماهير الى اعلان الاضراب « استنكارا لذكرى وعد بلفور المشئومة ، واصرارا على النضال الدائب المتصاعد أبدا ضد الاحتلال ، واسهاما وتدعيما للنضال المتقدم - عربيا وعالميا - لالحاق الهزيمة بالمعتدين ، وتصفية الاحتلال » .

وفى صباح اليوم التالى ، جرى القاء اربعة قنابل صوتية فى اماكن متفرقة من السوق الرئيسية بغزة ، فتدافع الناس ، وهرب جنود الاحتلال المكلفون بحراسة السوق . وكان نجاحا رائعا لاضراب لم يكن أشدنا تفاؤلا يتوقع له مثل هذا النجاح .

وفى مايو (ايار) ١٩٦٨ تفجرت المظاهرات الصاخبة فى كافة انحاء القطاع ، واستمرت سبعة أيام كاملة [٢٢/٥-٢٨/٥/٦٨]، وسقط فيها العشرات من الشهداء والجرحى ، وكانت تلك المظاهرات ايذانا بميلاد مرحلة جديدة للنضال الشعبى ، مرحلة الصدام مع سلطات الاحتلال . وتجددت المظاهرات فى نوفمبر (تشرين ثانى) ١٩٦٨ ، وفى فبراير [شباط] ومارس [آذار] ١٩٦٩ . وما كان لمثل تلك المظاهرات ان تستمر دون ان تتطور الى كفاح مسلح ، نتيجة تزايد الارهاب الصهيونى ، ومواصلته اعمال الاعتقال والنسف.

وبعد ، فلعل اهم ما يواجهنا من مهام ، هو تحويل العمل الفدائى الى قضية جماهيرية ، بما يوفر له الاستمرار والتدفق والشمول واحداث النزيف المستمر والشديد فى جسم العدو ، وتشتيت قواه وارباكه .

ان حركة المقاومة مطالبة بمزيد من التلاحم مع جماهير الوطن المحتل ، وتجنيب تلك الجماهير مخاطر العفوية والتشرذم .





المقاومة ..

كيف تفكر ؟ كيف تعمل ؟ كيف تواجه الحاضر ؟ كيف ترى المستقبل ؟

حوار بين : "فتح" و"الطليعة"

ننشر هنا نص الحوار الذى دار بين « أبواياد » عضو اللجنة المركزية لفتح ، وبين « لطفى الخولى » رئيس تحرير الطليعة ، حول رؤية فتح للموقف الراهن فى الصراع العربى ـ الاسرائيلى عامة ، وحركة المقاومة لتحرير فلسطين من الصهيونية خاصة ، ومدى ماتكشفت عنه الخبرة المستفادة طوال العامين التاليين لهزيمة ٥

يونيو ١٩٦٧ من ايجـابيات وسـلبيات ،والمنهاج والوسائل التى تراها « فتح » لمعالجة السلبيات ، وتطوير النضال بفاعلية اكثر ٠

والحوار مع « فتح » ، هو الحلقة الاولى من سلسلة مناقشات صريحة حـول نفس القضايا والمشاكل ، تعتزم « الطليعة » القيام بها مع الممثلين المسئولين لمنظمات المقاومة الرئيسية الاخرى ٠

وقد استجاب لدعوة « الطليعة » حتى الان كل من « الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين » وسـيمثلها فى الحـوار الدكتور « جورج حبش » ، ومنظمة تحرير فلسطين ، وسيمثلها نائب رئيسها « ابراهيم بكر » ٠

ويهم « الطليعة » هنا أن تسجل دعوتها المفتوحة الى جميع منظمات المقاومة لتعيين ممثلها فى الحوار ٠

وتستهدف « الطليعة » من هذا الحوار ،هدفا جوهريا ، وهو تحديد الارضية الفكرية والعملية لحركة المقاومة الفلسطينية التى غدت عاملا رئيسيا ومتعاظما للتحـرير ٠ وبهذا التحديد يمكن تمييز نقاط الاتفاق عن نقاط الاختلاف ، وذلك بغرض تعميق الأولى وحصر ومعالجة الثانية ، وصولا الى وحدة عمل حركة المقاومة وتدعيمها وحمايتها ٠

وليس من شك فى أن هذا الهدف لن يتحقق بصورة صحية وديمقراطية وحقيقية ، الا من خلال احتضان الجماهير العربية الواعى والمسئول لحركة المقاومة الفلسطينية وقضاياها ومشاكلها ٠ وهو ما لايتم الا من خلال المعرفة الموضوعية ٠

وحوار هذا الشهر مع « أبو اياد » وهو من المناضلين الفلسطينيين الذين أسهموا فى تأسيس « فتح » التى كانت أولى التنظيمات الفلسطينية التى بادرت الى شق طـريق الكفاح المسلح ضد الكيان الصهيونى فى اسرائيل منذ يناير ١٩٦٥ ٠

وترجو « الطليعة » ان توجه الانتباه الى أن « ثمة مسائل محددة تتصل ببعض أوجه الحركة والنشاط » ، قد أسقطت من الحوار بناء على اتفاق بين فتح والطليعة ، وذلك باعتبار أنها تمس أوضاعا أو أسرارا لايجوز الكشف عنها فى المرحلة الراهنة ٠

لطفى الخـولى : اظـن أنه من المفيـد ان نبدأ الحوار من نقطة الموقف الراهن للمعركة مع العدو ٠٠ هل يمكن أن نتعرف على رؤية فتح لهذا الموقف ؟ ولعلك توافقنى ان المعرفة تستلزم الوقوف على نقط القوة ونقط الضعف معا سواء فى جبهة العدو ، او فى جبهتنا. وعنـدما اقول جبهتنـا اقصـد الجبهـة الفلسطينية خاصة والجبهة العربية عامة ؟

أبو اياد : طبعـا التحليـل العلمى لاى مـوقف يجب ان يشمل نقط الضعف ونقط القوة على السواء ٠٠ الايجابيات والسلبيات . واذا بدأنا الحديث بالموقف الفلسطينى ، ففى رأى فتح أن هناك ايجابيات كثيرة قد تحققت ، ولـكن فى نفس الوقت فاننا نصـطدم بسلبيات ٠٠

ولعله فى مقدمة الايجابيات ذلك الاتجاه الجديد الذى يتمثل فى تلاقى فئات كبيرة ومؤثرة بدرجة كبيرة جدا فى العمـل الفدائى ٠ وهو التلاقى الذى اتخذ شكل قيادة الكفاح المسلح وذلك بعد التشكيل الجديد لمنظمة تحرير فلسطين ٠

وهذه الخطوة سيكون لها اذا ما أتيحت لها الفرصة الواجبة للعمل فى جو بعيد عن الحساسيات السابقة ، أثر عظيم فى توحيد العمل الفدائى ٠

قيادة الكفاح المسلح هى قيادة فعليـة تتجاوز الصيغة السابقة لمكتب التنسـيق العسكرى والمنظمات الفدائية لانها تتجه الى ان تكون قيادة واقعية وموحدة لاربع فصائل كبيرة من حركة المقاومة ، وهى قـوات التحرير الشعبية ، قوات الصاعقة ، قوات العاصفة الى جانب قوات الجبهة الشعبية الديموقراطية ٠ واذا أضفنا الى هذه القوات دخول جيش التحرير الفلسطينى للكفـاح المسلح ، حسب قرار اللجنة التنفيـذية الاخير ، فيكون هناك قوة كبيرة تشمل بالفعل أكثر من ٩٠ فى المائة من المقاتلين تحت امرة هذه القيادة . وهذا كله علامة على اشتراك

الفئات الثورية المقاتلة فى جبهة وطنية ضمن اطار منظمة التحرير . والواقع ان هذه التطورات الايجابية قد افقدت اعداء العمل الفلسطينى كل المبررات التى كانوا يحاولون على اساسها ، او ما كانوا يحاولون ابرازه من تناقضات بين فصائل العمل الفلسطينى • الا أن هذا الموقف يواجه بموقف مضاد • وأحب أن يكون واضحا تماما أننى لا أعنى بهذا الموقف المضاد موقف الجبهة الشعبية . فالجبهة الشعبية فى تقديرنا سوف تلتقى حتما مع هذه الصيغة الجديدة للجبهة ، وذلك اذا ما تفهمت حقيقة الموقف • وان الموضوع ليس موضوع استئثار فتح وغيرها بهذه القيادة

لطفى الخولى : هل لك ان تفسر بعض الشيء ماذا تعنى بعبارتك الاخيرة : تفهم حقيقة الموقف ؟

ابو اياد : ليس خافيا على احد الان ان عدم انضمام الجبهة الشعبية للمنظمة وبالتالى لقيادة الكفاح المسلح ينبنى على أسس تتعلق بما أصبح يعرف باسم نسب التمثيل • وطبعا هناك من يحاول أن يستغل ذلك ليبقى على هذا الوضع ويحول دون انضمام الجبهة الشعبية ، ويرفع فى سبيل ذلك حجة وهمية تتهم « فتح » وغير فتح بأنها تريد الاستئثار بالمنظمة والقيادة • واستطيع هنا أن أؤكد بأن الموضوع ليس استئثارا من اى نوع ، وانما هو بالدقة استجابة للرأى العام الفلسطينى والعربى ، والذى عبرت عنه أنت بالذات مثلك مثل العديد من الوطنيين ، وطالبتهم فتح به . الموضوع الذى استهدفناه مع بقية الاخوة ، هو جمع أكبر عدد ممكن من المنظمات المؤثرة ضمن اطار جبهة وطنية وقيادة موحدة ..

لطفى الخولى : ومازلنا نطالب ونلح على وحدة العمل للمنظمات على الاقل ، ان لم تكن الوحدة الكاملة على اسس واهداف تكتيكية واستراتيجية مشتركة .. الا ترى أن هذه أصبحت ضرورة واجبة •

ابو اياد : بالضبط . ومن هنا فاننا نرى ان الخلافات الشكلية التى تدور حول العدو والنسب وحسابات الربح والخسارة فى بناء جبهة وطنية للشعب الفلسطينى ، سوف تزول كلها بالتأكيد اذا ما تفهم الاخوان فى الجبهة الشعبية حقيقة الموقف الذى يجب ان يقفوه من أرضيتهم النضالية ازاء المنظمة وقيادة الكفاح المسلح الجديدة .

على العموم بناء الجبهة الوطنية من خلال المنظمة ، وكذلك القيادة العسكرية الموحدة للعمل الفدائى ، هما جوهر ايجابيات المرحلة •

لطفى الخولى : وماذا من السلبيات ؟

ابو اياد : السلبيات فى رأينا تتركز اساسا

فى مواقف المنظمات الصغيرة التى تنشأ بين آونة واخرى ، وتستخدم فى محاولات لضرب القوى الرئيسية فى العمل الفلسطينى .. ماذا أقول ؟ أظن أن هذا يكفى •

لطفى الخولى : لا اعتقد انه كاف . ان ما تقوله أمر خطير للغاية • وفى رأيى أن من حق الشعوب العربية أن تتعرف بالدقة على هذا الامر لتتخذ بشأنه موقفا واعيا • ومن هنا لا يكفى الكلام العام والمجهل والا أصبح اتهاما بدون وقائع او دليل او تحديد للمسئولية • وهذا ما لا تحتمله المعركة ويجب ان ننأى عنه . هل من تفصيل وتوضيح ؟

ابو اياد : فعلا ، ان الامر خطير . حسنا . . هناك على سبيل المثال بعض الفئات المحدودة حاولت أن تخرج الى الساحة ما يسمى « بفتح الاسلام » تجند لها عناصر رجعية وتحت قيادات انتهت تماما من حساب الشعب الفلسطينى • وذلك لتخريب العمل باسم « فتح الاسلام » أو غيرها من تلك المنظمات الصغيرة التى تنشأ مؤخرا بدوافع لا علاقة لها بالمقاومة • ومن أسف أنها تتكون لتأييد ومساندة من بعض القوى وهذا أقصى ما أستطيع قوله الان من التوضيح والتصريح •

لطفى الخولى : ولكن كيف تواجهون هذا الامر ؟

ابو اياد : نحن على يقين ، من اننا اذا استكملنا بناء الجبهة وقيادة الكفاح المسلح ، واخذت تحتل بكل وزنها وفاعليتها، مواقعها الحقيقية فى العمل الفلسطينى ، فان هذه الصورة الشاذة سوف تصفى بالاقناع . فاذا لم يجد فلا مفر من استخدام اساليب أخرى •

هذا حديثنا تقريبا عن الموقف الفلسطينى • وأعتقد أن هناك عوامل سلبية أخرى تتصل بالمعونات التى تمنع حينا

وتفرض عليها قيود ثقيلة حينا آخر • ومثل عملية التضييق ، ومحاولة البعض ربط العمل الفلسطيني بالموقف العربي الرسمي • وفي هذا خطورة من نواح عديدة .. أولا هي نوع من فرض الوصاية عن طريق حصر المعونات المادية بالموقف العربي الرسمي • وفي نفس الوقت عزل العمل الفدائي والثورة الفلسطينية عن الجماهير العربية • ليس المهم أن يكون هناك جامع ضرائب يجمع من الشعب اموالا ، انما المهم والاساسي هو ان يحس المواطن العربي انه متفاعل مع هذه الثورة باتصاله الشخصي مع القوى الفدائية العاملة • اذا أضفنا الى هذا أن هناك بعض الدوائر العربية تشن حربا نفسية مركزة على الفدائيين • وأقول ضد فتح بالذات • وصدقني ليس هذا من باب الغرور ولا النرجسية ، انما لاعتبارات كبيرة وقائمة فعلا .. فهم يعتقدون إنهم اذا ضربوا حركة فتح ، بمجمل ما يشيعون من اشاعات مدروسة ومخطط لها • اقول اذا ضربوا أو استطاعوا ضرب « فتح » ، استطاعوا بالتالي ضرب العمل الفدائي كله • وذلك بحكم حجم فتح النضالي وسمعتها الشعبية • والغريب أن هذه الحملة بدأت تزداد وتتركز بعد دخول فتح ضمن اطار منظمة التحرير • كانت فتح مطالبة بالوحدة الوطنية والضغط عليها باعتبارها أنها وهي قوة أساسية في العمل الفلسطيني هي المعوق للوحدة • وكان التركيز أن واجب فتح — وهذا حق — ان تعمل على صنع الوحدة . وكان لصيغ هذه الوحدة عدة صيغ . وكان ممكن ان يكون هناك جبهة وطنية ، تصبح فيها منظمة التحرير طرفا من الاطراف ، وليست هي اطار الجبهة الوطنية ، كما ينص ميثاقها • حيث يقول انها جبهة وطنية تضم المنظمات والافراد • كان ممكن التغاضي عن هذا النص ، واعتبار منظمة التحرير ، منظمة كأي منظمة أخرى ، كالجبهة الشعبية أو غيرها • وتدخل فتح ضمن اطار الجبهة الوطنية بنوع من التكافؤ الجذري مع المنظمة • ولم يكن هناك معارضة من فتح لهذا الاتجاه بل بالعكس كنا مستعدين لان نسير في هذا الاتجاه الى آخر مداه • ولكن كانت هناك نظرة أخرى من موضوع المنظمة •• نظرة موضوعية تستهدف خير الشعب الفلسطيني قبل فتح . وهذه النظرة ترى أن « المنظمة » تمثل لأول مرة الالتزام العربي الرسمي نحو الشعب الفلسطيني • واعتبار المنظمة قوة خاصة معناه اضعاف المنظمة وفك هذا الالتزام • فاذا كان بالامكان أن تكون هذه المنظمة هي الجبهة الوطنية ، الاطار العام ، خاصة انه لم يكن للمنظمة ، من يوم ما أنشئت ، أي تنظيم سياسي بمعنى التنظيم السياسي ، انما كانت هناك قوة عسكرية اساسية هي جيش التحرير ، وبالاساس قوى التحرير الشعبية ، فرئي ان منظمة التحرير تصلح أن تكون أرض هذه الجبهة الوطنية التي يلتقي عليها كل القوى الفلسطينية • وانه بالتالي اذا تمسكنا بالدخول في منظمة التحرير على اساس التكافؤ ، فرغم أن هذا ممكن أن يكون فيه نوع من عدم الواقعية ، الا أنه بالاضافة الى هذا سيشل منظمة التحرير • وشل منظمة التحرير هنا يعني ان هذه القوى المتكافئة يجب أن تجمع في كل على رأي حتى تستطيع التحرك أو اتخاذ قرار • واذا لم تجمع على رأي ، فهذا معناه أن أي منظمة صغيرة تستطيع أن تعترض على أي قرار • وبالتالي تدور في حلقة مفرغة من فرض الفيتو من تلك المنظمة أو من غيرها • فكان الرأي الذي حاز القبول أنه لابد أن يكون في منظمة التحرير عمود فقري ، أو ما يسمى في الجبهات الاخرى بالقوة القائدة . وهذا لا يعني اطلاقا أن يفقد الاخرون وجودهم داخل المنظمة أو داخل الجبهة • ذلك لان الذي يقرر القرارات ليس وجود اربعة اعضاء للمنظمة وخمسة اعضاء لفتح ، انما حجم فتح في الساحة الفلسطينية وانعكاساته داخل هذه الجبهة ، هو الذي يقرر . وتكون كلمة مندوب أي منظمة مرتبطة بحجمها الواقعي في أرض العمل • يعني مثلا لو اردنا ان نقوم بعملية كبيرة ، فان الذي يقرر ويكون رأيه مسموعا في هذه العملية هو صاحب الحجم المادي الموجود في هذا التنظيم وما سيقدمه لهذا العمل • فبالتالي ليس الموضوع المطروح هو موضوع تصويت أو موضوع فرض رأي ، انما المطروح فعليا وحقيقة هو ماذا سيقدم هذا التنظيم وما حجمه الواقعي في العمل ، وبالتالي رأيه هو الذي يتوقف عليه القرار التنفيذي • وأعتقد اذا كان حسن النية الموضوعية والذاتية هي التي تسود علاقات جبهة سليمة ، فانه من الممكن ان الطرف الممثل نسبيا بعدد قليل اذا اقترح شيئا جيدا ومفهوما وممكنا ان ينفذ ، ان يكون رأيه هو السليم وهو الذي يمشي بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى •

هذا بالنسبة للموقف الفلسطيني • وبالتالي فاننا اذا أردنا تلخيص الكلام فسنرى أن هناك مواقف قوية ، ازدياد شعبية العمل ، الفلسطينيون مقبلون عليه بشكل اكبر من القدرة الحالية للتنظيمات الفلسطينية •

وهناك تطوير فى حجم العمليات وكميتها ونوعها • وأعتقد أن المستقبل سوف يتيح لقيادة الكفاح المسلح أن تظهر مواقف ايجابية أكثر ، وبالتالى تفرض نفسها على ساحة المسئولية •

يظل الخط القائم والذى اعتقد انه مرتبط بما يطرح فى المنطقة من حلول • وهو موضوع المنظمات الصغيرة وهذا خطر جديد ، يواجه العمل الفدائى •

لطفى الخولى : الاحظ تركيزك فى مجال عرض السلبيات على ظاهرة نشوء منظمات مقاومة صغيرة جديدة بين آونة وأخرى • وهى بلا شك ظاهرة غير صحية وتسبب قلقا متزايدا لدى الجماهير العربية المتطلعة لوحدة النضال الفلسطينى فى مجالاته العسكرية والسياسية على السواء • والملاحظ ان هذه الظاهرة تأتى فى الوقت الذى تتجه فيه الجهود نحو بناء جبهة الشعب الفلسطينى وقواته الفدائية ، وأثمرت بالفعل بعض الثمرات الهامة • ولابد من علاج حاسم وسريع لهذه الظاهرة • وهنا لايكفى مجرد القول بوجودها ولكن الامر يستلزم معرفة أسبابها وجذورها وأهدافها • وهذا مأرجو أن توضحه لى ؟ كيف تفسر فتح هذه الظاهرة •• كيف تقيمها •• ومرة أخرى كيف تعالجها ؟

أبو اياد : طبعا هى ظاهرة غير صحيحة على وجه القطع • ونعتقد أن هذه الظاهرة مرتبطة بعدة أشكال وصور داخل العمل الفدائى نفسه • وذلك بهدف ضربه • وأسلوب الضرب هنا ليس بطريق علنى ومباشر وانما بطريق تحتى وغير مباشر •
ظاهرة المنظمات الصغيرة تتسم أيضا بنوع خاص من الذكاء • فكل منظمة تحمل شعارات معينة ، وكأنها تريد أن توهم الجماهير أن هذه الشعارات ليست موجودة فى فصائل العمل الفلسطينى القائمة • مثلا منظمة فتح الاسلام ، ترفع شعار الاسلام بهدف معين وخاص ، وهو الايحاء للجماهير بأن « فتح » ليست اسلامية أو أنها بعيدة عن الاسلام ، وبالتالى فمنظمة فتح الاسلام تظهر وكأنها تريد استكمال هذا الجزء الناقص للعمل الفلسطينى • وذلك وفقا لادعاءاتها التى تعلم هى عن يقين انها غير صحيحة • وهكذا منظمات أخرى •• ولقد ذكرت « فتح الاسلام» لانها تستخدم بالذات اسم فتح.لكن هناك منظمات اخرى صغيرة تقوم ايضا اليوم على أساس أن فتح وغيرها من المنظمات الفدائية الحقيقية ، اقليمية النظرة أو غير واضحة الاتجاه ، وثمة منظمات أخرى صغيرة تقوم بدعوى المزايدة اليسارية غير الواقعية ، هذه الامور تقريبا اللى بتأخذ هذه المنظمات أشكالها الجديدة •

لطفى الخولى : لتحديد حجم هذه الظاهرة •• ماهو عدد المنظمات الجديدة التى أنشئت خلال هذا العام •• عام ١٩٦٩ ؟

ابو اياد : ثلاثة منظمات .. منها ما هو بدعوى الدين ، ومنها ماهو بدعوى الاقليمية ، ومنها ماهو بدعوى المزايدة اليسارية • واذا ماتطرقنا لموضوع معالجة هذه الظاهرة ، فنحن نرى ان شعبنا لا يؤمن بالعنف كمبدأ ومسلك اساسى ، وخاصة وان العمل الفلسطينى لم يستكمل بعد صورته النهائية، وبالتالى فقد اتبعنا ومازلنا نتبع — حتى الان — وبصبر ثورى طريق الاقناع والحوار المباشر، لانه فى رأينا أن قواعد هذه المنظمات الصغيرة قواعد شريفة بدون جدال ، انما الغرض والانحراف يأتى من القيادات ، وبالتالى لابد من التجاوز فوق القيادات والنزول الى القواعد لمحادثتها مباشرة وافهامها مدى خطر هذه التنظيمات الصغيرة • ويجب أن لانتعب فى الحوار مع هذه القواعد حتى نسلب قادتها كل مبررات انشاء هذه المنظمات واستمرار وجودها •

لطفى الخولى : وكيف يتم هذا الحوار ؟

ابو اياد : يتم عن طريق الاعلام ، وعن طريق الاتصال المباشر احيانا . والمعتقد أن كثيرا من الشباب فعلا •• الشباب المناضل الثورى ، عندما يعرف الحقيقة يعود لينضم الى احدى فصائل العمل الفلسطينى الحقيقية والتى أثبتت وجودها الفعلى فى النضال ضد العدو •

لطفى الخولى : وهل تحقق شىء ايجابى نتيجة هذا الحوار ؟

أبو اياد : أسفر بالفعل عن بعض نتائج ايجابية • والمعتقد أنه سيأتى بنتائج ايجابية أكثر ، كلما زاد الحوار وكثر الاتصال وتعمق هذا الاتصال •

لطفى الخولى : طريقة الحوار التى اعتمدتموها لعلاج ظاهرة المنظمات الصغيرة التى تنشأ الان فى الساحة الفلسطينية ، تقودنا الى سؤال محدد : لماذا لاتواصلون

استخدام هذه الطريقة نفسها مع الجبهة الشعبية ، وهى فى رأيكم منظمة فدائية حقيقية ، وذلك من أجل التغلب على عقبات اشتراكها فى المنظمة أو فى الجبهة وفى قيادة الكفاح المسلح ؟ وأعتقد أنى على حق حينما أحمل فتح مسئولية تحقيق هذا الاشتراك باعتبار أن فتح هى التى تمثل أكبر وزن فى ساحة العمل الفلسطينى ؟

ابو اياد : بالنسبة للجبهة الشعبية نحن نقيم علاقات حوار معها دائما ، ولن نقطع هذا الحوار من جانبنا • نحن ، أولا ، بدأنا الحوار قبل أن تنفصل الجبهة الشعبية على نفسها الى ٣ انقسامات • وكما هو معروف فان الانقسام الاول كان خروج مجموعة جبهة التحرير الوطنية المعروفة باسم « جماعة احمد جبريل » عن الجبهة الشعبية ، ثم حصلت تطورات فكرية داخل الجبهة أفرزت الجبهة الى قسمين أيضا قسم أعلن أنه ماركسى لينينى وتزعمتها مجموعة مجلة الحرية ونايف حواتمة باسم « الجبهة الشعبية الديمقراطية » ، والقسم الاخر الذى يقول ايضا بالماركسية ويتزعمه الدكتور جورج حبشى ، ولكنه فى الممارسة يختلف عن أسلوب الاخرين • فهذه الظروف ، ظروف الانقسامات داخل الجبهة الشعبية كانت تؤخر باستمرار الحوار ، فبدلا من ان نتحاور مع الجبهة الشعبية لدخولها فى اطار وحدة العمل الفلسطينى ، كنا نتحاور معهم لمحاولة اعادة اتصالهم بعضهم ببعض اولا ، وكان هذا شىء مهم جدا واخذ منا جميعا وقتا طويلا ، خاصة اذا أردنا أن نتكلم بصراحه • اذ عندما وصلت الامور الى حد الصراع بين القسمين ، تطلب الامر مجهود كبير منا لايقاف تضارب المقاتلين فى شوارع عمان أو فى غيرها بالسلاح • فكان لابد من أن نبذل كل مجهود لمنع الصدام المسلح بين أطراف الجبهة الشعبية . هذا الحوار اذن كان متصلا باستمرار ، ولكن الحديث لا يمكن ان يحدث الاثر المطلوب عن وحدة الجبهة الشعبية مع فتح ، أو الجبهة الشعبية مع قيادة الكفاح المسلح الا اذا حلت المشكلة الاساسية داخل فصائل الجبهة الشعبية ذاتها • فمن هنا كان الحديث يستغرق أياما وليالى طويلة حول وحدة الجبهة الشعبية نفسها ، صحيح استطعنا أن ننجح فى منع الصدام المسلح ، واستطعنا أن ننجح فى أن نفرق بين الجبهة الشعبية الديموقراطية وبين الجبهة الشعبية التى تمثل اصلا حركة القوميين العرب ، وبين مجموعة أحمد جبريل التى ميزت نفسها باسم القيادة العامة • ونجحنا فى المرحلة الاولى من الحوار فى ايجاد هذه الفروق الشكلية بالتسمية بين الاقسام الثلاثة • وهذه المرحلة أخذت أكثر من شهرين •• تقريبا ثلاثة أشهر • والواقع أنه عندما جاءت عملية المجلس الوطنى الاخير لمنظمة التحرير لم يكن أحد من الجبهة الشعبية فى وضع مستعد فيه للحوار حول المجلس الوطنى • انما كان بعض الفئات فى الجبهة تطالب بتأجيل الموعد ، وكانت بعض الفئات الاخرى تطالب بزيادة نسبة العدد كمجموعة أحمد جبريل مثلا ، المجموعة الثالثة كانت ترفض أصلا اعتبار منظمة التحرير ارضا يلتقى عليها كل الفئات ، وهى مجموعة الجبهة الشعبية الديموقراطية • وان كانت هذه المجموعة قد تراجعت عن هذا الموقف فيما بعد ودخلت قيادة الكفاح المسلح • فمن هنا ترى أن الحوار لم ينقطع مع الجبهة الشعبية ، وانما كان الحوار يتصل بأمور لها أولويتها ، وهى الخاصة بموضوع الجبهة الشعبية ذاتها • ومع ذلك بعد أن استقرت الامور فى الجبهة الشعبية ، وبعد أن انعقد المجلس الوطنى وانتخبت القيادة الجديدة قمنا بمحاولات الاتصال بمجموعة الجبهة الشعبية بأطرافها الثلاثة • الجبهة الشعبية الديموقراطية قدمت طلبا بالانضمام الى قيادة الكفاح المسلح • وكان شرط اللجنة التنفيذية للمنظمة هو أن تعترف الجبهة الشعبية الديموقراطية بالميثاق القومى لمنظمة التحرير خطيا • وفعلا قدمت الطلب واعترفت أنها تلتزم بكل ماجاء فى الميثاق الوطنى « كبرنامج حد أدنى » للعلاقات داخل قيادة الكفاح المسلح • بالنسبة لمجموعة « أحمد جبريل » ، الواقع أن الاتصال يقع حول موضوع مهم وذى طبيعة خاصة ، ليس من الجائز الان عرضه ، انما فيه موقف معين كنا نريد أن يتضح وبعدها نقر استمرار الاتصال بهم او لا • بالنسبة لجماعة حركة القوميين العرب ، الجبهة الشعبيه اتصلنا بهم والاتصال تم عن طريق اللجنة التنفيذية للمنظمة مباشرة • وطرحت فى هذا اللقاء كل تحفظات الجبهة الشعبية على موضوع المنظمة • وكما فهمت أنه لم يكن هناك أى خلاف على موضوع دخول المنظمة الا بحدود أشياء عامة غير محددة • وتم الاتفاق على إعداد لقاء آخر تتم فيه مناقشة كل هذه الاشياء بتحديد • وقد تم لقاء أيضا آخر بين فتح وبين الجبهة الشعبية لاقناعها أيضا بدخول قيادة الكفاح المسلح كمرحلة أولى • لان قيادة الكفاح المسلح ليس فيها شروط أو حساسيات • ذلك

أنّ الموضوع موضوع عملّ عسكرى موحد لايتصل اتصالا مباشرا بالمنظمة وشكلهـا الحالى انما يتصل بالعمل العسكرى نفسه • وكان الحديث من جانب الاخوان فى الجبهة الشعبية أنه لابد أن يعاد النظر فى كل طبيعة تكوين المجلس الوطنى حتى يستطيعوا دخول قيادة الكفاح المسلح • أى بمعنى أن تعود الى الحديث الاول ، وهو أن يكون الالتقاء داخل المجلس الوطنى عن طريق تكافـؤ الجبهة فى النسب مع كل المنظمات الاخرى •. وعندما النقاش استمر حول مـوضوع المنظمات الصغيرة وكيف تمثـل ؟ فكان الاشتراط من جانب الجبهة الشعبية أن تمثل كل المنظمات الصغيرة بأحجام متكافئة داخل المجلس • وهو أمر يعيد من جديد مناقشة موضوع الجبهة وكيف تتكون ؟ على العموم الحوار قائم وسيستمر •

لطفى الخـولى : هـذا مـا نرجـوه ونأملّ أن تتوصلوا من خلال هذا الحوار الى النتائج الايجابية ، وحدها الادنى — فى رأيى — هى وحدة العمل • هناك نقطة أخرى أحب أن أتطرق اليها ، وهى الخاصة بقيادة الكفاح المسلح • فكما أرى أن هذه القيادة تأتى بعد ما كان يسمى بمكتب التنسيق العسكرى • والسؤال الاول هنا هو : هل قيادة الكفاح المسلح ، كما يدل عليها اسمها ، صياغة أكثر تقدما ، فى مجال وحدة عمل المقاومة ، من مكتب التنسيق ؟ والسؤال الثانى : اذا كان الاسم تعبيرا عن الواقع وقيادة الكفاح المسلح بالتالى أكثر تقدما من مكتب التنسيق ، فما هى أوجه التقدم ؟ والسؤال الثالث هو : هل قيادة الكفاح المسلح — فى رأى فتح — هى الخطوات الاخيرة على طريق وحدة عمل المقاومة أم أن هناك خطوات أبعد ، وما هو تصوركم لهذه الخطوات فى حدود ما يمكن نشره وإعلانه ؟

أبو اياد : قيادة الكفاح المسـلح خطـوة هامة على الطريق نحو وحدة العمل الفدائى • وهى ايضا — وبلا جدال — اكثر تقدما من مكتب التنسيق •

فمكتب التنسيق كان عبارة عن اجتماع يضم ممثلين لمجموعات التنظيمـات • وللاسف اقول لك بصراحة ، فنحن مؤمنون بضرورة مناقشة امورنا بأقصى قدر ممكن من الصراحة .. للاسف اقول ان المكتب انحصر نشاطه فى تنسيق العلاقات بين المنظمات الفدائية ومحاولة حل المشاكل التى قد تثور بينها • ولكن لم يحدث فى أى اجتماعات للمكتب ولو مرة واحدة ، أن نوقشت عملية عسكرية أو خطة عسكرية أو عمل مشترك يخطط وينفذ تحت قيادة واحدة ، وان كانت التنظيمات تلقائيا قامت بعمليات مشتركة فيما بينها على أرض المعركة وبحكم مواجهة تحديات العدو فى العمليات •

صحيح أن مكتب التنسيق كانت خطوة أولى على الطريق ، لكنها ـ كما أعتقد وكما أوضحت الخبرة العملية ـ لم تكن كافية ولا مرضية بل وغير صريحة لاى انسان يريد أن يحقق للشعب الفلسطينى قيادة عامة للكفاح المسلح ، وعندما انتخبت اللجنة التنفيذية الجديدة لمنظمة التحرير ، اهتمت بـوضع اسس جديدة لقيام علاقات وثيقة بيـن المنظمات المشتركة فى المجلس الوطنى وفى قيادة منظمة التحرير • وكان الحرص ألا تكون قيادة على الورق أو صورية ذات اسم طنان ، أو ترث مكتب التنسيق فحسب ، وانما قيادة حقيقية فى الواقع .. فـى العمل .. لكل الفصائل المشتركة فـى القيادة. ولعله قد يبدو فى الظاهر ان الوحدة معسكر واحد لكل هذه الفصائل ، وستتم وحدة أعلامية أو مجرد عنوان • ولكن كما نعرف فان اى عمل لابد له من دراسة دقيقة موضـوعية اولا للواقـع والامكانيات ثم بعد ذلك توضع خطة على اساس هـذا الواقـع والامـكانيات ، ثم نأتى بعـد ذلك المرحلة الثالثة وهى وضـع هـذه الخطة موضع التنفيذ الفعلى • ويمكن القول اننا قد انتهينا تقريبا من المرحلتين الاوليين وندخل الان المرحلة الثالثة وهى تنفيذ الخطة •

لطفى الخولى : هلّ يمكن انّ نفهم من هذا اننا على أبواب القيام بأعمال مقاومة مشتركة تساهم فيها كل قوات المنظمات الداخلة فى منظمة التحرير تحت القيادة الموحدة للكفاح المسلح ؟

أبو اياد : نعم ، سيكون التدريب مشتركا فى العمليات تحت قيادة موحدة ويشارك فيها جنبا الى جنب مقاتلو العاصفة مع مقاتلى جيش التحـرير مع مقاتلى الصـاعقة مع مقاتلى الجبهة الشعبية الديمقراطية . كل المقاتلين سيقوموا معا بعمليات مشتركة وذلك وفقا لمعايير موحدة واعتبار الكفاية والقدرة وظروف العمل • بمعنى أنه فـى بعض الاحيان ـ وداخل اطار الخطـة ـ يمكن اختيار مجموعة للقيام بعملية محددة كلها من الصاعقة مثلا ، او اختيار مجموعة من الصاعقة والعاصفة أو من العاصفة وقوات

التحرير الشعبية وهكذا .. أى حسب ما تراه القيادة مناسبا من حيث التدريب والكفاية والخبرة بالارض الخ ..

ولست أذيع سرا الان أن قيادة الكفاح المسلح ستباشر مهامها على نطاق هام فى القريب العاجل .

ولست أذيع أيضا سرا عندما أقول أن عملية احتلال « الحمة » الاخيرة قد تمت بناء على تخطيط من قيادة الكفاح المسلح ، رغم ان قوات العاصفة وحدها هى التى قامت بها ، الا ان التخطيط للعملية كان ناتجا عن تفكير جديد فى قيادة الكفاح المسلح نفسها .

لطفى الخولى : الاحظ انك استخدمت تعبيرا « تفكيرا جديدا » بالنسبة للتخطيط لعملية « الحمة » . فهل معنى هذا ان « عملية الحمة » تمثل — فى رأيك — تطورا جديدا فى عمل المقاومة .

ابو اياد : بلا شك ، عملية الحمة نقطة تحول وتطور جديد فى عمل الفدائيين ؟

لطفى الخولى : كيف ؟

ابو اياد : كما تعلم ، فان عملنا الفدائى ظل فى حدود القاعدة التقليدية العامة لحرب العصابات « اضرب واهرب » . ورغم أن التزام هذه القاعدة العامة ضرورى فى البداية على الخصوص ، فقد مارسنا بالفعل نوعا من المواجهة المحدودة ضد العدو فى بعض المراحل التى سادتها بصورة مطلقة قاعدة « اضرب واهرب » . وتمت هذه المواجهة على شكل واسع نسبيا فى العدوان الاسرائيلى على الكرامة فى مارس ١٩٦٨ .

وبعد الكرامة مارسنا انواعا اخرى من المواجهة المحدودة مثلما حدث فى الكلونتول ووادى القلت مثلا .

وهذه المواجهات المحدودة كانت مدخلا الى عملية الحمة . ماذا تعنى عملية الحمة .. تعنى احتلال موقع يسيطر عليه العدو ، وذلك لمدة محدودة من الزمن نطهره خلالها من كل قوات العدو وامكانياته فيه . ومن هنا فنحن ندخل بعملية الحمة مرحلة جديدة من حرب العصابات وهى مرحلة احتلال بعض المواقع ، وتنظيفها تماما من كل القوات المعادية . وطبعا نختار هذه المواقع بدقة ووفقا لاعتبارات غاية فى التعقيد من أجل أن تنزل ضرباتنا بأكبر قدر ممكن من الاهداف مع ما يولده الاحتلال والتطهير من آثار سياسية وعسكرية واقتصادية ونفسية داخل جبهة العدو .

وهذه المرحلة بدورها تمهيد للمرحلة التى تليها ، والتى تشغل الان اجهزة التخطيط والتفكير الاستراتيجى للمقاومة . واعنى بها مرحلة احتلال المواقع وتطهيرها والاقامة فيها . وسوف تبدأ هذه المرحلة فى الوقت الذى نكون قد انتهينا فيه من نقل كل قواعدنا الى داخل الارض المحتلة ، حيث يصبح الالتحام كاملا وعميقا ومتحركا بفاعلية بين جميع القوى داخل الارض المحتلة .

لطفى الخولى : بمعنى السيطرة على ما يعرف فى حرب العصابات « بالمناطق المحررة »

ابو اياد : بالضبط .

لطفى الخولى : لا شك ان المقاومة استطاعت أن تنتزع من العدو المحتل « مناطق محررة » فانها تدخل مرحلة حرب التحرير الشاملة . ولكن اسمح لى وقد عاهدنا أنفسنا فى بداية الحوار على مواجهة قضايانا بصراحة بهدف الوقوف على أرض حقيقية وصلبة ، أن أثير هنا سؤالا . والسؤال يأخذ فى الاعتبار ما يردده بعض المراقبين الصحفيين الغربيين والمصادر الاسرائيلية نفسها عن أن اسرائيل قد حققت نجاحا ضد عمليات المقاومة نتيجة استخدامها للموانع الالكترونية والاسلاك الكهربية حول بعض المناطق المحتلة . فضلا عن أن السلطات الاسرائيلية قد كشفت عن عدة خلايا للمقاومة فى الداخل . ورغم يقينى من أن هناك مبالغات مقصودة للتأثير النفسى فى هذا الكلام فان ثمة حقيقة معينة وهى ان الموانع الالكترونية والاسلاك الكهربية قد اقيمت بالفعل ، وان ثمة خلايا قد وقعت فى أيدى العدو أيضا . وبالتالى فالسؤال هنا هو الى أى مدى أثر ذلك كله فعليا على عمليات المقاومة وعلى التطوير المطلوب نحو مرحلة المناطق المحررة التى تحدثت عنها ؟ وبالطبع فان التجارب التاريخية تؤكد لنا ان ما من مقاومة تحريرية فى أى ارض لم تواجه مثل هذه العقبات واستطاعت فى النهاية أن تتغلب عليها ؟

ابو اياد : طبعا . . ليس كل ما يقوله العدو او المراقبون الغربيون فى هذا الشأن

صحيحا .. هناك مبالغات مقصودة بالفعل للتأثير النفسى علينا .

ولكن الامانة والمسئولية تقتضيان منا أيضا أن نقول أن « بعضا » مما يقال صحيح . ونحن لا ننكر ذلك ولا نخفيه وانما نواجهه ونعمل على تخطيه . وعندما بدأنا الكفاح المسلح قبل حرب حزيران ١٩٦٧ باعداد محدودة ، واليوم ونحن نواصل الكفاح بمقدرة بشرية وفنية وعسكرية ، وتنظيمه لا تقاس بالماضى .. ما أريد أن أقوله أننا فى كل الاحوال ، لم نغفل لحظة ان العدو الذى نواجهه لديه من القوة والامكانيات الشىء الكثير ، خاصة وان كل خبرة الامبريالية فى المنطقة موضوعة تحت تصرفه . وهو يستفيد من النازية ويستفيد من خبرة أمريكا فى فيتنام . ونعلم جميعا أن ديان أقام فى فيتنام مع الجيش الامريكى قبل حرب حزيران ليستفيد من الخبرة الامريكية فى مواجهة جيش التحرير الفيتنامى وحرب عصاباته . وبالاضافة الى ذلك فان العدو نفسه يطور اسلحته باستمرار ، ويستفيد من خبراء الاستعمار ضد المقاومة الشعبية المسلحة فى جميع انحاء العالم . فانت اذن تواجه عدوا يملك علما متقدما وتكنيكا متقدما وخبرة متقدمة . وبالمقابل فلابد للمقاومة من أن تسلح بالعلم المتقدم والتكنيك المتقدم والخبرة المتقدمة . وهذا فى وعينا ليل نهار .

وفى الحقيقة ، اثير مسألة التعقيد العربى فى هذا المجال نحو دعم المقاومة الفلسطينية . فالمقاومة الان تعتمد على نفسها كلية اعتمادا ذاتيا . بمعنى أن العقلية العربية والعلم العربى والخبرة العربية لا تزال بعيدة عن الاسهام الجدى والفعال بل والمشاركة مع المقاومة الفلسطينية فى حل ما يعترضها من مشاكل . وهى الان مدعوة بالحاح من المقاومة للمشاركة . مثلا الخط الالكترونى الذى أقامه العدو .. التحصينات وغيرها التى أقامها على الحدود .. ضيق أرضنا .. التنظيمات الموضوعة داخل الاراضى المحتلة من حيث تقسيم فلسطين الى مناطق أمن خاصة .. يعنى نابلس مثلا وحدة أمن خاصة تضم الطيران المقاتل والهليكوبتر والمدرعات والمشاة والمظليين والمخابرات بحيث يكونوا جميعا وحدة أمن تتحرك بأسرع ما يمكن عند الخطر . واول شىء صنعته اسرائيل فى الضفة الغربية وفى مناطق الاحتلال كلها هو شق شبكة واسعة من الطرق بحيث تسهل لوحدات الامن الحركة السريعة لاقصى حد نحو أى منطقة يصير فيها اشتباك أو عملية من عمليات المقاومة .

ومن هنا تأتى سرعة الحركة الاسرائيلية وليس كما يدعى العدو نتيجة قوة مخابراته. وأستطيع أن أقرر هنا عن تجربة وبمسئولية كاملة أن ما يشاع عن قوة المخابرات الاسرائيلية هو خرافة . اسرائيل ليست متقدمة فى مخابراتها بالذات . انما هذا لا يمنع من القول أنها تستفيد من المعلومات البسيطة التى تصل اليها وهى تعممها على الفور على وحداتها للاستفادة منها .

والحقيقة التى يجب ان نركز عليها هنا هى أن المقاومة بحاجة الى دعم عربى على المستوى العلمى والخبرة الفنية حتى تستطيع أن تواجه وتتغلب على العلم والخبرة الاسرائيليين المتطورين .

لطفى الخولى : طبعا هذا واجب ملح فعلا على جميع مؤسسات العلم والخبرات الفنية فى الوطن العربى . ويمكن فى هذا الصدد ان يتكون للمقاومة مكتب للخبرة الفنية من علماء وخبراء عرب متطوعين . ولكن ألاحظ أنك لم تجب على سؤالى المحدد حول تأثير الموانع الالكترونية والاسلاك المكهربة على عمل المقاومة والى أى حد .. هل تمنع مثلا الان الدخول الى الارض المحتلة بالقدر الواجب ؟

ابو اياد : لا لم يمنع . ولكن طبعا اثر على عمليات الدخول ، وغير بالتالى من اساليبنا فى الدخول . ونحن مستمرون فى الدخول بدليل الضربات المستمرة لقواتنا ، فلا يمر يوم الا وفيه أكثر من عملية تقوم بها داخل الارض المحتلة .

وهنا أحب أن أشير الى نقطة ، نبهت أنت اليها اكثر من مرة فى كتاباتك ، وهى مايشوب بلاغات المقاومة عن عملياتها من بعض المبالغة . من أين تأتى هذه المبالغة أو ما هى حقيقتها ؟ الواقع أن المبالغة منتفية فى البلاغ الذاتى الذى يصدر عن فتح أو عن قيادة الكفاح المسلح عندما تقوم بعملية عسكرية . ولكن المبالغة تأتى من مجموع البلاغات التى تصدر عن المنظمات الكبيرة منها والصغيرة معا

أضرب لك مثلا حيا . لا يمر أسبوع واحد على وادى الاردن الا وتكون هناك على الاقل من خمس وست مجنزرات للعدو قد نسفت

فعلا بفعل المنظمات الرئيسية • ولكن تأتى كل واحدة من المنظمات الصغيرة وتدعى أيضا عمليات النسف هذه أيضا لنفسها • واذا كان مجموع المنظمات على الاقل هو سبع أو ست منظمات ، فانك اذا ضربت الرقم ٦ منظمات فى ٤ مجنزرات منسوفة يكون الناتج طبقا للبلاغات هى ٢٤ مجنزرة مع انها فى الواقع ست مجنزرات فقط . من هنا تأتى المبالغة المؤسفة التى تشوه العمل الفدائى ككل • فانت هنا كمواطن عربى تحس بالمبالغة عامة فى البلاغات العسكرية للمنظمات الرئيسية . مع ان هذه البلاغات تروى الحقيقة دون تضخيم او تزييف بشباب قاتل ببسالة ومنهم من جرح ومنهم من استشهد •

لطفى الخولى : طيب .. فى هذا المجال ، كيف تقومون بتقدير خسائر العدو نتيجة العمليات التى تقومون بها ؟ أذكر أنه خلال مناقشة مع جيفارا عندما كان هنا فى القاهرة عام ١٩٦٥ قرر أن عملية تقدير خسائر العدو الحقيقية هى من أعقد المسائل لاية حركة مقاومة مسلحة أو حرب عصابات ؟

ابو اياد : هذا صحيح .. ومن اجل هذا راعينا فى فتح ـ ولعلك لاحظت ذلك ـ أنه بالنسبة لبلاغات العاصفة قبل أن تنضم الى قيادة الكفاح المسلح أن لا نذكر العدد الكامل • يعنى نقول قتل عدد كذا ، وجرح عدد كذا • ولو أنها عبارة تقليدية ، الا أنها أخف على المواطن العربى من أن نقول قتلنا عشرة أو عشرين وجرحنا ٣٠ أو ٤٠ • واتفق أيضا فى قيادة الكفاح المسلح أن لا تذكر أرقام القتلى والجرحى رغم اننا نكون فى كثير من الاحيان على يقين من أرقام واقعية • ولكن هذا كله لا يمنعنا من تقدير الخسائر الحقيقية للعدو فى كل عملية نقوم بها ، وذلك على اساس تقارير المقاتلين الذين يشتركون فيها • فكل مقاتل يكتب الى قيادته تقريرا مفصلا عن العملية وخسائرها ، ويؤخذ دائما المتوسط فى تقديرات مجموعة التقارير .. وكل ذلك من أجل الحرص على أن لا نقع فى خطأ المبالغة • ونحن نعلم أن شعبنا حساس جدا من هذه الناحية •

لطفى الخولى : الان اسمح لى ان ننتقل بالحديث الى نقطة أخرى ذات أهمية بالغة فى رأيى • وأعنى بها مفهوم فتح للعلاقة بين العمل العسكرى والعمل السياسى ، وبالتالى القيادة العسكرية والقيادة السياسية .. من الذى يوجه الاخر ؟ من الذى يتخذ القرارات ؟ من صاحب الرأى الحاسم عند الاختلاف فى وجهات النظر الرئيسية ؟ ولعله لا يخفى عليك ما وجه لفتح من نقد حول انغلاقها على العمل العسكرى البحت دون ربطه بآفاق سياسية محددة ذات خطوط محددة وبالتعبئة الشعبية المنظمة للجماهير الفلسطينية • وهذا النقد ـ فى رأيى ـ على جانب كبير من الاهمية بحيث يتطلب معرفة رأيكم فيه ، خاصة وان « فتح » هى أول من شق طريق الكفاح المسلح فى الساحة الفلسطينية •

وأرجو فى ردك على هذا النقد أن توضح عدة نقاط : النقطة الأولى : كيف تكونت فتح او ما هى الظروف الموضوعية التى افرحت فتح والتى أدت الى انتهاج خط الكفاح المسلح ؟ والنقطة الثانية : هل تعتبر فتح أن الكفاح المسلح هو غاية فى حد ذاته أو بمعنى أصح هدف استراتيجى أم هو وسيلة بين وسائل أخرى لنضالها • واذا كان وسيلة فما هى درجته بين الوسائل الاخرى ؟

النقطة الثالثة ...

ابو اياد : واحدة .. واحدة ..

لطفى الخولى : الا ترى انه من الافضل ان اعرض لك فكرة حول هذه المسألة متكاملا بدلا من التجزئة ..

ابو اياد : وهو كذلك . لكن النقطة الثانية من سؤالك أرجو أن تزيد من ايضاحها بعض الشىء .. يعنى ظروف تكوين فتح وانتهاجها لخط الكفاح المسلح مفهوم .. النقطة الثانية الخاصة بهل الكفاح المسلح عند فتح وسيلة ام غاية .. ؟ هى اللى عايزة توضيح شوية

لطفى الخولى : اقصد هل فتح فى تصورها لاساليب النضال ضد الصهيونية وكيانها الاسرائيلى تقف عند اسلوب الكفاح المسلح وحده ، أم ترى بأن هناك وسائل اخرى ضرورية بجانب الكفاح المسلح ، وحيوية لتوجيهه ؟ وبالتالى من الذى يقود فتح : الفكر العسكرى البحت أم الفكر السياسى الشامل والمسلح بخبرات متعددة من بينها الخبرة العسكرية ؟

ابو اياد : مفهوم . . الواقع ان فتح هى عملية رد فعل فى البداية لمجموعة اوضاع عربية ، ومجموعة اخطاء كانت موجودة فى السياسة العربية وفى الاحزاب العربية

ايضا .. وهذا كله دفع كثيرا من الشباب الفلسطينى الى الاحساس بأن طريق التحزب والبعثرة والتفكك ، ليس هو الطريق الموصل لحل قضية بلادهم . يمكن فيه ظاهرة كانت غريبة فى الخمسينات ٠

واعنى بها انه نادرا ما كنت ترى شابا فلسطينيا غير منتمى الى حزب او حركة سياسية ٠ وكان الشاب الغير منتمى يعتبر عالة على المجتمع ، يعنى غير محترم ٠

وكانت انتماءات الشباب الفلسطينى من اقصى اليمين الى اقصى اليسار ٠ البعض كان يعتقد ان الاتجاه الدينى يمكن يحل قضيته. وكان البعض الاخر ، يعتقد انه ممكن يكون طريق الشيوعية هو الطريق ٠ البعض الثالث اتجه اتجاه قوميا ، أى الى الاحزاب القومية التى تمثلت فى ذلك الوقت فى حزب البعث ثم بعد ذلك فى حركة القوميين العرب ، وهى الحركة التى بدأت على اساس من الثأر والدم والحديد والنار ٠ فمجموعة من هذا الشباب الذى اختلط فى كل هذه الاحزاب والحركات ، ولم يستطع من خلالها ان يعثر على الطريق لتحرير وطنه، فانسلخ فعلا بوعى هذه الاحزاب والحركات ، ربما لا يكون دقيقا ان نقول بأن الانسلاخ كان فكريا وانما كان فى الاساس عن الانتماءات الحزبية التى كانت فى ذلك الوقت ، فى نظر هذه المجموعة من الشباب انها لا يمكن ان توصلها الى أى نتيجة فعلية . واعتقد اننا الان فى مرحلة . العالم كله بيعانى من التجارب التى اصبحت تمزق اليسار . فنسمع عن يسار اليسار ، ويمكن يوصل الى يسار ثالث كمان ٠ فمن هنا كانت الظروف الموضوعية فى الواقع هى ظروف الوطن العربى الذى يفور بتململ كبير ٠ التململ هذا فى البداية عبر عنه الشعب الفلسطينى عن طريق انشاء منظمات سرية كثيرة . ويمكن ايضا القول ان نجاح الثورة الجزائرية كان له دخل كبير فى هذا التفكير ، حيث احس الشباب الفلسطينى انهم ليسوا اقل من اخوانهم الجزائريين . وانهم قادرون على رفع شعار الكفاح المسلح وممارسته ايضا ٠ لكن كان مجمل الاوضاع العربية ضد هذا الشعار وممارسته ٠ وكان لا مفر اذن امام الشباب الفلسطينى من الالتجاء الى العمل السرى ٠ وكان هناك اعتقاد بأن منظمة تحرير فلسطين عندما انشئت كان الغرض منها هو امتصاص الثقة التى بدأت تعم اوساط الشعب الفلسطينى ، وتعبر عن التململ الحقيقى داخل الشعب الفلسطينى ونزوعه الى بناء حركة ثورية فلسطينية قومية . باختصار كانت محاولة انشاء منظمة التحرير فى البداية هى محاولة لاجهاض هذا التململ الثورى الحقيقى ٠ ومن هناك كان اعتراضنا على المنظمة فى البداية .. كانت عليائية وفوقية ... ليست نابعة من تحت وانما مفروضة من فوق ٠ فى هذه الظروف بدأ التفكير فى العمل الفلسطينى سريا ٠ وطبعا للسرية عيوبها بجانب مزاياها ... لو حللنا كثيرا من هذه المنظمات لوجدناها جزءا من مخطط لضرب الحركات الثورية الاصيلة ، كان عدد من السفارات العربية ينشىء منظمات ٠٠ وكانت الشخصيات الفلسطينية التى انتهى دورها التاريخى عند حدود معينة لم تستطع تخطيها تنشىء ايضا منظمات ... وكان عدد من الاحزاب العربية فى نفس الوقت يحاول ان تنشىء منظمات سرية حتى لا تضيع ولا تسبقها المنظمات الثورية الحقيقية .. وكان تفكير فتح ان الكلام لم يعد يجدى وانه لابد من ممارسة الكفاح الجدى والعملى ولو بامكانيات بسيطة ٠٠ وهكذا بدأنا ٠٠

لطفى الخولى : فى نقطة البداية تلك ... كيف كانت فتح ٠٠ من هى فتح فى ذلك الوقت ؟

ابو اياد : فتح فى ذلك الوقت عبارة عن مجموعة من الشباب الفلسطينى الذى ثار على الواقع الذى كان قائما ٠٠ واقع التجزئة وخاصة بعد الانفصال ٠٠ واقع الفشل الذى منيت به الاحزاب العربية فى ممارسة اى عمل نضالى حقيقى ٠٠ الشباب الذى خرج من هذا الواقع وثار عليه هم الذين بدأوا فتح ٠

لطفى الخولى : ترى ما هى الطليعة الاجتماعية لهذا الشباب الذى كون فتح فى البداية وقادها ٠٠ اعتقد انهم اساسا ، أن لم يكونوا جميعا ، من المثقفين الفلسطينيين الذين ينبع اغلبهم من الطبقة المتوسطة ٠

ابو اياد : طبعا هم اساسا من المثقفين الفلسطينيين وكان تفكيرهم انه لابد من شق طريق لتغيير هذا الواقع ٠٠ واذن فكان لابد من القيام بعمل أى كفاح مسلح .. وبحكم الظروف فان هذا العمل كان لابد وان يعتمد على امكانيات بسيطة للغاية ٠

وليس سرا الان ان اقول انه فى ذلك الوقت كانت هناك وجهتا نظر . وجهة نظر تقول انه لا يمكن بدء العمل بالكفاح المسلح الا بعد ان تقوى جذور فتح شعبيا وعسكريا بشكل يكون العمل فى بدايته قويا وقادرا على الاستمرار دون اى توقف ٠

وكانت وجهة النظر الثانية تقول انه لابد من بدء العمل ولو بأقل الامكانيات ، وانه من خلال العمل تنمو الامكانيات وتقوى وتشتد الجذور . وانتصرت وجهة النظر الثانية وبدأنا العمل .

وككل عمل ثوري حقيقي في البداية واجهت فتح هجوما شديدا . وكان الهجوم في كل بلد يتشكل بصورة اتهام يلصق بفتح طبقا لظروف هذا البلد .»

وطبعا كانت الاوساط التقدمية في كل بلد تعتبر فتح رجعية الخ . . . في حين كان اتهام الاوساط الرجعية لها على اساس انها شيوعية وماركسية الخ ..

لطفي الخولي : وكانت هي في حقيقتها . . ؟

ابو اياد : هذا سر لا يعلمه الا الله . على العموم اتخذ قرار بضرورة بدء العمل .. الكفاح المسلح رغم قصور الامكانيات .. الواقع انه قبل بداية العمل العسكري ،كانت هناك مجلة بسيطة قد اصدرناها باسم « فلسطيننا » . وكانت تعبر عن افكار الشباب من غير ان تعلن صراحة عن فتح او العاصفة . وعندما كانت هذه المجلة تقول ان الشعب الفلسطيني لابد وان يبرز ككيان مستقل له ارادته وشخصيته ، كنا نواجه باتهام آخر وهو اننا اقليميون . وكان هذا الاتهام يصدر اساسا عن الاحزاب التي كان لها بعد قومي . طبعا هي الان بدأت تراجع نفسها حول هذه القضية . وكنا نرى امام كل هذه الاتهامات واتهامات اننا نازيون وفاشيون . كنا نرى ضرورة ان نجسد انفسنا امام الشعب الفلسطيني والشعب العربي عامة في عمل وطني تقدمي مسلح يكون للامة على الطريق الصحيح للتحرير . وهكذا انتصرت كما قلت لك وجهة النظر التي تنادي بالمبادرة بالعمل رغم قلة الامكانيات المتوافرة وقتذاك . وفي هذا الوقت صادف ظهور فتح بعملها العسكري بروز منظمة التحرير الفلسطينية .

لطفي الخولي : اذا سمحت لي هنا ، قبل الانتقال الى موضوع آخر ، ان نتعرف على مصادر تمويل فتح للقيام باعمالها العسكرية في البداية .. فلا شك انه مهما كانت قلة الامكانيات فلابد ان قضية التمويل كانت واردة ؟

ابو اياد : التمويل كان فلسطينيا ذاتيا .. والحقيقة انه بسبب حرصنا على السرية ، بل ومغالاتنا فيها بالبداية ، قررنا ان لا نأخذ مليما واحدا الا من الاعضاء المنتمين لفتح . ويمكن الان القول — وهذا لم يعد سرا — اننا حرصنا على العمل المهني والنشاط في المناطق العربية الغنية بالبترول مثل الخليج العربي . ويمكن هذا ايضا كان من اسباب خلق جو معين حول فتح . ولكن ذلك لم يخيفنا لان هدفنا كان هو تأمين الاعتماد الكلي على ذاتية الحركة الثورية في كل شيء وبخاصة التمويل . وكان الاعضاء يحرمون انفسهم حتى من الاشياء البسيطة التي يمكن ان يشتريها انسان يعمل في مناطق الخليج. وذلك ليوفروا اكثر ما يمكن من دخولهم ورواتبهم للحركة .. نصف الراتب على الاقل وغالبا ما كان يزيد عن النصف .

وقبل بدء العملية — ويمكن الان اذاعة هذا السر — فرضنا على اعضائنا جميعا ان يدفع كل منهم ، في صندوق خاص ، مبلغ كبير ، يستدينه بأي طريقة ، والسبب في ذلك اننا قبل بدء عمليات الكفاح المسلح اخذنا في اعتبارنا اسوأ الاحتمالات .. فشل الحركة واستشهاد عدد كبير من الرفاق فكان علينا ان نؤمن لعائلاتهم واولادهم مبلغا معينا يساعد على استمرار الحياة ، خارج اطار كل شيء . ووضعنا هذا الصندوق امانة لدى بعض الرجالات الفلسطينية الموثوقة لكي يتولوا صرفه الى العائلات لو صار شيء للعمل الفلسطيني او للحركة ، وبالاخص الشهداء .

لطفي الخولي : بدأت فتح الكفاح المسلح في اول يناير ١٩٦٥ .. أليس كذلك ؟ !

ابو اياد : نعم . . في اول يناير ٦٥ ، بعد ان انتصر قرار البدء برغم الامكانيات البسيطة.

لطفي الخولي : هل نستطيع ان نعرف شيئا عن اول عملية عسكرية لفتح ؟ وبالدقة ماذا كان هدفها .. عسكريا وسياسيا ؟

ابو اياد : اول عملية في الواقع كانت عملية اصطدام مع دورية جنود اسرائيليين . ولكن الحقيقة ان العملية التالية لها هي اول عملية ذات وزن لفتح . وكان هدفها الهجوم على خطوط التحويل .. تحويل روافد نهر الاردن . في ١٩٦٥ كان الموضوع الاساسي المطروح — كما تعرف — والذي من اجله انعقدت مؤتمرات القمة هو التحويل .. ورأينا

اننا ممكن من التحويل ان نفجر بدايات الثورة الفلسطينية .. ثورة تستمر ويكون لها تأثيرها الفعلى على الوجود الصهيونى العنصرى الاستعمارى فى بلادنا ، ونطور بالتالى القضية الجزئية وهى قضية التحويل الى القضية الكلية وهى التحرير . ويكون ذلك بضرب عمليات التحويل الاسرائيلية ذاتها بامكانياتنا البسيطة وقتذاك . وقمنا بالعملية وخلالها وقع فى الاسر اول مناضل من مناضلى العاصفة وهو الاخ محمود حجازى ، الذى عذب وحوكم ولايزال يلقى التعذيب بشجاعة فى سجنه حتى الان . وسبب وقوعه فى الاسر ان بندقيته كانت صدئه ، ولم تسعفه للاسف ».

ومن المؤسف ايضا انه فى هذه العملية سقط اول شهدائنا وهو المناضل احمد موسى ، ليس برصاص العدو ولكن برصاص عربى عند عودته بعد اتمام العملية . فقد كانت الاوامر معه ومع كل الرفاق فى المجموعات التى انطلقت لاول مرة الى الارض المحتلة ، ان لا تتعرض بأى حال وتحت اى ظروف للجنود العرب عند عودتها ، حتى ولو بادرتها باطلاق النار .. عليها ان تستشهد ولا تطلق رصاصة واحدة على جندى عربى فهو لا ذنب له وهو فى النهاية ابننا . وقد قصدنا بذلك ان لايقتل الفدائى عربيا ايا كان حتى ولو كان دفاعا عن نفسه ، وقصدنا ايضا ان يعطى العمل الفدائى فى بدايته ، وبوضوح صورة المأساة الدامية التى يعيشها شعبنا الفلسطينى ».

لطفى الخولى : وماذا كان رد الفعل الاولى لعملياتكم ؟

ابو اياد : الحقيقة شعرنا بتجاوب الجماهير الفلسطينية والعربية مع عملنا . ويمكن القول ان رد الفعل فى غالبيته كان ايجابيا اذا استثنينا بعض فئات واصوات . منها ما اتخذ موقف الهجوم المباشر كما حدث بالنسبة لبعض الصحف العربية التى قرأ فيها المناضلون وهم عائدون من عملهم البطولى اتهاما بأن عملاء حلف السنتو تحركوا فى المنطقة .

وهناك مواقف اخرى اتخذت طريقا مباشرا .. اعترفت بأن العمل جيد ومفيد ولكنها راحت تارة تعنفه لانه لم يقم بعملية تنسيق فى الدول العربية المتحررة قبل البدء ، وبعضها طالب بخطة مشتركة بين الفدائيين والبلاد العربية وقتذاك ، والبعض الثالث قال التوقيت خطأ ، والبعض الاخر قالوا انها عملية او عمليتان مغامرتان قد انتهيتا ولا مستقبل امام مثل هذا العمل . ولكن العمليات توالت وتوالت البلاغات .. البلاغ الثالث فالرابع فالخامس .. وسكتت الى حد كبير الالسنة المهاجمة او الناقدة واتسع التجاوب الشعبى . ولكن فى نفس الوقت راحت العقبات تتزايد فى وجه فتح وحركتها . فبجانب قلة السلاح وقلة التأييد من القوى المنظمة الوطنية التى كان مفروضا فيها ان تؤيد كفاحنا المسلح ».

كان الواقع العربى الرسمى فى غالبيته يحارب فتح بطرق متعددة ، فمثلا القيادة العربية الموحدة أصدرت توصيات وتعميمات وقعت وثائقها فى يدنا ، تطالب فيها الدول العربية بعدم تشجيع الفدائيين وعدم اذاعة اى عملية عسكرية لقوات العاصفة ».

لطفى الخولى : وماذا كان الهدف أو الدافع من وراء ذلك .. فى رأيك ؟

ابو اياد : اعتقد ان الهدف كان محاولة لعدم ربط الجماهير بالكفاح المسلح . بمعنى اننا ووجهنا بمؤامرة صمت فى ذلك الوقت فى معظم البلاد العربية . وذلك حتى لا تتعرف الجماهير الشعبية عليه وتتبناه ، وتعطيه كل ما عندها . وللانصاف يجب أن تذكر ان بعض الصحف العربية كانت تحاول تمرير البلاغات الاسرائيلية عن عملياتنا عندما يتعذر عليها نشر بلاغات العمليات العسكرية الصادرة عن فتح .

وطبعا لم نقف ساكتين أمام جدار الصمت .. عمدنا دائما الى اختراقه بكل السبل ، اصدرنا نشرات سرية وزعت فى كل انحاء الوطن العربى .. ورغم العدد الكبير الذى كنا نوزعه منها فلا شك أنها بالنسبة لكل المنطقة كانت محدودة .

لطفى الخولى : والى متى — فى تقديرك — استمر هذا الجدار .. جدار الصمت قائما . وكيف انهار ؟ ومتى ؟ هل بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ أو قبلها ؟

ابو اياد : الحقيقة قبل هزيمة حزيران فى عام ١٩٦٦ عندما وقع العدوان الاسرائيلى

على قرية التساع.فهبت الجماهير الاردنية بقوة رجل واحد لتعلن تأييدها الحار للعمل الفدائى والمطالبة باعطائه كامل الحرية فى الحركة والنشاط .. وعمت المظاهرات كل البلد ، وفاجأت الجميع لانها كانت تلقائية تعبر حقيقة عن ضمير الشعب وليست حسب خطة من قبل • ولم تكن القوى الوطنية والتقدمية قادرة على استيعابها أو متفقة على برنامج موحد لقطف ثمار هذه المظاهرات . ولهذا سرعان ما اجهضت وتضاعفت الاجراءات ضد العمل الفدائى ، والدعاية المضادة له عن طريق المؤتمرات الصحفية وعن طريق الاذاعات تنبه الى ان موضوع الفدائيين ليس خاصا بالاردن وحده وان الموقف منه هو موقف عربى عام وانها تنفيذ لاوامر القيادة العربية الموحدة . وطبعا كان هناك استغلال منظم لهذه القيادة على أساس أنها كانت تضم الى جانب الاردن بعض النظم التقدمية وقتذاك •

بيد ان أهم شيء فى هذا كله ، ان مؤامرة الصمت من حول العمل الفدائى قد تحطمت حتى من خلال الاجراءات المضادة .. لقد وصل عدد المعتقلين فى الاردن وقتذاك الى عدد كبير جدا • ولم يكن كل هذا العدد من فتح ، وانما كان يضم كل وطنى كانت تسلط عليه شبهة فتح وشبهة العمل الفدائى أو تأييده ويعتقل •

لطفى الخولى : وماذا بعد هزيمة يونيو ؟

ابو اياد : طبعا كما نعرف جميعا ان الهزيمة قد خلقت حالة ذهول للجماهير العربيه التى رفضت فى نفس الوقت الاستسلام • واذا كانت حرب الايام الستة على حسب التعبير الاسرائيلى قد تصور العدو أنه انهاها بانتصاره فى ١٠ يونيو • ففى اليوم التالى مباشرة •• فى ١١ يونيو بالذات ،اقتحم رجال العاصفة بالسلاح الارض المحتلة لاول مرة بعد الهزيمة • وقيمة المبادرة بالعمل فى ١١ يونيو ، هو تخطى كل مواقف اليأس والذهول الخ.وترجمة ارادة الشعب العربى عامة والفلسطينى خاصة فى عدم الاستسلام والاستمرار فى محاربة العدو دون انقطاع •

وبدأت بعدها تتوالى دوريات مقاتلينا الى الداخل • ولعلى أيضا هنا أذيع سرا وهو أن الغالبية العظمى من قادة فتح دخلوا الى الارض المحتلة ، بجانب من كان موجودا بها من قبل ، وذلك لتنظيم مقاومة الجماهير الفلسطينية •

ولم تكن العملية سهلة فى البداية •• واجهتنا صعوبات كثيرة .. مثلا فى التدريب كنا نواجه صعوبة التدريب على القتال فى ظل الاحتلال رغم السرية المطلقة التى كنا نفرضها •• فالعدو كان نشطا فى تحريك مخابراته ومراكز رصده فى الوقت الذى لم تكن مراكز رصدنا ومخابرتنا قد تكونت بصورة قادرة على المواجهة الفعالة كما هو الحال الان • ولذلك كان العدو يكتشف بين حين وآخر خلايا تدرب فى الجبال ، وكان يضربها بعنف وشدة ، ولم يكن الفدائيون قادرين على الرد الفعال فى ذلك الوقت نظرا لان الاسلحة التى كانت فى أيديهم بدائية جدا ومن مخلفات الحروب والثورات الماضية ، وطبعا وقعت حالات استشهاد خلال التدريب نتيجة لذلك •

لطفى الخولى : فى اطار عدم التعرض لاسرار عسكريه •• كيف واجهتهم مشكلة التسليح الحديث اذن ؟

ابو اياد : الحقيقة هنا تأتى النكسة ، على الرغم من مرارتها ، بشيء مفيد فى مشكلة التسليح انزلنا بعد الهزيمة دوريات خاصة الى أرض المعارك المحتلة بهدف واحد وهو جمع اكبر قدر ممكن من أسلحة الجيوش العربية التى تخلفت للاسف بكميات كبيرة • ويمكن القول بصراحة أن فتح قد أخذت من الارض العربية المحتلة بعد الهزيمة سلاحا يفوق بدرجة عظيمة جدا ما أخذته ، كما ونوعا طيلة مدة كفاحها • بل وحتى بعد اعتراف الدول العربية بالمقاومة الفلسطينية ونضالها ، وهذا كان مصدرنا الرئيسى .

لطفى الخولى : ولكن الحاجة الى السلاح للمقاومة تتجدد وتتعاظم باتساع وعمق عملياتها ، وطبعا لابد من البحث عن مصادر آخرى • ولكن يبقى باستمرار ، وفقا للتجارب التاريخية لكل حركات المقاومة ، مصدرا هاما لتسليحها وهو العدو نفسه •• ما تغنمه من اسلحة . ترى هل كان هذا فى تقديركم ؟ واذا كان الجواب بنعم فما هى تقريبا النسبة ؟

ابو اياد : ركزنا بشكل اساسى على التدريب وسلاح العدو امر اساسى لحرب العصابات وهذا كان ولايزال وسيظل دائما فى

تقديرنا ، ولكن لكى اكون واقعيا لابد من اصارحك بأننا مازلنا نعتبر كمية الاسلحة التى اخذناها من العدو ليستبالكم المطلوب، واستطيع ان احدد نسبتها فى التسليح الكلى بما لا يزيد عن ١٠ فى المائة فقط . وطبعا هذه النسبة لابد وأن تتضاعف أكثر من مرة وهذا أمر محسوب ومخطط .

لطفى الخولى : نعود — اذا سمحت — الى السياق العام للحديث .. كيف واجهتم الموقف وصعوباته وتعقيداته بعد الهزيمة مباشرة ؟

أبو اياد : ركزنا بشكل أساسى على التدريب القتالى لحرب العصابات من ناحية ، وعلى اعادة تنظيم الخلايا السابقة التى كانت فى ظل الحكم العربى ،واقصد فى الاردن ،وكذلك انشاء خلايا جديدة لمواجهة متطلبات الموقف بعد أن أصبحت فلسطين كلها تحت حكم الاحتلال الاسرائيلى . وكان الاقبال على التنظيم والالتحاق بالمقاومة فوق كل ما كان متوقعا ، وكان الحماس الهائل للشعب قد زودنا بطاقات عظيمة .

ويمكن القول الان أن هذه المرحلة من التدريب والتنظيم الخلايا قد انتهت عند ٢٩ أغسطس ١٩٦٧ بالدقة لنبدأ مرحلة جديدةهى مرحلة بدءعمليات المقاومة المنظمة والواسعة النطاق نسبيا .

لطفى الخولى : ولماذا تحديد ٢٩ اغسطس ١٩٦٧ ، بالذات ؟

ابو اياد : قبل هذا التاريخ كنا قد قطعنا شوطا كبيرا فى التدريب ، وكنا قد نظمنا شبكاتنا الرئيسية من الخلايا ، وكنا وهذا هو المهم قد انتهينا من عملية نقل أقصى ما يمكننا نقله من السلاح المتخلف فى الارض العربية المحتلة .

وهنا أود أن أوضح نقطة هامة . وهى أنه كان فى الامكان تأخير بدء المقاومة المنظمة والواسعة بضعة أسابيع بعد تاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٦٧ ،وذلك حتى نستكمل تدريب اعداد اكبر ونستكمل شبكات اوسع من الخلايا ونطور اكثر من مستوى تنظيماتها وتوعيتها ، الا أننا اضطررنا أن نبدأ المقاومة فى ذلك التاريخ بعملية فى القدس وعمليات اخرى فى طولكرم وبعض المناطق الاخرى .

لطفى الخولى : لماذا ؟

أبو اياد : الحقيقة لعدة اعتبارات هامة . اولا : لانه ليس من السليم سياسيا وعسكريا ونفسيا أن تجمد التنظيمات والمقاتلين عن العمل بعد الدرجة التى كنا قد وصلنا اليها من التدريب والتنظيم وحشد السلاح وثانيا : لان التجميد دون الحركة كان يجعلنا عرضة اكثر للمخاطر . وثالثا : لان العدو كان قد بدأ يشعر ويتشمم ببعض قواعدنا السرية .

ولذلك قررنا ان نبدأ بالضرب ، حتى لا يفاجئنا العدو بهجوم معاكس . وفعلا بدأنا واستمرت فتح وحدها فى الميدان تقاوم مقاومة مسلحة حتى ديسمبر ١٩٦٧ ، الى أن ظهر بعض الاخوان فى الجبهة الشعبية وزاملونا فى المقاومة منذ النصف الاول من يناير ١٩٦٨ ، وطبعا ، بعد ذلك استمرت العمليات ،وتوالى انشاء المنظمات الصغيرة كما تعرفون الى أن وصلنا الى الوضع الذى حدثتكم عنه فى البداية .. هذه هى النقاط الاساسية حول تكوين فتح وفكرها وعملها وذلك وفقا لما تسمح به ظروف النشر .

لطفى الخولى : اسمح لى هنا ، قبل ان ننتقل الى موضوع آخر بسؤال : كيف تم اتخاذ قرار بدء المقاومة المنظمة فى ٢٩ اغسطس ١٩٦٧ ، ومن الذى اتخذ القرار النهائى والملزم فى ذلك ؟ وبتعبير آخر ،هل اتخذ هذا القرار على اساس نظرة سياسية وتحليل شامل للموقف بجميع اعتباراته أم اتخذ على أساس نظرة عسكرية بحتة ودرءا لما قدر من هجوم معاكس من العدو ، ورغبة فى عدم تجميد الخلايا والمقاتلين المتحرقين والمتحمسين للعمل العسكرى ؟ وبالتالى من اتخذ القرار : القيادة السياسية للمنظمة أم القيادة العسكرية للمقاتلين ؟ وارجو اذا كان ممكنا الاجابة ان تشمل تحديدا اوفى للعلاقة بين العمل السياسى والعمل العسكرى فى فتح ؟

ابو اياد ، اشكرك على اتاحة الفرصة لى بهذا السؤال لتوضيح مفهوم فتح من هذه القضية الهامة . طبعا لا يخفى عليك ما ووجهت به فتح من انها تهتم فقط بالعمل العسكرى ، وأنها مجموعة من المغامرين الوطنيين — هذا قيل فعلا — لاهم لهم الا

الضرب والقتل وارهاب العدو . فحسب » وأنها حبيسة هذه الدائرة العتيقة لا تخرج منها الى الافق السياسى الشامل .

والحق مازلت عاجزا عن معرفةالاسباب التى يستند اليها أصحاب الاتهام . فهل يمكن ان يقوم فى مقاومة مسلحة أو حرب عصابات أو حركة تحريرية عمل عسكرى منفصل عن عمل سياسى ؟ على العموم نحن فى فتح نرى بوضوح أنه لا قيمة لاى عمل عسكرى اذا لم يكن فى خدمة خط سياسى وجزء من خطة سياسية شاملة . والنواة الاولى فى فتح نشأتنشأة سياسية منخلال ظروف واقع سياسىرفضته وشقت لها طريقا سياسيا آخر ، اعتقدتولاتزال تعتقد انه هو الطريق السليم والموصل الى الهدف ، ومن الخط السياسى لفتح نبت العمل العسكرى للمقاومة المسلحة كتجسيد له . فالعمل العسكرى لاحق للعمل السياسى والخط السياسى لفتح . ونحن نؤمن اننا بذلك وضعنا العمل السياسىفى موضعه الصحيح وهو انه فى حركة تحرير تنبع السياسة من فوهة البندقية ، ونحن فى فتح ، مناضلون يعملون فى الحقل السياسى ، ومناضلون فى الحقل العسكرى . وكل من الحقلين فى خدمة الاخر فى اطار الخطة الاستراتيجية العامة لفتح . ومن هنا فنحن لا نفصل ولا نفرق بين العمل السياسى ، والعمل العسكرى . ولتأكيد هذا فنحن لا نقدم الى ساحة المقاومة المسلحةأى مقاتل الا اذا جاء عن طريق التنظيم السياسى .

لطفى الخولى : معنى هذا ان كل الاخوة المقاتلين فى العاصفة ، مروا أولا بعضوية التنظيم السياسى لفتح وارتبطوا به ، والتنظيم هو الذى قدمهم للعمل العسكرى ؟

ابو اياد : هذا هو الاساس ، وهو المطبق تماما الان . ولكن حتى اكون أمينا معك ، حدث استثناء من هذه القاعدة الاساسية ولظروف موضوعية وعلى اساس تقدير سياسى . ولست اكتمك انه رغم اضطرارنا الى هذا الاستثناء فقد سبب لنا بعض المشاكل ، لا يتيح لى الظروف الان عرضها ومناقشتها . ولكنها عمقت من ايماننا بضرورة الالتزام بالقاعدة الاساسية ، وهى : أن مناضل فتح سياسى اولا ومقاتل ثانيا . والاستثناء أنه فى الفترة الاولى الصعبة التى أعقبت الهزيمة اضطررنا الى قبول متطوعين للقتال مباشرةدون المرور بعضوية التنظيم السياسىلفتح . ولكن سرعان ماعدنا الى تطبيق القاعدة الاساسية بعد معركة الكرامة بشهرين تقريبا . والان لا يقبل أى مقاتل مباشر ، وانما عن طريق التنظيم السياسى . وهذا يوضح لك ان التنظيم السياسى والعقل السياسى هو القائد .

لطفى الخولى : سؤال للايضاح اكثر .. عند التفكير فى القيام بعملية ما مثلا قد يكون هناك فكرة لدى الوحدة المقاتلة .. هل تستطيع قيادتها العسكرية القيام بهامباشرة ام أنها تناقش سياسيا اولا بجانب الاعتبارات العسكرية ، والقرار فى النهاية تأخذه القيادة السياسية ؟

ابو اياد : لعله يكون من المفيد ان ارد على هذا السؤالبأناضربلك مثلا واقعيا محددا ، كان حتى الان سرا ولكن لا ضرر الان من اذاعته . عندما قررنا انه قد آن الاوان لبدء المقاومة المسلحة المنظمة والواسعة النطاق .. ماذا حدث ؟ كان اخواننا فى الداخل والكثرة منهم من العسكريين والسياسيين قد طلبوا أن تبدأ المقاومة فى ٢٠ اغسطس ١٩٦٧ ، وفى الخارج كان هناك رأى آخر . ماذا فعلنا ؟ استدعينا القيادة السياسية كلها بما فيهم من كان فى الداخل مثل الاخ ابو عماد وذلك خصيصا لمناقشة الامر سياسيا وعسكريا بدقة تراعى جميع الظروف والاعتبارات .. وطلبنا من الداخلتأجيل بدء العمليات فى ٢٠ اغسطس حتى تنتهى مناقشة القيادة الى قرار . وبالفعل لم تبدأ العمليات فى ٢٠ أغسطس وتمت المناقشة وانتهت بنضوج الموقف للقيام ببدء المقاومة المسلحة ، واستلزم ذلك ٩ ايام كاملة . ولهذا لم تبدأ المقاومة الا فى ٢٩ أغسطس . وهذا يؤكد أننا لا نندفع الى عمل عسكرى الا فى ضوء خط سياسى شامل . ذلك أن ضربات المقاومة وان كانت بطبيعتها عسكرية ، الا انها فى نفس الوقت ضربات سياسية لها اهدافسياسيه مقصودة . واذا كانت مجرد عمليات عسكرية بحتة فانها تصبح عملا غوغائيا .. عمل مغامرين . ويمكن هذه الانطباعات الغير صحيحة ، والتى تبددت والحمد لله بحكم ما أثبته الواقع ، قد جاءت نتيجة أننا فى مواجهة الظروف السياسية التى كانت قائمة ركزنا على أن اسلوبنا الاساسى للنضال هو الكفاح المسلح . طيب ، هل تستغرب اذا قلت لك انه

لا يوجد فى فتح عسكرى أو قائد عسكرى محترف . لا يوجد مقاتل فى فتح فى أى مستوى ، الا وكان اصله طالب جامعى او مهندس او مثقف وطنى او عامل . ليس لدينا أى عسكريين تقليديين . وكان هذا من ناحية يعتبر عند البعض نقصا نعاب عليه . يعنى مثلا اول خلافاتنا مع بعض الاخوة فى جيش التحرير التابع للمنظمة كانت حول هذه النقطة بالذات • كانوا يقولون لنا : أين الضباط ؟ اين الملازمون ؟ اين النقباء ؟ اين الصاغات ؟ الخ •• وكنا نقول لهم أننا نخوض حرب تحرير ،وفيها المقاتلون والقادة يتعلمون الحرب من الحرب نفسها ، وبذلك يصبحون جيشا وقيادة ، قوة حقيقية وفعالة فى ممارسة وقيادة الكفاح المسلح على المدى الطويل ووفقا لخطة ، ليس لدينا قائد عسكرى تعلم فى كلية عسكرية . كل القادة تدربوا خلال المعركة وتعلموا فن الحرب من خلال الحرب مع العدو ومن خلال المعاناة والممارسة اليومية •

وفى القيادة العامة لفتح•• لجنتها المركزية ، طبعا هناك نوع من توزيع المسئوليات والتخصص •• هناك زملاء لهم مهمات سياسية وزملاء آخرون لهم مهمات عسكرية • ولكن الجميع يكونون وحدة متكاملة • وعندما بدأنا العمل فى ١٩٦٥ اصدرنا بيانا سياسيا ، وبعد ١٩٦٧ انزلنا بيانا سياسيا .

وبالمناسبة أريد هنا أن أوضح نقطة ربما هذه هى فرصتها الاولى للاعلان • وهو أنه ليس لدينا شىء اسمه الجناح العسكرى لفتح كما تذكر الصحف والاذاعات •

لطفى الخولى : كيف ؟ وماذا اذن عن العاصفة ؟

ابو اياد : هنا النقطة بالضبط . كيف جاءت كلمة العاصفة ؟ الشيء الاساسى والوحيد عندنا هو « فتح » ، ولكن حدث عندما بدأنا العمليات العسكرية فى يناير ١٩٦٥ كما قلت لك ان الغالبية فى مؤتمرنا الذى عقدناه لهذا الغرض انتصر للرأى القائل بضرورة البدء رغم نقص الامكانيات ، وانها لن تزيد وتتضاعف الا من خلال العمل • وكانت هناك معارضة من الاقلية لهذا الرأى • فلما لم يؤخذ برأيها تقدمت بطلب ان يتم العمل فى البداية تحت اسم آخر غير اسم فتح ، حتى اذا فشلت العمليات الاولى لم يؤثر ذلك على استمرار فتح واستكمال استعداداتها لمعاودة العمل من جديد • وهكذا استخدمنا اسم « العاصفة » لنتم العمليات الاولى تحت لوائه دون اعلان عن فتح • ولم نعلن عن فتح وأنها هى العاصفة الا بعد عاشر بلاغ عسكرى تقريبا ونجاح العمليات • وبعد ذلك ظلنا يستمر اسم العاصفة لانه اصبح اسما تاريخيا ، ولكنه فى حقيقته ليس الا اسما مترادفا للاسم الاصلى لحركتنا وهى فتح •

لطفى الخولى : لا ادرى اذا كان يدخل فى اطار السرية أو العلانية اليوم معرفة البناء التنظيمى لفتح ؟ على العموم أنت الذى تقدر ذلك ؟ وما يهمنى من الامر هو نوعية العلاقات التى تحكم العمل بين المناضلين على مختلف المستويات من القاعدة للقمة فى فتح ؟

ابو اياد : البناء التنظيمى لفتح هو سر فعلا • ولكن الشيء الذى أطمئنك عليه عن نوعية العلاقات ، انها بعد ظروف النشأة السرية المعقدة وبعدالانفتاح الكبير للتنظيم ، تحولت من المركزية الشديدة الى نوع من الديموقراطية الثوريةتحكمها قواعد تنظيمية محددة يلتزم بها الجميع من القاعدة الى القمة دون تميز .

لطفى الخولى : طيب هناك نقطة اخرى . لاحظت من خلال اتصالاتى بكم أنكم جميعا حريصون على تاكيد الطابع الجماعى لقيادة فتح . وجاءقراركمبعدذلك بتعيين الاخ ابو عمار ناطقا رسميا باسم فتح . ماالفكرة الرئيسية وراء هذا القراروماهى انعكاساته على مبدأ القيادة الجماعية لفتح وتطبيقاته ؟

ابو اياد : كما تفضلت ، فان القيادة الجماعية لفتح ، مبدأ أساسى وجوهرى • وهو لم نصل اليه نتيجة الافتتان الشكلى بالمصطلحاتالثورية ، وانما نتيجة ماعنيناه وعاناه شبابنا الذين دخلوا تجارب حزينة سابقة ، وكيفأن الفرديةكانت أحد اسباب الفشل أو التعثر الخ . • ومن هنا كان رد فعلنا عميقا ضد الفردية بكل أشكالها وايثارنا الموضوعىوالذاتى الذى تربينا عليه هو الجماعية ، وجماعية القيادة على الخصوص • ولعل هذه الجماعية هى أحد الاسباب التى من أجلها ظلت فتح متماسكة

ومتلاحمة تنظيميا وعملا . وفتح انشئت كحركة سرية وبالتالى كان كل قادتها غير معروفين علانية .. اسماؤهم ظلت سرية ، ولولا الاتصال الشخصى الذى كان لا مفر منه للعمل والنشاط لما عرف اسم واحد منهم ، واضطررنا بالتالى أن نبرز الى دائرة الضوء العلنى بعض الاسماء . ولكن يظل هناك أسماء مجهولةمن قيادتنا الجماعية قد يكونون افضل واطهر منا نحن الذين اعلنت أسماؤنا بحكم متطلبات العمل ، ومع اتساع العمل ومع ثبوت وجوده وتحمله للمسئوليات كان لابدمن أنبرز للجماهير شخص رسمى مسئول يكون مرجعا . خاصة واننا لاحظنا أنه بدأت تظهر فى بيروت منشورات وبيانات باسم فتح وهى لا علاقة لها بفتح ولاتعبر عن رأينا . من الذى يستطيع أن يقف علانية أمام الجماهير ويعلن باسم فتح أن هذا لفتح وذلك ليس لفتح ؟ لم يكن هناك أحد . كذلك بدأت الاذاعة والصحف الاسرائيلية تركز على اسم الاخ ابو عمار باعتباره أحد قلدة فتح الذين كانوا فى الداخل . وهو فى نفس الوقت مناضل قيادى يتحمل مسئوليات سياسية ومسئوليات عسكرية معا . فقررنا فى اجتماع للقيادة اختياره ناطقا رسميا باسم فتح . ولم يكن هو موجودا فى الاجتماع وسمعبالقرار كما سمع به الغير . ويمكن هناك سبب خاص لاختياره بجانب أسباب أخرى تتعلق بصلابته النضالية ، أنه أقلنا كلاما وعزوفا عن الحديث وان كانت الصحف حاولتأن تستدرجه ،ولكنهاستطاع ان يتخلص تماما الا عندما يقتضى الامر فعلا الكلام وتوضيح موقف فتح . وكان هناك بالفعل فكرة فى اجتماع القيادة اعلان ثلاثة من الزملاءناطقين رسميين باسم فتح ، ولكن لم يقبل احد منهم . ولما كان الاخ أبو عمار كان هو الغائبالوحيد عن الاجتماع فقد وقع عليه القرار وأعلن ولم يجد مفرا من الالتزام به . والحقيقة أن المناضل فى أى حركة تحرير يفضل السرية وعدم الاعلان ، الا اذا اقتضت ذلك ضرورات الحركة التى لا مفر منها . وأنت تعرف مدى الصعوبة التى لاقيناها فى ترشيح زملاء لنا من القيادة فى اللجنة التنفيذية لمنظمة تحرير فلسطين فى تكوينها الجديد ، لان فى ذلك اعلان لاسمائهم ، ومن هنا فلا علاقة بين تسمية الاخ أبو عمار ناطقا رسميا باسم حركتنا وبين جماعيةالقيادة وانما كان ذلك استجابة لضرورات ملحة .

لطفى الخولى : اوضحت فى حديثك ان العمل العسكرى خاضع للخطوط السياسية لفتح وفى خدمتها ، فهل لنا أن نعرف السمات الرئيسية لهذه الخطوط ؟

ابو اياد : الحديث عن الخطوط السياسية للفتح لانستطيع أن نعزلها عن الظروف الموضوعية التى نشأت فيها فتح، وكذلكالتى تعمل من خلالها .. بوجه عام ، هى حركة تحرير وطنى تعمل على حشد طاقات الشعب الفلسطينى من خلال كفاحه المسلح لتحرير الارض الفلسطينية كلها من الاستيطان الاستعمارى الصهيونى . ولما نقول فتح حركة تحرير وطنى ، قد أعلنت ذلك منذ البداية ، وان كان بصوت لم يكن مسموعا.فمعنى هذاانهاتعتبر نفسهاجزءامن الثورة العربية الشاملة التى بدأت معالمها تظهر فى بعض أجزاء من الوطن العربى . كما أنها تعتبرنفسهاجزءا من حركة التحرر العالمى ضد الامبريالية ، ورغم أن ممارستها الفعلية والوجدانية ، لهذا الخط السياسى الواضح انحصرت فى أرض فلسطين . وذلك لاسباب وظروف موضوعية لا تخفى عن المواطن العربى . يعيبون على فتح ، ولعل هذا يوضح الخط السياسى بطريق غير مباشر ، انها تقول بتحرير الارض فقط . ولا تتعرض للانسان وللمجتمع ولكنا نقول ان هذا هراء . تحرير الارض لا يمكن أن يصل بنا الا الى تحرير الانسان . ولا يمكن لثورة ترفع شعار التحرير وتمارس أسلوب الكفاحالمسلح ، الا أن تكون بالضرورة ثورة تقدمية . لم نسمع فى تاريخ العالم عن يمين رفع السلاح فى وجه الاستعمار . وبالتالى ان كانت فتح رضيت وقبلت فى مرحلة التكوين أن تجمع كل الشباب الفلسطينى الذى غرق فى الدوامة وانتسب الى أحزاب متعددة تعبيرا عن شعوره بالالم الذى يعانيه كفلسطينى لاجىء . فانها قد فتحت الباب - دون اية عقد - لهؤلاء الشباب جميعا ان يعيدوا النظرفيما مارسوه منعملسياسىغير منتج ، ليمارسوا عملا سياسيا منتجا وفعالا ومسلحا بالقوة . فتحت فتح الباب لكل هذا الشبابالذىآمن بنظريات وبأفكارقد تكون تتصل بهذه الجهة أو تلك ، لتجمعهم فى اطار الكفاحالمسلح، والكفاحالمسلح يطهرالنفوس ويلغى الحساسيات ويجعلها تسير فى خط ثورى تقدمى حقيقى . فتح اهتمت اذن من البداية بتجميع هؤلاء الناس من اقصىاليمين كما قلت الى أقصى اليسار ، ومن خلال التفاعل فى بوتقة الثورة ومن خلال الكفاح

المسلح لا يمكن الا أن يبتنى ويبرز الشباب الثورى الحقيقى •

لطفى الخـــولى : ومـــاذا كان شرط انتمـــائهم لفتـــــح على اختلاف انتمـــاءاتهم الفكرية والحزبية ؟

ابو اياد : ان ينســـلخوا انســـلاخا واعيا ليس عن أفكارهم فى البداية ، وانما عــن انتماءاتهم الحزبيـــة ، ان يؤمن الشـــــاب الفلسطينى بـــالتحرير ويـــؤمن بـــالكفاح المسلح . هذا كان شرطا أساسيا . وهنا لابد أن نفرق بين الاستراتيجية والتكتيـــك • ففتح ، فى كل ما أعلنته وما تعلنه ، قد يكون مندرجا تحت باب ما تطلبه المراحل المباشرة للتحـــرير الوطنى ، اكثر منه الاستراتيجية البعيدة المدى • مثلا موضوع عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية الذى أعلنته فتح والزمتنفسها به • هذا الموضوع اخذعلي فتحانه شـعار يمينى ، ولكنياقول ان هذا الشعار هو شعار سليم موضوعيا ؛ انه يفرض على سلوكفتح انلاتهـتمبمن يكون رئيس وزراء لهذا البلد أو ذاك • ولكنه فى الواقع هناك تداخل بين العمل الفلسطينى والعمل العربى ولذلك قلنادائما اننا جزء من الثورة العربية . هذا التداخل من اين أتى• الواقع أننا نؤمن أن كل شعارات الامـة العربية التقدمية التى رفعتها لا يمكن ان تتحقق الا من خلال معركة فلسطيـــن وتحريرها . وحتى الاشتراكية والوحدة لا يمكن أن تتم الا منخلالمعركةحقيقيةلتحرير فلسطين لان كل انتاج الامة العربية موجه بالضرورة الى المعركة • وذلك بغض النظر عن ان هذا الانتاج كانت له ثمرة او غير مثمر بعد. المهم انه يجبان يتوجه الى المعركة ، فكيف يمكن أن نبنى حياة اجتماعية متقدمة فى بلادنا ونحن نوجه كل ما لدينا من مال ومن وسائل انتاج الى الالة الحـــديدية المسلحة ضد العدو المستوطن المعتدى. فمن هنا هذا الشعار تجده شعارا فى واقعه هو عدم التدخل فى الشئون الداخلية للبلاد العربية ، ولكنه لايعنى عدم التداخل بين البلاد العربية وفلسطين • وهو بـــالتالى يساهم فى انضاج الظروف المـــوضوعية لحركة التحرير الفلسطينية بكل جماع القوة العربية دون خلافـــات فرعيـــة• وفى نفس الوقت يخلق المناخ الثورى حول الحدود العربية مع العدو وعند الشعب العـــربى القريب من هذه الحدود بالذات . ثم نفس التماس قد ينتقـــل الى الارض العـــربية البعيدة حتى عن الحدود ليخلق مناخا ثوريا لكل الشعب العربى الذى يناضل من خلاله مع الشعب الفلسطينى • وبالتالى تتحقق كل آمال الامة العربية وأفكارها التقدمية عن طــــريق معــــركة حقيقيـــــة داخــلُ فلســــطين بالذات . واذا كان ولابد ان أضرب أمثلة ، ممكن أخذ الاردن ممكن أخذ لبنان تستطيع كل القوى الوطنية والتقدمية علىاختلاف آرائها ان تتحرك . ومثلامايطرح البعض الان من أن البورجوازية الصغيرة سقطت ولا يحق لها أن تكافح • فتح الواقع تجاوزت هذه الامور نتيجة خبراتها • قالت لامن حق كل فلسطينى أن يساهم ايما كانْ وضعه فى المعركة . لكنْ قيـــادة العمـــل الفلسطينى يجب أن تكون فى أيدى وطنية نظيفة ، لا يمكن أن تبيع أو تساوم أو تحول هذا العمل لمصلحة أى قوى رجعية • هذا الاساس ان قيادة العمل اما ان تقصرالعملُ على طبقة معينةفهذا ليس من حق أحد فضلا عـــن أنه يضـــعف حـــركة التحـــرير ، فيــــه طبقـــــات الان او فئـــــات من الطبقات لم تكن معروفة أيـام كارل ماركس • هل بحثماركس طبقة اسمها طبقة النـــازحين التى ظهـــرت فى الشــــعب الفلسطينى • النازح كان عامل يشتغل فى وطنه لكنه لا يشتغل عاملا • فيه نازح فلاح الان لا يعمل بالفلاحة • كيف نقيم هـذا وذاك • ففيه اذن فى الواقع طبقة النازحين تفرض نفسها علينا ولا ينفع فى تحديدهـــا القواعد التقليدية حتى ولو كانت ثورية فى ظروفها ومنبتها • وهذا هو ما نتصدى له دون عقد أو خشية •

يمكن هناك منيأخذعلىفتحانهالمتسلكخط ماركسى لينينى ، اوشيئامنهذاالقبيل حتى توصف بأنها تقدمية • وانا اقول أن هؤلاء الذين يطرحون حاليا هذا الخط ، لو سألنا

عن خلفياتهم وممارساتهم السابقة نجدها كلها خلفيات وممارسات بعيدة عن الماركسية اللينينية • وفتح التي لم تعلن أنها ماركسية لينينية هي أول من مارس الكفاح المسلح ، وهي أول من شرع في تقديم الشهداء ، وهي أول من فتح الطريق الطويل لهذه المعركة • ثم بعد ذلك القول وحده لا يفيد •• الممارسة

هي المحك • ونحن نقول أن فيه ممارسات كثيرة لفتح لها علاقة بالفكر التقدمي أكثر من غيرها ممن يعلن هذا الفكر . المهم في أي حركة ثورية ليس مجرد الاعلان عن نظرية بل الممارسة الفعلية ، والنظرية وحدها لا قيمة لها الا اذا مورست فعلا •

لطفي الخولي : هذا يجرنا للحديث عن البنية الاجتماعية لفتح ، واذا اردت ان اوضح اكثر ، اقول انه من الواضح في بداية تكوين فتح كان الطابع الغالب على بنيتها الاجتماعية هو طابع المثقفين ، بمعنى ان معظم اعضائها وقياداتها كانوا من المثقفين الفلسطينيين .والسؤال الان هل لايزال ،بعد التطور والتوسع الكبيرين اللذين اصابا فتح ، الطابع الغالب ايضا هو طابع المثقفين ام انه قد دخلت الى فتح فئات اجتماعية اخرى بعد يونيو ١٩٦٧ ، مثل العمال والفلاحين والحرفيين الخ • • وغيرت من هذا الطابع ؟

ابو اياد : هذا كله يتصل اتصالا وثيقا وعضويا بالشعار الرئيسي الذي رفعته فتح ولاتزال وهو التحرير الوطني . وشعار التحرير الوطني بالضرورة والواقع شعار عريض يقبل تحت لوائه كل القوى والفئات والطبقات الوطنية المؤمنة بالتحرر الوطني • ومع هذا فلا يستطيع المرء واقعيا ان ينكر حقيقة واضحة وهي ان الطبقات والفئات الغالبة في الكفاح المسلح اليوم هي العمال والفلاحون والمثقفون الثوريون دون ماتمييز .

لطفي الخولي : هل تعني فتح في تكوين اعضائها نضاليا ، بالتكوين السياسي مع التكوين العسكري القتالي • وبالتالي هل تتاح الفرصة وانتم في غمرة النضال المسلح الى تربية كوادر سياسة عسكرية في مدارس تنظيمية خاصة للكادر •• وكيف يتم ذلك اذا وجدت مثل هذه المدارس ؟

ابو اياد : طبعا تربية الكوادر سياسيا وعسكريا قضية اساسية في فتح • وبدون هذا لم تكن لتستطيع ان تستمر وتنمو وتتدعم . ويتم ذلك في حدود مرحلة الكفاح الوطني التحريري التي نحن بصددها • وفي هذا السبيل فان فكر كوادرنا ينفتح على الواقع الفلسطيني ومشاكله واهدافه بالاضافة الى الواقع العربي والواقع الدولي • وكذلك نحن نهتم اهتماما مركزا بواقع العدو • لان معرفة العدو الدقيقة من جميع النواحي ، سياساته واقتصادياته واحزابه وفكرياته واسلوب حياته وقواه المسلحة الخ .. أمر اساسي لكل مناضل في فتح ، وايضا في مجال تربية كوادرنا نحن ننفتح بلا عقد على التجارب العالمية للتحرر الوطني ، مؤمنين بضرورة الاستفادة من خبراتها ولكن مؤمنين في نفس الوقت بضرورة انه لابد لكي ننجح فعليا ، ان نستنبط من ظروفنا وواقعنا خبرة قومية تغني ايضا الخبرة العالمية . ونحن ندرس تجارب العالم وقد طبعناها في كتيبات توزع تنظيميا وبشكل دوري على كوادرنا ويتم حولها في فترات منتظمة نقاش واسع• بالنسبة لمدارس الكادر ، لدينا مدارس كادر • ولكن الحقيقة اصارحك اننا حتى الان غير راضين عنها ، وندرس الان امكانيات تطويرها وتدعيمها • والحقيقة ايضا ان بعضها قد توقف بسبب خارج عن ارادتنا وذلك خلال مرحلة نقل العمل وقياداته من الشام الى الاردن الى الاغوار •

لطفي الخولي : الحقيقة عمليات الانتقال المكانية هذه التي تحدثت عنها ، بتذكرني ببعض آراء قيلت عن المقاومة الفلسطينية ـ انا شخصيا لا اتفق معها ـ ولكني اعرضها عليك لاعرف رايكم فيها . ملخص هذه الاراء ان المقاومة ، او حرب العصابات او الثورة التحريرية يجب ان تكون من الداخل نابعة من الارض المحتلة ، وحسب هذه الاراء فان المقاومة

الفلسطينية تقع من خارج الارض المحتلة . طبعا هذه الاراء تقليدية ولا تأخذ في اعتبارها طبيعة ظروف الحركة الفلسطينية .. على العموم لا اريد هنا ان اذكر لك رأيي تفصيلا ، ولكني احب ان اتعرف على رأيكم انتم وايضا على مدى وامكانية تعبئة كل قوى الشعب الفلسطيني داخل وخارج الارض المحتلة ؟

اياد : الحقيقة اعتقد ان هذه الاراء تخلط بين امرين : فهناك اولا فرق بين ان تكون القيادات التى تقود العمل التحريري المسلح والحقيقة بعض هذه القيادات فقط .. في الخارج وبين ان تكون الثورة جماهيريا وادارة نابعة من الداخل فعلا .

وهذا امر معروف تاريخيا فى كل ثورات التحرير الوطنية وشيء طبيعي تماما .

وبالنسبة لعملنا او لثورتنا ، فالشعب الفلسطيني – موضوعيا – يمارس ثورة ذات ظروف موضوعية مختلفة ومتميزة عن كل ثورات العالم . لماذا ؟ .. لان الشعب ، كما هو واضح ، مشتت اجتماعيا .. مشتت سياسيا .. مشتت جغرافيا . وهذا بالضرورة يفرض اساليب واشكالا مستحدثة وجديدة فى النضال . ومع ذلك فنحن – فى الاطار العام – لسنا بدعة بين ثورات العالم .دعنا نرى مثلا ثورة يوغوسلافيا .في هذه الثورة ، كانت هناك اراض واسعة ومناطق محصنة جغرافيا وهى منطقة الجبل الاسود على ما اذكر حيث كانت قيادات الثورة بزعامة تيتو نفسه فيها اى داخل يوغوسلافيا ذاتها . هذا مثل .. ولكن هناك مثل آخر وهو الثورة الجزائرية ، فاننا نرى ان اغلب قياداتها كانت فى الخارج رغم طبيعة الارض الواسعة والمحصنة جغرافيا ، ورغم ان الشعب الجزائرى كله كان فى الداخل ، ومع ذلك لم يمنع هذا الثورة من الاستمرار والانتصار فى النهاية .

فى ثورتنا الفلسطينية نحن فى الداخل والخارج معا . وهذا طبيعي . وفى الداخل نحن في بلدنا المحتل ، لاننا لانعترف بالكيان الصهيوني الاسرائيلي . وبالتالي فثورتنا فى وضع طبيعي تماما ، ولا يمكن فى تشبيهها – كما يحدث فى بعض صحف الغرب – بالمقاومة الفرنسية ضد النازى التى كانت تقاد من لندن . فالجزء الخارجي من قيادتنا لا يفصل بينه وبين الارض المحتلة سوى بضعة امتار محدودة .

والاستعمار الاستيطانى الصهيوني فى بلادنا طرد مجموعة من شعبنا من جزء من الارض . وبحكم هذا الطرد ، فلابد ان الجزء الاخر الذى لم يطرد ،وبقى محافظ على ارضه ان ينطلق للمقاومة . ثم من اين تنطلق ثورتنا ؟ ، تنطلق من الضفة الغربية وقطاع غزة .. وهما جزء من فلسطين . نحن لا نعترف بارض اسمها اسرائيل ، وحركة الثورة لازم تكون فيها لاننا بعتبرها فى مجملها فلسطين ، فهى مع مجموع الارض العربية المحيطة بفلسطين ، تشكل كلها فى وحدة واحدة ارض الثورة الفلسطينية . وقواعدنا فى هذه الارض كلها . ومنها الكثير فى الداخل المحتل . ولولا هذه القواعد لما استطعنا ان نقوم فى يوم من الايام بأى عمل عسكرى ، وبدون هذا تصير ثورتنا منعزلة كالغريب تماما . فالاساس هو: قواعد الداخل ، والخارج ، عبارة عن امداد مستمر للثورة بحكم وضع شعبنا الذى تحدثت عنه من قبل .

لطفى الخولى : بهذه المناسبة الا ترى انه حدث اهمال مستمر للعرب داخل اسرائيل وعدم تقدير لظروفهم الصعبة ؟

ابو اياد : الحقيقة لا استطيع ان اقول ان هناك اهمال او عدم تقدير.والدليل على ذلك هو تقديرنا جميعا بان اعظم واروع شعرنا العربي المعاصر هو شعر الاخوة فى الارض المحتلة مثل سميح القاسم ومحمود درويش وتوفيق زياد وغيرهم .. كلهم اغنى الثورة العربية عامة والثورة الفلسطينية خاصة بالكلمة الانسانية الشريفة الطيبة . وهى زاد الثوار فى مسيرتهم ونضالهم .

وفى نفس الوقت نحن نقدر تماما ظروفهم ولا نحاول بطريق مباشر او غير مباشر ان نحرجهم ، او نعطى للقوة الصهيونية النازية اسبابا لزيادة التنكيل بهم الذى يواجهونه بشجاعة · ونحن لانطلب منهم حمل السلاح وليس مطلوبا منهم حمل السلاح ·

وفى نفس الوقت نحن نقدر تقديرا عميقا ما عرفنا به وعرف به العالم كله من مظاهرات الفلسطينيين والفلسطينيات فى الناصرة والقرى المحيطة بها فى منطقة الجليل اخيرا ، فهذا يؤكد التصاقهم بالارض والوطن رغم كل العذاب والارهاب والاعتقال والسجن والتشريد وتحديد الاقامة الجبرية ومصادرة لقمة العيش الخ·· كل هذه الاجراءات التى تعلمتها الصهيونية عن النازية ·

ولهذا فنحن لانعمل على تنظيمهم تنظيميا فتحويا ، لاننا نعلم كما قلت لك شراسة الصهيونية المسيطرة فى معاملتها لهم ·

لطفى الخولى : طيب ، وبالنسبة للشعب الفلسطينى فى الارض المحتلة بعد ١٩٦٧ ؟

ابو اياد : لست فى حاجة هنا الى ان اقول اكثر من ان التعبئة قائمة وفعالة · وليس ادل على ذلك من هذه المظاهرات اليومية والاشكال المختلفة والمتعددة من المقاومة السلبية للاحتلال · وهنا لابد ان نذكر بتقدير عال دور المرأة الفلسطينية التى بلغت فى نضالها حد المقاومة بالسلاح · والسجون الاسرائيلية النازية تمتلىء بالالاف من ابناء وبنات شعبنا الذين يرفضون الاحتلال ويقاومونه بكل وسيلة ويتحملون ابشع انواع التعذيب النفسى والبدنى · وبمناسبة السجون احكى لك هنا حادثة وقعت منذ اكثر من شهرين فى سجن نابلس · فتحت ضغط الرأى العام العالمى سمحت اسرائيل لبعثة من الصليب الاحمر لزيارة الاخوات المعتقلات فى سجن نابلس ، واذا بهن جميعا يستقبلن البعثة بنشيد « بلادى يابلادى » فتح الثورة على الاعادى » ، ولم يفلح حراس السجن فى ايقافهن ، واستمرت الاخوات فى النشيد بتحدى الهب السجن كله على بكرة أبيه حين تجاوب الرفاق المساجين فى ترديد النشيد ، وانطلق عن ذلك كله صوت كالرعد تردد فى المناطق المجاورة للسجن · ولم يستطع مندوبو الصليب الاحمر ، امام شجاعة بنات وابناء فلسطين ، ان يخفوا تأثرهم الشديد ،

والواقع ان من اهم نتائج الثورة الفلسطينية المسلحة المعاصرة هو بروز المرأة الفلسطينية ودورها كمناضلة مساوية للرجل الفلسطينى تماما فى العمل والتضحيات ، حملا ونقلا وقتالا بالسلاح · والمهم فى هذا كله ان المرأة الفلسطينية من خلال الثورة قد تخطت كل التقاليد التى تربينا عليها فى فلسطين القديمة · ولم يعد يهمها اى شىء فى سبيل تحرير وطنها ، الاستشهاد والسجن والتعذيب · ولهذا لم تفلح المخابرات الاسرائيلية ، التى اعتمدت فى دعايتها النفسية ضد تقدم المرأة الفلسطينية للنضال على التقاليد القديمة ، لانه تم بالفعل انتصار الشعب الفلسطينى نساء ورجالا عليها ، روج العدو اتهامات الاعتداء على العرض الخ · ولكنه لم يستطع ان يوقف زحف المرأة الفلسطينية الى الثورة وحملها للسلاح فى وجهه ·

لطفى الخولى : هذا طبيعى ، ففى خلال المقاومة الوطنية المسلحه تتحقق دائما المساواة الحقيقية بين المرأة والرجل خلال النضال ومقاومة العدو · حدث هذا فى كل البلاد المستعمرة او المحتلة ،والتى كانت على درجة من التخلف فى العلاقات الاجتماعية وتفجرت ثوراتها التحررية المسلحة ، وذلك مثل الجزائر والمناطق المتخلفة من يوغوسلافيا والمناطق الجنوبية المتخلفة فى ايطاليا ·· والان فلسطين ·

ابو اياد : هذا صحيح ·

لطفى الخولى : ننتقل اذا سمحت ، بالحوار الى نقطة اخرى · من قراءة بيانات ووثائق فتح والمناقشة مع قيادتها مثلك ومثل الاخ ابو عمار ، والاخوان الاخرين الذين لاداعى لذكر اسمائهم ، يتضح ان فتح تحرص على التمييز الدقيق بين اليهودية والصهيونية وانها فى الوقت الذى تحارب الصهيونية لاتضمر اى عداء لليهودية كبشر وكدين ·· مامعنى ذلك عمليا ؟

ابو اياد : معنى ذلك ان الثورة الفلسطينية ثورة ضد العنصرية والفاشية والاستعمار وبالتالى فهى متطهرة تماما من العنصرية والفاشية والاستعمار · ومن هنا فهى لا تعمل ، ولا تحمل السلاح ضد اليهود ، كبشر وكناس ، وكجزء يجب أن لا يتجزأ من المجموعة البشرية للانسانية · وانما هى ضد الحركة الصهيونية الفاشية العنصرية التى

تمارس احتلالا استيطانيا لوطن الشعب الفلسطيني . وبالتالي فهي حركة استعمارية متصلة اتصالا وثيقا بالامبريالية . هذه الحركة بمفاهيمها وكياناتها هي التي تستقطب عداءنا ، ونواجهها حتى آخر رمق بالسلاح .

ولهذه الحركة خطين اساسيين في استراتيجيتها :

الاول هو استغلال مواقع لافراد ومجموعات من اليهود في اوروبا على يد النازية ، وذلك لتغذية عقدة الاضطهاد في نفسية اليهود حتى توقعهم في حبائلها . وتحت فعل هذه العقدة وبفعل اسباب اخرى ليس هنا موضوع عرضها تدفعهم الى منظمات الحركة والهجرة الى فلسطين مفجرة فيهم روح الانتقام الشريرة .

والخط الثاني ان استيعاب اليهود في فلسطين لايمكن ان يتم الا عن طريق التوسع ، ليس فقط على حساب فلسطين بل على حساب كل الدول العربية المجاورة لفلسطين .

هذان الخطان للحركة الصهيونية يتفاعلان دائما مع احدهما الاخر . واكبر دليل على هذا اننا نلاحظ عندما تتعثر او تقل الهجرة في سنة من السنوات تلجأ الصهيونية ومنظماتها الى انشاء جمعيات سرية من اعضائها الارهابيين تحت شعار النازية وهي الصليب المعكوف ، لتبدا حملة لاضطهاد اليهود انفسهم ، وبث الذعر وتعميق عقدة الاضطهاد لديهم فيقوموا بالهجرة . وفي بعض الاحيان امكن كشف حقيقة هذه الجمعيات ، واتصالها العضوي بالحركة الصهيونية وذلك مثل ماحدث في البرازيل وفي مناطق اخرى من العالم تفجر فيه بشكل ملحوظ حركات معادية للسامية . من هنا نقول ونتصرف على اساس وعي عميق بالتمييز بين اليهودية وبين الصهيونية . ونحن في ذلك امناء لتراثنا التاريخي الطويل .. تراثنا وتاريخنا العربي . فحتى في احلك العصور كنا نعيش نحن العرب مع اليهود في وفاق وبمساواة ودون تعصب من اي نوع . ولكن ما ان دخلت الحركة الصهيونية في الوسط حتى راحت تسمم المناخ وتضع العراقيل وتمارس ضد شعبنا كل الاساليب البربرية التي تعلمتها من النازية ، فضلا عن اغتصابها الاستعماري للوطن وتشريد الشعب الفلسطيني . وراحت باسم « ان شعب الله المختار لابد وان يسود الارض » تمارس خطتها العنصرية الاستعمارية . وواضح جدا حرص الصهيونية على استغلال الدين ابشع استغلال والى اقصى حد .. تزيف وتزور الكتب الدينية حتى تثبت وتلقي في روع يهود العالم ابناء الشعوب الاجنبية ان مكانهم في ارض فلسطين . ونحن نلاحظ في هذا المجال التقاء جميع الاحزاب الصهيونية المسيطرة والتي هي لا دينية . خذ مثلا ديان . . انه يعلن انه لا ديني . . ومع ذلك حرص بعد احتلال القدس ان يهرع الى حائط المبكى مقبلا .. لماذا ؟ لاستغلال الدين والمظهر الديني في اقناع اليهود . فمن هنا نحن نعرف ان موضوع الدين اليهودي واليهود منفصل عن موضوع الصهيونية ، وحركتها الاستعمارية الاستيطانية العنصرية . وبالتالي فنحن عندما اعلنا اننا بنضالنا نستهدف انشاء دولة فلسطينية ديمقراطية ، لم يكن ذلك تكتيكا وانما تجسيد مبدئي وحقيقي لاستراتيجيتنا ، وذلك عن ايمان وقناعة ان هناك بين اليهود افرادا ممتازين .. نستطيع ان نتعايش معهم في سلام . وفي رأينا ان الذي يحارب خطنا هذا الان هم الصهاينة انفسهم . خذ مثلا الصحف الصهيونية الاسرائيلية .. بعد كل عملية نقوم بها ينشرونها في الصدر ويعلقون عليها قائلين ، « هؤلاء هم ارهابيو فتح الذين يريدون ان يقيموا دولة فلسطينية ديمقراطية » . دائما يفعلون ذلك حتى ولو كانت العملية ليست لنا » .

لطفي الخولي : ولكن ما هو بالتحديد مفهوم فتح « للدولة الفلسطينية الديمقراطية » ؟

ابو اياد : لقد آمنا دائما ، واعلنا ذلك ، ونعلنه باستمرار ، ان الكفاح المسلح ليس غاية في حد ذاته . وانما هو وسيلة لهدف انساني كبير . وهذا الهدف هو ان هذه الرقعة من خريطة العالم المسماة فلسطين ، والتي هي منذ سنة ١٩١٧ تقريبا ارض حروب وثورات وقتال ودم .. آن لهذه الارض وشعبها ان يعيشا في سلام ويستمتعا به كباقي البشر .. آن للدماء ان يتوقف سفكها . ومن هنا فنحن نحمل السلاح من اجل الوصول الى حل سلمي حقيقي للمشكلة ، وليس حلا سلميا زائفا قائما على فرض العدوان والعنصرية . ولايمكن ان يتحقق هذا السلام الا في اطار دولة ديمقراطية في فلسطين .. ماهي تفاصيلها ؟ انا اعتقد ان النضال والكفاح في تطورهما سيتكفلان

بوضع هذه التفاصيل . . ولكن هذا هو الخط العريض الاستراتيجى الذى يحكم كل التفاصيل .

لطفى الخولى : فى اطار هذا الخط الاستراتيجى العريض ، هل تقبل الدولة الفلسطينية الديمقراطية اليهود كمواطنين على قدم المساواة مع المواطنين العرب ؟

ابو اياد : بالطبع نقبل اليهود كمواطنين على قدم المساواة مع العرب فى كل شىء . ان معنى الدولة الفلسطينية الديمقراطية واضح ، وهى انها تصفى فقط الكيان الصهيونى العنصرى داخل فلسطين .

لطفى الخولى : من أجل مزيد من الوضوح فى هذه النقطة التى اعتقد انك تشاركنى التقدير لاهميتها أعود فأسالك بتحديد اكثر : هل حق المواطنة فى الدولة الفلسطينية الديمقراطية تضمنه فتح لليهود المعادين للصهيونية والكيان الصهيونى ، فكرا وعملا والذين يعلنون موافقتهم على هدف فتح فى اقامة المجتمع الفلسطينى الديمقراطى الجديد .. وهل حق المواطنة هذا مكفول لمثل هؤلاء اليهود سواء اكانوا فى فلسطين قبل ١٩٤٨ او بعد ١٩٤٨ ؟

ابو اياد : اعود فأؤكد ان هذا الحق تكفله فتح كحركة تحرير وطنية ذات ابعاد انسانية لكل يهودى ، ليس فقط يعمل ضد الصهيونية ، بل حتى طهر نفسه من الافكار الصهيونية .. بمعنى انه اقتنع بأن الأفكار الصهيونية دخيلة على المجتمع الانسانى .

لطفى الخولى : ترى ما هى رؤية فتح الان للمجتمع الاسرائيلى ؟ هل لاتزال النظرة تراه - كما فى السنوات الماضية - كتلة واحدة عنصرية استعمارية رجعية عدوانية ، أم انها ترى ان ثمة بعض قوى واتجاهات تقدمية بدات تظهر فى هذا المجتمع - ولو انها لاتزال صغيرة وضعيفة - معادية للعدوان والصهيونية والعنصرية ؟ واذا كانت فتح تلمس وجود مثل هذه القوى والاتجاهات ، فما هو رأيها وموقفها منها ؟

ابو اياد : لا شك ان المجتمع الاسرائيلى فى واقعه الراهن ، مجتمع استعمارى امبريالى عنصرى . هذا المجتمع نحن نسعى بكل جهدنا لتصفته ، وانشاء المجتمع البديل .. المجتمع الديمقراطى غير العنصرى المفتوح على الانسانية والعالم . فعلا اسرائيل مجتمع مغلق على الانسانية وعن كل حركة تحررية فى العالم . وليست هناك قضية تحررية واحدة وقفت اسرائيل فى جانبها . وبالتالى فنحن عندما قلنا اننا نريد ان نتعايش مع اليهود فى فلسطين الديمقراطية الغير عنصرية ، فمن باب اولى نحن ندعو كل القوى التقدمية ، اذا كانت قد وجدت ان تشدد من موقفها . وهناك فى اسرائيل من يدعى هذه التقدمية ، ولكنها فى الحقيقة تقدمية زائفة وصهيونية عنصرية استعمارية فى اساسها .

ولكن هذا لايمنعنا من القول بان هناك الان نواة تقدمية صغيرة بدات تظهر ونحن نحس بها . وهى تطالب بتصفية الكيان الصهيونى ، ونحن على يقين من انها لو بدا صوتها يسمع ويجد استجابة هناك لواجهت تعذيبا وتشريدا ابشع واقسى مما يواجه به مناضلو فتح نفسها . الحقيقة اذن ان هناك بدايات تقدمية . . بدايات صغيرة ، ونحن نرجو ونأمل ان تكبر وتتسع هذه البدايات وان تؤكد ايمانها بحق شعب فلسطين فى الحياة على ارضه .. وعندما اقول الشعب الفلسطينى اعنى الشعب كله بجميع طوائفه : المسيحى والمسلم واليهودى . ولكن بلا دولة الكيان الصهيونى المرتبطة بالاستعمار .. بلا عنصرية .. بلا صهيونية .. بلا تعصب دينى .

لطفى الخولى : اعمالا لمبدا المصارحة الكاملة الذى تعاهدنا عليه فى هذا الحوار اسمح لنفسى بأن اوجه اليكم السؤال التالى : هناك من يقول - رغم تقديره لبطولة فتح وريادتها للكفاح الفلسطينى المسلح - انها بدأت تهتم بالدعاية عن نفسها وعملها بحيث اصبحت تظهر على الورق وفى الاذاعة باكثر من حجمها الحقيقى فى الواقع .. فما هو رايكم فى هذا القول ؟

ابو اياد : لست اريد ان ابدأ بالتسجيل بأن هذا القول غير موضوعى ويجافى الحقيقة تماما . ولكن دعنا نرى الامور خطوة خطوة وبهدوء . هل بدأت فتح تهتم بالناحية الاعلامية ؟ الجواب نعم وبكل تأكيد . ولكن اذا امتد القول الى أن اهتمام فتح بالناحية الاعلامية قد فاق الاهتمام بالناحية العسكرية ، فان هذا يعنى خطأ اساسيا فى التحليل الذى تعتمد عليه هذه الاقوال .. لماذا ؟ لان موضوع الاعلام بالنسبة لنا كحركة مقاومة هو نوع من العمل السياسى الذى يواجه ويواكب العمل العسكرى ، وليس

عملا دعائيا .. فالدعاية تدور من حول الاشخاص اساسا ، ونحن نرفض ذلك بل ونقاومه لانه يضر بنضالنا وحركتنا . واذا حدث ذلك — وللاسف يحدث — فالذنب ليس ذنب فتح وانما هو ذنب بعض الاخوة من الصحفيين العرب وبعض الصحف يدفعهم الى ذلك الحماس وما يقولونه عن ضرورات المهنة الصحفية وما تستلزمه من اثارة . نحن فى فتح لا نوافق الاخوة الصحفيين على ذلك وصارحناهم برأينا اكثر من مرة ، بل واحيانا قلنا لهم اننا نعتبر الاثارة مرضا فى بعض صحفنا العربية يجب التخلص منه . وتحدث اليهم كذلك بصرحة اكثر من مرة فى هذا الشأن الاخ ابو عمار باعتباره الناطق الرسمى لفتح .. عندما كانوا ينشرون صورته بمناسبة وغير مناسبة وكبيرة فى حين يغضبون النشر عن حنق القاتلين كجماعة وحركة . واحب ان اؤكد لك مرة اخرى انه يضايقنا تماما فى عملنا نشر صور القادة لانه يحد من حرية حركتهم . والزملاء الثلاثة او الاربعة فى القيادة الذين نشرت صورهم فى غاية الضيق .. ليس هذا محاولة للدفاع عنهم — فانا والحمد لله نجوت من النشر — وانما هى الحقيقة الواقعة بحكم ضرورات العمل . ومن ناحية اخرى ، احب ان اؤكد لك ان نشر صورة اخ او عدد من الاخوان لا يثير داخل فتح قيادة وحركة اية حساسية من اى نوع ، ذلك ان التكوين الجماعى لحركتنا من العمق بدرجة ان الشخص منا يذوب تماما فى الجماعة وبالتالى فصورة ابوعمار او اى اخ آخر هى بالنسبة لنا صورة فتح كلها .

لطفى الخولى : قلت ان الاعلام لدى فتح ليس عملا دعائيا وانما هو عمل سياسى .. ماذا تعنى بهذا ؟

ابو اياد : اعنى انه جزء من المعركة الكلية ، لان العملية ليست مجرد بلاغات عسكرية تصدر وتعلن من غير توضيح مستمر وواع لفكر فتح واهدافها . وهناك امرهام يجب ان لا نغفله وهو انه قبل حرب يونيو (حزيران) كنا محاصرين اعلاميا ، مغلقة فى وجوهنا بشدة كل ابواب الاعلام والاتصال بالجماهير العربية لتوضيح فكرنا واهدافنا واساليبنا فى النضال . الان فتحت هذه الابواب فكان لابد من ان نطرح افكارنا السياسية ومبادىء نضالنا على الجماهير ونعمقها باوسع قدر ممكن والا كنا مقصرين تقصيرا شديدا فى حق حركتنا ونضالنا الفلسطينى الشامل . وهذا استدعى بالضرورة قيام اتصالات وكشفت اسماء الخ .. اما كون بعض الصحف تنحرف — وانا اشدد على كلمة تنحرف — فى عرض هذا كله على اساس الاثارة او الفردية ، فهذا ليس ذنب فتح من قريب او بعيد .

لطفى الخولى : طيب ، اذا اخذنا اعلام فتح كعمل سياسى موجه الى شعوب العالم غير العربية ، العالم الرأسمالى والعالم الاشتراكى .. ما هى الخطوط الرئيسية لفتح فى هذا المجال ؟

ابو اياد : الخطوط الرئيسية لنا تتركز فى اننا نتقدم لشعوب العالم كحركة تحرير وطنية تعادى العنصرية والاستعمار وتفرق فى نضالها بين اليهودية والصهيونية . وان حركتنا بالتالى هى جزء من حركة الانسانية فى حين ان الصهيونية التى آلينا على انفسنا ان نحاربها ونصفيها هى عدوة الانسانية لا العرب وحدهم .

ولو راجعت مجموع مانشر فى الاونة الاخيرة عن فتح فى الصحف الاجنبية سواء فى الغرب او فى الشرق ، لوضح نجاح خطة فتح فى هذا الشأن . واذا كنا — وهذا ليس ذنبنا — مقصرين من ناحية صحف المعسكر الاشتراكى التى لم توضح بقدر كاف اهداف فتح ، فالسبب لا يتعلق بنا وانما بصحف المعسكر الاشتراكى نفسه التى لم تهتم بنا كثيرا . وانا اقول هذا آسفا من باب العتاب وليس من باب الهجوم او التعريض بالمعسكر الاشتراكى وصحفه .

لطفى الخولى : هل يدخل فى اطار خطة الاعلام السياسى لفتح التوجه الى كسب الرأى العام اليهودى العالمى المعادى للاستعمار والصهيونية — واذا كان هذا موضع اعتبار فعلا .. فما هى الخطوات التى تمت حتى الان فى هذا المجال ؟

ابو اياد : بالطبع نحن نهتم بذلك ، وينطلق اهتمامنا من نظرتنا المبدأية التى تفرق بين الصهيونى واليهودى .. بين الصهيونية واليهودية .. وبالتالى فان كل اليهود الذين لا يشاركون فى تثبيت المجتمع الاسرائيلى الاستعمارى العنصرى المنغلق .. المجتمع الصهيونى .. كل هؤلاء نحن نحاول ان نقيم معهم كل علاقات . وليس يكفى ان اقول هذه الكلمات .. فالكلام وحده دون ممارسة عملية لا يساوى شيئا . ولهذا اقدم لك ممارسات عملية من فتح فى هذا المجال . خذ

مثلا مؤتمر نصرة الشعوب العربية الثاني الذى عقد فى اوائل هذا العام (١٩٦٩) فى القاهرة ٠٠ اعتقد ان كل الدوائر والقوى والشخصيات العربية والاجنبية ـ وكان من بينها يهود ـ التى حضرت المؤتمر ، شهدت لفتح بأن موقفها المبدئى من هذه القضية قد انقذ المؤتمر ، ذلك انها حثت كل يهودى تقدمى خارج اسرائيل او فى داخلها ان يعمل لتصفية الصهيونية وكيانها والدعوة الى اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ٠

ممارسة اخرى ٠٠فى فبراير ١٩٦٩ اقيم لصالح فتح حفل لفرقةالمسرح الفلسطيني فى الرباط بالمغرب.وكان البوليس المغربى يمنع اليهود المغاربة من حضور الحفل خوفا على حياتهم من الجماهير المغربية المتحمسة ٠ ولكن رفاقنا هناك اخذوا على عاتقهم ضمان حماية اليهود المغاربة فى الحفل واقنعوا البوليس المغربى بالسماح لهم بالحضور ليروا بانفسهم من خلال المسرحية واقع دولة اسرائيل العنصرى وغير الانسانى ٠٠ وفى داخل المسرح تقدم المواطنون المغاربة بالتبرعات لفتح تأييدا لكفاحها المسلح ٠٠ وكان من بين المتبرعين استاذ مغربى يهودى فى كلية الهندسة بجامعة محمد الخامس اسمه « ابراهيم الصرفاتى » تبرع بالف درهم ، وقال انه كيهودى يتبرع لفتحتأييدا لها فى كفاحها من اجل اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية وقدم لنا رسالة مكتوبة بالفرنسية توضح موقفه ولماذا يتبرع لفتح بالذات ، وقامت السيدة زوجته بنفسها بترجمتها الى اللغة العربية ، وتبرعت بخاتم زواجها لحركة المقاومة ضد الصهيونية وكيانها العنصرى ٠
ونفس هذه المواقف اصبحت الان شائعة فى عدد كثير من البلاد الاوربية تجاه فتح ٠

والحقيقة ، هنا ملاحظة هامة لابد وان اشير اليها ٠ ان هذا التوجه العربى نحو اليهود المعادين للاستعمار والصهيونية ، بالاضافة الى انه عمل غير تكتيكى ، كان لا يمكن ان يقع لولا ان فتح حملت السلاح بالفعل ، بمعنى انه فى ضوء الكفاح التحريرى المسلح ، امكن قيام هذا التوجه ، ولو كانت هذه الدعوة قد قيلت قبل ان ترفع فتح السلاح لكانت ووجهت فى ظروف الجذر ، من قبل الراى العام العربى والراى العام الفلسطينى خاصة بالهجوم الشديد ٠ فسلاح فتح التحررى ، وقوتها من الناحية السياسية والعسكرية هى التى اتاحت لهذا التوجه الاستراتيجى ان يتم ٠

لطفى الخولى : هذا صحيح الى حد كبير فعلا ٠ لى بعض الملاحظات الاخرى احب ان اعرضها عليك لمعرفة رأى فتح فيها ٠ واستطيع ان اعرضها على الوجه التالى : منذ بدأت فتح الكفاح المسلح فى يناير ١٩٦٥ حتى يونيو ١٩٦٩ ، الاحظ ثمة مرحلتين مرحلة البداية الصعبة وشق الطريق قبل حرب يونيو ١٩٦٧ حيث كانت فتح معزولة نتيجة الحصار المضروب حولها ، وحيثكانت تلاحقها اتهامات المغامرة و ٠٠

ابو اياد : ليس بارادتها ٠ ٠ ٠

لطفى الخولى : طبعا ٠ ٠ وبعد كانت يونيو سقط الحصار وانفتحت فتح على الجماهير العربية والوطن العربى وجاءت معركة الكرامة فى مارس ١٩٦٨ واثبتت فتح ، سياسيا وعسكريا ، وجودها ، ودخلت منذ ذلك الحين تجريتها الضخمة والكبيرة نسبيا فى مقاومة العدو ، وكما قلت انت من قبل حدث ذلك فى اغسطس ١٩٦٨ ٠٠ والان هل يمكن من خلال هاتين المرحلتين وتجربة ما بعد اغسطس سنة ١٩٦٨ ، ان توضح لى ماذا استفادته فتح منها بالتحديد ؟ وهل انعكست حصيلةالخبرات المستفادة بتغييرات معينة على اساليب فتح فى المقاومة والنشاط ؟

ابو اياد : بالنسبة للمرحلة الاولى استفادت فتح أساسامنتكوين كوادرهاالاولى ، او ما يمكن ان نسميه « بنواة النضال الفلسطينى الحقيقى » التى افرخت بعد ذلك حركة المقاومة المسلحة المتزايدة القوة ، والمتسعة دائما ٠ وكاناهم ما ركزنا عليه وكسبناه من خبرة خلال هذه المرحلة ، هو تربية الذات المناضلة على نبذ الفردية والاثرة والالتحام بالجماعة ، والتعود على اشق اعمال النضال والتضحيات فى ظروف صعبة وشاقة ، فى هذه المرحلة كنت تدخل معركة بل وتبدأ المعركة ولا يؤيدك فيها الا القليل ، حتى القوى التى كان مفروضا ان تكون خليفة لك لم تؤيدك وتتذاك ٠ وفى هذا استطاعت فتح ان تتخلص من كل أمراض المجتمع التى انطلقت منه مثل الفردية وحب الظهور ، والهروب من العمل الى المناقشات العقيمة التى لا تنتهىبشىء ايجابى ٠ وعندما بدأت مرحلة مابعد حرب حزيران كانت فتح قد استفادت من المرحلةالسابقة ، ومستعدة لتواجهتها بكوادر ناجحة سياسيا وعسكريا ٠ ورغم ذلك فقد حدثت بعض

الاخطاء • ويمكن رد هذه الاخطاء الى ان انفتاح فتح بعد حرب حزيران وانفتاح الجماهير الفلسطينية والعربية عليها ،كان من الاتساع بحيث ان قدرات فتح الحقيقية تنظيميا وسلاحا فى الفترة المباشرة لحرب حزيران ، اقل من ان تستوعب الاعداد الهائلة التى جاءت اليها • ومضت فترة صعبة ومليئة بالمشاكل قبل ان نستطيع السيطرة عليها وندخل مرحلة المقاومة المنظمة والواسعة فى اغسطس ١٩٦٨ •

وفى كل المراحل هناك حقيقة واحدة تكشفها الخبرة المستفادة ، وهى ان اى مجموعة طليعية تؤمن بشيء نابع من ارادة الشعب وتصر عليه وتناضل من اجله لابد وان تصل الى اهدافها رغم كل التضحيات والصعاب • لا ادرى ان كنت اجبت بما فيه الكفاية على ملاحظاتك ام لا ؟

لطفى الخولى : اعتقد كاف . . ومع ذلك فلنحاول الاستكمال •• من الارضية التى تقف عليها فتح الان ، وقد اصبح اسمها ـ عالميا ـ هو علامة على الكفاح الفلسطينى المسلح .. من هذه الارضية ما الذى تتوجه به الان الى الشعب الفلسطينى عامة ، والى منظمات المقاومة الاخرى خاصة ؟

ابو اياد : انا لا اعتراض لدى للاجابة على سؤالك هذا • ولكن اخشى ان ابدو فى الاجابة بمركز الواعظ والناصح ، وانا من خلال تربيتى فى فتح ارفض ان اتخذ هذا الموقف يعنى انا مش عايز اقف على منبر واقول واعظا : ياخوانى كذا وكذا . . لذلك ارجو لو سمحت لى ان نعيد صياغة السؤال على النحو التالى : ما الذى تستطيع ان تقدمه فتح فى ظل الظروف الحالية التى تتعدد فيها منظمات المقاومة •• وكيف يمكن ان تقام علاقات صحية لصالح العمل الفلسطينى التحريرى ، رغم كل هذه الظروف ؟ هل توافق على هذه الصياغة ؟

لطفى الخولى : وهو كذلك . . تفضل .

ابو اياد : اعتقد ان هناك شيئا حقيقيا يجب ان يكون موضع اعتراف جميع اخواننا فى مختلف الفصائل الفدائية • وهذا الاعتراف يجب ان يسبقه اعتراف من فتح نفسها بأن فتح ليس كل ما فيها نوذجيا ومبرأ من الاخطاء • بالعكس فتح فيها اخطاء • ولان فتح فيها اخطاء ،فان المفروض والواجب على كافة فصائل حركة المقاومة الاخرى •• والذى ينظر من الخارج للامور حتى يكون لديه حس المراقب المخلص الذى يرى اخطاء لايراها من فى الداخل •• اقول المفروض ان من واجبهم ان يوجهوا فتح الى رؤية اخطائها ويعاونونها على التخلص من هذه الاخطاء التى قد تقع فيها اى حركة تحرير وطنية •• بيد انه مقابل ذلك يجب الاعتراف ايضا من اخواننا الفصائل الفدائية الاخرى ان كل الدوائر الاستعمارية والصهيونية وكل مخابرات الدول الامبريالية فى العالم ، بالاضافة الى قوى اخرى مضادة للثورة تعمل ضمن مخطط واحد لتخريب فتح ولتشويه فتح . وطبعا محاولة محاربتها بأساليب مادية مباشرة وملموسة صعب • ولذلك فهم يعمدون ضمن خطة ذكية الى شن حرب نفسية على فتح من الداخل ومن الخارج • احيانا يكون التخريب بتكبير فتح اعلاميا ، ونحن ندرك هذا •• احيانا تكون محاولات التخريب بدس عناصر على فتح لتقول كلاما لا تؤمن به فتح •• احيانا تكون مخططات التخريب محاولة عدم فهم الوسائل الضرورية التى تتبعها فتح فى علاقتها مع الدول العربية لاخذ ذلك ورقة فى محاربتها اقول : ان كل هذه الامور ، المفروض ان اخواننا فى الفصائل الاخرى يفهمون أن القضاء على فتح يعنى بالتالى ، ضرب العمل الفدائى الفلسطينى كله • بل ضرب حركة الشعب الفلسطينى كله • بل ان ذلك يستهدف ايضا حركة التقدم العربى ككل •

لطفى الخولى : الان ، اعتقد اننا نستطيع ان نصل الى النقطة التى نرجو فيها ان توضح رؤية فتح للموقف العربى الراهن من المعركة ومن العلاقة مع حركة الكفاح الفلسطينى المسلح من ناحية أخرى ؟ ولا أدرى هنا ، ان كان من المفيد أن تقسم الحديث حول هذه النقطة الى مراحل أم لا •• هذا طبعا متروك لك ؟ •

ابو اياد : هناك عدة ملاحظات فى هذا المجال . **الملاحظة الاولى والاساسية** التى

يمكن أن تقال ـ باديء ذي بدء ـ أننا لم نعبيء للمعركة كل الطاقات العربية تعبئة حقيقية وفعالة . وفي أحيان وحالات غير قليلة نحس وكأن الواقع العربي من بعض جوانبه لا يعيش المعركة الضارية بكل ابعادها .

لطفي الخولي : وما سبب ذلك في رأيك ؟

ابو اياد : في رأيي ان اشراك الجماهير العربية في المعركة يعني أن تعيش الجماهير الحقائق التي تدور من حولها ، وأن تفهم كل هذه الحقائق بموضوعية ، ودون أي نوع من الاخفاء او المبالغة . ثم يتعين اعطاء هذه الجماهير دورها الحقيقي . فدور الجماهير معروف عندما تحتل البلاد ـ تعبئة الشعب وتدريبه وحمله للسلاح ، ومساهمته بأشكال عديدة في المعركة ـ الجماهير العربية لحد الان لم تعط هذا الدور الحقيقي ، وبالتالي اذا لم تعط هذه الجماهير دورها الحقيقي رغم أننا أستعدنا الشيء الكثير من قوتنا العسكرية . في الجيوش الرسمية التقليدية ، الا ان هذا لا يكفي ايضا .

هذه حقيقة يجب ان نذكرها وليس عيبا ان نقولها ، بل العيب ان نخفيها . لان المفروض أن نعيش جميعا للمعركة فهذه هي **الملاحظة الاولى** . يعني يمكن لو مريت على الجماهير في كل موضع من حياتها اليومية تجدها متشوقة للمعركة .

والملاحظة الثانية ان هناك تفاوتا بين الدول العربية المحيطة باسرائيل وبين الدول البعيدة عنها . واذا كنا نشعر بالانفصال بين الذي يعيش على الجبهة وبين من يعيش بالمدينة في نفس البلد القريب من الحدود ، فاننا نحس بانفصال اكبر في المناطق البعيدة عن الحدود . ومن هنا أقول أيضا أن الجماهير العربية البعيدة يجب ان تعرف حقيقة الخطر الصهيوني وأنه لا يستهدف بقعا معينة في فلسطين ، أو في هذه الارض العربية أو تلك ، انما يستهدف الامة العربية بأكملها . من هنا لا يحق للانسان العربي الذي يعيش في أرض عربية بعيدة عن أرض الدول المحيطة باسرائيل . أن يقول ان المعركة ليست معركته . واعتقادي أن الجماهير العربية حتى في تلك الارض البعيدة عن أرض المعركة جغرافيا ، تريد أن تشارك في المعركة بكل طاقاتها .

وهنا أيضا واجب القيادات الواعية الوطنية في داخل البلد ، وأن تطور من موقف حكومتها ولا أقول أكثر من ذلك . وذلك حتى تشارك في المعركة مشاركة فعلية .

الملاحظة الثالثة تتعلق بالمقاومة الفلسطينية . مطلوب من المقاومة الفلسطينية أن تطور عملها في الداخل ، وأن يكون عملها متصاعدا أكثر فأكثر . هذه واجبات تطالب بها الشعوب العربية . لكن نريد أن نسأل : هل تصاعد المقاومة هي عملية ميكانيكية ، مجرد أن تضغط على زر ، تتصاعد المقاومة .. ترفع يدك عن الزر تهبط المقاومة الفلسطينية . لا . ليست العملية عملية ميكانيكية . وانما هي عملية تفاعل من الشعب العربي . اعطاء خبرات الشعب العربي للشعب المقاتل الذي هب للنضال الحقيقي بعد عشرين سنة من الركود . فهل قدمت الامة العربية للمقاومة الفلسطينية كل ما يتطلبها ؟

هنا أقول بصراحة أن الشعب العربي مستعد أن يقدم ، ولكن هناك بعض العقبات التي توضع بين الشعب العربي وبين المقاومة الفلسطينية ، يعني لو أتيح للمقاومة الفلسطينية أن تلتقي بالجماهير العربية ، لقاء بعيدا عن العقد ، وبعيدا عن الرسميات ، ممكن ان الشعب العربي يساهم في المعركة مع المقاومة الفلسطينية مساهمة كبيرة . ليس صحيحا أن المقاومة الفلسطينية اقليمية ليس صحيحا عندما نقول مقاومة فلسطينية وشعب فلسطيني ، ومعروف ما هو الهدف من ذلك ، اننا نفصل الشعب الفلسطيني عن أمته العربية الواحدة ذات المصير الواحد . ان وحدة الامة لا تنفي وجود شعب مصري أو شعب عراقي الخ فاذن من حق الشعب الفلسطيني أن يبرز بعد عشرين سنة كان خلالها مدفون في التراب ، ومتهم بالف اتهام . هذا الشعب في بروزه ، بروز للشعب العربي كله . ليس هناك تناقض اطلاقا بين أن يبرز الشعب الفلسطيني ، وبين حقيقة انه جزء من الامة

مفهوم فتح هى فلسطينية المنطلق ، عربية الابعاد والجوهر .. أليس كذلك ؟

ابو اياد : بالقطع . البعد القومى فى الثورة الفلسطينية جوهرى وأساسى ، وليس مجرد كلام يقال للحماس أو للصحف . هو أمر طبيعى وواقعى ، ولا نستطيع ان ننفصل عن نضال الامة العربية وقواها المناضلة والا كنا أعداء لانفسنا قبل أى شىء آخر .

لطفى الخولى : الا ترون انه أصبح من المهم تجسيد هذا البعد القومى للمقاومة الفلسطينية عمليا بحيث يصبح قادرا على الحركة والعطاء والتغلب على المشاكل التى تقف فى سبيل ذلك . وفى هذا المجال لدى ثلاث نقاط محددة : النقطة الاولى هى ألم يصبح من الضرورى العمل على بناء جبهة عربية شعبية شاملة من حول هدف واحد ومحدد ، وهو حماية ودعم المقاومة الفلسطينية . والنقطة الثانية ما هو موقف فتح أمام رغبات العديد من المواطنين العرب غير الفلسطينيين من الانضمام للمقاومة والمشاركة فى العمل المسلح . والنقطة الثالثة عما يمكن ان يسمى بالتنسيق الذى يثار أمره بين حين وآخر بين المقاومة الفلسطينية المسلحة ، والجيوش العربية النظامية . وفى اطار هذه النقطة هناك رأى يقول بأن المقاومة الفلسطينية لن تستطيع وحدها تحرير فلسطين وانه بالتالى لابد من تدخل الجيوش العربية النظامية .. والى أى حد يمكن موضوعيا أن تتحقق مرحلة من النضال — فى تصور فتح — تستخدم فيه القوتان والاسلوبان معا : حرب العصابات وحركة الجيوش النظامية .. وطبعا كل هذا فى حدود عدم الاخلال بحرية الحركة للمقاومة الفلسطينية واستقلالها ؟

ابو اياد : الواقع ان فتح اعلنت ضمن أهدافها المرحلية المباشرة بناء الجبهة العربية . وهذا البناء ليس مسئولية فتح وحدها وانما هو أيضا وفى نفس الوقت مسئولية بقية القوى الوطنية العربية الاخرى . ولقد حاولت فتح اكثر من مرة الاتصال بشأن بناء الجبهة . ولكن يبدو ان تعدد المنظمات الفلسطينية وقف حائلا دون انشاء هذه الجبهة حتى الان بصورة منظمة .

ومن ناحية الاعلام أيضا نادت فتح بجبهة عربية مساندة للعمل الفدائى . وعمليا كانت

العربية الكبيرة . فاذن المقاومة الفلسطينية ليست اقليمية ولا هى انعزالية . هى تطالب بأن يتبناها الشعب العربى كله وبجميع طاقاته .. خذ مثلا موضوع المساعدات المادية للمقاومة .. هل هناك حكومة عربية وضعت فى ميزانيتها قسم من المال للمقاومة الفلسطينية ؟ ولا دولة عربية . أقولها بصراحة . وبالعكس حتى الاكتتاب الشعبى الذى كانت تتولاه حركة المقاومة بنفسها من الشعوب العربية . هذا الان بدأ يأخذ الصفة الرسمية التى تعوقه ، اصبح كل بلد عربى يفكر فى انشاء لجنة اسمها لجنة مساندة العمل الفدائى ، ينحصر فيها جمع التبرعات وهذه حتما يرأسها وزير أو مسئول فى الدولة . وبالتالى هذه العملية تخضع لنظام الدولة اذا الدولة ارادت أن تستمر اللجنة استمرت ، اذا ارادت أن تقف وقفت ، يقف الجمع . فكأنها هى مجرد جمع أموال أو عبارة عن جمع ضرائب جديدة من الشعب . نحن نعتقد أن مسير العملية على هذا النحو لا يجعل هناك تفاعلا بين حركة المقاومة وبين الشعب العربى . والذى هو جوهر العملية .

هذه ملاحظاتى الثلاث على الواقع العربى . والان ما هو أملنا ؟ أقول أملنا ، ان الملاحظات الثلاث تختفى ، وتصبح الجماهير معبأة تعبئة حقيقية للمعركة ، وان لا نستهين بالخطر — أن لا نميع المعركة . ماذا نقصد بالتمييع ؟ — يعنى ممكن تمييعها عن طريق الخلط بين العمل السياسى والعمل العسكرى . وهنا يجب تفهيم الناس معنى العمل السياسى والعمل العسكرى تفهيما حقيقيا . أيضا الجماهير التى تشارك لا تكون متفرجة ، انما تكون مساهمة بالعملية ، واقول مشاركة الجماهير ممكن وضرورية . فاذن دور الجيش الشعبى يجب أن نؤمن فيه ان حقيقة الجيش الشعبى . اذا كان موجود ممكن حتى الطائرات العدوه لا تستطيع أن تتعدى على أية أجواء عربية . فيه أشياء كثيرة ممكن تقال فى هذا المعنى . المهم أملنا ان موضوع المقاومة الفلسطينية يعطى حقه من الرعاية والاهتمام المادى والمعنوى ... وفى نفس الوقت لابد أن نبين للجماهير الحقيقة دون ما أى خداع .

لطفى الخولى : افهم من كلامك ان المعركة فى

تعتبر فتح العديد من قوى الشباب العربي في البلاد العربية وخاصة في الاوساط الوطنية والتقدمية ، هم الجبهة . صحيح لم يكون تنظيم لهذه الجبهة .. والمفروض والواجب أن يصير . ولكن كما قلت مسئولية هذا تتقاسمه فتح مع بقية القوى الوطنية والتقدمية . والحقيقة أننا لاحظنا في بعض الاحيان وبعض الحالات أن تجاوب البعض حول انشاء الجبهة يكون مشوبا بعدم الايمان نتيجة الخلافات المحلية القائمة في هذا البلد أو ذاك .»

أمر واجب وضروري أن نفكر بطريقة عملية لهذه الجبهة . واذكر هنا الاقتراح الذي ناديت به أنت في الطليعة والاهرام أكثر من مرة لعقد مؤتمر تحضيري لهذه الجبهة من كل القوى الوطنية والتقدمية في مجموع الوطن العربي . ولكن ما العمل وهذه القوى منقسمة على نفسها . وهناك بلد عربي مثلا حتى الان .. وهو لبنان .. لم تستطع قواه الوطنية والتقدمية ان تتجمع في جبهة واحدة ، قوية وفعالة . وكل منها يريد أن ينفرد بتأييد الكفاح المسلح ، أو فتح بالذات دون اشراك الاخرين .. فالتيارات المختلفة داخل القوى الوطنية والتقدمية في الوطن العربي هي التي تمنع قيام هذه الجبهة . ونحن نرجو أن تستطيع هذه القوى في القريب العاجل أن تطور مواقفها وتقلل من الحساسيات والخلافات القائمة بينها لصالح النضال العربي عامة ولصالح النضال الفلسطيني خاصة ، وتتفق ــ كما تفضلت في الحديث ــ على برنامج حد ادنى ، وهو تأييد ودعم الكفاح الفلسطيني المسلح ، بغض النظر ، عن أن هذا الكفاح المسلح لمنظمة معينة أو أخرى .. المهم أن يكون العنوان والمضمون هو الكفاح التحريري المسلح .. على الاقل حتى نمنع تكرار ما حدث من دولة عربية ازاءنا اخيرا ، ونتفهم حقيقة موقفنا من خلال هذه الجبهة .

لطفي الخولي : في اعتقادي اننا في هذه الظروف الراهنة بالذات قادرون على التغلب على كل هذه المشاكل والخلافات وصولا الى الجبهة العربية . وهذا هو دورنا النضالي جميعا . ومحورنا الوحيد في بناء الجبهة هو الكفاح الفلسطيني المسلح الذي غدا الطريق العملي والحقيقي لتحرير فلسطين واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، والذي هو في نفس الوقت يؤدي اكبر خدمة للتحرر الوطني العربي من القواعد الاستعمارية بمختلف اشكالها .. واسرائيل اليوم في النهاية قاعدة عسكرية استعمارية في شكل دولة ضد جميع البلدان العربية . وبالتالي فان الجبهة يجب ان تفتح ابوابها برحابة أمام جميع القوى الوطنية والتقدمية العربية دون استثناء ، وبغض النظر عن افكارها واتجاهاتها الاجتماعية والسياسية حول المشاكل الاخرى في الوطن العربي ، او في البلدان العربية منفردة . المهم ان تكون فقط مؤيدة ومساندة للكفاح المسلح الفلسطيني . واعتقد أن منظمة تحرير فلسطين الان تستطيع أن تبادر بهذه الدعوة للمؤتمر التحضيري للجبهة العربية الشعبية .

ابو اياد : لا خلاف على ذلك . ونحن نؤيده تماما . وفتح كجزء من منظمة التحرير تستطيع بالفعل أن تساهم في تحقيق هذا الهدف الكبير والضروري .

تعرضت في حديثك الى مسألة تطوع الشباب العربي غير الفلسطيني في المقاومة . وانا انتهز هذه الفرصة لأؤكد باسم فتح أنها تقبل دون تحفظ أي شاب عربي يريد التطوع . نحن نقبله لكن العقبات في سبيل ذلك ليست منا ، ولسنا نحن السبب . السبب هو الاوضاع العربية الرسمية . فلتسمح هذه الاوضاع ونحن مستعدون منذ هذه اللحظة .

وهناك ــ في هذا المجال ــ نقطة هامة ايضا أود ان لا تغفل ، وهي ان الاعداد التي تتقدم لنا للتطوع كبيرة . فمثلا من بلد عربي واحد تقدم للتطوع ١٢ الف شاب .. من أين يمكن للمقاومة أن تسلح بقدراتها الحالية ١٢ ألف شاب جديد وتدربهم وتطعمهم ؟ وهنا يطل من جديد أهمية قضية الجبهة العربية ودورها في مساندة ودعم وتوسيع حركة المقاومة . فعن طريقها يمكن تنظيم كل هذه الامور ، بحيث لا يصبح التطوع عبئا علينا بل قوة دافعة .

لطفي الخولي : تحدث معي بعض الاخوان العراقيين والسودانيين عن رغبتهم للتطوع بسلاحهم ؟

ابو اياد : اي اخوان على هذا النحو أهلا بهم وسهلا .

تأتي بعد ذلك للنقطة التي اثرتها في حديثك عن امكانية التنسيق بين المقاومة وبين الجيوش العربية النظامية . الحقيقة ، نحن لنا مفهوم محدد وواضح للتنسيق لا نخرج

عنه • التنسيق فى نظرنا هو أولا كل ما يقدم للمقاومةمن دعمومساندة وتدريب •• وهذه كلها أمور لا نرفضها بل نرحب بها كل الترحيب . ونحن ، أكثرمن هذا ، مستعدون ان نكون جزءا من خطة قومية للتحرير . ولكن لسنامستعدين لاننكون جزءا من خطة اقليمية للتنسيق • بعبارة أخرى فاننا اذا وجدها انظمة عربية جادة تريد تحرير فلسطين وتريد ان نكون نحن جزءا من هذه الخطة فلا مانع أبدا • اما أن تريد بعض الانظمة العربية أن تحتوينا باسم التنسيق وباسم الحفاظ على حدودها الاقليمية ، فنحن — بصراحة — نرفض هذا .. نرفض التنسيق بمعنى الاحتواء وبمعنى الوصاية ونقبل التنسيق بمعنى خطة على المستوى القومى للتحرير •

لطفى الخولى : تريد ان تقول ، أنه كما تحترمون استقلال كل دولة عربية ، تطالبون كل دولة عربية باحترام استقلال المقاومة المسلحة الفلسطينية •

ابو اياد : بالضبط . وذلك حتى لا ندخل فى متاهات دولية • هذا هو موضوع تنسيق ونظرتنا لعملية المزج بين حرب العصابات والجيوش النظامية • فيه هنا شيء مهم جدا .. احنا عندما رفعنا شعار الكفاح المسلح وقلنا أن الشعب الفلسطينى يريد أن يقوم بهذه العملية ، لازم نأخذ الامور بموضوعية ونرجع للوراء قليلا ، عندما رفع هذا الشعار ومارسته الطلائع الثورية الاولى فى حركة فتح سنة ١٩٦٥ ، كنا ندرك ان ضرب جسر أو ضرب « عبارة » لا يمكن أن يكون عاملا حاسما فى التحرير • لكن كنا ندرك أيضا أن ضرب العبارة ممكن أن يأتى بعشرة شباب آخرين ينضمون لحركة فتح •. كنا مدركين ان ضرب الجسر يوعى عشرة شباب آخرين ويجعلهم يؤمنون بهذا الطريق . لم نكن نعيش ونفهم أن العملية عملية ربح وخسارة .. نضرب عبارة للصهاينة فينسفوا لنا عشرة ابيار •• ننسف جسرا ، ينسفوا لنا عشرة جسور • لا • لم نكن نظر للامر بنظرية الربح والخسارة ، لان هذه النظرية أكيد رسبها الاستعمار فينا لتقييد حركتنا • فنفكر بعقول تخشى باستمرار العمليات الانتقامية المضادة نحن نؤمن بأن الكفاح المسلح الشعبى الفلسطينى لابد انه فى أى معركة جادة مع الصهيونيةينتهى الى معركة شعبية تحريرية على المستوى العربى كله •• أوضح كلامى أكثر فأقول أنه حسابات الكلاسيكية فى الحرب مع اسرائيل فى نظرنا فى المرحلة الحالية على الاقل وبالاوضاع العربية الراهنة • ممكن أن نكون نحن الخاسرين فيها ولكن هذالا يعنى اطلاقا انه غير مطلوب من الدول العربيةأن يكون لها جيوش قوية • انما بالعكس نحن نريد جيوشا قوية تستطيع أن تدافع عن الحدود ، لان الحرب العلمية القائمة حاليا قد يكون لها دور . لكن اذا أردنا أن نقيسونحسب معركة فلسطين دبابة بدبابة وطيارة بطيارة، وطياربطيار ، وسائق دبابة بسائق دبابة ، فلا شك أن الدولة الصهيونية الموجودة فى أرض فلسطين اقدر منا لانها مدعومةبقوى امبريالية عالمية وهى تسلح نفسها وبكفاءات علمية أكثر منا •

لطفى الخولى : انت ضد الحساب الميكانيكى

ابو اياد : بالضبط هذا الحساب الميكانيكى مرفوض جدا • فمن هنا نقول أن الكفاح المسلح مطلوب على المستوى الفلسطينى حاليا • ولكن معروف أن اسرائيل لا تسمح لنفسها أن تخسر معركة ، ولو معركة جزئية .. لابد أن تنتقم دائما،لان هذه الدولة المصطنعة لا يمكن أن تستطيع مواصلة البقاء الا اذا كانت دائما منتصرة • اى هزيمة لها ولو جزئية بتؤثر على معنويات شعبها • وهذا يفسر لنا دائما التهديدات الاسرائيلية ، وان أى عملية صغيرة من جانبنا يردوا عليها بعشرة وذلك لارهاب الشعب العربى واشعاره انه ما فى فائدة ، وان الجيش الاسرائيلى اسطورة لا تقهر • فمن هنا يجب أن نعود شعوبنا ، أن المعركة الكلاسيكية ليست هى المعركة الوحيدة .. نحن نتمنى كفلسطينيين ، أن تكون قدرة الجيوش العربية على أعلى ما يكون وأن تنسق معنا فى معركة مزدوجة يكون لحرب العصابات دور وللجيوش الكلاسيكية دور • لكن هل نحن مهيأون فعلا لهذا الان ؟ وهل لاننا لسنا مهيئين الان نجعل هؤلاء الناس الذينيقاتلون ، يشعرون بأنهم يقاتلون فى الهواء وفى فراغ . هنا الخطورة فى هذا الطرح..طرح أنه لايمكن لقضية فلسطين ان تنتصر الا بجيوش كلاسيكية • نحن نعرف ، والواقع يفرض عليناهذه المعرفة ، أن الجيش الكلاسيكية ليست فى قدرتها أن تحقق هذا الامر الان •

فهنا لابدأن نضع فى ذهننا ان الحرب هى حرب العصابات ، يجب أن تتطور الى حرب تحرر شعبية ، تكون الجماهير العربية مهيأة فيها من حول فلسطين لمواجهة العدو

الصهيونيوسياسته وحربه التوسعية . الامور قد تتطور فيما بعد وتصير الجيوش العربية النظامية قادرة . لكننا نعيش الواقع الحالي وظروفه . وهنا تكون الطليعة الفلسطينية هيطليعة حربالتحرير الشعبية الشاملةعلى مستوى الوطن العربي كله . وهذا هو الذي يخيف اسرائيل والصهيونية وكل القوى المعادية الاخرى . لماذا ؟ لان الحسابات هنا لاتعود حساب طيارة بطيارة ، ودبابة بدبابة . انما حساب شعب مناضل يريد أن يقاتل ويدافع عن ارضه ، وينهي هـذا الوجود الصهيوني ، حرب طويلة النفس . تعرف مثلا أن أكره ما يكره العدو .. وهذه معلومات تاتينا من الداخل عندما يسمعونا في صوت اذاعة العاصفة نقول اننا نخوض حربا طويلة النفس . نحن لا نقول معركتنا ستنتهي بنصرنا بعد سنة أوسنتين . وانما نقول أنها معركة طويلة النفس ، وفعلا نحن مؤمنون بهذا . ونحن موقنون انفسنا على تساقط الكثير والكثير من الشهداء من بيننا في المعركة . فاذن نحن لسنا ضد أن تقوى الجيوش العربية النظامية بالعكس الجيوش العربية النظامية المفروض أن تقوى وتقوى أكثر . ولكن هذه الجيوش العربية النظامية ليست بديلة عن كفاح الشعب الفلسطيني وقتاله في أرضه ـ ليست بديلة اطلاقا . بمعنى أنها ليست ورقة تكتيكية بأيدي الجيوش العربية أو بأيدي الانظمة العربية . لانه اذا اعتبرناها ورقة تكتيكية فكأني أتامر وأبيع هؤلاء الرجال الذين يستشهدون كل يوم من أجل خطة تكتيكية من بعض الدول العربية . هذا عامل أساسي . حتى كفاح الجنود النظاميين داخل ضمن اطار الكفاح المسلح . ولا أريد هنا أن اذكر الاوضاع الدولية وارتباط الجيوش العربية النظامية بواسطة دولها بالواقع الرسمي الدولي ، وماذا سيكونتأثيره اذا كنا اعلنا ان المعركة معركة جيوش نظامية وحسب .

لطفي الخولي : لاحظت انك عند حديثك عن البلاد العربية استخدمت اصطلاحين . . اصطلاح البلاد العربية المحيطة بفلسطين ، واصطلاح البلاد العربية البعيدة عن فلسطين . ولابد ان لهذا التقسيم من جانبك معنى . وان لكل قسم من هذين القسمين للبلاد العربية دورا خاصا يجب ان يؤديه في المعركة يختلف عن دور الاخر .. ماهو اذن تقييمك هذا الدور بالنسبة لكل قسم ؟ وما الذي تحقق حتى الان من هذا الدور ؟ وما الذي لم يتحقق .. ولماذا ؟

ابو اياد : اقول باختصار ، ان الدول العربية المحيطة بارضنا المحتلة ، يتركز دورها الحقيقي بالنسبة للكفاحالمسلح في ان يتحمل كل ما ينتج عن عملياتالمقاومه من ردود فعل اسرائيلية ، وكذلك في اعادة بناء قواتها المسلحة وتطوير جيوشها . وهذا مايحدث في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والاردن ولبنان .. المفروض ان تتحمل ردود الفعل الاسرائيلية .. ذلك ان اسرائيل تكذب عندما تقول انها تضربقواعد الفدائيين فيالضفةالشرقية او غيرها.وهيفيالحقيقة تضرب المدنيين وسيارات المدنيين ومساكن المدنيين وذلك من اجل التاثير على الجماهير العربية في الاردن مثلا بأن احتضانها للفدائيين عمل يائس وسيكلفها تضحيات كبيرة . واسرائيل تعلم انها غير قادرة على ضرب كل قواعد الفدائيين ، لانها ببساطة لا تعرفها .. ولن نمكنها من معرفتها .. ولكنها تحاول من ذلك ايضا ان توهم الرأي العام العالمي بعدم جدوى المقاومة وتعاطفه معها . هذا اذن هو المطلوب من الدول العربية المحيطة بفلسطين المحتلة ، تعبئة الجيوش وتفويتها ، تعبئة الجماهير وتنظيمها في المعركة ، استعدادها لتحمل كل التبعات بالنسبة للمقاومة الفلسطينية . وذلكمثل ما حدثفي الماضي بالنسبةللمغرب وتونس ازاء المقاومة الجزائرية .. وكذلك ما حدث لمصر عام ١٩٥٦ عندما حملت تبعات مساندتها للمقاومة الجزائرية وصمدت لعدوان ١٩٥٦ الثلاثي في السويس .

اما بالنسبة للدول العربية الاخرى غير المحيطة بالارض المحتلة ، فدورها يتركز اساسا في الدعم المادي المستمر .. هي بعيدة عما يمكن ان نسميه بالخطر المباشر فالمفروض ان تعوض عن تعبئة الجيوش بتعبئة الجماهير ، ثم مد الدول المحيطة بالاضافة للمقاومة بالدعم المالي اللازم والضروري . فنحن نواجه دولة صهيونية تلقىمن الامبريالية والصهيونية العالمية دعما قويا ومستمرا .

لطفي الخولي : لنلق نظرة على الموقف الدولي من القضية والمعركة ، بعد مرور سنتين على هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. نرى ما هو تحليلكم للموقف الدولي الراهن ،وذلك من ارضية الكفاح المسلح الفلسطيني الذي اثبت وجوده وفرض الاعتراف به عالميا ؟

ابو اياد : هنا يأتي في الحقيقة السؤال الذي كان دائما يدور في اذهاننا . وهو ان العالم كله .. شعوب العالم جميعا .. لاتحترم الا

الاقوياء . ولا اقصد بالاقوياء هنا من تتكدس لديهم الطائرات والدبابات والاسلحة القوية ، وانما الاقوياء هم المجموعات الشعبية المنظمة التى تؤمن وتعمل على استعادة حقوقهامهما كان الثمن ، مستخدمة فى ذلك القوة النابعة من داخلها . وذلك بغض النظر عن حجم القوة المقابلة لها . واعتقد اننا انطلاقا من هذا المفهوم استطعنا ان نعوض السنوات الماضية فى العشرين سنة الماضية ـ حيث كان عملنا ودعايتنا مرتكزة على « اللاجئين المساكين الغلابة » الذين يقفون ، فى اذلال ، طوابير امام هيئة الاغاثة . لقد غيرنا تماما صورة هذه الطوابير بصورة المقاتلين حاملى السلاح من اجل الحرية . فى البداية كان كثيرون يقولون ماذا تستطيع هذه القلة الصغيرة الضعيفة ان تفعله امام دولة مدعومة من الامبريالية وهزمت جيوشا عربية . كنا نتهم بالمغامرة . ولكن الان .. بعدما اثبتت المقاومة الفلسطينية ـ سياسيا وقتاليا ـ انها قوة ذات نفوذ وفاعليةفى المنطقة وقادرة على الاستمرار والنمو ، بدا يتفتح علينا العالم كله واجهزة اعلامه سياسيا .. هم الان امام حادث سياسى جديد فى المنطقة يحمل السلاح لتحرير وطن .

والعالم كما نعلم منقسم تقريبا الى ثلاثة اقسام .. دول المعسكر الشرقى ودول المعسكر الغربى ، ودول العالم الثالث . وبالنسبة لنا ، اعتقد اننا نجحنا الى حد ما فى توضيح قضيتنا فى هذه المعسكرات مع التفاوت بين واحد وآخر . واصبح لنا تأييد نام باستمرار من شعوب العالم . وكان مؤتمر نصرة الشعوب العربية الثانى الذى عقد فى القاهرة وشاركت فيه قوى عديدة مختلفة الاتجاهات من كل انحاء العالم .. كان هذا المؤتمر ميزانا لوزن حركتنا ونضالنا عاليا . ولقد أكبت كل الوفود التى حضرت المؤتمر على تأييدها لطرح فتح للقضية . وطبعا لم يكن هذا وليدا لحظة المؤتمر ، وانماهو ثمرة ايجابية لجهد سياسى سابق على المؤتمر . الامر الذى نطمح اليه اكثر هو ان نجد انفتاحا اعمق واوسع مع المعسكر الاشتراكى ، ومعسكر دول العالم الثالث .. اليس غريبا ان نجد الاعلام الغربى ينفتح على المقاومة اكثر مما ينفتح عليها الاعلام الاشتراكى مثلا .

لطفى الخولى : وبماذا تفسر هذا ؟

ابو اياد : افسره بتقصير القوى التقدمية العربية ، لانه من المفروض ان تحمل ـ فى هذا المجال العبء عن المقاومة الاشتراكية الفلسطينية ، فضلا عن مسئولية البلاد نفسها الى حد ما .

لطفى الخولى : اظن هذا التفسير غير كاف . لماذالاتفسره ايضا بان حركة المقاومة لم تطرح نفسها طرحا جيدا فى هذا المجال . بتعبير آخر اريد ان اقول لماذا تفسره فقط بخطأ فى الجانب الاخر ولا تفسره بان هناك ثمة اخطاء من جانبكم ايضا .

ابو اياد : وما هى الاخطاء التى يأخذها علينا الجانب الاخر ؟

لطفى الخولى : يقولون انكم تفصلون فصلا غير موضوعى بين العمل السياسى والعمل العسكرى ، وانكم دائما تؤثرون العمل العسكرى على اى عمل سياسى . بل وتتهمون اى عمل سياسى يبذل من اجل القضية الفلسطينية على مختلف المستويات ، وفى حدود تأمين الحقوق القومية للشعب الفلسطينى والشعوب العربية وكأنه مساومة .

ابو اياد : اعتقد ان الموضوع ليس بهذا الشكل الذى يتصورونه ، موضوع التقصير من الاعلام الاشتراكى بالنسبة للمقاومة وارد فعلا .. لانه حقيقة قائمة . واحب اولا هنا ان اؤكد ان حديثنا حول هذه النقطة ينطلق من موقف العتاب والحوار وليس من موقف التعريض او الهجوم على المعسكر الاشتراكى ، الذى نكن له مشاعر الصداقة ونقدر مايقدمه لبعض الدول العربية من مساعدات كبيرة وقيمة . ولكننا لانكون اصدقاء اذا لم يصارح بعضنا البعض .
ومن هنا ، اقول ان التقصير وارد من نقطتين :

النقطة الاولى : تتصل بالقضية الفلسطينية بالذات ، لان المعسكر الاشتراكى فى البداية وقف منها موقفا غير سليم وغير موضوعى فى نظرنا . ويمكن اسباب ذلك ترجع الى اننا ـ بحكم ظروفنا وقتذاك ـ لم نكن على صلات طيبة بهذا المعسكر خاصة عامى ١٩٤٧ ، ١٩٤٨ . فضلا عن تقصير الاحزاب الشيوعية العربية وقتذاك فى توضيح حقيقة الموقف والقضية . وكان المعسكر الاشتراكى ينظر الى القضية على اساس ان اى ثورة تحررية يجب ان تقوم على اساس ان ٦٠ فى المائة مثلا من السكان المحليين يؤمنون بها . وطالما ان هذا غير متوفر فلا تعتبر ان هناك ثورة فلسطينية . لنفرض ان المعسكر

الاشتراكى اراد الان ان يطبق هذه النظرية على الوضع الحالى لدولة اسرائيل ·· سيجد انه ليس هناك ٦٠ فى المائة من السكان المحليين راغبون فى الثورة وانهاء الوجود الصهيونى . ونحن نرى ان مثل هذه النظرة بالنسبة للقضية الفلسطينية غير سليمة . لان الموضوع هنا فى الاساس هو موضوع ان دولة عنصرية فاشية تقوم فى الاساس على اغتصاب واضح وصريح لارض شعب آخر ، وذلك بطريق الاستعمار الاستيطانى · فجوهر الموضوع هنا اذن هو هذا الاستعمار الاستيطانى الذى استطاع بواسطة اساليب الحركة الصهيونية الفاشية ان يجلى ويطرد السكان الاصليين تماما كما يحدث فى روديسيا وجنوب افريقيا . هذه هى حقيقة القضية التى نرى ان المعسكر الاشتراكى لم يتفهمها جيدا ، وكذلك فاننا لم نساهم بشكل جدى فى تفهمها للمعسكر الاشتراكى .

لطفى الخولى : اذن التقصير – فى رأيك – وارد من جانبنا وجانبهم فى وقت واحد ·· كيف اذن نتلافاه ؟

ابو اياد : بلا جدال التقصير من الجانبين . وحتى نسلسل الموضوع ، اقول ان هناك نقطتين : موقف المعسكر الاشتراكى فى الاصل من القضية الفلسطينية · واقول ايضا للحقيقة والتاريخ ان من الاسباب الاساسية التى اضعفت كثيرا من الاحزاب الشيوعية فى المنطقة العربية هو ماكان من موقفها الخاطىء من قضية فلسطين فى البداية · وجعلها محدودة الانتشار والتوسع ومحصورة فى عدد معين لاتتطور عنه . يمكن هنا فى مصر لم يكن موجودا ، مثل ما كان موجودا فى البلاد العربية الاخرى ·

لطفى الخولى : كان موجود فى مصر ···

ابو اياد : النقطة الثانية هى ان المعسكر الاشتراكى ، بعد حرب حزيران ، لم يتفهم حقيقة موقفنا من قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ .

لطفى الخولى : هنا يتعين عليك – استكمالا لفكرك – ان تفسر لماذا ترفض اسرائيل تنفيذ القرار اذن ؟

ابو اياد : اسرائيل ، ببساطة ، ترفض هذا القرار ، لان المنتصر يريد ان يحقق من عدوانه نتائج لم يحققها بعد . العدوان – فى مفهوم عدونا – كان مقصودا ان ينهى من الوجود كل شىء اسمه فلسطين وفلسطينى .. كان يمكن ان يسقط كثير من الانظمة العربية ·· كان يمكن ان يجعل الاوضاع العربية فى حالة انهزامية استسلامية بحيث تسلم له بوجوده . كل هذه الامور لم تتحقق نتيجة للعدوان .. فاذن كان هذا الانتصار هو انتصار على الورق وانتصار على الخرائط وليس انتصارا واقعيا · المقاومة الفلسطينية نمت واشتدت · بعض الانظمة التى كان من المفروض ان تسقط لم تسقط · اشياء كثيرة ، الصلح الذى طلبوه لم توافق عليه ولا دولة عربية · واظن ان مؤتمر الخرطوم كان ايجابيا فى شىء اساسى ، من ذلك عندما قال لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة فاذن العدوان لم يحقق شيئا . موضوع قرار مجلس الامن ينص على الانسحاب ، صحيح وشىء طبيعى انهم لايريدون الانسحاب فقط .. ولا يريدون حتى الحدود الامنة . لانه ممكن الحدود الامنة تقبلها على الورق الدول العربية ، ولكنهم فى الحقيقة يريدون ضمانات اكثر · وماذا يخسرون ؟ انهم محتلون اراضى ، وقد تحل لهم مشاكلهم الاقتصادية ، لانه حقيقة ان العدوان الصهيونى مرتبط دائما بحالة المطالب الحياتية داخل اسرائيل · سنة ١٩٥٦ ، اذا رجعنا للكتب الاسرائيلية الرسمية . نجد ان البطالة بلغت عندهم نسبة ٣٦ فى المائة . وهذه ارقام حقيقية فى كتبهم السنوية · سنة ١٩٦٧ ارتفعت البطالة الى نسبة ٣٩ فى المائة فقاموا بالحرب ايضا .

لطفى الخولى : الا يمكن القول ، ان لدى المقاومة الفلسطينية خشية من أنه لو فرض جدلا ونفذ قرار مجلس الامن – وهذا ما لا أعتقد أنه سيتم ، فان موقف البلاد العربية أو بعضها على الاقل قد يتغير من حركة المقاومة ؟

ابو اياد : الحقيقة انا لم اتعرض عامدا لموضوع ان من شروط تنفيذ قرار مجلس الامن ، فى الدول الاستعمارية ، هو تصفية المقاومة الفلسطينية ·· لم أتعرض لذلك لان المقاومة – وهذا ليس غرورا – قد صارت حركة شعبية ولا يمكن ان تصفى ·· ان تعود الى الوراء .

لطفى الخولى : على الاقل تواجه بمشاكل ليست هينة ؟

ابو اياد : حتى هـذا . . ووضـع المقـاومـة الفلسطينية ، رغم كثير منالثغرات الداخلية فيها ، الا أنها أصبحت ملكا للشعب الفلسطيني والشعب العربي كله . وليس سهلا ولا ميسورا القضاء على حركة ذات جذور عميقة وتتبناها الجماهير وتنتمي الى منطق العصر بالاساس . طبعا الاستعمار عندما يفكر في تنفيذ قرار مجلس الامن فانه يفكر بأسلوبه ومصالحه .. وأسلوبه ومصالحه تقتضيان ضرب العمل الفلسطيني والعمل الفدائي ولو بتقديم بديل شكلي . ومن هنا نسمع بين حين وآخر نغمة الدولة الفلسطينية التي يراد من ورائها اجهاض حركة الشعب الفلسطيني التحريبه ومقاومته المسلحة .. دولة فلسطينية خاضعة تماما لاسرائيل وللاستعمار تقوم في الضفة الغربية وغزة ويوصل بينهما ممر .. وكفى الله المؤمنـون القتـال . . تريدون دولـة فلسطينية .. ها هي الدولة الفلسطينية .. وانتهت المعركة . ووفقا لمعلومات مصادرنا عن مباحثات الدول الكبرى في نيويورك فان مثل هذه « الدولة الفلسطينية الزائفة » موضوع بحث . والغريب أن الوفد الامريكي بالذات هو الذي يقدم مشروع هذه الدولة ويدافع عنه .

لطفي الخولي : وما هو وجه الغرابة في ذلك ؟ .

ابو اياد : الغـرابة مـن ناحيـة ان الامريكان ظلوا لا يعترفون بالشعب الفلسطيني طوال السنوات الماضية .. واليوم يبدون هـذا الاهتمام بالدولة الفلسطينية .

لطفي الخولي : تمـامـا كما اهتمـوا بمصـير الاشتراكية في تشيكوسـلوفاكيا .. ولكن لماذا لا تقيمون حوارا حول كل هذه القضايا والخلافات في وجهات النظر مع المعسكر الاشتراكي ؟

ابو اياد : ما اسـتطيع ان اقـوله ، اننا طلبنا منهم ، ولانزال نطلب اقامـة مثـل هذا الحوار . ونحن دائما على استعداد للحوار مع كل القوى في العالم . ومنفتحين لكل مساعدة ومناقشة دون أي عقد. ولكن كما تعرف لا يكفي ان يكون الانفتاح من جانب واحد فقط وانما يستلزم انفتاحا من الجانبين

لطفي الخولي : طيب وما هو الموقف معكم من دول وشعوب العالم الثالث ؟

ابو اياد : الحقيقـة موقفهـم متعاطف بدرجـة كبيرة ونامية باستمرار .. وطبعا المشاكل الداخلية التي يعانيها حاليا هذا العالم تحد من قدراته ، ونحن مدركون هذا .

لطفي الخولي : وبالنسبة للشعوب في العالم الرأسمالي ؟

ابو اياد : نكسب فيها اصدقاء باستمرار . . . يمكن لا نستطيع أن نقول أننا كسبنا جزءا هاما من الرأي العام ، ولكن الكسب مستمر، خاصة في بلاد الشمال وفرنسـا ، وفي بريطانيا .. الشباب اليساري الجديد فانه يؤيدنا تماما .

لطفي الخولي : كنت منذ اسبوع في حديث مع بعض صحفيين غربيين عن المقاومة وقال لي بعضهم ان ثمة رأيا في العالم يخشى انه اذا استمر الوضع على ما عليه الآن في المنطقة واستمرار رفض المقاومة الفلسطينية لاى حل سلمي فان الانفجار واقع وأنه هذه المرة قد يؤدي الى حرب عالمية .. وفي رأيهم ان حركة المقاومة الفلسطينية مطالبة بادراك مسئولياتها بالنسبة لقضية السلام العالمي .

ابو اياد : والله يا اخ لطفي ، احنا احترنا مع هؤلاء الناس . مرة المقاومة ضعيفة ولا وزن لها ، وأنه لا يهم الاتصال بها لمعرفة رأيها وموقفها . ومرة يكبر دورها لدرجة أنها أصبحت تهدد السلام العالمي !

والحقيقة ان هـؤلاء الناس عليهم ان يحددوا موقفهم .. هل المقاومة حـركة ضعيفة لا تستحق الاتصال ، والاعتبار في الوزن ، أم أنها حركة اساسية وذات وزن في المنطقة .

ثم هل مقاومتنا بالسلاح لعدو عنصري فاشستي يحتل وطننا ، يهدد السلام العالمي ام يهدد الاسـتعمار والعنصرية مسـببي الحروب . نحن حركة تحرير .. لماذا لا يطرح مثل هذا الكلام عن السلام العالمي على حركة تحرير فيتنام مثلا . فيتنام أيضا يمكن أن تهدد بقيام حرب عالمية . فلماذا نخص ونحن فقط بهذا الاتهام . ان الذي يعكر صفو السلام ان يستمر اهدار حقوق شعب فلسطين في أرضه ووطنه وأن يستمر مثل هذا الكيان الصهيوني الاستعماري في بلادنا .. لا سلام ولا تقدم في بلادنا الا اذا

صفى هذا الوجود الصهيونى من بين جذر أن الوطن العربى . وعلى شعوب العالم أن

تتفهم أنه حينما يحمل الشعب الفلسطينى السلاح فانما هو يعمل جديا لاحلال السلام فى العالم .

لطفى الخولى : بمعنى ان المقاومة الفلسطينية الفلسطينية تفجر حربا تحريرية ضد الاستعمار والعنصرية ، وبالتالى فهى ككل حركة تحرير فى العالم تخدم ـ موضوعيا ـ قضية السلام العالمى . وهذا صحيح . دعنا نناقش قضية أخرى .. لوحظ أنه خلال الاسابيع الاخيرة صدر نقد عنيف وغير موضوعى ضد الاتحاد السوفيتى وذلك من جانب صوت العاصفة التابع لفتح .. الا ترى أن الخلافات فى وجهات النظر يجب أن لا تحجب حقيقة هامة وهى أن الاتحاد السوفيتى صديق هام وحليف موضوعى لحركات التحرر الوطنية فى العالم . وان هذه الخلافات يجب ان تسوى بالتالى من أرضية الصداقة وليس من أرضية له .

ابو اياد : نحن متفقون تماما على ان النظرة للاتحاد السوفيتى يجب أن تنطلق من اعتبار كونه صديقا للعرب ، وترجم هذه الصداقة بالفعل فى مساعدات مادية وتأييدات معنوية قوية للدول العربية وخاصة بعد حرب حزيران . ولكن هذا لا يمنعنا من بيان أوجه الخلاف فى نظراتنا الى الموقف . وأعتقد أنه يحسن فى هذا المجال أن تكون العلاقات مباشرة بين الشعب الفلسطينى والاتحاد السوفيتى ، وكونها ليست مباشرة لا يرجع الينا .

والاتحاد السوفيتى يجب أن يقدر حساسيتنا الشديدة من اجتماعات الدول الكبرى . فقد ظللنا باستمرار نواجه ، كشعب ، تقرير لمصيرنا فى غيابنا . وكنا فى نقدنا نريد أن نوضح للاتحاد السوفيتى الصديق والمشارك فى نفس الوقت بالمباحثات هذه النقطة الجوهرية والتى نعتقد أن مبادئه تؤيدها ، ونقدنا كان نقد من يريد ان يقرب الصديق لا أن يبعده .

لطفى الخولى : اذن كان لابد وان يكون النقد فى أسلوب آخر ولا يساوى مثلا بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا وبريطانيا .

ابو اياد : لا .. لم نساو بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا وبريطانيا . أرجوك قراءة النقد مرة أخرى لتتأكد من ذلك . قلنا ان امريكا وبريطانيا ساهمتا فى خلق الكيان الصهيونى ولاتزالان تساندها بقوة . فى حين ان الاتحاد السوفيتى صديق العرب مفروض أن لا يثابر على موقفه السابق فى عام ١٩٤٨ من القضية الفلسطينية .

لطفى الخولى ، الان .. اود ان اتعرف على رؤيتكم للعدو .. كيف كانت هذه الرؤية قبل أن تمارسوا المقاومة المسلحة ، ثم كيف اصبحت بعد ممارستكم للمقاومة المسلحة ؟

ابو اياد : فى البداية لابد ان اقرر شيئا عاما . وهو أن الحركة الصهيونية استهدفت ولاتزال ــ سواء بالنسبة لنا نحن العرب او بالنسبة لاتباعها ــ أن تقنع ، وقد نجحت فى ذلك الى حد كبير ، أنها لا تحتمل أية هزيمة ، سواء أكانت فى معركة جزئية ذات انعكاسات نفسية على شعبها أو فى معركة كبيرة تؤدى بالتالى الى تصفية الكيان الاسرائيلى ، وتصفية الجماهير اليهودية

والملاحظ أننا ــ مع الاسف ــ بقدر ما بالغنا قبل حرب ٤٨ فى التقليل من قدرة الجندى الصهيونى وأنه غير مقاتل وغير شجاع ، بقدر ما حدث تضخم من هذا الجندى بعد حرب حزيران .

ونحن نشعر ، بأن الانسان من حيث كونه انسانا ، فى اسرائيل ، وخاصة الجندى فيها ـ اذا استثنينا القادة الذين يعملون ضمن مخطط الحركة ، الصهيونية الاستعمارية ـ غير مقتنع بالحرب الا من زاوية الدفاع عن النفس . فاذا استطعنا ، نحن بتصرفاتنا ، أن نصل الى قلب هذا الانسان ، اننا فى حقيقتنا ،لسنا كما تصورنا الصهيونية ،برابرة نريد ذبحه ،ورمى اطفاله ونسائه فى البحر ، لامكن أن نفصل نفسيا بين الانسان والصهيونى ، بين الجندى اليهودى والمؤسسة العسكرية الصهيونية الاستعمارية .

لقد اقترحنا نحن على الدول العربية أن تعلن رسميا أنها مستعدة لاستقبال جميع اليهود الذين هاجروا منها الى فلسطين ، وان تعاد لهم ممتلكاتهم وحقوقهم المدنية كمواطنين عربا فى هذه البلاد على قدم المساواة مع المواطنين العرب الاخرين . أقول اذا استطعنا ان نصنع هذا ، وان نوضح حقيقة موقفنا الانسانى من اليهودى كانسان ، فاننا على يقين من ان المؤسسة العسكرية الصهيونية الاستعمارية سوف تنهار تلقائيا ،

وينصرف عنها الجندى اليهودى الواقع تحت تأثير بأنه اذا لم يقاتل ويسفك دماء العرب فانه سوف يقتل ويموت . نحن أدركنا بعمق هذا المعنى . خذ مثلا ملاحظة فعلية فى معركة الكرامة . بعد معركة الكرامة جرت محاكمة لحوالى ٣٠٠ ضابط وجندى يهودى رفضوا الاشتراك فى المعركة. من المؤسف اننا رحنا فى صحفنا نشوه موقف هؤلاء الجنود والضباط على أساس أنهم جبناء وأنهم هربوا من المعركة ، مع أننا لو دققنا النظر وأطلعنا على ما كتبوه قبل وبعد المعركة لاكتشفنا معنى انسانيا عظيما ، وهو أنهم غير مقتنعين بالحرب والعدوان وغير مقتنعين حتى بالقضاء على المقاومة الفلسطينية . وعلى هذا الاساس اذا استطاعت دعايتنا ان تعبر عن حقيقة انسانيتنا ، ونتوصل لاقناع الجندى والضابط اليهودى والانسان اليهودى عامة ، أنه ليس هدفا بأى حال لمقاومتنا ، وانما الهدف هو الصهيونية وكيانها ، فان الخرافة كلها تسقط وتزول وتكون معركتنا أسهل وتصفية الصهيونية وكيانها ممكنة بتضحيات أقل .

ربما ركزت فى حديثى عن الناحية العسكرية ومؤسستها . والواقع أن هذا الموضوع هو مصدر القوة ومصدر الضعف أيضا فى العدو . تقابلنا أخيرا مع صحفى أجنبى تقدمى خرج لتوه من اسرائيل ، سألناه : ما هى ملاحظاتك الاساسية ؟ قال ان هناك تفهما من بعض الاوساط التقدمية بل وأحيانا من أوساط غير تقدمية ، وان كان حجمها قليل ، لماذا يحمل الفلسطينى السلاح ويقاوم . والمباحث والمخابرات الاسرائيلية تتعقب هؤلاء الناس وتلاحقهم ملاحقة ارهابية شديدة . وللاسف أن ضعف المعلومات لدى صحفنا عما يجرى فى داخل اسرائيل هو السبب فى حجب هذه الحقائق الهامة عن المواطن العربى . ومعنى هذا أن المقاومة الفلسطينية قد نفذت حقيقتها الى الداخل الانسانى ، ولم يعد مستغربا لديهم أن واحدا فلسطينيا يمسك قنبلة ويرميها على دورية اسرائيلية . وبالعكس أصبح هناك استغراب وأحيانا ادانة لموقف السلطة العسكرية الصهيونية من نسف بيوت العرب وبشاعة معاملة الاسرى والمساجين .

ورؤيتنا للعدو تمتد لتشمل ايضا البنية الاجتماعية له والحالة الاجتماعية فيه . لحد الان لم يحدث فى المجتمع الاسرائيلى الصهيونى أى تآلف أو انصهار حقيقى . وانما هو تآلف مصلحى قائم على مواجهة الخطر كما ترسبه الصهيونية فالذى يجمع القادم من سوريا مع القادم من العراق مع القادم من أوربا هو أنهم مضطهدون ولابد أن يلتقوا لمواجهة الخطر وليس أكثر من ذلك . وهذا لا يمكن ان يكون مجتمعا انسانيا أبدا قادرا على الاستمرار . ثم ان اليهود الشرقيين عموما يعاملون معاملة مواطنين من الدرجة الثانية . هناك تمييز واضح بينهم وبين اليهود الاوربيين (الاشكناز) . الانسجام بين الطائفتين قلق وصعب بل وغير قائم على أساس . واليهود الاوربيون هم وحدهم مواطنو الدرجة الاولى الذين يتمتعون بكل الامتيازات والمناصب الكبيرة .. الوزراء .. قادة الجيش .. الضباط الكبار .. السفراء .. الدرجات العليا فى كل الوزارات والمصالح . هل نعلم مثلا ان هناك شبه عزل لليهود المصريين فى اسرائيل .. ان غالبيتهم جمعوا أساسا فى بير سبع .. وبير سبع كما نلاحظ فى القسم الجنوبى .. وهذه لا يمكن أن تكون ظاهرة عفوية .. وانما هى تكشف عن الانقسامية والطائفية فى أعماق المجتمع الصهيونى ، مهما كان العكس ظاهرا على السطح .

وعلى العموم ، فهذا كله وغيره من العوامل ، التى لا نريد أن نكشف عنها ، لترشدنا فى خطتنا المعقدة لمواجهة العدو موضوعيا ، أى كما هو فى حقيقته الواقعة لا كما نتصوره فى خيالنا . وكن متأكد أننا نحسب بدقة نقط القوة ونقط الضعف ولا نغفل العلاقة الديناميكية بينهما جميعا .

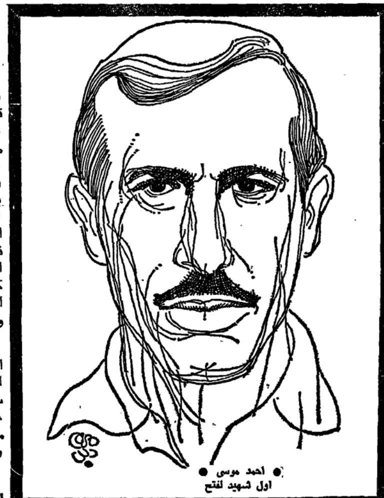
لطفى الخولى : فى ختام هذا الحوار الذى أشكرك عليه وعلى الصراحة التى تحدثت بها ، فانى أوجه اليك سؤالا طالما وجه الى من بعض الاصدقاء الاجانب : ماذا يكون موقفك ازاء أى اضطهاد يقع على يهودى فى أى مكان ؟ وكنت أجيب دائما : أقف معه وأسانده ضد الاضطهاد . ترى ماذا تكون اجابة فتح لو وجه اليها هذا السؤال عن اضطهاد يهودى داخل أو خارج فلسطين ؟

ابو اياد : اجابتنا واضحة ولا لبس فيها ... واعتقد اذا كنا نرحب بالتعايش مع اليهود عند تصفية الكيان الصهيونى واقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية ، فاننا نقف مع أى يهودى مضطهد ومستعدون لتسليمه بندقية ونقاتل معه .

بيانات و وثائق

ننشر فيما يلى اهم بيانات ووثائق « فتح » ، التى تكشف عن الخطوط الرئيسية لافكارها وواقعها ، كما اعلنتها فى تواريخ محددة . وبذلك تستكمل ـ بجانب الحوار معها ـ الصورة الوثائقية .

[١] البيان السياسى الاول الذى أذاعته القيادة العامة لقوات العاصفة



● احمد موسى ●
اول شهيد لفتح

لقد مرت ستة عشر عاما على شعبنا وهو يعيش بعيدا عن قضيته التى قبعت فى ادراج الامم المتحدة كقضية لاجئين مشردين ، بينما العدو يخطط بكل امكانياته على الصعيدين المحلى والدولى لاقامة طويلة الامد فى بلادنا متجاهلا الفلسطينى البطل . ومن وحى هذا الواقع السىء ، ولان عامل الزمن يسير فى اتجاه مضاد انطلقت قوات العاصفة لتؤكد للعدو ، وللعالم كله ان هذا الشعب لم يمت ، وان الثورة المسلحة هى طريق العودة والنصر .

ان قوات العاصفة المنبثقة من ارادة الجماهير الفلسطينية الثائرة لتدرك ادراكا تاما ابعاد المعركة سياسيا وعسكريا وهى تعمل متخطية كل الظروف والعقبات معتمدة على قوتها الذاتية وطاقات شعبنا العربى .

ياجماهير شعبنا الصامد المجاهد .

هذا طريقنا وهذه مسيرتنا • ان الموقف جد لا هزل ، فالشهداء قد تساقطوا والدماء قد اريقت ، فلنرتفع الى مستوى المسئولية •• مسئولية المعركة الشريفة لانهذه الانطلاقة ماهى الا بداية لحرب تحريرية ذات منهج مخطط ومدروس • ويهمنا فى هذه المرحلة التاريخية الحرجة ان نعلن بوضوح تام ان مخططاتنا فى الميدانين العسكرى والسياسى لاتتعارض مع المخطط الفلسطينى والعربى الرسميين فى المعركة • لان الكفاح من أجل فلسطين يصب فى مجرى واحد يبتدىء وينتهى باجتثاث الخطر الصهيونى من على ارضنا • واننا لنناشد الامة العربية وقادتها ان يرتفعوا بمسئولياتهم الى المستوى القومى الملتزم • فمعركتنا مع اسرائيل معركة ضارية لابد من الاستعداد والاستنفار •

اما نحن فلقد تحركنا من منطلق فلسطينى مرتبط بتربة الوطن وخير مايدفعنا ايماننا بان هذا هو الطريق السليم لاخراج قضيتنا من الدوامة التى عاشت فيها ، معتمدين على امتنا العربية وكفاحها المشترك والقوى التحررية فى العالم ، ولن يوقف هذا الزحف حتى يرفرف علم فلسطين فوق ارضنا الغالية مهما كانت التضحيات • واننا لنعاهد شعبنا على الاستمرار فى هذا الطريق والا نلقى السلاح حتى يتحقق النصر •

وبهذه المناسبة تتوجه قوات العاصفة بالشكر لجميع وسائل الاعلام العربية اذاعات وصحافة واقلام حرة شريفة التى تفهمت موقفنا وساندت بكل اخلاص فى انطلاقتنا المباركة • كما نشيد بموقف المنظمات والهيئات الفلسطينية والعربية التى قامت بتأييدها ووقفت الى جانبنا • وان الشعب العربى مطالب بتأييد هذه الانطلاقة وبذل المزيد من الدعم المادى والمعنوى حتى نحقق اهدافا فى العودة والحرية •

عاشت امتنا العربية البطلة ،

عاشت فلسطين عربية حرة ،

التاريخ اول يناير ١٩٦٥

القيادة العامة لقوات العاصفة

■

[٢] البلاغ العسكرى رقم (١) الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة

توكلا منا على الله • وايمانا منا بحق شعبنا فى الكفاح لاسترداد وطنه المغتصب ،وايمانا منا بواجب الجهاد المقدس •• وايمانا منا بموقف العربى الثائر من المحيط الى الخليج وايمانا منا بمؤازرة احرار وشرفاء العالم •• لذلك فقد تحركت اجنحة من القوات الضاربة فى ليلة الجمعة ١٩٦٤/١٢/٣١ وقامت بتنفيذ العمليات المطلوبة منها كاملة ضمن الارض المحتلة •• وعادت جميعها الى معسكراتها سالمة •• واننا لنحذر العدو من القيام باية اجراءات ضد المدنيين الامنين العرب اينما كانوا •• لان قواتنا سترد على الاعتداء باعتداءات مماثلة •• وسنعتبر هذه الاجراءات من جرائم الحرب •• كما واننا نحذر جميع الدول من التدخل لصالح العدو باى شكل كان •• لان قواتنا سترد على هذا العمل بتعريض مصالح الدول للدمار اينما كانت • • •

عاشت وحدة شعبنا

وعاش نضاله لاستعادة كرامته ووطنه

التاريخ ١٩٦٥/١/١ •

القيادة العامةلقوات العاصفة

■

[٣] البلاغ العسكرى رقم (٢) الصادر عن القيادة العامة لقوات العاصفة

تلبية لنداء الواجب المقدس تجاه وطننا السليب • • وايمانا منا بحقنا المغتصب •• وبان السبيل لاسترجاعه هو الثورة المسلحة •• فقد تحركت قواتنا فى ارضنا المحتلة كما يلى :

١ ــ قامت قوة ضاربة من المجموعة الاولى من الجناح الثالث بمهاجمة العدو •• ومنشآت تحويل نهر الاردن •• واستطاعت هذه القوات ان تصيب اهدافها المحددة لها فى كل من نفق عليبون وسهل البطوق •• وقد استشهد فى هذه

العملية مناضل انضم لأخوانه فى قائمة البطولة والشرف (١) .

٢ ـ اصطدمت قوة من المجموعة الثالثة بمفرزة منجنود العدو على طريق بئر السبع وايلات ، وقد قتل ثلاثة من جنود العدو فى هذه العملية . . وعادت القوة الى قواعدها سالمة ..

٣ ـ تحركت قوة من المجموعة الثالثة ونسفت خزان المياه ومحطة للضخ فى بيت نحاس فى المنطقة الجنوبية .. وعادت القوة الى قواعدها سالمة ..

٤ ـ تحركت قوة من المجموعة الثانية (الجناح الاول) ونسفت جسرا على طريق عكا المدورة ..

عاشت وحدة النضال لشعبنا المناضل

عاشت فلسطين حرة عربية

التاريخ : ١٩٦٥/١/١٢ .

القيادة العامة لقوات العاصفة

■

[٤] مذكرة الى ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمرهم الثالث بالدار البيضاء ـ سبتمبر ٦٥

الى ملوك ورؤساء الدول العربية فى مؤتمر القمة العربى الثالث تحية الثورة والنضال ، وبعد :

من المعتاد ان تكون المذكرات التى تقدم الى المؤتمرات الكبرى حافلة بصيغ التهذيب البروتوكولى ، ميالة الى الحجج الضافية وربط الوقائع التاريخية الكبرى وتوزيع المسئوليات على الاطراف ، وان حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح) لتجد نفسها فى حرج كبير فى هذه الحالة التى تخاطب فيها مؤتمر قمة يجمع ملوك ورؤساء العرب للمرة الثالثة فى محاولة منهم لايجاد صيغة فعالة للتعاون والعمل المشترك من اجل انقاذ فلسطين ، وحركة فتح التى تشكل العاصفة القوة الفدائية بجناحها العسكرى،اذترفع صوتها لمخاطبة المؤتمر تدرك تماما موقفها منه ، فهى ليست سوى مجموعة من الشباب عقدوا العزم على استرداد وطنهم ، واخذ يلتف حولهم يوما بعد يوم مئات الشباب الفلسطينى الظامئين الى معركة شرف حقيقية بعد ان هدهم الشوق الى ارضهم ،وحالت آلاف الحواجز والعراقيل بينهم وبين نوعية الجهاد الذى يتوقون الى الانضواء تحت لوائه فى سبيل استرداد وطنهم السليب. ان حركتنا مكونة من هذه المجموعة من الشباب ، وليس وراءها جيش جرار ، ولا ميزانيات ضخمة ولا امكانيات دولية .ومن هنا كان حرجها اذ تخاطب ملوكا ورؤساء يسيطرون على ارض الوطن العربى اكبر مناطق العالم حساسية وخطورة . وتشعر حركتنا بحرج اشد اذ تجد نفسها عازفة عن الكلام بطريقة بعيدة عن الاسترسال فى التحليلات والنظريات للسببين التاليين :

أ ـ انها منذ انتهجت الكفاح المسلح خطا لها عرفت وعرفت معها الجماهير العربية ، أن الرصاصة فى ظروف تاريخية معينة ، نعنى ظروف التحرير ، هى التى تفعل وتقرر وتقوض الظلم وتبنى الاوطان ، وان الانشغال بالكلام ، والخطابات والمذكرات والمؤتمرات والمناورات السياسية فى الاوقات التى تملى ظروفها الموضوعية الانخراط فى النضال المسلح ، هذا الانشغال ليس انحرافا قوميا وقصر نظر ، وتعاميا عن المشكلة القائمة وتهربا غير متبصر من مواجهة المصير المحتوم .

ب ـ انها لاتمتلك الاجهزة المتفرغة لحوك الخطابات وتزويق البيانات ، لا لعجزها بل لعزوف افرادها عن مثل هذه المهمة التى يبدو انها اصبحت عملا اساسيا بل العمل الاكثر اساسية فى بنيان الدول العربية .

اصحاب الجلالة والفخامة والسيادة . هذه المقدمة لم يكن بد منها لتبرير طبيعة هذه المذكرة التى تعمدنا لها ان تكون موجزة وان تعنى الامور الرئيسية لا بتفصيلاتها ، وقبل الخوض فى مطالب الحركة من المؤتمر يجب ان نعرض بايجاز القناعات الثابتة التى ينطلق منها عمل الحركة ومنطقها ، ونرجو ان لايفهم من هذا العرض الصريح البعيد عن المواربة ،اى تجريح او تعريض باحد ، فالمواجهة كانت ومازالت المحرك الاساسى لتصرفات الحركة التى التزمت

---

(١) المناضل الذى كان اول شهداء « فتح » خلال هذه العملية ، هو الشهيد احمد موسى (راجع حديث ابو اياد عن ظروف استشهاده فى حوارمع الطليعة)

منذ البدأ بانها لن تتحرج فى دخول المعترك السياسى عندما تقضى الضرورة ، ولكن بعقلية ونفسية المحارب الذى لايعرف الا المواجهة •

منطلقات حركة التحرير الوطنى الفلسطينى (فتح)

١ ـ ان المنطلق الاساسى لوجود الحركة اصلا هو الايمان الجازم الذى لايقبل الشك ولا التعديل بان الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد لتحرير الارض السليبة •

٢ ـ تؤمن الحركة ان مادة هذا الكفاح المسلح هى الشعب العربى باسره ، وهى تدرك ابعاد معركة التحرير الداخلية والدولية وترى ان طاقات الشعب العربى فى جميع اقطاره وعلى اختلاف هذه الطاقات يجب ان تجند لخوض المعركة المصيرية ، ولكنها تؤمن فى الوقت نفسه ان الشعب العربى الفلسطينى هو رأس الحربة وطليعة الكفاح ، ومن هنا كانت مسئوليته فى شق طريق الكفاح امام الجماهير العربية ومواصلة القتال حتى النصر •

أن الحركة وبكل صراحة ، لا تنتظر ابدا ان يأتى يوم تعلن فيه الدول العربية بدء معركة التحرير ، او الحرب الحقيقية على اسرائيل ، لا بسبب من ظروفها وارتباطاتها الخارجية بل بسبب طبيعة الحكم والاوضاع الداخلية التى يحرص الاستعمار على ابقائها فى جو من التخلخل والتضارب والعجز بجعلها تميل الى تأجيل المعركة الى مالا نهاية له •

٣ ـ تعتقد الحركة ان الزمن فى صالح العدو ، وهى حين ترى ماتراه من تناحر مختلف القوى التى يتألف منها هذا الوطن وهى اذ ترى كيف يدب الخلاف بشكل فاجع بين رفاق السلاح فى مختلف الاقطار العربية يثبت لها يوما بعد يوم ان هذه الظاهرة ليست عابرة ولكنها ظاهرة مصطنعة تهيأ لها العوامل دائما ليظل الوطن العربى عاجزا عن مجاراة ركب الزمن ،وقاصرا على احراز التطور التكنيكى والحربى الذى يحقق فيه العدو نجاحات لايمكن انكارها •

ومن هنا تجزم الحركة ان المعركة يجب ان تكون اليوم لا غدا ،وان تأجيلها المتلاحق لايفوت على العرب فرص النصر فحسب، بل يفوت عليهم فرصة خوض المعركة اصلا لان التذرع المقبل باحتمال حصول اسرائيل على القنبلة الذرية او غيرها من الاسلحة ذات الطاقات فوق العادية سوف يشكل منطقا قائما بذاته لدى الانهزاميين الذين يتكاثر عددهم يوما بعد يوم تكاثر الفواجع وخيبات الامل فى الوطن العربى •

٤ ـ وترى الحركة فى معركة تحرير فلسطين حلا للتناقضات المؤلمة القائمة فى الوطن العربى • والمعركة فى المنظور البعيد كفيلة بان تجمع قوى الوطن العربى فى بوتقة نضالية واحدة لانها ستكون معركة مصيرية وحاسمة ورهيبة ومدمرة ، وسوف تصل الى درجة حرارة عالية جدا من شأنها ان تصيب الخلافات وتصهر التناقضات وتجند الشعب العربى • وهى تعتقد مع الذين يعتقدون ان الخلافات والانقسامات فى الوطن العربى تكاد تصل الى حد الاستعصاء وان محاولة حلها بالطرق العادية، طرق المؤتمرات والمفاوضات ، والصفقات السياسية اثبتت فشلا ذريعا المرة تلو المرة ، ومن هنا كانت العملية الكيماوية ذات الحرارة العالية ، ونعنى حرب التحرير ، هى وحدها الكفيلة بتوحيد الامة واذابة الشقوق والصدوع فى بنيانها ، وهذا الحل ليس غريبا عن منطق التاريخ • فحروب التحرير كانت دائما عامل توحيد وخلقا جديدا للامم المجزأة او التى تعانى من التناقض والفوضى الداخلية •

٥ ـ اما الاحتجاج بمنظمة التحرير الفلسطينية من اجل تفنيد المنطق السابق منطق العاصفة ، فجوابنا عليه هو اننا حاولنا منذ البدء ان نكون ايجابيين مع المنظمة واشتراكنا فى اجهزتها كما اشترك سائر المواطنين الفلسطينيين وعملنا على اعطائها نفقة الحياة المطلوبة ، ولكن الايام اثبتت ما توقعه الكثيرون ، من ان المنظمة، وهى وليدة مؤتمر القمة ، سترث من هذا المؤتمر دمه ولحمه وسوف تنعكس عليها طبيعة التناقضات التى تكشف عنها فيما بعد • ونحن لانود الخوض فى موضوع منظمة التحرير اصلا ، وانما نقتصر دائما على ذكر اقل ما يمكن ان يكون له صلة بمخططنا ومنهاجنا ، وعلى اية حال مهما اختلف الرأى النظرى فى المنظمة فان الواقع العملى يقول : **ان المنظمة بصرف النظر** عن طبيعة اعدادها للمعركة المقبلة ، انما تهيىء نفسها لمعركة بعيدة الامد وليس فى طبيعة عمليات الاعداد الجارية فيها ماينبىء بالاستعداد لمعركة قريبة وهذا وحده لايتفق ابدا مع منطقنا الذى اصبح واقعا عمليا فى بطاح فلسطين ، ولاننا نؤمن بان ارض المعركة هى وحدها الكفيلة بخلق القيادات السليمة يضاف الى ذلك ان المنظمة أتت بديلا لمنع التحويل الصهيونى لمياه الاردن ، وانتهت الى تحويل الانظار عن هذه المشكلة المصيرية التى اصبحت امرا واقعا امام الروح الانهزامية التى سادت الصف العربى ، ولم يتصد لها الا قواتنا باعمالها الفدائية داخل ارضنا المحتلة باعتراف العدو نفسه • على اننا

دائما نعلن استعدادنا للتنسيق والتعاون مع اية جهة فلسطينية او عربية تعمل او تنوى العمل من اجل التحرير بشرطين ثابتين :

اولا : ان يكون اللقاء والتعاون فى ارض المعركة وليس فى المكاتب والمؤتمرات ٠

ثانيا : ابقاء القيادة فى يد الشعب الفلسطينى ، وفى منأى عن الخصومات والتيارات السياسية التى تتنازع العالم العربى ٠

حول الموقف العربي من العاصفة

منذ ان انطلقت طلائع التحرير فى شهر كانون الثانى من هذا العام ١٩٦٥ لاحظت حركتنا بمرارة واسى ان موقف الحكومات العربية من نشاطها لم يكن موقفا سليما ، ومنذ الانطلاقة الاولى سقط شهداء من العاصفة برصاص الجنود العرب فى الارض المقدسة ، وبدات موجات من الاعتقالات والارهاب فى مختلف القطاعات الفلسطينية التى تسيطر عليها الدول العربية واستعملت مخابرات بعض الدول العربية مع افراد العاصفة شتى الاساليب التى تستعملها مع الجواسيس والمهربين والاشقياء ، ومع اننا كنا نتوقع مثل هذا الموقف الا اننا فوجئنا فعلا بأنه موقف جاد معاد مائة فى المائة ، ولاسيما من قبل انظمة الحكم فى اكثر الدول العربية المجاورة لفلسطين ، مع شيء من التفاوت فيما بينها ٠٠ وهكذا عومل الابطال الاشداء معاملة المجرمين والاشقياء . واثبتت لنا هذه التجربة ان هناك عددا من الحكام العرب لايروق لهم ان يتولى الشعب العربى الفلسطينى قيادة معركته ، بل اصبحنا فى شك من ايمانهم اصلا بوجوب خوض معركة التحرير ٠ ومن هنا بدانا نتساءل : كيف يمكن لنظام حكم يقاوم ثورة التحرير القائمة ان يعملّ من جهة اخرى على خلق منظمة التحرير ؟ ٠٠ كما اصبحنا نتساءل : بأمر من ولمصلحة من تجرى كل هذه الامور ؟ ٠٠

وقد سكتت حركتنا عن هذا الموقف العدائى اللاقومى العجيب ٠ وحاولت تداركه بالاتصالات الشخصية وباعطاء براهين على حسن النية تجاه انظمة الحكم العربية وبالتزام عدم التدخل المطلق فى المشكلات الداخلية فى البلاد العربية ، ولكن دون جدوى ٠ حتى حملت الانباء فى مطلع هذا الشهر (ايلول) ٠ ان دولة عربية مجاورة لاسرائيل حظرت على الصحف نشر بلاغات العاصفة وكل ما يتصل بعملها سواء كان مصدره وكالات الانباء العالمية حتى ولا تلك التى يذيعها العدو نفسه ٠

ومما يحز فى النفوس ان نرى دولا عربية معينة تقوم باجراءات تنسيق وتخطيط عملية مع العدو نفسه لمقاومة وملاحقة فدائيينا ، ولخنق ثورة شعبنا ٠

ايها الاقطاب ٠٠

نستميحكم عذرا لهذه اللهجة ولكننا نؤكد لكم اننا قررنا منذ اليوم عدم السكوت وقد ضبطنا اعصابنا مدة تسعة اشهر كان نتيجتها دائما مزيدا من الضغط ومحاولة احكام الطوق حول قوة العاصفة ونشاطها ٠ وبعد كل ما وضح لنا من نوايا خبيثة مخططة للقضاء على ثورة شعبنا بدلا من مساعدتها ومؤازرتها فاننا لنرجو ان تكون قناعة خاطئة ، علما باننا مصممون على حماية ثورتنا التى اصبحت امل الجماهير الفلسطينية والعربية . واننا مستعدون لاخذ الجانب الحسن من الصورة ومقياسنا لحسن النية عملى محض ٠ ولا نقبل ومن ورائنا شعب فلسطين والشعب العربى بأسره ، لا نقبل سوى خطوات عملية للتدليل على حسن النوايا تجاه ثورة شعبنا ٠ ونرى ان تلك الخطوات تتمثل فيما يلى :

١ ـ الكف عن ملاحقة قوات العاصفة فى مختلف الدول العربية المجاورة او غير المجاورة لفلسطين ، واطلاق سراح المعتقلين دون تردد ٠

٢ ـ الغاء الحظر المضروب حول نشر انباء العاصفة فى كثير من الدول العربية ٠

٣ ـ عدم التعرض لرجال العاصفة اثناء قيامهم بعملياتهم الفدائية او اثناء اضطرار قوات العاصفة فى الارض المحتلة للالتجاء الى الدول العربية المجاورة نتيجة لظروفهم الصعبة مع العلم بان الاوامر تفرض عليهم عدم اللجوء الى هذه الطريقة الا بعد استنفاد كافة الوسائل الاخرى ٠

٤ ـ قيام الدول العربية بالدفاع عن اسرى العاصفة فى اسرائيل بمختلف الوسائل المعروفة ، وهذه المطالب السلبية ليست الا اقل من القليل ٠ واى منطق سليم يفترض انها اساس الحكم على المواقف ٠ ومع ذلك فان حركة التحرير الوطنى الفلسطينى التى تخوض اليوم اشرف قتال وانبل معركة فوق ارضنا المحتلة بعد ان خطت الطريق السليم من اجل تحرير فلسطين لم تفقد الامل بعد ان تقفوا الموقف الذى تمليه عليكم المسئولية التاريخية الخطيرة بتقديم ماتتطلبه معركة التحرير من مساعدات وذلك بالافراج عن مخزونات الاسلحة المكدسة فى الاراضى العربية ووضعها فى متناول ايدى ثوار فلسطين اسوة بما تقدمه الحكومات العربية للحركات التحررية فى آسيا وافريقيا ٠

كما اننا نؤمن بان التعاون خير من الانفراد ٠ ونحن مستعدون لارسال وفد عنا لشرح موقف حركتنا امام مؤتمر القمة باسهاب ٠

اصحاب الجلالة والفخامة والسيادة :

نحن نؤمن بان معركة فلسطين صعبة ودقيقة ومتداخلة الابعاد ، تحتاج لتجنيد جميع الطاقات . ولكن هذا الايمان لن يمنعنا عن مواصلة ثورتنا وحمايتها بعد ان التفت حولها الجماهير الفلسطينية والعربية وثبت ان الطريق الذى اختطته هو الطريق الصحيح الذى يسير مع منطق التاريخ .. ومازلنانأمل ان تكون التصرفات الرسمية المعادية للعاصفة فى بعض الاقطار العربية ناتجة عن خطأ او سوء فهم على الاقل عن فردية غير مرتبطة بخطة عامة لمقاومة ثورة شعب فلسطين ، وعلى اساس هذا الامل فاننا نمد يدنا لمؤتمركم هذا لنسير جميعا بثورتنا حتى النصر .

اننا اذ نحيي مؤتمركم ونرجو له كل نجاح وتوفيق فى خدمة القضية العربية الكبرى ، قضية فلسطين ، لنرجو ان يكون لقاؤكم هذا مكللا بانتصارات حقيقية على ارض فلسطين .

عاشت فلسطين حرة عربية

عاش نضال الشعب العربى فى كل مكان من أجل تحريرها

التاريخ : ٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٦٥

حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » .

■

[٥]

بيان سياسى لفتح صدر بمناسبة الذكرى الرابعة لانطلاقة الثورة الفلسطينية

يا جماهير شعبنا العظيم :

يا ابناء امتنا العربية الابية :

فى بداية السنة الخامسة لانطلاق ثورتنا الفلسطينية الصاعدة نقف ونحن أشد ما نكون ثقة بالنفس وأملا بالمستقبل واصرارا على مواصلة النضال الذى رفعنا شعلته المقدسة فى فاتح كانون الثانى (يناير) عام ١٩٦٥ ... اننا نقف الان لا لنلتقط أنفاسنا أو نستريح من عناء الرحلة الشاقة المريرة ؛ لاننا يوم فجرنا ثورتنا اللاهبة كنا على وعى كامل وادراك عميق انها رحلة الالف ميل ، لذا وطنا أنفسنا أن نقطعها بكل ما فيها من تضحيات وفداء وكل ما فيها من بذل وعطاء ، انما نقف هنا هذه الوقفة القصيرة لسببين هامين :

اولا : لنلقى نظرة على الماضى بكل تجاربه وكل ما فيه من عبر ودروس استنبطناها من التجربة وتعلمناها من الممارسة لتكون لنا نبراسا نرفعه على الدرب حتى يكون بمقدورنا وضع أقدامنا على أرض صلبة تجنبا لكل الحفر والمزالق والالغام ، لان كل ما تجرعته امتنا من ويلات وآلام خلال تاريخها الحديث كان ناتجا عن اهمالها لتجاربها وعدم استنباطها للعبر والدروس من تاريخها ، الامر الذى جعلها تلدغ من كل جحر اكثر من مرة وتتعثر على كل درب اكبر من عثرة ، كان بامكانها تلافيها لو أنها أحسنت النظر فى تجاربها النضالية بكل ما فيها من خطأ وصواب .

ثانيا : لنقدم الحساب لشعبنا الثائر ولامتنا العربية الابية عن الفترة السالفة فاذا كانت الشجاعة والممارسة هى التى فجرت الثورة فان المحاسبة والنقد الذاتى هما اللذان يحفظان استمرارها وتصعيدها فما اللذان يحفظان استمرارها وتصعيدها فما تعثرت طليعة ثورية تجد فى نفسها الشجاعة على محاسبة نفسها وتقديم هذا الحساب لشعبها الذى منحها كل ما يملك ، ولامتها التى منحتها كل الثقة ووضعت فيها كل الامال ؛ وما فشلت أمة تستطيع أن تحاسب روادها الثوريين حسابا دقيقا فتشد من أزرهم ان أصابوا وتقوم اعوجاجهم ان أخطأوا ، فأمة تعرف كيف تحاسب روادها وثوارها تستطيع الصمود واحراز النصر على أعدائها والعكس صحيح .

ومن هنا وانطلاقا من هذين السببين الرئيسين كان لابد من هذه الوقفة لنستخلص الدرس والعبرة من الماضى ولنقدم الحساب للشعب والامة حتى ندخل العام الخامس لثورتنا على هدى وبصيرة معززين بثقة ودعم جماهير شعبنا وأمتنا ، هذه الجماهير التى أخذت تدرك اليوم أكثر من أى يوم آخر ان العدو الصهيونى المحتل ومن ورائه كل قوى التآمر الاستعمارى التى تمده بكل أسباب القوة والدمار ، لا يستهدف فلسطيننا المحتلة وشعبنا العربى الفلسطينى فحسب ، انما يستهدف الامة العربية بكاملها جماهيرا وأرضا وحرية وكرامة ، لذا فانه يتذرع باوهى الاسباب ليحتل الاراضى العربية أو ليقصف ويدمر القرى والمدن العربية بقصد تصفية الانسان العربى والقضاء عليه ماديا ومعنويا وروحيا حتى يتم له فرض الاستسلام على هذه الامة والى الابد .. لقد ادركت الجماهير العربية هذه الحقيقة المؤلمة والمستقبل الاسود الذى ينتظرها ان لم تسارع الى السير قدما فى نفس الدرب الذى سلكته كل الامم والشعوب التى تعرضت

للغدر والعدوان .. انه درب العنف المسلح الذى آمنت به جماهيرنا وسيلة حتمية للدفاع عن حريتها وبقائها ، وتصفية الكيان الصهيونى العدوانى من قلب أرضها بكل مرتكزاتها العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

يا أبناءشعبنا العظيم :

يا أبناء أمتنا العربية الابية :

ان نظرة سريعة نلقيها على مسيرة شعبنا وأمتنا خلال الخمسين سنة الماضية نستطيع الخروج منها بالحقائق التالية :

أولا : زحفت الصهيونية العالمية الى فلسطين تحت جناح القوى الاستعمارية الغازية ومعها مخطط تآمرى مدروس ، باشرت تنفيذه بكل دقة مسخرة لذلك كل الوسائل والاسلحة والامكانيات التى استطاعت ان تستعملها بمهارة وبالطريقة المناسبة وفى الوقت المناسب .

ثانيا : قوبل هذا المخطط الصهيونى الاستعمارى من قبل الامة العربية بتخبط عشوائى بسبب عدم توعية الجماهير بأبعاد المؤامرة وانعدام الرؤيا السليمة لديها بسبب التضليل والخداع الصهيونى الاستعمارى الذى مورس ضدها .

ثالثا : تم عزل كل شعب من شعوب الامة العربية عن بقية أشقائه ليقابل قدره بنفسه ، الامر الذى أتاح لقوى الاستعمار الغاشمة أن تنفرد بكل شعب على حدة لتستنزف دماءه وعرقه وخيرات أرضه .

رابعا : كان خط شعبنا الفلسطينى - كشعب حددت ارضه وبقاءه ووجوده معارك عديدة ضارية ، وفجر ثورات متتالية قدم فيها الالوف من الضحايا ، وكانت هذه الثورات جميعها تجهض من قبل الاستعمار والسائرين فى ركابه . كما حدث فى انتفاضة شعبنا عام ١٩٣٦ ، وعام ١٩٤٧ .

خامسا : تنفيذا لبقية فصول المؤامرة عزل شعبنا عن ساحة النضال داخل معسكرات الاذلال والتشريد ، وعومل بأقسىٰ ما يمكن أن تكون المعاملة من أجل قتل روح النضال والصمود فيه وحمل زورا وبهتانا مسئولية ضياع الارض ، فأصبح هو المجرم الذى تشير اليه اصابع الاتهام ، بينما المجرمون الحقيقيون فى مأمن من العقاب وحتى من مجرد الاتهام والتجريم

سادسا : وخلال حقبة سوداء من الزمن امتدت من عام النكبة والى سبعةعشر عاما بعدها كان يحق لكل من يريد أن يتحدث باسم فلسطين وباسم الشعب الفلسطينى أن يتحدث الا شعبنا العربى الفلسطينى فهو الوحيد الذى لم يكن يحق له ان يتحدث باسم نفسه حتى اصبح العالم لايعرف عن شعبنا الفلسطينى شيئا سوى انه طوابير من المشردين البائسين فى حاجة الى الاغاثة والعون .

سابعا : وخلال نفس الحقبة من الزمن كان العدو الصهيونى وطبقا لخطته المرسومة ينطلق من استراتيجية الهجوم المستمر على الجبهة العربية عسكريا وسياسيا بينما كانت الجبهة العربيةنظرا لعدم التزامها بهدف محدد وخطة مرسومة ، تنطلق من استراتيجية الدفاع المستمر الامر الذى أتاح الفرصة للعدوان يتقدم باطراد بينما كان التراجع المستمر على طول الجبهةالعربية ،ونتيجةلذلك وقعت الامة العربية فى مصيدة التنازلات المستمرة ، فالكيان الصهيونى التوسعى الدخيل نتيجة لهذه التنازلات المستمرة ، أصبح فى نظر غالبية دول العالم أمرا واقعا ، والاعتداءات الصهيونية المستمرة على حدودنا نرد عليها بشكاوى متتالية الى المنظمة الدولية .

يا جماهير شعبنا العظيم :

يا أبناء أمتنا العربية الابية :

وأمام هذا الواقع السىء الذى عاشه شعبنا مبعدا عن حلبة الصراع مكبلا بكل قيود واصفاد الوصاية والتبعية محجوزا خلف أسوار التآمر والتواطؤ ، تائها فى صحارى الدجل السياسى كان لابد من طليعة ثورية واعية شجاعة ، ترفع الشعلة وتتقدم الركب ، ومن أعماق هذا الشعب الصامد المكافح انبثقت الطليعة تنادى بفكرة التكتل حول الكفاح المسلح وبناء الكيان الفلسطينى من خلال الثورة واعتمدت فى ذلك على دراسة مستفيضة وتحليل علمى اتجه الى الواقع الفلسطينى والعربى سياسيا واجتماعيا مستفيدة من كل التجارب الثورية السابقة التى خاضها شعبنا والتى اجهضت لسبب أو لاخر ، ولقد خرجت هذه الطليعة على الشعب الفلسطينى والامة العربية بمبادىء أساسية محددة نوجزها فيما يلى :

١ - اعتماد الكفاح المسلح والثورة الشاملة كأسلوب وحيد لتحرير فلسطين وتصفية الكيان الصهيونى .

٢ - اعتبار هذه المرحلة من نضال شعبنا مرحلة كفاح وطنى لابد وان تستوعب كافة الطاقات الفلسطينية ، الامر الذى يحتم وحدة كافة الفئات الفلسطينية وانصهارها فى بوتقة الثورة من أجل بروز الكيان الفلسطينى الثورى .

٣ - عدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول العربية شرط ان لا يكون هناك تدخل من أى دولة عربية فى شئون الثورة الفلسطينية .

٤ ـ رفض أى مساومة على حقوق الشعب الفلسطينى ورفض جميع المشاريع الاستعمارية الصادرة عن الامم المتحدة وغيرها ٠

٥ ـ اعتماد الحرب الشعبية طويلة الامد استراتيجية للثورة الشاملة ، ورفض استراتيجية الحرب الخاطفة بسبب الظروف الدولية التى تحمى الوجود الصهيونى وتدعمه ٠

٦ ـ اعطاء معركة تحرير فلسطين الاولوية على كافة القضايا العربية باعتبارها معركة البقاء بالنسبة للامة العربية الامر الذى يستدعى ان تصب كل فى الامكانيات العربية فى هذه المعركة ٠

وما كادت تخرج حركة التحرير الوطنى الفلسطينى « فتح » بهذه الافكار وتنادى بها حتى تجمعت عليها كل القوى المعادية تتهمها وتدينها ، ولكن الطليعة صمدت بصلابة لانها كانت تؤمن بأن عجلة التاريخ لن تعود الى الوراء وان منطق الثوار لا يعرف الهزيمة ولا يفقد صوابه أمام الغوغائية الانهزامية ٠٠ صمدت الطليعة لتعلن عن مولد الارادة الفلسطينية فى مطلع عام ١٩٦٥ عندما انطلقت طلائع العاصفة على طول الارض المحتلة تنسف وتهاجم وهى تهتف للثورة الفلسطينية وللشعب الفلسطينى المقاتل الصامد المناضل ٠

يا جماهير شعبنا العظيم :

يا جماهير أمتنا العربية الابية :

لقد قطعنا مرحلة اثبات الوجود من خلال مولد الارادة الفلسطينية المسلحة عبر طريق الفلسطينية الثورية المسلحة عبر طريق دام وشاق ٢ وانتقلنا الى مرحلة اصعب واشد ضراوة تتصل بتثبيت دعائم الثورة وخلق القاعدة الشعبية لها من خلال مناخ ثورى يتيح لقدرات الثورة لتصل الى ما تتطلع اليه وهو التحرير الكامل ٠

وكانت صعوبة هذه المرحلة الى جانب محاولات التآمر والانقضاض والانهاك من القوى المضادة للثورة ، شيوع جو من الانكماش النفسى عند جماهير الامة العربية متأثرا بالهزيمة وبأسطورة التفوق الاسرائيلى وتركيز الدوائر الاستعمارية والقوى الامبريالية والصهيونية على ترسيخ مناخ الهزيمة ليستقر اليأس والعجز فى النفس العربية وتفرض من خلالها مشاريع التصفية والاستسلام ٠ وعلى مدى الشهور التى تلت هزيمة حزيران اتسعت عمليات العاصفة وحققت شمولا وكثافة غطت بها الارض الفلسطينية المحتلة وخاض مقاتلونا فيها معارك مواجهة طويلة وقاسية أثبتوا فيها صلابة وصمود المقاتل الفلسطينى العنيد الى حد هز فيه كل الاسس التى يقوم عليها تفكير العناصر المتغطرسة فى الجيش والمجتمع الصهيونى ، وكانت معركة الكرامة درسا قاسيا لمثل هذه العناصر الارهابية تعلمت منه ألا تستخف بحركة الثورة الفلسطينية ، وتبعتها معارك طوباس والقرنطل والعوجة والقلط لتؤكد خرافة الاسطورة العسكرية الاسرائيلية التى لا تهزم ٠

ولقد استطاعت الثورة من خلال هذه المعارك البطولية أن تثبت لها قاعدة أمينة تستند الى الجماهير المنظمة المعبأة المسلحة ولكن انتصار الثورة فى هذه المرحلة حملها أعباء كثيرة وشاقة أنها أعباء التنظيم والتدريب والتسليح لهذا الطوفان البشرى الذى تدفق على حركة « فتح » يريد المساهمة والمشاركة فى الثورة ، وكان هذا الطوفان أكبر من قدراتنا وامكانياتنا المادية لكن ايمان ثورتنا بالشعب جعلنا نجد فيه القوة المنظمة والطاقات التدريبية الخلاقة ومصدر التمويل الذى لا يبخل على ثورته بدمه قبل ماله ٠٠ لقد كانت هذه المرحلة اختبارا فعليا لقدرات شعبنا الذى لم يلن ولم يتردد رغم ضراوة التشرد القديم والجديد ٠ ولم يكن شعبنا الفلسطينى فى كل هذا الا جزءا من أمتنا العربية العظيمة التى هبت من محيطها الى خليجها تساند ثورتنا بكل ما تملكه من امكانيات مادية ومعنوية تكفل لها الشمول والاستمرار ٠

يا أبناء شعبنا العظيم ٠٠

يا أبناء أمتنا العربية الابية ٠٠

لقد استطاعت ثورتنا من خلال السنوات الاربع الماضية أن تحقق انجازات عظيمة على المستويات العسكرية والسياسية والاجتماعية نوجزها فيما يلى :

(أ) على الصعيد العسكرى :

١ ـ لقد أصدرت حركتنا نيفا وثلاثمائة بلاغا عسكريا اشتملت على مئات العمليات العسكرية التى تم تنفيذها بنجاح ضد قوى الغزو الصهيونى كان حصادها قتل وجرح بضعة آلاف من جنود العدو بينهم عدد من كبار ضباطه ، كما تم تدمير مئات من سياراته ومصفحاته ودباباته ، هذا بالاضافة الى عشرات المصانع والمنشآت الحيوية والسكك الحديدية والقطارات والجسور والمولدات الكهربائية وغيرها

٢ ـ استطاعت الثورة الفلسطينية أن تنمى كوادرها العسكرية كما وكيفا ، كما استطاعت أن تقطع مرحلة كبيرة على طريق قدراتها العسكرية بداية من العبوة الناسفة والبندقية الى دخول مرحلة الصواريخ الثقيلة ، وهى ماضية فى تطوير هذه القدرات حتى

تصل بها الى المستوى الذى تتمكن معه من مواجهة كافة أسلحة العدو والتغلب عليها ·

٣ ــ أدركت الثورة الفلسطينية ان الانسان الثائر هو أقوى من كل سلاح ، لذا عمدت الى خلق هذا الانسان الجديد الذى يتحمل اليوم أعباء المعركة فأعدته سياسيا وعسكريا ومن أجل ذلك أنشأت معسكرات التدريب للكبار ومعسكرات الاشبال للصغار وهى ماضية على هذا الدرب حتى تضع شعبنا كل شعبنا على درب الثورة لاعداد كل أفراده اعدادا سياسيا وعسكريا ·

٤ ــ تدافع شعبنا للانخراط فى صفوف الثوار ، وتم تلاحم جماهير شعبنا بالثورة الفلسطينية وانتقلت جماهيرنا فى داخل الارض المحتلة من مرحلة المقاومة السلبية الى مرحلة المقاومةالايجابيةالمنظمة ·

٥ ــ تحملت الثورة الفلسطينية مهمة أشغال العدو وارباكه فأعطت بذلك الفرصة للجيوش العربية ان تعيد بناء قواها ماديا ومعنويا ·

٦ ــ عمقت الثورة الفلسطينية مفهوم حرب التحرير الشعبية التى تعتمد الجماهير أداة لها وأصبح هذا المفهوم هو النظرية السائدة لدى جماهير أمتنا العربية جمعاء ·

٧ ــ سحق الروح المعنوية للعدو باعتراف صحف العدو نفسه وقلب انتصار حزيران الى نكسات وهزائم مستمرة للعدو ·

٨ ــ ارتباك الاقتصاد الصهيونى وتعطيل المشاريع الانمائية نتج عن وضع الجيش الصهيونى فى استنفار مستمر وعن دعوة الاحتياط للخدمة ·

٩ ــ انخفاض الهجرة الصهيونية الى فلسطين فى الوقت الذى نشطت فيه الهجرة العكسية ·

١٠ ــ هبوط معدل السياحة وهروب الرساميل الاجنبية وانتشار البطالة عند العدو ·

١١ ــ ارتباك العدو وتخبطه وتناقض تصريحات زعمائه من عسكريين وسياسيين ·

١٢ ــ تجميد اعداد كبيرة من جيش العدو فى مواقعها الدفاعية وقلب استراتيجية العدو من الهجوم المستمر الى الدفاع فى الوقت الذى أصبحت فيه قوى الثورة الفلسطينية فى موقع الهجوم المستمر ·

(ب) على الصعيد السياسى :

١ ــ تخلص شعبنا من كل رواسب النكبة وأمراضها وانطلق علىطريق الثورة بعد أن أسقط والى الابد كل قيود الوصاية والتبعية ، وقد استعاد شعبنا ثقته بنفسهوبمقدرته على مواجهة العدو وقهره وهزيمته ·

٢ ــ اتضحت الصورة الحقيقية لشعبنا كشعب عريق فى النضال والثورة ، وقد اصبح شعبنا اليوم هو المحرك الرئيسى للاحداث فى المنطقة ، واصبح صاحب الكلمة الاولى والاخيرة فى تقرير مصيره الذى حدد له أسلوبا واحدا هو العنف المسلح والثورة المسلحة ·

٣ ــ استرد شعبنا احترامه وتقديره لدى الشعوب العربية ولدى الشعوب العالمية ·

٤ ــ استعادت جماهير أمتنا العربية الامل والثقة بعد أن جعل شعبنا من نفسه طليعة وتموذجا للصمود والنضال ، الامر الذى قفز بمعنويات الجماهير العربية وعززها ودفعها لتلتف حول الثورة الفلسطينية وتساندها بكل امكاناتها ·

٥ ــ كان للمواقف الصريحة للثورة الفلسطينية وسرعة كشفها لكل التحركات المضادة للثورة أثره الكبير فى جعل الجماهير العربية فى حالة يقظة وتنبه مستمرين لمواجهة كل الاحتمالات الامر الذى دفع بهذه الجماهير الى حلبة الصراع لتتحمل مسئولياتها النضالية بعد ان عاشت سنوات طوال تقف على حافة الميدان للمراقبة والمشاهدة ·

٦ ــ سقطت والى الابد الصورة المشوهة للقضية الفلسطينية التى مزقت نتفا لتتحول من قضية شعب وأرض الى قضية تعويض واسكان أو تشغيل أو اغاثة ، او قضيةحدود مع الدول المجاورة · سقطت هذه الصورة المهزوزة المشوهة ، وبرزت الصورة الحقيقيةمنخلال طرح الثورة لها طرحا صحيحا كقضية نضالية تحررية يخوض شعبنا فى سبيلها نضالا مريرا قاسيا ضد قوى التآمر العالمى ، الاستعمار والصهيونية ·

٧ ــ بدأت الصهيونية تخسر من مواقعها على خريطة العالم بعد أن برزت التورة الفلسطينيه بشعبها الثائر كبديل طبيعى للوجود الصهيونى فوق أرضنا ، وبعد أن بدأ الرأى العام العالمى يدرك حقيقة المؤامرة الصهيونية الاستعمارية على ارضنا وشعبنا

٨ ــ استعاد شعبنا وعلى المستوى العالمى مكانته كشعب ثائر خاصة بين الشعوب الاسلامية والصديقة والشعوب المحبة للسلام ·

٩ ــ اصبحت أنباء الثورة الفلسطينية ــ ورغم الحصار الصهيوني ــ تحتل الامكنة البارزة من الصحف العالمية · الامر الذى يشير بوضوح الى التحول الكبير فى الرأى العام العالمى ·

(جـ) على المستوى الاجتماعى :

١ ـ انشأت حركتنا المؤسسات الاجتماعية لرعاية أبناء الشهداء والاسرى والمقاتلين وهى ماضية فى تنمية هذه المؤسسات لتصل الى المستوى المطلوب حتى تكون قادرة على مواجهة مسئولياتها .

٢ ـ أنشأت حركتنا عددا من العيادات الصحية تتولى علاج أبناء شعبنا وتقديم الدواء المجانى لهم، كما ساهمت فى تقديم المعونات للمتضررين من عمليات القصف أو النسف التى يقوم بها العدو .

٣ ـ بدأت حركتنا فى افتتاح المدارس الخاصة بأبناء الشهداء والاسرى ، وهى ماضية بوضع الدراسات الخاصة بتعميم هذه المدارس حتى تشمل كل تجمعات شعبنا .

٤ ـ ساهمت حركتنا فى إعداد عدد من الملاجىء لابناء شعبنا لمواجهة عمليات القصف والاعتداءات الصهيونية الغادرة .

٥ ـ يساهم ثوارنا فى فلاحة الارض جنبا الى جنب مع اخوانهم سكان القرى الامامية من أجل المساعدة لرفع الكفاءة الانتاجية الزراعية .

يا جماهير شعبنا العظيم ..

ياجماهير امتنا العربية الابية ..

ان تحقيق هذه المنجزات تم خلال مراحل نضالية صعبة مريرة قدمت فيها الثورة ما يقرب من أربعمائة شهيد خضبوا بدمائهم الزكية الطاهرة ثرى الوطن ودفعوا بالثورة مراحل الى الامام حتى أصبحت ثورتنا اليوم عميقة الجذور وسط الجماهير صلبة لا تكسر قوية لا تقهر . لكن مسيرتنا النضالية المتواصلة على طريق الحرية بدت كنذير يهدد الكيان الصهيونى ويهدد آمال الاستعمار سند هذا الكيان الدخيل .. فكان لزاما على الثورة الفلسطينية أن تصارح الامة العربية عامة والشعب الفلسطينى خاصة باعتباره المسئول أولا وأخيرا عن انطلاقة الثورة وعن استمرارها والدفاع عنها ، ضد ما يحاك لهذه الثورة العظيمة من مؤامرات ودسائس ، وحتى نفضح أساليب هذا التآمر من خلال الرؤيا الواضحة لابعاد مؤامرات التصفية ، فان حركة (فتح) تؤكد ما يلى :

أولا : ان جماهير الشعب الفلسطينى بقيادة طلائعه الثورية هى صاحبة الحق فى تقرير مصيرها وفق منهج القتال والثورة حتى التحرير الكامل ، وان حركة (فتح) لتحذر كل الانهزاميين الذين يحاولون التسلق على مصلحة الشعب الحقيقية ويدعون لانفسهم حق تمثيله ويطالبون علنا أو سرا بالدولة الفلسطينية تحت العلم الصهيونى ، كحلقة من سلسلة التآمر على ثورتنا وشعبنا .. ان الذين يحملون البنادق ويقدمون الشهداء هم وحدهم الذين يحملون مسئولية التحدث باسم هذا الشعب .

ثانيا : ان حركة (فتح) تؤكد استعدادها التام للوحدة التامة مع كل منظمة أو حركة فلسطينية تعمل ضمن اطار الثورة الفلسطينية ، وهى تأمل من المنظمات الفدائية أن ترتفع فى مسلكها وتصرفاتها الى المستوى المطلوب فى هذه المرحلة ، حتى توجه كل طاقاتها الى ساحة المعركة التى يخوضها شعبنا ببسالة ضد العدو الصهيونى المحتل .

ثالثا : ان حركة (فتح) تجدد رفضها المطلق لكل مشاريع التصفية والحلول الاستسلامية المطروحة فى المنطقة ابتداء بقرار التقسيم وانتهاء بقرار مجلس الامن الصادر عام ١٩٦٧ . وان حركة فتح تؤمن بأن الرفض العملى للحل السياسى وباقى مشروعات التصفية انما يأتى بوحدة المقاتلين فوق أرض المعركة ومن خلال تصاعد الكفاح المسلح وشموله والتوجيه الكلى للمعركة .

رابعا : ان حركة (فتح) تطالب بقوة ضرورة رفع كل أشكال الوصاية عن شعبنا العربى الفلسطينى حتى يتمكن من التحرك بسهولة للالتحاق بركب الثورة كما تطالب فتح كافة الحدود أمام الثوار الفلسطينيين حتى يتمكنوا من أداء واجبهم الوطنى .

خامسا : ان الصمود الرائع لشعبنا داخل الارض المحتلة والظروف الاقتصادية السيئة التى يعيشها هذا الشعب الصابر الصامت تحتم على الامة العربية جمعاء أن تمد له يد العون حتى يكون بمقدوره مواصلة الصمود والكفاح حتى يوم النصر .

سادسا : ان حركة (فتح) تدعو كافة الطاقات العلمية من شعبنا والمتخصصة بالذات فى العلوم المختلفة الى ضرورة الالتحاق بركب الثورة من أجل خلق قاعدة علمية صلبة للثورة الفلسطينية تضمن بها تطور قدرات الثورة العلمية حتى تواجه المتطلبات اليومية الملحة لنضالنا المتصاعد .

يا جماهير شعبنا العظيم ..

ياجماهير امتنا العربية الابية .

ان المعركة مع العدو تتسع وتزداد حدة وضراوة كل ما حس هذا العدو بالحبل يلتف حول عنقه ولن تسلم الصهيونية . ومن خلفها قوى الامبريالية العالمية بسهولة لارادة شعبنا وأمتنا ... فالمعركة طويلة ومريرة وسيلقى فيها الاعداء بكل

ثقلهم ، ولقد أصبح واضحا أن الانسان العربى اينما كان ليس بعيدا عن المعركة وقد يجد نفسه فى كل لحظة أمام أعدائه ولقد أثبتت عمليات طيران العدو على الجبهات العربية صدق هذا القول ، لذا فان الرؤيا الواضحة السليمة لابعاد المعركة ،والتصور الكامل لها يحتم علينا ايضاح ما يلى :

١ ـ ضرورة توجه الامة العربية بكاملها الى معركة المصير الواحد من خلال خطة عربية واحدة تسخر كل امكانيات الامة العربية للقتال ، مع نبذ الخلافات والمعارك الجانبية التى تستنزف قدرات الامة العربية وامكانياتها .

٢ ـ ضرورة اعداد الانسان العربى اينما كان عسكريا ونفسيا اعدادا يؤهله لخوض المعركة فى كل لحظة حتى لا يؤخذ على غرة .

٣ ـ ضرورة تحويل الجامعات والمدارس الثانوية فى كافة الاقطار العربية الى مدارس عسكرية لاعداد الرجال المقاتلين لمواجهة الخطر الذى يتهددها .

٤ ـ ضرورة تحصين القرى والمدن العربية وتحويلها الى قلاع عسكرية دفاعية قادرة على مواجهة هجمات العدو الغادرة ، كذلك ضرورة انشاء القرى العسكرية المحصنة فى المواقع الاستراتيجية الغير مأهولة والمتاخمة للعدو .

٥ ـ ضرورة تطوير الاعلام العربى بشكل جديد يتلاءم مع المرحلة الراهنة حتى يتلافى السقوط فى المزالق والمتاهات التى لا تخدم الا العدو .

ياجماهير شعبنا العظيم ..

ياجماهير امتنا العربية الابية.

أربعة أعوام مضت على عمر الثورة التى فجرتها حركة (فتح) ... أربعة أعوام كانت حافلة بالملاحم والبطولات والمواقف التى لا تعرف التسليم أو المساومة ... أربعة أعوام هزت كيان العدو الصهيونى ، وجعلته يدرك أنه لا سبيل الى تجاهل ارادة شعبنا فى التحرر وتصفية المجتمع الصهيونى بكل مرتكزاته .. أربعة أعوام مضت بالعرق والدم والتضحية والمعاناة ولكننا مع ذلك نصارح شعبنا بكل شجاعة ونقول أننا ما زلنا فى أول الطريق ، فالعقبات ما زالت كثيرة والمؤامرات متتالية ولكننا مع ذلك نظل أقوى وأكبر بايماننا اللا محدود بحتمية النصر وارادة الحياة التى لا تقهر .

اننا نتطلع الى المستقبل على أمل كبير فى مزيد من التلاحم بيننا وبين الشعب ، وفى مزيد من التطوير لعملياتنا العسكرية ووحداتنا القتالية وسنسهم بكل طاقاتنا من أجل وحدة وطنية تضم كافة المقاتلين ضمن برنامج عملى مرحلى يستهدف توحيد الجهود والطاقات لمواجهة كل احتمالات التآمر والتصفية واننا نعاهد شعبنا أن نستمر فى طريق النضال والثورة مستمدين القوة فى مواقفنا من صلابة شعبنا وايجابية تحركه السياسى وعنف نضاله المسلح حتى تتحقق كل الاهداف المرحلية التى هى جزء لا يتجزأ من الهدف الاستراتيجى العام لثورتنا والمتمثل فى بناء الدولة العربية الفلسطينية التى تتسع لكل الطوائف والمعتقدات بعيدا عن العنصرية والطائفية والاستغلال .

ان اصرارنا على حمل السلاح منطلق من ايماننا بالسلام القائم على العدل ... ولسوف نواصل مسيرتنا النضالية المسلحة باذن الله حتى تخفق رايات ثورتنا فوق كل فلسطين .

وثورة حتى النصر ...

التاريخ : يناير ١٩٦٩



المقاومة الفلسطينية



ان معرفة العدو ، والادراك الواعي لخططاته وتاكتيكه السياسي والعسكري ، واساليبه في العمل ، تعتبر من اهم عناصر هزيمته وتحقيق النصر على قواته .

وقد كان الاستعمار — في الماضي — اعتمادا على موارده الهائلة لايبدى اهتماما يذكر الا بدراسة العلوم العسكرية التقليدية في المواجهة بين الجيوش النظامية ، تمهيدا للحروب الامبريالية التي تتفجر بين حين واخر لاعادة تقسيم العالم بين الدول الكبرى الاستعمارية .

ولكن الاستعمار اصطدم بهزائم ساحقة امام تصاعد قوى حركات التحرر الوطني والانتصارات التي احرزتها القوى الاشتراكية والوطنية ، وتمزقت اعظم واضخم اجهزة الحرب الحديثة تحت وطأة الضربات القاصمة التي كالتها لها الثورات الفتية وحرب العصابات الثورية رغم ما يعوزها من عتاد وسلاح . ومن هنا شرع خبراء الحرب الاستعمارية في بذل محاولات لاستيعاب خبرات من هذه الهزائم ، لتدعيم وسائل القمع وتطوير اساليب حروب الابادة التي تشنها ضد الشعوب .

ومن واجب القوى الثورية ، وخاصة في مراحل الكفاح المسلح ان تتزود بالمعرفة الدقيقه للتطورات التي يدخلها الاستعمار على اساليبه واسلحته .

ومن هنا رأت « الطليعة » نشر خطاب الجنرال و . وستمورلاند رئيس اركان حرب الجيش الامريكي في المؤتمر الثامن لجيوش امريكا اللاتينية ، نقلا عن مجلة « التريكونتيننتال » — القارات الثلاث — مع مقدمة من أسرة تحرير المجلة ، لما تمثله مثل هذه الوثائق من اهمية في « التعرف على العدو » من اجل هزيمته ودحره .



أمد تطور العملية الثورية المعاصرة — ولا يزال يمد — الشعوب المناضلة والمنظمات التي تتحمل مسئولية قيادة الحركة الثورية ، بمعين لاينضب من الخبرة . فثورات روسيا والصين وكوريا وفيتنام والجزائر وكوبا ، حلقات ظافرة في سلسلة الثورة العالمية . وما يحدث اليوم في فلسطين والمستعمرات البرتغالية وتايلاند وكوريا الجنوبية وكولومبيا .. الخ ، وهي المناطق التي يتفجر فيها العنف الثوري في أرقى صوره — حرب العصابات — ، انما يؤكد من جديد ، حقيقة انه لامفر امامنا من اختيار هذا الطريق ، اذا رغبنا في تحرير شعوبنا .

لكنه من الصعب ، نشر او اذاعة ظروف كفاح شعوب هذه البلاد كل على حدة . فالحصار الذي يفرضه العدو الاستعماري عن طريق سيطرته على اجهزة الاعلام ، فضلا عن ندرة

المصادر ومعرفة وسائل عمل وتطور هذه التجارب ـ انما تحد من امكانيات النشر · يزيد على ذلك،ان صور التبسيط والرومانسيةالتى عادة ما تقدم بها هذه الخبرات فى ظروف معينة ، قد يعرقل اكثر فاكثر امكانيات تعميمها او الاستفادة منها بشكل مناسب ·

وتلك قضية هامة تقلق الحركة الثورية العالمية · والحل الجزئى الممكن والوحيد امامها ، هو ان تتفاعل كل الحركات الثورية مع بعضها البعض ، وان تنسق فيما بينها بشكل تام ، بشرط ان تقدم كل منهاخبرتها الخاصة.

ان العدو الاستعمارى ـ من جانبه ـ يحاول ان يعمل ماهوعكس ذلك ، بانيستوعب احدث الخبرات الملائمة لان يقوى وسائله فىالقمع، وفى مواجهة حرب العصابات . وذلك بهدف ان يلائم بين تصوراته العامة وقدراته على وضع الخطط العسكريةوالسياسيةوادارةالمؤسسات والجيوش واستخدام الامكانيات ، وبين معطيات عملية الكفاح المسلح الثورى · وقد حقق العدو ذلك ، بان قام بتقييم وتحليل كمية هائلة من المواد والمعلومات قام بتجميعها من كل الجهات ، وربط فيما بينها · والمكتبة الحالية عن « قمع حرب العصابات »· ، تتضمن موادا تكفى لاعطاء فكرة تؤكد وعى العدو بهذه المسألة · بل تكفى لتوضيح ماهو اكثر من ذلك ، ان العدو قداحرز بالفعلقدرا من التقدم فىهذا المجال وتوصل الى بعض النتائج ·

ومن الضرورى للحركة الثورية ، ان تشحذ سلاح يقظتها التامة بشأن هذه الظاهرة · وعليها ان تواجهها بالجدية والحيوية اللازمتين لكل عملية ثورية ·

فى اطار هذا الفهم ، ننشر فيما يلى بعضا من أكثر أجزاء خطاب وستمورلاند اهمية ، وهو الخطاب الذى القاه الجنرال وستمورلاند ـ رئيس اركان حرب الجيش الامريكى ــ فى المؤتمر الثامن لجيوش امريكا اللاتينية الذى انعقد فى ريودى جانيرو بالبرازيل فى سبتمبر من العام الماضى · وتتضمن هذه الاجزاء ، تحليلات وخبرات العدو ، التى ينبغى ان يعرفها الثوريون وان يستفيدوا منها · ووستمورلاند ــ المتحدث هنا ــ هو الرجل الذى هزم على يد جبهة تحرير فيتنام ، وقوات باثيت لاو . وهو ـ ايضا ـ مخطط استراتيجية الولايات المتحدة ، الذىاستخدم كلوسائلها وامكانياتها من معركة تاى نينه الىمعركة التيت، ولميلق فيها جميعا سوى الهزيمة ·

فى مواجهة حرب العصابات

اظن ان احتمالات « خلق اكثر من فيتنام واحدة» فى العالم ، قد أصبحت تمثل خطرا حقيقيا يتهدد أمن الشعوب المحبة للحرية . ولهذا السبب ، فاننى أعتقد أنه ينبغى علينا أن نعترف بأن فن حرب العصابات ، قد بلغ حدا عاليا من الخطر . وأقول ، أنه ينبغى علينا الا نتوقع ان نلقى دائما ، نماذج متطابقة من هذه الحرب أو فنون مماثلة فيها .

ولعل أهم الدروس التى يمكن استخلاصها حاليا من واقع تجربة مواجهة بلادى وقواتها المسلحة للتخريب الشيوعى وحرب العصابات ، هو ضرورة التنسيق بين جهود كل المؤسسات الوطنية : المدنية والعسكرية · فهدف حرب العصابات الشيوعية هو : المواطنين · ومن ثم ينبغى على المؤسسات المدنية المسئولة عن رعاية احتياجات المواطنين ، أن تلعب دورا رئيسيا فى الدفاع عنهم ضد الظلم ، وفى العمل على وحدتهم ، وفى العمل على دعم العزة القومية والثقة بالحكومة · وبالطبع ، فان قوات البوليس تشكل ـ من الناحية العملية ـ أهم هذه المؤسسات المدنية على كل المستويات · فواقع أنها تعيش بين المواطنين لحمايتهم ولتطبيق القانون ، يجعلها فى وضع تستطيع فيه أن تلعب ـ أكثر من أى مؤسسة مدنية أخرى ـ دورا من أجل كسب ثقة واحترام وتأييد المواطنين ·

ومن الطبيعى أن كل ماتقوم به الامة ـ أى أمة ـ ينبغى أن يتم فى حماية المؤسسة العسكرية · ان القوات المسلحة للامة ، وحدها ، هى التى تستطيع أن تحفظ الامن اللازم لفرض القانون ·· وللبناء الوطنى ولكل ماتقوم به الامة · ولقد راعينا ذلك ونحن نساعد فيتنام الجنوبية على بناء قواتها وتمكينها من العمل مع البوليس فى البحث عن قوات العصابات فى طول وعرض فيتنام الجنوبية ، واستئصال شأفتهم · ولا أدرى كيف أؤكد بكل الصور ، على أهمية حفظ الامن وما يمثله من ضرورة · فبدونه ، تضيع كل المكاسب التى حققتها الامة من تقدم فىنظم الادارة والتعليموالصحةالخ،· ومع افتقاد الامن ، لايستطيع المواطنون أن يساعدوا الحكومة ، أو حتى أن يثقوا بها ·

لكن ذلك ، ينبغى ألا يجعلنا نهمل دور المؤسسات الاخرى للحكومة والمجتمع ، ونحن نركز على الدور الهام للجيش والبوليس · ومن أمثلة هذه المؤسسات : المؤسسات الاقتصادية التى ينبغى عليها ان تضع برامج تحقق الرخاء وتحول دون التضخم · فالانتاج احتياج ضرورى وتوزيع مقررات التموين مسألة اساسية ·

القرى كونتيننتال
(القارات الثلاث)

والعمل السياسى، هام للغاية أيضا · ففى كل مستويات الادارة المدنية، يجب على المؤسسات والمنظمات الحكومية، أن تقنع الفلاح والتاجر بأن الحكومة تهتم به · وبذلك، أمكننا استعادة اهتمام المواطنين فى المناطق الريفية التى سادها بشكل خاص الاحساس باللامبالاة فى الماضى · انه يجب تشجيع المواطنين على أن يشاركوا فى الحكم ·

والعمل العسكرى، ليس الا احد أساليب قمع حرب العصابات الشيوعية · فقد أثبتت لنا التجربة، أن التأثير السيكولوجى للنشاط العسكرى، يمكن أن يؤتى ثماره، اذا ماحققت العمليات العسكرية نجاحا · كما أثبتت التجربة، أن لكل حادث فى حياة السكان اليومية، تأثيره الواضح على تفكير المواطنين · ومن ثم، ينبغى تقييم كل عملية عسكرية على ضوء الاثر الذى يمكن أن تتركه فى نفوس المواطنين · وأقول بهذه المناسبة، أننا أجرينا تعديلات فى خطط بعض الحملات العسكرية مراعين فى ذلك بعض الاعتبارات السيكولوجية ·

لقد علمتنا التجربة الكثير فى هذا المجال · وينبغى علينا أن نتعلم أكثر · فلقد تحققنا من أننا نواجه عدوا شيوعيا على درجة عالية من الخبرة فى مجال العمل السيكولوجى · فهو عدو خبير، لا فى استخدام العمل السيكولوجى لتحقيق أغراضه الخاصة فحسب، وانما خبير أيضا فى مجال تشويه أهدافنا وتضخيم أخطائنا ·

لقد أشرت منذ لحظة الى أهمية التنسيق · والواقع أن هناك مجالا آخر يؤدى فيه التنسيق دورا عظيما · ذلك هو مجال : جمع المعلومات · ففى بعض البلاد، تعمل وكالات المخابرات – فيما نسميه بأساليب الحرب المعتادة – فى عزلة تامة عن وكالات مخابرات حلفائها · وفى أكثر البلاد، تعمل كل من وكالات المخابرات والاجهزة الحكومية، فى عزلة عن بعضها البعض · ولكن هذا الاسلوب لايمكن أن يحرز أى نجاح على الاطلاق فى مواجهة حرب العصابات، حيث تكون الحاجة ماسة – أكثر منها فى مواجهة أى حرب أخرى – الى جمع المعلومات اللازمة فى الوقت المناسب وبالقدر الكافى من التفصيل · ان تعبئة الجهود والامكانيات لمواجهة الاحتياجات المشتركة – بين هذه الاجهزة – أمر له أهميته الكبيرة وبخاصة بين قوات البوليس · فلا ينبغى أن ينظر الى المعلومات كهدف فى ذاتها، بل ينبغى أن تكون وسيلة لبلوغ الهدف · وأعنى بهذا أن الحصول على أدق المعلومات يظل عديم الجدوى، مالم يتم تنسيقها وتقييمها ووضعها بين يدى من يستخدمها، وهو القائد، أى الرجل الذى يستطيع أن يفعل شيئا ازاءها ·

وهناك درس عميق آخر، تعلمناه من حبرتنا فى فيتنام الجنوبية، هو أهمية الحيلولة دون حصول العدو على أية معلومات، وصعوبة ذلك فى الوقت نفسه · فعندما تعمل وحدات عسكرية نظامية فى منطقة محوطة بقوات حرب العصابات، يكون من الصعوبة بمكان – ان لم يكن من المستحيل – اخفاء المنشآت حتى لايترصدها العدو أو يتسلل اليها · اذ أنه من السهولة بمكان، أن يعرف العدو أساليبك المعتادة فى العمل، برصد وملاحظة قواتك وهى تعد نفسها للعمليات المختلفة · ومرجع هذا كله، هو وجود حرية نسبية لحركة السكان المدنيين حيث لاتوجد خطوط قتال محددة · ويستدعى هذا – بالطبع – اتخاذ اجراءات للحيلولة دون تمكين عملاء العدو من جمع المعلومات · كما يستدعى أيضا، ضرورة اتخاذ اجراءات مناسبة لمراقبة السكان، بما فى ذلك العمل منذ وقت مبكر على اصدار البطاقات الشخصية – التى يصعب سرقتها أو تزييفها – للمواطنين الموالين لنا · كما ينبغى – كذلك – اتخاذ كل احتياطات الامن اللازمة للاحتفاظ بسرية كل خطة للعمليات حتى لاتتسرب أية معلومات عنها ·

على أن مهمة بناء الامة، تبدو كواحدة من مهام المؤسسات المدنية، الا أن خبرتنا قد أوضحت لنا، أن على القوات المسلحة – قواتنا المسلحة وقوات الامة التى نحاول مساعدتها – أن تلعب دورا رئيسيا فى هذا المجال، وأن تستخدم معداتها وامكانياتها الخاصة لمساعدة المواطنين على مساعدة أنفسهم · وأود أن أؤكد مرة أخرى هنا، على أهمية « مساعدة المواطنين على مساعدة أنفسهم » ·

وفى مجال العمل المدنى – بشكل خاص – يمكن للجيش – أى جيش – أن يبرهن على أنه قد وجد من أجل صالح المواطنين · فينبغى أن يمثل الجيش قطاعا عرضيا من الشعب الذى يقوم على حمايته · ومن ثم يجب أن يؤكد أن أعماله انما يقوم بها من أجل المواطنين، فمبرر وجود الجيوش، هو أن يكون – كما وصف بحق – « درع الامة وحامى حمى الشعب » ·

ومن مجالات العمل فى فيتنام الجنوبية، التى حققت لنا قدرا كبيرا من الخبرة، مايسمى – بوجه عام – العمل على اشاعة مناخ سلمى، وهو ماأعرفه ببساطة، بأنه بذل الجهود المشتركة للمؤسسات العسكرية والمدنية، من أجل استعادة سلطة الحكومة ودعمها وتوسيع رقعتها بحيث يمكن أن تستمر عملية بناء الامة · ولكى تنجح عملية اشاعة المناخ السلمى هذه، ينبغى تخطيطها وتنفيذها على نحو يجعل المواطنين أنفسهم يشاركون فى مساعدة أنفسهم وفى حكم أنفسهم وفى الدفاع عن أنفسهم ·

واعتقد أنكم — كعسكريين — تهتمون بشكل خاص ، بتلك التكتيكات والاساليب الفنية التى تعلمناها فى مواجهة حرب العصابات الشيوعية • وكم كنت أود ، لو أن لدى متسعا من الوقت للحديث فى هذا الموضوع الذى يعد — فى الواقع — موضوعا قائما بذاته ، وتناولته بالفعل كتابات الكثير من الكتاب • ومع ذلك ، فانى أكتفى بالاشارة الى بعض القواعد التى تعلمناها فى هذا المجال • فمن القواعد المأثورة فى جيشنا — وأنا على ثقة من أن فى جيوشكم قواعد مماثلة — أن الجيش ينبغى أن يكون قادرا على « الحركة ، والضرب ، والاتصال » وفى مواجهة حرب العصابات ، تمثل هذه القواعد ضرورة هامة •

فلنتناول أولا مسألة « المناورة » ، وهى الجزء المتعلق بالحركة • اننا نستخدم مايمكن أن نسميه الجمع بين القديم والجديد ، اذ تبدأ عملياتنا عادة ، بفحص المنطقة فحصا شاملا وبطيئا ، يعقبه استخدام قواتنا استخداما عنيفا وحاسما بمجرد مواجهة قوات العدو • وهنا تناور قواتنا بحيث تدفع العدو الى التجمع حتى يصبح هدفا مغريا لمدفعيتنا وقواتنا الجوية • ومن ثم ، تتحرك وحدات المشاة بكل الطرق — الجوية والبحرية والبرية — لتقطع على العدو سبل الهروب • ونحن نستخدم الدوريات الطويلة المدى ، بشكل مكثف ، من أجل أن نحصل على معلومات عن الطرق التى يلجأ اليها العدو فى تقدمه وفى انسحابه •

اننا نستخدم قوة نيراننا بكل الوسائل الممكنة ، لندخر امكانياتنا البشرية • ولهذا ، فان لمعاونة الطيران التكتيكى ، أهميتها الخاصة فى فيتنام الجنوبية • شأنها فى ذلك ، شأن المدفعية التى تتمركز فى مواقع تتيح لها اطلاق نيرانها المركزة على أهداف متعددة •

ويعد الاتصال ، فى ظروف حرب العصابات ، أمرا حيويا للغاية • ولهذا ينبغى أن يكون اتصال الوحدات ببعضها البعض سريعا ، ويمكن الاعتماد عليه فى المناطق الوعرة التى نواجه فيها أساليب حرب العصابات • وفى ظروف كظروف فيتنام الجنوبية ، يتعذر علينا أن نحافظ على خطوط اتصالات سلكية يمكن الاعتماد عليها • ومن ثم فاننا نعتمد فى أكثر الحالات ، على الاتصالات اللاسلكية كوسيلة رئيسية فى اتصال الوحدات ببعضها • وينبغى فى المناطق الجبلية وفى الاحراش ، اتخاذ اجراءات خاصة لاطالة مدى لاسلكى الوحدات • وعادة مايتحقق ذلك ، باقامة محطات لتقوية الارسال ، فوق التلال أو قمم الجبال أو باستخدام الطائرات الخفيفة •

ان احتياجات هذا النوع من الحروب — ومتطلباتها من المعدات الثقيلة والامدادات التموينية — يستدعى ضرورة وجود علاقة وثيقة بين الوحدات المقاتلة وبين الوحدات المعاونة بشكل خاص • وعلى قوات الامدادات والتموين ، أن تنتشر مع القوات المقاتلة فى المراحل الاولى من القتال • كما يجب أن تكون قادرة على الاستجابة لكل حركة ولكل نوع من العمليات تقوم به الوحدات المقاتلة التى تعاونها • وعلى كل وحدة وكل عضو فيها ، أن تشارك فى مراعاة اقتصاديات الامدادات والتموين ، وأن تحافظ على النظام المحدد فى هذا المجال • فالاسراف فى استخدام المعدات ، أو فى تخزين المواد التموينية ، لا يعد تبديدا فحسب •• ولكنه يعوق سرعة حركة الوحدة أيضا • لقد كشفت خبرتنا فى تدريب الرجال والوحدات •• على القتال فى فيتنام الجنوبية ، عن التالى :

أولا : أن سياساتنا فى التدريب ، سليمة فى الاساس

ثانيا : أنه ينبغى تدريب هذه الوحدات تدريبا متخصصا على القتال فى الاحراش أو فى غيرها من المناطق ، جنبا الى جنب برامج تدريباتها العادية •

اننا يجب أن نولى عناية كبيرة ، بتدريب الجنود وقادة الوحدات الصغيرة • وقبل كل شىء ، ينبغى — فى اعتقادى — أن ندرب الجيش على العمل فى الاحراش ، وعلى الهجوم ، وعلى الحركة •• فى الاراضى الوعرة والمناطق النائية التى يعيش ويعمل فيها رجال العصابات الشيوعية • وينبغى على رجالنا ووحداتنا ، أن تكون قادرة على استيعاب أساليب حرب العصابات وأن يتخذوها أسلوبا لهم • أى أن يتعلموا أساليب رجال العصابات ، ليستخدموها ضدهم •

ومن المثير للاهتمام فى هذا الصدد ، أن نلاحظ أن الجيوش التى حققت أكثر النجاحات فى السنوات الاخيرة ، هى تلك الجيوش التى ابتعدت عن أرض الاستعراض وترف حياة المعسكرات وتلقت تدريبها فى ظروف أشبه بتلك الظروف التى يلاقيها الجندى عادة فى المعارك الحقيقية ضد رجال العصابات • لقد كان علينا فى فيتنام الجنوبية ، أن نبحث عن العدو ، فى أعالى الجبال وفى أعماق الغابات وعلى امتداد الانهار والقنوات • وقد كانت هذه المناطق ، لاتقل فى مناعتها عن جبال اكوادور أو الغابات القريبة من منابع نهر الامازون • كما أن بعضها ، كان — من ناحية أخرى — منبسطا مثل السهول الساحلية القريبة من اجواياكيل • ولقد تصادف أن كان من حظى ، أن أزور كلا من هذه المناطق — التى لايقلل من روعة جمالها الا وعورتها — منذ ٣٢ عاما ،

عندما كنت ضابطا برتبة ملازم ثان حديث التخرج من وست بوينت .

ومن الممكن أن أستشهد بعديد من الامثلة تطبيقا لما أعنيه بتعلم حيل رجال العصابات . ولكنى أكتفى بذكر مثال واحد . وأنا أشير بذلك ، الى ماحققناه نتيجة كوننا أساتذة ذلك التاكتيك القديم الذى نسميه « الكمين » . فقد كان الفيت ـ كونج يسيطرون فى وقت ما على الريف بسبب براعتهم فى استخدام الكمائن ، وهى التاكتيك الكلاسيكى لحرب العصابات . أما الان فقد أصبح الفرد من الفيت ـ كونج ، فى النهار وفى الليل ، الفريسة بدلا من أن يكون الصياد . وهكذا ، جعل استخدامنا لتاكتيكاتهم الخاصة ، الظروف التى كانت تساعدهم ، تنقلب الى ضدهم .

ولكى نستطيع أن نواجه كل التحديات ، ينبغى علينا أن نعد الجيش بحيث يستطيع أن ينجز كل الاهداف التى نحددها له ، كما يجب ان يكون نظامه مرنا وقابلا للتغيير وفق كل ظرف ، لقد اكتشفنا من خلال تجربتنا ، أن العمليات العسكرية ضد قوات العصابات تزيد من قدرة قواتنا على مواجهة التحديات . ان فرقة مشاة مدربة جيدا ، تستطيع أن تحارب وتهزم قوات العصابات أو قوات أكبر على حد سواء . ان السيطرة على الارض والامن ، والمهارة فى اطلاق النار والمناورة ، ذلك كله قاسم مشترك فى أى معركة من المعارك .

واذا كان لى أن أحدد الواجبات التى يجب على كل الحكومات والجيوش التى تحارب العصابات .. أن تراعيها ، فاننى أحددها فيما يلى :

الاصرار : اننا نعرف ـ ونحترم ـ اصرار قوات العصابات ، وعلينا ان نكون على درجة من الاصرار والمثابرة مماثلة على أقل تقدير .

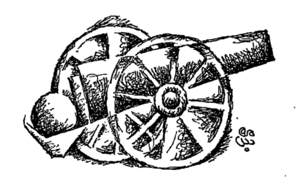
الارهاق والحذر : يجب ألا يتسبب الارهاق ، فى أن يفقد الجندى المحارب يقظته ، لان رجل العصابات يتربص دائما بأول فرصة سانحة .

الاحتراف : يجب أن نحرص دائما على توفير كل الجهود والمهارات اللازمة ، اذ لاينبغى للضرورة أن تكون مبررا للاستعانة بكفاءات على مستوى أدنى . فالواقع أن الحاجة الى المهارات الفردية ، مسألة ضرورية للغاية فى مثل هذا النوع من الحروب ، لان وحدات عملياتها دائما ماتكون صغيرة . ومن هنا يصبح الاعتماد على مهارة الجندى الفردية وقائد الوحدة الصغيرة ، مسألة ضرورية .

وأخيرا ، أرجو ان تسمحوا لى بالتأكيد على هذه المعانى . ان حرب العصابات بطبيعتها حرب حركية . والعالم ملىء بأناس غير راضين ، يستطيع الشيوعيون استغلالهم فى أعمالهم التخريبية ضد المجتمع الحر . وتمثل تلك الاوضاع ، تحديا سيظل ماثلا أمامنا لمدة طويلة .

وكما يحدث فى كل الحروب ، فكلنا على استعداد لان نتعلم الطريق الصعب . وفى تقديرى ، أن ماسوف نتعلمه من هذا الطريق الصعب ، يجب أن نتعلمه جيدا .

انه لمن مصلحتنا المتبادلة ، أن نتبادل خبراتنا . فمصدر قوتنا يكمن فى هذا التعاون . ووجودنا هنا ، دليل على رغبتنا المشتركة فى أن نتعاون .





■ ٨٠٠ موظف يديرون مؤسسة للاستزراع من القاهرة
■ الرأى العـــــام والميــراج : هـــدف بن جـوريون
■ « نبيــذ قــديم » داخـــل « زجــاجات جــديدة »
■ جيل التحدى..وليس الغضب أو العبث أو الاحتجاج

■ الجمهورية العربية المتحـدة

الخطة السابعة للعمل السياسى وتقييم الخطـة السـادسة

بدأت لجنة محافظة القاهـــرة ولجــان الاقسام والوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكى التابعة لها ـ فى التحرك على ضوء الواجبات التى تضمنتها الخطة السابقة للعمل السياسى بمحافظة القاهرة ـ وهذه الخطة تستهدف تغطية المدة من ١٥ مايو الى ٣١ اكتـوبر ١٩٦٩ اى ما يعادل دورتين للمؤتمر القومى .

وقد روعى فى اعداد هذه الخطة أمـران رئيسيان :

● أن يكون أبرز الواجبات فى هذه الخطة هو دعم وزيادة فاعلية العمل السـياسى وتحريكه بالوحدات الاساسية .

● أن يتحقق للخطة المرونة اللازمة بالقدر الذى يسمح باضافة الواجبات التى قد تتطلبها ظروف المعركة .

وشعار العمل السياسى الذى ركزت عليه الخطة السابعة هو « دعم متطلبات المعركة ضد العدو » ـ وذلك بالتوسع فى منظمات الدفاع الشعبى لتحقيق أقصى وقاية للاهداف الحيوية مع استمرار اختيار « المتطوعين العقـائديين » ، واستمرار المتابعة السياسية ، وتدعيم تشكيل قوات الفصائل الاحتياطية لمنظمات الدفـاع الشـعبى (وهى الفصائل التى تقرر تشكيلها من بين متطوعى المقاومة الشعبية الحاصلين على تدريب راق وعلى قدر مناسب من الوعى السياسى) .

وتهدف الخطة السابعة الى زيادة التحـام القيادات بالجماهير ، والى أن تكون القيادات قدوة ومثلا ، ولذلك دعت الخطة الى تسكين اعضاء لجان الاتحاد الاشتراكى بمختلف المستويات بأطقم الدفاع المدنى ـ وتركيز الجهود لـرعاية أسر المجندين ـ كما دعت الخطة لبذل الجهود لدعم الانتاج بالوحدات الجماهيرية بما يخدم متطلبات المعركة .

واولت الخطة عناية خاصة للشباب والطلاب ،

فدعت الى تعبئة الشباب للتطوع للعمل الفدائى ، وتقديم المتطوعين العقائديين ، وكذلك دعت الخطة الى جذب الطلاب لكى يشاركوا خلال العطلة الصيفية فى خدمة الجبهة عن طريق التطوع للقيام بأعمال التحصينات الهندسية بالجبهة لتعميق صلات النضال بين الطلاب والجنود ، وكذلك جذب الطلاب للاسهام فى النشاط خلال عطلتهم بالمشاركة فى دراسة مشاكل البيئة والمساعدة على حلها •

ويقوم العمل التثقيفى فى الخطة السابعة على خطين محددين :

تثقيف قيادى : ويستهدف استمرار اعداد وتنمية القيادات بوحدة فكر ومفاهيم ومهارات تخدم متطلبات المعركة •

وتثقيف جماهيرى : ويهدف الى تدعيم الصمود الجماهيرى الواعى ـ وذلك بالتعبئة بعيدا عن الاثارة ـ وكذلك بالتصدى للحرب النفسية •

ولما كانت الخطة السابعة تستهدف أساسا زيادة فاعلية العمل السياسى وتحريكه بالوحدات الاساسية فان العمل التنظيمى خلال الخطة يتجه أساسا الى اعادة تشكيل اللجان النوعية والفرعية بالوحدات الاساسية ــ بهدف :

احتواء العناصر النشطة من اللجان النقابية ، ومجالس الادارة ولجان الانتاج والشباب والتنظيم النسائى ، وتوسيع قاعدة القيادة بالوحدات الاساسية الجماهيرية والسكنية بضم اعضاء اللجان الفرعية والنوعية للجان الوحدات •

ومن أجل زيادة فاعلية التنظيم تهدف الخطة الى ارساء العلاقة وتوضيح المسئوليات بين لجان الاتحاد الاشتراكي فى الوحدات الجماهيرية ، وبين المنظمات المساعدة لها ، وخاصة لجان الانتاج • وكذلك اتاحة التفرغ كل الوقت أو بعضه لمسئول على مستوى الوحدات السكنية والوحدات الجماهيرية ذات الثقل السياسى ، وكذلك ممارسة المتابعة الميدانية والمعايشة المستمرة من المستوى الاعلى للمستوى الذى يليه ، واستمرار تطبيق المحاسبة لجميع المستويات وفقا لقانون الاتحاد الاشتراكى •

وكان اعداد الخطة السابعة للقاهرة على ضوء نتائج تقييم الخطة السادسة للعمل السياسى بالوحدات الاساسية ولجان الاقسام فى محافظة القاهرة •

لقد كانت الخطة السادسة للعمل السياسى بالقاهرة هى أول خطة توضع بعد اعادة بناء التنظيم بالانتخاب •

وكان الهدف منها استقرار الهيكل التنظيمى ونمو التنظيم جنوب لجان الوحدات وتحصيل الاشتراكات وحل مشاكل الجماهير التى تخدم الحشد والصمود وكذلك دعم الانتاج الذى يخدم المعركة •

وكان الغرض من تقييم نتائج الخطة السادسة هو معرفة حجم الانجازات التى تمت ووضع الاصابع على السلبيات والمعوقات وكذلك تقييم القيادات على ضوء نتائج العمل وعلى أساس استعداداتها الشخصية والسلوكية .

وقد تم تقييم الوحدات الاساسية بواسطة لجان تضم أعضاء من لجنة القسم ومؤتمر القسم . وتم تقييم لجان الاقسام بواسطة لجان تضم اعضاء من اللجنة المركزية ولجنة المحافظة ومؤتمر المحافظة . وكانت عملية التقييم ذاتها تتم على أساس استكشاف وتحرى الانجازات والسلبيات خلال معايشة الوحدة لفترة زمنية ــ الى جانب الفحص الدقيق للسجلات والملفات ــ وكان على اللجان طبقا لخطة التقييم أن تتأكد بنفسها من صحة البيانات المدونة فى السجلات والمحاضر ــ وكان لها أن تستدعى أفرادا وتناقشهم وأن تعقد اجتماعات مفاجئة للجان الفرعية والجنوبية ــ أو متطوعى الدفاع الشعبى والمدنى • وكان عليها أن تزور مواقع التجمع الجماهيرى للتاكد من حقيقة الجهود السياسية المبذولة . وكان عليها ايضا ان تطرح موضوعات تثقيفية وتناقشها خلال الاجتماع لتبين المستويات والاتجاهات الفكرية فى اللجان •

وبعد تقييم العمل السياسى فى الوحدة تمت عملية تقييم للقيادات على أساس المقاييس التالية :

ـ مدى النشاط والايجابية فيما قام به أو كلفت به من أعمال .

ـ مدى جهوده التى قام بها لدفع العمل السياسى بالوحدة •

ـ مدى قدرته على الحركة ونشط الجماهير .

ـ مدى استعداده للتعاون مع الاجهزة التنفيذية لحل مشاكل الجماهير •

ـ مدى قبوله وممارسة النقد والنقد الذاتى •

ـ مدى الالتزام والمبادرة والابتعاد عن المظهرية والتعاون مع القيادات •

وخلال تقييم العمل السياسى فى القاهرة تبلورت عدة ملاحظات هامة حول بعض السلبيات فى العمل :

ـ عدم الالتحام بين المستويات القيادية والمستويات الادنى وقصر الاتصال على الامين والامين المساعد ـ وكان هناك الحاح من الوحدات ولجان الاقسام على أن المستوى الاعلى يجب أن يعايش الوحدات والاقسام بشكل مستمر .

ـ اجراء التقييم فى نهاية الخطة فقط لا يعطى صورة حقيقية للانجازات على مدار الفترة كلها ـ فكثيرا من الوحدات أو الاقسام يتخلص من السلبيات فى عمله التسجيلى والمشكلات فور اعلان بدء التقييم ـ وكانت هناك مطالبة بأن يتم التقييم طوال فترة الخطة على عدة فترات زمنية كل شهرين مثلا ـ وحصيلة هذا كله تشكل التقييم النهائى للخطة .

ـ هناك مشاكل عديدة تواجهها القيادات السياسية والعمل السياسى من جانب الاجهزة التنفيذية . ورغم جهود التنظيم السياسى فى مساعدة الاجهزة الادارية والانتاجية فانها لا تسمح للعمل السياسى بالحركه اللازمة

ـ كثرة وتعدد الواجبات الصادرة من المستويات الاعلى وصبغها دائما بصبغة « الفورية » و « الاستعجال » .

ـ مازالت ممارسة النقد والنقد الذاتى محدودة ولم تغرس فى أعماق القيادات .

ـ هناك شعور عام فى قيادات القاهرة ، ان هناك بونا شاسعا جدا بين أسلوب العمل فى القاهرة وبين اسلوب العمل فى أغلب المحافظات الاخرى ـ ويطرح سؤال : الى أى مدى يمكن للقاهرة ولقياداتها ان تقدم المعونة لباقى منظمات الاتحاد الاشتراكى .

•

الصمود .. بمزيد من البناء

مع اطلالة شهر مايو كان الرئيس عبد الناصر يفتتح الوحدات الاولى لمصنع درفلة الشرائط بمصانع الحديد والصلب بحلوان ، والذى سيتم تشغيله كاملا فى مايو القادم بطاقة قدرها ٣٠٠ الف طن سنويا ، من المقدر لها ان ترتفع الى ٥٠٠ر٠٠٠ طن بالاضافة الى وحدة لانتاج القطاعات المشكلة على البارد (٤٠ الف طن) .

وكان قد تم الاتفاق مع الاتحاد السوفيتى على تنفيذ المشروع منذ عام ١٩٦٢ . وقدرت التكاليف المبدئية حينذاك بـ ٢٢ مليون جنيه ، الا ان التطورات التى جدت على المشروع بعد ذلك من حيث اعداده ليكون جزءا من مشروع مجمع الحديد والصلب مستعدا لاستيعاب انتاجه قد قفزت بحجم الاستثمارات فيه الى ٤٦ مليونا ، ثم الى ٦٣ ، ثم الى ٦٧ مليون جنيه .

وبدأت الاعمال الانشائية الاولية لمشروع درفلة الشرائط فى عام ١٩٦٤ ، وبلغت مكعبات حفر الاتربة التى تمت لتسوية الموقع والاساسات ما يقرب من مليونى متر مكعب . وقدرت الاعمال الخرسانية بحوالى ١٣٠ متر مكعب استخدم منها ١٣ الف طن من حديد التسليح المنتج محليا ، كما بلغت شبكة الطرق الداخلية للمصنع ثمانية كيلومترات واستخدم فى بنيان هيكله ٢٤ الف طن من الهياكل الحديدية .

وترجع اهمية المشروع الانتاجية الى كونه يسد حاجة البلاد من الصاج المدرفل على الساخن اللازم لصنع مواسير مياه الشرب وعزل وتقوية الكابلات الكهربائية واستعمالات التصنيع المختلفة مثل المنشآت المعدنية ، ومن الصاج المدرفل على البارد اللازم لصناعة السيارات والاثاث المعدنى والثلاجات والسخانات وغيرها من السلع الهندسية . ثم انواع الصاج المقصدر والمجلفن لتغذية صناعات الصفائح والعلبات ومواسير تكييف الهواء واسقف الجمالونات الحديدية ، وهو ما كان يكلف البلاد حوالى ١٥ مليون جنيه استرلينى لاستيراده .

وهكذا بعد سنوات طويلة من حرمان البلاد من اية صناعة حقيقية للحديد والصلب بدأ انشاء مصنع الحديد والصلب عام ١٩٥٤ ليبدأ الانتاج عام ١٩٥٨ بفرن عال واحد ثم بالفرن الثانى عام ١٩٦٠ . ورغم المخالفات التى ارتكبتها شركة ديماج الالمانية الغربية فى تنفيذ العقد استطاع بتضافر المسئولين أن يخطو بالصناعة الوحيدة خطوات هامة الى الامام لتنطلق نحو التوسع وفى طريق استكمال بنيانها .

ومع اتمام مصنع درفلة الشرائط وبدئه فى الانتاج يضاف بعد جديد الى اهمية الاسراع بمشروع مجمع الحديد والصلب الذى يرمى الى الوصول بانتاج الحديد والصلب فى ج . ع . م الى ١٫٧٥ مليون طن زهر . كما يضم المشروع فى

تفاصيله تحويل الصلب الى كتل وبلاطات باستخدام طريقتى الصب المستمر والصب فى قوالب . ويعتمد مصنع درفلة الشرائط على هذه البلاطات الصلب كمادة اولية فى انتاجه، ولسوف نظل مضطرين الى استيراد هذه البلاطات حتى يعمل المصنع بكامل طاقته . ولسوف يكمل مجمع الحديد والصلب الحلقة الرئيسية لصناعة الحديد والصلب فى ج . ع . م ويرسى هرم هذه الصناعة على قاعدتها الطبيعية .

واذا اخذنا السوق العربية فى الاعتبار فما زال امام صناعة الحديد والصلب فرصة هائلة للتوسع والنمو اذ يقدر الاستهلاك السنوى للدول العربية فى عام ١٩٨٠ من منتجات الحديد والصلب بستة ملايين طن مترى، بينما لن يصل الانتاج — على فرض استكمال جميع المشروعات المدرجة حاليا فى جميع البلاد العربية — الا الى حوالى ٤ر٦ مليون طن مترى — وسيظل هناك مجال واسع لتوسع وازدهار صناعة الحديد والصلب احدى الصناعات الثقيلة التى يقوم عليها استقلالنا الاقتصادى

●

الاتفاقية العربية السوفيتية حول بترول سيوه

تبحث المؤسسة العامة للبترول حاليا مع وفد الخبراء السوفيت ، العقود التفصيلية لاعمال البحث والتنقيب عن البترول فى منطقة سيوه بالصحراء الغربية ، ووضع برنامج زمنى لسير العمليات الخاصة باستخدام اجهزة الحفر الستة التى تم التعاقد عليها مع الاتحاد السوفيتى فى الثامن من شهر مايو الماضى ، بالاضافة الى العشر فرق للبحث السيزمى والتى ستقوم بمسح مساحة ٤٢ الف كيلو متر مربع فى منطقة سيوه وحولها .

وتبدى الدوائر البترولية العالمية حاليا اهتماما ملحوظا بتطور عمليات البحث والتنقيب عن البترول فى الصحراء الغربية بعد الاكتشافات الاخيرة فى ام بركة والعلمين وابو سنان وممر الجمال بصحراء الفيوم .

وتتركز الانظار على منطقة سيوة محور الاتفاق الذى وقع خلال الشهر الماضى بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتى ، وعقب الدراسة الشاملة لجيولوجية مناطق الجمهورية المختلفة، والتى تعتبر نقطة تحول هامة فى تاريخ البحث عن البترول فى ج . ع . م .

والسر وراء هذا الاهتمام لايكمن فى مجرد النتائج التى توصلت اليها الدراسات العربية السوفيتية ، هذه الدراسات التى استحدثت عناصر هامة جديدة تتميز بالشمولية بحيث اصبحت عملية البحث تسير تبعا لمؤشرات ومخططات علمية مسبقة مما يعطى دفعات قوية لعمليات التنقيب وتركيز الحفر . وانما يرجع سبب هذا الاهتمام الى انه لم يعد هناك شىء خاف بعد ان بدا العلم المزود بالامكانيات المادية يقوم بدوره فى خدمة اهداف التنمية وفى مجال البترول بالذات، هذا المجال الذى تقوم عليه اقتصاديات اجزاء كبيرة من العالم العربى ، والذى يستخدم فيه الرأسمال الاجنبى باحتكاراته على نطاق واسع بشكل عقود امتياز تمنحها الدول المضيفة للشركات العالمية باتفاق ينظم استغلال البترول عند اكتشافه . وتحتفظ هذه الشركات بموجب تلك الاتفاقيات بحق المشاركة فى حوالى نصف الانتاج لمدد تصل الى ٣٠ عاما

ومع هذا الاهتمام المشوب بالقلق الذى تبديه بعض الاوساط الاحتكارية البترولية .. . تبرز عدة حقائق من اهمها :

● ان الاتفاق الذى وقعه الجانبان العربى والسوفيتى يحفظ للجانب العربى حقه كاملا فى الحصول على البترول باكمله عند اكتشافه . على ان يقوم الجانب العربى بتسديد القرض الممنوح له والذى ينفق على عمليات البحث والتنقيب على اقساط خلال ١٢ سنة بفائدة ٥ر٢ فى المائة ، كمايقوم الجانب السوفيتى بعد اكتشاف البترول باعمال التنمية اللازمة لبدء الانتاج لحساب الجانب العربى ضمن القرض . ويمكن فى هذه الحالة تسديد جزء من القرض من الخام المنتج .

● ان نتائج الاكتشافات البترولية التى توصلت اليها كل من شركتى **فيليبس وبان اميركان** خلال السنتين الاخيرتين بالصحراء الغربيه ، تتفق مع التقارير التى تضمنتها النظرية البترولية الجديدة والتى منح من اجلها د . **باباييف** كبير الخبراء السوفيت وسام التقدير من اكاديمية العلوم فى الاتحاد السوفيتى . ومن واقع هذه الدراسة قام الخبراء العرب والسوفيت بالدراسة الشاملة لجيولوجية مناطق الجمهورية المختلفة ، وبحصر البيانات الموجودة لكل منها ، وتقييم امكانياتها البترولية ، ثم تصنيفها وتوحيدها على أساس علمى موحد ادى الى تقسيم الجمهورية الى الاحواض البترولية الثلاثة وهى :

ـ حوض شمال الجمهورية ويمتد من ليبيا غربا الى شمال سيناء شرقا شاملا الجزء الشمالى من الصحراء الغربية وكل الدلتا •

ـ حوض جنوب الجمهورية ويمتد من جنوب ليبيا غربا الى حوض وادى النيل شرقا شاملا الجزء الجنوبى من الصحراء الغربية والجزء الاوسط من وادى النيل •

ـ حوض خليج السويس بشاطئيه ويمتد جنوبا فى البحر الاحمر •

● ان سياسة الاستثمار المباشر فى مجال البترول الان تدخل مرحلة جديدة : وهى تملك من القدرات التكنولوجية والمادية مايمكنها من الانطلاق نحو تحقيق الاهداف الوطنية فى خطة التنمية ، بجانب مبدا المشاركة الذى يسير جنبا الى جنب مع مبدا الاستثمار المباشر • وتتوقع الدوائر البترولية ان يقود هذا التحدى الى زيادة المنافسة بين سياسة الاستثمار المباشر وسياسة المشاركة •

● ان عقود الامتياز المبرمة بين الجمهورية العربية المتحدة وشركتى فيليبس وبان اميركان ، وهما الشركتان اللتان تعملان حاليا فى الصحراء الغربية ، تنص على تخفيض المساحات الممنوحة لها كل ثلاث سنوات بمعدل الربع تقريبا مما يفسح للجانب العربى المجال لاعادة البحث والتنقيب فى هذه المناطق التى تم اسقاطها • ويدفع الشركة صاحبة الامتياز فى نفس الوقت الى بذل المزيد من الجهود فى المساحات الباقية لها على ضـوء الحقائق التى بدأت تتكشـف لهـا عن وجـود البترول •

● ان هناك عددا من العروض للبحث عن البترول التى تقدمت بها بعض الشركات العالمية اخيرا ، يجرى بحثها الان مع المؤسسة العامة للبترول •

ويقدر الخبراء فى حساباتهم ان معدل اكتشاف البترول فى المتوسط يكون بنسبة ١ : ٨ أى ان نتيجة الحفر فى كل ثمانية آبار تسفر عن اكتشاف حقل للبترول • وقياسا على ذلك فان خطة العمل فى منطقة سيوة وما حولها والتى تتضمن حفر ٥٠ بئرا خلال خمس سنوات يمكن ان تحقق اكتشاف حوالى ثمانية حقول جديدة للبترول •

وهناك اجماع فى الاوساط البترولية سواء فى الشرق ، او فى الغرب على ان الجمهورية العربية المتحدة ستدخل خلال السنوات القليلة القادمة فى عداد الدول الرئيسية المنتجة والمصدرة للبترول •

●

٨٠٠ موظف يديرون مؤسسـة للاسـتزراع من القـاهرة

ان الاهتمام الكبير الذى ابداه اعضاء مجلس الامة ـ على امتداد جلستين ـ لقضية استصلاح الاراضى ومستقبل التصرف فى شكل استغلالها ـ كان امرا طبيعيا ومتوقعا ازاء قضية طال الجدل والصراع حولها ، ومازال •

ويقدر الخبراء مجموع الاراضى الجديدة التى يمكن اضافتها الى الرقعة الزراعية سواء ما تم استصلاحه منها ، او ما ينتظر ان يتم استصلاحه منها مستقبلا بحوالى ١٫٥ مليون فدان • وقد تم حتى الان استصلاح ما يقرب من ٨٢٥ ألف فدان ومن هذه الاراضى المستصلحة بلغت المساحة المنزرعة ٥٠٥ الف فدان •

ولما كانت مرحلة الاستزراع التى تبدأ بعد استصلاح الارض تستغرق من بدئها حتى وصول الارض الى الحدية الانتاجية مدة تتراوح ما بين سنتين الى ست سنوات ـ فان من بين الـ٥٠٥ الف فدان المنزرعة حاليا ـ بلغت ٥٩ ألف فدان فقط الحدية الانتاجية الف ـ ومن المقدر ان يرتفع هذا القدر الى ١٠٠ فدان فى نهاية العام •

وطبقا لبيان وزير استصلاح الاراضى ـ المهندس **سيد مرعى** امام مجلس الامة ـ فان ما تم تنفيذه من استثمارات حتى عام ٦٧ ـ ٩٦٨ فى هيئات ومؤسسات وزارة استصلاح الاراضى بلغ ٢٦٣٫٧ مليون جنيه منها ١٨٢ مليون جنيه لاعمال الاستصلاح شاملة أعمال الدراسات والبحوث وتدبير المصدر المائى والاسكان والتعمير والمرافق و٧٨٫٧ مليون جنيه لاعمال الاستزراع بالاضافة الى ثلاثة ملايين تكاليف وحدات التصنيع لهيئة تعمير الصحارى ، وقد حقق الاستزراع ايرادات اجمالية حتى الان قدرها ٢٨ مليون جنيه •

وفى المناقشة التى دارت فى مجلس الامة حول بيان وزير استصلاح الاراضى ـ كان التركيز حول نقطتين :

أولهما ــ تقييم الجهود التى تمت فى مجال استصلاح الاراضى واستزراعها ٠

ثانيهما ــ مصير الاراضى المستصلحة والبحث عن افضل الاشكال لاستغلالها ـــ هل تؤجر ـــ هل تملك ــ هل تصبح مزارع دولة ؟

وفى مجال تقييم الجهود التى تمت فى مجال استصلاح الاراضى واستزراعها ــ وضع اعضاء المجلس على اختلافهم ايديهم على كثير من سلبيات العمل فى مجال استصلاح الاراضى واستزراعها وذلك بفضل ما لمسوه بانفسهم سواء من الزيارات الميدانية أو تحقيقات اللجان البرلمانية التى شكلت أو من شكاوى المواطنين العاملين فى تلك المناطق ذاتها ٠

ومن أبرز سلبيات عمليات الاستصلاح والاستزراع التى بلورتها المناقشات فى مجلس الامة ما يلى :

١ ــ يتم الاشراف على عملية استزراع نصف مليون فدان تمتد من كوم امبو حتى مريوط من القاهرة ويعمل فى القاهرة ٨٠٠ موظف بينهم أكثر من مائتى مهندس زراعى ٠

٢ ــ عدم التنسيق بين القطاعات المختلفة العاملة فى الاستصلاح والاستزراع ٠

٣ ــ الاراضى التى يتم استصلاحها لا يتم زراعتها فور استصلاحها ٠

٤ ــ نقص اعمال الرى والصرف وعدم توصل شبكات الكهرباء ،وعدم استكمال آبار الرى اللازمة لبعض المناطق مثل قطاعى جنوب التحرير وجنوب غرب التحرير وتأخر انهاء محطة صرف منطقة حفير شهاب الدين (٥٠ ألف فدان) ٠

٥ ــ النقص فى قطع الغيار مما يؤدى الى تعطيل كثير من الاجهزة ــ بالاضافة الى ضعف الصيانة ٠

٦ ــ عدم توفير المبانى اللازمة للاسكان للعاملين والمزارعين مما يؤدى الى عدم استقرارهم واقامتهم وعدم امداد بعض المناطق بمياه الشرب اللازمة للعاملين ، وتحمل العاملين مشقات فى توفير سبل الحياة والانتقال من مراكز الاقامة الى مواقع العمل ٠

٧ ــ المشاكل الناجمة من طبيعة الارض المستصلحة وكونها لا تصلح لزراعة المحاصيل التقليدية كالقطن والقمح والقصب ٠ وضرورة اختيار المحاصيل التى تتحمل نسبة عالية من الملوحة ، وتنويع المحاصيل وفقا لاحتياجاتها المائية والدعوة للتوسع فى زراعة الفاكهة كالعنب والموالح والبنجر ــ وكذلك الذرة التى تشتد الحاجة اليها ٠

وقد اوضحت مناقشة هذه السلبيات فى الجهود المبذولة لاستصلاح واستزراع الاراضى ٠ ان هناك اتجاهين :

● اتجاه غالب يضع هذه السلبيات فى اطارها الصحيح كمعوقات للجهود الكبيرة والشاقة التى بذلت ٠ وأنها رغم كل شىء لا يمكن أن تحجب النجاحات التى تحققت ولا الانجازات الكبيرة التى بفضلها تقف اليوم على مشارف مرحلة جديدة أصبح يتعين علينا فيها ان نصحح السلبيات ونزيل المعوقات بما يسمح بانطلاق الجهود ، واحداث انعطافة حاسمة فى مجرى العمل لاستصلاح واستزراع الاراضى ٠

● واتجاه آخر ـــ يدعو الى « اشراك القطاع الخاص بما يتناسب وقدرته مع القطاع العام فى مسئولية استزراع المساحات مع تقديم المعونات اللازمة له حتى يمكن تعويض ما فقد من وقت » ٠

وفى مناقشة مستقبل الاراضى المستصلحة ، وهل تؤجر أم تملك أم تدار كمزارع دولة كان هناك اتجاهان اساسيان :

ــ اتجاه يطالب بتوزيع الارض المستصلحة ٠

ــ اتجاه يطالب باستغلال الارض المستصلحة على اساس مزارع للدولة ، او عن طريق التعاونيات ٠

ولم تكن القاعدة الاجتماعية التى استند اليها المطالبون بتوزيع الارض واحدة ٠

فمن ناحية نجد السيدين : **احمد فؤاد البشبيشى ومحمد عبد الحكيم موسى** يطالبان بان تعطى الارض لبعض المنتفعين أو لخريجى المدارس الزراعية أو كليات الزراعة ــ ويقترحون أن تعطى الارض لهم على سبيل الايجار فى البداية ثم تملك لهم بعد ذلك كحافز للمجد والمنتج ، او ان تملك لكل منهم قطعة من الارض الى جانب مرتبه حتى يقف على قدميه ٠

ومن ناحية اخرى نجد السادة **عبد العزيز عيسى وأحمد محمد يونس واحمد محمد الحديدى**

وعزت عامر وجاد الله خضر ابراهيم : يطالبون بتشجيع سياسة التوسع فى توزيع الاراضى على الفلاحين بعد دفع مقدم ثمن رمزى ، ويطالبون بالعمل على انتقال المزارعين من المناطق المزدحمة ليحصلوا على اراضى يزرعونها بالايجار ، وعندما تتبين جدية عملهم يمكن النظر فى تمليكهم هذه الاراضى .

ويطالب احدهم « بضرورة اشراك القطاع الخاص بما يتناسب قدرته مع القطاع العام فى مسئولية استزراع هذه المساحات مع تقديم المعونات اللازمة له حتى يمكن تعويض ما فقد من وقت » .

أما الاتجاه الثانى فى قضية مستقبل الاراضى المستصلحة فهو الاتجاه الذى كان أبرز المعبرين عنه السادة ، **احمدمحمد الدمرداش تونى ، وعوض رشوان شلبى ، والسيد محمد صبرى القاضى ، والدكتور فؤاد مرسى .**

لقد فرق أصحاب هذا الاتجاه بين الاراضى التى وزعها الاصلاح الزراعى والاراضى المستصلحة فتوزيع اراضى الاصلاح الزراعى كان يحكمه اعتباران :

اولهما اعتبار سياسى القصد منه تصفية الملكية الاقطاعية،وضرب نفوذ كبار ملاك الاراضى ،وتحرير الفلاحين والريف المصرى والاتجاه به فى طريق التنمية .

وثانيهما اعتبار اقتصادى أن أراضى الاقطاعيين كانت تزرع بواسطة صغار الفلاحين عن طريق الايجار وكانت الانتاجية العالية التى تحققها الملكية الاقطاعية هى فى الواقع مجمل انتاج الوحدات الصغيرة التى كان يقوم صغار الفلاحين بزراعتها فعلا ، ومن هنا كان من الضرورى ان يتملك هؤلاء الفلاحون هذه الاراضى ماداموا هم القائمين بزراعتها فعلا .

وكلا الاعتبارين اللذين حكما توزيع اراضى الاقطاعيين غير قائمين بالنسبة للاراضى الجديدة فليس للاقطاع من سطوة عليها ،وكذلك ليس هناك من يقوم بزراعتها حتى يطالب بملكيتها بدعوى انه يزرع الارض فعلا .

كما استبعد أصحاب هذا الاتجاه تأجير الارض للفلاحين ، فيما عدا الاراضى المسماة بالاراضى المتخللة على أساس أن متوسط القيمة الايجارية الحقيقية للفدان تصل الى عشرين جنيها ، بينما تؤجره الوزارة فى حدود عشرة او اثنى عشر جنيها مما يؤدى الى خسارة على الدولة تبلغ ثمانية ملايين من الجنيهات ، تضاف اليها خسائر اخرى قدرها خمسة ملايين من الجنيهات وهى تكاليف رى هذه الاراضى .

ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن هناك مناطق وهناك محاصيل لاتسمح ولا تصلح للتمليك أو للتأجير كالبساتين والاراضى المعدة للمحاصيل التصديرية ، او المحاصيل المعدةللصناعة وليس من سبيل الا انشاء شركات أو وحدات اقتصادية مستقلة تدير هذه المناطق على أساس نظام الوحدات الانتاجية الكبيرة التى تمارس الزراعات الالية المتقدمة والتى تطبق أحدث الطرق العلمية وأن تكون مرتبطة بعملية تصنيع للمنتجات الزراعية لاعدادها للتصدير .

وفى نفس هذا الاتجاه أبرزت لجنة التنمية الزراعية والرى فى تقريرها عن بيان وزير استصلاح الاراضى .

« ان السياسة المتبعة نحو استخدام الميكنة والتوسع فيها لتظهر بصورة واضحة فى المزرعة الالية بقطاع شمال التحرير (وهى المزرعة التى يعدها الاتحاد السوفييتى) ولقد تبين للجنة التى زارت هذه المزرعة نجاح استخدام الالات الميكانيكية فى عمليات الخدمة والزراعة والحصاد للمحاصيل المختلفة بما يحقق توفير العمالة وخفض التكلفة وحسن الاداء مما يتفق مع الاصول العلمية والاقتصاديةالسليمة ،واللجنة توصىبضرورة تعميم هذا النظام على المناطق التى تسمح ظروفها بذلك » .

ويرى المراقبون أن المناقشات التى دارت فى مجلس الامة حول استصلاح واستزراع الاراضى ومستقبل هذه الاراضى قد طرحت ابعادا جديدة للموضوع ، وان المنطق الذى قدمه الذين دعوا لان تتولى الدولة استغلال القدر الاكبر من الاراضى المستصلحة قد طرح اكثر من زاوية للرؤيا تحتاج لمزيد من البحث والقياس لكل الاحتمالات لكى يمكن الوصول الى افضل الاشكال لاستغلال هذه الاراضى .

•

المجلس القومى للسلام يعقد دورة اجتماعاته السنوية

فى ١٨مايو عقدالمجلس القومى للسلام دورة اجتماعاته السنوية الثانية . وقد تميز هذا الاجتماع بالصدى الهام الذى تركه محليا وعالميا .. ويتضح هذا الصدى من المجموعة الضخمة من رسائل التأييد التى تلقاها المجتمعون من منظمة الشباب الاشتراكى ، وجمعية

الشبان المسلمين وجمعية الشبان المسيحية واتحاد العمال العرب واتحاد المعلمين العرب ، ونقابات عمال الزراعة والبنوك والمعلمين وغيرها وكلها تعبر عن الجهود التى بذلهـا المجلس لكسب الرأى العام العالمى ، ولبذل جهود محلية وعالمية لتأكيد الحق العربى فى فلسطين •• كذلك تلقى المجتمعون رسائل تحية وتأييد من حركات السلام فى الاتحاد السوفيتى ، وفيتنام ، وكوريا الديموقراطية ، والمانيا الديموقراطية ، وفرنسا وايطاليا وبلجيكا •• ومن بلدان أخرى عديدة •

أن هذا الاهتمام المحلى والعالمى بهذا الاجتماع ليعبر عن يقظة بالغة بالدور الذى يمكن أن يلعبه العمل فى أوساط الرأى العام العالمى كسبيل لايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط ••

وقد رأس الجلسة الاولى لاجتماع المجلس د • محمد أبو نصير وزير العدل وعضو المجلس • وفى هذه الجلسة تحدث السيد — خالد محيى الدين السكرتير العام للمجلس حول التطورات السياسية فى الموقف العالمى والمحلى ، فأشار الى استراتيجية الامبريالية الامريكية الخاصة بالحروب المحلية والتى تعتمد على أن يركز الاستعماريون كل مؤامراتهم وجهودهم ثم يوجهون ضربة مركزة ومحدودة ضد بلد صغير هكذا فعلوا فى فيتنام وهكذا فعلوا أيضا ضد الدول العربية »

ويؤكد التقرير أن الصمود الشجاع للشعب الفيتنامى وصمود الشعب العربى فى مواجهة النكسة قد أكد فشل مخطط الحروب المحلية عما سيؤدى الى اجبار الامبرياليين الى التراجع عن مخططاتهم سواء فى فيتنام أو فى الشرق الاوسط •

وبعد أن ناقش المجلس تقرير السكرتير العام حول نشاط المجلس فى الفترة الماضية انقسم الى ثلاث لجـان :

١ — لجنة لصياغة النداء العام •

٢ — لجنة اللائحة •

٣ — لجنة دراسة مقترحات تنشيط العمل ••

•• وفى المساء اجتمع المجلس مرة أخرى لمناقشة الموضوعات التى أعدتها اللجان وقد رأس الجلسة السيد يوسف السباعى سكرتير منظمة تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وعضو المجلس •

وقد أصدر المجتمعون سلسلة من التوصيات الهامة من بينها :

● رفع توصية للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى بتضمين برامج الدراسات الاشتراكية المختلفة محاضرات خاصة عن السلام والثقافة السلامية •

● رفع توصية للسيد وزير التربية والتعليم بأن تتضمن البرامج التعليمية بعض الموضوعات عن الثقافة السلامية •

● عقد دورات للثقافة السلامية يحضرها أعضاء المجلس ورجال الاعلام •

● الاهتمام بتكوين كوادر سلامية متخصصة •

● اصدار دراسات تشمل كافة قضايا السلام المعاصرة ، واعداد مكتبة وارشيف للوثائق والدراسات المتعلقة بالعمل السلامى •

وفى نهاية الاجتماع أصدر المجتمعون بيانا الى الرأى العام المحلى والعالمى جاء فيه : انه نتيجة للنضال الانسانى الذى لاهوادة فيه انكسرت موجة الهجوم الاستعمارى التى اندفعت فى السنوات الاخيرة ، وتراجعت قوى الاستعمار متخذة موقف الدفاع ومرغمة على تقديم التنازلات لمصلحة السلام والتقدم ».

•• وجاء فى البيـان :

« ان الشعب المصرى المدرك لابعاد المؤامرة الاستعمارية ولاهداف الحركة الصهيونية لمصمم فى اجماع على بذل كافة التضحيات المطلوبة لازالة آثار عدوان الخامس من يونيو ، وهو يؤيد تأييدا تاما ما أعلنه قائده العظيم **جمال عبد الناصر** من القبول بقرار مجلس الامن والعمل على وضعه موضع التنفيذ »

كما يعلن شعبنا تأييده الكامل للحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير المصير وكفاحه السياسى المسلح كجزء من حركة التحرر الوطنى العالمية المناهضة للاستعمار والعدوان والتى يتعين أن تحظى بتأييد كل القوى الشريفة فى العالم »

كذلك أعلن البيان تأييد أنصار السلم المصريين للمشروع المقدم من جبهة تحرير جنوب فيتنام فى مباحثات باريس والمعروف باسم برنامج النقاط العشر ••

وأدان البيان موقف المانيا الغربية التى تدعى حكومتها تمثيل كل الشعب الالمانى فى الشرق والغرب ، ولا تعترف بوجود دولة المانيا



● **خالد محيى الدين**

الديموقراطية الامر الذى يمثل احدى العقبات الاساسية أمام الامن الاوربى .

وفى الختام وجه البيان التحية الى البلاد الاشتراكية شعوبا وحكومات خاصا بالذكر شعوب وحكومة الاتحاد السوفيتى الصديق لمساعدتها الشعوب العربية وتأييدها لنضالنا الوطنى ولتقدمنا الاقتصادى والاجتماعى . كما حيا البيان كل الشعوب والحكومات التى تساند حقنا العربى .

أن اجتماع المجلس القومى للسلام يمثل خطوة هامة فى تاريخ العمل السلامى فى ج ع م وينتقل به الى منطلقات جديدة يتيح له مزيدا من فرص العمل والحركة سواء على النطاق المحلى أو القومى أو العالمى .

●

■ **الصراع العربى الاسرائيلى**

الازمة تتجه نحو مرحلة دقيقة

لم يتوقف صوت المدافع ــ تقريبا ــ طوال الشهر الماضى على ضفاف القناة . فالاشتباكات مستمرة بين قواتنا وبين قوات العدو . قواتنا تحاول تحطيم خطوط دفاع العدو وانهاكه على طول الجبهة ، والعدو يحاول الدفاع عن تحصيناته ويعمل على تدعيمها . **بارليف وديان** يزوران قوات العدو فى سيناء ويتفقدان المواقع الاسرائيلية على طول القناة .

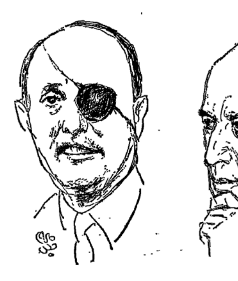
اعلن **ديان** عقب زيارته لسيناء « ان استمرار قصف المواقع الاسرائيلية بالمدفعية المصرية ونشاط الفدائيين المصريين فى منطقة القناة ونشاط المقاومة العربية معناه أن الحرب ستقع فى المنطقة مرة أخرى ... أن اسرائيل تعتبر مصر بمثابة الخطر الرئيسى لانها هى القوة التى يحسب حسابها والتى فى يدها مفتاح الموقف ... **اذا ما استمر المصريون فى أعمالهم الحربية فانه من الصعب الاعتقاد اننا نستطيع الاحتفاظ بسياسة دفاعية فحسب من جانبنا ...** »

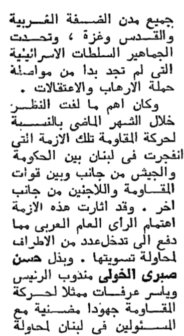
وأمام حدة وكثافة نيران القوات المصرية اضطرت اسرائيل الى نقل قواتها من الضفة الغربية الى جبهة القناة . وأعلن المتحدث الرسمى باسم الجمهورية العربية المتحدة تعليقا على ذلك « بأن التحصينات التى تقيمها اسرائيل شرقى القناة خرق لوقف اطلاق النار ، ودليل على عزم اسرئيل استمرار احتلال أراضينا والعدوان عليها » .

وواصلت قوات العدو اعمال العدوان ضد المدنيين ، فضربت مدفعية العدو مدينة بورسعيد واحدثت خسائر بين المدنيين ، كما حاولت ثلاث زوارق للعدو عبور القناة الى الضفة الغربية غير أن قواتنا تصدت للمحاولة وقضت عليها بعد أن أغرقت زورقا للعدو . وقد أشار **محمد عوض القونى** فى تقريره الى مجلس الامن الى ان بورسعيد تعرضت لقصف المدفعية الاسرائيلية مما يعنى أن قصفها يعتبر جزءا لا يتجزأ من السياسة العدوانية ضد مدن الضفة الغربية والتى تستهدف ضرب الاهداف المدنية وقتل واصابة المدنيين » .

وترتب على اتساع وتزايد الاشتباكات على طول جبهة القناة نتائج اخرى فقد اشارت **البرافدا** الى « ان اسرائيل استدعت للخدمة ثلثى قواتها الاحتياطيه وأنها تلجأ الان الى عملية تعبئة عقائدية لسكانها وهو ما يحدث عادة قبل وقوع معارك عسكرية كبرى » . ويتوقع عدد من المراقبين الدوليين انفجار الموقف فى أية لحظة ، وتحول الحرب الهادئة والمحصورة النطاق الى حرب ساخنة وشاملة ما لم تتخذ خطوات سريعة لتداركه . والى هذا اشار اوثانت عندما قال انه لن يسحب المراقبين الدوليين من جبهة القناة لان الموقف خطير ، ولان الزمام سيفلت ما لم تصل الدول الكبرى الى حل سريع لتنفيذ قرار مجلس الامن الذى يقضى بانسحاب قوات اسرائيل من الاراضى المحتلة .

والى جانب تصاعد العمليات الحربية فى جبهة





● محمد عوض الفوزي ● ● موشى ديان ●

القناة واصلت اسرائيل أعمالها العدوانية ضد الاردن فى محاولة يائسة لوقف هجمات الفدائيين بعد فشل الغارات الجوية التى تقوم بها الطائرات الاسرائيلية ضد ما تدعيه أنه مراكز للمقاومة .

وقد واصلت منظمات المقاومة نشاطها ضد العدو فى جميع انحاء الارض المحتلة على جميع الجبهات وكان من أبرز ما قامت به من عمليات فدائية طوال الشهر الماضى :

● احتلت جماعة من الفدائيين موقعا اسرائيليا فى هضبة الجولان وطهرته من قوات العدو ورفعت عليه علم فلسطين ثم انسحبت بعد ثلاث ساعات بعد أن غنمت كمية من الاسلحة المختلفة .

● هاجمت قوة من رجال المقاومة مصنعا لتعبئة البرتقال فى غزة بمدافع البازوكا .

● شن الفدائيون هجوما على موقع اسرائيلى على بعد أربعة أميال جنوبى جسر راميا

● واصل الفدائيون ضرباتهم المفاجئة لمواقع العدو وللمستعمرات الاسرائيلية وقصفوها بالصواريخ ومدافع الهاون ودمروا عددا من العربات وقتلوا وأصابوا عددا من جنود العدو .

كما عبرت الحركة الجماهيرية فى الارض المحتلة عن تضامنها مع قوات المقاومة فى الاحتجاج على الاحتلال الاسرائيلى بمناسبة ذكرى اغتصاب فلسطين يوم ١٥ مايو واستجابت للدعوة الى الاضراب العام فتوقفت معالم الحياة تماما فى جميع مدن الضفة الغربية والقدس وغزة ، وتحدت الجماهير السلطات الاسرائيلية التى لم تجد بدا من مواصلة حملة الارهاب والاعتقالات .

وكان اهم ما لفت النظر خلال الشهر الماضى بالنسبة لحركة المقاومة تلك الازمة التى انفجرت فى لبنان بين الحكومة والجيش من جانب وبين قوات المقاومة واللاجئين من جانب اخر . وقد اثارت هذه الازمة اهتمام الرأى العام العربى مما دفع الى تدخل عدد من الاطراف لمحاولة تسويتها . وبذل **حسن صبرى الخولى** مندوب الرئيس وياسر عرفات ممثلا لحركة المقاومة جهودا مضنية مع المسئولين فى لبنان لمحاولة التوصل الى صيغة ملائمة يمكن قبولها من جانب الحكومة اللبنانية والفدائيين غير أن هذه المباحثات لم تسفر عن تقدم ملموس رغم ما ساد جوها من تفاؤل .

ورغم أن الازمة لاتزال مستحكمة الا أن الحكومة اللبنانية قد أفرجت عن عدد كبير من الفدائيين كما رفعت القيود المفروضة على معسكرات اللاجئين كخطوة نحو تهدئة الموقف .

ولقد طرحت الازمة التى نشبت فى لبنان قضية المقاومة الفلسطينية على مستوى أعلى ، واتضحت ضرورة وأهمية تنسيق أعمال المقاومة ورسم سياسة موحدة من الدول العربية منها . وظهر اتجاه يدعو الى حصر عملية التنسيق بين الدول التى لها حدود مشتركة مع اسرائيل على أساس أنها الدول التى يعنيها الامر ، غير أنه يوجد اتجاه آخر يرى ان القضية قضية عربية عامة ولذا لابد من الدعوة الى مؤتمر عربى موسع يضم كل القوى العربية حتى تتحمل كل منها مسئوليتها وواجبها ازاء حركة المقاومة فى اطار خطة مدروسة . وقد علق **محمد حسنين هيكل** عن ذلك فقال « تستحق مسألة المقاومة الفلسطينية ومنظماتها المسلحة أن تكون موضوع بحث فى اجتماع عربى موسع على مستوى يتناسب مع أهميتها ويتفق ودورها فى الصراع الشامل بين الامة العربية واسرائيل . »

وتراقب الدوائر المسئولة فى اسرائيل الازمة اللبنانية وتطوراتها باهتمام بالغ لان تسوية تلك

الازمة لصالح حركات المقاومة يعنى تحويل خط وقف اطلاق النار مع لبنان الى مصدر خطر على آمن اسرائيل وسلامتها .

وتؤكد التقارير الواردة من الامم المتحدة ان المحادثات التى تجرى بين الدول الاربع بخصوص أزمة الشرق الاوسط لم تحقق تقدما كبيرا خلال الشهر الماضى . وقد أعلن **ميشيل دوبريه** وزير خارجية فرنسا « ان فرنسا بذلت كل ما فى وسعها من أجل أن تحقق المباحثات نتائج فى أسرع وقت » والمفهوم الان ان الوقت الذى كان قد حدد للمباحثات والذى ينتهى فى أوائل يونيو لابد وأنه سيمتد وأنه من غير المتوقع ان تصدر الدول الاربع توصياتها الى مجلس الامن سريعا كما كانت تتوقع الدوائر الدبلوماسية ، وقالت وكالة الاسوشيتدبرس « **ان مندوبى الدول الاربع قد يمدون المباحثات حتى أوائل يوليو وأشارت الوكالة الى أن المندوبين الاربع متفقون على أنه لا ينبغى أن يكون هناك استيلاء على الارض عن طريق الحرب وتلك هى نقطة الاتفاق الاساسية التى توصلوا اليها** .

وتؤكد المصادر الوثيقة الصلة بالمباحثات أنه قد تم الاتفاق بين الدول الاربع على دعوة السفير يارنج للحضور الى نيويورك توطئة لقيامه بجولة جديدة فى منطقة الشرق الاوسط ممثلا للدول الاربع حاملا معه اسئلة جديدة حول قرار مجلس الامن على ان يقدم نتائج زيارته الى ممثلى الدول الاربع فى نيويورك .

وتعتقد الدوائر الدبلوماسية كذلك ان الاتصالات الخاصة الثنائية التى جرت بين السفير السوفيتى فى واشنطن وبين **سيسكو** مساعد وزير الخارجية الامريكية قد تناولت أزمة الشرق الاوسط ولكن يبدو أنها لم تتمكن من التوصل الى نتائج واضحة أو محدودة .

وفى رسالة بعثبها مالك المندوب السوفيتى الى أوثانت أشار الى أن السياسة المتهورة لحكام اسرائيل من شأنها اعاقة التوصل الى تسوية أزمة الشرق الاوسط . وعلق اسحق رابين سفير اسرائيل فى واشنطن على سير المحادثات الرباعية قائلا « بأنه يعتقد أن الولايات المتحدة لن تفرض على اسرائيل أى حل ضدرغبتها » . **وأعلن محمد حسن الزيات** انه اذا لم يصل النزاع الى حل طبقا لقرار مجلس الامن فان ذلك يعنى الموت العضوى لاحد أطراف النزاع وكل ما تستطيع تأكيده هو أننا لن نقبل الموت خائفين بل سنقاومه بكل ما أوتينا من قوة » .

وحذر أوثانت من أنه اذا لم تتوصل الدول الكبرى الى الاتفاق على موضوعات رئيسية فى أزمة الشرق الاوسط فى غضون شهرين فان الموقف فى المنطقة سوف يفلت زمامه .

وفى الوقت الذى تسعى فية الدول الاربع للتوصل الى حل للازمة تعمل اسرائيل على ضم المناطق المحتلة اليها فتقرر تغيير كثير من الاسماء العربية الى العبرية ، وتعلن عن جعل العملة الاسرائيلية هى العملة الرسمية فى المناطق المحتلة كما بدأت فى تطبيق القوانين الاسرائيلية فى غزة ، وتسعى فى نفس الوقت الى تنفيذ سياسة الاستيطان وبشكل خاص فى منطقة الجولان والقدس والخليل . كما اعلنت **جولدا مائير** امام الكنيست الاسرائيلى عن مشروع لتصفية الازمة من ست نقاط أهمها أن حكومات المنطقة لا العناصر الخارجية هى المسئولة عن تصفية الازمة . وفى ذلك رفض كامل للمفاوضات الرباعية ولقرار مجلس الامن الذى تجاهل المشروع الاسرائيلى ذكره تماما .

وفى مواجهة تلك الظروف ، ظروف تعثر المحادثات الرباعية والحل السلمى ، ويسعى المسئولون العرب من خلال اتصالات مستمرة وعلى أعلى المستويات الى عقد مؤتمر للقمة العربى لبحث آخر التطورات وتحديد موقف ترتبط به كل الدول العربية . موقف قد يفرض عليها عناد اسرائيل وصلفها واصرارها على تهويد المناطق العربية المحتلة . وقد صرح **على عبد الرحمن** رئيس وزراء السودان « بأن الاتصالات العربية التى تجرى الان على مستويات عليا زادت الامل فى عقد مؤتمر قمة عربى خاص لمناقشة الموقف المتدهور فى الشرق الاوسط » .

●

بين خط « بارليف » وغارات « الكوماندوز »

تميز الشهر الماضى باحتدام معارك المدفعية على خط وقف اطلاق النار عند القناة . فقد صبت المدفعية المصرية نيرانا هجومية مركزة على خط الدفاعى الامامى الذى اقامه العدو الاسرائيلى على مقربة من الضفة الشرقية للقناة ، والذى اطلقت عليه اجهزة الدعاية الاسرائيلية اسم خط « بارليف » نسبة للجنرال « بارليف » رئيس هيئة اركان حرب الجيش الاسرائيلى صاحب فكرة اقامة هذا الخط . وقد بنى هذا الخط من مجموعة من الدشم المحصنة ، القليلة التكاليف من الناحية الاقتصادية ، اذ أنها مسقوفة بكتل من قضبان وفلنكات السكك الحديدية ، التى يقول احد الصحفيين الامريكيين انها منزوعة من خط « **العريش ـ القنطرة** » الحديدى . وذلك بغرض السيطرة بنيران الرشاشات والاسلحة

المضادة للدبابات والهاونات ، على النقط المحتمل عبور القوات المصرية للقناة من عندها ، فى حالة قيامها بهجوم رئيسى عبر القناة تمهيدا لتحرير الارض المحتلة فى « سيناء » . هذا وتعزز تحصينات هذا الخط بطاريات الصواريخ والمدفعية المتمركزة فى مراكز خلفية وراء الخط .

وقد اقام العدو الاسرائيلى هذا الخط كى يثبت به خط وقف اطلاق النار المشرف على القناة . ويقلل من القوات اللازمة لاحتلال هذا الخط ، ويقلل فى نفس الوقت من الخسائر التى تلحق بها نتيجة لمعارك المدفعية ورصاص القناصة ، التى تلاحقت بعد ان وضعت « ج٠ع٠م » استراتيجية « **الدفاع الوقائى** » موضع التطبيق العملى الفعال ، لتمنع العدو الاسرائيلى من حشد قواته على مقربة من القناة والمدن الموجودة فى منطقتها ، ولتحرمه من حق التواجد المستقر الهادىء على الضفة الشرقية للقناة .

وبطبيعة الحال فاننا يجب الا ننسى ان العدو يعتمد فى دفاعه واحتلاله لشبه جزيرة سيناء على قواته المتحركة ، المكونة من الالوية المدرعة والمشاة الميكانيكية والمدفعية ذاتية الحركة ، والتى يركز تجمعاتها الاساسية فى بعض المناطق الاستراتيجية البعيدة نسبيا عن خط وقف اطلاق النار ، مثل ممر « **متلا** » « **ورمانة** » وينشر دورياتها بشكل شبه مستمر فى بقية المنطقة . وهذا بحكم نقص القوى البشرية اللازمة لاحتلال خط دفاعى ثابت متصل له عمق قوى على امتداد خط المواجهة العسكرى المتد من جنوب « بورسعيد » حتى « السويس » .

وازاء شعور القيادة العسكرية والسياسية الاسرائيلية بأن ج٠ع٠م » قد استعادت توازنها العسكرى مرة اخرى ، وبدأت فى امساك زمام المبادأة بين يديها ، المتمثل فى مبادرتها بقصف خط « بارليف » بشكل شبه مستمر ، وفى ازدياد اغارات وحدات القوات الخاصة وقوات منظمة «سيناء» ، وبأن ذلك يمثل جزءا او مرحلة هامة من مراحل حرب الانهاك التى توجهها القوى العربية الثورية حاليا ضد العدو الاسرائيلى ، ومما تعتبره تمهيد لهجوم شامل من جانب القوات المصرية يستهدف تحرير شبه جزيرة سيناء وازالة آثار العدوان ، فقد لجأت هذه القيادة الى معاودة اسلوب الغارات الفدائية الخاطفة الانتقامية من اجل رفع الروح المعنوية بين قواتها ومحاولة القاء الرعب فى نفوس المدنيين فى المناطق الخلفية وافقادهم الثقة ، الاخذة فى الازدياد ، فى قدرة القوات العربية المسلحة على ردع العدوان . فكان ان قامت قوات « الكوماندوز » التابعة لها بمحاولة فاشلة لنسف قناطر « ادفو » و « نجع حمادى » .

وبمحاولة اخرى لعبور القناة ليلا للقيام بعمليات تخريب شمال « **الكاب** » الواقعة الى الجنوب من «**بورسعيد** » . كما حاولت ان توجه ضربات انتقامية للسكان المدنيين فى « بورسعيد » باعتبار انها المدينة التى لم يجر تهجيرها فى نفس الوقت الذى هجرت فيه « السويس » و « الاسماعيلية » ، وذلك بواسطة مدفعية بعيدة المدى ، نظرا لان المواقع الدفاعية المصرية شرق القناة فى « راس العش » بالاضافة الى منطقة الملاحات ، تمنع القوات الاسرائيلية من الاقتراب المباشر من المدينة .

وكررت نفس المحاولات فى الجبهة الاردنية ، بالاضافة الى الاكثار من غارات الطيران على القرى والمراكز العسكرية ، التى تمارسها وهى تشعر باطمئنان نسبى نظرا لافتقاد هذه الجبهة للحماية الجوية الفعالة . وفى نفس الوقت اخذت اجهزة الاعلام والدعاية داخل وخارج اسرائيل تهىء الرأى العام فى اسرائيل والعالم الخارجى ، لاحتمال شن اسرائيل لعدوان جديد مماثل لعدوان ٥ يونيو ، تحت اسم « الحرب الوقائية » التى تكفل لها الامان والاستقرار ،وازاء تزايد غارات الفدائيين العرب وتحرشات القوات المصرية ، التى تستكمل استعداداتها لعبور القناة ، تلك الاستعدادات التى تناقلتها وكالات الانباء عن وصول شحنات جديدة من طائرات « السخوى » — وهى قاذفات ارضية مقاتلة ذات كفاءة عالية — الى السلاح الجوى المصرى ، وشحنات من العربات المصفحة والدبابات البرمائية الى جيش ج٠ع٠م ، ابعادا واقعية . بل لقد بدات القيادة الاسرائيلية فعلا فى استدعاء ثلثى الاحتياطى الى الخدمة العاملة ضمن سلسلة الاجراءات اللازمة لشن هذا العدوان او للتهديد به ، وذلك وفقا لما نشرته صحيفة « **البرافدا** » ، وعززت قواتها فى المناطق الخلفية الاستراتيجية بحشود قوية من المدرعات والقوات المكانيكية .

ولذلك اخذت الصحافة العالمية ووكالات الانباء تتحدث عن « **الصيف الساخن الخطير** » المنتظر فى الشرق الاوسط هذا العام ، والذى سيسفر عن خسائر كبيرة فى الارواح ، كجزء من المخطط العام للحرب النفسية التى يشنها علينا العدو الاسرائيلى والامبريالية العالمية .

ولكن العدو الاسرائيلى سواء قصر اعماله على الغارات الانتقامية او وسعها الى حد شن حرب شاملة اخرى ،سيواجه فى كلا الحالين وضعا مختلفا عما واجهه فى الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ ، وسيكون لذلك آثاره البعيدة فى تحديد سمات المراحل القادمة من الصراع العربى — الاسرائيلى .

■ لبنان

الازمة الوزارية والاخطار المحيطة بالعمل الفدائي

حتى كتابة هذا التقرير يكون قد مر على لبنان اكثر من ثلاثة اسابيع بدون وزارة ، وهي اطول ازمة وزارية في تاريخ لبنان ، ويكون السيد **شارل الحلو** يواصل جهوده لحل الازمة ، والسيد رشيد كرامي رئيس الوزراء المستقيل هو المرشح الوحيد لتولي الوزارة اللبنانية الجديدة التي يعطل تأليفها عدم الاتفاق على موقف موحد بازاء الموقف من العمل الفدائي الفلسطيني في لبنان .

ولقد طرحت الازمة اللبنانية والتي بدأت بصدام بين قوات الجيش في جنوب لبنان وبين جماهير الفلسطينيين والجماهير اللبنانية هناك ، ولم تعلن نتائج التحقيق في ملابساته حتى الان ـ نقول ان هذه الازمة طرحت كل الاخطار المحيطة بالنضال العربي عامة وبالمقاومة الفلسطينية على وجه الخصوص .

ولم يستطع المراقبون السياسيون الا أن يربطوا بين تحرشات ايران عضو الحلف المركزي على الحدود العراقية ، وبين احداث لبنان الذي أصابه تدهور خطير في اقتصاده الوطني كانت اشارة البدء فيه انهيار بنك انترا وغيره من البنوك اللبنانية وما تبع ذلك من تدفق رءوس الاموال الاجنبية ، وخاصة الامريكية والالمانية الغربية للسيطرة على اقتصاديات لبنان . وفي الوقت ذاته يشير المراقبون الى خطة للمخابرات المركزية الامريكية ، أعلن عنها منذ بضعة شهور شبيهة بمشروع ايزنهاور تضع أمامها تصفية العمل الفدائي الفلسطيني كمهمة رئيسية ، باعتبار أنه لو مرت ستة شهور أخرى على هذه المقاومة دون تصفية فسوف تتحول الى قوة تصعب الخلاص منها بعد ذلك ، وتتحول الى مركز ضغط يعرقل تنفيذ مخططات الولايات المتحدة لفرض حلولها الخاصة بازمة الشرق الاوسط ، وهي الحلول التي تكشف عن تحيز واضح لاسرائيل .

ويميل بعض المراقبين الى الاعتقاد بأن تعقد الاوضاع السياسية والاقتصادية في لبنان هو السبب الرئيسي لتفاقم الازمة . ومن هنا فانه ما سمي « بمشكلة العمل الفدائي » لم تكن سوى الشرارة التي فجرت الازمة . فاندفعت القوى والاتجاهات السياسية المختلفة من نهجيين وحلف وتقدميين وجماهير شعبية في معركة سياسية عنيفة شملت جميع اوضاع لبنان ، ولم يكن الموقف من العمل الفدائي سوى شعار يستقطب ـ على



● شارل حلو ●

الصعيدين السياسي والاجتماعي ـ كل القوى على اختلاف مذاهبها وأحزابها .

وفي هذا الجو بدأت كلمات غريبة تتردد في بعض صحف لبنان عن سيادة لبنان التي ينتهكها الفدائيون الفلسطينيون ! ! فكتبت جريدة **الزمان** « ان ترغم دولة بالاكراه على التنازل عن سيادتها أو حتى عن جزء من سيادتها فعندئذ تصبح هذه الدولة غير مستقلة ، ولبنان اليوم يواجه محاولات للحد من استقلاله او لفرض ارادات عليه غير ارادة شعبه ، وهذه المحاولات تتنافى مع سيادته » . وسايرتها في ذلك صحف ما يطلق عليه بمجموعة الحلف في لبنان . ويذهب بعض المراقبين الى أن القوى الوطنية والتقدمية في لبنان ترفض هذا المنطق لانها لا ترى في ارادة العمل الفلسطيني ارادة غير ارادتها . فبادرت الى مناصرة العمل الفدائي الذي يحمي لبنان ولا يهدده واسقطت هذه النغمة الغريبة .

وقد بذلت بعض الجهات محاولات مختلفة لاثارة النعرات الطائفية في لبنان ، الا أن قيام ممثلي منظمة « **فتح** » بمقابلة البطريرك الماروني وعرض الاحداث عليه والبيان الذي صدر عقب المقابلة قد فوت على هذه المحاولات فرصتها . ثم حديث اشد غرابة عن خطورة العمل الفدائي الفلسطيني على موسم السياحة والاصطياف في لبنان . .

ولقد استطاعت قوات المقاومة الفلسطينية أن تحافظ على اندفاع نشاطها الفدائي ومواصلة تقدمها برغم هذه الازمة وقد تمثل هذا في :

أولا : رسم الملامح الاولية لمرحلة جديدة من النضال الفلسطيني المسلح كما تمثل في احتلال قوات المقاومة لمنطقة الحمة الواقعة جنوبي منطقة الجولان السورية ورفع العلم الفلسطيني فوقها لمدة

ثلاث ساعات بعد معركة ضارية ثم تكرار نفس العمل فى منطقة الشعشاعة ضمن هجمات ذكرى ١٥ مايو .

ثانيا : ما أعلن عن اتفاق بين جناحى منظمة الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين على انهاء الخلافات بينهما .

ثالثا : البيان الذى اذاعه الحزب الشيوعى الاردنى الذى دعا فيه الى وحدة كل القوى الوطنية والثورية ودعم العمل المسلح ضد الاحتلال الصهيونى .

●

■ **العراق**

الاستفزازات الايرانية وعلاقتها بالصراع العربى الاسرائيلى

مازالت الحكومة الايرانية تواصل اعمالها الاستفزازية ضد العراق ، عن طريق حشد قواتها العسكرية عنى الحدود بين البلدين ، وقيام طائرات الفانتوم التى تسلمتها من الولايات المتحدة الامريكية مؤخرا باختراق مجاله الجوى وارسال سفنها التجارية فى حراسة الزوارق المسلحة لانتهاك شروط الملاحة فى شط العرب والاعتداء على حقوق السيادة العراقية .. وكانت ايران قد اعلنت فجأة فى منتصف ابريل الماضى عن الغاء المعاهدة الموقعة بين البلدين فى عام ١٩٣٧ بشأن الحدود النهرية عند شط العرب متحدية بذلك القانون الدولى .

ويشير المراقبون الى التوقيت الدقيق الذى اختارته ايران لتصعيد الازمة مع العراق . فهناك اعلان حكومة العراق عن سعيها الى تدعيم الجبهة الشرقية . وهناك ارتفاع نسبة الخسائر الاسرائيلية على الضفة الشرقية لقناة السويس ، وازدياد عمليات المقاومة الفدائية فى سيناء وداخل الاراضى المحتلة ، الامر الذى يقطع فى رأى معظم المراقبين بوجود الصلة المباشرة بين الموقف الجديد على طول جبهات القتال مع اسرائيل ، وبين ما تقوم به ايران .

ومعلوم ان الحكم الحالى فى ايران تربطه علاقات متينة مع اسرائيل على كل المستويات ، هذا فضلا عن عضوية ايران المعروفة فى الاحلاف الاستعمارية العدوانية (مثل الحلف المركزى) على ان ايران لا تستهدف اجبار العراق على سحب قواته من الاردن وسوريا فحسب بل ان موقفها يتفق من ناحية اخرى مع الاهداف التوسعية الايرانية فى منطقة الخليج العربى .

ويعتبر شط العرب جزءا من الاراضى العراقية ، ويعد المنفذ الوحيد للعراق الى البحر . ويبدأ نهر شط العرب من منطقة القرنة عند ملتقى نهرى دجلة والفرات جنوبا ، ويبلغ طوله ٢٠٤ كيلومترات ويجرى مسافة ١٠٢ كيلومتر داخل الاراضى العراقية ، ثم تبدأ الحدود العراقية الايرانية التى يفصل النهر بينهما على امتداد المسافة الباقية حتى البحر عند الخليج العربى . ومن هنا فهو يعد نهرا وطنيا اذ يمر فى اراضى دولة واحدة من منبعه حتى مصبه .

وتتضمن معاهدة ١٩٣٧ الاعتراف بالسيادة العراقية على شط العرب . وتنص على الزام البلدين بتوقيع اتفاقية بشأن صيانة وتحسين طريق الملاحة ، وارشاد السفن ، واتخاذ التدابير لمنع التهريب ، وجباية الرسوم والعوائد وكافة الاجور الخاصة بالملاحة فى شط العرب ، وان تخصص بطريقة عادلة جميع الفوائد فى تكاليف وصيانة وتحسين الملاحة ، وان يظل النهر مفتوحا بالمساواة للسفن التجارية لجميع البلدان .

وحتى الان لم توقع هذه الاتفاقية خوفا من ان تتخذها ايران وسيلة للادعاء — بدون سند قانونى — بحقها فى ملكية وادارة شط العرب مع العراق ، وهو ما تدعيه ايران الان تبريرا لالغاء المعاهدة مع العراق . لا سيما وان حكومة ايران تردد الحجة القائلة بأن الاستعمار البريطانى هو الذى قام بالضغط على ايران لتوقيع هذه المعاهدة فى الماضى .

وبينما تواصل الحكومة الايرانية تصعيد الازمة مع العراق ، حيث تقوم باعتقالات واسعة فى اقليم عربستان (الذى اغتصبته من العراق ابان الاحتلال البريطانى) ، وتعمل على توجيه مياه كاردن والكرخة على الاراضى المزدحمة بالسكان الى عربستان والاراضى الزراعية لاغراقها ، بينما يحدث هذا كله لا يكف المسئولون الايرانيون عن التهديد بالحرب ضد العراق .

وفى نفس الوقت تلتزم الحكومة العراقية ضبط النفس ، وتحرص على الا تستدرج الى هذه المؤامرة فتشغلها عن المعركة المصيرية مع اسرائيل والاستعمار ، وتعمل على افساح المجال امام الوساطة التى تبذل من جانب الكويت وغيرها من الدول لتصفية المشكلة بين البلدين . واذا صح بأن بعض من المراقبين يستبعد نشوب الحرب بين البلدين ، وان دور ايران لايتعدى ان يكون توصيل الازمة الى ما هى عليه حاليا الا ان هؤلاء المراقبين يتوقعون — فى الوقت نفسه — ان تلعب ايران — خلال الفترة القادمة — دورا خطيرا فى احداث الشمال العراقى بهدف تعميق النزعات الرجعية والانفصالية فى الحركة الكردية ضد الحكم العراقى . ومهما يكن من امر فان القوى الوطنية

والاشتراكية والهيئات الشعبية فى العراق لم تتوان عن فضح المخطط الامريكى الصهيونى الذى تقوم ايران بتنفيذه • ويعلق كثير من المراقبين فى العالم العربى آمالهم على ان يهب العراق بعربه واكراده وبكافة فصائله الوطنية والتقدمية الى دعم وتوحيد الصف الوطنى لافساد ذلك المخطط وقبره فى مهده •

●

■ افريقيا

زيارة لها دلالتها

استقبل الرئيس **جمال عبد الناصر**، **ماريان نجوابى** رئيس جمهورية **الكونغو — برازافيل** •. ويعلق المراقبون الافريقيون آمالا كبيرة على هذه الزيارة بالنسبة لحركة التحرر الوطنى الافريقية والتى تسبق عمليات الاعداد التى توشك ان تجرى تمهيدا لانعقاد مؤتمر القمة الافريقى فى سبتمبر القادم •

وينظر المراقبون الى اقدام نجوابى على اختيار الجزائر والقاهرة أول عواصم يزورها فى أول رحلة له خارج بلاده فى اعقاب « حركة ٣١ يوليو » التى قادها ضد **ماسيمبا ديبا**، على انه اختيار له دلالاته الواضحة التى تلقى مزيدا من الضوء على طبيعة النظام الذى أقامه نجوابى فى برازافيل منذ يوليو ١٩٦٨ •

وقد حرص الرئيس نجوابى على تأكيد موقف بلاده من أزمة الشرق الاوسط، قبل مجيئة الى القاهرة، بأن آدان من جديد العدوان الاسرائيلى فى ٥ يونيو وطالب بانسحاب اسرائيل من الاراضى التى احتلتها • وجدير بالذكر أن **بيير نزى** وزير الاعلام والثقافة وعضو المجلس الوطنى للثورة، كان قد أعلن من قبل « اننا نعتبر ان مصر وجيشها هما الدرع الواقى لافريقيا •. وبدون مصر تصبح افريقيا مكشوفة أمام الاعداء » وينظر المراقبون الى موقف حكومة نجوابى من أزمة الشرق الاوسط، باعتباره « امتداد منطقى » لموقفها من الاستعمار ككل • **يقول الفريد راءول** — رئيس الوزراء — عن أمريكا التى لا علاقات دبلوماسية بينها وبين الكونغو برازافيل منذ حكم ماسيمبا ديبا « اننا نخشى اعادة هذه العلاقات • ان الولايات المتحدة تعمل على افساد ابنائنا بالرشوة وهى تريد ان تشترى بالدولار كل شىء حتى ضمائرنا • اننا



● ماريان نجوابى ●

سنبنى كوادرنا الثورية أولا ثم نفكر فى اعادة العلاقات مع أمريكا • ولكنك اذا أردت أن تعرف مشاعر شعبنا تجاه أمريكا فانظر الى الضفة المقابلة : **الكونغو كينشاسا** : حيث تتربص بنا أمريكا • انهم يودون ابتلاعنا بدولاراتهم » •

وكان نجوابى قد حدد طبيعة المرحلة الاجتماعية التى تمر بها بلاده فى الوقت الراهن، بانها « مرحلة الديمقراطية الوطنية » • ثم يعرض لمهام هذه المرحلة وواجبات القيادة فيقول « ان الاشتراكية العلمية هى العلاج الوحيد • ولكننا نؤكد أنه يجب ان نحقق الثورة على مراحل لان الحياة اثبتت أنه من أجل السير بالاشتراكية — آخذين فى الاعتبار ضعف امكانياتنا — يجب ان نكفل لاقتصادنا تطويرا حقيقيا لا ينتكس وأن نصبح سادة لاقتصاد بلادنا، وان نمتلك ثقافتنا • ان الاشتراكية لا يمكن أن تبنى فى أيام انها هدف لا نستطيع الوصول اليه الا درجة بعد درجة من خلال عملية ثورية تستغرق سنوات وسوف تتخطى جيلنا •. « ويحدد مهمة القيادة الجديدة بانها » التفكير أولا وقبل كل شىء فى الفلاحين والعمال دون اهمال للفئات الاجتماعية الاخرى » ولكنه يقول عن الرأسماليين — اذا عاقوا الثورة الاجتماعية — « ان المرء عندما يمد يده اليهم، فانه لابد ان ينتظر دائما دون جدوى ان يمسكوا بهذه اليد • أما الشعب فعندما يشعر بالجوع فانه لا يستطيع ان ينتظر نواياهم الطيبة • واذ تستقر احوال هؤلاء الرأسماليين فانه لا شىء يعود علينا من أرباحهم • وكل شىء يخضع لمصلحتهم وتعود الاموال اليهم مرة أخرى • أما نحن، فنحن صفر اليدين كما كان حالنا من قبل أى سنظل منهوبين »

ويدعو الى الديمقراطية ولكنه يحذر « بأن الديمقراطية فى مفهومنا تعنى وسيلة للنضال الشعبى . أما المفهوم الغربى للديمقراطية فلا يصلح لبلادنا .. نحن نؤيد مبدأ الحزب الواحد على أن يصفى داخله أية خلافات » .

وجدير بالذكر أن قيادة « حركة ٣١ يوليو » ، كانت قد فسرت قيامها بالانقلاب ضد حكومة ماسيمبا ديبا التى « تحولت الى صراعين افراد مما عرض البناء الوطنى للخطر » ، بأنها « حركة تصحيح ونحن نريد أن نضع الثورة فى طريقها الصحيح . انها مرحلة اعادة البناء وليس التغيير، فالثورة الاشتراكية مستمرة » .

●

■ **جنوب افريقيا**

الرأى العام .. والميراج : هدف بن جوريون

فى جوهانسبرج، استقبل جون فورستر رئيس وزراء **جنوب افريقيا** ، **دافيد بن جوريون** رئيس وزراء **اسرائيل** الاسبق الذى سيقوم بجولة بعد ذلك الى بعض دول افريقيا وأمريكا اللاتينية .

ويربط المراقبون السياسيون ، بين هذه الجولة وبين تطورات أزمة الشرق الاوسط والتغييرات الجزئية التى طرأت على تفهم الرأى العام العالمى - وخاصة فى دول العالم الثالث - للازمة . ويرى هؤلاء المراقبون أن هناك اعتباران أساسيان وراء زيارة بن جوريون :

أولا : فقيام بن جوريون بهذه الزيارة - وليس أحد المسئولين الرسميين فى اسرائيل - يهدف الى تجنب ردود الفعل التى يمكن أن تحدث لدى بعض الدول الافريقية اذا أقدم مسئول اسرائيلى رسمى على زيارة الدولة [جنوب افريقيا] التى تتمتع بكراهية وعداء كل شعوب القارة . ومعروف أنه كان مقررا من قبل أن يقوم **مناحم بيجين** وزير الدولة فى اسرائيل بهذه الزيارة ولكنه الغاها لهذا السبب .

ثانيا : حرص اسرائيل - كما يقول **حاييم هرتزوج** - مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية السابق - فى صحيفة هاآرتس - على « **تنمية** العلاقات بين اسرائيل والدول المزودة بأسلحة مماثلة لاسلحتها ولا سيما طائرات الميراج » .

وجدير بالذكر أن جنوب أفريقيا كانت تعتمد فى الفترة الاخيرة على **فرنسا** - بشكل كبير - فى تزويدها بالسلاح الذى تقوم به بقمع الحركة الوطنية لافى جنوب افريقيا فحسب ، بل وتشارك **البرتغال** وحكومة **سميث** على قمع الحركات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية وفى **روديسيا** .

ومن المعروف أن المسئولين فى حكومة جنوب افريقيا ، كانوا قد علقوا على عدوان ٥ يونيو بقولهم « لقد ادت اسرائيل معروفا كبيرا لجنوب افريقيا ، بالحرب التى شنتها فى الشرق الاوسط » ويفسر المراقبون ذلك بان غلق السويس بسبب العدوان قد ادى الى مرور السفن برأس الرجاء الصالح مما أفاد حكومة جنوب افريقيا ، هذا فضلا عن العلاقات المتينة التى تربط الحكومتين العنصريتين كاداتين فى يد الاستعمار العالمى ضد حركات التحرر الوطنى فى افريقيا والوطن العربى . وكانت حكومة جنوب افريقيا قد اتخذت قرارا بتقديم ٥٠٠ الف جنيه استرلينى سنويا [لمدة خمس سنوات] الى اسرائيل ، فى أعقاب حرب الشرق الاوسط . كما أن **المؤتمر** السنوى للاتحاد الصهيونى **بجنوب افريقيا** ، كان قد قرر فى نفس الوقت ارسال ٥٠٠ ألف جنيه استرلينى أخرى بالاضافة الى الـ ٣٠ مليون دولار التى بعثت بها لاسرائيل الطائفة اليهودية (١١٦ الف يهودى) فى جنوب افريقيا والتى تعد من اكبر مصادر تمويل اسرائيل بعد الطائفة اليهودية فى امريكا .



● بن جوريون ●

■ موزمبيق

قيادة ثلاثية خلفا لموندلاني

شهدت موزمبيق خلال الاسابيع القليلة الماضية ، بعضا من التطورات السياسية ، بددت حالة « الهدوء النسبى » التى ميزت الفترة الاخيرة فى حركة الصراع بين قوى الثورة الوطنية الموزمبيقية وبين قوى الاستعمار البرتغالى وسنده الاستعمار العالمى .

فقد أعلنت السلطات البرتغالية فى موزمبيق ، عن استسلام **لازارو كافاندامى** للقوات البرتغالية . وكان كافاندامى يشغل منصب السكرتير المؤقت **لجبهة تحرير موزمبيق (فريليمو) فى اقليم كابود يلجادو** . وتكمن اهمية هذا النبأ ، فى أنه قد تم بعد فترة وجيزة من نجاح الاستعمار البرتغالى — بمساعدة مخابرات المانيا الغربية — فى اغتيال **أدوارد موندلانى** رئيس الفريليمو ، وبرغم ان بعض الدوائر الافريقية لم تفاجأ كثيرا باستسلام كافاندامى — ذلك انه كان يعيش فى الفترة الاخيرة تحت مراقبة البوليس دون أن يقبض عليه كما أن موندلانى كان يحذر منه — الا أن النفوذ الذى يتمتع به بين قبيلته **ماكونديز** ، يمكن ان يحدث آثارا سيئة على تطور الاحداث خاصة اذا عرفنا ان كثيرا من شباب الماكونديز يشكلون وزنا هاما داخل جيش حركة التحرير المسلحة التابعة للفريليمو . وقد حال دون فصل كافاندامى من الجبهة — منذ وقت كافى — واقع ان جزءا من قبيلته يعيش فى اراضى موزمبيق والجزء الاخر فى تنزانيا التى كانت تخشى الاثار التى يمكن ان تترتب على قرار الفصل .

وقد تداركت الفريليمو الموقف المترتب على اغتيال موندلانى ثم استسلام كافاندامى ، بأن أعادت تنظيم مستوياتها القيادية وأعلنت عن انتخاب مجلس ثلاثى من **يوريا سيمانجو** ، **ومارسلينو دوسانتوس** ، **وسامورا مايكل** ، ليتولى رئاسة الفريليمو خلفا لموندلانى .

ويفسر المراقبون هذا الانتخاب ، بأنه تعبير عن افتقاد الفريليمو الان الى الشخصية القيادية البارزة التى تتمتع بنفس كفاءة وجماهيرية موندلانى والتى يمكن ان يجمع عليها كل اعضاء الجبهة . وهو يدل فى نفس الوقت على ان المسئولين قد قرروا تنحية عنصر المنافسة فيما بينهم جانبا تحملا لمسئوليات الوضع الراهن لحركة التحرير المسلحة فى موزمبيق . ومعروف ان سيمانجو كان يشغل منصب نائب الرئيس أثناء قيادة موندلانى الا أنه لم يكن يحظى فى نفس الوقت بالتأييد الكامل منه . أما دوسانتوس ، فقد كان يشغل منصب مسئول الادارة السياسية للجبهة ومعروف عنه ثقافته النظرية العالية وميوله الماركسية منذ كان يدرس فى فرنسا . وأما سامورا فهو قائد قوات التحرير ومعروف بميوله الوطنية .



● ادوارد موندلانى ●

وجدير بالذكر أن حكومة **كاتيانو** البرتغالية ، تقوم الان ، تساندها حكومة جنوب أفريقيا ودوائر حلف الاطلنطى — باعداد الخطط لشن هجمات ضد قوات التحرير فى موزمبيق التى تستولى على اقليمين كاملين فى الشمال وجزء من اقليم التيت . وكان كاتيانو قد قام بجولة فى المستعمرات البرتغالية فى ابريل الماضى فى أعقاب جولة **ريبيلو** وزير الدفاع .

●

■ تنزانيا

قرار بوحدة العمل المسلح بين الاحزاب

أنهى حزب **المؤتمر الوطنى** لجنوب إفريقيا ، فى اوائل الشهر الماضى مؤتمره العام الذى عقده فى موروجورو **بتنزانيا** واستمر ثمانية أيام . وقد حضر المؤتمر ممثلون لكل القوى الثورية

فى جنوب افريقيا ». وكان جدول أعمال المؤتمر يتضمن نقطة اساسية هى «دراسة الفترة الماضية واستخلاص الخبرات المستفادة منها ، وتحليل الموقف الراهن بقصد وضع خطة عمل للمستقبل القريب » .

ولاول مرة ، فتح حزب المؤتمر الوطنى باب عضويته أمام كل المناضلين فى جنوب افريقيا بغض النظر عن اللون أو العقيدة .وفى تحليله للموقف الراهن ، ركز المؤتمر بشكل خاص على حقيقة أن الطبقة العاملة هى الدعامة الاساسية للثورة فى جنوب افريقيا (٤٫٠٠٠٫٠٠٠ عامل ملون) ، وأن على الحزب أن يبذل كل جهوده — أكثر من أى وقت مضى — فى العمل بين العمال وتنظيمهم » .

وفى مواجهة الحلف غير المقدس القائم بين الفاشيين فى جنوب افريقيا والبرتغال والعنصريين فى روديسيا، وبين القوى الاستعمارية فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ، أكد المؤتمر تصميمه من جديد على دعم قوات حرب العصابات التابعة لحزبى **اتحاد شعب زيمبابوى الافريقى** ، والمؤتمر الوطنى لجنوب افريقيا والتى تعمل معا . كما قرر المؤتمر العمل على توسيع هذا التحالف ليضم القوات التابعة **للحركة الشعبية لتحرير انجولا ، وحزب الاستقلال الافريقى لتحرير غينيا والساحل الاخضر ، وجبهة تحرير موزمبيق ، واتحاد شعب جنوب غرب افريقيا .**

كما ناقش الحزب تاكتيك واستراتيجية الثورة فى جنوب افريقيا وأشاد المؤتمر بالمساعدات التى تقدمها الدول التقدمية الافريقية ، والدول الاشتراكية ، لقوى الثورة فى الجنوب . وطالب مناضليه بتقديم كل التضحيات فى الفترة القادمة التى تتعاظم فيها حركة الثورة . وقد دعا المؤتمر العام للحزب الى توحيد كل القوى المعادية للامبريالية وتعبئة كل طاقات هذه الدول ، فى مواجهة الاستراتيجية العالمية للامبريالية والحروب الصغيرة التى تشنها وأساليب الاستعمار الجديد والقديم .

وقد حيا المؤتمر نضال شعب **فيتنام** وأيد حقوقه فى تحرير كل أراضيه وفى انسحاب قوات الولايات المتحدة والدول المتحالفة معها من أراضى فيتنام بدون شروط . كما حيا المؤتمر نضال شعب فلسطين ضد الامبريالية والصهيونية العالمية ، وأيد موقف الشعوب العربية فى نضالها ضد العدوان الاسرائيلى الامبريالى .

■ فيتنام

« نبيذ قديم » داخل « زجاجة جديدة »

دعا « **أفريل هاريمان** » الرئيس السابق للوفد الامريكى فى محادثات باريس، الحكومة الامريكية الى سحب ٥٠٫٠٠٠ جندى امريكى فى فيتنام من جانب واحد . وكان السناتور « **ادوارد كيندى** » قد أعلن فى بيان له أخيرا أنه كان يأمل أن يدعو نيكسون الى سحب جزء كبير من القوات الامريكية فى فيتنام ، لدفع عجلة محادثات باريس الى الامام . كذلك أعلن السناتور الديموقراطى « **فرانك تشرش** » شعوره « بخيبة أمل مريرة » بعد اعلان برنامج نيكسون ذى النقاط الثمانى « لانه مماثل لبرنامج الرئيس الامريكى السابق ليندون جونسون » . الا أن البرنامج قد نص مع ذلك على نقطتين ذات أهمية ، هما النص على أن تبدأ كل القوات غير الفيتنامية الجنوبية فى الانسحاب من فيتنام الجنوبية بعد ابرام اتفاقية تنص على ذلك وتنص الثانية على أن يتم انسحاب الجزء الاكبر من القوات الامريكية والمتحالفة والقوات الاخرى غير الجنوبية خلال ١٢ شهرا وعلى مراحل متفق عليها .

والحقيقة أن أهم نقطة دار حولها الجدل بين الجانبين المتصارعين فى فيتنام فى الفترة الاخيرة ، هى مسألة سحب القوات الامريكية من جانب واحد ودون شروط . وقد أوضح **أكسوان فوى** رئيس وفد فيتنام الشمالية فى مفاوضات باريس أن « الرئيس نيكسون يتشبث بأى ثمن بمطلبه المتعلق بالانسحاب المتبادل ، وهى حجة لاتدانيها حجة فى خلوها من المنطق . لانها تضع المعتدى والذى يناضل ضد الاعتداء على نفس المستوى » . كما أوضح مندوب لجبهة التحرير فى المفاوضات كذلك أن النقاط التى لايوافق عليها نيكسون هى انسحاب القوات الامريكية والحليفة ، وحق شعب فيتنام الجنوبية فى تقرير مصيره .

والجدير بالذكر أنه بالرغم من أن نيكسون أوضح أنه فى حالة رفض الطرف الاخر لاقتراحه ، ستعيد حكومة الولايات المتحدة النظر فى مواقفها بشأن فيتنام ، الا أن معظم المراقبين قد تجنبوا الاشارة الى الخطوات العملية التى يمكن أن يقدم عليها نيكسون فى تلك الحالة . علما بأن هانوى وجبهة التحرير قد اعلنتا تصميمهما على سحب القوات الامريكية والمتحالفة من الجنوب دون قيد ولا شرط الامر الذى يعد رفضا لاقتراحا نيكسون .

وعلى أية حال فان مايتم واقعيا فى فيتنام الجنوبية منذ عدة اشهر هو العمل على تأهيل قوات فيتنام الجنوبية وتدريبها بحيث تحل محل القوات الامريكية عند اللزوم · وقد علم من مصادر مطلعة فى العاصمة الامريكية أن الجنرال **ابرامز** قائد القوات الامريكية فى فيتنام ، قد تداول اثناء زيارته لواشنطن مع الرئيس نيكسون حول امكان سحب جزء من القوات الامريكية فى فيتنام . كذلك أعلن **دفيد باكارد** نائب وزير الدفاع الامريكى فى أنه تم وضع خطة لسحب القوات الامريكية من فيتنام ، وأن القرار الاخير بهذا الشأن يتوقف على الرئيس نيكسون · وجاء من واشنطن أيضا فى منتصف مايو الماضى ان وزارة الدفاع الامريكية قد اعدت خطة للانسحاب تنفذ اذا حدث تقدم فى محادثات باريس . كما اشير الى ان محادثات « **روجرز** » وزير الخارجية الامريكية مع حلفاء الولايات المتحدة فى فيتنام ، قد تؤدى الى اتخاذ قرار بشأن تحديد موعد بدء انسحاب القوات الامريكية من فيتنام من جانب واحد . الا أن الموقف الواضح المعلن للحكومة الامريكية ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ هو رفض الانسحاب من جانب واحد .

وعلى أية حال فقد أشار عدد من المراقبين السياسيين الى أن مقترحات الثوار قد تضمنت نقطة جديدة هى أن مسألة القوات المسلحة الفيتنامية فى فتنام الجنوبية يجب أن تحلها الاطراف الفيتنامية فيما بينها · ويعتبر ممثلو واشنطون وسايجون هذه النقطة بمثابة تطور فى موقف الثوار لانها تتضمن اعتبار مسألة وجود قوات فيتنام الشمالية فى الجنوب ، مسألة تتطلب الحل . كما ينظرون نفس النظرة الى قبول الثوار لوجود « اشراف دولى » على عملية الانسحاب ·

ولقد تضمنت الاسس الرئيسية للحل الشامل لمشكلة « فيتنام الجنوبية » التى قدمتها جبهة التحرر اخيرا ، النقاط العشر التالية وهى : احترام حقوق الشعب الفيتنامى فى الاستقلال والسيادة والوحدة وسلامة أراضيه وفق اتفاقية جنيف ١٩٥٤ ، سحب القوات الامريكية والحليفة ، فمسألة القوات الفيتنامية المسلحة فى فيتنام الجنوبية سوف تسويها الاحزاب الفيتنامية فيما بينها على اقامة حكومة ائتلافية تقوم على الوحدة الوطنية العريضة ، عدم السماح لاى من الطرفين بفرض نظامه السياسى على الشعب فيما بين استعادة السلام واجراء الانتخابات العامة ، اتباع فيتنام الجنوبية لسياسة خارجية مبنية على السلام والحياد ، اعادة توحيد فيتنام تدريجيا بالوسائل السلمية ، وتجنب الانضمام الى أى أحلاف عسكرية مع البلاد الاجنبية ، وتسوية آثار الحرب (الاسرى ، والخسائر والتخريب) ، رقابة دولية على سحب القوات الامريكية والحليفة ·

وعلى أية حال ، فان المقترحات الاخيرة لوفد سايجون فى مفاوضات باريس ، يكشف من الناحية العملية عن حقيقة الموقف الاخير لسايجون وحكومة الولايات المتحدة ـ حتى كتابة هذا التقرير ـ اذ اقترح وفد سايجون البدء مع الطرف الاخر فى مناقشات سرية حول ٥ نقاط فحسب عن مقترحات جبهة التحرير هى : اعادة المنطقة المنزوعة السلاح ، واطلاق سراح أسرى الحرب ، وانشاء جهاز دولى للرقابة ، وانسحاب القوات بشكل متبادل ، واحترام اتفاقيات جنيف لسنة ١٩٦٢ حول لاوس وحياد كمبوديا ، ويعكس ذلك فى الحقيقة اصرار الولايات المتحدة وأتباعها فى فيتنام الجنوبية على رفض فكرة الانسحاب من طرف واحد ، الذى يصر عليه الثوار وهانوى ، وبالتالى فان جوهر الموقف الامريكى لم يتغير واقعيا ، الامر الذى حدا ببعض المعلقين السياسيين لاعتبار اقتراحات نيكسون الاخيرة بمثابة « نبيذ قديم داخل زجاجة جديدة » .

■ **بريطانيا**

حكومة العمال ·· بين تخفيض الاسترلينى ومنع الاضرابات

تتعرض حكومة حزب العمال البريطانى لازمة سياسية عنيفة تكاد تطيح بها . ومن بين اسباب هذه الازمة فشل جهود بريطانيا لانهاء الحرب فى نيجيريا وغزوها لجزيرة أنجويلا وتدهور الموقف فى شمال ايرلاندا ، الا أن الضغط الذى يتعرض له الجنيه الاسترلينى يعد بمثابة الاطار الاقتصادى للازمة التى بلغت ذروتها اليوم ·

فعلى الرغم من مضى عامين على تخفيض قيمة الاسترلينى ، وعلى الرغم من تجميد حكومة العمال للاجور ، لا تزال قيمة الاسترلينى أقل بكثير من سعره الحالى (٢ر٤٠ دولار) وهو ما يعنى فشل حكومة العمال فى معالجة الازمة الاقتصادية فى بريطانيا · الامر الذى دعا **جنكنز** وزير المالية أن يعلن فى ٩ مايو أن أزمة الاسترلينى ترجع الى مشكلة النقد العالمية اكثر مما تعزى الى ضعف الاقتصاد البريطانى نفسه ·

ولمواجهة هذه الازمة كان من المحتم على الحكومة ان تختار احد أمرين : فاما أن تخفض قيمة الاسترلينى لامتصاص الزيادة فى قيمة هذه العملة ، واما أن تقترح حلولا أخرى بديلة · ولكن هناك سببان رئيسيان يدفعان بحكومة ويلسون الى تحاشى تخفيض قيمة العملة . وأول هذين السببين

هو الرغبة فى حماية مركز حكومة حزب العمال نظرا لما يؤدى اليه تكرار تخفيضها لقيمة العملة ـ بالاضافة الى تجميد الاجور ـ من تضاؤل فى شعبيتها . ويتضح مدى الضرر الذى تنطوى عليه هذه الرغبة من جانب الحزب اذا ما رجعنا الى عام ١٩٣١ حينما أدى تمسك **رامزى ماكدونالد** بسعر الاسترلينى الذى كان يزيد على قيمته الفعلية الى الاضرار ببريطانيا ، والى سقوط حكومة العمال نفسها . اما السبب الثانى الذى دعا **ويلسون** الى تحاشى تخفيض قيمة الاسترلينى ، فهو الخوف من رد الفعل الامريكى نظرا لان هذا التخفيض سيجعل الصادرات البريطانية قادرة على التنافس مع الدولار ، وهو ما قد يلحق اضرارا بالغة ببريطانيا فى ظل تبعيتها الاقتصادية الراهنة للولايات المتحدة الامريكية .

ولهذا تتمسك الحكومة بالسعر الحالى للاسترلينى ، مع العمل على تحقيق المزيد من الاستقرار للاقتصاد البريطانى ، وعلى الحصول على قرض ضخم من صندوق النقد الدولى . ويرى المراقبون أن لجوء الحكومة الى الاقتراض من الصندوق يثبت بطلان ما سبق ان أعلنه جنكنز من أن الازمة ترجع الى الظروف الدولية فقط ، ذلك أن قروض الصندوق مخصصة لمعالجة الاختلال الهيكلى فى ميزان المدفوعات ، وهو ما يعنى أن هناك اختلالا حقيقيا فى بنيان الاقتصاد البريطانى .

ولكن ما أن بدأت الحكومة البريطانية فى تطبيق سياستها الجديدة حتى اصطدمت بعقبات هامة ادت الى تفجر أزمة عنيفة بين حكومة العمال وبين مختلف هيئات الحزب ذاته . ذلك أن الحكومه تقدمت الى البرلمان بما أسمته « بقانون العلاقات الصناعية » يتضمن مواد تنص على وقف الاضرابات العمالية ، وعلى قيام الحكومة بالتحكيم فى المنازعات بين اتحادات العمال ، وعلى توقيع عقوبات مالية على الاتحادات العمالية المسئولة عن قيام الاضرابات « غير الشرعية » . غير ان كل من اللجنة الوطنية والهيئة البرلمانية للحزب قد انقسمت حول هذا القانون الذى يعارضه تماما مجلس النقابات العمالية وهو الهيئة المهيمنة على الحركة العمالية فى بريطانيا .

وتتلخص وجهة نظر الذين يعارضون ذلك القانون سواء كانوا من لجان الحزب أم من مجلس اتحاد نقابات العمال فى عدة نقاط رئيسية :

أولاها ، أن مبدأ فرض الحكومة عقوبات مالية على الاتحادات المسئولة عن الاضرابات مبدأ مرفوض من أساسه ، **وثانيتها** : أن التحكيم فى المنازعات التى تنشأ بين اتحادات العمال من حق المجلس العام لاتحاد النقابات ، **وثالثتها** ، ان مسئولية منع الاضرابات غير الشرعية تقع على عاتق كل من النقابات واصحاب الاعمال وليس على عاتق الحكومة ، وانما يكفى أن تتدخل « لجنة العلاقات الصناعية » فى حالة الضرورة القصوى فقط ، **ورابعتها** ، أن هذا القانون سوف يلحق بالحركة العمالية أضرارا بالغة وسوف يؤدى الى تفتيت وحدة حزب العمال .

ولكن تمسك الحكومة بقانون العلاقات الصناعية يعكس حاجتها الماسة الى السيطرة على النقابات خصوصا بعد الاضرابات التى شهدتها بريطانيا فى أول شهر مايو والتى وصفتها صحيفة « لوموند » الفرنسية بانها أول اضرابات فى بريطانيا تتخذ طابعا سياسيا منذ عام ١٩٢٦ ، وتكون موجهة ضد الحكومة . وهو ما جاء برئيس الوزراء الى ان يصرح بأن اصدار قانون العلاقات الصناعية يعد أمرا ضروريا لبقاء حكومة العمال فى السلطة .

ولذلك لم تسفر المحادثات المتواصلة التى بدأت منذ يوم ٩ مايو بين اللجنة الوطنية للحزب وبين مجلس الوزراء عن أى اتفاق . بل أن ويلسون قد أوضح لرجال مجلس اتحاد النقابات أنه على استعداد للتخلى عن قانون العلاقات الصناعية اذا ما أمكنهم أن يقدموا له بديلا عنه بشرط أن يكون على نفس الدرجة من الفعالية . والواقع ـ كما يرى بعض المراقبين ـ أن ويلسون لا يقصد بهذا أكثر من كسب الوقت للافادة من انقسامات الحركة العمالية .

●

■ **فنون**

اللغة التشكيلية تجذب الانتباه العام

لانزال

العروض التشكيلية لهذا الموسم تتوالى ، بالرغم من تناقض التوقيت الصيفى ، مع الاقبال على المعارض الفنية .. ففى اسبوع واحد يعرض المركز الثقافى السوفيتى بفرعيه : معرضا للفنان **عبد المنعم القصاص** فى الاسكندرية ، ومعرضا للفنانة **تحية حليم** فى القاهرة . وكذلك يعرض اتيليه القاهرة للفنان احمد مرسى ، وقاعة اخناتون للفنان **وجدى حبشى** . بالاضافة الى المعرض الشامل الذى تقيمه وزارة الثقافة عن طريق الادارة العامة للمساعدات والخدمات الثقافية .

١ ـ القصاص من البورترية التقليدى الى التجريد الواقعى

يحتل معرض **عبد المنعم القصاص** اهمية خاصة

بين هذه العروض ، لانه يمثل اهم الاعمال التى ابدعها الفنان طيلة السنوات العشر الاخيرة تنقل خلالها بين عديد من الاتجــاهات الفنيــة فكرا واسلوبا .. وبصورة عامة يمكن ان نصنف تصوير القصاص فى خانتين ، الاولى هى المرحلة الواقعية ، والاخرى هى المرحلة التجريدية ، ولا يفصل بينهما حاجز زمنى سميك بل هما يتداخلان احيانا فى اللوحة الواحدة ·· كذلك الذى نلاحظه فى لوحة السد العالى ولوحة النوبة ، فى الاولى يصبغ اللون الاحمر هذه المجموعة من التشابكات والتعقيدات التى يفهمها المهندس اكثر من الفنان التشكيلى ، ولكن الفنان استلهمها فيما لايستطيع المهندس ان يصل اليه من آفاق انسانية .. تمكن القصاص من « اعادة صياغة » السد العالى على نحو ابعد مايكون عن النقل الفوتوغرافى واقرب مايكون الى التجريد الواقعى ان جاز التعبير .. وهو التجريد الذى تنطلق مغامرته الفنية من ارض الواقع وخاماتها ، لا مــن التكوينات الذهنيــة المفترضة ، والمفروضة معا .. هكذا نلاحظ على احدث لوحاته عن النوبة ، هذه الظلال الصخرية التى اصطبغت باللون البنى ومشتقاته ، لايقيم الفنان وزنا كبيرا لمعادلات الزمن والمساحة فى تشكيل الارض والبحر والنخيل ، وانما يوجه عنايته الكبرى الى تلك الشحنة الانسانية الكامنة فى تناغم الالوان وانسجام التكوين. ولعل التناقض الوحيد فى هذه اللوحة الرائعة هو النخيل المباشر فى واقعيته ، فقد كان على القصاص أن يوجه منهجه الفنى فى التعبير عن الظاهرة التشكيلية ، وهو المنهج القــادر على مزج الواقعيــة بالتجــريد مزجــا عميقــا بغير تعســف او افتعــــال ..

والفنان ــ بهذا المنهج ــ انما يقيم همزة الوصل المفقودة بين جماهيرنا والفن التجريدى ، فهــم لا يشعرون بغربته عنهم ولا يرفضونه ، وانما يحسون معه بالفة وتعاطف جديدين على التذوق التقليــدى ، وبخــاصــة فى لوحـــاته الثلاث عن « انطباعات يونيو » · ولا يخرج عبد المنعم القصاص بتجريداته الواقعية عن الاطار الفكرى الذى يحيط معظم اعماله ، وهو الايمان بالانسان كمبدع خلاق ، والايمان بالواقع كمصدر اصيل لكل فن · فالتجريد لديه ليس صيغة نظرية هابطة من اعلى اللوحة ، وانما هو بمثابة استخلاص مركز لنتائج باطنة فى ارض الواقع واحشاء الانسان · انه يبدأ من اسفل ليصل فى النهاية الى مايشبه النتائج التى توصل اليها غيره ممن يبدأون من اعلى ، ولكنه تشابه فى الشكل والمظهر الخارجى ، وليس فى المضمون والجوهر الداخلى العميق ، لذلك يتسم تجريد القصاص بكثافة عــاطفية متوهجة ، تبدو واضحة فى اللون والتكوين ، وكأن جذورا خفية ممتدة من سطح اللوحة الى اغوار لاترى · هذه الجذور السفلية ــ وليست التهويمات العقلية الباردة ــ هى التى اثمرت الوشائج الحية والحارة بين اللوحة التجريدية عند القصــاص والمشاهد الذى يرفض اصلا التجريد ، ولكنه لايرفض « **هذا النوع** » من التجريد ·

ولعل مجموعة « **المطبعة** » من بين اللــوحات المعروضة من أهم التجارب الفنية التى مرت فى حياة القصاص الفنية ، ذلك انها استيعاب لا حد لغناه لاهم جوانب الواقعيـــة ــ وهى الموضوع ــ واهم جوانب التعبيرية ، وهى حركة اللون . ان هذه المجموعة المتكاملة تشكل خطوة بارزة على طريق القصــــاص الفنى ، وتعـــد تطــويرا بالغ الاهمية « للبوترية » التقليدى و « الطفولة » الرومانسية ، و « الطبيعة » الصامتة ، و « المشاهد » الواقعية ·· ولا يسع الناقد المتابع لهذه المجموعات الا بان يقرر نجاح هذه التجربة البالغة التعقيد بين حركة الاقدام والوجوه ، لونا واضاءة وتكوينا ، وبين حركة التفكير والتصوير ، خلقا وابداعا . بهذه المجموعة من اللوحات لعمال المطبعة يحقق القصاص ذلك الحلم الذى يراود كل من يعمل بالصحافة من الفنانين التشكيليين : ان يضع خطا فاصلا بين الرسم الصحفى وفن التصوير · وضوح هذا الخط يعنى ابتعاد الفنان عن التسطيح الذى لاسبيل الى الافلات منه بدرجات متفاوتة حين تكون « **الصحيفة** » هى المنبر الفنى . واصبح من اليسير على فنان كعبد المنعم القصاص ان يستخدم اللون فى تجسيد حركة القدم فى لوحة عامل المطبعــــة .. بذلك الحــاجز المضىء بينهــا وبين الارض · فاذا اضفنا اللون الازرق الشــامل للمجموعة كلها وضعنا ايدينا على اداة التعبير المثلى التى انتهجها الفنان فى الربط بين الواقعية والتعبيرية ربطا عميقا محكما ·

ان رحلة القصاص طيلة هذه السنوات قد اثمرت زادا من التجارب الخصبة التى تضيف الى تراثنا التشكيلى الهاما جديدا ·

٢ ــ الوجه والقناع فى أعمال أحمد مرسى :

يفكر هذا الفنان كثيرا قبل أن يصور ! وبالطبع ليس هناك فنان لايفكر ، ولكنى قصدت بالتفكير فى لوحات **أحمد مرسى** أنه العنصر البارز فى عملية التصوير · ولعل هذه الكلمات نقيض ما استهدف قوله ادوار الخراط فى تقديمه المعرض بأن « الرمز عند أحمد مرسى ليس قيمة شعرية فقط · هذه الاقنعة ، والوجوه ــ الاقنعة الزرقاء ، هذه الخيل الناعمــة العينين ، هذه الاجســام المطــوطة ،

المسطحة ، المسحوقة ، التى استنفدت منها كل عصارة ، وهذه الاقمار أو الشموس أو الاجرام الفلكية ، لا توحى فقط بنوع من الدراما المكتومة المطهرة ، بل هى اولا وأساسا قيمة تشكيلية ، • هنا ، بالضبط ، يختلف المرء مع الناقد اختلافا عميقا ، فالقيمة الفكرية والقيمة الشعرية والقيمة الدرامية هى أكثر القيم وضوحا فى لوحات أحمد مرسى ، أما القيمة التشكيلية فتأتى فى المقام الثانى • فالرمز عندأحمد مرسى يشف عن أسطورة تحكى فكرة ، وبالتالى جاءت الخيول ذات الالوان البهيجة والتكوينات المدودة مع الرؤوس البشرية وأقنعتها الموازية لها وأجسامها الممتدة منها •• جاءت أحلاما وردية تارة كابوسية تارة اخرى ، ولكنها فى النهاية احـلام يتمركز فيها وحـولها الجنس بين الاحباط والانطلاق ، مشكلا قيمة فكرية مستقلة عن مدارس علم النفس فى مصـدرها الاصلى ، بل هى على الارجح مادة جديدة تضاف الى خامات هذا العلم ، وقيمة درامية مستقلة عن التجسيد اللغوى ولكنها لا تنفصل عنه بايحاءاتها الحركية ، وقيمة شعرية مستقلة عن الظـلال الموسيقية لهذا الفن الصوتى الراقص ، وانما هى اضافة تكوينية اليه • هذا لا ينفى ما لاعمال أحمد مرسى من قيمة تشكيلية ، بل يؤكد أن هذه القيمة فقدت استقلالها حين امتزجت بالدراما والفكر والشعر هذا الامتزاج المركب • وهى تجربة تمنح أعمال هذا الفنان مستوى رفيعا على أغلفة الكتب وبين دفتى الدواوين الشعرية التى رسمها ، ولكن هذا المستوى يختلف أمره فى التصوير الزيتى •

تعـــليق

دخان القلب المحترق فى « ليلة مصرع جيفارا »

لم يحترق قلب ميخائيل رومان يوم أن مات جيفارا ، وانما احترق قبل ذلك التـــاريخ بوقت طويل ، احترق يوم أن تراءت لعينيه دنيا باكملها تنهـــار تحت وطأة ضربات النازية الجديدة . واقبل موت جيفارا جدولا رقراقا يغسل جراح ميخائيل رومان ، فلم يكن ذلك الموت بماساة دامية ، وانما كان اقتراحا مغريا بطريقجديد لرد الضربات النازية ، طريق المدفع والثورة الشاملة .

ومسرحية رومان ليســت الا ذلك الاقتراح الباهر ، يقدمه للاجيال الجديدة البديلة للخنافس والبيتاز والهيبز ، فى بلدان العالم الثالث ،ولندع المؤلف يصف عمله بالحرف قائلا « ليست هذه المسرحية عن جيفارا بقدر ما هى عن الاستشهاد وعن العالم الذى نعيش فيه الان .

و « الان » هذه يتمثل فيها كل ما نحياه اليوم من تجارب . وعندماقتل الرجل لم ار فى مقتله الا مصرعا لقيمة انسانية مجيدة ، ناضلت بشرف واخلاص وانكار ذات كامل ضد قوى لا ترحم الضعف قط ، كان الانفعال الاول هو اليأس ، ومن بعد اليأس جاء الحزن ، ثم منبعده وفد الغضب ، ثم مرت ايام الصـــيف الطويلة وجاء الاصرار الصارم على ان تكون المسرحية شيئا ايجابيا ومفيدا •• طلقة مدفع » .

ويخيل الى ان ميخائيــل رومان لم يتجاوز مرحلة الانفعال حين امسك القلم وبدأ يكتب ، فجاءت المسرحية فعــلا « طلقة مدفع » يندلع منه دخان القلب المحترق فى صورة كلمات جادة وعبارات ملتهبة لايربط بينها سوى الذكرى الاليمة لمقتل احد شهداء العصر . ولــــكن الدخان الاسود الكثيف لم يستطع ان يقيم بناء مسرحيا وفق اى مفهوم للعمل الدرامى •• فما ابعد المسرح السياسى الذى وضع بذرته الاولى بسكانور وطوره بريخت ، واضاف اليه بيترنايس عن ذلك التهويم المتواصل حول العبودية التى لن تختفى بمعجـزة فى « ليلة مصرع جيفارا » ••

فالحق ان رومان قد ابتعد خطوات عن طبيعة المسرح السياسى الذى كانت « المعرضحالجى » من اروع ثماره المصرية، بالرغم من انه حاول الابتعاد عن الارض المحلية والتفاصيل الواقعية ، وبـــذل جهدا مضنيا فى تعميم معنى الماساة المتخلفة عن موت جيفارا وجهدا مضاعفا فى تقديم صيغة نظرية للصراع • اراد الكاتب ان يكون انسانيا مجردا من اية خصيصة قومية فشد رحاله الى امريكا اللاتينيـــة وفيتنـــام يســـتلهم بطـــولاتها المعنى ، وأراد ان يكون « عالميا » فى التصور والتصـــوير ، فلجأ الى بريخت واقترض منه البطولة الجماعية والمباشرة بكسر الايهـــام وخلع القنـــاع التقليدى عن الوجوه الرامزة الى الســـــــلطة والثورة والنضال بينهما ، والذبذبات التى لانهاية لها وتصوغ فيما بينهـــــا التناقضات الرئيسيـــة والثانوية بين الثوار وبعضهم البعض وبين المستبدين وبعضهم البعض ، واخيرا بين الثـــوار والمستبدين .

ولكن الذى تناسيـاه ميخائيل رومان فى غمرة انينه المعذب بما وقع وما يقع هو ان بريخت لا يصل بتجريده الى مرحلة الشـــبحية الغائمة ، بل هو يربط بين الخاص والعام فى شخصياته ربطــــا محكما •• وهو الرباط الذى يصـــــنع « قوام » المسرحية شكلا ومضمونا ، قوامها الحى المتدفق . لقد خلت « ليلة مصرع جيفارا » بغير شك من هـــــذا القوام الذى يميز حفلة انيقة ضــــد الامبريالية كتلك التى كتبها رومان واجاد تزيينها كرم مطاوع عن مسرحيـــــات بريخت التعليمية والسياسية ، والسبب هو ان الكاتب لم يتحمل دفقات الدم فى قلبه وهو يغلى على اثر الانهيـــــارات المتلاحقة امامه ، فنزف بعضا منه على شـــكل مونولوجات وديالوجات دعاها مسرحية ، وقام المخرج بتعويض العمل الدرامى كل ما ينقصــــه مـــن مقـــومات الدراما ، سواء بالمؤثرات الضـــــوئية والصوتية والديكور او بالتمثيل المبـــدع الذى اجادته سناء جميل وعبد الرحمن ابو زهرة ومحمود يس والشامى وغيرهم مـــن اعضـــاء الـــكورس والـــكورال ، والموسيقى الناجحة لكمال بكير .

ولو ان المؤلف ترك انفعاله يمربمرحلة البرود الفنى المطلوب ، لقـــل الصراخ والهتاف ، وازداد الارتباط بين الجانبين الخاص والعام فى الشخصية الفنية •• ولاستطعنا فى النهاية ان نكسب عملا جديدا يضاف الى تراثنـــا فى المسرح السياسى لادخانا كثيفا يزيد من سرعة نبض القلوب المحترقة .

غالى شكرى

هكذا لا نجد أكثر من لوحتين فى معرض أحمد مرسى يمكن للقيمة التشكيلية أن تحتل فيهما مكانا حقيقيا : لوحة الحصان الذى يغطيه اللون الازرق بدرجاته وتوتره بين البنفسجى والرمادى ، ولوحة الحصان الاخر الذى شق لنفسه طريقا بين الرجل والمرأة فى انسياب وتموج خفف كثيرا من حدة اللمعان ، ووطأة البريق النافذ من العيون المطفأة . فى هاتين اللوحتين وحدهما يحقق أحمد مرسى خطوة ناجحة على طريق الفن المركب من ظلال فنون أخرى كالفكر والدراما والشعر ، خطوة يفصل فيها بين رسم الاغلفة ودواوين الشعر وبين فن التصوير ٠

٣ ـ هذه الارض لنا ٠٠ وذلك المعرض لهم :

تقدم لنا **تحية حليم** فى معرضها الجديد مجموعة من اللوحات لا يضعها الناقد المنصف ضمن أجود أعمالها ، وانما هى على أحسن الفروض صوتها التقليدى ،وقد ارتفعت نبرته بالغضب حينا وبالحب أحيانا ـ كما قال مصطفى ابراهيم ـ ولكنها النبرة التقريرية المباشرة التى تمارس « التعبير » أكثر من « التجسيد » ٠ والحق أن تحية حليم فى لوحاتها التى لم يتح لها هذا العرض الجديد فرصة الظهور أعمق حسا وأرهف شعورا فى تصوير غضبها وفرحها ٠٠ ولكن الموضوعات التى عالجتها فى هذا المعرض هى التى فرضت عليها فيما يبدو اطارا زاعقا من الالوان والتكوينات ، أبعد ما يكون استلهاما للفن المصرى القديم أو القبطى ٠ وربما كانت اللوحة المعنونة « هذه الارض لنا » هى الاستثناء الذى يؤكد القاعدة ، فمصر برموزها الدينية من مساجد وكنائس ، والام الحزينة ذات النظرة الحانية على الاطفال الصغار جاءت تجسيدا عميق الدلالة على اللحظة التراجيدية التى نحياها ٠

هذه اللوحة ـ لا هذه الارض فحسب ـ لنا نحن عشاق الفن الاصيل ، أما ذلك المهرجان الذى أقامته الادارة العامة للمساعدات والخدمات الثقافية فيحتاج الى وقفة أطول لا يتسع لها هذا التقرير ٠٠ وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد أن معرضا عاما للفنون التشكيلية لابد وأن يقام على أساس الانتقاء والاختيار لا على أساس التجميع والحشد حتى لا تضيع القيمة الحقيقية وسط ضجيج الزيف والكذب ٠ والقول بأنه معرض لمصلحة الفنان لان لجنة المقتنيات ستقوم بالشراء من المعروضات بألوف الجنيهات قول مردود لان التسوية فى الظلم ليست عدلا على الاطلاق ، والروح الاشتراكية الحقة أبعد ما تكون عن هذا التصوير لمساعدة الفن والفنانين ٠ وكذلك فان لجنة المقتنيات تستطيع الشراء فى كل زمان ومكان ٠ أن الزحمة المفتعلة التى يلاحظها المتفرج على لوحات رصت رصا وكدست فوق بعضها البعض ، اوجنب بعضها البعض تكديسا يشوه القيم الفنية ولا يفرق بين الزائف والاصيل ، هى زحمة مقصودة ولا يمكن اغتفارها ٠ والمقارنة بين معرض الفنانين المتفرغين فى مطلع ١٩٦٨ وهذا المعرض الغريب ، مقارنة عادلة ومطلوبة للتفرقة بين مجهود استهدف وجه الفن وحده فحقق شيئا باقيا فى تاريخ التشكيل المصرى الحديث ٠٠ ومجهود آخر قصدوا به ان ننساه عن ظهر قلب ٠ على أية حال كانت اللغة التشكيلية هذا الموسم ولا تزال أكثر اللغات الفنية جذبا للانتباه العام ٠

■■■

رسالة
من بغداد

جيل التحدى ٠٠ وليس الغضب أو العبث أو الاحتجاج

غالى شكرى

بالرغم من أن زيارتى الاولى للعراق هدفها الرسمى الاشتراك فى المؤتمر السابع للادباء العرب ، فان هدفى الاول كان محاولة استكشاف الوجه الحقيقى للادب العراقى الراهن ، وهو الوجه المستتر غالبا خلف ضجيج المناسبة وتقاليد المجاملة وتجاعيد الروتين التى تملا اكثر الوجوه شبابا فى مختلف ارجاء المعمورة .ولكنى بعد ساعات من وجودى فى بغداد احسست وكان ثمة اتفاقا غير مكتوب على خلع الاقنعة ، وهجر

الرسميات بقاعاتها الفاخرة وحفلاتها المترفة . هاهم اذن اولئك الذين طالما تابعت ظروفهم القلقة والمعذبة والمضنية ، سواء على الصفحات الفقيرة التى يدفعون ثمنها من قوتهم اليومى ، أو على الصفحات المصقولة فى بيروت . هم هم ، كما تخيلتهم فى ذاكرتى يوما ، صورة حية للجفاف والانفعال ، للصبر والعناد ، للتحدى وليس الغضب أو العبث أو الاحتجاج . فى عيونهم وعلى أسنة اقلامهم تشع روح التحدى ببريق لا تخطئه الملاحظة العابرة . وبينما تستطيع فى غير العراق ان تفرق بين الفكر والسلوك فى حياة الاجيال الجديدة المريضة بالشيزوفريتيا ، فانك هنا فى بغداد قلما تعثر على هذا النموذج ، بالرغم من كافة عوامل الاحباط والتعويز والرواسب الفائرة فى الاعماق ، لا انفصام بين الفكر والفعل ، بين الظاهر والباطن . وهم يعانون اهوالا كثيرة فى سبيل الاحتفاظ بهذه الوحدة الداخلية بين شخصيتهم الفكرية وشخصيتهم الانسانية .. ليس أقل هذه الاهوال شأنا تلك الحياة الخشنة التى يقاسونها فى ظل مجتمع مغلق ، ومحكم الاغلاق ، بفاعلية المناخ الحضارى المتخلف الذى يتنفسه الوطن العربى والقوى المحلية والاجنبية المستفيدة من هذا التخلف .. وهى لا تألوا جهدا فى تدعيمه بخنق كل بادرة تقدم وانفتاح على العالم . غير ان المعركة ضارية والصراع عنيف . ولعل قصيدة **الجواهرى العظيم « رسالة مملحة »** التى القاها فى الناصرية حول قرار منع ارتداء المينى جيب ـ ولم يكن قد علم بعد بقرار منع اشتغال المرأة سكرتيرة ـ من أهم علامات الصراع اذ استقطبت حولها الغالبية الساحقة من الجمهور المستمع . تلك هى أولى السلبيات فى « الحياة » العراقية ، درجة عالية من الجفاف تكاد تصل فى انعكاساتها الحادة الى درجة البوار والعقم .. ولكن أكثر ردود الفعل الصحية عند الاجيال الشابة هو الاندفاع بحماس الى خضم العمل السياسى والحركة الفكرية عامة والحركة الادبية والفنية على وجه الخصوص . وهو رد فعل صحى ولا اقول « ايجابى » اى انه يقى الشباب من الانحراف ، ولكنه بالقطع لا يصلح بديلا وتعويضا عن حاله الخواء النفسى والاجتماعى .. بل ربما كان هذا الخواء هو ما يفسر جانبا من جوانب الاندفاع والانفعال الصاخب فى حياة الشباب السياسية والفنية على السواء . فالجيل العراقى الجديد يكاد يكون طابعه الفكرى الغالب هو الانتماء الى الاشتراكية العلمية ، كما يكاد طابعه الفنى أن يكون هو التجديد ، أقصى درجات التجديد .

الشعر : ديوان العراق

واذا كان الشعر ديوان العرب كما قيل فى القديم ، فانه يحق لعراق الرصافى والزهاوى والجواهرى والسياب أن يتسمى بهذه الصفة ابان العصر الحديث . فربما كان الجواهرى ـ من بين شعراء العربية الاحياء ـ يمثل ذروة ما توصل اليه الشعر التقليدى من امجاد وقيم . وربما كان السياب من بين رواد الحركة الحديثة فى الشعر العربى يمثل ذروة الاصالة والتجديد معا . لذلك كان من الطبيعى لبلد ، تلك علاقته بالشعر ، أن يغرس فى قلوب الجيل الجديد ولاء لهذا الفن لا يدانيه الا ولاءهم للفكر الاشتراكى . على أن العراق ليس مجرد تربة خصبة وسخية بالشعراء ، وانما هو ايضا مناخ مهيأ لاستقبالهم وتعهدهم بالنمو والازدهار . ولا أدل على ذلك من أن يتحول الجواهرى ـ كشاعر عظيم ومناضل وطنى تقدمى ، الى « **ظاهرة قومية** » فى العراق : أينما حل هو الاب والرائد الذى ينتسب اليه الجميع مهما اختلفت روافدهم فهى تصب اخيرا عند هذه الشخصية الفذة فى تاريخهم . كلما ظهر هنا أو هناك تجمع حوله الصغار والكبار يلتقطون لانفسهم معه الصور التذكارية ، وكلما القى مقطعا من قصيدة دوت القاعة بتصفيق مرنم ، وفق ايقاع يشد العين والاذن والقلب قبلهما الى هذا « **التاريخ** » الجسم فى رجل . سألت سائق التاكسى وقد أذهلنى أنه يحفظ ديوان الجواهرى بفهم عميق ، طيلة المسافة من البصرة الى صفوان أسمعنى ما يقرب من نصف الديوان ، فسألته : لماذا تحبون الجواهرى ؟ فأجابنى : لانه يقول الحقيقة ، ولانه اضطهد طويلا من اجل الحقيقة . فاذا تركنا قمة الشعر التقليدى المعاصر ، الى قمة أخرى للشعر العربى الحديث وزرنا البيت المتواضع الذى نشأ فيه وتربى بدر شاكر السياب ، احسسنا ان قريته جيكور هى قرية كل عراقى حتى ولو لم يقرأ حرفا للسياب ، هى القرية الاسطورة التى خلدها فى وجدان كل عربى هذا الشاعر الكبير .

فى ظل هذا المناخ المهيأ لاستقبال الشعر والشعراء يكتب الجيل الجديد شعرا جديدا مغايرا لا للجيل القديم فحسب وانما للجيل الحديث ايضا ، لا يقيم وزنا لتراجعات نازك الملائكة وتصيبه الحيرة فى شأن البياتى ويدير ظهره بصعوبة لموت السياب المبكر . ولم تستطع المجلات البيروتية أن تستوعب الموجة الجديدة الهادرة فى الادب العراقى ، لا لاعذارها التقليدية بضيق الحيز ، وانما

لايديولوجياتها التقليدية المتجــه بالمستوى . لذلك كانت مجلة « الكلمة » التى اصدرها بعض الادباء الشباب من « النجف » عشية الهزيمة عام ١٩٦٧ تعبيرا صادقا عن أزمة الجيل الجديد الذى لم يجد فى مجلة رسمية « كالاقلام » منبرا طيعا لتوتره وتمرده .. ونشرت « الكلمـــة » هذه التجــارب الشعرية الجديدة لفاضل العزاوى وسامى مهدى وفوزى كريم وخالد على مصطفى وحميد المطيعى وخالد يوسف وحميد سعيد ومؤيد الراوى وآمال الزهاوى وطراد الكبيسى ومحمدحسنى المطلبى ومحمد القيسى وغيرهم من الاسماء الجديدة فى الشعر العراقى الحديث • واستطاع عدد منهم أن يجمع بعضا من قصائده بين دفتى ديوان ، الى أن صدر العدد الاول من مجلتهم المتخصصة « الشعر ٦٩ » اثناء وجودى فى بغداد • والمجلة تصدر عن المؤسسة العامة للصحافة والطباعة فى العراق ، أى أن الدولة هى التى تتكفل بالجانب المادى من عملية الصدور ، ولكنها تترك « التحرير » لفاضل العزاوى سكرتيرا وسامى مهدى مشرفا ، تعاونهما مجموعة من الشباب الجاد سبق أن تعرفنا عليه فى « الكلمة » التى لا تزال توالى الصـــــدور . وبانفلات « الشعر ٦٩ » من قبضة الجهات الرسمية فانها تستكمل الرسالة التى بدأتها « الكلمة » فى ترسيخ القيم الجديدة التى يدعو اليهـــا الجيل الحالى عن طريق الفن الادبى ، شعرا ونثرا . وعندما اصطدمت عيناى فى الصفحة الاولـــى بعبارة « البيان الشعرى » ظننت أننى أمام تبرير نظرى لقيام هذا المنبر الثابت المستقر ، فيمـــا ارجو .. وهو تبرير يفقد أهميته بوجود النماذج الشعرية المختارة للعدد ، فهى وحدهـــا التبـــرير الحقيقى لظهور « الشعر ٦٩ » .ثم تصورت أن البيان دراسة تحليلية للخطوط الرئيسية فى الشعر العربى الحديث ومكان الشعر العراقى منه ، واذن لكان اصدقائى على صواب فى ان يتصدر عددهم الاول مثل هذه الخريطة • ولكنى فوجئت حقا ، بأن البيان ليس تبريرا للحاضر ولا تفسيرا للماضى ، ولكنه كلمات طموحة غاية الطموح قصد أصحابها ــ بنية حسنة لا ريب ــ أن يطرحوا أو أن يعيدوا طرح قضية الشعر والعصر على النطاق العالمى • وهى قضية جديرة بالنظر واعادة النظر دائما •• ولكنها تحتاج الى مناخ حضـــارى وأدوات فى البحث العلمى لا اعتقد ان اصدقائى من اسرة التحرير يفترضون وجودها أو ملكيتهم لها •• وانما هو طموح تطرف بهم الى نقيض ما كان ينبغى عليهم أن يواجهوا به الناس فى خطوتهم الاولى ، فهم ليسوا مطالبين بحيثيات مشابهة لما قام به شيلى فى دفاعه عن الشعر او ما قام به اندريه بريتون فى بيانه السريالى • ذلك أن الشعر الانجليزى والشـــعر الفرنسى كليهما كان على عجلة القيادة من تطور الحركة الشعرية العالمية ، كما أن شيلى وبريتون كليهما كان يعبر خلقا ونقدا عن نقطة تحول كبرى فى تاريخ الشعر الاوروبى • ولست أحسب أن الجيل العراقى الجديد فى شعرنا الحديث قد داخله الوهم بأن تجاربه الوليدة قد أمست على درجة من النضج أو أن مناخنا الحضارى قد أصاب درجة من التقدم تتيح لنا اصدار البيانات الشعرية على هذا النمو الطموح الذى يبالغ فى طموحه .وكان من نتيجة ذلك أن ظل الحديث عن الشعر والعصر والعالم أسيرا لتلك التعريفات التى أفـــاضت مجلة « شعر » اللبنانية خلال عشر سنوات فى تكرارها ، مع اختلاف وحيد يعكس جانبا من أزمة الجيل « العراقى » الجــديد وهو تعلقه بالفكر الاشتراكى . فالشاعر المنتمى الى هذا الفكر ، ويرى فى نفس الوقت ان علاقة الشـــعر بكل ما هو يومى وجزئى وسياسى قد آن الاوان لالغائها لان الشعر الحقيقى يرتبط بكل ما هو جـــوهرى وأبدى •• هذا الشاعر يعبر فى الحقيقة عن بلبلة عنيفة يتصف بها قطاع كامل من الشعراء العراقيين الجدد • فالارتباط الشعرى بالعصر فى تصورهم يتناقض ــ وان لم يصارحوا أنفسهم بذلك ــ مع الارتباط السياسى بالاشتراكية . وهم حلا لهذا النزاع الخفى يميلون الى تجريد الاشتراكية فى تحليقاتهم الشعرية من « مشكلات الحياة اليومية » ويجعلون منها بريقا غامضا جذابا لا تناقض بينه وبين التجريد الاصيل فى رأيهم ، والمسمى أحيانا بالعصر وأحيانا أخرى بالعالم ، وأحيانا ثالثة بالكون أو الوجود • بالرغم من أن هذه المســميات جميعها ــ وفى جوهرها الاعمق ــ وثيقة الارتباط بالاشتراكية و « مشكلات الحياة اليــومية » •• ولكن كما قلت هو الطموح الذى قد يصوغ ازمات شخصية وموضوعية طحنت الشباب العراقى بين حجرى الرحا ، الفن والسياسة . ولذلك حاول فى بيانه الشعرى أن يتجاوز ــ أو يتفادى ! ــ ما هو يومى وقد يسبب بعض المشاكل ، ويتجه ــ أو يفتعل الاتجاه ــ نحو ما هو أبدى فقد ينجى من المشاكل • ونتيجة الجمع والطرح والضرب والقسمة التى قام بها كتاب البيان ، اضطرب شمله وتشتت بناؤه وتبعثرت افكاره وتفككت عراها •• ذلـك أن تعريفات مجلة « شعر » اللبنانية لقضايا العصر والشعر والانسان متسقة فيما بينها وتتضمن نوعا من التكامل والتماسك • ولكن أصحابها لا يقيمون بينها وبين الماركسية مثلا جسرا من ذهب يدعى الشمول الاسمى كما فعل محررو البيان العراقى أو تسرب الى ظنهم انهم فعلوا ذلك .يقولون فى صفحة

٧ مثلا « **اننا نكتب الشعر من خلال صبوة الروح للتماسى مع الحقيقة التى تعذب كياننا ، وتبدل لون دمائنا . فى الشعر نحاول منح اجسادنا الكثافة واكتشاف طرق أخرى تقودنا الى الله . ان ممر الشعر الى الحقيقة ليس ممر الكيمياء أو الفيزياء أو الرياضيات أو الفلسفة . انه يوجد بسبب ظلال كل هذه الاشياء مجتمعة . فى ممر الشعر تتوحد كل الاشياء والافكار والهموم والتطلعات فى جوهر واحد** » . وفى صفحة ١٣ يقولون بالحرف : «.. أما الشاعر الجديد الذى يواجه كل بؤس العالم فلا يمكن الا أن يكتب من داخل الجحيم ، حيث يخوض حرب الحرية حتى النهاية .. الشاعر الذى يكون مع الانسان يهدم كل ما يهدم مستقبل الانسان ، يهدم كل العلاقات التى تشكل بؤسه » .. ولا يلبث البيان أن يعود مهرولا فى نفس الفقرة الواحدة الى « **الجوهـــر** » و « **الشكل** » و « **المطلق** » و « **الابدى** » . وفضلا عن انها تعبيرات تتهالك امام اية مناقشة فلسفية ، الا انها فى حدود كونهـــا مقـــالا ادبيـــا لا تخلـــق فيما بينها الحد الادنى من الاتساق المنهجى . وكان الاجدى لهم ولقرائهم هو الاختيار بين أحد طريقين : اما تبنى « وجهـة النظر » التى تقول بهامجلة «شعر» ونظيراتها فى الغرب ، تبنيا كاملا ، لاستخدام بعض مفرداتها اللامعة وعباراتها المغرية واحلامها ذات البريق وأصواتها ذات الرنين . وأما تبنى « وجهة النظر » التى يقول بها الرواد المجددون من علماء الجمال الاشتراكيين من أمثال لوكاتش وفيشر ولونافر وأراجون وجارودى ، مع التطبيق الحى الخلاق على الادب العربى عامة ، والشعر العراقى خاصة ، فمن خلال التماس بين النظرية والتطبيق نكتشف نحن ابناء هذه المنطقة المتخلفة حضاريا كشوفات جديدة تماما لا تخطر على بال هؤلاء العلماء ، وترضى الى أبعد الحدود طموحنا الى الخلق النظرى . ولعل الاطلاع العميق على الاثار الجديدة للنقاد وعلماء الجمـال الاشتراكيين يطمئن شبابنا الطموح الى انه لا انفصام بين الارتفاع الى مستوى العصر روحا وتكنيكا ، والارتباط بالاشتراكية فكرا وتطبيقا . اقول ذلك لايمانى بأن ولاء الشباب العراقى للشعر لا يدانيه الا ولاءه للاشتراكية ، ولايمانى بأن هذا البيان يعكس طموحا الى العصرية والعالمية ، ضل طريقه فتطرف ، نتيجة أزمات شخصية وموضوعية خاصة بالاديب العراقى الجديد ، ربما يشترك معه الجيل العربى باكمله فى بعض سماتها ، ولكنه يعود فينفرد بخصائص ذاتية من وحى المنـاخ السياسى والاجتماعى والنفسى للعراق .

على أن هذا البيان الذى افتتحت به « الشعر ٦٩ » عددها الاول لا يدل على الروح السائدة فى بقية مواد العدد من قصائد وابحاث . والحق أن تخطيط العدد يتميز بوعى فنى لماح .. فالمقال القصيـر الذى كتبـه سـامى مهـدى عـن الشاعر « **ميروسلاف هـولوب** » . والبحث الذى كان جديرا بافتتاحية العدد عن « **الاتجاهات الفنية لحركة الشعر العراقى الجديد** » لطراد كبيسى ، والدراسة الجادة التى قدمها خـالد علـى مصـطفى « **من ناقة طرفة الى بقرة لبـيد** » والمقابلة - المترجمة - مع الشاعر الانجليـزى توملنسوف ، والمراجعة الذكية لمجموعة « **حيث تبدأ الاشياء** » - شعر فوزى كريم - التى كتبها يوسف الصائغ ، والمراجعة المنصفة لمجموعة « **موتى على لائحة الانتظار** » - شعر خالد على مصطفى - التى كتبها عمران القيسى .. بالاضافة الى شهريات الشعر العراقى والعربى والعالمى ، وقصائد البياتى ورشدى العامل وفاضل العزاوى وخالد الخشان وصلاح فائق سعيد .. هذه المواد كلها ، جنبا الى جنب مع الرسوم المشرقة بالحداثة والاصالة للفنان ضياء العزاوى تشكل مجهودا رائدا جديرا بكل تقدير واعجاب . وقد اوصانى كل من التقيت به من اسرة تحرير « الكلمة » و « الشعر ٦٩ » أن أكون رسولا بينهم وبين زملائهم فى مصر أن يبعثوا اليهم بانتاجهم ، وأن يولى نقادنا جهودهم بـالتحليل والتقييم . وكانت وصيتهم فى شكل عتاب مهذب : انهم يقرأون كل حرف لنا ، ونحن لا نعرف عنهم شيئا .

النثر تحت وصاية الشعر

اذا كان العراق شاعرا فى المقام الاول ، فان هذا لا ينفى ازدهار القصة العراقية الجديدة ، وان كان لا يزال ازدهارا شكليا ، أو كميا فى عبارة ادق .

اما المسرح فلا يزال يحبو على قدميه ، والنقد يكاد يكون منعدما اذا فهمنا الظاهرة النقدية كحركة وموجه موازية للظاهرة الشعرية أو القصصية ، وليست استثناءات فردية تصل احيانا الى درجة النزوة والمزاج . والملاحظة الاولى على قصص وروايات **يوسف الخيدرى وعبد الرحمن الربيعى وموسى كريدى وفاضل العزاوى وبرهان الخطيب وخضير عبد الامير وخالد الخميسى** انها تجارب صادقة تنقصها أصالة التكوين .. فبالرغم من أن انتاج عبدالملك نورى وفؤاد التكرلى وغائب طعمة يعد من وجهة نظر الجيل الجديد هنا ، تراثا كلاسيكيا رغم تعدد الاتجاهات الفنية والفكرية لهؤلاء الكتاب . الا أن ما لا ريب فيه هو أن الجيل

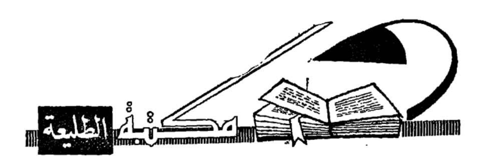
الجديد لم يصل بعد الى صيغة جمالية قريبة من التماسك لتجديد القصة القصيرة والرواية ، فلا يزال البناء الشعرى المرسل على عواهنه هو حجر الزاوية فى تجارب الشباب القصصية ، حتى ليخيل اليك أنك أمام تنميقات شعرية مزوقة وانك أمام المحاولات الدادية التى عرفتها أوروبا منذ أكثر من أربعين عاما . فالهوة عميقة بين القصة العراقية الجديدة — فى معظمها — وبين الموجات الفنية الجديدة فى الغرب ، اذا كان هذا هو التصور الثابت لدى بعض من قابلتهم من القصاصين الشبان ، والمسافة شاسعة بينهم وبين أن يكونوا امتدادا لتجديد التكرلى والشارونى والخراط .. ذلك أن تأثرهم الحقيقى بالشعر لا بالقصة الجديدة ، ولذلك قد ترى أثرا لادونيس أو خليل حاوى أو أنس الحاج فى قصصهم . وقد تنبه ناقد مخضرم **كجبرا ابراهيم جبرا** وناقد جديد يمثل أملا كبيرا **كعبد الجبار عباس** الى ظاهرة التزويق الشعرى فى القصة العراقية الجديدة . ولكن الاول رغم ثقافته العريضة وحسه المرهف وبصيرته النافذة يحنو على الشباب اكثر من اللازم ويحدب عليهم أكثر مما يجب ، أما عبد الجبار عباس فرغم يناعة سنه فانه يتمتع بنظرة ثاقبة وشجاعة فى ابداء الرأى تعوضه الى حد كبير عن ذلك الفقر الثقافى الذى تتسم به المكتبة العربية والاجنبية فى العراق .. وهو الفقر الذى لا سبيل الى تعويضه بشكل فعال الا بالسفر الى الخارج والتزود بمناهج البحث العلمى من المصادر الاصلية والمباشرة والاساسية .

ان نظرة عميقة فى مجموعات عناوينها « الرغبة فى وقت متأخر » لعبد الستار ناصر و « **وجوه من رحلة التعب** » و « الظل فى الرأس » لعبد الرحمن الربيعى و « **أصوات فى المدينة** » لموسى كريدى وروايات مثل « **ضباب فى الظهيرة** » لبرهان الخطيب ، و « مخلوقات فاضل العزاوى الجميلة » لفاضل العزاوى و « **ثقب فى الجدار الصدىء** » لعبد الرزاق المطلبى و « **عراة فى المتاهة** » لمحمد عبد المجيد .. وغيرها كثير مما ناءت به حقيبة كبيرة من هدايا الشباب العراقى الادبية ، تمنحك هذا الاحساس الحاد بالتمزق بين المستويات المختلفة اختلافا بينا ، فضلا عن التفاوت بين الاتجاهات الفكرية والفنية . ولكن تخرج بعد هذا التوتر بحقيقة كبيرة هى ان القصة العراقية التى نشأت وتطورت بصورة لا تتباين كثيرا مع الخط المتطور للقصة العربية عموما (**كما أوضح ذلك الباحث الجاد عبد الاله احمد فى كتابه القيم**] تقوم الان بحركة تمرد على المعايير التقليدية ، ولكن الجانب الاصيل فى تمردها أضعف كثيرا من أصالة التمرد الشعرى ، ولا تزال أعمال التكرلى وفرمان ونورى فى مقدمة الاعمال القصصية الناضجة على أن هذا لا ينفى أن ارهاصات التجديد تومىء — ولو من بعيد — بان الجيل القصصى الشاب فى العراق سوف يعطى فى القريب الشىء الكثير ، فهم لا يعبثون ، ولا يكتفون بالغضب السلبى أو الاحتجاج الصامت ، وانما هم يتحدون « **الامر الواقع** » مهما شابت تحدياتهم بعض الاخطاء .. أو النزوات . والحق أن المجتمع المغلق ، بل والمحكم الاغلاق ، هو أحد عوامل السلب فى القصة والرواية والمسرح هنا .. لانه اذا كان « الكم » الادبى والسياسى هو رد فعل لحياة خاوية من الرى متخمة بالجفاف ، فان « الكيف » هو الاخر رد فعل طبيعى قد لا يظهر جليا فى الشعر ، أما النثر فماذا يصنع ؟ ماذا يستطيع أن يقول الكاتب الروائى عن علاقة الرجل بالمرأة فى العراق ، وهى بالقطع ليست مجرد « تجربة جنسية » وانما هى أم التجارب الانسانية بمختلف ظلالها والوانها ؟ يندفع الشباب العراقى الى السياسة والادب اندفاعا لانظير له فى أى مكان آخر بالوطن العربى ، لا لان المناخ السياسى والتراث الادبى يدفعهم الى هذا الطريق الباهر فحسب ، وانما لان المناخ الاجتماعى يحرمهم من حقوق كثيرة .. فالعمل السياسى والادبى يقوم بديلا مقنعا فى الظاهر لهذا الحرمان ، واذا كان العمل السياسى طريقا النضال ضد التخلف الاجتماعى ، فان الادب والفن يظل خاويا فى الجوهر من عنصر الحياة الاجتماعية السوية ، يظل « ناقصا » !!

سألت صديقى الشاعر خالد يوسف الذى أرهقته بغير شك اسئلتى التى لا حد لها طيلة الرحلة : كيف تكتبون أدبا ينقصه هذا العنصر الخطير فى مادة كل أدب عظيم ؟ اننى اغادر بلادكم الرائعة وهذا التناقض يظلل روعتها بلون الحيرة والقلق . أجابنى والابتسامة لاتفارق عينيه : أليست المشكلة الاجتماعية بكل جوانبها جزء لا يتجزأ من صراع الانسان ، وأليس هذا الصراع هو الموضوع الابدى للادب والفن ؟ قلت : لا أدرى ! ولكن شيئا ما فى أعماقى يقول أن هذا الجيل من تاريخ الادب العراقى سوف يدفع ثمنا باهظا للخروج من الازمة ، ربما حياته نفسها ، ولكن حينئذ يصبح أعظم الاجيال قاطبة ، حتى ولو لم يترك سوى دمه .. علامة طريق .

وعلى سلم الطائرة سألنى أحد الصحفيين الشباب :

— ما رأيك فى المؤتمر ؟ وتذكرت أننى جئت الى بغداد لهذا السبب ، فلم أجد ما أرد به وأنا محاط بوجوه تطل من متحف التاريخ أتت للعناق والثرثرة والوداع ، الا بأن المؤتمر ككل المؤتمرات السابقة ، ليس له ولا عليه .



الماركسية والمسألة اليهودية

■ تأليف : ناجي علوشي

■ عرض ونقد : حمدي عبد الجواد

يحاول المؤلف فى هذا الكتاب استعراض ومناقشة تطور الموقف الماركسي من المشكلة اليهودية ومن الصهيونية ومن وجود اسرائيل . ويقول أنه « لا ينطلق في دراسته النقدية تلك من مواقع عداء للماركسية والشيوعية ... » ، وانما من مواقع « ... ان المعركة الرئيسية هى معركتنا مع الامبريالية وحليفتها الصهيونية ، والماركسيون حلفاء فى هذه المعركة .... وان النقد يستهدف ازالة سوء فهم حدث وتصحيح أخطاء ارتكبت .. وذلك على ضوء منهج ماركسى فى التحليل العلمى ... » . الا أن الكتاب لم يصل كما أوحى لنا المؤلف الى مستوى الدراسة العلمية ، ولم يتقيد بالمنهج الماركسى فى معالجته لكثير من القضايا التى تناولها ، ولمشكلة من اعقد المشكلات التى تواجه الثوريين العرب بل وفى جميع أنحاء العالم فى أيامنا

وقد قسم المؤلف عرضه الى ثلاثة اقسام رئيسية . تناول فى القسم الاول الفترة التاريخية التى تبدأ بماركس وتمتد حتى عام ١٩٤٧ .

وفى هذا القسم استعرض المؤلف افكار ماركس حول المسألة اليهودية . لقد اتخذت المسألة اليهودية فى عصر ماركس طابع الاضطهاد الدينى والسياسى لليهود فى الدول الاقطاعية ذات الطابع الدينى مما أدى الى عزلة اليهود فيما سمى بمجتمعات الفيتو ، بينما انتفى ذلك الاضطهاد فى دول غرب أوروبا البرجوازية . ان الفصل بين الدولة وبين الدين فى

الدول البرجوازية الناهضة فى غرب أوروبا صاحبه تحرر سياسى لليهود ساعد على انصهار اليهود فى تلك المجتمعات ، بينما أدت الدول اللاهوتية فى الشرق الى اضطهاد اليهود وما ارتبط بذلك من زيادة عزلتهم عن المجتمع . غير أن التحرر السياسى لليهود الذى جاءت به الثورة البرجوازية فى الجمهوريات الديموقراطية فى غرب أوروبا ، لم يكن يعنى تحرير المجتمع من اليهودية . لقد رأى ماركس ان الوعى الدينى اليهودى يرتكز على الانانية والمنفعة الشخصية وحب الذات وأن هذا الوعى الدينى اليهودى قد وجد تعبيره العملى فى المجتمع فى وعى البرجوازى أى فى المتاجرة والربا . ورغم أن البرجوازية قد حررت الدولة من الدين وحررت اليهود بذلك من الاضطهاد السياسى والدينى ، الا أنها من الناحية العملية قد خلقت الظروف الاجتماعية كى يتحول الوعى الدينى اليهودى الى وعى للمجتمع بأسره ، وكى تسيطر اليهودية كحب للذات والانانية والمنفعة الشخصية على المجتمعبأكمله الامرالذى دفعماركس الىالقول بأن اليهودية لم تبلغ ذروتها الا مع اكتمال المجتمع البرجوازى ـ لذا فقد رأى ماركس أن اليهودية لم تعد تكمن فى الدين اليهودى.لقد حلت المشكلة اليهوديةفى دول غرب أوروبا بتحرر الدولة من الدين ، ولكنه مع تحرر اليهود من الاضطهاد كانت اليهوديةتسيطر على المجتمع بأسره واصبحنا نواجه مشكلة جديدة هى مشكلة تحرير المجتمع من اليهودية . وأوضح ماركس أنه يستحيل تحرير المجتمع من اليهودية الا بالقضاء على البرجوازية تلك الطبقة التى ارتبطت سيطرتها على المجتمع بسيطرة اليهودية عليه .

ويمكن تلخيص فكرة ماركس حول المشكلة اليهودية فيما قاله المؤلف « ... ان المسألة اليهودية ليست مسألة قومية .... ان هذه المسألة تطورت من مسألة لاهوتية فى عهود الاقطاع الى مسألة سياسية فى عهد البرجوازية ، وان حلها مرهون بحل مشكلة النظامالبرجوازى أى بالقضاء عليه ... »

ومع نهاية القرن التاسع عشر بدأت التنظيمات السياسية لليهود فى الظهور سواء على شكل أحزاب وحركات سياسية لليهود فى دول أوروبا الشرقية حيثالاضطهاد ومجتمعات الفيتو المعزولة أو على نطاق العالم فيما عرف بالحركة الصهيونية العالمية . وبدأتالتنظيمات السياسية لليهود تطرح المسألة اليهودية باعتبارها مسألة قومية ، وبدأت تتقدم بمطالبها على أساس هذه النظرة . وكان « **البوند** » (الاتحاد اليهودى لعمال روسيا وبولندا) يمثلون أبرز التنظيمات السياسية لليهود فى شرق أوروبا وادعوا انهم يسيرون تحت لواء الاشتراكية الديموقراطية . ومنذ البداية دب الخلاف بينهم وبين «لنين».وتبلور هذا الخلاففى مطالبة البوند بكيان مستقل داخل حزب العمال الاشتراكى الديموقراطىالروسى باعتبارهم الممثلين الوحيدين للعمال اليهود . وحينما رفض الحزب طلبهم انقسموا عليهواستمروا فى صراع معه حتى تمت تصفيتهم نهائيا بعد ثورة ١٩١٧ . وعندما طرحت المسألة القومية داخل حزب العمال الاشتراكى الديموقراطى الروسى رفع « **البوند** » شعار الاستقلال الذاتى الثقافى القومى ، فى مواجهة الشعار الذى رفعه « **لنين** » وهو حق الامم فى تقرير مصيرها . وكان شعار لنين هذا ينبع من حق كل أمة فى اختيار نوع الحياة التى تريد ، وتمسك لنين بهذا الحق حتى ولو أدى ذلك الى أن تقرر الامة الانفصال عن الدولة المرتبطة بها .فلقد كان لنين يرى أن اتحاد الامم فى دولةواحدة لا يجب ان يقوم ،كما كانفىالماضىعلى أساس القسر ، وانما يجب ان يتم طواعية وعلى أساس الارادة الكاملة لكل أمة . غير أن لنين فى نفس الوقت الذى دافع فيه عن حق الامم فى تقرير مصيرها بذلك المفهوم ، حذر من الاتجاهات القومية المتعصبة التى لن تؤدى الا الى تقسيم وحدة الشعوب وتحويلها الى احتياطى لخدمة مصالح الطبقات الرجعية . وكان شعار الاستقلال الذاتى الثقافى الذى رفعه البوند خرافة مستحيلة التحقيق عمليا فوق أنهيخدم فى النهاية مصالح الامم الظالمة اذ أنه لا يعترف لامة مظلومة بحقها فى تقرير مصيرها بما فى ذلك حقها فى الاستقلال . وأوضح لنين أن شعار الاستقلال الذاتى الثقافى القومى انما ينبع من طبيعة تكوين البوند وتفكيرهم . فالبوند يمثلون اليهود ، واليهود جماعات مشتتة، يمكن أن تفكر فى حقوق الجماعات القومية الاقليمية ومنأجل ذلك بحث البوند عن حل للمسألة القومية يتناسب مع وضع الجماعات اليهودية المتناثرة التى لا تشكل أمة رغم أن هذا الحل ينكر على الامم حقها فى تقرير مصيرها . وقد هاجم لنين بعنف فكرة البوند القائلة بأن اليهود يشكلون أمة ، واوضح ان تلك الجماعات المشتتة المتناثرة الغير موحدة على اساس اقليمى والتى لا تتوافر فيها شروط الامة لا يمكن النظر اليها باعتبارها أمة على الاطلاق ، وفى ذلك يقول « ان الفكرة القائلة بأن اليهود يشكلون أمة منفصلة عن غيرها فكرة غير ثابتة من الناحية العملية على الاطلاق ، عدا كونها فكرة رجعية من الناحية السياسية . وتعطينا الوقائعالمعروفة للتاريخ الحديث وللحقائق السياسية المعاصرة برهانا عمليا لا يمكن دحضه على ذلك .... ان فكرة القومية اليهودية هى بلا ريب فكرة رجعية ليس فقط عندما ينادى بها دعاتها الصرحاء من الصهاينة ، ولكن أيضا عند أولئك الذين يحاولون أن يجمعوا بينها وبين أفكار الاشتراكية الديموقراطية ... »

وعندما قامت الثورة الاشتراكية فى روسيا أعيد تنظيم الدولة السوفيتية على أساس الاعتراف بالحقوق القومية لكل الامم والجماعات القومية ، أى ، حق تقرير المصير للامم بما فيه حق الانفصال ، وحق التطور الحر للاقليات القومية والجماعات العرقية التى تعيش فى الاتحاد السوفيتى. ولقد طبقت تلك الحقوق من قبل الدولة السوفيتيه على كل المواطنين بما فى ذلك الجماعات اليهودية التى أبدت رغبة فى تطورها الحر على أساس التعليم بلغتها اليديش أو اصدار مجلات بتلك اللغة • ونحن لا نستطيع أن نفهم لماذا يعترض المؤلف على تمتع اليهود بتلك الجزئيات وتشكيلهم لبعض التنظيمات الخاصة بهم فى بعض المناطق أو اصدار مجلات بلغة اليديش ، أفلا يتفق ذلك مع المبادىء التى أعلنتها الدولة السوفيتية • وهل كان المؤلف يريد أنه طالما أن اليهود لا يشكلون أمة فمن الضرورى فرض انصهارهم القسرى داخل المجتمع • لقد كان من الخطأ البين فرض انصهار اليهود بالقوة ودون طواعية من جانبهم • ولقد أثبتت سياسة حرية التطور المستقل لليهود أنها أكثر صوابا اذ مع انتفاء كل أثر للاضطهاد الدينى والسياسى القيصرى ومع مرور الزمن امكن تمييع تلك الجماعات اليهودية فى داخل المجتمع الاشتراكى السوفيتى وفشلت كل المحاولات الرامية الى تطوير ثقافة يهودية مستقلة لانه لم يكن يتوفر أساس اجتماعى قومى لتطوير مثل هذه الثقافة •

وجاء ستالين استمرارا لسياسة لنين فى عدم الاعتراف باليهود كأمة لا فى روسيا ولا خارجها لانهم لا يشكلون جماعة بشرية ، تتوفر فيهم شروط الامة التى تتلخص فى وحدة التاريخ واللغة والارض والحياة الاقتصادية والخصائص النفسية • وفى نفس الوقت استمر ستالين فى سياسة محاربة مطالب البوند القومية الزائفة •

غير أنه تمشيامع المبادىء التى قامت عليها الدولة السوفيتية فى حرية التطور المستقل لكل الجماعات القومية والعرقية فى الاتحاد السوفيتى ، أعلنت الحكومة السوفيتية عام ١٩٣٤ عن تأسيس مقاطعة **بيرو بيجان** ذات الحكم الذاتى لليهود لاتاحة الفرص أمامهم لتطوير خصائصهم بحرية •

وحاول الاتحاد السوفيتى تشجيع اليهود على الهجرة الى بيرو بيجان كمحاولة للقضاء على نفوذ الصهيونية بين يهود روسيا ، الا أن هذه المحاولة لم تحقق سوى نجاح محدود للغاية • ولم تتمكن مقاطعة بيرو بيجان من تحقيق أى تقدم محسوس نحو تجميع اليهود أو تطوير خصائصهم الثقافية أو القومية • ويرجع ذلك الى مقاومة الصهيونية العالمية للفكرة على أساس أنها قد تصرف الانظار عن محاولة اقامة وطن قومى فى فلسطين ، بالاضافة الى أن ظروف المنطقة من الناحية المناخية والحضارية لم تكن ملائمة • غير أن السبب الرئيسى يكمن فى طبيعة التركيب الاجتماعى لسكان اليهود فى روسيا ، فكلهم سكان مدن لا يعملون بالزراعة • كما يرجع الى عدم توافر الشروط الاجتماعية اللازمة لتطوير خصائصهم القومية •

ومن الملاحظ أن موقف الاتحاد السوفيتى منذ تأسيسه حتى عام ١٩٤٧ من المسألة اليهودية قد سار فى خط معاداة الصهيونية ومعاداة فكرة الامة اليهودية ومقاومة المحاولة لاقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، والوقوف ضد هجرة اليهود من روسيا الى فلسطين ، واعتبر فكرة اقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين محاولة رجعية استعمارية ، ويرى المؤلف ان الاحزاب الشيوعية فى العالم بما فيها الاحزاب الشيوعية العربية ، قد سارت فى خطها العام طوال تلك المرحلة ـ رغم بعض الملاحظات المحدودة ـ على نفس الاسس التى سارت عليها السياسة السوفيتية من رفض الصهيونية ومعاداتها ورفض فكرة الامة اليهودية ورفض فكرة الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ومعاداة الهجرة اليهودية •

غير ان المؤلف يأخذ على الاحزاب الشيوعية فى تلك المرحلة :

« •••• نقطة ضعف خطيرة فى موقفها وهى محاولة التفريق بين الحركة الصهيونية والجماهير اليهودية ، مما دفع بها الى رفع شعار الاخاء العربى اليهودى فى فلسطين ضد الاستعمار والصهيونية من أجل دولة فلسطينية مستقلة للعرب واليهود » • ويقول المؤلف بأن الموقف الاسلم الذى كان يجب اتباعه من أجل موقف سليم متكامل هو « •••• النظر الى التجمعات اليهودية فى فلسطين على أساس أنها تجمعات صهيونية ••• ومحاكمتها على هذا الاساس الواقعى » •

ونحن نختلف مع المؤلف تماما فيما يراه نقيصة نراه نحن موقفا سليما ، بل اننا نعتقد أن الاستعمار والصهيونية من جانب والرجعية العربية المتعاونة معهما من جانب آخر قد سعيا خلال تلك المرحلة لتطبيق الافكار التى ينادى بها المؤلف من عدم التفريق بين الصهيونية والجماهير اليهودية باعتبارهما شيئا واحدا ، وبالعمل الدءوب من أجل تحطيم اخاء ووحدة الجماهير الفلسطينية العربية اليهودية فى نضالها ضد الاستعمار والصهيونية • ونحن نعجب لدفاع المؤلف عن تلك الافكار المعنة فى شوفينيتها ، والتى عمقت فى التطبيق العملى ما أراده الاستعمار والصهيونية من استحالة تعايش العرب واليهود فى دولة مستقلة لتبرير تنفيذ مؤامرة خلق دولة اسرائيل ، ونعتقد ان نجاح هذه الافكار عمليا كان احد الاسباب الرئيسية للنكبة التى نعانى منها حتى اليوم •

ثم ينتقل المؤلف بعد ذلك الى القسم الثانى من الكتاب حيث يتعرض للتطورات التى طرأت على

موقف الاتحاد السوفيتي والاحزاب الشيوعية منذ عام ١٩٤٨حتى عام ١٩٦٧ · ويذكر المؤلف أنه مع بدايات عام ١٩٤٨ حدث انعطاف في الموقف السوفيتي نحو اعتبار اليهود في فلسطين أمة ، وبالتالي حقهافي تقرير المصير · وعلى أساس ذلك الانعطاف في الرأى وافق الاتحاد السوفيتي على قرار التقسيم واعترف بدولة اسرائيل · ولقد كان واجب الانصاف والامانة يفرض على المؤلف أن يوضح الاسباب التي دفعت الاتحاد السوفيتي الى تغيير موقفهوالموافقة على قرار التقسيم والاعتراف بدولة اسرائيل وهو الذى سبق له ان رفض ذلك.

وفي حدود الوثائق الرسمية التي حددت فيها الحكومة السوفيتية او الحزبالشيوعي السوفيتي رأيه في هذا الموضوع لم يحدث على الاطلاق ان أعلن الاتحاد السوفيتي ان سبب موافقته على التقسيم والاعترافبدولة اسرائيل يرجع الى تغيير موقفه من النظر الى اليهود باعتبارهم امة في فلسطين · وانما بنى الاتحاد السوفيتي تغيير موقفه معلنا انه اضطر الى الموافقة على قرار التقسيم كالمخرج الوحيد بعد استحالة قيام دولة فلسطينية مستقلة واحدة يعيش فيها العرب جنبا الى جنب مع اليهود ، وبعد ان نجحت الصهيونية والاستعمار في جعل هذا التعايش مستحيلا وحولوا ارض فلسطين الى ميدان لمذابح دموية عنصرية بين العرب واليهود كان الخاسر بالطبع فيها هم العرب · ازاء تلك الظروف بالتحديد في حدود علمنا راى الاتحاد السوفيتي الموافقة على التقسيم ، واقامة دولتين ، دولة لليهود ، ودولة للعرب .

بعد ذلك ينتقل المؤلف الى توضيح أن الاتحاد السوفيتي سرعان ماغير موقفه من اسرائيل منذ اواخر ١٩٤٨ ، وبدأ ينظر اليها باعتبارها مخفرا اماميا للاستعمار في الشرق الاوسط ، وسرعان ماتدهورت علاقته باسرائيل في نفس الوقت الذى بدات هذه العلاقات تتزايد وتتدعم مع الدول العربية وبشكل خاص بعد ١٩٥٥ وحتى وقتنا الحاضر · ورغم عداء الاتحاد السوفيتي الواضح للصهيونية ، وتأييده ومساندته الكاملة لحركة التحرر العربي الا ان موقفه ازاء ازمة الشرق الاوسط وازاء المشكلة الفلسطينية بدا يتبلور منذ عام ١٩٥٦ في الدعوة الى الوصول الى تسوية سلمية للنزاع بين العرب واسرائيل على اساس قرارات الامم المتحدة ·

وانتقل المؤلف بعد ذلك الى استعراض الموقف من اليهودداخل الاتحاد السوفيتي خلال تلك الفترة فاشار الى استمرار تدهور نسبتهم في الحزب والدولة والقوات المسلحة · الا ان هناك قطاعات اخرى ظل عدد اليهود فيها كبير نسبيا وخاصة في ميدان الخدمات الطبية والهندسة والتموين والنقل ·

اما فيما يتعلقبالموقف من الهجرة فيشير المؤلف الىان الاتحاد السوفيتي استمر في موقفه المعادى لهجرة اليهود الىاسرائيل ولم يحد عنه ،ويذكر ان يهود الاتحاد السوفيتي بشكل عام يعادون الصهيونية ، وانهم نتيجة التطورات الاجتماعية في المجتمع الاشتراكيبعد ثورة اكتوبر بدأوا بالتدريج ينصهرون في مجموع السكان · وارتبط هذا الانصهار في اندثار اللغة اليديشية ومدارسها وصحفها ·

بعد ذلك عرج المؤلف على استعراض نموذج لموقف شيوعي في غرب اوروبا من المسألة اليهودية ، ومرة اخرى جانبه التوفيق في اختيار نموذج يمثل وجهة نظر تلك الاحزاب . والنموذج الذىقدمه المؤلف لايعبر على الاطلاق الا عنوجهة نظر شخصية ، بل انهمتعارض تماما مع وجهةنظر تلك الاحزاب التي لم تكن وجهة نظرها تختلف في جوهرها عن وجهة نظر الاتحاد السوفيتي التي سبق عرضها ·ويكفينا للتدليل على ان وجهة النظر الذى اختارها المؤلف لمن يسمى بهايمن ليفى لاتعكس وجهة نظر الاحزاب الشيوعية في غرب اوروبا ما قاله المؤلف نفسهعن صاحب هذا الرأى اذقال « ··· والملاحظ ان هذا الشيوعي البريطاني يمثل نمطا خاصا من الشيوعيين الاوروبيين الذين يتبنون الماركسية على طريقتهم الخاصة ، فهؤلاء لا يتبعون منهجا ماركسيا في التحليل ، ولا يسترشدون بآراء ماركس ولنين فيمواقفهم،وهو يقف الى جانب الصهيونية في الحملة على الاتحاد السوفيتي،ومطالبه لاتختلف عنمطالب الصهيونية العالمية » · فاذا كان هذا هو رأى المؤلف في هذا الشخص ، فما الحكمة التي تكمن وراء تقديم هذا الرأى ، باعتباره نموذجا لرأي شيوعي في غرب أوروبا ، وخاصة أن وجهة نظره تختلف جذريا عن وجهة نظر تلك الاحزاب ؟ !

ثم ينتقل المؤلف الى عرض موقف الشيوعيين العرب ، فاوضح انموقفهم كان بشكل عام ،وفيما عدا بعض الحالات الخاصة ، يلتقي مع الموقف السوفيتي من ٤٧ حتى ٥٤ في تأييدهم لقرار التقسيم ، وادانتهم لحرب ١٩٤٨ باعتبارها مؤامرة صهيونية استعمارية رجعية ترمى الى القضاء على حقوق عرب فلسطين ،، وقد تبلورت مطالب الشيوعيين العرب طوال تلك الفترة في النضال الواعى لتنفيذ قراراتالامم المتحدة ،واقامة الدولة العربية المستقلة والدفاع عن الحقوق المشروعة للعرب التي نصتعليها قرارات الامم المتحدة · ثم جاءت المرحلة الثانية التي امتدت من ٥٥ حتى النكسة وفيها شدد الشيوعيون العرب من هجومهم على اسرائيل والصهيونية ونفوا صفة الامة عن

يهود اسرائيل ، لقد اعتبروا ان اسرائيل دولة قامت على العدوان والاغتصاب وانها ركيزة الاستعمار فى قلب الشرق العربى • وخلال تلك الفترة بدا يتبلور داخل صفوف الشيوعيين العرب اتجاهان بالنسبة لمشكلة فلسطين : الاتجاه الاول يسير على نفس خط السياسة السوفيتية فيدين العدوان والصهيونية والاستعمار ، لكنه يسلم بوجود دولة اسرائيل ويطالب بتنفيذ قرارات الامم المتحدة ، ومحاولة الوصول الى تسوية سلمية على اساس تلك القرارات ، اما الاتجاه الاخر فيمثل اتجاه اليسار الماركسى الذى تتلخص وجهة نظره فى عدم الاعتراف بشرعية الوجود الاسرائيلى باعتباره كيانا قام على الاغتصاب والعدوان والمطالبة بالتالى بتصفية الكيان الصهيونى • ولذلك يرفض هذا الاتجاه اية حلول او تسوية سلمية ، ويرى ان الحل الوحيد هو فى دعم وتقوية المقاومة العربية المسلحة لانتزاع حقوق الشعب العربى المغتصبة والقضاء على دولة الصهيونية والاستعمار •

ثم ينتقل المؤلف فى القسم الثالث والاخير من الكتاب الى عرض ومناقشة مايراه موقفا سليما من الصهيونية ودولة اسرائيل • وهو فى هذا القسم من الكتاب يبتعد عن المنهج الماركسى الذى يعلن عن تمسكه به ، كما انه لم يتقدم الينا بحل واضح محدد للمشكلة •

ولنقرا معا بعض منطلقاته فى تحليله للمشكلة •

« ان الذى يحدد وعى اليهودى هو دينه ••• » انه لايسلم بان الظروف الاجتماعية هى التى تلعب الدور الحاسم فى تحديد وعى الانسان رغم ان تلك اولى منطلقات المنهج الماركسى •

ويقول فى مكان آخر « ••• كان اليهودى فى الفيتو مخيرا بين يهوديته وبين ان يصبح مواطنا » وهذا هو نفس الحكم الذى اصدرته الدول اللاهوتية الاقطاعية التى قامت على اضطهاد اليهود فى شرق اوروبا • ان المؤلف يتجاهل ان الفيتو لم يولد الا نتيجة للاضطهاد السياسى والدينى لليهود ، وانه حيثما زال هذا الاضطهاد حتى فى دول غرب اوروبا لم يعد للفيتو وجود •

وهو يقول « ••• ان تحول اليهودى عن دينه يوصل مابينه وبين الانسانية ويفتح له مجالا واسعا للانطلاق والتقدم •• » ومن اجل ذلك ذاته يعتبر كل اليهود رجعيين واستعماريين ومعادين للانسانية • وهذا يمكن ان يسمى بالمنهج الدينى فى التحليل الاجتماعى وليس بالمنهج العلمى • ولقد كان من الطبيعى ان يترتب على تلك المنطلقات الخاطئة فى منهج المؤلف ، استحالة وجود يهودى يسارى فى اسرائيل ، فنراه يتساءل : « ••• كيف يمكن ان ينبثق يسار من قلب هذا الواقع الاستعمارى ، ان الوضع فى فلسطين جعل من كل يهودى مستعمرا ومضطهدا ومستغلا » •

وكان الامر يحتاج الى كل هذه المنطلقات الخاطئة لاثبات ان اسرائيل كيان استعمارى قائم على العدوان والتوسع وانها قاعدة استعمارية فى المنطقة لضرب حركة الثورة العربية • ونحن نعتقد انه كان من السهل التوصل الى تلك النتائج دون تلك المنطلقات الضارة بقضية النضال العربى والثورة العربية ، وفى ظروف هى احوج ماتكون الى تحليلات تستند الى اسس سليمة وواضحة لتكسب الى جانبها كل القوى المتقدمة والشريفة والمعادية للاستعمار فى العالم •

ان السبب فى الجريمة التى ارتكبت فى فلسطين ليس هو الدين اليهودى وانما السبب هو الاستعمار والصهيونية • فلقد وجد الدين اليهودى لمئات السنين من قبل ولم تكن توجد مشكلة تسمى باسرائيل ، وكان العرب يعيشون مع اليهود فى سلام ، ولقد نشات المشكلة حينما استغلت المسالة اليهودية من جانب الاستعمار والصهيونية لفرض وجود دولة اسرائيل فى المنطقة • ونحن نتفق مع المؤلف فى تحديده لملامح الكيان الاسرائيلى : دولة نشأت فى اطار مخطط استعمارى لخلق قاعدة فى المنطقه تحمى مصالحه ـ يرتبط كيانها بالامبريالية ـ لم تكن تجسيدا لارادة أمة ، وانما تعبيرا عن نجاح سياسة رجعية شوفينية استعمارية • دولة عاشت منذ قيامها على العدوان والتوسع والاغتصاب وهى تشكل فصيلة صدام امامية للامبريالية ضد حركة الثورة العربية .

فما هو موقفنا من مشكلة اسرائيل ؟

اننا نعتقد انه يصعب علينا وخاصة بعد تجربة العشرين سنة الماضية وبعد التعقيدات التى وصلت اليها المشكلة ، يصعب علينا صياغة وتحديد حل عادل نهائى لمشكلة اسرائيل وللقضية الفلسطينية • ونحن نرى ان الحل النهائى سوف يتبلور ويتضح فى مجرى النضال ، وان هذا الحل يتوقف فى المحل الاول على قوة الحركة الثورية العربية ووعيها وقدرتها على تعبئة قواها وكسب الرأى العام العالمى الى جانب قضيتها العادلة • ونحن نعتقد ان الصياغة التى يقدمها المؤلف لحل المشكلة صياغة غير واضحة وغير محددة ، بل ومن الممكن ان تكون ضارة بنضال الثورة العربية وحقوقها المشروعة • انه يقول :

«يجب الا ننخدع بفكرة التفريق بين الصهيونية وبين المواطن اليهودى او العامل اليهودى فتلك فكرة خادعة •• »

«يجب القضاء على وجود اسرائيل ، ولسوف يبقى موقفنا كذلك حتى ولو تحولت اسرائيل الصهيونية الرجعية الى بلد اشتراكى ..»

اليس من الواضح ان ذلك الموقف تفوح منه رائحة الشوفينية ، وانه ضار بنضال الشعوب العربية وحقوقها .

ورغم تسليمنا بان الحل النهائى والعادل سوف يتبلور منخلال تقديم النضال ،نرى منالواجبعلينا تحديد موقفنا واتجاهنا الذى يساعد على الوصول الى صياغةالحل المطلوب بما يتفق ومصالح الثورة العربية . ان موقفنا العملى واتجاهنا فى النضال يجب ان يرتكز على تأييد ومساندة كل مامن شانه معارضة الاستعمار والصهيونية ، والعمل على تصفيتها فى المنطقة ، وكل مامن شانه مقاومة سياسة اسرائيل العدوانية التوسعية ، وكل مامن شأنه الدفاع عنالحقوق المشروعة لعرب فلسطين . اننا نؤيد تنفيذ قرار مجلس الامن بانسحاب اسرائيل انسحابا كاملا الى حدود ما قبل ٥ يونيو، وفى نفس الوقت نقف بكل قوانا مع حركة المقاومة الفلسطينية باعتبارها التجسيد الحى عن مطامح الشعب العربى فى فلسطين ، وفى سبيل تعبئة كل القوى الثورية على النطاق العربى ، لاستعادة الحقوق المغتصبة ، وفرض حل عادل يقوم على تصفية الاستعمار والصهيونية فى فلسطين ، وضمان حياة آمنة لكل من يقبل ان يكون مواطنا فى دولة فلسطينية حرة مستقلة ديمقراطية بغض النظر عن دينه .

■■■



تفاوت الدخول الشخصية فى يوغوسلافيا

■ مجلة يوغوسلاف سيرفى

كان من أبرز ما لفت نظرنا فى الشهر الماضي مقال نشرته الدكتورة **ايفا كوبرفيك** فى مجلة يوغوسلاف سيرفى عدد فبراير ١٩٦٩ . ويتعرض هذا المقالللتفاوت فىالدخول الشخصية فى يوغوسلافيا ، وتعنى المؤلفة بالدخول الشخصية كل انواع الجزاء على العمل سواء الاجور أو المرتبات .

قسمت الكاتبة فترة مابعد الحرب العالمية الثانية الى مرحلتين متميزتين فيما يتعلق بتكوين وتفاوت الدخول الشخصية ، واعتبرت ان الفترة الاولى تمتد حتى عام ١٩٥٦ ،بينما تبدا المرحلة الثانية بعد ذلك ، وان كان الانتقال من المرحلة الاولى الى الثانية قد تم تدريجيا . وهى ترى أن هناك اختلافا كبيرا فى الظروف المادية لكلا المرحلتين وما ترتب على ذلك من اختلاف السياسة المتعلقة بالدخول الشخصية .

فحتى عام ١٩٥٦ كانت هناك عوامل كثيرة تحد من الاستهلاك الشخصى وتؤدى الى اتجاه الدخول نحو التقارب . ففى سنوات مابعد الحرب تركزت كلالجهود فى يوغوسلافيا علىاعادة تعمير البلاد وتنميتها الصناعية السريعة . ولم يكن من الممكن تأمين التراكم الرأسمالى اللازم لمثل هذه المهمة الضخمة الا عن طريق الحد من الاستهلاك الشخصى ، وكان تقارب الدخول الشخصية ضروريا فى تلك الفترة الحرجة والصعبة . ولكن رغم ان هذا التقارب قد لعب دورا هاما فى القضاء على الفوارق الطبقية السابقة ، الا انه سرعان ماتعارض مع المبدأ الاشتراكى الذى يقول بان يكون

الجزاء على قدر العمل •وفى عملية التقريب بين الدخول كانت بعض مراتب الاجور العليا تخفض بينما ترفع المراتب الدنيا • ويصدق ذلك بشكل خاص على موظفى الحكومة الذين كانوا يتقاضون احسن اجور قبل الحرب ، بينما كانت اجورهم عام ٥٣ تقل ١٥ فى المائة عن اجور موظفى المصانع وتزيد ٤ فى المائة فقط عن أجر العامل المتوسط •

غير ان زيادة الانتاج الكبيرة عقب ١٩٥٦ خلقت ظروفا مادية مواتية لزيادة الاستهلاك، اذ كان ذلك يفى امكانية سد كثير من الاحتياجات التى وضعت عليها القيود من قبل. وأهم تلك الاحتياجات هو ان يلعب الاستهلاك الشخصى دورا ايجابيا فى التطوير والتنمية الاقتصادية ، وبذلك اصبح مبدأ الجزاء على قدر العمل ، وهو ماترتب عليه درجة مامن التفاوت فى الدخول الشخصية ، اكثر فاعلية • وهذا المبدأ يخلق حافزا لزيادة انتاجية العمل وتطوير المبادرة وهما شرطان ضروريان لتوفير الكفاءة الاقتصادية • وبدون هذه الشروط لم يكن من الممكن الانتقال الى نظام التيسير الذاتى والسماح لقوى السوق بفاعلية اكبر • ولذلك يشكل التفاوت فى الدخول الشخصية منذ ١٩٥٦ جزءا عضويا من التغييرات التى تمت فى البناء الاقتصادى والتنمية الاقتصادية . وخلال فترة قصيرة حل نظام تفاوت الدخول الشخصية محل نظام تقارب الدخول • وكان لذلك اثاره سواء داخل المؤسسات ، أو فيما بينها ، أو بين فروع وقطاعات الاقتصاد المختلفة أو على النطاق الاقليمى او القومى •

ان توزيع الدخول داخل المؤسسات يساعد فى تقدير الاطار العام لعملية الانتاج وفى تقييم الوظائف المختلفة • ولقد سجلت الدخول الشخصية داخل المؤسسات على هذا الاساس تفاوتا كبيرا يتراوح فى اقل الحالات من ١ : ٥ر٢ وفى اعلى الحالات من ١ : ٨ • ويقدر هذا التفاوت فى الحالة الاولى بـ ٦٣٧ دينارا وفى الثانية بـ ٤٢٢٠ دينارا •

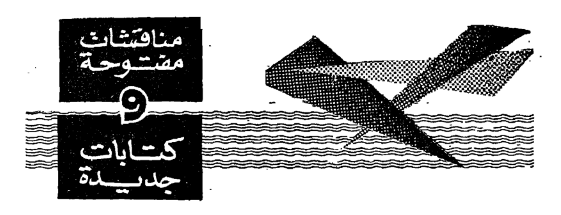
وقد تختلف الدخول الشخصية بين مؤسسة واخرى فى نفس فرع النشاط الاقتصادى نظرا لاختلاف التركيب العضوى لرأس المال ، والمركز الاحتكارى لبعض المؤسسات ، والخبرة التسويقية الخ • ان توافر ظروف افضل يساعد المؤسسة على تحقيق ارباح اضافية تسمح لها بدفع اجور افضل للعاملين بها •

كما تختلف الدخول الشخصية بين قطاعات الاقتصاد المختلفة • وبشكل عام فان الدخول الشخصية اعلى فى القطاعات ذات التركيب العضوى الاكثر ملاءمة لراس المال، وهى قطاعات الكهرباء والصناعات الكيمائية • كما ان نقص الخبراء والفنيين واتساع الصادرات يخلق ظروفا مناسبة لزيادة الدخول الشخصية فى قطاعات معينة. ومن خلال تتبع ودراسة الفوارق بين ادنى واعلى متوسطات للدخول الشخصية فى فروع الصناعة المختلفة يتضح ان هذه الفوارق اتجهت نحو الزيادة فى السنوات الاخيرة •

وفى نفس الوقت فان التفاوت فى الدخول الشخصية فى الفترة الاخيرة بين المجالات الاقتصادية وغير الاقتصادية اتجه نحو النقصان ولكنه بدأ فى الزيادة مرة أخرى منذ عام ١٩٦٧ • وترجع النسبة العالية للدخول الشخصية فى الميادين غير الاقتصادية الى التركيب المهنى الافضل للعاملين والى أسلوب الحصول على الدخل كذلك . كما يلاحظ وجود هذا التفاوت فى الدخول الشخصية بين المناطق والجمهوريات الاتحادية المختلفة • ويلاحظ ان ذلك يرتبط فى الاساس بدرجة التطور الاقتصادى •

ويتجه التشريع نحو زيادة الحد الادنى للدخول الشخصية • ومن ناحية اخرى صدر قانون عام ١٩٦٧ (توقف مؤقتا أى زيادة جديدة فى الدخول الشخصية بالنسبة للمرتبات الكبيرة) وفى عام ١٩٦٨ فرضت ضرائب على دخل البنوك ورفعت الضرائب على مؤسسات التجارة الخارجية للحد من زيادة الدخول الشخصية للعاملين بها زيادة لاترتكز على العمل • وينص قانون توزيع الدخول الصادر عام ١٩٦٨ على التشاور بين مجالس ادارات المؤسسات والنقابات والتنظيمات السياسية من اجل التوصل الى سياسة واضحة لتوزيع الدخول • كما يسمح هذا القانون بفرض ضرائب تصاعدية على الدخول التى تزيد عن المستوى المحدد للتوزيع •

ان نظرة على عملية التفاوت فى الدخول الشخصية منذ ١٩٥٦ توضح ان التخلى عن مبدأ التقريب بين الدخول قد ادى الى سرعة التفاوت بين الدخول الشخصية خاصة فى فترة تطبيق الاصلاح الاقتصادى ، وهذه الفوارق فى الاجور من الممكن تبريرها طالما انها تتم فى اطار انها جزاء على العمل ، وهى تتم فى هذا الاطار بشكل عام ماعدا بعض الحالات المحدودة حيث يكون الدخل غير مرتبط بالعمل •



الثقافة العمالية ... ومشاكلها

سعد محمد القاضى

فى هذا المقال ، يعرض سعد محمد القاضى ــ محاضر ومثقف عمالى بمنطقة الاسكندرية ــ لوجهة نظره فى عدد من القضايا التى تتعلق بالثقافة العمالية .. دورها .. مشاكلها .. والحلول التى يمكن التوصل اليها .

تعد الثقافة قوة دافعة فى التطور الاجتماعى والاقتصادى ، والحركة العمالية هى خير من يدرك ان الثقافة هى احدى ادوات الانتاج ، وانها لا يمكن ان تظل للطبقات المحظوظة او المميزة .

ونحن كدولة نامية يجب أن نهتم اهتماما كبيرا بالثقافة العمالية ، فهى تساعد بدون شك على القضاء على محو الامية المهنية . فالعامل الفاهم لدوره فى المجتمع ، من السهل علية ان يدرك اهمية مهنته . والثقافة طريق موصل الى القضاء على الامية المهنية التى نعانى منها .

وفى كثير من الدول ساهمت الثقافة العمالية فى رفع الكفاية الفكرية والانتاجية ، ولكننا لو نظرنا الى دور الثقافة العمالية فى الجمهورية العربية المتحدة ، فاننا سنجد أن هناك عقبات عديدة تحول دون تحقيق هدفها الاساسى ، وهذه العقبات عديدة ومتشعبة :

من هذه العقبات ما يوجد فى برامج التثقيف وفى القائمين بأعمال التثقيف ، ومنها ما يوجد فى النقابات ، ومنها ما يوجد فى العلاقة بين دور التثقيف والمصالح والشركات التى تمد هذه الدور بالدارسين .

أولا : من ناحية برامج التثقيف والقائمين عليه؟
يغلب على برامج التثقيف النواحي السياسية ، وكثيرا ما ينقصها العلاقات الانسانية ، وكذلك الندوات والمناقشات • ورغم انكل برنامج يتضمن ندوة للدارسين ، الا ان هذه الندوة يشترك فيها عدد قليل من الدارسين • ولا شك أن طريقة ادارة الندوة او المناقشة لها اهمية كبيرة ، وتحتاج الى المثقف المتمكن •

لقد كان البرنامج يتضمن محاضرة حول أحداث الساعة يقدمها المثقف العمالى ولكنها الغيت • واعتقد ان محاضرة « احداث الساعة » لو القيت بطريقة مبسطة سليمة ، فانها ستعطى أثرا كبيرا يفوق ما تعطيه أى محاضرة أخرى فى البرنامج • وان كانت هذه المحاضرة ــ أحداث الساعة ــ ما زالت تعطى فى كثير من الدول التى حققت نجاحا ملموسا فى برامج التثقيف العمالى • فالعامل عندما يتناول قسطا من المعرفة عما يدور حوله من أحداث بطريقة مدروسة مبسطة سوف تحقق فائدة اكبر ، ومنتلك التيتحققها أى محاضرةاخرى فى البرنامج ، وتلخيص ومتابعة ودراسة ما تتناوله الصحف والمجلات والاذاعات ، هو خير مرجع الى هذه المحاضرة •

لهذا يجب أن يعهد بهذه المهمة الى أشخاص يعدون اعدادا سليما •

أما بالنسبة لمعلمى العمال فنجد أنه بينما يكون معلم العمال فى الخارج على درجة من العلم والمعرفة تعادلدرجة معلمالجامعيين ،نجد ان كثيرا من معلمى العمال عندنا يعتمدون اعتمادا كبيرا على الناحية الحركية بعيدين عنالناحية الفكرية. فالدور الذى يؤديه هو دور ادارى وليس دور معلم • وينحصر دور كثير من معلمى العمال فى الحصول على الدارسين ثم حصر كشوف الحضور والانصراف ، ثم تقديم المحاضر فى بداية المحاضرة ، وفى النهاية يقوم بتقديم الشكر للمحاضر مع مشاركة الدارسين فى تحيته بعملية التشجيع البدائية •

ذلك ــ للاسف الشديد ــ هو الدور الذى يقوم به أغلب معلمى العمال • وأرى أن معلم العمال يجب أن ينحصر دوره فى الناحية الفكرية فقط ، وعليه تحصيل الفكر والمعرفة من شتى المراجع حتى يمكن له ان يتعايشفكريا معالدارسين ،لان الدارسينان لم يقتنعوا بفكر المعلم الذى أمامهم فانهم سيهجرون المكان الذى حضروا اليه •

ثانيا : بالنسبة لمحاضرى العمال ، بعض المحاضرين يملكون الفكر والعلم والمعرفة ، ولكنهم لا يملكون القدرة على توصيل هذا العلم وهذا الفكر وهذه المعرفة الى عقول العمال • لذلك أرى أن يفتح **معهد التربية العمالية** أبوابه للمحاضرين كى يدرسوا طرق الالقاء وطرق التوصيل السليم لكل ما يقال •

ان كثيرا من المحاضرين وكثيرا من معلمى العمال لا يقلون ثقافة ولا معرفة عن الاساتذة الجامعيين • وان كان دورهم فى عملية التثقيف يزيد فى كثير من الاحيان عن دور الاستاذ الجامعى • فمعلم الجامعيين يوصل العلم والمعرفة الى طالب متفرغ لتناول العلم ، اما معلم العمال فعليه أن يوصل العلم والمعرفة الى انسان مرهق نتيجة عمله المتواصل طوال اليوم •

ثالثا : النقابات ودورها فى عملية التثقيف ، للنقابات دور هام فى زيادة الانتاج ، ولما كانت الثقافة العمالية تعد قوة دافعة فى هذا التطور الاجتماعى والاقتصادى ، فاننا مطالبون بأن نعد النقابة الفاهمة والدارسة لدور التثقيف بالنسبة للعامل • ففى دول اوربا نجد ان للنقابات دورا هاما فى عملية تزويد العامل فكريا واجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ،اذ لاينحصر دور النقابةهناك فى حل مشاكل العاملين مع الادارة ، بل ان دورها يتعدى ذلك كله ، فأصبحت النقابات مسئولة مسئولية مباشرة عن زيادة الانتاج ، أما عندنا فان دور النقابات ما زال منحصرا فى حل مشاكل العاملين مع الادارة • أما النواحى الهامة الاخرى فهى بعيدة عنها كل البعد • فمن النادر أن نجد نقابة عمالية تقوم بعملية التثقيف العمالى لاعضائها • وهذا راجع الى أنالقائمين على ادارة النقابات لم يفهموا دورهم الاساسى ، وراجع كذلك الى النواحى المادية المعدومة ، والتى ان وجدت فهى لا تنفق فى كثير من الاحيان فى طريقها السليم •

ان اغلب المثقفين بعيدون عن النقابات ،بينما نجد فىكثير منالدول الاخرى ان المثقفين هم الذين يديرون الحركات النقابية • وقد ظهرت ظاهرة غريبه فى هذه الايام ، فنحن نجد ان المثقفين من العاملين قد اتخذوا من انضمامهم الى النقابات طريقا للوصول الى مجلس الادارة ، فلكى يصل أى من المثقفين الى كرسى مجلس الادارة ، فما عليه الا أن يرشح نفسه أولا لكى يكون عضوا نقابيا • ومن هذا المنطلق يمكن له أن يصل الى كرسى مجلس الادارة •

لذلك يجب على النقابات أن تتفهم وتعى دور التثقيف العمالى وأهميته فى زيادة الانتاج ، والعلاج الوحيد لذلك ــ فى رأيى ــ هو اصدار قرار يلتزم به أعضاء النقابات بحضور دورات تثقيفية توضح لهم أهمية الثقافة فى زيادة الانتاج حتى

يمكنهم توضيح الرؤية للعمال وتشجيعهم على التواجد فى مراكز الثقافة العمالية ٠

رابعا : علاقة المؤسسات والشركات والمصالح بالثقافة العمالية ، ان ما يؤسف له حقا ، ان اغلب مديرى ومسئولى الشركات والمصالح عندنا لا يقدرون دور التثقيف العمالى . بل ان بعضا منهم يعتبر ذلك تعطيلا للعمل وللعمال ، ولا يرى أى أهمية فى عملية التثقيف ، ورغم ان هناك بنودا فى الميزانية العامة للدولة تنص على أن تكون هناك مبالغ مخصصة لعملية التثقيف العمالى ، الا أن كثيرا من المديرين يتجاهلون أهمية التثقيف العمالى ، وبذلك توجد صعوبة كبيرة فى موافقتهم على امداد المراكز العمالية بالدارسين من مواقع الانتاج التى يرأسونها ٠

ولا شك ان للمؤسسة الثقافية العمالية دورا هاما فى توضيح الرؤية لهؤلاء المسئولين ٠ وذلك بأن يعقد اجتماع سنوى يحضره مديرو المؤسسات والشركات مع مدير عام المؤسسة الثقافية العمالية ليوضح لهم أهمية دور التثقيف بالنسبة للعمال ٠

خامسا : دور المؤسسة الثقافية العمالية ، واقترح على المؤسسة أن تمد المثقفين العماليين بكل ما استحدث من كتب ومعلومات ، حتى يكونوا دائما على المستوى الفكرى المطلوب ، وان تعمل على اعداد قسم للبحوث فى المؤسسة يساعد على امداد العاملين فى حقل التثقيف بكل فكر جديد ، وان تعطى الفرصة للمثقفين العماليين والعاملين فى هذا المجال بالسفر الى الخارج لدراسة كل ما هو حديث فى عمليات التثقيف العمالى ، وكم يكون مفيدا لو نجحت المؤسسة فى العمل على تفرغ العاملين بالتثقيف ــ ولو نصف الوقت ــ حتى يمكنهم زيادة الاطلاع ، الذى يمكنهم بالتالى من امكان التجاوب الفكرى مع الدارسين ٠

كذلك اقترح أن تعطى المؤسسة الفرصة لحملة المؤهلات العليا من العاملين فى حقل التثقيف ، بأن يتموا دراسات عليا فى النواحى التثقيفية العمالية بمصر أو بالخارج ٠



تعليق على « الصراع السياسى داخل اسرائيل »

كتب محمد قدسى شمس ــ جامعة دمشق ، كلية الهندسة ــ يعلق على مقال خيرى عزيز عن «الصراع السياسى داخل اسرائيل» الذى نشر فى عدد مارس الماضى ، فيقول :

يقول خيرى عزيز أن الوضع فى اسرائيل للطبقة العاملة كصراع ، يتميز بأنه صراع اجتماعى فى الاطار الاقتصادى لا فى الاطار السياسى ٠ وحسب قوله أن فى اسرائيل رأسماليين وعمال ومستغلين (بفتح العين) ، ويعنى هذا ان هناك استغلالا من طبقة رأسمالية تدير وتملك وسائل الانتاج ، وهذا الاستغلال موجه ضد طبقة عاملة لا تملك سوى قوة عملها ٠ ونتيجة لذلك لابد ان يكون هناك صراع طبقى بين طبقتين، فالطبقة العاملة تريد الوصول الى سدة الحكم لتغيير ظروف الانتاج ٠ والطبقة الرأسمالية تريد المحافظة على واقعها وعلى تسلطها ٠

وعلى هذا فان النضال الاقتصادى هو فى نفس الوقت نضال سياسى ٠ فالوحدة قائمة بين النضالين ولا انفصام بينهما ٠

ولو أتيح لنا دراسة أحوال الطبقة العاملة فى أى بلد اشتراكى من خلال نضاله الطويل قبل فترة التطبيق الاشتراكى ومن خلال هذه الفترة نلاحظ ونميز ثلاث مراحل :

١ ــ مرحلة النضال المرير ضد طبقة مستغلة رأسمالية مسيطرة ، وهذه المرحلة تتميز بالعنف وتنتهى بالقضاء على دولة الرأسماليين ، وانشاء

دكتاتورية البروليتاريا التى تقوم بتنظيم الامور لتحسين الوضع الاقتصادى للطبقة العاملة ،بذلك نستطيع القول ان الوضع الاقتصادى تحسن بعد تغيير النظام القائم للدولة وشكل علاقات الانتاج ، وحقق أكبر قدر ممكن من الديموقراطية لاوسع قاعدة من جماهير الشعب .

٢ ــ أما المرحلة الثانية فهى مرحلة العمل الدؤوب للعمال خلال فترة دكتاتورية البروليتاريا لتوطيد العلاقات الانتاجية الجديدة وتدعيم الحركة الاشتراكية وتوطيدها .

٣ ــ أما المرحلة الثالثة فتأتى بعد هذا المد وانتشار الوعى الجماهيرى للاشتراكية .

ولنقل عندما تبدأ المرحلة الجديدة من التطبيق الاشتراكى لابد ان يتسم نضال الطبقة العاملة فى هذا البلد بطابع العداء للامبريالية العالمية ، وتأييد حركةالتحرر الاقتصادى والسياسى والوطنى فيه . فهى مسألة تعاضد واتحاد ضد الامبريالية العالمية ونزاع ضد الحركة العنصرية . وعلى هذا فان الوضع المتميز فى اسرائيل والذى نوه عنه خيرى عزيز **أنه صراع وتناقض طبقى فى الاطار الاقتصادى لا فى الاطار السياسى ، لا يتصف هذا القول بالصفة العلمية الموضوعية .** فالنضال السياسى ملازمومتلاحم بالنضال الاقتصادى . **فهل يمكن انيكونكل يهودىذو نزعةشوفينية صهيونية معادية للتقدم .** امثال **ماير فلنر** ، **وتوفيق طوبى وأميل حبيبى ذوى نزعة تقدمية** ، ونحننعرف جميع المنتسبين للحزب الشيوعى اليهودى العربى ومنهم كما نذكر الشعراء العرب أمثال **محمود درويش وسميح القاسم**، ويمكن أن نسميهم بالتقدميين المعادين **للحكومة الاسرائيلية وللطغمة العسكرية الاسرائيلية** التى تنبع مصالحها من مصالح الرأسماليين اليهود الصهيونيين .

وفى هذه المناسبة لابد أن أذكر كلام **لطفى الخولى** الذى أورده فى افتتاحية العدد ٤ أبريل ١٩٦٩ ، وذلك بشأن **ايجاد « جبهةعربية ــ يهودية عالمية** ضدالامبريالية والصهيونية » . وطالما توجد **امكانية ايجاد هذه الجبهة فلابد أن تكون الافكار المسيطرة على هذه الجبهة هى الافكار التقدمية .** وان اليهود التقدميين بحكم مواقعهم من الطبقة العاملة التى تستغل دائما فى جميع أنحاء المعمورة او من المناضلين لصالح هذه الطبقة : هم **المناضلون الحقيقيون ضد الطغمة الحاكمة فى اسرائيل** ،وهم الذين يعملون من أجل احياء هذه الجبهة .

واذا ما اعترض قائل انالاستاذ خيرىعزيز ذكر **أن لينين يعارض ايجاد تنظيم سياسى لليهود فى** روسيا ، فهذا صحيح ضمن اشتراطات فرضت، وساعدت كثيرا فى توطيد السلطة للطبقة العاملة فىروسيا . ولايمكن القياسعلى ذلكفى فلسطين، فنحننبغى جبهةعربية يهوديةعالمية ضد الامبريالية والتعصب الشوفينى الصهيونى الاحمق .

■

وكتب خيرى عزيز يعقب على هذا التعليق ، قائلا :

اشكر الاخ محمد قدسى شمس على الطابع الموضوعى الجاد لرسالته ، وان كنت أختلف معه فى الاستنتاجات التى توصل اليها من مقالى .

وما أحب أن أؤكده قبل كل شىء ، هو أننى أتفق كل الاتفاق مع الاستاذ **لطفى الخولى** فى افتتاحيته التى كتبها للطليعة فى عدد أبريل ١٩٦٩ ، تحت عنوان « جبهة عربية ــ يهودية عالمية ضد الامبريالية والعنصرية » ، واعتقد انها ــ كصياغة ومضمون ــ تعبر عن ارتقاء سياسى وانسانى جديد فى النظرة العربية لقضية الصراع العربى ــ الاسرائيلى . كما اعتقد انه لم يرد فى مقالى قط مايتعارض مع الخط التقدمى الانسانى العادل المرسوم فى هذه الافتتاحية ، كما لم ترد فيه عبارة او كلمة واحدة تفيد ــ حسبما جاء فى الرسالة بأن « كل يهودى ذو نزعة شوفينية صهيونية معادية للتقدم » ، ليس ذلك فحسب ، بل انى أتفق تماما مع ماجاء برسالة الاخ **محمد قدسى** بشأن الحزب الشيوعى العربى اليهودى، وقادته من امثال **ماير فلنر وتوفيق طوبى وأميل حبيبى** ، وكذلك الشاعرين المناضلين « محمود درويش » و « **سميح القاسم** » فهم مناضلون تقدميون انسانيون ، يستحقون كل تقدير واحترام ، وقد تحدثت بوضوح فى مقالى عن نضالهم وتضحياتهم ، وعن ادانتهم لعدوان يونيو ومعارضتهم للمخططات الامبريالية ضد البلاد العربية ، ودعوتهم لانسحاب اسرائيل من أراضينا المحتلة . لكن ذلك لم يكن قط محور مقالى .

لان محوره كان فى الحقيقة ، محاولة الوصول للقانون الاساسى للصراع السياسى داخل اسرائيل ، هذا البناء السياسى العدوانى الموحد ضدنا . وقد قادنى البحث للاعتقاد بأن صراع القوى السياسية الغالبة فى الظاهرة الاسرائيلية ، صراع « **ديان** » و « **آلون** » و « **جولدا مايير** » و « **بنحاس سابير** » ، ليس بأى حال من الاحوال صراعا طبقيا ، فلا **آلون يمثل الطبقة الرأسمالية الكبيرة،**

وديان يمثل المتوسطة فحسب ، ولا بنحاس سابير يمثل « الطبقة العاملة » ، وجولدا مايير لا تمثلها. ذلك أن التحليل العلمي للظاهرة الاسرائيلية في واقعها ، انما ينبئنا بأن كل هؤلاء **انما يعبرون عن المجتمع الاسرائيلي كوحدة عنصرية مترابطة في الجوهر وبالذات في قضية العداء لنا ، أكثر مما يعبرون عن طبقات اجتماعية متصارعة من أجل السيطرة الطبقية داخل هذا المجتمع** •

صحيح ان اعضاء الحزب الشيوعي العربي اليهودي ، الذين ذكرهم الاخ محمد قدسي يحاولون أن يلتزموا التزاما حقيقيا وجادا بالماركسية اللينينية ، يحاولون ان يلتزموا التزاما طبقيا ، ويقودوا صراعا اجتماعيا ثوريا داخل اسرائيل ،على اساس ادراك قوانين الصراع الطبقي وتوجيهها • لكن الحزب الشيوعي العربي اليهودي ، بالاضافة الى أنه حقيقة حزب ضعيف ، وهذا لايقلل قط من تقديرنا لكفاحه ــ الا أنه لايمثل سوى **حقيقة جزئية جدا في** حياة اسرائيل السياسية . ووفق المنهج العلمي ، لا ينبغي قط ان نحكم على الظواهر العامة وفق حقائقها الجزئية ، وانما المفروض أن نقيم الظواهر على أساس الصفة الغالبة فيها • وعلى هذا النحو ، لايصح أن نفرض على اسرائيل وأحزابها وزعمائها المعروفة اتجاهاتهم لدينا بوضوح ، صراعات طبقية نفترضها نحن في أذهاننا مسبقا ، ولا يعرفونها هم في واقعهم • ذلك أن أحزابهم الكبرى لاتمثل في الحقيقة ، مستويات طبقية رأسية ، بقدر ماتمثل مستويات صهيونية أفقية ، تتراوح بين الاعتدال ، والتطرف الصهيوني الشديد •

على أنني اذا كنت قدتحفظت في مقالي وقلت أنه برغم الحقيقة السابقة ، فان صراعا اجتماعيا يدور بشكل ما داخل اسرائيل من أجل تحسين أحوال العاملين ، فليس من المحتم أن يتحول مثل هذا الصراع الدائر في نطاق اقتصادي بحت الى صراع « سياسي » طبقي يشمل المجتمع كله • كذلك فان العامل الحاسم في الموضوع هو أن الواقع الاسرائيلي نفسه لاينبيء بوجود مثل هذا الصراع السياسي الاجتماعي الشامل بين طبقاته • كذلك فان النظرية العلمية ، في مرونتها الحية ، لم تقل قط بحتمية تحول أي صراع « اقتصادي » الى صراع « سياسي » :

ان الخلاف الرئيسي بين المقال ورسالة الاخ قدسي في الحقيقة هو أن المقال يركز على الصفة الغالبة في الظاهرة الاسرائيلية ، في حين تركز الرسالة على حقيقة جزئية في الظاهرة وتحاول فرضها كقانون عام على الحياة السياسية الاسرائيلية التي تسودها روح الوحدة العنصرية الصهيونية لا روح الانقسام الطبقي •

●

محو الامية •• مهمة قومية عاجلة

وكتب محمد **حسن صادق** ــ من القاهرة ــ رسالة الى الطليعة ، يقول فيها :

لعل من أهم التحديات التي وضحت امام اعيننا بعد ايام يونيو العصيبة ، اننا اذا اردنا أن ننقذ بلادنا وان نحقق النصر يجب علينا انتسلح بالعلم والتقدم التكنولوجي ، ولكننا في سبيل ذلك نصطدم بالحقيقة المرة الا وهي ان ٧٠ في المائةمن شعبنا **لايزال يجهل القراءة والكتابة** ، مما يعطل استخدام كل الطاقات في الاتجاه الجديد ، ويعرض كل القوى التي تتفجر في وادينا الى الضياع •

هذا الامر يضع **المتعلمين** في بلادنا امام مشكلة ملحة وعاجلة • أقول المتعلمين ولست اقول الدولة او القيادة لان ظروف بلادنا في هذه المرحلة لاتتحمل اعباء مالية واقتصادية جديدة من اجل القيام بهذا العمل العظيم الذي يعد بدايةكل عمل كبير يمكن ان يحقق لشعبنا كل آماله •

وقد يعترض احد المتحمسين قائلا الا يكفي ماتقدمه هيئة التليفزيون والاذاعة في هذا الشأن؟ فأرد عليه بانه لايكفي ولن يأتي وحده بالنتائج العاجلة المرجوة • ولا يعني ردي هذا انه عمل غير ناجح ، بل على العكس انه عمل توجيهي وتنظيمي هام لو اكمل بخطوات اخرى يقوم بها المتعلمون والشباب •

وقد يقول آخر ان هذا العمل صعب ولن تظهر نتائجه في هذا الجيل • فارد عليه بان بناء القوات المسلحة عمل شاق وصعب ، ولكنه تحقق ويتحقق بارادة شعبنا وبكفاح شبابنا الجنود والضباط ،ان صمودنا اقتصاديا في اعقاب يونيو كان عملا صعبا، ولكنه تحقق ويتحقق يوما بعد يوم ، ان ارادة شعبنا الخلاقة امكن لها أن تحقق المعجزات ،

ويمكنها ايضا ان تحقق هذه المعجزة فى اقصر فترة ممكنة ٠

والسبيل الى ذلك – فى رأيى – هو دعوة الشباب المثقف والمتعلم الى البدء فورا بالتطوع لافتتاح مدارس الشعب فى كل مكان بالوطن ، فى المقاهى ، فى النوادى ، فى مقار الاتحاد الاشتراكى ، فى مراكز الانتاج ، فى كل كفر وقرية ، فى مقر الجمعية التعاونية والمدارس ، فى قصور الثقافة ، وفى كل مكان يمكن ان يقدمه كل فرد او هيئة متطوعا ، وبمجهود كل شاب متعلم ، وبتعضيد الادارة المحلية ، وبمساندة الاتحاد الاشتراكى والنقابات ومنظمة الشباب ٠ فلنبدأ فورا بمحو الامية الكتابية ثم نستمر حتى بمحو الامية الثقافية والتكنيكية . لنبدأ كى تصبح مدارس الشعب هذه مصدرا لنور العلم لابناء هذه الامة .. وليكن هذا الهدف جزءا من اعداد شعبنا للمعركةالقادمة وما يتبعها منمعارك ،ليكنالتطوع فى هذا العمل الكبير واجبا قوميا لايقل عن واجب التطوع فى صفوف القوات المسلحة والعمل الفدائى ٠

ان تبرع كل شاب متعلم بساعة واحدة فقط من وقته كل يوم كفيل بان يدعم هذا العمل وان ياتى بنتائج هائلة ، ولتتبرع الصحافة وأجهزة الاعلام بالدعاية لهذا العمل القومى النبيل ٠

ان السنة الدراسية اوشكت ان تنتهى ، فليكن شباب الجامعات والمعاهد الدراسية طليعة الشباب المتعلم فى هذا العمل طوال الاجازة الصيفية ٠

●

حوار حول ندوة « منظمة الشباب »

لقيت الندوة التى ادارتها الطليعة ومنظمة الشباب ، فى العدد الماضى ، حول « منظمة الشباب : دروس التجربة .. اعادة البناء .. التثقيف السياسى » ، اهتماماملحوظا ، انعكس فى رسائل عديدةوصلتنا ، وننشرهنابعضا منها :

مجرد ملاحظات

ففى رسالةللمواطن زكريا عيسى – امين الشباب بقسم الرمل ٠٠ الاسكندرية – يعلق على الندوة فيقول :

لى عدة ملاحظات ٠٠ ارجو ان اوضحها فيما يلى :

١ – فوجئت بما قاله الدكتور الخفيف ، من انه يختلف مع القول القائل [بان المنظمة توسعت لاول مرة فى نشر الفكر الاشتراكى) ٠ قوله قبل ذلك ، انه يختلف فى الراى مع من يقول (ان قيام المنظمة كان فى حد ذاته عملا ايجابيا كبيرا) ٠

وللحقيقة اقول ان الدكتور محمد الخفيف كان واحدا من ابرز اعضاء سكرتارية منظمة الشباب ، وايضا من ابرز افراد هيئة التدريب والتوجيه السياسى الاولى التى اسهمت فى بناء المنظمة قبل اعلانها . كما وانه منحها من فكره الناضج ما مكنها من (تخريج) جيل من الموجهين السياسيين كان لى الشرف ان اكون احدهم ٠ واذا كانت محاضرات الدكتور الخفيف ، ومنها (تاريخ الفكر الاشتراكى) (وضرورة الثورة) ومحاضرة الدكتور ابراهيم سعد الدين ،لم تكن وسيلة حقيقية وعلمية لنشر الفكر الاشتراكى فماذا يمكن ان نسميها ؟ لقد كنت اود ان تأتى هذه الملاحظة حول الفكر الاشتراكى ونشره ، منمفكر آخر ، غير الذى غرس مبادىء وقيم الفكر الاشتراكى للشباب ٠

كذلك اذا لم يكن قيام منظمة الشباب فى حد ذاته عملا ايجابيا ، فهل يمكنان نعتبره عملا سلبيا ؟ لا اظن ٠ اما عن ملاحظة الدكتور الخفيف حول اسلوب العمل الداخلى فهناك « لائحة داخلية مؤقتة » تحدد اطار اسلوب العمل الداخلى بالمنظمة ٠

٢ – اوضح الاستاذ عبد المنعم الغزالى ان المنظمة عندتربيتها لكوادرها ،ربتها فى (**عزلة عن تاريخ شعبنا وتاريخ الشباب ، بمعنى انها تجاهلت نضال شبابنا منذ قيام حركة مصطفى كامل .. وحتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢**) ٠

ومع ان الدكتور مفيد شهاب قد رد على هذه النقطة الا اننى اؤكد انه كانت هناك محاضرة محددةالموضوع عن [تاريخ نضال الشباب المصرى] من تاليف الدكتور عبدالاحد جمال الدين . وكانت تؤكد بحق دور الشباب الطليعى فى الثلاثينات والاربعينات وبداية الخمسينات.بل ان احد ادلة

المناقشة كان يضع امام الدارس فى معسكرات الشباب سؤالا يقول :

« ان ثورة ٢٣ يوليو تعتبر تتويجا لحركات الشباب السابقة على ذلك » .

وتحت يدى المحاضرة المذكورة لو اراد استاذنا عبد المنعم الغزالى — وهومؤرخ نقابىنعتز به — الاطلاع عليها .

٣ — الملاحظة الاخيرة ، اوجهها لاسرة الطليعة .. مقترحا ان تعيش مع شباب المحافظات مع شباب الريف والحى والمصنع والمدرسة .

ان المزيد من هذه الندوات والتقارير الحية ، تضيف الى التجربة رصيدا لايفنى من الامل ومن ستفادة من وجهات النظر .

الطليعة : ان حديث الدكتور محمد الخفيف عن اختلافه مع القول بان قيام المنظمة كانفىحد ذاته عملاايجابياكبيرا ، يعود — كما عبر هو نفسه فى الندوة — الى احساسه بالقلق الشديد ، كواحد من رواد هذا المجال ، على مسار ومصير المنظمة . فهو — على حد تعبيره — يقسو بعض الاحيان « قسوة الاب » الحريص على مستقبل اولاده . اما رده علىالفكرة القائله بان « المنظمة توسعت لاول مرةفى نشر الفكر الاشتراكى » ، فيرجع الى ان هذا القول يحتمل مظنة مصادرة الجهود التى بذلت من قبل ان توجد المنظمة فى هذا المجال . ولعل هذاالسبب ، هومايفسرلناالاشارةالاخ فوزى بشرى فىتعليقه حيث صححمثل هذه الفكرة بقوله انها اول جهد رسمى لنشر الفكر الاشتراكى على مستوى واسع .

اما توضيح الغزالى ، فقد كان محقا فيه تماما ، فقد بدا من حديث بعض اعضاء المنظمة — ان تاريخ نضال شبابنا غير معروف لهؤلاء الاعضاء حين قالوا ان المنظمة اول تنظيم شبابى فى تاريخ بلادنا . ولاشك ان تصحيح التاريخ ، مسألة لاتتصل فقط بامانة المفكر او الكاتب فقط وانما ترتبط اشد الارتباط — كذلك — بضرورة توعية الجيل الحالى بأنه لايبدأ من فراغ ، بل هناك تراث خطته اجيال سابقة بتضحياتها وبنضالها . اما المحاضرة التىتشير اليها : فهل تظن انها كافية ؟ واذا كانت تكفى فلماذا لم تقنع الاعضاء بتلك الحقيقة .

●

الاشتراكية .. بدون منظمة شباب ثورية

وكتب المواطن ، **عبد القادر احمد شهيب** — كلية الاقتصاد والعلوم السياسة — رسالةننشر فيما يلى بعض مقتطفات منها :

قضايا كثيرة طرقتها ندوة الطليعة حول منظمة الشباب . وهى قضايا ليست جديدة ، ولكنها قضايا واكبت بناء منظمتنا الشابة فى كل سنى عمرها الصغير .

فقد ولدت منظمة الشباب ، وكاناهم الشعارات التى رفعتها هى بناء جيل جديد يساهم فى تحمل مسئوليات التحول الاشتراكى ، لاقيادة هذا التحول . كما ان اغلب قيادات المنظمة وقتها كانت تمثل — فىاصولهاالطبقية — البرجوازيةالصغيرة ، وقد اضحت فى السلطة فمالتبطبيعتهاالى عقد مصالحة مع القائم [القديم] لاتغييره ! ومع غياب المثقفين الاشتراكيين الحقيقيين عن قيادة المنظمة وقتها ، فلقد تحركت المنظمةتحقق اهدافا هى اقرب الى اهداف البرجوازية الصغيرة ، لا اهداف الفلاحين والعمال وهما القوتان الاعظم فى مجتمعنا الان .

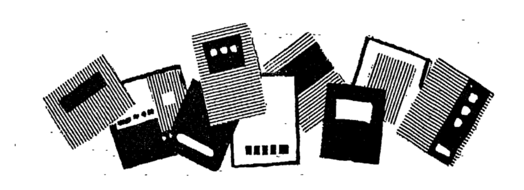
وبعد هزيمة يونيو العسكرية صعد الى قيادة المنظمة بعض المثقفين الثوريين . وبدا الوعى بمفهوم الاشتراكية بدون منظمة شباب ثورية ، تتردد اصداءه فىداخلها وخارجها معا وذلك تحت ضغط مرارة الهزيمة وامل الشباب فى تجاوزها . ولكن بعض القوى فى داخل المنظمة وخارجها معا

ازعجها هذا الخطر الجديد الواعى الذى اعلنته ـ مجرد اعلنته ـ القيادة الجديدة ٠

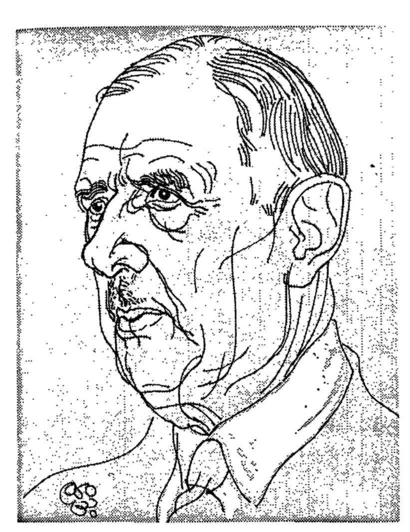
وفي هذه الايام تدخل منظمتنا مرحلة جديدة من حياتها باعادة بنائها مرة اخرى ، وهى فى هذه المرحلة ترفع شعارات ليست قريبة حتى الان من [المفهوم] ٠ ان هذه الشعارات لاتدور حول مفهوم [لااشتراكية بدونمنظمة شبابثورية] ، ولكنها تدور حول مفهوم ان منظمة الشباب تمثل العطاء السياسى من الجيل القائد للجيل الجديد ٠ رغم ان قضية مجتمعنا ليست قضية كفاح بين اجيال ، ولكنها كفاح سياسى واجتماعى ضد كل القوى الرجعية المستغلة والامبريالية العالميةداخل ارضنا وخارجها ٠

لذلك فان عددا كبيرا من شبابنا الاشتراكى والمخلص لم يمنح بعد ـ وحتى الان ـ تجربة اعادة بناء منظمة الشباب ماتستحقه من الحماس والاهتمام ٠

وعلى شبابنا المخلص ان يخوض التجربة الجديدة لمنظمتنا بكلقوةواخلاص ، لاانيتعدعنها يجب ان نعطيها كل حماسنا لا ان نبخل عليها به ٠



ملف خاص



فرنسا وديجول

كثرت التساؤلات حول مصير السياسة الفرنسية ما بعد ديجول ، وخاصة فيما يتعلق بالشرق الاوسط والموقف من الصراع العربى الاسرائيلى وساد جو من القلق والتشاؤم خشية وقوع تحولات أساسية تشكل رصيدا جديدا للعدو .

والواقع أن ظاهرة الديجولية ليست قاصرة على التغييرات التى ادخلها على السياسة الفرنسية ، بقدر التحول فى موقفديجول نفسه الذىاستجاب بمرونة لمتطلبات العصر فى اطار حماية المصالح الاحتكارية فى الداخل والخارج بأساليب الاستعمار الجديد .

وكان لتناقضه مع بعض القوى الاستعمارية الاخرى ، يمثل رصيدا للثورة العربية ، تستفيد منه فى معركتها لتصفية آثار العدوان ومجابهة أخطار التوسع الاسرائيلى والقوى المتواطئة معها .

وقد رأت « الطليعة » أن تجيب على هذه التساؤلات فى ملف خاص يلقى بأضواء كاشفة على حقيقة السياسة الديجولية ويتضمن :

- لماذا انسحب ديجول ؟
- فرنسا .. أمريكا .. وحلف الاطلنطى : وديع وهيب
- الاستراتيجية الديجولية لبناء أوربا الكبرى : د . احمد القشيرى
- القوى السياسية وموقفها من الديجولية : د . عفاف مراد
- « الفرد » .. مقابل الشرعية الديمقراطية : د . وليم سليمان
- الاقتصاد الفرنسى فى ظل الجمهورية الخامسة : د . اسماعيل صبرى
- تطوير الاساليب الاستعمارية .. ثمرة للضرورة : ريمون دويك
- السياسة الفرنسية تجاه الشرق الاوسط : حمدى عبد الجواد

لمــــاذا انســـحب ديجـــول ؟

جاءت استقالة الجنرال ديجول مفاجأة للرأى العام العالى الى حد كبير ، فقد الف الناس ان الجنرال كلما احتكم الى الشعب الفرنسى واضعا شخصه فى الميزان حصل على التأييد الذى يبغى ، بل ان خصومه كانوا يعيبون عليه الافراط فى الالتجاء الى الاستفتاء : فى تعديل الدستور اكثر من مرة ، وفى تقرير مبدأ انتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام وليس عن طريق البرلمان ، وعند انهاء حرب الجزائر ... الخ . وكانت حجتهم هى أن الجنرال يخير الشعب بين ترك السلطة وبين تنفيذ ارادته الشخصية ، وبهذا يعطل عمل المؤسسات التشريعية العادية . ومن ناحية أخرى ، كان الانطباع العام هو أن ديجول خرج من أحداث مايو ويونيو ١٩٦٨ منتصرا كأعظم ما يكون الانتصار بدليل الاغلبية الساحقة التى حصل عليها أنصاره فى الانتخابات النيابية التى تلت تلك الاحداث .

ولكن الاستفتاء الاخير كان يختلف فى موضوعه وما أحاط به من ملابسات عن غيره من الاستفتاءات . وكما هو معروف كان الشعب الفرنسى مدعوا فى هذه المرة للاجابة بنعم أو لا على سؤالين : الاول ، عن مشروع تقسيم فرنسا الى عشرين اقليما ، وتنظيم الهيئات التى تدير شئون الاقليم ، والثانى عن تعديل طريقة تشكيل مجلس الشيوخ واختصاصاته ووضع رئيسه . وفيما يتعلق بالموضوع الاول ، كانت فرنسا مقسمة اداريا منذ عهد نابليون الى عدد كبير من « المحافظات » ، بلغ أخيرا ٩٤ محافظة . وعلى رأس كل منها يوجد محافظ تعينه السلطة المركزية يعاونه وكيل أو أكثر ، ويوجد بجواره « مجلس محافظة » منتخب له سلطة الحسم فى بعض القضايا ذات الاهمية المحلية ، وتخضع معظم قراراته « للوصاية الادارية » من جانب وزير الداخلية . وتقسم المحافظة الى عدة مراكز ــ وكل مركز الى « بلاد » . ويدير الشئون المحلية لكل بلد [حضرى أو ريفى] مجلس بلدى منتخب يختار من بين اعضائه عمدة وعددا من نواب العمدة . وقد أصبح هذا التقسيم الى محافظات متخلفا عن مقتضيات الحياة الحديثة .

فالاتجاه العالمى الان هو تقسيم كل دولة يزيد حجمها عن حد معين (عشرة ملايين نسمة مثلا) الى عدد محدود من الاقاليم يصلح كل منها من حيث اتساع الرقعة والموارد وعدد السكان ليكون اطارا صالحا لتنمية اقليمية وتخطيط اقليمى بهدف بناء صناعة حديثة وكبيرة وتوطين نشاط أكاديمى (جامعة مثلا أو مجموعة من المعاهد العليا ومراكز البحث العلمى) وتطوير احدى المدن لتصبح عاصمة تجذب السكان وتحد من الهجرة الى عاصمة الدولة . وهذا الاتجاه مطبق فى الدول الاشتراكية والرأسمالية على حد سواء . ومن ناحية أخرى أصبح من المتيسر بسبب تقدم المواصلات أن تقوم الادارة الاقليمية بتدبير شئون اقليم واسع يضم عددا من المحافظات . ولكل ذلك لم يكن مبدأ « الاصلاح الاقليمى » كما سمى المشروع فى فرنسا ، محل معارضة تذكر ، وانحصر الصراع حول شكل ادارة الاقليم . وكان المشروع قد تبنى

نظاما لمجلس الاقليم يقوم على الانتخاب المباشر لجزء فقط من اعضائه ، فى حين يكون هناك جزء آخر تختاره النقابات وغرف التجارة والصناعة والهيئات الفنية ... الخ ، وجزء ثالث تختارهم الدولة بصفة شخصية . ومن ثم اتهمت المعارضة المشروع بأنه يحد من الديموقراطية المحلية ويؤكد نفوذ السلطة المركزية ، والعناصر التكنوقراطية والتمثيل الطائفى للمهن وفروع النشاط الاقتصادى والاجتماعى . ومن هنا كانت معارضة أحزاب اليسار للمشروع . ولكن الاهم من ذلك هو ان فئة « أعيان » الاقاليم » التى تسيطر تقليديا على المجالس البلدية ومجالس المحافظات ، وتستند اليها فى الدفاع عن مصالحها ، أحست بأن التنظيم الجديد يحد من نفوذها . فهى لن تسيطر على مجلس الاقليم ، كما أن اختصاصات المجلس فى مجال التنمية الاقتصادية ستثير قضايا لا خبرة للاعيان بها وبالتالى سينفرد التكنوقراطيون عمليا بالحسم فيها تساندهم سلطة الدولة . ولهذا اتجهت تلك الفئة فى غالبيتها الى التصويت ضد المشروع ، مع انها بحرصها التقليدى على الاستقرار السياسى كانت تصوت دائما لصالح ديجول . وهكذا فقد الجنرال جزءا لا يستهان به من الاصوات التى تعتبر فى العادة مضمونة له .

أما « اصلاح مجلس الشيوخ » فكان يتضمن الحد من اختصاصاته ، وحرمان رئيسه من مركز الرجل الثانى فى الجمهورية الفرنسية لصالح رئيس الوزراء . ولكن الامر المهم فيه ، كان تغيير طريقة انتخابه بادخال ممثلين للنقابات والهيئات على حساب نسبة الشيوخ الممثلين للهيئات المحلية ، والذى كان ينتخبهم اعضاء المجالس البلدية ومجالس المحافظات فى كل دائرة . وهكذا اصطدم هذا المشروع بدوره بمصالح الاعيان ودعم اتجاههم نحو التصويت بلا .

وزاد الامر تعقيدا أن موضوع الاستفتاء كان يغلب عليه الطابع الادارى والفنى . لقد كان مطلوبا من المواطن العادى ان يبدى الرأى فى مشروعات لتغيير نظم ادارية ودستورية على قدر كبير من التفصيل والتعقيد ، ليس فيها مجال لاختيار سياسى واضح وبسيط ، لم يكن مطلوبا منه أن يقول نعم أو لا فى قضية سياسية محددة مثل انهاء الحرب فى الجزائر ، أو انتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع العام . وحين أعلن ديجول فى مرحلة متأخرة أنه سيستقيل اذا أجابت الاغلبية بلا ، استفز هذا الموقف عددا كبيرا من المواطنين الذين احسوا بان الرئيس قد بالغ فى المضاربة على ولاء تلقائى منهم . وساد رأى بأن ديجول قد أقحم شخصه فى قضية ليست جوهرية بالنسبة لمستقبل فرنسا ، وانه يبتز تأييد الناس لكل رغباته بالتهديد المستمر بالاستقالة . ولما كان عدد لا يستهان به من الفرنسيين قد صوت فى يونية الماضى لمرشحى ديجول لانهم كانوا يخشون الحرب الاهلية فحصل الجنرال على أكبر أغلبية عرفها فى حياته ، كان من الطبيعى ان يصبح رد الفعل عندهم رفض شىء ما للجنرال كنوع من الموازنة ، وحتى لا يغدو حاكما مطلقا ، لاسيما وقد تقدمت به السن .

اذن لم يكن غريبا أن تأتى نتيجة الاستفتاء بالصورة التى جاءت بها بالفعل ، ولكن الامر الغريب هو بالدقة لماذا أقحم ديجول شخصه فى هذه المعركة ؟ . لقد كانت لديه أغلبية كافية لاقرار الاصلاح الادارى فى البرلمان ، وحتى لو تعثر الاقرار قليلا نتيجة لمعارضة مجلس الشيوخ ، فان الموضوع كان سيقتصر على مشكلة زمن ، مرور الوقت الكافى لاقراره من جديد من الجمعية الوطنية والتغلب بذلك على معارضة الشيوخ ، بل كان من المتصور أن ينحصر الخلاف فى النهاية حول نقطة واحدة أو عدد محدود من النقاط الواضحة التى يمكن اجراء الاستفتاء الشعبى عليها بنجاح أكبر . ومن ناحية أخرى أثبتت أجهزة قياس الرأى العام الفرنسية قدرة عظيمة على التنبؤ بنتيجة الانتخابات والاستفتاءات . وكانت تلك الاجهزة منذ البداية تتوقع الهزيمة لمشروع ديجول ، فلماذا أقدم الجنرال على تلك المعركة بالرغم من كل ذلك ؟

هناك تفسيران لموقف ديجول . الاول والابسط هو أنه كان يريد أن يحل بنفسه وفى حياته مشكلة خلافته ، وأن يضمن بذلك استمرار الديجولية بعد ديجول . فمن المعروف أن الاغلبية التى كانت تساند ديجول لم تكن متجانسة ، ففى اقصى اليمين منها يقف حزب « الجمهوريين المستقلين » بزعامة جيسكار ديستان الذى لا يعد نفسه ديجوليا ولكنه يتعاون مع الديجوليين . ثم يلى ذلك حزب ديجول الرسمى الذى يعد جورج بومبيدو أبرز قادته والذى يضم جناحا يقف الى يسار بومبيدو . واخيرا هناك « اتحاد يسار الجمهورية الخامسة » الذى يضم عددا كبيرا من الشخصيات التى كانت مرتبطة بالاحزاب اليسارية ، ثم انضوت تحت زعامة ديجول شخصيا ، ولا تقر زعامة بومبيدو ، وترفض الانضمام للحزب الرسمى . ويقدر بومبيدو نفسه ان من بين الملايين السبعة من الاصوات المضمونة فى العادة لديجول هناك مليونان من أصوات اليسار . ولهذا فان الكل كان يتوقع أنه لو مات ديجول فجأة فان الحركة الديجولية لابد أن تنقسم على نفسها ، وتفقد بالتالى قدرتها على الاستمرار فى الحكم . واذا لاحظنا أن ديجول حين أعفى بومبيدو من رئاسة الوزراء عقب انتخابات يونية الماضى طلب منه فى رسالة اليه أن يهىء نفسه لمهمة أخرى قد تدعوه الامة لتوليها ، وان بومبيدو نفسه اعلن أنه « ولى العهد » وأمضى الشهور الاخيرة فى الاعداد للخلافة ، ويمكن ان نستنتج ان ديجول

بانسحابه بهذا الشكل الدرامى يحاول تجميع الديجوليين ، وانه سيستخدم نفوذه لكى يصوت انصاره من اليساريين لصالح مرشحه للرياسة.

وهناك تفسير آخر : وهو ان فرنسامقبلةعلى فترة شاقة تواجه فيها مشكلات اقتصادية واجتماعية بالغة الصعوبة • فالاسباب الكامنة وراء احداث مايو ويونيو ١٩٦٨ مازالت قائمة ، فمشكلات التعليم لم تحل ، والزيادة فى اجور العمال قد ابتلعتها الزيادة فى الاسعار • ومفاوضات مارس بين الحكومة والنقابات انتهت الى أخفاق • ورصيد فرنسا من الذهب والعملات الاجنبية قد انخفض بشكل مزعج ، واصبح مركز الفرنك مهددا بعد طول استقرار . وافكار ديجول الاجتماعية عن « المشاركة بين العمل ورأس المال » تنذر بانقسام خطير فى صفوف الحركة الديجولية . وفى مثل هذه الظروفيمكن ان يكون حافز ديجول على ربط بقائه فى السلطة بنتيجة استفتاء غير سياسى هو انه كان يقدر انهلوجاءت النتيجةلصالحهرغمكلالظروفغير المواتية،فانذلك سيضفى عليه مزيدا من الهيبة يمكنه من اتخاذ قرارات حاسمة فى قضايا ينقسم بشأنها حتى أنصاره أنفسهم • أما اذا جاءت النتيجة بالسلب فانه يكون قد ختم حياته السياسية دون أن يعيش فترة شللالسلطة وعدماستقرار سياسىومشكلات اقتصادية واجتماعية تذكر بكل ما كان ينعاه على الجمهورية الرابعة •

ومهما يكنمن امر فانالتركة التىخلفها الجنرال مثقلةبأعباء جسامتجعلمهمةمن يخلفه،ايا كانلونه السياسى ، من أصعب ما يكون • ويضاف الى ذلك أن دستور الجمهورية الخامسة قد صاغ سلطات رئيس الجمهورية على « مقاس » ديجول شخصيا. ويرجع تفادى الصدام بين الرئيس بتلك السلطات الواسعةوبينوزيرهالاول من ناحية ، والبرلمان من ناحية أخرى هو الهيبة الشخصية لديجول التىلن يتمتع بها أى رئيس جمهورية من المرشحين لشغل قصر الاليزيه •

« الطليعة »

فرنسا • • أمريكا وحلف الأطلنطى

عشر سنوات ، وعشرة اشهر ، وثمانية وعشرون يوما قضاها الجنرال ديجول فى قصر الاليزيه بفرنسا تبلور فيها بشكل واضح اتجاه استقلالى واضح للجمهورية الخامسة الفرنسية عن سياسات ومخططات الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى .

وهذه السياسة التى ارتبطت باسم الجنرال ديجول والتى حلا لبعض الصحف الغربية ان تطلق عليها اسم « الحربالباردة » بينالولايات المتحدة وفرنسا اقدم حليف للولايات المتحدة فى اوروبا ، والتى وصلت فى وقت ما الى درجة من العنف جعلت جريدة **الهيرالد تريبيون** الامريكية تنسب لبعض المصادر الفرنسية قولها « ان القوة الذرية الفرنسية بعد ان تستكمل ستكون مستعدة للتوجه فى اى اتجاهوليس الى الشرق فقط » هذه السياسة مثلها مثل كل السياسات التى اتبعها الجنرال ديجول ـ هى اليوم موضع متابعة كل المراقبين السياسيين فى انتظار ما سوف يقرره المستقبل بازائها •

ومهما حلا للصحافة الامريكية من تصوير سياسة ديجول تجاه الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى باعتبارها سياسة شخصية للرئيس ديجول كفرد ، فأنالتناقضات الفرنسية الامريكية هى واقع موضوعى لايمكن انكاره ، برزت قبل ديجول وستستمر بعده ، مهما كان الشكل او درجة العنف التى ستتسم به ، ولقد كانت ميزة الجنرال ديجول هى انه كان القائد البرجوازى الاوروبى الذى ادرك قبل غيره امكانية المنازلة الصريحة لسيطرة الولايات المتحدة فى ظل الظروف العالمية الجديدة •

وكثيرا مالرتفعت اصوات القادة السياسيين الفرنسيين قبل ديجول منددة بالسيطرة الامريكية على اوروبا •ففى ١٢ ديسمبر ١٩٥٧ صرح **ميشيل دوبريه** (الذىاصبح فيها بعد رئيسا للوزراء فى عهد ديجول) « ان منظمة شمال الاطلنطى لاتعدوان تكون اداة للدفاع عن امن الولايات المتحدة تحت توجيه انجلو امريكى » ، وكثيرا ما ارتفعت الصيحات ضد موقف الولايات المتحدة ، وموقف الحلفالساعيين دائما الى تعقيد المشكلات التى

تواجه فرنسا وليس مساعدتها على حلها ، الا ان احدا من حكام فرنسا لم يستطع ان يبلور هذا الاتجاه فى سياسة متكاملة لنزال صريح ضـد الولايات المتحدة الى ان جاء ديجول ، معلنا عن عقيدته فى « ان هناك حقيقة راسخة تبدو وكأنها تسيطر على الواقع الا وهى قوة امريكا الهائلة ٠ لقد اصبحت الولايات المتحدة اقوى دولة ٠ ومن ثم فانها اخذت تميل تلقائيا الى بسط نفوذها خارج حدودها ، ومن هنا فان ثمة احتمالين ، **الاول :** قبول الامور على علاتها وان نصبح جزءا من كل خاضع لسيطرة امريكا ، **والثانى :** حماية شخصيتنا القومية ، وهذا يعنى اتخاذ موقف يتعارض مع موقف امريكا بالنسبة لمسائل بعينها » ،

وعلى اثر تفجر النزاع السوفيتى الصينى اخذ ديجول يطور من نظرته الى الاوضاع العالمية وظل المعتبون الفرنسيون المرتبطون بديجول يعبرون عن عقيدتهم فى ان النظام العالمى الذى كان قائما على قطبيـن ـ هما الاتحـاد السـوفيتى وامـريكا متواجهتين كاكبر قوتين ـ قد بدأ يتلاشى ليحل محله شيئا فشيئا نظام القطب الواحد، اى عالم تهيمن عليه الولايات المتحدة وحدها بشكل متزايد ، مما يهدد استقلال دول اوروبا ومصالحها ، ولابـد لمواجهة هذه الاوضاع كما صرح **كوف دى مورفيل** فى البرلمان الفرنسى « من ان تستقل دول اوروبا عن الولايات المتحدة ،فلهذه الاخيرة سياسة خاصة بها تتبعها فى مختلف انحاء العالم ، وهى سياسة غريبة عن الدول الاوروبية » هذه الدول فى صف فرنسا فى صراعها ضد الولايات المتحدة ومحاولة احتلال بعض مواقع المستعمرين البـريطانيين والامريكيين فى هذه البلدان ٠ ومحاولة استغلال كل ثغرة للنفوذ الى اى مراكز فى بلدان القارات الثلاث ، مهما كان نوع النظم السائدة فيها مثلما حدث من توقيع الاتفاقيه البترولية لمد معمل تكرير لورنزوماركيز فى موزمبيق البرتغالية بالبترول الخام رغم قرار الامم المتحدة بفرض العقوبات الاقتصادية على روديسيا ، ومد اقليم بيسافرا بالطائرات الهليكوبتر بأمل الحصول على حقوق التنقيب عن البترول فيها بدلا من البريطانيين ، وما إذيع عن امداد فرنسا لجنوب افريقيا بـالمواد النووية ٠

وقائع الصراع

فى عام ١٩٥٨ ارسل ديجول الى الجنرال **ايزنهاور** رئيس الولايات المتحدة آنذاك بمذكرة يقترح فيها انشاء نوع من **الزعامة الثلاثية** لحلف الاطلنطى تقف فيه فرنسا وبريطانيا وامريكا على قدم المساواة ، الا ان الحكومة الامريكية رفضت المقترحات الفرنسية بهذا الشأن وذهبت الى حد رفض اشراك فرنسا فى الاطلاع على بعض اسرار الابحاث النووية التى سمحت لبريطانيا بالاطلاع عليها ٠

وكانت مصالح فرنسا فى آسيا قد صفيت تقريبا تحت ضغط حركات التحرر من جانب ، وضـغط التسرب الامريكى من جانب اخر ، وعندما زار **كيندى** باريس عام ١٩٦١ ابلغه ديجول ان فرنسا تنوى ان تنفض يدها تماما من سائر التزاماتها العسكرية فى حلف جنوب شرق اسيا ٠ ولم يثر هذا الامر اى زوابع سياسية حينذاك لعدم فاعلية هذا الحلف اصلا وضآلة الدور الفرنسى فيه ، وفى آسيا عامة بعد هزيمتها فى ديان بيان فو ٠

الانسحاب من منظمات حلف الاطلنطى العسكرية

ولكن الخطوة التالية لديجول هى التى اثارت اكبر عاصفة على المعسكر الغربى ، ففى ٨ مارس ١٩٦٦ دعا **موريس كوف دى مورفيل** وزيـر الخارجية الفرنسى السفير الامريكى فى باريس ليسلمه مذكرة تحتوى على اقتـراحات الرئيس ديجول بوضع القواعد العسكرية الامريكية تحت الاشراف الفرنسى الكامل ٠

كان للولايات المتحدة على الاراضى الفرنسية ٩ قواعد جوية و ٧ قواعد برية وقاعدة بحرية بالقرب من نيس ، وما يقرب من ٣٠٫٠٠٠ جندى وضابط امريكى بخلاف الفنيين والاداريين ، وبخلاف اقامته الولايات المتحدة من مرافق وانشاءات ومخازن خاصة بها فى موانى فرنسا على الاطلنطى فى بوردو ولاروشيل ، بالاضافة الى خط انابيب البترول الذى يمتد من انجلترا عبر بحر المانش ويمر عبر الاراضى الفرنسية الى المانيا الغربية لتمـوين القواعد الرئيسية لحلف الاطلنطى فيها بالوقود ، وشبكة المواصلات التليفونية الضخمة التى تعتمد عليها قيادة الحلف ٠ ورفضت الولايات المتحدة

مقترحات ديجول ، وفى ١٢ مارس سنة ١٩٦٦ قرر ديجول ضرورة سحب جميع القواعد والطائرات والقوات الامريكية والكندية من فرنسا قبل اول ابريل سنة ١٩٦٧ واعلن انه ليس مستعدا لاجراء مفاوضات فى هذا الشأن ولكنه مستعد فقط لبحث التفاصيل التى ستنجم عن هذا الانسحاب .

واردف ديجول ذلك بالمذكرة الفرنسية الصادرة فى ٤ مايو سنة ١٩٦٦ التى تبلغ دول الحلف بأن التصريح بتحليق طائراتهم الحربية فوق الاراضى الفرنسية يجب ان يتم شهرا بشهر .

وبعد جو من المشاحنات والتعقيدات العنيفة والحملات المتبادلة نقلت الولايات المتحدة قيادتها العسكرية منفرنسا قبل الموعد النهائى الذى حدده الجنرال ديجول بعد استمرار دام ثمانية عشر عاما . وتسلمت فرنسا ١٩٠ منشأة عسكرية امريكية وكندية كانت مقامة على الاراضى الفرنسية .

وكانت الخطوة التالية هى انسحاب فرنسا من منظمات الحلف العسكرية واعلن ديجول « انه فى عام ١٩٦٩ ـ على اكثر تقدير ـ سوف ينتهى خضوع فرنسا لمنظمة شمال حلف الاطلنطى ، ذلك الذى جعل مصير فرنسا فى يد اجنبية تحت ستار التضامن والاندماج » (وهو طريق لم يواصله ديجول حتىنهايته) ، وبالفعل سحبت فرنسا فرقها السبع من تحت امرة الجنرال الامريكى قائد حلف الاطلنطى ، وفى٢٩يونيوتخلى الضباط الفرنسيون عن مناصبهم فى القيادة العليا للحلف فى أوربا فىنفس اليوم الذى كان ديجول يعود فيهمن زيارته لموسكو وصدر فيه البيان السوفيتى الفرنسى المشترك الذى اعلن فيه الجانبان « ان مشاكل اوروبا يجب ان تدرس فى المحل الاول فى نطاق اوروبى » و « ابديا فيه اسفهما على تصعيد الولايات المتحدة للحرب فى فيتنام » واستعداد ديجول للاعتراف **بخط اودرنيس** كحدود دائمة وشرعية بين المانيا الشرقية وبولندا ، اى الاعتراف بحدود ما بعد الحرب العالمية الثانية وهو ما ترفضه المانيا الغربية ومن ورائها سائر دول الغرب الاخرى ، ورفض الجانبانتزويد المانيا الغربية بالاسلحة النووية .

لقد استحوذت سياسة الجنرال ديجول تجاه حلف الاطلنطى على اهتمام بارز ، وصرح **فاليريان زورين** السفير السوفيتى فى فرنسا ان الاتحاد السوفيتى مستعد لتوقيع معاهدة عدم اعتداء مع فرنسا فى اى وقت يشاء فيه ديجول ، الا انه من الضرورى ان نؤكد ان حركة ديجول كانت مرسومة بدقة بحيث لا تهدد النظام الرأسمالى ككل مع الاحتفاظ باستقلاليته فى داخل الحلف الغربى ، فلقد اكد ديجول وهو يتخذ موقفه « ان فرنسا ستهب دائما لمساعدة دول الاطلنطى الاخرى الاربع عشرة فى حالة تعرضها لهجوم لم يسبقه استفزاز من جانبها » واكد **كوف دى مورفيل** فى التليفزيون الفرنسى ان الغرب يستطيع الاعتماد على فرنسا اذا تأزم الموقف ، وان على الامريكيين ان يدركوا انما تفعله فرنسا انما هو مراعاة لصالحها ولايتعارض بحال من الاحوال مع مصالح حلفائها ، كما اعلن جورج بومبيدو رئيس الوزراء الفرنسى انذاك فى الجمعية الوطنية « ان فرنسا لن تغير اتجاهها ولن ترتبط بالصين او الاتحادالسوفيتى ، وان فرنسا انسحبت من القيادة الموحدة لحلف الاطلنطى لانه قد يقحم فرنسا فىحرب لاشأن لها بها . وكثيرا ما لاحظ المراقبون السياسيون « ان ديجول فىالحقيقة يجب ان يخرج من تنظيمات حلف الاطلنطى ولكن ان يحتفظ بروابط من خلال اتفاق خاص » .

اثارة المتاعب لامريكا

من كويبك حتى جابون

لقد تشعبت مواقع الصراع الفرنسى الامريكى على جميع الجبهات من رفض قبول بريطانيا فى السوق الاوربية المشتركة باعتبارها « حصان طروادة » امريكى الى دعوة أهالى كويبك فى كندا لان يحموا انفسهم من سيطرة الولايات المتحدة الى معارضة للتواطؤ الامريكى مع اسرائيل فى عدوان ١٩٦٧ ، الى محاولة الحصول على حقوق البحث عن مناجم الكبريت فى اقليم « المشر » بشمال العراق فى منافسة مباشرة لشركتى تكساس وباسكو الامريكيتين ، وتجاهل لاحتجاج الولايات المتحدة على قرار فرنسا الخاص بالسماح لشركة البترول الفرنسية بالتفاوض بمفردها مع العراق لعقد اتفاق بشأن التنقيب عن البترول متجاهلة شركاءها البريطانيين والامريكيين ، الى معارضة عنيفة لمحاولات رأس المال الامريكى للتسرب الى المغرب وجابون وموريتانيا لاستغلال خام اليورانيوم هناك ، ودفع جابون الى طرد ٥٧ موظفا من العاملين فى « فرق السلام الامريكية » ثم قيام ديجول باخراج عملاء وكالة المخابرات المركزية الامريكية من ادارة المخابرات الفرنسية .. الى غير ذلك .

معركة النقد الدولى

الا ان القضية المحورية الاخرى التى دار حولها الصراع الفرنسى الامريكى كانت ولا شك هى

قضية النقد الدولى ... لقد ارتكز ديجول على حقيقة تملك فرنسا لاكبر احتياطى مركزى للذهب بعد الولايات المتحدة ، بالاضافة الى المختزن من الذهب لدى افراد الشعب الفرنسى (وهو امر محرم قانونا فى الولايات المتحدة] ليعلن فى مؤتمره الصحفى فى ٤ / ٢ / ١٩٦٥ استنكاره « للمركز الممتاز » الذى يمثله الدولار والجنيه الاسترلينى بين العملات التى تستخدم كاحتياطى للنقد مطالبا بالعودة الى نظام الذهب ، ورغم معارضة الولايات المتحدة بشدة الاقتراح ، فلقد اقدم ديجول على تنفيذ اقتراحه بالنسبة للنقد الفرنسى ، وواصل استبدال اكبر قدر من الدولارات التى تملكها فرنسا بالذهب وهو « ما اثار حرج مالى شديد للولايات المتحدة » كما اشارت **جريدة نيويورك تايمز** فى ٣١ اكتوبر ١٩٦٦ موضحة « ان لذلك خطورته السياسية بالنسبة لامريكا حيث يهدف الى التقليل من سيطرة الدولار وسيطرة الولايات المتحدة ، والى تشجيع الدول الاخرى على ان تحذو حذوه فتستبقى لديها المزيد من الذهب والقليل من الدولارات ، وحمل امريكا على وقف التدفق الدولارى الى الخارج ، لاسيما الاستثمارات الامريكية فيما وراء البحار » .

ولقد اثارت خطوات ديجول بهذا الشأن عواصف عاتية فى المجالات الاقتصادية الدولية ، الا ان النجاحات التى حققها بهذا الصدد لم تكن ملموسة لعديد من الاسباب ، لعل اهمها الضعف النسبى للاقتصاد الفرنسى فى السوق الرأسمالى العالمى رغم ماحققه من تقدم فى ظل ديجول ، ثم المؤامرات التى حاكتها المانيا الغربية ضد الفرنك الفرنسى

لم يخف ديجول اهداف سياسته ازاء الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى ، ولم يتوان عن استغلال نتائجها الموضوعية لابرازها كسياسة سلامية ، تحاول صد تيار العدوان الذى تنشره الولايات المتحدة فى كل ارجاء العالم ، ولقد اثار تصريحه فى ٢٢ يونيو ١٩٦٧ عن « ان الحرب التى تشنها الولايات المتحدة فى فيتنام قد خلقت تيارا سياسيا ونفسيا عدوانيا ادى الى نشوب حرب الشرق الاوسط » انزعاجا بالغا فى دوائر وزارة الخارجية الامريكية . ويكاد يجمع المراقبون على ان اهم اهداف سياسة ديجول هى التخفف من السيطرة الامريكية وازاحة امريكا عن اوروبا ومحاولة الحفاظ على ما تبقى من مصالح لفرنسا فى مستعمراتها السابقة ، والوقوف أمام ضغط التسرب الامريكى هناك بل ومحاولة الحصول على اى مواقع جديدة باستغلال كافة الثغرات . والرغبة فى عدم التورط فى حروب لا شأن للمصالح الفرنسية بها خاصة بعد ان صفيت هذه المصالح فى اغلب المواقع خارج فرنسا منذ ما بعد الحرب العالمية الثانية . ثم محاولة ديجول المحافظة على التوازن الدولى خوفا من السيطرة الامريكية سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، ثم خوف ديجول من ان يؤدى استمرار التوتر فى أوربا والاندفاع العدوانى الامريكى الى تدعيم مركز المانيا الغربية بشكل خطير ، وهى المنتهك التقليدى للحدود والسيادة الفرنسية .

ركائز السياسة الخارجية لديجول

لا شك ان شخصية الجنرال ديجول كان لها دورها فى تحديد ملامح السياسة الخارجية للجمهورية الفرنسية الخامسة ، الا ان سياسة ديجول هذه كانت ترتكز الى دعائم وقوى موضوعية لا جدال فيها وهى التى ستمثل العناصر الدافعة الى استمرار هذه السياسة بعد اعتزال الجنرال ديجول للحكم .

فأولا : ان المركز النسبى للولايات المتحدة داخل الاقتصاد الرأسمالى العالمى لم يعد يؤهلها لاستمرار بسط السيطرة التى فرضتها على حليفاتها بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة . كما ان مركز الولايات المتحدة الدولى سياسيا وأدبيا يغرى بالانتقاض عليها ورفض سيطرتها . ولقد عبر **سولز بيرجر** فى جريدة **الهيرالد تريبيون** الامريكية فى ١٨ فبراير ١٩٦٨ عن هذه الحقيقة بقوله « ان قوة امريكا لم تعد كما كانت فى السابق ، لقد عجزت عن الاحتفاظ باحتياطياتها الهائلة من الذهب ، وعجزت عن مساعدة بريطانيا على انقاذ الجنيه الاسترلينى ، واضطرت الى تخفيض برنامجها الخاص بالاصلاح الاجتماعى ، واصبحت تريد الان فرض ضرائب على سفر الامريكيين وتقييد حرية المستثمرين الامريكيين فى الخارج ، كما عجزت عن صيانة السلام داخل مدنها او العثور على اساس سليم للوفاق العنصرى داخل حدودها ، كما فشلت فى انهاء حرب لصالحها بينها وبين دولة اسيوية من الدرجة الرابعة ، وشهد الامريكيون قوات دولة آسيوية صغيرة اخرى تأسر سفينة تابعة للبحرية الامريكية ، ولم يعد الكثير الذى يغرى أى طرف بأن يزيد من توثيق حباله بها »

ثانيا : ان سياسة ديجول الخارجية قد كانت تعبيرا عن مصالح جزء اساسى من الاحتكارات الفرنسية التى ترى فى سياسة ديجول فى مواجهة السيطرة الامريكية السبيل الوحيد للحفاظ على مصالحها فى المستعمرات الفرنسية السابقة ، ولتدعيم مركزها على حساب الاحتكارات الامريكية ، وتقوية مركز فرنسا التنافسى داخل اطار السوق الاوربية المشتركة .

ثالثا : ان ديجول فى الواقع كان يعبر عن رغبة اوروبية عامة فى الوقوف فى وجه السيطرة الامريكية . ولقد عبرت جريدة **النيويورك تايمز** فى

٣ ديسمبر سنة ١٩٦٧ عن ذلك بقولها « ان الغضب من تصريحات ديجول الاخيرة يجب الا يعمى ابصار احد عن حقيقة اساسية هى ان كثيرا من الاوربيين يشاركونه قلقه من السيطرة الاقتصادية الامريكية على اوروبا ويشاركونه الامل فى قيام اوروبا متحدة لموازنة قوة الولايات المتحدة .

وفى اجتماع مجلس حلف شمال الاطلنطى فى ٣١ مارس ١٩٦٦ فشل **جورج بول** وكيل وزارة الخارجية الامريكية فى اقناع جميع الدول الاعضاء فى الحلف بالوقوف فى جبهة واحدة معادية لفرنسا . بل لقد ابدى عدد من حكومات الدول الاوروبية نظرة تعاطف مع سياسة ديجول الخارجية

وعلى اثر اجراءات **جونسون** الاقتصادية ، والتى عارضها ديجول بعنف ، كتبت **الديلى اكسبريس** البريطانية « ان جونسون يهتم بداية برفاهية بلاده واستقرارها المالى ، اما المسائل الاقل اعتبارا مثل مركز بريطانيا فلا تأتى فى المرتبة العليا من الاهمية ، ولكن لبريطانيا حكومتها ومسئولية ويلسون هى أن يضمن لبريطانيا التمتع بقدر حقيقى من الاستقلال الاقتصادى عن الولايات المتحدة » .

كما كتبت **صنداى تلجراف اللندنية** : « الحقيقة ان ديجول يمثل الكثيرين منا بدرجة اكبر مما نريد الاعتراف بها » .

رابعا : رغم انتقادات الشعب الفرنسي لنظام الحكم الديجولى فلقد ابرز فى كل مناسبة تعضيده لسياسة ديجول الخارجية فى مواجهة الولايات المتحدة الامريكية ، وازاء حلف الاطلنطى ، وطالبت قطاعات عريضة من الرأى العام بأن يكمل ديجول الطريق ويعلن الانسحاب الكامل من حلف الاطلنطى .

فترة التهــدئة .. وكعب أشـــيل

فى اواخر حكم ديجول وقعت احداث ثلاثة ، كان لها تأثيرها على مجموع السياسة « الديجولية » هى ازمة الفرنك الفرنسى والتى اطاحت بصورة الاستقرار الاقتصادى الذى كانت البورجوازية الفرنسية تسعى اليه جاهدة ، وتفجر الصراعات الاجتماعية بعنفها الشديد الذى شهدت به مظاهرات واضرابات مايو ١٩٦٨ ، ثم الازمة التشيكوسلوفاكية ودخول قوات حلف وارسو فى تشيكوسلوفاكيا ونجاح السياسة الامريكية فى اثارة مشاعر الخوف والتوتر بين الاوساط الحاكمة فى اوروبا .

ولقد شهدت هذه الفترة بالفعل نوعا من التهدئة النسبية فى الصراع الفرنسى الامريكى شهد به المعلق الامريكى **سولز بيرجر** فى مقاله عن « تطور السياسة الديجولية نحو الولايات المتحدة » فى جريدة **الهيرالد تريبيون** ، الا ان كعب اشيل فى المواجهة « الديجولية » للسيطرة الامريكية كان هو الموقف المتردد من الاستثمارات الامريكية .

فعلى الرغم من ادانة الرئيس الفرنسي لها ووصفه بانه « استيلاء رؤوس الاموال الامريكية على الصناعات الاوربية » فان الموقف الفرنسى نظرا لفشله فى اقناع شركائه فى السوق الاوربية المشتركة باتباع سياسة مشتركة تستهدف تقييد الاستثمارات الامريكية ، ظل شديد التردد والاحجام ، بل فى كثير من الاحيان كان مناقضا للمواقف السياسية والعسكرية ، لقد كونت لجان وزارية كثيرة « لبحث القواعد التى تسير عليها السياسة الفرنسية فيما يتعلق بالاستثمارات الاجنبية فى فرنسا وتحفظ لفرنسا استقلالها » الا ان الاستثمارات الامريكية بعد ان واجهت سياسة واضحة العداء منذ بداية عام ١٩٦٣ على اثر قيام شركة **كريزلر** الامريكية بشراء اسهم شركة **سيمكا** الفرنسية ، وشراء شركة I.B.M. الامريكية لشركة BYLL الفرنسية الخاصة بالصناعات الاليكترونية ، ما لبثت ان اعتراها الضعف . ولقد كتبت جريدة **الجارديان البريطانية** انما لا يقل عن ٦٠ فى المائة من رأس المال الامريكى المستثمر فى الخارج يذهب الى قلب القارة الاوربية ، اما فى فرنسا فنرى الصورة اكثر وضوحا عندما نجد ان الاستثمارات الصناعية قد تضاعفت فى المدة ما بين ١٩٥٩ و ١٩٦٤ » . وكتبت **النيويورك تايمز** فى ١٩٦٧/١/٢٥ « ان الحكومة الفرنسية طردت القوات الامريكية فى العام الماضى ولكنها فتحت الباب امام رؤوس الاموال الامريكية . وقد قفزت الاستثمارات الجديدة من ٢٤٣ مليون دولار فى عام ١٩٦٥ الى ٢٨٦ مليون دولار فى عام ١٩٦٦ الى ٣٤٥ مليون دولار فى ١٩٦٧ .

وهذا العامل الى جانب العوامل السابق ذكرها سوف تمثل العناصر التى ستحاول الدفع نحو تغيير فى السياسة الفرنسية تجاه الولايات المتحدة ، الا انه من الواضح ان صورة العلاقات الفرنسية الامريكية فيما قبل ديجول لن تعود .

ومنذ اكثر من عامين كتبت **النيويورك تايمز** « ان ديجول هو الذى اثار النزاعات مع امريكا ، ولذلك ينبغى عليه ان يعمل على تسويتها فان خليفته لن يستطيع ان يفعل هذا دون ان يتهم بخيانة ديجول ومصالح فرنسا » .

فاذا خفت حدة التنافس بين واشنطن وموسكو

فلابد من تعديل الاسس التى يقوم عليها التحالف الغربى وخاصة بعد ان بدأت تظهر على المسرح الدولى دول جديدة بدأ صوتها يدوى على المسرح العالمى » .

ومن هنا تبلورت سياسة ديجول فى الاستقلال عن الولايات المتحدة وحلف الاطلنطى ، والوحدة الأوربية ، والاصرار على ان يكون لفرنسا قوتها الذرية الخاصة ، والاعتراف بالصين الشعبية ومحاولة التواؤم مع المشاعر الوطنية لشعوب المستعمرات السابقة الذى تمثل فى انهاء الحرب الجزائرية والموافقة على استقلال الجزائر ، وادانة العدوان الامريكى على شعب فيتنام والدعوة لتسويته سلميا على اساس مشروع ديجول الداعى الى « التعهد بمنح الاستقلال التام لكل من دولتى فيتنام وضمان عدم وقوع اى تدخل فى شئون دولتى فيتنام من جانب اية دولة اجنبية ، وتأكيد حق شعب فيتنام فى أن يختار مصيره بنفسه ، وان تنتهج كل من دولتى فيتنام سبيل الحياد » ، وفى احترام مشاعر الدول المستقلة حديثا فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، ومهما يكن من شأن الاسباب العميقة لسياسة ديجول الخارجية ، فان الامر المؤكد هو انها اسهمت فى اكساب فرنسا مكانة دولية متميزة ، وساعدت كثيرا على تخفيف حدة التوتر الدولى ، وخدمت موضوعيا قضية السلام العالمى ، وحالت دون وقوف كل الدول الغربية تلقائيا فى صف اى عدوان امريكى .

وديع وهيب

الاستراتيجية الديجولية لبناء أوربا الكبرى

فى ١١ يونيو سنة ١٩٦٥ ، خلال زيارته لالمانيا الغربية ، ادلى الجنرال ديجول بعبارة ورد فيها «نحن معاشر الاوربيين بناة كاتدرائيات ، فقد امضى اجدادنا فى ذلك زمنا طويلا وانفقوا جهدا كبيرا ، ولكنهم نجحوا فى النهاية . والان نحن نقوم معكم ببناء اوربا الغربية ، ويالها من كاتدرائية عظيمة» وهكذا وضع ديجول نفسه ضمن الاشخاص الذين يؤمنون بالوحدة الاوربية ، ويعملون من اجل تحقيقها . على ان مفهوم ديجول للفكرة الاوربية ومكانتها فى اطار اهداف سياسته قد اثارت كثيرا من الجدل .

أولا : النظرية الديجولية فيما يتعلق بالفكرة الاوربية

بدأت جذور هذه النظرية تتضح اثناء الحرب العالمية الثانية ، وتبلورت فيما بين ١٩٤٧ ، ١٩٥٥ ، ثم تأكدت بمعالمها النهائية خلال فترة رئاسته للجمهورية الخامسة .

ا ـ مولد الفكرة اثناء الحرب : فى مذكراته عن الحرب العالمية الثانية ، ذكر الجنرال ديجول انه كان من دعاة الوحدة الاوربية منذ ذلك التاريخ ، وانه اعلن اعتبارا من ٩ يناير سنة ١٩٤١ عن ايمانه بان مستقبل فرنسا يرتبط باعادة بناء اوربا « على اساس من القانون والحرية » . وفى ١٨ مارس سنة ١٩٤٤ اوضح امام الجمعية الاستشارية فى الجزائر عن ان «تجمع غربى يجد امتداده الطبيعى فى افريقيا وتتصل شرايينه ما بين المانش والراين والبحر الابيض المتوسط ، يمكن ان يعد مركزا اساسيا لتنظيم عالمى يتناول الانتاج ، والتبادل والامن » . وفى ٢١ مارس سنة ١٩٤٤ اعرب عن أنه يتكلم « باسم الحكومة الفرنسية عندما ينادى بضرورة أيجاد اوربا الموحدة بعد تحررها » .

ويكشف تحليل مذكرات الجنرال ديجول خلال فترة الحرب عن انه قد استعمل لفظ « اوربا » ٢٤ مرة فى الجزء الاول و ٤٩ مرة فى الجزء الثانى ، و ٥٩ مرة فى الجزء الثالث .

ب ـ المرحلة الفدرالية كما نادى بها منذ ١٩٤٤ الى ١٩٥٨ : وتتميز هذه الفترة بأن ديجول ومعاونيه قد ركزوا على ضرورة أستمرار الدول الاوربية وبقائها كأساس للسلطات ، مع تفويض جانب فقط من مظاهر السيادة الى جمعية تضم ممثلى الدول الذين ينتخبون بواسطة الشعوب مباشرة عن طريق الاقتراع العام . وقد دفع الى

التركيز على الفكرة الفدرالية لدى ديجول فى تلك الفترة الشعور من ناحية بضرورة تجميع الجهود للخروج من آثار الحرب المدمرة • ومن ناحية اخرى الرغبة فى احتواء المانيا ومنعها من ان تنطلق وحدها فى سبيل بناء اقتصاد منافس وقوة ذاتية يمكن ان تهدد مرة اخرى الامن الاوربى •

والملاحظ ان ديجول لم يرد ان يقيد نفسه خلال تلك المرحلة بكتابات او اقوال مباشرة ، وانما ترك **ميشيل دبريه** يعبر عن المفهوم الديجولى الذى انحصر حينذاك فى ثلاث نقاط اساسية : ١ — ان الامم يجب حتى تستمر فى الحياة ان تتخلى عن سيادتها المطلقة والخضوع لقانون اتحادى ، باعتبار « ان الامم القومية مازالت حقيقة باقية ، ولكن انقضت الصفة الكاملة للسلطة الوطنية » • ٢ — ان بناء اوربا خطوة لازمة وقد جعلت الاقدار لفرنسا الدور القيادى الاول على اساس ان انجلترا مازالت عواطفها منقسمة بين ارتباطها باوربا ومصالحها خارج القارة ، والمانيا قد ارتكبت حديثا من الجرائم ما يجعل من غير الممكن الاطمئنان اليها ٣ — على ان اوربا ليست هدفا نهائيا مطلوبا لذاته ،وانما تعد مجرد طرفقويا فيجماعة اكثر اتساعا ، وفى « جماعة بلاد الاطلنطى » التى تضم كافة البلاد الحرة على جانبى المحيط •

جـ — استمرار الفكرةالاوربيةفى ظل الجمهورية الخامسة : منذ عودته الى مسرح الحياة السياسية فى عام ١٩٥٨ ، حرص ديجول ذاته فى كثير من المناسبات على ابراز العناصر الاساسية لنظريته عن الفدرالية الاوربية • ونقطة البداية لدى ديجول هى « القوميات » حيث ان « الامم لها وجود حقيقى منذ الف او الفى سنة ، وفى وحدات لا يمكن ان تزول ، او ان تذوب .. ذلك أنه بحسب المفهوم الديجولى تعتبر الامة هى « المحرك الرئيسى للتاريخ » ومن ثم فانه قد آثر دائما الحديث عن« روسيا » وليس « الاتحاد السوفيتى » ، وكثيرا ما اشار الى الجرمان واللاتين والغاليين والسلافيين والفرنك • ويترتب على اعتبار القوميات « الحقيقة الاولى التى يقوم عليها البناء الدولى انه لا يصح السعى لايجاد تنظيمات تعلو سلطاتها على سيادة الدول القومية • وبناء على ذلك ، فان اوربا ليست عند ديجول سوى تعاون بين « الشعوب والدول » .

على ان لفظ « اوربا » فى النظرية الديجولية لا يقتصر على الجزء الغربى من القارة، وانما يشمل القارة جميعها « **من الاورال الى الاطلنطى** » • وتظهر اهمية هذا المفهوم الموسع فى ضرورة الانفتاح نحو دول وسط وشرق اوربا بما فى ذلك روسيا . واثارة العزة لدى شعوب القارة بوصفهم صناع الحضارة والمدنية الحديثة ولا محل لانقسامهم ايديولوجيا •

ثانيا : الاستراتيجية الديجولية بالنسبة لخطوات بناء أوربا

تدور السياسة الخارجية التى اتبعها ديجول طوال فترات حكمه حول معنى واحد ، هو اعطاء فرنسا دورا حاسما فى رسم وتسيير السياسة العالمية • واذ كانت امكانيات فرنسا الذاتية لا تسمح لها بأن تقوم بالدور التاريخى الذى يراه ديجول واجبا لانقاذ البشرية من المخاطر التى تهددها • فقد جرى على استخدام الفكرة الاوربية كوسيلة لاعطاء الامة الفرنسية الدور القيادى الذى يراها جديرة به ، وذلك سواء فى فترة الحرب العالمية الثانية او فى ظل الجمهورية الرابعة ، او بصفة خاصة منذ نشأة الجمهورية الخامسة •

ا — خلال الحرب العالمية الثانية : قام الجنرال ديجول فى ابريل سنة ١٩٤٤ بعدة اتصالات مع الحكومات الاوربية لبدءالدراسات والمفاوضات فى شأن مستقبل اوربا • ولكن بدا له حينذاك ان بريطانيا والاتحاد السوفيتى يعارضان مشروعاته • وخاب امله عندما احس بأن الانجلو سكسون من ناحية ، والروسمن ناحية اخرى لا يعبأون به شخصيا وبمخططاته للمستقبل • ومن الامور التى تركتاثارا عميقة فى نفسيته وسياسته المستقبلة ، ذلك التجاهل لحكومةفرنساالحرةالتى يرأسها فى كافة المؤتمرات التى اجريت خلال الحرب وفى اعقابها لتخطيط مستقبل العالم ، وبخاصة عدم دعوته للاشتراك فى مؤتمرى **يالتا وبوتسدام** •

وقد عبر ديجول عن ذلك بمرارة فى مذكراته عن يوم ١٢ اغسطس ١٩٤٥ ، بقوله : « ان الفرنسيين الذين يرقدون تحت ثرى بلدهمالام منذ الفى سنة قد تأرقوا عندما علموا ان مصير المانيا المهزومة قد تقرر الى حد كبير دون ان تسمع فى ذلك كلمة فرنسا » •

ولا شك فى ان عداءه **لروزفلت** ومعارضته للانجلوسكسون بصفة عامة يرجع اساسا الى تلك المرارة التى خلفتها واقعة عدم اشتراك فرنسا فى رسم صورة العالم فى اعقاب الحرب، وتحديد مصير المانيا دون اخذ رأى الحكومة الفرنسية التى يرأسها . وقد نتج عن ذلك ان ديجول لم يترك مناسبة الا وقام بالتنديد « بنتائج مؤتمرى يالتا وبوتسدام » ، وهاجم « تقسيم العالم الى مناطق

تفوق بين الروس والانجلو سكسون » معتبرا ان كافة الشرور التى لحقت ولا زالت تلحق البشرية مردها الى « استمرار روح يالتا وبوتسدام » ، ولا منجاة فى تقديره من تلك الشرور الا بتحدى فرنسا للقطبية الثنائية وسياسة مناطق النفوذ عن طريق تكوين قوة أوربية تحت قيادة فرنسا تلعب دورا حاسما » فى انهاء آثار الحرب العالمية الثانية من حيث اطلاق يد روسيا فى دول شرق ووسط اوربا مقابل ترك حرية التصرف الكاملة للولايات المتحدة وبريطانيا فى مناطق اخرى » .

ب ـ فى ظل الجمهورية الرابعة : ظل ديجول واعوانه يعربون عن ايمانهم بضرورة بعث اوربا « تلك القارة القديمة ذات التراث الروحى والادبى والاقتصادى » ، وذلك « تحت قيادة فرنسا » . وهاجم الديجوليون بشدة كافة المشروعات التى تقدم بها **موريس شومان ومونيه** وغيرهما لخلق تنظيمات فوق الوطنية تنتقل اليها بعض خصائص السيادة ، حيث وصفوا مثل هذه المشروعات بأنها « خطط خيالية ومعوقة » .

واذا كان الديجوليون قد هاجموا منذ البداية السلطات الهامة التى منحت للهيئة العليا المنوط بها تسيير « **المجمع الاوربى للفحم والصلب** » ، كما هاجموا مشروعات الوحدة الاقتصادية ذات الطابع المؤدى الى الاندماج ، داخل مجموعة تذوب فيها الاقتصاديات القومية ، فان المعركة الضارية التى خاضوها كانت ضد مشروع انشاء « **الجماعة الاوربية للدفاع** » C.E.D خلال **الفترة من يناير** سنة ١٩٥٣ الى اغسطس سنة ١٩٥٤ . فقد اخذ ديجول وانصاره على ذلك المشروع انه يؤدى الى القضاء على استقلال فرنسا ، ويساعد من ناحية اخرى على اعادة بعث الخطر العسكرى الالمانى ، فضلا عن ان اهم مقومات السيادة وهى الدفاع عن الوطن ستكون فى النهاية خاضعة للولايات المتحدة الامريكية ، وبعد التخلى عن مشروعات الوحدة العسكرية وانشاء جيش اوربى بين الدول الست ، وكذلك فشل محاولات انشاء وحدة سياسية بين ذات الدول ، بمثابة انتصار شخصى للجنرال ديجول واعوانه الذين رفضوا رفضا باتا اى نوع من « الاندماج » العسكرى او السياسى باعتبار ان مثل هذا الاندماج سيخلق كائنا « مشوها » يعلو سلطات الدول القومية ، وبالتالى فانه سيعصف بالامم بوصفها الحقيقة الاولى تحت شعار « جماعية كاذبة » .

جـ ـ منذ نشأة الجمهورية الخامسة : تميزت السنوات الاربع الاولى من الحكم الديجولى فى ظل الجمهورية الخامسة بأن بناء اوربا قد احتل مكانا ثانويا بالمقارنة للموضوعات الثلاثة العاجلة التى واجهته ، وهى ارساء قواعد دستورية جديدة ، وانهاء الحرب الجزائرية ، وحسم المشكلات الاستعمارية فى افريقيا وغيرها . ولكن ما ان فرغ من هذه الامور ، حتى بدأ يركز جهوده صوب اوربا ، معلنا فى يونيو سنة ١٩٦٢ ان « احد اهدافنا الاولى هو اتحاد اوربا الغربية » .

ولكن الاسلوب الديجولى لبناء اوربا يختلف اختلافا بينا عن ذلك الذى اتبعه قادة الجمهورية الرابعة ، والذى يتلخص فى اقامة تنظيمات جماعية يقوم بتسييرها اشخاص يتجه ولاءهم للجماعة الاوربية وليس لدولة معينة ينتمون اليها باصلهم .

وللحد من تلك « الروح الجماعية » التى تتعارض مع المفهوم الديجولى القومى ، لجأت الدبلوماسية الفرنسية فى ظل الجمهورية الخامسة الى الاعتماد اساسا على مؤتمرات القمة ، وقد انعقد مؤتمر القمة الاول بباريس فى فبراير سنة ١٩٦١ ، وكانت من اهم نتائجه تشكيل لجنة دراسة برئاسة **فوشيه** لاعداد تقرير يعرض على مؤتمر القمة الثانى ، وتوسيع اختصاصات الجمعية البرلمانية الاوربية .

وقام مؤتمر القمة الثانى المنعقد فى بون خلال شهر يونيو سنة ١٩٦١ بدراسة وجهات النظر المختلفة فى شأن تدعيم المنظمات الاوربية ، وانتهى الى ضرورة توحيد الهيئات التنفيذية فى لجنة موحدة ، وتدعيم اختصاصات اللجان المشتركة فيما بين الحكومات ، وجعل اجتماعاتها دورية فى شتى المجالات . على ان غالبية التعديلات المقترحة لم يتم الوصول فى شأنها الى قرارات نهائية ، وظلت معلقة بحيث لم يتيسر عقد مؤتمر القمة الثالث الا فى يونيو سنة ١٩٦٧ ، عندما انعقد فى روما بمناسبة مرور عشر سنوات على توقيع الاتفاقية التى انشأت الجماعة الاقتصادية الاوربية . وقد تميزت الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٧ بتعاقب المشروعات الفرنسية التى اعدها فوشيه وغيره من اعلام الديجولية والمشروعات المضادة المقدمة بصفة خاصة من جانب هولندا وبلجيكا بتوجيه من **لنز** وزير الخارجية الهولندية ، **وسباك** وزير خارجية بلجيكا السابق . على ان محاولات تدعيم الجماعة الاقتصادية الاوربية عن طريق تزويدها بسلطات سياسية لم تسفر عن نتائج ايجابية نتيجة انقسام الراى واصرار فرنسا على ضرورة التنظيم عن طريق الاتفاق فيما بين الحكومات ، بينما تؤثر الدول الخمس الاخرى اقامة تنظيمات فوق الوطنية تنتقل اليها جوانب معينة من سلطات الدول . وفى اثناء مؤتمر القمة الثالث المنعقد فى روما خلال شهر يونيو سنة ١٩٦٧ حاولت الدول الست ان تصل الى حل توفيقى بين فرنسا وشركائها فى السوق الاوربية المشتركة ، ولكن الخلافات حول عدد من المشكلات العالمية وعلى رأسها ازمة الشرق الاوسط ومستقبل النظام النقدى العالمى حالت دون امكان الوصول الى تجاوز ازمة البناء السياسى على اسس مقبولة من الجميع .

والملاحظ ان الفشل الذي منيت به الدبلوماسية الفرنسية خلال عام ١٩٦٢ نتيجة رفض مشروع فوشيه وسائر الديجوليين ، ادى الى اعادة النظر فى الاولوية الممنوحة لاتحاد اوربا الغربية ، والتطلع الى آفاق اخرى فيما وراء ذلك . وهكذا نجد ان اهداف ديجول التى اعلنها فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٤ لم تتضمن اية اشارة الى « السير قدما باتحاد اوربا الغربية ، كما كان الامر فى الماضى »» وفى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٥ اكتفى بذكر انه على استعداد « لاعادة النظر فى السوق المشتركة بين الدول الست « لتحقيق شروط اكثر عدالة وتعقلا » . وتدعم هذه النتيجة دراسة التصريحات الصادرة فى اعقاب اجتماعات مجلس الوزراء ، حيث نجد ان الاشارة الى بناء اوربا قد احتل مكان الصدارة فى خلال عام ١٩٦٢ ، ثم اعقب ذلك هبوط مفاجىء فى عام ١٩٦٣ ، وبدأت منذ عام ١٩٦٤ مرحلة جديدة من النشاط الاوربى تتسم بالتركيز على « التعاون الاوربى » بدلا من الاندماج الاوربى » .

ثالثا ـ الخطوط الرئيسية

سياسة ديجول الاوروبية

ويمكن تلخيص المعالم الاساسية للسياسة الاوربية التى اتبعها الجنرال ديجول طوال فترة رئاسته، والتى كان هو المخطط الاول لها ، فى النقاط الاتية :

١ ـ الاحتفاظ باوربا «الصغرى» مع تطويرها :
عندما عاد الجنرال ديجول الى الحكم فى عام ١٩٥٨ كانت معاهدة روما التى انشأت « **الجماعة الاقتصادية الاوربية** » .C.E.E المعروفة اصطلاحا بالسوق الاوربية المشتركة قد دخلت حيز التنفيذ ، وصار الاتجاه نحو الوحدة الاقتصادية بين الدول الست حقيقة واقعة تتجاوز **الجماعة الاوربية للفحم والصلب** .C.E.C.A وتستهدف تحقيق تجمع اقتصادى موحد فى مواجهة العالم الخارجى ويتم تبادل السلع والخدمات والايدى العاملة والنقود بين اعضائه فى حرية كاملة .

ولم يشأ ديجول ان يرفض ذلك التراث الذى خلفته له الجمهورية الرابعة رغم عدم قبوله من حيث الفلسفة العامة للتنظيمات فوق الوطنية والاجهزة الجماعية التى تقوم على خلق وتشغيل السوق الاوربية المشتركة . ولكن ديجول سعى الى تطوير التنظيمات القائمة على اساس الحد من سلطاتها التى تقيد الدول الاعضاء وتسمو على ارادتهم ، واعتبار ان فرنسا يجب ان تحتل مكانة متميزة باعتبارها الدولة القائدة حيث تـؤهلها للزعامة « امكانياتها واعتبارات موقعها الجغرافى وتقاليدها التاريخية ومثالياتها وصداقاتها » .

واذا كان ديجول يعتبر ان فرنسا هى الزعيمة الوحيدة لاوربا الغربية ، فانه قد تصرف طوال فترة رئاسته على اساس ان المانيا الغربية ليست شريكا عاديا كايطاليا وبلجيكا وهولندا ولوكسمبورج ، وانما يجب معاملتها باعتبار انها شريك لازم ومتميز . ومن هنا كان التعاون الفرنسى ـ الالمانى احدى الدعائم الاساسية التى قامت عليها الدبلوماسية الديجولية ، وذلك بقصد اتقاء « النزعات السيئة » التى يحتمل ظهورها مرة اخرى لدى الشعب الالمانى او لدى حكامه ، وحتى يمكن تسخير الطاقات غير العادية التى يتميز بها ذلك « الشعب الخالد » من اجل البناء لا التخريب .

وعلى هدى ذلك، كان ديجول من المؤيدين لمشروع الاتحاد بين فرنسا والمانيا الذى تقدم به اديناور الى الحكومة الفرنسية فى ٩ مارس سنة ١٩٥٠ . وكان حريصا منذ البداية على الا تتجمع لدى المانيا المقومات التى يمكن ان تؤدى مستقبلا الى اقامة « رايخ » جديد ، وذلك باقتضاء توزيع السلطات بين الولايات وعدم تجميعها فى اطار مركزى ، فضلا عن ضرورة ربط المناطق الصناعية فى وادى الرور والراين بالاقتصاد الفرنسى ، واقامة علاقات ودية بين الشعبين الفرنسى والالمانى .

وجاءت معاهدة ٢٢ يناير سنة ١٩٦٣ تتويجا لجهود ديجول فى ذلك السبيل . ودعمت هذا النجاح الزيارات المتكررة التى قام بها الجنرال لالمانيا الغربية ، حيث تحدث عن « معجزة التقارب بين الشعبين ، والحرارة التى تتسم بها المشاعر المتبادلة بينهما » . ولكن الحماس الذى اثارته معاهدة سنة ١٩٦٣ ، والآمال التى تعلقت بالمشاورات الدورية التى نصت عليها تلك المعاهدة ما لبثت ان انزوت نتيجة استمرار مستشارى المانيا الغربية الذين اعقبوا اديناور فى سياسة الارتباط

الوثيق بالولايات المتحدة واعتبار ان الوجود الامريكى العسكرى فى المانيا هو الضمان الاهم الذى لا يمكن التفريط فيه استنادا الى تحالف وثيق مع فرنسا • ومن هنا كان شعار الديجوليين « اوربا الاوربية » ، بينما الشعار السائد فى المانيا وسائر دول السوق المشتركة هو « اوربا الاطلنطية » للدلالة على ضرورة استمرار ارتباطها بالولايات المتحدة الامريكية •

ب — الدعوة الى « اوربا الكبرى من الاورال الى الاطلنطى » :

من الافكار الثابتة عند ديجول ان بناء الوحدة بين الدول الست فى غرب اوربا ليس هدفا نهائيا مقصودا فى حد ذاته ، وانما هو مجرد خطوة تمثل مرحلة فى سبيل الوصول الى « اوربا الكبرى » التى تمتد شرقا لتضم روسيا والديموقراطيات الشعبية ، وتقوم من الناحية الاخرى باحتواء بريطانيا وشركائها فى المنطقة الاوربية للتجارة الحرة C.E.F.T.A.

والواقع ان ديجول كان حريصا فى كافة كتاباته وتصريحاته على ابراز ان « روسيا » ذاتها جزء من اوربا ، وهى بهذا الوصف حقيقة تاريخية خالدة • واما الاتحاد السوفيتى فهو « امبراطورية » تضم شعوبا اخرى اسيوية ، وهذه القوميات الاسيوية لا تدخل فى « اوربا الكبرى » التى يجب ان تكون فى المستقبل تجمعا من اجل السلام بعد ان تتخلص شعوبها من شبح الحرب الذى سيظل قائما طالما ظلت القارة مجالا للتنافس بين حلفى وارسو والاطلنطى •

والذى لا شك فيه هو ان عبارة « من الاورال الى الاطلنطى » قد استخدمها ديجول استخداما ذكيا لاغراض تكتيكية حتى يجتذب اليه شعوب شرق ووسط اوربا ، ويساعد على تطور سياسة حكوماتها فى اتجاه حيادى • ومن ناحية اخرى فان التعاون « الفرنسى — الروسى » يعتبر بالنسبة لديجول مسالة حيوية يوجبها من ناحية الخوف من احتمال قيام « رايخ » المانى جديد ، ومن ناحية اخرى الرغبة فى اكتساب ثقل اضافى فى مجال المساومة مع كل من الولايات المتحدة وبريطانيا •

جـ — رفض انضمام بريطانيا الى السوق الاوربية المشتركة :

رغم تقدير ديجول العميق للشعب البريطانى ولموقف الحكومة البريطانية منه اثناء الحرب ، واشادته فى اكثر من مناسبة بعمق الروابط التى تجمع بين انجلترا وفرنسا بوصفهما « شريكان لهما مصير واحد » ، فانه قد رفض فى اكثر من مناسبة وبصورة حاسمة الطلب الذى تقدمت به بريطانيا للانضمام الى السوق الاوربية المشتركة ، وقد تعددت التفسيرات التى قيل بها لتبرير ذلك الرفض ، ولكن الجنرال ديجول ذاته كان واضحا عندما ذكر فى ١٤ يناير سنة ١٩٦٣ ان مرد ذلك « ليس **انعدام الثقة والتشكك فى نوايا انجلترا بقدر ما هو انعدام الثقة ، والتشكك فى نوايا واشنطن** » • فالسبب الاساسى لرفض الطلب البريطانى هو خشية ان تكون انجلترا بمثابة « حصان طروادة » الذى يقود الولايات المتحدة الى داخل اسوار السوق الاوربية المشتركة • وما دامت بريطانيا ترفض قبول قواعد السوق كما هى ، ولا تلتزم بانهاء علاقاتها الخاصة مع كل من الولايات المتحدة ودول الكومنولث ، فان السياسة الديجولية تقوم على وجوب الاعتراض على قبول الطلب البريطانى •

ويعتبر التشكيك فى مدى صدق نوايا بريطانيا فى ان تصبح شريكا داخل الاطار الاوربى بمثابة انتقام لديجول من مواقفها السابقة عندما ارادت ان تحتكر مع الولايات المتحدة دور القيادة للعالم الغربى ، وبخاصة فى اجتماعات « **ناسو** » فى سبتمبر سنة ١٩٦٠ بين **ماكميلان** والرئيس الراحل كيندى لتنظيم قوة الردع النووية داخل حلف الاطلنطى دون اشراك فرنسا • فالاعتراض الفرنسى انما اريد به حث بريطانيا على التكفير عن مواقفها السابقة ، واختيار الحل الاوربى حلا صريحا واضحا ، مع ما يتطلبه من التضحية بالارتباطات الاخرى مع الولايات المتحدة ، وسائر المستعمرات السابقة داخل حلف الاطلنطى وخارجه •

د — تطوير حلف الاطلنطى :

وكان الجنرال ديجول قد انتهز فرصة زيارة ماكميلان رئيس وزراء بريطانيا حينذاك لباريس فى ٢٩ و ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٨ وزيارة **جون فوستر دالاس** وزير الخارجية الامريكية للعاصمة الفرنسية فى ٤ و٥ يوليو سنة ١٩٥٨ • واعرب لهما عن رايه فى ضرورة تعديل نظام حلف الاطلنطى واشراك فرنسا على نحو اكثر فاعلية فى الدفاع عن « العالم الحر » ، وفى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ،

قام بتوجيه مذكرة الى كل من الرئيس الامريكى ايزنهاور والى رئيس الوزراء البريطانى عدد فيها المآخذ على مسلك كل من الدولتين فى الماضى، وطالب بادخال عدة تعديلات تتلخص فيما يلى: أ ـ اقامة قيادة « ثلاثية » بين الاقطاب، الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، لتنظيم استعمال قوات الحلف بحيث لا تستقل الولايات المتحدة بالتصرف، أو تحتكر القيادة الفعلية كما هو حادث. ب ـ ضرورة الحصول على موافقة الدول الثلاث على أى اجراء يتعلق بالسلام العالمى، ليس فقط فى القارة الاوربية وانما بالنسبة لكافة انحاء الكرة الارضية حتى لا تتورط فرنسا فى مواقف لا ترتضيها وتجرها اليها الولايات المتحدة، ولا تتعرض من ناحية اخرى لتقاعس امريكا عن التصرف فى وقت يتعين فيه التدخل. جـ ـ وضع كافة امكانيات الحلف بما فى ذلك الاسلحة النووية تحت قيادة مشتركة تساهم فيها فرنسا. حتى لا يوجد على اقليمها سلاح ذرى ليست لها هيمنة على احتمالات استعماله.

ورغم عدم رد كل من الولايات المتحدة وبريطانيا على مقترحات ديجول، فقد لزم الصمت فترة من الزمن، واعادة طلباته على الرئيس الامريكى ايزنهاور خلال زيارته لباريس فى ٢، و ٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩ وعقب فشل مؤتمر القمة فى مايو سنة ١٩٦٠. وظل ديجول طوال تلك الفترة يؤكد تمسكه بحلف الاطلنطى وولاءه لمقتضيات الدفاع عن العالم الغربى، باعتبار ان ما يطلبه هو مجرد « تدعيم وحسن تنظيم » الحلف. وعندما ظهر بصورة قاطعة ان الولايات المتحدة وبريطانيا لا تقبلان مقترحاته، اضطر ديجول الى ان يسير وحده لا عن اقتناع بأن فرنسا يجب ان تنأى عن سياسة الاحلاف، ولكن بحكم الضرورة كنتيجة لرفض الانجلوسكسون اشراكه معهما على قدم سواء فى مسئوليات الدفاع عن العالم الغربى الذى تنتمى اليه فرنسا.

وعلى ذلك الاساس، حمل ديجول منذ بداية عام ١٩٦٢ لواء المعارضة لاستمرار ادماج القوات الفرنسية المسلحة مع قوات الدول الاخرى اعضاء حلف الاطلنطى تحت قيادة أمريكية، مؤكدا « ان دفاعنا ينبغى ان يعود دفاعا وطنيا مرة اخرى ». وعندما اقترحت الولايات المتحدة فى تلك الفترة انشاء ما يسمى **بالقوة النووية المتعددة الاطراف** التابعة للحلف والخاضعة لسيطرة الدول المشتركة بشرط ان يكون لرئيس الولايات المتحدة حق الاعتراض [الفيتو] على استخدامها، هاجمت الحكومة الفرنسية ذلك المشروع الذى اعتبره ديجول محاولة جديدة لتثبيت الزعامة الامريكية على اوربا، اذ ستحرم بذلك من حق الحصول على اسلحة ذرية خاصة بها وتقع نهائيا تحت رحمة الولايات المتحدة. ولكن ديجول حرص على تأكيد ان رفضه للمشروع الامريكى لا يعنى استبعاد امكانية التعاون الاوربى الامريكى، وانما اقترح ايجاد دعامتين للتحالف، احداها أوربية والاخرى امريكية ويتم التنسيق بينهما دون ان تعتمد الواحدة منهما على الاخرى.

سياسة ديجول الاوربية

بين مؤيديها ومعارضيها

لا جدال فى ان ديجول قد استخدم خبرته السياسية الطويلة فى تجميع اكبر عدد ممكن من المؤيدين حول المفاهيم التى ينادى بها عن طريق اشراك الرأى العام فى القضية على هدى شعارات مبسطة، يجتذب بعضها اليمين القومى، ويؤيد بعضها الاخر اليسار العمالى والطلابى، ذلك ان « **أوربا الدول** » التى يتعهدها ديجول يجب ان تقوم على اساس الاحتفاظ لكل دولة بكيانها المستقل وسيادتها الاصيلة بحيث لا تذوب فى كيان جماعى كما كان يستهدف اصحاب الفكرة الاوربية من انصار « الجماعة الاوربية » والدعوة الديجولية تستجيب مع العواطف القومية التى تجيش فى قلوب البورجوازية الفرنسية الوطنية.

ومن ناحية اخرى، فان « اوربا الاوربية » التى نادى بها ديجول قد قصد من ورائها اقصاء النفوذ الامريكى وتكوين قوة مستقلة تستطيع ان تلعب دورا عالميا استقلاليا، وهذا الاتجاه يستهوى التجمعات اليسارية، وعلى اساس الدعامتين السابقتين استطاعت سياسة ديجول الاوربية ان تجد قبولا لدى غالبية الفرنسيين، رغم معارضة انصار « الحزب الامريكى » من السياسيين المحترفين الذين كانت لهم الغلبة فى ظل الجمهورية الرابعة.

وبالنسبة للباحثين والمراقبين السياسيين المحايدين، فقد اعتبروا مواقف ديجول من قضية بناء اوربا دليلا على مدى براعته فى تجميع كافة الامكانيات المتاحة لخدمة فكرته الاساسية من ضرورة استعادة فرنسا لمكانتها العالمية، مع

الاستفادة من دروس التاريخ وروح العصر. ذلك ان مجد فرنسا هو المنطلق الذى تنبع منه مختلف مظاهر السياسة الديجولية ، ولكنه بثاقب بصيرته قد ادرك ان فرنسا لن تستطيع وحدها ان تتملك مقومات القوة اللازمة فى كافة المجالات ، خاصة فيما يتعلق بالتسليح النووى والتكنولوجيا الحديثة • ومن هنا كان الحل الوحيد فى تقديره هو تجميع الجهود والطاقات الاوربية تحت قيادة فرنسا حتى تستطيع ان تحقق ما يعتبره ديجول دورها التاريخى فى نشر رسالة الحرية عن طريق تحطيم القطبية الثنائية ، والقضاء على مناطق النفوذ فى مختلف انحاء العالم .

د . احمد القشيرى

سلطة ديجول « الفرد » مقابل الشرعية الديمقراطية

يتميز النظام الدستورى الفرنسى خلال المدة من ١٨٧٥ الى ١٩٥٨ أى أثناء الجمهوريتين الثالثة والرابعة بصراع بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ، اى بين الحكومة والبرلمان حول من تكون له منهما الصدارة والفاعلية فى النظام الدستورى • ومن الممكن القول بأن البرلمان كانت له الافضلية دستوريا ، أى طبقا لنصوص الدستور ، فى حين كانت للحكومة الفاعلية الواقعية ، وادى هذا التعارض بين الدستور والواقع الى عدم الاستقرار الوزارى الذى ميز هذه الفترة الطويلة •

فمن ناحية كان حق الحكومة فى حل البرلمان غير قابل للتطبيق ، ولذلك كان البرلمان يستطيع دون مخاطرة أن يسقط الحكومة .

كما كان البرلمان طبقا للوائحه الداخلية هو الذى يتحكم فى سير العمل داخله ـ فهو الذى يحدد جدول اعماله . وكل ماكان للحكومة هو أن تطلب ادراج مشروع قانون فى جدول اعمال المجلس دون أن تكون واثقة من اجابة طلبها •

ومن ناحية ثالثة كانت اللجان البرلمانية قادرة أن تتحكم فى نشاط كل وزارة ، بل انها كانت تستطيع أن تعدل فى مشروع القانون المقدم من الحكومة بحيث أن البرلمان لم يكن يستطيع نتيجة لذلك أن يبحث مشروع الحكومة الاصلى ، الا لو تقدم أحد أعضاء البرلمان من أنصار الحكومة بهذا المشروع الاصلى كتعديل للمشروع الذى طرحته اللجنة البرلمانية امام المجلس .

أما المركز الواقعى الافضل الذى كانت الحكومة تتمتع به فهو وضع طبيعى فى الدولة ـ خصوصا فى مجال السياسة الخارجية ، والعسكرية والمالية والاقتصادية • وابتداء من سنة ١٩٤٦ كانت الخطط الاقتصادية ـ وهى وسائل حاسمة فى مجال السياسة الداخلية بل والخارجية ـ توضع وتطبق عمليا دون أية رقابة من البرلمان ، وفى الجمهورية الرابعة لم تعرض على البرلمان الا الخطة الثانية ـ فى وقت كان ثلثا الخطة قد تم تنفيذه

كما جرى العرف على ان تصدر التشريعات بالتفويض فى شكل مراسيم بقوانين • وهكذا اصبحت سلطة التشريع للحكومة لا للبرلمان .

ولقد تمثلت مصاعب النظام الدستورى فى عدم الاستقرار الوزارى بحيث أنه خلال أقل من ١٢ عاما ، تعاقبت فى الجمهورية الرابعة عشرون وزارة بواقع أقل من سبعة شهور للواحدة فى المتوسط •

وفى ١٣ مايو ١٩٥٨ حدث عصيان محلى فى الجزائر بتأييد بعض العناصر العسكرية . فكان هذا هو نهاية الجمهورية الرابعة • وفى أول يونيو وبضغط من الجيش عهدت الجمعية الوطنية للجنرال ديجول برئاسة الحكومة . وبعد يومين منحته سلطة اعداد دستور جديد يعرض للاستفتاء الشعبى ، وفى ٢٨ سبتمبر أقر الدستور بأغلبية ٨٠ فى المائة من الناخبين ، وصدر يوم ٤ اكتوبر ، وبه ولدت الجمهورية الخامسة ، بنظمها السياسية والدستورية الجديدة •

هذه النظام ترتبط بشخص الجنرال ديجول ».
ففي رأى الفقهاء الدستوريين أن واضعى دستور ١٩٥٨ كان هدفهم « وضع صياغة دستورية لشخص الجنرال ديجول »

وهكذا ظهر نظام سياسى جديد تماما فيه أصبح اعتبار شخص معين نوعا من « الشرعية » فى مقابل الشرعية الديمقراطية التقليدية .

ولقد كانت الوسيلة الدستورية الفنية لهذه الصياغة هى طريقة انتخاب رئيس الجمهورية . وهنا مرالنظام الدستورى الفرنسى بمرحلتين : الاولى تضمنها دستور ١٩٥٨ ، والثانية جاء بها التعديل الدستورى الصادر فى ٧ نوفمبر ١٩٦٢ .

ففى النظام الذى صدر به دستور الجمهورية الخامسة ، كان رئيس الجمهورية يتم انتخابه على درجتين : فى الدرجة الاولى يتم اختيار هيئة الناخبين التى تقوم بانتخاب الرئيس بعد ذلك ، وهذه الهيئة تتكون من اعضاء البرلمان بمجلسيه ، ومجالس المقاطعات ومجالس اقاليم ما وراء البحار ، والممثلين المنتخبين من المجالس البلدية وقد حدد الدستور كيفية اختيار ممثلى مجالس المقاطعات .

ويبين من دراسة تكوين هذه الهيئة أن أعيان الريف الزراعيين كان لهم النصيب الاوفى من عدد ناخبى رئيس الجمهورية . لقد كان ١٦ مليون مزارع فرنسى يعيشون فى قرى ، تعداد الواحدة منها اقل من ٢٠٠٠ نسمة يمثلهم ٣٩٫٠٠٠ ناخب . بينما كان ٢٧ مليون فرنسى يعيشون فى مدن تعداد الواحدة اكثر من ٢٠٠٠ نسمة لايمثلهم سوى ٣٣٫٥٠٠ ناخب . أى ان اقلية السكان كانت تمثلهم اغلبية ناخبى رئيس الجمهورية ، بينما الاغلبية غير ممثلة الا بالاقلية من الناخبين .

اكثر من ذلك لقد كان السكان فى قرى تعداد الواحدة اقل من ١٥٠٠ نسمة وهم لا يمثلون الا ثلث السكان ، تمثلهم وحدهم الاغلبية المطلقة من الناخبين الذين يمثلون المقاطعات .

ولهذه الاحصائية دلالتها ـــ فالمقاطعات الزراعية ذات طابع محافظ اكثر من المدن .»

وهكذا كانت هيئة الناخبين ترجح فيها كفة الاعيان الزراعيين . وهذا هو أيضا نفس الحال بالنسبة لناخبى مجلس الشيوخ ، بحيث لم يكن بين المؤسسات الدستورية من ينتخب أعضاؤه بالاقتراع العام الا الجمعية الوطنية . وأصبح النظام بذلك ، على حد تعبير الاستاذ موريس ديفرجيه نظام « أعيان » بمفهوم القرن التاسع عشر ،

ولا يمكن أن يعتبروا ممثلين لفرنسا فى القرن العشرين فى زمن الذرة وصواريخ الفضاء .

ومهما يكن من أمر فان الحماس الشعبى لانتخاب الجنرال ديجول كان طاغيا . وحصل على ٧٨٫٥ فى المائة من جملة أصوات الناخبين الذين ابدوا رأيهم ».

وفى ٧ نوفمبر ١٩٦٢ صدر تعديل للدستور بمقتضاه أصبح رئيس الجمهورية ينتخب بالاقتراع العام المباشر . ولقد قلب هذا التعديل النظام تماما . وبهذا أصبح لرئيس الجمهورية صفة تمثيل الشعب ، يشارك بهذه الصفة فى التعبير عن السيادة الوطنية ـ ويقف على قدم المساواة مع الجمعية الوطنية فى ذلك . ولم يعد من الممكن أن يقال عنه انه رئيس دولة بالمفهوم البرلمانى يملك ولا يحكم . بل ان له بهذه الصفة الجديدة أن يحكم مباشرة دون وساطة الحكومة ، بل اصبحت هذه فى الحقيقة أداة تنفيذ قرارات رئيس الدولة ».

وهكذا حسم دستور الجمهورية الخامسة الصراع الذى كان يدور فى ظل النظم السابقة بين السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية . وأصبح لرئيس الدولة مركز ممتاز من الناحيتين الدستورية أو الواقعية .

ولقد منح الدستور لرئيس الجمهورية سلطات خاصة يستخدمها بنفسه وحده ، دون حاجة ، طبقا لنص المادة ١٩ من الدستور ـــ الى ان يوقع معه الوزير الاول والوزراء المسئولون .

هذه السلطات هى تعيين الوزير الاول ، واستفتاء الشعب على القوانين المتعلقة بتنظيم السلطات العامة أو المعاهدات الدولية ، وحل الجمعية الوطنية ، وممارسة سلطات مطلقة فى حالة تعرض البلاد لخطر جسيم وحال ، كما أن له أن يخاطب البرلمان برسائل تتلى ولا تكون محل مناقشة .

ولرئيس الجمهورية سلطات يمارسها بالاشتراك مع الحكومة تشبه السلطات التقليدية فى النظم البرلمانية .

ويتميز دستور ١٩٥٨ بمفهوم جديد للقانون ، وللسلطة التى يصدر عنها . فالمبادىء الدستورية التقليدية تجعل البرلمان هو السلطة التشريعية العادية ، بحيث أنه لا يسوغ للحكومة أن تصدر قانونا ، كما أن سلطتها فى أصدار اللوائح محددة فى القانون . فالاصل أن تصدر القواعد القانونية من البرلمان ، والاستثناء هو صدورها من الحكومة .

أما الدستور الفرنسي فانه قلب هذا المفهوم ـ بحيث حدد على سبيل الحصر المجال الذى يمكن للبرلمان ان يصدر فيه القانون . أما خارج هذا المجال فان اصدار القواعد القانونية فيه يكون للسلطة التنفيذية .

ولقد أقام الدستور الفرنسي مؤسسات من نوع جديد الى جوار المؤسسات الدستورية التقليدية . فلقد انشأ المجلس الدستورى .

وهكذا عاشت فرنسا طوال السنوات العشر الماضية ، يرتبط فيها « النظام » « بالشخص » ارتباطا عضويا لاينفصم . ولعل خير مايعبر عن هذه الرابطة الوثيقة التصريح الذىأدلى به الجنرال ديجول نفسه فى ٣١ يناير ١٩٦٤ يقول : « انرئيس الجمهورية رجل الامة الذى وضعته هى بنفسها فى مكانها كى يتحمل مصيرها .

« الذى يختار الوزير الاول ، ويعين باقى أعضاء الحكومة ، وله سلطة تغيير الحكومة سواء لانها قد اتمت المهمة التى عهد بها اليها ، أو انها لم تعد تحظى بموافقته .

« ان الرئيس ـ الذى يوقف القرارات التى تتخذها المجالس ، ويصدر القوانين ـ يتفاوض ويبرم المعاهدات ، يصدر أو يمتنع عن اصدار الاجراءات التى تقترح عليه .

« قائد الجيوش ، وصاحب سلطة التعيين فى الوظائف العامة

« الرئيس الذى فى وقت الخطر يجب أن يتخذ بنفسه كل ما ينبغى اجراؤه

« هذا الرئيس هو وحده ـ وهذا أمر واضح ـ الذى يملك سلطة الدولة .. وغنى عن البيان أن سلطة الدولة الكاملة غير القابلة للتوزيع يعهد بها بتمامها الى الرئيس بواسطةالشعب الذى انتخبه . ومهما تكن طبيعة السلطة ـ وزارية أو مدنية أو عسكرية أو قضائية ـ فانه لا يوجد شىء منها الا وهو القادر على منحه والاحتفاظ به »

ويثور اليوم التساؤل الهام . الذى تتوقعه المراقبون منذ بدء تطبيق هذه النظم الجديدة .

وماذا بعد ديجول ...

ان التوازن فىالسلطاتطبقا للدستور الفرنسى مرتبط بفرد واحد له من القدرات الشخصية ، والماضى الطويل،والشعبية ما يستطيع به أنيحتفظ بمركزه الدستورى الممتاز بين مختلف المؤسسات الاخرى .

ماذا يحدث لو أن شخصا ليس فى « قامة » ديجول حل مكانه .. ؟ مثلا لو ان شخصية الوزير الاول كانت أقوى من الرئيس الجديد . ؟

الواقع أنه منذ سنوات طويلة كان فقهاء القانون الدستورى فى فرنسا يرون أنه حين يترك ديجول مركز السلطة ، فان تغييرات عميقة لابد أن تحدث فى النظم الدستورية والسياسية فى فرنسا

وها نحن مقبلون علىهذه المرحلةالجديدةبعدان خلا مركز رئيس الجمهورية من شخص الرجل الذى فصلت السلطات والنظم لتتناسب معه وحده .

د. وليم سليمان

القــوى الســياسـية وموقفهـا من الديجـوليـة

باقامة الجمهورية الرابعة فى اعقاب الحرب العالمية الثانية حدثت تطورات هامة فى الحياة السياسية الفرنسية يمكن ان نجملها فيما يأتى :

أ ـ تقلص نفوذ الاحزاب التقليدية وخاصة اليمينية التى كانت قد قبلت فى مجموعهاالتعاون مع الاحتلال النازى

ب ـ بروز قوتين شعبيتين من خلال حركة المقاومة الداخلية هما **الحزب الشيوعى** الذى لعبت خلاياه دورا قياديا فى الكفاح ضد الالمان وحكومة فيشى . والتنظيمات المسيحية التىاستطاعتلاول مرة فى تاريخ فرنسا الحديث أن تكون تنظيما سياسيا ذا طابع دينى ساهم مع الشيوعيين فى أعمال المقاومة داخل فرنسا المحتلة تحت اسم « **الحركة الجمهورية الشعبية** » M.R.P.

جـ ـ دخول ديجول معترك الحياة السياسية الفرنسية كرئيس لاول حكومة مؤقتة بعد التحرير ، ومحاولته اقامة تنظيم يضم انصاره الذين لحقوا به فى لندن والجزائر ، أطلق عليه « **تجمع الشعب الفرنسى** » R.P.F. »

على أن حركة ديجول « العائد الى وطنه مع

قوات الحلفاء » لم تتمكن فى ذلك الحين من الصمود طويلا أمام قوى المقاومة الداخلية ذات الشعبية الطاغية ، بحيث اضطر للانسحاب من الحكومة تاركا الحكم لائتلاف ثلاثى يضم « **الحزب الشيوعى الفرنسى** » .P.C.F و « **الشعبة الفرنسية للدولية الاشتراكية**.S.F.I.O **والحركة الجمهورية الشعبية !** .M.R.P وتقلص سريعا نفوذ الحزب الديجولى بعد انسحاب زعيمه واعتكافه ، وبالنظر الى النجاح الكبير الذى حققه الائتلاف اليسارى فى كثير من المجالات ، وخاصة بالنسبة للتأمينات التى أجراها واقرار نظام التأمينات الاجتماعية والمزايا العمالية التى ظلت مطلبا جماهيريا ، لم يمكن تحقيقه حتى فى ظل الجبهة الشعبية عام ١٩٣٦ .

الديجولية «الثانية» فى ظل الجمهورية الخامسة : عندما قام الجيش الفرنسى بانقلاب ١٣ مايو سنة ١٩٥٨ ، وطالب قادة الجيش بعودة ديجول الى السلطة ـ لم يقبل أن يتم ذلك بغير الطريق الدستورى بحيث يقوم رئيس الجمهورية حينذاك **رينيه كوتى** بتكليفه أن يؤلف الوزارة . وكان لهذا التصرف آثار عميقه بالنسبة للمستقبل ، اذ لم تمنعه كراهيته لدستور الجمهورية الرابعه من ان يتمسك بوجوب احترامه ، وقد حرص على ألا يصبح أسير قادة الجيش خشية أن يقيدوا حريته فى التصرف مستقبلا باعتبار أنهم الذين اتو به الى الحكم . وكانت لهذا العامل اهميته الخاصة بالنسبة لظروف الحرب الجزائريه ، نظرا لان الهدف الرئيسى من انقلاب الجيش كان ينصب على اتاحة الفرصة « للرجل القوى » ديجول أن يحقق ما عجزت عنه الحكومات الضعيفة السابقة من الاحتفاظ بالجزائر كاقليم فرنسى..ويجمع علماء السياسة على القول بأن المجتمع الفرنسى كان معرضا حينذاك لخطر فاشى محدق يتمثل فى اقامة دكتاتورية عسكرية. ولكن ديجول الذى جاء اصلا ليضمن تحقيق رغبة الجيش فى أن تظل « **الجزائر فرنسية** » استطاع ببراعة ان يتجنب مخاطر الفاشية ويقود فرنسا الى الاعتراف باستقلال الجزائر مع القضاء على احتمالات تدخل الجيش فى الحياة السياسية تدخلا مباشرا .

ويعتبر اقصاء خطر **الدكتاتورية العسكرية** اولى المنجزات السياسية التى استطاع ديجول أن يحققها فى مستهل عهده ، والتى استطاع بسببها ان يكتسب ثقة الجانب الاكبر من الشعب الفرنسى .

الديجولية فى معترك الصراعات الحزبية

هناك تقليد قديم يرجع الى عهد الثورة الفرنسية يجعل غالبية رجال السياسة الفرنسيين ينفرون من ان يطلق عليهم لفظ « اليمين » ويعتبرون ذلك سبة توجب الاعتذار ، ويتمسك كل منهم مهما كانت مواقفه الرجعية بانه « يسارى » ، أو على الاقل من « الوسط » وعلى ذلك فان الاحزاب التى تجمع الرأسمالية الكبيرة تعتبر نفسها من الوسط ، وان كانت فى حقيقتها من قوى اليمين . وعدد من الاحزاب البورجوازية تستخدم شعار « اليسار » وهى من الناحية الواقعة تنتمى الى الوسط .

وتتميز الخريطة السياسية لفرنسا بتعدد قوى المنظمات السياسية :

١ ـ **اليمين الملكى والامبراطورى** ـ وهومكون من مجموعات متناثرة من الافراد الذين مازالوا يتمسكون بشرعية النظام الملكى سواء بالولاء لاسرة **البوربون** الاصلية أو بفرع **الاورليان من سلالة لوى فيليب** ، أو بالنظام الامبراطورى الذى ينتسب الى نابليون .

ورغم قلتهم العددية فان الملكيين والامبراطوريين يتملكون من وسائل الاعلام ما يستطيعون به أن يؤثروا فى جانب من الرأى العام . والثابت أن جانبا كبيرا منهم كانوا يؤيدون ديجول شخصيا ولكنهم لا يقبلون الديجولية وذلك باعتبار أن ديجول يمثل مجد فرنسا والقيم الوطنية التى يدافعون عنها

٢ ـ **اليمين الاستعمارى التقليدى** ، وكان غالبية هذا الفريق الذى يجمع المنادين بضرورة بقاء المستعمرات الفرنسية مؤيدا لديجول فى مستهل حكمه باعتبار انه الوحيد القادر على ابقاء الجزائر مستعمرة فرنسية ، ولكن خاب ظنهم عندما قام ديجول بمنح الاستقلال للمستعمرات الافريقية عن طريق الاستفتاء لتقرير المصير ، وعندما اعترف بحق الجزائر فى الاستقلال . وتعتبر « **منظمة الجيش السرى**» هى المعبر عن وجهة نظر ذلك اليمين الاستعمارى فى محاربتها لسياسة ديجول الجزائرية ، منذ بداية سنة ١٩٦١ بعد قمعه لعصيان الجنرالات فى الجزائر حتى انها دبرت مؤامرة لاغتياله . وقد كونت عدة تنظيمات شبابية أيدت عمليات الارهاب لمنع استقلال الجزائر واستمرت فى نشاطها بعد ذلك ، وعلى رأسها جماعة « **الامة الفتاة** » «**وحماية الغرب** » . وقد ازدادت القوة السياسية لذلك اليمين الاستعمارى بعد عودة الفرنسيين النازحين من الجزائر عقب الاستقلال ، حيث دأبت جمعياتهم على مهاجمة السياسة الديجولية فى كافة المناسبات . ولتقدير مدى قوة ذلك اليمين المعارض لديجول يكفى أن نذكر أن مرشحه فى انتخابات الرياسة عام ١٩٦٥ وهو **تكسييه فينانكور** قد حصل على مليون و **٩٥٨ر٢٣٥** صوتا أى بنسبة **٢٧ر٥ فى المائة** من مجموع اصوات الناخبين .

٣ ـ **المستقلون** : وهم يكونون عدة مجموعات اهمها « **الجمهوريون المستقلون** » .R.O الذين

برأسهم وزير مالية ديجول السابق **جسكار دستان**، ومجموعة « **التقدم والديموقراطية الحديثة** P.O.M. ورئيسها **جاك دوهاميل** »، و« **المركز الوطنى للمستقلين** » بقيادة **كاميل لوران** · وهذه التنظيمات تمثل البرلمانيين والوزراء السابقين الذين ينتمون الى طائفة الرأسمالية الكبيرة ، ويعتبر الاب الروحى لهم جميعا والمحرك لنشاطهم **انطوان بيناى** الذى كان وزيرا للمالية فى أوائل عهد الجمهورية الخامسة · وقد ساروا فى البداية مع ديجول فى اصلاحاته الاقتصادية والمالية معتمدين على ان اصواتهم فى الجمعية الوطنية كانت لازمة لمساندة الحزب الديجولى ، وبالتالى كان لهم ثقل خاص فى تحريك سياسة الجمهورية الخامسة · ولكن عندما قل اعتماد ديجول عليهم نتيجة تمتعه بأغلبية برلمانية دون حاجة الى تنازلات لصالحهم بدأوا يبتعدون تدريجيا عن التعاون معه دون أن يصل الامر الى حد القطيعة الكاملة . وكانت أهم نواحى الخلاف بينهم وبين الديجوليين تدور حول الموقف من الولايات المتحدة والاندماج الاقتصادى الاوربى واحترام الارادة البرلمانية ـ وكانت سياستهم فى السنوات الاخيرة تتمثل فى الموافقة المشروطة التى عبر عنها جسكار دستان بقوله للجنرال ديجول « نعم ، ولكن ·· »

وفى الاستفتاء الاخير وقفت غالبيتهم ضد المشروع الديجولى ، مما كان له أثر كبير فى رفضه ، خاصة وأن قوتهم تعتمد أساسا على طبقة الاعيان والممثلين الاقليميين الذين كان التعديل المقترح لنظام مجلس الشيوخ سيؤدى الى فقدهم لمواقع تأثيرهم السياسى الاساسية. ولكن الملاحظ أنه بعد انسحاب ديجول بدأ المستقلون يقتربون من **بومبيدو** للتفاهم معه على تغيير سياسة ديجول لصالحهم ، وسارع دستان باعلان تأييده لترشيح بومبيدو ، بينما وقف جاك دوهاميل موقفا وسطا بين بومبيدو وبوهير معلنا « انه آسف لعدم وجود لقاء بين الاثنين ، حيث أن أهدافهما تبدو لنا وقد تقاربت كثيرا » . وأما **كاميل لوران** فقد اعلن دون تردد « مادام بيناى ليس مرشحا ، فان اختيارنا يتجه الى بوهير » ·

٤ ـ **المسيحيون** : ظل حزب « **الحركة الجمهورية الشعبية** » M.R.P. ينقسم داخليا ويفقد زعماءه وأنصاره الى أن انعدم تمثيله البرلمانى كمجموعة مستقلة · وكان التعاون بينه وبين الديجولية وثيقا فى السنوات الاربع الاولى من الجمهورية الخامسة ، حيث كان ممثلا فى الوزارة بأربعة وزراء ولكنهم استقالوا بناء على تعليمات الحزب استقالة جماعية احتجاجا على موقف ديجول من السوق الاوربية المشتركة ، باعتبارهم الاباء الروحيون لها وللاتجاه الذى يستهدف الاندماج بين دول غرب اوربا . وقد تعددت التنظيمات المستقلة التى تنتسب الى الحركة الديموقراطية المسيحية ، واتجهت غالبية تلك التنظيمات الى اليمين وعلى رأسها المجموعة التى يرأسها ليكانويه الذى رشح نفسه ضد ديجول فى انتخابات رئاسة الجمهورية عام ١٩٦٥ . والبعض الاخر من تلك التنظيمات ينادى بمبادىء الاشتراكية المسيحية وهو الاتجاه الذى تؤيده جريدة الحركة « **لاكروا** » · ومن أنشط المجموعات التى تعمل فى ذات الاتجاه الجماعة التى اسسها **روبر بيرون** الوزير السابق فى وزارة ديجول تحت اسم « الهدف ـ ١٩٧٢ » للتخطيط والاعداد لانتخابات الرئاسة التى كان مفروضا أن تجرى فى ذلك التاريخ لو لم يقدم ديجول استقالته · والملاحظ أنه رغم عدم وجود نواب يمثلون الاتجاه المسيحى فى الجمعية الوطنية الحالية ، الا ان هناك عددا كبيرا نسبيا من الناخبين مازال محافظا على ولائه للحركة استجابة لدوافع دينية . وآية ذلك ان ليكانويه حصل فى انتخابات عام ١٩٦٥ على ٣ ملايين و٧٦٧ر٤٠٤ اصوات بنسبة ٨٥ر١٥ فى المائة من مجموع اصوات الناخبين ·ويتجه عدد كبير من أولئك الانصار الى تأييد بوهير بوصفه من المخلصين للفكرة الاوربية كما كان ينادى بها **موريس شومان** آخر مؤسسى الحزب .

٥ ـ الراديكاليون ، الحزب الراديكالى هو اقدم الاحزاب الفرنسية ، حيث نشأ فى ظل الجمهورية الثالثة وارتبط اسمه بها باعتباره الحزب الذى قاد مسارها لسنين طويلة · وقد فقد كثيرا من اهميته فى ظل الجمهورية الرابعة ، خاصة عقب انفصال اتجاهاته اليسارية التى كان يمثلها **منديس فرانس وفرانسوا ميتران وادجار فور** · وكان طبيعيا ان يتخذ من بقوا فى الحزب موقفا معاديا للديجولية ، باعتبار ان حياة الحزب قد ارتبطت بالتحالف مع التنظيمات الاخرى المقاربة له على يمينه مباشرة كالمستقلين او على يساره كالحزب الاشتراكى للوصول الى الحكم . وقد قضت الديجولية على ذلك الوضع ، بحيث كان طبيعيا ان يقف الراديكاليون ضد الاستفتاء الاخير ، ويبادروا على لسان **موريس فور** سكرتير عام الحزب باعلان انهم يؤيدون ترشيح بوهير باغلبية ١١٥ صوتا ضد ٦ وامتناع ٩ ·

٦ ـ **الاشتراكيون** : هناك عدة احزاب فرنسية ترفع شعار الاشتراكية ، وقدحاولت في أكثر من مناسبة ان تتوحد فى تنظيم واحد ، ولكن عوامل الانقسام كانت دائما اقوى من عناصر الوحدة مما اضعف من فاعلية « اليسار » الفرنسى · ويعتبر اقدم الاحزاب التى تنادى بالاشتراكية فى فرنسا « **الشعبة الفرنسية للدولة الاشتراكية** » S.F.I.O. الذى نشأ نتيجة الانفصال عن الشيوعيين فى مؤتمر تور سنة ١٩٢٠ . وكان الحزب فى مستهل حياته يتمسك بانه حزب ثورى ماركسى وان كان يرفض اللينينية ، ولكن بمرور الزمن تحول الى

نهج اصلاحي ٦ وذاب منذئولي جي موليه منصب سكرتيره العام عقب وفاة ليون بلوم على مناصبة الحزب الشيوعي العداء بينما اتجه الى مناصرة الاحزاب الرأسمالية • وفي السنوات الاخيرة • حمل على الديجوليين حملات عنيفة على اساس ان اصلاحاتها ـ انما تخدم المصالح الراسمالية الفرنسية الكبيرة ، فيحين انه ينادي بضرورة ربط فرنسا بالمعسكر الغربي وعلى راسه الولايات المتحدة مع مايستتبعه ذلك من تغلغل الاحتكارات الامريكية • وهو في ذات الوقت من اكثر الاحزاب الفرنسية مساندة لاسرائيل ووقوعا تحت تاثير الصهيونية

والى جانب حزب جي موليه يوجد « **الحزب الاشتراكي الموحد** » P.S.V. الذي يعتبر اصدق في اتجاهه الاشتراكي ، وان كانت الغلبة فيه للعناصر المثقفة التي لا ترتبط ارتباطا وثيقا بالحركات العمالية. ويصدر احد اقطابه منديس فرانس مجموعة « **دراسات الجمهورية** » التي تتضمن دراسات على قدر كبير من الاصالة وتسعى الى تطوير الماركسية بما يتفق مع مراحل تطور المجتمعات الغربية ، فضلا عن ان المجلة ـ التي تعبر عن اتجاهاته وهي « **نوفل او برفاتير** » تلعب دورا هاما من الناحية الفكرية • وتتجمع غالبية طاقات الحزب الاشتراكي الموحد في الاوساط الجامعية •

كان فرانسوا **ميتران** بعد انفصاله من الحزب الراديكالي قد كون حزبا اطلق عليه اسم « **الاتحاد الديمقراطي الاشتراكي الجمهوري** » V.D.S.R. كانت له اهمية خاصة في سنوات مابعد الحرب العالمية الثانية باعتبار ان عددا من زعماء القارة الافريقية الناطقين بالفرنسية كانوا اعضاء فيه مثل **سنجور وهوفيت بوانييه**. ولكن تأثير ذلك الحزب كان محدودا في فرنسا مما جعل مؤسسه يسعى الى ادماج حزبه مع حزب جي موليه والجناح اليسار من الحزب الراديكالي بقصد ايجاد تنظيم موحد يضم « **اليسار** » غير **الشيوعي** •وقد نجح في تكوين تنظيم مؤقت على اساس برنامج موحد هو « **اتحاد اليسار الاشتراكي الديموقراطي** » F.G.S.O. توطئة للاندماج في المستقبل • وبمناسبة انتخابات الرياسة في سنة ١٩٦٥ استطاع ان يصل الى اتفاق مع كل من الحزب الاشتراكي الموحد والحزب الشيوعي للتقدم بمرشح واحد وبالفعل تقدم ميتران للترشيح كممثل لليسار الفرنسي باكمله وحصل على **٧ ملايين و٦٥٨ر٧٩٢ صوتا أي بنسبة ٢٣ر٣٢ في** المائة من مجموع اصوات الناخبين وشكل خطرا على ديجول في انتخابات الاعادة • وقد شجعت تلك التجربة على تدعيم الاتجاه نحو الاندماج رغم العقبات التي وضعها جي موليه وحزبه في ذلك السبيل ، وقد تم في شهر مايو سنة ١٩٦٩ تشكيل « **الحزب الاشتراكي** » R.S. الا ان مولده احاطت به شكوك ، ومشكلات اثارتها انتخابات الرئاسة التي جاءت فجأة عقب استقالة ديجول •

والملاحظ ان الانقسامات قد عادت عنيفة في جبهة « اليسار » الفرنسي حيث بادر حزب جي موليه بترشيح دوفير عمدة مارسيليا رغم اعتراض الحزب الشيوعي على ذلك الترشيح ، ورغم النداءات المتكررة التي تقدم بها عدد من التنظيمات والنوادي السياسية اليسارية وكذلك النقابات بضرورة الحرص على تقديم مرشح واحد لليسار يؤيده الجميع • وقد ترتب على ترشيح دوفير ان قام الحزب الاشتراكي الموحد بترشيح سكرتيره العام **ميشيل روكار** • كما قام الحزب الشيوعي بترشيح احد اقطابه **جاك دكلو** • ولاشك في ان تعدد الترشيحات سيؤدي الى اضعاف او انعدام اية فرصة لاحدهم في الفوز ، ولكن الاصرار على ذلك التعدد انما يعكس مدى عمق الانقسامات التي تمزق « اليسار » الفرنسي •

٧ ـ الشيوعيون : الحزب الشيوعي الفرنسي هو اكبر الاحزاب الفرنسية من حيث عدد اعضائه ومن حيث عدد ناخبيه ، اذ تبلغ نسبتهم نحو ٢١ في المائة من مجموع ناخبيه • ولكن طريقة الانتخاب على الاساس القائم في فرنسا تجعل عدد المقاعد التي يحصل عليها في البرلمان اقل بكثير من نسبة الاصوات التي يحصل عليها خاصة وانه لايستطيع الا نادرا الدخول في اتفاقات خلال انتخابات الاعادة • وتمثل العلاقة بين الشيوعيين الفرنسيين والديجوليين نوعا من التناقض ، باعتبار ان العداء بين الطائفتين مستحكم في صدد المشكلات الداخلية حيث تسعى الديجولية الى ادخال اصلاحات جزئية ترضي الطبقات العاملة لاول وهلة ، بينما الحزب الشيوعي يطالب بتعديلات جذرية في البناء الاقتصادي والاجتماعي • واما بالنسبة للسياسة الخارجية ، فان الروح الاستقلالية الديجولية في مواجهة الولايات المتحدة ورفض الاستسلام للاحتكارات الاجنبية التي غزت دولا اوروبية اخرى كالمانيا الغربية وبريطانيا تعتبر جميعا جوانب ايجابية يرحب بها الحزب الشيوعي الفرنسي • وسيظل تأثير هذا الموقف على مجرى الاحداث في المستقبل • ومؤدى ذلك انه لو فرض واجريت انتخابات الاعادة بين بومبيدو وبوهير ، فان عددا كبيرا من الاصوات الشيوعية ستذهب الى الاول باعتبار ان ارتباطات بوهير بالاوساط الاوروبية

والامريكية معروفة وليست محل انكار منه هو ذاته .

ويتعين التنوية فى هذا الصدد الى أن الحزب الشيوعى الفرنسى قد تعرض فى السنوات الاخيرة لمنافسة من جانب جماعات يسارية جديدة تشكك فى مدى ثوريته والتزامه بمبادىء الماركسية اللينينة . وغالبية التنظيمات اليسارية الجديدة تضم طلابا ومثقفين ذوى اتجاه صينى يعتبرون ان افكار ماوتسى تونج هى الاصدق تعبيرا عن الفكر الماركسى كما ان عددا آخر من التجمعات الطلابية تعتبر ان **فيدل كاسترو وجيفارا هما** الصورة المعاصرة لليسارية الجديدة . فضلا عن ان الاتجاه **التروتسكى** يجد بعض الصدى لدى انصار « **الجامعة الشيوعية** » **التى تتبع** « الدولية الرابعة » التى انشأها الاقتصادى البلجيكى **ماندل** . وقد لعبت مختلف تلك الاتجاهات مع الجماعات الاخرى الفوضوية التى اعتبر **كوهين بنديت** زعيمها دورا هاما فى احداث مايو سنة ١٩٦٨ ، واتهمت الحزب الشيوعى الفرنسى بانه قد صار حزبا اصلاحيا وانه خان قضية الثورة البروليتارية .

ورغم حل غالبية تلك التنظيمات ومصادرة نشاطها ، فان انصارها مازالوا يباشرون ضغطا وتأثيرا كبيرين . وقد تقدم **آلان كريفين** ، احد اقطاب « الجامعة الشيوعية » كمرشح لانتخابات الرئاسة عقب استقالة ديجول ، واستطاع ان يجمع عدد التوقيعات اللازمة للترشيح ، كما حصل على تأييد **جان بول سارتر** . ومن الثابت انه ليست لدى آلان كريفين اية فرصة للفوز ، ولكنه يريد ان يستفيد من امكانيات حملة الدعاية الانتخابية ليسمع صوت اقصى اليسار لاكبر عدد من الفرنسيين ويشرح لهم وجهة نظر الجماعات الطلابية الثورية فى « ثورة مايو سنة ١٩٦٨ » ومستقبلها .

٨ ــ **الحزب الديجولى** : كان اول تنظيم سياسى حمل لواء الديجولية هو « **تجمع الشعب الفرنسى** » .R.P.F الذى انشأه الجنرال سنة ١٩٤٧ . والجامع بين اعضاء التنظيم الديجولى هو رفضهم العودة الى النظام البرلمانى الذى كان سائدا فى فرنسا قبل الحرب والذى يعتبر فى رأيهم المسئول عن ضعف فرنسا وانهيارها أمام الالمان فى ايام قليلة . ولكن من ناحية البرنامج الاقتصادى والاجتماعى لم يكن هناك التقاء بين الديجوليين حول مفهوم معين بحيث ضمت صفوفهم ممثلى اليمين والوسط الى جانب بعض اصحاب الاراء التقدمية وذوى الميول « الاشتراكية » المعتدلة الذين ينادون على وجه الخصوص بالمشاركة بين رأس المال والعمل لتحقيق نوع من « الرأسمالية الشعبية » من أمثال **رينة كابيتان ولويس فالون** .

ولكن عزلة الجنرال ديجول حينذاك وعدم وجود اطار فكرى موحد يجمع انصاره كانت عوامل حاسمة ادت الى تفتت « تجمع الشعب الفرنسى » وانهياره منذ عام ١٩٥٦ بعد ان حصل فى انتخابات نوفمبر سنة ١٩٥٨ على ٣ ملايين و٦٠٠ الوطنية .

وعقب عودة ديجول الى الحكم تم بعث التجمع القديم فى قالب حزب جديد أطلق عليه « **الاتحاد من اجل الجمهورية الجديدة** » .V.N.R الذى حصل فى انتخابات نوفمبر سنة ١٩٥٨ على ٣ ملايين و ٦٠٠ الف صوت فى الدور الاول للاقتراع و ٤ ملايين و٧٥٠ ألفا فى انتخابات الاعادة بحيث استطاع أن يجمع ٢٠٦ مقاعد فى الجمعية الوطنية مستفيدا من نظام التصويت على حساب كل من اليمين التقليدى واليسار التقليدى . ونظرا لعدم حصوله على الاغلبية المطلقة فى البرلمان اضطر للتحالف مع تجمعات الوسط الى أن تمكن لاول مرة فى انتخابات سنة ١٩٦٨ أن يحرز أغلبية ساحقة بفضل أحداث مايو من ذلك العام التى حولت اليه عددا من أصوات الناخبين الذين أطلق عليهم « **حزب الخوف** » للتدليل على انهم لم يختاروا الديجولية عن أيمان بمبادئها وانما بقصد انقاذ فرنسا مما اعتبروه خطر الفوضى الذى تهدد الوطن بمناسبة الاضرابات العمالية والمظاهرات الطلابية . ودليل ذلك أن الحزب الديجولى الذى كان قد غير اسمه حينذاك الى « **الاتحاد من أجل حماية الجمهورية** » .V.O.R قد حصل على زيادة فى عدد الأصوات بلغت مليونا و٢١٤٦٢٣ بالمقارنة بانتخابات ١٩٦٧ أى فى اقل من عام . هذا بينما فقد اليسار ما يقرب من المليون صوت ادت الى تغييرات بالغة فى توزيع عدد المقاعد كنتيجة لنظام الانتخاب .

والملاحظ أنه حتى فى وجود ديجول كانت الانقسامات الايديولوجية تحول دون اندماج الديجوليين فى تنظيم موحد ، اذ كانت الغلبة فى الـ.V.N.R وفى الـ.V.O.R للعناصر اليمينية التى ترى فى ديجول منقذا للرأسمالية ــ وهذه العناصر التى تلتف حاليا حول بومبيدو ليطور الديجولية فى ذلك الاتجاه المرجو . وأما الجناح اليسارى الديجولى الذى يتزعمه **كابيتان وفالون** وكان هو المحرك من خلال تنظيماته الخاصة وخاصة « **الاتحاد الديموقراطى للعمل** » .V.O.T ومجلة « **جمهوريتنا** » لمشروعات دفع ديجول الى احداث تغييرات اجتماعية هامة كمشروع اشراك العاملين فى الادارة ومشروع التنظيمات اللامركزية الذى سقط فى الاستفتاء الاخير لانه ينال من المزايا المكتسبة لطوائف الاعيان . وقد بدأ

اليسار الديجولى منذ الامد ينبه الى أن بومبيدو سوف لايسير فى ذات الخط الديجولى . ولم يتردد المرشح الديجولى للرئاسة فى أن يصرح بأن « الديجولية تحتاج الى تغيير ، لان رفض الاستفتاء معناه الحاجة الى التغيير » . وتشير الدلائل المبدئية لتشكيل « لجان المساندة » فى الانتخابات على نحو يضم اليمين والوسط غير الديجولى من ناحية وتصريحات زعماء احزاب الوسط من ناحية أخرى على أن هناك تقاربا بين بومبيدو وافكار بوهير مما يؤذن ببداية التفكك فى التجمع الديجولى وانفصال الجناح اليسارى منه تدريجيا .

الديجولية وجماعات الضغط

لم يعد من الممكن الاكتفاء فى تحليل القوى السياسية المنظمة بالوقوف عند الاحزاب والتنظيمات ذات الاصوات السياسية المعلنة ، اذ تتضمن المجتمعات العصرية جماعات عديدة أخرى قد لا تهدف مباشرة الى الوصول للسلطة ولكنها تسعى لدفع الحياة السياسية فى اتجاهات معينة عن طريق التأثير والضغط على الاحزاب والسلطة . وظاهرة جماعات الضغط ليست جديدة فى فرنسا ، ولكن أهميتها تزايدت فى السنوات الاخيرة بحيث لعبت دورا هاما فى التطور الذى ادى الى انتهاء حكم ديجول والذى سينعكس بالضرورة فى الاحداث المقبلة .

١ — الاوساط المالية والرأسمالية ، الى جانب محاولات الضغط الفردية وغير المنظمة ، توجد فى فرنسا جماعات منظمة تمارس ضغوطا سياسية بحكم القوة الاقتصادية التى تمثلها . ويعتبر « **المجلس الوطنى لارباب الاعمال الفرنسية** » C.N.P.F. (1) ابرز تنظيم يضم مختلف القطاعات الرأسمالية العاملة فى شتى فروع الصناعة والتجارة . وقد ساند ديجول فى الفترة الاولى من حكمه بقصد ايجاد الاستقرار المناسب ودفع النمو على نحو منتظم ، ولكن منذ تنحية دستان عن وزارة المالية وتباعد بيناى عن الديجولية ومناداة ديجول باشتراك العمال فى الادارة بدأ المجلس يناوىء ديجول ويمهد لمعركة خلافته دون أن يصطدم به مباشرة . ويعتبر المجلس مع الاوساط المالية والمصرفية الممثل الحقيقى للرأسمالية الكبيرة بشقها الوطنى الذى ينتظر أن يؤيد بومبيدو المدير السابق لبنك روتشيلد والشق الاوروبى والامريكى الذى يقف وراء **بوهير** .

وبالنسبة للرأسمالية المتوسطة والصغيرة المتجمعة فى اطار « **الاتحاد العام للمشروعات الصغيرة والمتوسطة** » C.G.P.M.E. فانها قد وقفت من ديجول موقفا مترددا منذ البداية باعتبار أن مشروعاته انما تخدم فى المقام الاول الرأسمالية الكبيرة ، بينما يقوم اصحاب المشروعات الاقل حجما بتحمل العبء الاكبر من الضرائب . ومن ناحية أخرى ، فان مشروع اللامركزية الاقليمية على أساس المناطق التى تشمل عدة محافظات كان يهدد بابتلاع مجالات نشاطها التقليدى .

ويتفق ممثلو الرأسمالية المتوسطة والصغيرة مع « **الاتحاد العام للكادرات الفنية** » C.G.C. فى انتقاد السياسة الخارجية الديجولية من حيث أنها تقتضى نفقات ضخمة للاحتفاظ بمظاهر المجد وتقدم مساعدات لبعض الدول لاتتناسب مع موارد فرنسا ، وبالتالى ، فان معارضتهم للسياسة الاستقلالية فى مجالات الدفاع وانشاء قوة نووية ذاتية وتحدى النفوذ الامريكى انما تعكس المصالح الطبقية للبرجوازية الفرنسية المتوسطة . وقد بدت هذه الضغوط فى الاستفتاء الاخير بعد أن كانت قد انحازت مؤقتا الى ديجول تحت تأثير صدمة أحداث مايو سنة ١٩٦٨ .

٢ — الاعيان والملاك الزراعيون : تتمتع تجمعات الاعيان وطوائف المزارعين بثقل سياسى ضخم فى فرنسا بحكم النظام الانتخابى السائد ونتيجة عدم انقسامها الى مستويين كما هو الحال بالنسبة للرأسمالية الصناعية والتجارية باعتبار أنه لايوجد فيما بينهم تناقض جوهرى فى المصالح . ولذلك فان « **الاتحاد الوطنى لنقابات المستغلين الزراعيين** » F.N.S.E.A. يضم الجميع ، ويمارس تأثيرا كبيرا على الحكومات المتعاقبة فى فرنسا . وقد وقف الاتحاد وراء ديجول فى سياسته الزراعية تجاه السوق الاوربية المشتركة وسانده فى اتجاهاته الوطنية ازاء أمريكا وطلب انضمام بريطانيا الى السوق . ولكن التعارض بين الديجولية ومصالح البورجوازية الزراعية برز بوضوح فى نتيجة الاستفتاء الاخير . ذلك ان مجلس الشيوخ يمكن ان يطلق عليه تعبير « المجلس الزراعى » على أساس أن نظام الانتخاب يجعل ٥٣ فى المائة من الاصوات فى يد ممثلى القرى التى لايزيد عدد سكانها عن ١٥٠٠ شخص . وكان مشروع « تطوير » مجلس الشيوخ سيسلبهم تلك الاغلبية المطلقة . كما أن نفوذهم السياسى كان سيضعف الى حد كبير اذا ماانتقل التخطيط والتنفيذ الى مناطق واسعة تشمل عدة محافظات ويسيطر عليها التكنوقراطيون الذين يمثلون الرأسمالية الصناعية والتجارية . وعلى أساس

---

(1) Concile National du Patronnat Francais

ادراك الدور الذى لعبته طوائف الاعيان والمزارعين فى رفض الاستفتاء وخروج ديجول من الحكم يمكن القول بأن أى مساس بنظام مجلس الشيوخ سيكون مستحيلا فى المستقبل القريب ، وقد اكتسب بوهير جانبا كبيرا من شعبيته بينهم على أساس أنه « منقذ » **المجلس والاقاليم من الزحف التكنوقراطى** ٠

٣ ـ الجماعات الدينية والنوادى السياسية : رغم الحرص على تقاليد الثورة الفرنسية القائمة على الفصل بين الدين والدولة ، فان التنظيمات الدينية قد نشطت فى فرنسا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية بدرجة كبيرة ٠ وأدى اشتراك رجال الدين المسيحى فى المقاومة ضد النازية وارتباط بعض جماعات القساوسة بالعمال وحركات التحرر الوطنى فى المستعمرات الى ازدياد شعبية دعاة الديموقراطية المسيحية ، وخاصة الجناح « الاشتراكى » منهم الذى يصدر مجلتى « **تموينياج كريستيان** » و « **العمل الشعبى** » ٠ وقد دعم ديجول من نفوذهم باصدار قانون مساعدة التعليم الخاص فى سنة ١٩٦٠ ، وهو القانون الذى أثار انتقادات شديدة من جانب أنصار توحيد التعليم فى القطاع الحكومى واستقلاله عن الدين ٠ وتقف الكنيسة المسيحية والجماعات الدينية فى مجموعها وراء الديجولية ، وان كان أنصار الاندماج الاوربى على أساس التعاليم المسيحية يضيقون ذرعا بالطابع الوطنى لسياسة ديجول ، ويمارسون ضغطا لحمل الديجولية على تغيير موقفها من الوحدة الاوربية والسير بخطى أوسع فى ذلك الطريق ٠

واما بالنسبة للجماعات الدينية اليهودية والصهيونية ، فأنها قد دأبت منذ حرب يونيو سنة ١٩٦٧ على مهاجمة ديجول بسبب موقفه من اسرائيل ، ولم تفقد الرجاء فى أن تؤثر على من سيخلف ديجول لحمله على تغيير السياسة الفرنسية من مشكلة الشرق الاوسط ٠

والى جانب الجمعيات الدينية احتلت النوادى السياسية مكانة هامة فى التأثير على الاحداث ، حيث يجتمع عدد من الخبراء ذوى الميول المتقاربة لبلورة اتجاه معين والدعوة له على اساس برنامج محدد ودراسات علمية ٠ ومن امثلة ذلك « **نادى جان مولان** » الذى ينادى بطريق جديد نحو الاشتراكية يتفق مع ظروف الدول التى قطعت شوطا فى طريق اقامة مجتمع صناعى متقدم ، ونادى « **الديموقراطية والتقدم** » الذى يضم ممثلى طائفة المديرين وكبار التكنوقراطيين الذين يخططون لمجتمع الرفاهية ٠ والاول يعارض الديجولية ويعمل من أجل تجميع اليسار للحلول محلها ٠ بينما الثانى يسعى الى تدعيم الديجولية وتطويرها بعد اختفاء ديجول من مسرح الحياة السياسية حتى تندمج فى أسرة الاطلنطى الكبيرة التى تضم الولايات المتحدة وكذا من الناحية المقابلة الى جانب انجلترا وغرب أوربا ٠

٤ ـ النقابات العمالية : تتميز فرنسا بتعدد التنظيمات النقابية وارتباط كل اتجاه فيها بأحد الاحزاب السياسية ٠ ويعتبر « **الاتحاد العام للعمل** » C.G.T. أقوى التجمعات النقابية وأقدمها حيث تأسس عام ١٨٩٥ ويضم أكثر من ٦ ملايين عامل ٠ وهو مرتبط من الناحية الواقعية بالحزب الشيوعى الفرنسى رغم احتفاظه باستقلاله رسميا ، ويمثل اعضاؤه الكتلة الانتخابية الامنية للحزب ٠ وقد وقف ذلك الاتحاد على الدوام ضد الديجولية بصورة أشد من الحزب الشيوعى ذاته ، باعتبار أن ما يعنى الاتحاد اساسا هو النظام الاقتصادى والاجتماعى الداخلى وفى تقديره أن الديجولية تمثل الرأسمالية الذكية التى تنقل السلطة تدريجيا الى جيل من الخبراء التكنوقراطيين بينما تسترضى العمال ببعض المزايا والتعديلات الجزئية ٠ واستطاع الاتحاد أن يهدد النظام الديجولى بالمظاهرات الضخمة واحتلال المصانع فى مايو سنة ١٩٦٨ ، وهاجم مشروعات « المشاركة » التى تقدم بها ديجول لتهدئة الازمة ، كما أنه بالنسبة للاستفتاء الاخير وقف ضده ليس عن ايمان بضرورة بقاء مجلس الشيوخ او عن رفض لفك اللامركزية الاقليمية ، وانما باعتبار أن التعديل المقترح سيقضى على دور النقابات ويحل محلها مجالس لهيئة ذات طابع فاشى تكون أداة طيعة فى يد الرأسمالية الكبيرة ٠ ويمثل أعضاء الاتحاد السند الحقيقى لجاك ديكلو مرشح الحزب الشيوعى الفرنسى فى انتخابات الرئاسة ٠

والى جانب الاتحاد العام للعمل C.G.T. يوجد تنظيمان آخران ينافسانه ، احدهما « **القوة العمالية** » F.O. الذى يسيطر عليه الحزب الاشتراكى منذ أول انشائه فى عام ١٩٤٧ لمناوءة النفوذ الشيوعى بين العمال ، ولكن امكانياته فى تناقص مستمر بحيث لم يعد يمثل قوة حقيقية فى السنوات الاخيرة ٠

أما التنظيم الاخر ، فهو « **الاتحاد الفرنسى الديموقراطى للعمل** » C.F.O.T. الذى المسيحى » F.O.C. ، وقد اثبت فاعلية كبيرة انشائه جماعات نشطة من « الشباب العمالى فى السنوات الاخيرة ، وبخاصة أثناء حوادث مايو سنة ١٩٦٨ حيث وقف صفا واحدا مع الاتحاد العام للعمل ٠٠ ولكن من غير المتوقع أن يلعب دورا سياسيا مباشرا فى المرحلة الحالية حيث ينادى بالابتعاد عن الارتباطات الحزبية والسعى الى التركيز على المطالب العمالية حتى يكتسب مواقع ثابتة فى المصانع ويزيد من امكانيته التى لاتتجاوز

حاليا السيطرة على ١٩ فى المائة من النقابات العمالية ٠

٥ ـ **الاتحادات الطلابية والتعليمية : برزت** الاتحادات الطلابية والنقابات التى تضم رجال التعليم كقوة سياسية منذ أوائل عام ١٩٦٨ للمطالبة بتعديل النظم التعليمية التقليدية ، وتخصيص طاقات أكبر للبحث العلمي ٠ وتحت تاثير مجموعات من الاساتذة ذوى الاراء التقدمية والشباب اليسارى استطاع « **الاتحاد الوطنى للطلبة الفرنسيين** » V.N.E.F. ، وبعض النقابات التعليمية وخاصة « النقابة الوطنية للتعليم العالى » S.N.E.P. أن يقوموا بمظاهرات عاصفة واحتلال الكليات لدفع الحكومة الى الاستجابة لمطالبهم فى تعديل النظام الجامعي واشراك الطلبة فى ادارة الكليات ٠

وأخذت الاحداث مظهرا ثوريا عندما اقتحمت **قوات الامن الحرم الجامعي : وانتقل التظاهر والاعتصام الى المصانع نتيجة جهود « مجموعات العمل المشترك بين العمال والطلبة »** . ولاشك فى أن الحوادث العنيفة التى تميز بها شهر مايو سنة ١٩٦٨ قد هزت بشدة النظام الديجولى ، ولكن الصدمة التى أحدثتها ادت الى تنبيه اليمين والوسط الى الحالة الثورية الكامنة بحيث نسوا خلافاتهم الاخرى واستطاعت الديجولية أن تخرج من الانتخابات العامة بانتصار كبير ٠ وقد فجرت الازمة ، من ناحية أخرى مشكلة « **اليسار الفرنسى التقليدى** » وحالة التفكك الذى يعانيه بحيث صار مهددا بأن تجرفه التطورات اذا لم يستطع أن يجمع صفوفه وينفتح لتفهم الحقائق الجديدة والتحديات التى يمثلها جيل ثائر على الاوضاع السائدة فى المجتمع الرأسمالى « الفرنسى » وحتى يتحقق ذلك فان اليمين والوسط سيستمران فى حكم فرنسا وتطوير الديجولية بعد ديجول كى تصبح اكثر استجابة لمتطلبات « **الحزب الامريكى** »و « **الحزب الاوربى** » اللذان يختفيان وراء مسميات اخرى مضللة ابتداء من « **الجمهوريين المستقلين** » برئاسة جسكار ديستان الى « **الشعبية الفرنسية للدولة الاشتراكية** » تحت زعامة جى موليه وجاستون ديفير ٠

د٠ عفاف مراد

الاقتصـــــاد الفـــرنسى فى ظل الجمهورية الخامســة

السياسة والايديولوجية

لم يكن ديجول ، كما يظن البعض عندنا ، مصلحا اجتماعيا يبغى احداث تغيير فى البنيان الرأسمالى لفرنسا ٠ وأفكاره عن « المشاركة بين رأس المال والعمل »غامضة تستعصى على كل تحديد . والسنوات الاحدى عشرة التى أمضاها فى الحكم لم تشهد أى محاولة لاخراج تلك الافكار الى حيز التنفيذ ٠ والواقع أن الرجل كان نتاجا صادقا لبيئته وأسرته والجو الفكرى الذى ترعرع فيه حين بنت الاحتكارية الفرنسية فى ظل **الجمهورية الثالثة « عظمة فرنسا »** التى كثيرا ماكان يتحدث عنها الجنرال : قوة مالية كبرى كانت تقرض معظم الدول ، وصناعة نجحت فى ترجمة مايتفتق عنه العلم الى منتجات رائدة (مثل صناعة السيارات ، والطائرات والسينما فى مستهل القرن الحالى) ، وجيش كبير حديث التسليح حسن التدريب عموده الفقرى ضباط يتوارثون العسكرية أبا عن جد ، ومعها قدر كبير من الثقافة الادبية والعلمية ، وامبراطورية واسعة ، وكلمة مسموعة فى الشئون الدولية ٠ ولذلك كان من الطبيعى أن يتبنى « سياسة اقتصادية» جديدة ، ولم يكن

منتظرا ان يحمل « ايديولوجية اقتصادية » جديدة ·

ملامح أساسية

وقد كانت السياسة الاقتصادية للجمهورية الخامسة محصلة لدروس مستفادة من حياة الجمهورية الرابعة من ناحية ، وللاراء والمقترحات التى أفضت اليها دراسات الخبراء والفنيين من ناحية اخرى . وكان هدفها العام واضحا : ان يسترد الاقتصاد الرأسمالى الفرنسى مكانته المرموقة بين الدول الرأسمالية الكبرى · وكان لتلك السياسة معالم أساسية نلخصها فيما يلى :

١ ـ **من الاستعمار القديم الى الاستعمار الجديد** : لقد قال **منديس فرانس** فى سنة ١٩٥٤ وهو يبرر قبول الانسحاب من الهند الصينية ان حرب فرنسا ضد فيتنام التى استمرت تسع سنوات قد كلفت فرنسا أكثر من كل المعونات التى حصلت عليها من **مشروع مارشال** · وكانت النتيجة الوحيدة لتلك الحرب هى استحالة النصر وتقلص فرص تحقيق الربح أمام الرأسمالية الفرنسية ، وخضوع باريس المتزايد ازاء واشنطون نظرا لاعتمادها على المعونة الامريكية ·

وفى نفس الفترة كانت المانيا الغربية تحقق « معجزتها » · ولم تكن أسباب تلك المعجزة بخافية على الخبراء · فقد استخدمت المانيا الغربية الاموال الامريكية فى بناء أحدث مصانع فى العالم ، ولم تتحمل حتى سنة ١٩٥٥ أى أعباء عسكرية اذ لم يكن لديها قوات مسلحة · ولكن فرنسا ماكادت تخرج من حرب فيتنام حتى تورطت فى حرب الجزائر التى استمرت سبع سنوات أخرى · وقد حاول ديجول خلال سنوات أربع أن يكسب الحرب ضد الثورة الجزائرية ، ولكن النصر العسكرى تضاءلت فرصه يوما بعد يوم ، والاعباء المالية ظلت تتزايد ، فى حين خلقت هستريا « **الجزائر فرنسية** » جوامواتيا للمغامرات فحاول عدد من الجنرالات الاستيلاء على السلطة ابتداء من الجزائر ، كما استولى فرانكو قديما عليها ابتداء من منطقة الريف المغربية التى كانت خاضعة لاسبانيا . وكانت خبرة ديجول وقدرته كافية لان يستفيد من الدرس الى أبعد مدى فهيأ الفرص لاستقلال كل مستعمرات فرنسا الافريقية وساعد على أن تستقر فى الحكم فيها قيادات معروفة بماضيها الوطنى ، ولكنها « تعترف بجميل الجنرال » وتحرص على استمرار العلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية الوثيقة مع فرنسا . وكان التخلص من حروب المستعمرات وأعبائها بمثابة دفعة كبرى للاقتصاد الفرنسى ، وساعد على جنى ثمارها أساليب الاستعمار الجديد ·

٢ ـ **صناعة حديثة** : لقد تراجعت الصناعة الفرنسية حتى أواسط الخمسينات فى داخل ركب الرأسمالية العالمية ، فالحرب العالمية الثانية قد حملت اليها التخريب والاستنزاف على يد الالمان ، فضلا عن حرمانها من الاستثمارات الجديدة ومن الاختراعات التى ظهرت خلالها سنى القتال . وفترة المد ايديموقراطى التى أعقبت تحرير فرنسا أشاعت الذعر فى نفوس الرأسماليين الفرنسيين فهربوا كثيرا من رؤوس أموالهم الى الخارج ، وجمدوا بعضها فى استثمار غير منتج مثل الجواهر واللوحات الفنية ·· الخ ·

وانشغال حكومات الجمهورية الرابعة بالحروب الاستعمارية واعتمادها على المعونات الامريكية جعلاها تهمل تطوير الصناعة المحلية . والطابع العائلى لعدد من الشركات الصناعية جعل مراكز القيادة فيها فى أحوال كثيرة بيد ابناء الاسرة ، حارما اياها من الخبرات الفنية والادارية والروح الوثابة التى تتميز بها فئة المديرين المحترفين ، والتى استفادت منها الاحتكارات الامريكية على نطاق واسع · وكان أهم مظهر لذلك كله هبوط انتاجية الصناعة الفرنسية لا بالمقارنة بأمريكا فحسب ، بل بالمقارنة بالمانيا الغربية وأحيانا بايطاليا أو بلجيكا . وآثر كثير من العناصر الاحتكارية الفرنسية الارتباط بالاحتكارات الامريكية ، فى حين سعى بعضهم للتداخل مع الاحتكارات الالمانية أو الايطالية فى اطار السوق المشتركة التى تم توقيع اتفاقيتها قبل وصول ديجول الى السلطة .

وقد عمل ديجول على تغيير هذه الاوضاع تغييرا كبيرا ، معتمدا على الخبراء الفنيين ، أو على **التكنوقراطيين** كما يقولون فى فرنسا · وكان على الدولة فى ظل السياسة الجديدة ، أن تمول من الاموال العامة كل ماتعجز الشركات عن توفيره لنفسها ابتداء من دراسة التطور الاقتصادى المحتمل والتخطيط له ، الى توفير الطاقة المحركة والتمويل المصرفى من القطاع العام بأبخس الاسعار ، الى الانفاق على البحوث الفنية ، الى الاعفاء من الضرائب فى المشروعات الرائدة ، الى محاباة الشركات التى تستجيب لتوجيهات الحكومة فى عقود التوريد الحكومية .. الخ . وأنتجت هذه

السياسة ثمارا طيبة فى عدد من الصناعات الاساسية فى مقدمتها صناعة الطائرات الحربية والمدنية [الميستير والميراج والهليوكوبتر « الويت » وطائرة الركاب «كونكورد» التى تحطم حائط الصوت) وفى البترول والبتروكيماويات ، وفى صناعة الاليكترونيات .. الخ .

٣ ــ **زراعة رأسمالية** ، واتجهت السياسة الاقتصاديه فى الريف نحو تصفية وضع الفلاح الصغير بأساليب انتاجه المحافظة ، والملكية الكبيرة غير المشتغلة بالزراعة ، بحيث يسود الريف الفرنسى نموذج « الزارع الرأسمالى » السائد فى الولايات المتحدة . أما بالنسبة للملكيات « الغائبين » الكبيرة ، فقد تدخل القانون ليضمن عقودايجار طويله المدى (٩ سنوات) ، وليشجع البيع للشركات الزراعية أو شركات الصناعات الغذائيه وللمزارعين . وصدر عدد كبير من التشريعات لتسهيل هجر عدد كبير من صغار الفلاحين للزراعة ليشتغلوا عمالا صناعيين بحيث زاد باستمرار حجم المزارع الصغرى ، وكذلك قدمت الحكومة كل انواع التسهيلات لاصحاب تلك المزارع ليتجمعوا فى تعاونيات ذات طابع راسمالى واضح .

٤ ــ **تركز احتكارى متزايد** : ولم يكن هذا التطور كله متصورا ، فى اطار اقتصاد رأسمالى بدون تركز احتكارى متزايد . ولكن حكومات ديجول المتعاقبة لم تقنع بمباركة ذلك التركز ، بل دفعت اليه دفعا ، استخدمت فى سبيل تحقيقه كل أساليب الضغط والاغراء . لقد كان شعار الرأسمالية الفرنسية فى النصف الاول من القرن الماضى كلمة قالها **جيزو** رئيس وزراء **لوى فيليب** : « عليكم بالاثراء » . أما الشعار الذى ساد فى ظل الجمهورية الخامسة فقد اصبح بتكوين شركات ضخمة » تحتمل المقارنة « عليكم بتكوين شركات ضخمة » تحتمل المقارنة خمسمائة شركة فى العالم التى تنشرها بالشركات العالمية وتظهر فى المقارنة السنوية لاكبر مجلة « **فورشن** » الامريكية ...

وبالفعل امتدت حركة الاندماج فى كل فروع الاقتصاد الفرنسى : البنوك ، الصلب ، السيارات ، الكيماويات ، البترول ... الخ . وضرب القطاع العام المثل الرائد بمصانع رينو وبالبنوك المؤممة التى تم دمجها . ولم تتردد الحكومة فى اشراك القطاع العام مع القطاع الخاص فى بناء احتكار قوى . واشهر مثل على ذلك « عقد المشاركة » بين مصانع رينو للسيارات المؤممة ومصانع بيجو المملوكة للقطاع الخاص . وأنشبت الاحتكارية أظافرها فى الريف عن طريق شركات الصناعات الغذائية الضخمة التى تسيطر كل منها ، عن طريق التعاقد ، على منطقة بأثرها تحدد فيها نوع المنتجات وكمياتها وأسعارها وتترك عبء المخاطرة على عاتق المزارع الرأسمالى ..

٥ ــ **الموقف من رأس المال الامريكى** : ولم يكن التركز الاحتكارى فى فرنسا ظاهرة فرنسية خالصة . فبالرغم من سياسة ديجول القومية لم يعارض الجنرال التزاوج بين رؤوس الاموال فى اطار السوق الاوروبية المشتركة . فهذا التزاوج هو الذى جعل وجود تلك السوق ممكنا . ولكنه ايضا لم يعارض غزو الاحتكارات الامريكية للشركات الفرنسية الكبرى ، حيث نجح الامريكيون فى ارساء اقدامهم فى عدد كبير من الصناعات : **جودريتش** فى صناعة اطارات السيارات ، **كريزلر** فى صناعة السيارات ، **جنرال موتورز وهوفر** فى صناعة الثلاجات والغسالات وغيرها من الادوات الكهربائية المنزلية ، **فيرجسون** فى صناعة الجرارات ، **جنرال فودز** فى الصناعات الغذائية ... الخ . وحتى حين عارض ديجول النفوذ الاجنبى على صناعات أساسية فى نظره لم تحل معارضته دون سقوط « سيمكا » فى يد **كريزلر** ، ولا فيات فى يد **ستروين** ، ولا مصانع سيدر فى يد **جماعة البارون امبان** ، ولا شركة « بول » للصناعات الاليكترونيه فى يد **جنرال الكتريك الامريكية** . فقوانين الاقتصاد الرأسمالى تضع حدا لسلطة الدولة . وهى تؤكد باستمرار الطابع اللا قومى للاحتكارات العالمية .

٦ ــ **مركز الفرنك** : وهكذا كان الميدان الذى اختاره ديجول للصراع الاقتصادى ضد الولايات المتحدة هو الميدان النقدى . فمن المعروف أن النظام النقدى العالمى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية يرتكز على الدولار الامريكى وليس على الذهب . وكان هذا الوضع فى البداية يستند الى تركز أربعة أخماس ذهب العالم فى واشنطون من ناحية والى وضع أمريكا كدائن لمعظم الدول مما جعل الدولار اصعب العملات . وقد استهدفت سياسه ديجول الاقتصادية زيادة الصادرات على نطاق واسع مما أدى الى أن يحقق حساب المدفوعات الفرنسى فائضا مطردا لعدة سنوات . وهكذا زاد رصيد فرنسا من الدولارات من ٥٤٤ مليونا فى ١٩٥٨ [سنة تولى ديجول الحكم] الى ١٦٧٠ مليونا سنة ١٩٦٤ . وفى الوقت ذاته عمل بنك فرنسا على تحويل كميات متزايدة من احتياطياته من دولارات الى ذهب . وهكذا ارتفع رصيد فرنسا الذهبى فى نفس الفترة من ٧٥٠ مليون دولار الى حوالى ٤٠٠٠ مليون . وكان لهذه العملية (التى طبقتها دول أخرى مثل المانيا الغربية) نتائج سيئة بالنسبة للدولار . فكل الذهب الذى حصلت عليه فرنسا وغيرها سحب من

رصيد الولايات المتحدة الذى انخفض بنسبة ٥٠٪ فى أقل من عشرين سنة . ومن ناحية أخرى كان الطلب على الذهب يعنى الزيادة فى عرض الدولار فى وقت زاد فيه العجز فى ميزان المدفوعات الامريكى ، وهكذا بدأ سعر الدولار يهتز · ومن ناحية ثالثة أعلنت فرنسا أن النظام النقدى العالمى يجب أن يستند الى الذهب ·

سحب تتجمع

ولكن ماأنجزته سياسة ديجول الاقتصادية من نجاح بدأت آثاره تستنفد خلال السنوات الثلاث الأخيرة . وظهرت فى سماء الاقتصاد الفرنسى سحب اخذت تتجمع شيئا فشيئا منذرة بانتها فترة الرواج والرخاء · وكان من أبرز ماظهر من مصاعب الامور التالية :

١ ــ عبء التسليح الذرى : لقد أصر ديجول على أن يكون لفرنسا قوة ضاربة نووية ، فى نفس الوقت الذى تخلت فيه بريطانيا ــ رغم سبقها تاريخيا ــ عن أن تكون دولة نووية مستقلة · ولاشك أن لتفكيره العسكرى أثر فى هذا الموقف ، فهو كجنرال لايتصور أن تكون فرنسا دولة كبرى مالم تكن عضوا فى النادى النووى · ولكن نفقات التسلح الذرى باهظة لايتحملها الاقتصاد الفرنسى بسهولة · وقد استوعبت جزءا كبيرا مما وفرته لفرنسا سياسة تصفية الحروب الاستعمارية · وقد اضطر ديجول فى النهاية الى التراجع على أثر أزمة الفرنك فى نوفمبر سنة ١٩٦٨ ، فألغى من الميزانية قسما ضخما من اعتمادات القوة الضاربة النووية ·

٢ ــ الانكماش الاقتصادى : وكانت سياسة تثبيت سعر الفرنك ودعم مركزه تقتضى الحرص على عدم التوسع فى الانفاق الحكومى ، وفى منح القروض للشركات والافراد خشية أن يؤدى ذلك الى التضخم وارتفاع الاسعار ، وبالتالى تقلص الصادرات وزيادة الواردات وظهور العجز فى ميزان المدفوعات · ولكن الاقتصاد الرأسمالى المعاصر محتاج بصفة دورية الى جرعة من التضخم لتنشيط المعاملات · ولما امتنعت الحكومة عن اعطاء تلك الجرعة تقلص النشاط الاقتصادى وهبط معدل النمو وزادت البطالة · وقد غير ديجول سنة ١٩٦٦ وزير ماليته « المحافظ » وأحل محله رئيس وزرائه الاسبق دوبريه الذى سمح بقسط من التوسع النقدى · وسرعان ما ارتفعت الاسعار ، ثم أخذ أثر الارتفاع ينعكس على التجارة الخارجية ·

٣ ــ عدم الاستقرار الاجتماعى : وكانت الطبقة العاملة فى هذه الاثناء تحس بأنها تحملت وحدها عبء السياسة الاقتصادية الديجولية · فبينما تضاعفت أرباح الاحتكارات الكبرى ، انخفضت القوة الشرائية للسواد الاعظم من العمال · واذا كان التوسع فى الانتاج قد أتاح السلع الاستهلاكية المعمرة لبعض فئات العمال ، فان أغلبيتهم الساحقة كانت تشكو تدهور مستوى معيشتها فى وسط مجتمع أصبح شعاره أنه « **مجتمع استهلاك** » وفى الوقت ذاته أدرك الحرفيون والتجار وصغار الرأسماليين أن « التكنوقراطيين » المحيطين بديجول يرون فيهم عقبات فى سبيل التقدم · وأن الحكومة لا تبذل جهدا يذكر لمساعدتهم ، بل تستهدف على العكس تصفية نشاطهم لصالح الانتاج الكبير

٤ ــ أزمة الفرنك : وهكذا أخذ البنيان الاقتصادى الذى أقامه ديجول فى سنوات يهتز من أساسه ، وأصبح مهددا بالانهيار . وبعد ثمانية شهور من أزمة الدولار (مارس ١٩٦٨) التى كان يبدو فيها ديجول فى مركز من يتحكم فى مصير العملة الامريكية ، تفجرت أزمة الفرنك وتبخرفى أيام قليلة من نوفمبر الماضى قرابة نصف الرصيد النقدى الفرنسى · وأصبحت باريس ، بعد لندن وواشنطون تجرى وراء المسئولين فى الدول الصناعية الكبرى والمؤسسات النقدية والمالية الدولية طالبة انقاذ الفرنك ··

لقد كان تصويت الفرنسيين بأغلبية ضخمة لصالح أنصار ديجول فى الانتخابات التى دعا اليها الجنرال الشيخ فى آخر يونية ١٩٦٨ أمرا مذهلا · وظن الكثيرون أن ديجول استمد قدرة جديدة ستمكنه من التغلب على المصاعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية . مهمة تجديد شباب الرأسمالية أكبر من عزيمة أقوى الرجال عزيمة ، لانها فى جوهرها تحد لاتجاه التاريخ ·

د· اسماعيل صبرى عبد الله

تطوير الأساليب الاستعمارية ثمـــرة للضـــــرورة

حاول الاستعماريون القدامى ، ان يظهروا الاستعمار على انه رسالة التمدن وحضارة تجاه الشعوب ، وعندما اضطرت الامبريالية الى التراجع امام حـركات التحـرر الوطنى ، ادعت انهـا تقوم بهجر مستعمراتها القديمة طواعية ، وارتفع شعار تصفية الاستعمار Decolonisation ليصبح متداولا بمفاهيم مليئة بالمغالطة . تبرز اخطار ترويج هذه المفاهيم فى ثلاثة امور رئيسية .

اولا : تجاهل احداث وقعت منذ سنوات قليلة فى بلدان العالم الثالث عندما كان نفس الدين يرددون هذه العبارات الان ، يعيشون تلك الاحداث التى اجتاحت فيها العالم حركات التحرر الوطنى (بما فيها المستعمرات الفرنسية السـابقة) لنيـل الاستقلال وما ترتب عليه من تضحيات لا حدود لها كانت هى العامل الرئيسى فى حصولها علـى الاستقلال ثم عضوية هيئة الامم المتحدة .

ثانيا : قوى اليسـار الفرنسى التى كان لها دور مساعد فعال لاجبار الدوله الفرنسية على انتهاج سياسة « **تقبيل اليد التى لا يمكن عضها** » .

ثالثا : طبيعة الاستعمار الجديد الذى تضمنه هذا الاستقلال فى معظم الحالات وخيف نجح فعلا وبدرجات متفاوتة الى تصفية التعبئة العاليه التى حققتها **باندونج** ، وفى تفتيت وتقسيم وحدة قوى شعوب المستعمرات التقليدية السابقة .

ومن ثم فان الاقرار بميزات ديجول فـى Decolonisation اى الاجراءات التى اتخذها لانهاء الاوضاع الاستعماريه فى المستعمرات الفرنسيـة السابقة ، ينتقل الرأى العام غير المتيقظ الى انكار أهمية كفاح الشعوب من أجل الحرية والتقدم ، والى الدعاء كى يأتى ديجـول ثان فى انجلترا وثالث فى أمريكا وآخر فى البرتغال لينهجوا نهج ديجول ،وكذلك عدم التفرقة بين بنك **روتشيلد** الذى كان يرأسه بومبيدو عشية التجاء ديجول اليه ليرأس الوزارة الفرنسية **وهنرى مارتان** الجندى الفرنسى الذى عرض نفسه للاعدام لانه كان يحرض زملاءه ضد الحرب القذرة التى كان يخوضها الجيش الفرنسى فى فيتنام - أى بمعنى أوضح عدم التفرقة بين الاحتكارية الفرنسية التى تستنزف ، عن طريق الاسـتعمار الجديد ، المسـتعمرات الفرنسيه السابقة التى أصبحت مستقلة وظلت تحت نفوذ الاستعمار الجديد ،والطبقة العاملة والاحرار الفرنسيين الذين يشكلون فى فرنسا القـوى الاساسية التى تعارض خطط الاستعمار الجديد فى العالم أجمع . ثم قبول الاوضاع القائمة فـى المستعمرات الفرنسية السابقة على أنها أوضاع الاستقلال الامثل وتجاهل الهوة المتزايدة العمق بين هذه البلدان والبلدان النامية ، وفقدان الامل فى امكانيه الاعتماد على تضامن شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية كدعامة لهجوم جديد ضـد الاستعمار والاستعمار الجديد لازالة جميـع العوائق التى تعترض طريقها نحو التنمية والسيادة الحقيقية .

وقد أدت أسباب عديدة الى عدم تطـور الامبريالية الفرنسية الى زمن قريب الى الاوضاع التى تسمح لها بالسيادة على مستعمراتها عن طريق أشكال وطنية مثل الاوضاع التى حققتها الامبريالية البريطانية فى كثير من مستعمراتها ، فقـد وقفت فرنســا بعنف ضـد تشـكيل بورجـوازيات وطنيـة فى مسـتعمراتها . ففى مواجهة الثورات الوطنية فى جميع البلدان المستعمرة بعد الحرب العالية الثانية ، وجـدت الاحتكارية الفرنسية نفسها متخلفة تماما عن مقتضيات العصر ، وكان عليها أن تواجه هده الثورات ، اما بالحديد والنار فى ظل حكم ديجول او غيره فى السنوات القليلة التى تلت الحرب العالمية الثانية (مدغشقر ، فيتنام ، سوريا ، لبنان) ومرة أخرى عشية عودة ديجول الى الحكم وفى ظل حكمه (مصر ، تونس ، الجزائر ..) أو بالضغوط الاقتصادية وبالاغراءات والانشـاء ، وذلك أيضا فى ظل حكم ديجول أو غيره .

ويمكن استخلاص عدة مراحل فى تاريخ سياسة فرنسا ، ودور ديجول فى مواجهة المستعمرات الفرنسية من ١٩٤٤ - عندما شكلت الحكومـة

الفرنسية المؤقتة فى أواخر الحرب العالمية الثانية برئاسة ديجول — الى يومنا هذا الذى يشهد نهاية حكم ديجول .

ونشير هنا الى كل مرحلة ، بأحداث وتطورات تمثل موقف ديجول الموضوعى من الاستعمار ، وشعوب المستعمرات من جهة ، وتؤكد أن هذا الموقف جزء اصيل من سياسة الامبريالية الفرنسية والاستعمار الفرنسى الجديد فى مختلف اشكاله .

من أعمدة الاستعمار القديم

جمع ديجول فى فبراير ١٩٤٤ فى **برازافيل** مؤتمرا حضره جميع الحكام الفرنسيين للمستعمرات الفرنسية فى افريقيا لدراسة ما يمكن اتخاذه من اجراءات لمواجهة ضغط الشعوب الافريقية — ولم يزعم هذا المؤتمر — مجرد زعم — أنه يجمع افريقيين ، فان المستعمرات الفرنسية من شأن فرنسا ، ومن شأن كبار الموظفين الذين تعينهم فرنسا . وقد أوضح ديجول نفسه فى خطاب افتتاح هذا المؤتمر أسباب وظروف انعقاده قائلا : « أنه لا يجب أن نغالى فى الظروف الطارئة التى تلح علينا لنتناول معا دراسة المشاكل الافريقية الفرنسية — نعتقد أن الاحداث الجسيمة التى تهز العالم تلزمنا بالا نتأخر ، فى الوقت الذى ظهرت فيه بوادر الحرب العالمية التى تدور رحاها ، بدت الضرورة لوضع أسس جديدة لظروف استغلال افريقيا التى نملكها ، ولتقدم سكانها الانسانى ، ولممارسة السيادة الفرنسية . وكالعادة تطلق الحروب عجلة التطور . اولا من حيث ان هذه الحرب كانت حتى اليوم ولحد كبير حربا افريقية ، ومن ثم تبرز الاهمية النسبية والمطلقة لموارد أفريقيا وخطوط مواصلاتها ولقواتها العسكرية التى ظهرت بكل وضوح فى جبهات القتال . وثانيا بل وخاصة لان هذه الحرب تدور ، لا اكثر ولا اقل ، حول ظروف حياة الانسان وعليه ، ونتيجة لاعمال قوى نفسية أطلقتها الحرب فى العالم اجمع ، يرفع كل فرد رأسه وينظر عبر الافق ويتساءل عن مصيره »

ومؤتمر برازافيل الذى يرى الديجوليون أنه الخطوة الاولى فى طريق الـ decoloneatin اجراء انهاء الاوضاع الاستعمارية ، لم يكن الا ثمرة الضرورة لمواجهة أمانى شعوب أفريقيا التى توقعت أن يقترن النصر على النازية ، بالحرية للشعوب المستعمرة ، وضرورة تعبئة كل الوارد وأكبر قدر من المقاتلين من أجل الحرب . وقد كان مؤتمر برازافيل فى نفس الوقت تعبيرا عن اجراء مضاد لمطالب الشعوب المستعمرة ، وعن قدر من التنازل لمطالبها ، وعن رفض أهم ما فى المطالب ، وهذا الرفض كان واضحا تماما على لسان **رينيه بليفان** وزير المستعمرات عندما قال عند بدء المؤتمر : « نقرأ من وقت لآخر أن هذه الحرب يجب أن تنتهى بما يسمى تحرير شعوب المستعمرات . ان فى فرنسا الاستعمارية العظيمة لا يوجد شعوب يتطلب الامر تحريرها ولا توجد تفرقة عنصرية كى يثار موضوع الغائها — يوجد سكان لا يتطلعون الى أى استقلال الا استقلال فرنسا » .

ويعزز ديجول ذلك بقوله : « وعلى الاكثر يرجع للامة الفرنسية — ولا يرجع الا لها — ان تجرى فى الوقت اللازم الاصلاحات الامبريالية للاوضاع الهيكلية التى سوف تقررها وهى فى موقف السيادة » .

ويصيغ المؤتمر هذه المبادىء فى قراراته النهائية التى تقول : « قبل تناول المسائل السياسية رأى مؤتمر برازافيل انه من الضرورى طرح المبدأ الآتى : ان أهداف المهمة الحضارية التى تحققها فرنسا فى المستعمرات تستبعد كلية أى فكرة حكم ذاتى ، وأى احتمال لتطور خارج الكتلة الفرنسية . ان احتمال تشكيل نظم حكم ذاتى فى المستعمرات حتى فى المستقبل البعيد يجب استبعاده »

ان مؤتمر برازافيل لم يكن حتى مجرد ظاهرة لمفهوم جديد للاستعمار كما تدل هذه المقتطفات وكان على الاكثر ظاهرة للمفهوم التقليدى للاستعمار فى ظل ضرورات جديدة . وتشكيل المؤتمر ذاته يؤكد هذا المفهوم ، اذ عقد تحت رئاسة رينيه بليفان وزير المستعمرات ومساعدين أحدهما حاكم مستعمرة فرنسية ، والثانى مفتش عام المستعمرات الفرنسية ، وضم ١٨ عضوا لهم حق التصويت ، جميعهم حكام قطاعات فى المستعمرات الفرنسية وستة مراقبين ، انتدبت اثنين منهم السلطات الفرنسية بالجزائر وتونس والمغرب ، وتسعة مندوبين أوفدهم المجلس الاستشارى المؤقت — ولا يضم المؤتمر أى عضو أوفدته أى مستعمرة ، واذا استثنينا **فليكس أيبويه** حاكم عام افريقيا الغربية الفرنسية وهو من أبناء **جيان** الفرنسية بأمريكا اللاتينية ، لا يضم المؤتمر غير أوروبيين .

ولم يكن موقف ديجول مختلفا عن ذلك منذ أن وضع أقدامه على أرض القارة الافريقية فى سنة ١٩٤٣ — وفرنسا لم تزل محتلة — فعندما يخطب فى جماهير تونس والجزائر العاصمة لا يشير ، مجرد الاشارة ، الى كلمة الشعب التونسى ، أو الشعب

الجزائرى ،أو الشعب المغربى ،ويشير الى تونس العاصمة فى اطار فرنسى بحت قائلا :

« فرنسا : هاهى ممثلة فى هذا التجمع الضخم المتحمس المنعقد فى تونس المتحررة ، فى تونس التى صقلت فى التجارب الاخيرة ، فى تونس الفخورة بأن تكون قاعدة لمجهودات الحلفاء والفرنسيين المتضافرة لتحرير اوربا » .. واذا اشار الى المغرب بعد ذلك بشهور ، اشار اليه فى اطار مفهوم الامبراطورية الفرنسية • اما كلمات الجزائر ، والجزائر العاصمة ، أو الشعب الجزائرى ، فهذه كلها عبارات لم يشر اليها من بعيد أو قريب فى خطابه الثالث الذى ألقاه فى نفس الصيف سنة ١٩٤٣ فى الجزائر العاصمة •

ويرفض ديجول العرض الذى يقدمه له الوطنيون الفيتناميون فى مارس ١٩٤٥ بأن تتعاون قوات الاحتلال الفرنسية معها ضد اليابان حليفة المانيا النازية لانه لا يفهم معنى للدفاع المشترك بين الوطنيين الفيتناميين فى كفاحهم ضد العسكرية اليابانية حليفة المانيا النازية التى كانت تحارب فرنسا ذاتها ، ولكنه يفرض معاهدات دفاع مشترك فى سنة ١٩٦٠ على ١٢ دولة افريقية جديدة فى زمن سلم لا يهدف الا الى دفاع تشترك فيه الاحتكارات الفرنسية مع اعوانها الافريقيين ضد أمانى الشعوب الافريقية • وبعد نهاية الحرب وبعد نجاح الوطنيين الفيتناميين فى اقامة حكم وطنى فى فيتنام يصدر ديجول أوامره للاميرال **نيرى دارجنليو** ، بان « يقيم مرة اخرى السيادة الفرنسية على أراضى اتحاد الهند الصينية ويصرح فى مؤتمر صحفى» ان موقف فرنسا فى الهند الصينية بسيط جدا • ان فرنسا تعمل لاستعادة سيادتها فى الهند الصينية ، ومن الطبيعى ان استعادة السياسة الفرنسية سيكون مصحوبا بنظام حكم جديد الا انه بالنسبة لنا ، فان هذه السيادة تعد مسألة حيوية » •

وبعد انتهاء حكمه فى ١٩٤٦ يحمل على من حلوا محله بأنهم يفتقدون العزم على مواصلة الحرب ضد شعب فيتنام ـ ومن تصريحاته فى يونيو ١٩٥١ ، وكان قد مضى على هذه الحرب اربع سنوات :

« واجبنا الاول هو الدفاع عن فرنسا وعن الاتحاد الفرنسى • نحن ملتزمون فى الشرق الاقصى ، ولا توجد الا أربعة حلول ١ ـ أن نرحل • ٢ ـ المحافظة على بعض مراكز للمقاومة • ٣ ـ انقاذ ما يعد حيويا ، وهذه هى السياسة المتبعة الان وهى مكلفة للغاية • ٤ ـ أن نحسم المشكلة بكسب الحرب ـ وهذا الحل الاخير يفترض ارسال قوات جديدة. هل يستطيع اقتصادنا تحمل مجهود الدفاع فى الهند الصينية وفى أوروبا ؟ نعم اذا خرجنا من الفوضى الاقتصادية والمالية والاجتماعية الحالية ، واذا كانت هناك حكومة تحكم »

وبهذا يهاجم ديجول خصومه السياسيين فى فرنسا لا لانهم يجرون فرنسا الى حروب استعمارية ، ولكن لانهم لا يفعلون ذلك بالقدر اللازم • وفى فبراير ١٩٥٤ يقول : « يجب مواصلة الحرب فى الهند الصينية طالما أنهم يريدون فرضها علينا ، وسيترتب على ذلك مصروفات باهظة ، الا أنه باختصار يجب أن ندفع الثمن كى نكون فرنسا »

وفى نوفمبر ١٩٥٣ ـ أى قبل أربعة أشهر من مؤتمر جنيف الذى جمع مندوبى هوشى منه ومنديس فرانس لانهاء الحرب فى فيتنام ، يصرح ديجول : « هناك من يحاربنا فى الهند الصينية وعليه يجب أن نواصل هذه الحرب ، يجب أن تكون هذه ارادة فرنسا قبل كل شىء »

ويعبىء ديجول الرأى العام الفرنسى حول آرائه فيما يختص بالدستور الدائم لفرنسا فى سنة ١٩٤٦ و ١٩٤٧ قائلا : « يجب أن يؤكد الدستور ويفرض تضامن كل الاراضى عبر البحار مع فرنسا . ويجب ان ينص على وجه الخصوص أنه لا يمكن المساس بمسئولية فرنسا الاولى فى هذا الصدد ، وبالتبعية يجب أن ينص على حقوق فرنسا المترتبة على ذلك» .. « أن الاتحاد الفرنسى يجب أن يكون فرنسيا وذلك يتضمن أن السلطة ـ أقول سلطة فرنسا ـ يجب أن تمارس بكل وضوح فى الاراضى المعنية ذاتها ، وان واجبات فرنسا وحقوقها ومسئولياتها فى مجالات الامن العام والدفاع الوطنى والسياسة الخارجية والاقتصاد المشترك لا يمكن أن تكون موضع مناقشة »

ويقول فى نفس الوقت (سنة ١٩٤٧) عن « المسألة فيما يختص بالجزائر تتلخص فى أن يرسم لها نظام يبقيها فرنسية وتحت سيادة فرنسا فى نفس الوقت الذى يقام فى داخل الجزائر نظام تمثيلى يسمح لها أن تحقق فى داخلها مسا يتعلق بمصالحها الذاتية .. هذا هو لب المسألة »

ويتساءل المرء بعد كل ذلك ، كيف حقق ديجول لنفسه شهرة المحرر ؟ فى الواقع ان ديجول يعد استاذا فى القدرة على التكيف وعلى صياغة استسلامه فى شكل قرارات ذاتية • ويقول عن مؤتمر برازافيل الذى يعد بالكاد تنازلا لشعوب

المستعمرات « ان ما تم فى برازافيل تم بخاطر فرنسا وحدها » .

وبعدديان بيان فو وهزيمة الجيش الفرنسى الساحقة فى فيتنام ـ وذلك بعد أشهر قليلة من هجومه على الحكومة الفرنسية لانها لا ترسل مزيدا من القوات للتغلب على قوات هوشى منه ـ يصرح ديجول ، وكأنه لم يكن له أى علاقة بالحرب فى فيتنام ، « انه فى مصلحة التفاهم الدولى ، ونظرا لخسائر الاتحاد الفرنسى الفادحة ، يجب على فرنسا أن تسعى لتحقيق السلام فى فيتنام ـ واذا كان لمؤتمر جنيف امكانية اتاحة فرصة السلام هذه فنحن نرحب به » .

التظاهر بتقديم ما لم يعد من الممكن رفضه يعد روح تكتيكية ـ واستعداد الشعوب للنسيان ، كما أثبتت التعليقات التى صاحبت استقالته الاخيرة ، تحقق له شهرة المحرر ومن يقوم بخاطره ورغبته فى اجراءات انهاء الاوضاع الاستعمارية !

المجموعة الفرنسية والاستفتاء

وعندما عاد ديجول الى الحكم فى سنة ١٩٥٨ كان عليه أن يواجه الاوضاع الشديدة التوتر فى أفريقيا عامة وفى الجزائر خاصة . فاختار أول الامر أن يفرض مفهوماته التقليدية عن السيادة الفرنسية المطلقة . وقبل أن يغادر باريس فى جولة فى البلاد الافريقية للقيام بحملة دفاعا عن فكرة المجموعة الفرنسية تمهيدا لاجراء الاستفتاء حولها ، لم يقبل ان تذكر كلمة الاستقلال حتى فى مقدمة مشروع الدستور الاول الذى كان يشرع فى طرحه للاستفتاء .

الا انه أمام الضغط الواقع فعلا ، ولمواجهة الحركات الوطنية الجارفة ، صرح فى برازافيل « ومن ينشد الاستقلال فليأخذه على التو ، ولكن ذلك يكون الا بتحمل مجازفاته ومخاطره .

الا أنه يصرح فى الجزائر بعد ذلك بأيام « ان درجة تطور شعوب أفريقيا السوداء تسمح لهم فقط أن يتولوا بأنفسهم شئون حكوماتهم الداخلية » ـ وذلك فى أفريقيا السوداء فقط .

ومن المفهوم أن تصريحه السابق بأن « سوف يتم تطور الجزائر فى الاطار الفرنسى » لم يزل سارى المفعول [*] فقد بدا له بوضوح من هذه الرحلة الاستكشافية ان شعوب أفريقيا فى واد وهو فى واد

آخر ؟ وذلك خصوصا اثر زيارته لكوناكرى عندما اخذ يحرض الجماهير ضد **سيكوتورى** الذى كان يطالب باسم حزبه « بحق الاستقلال والمساواة القانونية للشعوب المشتركة فى المجموعة » .

فاعتمادا على الدوافع الاقتصادية والسياسية والعسكرية التى كانت تتحكم فيها فرنسا لتمارس كل ما ترغبه فى مستعمراتها ، رأى ديجول تعديل الدستور المقترح بحيث يكون من حق « أية دولة عضو فى المجموعة ان تصبح مستقلة ، على ان تتوقف بالتبعية عضويتها فى المجموعة » .

وفى ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ أجابت غينيا « بلا » فى الاستفتاء . وفى اليوم الثانى مباشرة اخذت الحكومة الفرنسية على عاتقها ومن جانب واحد أجراءات الانفصال عن غينيا .

وفى أول أكتوبر أعلنت غينيا استقلالها واقترحت « بمقتضى المادة ٨٨ للدستور الفرنسى أن تفتح المفاوضات حول أسس ارتباطها بالجمهورية الفرنسية » [*]

وردا على نفس الاقتراح الذى تقدم به مرة اخرى غينيا فى ٩ اكتوبر يجيب ديجول بانه عليه « أن يجمع أولا الادلة التى تستطيع أن تقدمها الحكومة الحاضرة فى غينيا بأن فى مقدورها أن تتحمل فعلا تبعات والتزامات الاستقلال والسيادة » .

ويقول أحمد سيكوتورى عن ذلك « فى غداة ٢٨ سبتمبر ١٩٥٨ انتزع كل شئ من هذا المكتب ، حتى المصابيح الكهربائية انتزعت اسلاكها ، كما نقلت السجاجيد والاثاثات وحطم الزجاج ورحل النائب العام ومعه قانون العقوبات ، وعلى كل كان علينا أن نغيره بعد ذلك بشهر » [*] ويمكن ان يتخيل المرء الاجراءات التى اتخذها ديجول ، من حيث سحب الوظفين ورؤس الاموال ومختلف الوان التخريب . هذه هى المجازفات والمخاطر التى كان يهدد بها ديجول كل من يختار الاستقلال . ونتيجة لهذه التهديدات ولدقة استعمال الدوافع العديدة الاخرى التى كانت فى قبضة ديجول فى مختلف اتحاد افريقيا ، اجاب الجميع بنعم . ولكن كان لوقع احداث غينيا دويا فى القارة كلها ، وبعد الرضوخ لديجول بمدة قصيرة أخذت المستعمرات الفرنسية الواحدة بعد الاخرى تطالب بالاستقلال مع البقاء فى المجموعة الفرنسية ، الامر الذى كان قد رفضه ديجول بالنسبة لغينيا فى سنة ١٩٥٨ ، وقبله بالنسبة للجميع بعد أن حقق شروط نجاح الاستعمار الجديد فى الصورة الاتية :

اتفاق دفاع مشترك ومعونة عسكرية وفنية من فرنسا

		اعلان الاستقلال
كاميرون	١٩٦٠/١/١٣	١٩٦٠/١/ ١
سنغال	١٩٦٠/٦/٢٢	١٩٦٠/٨/٢٠
افريقيا الوسطى	١٩٦٠/٨/١٣	١٩٦٠/٩/١٣
كنغو برازافيل	١٩٦٠/٨/١٣	١٩٦٠/٨/١
تشـاد	١٩٦٠/٨/١٣	١٩٦٠/٨/١١
مدغشقر	١٩٦٠/٦/٢٧	١٩٦٠/٦/٢٥
جابون	١٩٦٠/٨/١٧	١٩٦٠/٨/١٧
موريتانيا	١٩٦١/٦/١٩	١٩٦٠/١١/٢٨
نيجر	١٩٦١/٤/٢٤	١٩٦٠/٨/ ٣
ساحل العاج	١٩٦١/٤/٢٤	١٩٦٠/٨/ ٧
داهومى	١٩٦١/٤/٢٤	١٩٦٠/٨/ ١
فولتا العليا	١٩٦١/٤/٢٤	١٩٦٠/٨/ ٥،

وربما لا يحتاج القارىء العربى الى العودة الى ظروف ما يسمى بأنها السيطرة الاستعمارية فى أرض تكلف شعبها مليون شهيد كى ينتقل ديجول من موقفه الذى عبر عنه فى **وهران** فى ٧ يونية ١٩٥٨ بقوله « ان الجزائر تعد عضويا أرض فرنسية اليوم والى الابد » .

وفى الخطاب الذى ألقاه فى ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ بقوله :

« منذ ان وجد العالم لم تكن هناك ابدا وحدة جزائرية ، وبالضرورة لم تكن هناك ابدا سيادة جزائرية » .. الى موقفه الذى يخاطب بمقتضاه فى ١٦ يونيو ١٩٦٠ قادة الثورة الجزائرية فى انتظارهم هنا لنجد معا نهاية مشرفة للقتال .

ريمون ابراهيم دويك

السياسة الديجولية تجاه الشرق العربى

لقد اثار انسحاب ديجول من على مسرح السياسة الفرنسية موجة من ردود الفعل فى بلدان الشرق الاوسط ، حول مصير السياسة التى اتبعتها فرنسا حيال المنطقة وازمتها خاصة منذ ١٩٦٧ ، تلك السياسة التى ارتبطت بشخص ديجول كرئيس للدولة ، ومن المعروف أن سياسة فرنسا حيال بلدان الشرق الاوسط قد اتسمت بطابع توسيع علاقاتها السياسية والتجارية والاقتصادية مع البلدان العربية بشكل عام ، واتخاذ موقف العطف عليها فى النزاع القائم بينها وبين اسرائيل . ومعارضة اتجاهات اسرائيل العدوانية والتوسعية والسعى فى المجال الدولى من أجل ايجاد تسوية لازمة الشرق الاوسط على أساس قرار مجلس الامن الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ ، اى على اساس ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى التى احتلتها بعد عدوانها فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ .

ولقد عبر كثير من المعلقين العرب عن مخاوفهم بعد استقالة ديجول من امكان تغيير سياسة فرنسا لغير صالح العرب ، ذلك لانهم يربطون بين هذه السياسة وبين شخص ديجول ودوره فى الجمهورية الخامسة وسياستها . وقد كشف السيد **رشيد كرامى** : فى تعليقه على استقالة ديجول عن مخاوفه تلك حين قال « .. ونحن العرب نأمل أن يستمر الموقف النبيل الذى وقفه الرئيس ديجول من قضايانا استمرارا لموقف الشعب الفرنسى فى المستقبل » .

وفى نفس الوقت الذى اثارت فيه الاستقالة مخاوف العرب بدرجة أو أخرى فقد أثارت موجة من التفاؤل فى اسرائيل فى امكان تغيير هذه السياسة فى تجاه مساندة اسرائيل والعودة بفرنسا الى سياستها السابقة فى المنطقة . ولقد عبر **ابا ايبان** وزير خارجية اسرائيل عن ذلك حينما قال تعليقا على الاستقالة : « .. اننى لا أعلم ماذا يخبئه المستقبل . ولكن هذا وقت مناسب لنعيد تأكيد رغبتنا فى وجوب قيام فرنسا بتجديد تفهمها التقليدى لآمالنا ومطالبنا » .

فما هى ملامح السياسة الفرنسية «الديجولية» حيال المنطقة ؟

كانت الاحتكارات الفرنسية قبل مجىء ديجول الى السلطة تشبث باساليبها الاستعمارية القديمة المتعطرسة لحماية مصالح فرنسا فى الخارج والدفاع عنها ، تلك الاساليب التقليدية التى أعتمدت على القوة المسلحة وحرب الابادة ، وحملات التأديب البوليسى ضد كل من يناوئها . وفى اطار هذه العقلية شنت فرنسا حربها ضد شعب الجزائر لمواجهة ثورته التى اندلعت عام ١٩٥٤ . كما لجأت الى حملة السويس عام ١٩٥٦ اعتقادا منها أنه من خلال هذه الحملة ، يمكن تأديب مصر وتصفية الثورة الجزائرية بعد ذلك بسهولة واستعادة نفوذها فى الشرق العربى . غير أن هذه السياسة المتعجرفة كلفت فرنسا الكثير . فلقد أدت التكاليف الباهظة لحرب الجزائر ولحملة السويس الى خلق ضائقة اقتصادية فى فرنسا . كما اضرت ضررا بليغا بمصالح الاحتكارات الفرنسية وعلاقة فرنسا بالبلدان العربية . واستغلت الولايات المتحدة الامريكية تلك الظروف فى محاولتها لان ترث المصالح التقليدية الفرنسية و«الفراغ» الذى خلفته فرنسا نتيجة تدهور علاقاتها مع العالم العربى . وبذلك واجهت المصالح الفرنسية اخطارا شديدة فى المنطقة .

ولقد أعطت هذه التجربة المريرة للسياسة الفرنسية التقليدية ، والفشل التى منيت به فرصة للعناصر البعيدة النظر فى الاحتكارات الفرنسية لان تهاجم هذه السياسة وتهزمها ، وتدعو لانتهاج سياسة جديدة تقوم على أساس محاولة التلاؤم مع ظروف عالم اليوم ، وذلك بنبذ الاساليب التقليدية للاستعمار واللجوء الى وسائل اكثر دهاء للوصول الى حماية المصالح الاستغلالية للاحتكارات الفرنسية فى بلدان العالم الثالث بشكل عام . والعمل على كسب ود تلك البلدان وحكوماتها والتعاون معها .

كما اننا لايمكن أن ننكر أو نتجاهل عاملا آخر له أهميته البالغة فى دحر انصار السياسة التقليدية ، وهو قوى اليسار الفرنسى بما تمثله من وزن مؤثر على حركة الاحداث داخل فرنسا ، بالاضافة الى الاثر المباشر للنضال البطولى لشعب فيتنام .

ولقد كان ديجول هو التعبير الواضح عن هذا الاتجاه الجديد فى الطبقة الحاكمة فى فرنسا ، ذلك الاتجاه الذى بدأ يبلور سياسة قومية مستقلة لفرنسا ترتكز على معارضة السيطرة الامريكية . والسعى لاقامة علاقات مع بلدان العالم الثالث تمكنها من تدعيم مصالحها فى مواجهة منافسة الدول الاستعمارية الاخرى .

يمكن أن نقول أن هذه السياسة قد ارتبطت بالجمهورية الخامسة أى بنظام ديجول رغم أنها لم تجد طريقها الى التنفيذ العملى الا بعد انسحاب فرنسا من الجزائر واعترافها بالثورة الجزائرية وتوقيع **اتفاقيات ايفيان** . فعلى أثر تسوية المشكلة الجزائرية واعتراف فرنسا باستقلال الجزائر سعت فرنسا لاعادة علاقاتها الدبلوماسية مع الجمهورية العربية المتحدة ، وتدعيم وتوسيع علاقاتها السياسية مع جميع الدول العربية فى اتجاه ما تبلور فيما بعد فيما عرف بالسياسة الديجولية حيال الشرق الاوسط . ولقد بدأت هذه السياسة الجديدة تحدد معالمها فى المجال السياسى مع تفاقم الازمة السياسية بين العرب واسرائيل فى بداية ١٩٦٧ وبعد عدوان الخامس من يونيو ١٩٦٧ بشكل خاص . ففى شهر مايو ١٩٦٧ ، وبعد أن لاح خطر العدوان الاسرائيلى على الدول العربية بدأت فرنسا تعبر عن مخاوفها من سياسة اسرائيل وذلك على لسان ديجول حينما قال لايبان « اننى احذر من الالتجاء الى القوة العسكرية لانها لا تستطيع حل الموقف المعقد فى الشرق الاوسط ، وقد تؤدى الى مضاعفات خطيرة فيه .. ومهما يكن فان فرنسا سوف تحدد موقفها بالنسبة لاى صراع مسلح ينشأ فى المنطقة على اساس : من الذى يطلق الرصاصة الاولى فى المعركة ؟ ستكون فرنسا ضد من يطلق الرصاصة الاولى . ستكون فرنسا ضد المهاجم ومع المدافع عن نفسه » .

وفى ٥ يونيو كان العدوان الاسرائيلى وما ترتب على حرب الايام الستة من نتائج . وخرجت فرنسا على العالم بسياسة أكثر ايجابية ضد العدوان والتوسع الاسرائيلى فاعلنت على لسان ديجول « ان اسرائيل باقدامها على شن الحرب فى ٥ يونيو اخلت بالتوازن القائم فى الشرق الاوسط كما أنها تجاوزت الحدود المقبولة » . كما صرح ديجول فى يونيو ١٩٦٧ قائلا : « اننى ضد توسع اسرائيل لان ذلك ضد مصلحة اسرائيل على المدى البعيد . اننى أفرق بين حق اسرائيل فى البقاء وبين حقها فى تقرير حدود لها على هواها وعلى حساب الاخرين بطريقة لا يمكن معها أن يحل الاستقرار فى الشرق الاوسط » .

ثم ازداد هذا الخطر وضوحا وتبلورا بعد العدوان الاسرائيلى على مطار بيروت ، حينما أصدر ديجول قراره بحظر تصدير الاسلحة الفرنسية الى اسرائيل حظرا شاملا . وبدأت فرنسا تبذل جهودا نشطة فى المجال الدولى من أجل التوصل الى

تسوية للازمة على ضوء قرار مجلس الامن وضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضى العربية التى احتلتها • ويلعب موقف فرنسا النشط والفعال فى هذا المجال دورا ملحوظا فى شل المناورات الامريكية البريطانية الاسرائيلية لمحاولة التنصل من قرار مجلس الامن ، ومحاولة فرض الامر الواقع على الدول العربية بفرض سياسة العدوان والتوسع الاسرائيلى •

وفى مجال تصدير الاسلحة الى دول الشرق الاوسط اعلنت فرنسا حظر تصدير الاسلحة الى اسرائيل ، ولكن الحكومة الفرنسية أعلنت فى بيانها فى نفس الوقت « ان فرنسا لا تجد سببا يدعوها الى عدم بيع الاسلحة الى الدول العربية التى تعتبر مهمة جدا بالنسبة لفرنسا لاسباب مالية واقتصادية » • وقامت بالفعل عدد من البعثات العسكرية العربية بزيارة فرنسا كما زار مسئولون عسكريون فرنسيون بعض الدول العربية بغرض الاتفاق على صفقات اسلحة • واتجهت كل من السعودية والكويت والعراق نحو شراء أسلحة فرنسية ، كما طالب بعض المسئولين فى لبنان بأن تقوم فرنسا بأعادة بناء وتسليح الجيش اللبنانى •

فرنسا تجنى ثمار سياستها

أما فى المجال الاقتصادى فقد اتسمت السياسة الديجولية حيال بلدان المنطقة بالسعى الى توسيع وتدعيم العلاقات التجارية والاقتصادية مع البلدان العربية • فمنذ اعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا عام ١٩٦٤ والعلاقات التجارية والاقتصادية تتطور بسرعة مع البلدان العربية • ولقد زاد حجم التبادل التجارى بين فرنسا والجمهورية العربية المتحدة على سبيل المثال من ١٣ مليون جنيه عام ١٩٦٤ الى ٢٧٫٥ مليون جنيه عام ١٩٦٥ ثم أرتفع الى ٢٨ مليون جنيه عام ١٩٦٦ ثم قفز الى ٣٥ مليون جنيه عام ١٩٦٧ ليصل الى ٣٩ مليون جنيه عام ١٩٦٨ . وتعتمد مصر فى السنوات الاخيرة فى الحصول على بعض حاجاتها التموينية ، وخاصة من القمح ، والدقيق من فرنسا ، وقد وقعت مصر عام ١٩٦٧ اتفاقية تسمح لها باستيراد قمح ودقيق فى حدود ١٣٫٥ مليون جنيه سنويا •

● بلغ مجموع الصادرات الفرنسية الى الدول العربية عام ١٩٦٦ حوالى ٨٫٣ فى المائة من مجموع صادرات فرنسا ، بينما لم تتعد صادراتها لاسرائيل ٠٫٤٣ فى المائة •

● بلغ مجموع الواردات الفرنسية من الدول العربية عام ١٩٦٦ حوالى ١٢ فى المائة من مجموع الواردات الفرنسية ، بينما لم تتعد وارداتها من اسرائيل ٠٫١٤ فى المائة •

● بلغ ما استوردته فرنسا من البترول حسب احصائيات ١٩٦٦ من البلدان العربية مايوازى ٨٣ فى المائة من مجموع احتياجات فرنسا . ومن الملاحظ أن استهلاك فرنسا من المواد البترولية يتزايد فى السنوات الاخيرة بنسبة ملحوظة تبلغ حوالى ١٥ فى المائة فى العام ، مما يدفع بفرنسا الى زيادة توطيد علاقاتها مع الدول العربية المنتجة للبترول وقد نجحت الحكومة الفرنسية والشركات الفرنسية فى السنوات الاخيرة فى ابرام عدد من الاتفاقيات البترولية مع بعض الحكومات والشركات العربية العاملة فى حقل هذه الصناعة كان أهمها اتفاقية ١٩٦٧ مع شركة البترول الوطنية العراقية والذى يسمح للشركات الفرنسية بالتنقيب عن البترول فى الحقول العراقية الجديدة •

● فى أوائل عام ١٩٦٩ أنشئت فى باريس بناء على قرار المجلس الاقتصادى العربى غرفة تجارية مشتركة بين فرنسا والدول العربيه ، كما أنشىء البنك العربى الفرنسى للاستثمارات الدولية فى باريس ،وقد ساهم فيه جماعة من المولين الكويتيين والسعوديين والليبيين الى جانب رابطة البنوك السويسرية •

والمصالح الاقتصادية الفرنسية قائمة فى المنطقة منذ زمن بعيد ، منذ أن إحتلت فرنسا واستعمرت عددا من البلدان العربية ،وسعت الى اقتسام أسواق الشرق العربى مع الدول الاستعمارية الاخرى منذ أواخر القرن التاسع عشر •

ولقد واجهت المصالح الفرنسية فى الفترة الاخيرة منافسة شديدة من قبل الدول الاستعمارية الاخرى وخاصة من قبل المصالح الامريكية التى سعت الى أن ترث فرنسا فى استغلال الثروات البترولية الواسعة فى البلدان العربية • كما واجهت فرنسا كذلك تصاعد حركة التحرر العربى ضد الاستعمار ، والتى اتخذت أعنف صورها بعد تفجر حرب التحرير الجزائرية . وخاضت فرنسا تجربة مريرة نتيجة لتمسكها باتباع الاساليب التقليدية للاستعمار القديم ، واستخدام القوة والعنف سواء فى حرب الجزائر طوال الفترة مابين ١٩٥٤ و ١٩٦٢ ، وفى حملة السويس عام ١٩٥٦ .

وهزمت السياسة التقليدية لفرنسا فى المنطقة أمام حركة التحرر العربية مما خلق تهديدا خطيرا للمصالح الفرنسية ، وخاصة المصالح البترولية .

وازاء هذا الخطر بدأت فرنسا تسعى لتشكيل ملامح سياستها على ضوء تلك الاعتبارات . وعلى ضوء التجربة المريرة التى خاضتها فرنسا بلورت شيئا فشيئا معالم السياسة الجديدة أملا فى حماية وتطوير المصالح الفرنسية فى بلدان المنطقة .

وتعتبر المصالح البترلية الفرنسية فى البلدان العربية حجر الزاوية فى المصالح الاستعمارية الفرنسية،وقد بدأت تحتل أهمية متزايدة خاصة فى المرحلة الأخيرة وبعد انتهاج السياسة الديجولية الجديدة حيال المنطقة .

فمن احصاءات ١٩٦٧ على سبيل المثال يتبين أن **شركة النفط الفرنسية** حصلت من كميات الانتاج التى تولتها الشركات الاجنبية الكبرى فى الأراضى العربية على حصة تبلغ حوالى ٢٧ مليون الف طن . وهذه الكمية تشكل حوالى ٥ر٩ فى المائة من مجموع انتاج البترول العربى . وسنحاول أن نقدم عرضا سريعا للمصالح البترولية الفرنسية ليتضح الاساس الاقتصادى الذى ترتكز عليه السياسة الديجولية ازاء بلدان الشرق العربى .

العراق : تمتلك فرنسا ٧٥ر٢٣ فى المائة من أسهم شركة نفط العراق المحدودة .

فى أواخر ١٩٦٧ وقعت شركة ايراب الفرنسية اتفاقا مع مؤسسة النفط الوطنية العراقية منحت الشركة الفرنسية بموجبه حق التنقيب لحساب الشركة العراقية ، فى مساحة ١٠ آلاف كيلو متر جنوب العراق ، واسفرت اعمال التنقيب عن نتائج هامة

قطر وأبو ظبى : من خلال شركة نفط العراق تملك فرنسا جزءا هاما من المصالح النفطية فى أبو ظبى اذ تملك حوالى ٢٣ فى المائة من شركة نفط أبو ظبى كما تملك ثلث أسهم شركة أبو ظبى البحرية .

السعودية : تتمتع شركة أوكسيراب الفرنسية بامتياز التنقيب على ساحل البحر الأحمر تساهم الشركة الجيوفيزيائية الفرنسية فى شركة المسح العربية وشركة الحفر العربية .

الجزائر : فى عام ١٩٦٥ أنشئت بموجب اتفاق مع الجزائر شركة « أسكوب » لتقوم بأعمال البحث والتنقيب عن البترول فى الجزائر ،. وتنازلت الشركات الفرنسية الاخرى عن كل امتيازات البحث والتنقيب للشركة الجديدة ، وقد أعطيت هذه الشركة امتياز التنقيب عن البترول فى جزء هام من أراضى الجزائر ، مقابل تعهد فرنسا بتسويق البترول الجزائرى بأسعار مرتفعة فى السوق الفرنسية . ورغم منافسة الشركات الامريكية لفرنسا فى حقل البترول الجزائرى وتوقيع الجزائر لاتفاق مع شركة غيتى الامريكية ،وعدد من الشركات الامريكية الاخرى فان فرنسا لاتزال بحكم علاقاتها التاريخية فى الجزائر وبحكم اتفاقية ايفيان وبحكم الاتفاقية الاقتصادية لعام ١٩٦٥ تحتل المركز الاول فى اقتصاديات البترول الجزائرى .

ليبيا : وقعت شركة ايراب الفرنسية اتفاقا مع شركة النفط الوطنية بتأسيس شركة ليبية فرنسية (ليبنكو — ايراب) للبحث عن البترول، كما تعمل الشركات الفرنسية فى ليبيا كذلك من خلال تحالف أوروبى أمريكى بنسبة ٢١ فى المائة من رأس المال .

تونس : وقعت تونس اتفاقا مع شركات النفط الفرنسية عام ١٩٦٨ يخول لتلك الشركات البحث والتنقيب عن البترول فى منطقة تبلغ ٥ آلاف كيلو متر مربع جنوب البلاد ، كما وقعت تونس اتفاقا آخر من شركة أكيتان — تونس المتفرعة عن شركة سنبا الفرنسية يشمل ١٢ ألف كيلو مربع فى منطقة القيروان .

حقا .. كانت أزمة العلاقات العربية الاسرائيلية وما تلاها من حرب الايام الستة فرصة طيبة استغلتها فرنسا لتدعيم علاقاتها ومكانتها فى الشرق العربى ، وسمح لها موقف الولايات المتحدة وبريطانيا المالى لاسرائيل بتطوير سياستها بسرعة خلال الفترة الاخيرة . والمتتبع لتطور الاحداث منذ أزمة الشرق الأوسط يلحظ بوضوح أن فرنسا قد وسعت من علاقاتها الاقتصادية مع البلدان العربية منذ عام ١٩٦٧ بمعدل لم يحدث من قبل فى السنوات السابقة على الازمة .

وليس هناك من شك فى أن السياسة الديجولية حيال الشرق الاوسط رغم ما تحمله من أخطار على الاستقلال الاقتصادى للبلدان العربية ، الا انها تشكل مساندة لقضيتنا فى المجال الدولى وبشكل خاص ضد الضغط الامريكى الاسرائيلى . وفى هذا الاطار يجب أن نقيم السياسة الديجولية على هذا الاساس مع الوعى بدوافعها . ان علينا أن نستفيد

منها لاقصى حد مكن فى المجال السياسى لتعبئة كل القوى المعارضة للتوسع الصهيونى الامريكى وعلينا كذلك أن نستفيد منها فى المجال الاقتصادى فى كسر الحصار والضغط الاقتصادى الامريكى وفى الانتفاع بأمكانيات فرنسا فى مساعدة مشاريع التنميةفى البلدان العربية بالشكل الذى لايتعارض مع استقلالنا الاقتصادى. ولكننا فى نفس الوقت يجب أن نكون على حذر تام ازاء تسرب الاحتكارات الاستعمارية الفرنسية الى اقتصاديات المنطقة بالصورة التى تمس من سيادتنا واستقلالنا الاقتصادى ، فحركة التحرر العربى لم تقدم ماقدمت من تضحيات كى تفتح الباب تحت شعار المساندة السياسية لتسرب المصالح الاستعمارية الفرنسية الى المنطقة • ان كفاح الشعوب العربية ضد الاستعمار فى الوقت الذى يجب أن تستفيد فيه من كل امكانيات السياسةالديجولية ، والتناقضات داخل المعسكر الاستعمارى عليه أن يكون يقظا ضد محاولات التسرب الاستعمارى فى أشكالها الجديدة .

حمدى عبد الجواد

■■ ● ■■

ماذا بعد ديجول ؟

١ ــ يتبين من العرض السابق للجوانب المختلفة « للديجولية » الاسباب والظروف التى شكلت سياسة الجمهورية الخامسة • كما يتضح أن تلك السياسة فى تعبيرها الاخير كانت غير متسقة • ففى المجال الخارجى كانت مواقف حكومات ديجول بصفة عامة معارضة للسيطرة الامريكية ومواتية لقضايا تخفيف حدة التوتر العالمى ، تبدى تفهما كبيرا لآمال العالم الثالث ومشكلاته • وفى الحقل الداخلى كان محور السياسة الاقتصادية والاجتماعية تجديد شباب الرأسمالية الفرنسية بدعم التركز الاحتكارى والاستفادة من الثورة العلمية والتكنولوجية ، وعدم الاتساق بين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية كان يحمل فى طياته بذور عدم استمرار الديجولية •

٢ ــ ففى داخل انصار ديجول انفسهم كان الانقسام واضحا ويزداد حدة يوما بعد يوم • ففى اليمين نجد اولئك الذين التفوا حول الجنرال لانه منقذ الرأسمالية الفرنسية من أزمتها ومؤكد دورها فى اطار الرأسمالية العالمية ، وهم اولئك الذين تقبلوا على مضض بعض مبادراته فى السياسة الخارجية لانها فى نظرهم ليست الا مواقف متطرفة تمليها نزوات رجل شيخ حاد الطباع • والى اليسار نجد اولئك الذين اجتذبتهم نحو ديجول قدرته على انهاء حرب الجزائر وتصديه لضرب الانقلاب الفاشى ونزعته الاستقلالية ازاء الولايات المتحدة وحديثه المتصل عن « اوربا من الاورال الى الاطلنطى » ، وهم الذين كانوا يطمعون فى أن يصبح شعار « المشاركة بين رأس المال والعمل » أداة فعالة لاصلاح اجتماعى جذرى •

٣ ــ وكان الانقسام ازاء سياسة الجنرال فى صفوف غير الديجوليين أوسع وأعمق • فالحزب الشيوعى ، والى حد ما الحزب الاشتراكى الموحد وبعض عناصر اليسار المستقلة ، تؤيد سياسة ديجول الخارجية فى حين أنها تعارض سياسته الداخلية أشد معارضة • وأحزاب الوسط [ومنها حزب جى موليه] تعارض سياسته فى الداخل والخارج معا ، ولكن معارضتها تنصب أساسا على السياسة الخارجية ، مما يجعلها فى الواقع تقف الى جانب الاحزاب اليمينية [المستقلون بفئاتهم المختلفة] .

٤ ــ وكان من المتصور ان يؤدى انسحاب ديجول الى تطوير سياسة فرنسا فى اتجاه التقدم بالمحافظة على المعالم الرئيسية لسياستها الخارجية واتخاذ اجراءات اصلاحية فى الداخل • فمن المعروف ان مرشح اليسار الوحيد فرانسواتيران قد حصل فى انتخابات الاعادة سنة ٦٥

على ٤٥ر٧ ٪ من الاصوات ؟ ولو قدم اليسار مرشحا واحدا فى انتخابات يونية ١٩٦٩ لكانت أمامه فرصة جدية ليحوز على الاغلبية المطلقة من أول دور ، فديجول قد اختفى بما له من هيبة لا يمكن أن يدعيها بومبيدو . بل أن الجناح اليسارى من انصار ديجول كان يمكن ان يصوت لمرشح اليسار . فهذا الجناح يتكون من عناصر هى أصلا يسارية وارتبطت بشخص ديجول فقط وتعادى بومبيدو وسياسته . ولكن الخيانة التقليدية لجماعة جى موليه بددت هذا الامل : فقد بادرت تلك الجماعة لترشيح ديفيد وهى تعلم تماما انه ليس لديه أية فرصة للنجاح . وهذا الترشيح لن يؤدى الا الى تفوق اصوات اليسار ، وكل ما يأمله أصحاب تلك السياسة العفنة هو ان تجد انتخابات اعادة بين بومبيدو وبوهير . وعندئذ يبيع جى موليه أصوات حزبه لبوهير نظير وعد بمنصب رئيس الوزراء لموليه أو لاحد أعوانه . ان جى موليه وجماعته يؤكد طابع الوسط الذى اتسم به الحزب الاشتراكي ويريدون احياء التكتل الذى حكم فرنسا عدة مرات فى ظل الجمهورية الرابعة باسم «القوة الثالثة »

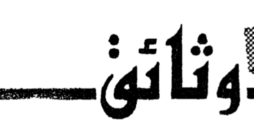
٥ ــ وقد بدأ بومبيدو سعيه لاجتذاب أصوات اليمين ، فالتقى احد انصار بنكسيه فينانكور مرشح اقصى اليمين ضد ديجول سنة ١٩٦٥ وادلى بتصريحات عن اعتزامه التغيير فى سياسة ديجول بما يرضى الجمهوريين المستقلين : ويجذب اليه جزءا من أصوات الوسط . ومن يراجع تصريحات كل من بومبيدو وبوهير يجد تقاربا شديدا فى مواقفهما . هذا فى حين أعلن بعض اقطاب اليسار الديجولى معارضتهم العلنية لبومبيدو . وساعد على تفتيت صفوف الديجوليين سفر الجنرال الى ايرلندا الذى فسر بأنه لا يريد مساندة بومبيدو فى معركة الانتخابات .

٦ ــ اصبح الصراع محصورا عمليا بين بومبيدو وبوهير ؟ وكانت جماعة جى موليه تعتقد ان الحزب الشيوعى سيضطر فى الاعادة للتصويت لبوهير لانه لا يملك أدبيا ان يصوت لبومبيدو بعد ان حارب الديجولية طوال الاحد عشر عاما الماضية . ولكن فالديك روشيه سكرتير عام الحزب اعلن منذ الان ان الحزب الشيوعى لا يمكن « ان يختار بين الطاعون والكوليرا » وعلى هذا فما زالت أمام بومبيدو فرصة جادة للفوز فى الاعادة . واذا فاز فانه سيبقى على المعالم الرئيسية لسياسة ديجول الخارجية مع بعض التعديلات الجزئية ، [مثل قبول بريطانيا فى السوق المشتركة] ومع مرونة أكبر فى التطبيق ، اما فى الداخل فان الطابع الرجعى لسياسته سيكون اكثر وضوحا وعندئذ ستقبل فرنسا على فترة من الصراع الاجتماعى الحاد يصعب التنبؤ بنتائجها .

٧ ــ اما اذا فاز بوهير فانه سيصطدم بالجمعية الوطنية ذات الاغلبية الديجولية التى لابد ان تلتقى فى بعض التوصيات بكتلة النواب الشيوعيين . عندئذ لابد من حل الجمعية وأجراء انتخابات عامة جديدة . وليس هناك ما يدعو اطلاقا للاعتقاد بأن احزاب الوسط يمكن ان تحرز اغلبية مطلقة فى مثل تلك الانتخابات . ومهما يكن من أمر فان فرنسا ستعرف بانتخاب بوهير فترة من عدم الاستقرار السياسى لابد أن تنعكس فورا . كما حدث دائما ــ فى شكل انكماش فى دورها فى السياسة العالمية .

٨ ــ اما بالنسبة لازمة الشرق الاوسط ، فالامر المؤسف هو ان العرب لم ينزلوا بكل ما يملكون من ثقل فى المعركة السياسية فى فرنسا ليوازنوا ضغط الصهيونية . وبوهير افصح عن اتجاهه لرفع الحظر الذى قرره ديجول فى يناير الماضى على ارسال الاسلحة لاسرائيل . وعدم الاستقرار السياسى الذى سيتلو انتخابه لابد أن يقلل من الدور الذى تلعبه فرنسا فى محادثات الدول الاربع . أما بومبيدو فانه يمكن أن يجرى تراجعا جزئيا عن موقف ديجول ، ولكنه سيكون حريصا على ان يبرز دور فرنسا المتميز فى معالجة ازمة الشرق الاوسط . ومهما يكن من أمر فان ثمة مصالح فرنسية حقيقية ستحرص على الا تنقلب سياسة باريس فى هذه المنطقة رأسا على عقب .

ا . ص . ع



وثيقة سياسية

محاضر جلسات الحزب الوطنى المصرى عام ١٩١٠

١٦

أعمال مؤتمر الحزب الوطنى المنعقد فى بروكسل عام ١٩١٠

فى هذا العدد تنشر « الطليعة » الجزء الثالث والاخير من وثائق مؤتمر الحزب الوطنى (بروكسل ١٩١٠) .

فتقدم الجزء الاكثر اهمية من هذه الوثيقة وهو محضر الجلسة الختامية .

وفى هذه الجلسة يستمع المؤتمر الى صوت اليسار الاوروبى ، والى صوت كثيرين من انصار القضية المصرية من مختلف الاتجاهات .

كير هاردى زعيمحزب العمالالبريطانى يصيح فى اعضاء الحزب الوطنى « كونوا ثوريين » .

وممثل بولندا يصيح « اطردوا الانجليز بالقوة » ، بينما مندوب المانيا ينصحهم بالاعتدال وعدم اللجوء الى العنف ، حتى لا يفقدوا عطف أوروبا ، ويقف ممثل الحزب الاشتراكى الفرنسى لينقد مسلك حزبه ازاء اتفاق ١٩٠٤ بين انجلترا وفرنسا ..

اما مندوب الشباب العثماني فهو يؤيد النضال المصري ضد الانجليز ، لكنه ينتقد سياسة السلطان التي اضاعت على تركيا ممتلكات بذلت آلاف الارواح في احتلالها والاستيلاء عليها .

ان هذا المحضر صورة حية للوضع السائد في اوروبا في ذلك الحين ، وهو تجسيد للدوافع المتناقضة التي كانت تؤثر في قيادة الحركة الوطنية المصرية في هذه المرحلة .

كذلك فان هذه الوثيقة تتضمن القرارات الصادرة عن المؤتمر وهي - بغير شك - افضل معيار لتقييم مدى نضج الحركة الوطنية في ذلك الحين .

■ ■ ■

الجلسة الاخيرة

السبت ٢٤ سبتمبر (١٩١٠) بعد الظهر افتتحت الجلسة في الساعة الثالثة برئاسة السيد / محمد فريد

السيد محمد فريد : افتتحت الجلسة اني ادعو السيد روانيه نائب باريس ليشرفنا برئاسته لهذه الجلسة .

السيد روانيه يجلس في مقعد الرئاسة (تصفيق) .

السيد روانيه : ايتها المواطنات والمواطنون (تصفيق) لما كانت الفكرة تسبق العمل الذي تتصدره ، فان تأكيد الحق يسبق دائما تحقيقه والحصول عليه (صيحات استحسان) .

ولذا فاني لا اعتقد ان اطلاق صفة مواطنات ومواطنين على الحاضرين في هذا الاجتماع المكون من افراد ينتمون الى قوميات مختلفة ، بعضها حر ، وبعضها مقهور ، ليس امرا سابقا لاوانه (تصفيق) .

انني اود ان اعبر عن شكري للجنة المشرفة على تنظيم هذا المؤتمر لانها شرفتني باسناد رئاسة تلك الجلسة لي ، ولكن يتعين علي الا اخفي عليكم انني اشعر بحرج مزدوج في قيامي بهذه المهمة ، وهو حرج مزدوج بالنسبة لي ، بوصفي اشتراكي وبوصفي فرنسي

بوصفي اشتراكي ، لان الحزب الذي انتمي اليه كان من بين الاحزاب الفرنسية التي عملت بكل جهد واصرار على تحسين العلاقات بين فرنسا وانجلترا ، حتى اصبحنا نتحمل جزءا من المسئولية الادبية والمادية في اتفاق عام ١٩٠٤ (١) ، انني اعلنها صراحة ، اننا لم نكن نبغي قط ان يكون هذا الاتفاق ضارا بأي كائن كان . لقد عقدنا اتفاقا بين فرنسا وانجلترا ، ولكننا لم نوقع ابدا اتفاقا ضد مصر او ضد اية أمة اخرى (تصفيق) .

وانها لخيانة مزدوجة من جانب انجلترا ومن جانب حكومة فرنسا (صيحات استحسان) ان نسمح بالانحراف بهذه الاداة الدبلوماسية عند وضعها موضع التطبيق ، مع ان تلك الاداة لم يكن هدفها ولم يكن غرضها في نظرنا سوى تدعيم السلام العالمي (صيحات استحسان) .

ولكن ، لا سلام مع العبودية (تصفيق) .

فالسلام والعبودية امران لا يتفقان معا (تصفيق) .

وبصفتي مواطن فرنسي ، فاني متأثر ايضا بسبب القرار الذي اتخذته حكومتنا (٢) .

ومثل هذا القرار لا يمكن قبوله مطلقا ، فهو يتعارض في آن واحد مع تقاليدنا ومؤسساتنا وجوهر العقلية الفرنسية ومصالحها المادية .

ان الحق واحد لا يتجزأ ، ولا يمكننا ان نتمسك به في مكان دون الاخر ، اللهم الا اذا كنا لا نريد ان يكون محترما في اي مكان . فعندما تؤكد فرنسا لكل العالم رغبتها الجادة في البحث — بأسلوب سلمي — عن حلول للعلاقات الناشئة عن انتصار القوة على الحق ، فانه من الضروري ان تكون فرنسا اول من يعترف بهذا الحق للامم (صيحات استحسان) .

على اني اعتقد انه بامكاني ان اؤكد ان تصرف الحكومة الفرنسية لا يتفق مع افكار ومشاعر الرأي العام (تصفيق)

وفوق ذلك فانني مقتنع ان اغلبية الذين شاركوا في التدبير لمنع عقد

---

(١) الاتفاق الودي الذي عقد بين فرنسا وانجلترا .

(٢) يقصد هنا قرار حكومة اريستيد بريان ، بمنع عقد المؤتمر الوطني المصري في باريس .

المؤتمر الوطني في باريس ؟ كانوا سيتخذون موقفا مختلفا لو انهم لم يتجاهلوا تماما طبيعة مصالح فرنسا في مصر وطبيعة مطالبكم .

يجب ان تعرفوا تماما ، ايها المواطنون المصريون ، ان مطالبكم غير معروفة بالقدر الكافي بالنسبة للاوروبيين عامة . ويجب ان تذكروا ان الصحافة تشوه اعمالكم واتجاهاتكم وآمالكم تشويها تاما في اغلب الاحوال .

لقد حضرت هذا المؤتمر للاستماع والتفهم . وبالرغم من اني مهتم لاعتبارات مهنية ، بالمشاكل الخاصة بمصر — اذ اني اراسل جريدة مصرية — فقد تعلمت من حضوري هذا المؤتمر اشياء كثيرة تتعلق بالوضع المادي والمعنوي في بلادكم ، اشياء كثيرة كنت اجهلها . لقد كانت تقاريركم — اذا جاز التعبير — مصدرا للضوء والوضوح الحقيقي بالنسبة لكل من استمعوا اليها ولم يكونوا مثلي ، على قدر من الدراية بأموركم .

يجب ان تواصلوا الدعاية ، ايها الزملاء المصريون في انحاء اوروبا ووسط الامم الغربية ، ويجب عليكم ان تحذروا بالاخص ، وانتم تعلنون مطالبكم ، خبث تلك الامم الغربية (تصفيق) التي تحاول ان تخدع نفسها حول الطابع الوطني الصرف لمطالبكم ، بأن تخلط المسألة الوطنية بالمسألة الدينية (تصفيق) .

اني اعرف انكم لا تفكرون في اي نوع من الانتقام من جانب المسلمين ضد الاضطهاد المسيحي الذي ناءت تحت وطأته الامم الشرقية طوال قرون طويلة (تصفيق) .

ان هذا الحلم ذا الطابع الاسلامي لن يكون سوى حمق شأنه شأن ذلك الحلم الاحمق الذي داعب اوروبا في القرون الوسطى .

وعلى كل ، فان ذلك الحلم المسيحي لم يكن في الواقع سوى ستار تتخفى وراءه المصالح المادية والاقتصادية البحتة ، ونحن نعيش في عهد اصبحت فيه العقائد منفصلة تماما عن المصالح المادية .

يجب ان تفهم اوروبا اذن ان مطالبكم وطنية بحتة ، يجب ان تدرك ما تجهل وهو انكم تتكلمون من موقع القانون الطبيعي ، ذلك القانون الذي يمنح كل الشعوب حقها في الحرية ، وكذلك من موقع القانون الدولي بمعاهداته واتفاقياته ، يجب ان تفهموهم انكم تطالبون بالوفاق بين الحق والواقع ، ذلك ان حقكم قد انتهكه الواقع المتمثل في الاحتلال البريطاني (تصفيق وصيحات استحسان) .

وهذا ما سأقوله من جانبي في فرنسا ، ايتها المواطنات والمواطنون . واضيف الى ذلك انني بوصفي اشتراكي ، فانى اتمنى التحرر الوشيك والنهائي والكامل للامة المصرية (تصفيق متواصل) .

وسيأتي حتما ذلك اليوم الذي ستختلف فيه العناصر التي تشترك معنا الان في ارض الحرية المشتركة ، بمجرد تحرر مصر ، ذلك انها ستختلف حول صراع المصالح والطبقات . والى ان يحدث ذلك ، لابد وان تحصل الامة على حريتها . فلكي يتمكن المواطنون من المجادلة فيما بينهم حول حقوقهم ، لابد وان تتلألأ الحرية في سماء هذا البلد ، لانها مقدمة لا غنى عنها للتحرر الكامل للانسان (صيحات استحسان ، تصفيق حاد) » .

السيد محمد فريد : وصلتنا منذ حين ثلاث برقيات من القاهرة :

« اعيان الوراق يتمنون لكم دوام التوفيق امام الامم الاوربية في دفاعكم عن وطننا العزيز » .

«اشرحوا لاوروبا آلامنا واستعبادنا . طالبوا بالجلاء » .

توقيع

جمعية البر والترقي

« لجنة المدارس الشعبية بالاسكندرية تعبر عن تقديرها العميق للمؤتمر وتتمنى له النجاح والرفاهية لمصر ! .

السيد الرئيس : الكلمة للسيد منصور لتلاوة « تقرير عن الجيش » مقدم من لجنة عسكرية متخصصة .

(السيد منصور يقرأ التقرير) .

السيد الرئيس : تفتح المناقشة حول التقرير

(السيد هارديال يتكلم بالانجليزية) .

السيد محمد فريد : تكلم عن مصر ولا تتكلم عن الهند . لسنا في مؤتمر هندي بل في مؤتمر مصري .

السيد هارديال : لدى الكثير الذي اريد ان اقوله عن مصر .

السيد محمد فريد : خمس دقائق فقط .

السيد هارديال : ينهي خطابه

السيد محرم : يتكلم بالعربية (جلبة ، مقاطعات) .

السيد العلايلي : يقول بضع كلمات بالعربية (الرئيس يقاطعه) .

احد الاعضاء يطالب بترجمة كلمات الدكتور محرم الى الفرنسية ولكن هذا الطلب لا يلبى .

الدكتور محجوب ثابت : أريد ان اتكلم قليلا عن الجندى المصرى من الناحية التربوية ،من المؤسف حقا ان يقضى شبابنا خمس سنوات فى الثكنات ليخرج منها اميا تماما ، لا شك أن اللائمة فى ذلك تقع على عاتق السلطات العسكرية ، فلو ان احد الضباط الانجليز قدم لهذا الشباب ، وهو بين ايدى السلطة العسكرية ، بعض التعليم العام لما كلفه ذلك شيئا . لا يحتاج الامر الا لعدد من المناضد والمقاعد فى احد عنابر الثكنات ليتعلم هؤلاء الجنود القراءة والكتابة ، ولتلقى عليهم بعض المحاضرات الزراعية خاصة وان غالبية هؤلاء الجنود ستعود الى الارض لتعمل فيها .

ذلك اننا مهددون بوقوع كارثة حقيقية ، كما حدثت لكثير من المدن ،وانا متأكد انالسيد روانيه والحزب الاشتراكى الفرنسى يدركان هذه المشكلة . لقد كتب السيد فاندرفيله دراسة هامة جدا عن « المدن السرطانية » تلك المدن التى تجذب اليها شباب المناطق الزراعية فيتركون العمل الزراعى ليذهبوا اليها ، حتى ان الارض ستصبح جرداء .

وربما حدثت هذه الكارثة فى مصر أيضا . ولذا فانى اطالب بأن يستغل وجود هذه الملايين من ابناء الشعب تحت السلاح لتلقى عليهم بعضالدروس والمحاضرات الزراعية .

السيد الرئيس : الكلمة الان السيد عبد الحميدسعيد، استاذ القانون ، ليقدم تقريرا عن « القضية المصرية والسياسة الانجليزية »

(السيد عبد الحميد سعيد يتلو التقرير) .

السيد الرئيس : باب المناقشة مفتوح . الا يريد احد ان يتكلم ؟ لننتقل الى قراءة التقرير الثالث الخاص بـ « الزراعة فى مصر » وقد وضعته هذا التقرير لجنة زراعية وسيقرأه السيد حسيب .

السيد الرئيس : المناقشة مفتوحة . الا يطلب احد الكلمة ؟ لننتقل الى التقرير الرابع الخاص بـ « آثار الاحتلال السياسى والادارة المالية الانجليزية فى مصر » يقرأه السيد على بك فهمى كامل .

ويلخص المقرر فى كلمته التقرير ويختتم كلمته قائلا :

ماذا تقول مصر ؟ انها تقول : يجب أن أكون حرة .

ان الحرية لتتمثل فى نضالنا ضد الاحتلال المشئوم لبلادنا .

وحتى يتم الاحراز الكامل للحرية ، فلن تكون هناك حضارة فى العالم (تصفيق) .

السيد كير هاردى : يتكلم بالانجليزية ويثير خطابه عاصفة من التصفيق الحماسى .

السيد الرئيس : الكلمة للسيد لطفى جمعة ليترجم خطاب السيد كير هاردى .

السيد لطفى جمعة : ان حضور السيد كير هاردى هنا فى بروكسل يرجع كما قال لنا لمنع عقد المؤتمر المصرى فىباريس .

فعندما علم من الصحف أن مؤتمرنا الوطنى قد منع من الانعقاد فى فرنسا ، اعتبر أنه من الضرورى أن يكون كل أصدقاء مصر بجانبنا فى كفاحنا فى هذه الاوقات العصيبة .

وهو يرى أن تصرف السيد بريان ، الذى منع عقد مؤتمرنا فى باريس أمر غير مفهوم . انه انتهاك لكل تقاليد الحرية الفرنسية . وسوف يدين هذا التصرف ، كل انصار الحرية فى فرنسا نفسها ، وفى كل بلاد العالم .

ويقول السيد كير هاردىأنه من المؤسف أن نلاحظ فى الوقت الحالى أن روح الحرية تهاجم بالفعل فى كل بلاد أوروبا القديمة .

فى الماضى ، كان كل شعب يناضل من أجل الحرية ، يستطيع أن يعتمد على البلاد الاخرى التى حصلت على حريتها . وكان كل شعب يستطيع أن يعتمد لاعلى التأييد المعنوى فقط ولكن على المساهمة الفعالة أيضا .

وأبرز مثل على ذلك التغيير ، القاء القبض فى فرنسا على ثائر هندى . وقد رفضت انجلترا أن تنقذ ذلك الوطنى الهندى بالرغم من كل الاحتجاجات .

ويقول لنا السيد كير هاردى : يجب أن تعدوا أنفسكم لكل ضروب الاضطهاد ولكل صنوف الالم من أجل الحرية ومن أجل الافكار العزيزة عليكم .

وهو يذكر لنا المثل الذى قدمه جوزيف مازينى الثائر الكبير . لقد اضطهدوه ونفوه من وطنه وطاردوه من بلد الى آخر . ومع ذلك فان ملك ايطاليا ، نفسه ، ينحنى اليوم أمام الذكرى المجيدة لهذا الوطنى .

وسيأتى يوم ، وهو قريب ، يحتفل فيه بذكرى مصطفى كامل وفريد بك . وسيرى الشباب المصرى فى شوارع القاهرة ذاتها ، تماثيل مقامة لهؤلاء الرجال (تصفيق) .

ولما علمت جريدة « التايمز » بعزم السيد كير هاردى على حضور هذا المؤتمر ، فقد وجدت أنه من المناسب أن تسدى له بعض النصائح ، ونشرت بهذه المناسبة خطابا للسيد ادوار نافيل عالم

الاثار المصرية الشهير ؟ يقول فيه انه ليس هناك ما يبرر شكوى المصريين من الاوضاع الراهنة فان الفلاح المصرى ، على حد قوله ، يعيش فى حال أفضل من حاله منذ ثلاثين سنة مضت ٠ ويرفض السيد كير هاردى هذا الادعاء الكاذب تماما لان مصر كانت تعيش منذ ثلاثين سنة تحت نير خديوى سيء أغرق البلاد فى ديون هائلة فسبب لها متاعب جمة ٠

ولذا فالسيد كير هاردى لايجد ان هناك مايستدعى أن يقدم تبريرا لا للسيد نافيل ولا للتايمز لسبب حضوره فى مؤتمركم ٠

ولكن « التايمز » تقول له :

« أنت ياممثل الطبقة العاملة ، البروليتاريا ، لماذا تنضم الى حركة تقوم بها الطبقة المتوسطة ؟

ويجيب السيد كير هاردى ببساطة : لان انجلترا لاتملك أى حقوق على مصر ، والسيد كير هاردى معنا هنا لانه يعتبر نفسه من المدافعين عن الحرية والعدل (صيحات استحسان) ٠

وهناك مسألة أخرى جديرة بالمناقشة وهى مسألة الشرف ٠ فمنذ ثلاثين سنة مضت تعهدت انجلترا أمام كل دول أوروبا بسحب قواتها بمجرد استتباب النظام . وقد تنافس كبار رجال الدولة أمثال جلادستون ، ولورد سالسبورى على بذل الوعود ، ولكن انجلترا لم تر ابدا انه من الضرورى ان تفى بوعودها ، ولذا فالسيد كير هاردى لا يمثل فقط فكرة الحرية والعدالة ،ولكن يمثل ايضا واجب الشرف الانجليزى (صيحات استحسان).

وهو يحدثنا عن السيد ادوارد جراى ، والسيد بلفور ، والسيد روزفلت ، ويقول عنهم متهكما انهم عبارة عن ثالوث متماسك ، ولكنه ثالوث يتكلم للاسف لا بلغة الانسانية ، ولكن بلغة تواثر المال ، وهو يؤمن تماما بضرورة حصول مصر على حريتها ، وانه يجب ان تقرر مصيرها بنفسها وبأنه لايحق لاحد أن يتدخل فى شئونها ٠

أما فيما يختص بالحلول ، فالسيد كير هاردى يقول أننا ربما نفضل الحياد على غرار وضع بلجيكا وسويسرا ٠ ولكن ذلك لايعنيه ٠ فاختيار المنهج ليس من شأنه ، والوسائل لاتهمه بقدر مايهمه الهدف وهو حرية مصر ٠

ويقول لنا السيد كير هاردى بوضوح أن حركتنا يجب أن تكون حركة ثورية ٠

كان الامر مختلفا فى الماضى ٠ كنتم تنتظرون آملين ان يتم الجلاء عن مصر ، ولكنكم تعلمون اليوم أن السيد ادوارد جراى أعلن أن انجلترا لاتنوى قط أن تفى بالتزاماتها ٠ وقد كذبت الاحداث تماما تلك الوعود (صيحات استحسان) ٠

انهم يضطهدونكم بطريقة اجرامية تتنافى مع قواعد العدل ومع تقاليد انجلترا ٠ وتسلك انجلترا طريق القمع لكى تتخلص من حركتكم وهى تريد أن تقضى عليكم ، على عكس ماتقضى به كل تقاليد العدالة الانجليزية ٠ وانجلترا ، التى كانت تحترم الحرية على أراضيها وتحترم حرية كل مواطن انجليزى ، لم تعد تحترم حرية الاخرين ٠

ويضيف السيد كير هاردى ، يجب أن يحصل على حريته كل بلد يرفرف عليه العلم الانجليزى ٠

وهو يحذركم من واقع تجربته ، بأنكم ستلقون الاضطهاد وأن الجواسيس سيتعقبونكم ، بل وسيلقى بكم فى السجون ، ولن يجدى كل ذلك ، فسيأتى اليوم الذى يتحقق فيه انتصاركم ٠ وسيمدكم الاضطهاد بمزيد من القوة ٠ انهم لم يفعلوا ذلك بالامس ، أما الان فانكم تتمتعون بالهيبة التى يثيرها الاضطهاد ٠

كانت حركتكم فى الماضى افلاطونية ، أكاديمية ، علمية ، أى حركة لاتؤدى الى شيء ٠

وستكتسب هذه الحركة قوة جديدة بما ستلاقونه وستكون الالام فى صفكم (تصفيق) ٠

وهو ينصحنا بالتمسك بالوحدة ، وبعدم تفريق الصفوف، يجب أن تتكاتف جميعا فى الجهاد من أجل الحرية ٠

فانجلترا تحاول أن تفرق لتسود ٠ وهو نفس الاسلوب الذى اتبعته فى الهند ٠ يجب الا تكون مصر للاسلام ، ولكن للمصريين ٠ يجب أن تتجنبوا التعصب المذهبى ٠ وسيأتى اليوم الذى يقوى فيه الرأى العام على اجبار الحكومة على الخضوع له ٠ وستتوقف حينذاك الاداة الحكومية ولننتظر هذه اللحظة لنعمل ٠

ويضيف السيد كير هاردى : لقد استمعت الى تقرير عن الجيش ٠ والجيش قوة فريدة وأساسية فى الكفاح القادم ٠

يجب أن تعتمدوا اذن على هذه القوة ٠ لاتقنعوا بانتشار الوطنية فى هذه المصلحة الحكومية او تلك ٠ يجب أن تتغلغل الفكرة الوطنية فى كل مكان : فى الجيش ، فى القضاء ، فى المدارس ، وبين رجال النيابة والمحامين . وهكذا تتحد كل قوى الامة ٠ وسيأتى اليوم الذى يسود فيه السلام العالمى جنبا الى جنب مع حرية الامم وتعاون الجميع من أجل رفع شأن الجنس البشرى تدريجيا ٠ وعندئذ ستنعم مصر بالحرية والاستقلال شأنها شأن كل الامم (تصفيق متواصل) ٠

واضيف جملة نسيتها ٠ يقول السيد كير هاردى أن المصريين يفضلون ان يضعوا ثقتهم فى واحد منهم ، مثل عبد الحميد بك عمار ،

عن ان يقعسوا هذه الثقة في أى انجليزى شريف .

السيد عثمان بك غالب : أريد فقط أن أقول كلمة عن السيد نافيل . يجب أن نفند مزاعم هذا الرجل . السيد نافيل من علماء الآثار المصرية ، وهو عالم كثير التردد على مصر . وهو على علاقة بمصريين طيبين وكرماء يساعدونه فى أعمال التنقيب عن الآثار . ومع ذلك فهو يتكلم دائما ضدهم وفى صف الانجليز على صفحات جريدة « جورنال دى جنيف » .

ويدعى هذا الرجل أن المصريين ، الفلاحين ، أسعد حالا مع الانجليز عما كانوا مع المصريين . وهو يكذب نفسه بنفسه لان جميع الحاضرين هنا من أبناء الفلاحين وكذلك أيضا كل الذين أرسلوا لنا برقيات من لندن أو من أى مكان آخر . يجب أن تنتهى قضية هذا الرجل وأن يكون معلوما أنه لايقول الحق أبدا . انه من المشايعين للانجليز ربما بغرض أو بغير غرض ، فلا علم لى بذلك ، ولكن كلامه لم يكن أبدا حقا او عدلا (تصفيق) .

السيد فريد يتلو برقية بتوقيع طلبة مصريين .

السيدة درا هورست تتكلم بالانجليزية (تصفيق) .

السيد هوبتمان نائب فى المجلس القومى(الدييت)البروسى

لقد تشرفت بأن أقول لكم ..

(اصوات عديدة تتكلم بالالمانية)

السيد هوبتمان : أنا على استعداد لان اتكلم بالالمانية لو كنت واثقا من أن كلامى سيكون مفهوما . وأنا مقتنع تماما بأنكم تجاملوننى بالسماح لى بالكلام بالالمانية . ولكن ربما لايفهمنى أحد سوى السيد محرم ، وأنا حريص على ان تفهمونى جميعا .

يكرر الخطيب هذه الجملة بالالمانية (تصفيق) .

وكما قلت لكم هذا الصباح ، فاننا نتعاطف دائما ، نحن الالمان ، مع الذين يدافعون عن حقوقهم . ولست في حاجة لان أكرر لكم ذلك .

ويمكنني أن أقول بكل سرور ، وهذا المؤتمر على وشك الانفضاض ، ان انطباعاتي عن الاجتماع حسنة . فالمصريون يعملون ويجاهدون من أجل تحسين الاوضاع الراهنة ويحاولون أن يتعلموا وأن يتفهموا لكي يتقدموا فى طريق الحضارة الجديثة . لقد استمعت الى خطبائكم ، انهم رجال موهوبون ملمون تماما بالمواضيع التي تطرقوا اليها . وقد اتضح لى انكم مهتمون بالتعليم العام والصحة والصناعة وغير ذلك من المسائل المتعلقة بالمشاكل الاساسية بالنسبة للشعب . ومن الواضح لى أنكم تسيرون قدما وأستطيع أن أقول لكم : واصلوا مسيرتكم ! لقد قلتم فى جلسة الافتتاح ، ان المؤتمر الوطني المصري لا يريد ان يقوم بعمل ثوري بل يريد أن يستمع الناس اليه وأن يتبنوا القضية التى يدافع عنها لان مطالبه العادلة معقولة ومناسبة . ومما يدعو الى السرور أنى أستطيع أن أقول لكم أنكم راعيتم تماما هذا الخط الذى رسمتموه لانفسكم (تصفيق)

ولسوف تصلون الى أهدافكم عن هذا الطريق . أنا أعرف أن البعض يفضل اللجوء الى القوة . وهذه الفكرة تروق بالذات للشباب . وأنا ادرك ان القوة تتسم بالبطولة (عدد من الجالسين يردد : حسن جدا)

ولكن أعتقد أنهم مخطئون لانهم لن يحققوا شيئا .

أصوات تتصاعد من بعض المقاعد : لماذا ؟

السيد هوبتمان : هذا ما أخشاه وأريد أن تتفادوه.وكما كنت أود أن تصلوا الى أهدافكم فانى سعيد بأن أجدكم تسيرون فى الطريق الاسلم (استحسان) . من الافضل ان تستعدوا . واذا كنتم تشكون المظالم التي لحقت بكم فاحذروا من ارتكاب المظالم ضد الاخرين وأنتم تدافعون عن قضية عادلة . واذا كنا فى حاجة الى تعاطف الاخرين معنا ، فيجب أن ندرك ان اسلوب القوة لا يجلب العطف علينا . فالقوة تتسم دائما بالعنف الذى يستثير مشاعر الشعوب الاخرى . وهو طريق لايؤدى الى كسب العطف وبالتالى فانه لايحقق الهدف فى أغلب الاحوال . ولما كنت أود أن تصلوا الى أهدافكم فاننى أنصحكم باتباع الطريق المضمون حسب مااعتقد . لقد استمعت الى خطب كثيرة اليوم حتى انه أصبح من الضرورى الانتهاء منها . ولذا فانى أختتم كلامى متمنيا لكم نجاح جهودكم حتى يأتى اليوم الذى تشرق فيه الحرية على مصر (صيحات استحسان وتصفيق) .

السيد الرئيس : الكلمة للسيد روساليشيف ، البولندى . يجب الا تتعدى الخطبة خمس دقائق .

السيد روساليشيف : ايها السادة ، انى أحضر اجتماعكم بوصفى بولندى ، ابن الامة التى عانت أكثر من أى أمة أخرى من السيطرة الاجنبية ، والتى فقدت وطنها . فمنذ مائة عام وهى ترزخ تحت نير ثلاثدول اسولت معا على أراضيها .

لقد سالت دماء أمتنا من أجل استقلال وحرية شعبنا وكل الشعوب . وامتنا تحيى دائما ، بكل مودة صادقة الامم التى تقاوم مضطهديها . وقد كان لكل حركات التحرر والاستقلال صدى كبير بين الاهالى فى بولندا .

ان بولندا لم تمت ولن تموت أبدا (تصفيق) ٠

ففي خلال مائة عام ، قامت أربع ثورات فى بولندا الروسية وحدها ٠ وسنقوم بأربعين ثورة ، الى ان نصبح احرارا (تصفيق) ٠

ولذا أقول لكم : اذا كانت حركتكم الوطنية تقتصر فى وجهة نظركم على استثارة العطف البريطانى ، فكيف يمكنكم ان تتحرروا من النير الاجنبى ؟ ربما كان التعليم هو الشيء الاساسى ٠ ولذا فانى ألاحظ ، فى مؤتمركم هذا ، التقدم الذى أحرزتموه فى كل المسائل التى تهتمون بها ٠ انكم تسيرون بطريقة منطقية نحو الهدف النهائى ، وهو الجلاء عن مصر ٠ وأنا واثق من أنكم لن تتراجعوا أمام هذا النضال الذى لاتتحرر بدونه الامم المضطهدة ٠ وانى أختتم كلامى بأمنية ، وهى أن الكفاح ينتقل فور انطلاقه من الاباء الى الابناء ليطرد المحتلين بالقوة ويحقق الانتصار (تصفيق)

السيد عبد الحميد بك عمار يتكلم بالعربية ٠

السيد لطفى جمعة يترجم ٠

يقول عبد الحميد بك : ان هذا المؤتمر يجتمع ليعلن استقلال مصر ٠ وهذا امر محزن لانه يفيدنا بشيء مؤلم وهو اننا فقدنا حريتنا ٠ ولكن من دواعى سروره أن مصر لا تزال باقية بالرغم من ادعاء الانجليز انها انتهت ٠ فهى قائمة وستظل قائمة حتى نهاية هذا العالم ٠

واستقلال بلدنا مسألة واضحة جدا غنية عن أى بيان ٠ اننا نطالب انجلترا بالوفاء بوعودها فتتهمنا بالتعصب ؛ ولما كان هذا الاتهام لا يستند الى أى دليل فان السيد عمار لن يرد عليه لان الرد لا يكون الا على الاشياء التى بذلت محاولات لاثباتها ٠ ومصر هى أول امة فتحت ابوابها للحضارة الاوروبية منذ أكثر من مائة عام ٠ وعلى العكس من ذلك فقد رحبت دائما بالتجار الاجانب وبذلت كل ما فى وسعها لارضائهم ٠ ولكنهم سرعان ما وقفوا ضد أمانيها بالرغم من حفاوتها بهم وحسن استقبالها لهم ٠ ولكن بالرغم من الجراح التى اصابتها من جراء هذه المعاملة السيئة ، وبالرغم من أحساسها بالغبن الذى لحق بها من أوروبا ، الا انها تشكر بلجيكا على كرمها ، اذ فتحت لنا ابوابها لاستقبالنا وللسماح لنا بالتعبير عن آمالنا وامانينا فى الحرية (تصفيق) ٠

السيد لطفى بك : سيداتى ، سادتى ٠ لا اريد أن القى عليكم خطبة ولكنى ساكتفى بأن اقدم لكم عرضا لكل المناقشات التى تمت للوصول الى النتائج العملية لمؤتمرنا هذا ٠

كان هدفنا من تنظيم المؤتمر هو مناقشة مسألتين هامتين واساسيتين للغاية ٠ المسألة الاولى هى مدى شرعية الاحتلال البريطانى لمصر ، والثانية هى ضرورة قيام حكم ذاتى فى مصر ٠ وقد تعرض رئيسنا ، وعدد من المتكلمين ، للمسألة الاولى ٠ وانا واثق تماما من انه لا يوجد واحد بيننا يؤمن بشرعية الاحتلال الانجليزى ٠ ولكن المسألة الثانية حساسة فى نظرى بالرغم من شرعيتها التامة ، فقيام حكم ذاتى فى بلدنا الان مسألة فى غاية الاهمية ٠

كانت فى مصر ، قبل الاحتلال الانجليزى ، سلطة نيابية ، أى ان الشعب المصرى كان يحكم بلده ٠

وعندما احتل الانجليز مصر فى عام ١٨٨٢ / ١٨٨٣ ، قالوا : « يجب الا نترك السلطة فى ايدى هذا الشعب فهو لايزال طفلا لا يستطيع أن يتصرف وحده فى اموره ٠ لقد قررنا الغاء هذه السلطة النيابية لنمسك بايدينا زمام الادارة فى مصر حتى نوجد اداة حكم افضل ، وحتى نحقق هدفا آخر وهو الانتظار وقتا كافيا لتعليم المصريين ، ورفع مستواهم حتى يكونوا اهلا لان يحكموا انفسهم بانفسهم » ٠

ولكى يتبين لنا ما اذا كانت مصر تستحق ان يكون لديها دستور من عدمه ، يجب ان نلقى نظرة اولا على وضع ادارتها قبل عام ١٨٨٢ ، أى قبل الاحتلال ، ووضعها حاليا ٠

ولو كانت الادارة القديمة افضل لتمكنت مصر من مواصلة حكم نفسها بنفسها ٠ ولو كانت سيئة لوجب أن تبقى مصر تحت الاحتلال القائم ٠

اننى لا اذكر سوى الخطوط العريضة لما عرض فى هذا المؤتمر ، ولكى اوضح حقيقة الادارة الانجليزية ، يجب أن نتناول كل وزارة على حدة حتى نعرف ماذا فعل الانجليز بها ٠

وسنبدأ بوزارة المعارف العمومية : الغاء المدارس الابتدائية والثانوية والعالية وتخفيض عددها ، قصور البرامج الحالية وسوء اختيار المقررات والحد نسبيا من عدد الطلبة واحلال اللغات الاجنبية ، وخاصة اللغة الانجليزية ، محل اللغة العربية ٠ تلك هى حصيلة ٢٨ سنة من الاحتلال ٠ ومع ذلك فان الادارة البريطانية تدعى انها تحسن حكم البلاد !

اما ما كان يمكن أن يتم فى ظل الادارة المحلية فهو : تعميم التعليم الابتدائى على اوسع نطاق ، تشجيع وتنمية التعليم الفنى خاصة فيما يتعلق بالزراعة والصناعة ، تنظيم وتطوير تعليم المراة — وهو شبه معدوم فى مصر — تدعيم وتحسين تعليم اللغة العربية ٠

ولننتقل الى وزارة الداخلية ، هل تعلمون ما تم فى هذه الوزارة خلال ٢٨ عاما ؟ لم يحدث اى تحسن فيما يتعلق بانتشار

الجريمة . وتستغل انجلترا ذلك الوضع ضد مصر بالرغم من أنها مسئولة عنه . لقد سنت قانون النفى الادارى الذى يتلخص فيما يلى : يؤلف ممثلو الحكومة الانجليزية محكمة ادارية من بينهم ، وهى لا تمت بصلة للمحاكم الا بالاسم فقط . وتقرر هذه المحكمة نفى هذا الفرد أو ذاك لمدة ٤ أو ٥ أو ٦ سنوات ، بل ولمدة أطول من ذلك . ويكفى لادانة الفرد أن يقرر عدد من الشهود انه سيء السمعة . وعلى هذا الاساس ينتزع الشخص من بين أهله ويرحل الى بلد لا يتوفر له فيه أى مورد ولا أى وسيلة للحياة .

والنظام المعمول به فى وزارة الداخلية قاصر . وقد اوجده بعض الشباب الانجليزى الذى تم اختياره فى لندن بلا ضابط أو رابط ، ليحصل على مرتبات ضخمة ويتعلم اللغة العربية فى الادارة ، الى أن يتعلم أصول الادارة نفسها (صيحات استحسان) .

وتتبع الصحة العامة وزارة الداخلية . وقد تبين لكم من التقارير المعروضة عليكم ، أن الصحة العامة فى مصر مهملة تماما . ولم يبذل أى جهد لتحسينها . وقد اتضحت لكم نسبة الوفيات المخيفة بين الاطفال .

والصحة العامة مهملة تماما فى المدن الكبرى . فلا نزال – بعد كل هذه السنوات – لانستطيع ان نحصل على ماء صالح للشرب فى مدينة القاهرة التى يعيش فيها مليون نسمة ، وفى بلد يدفع ضرائب باهظة .

ومـا دمنا نتكلم عـن وزارة الداخليـة ، فيجب ان نذكر ان الحكومة اصـدرت قانونا اداريا يقضى على حرية الصحافة . انه قانون وحشى لا تقبله العدالة . فهو يفرض العقوبات على الصحفيين دون محاكمتهم ودون أن يدافعـوا عـن انفسـهم ؟ وبمقتضى هذا القانون تلغـى الجريدة بعد انذارها مـرتين . وقد انفردت السلطة بسلطة التصريح باصدار الجرائد . واذا لم تمنح الجريدة ذلك التصريح فانها لا تصدر . وهكذا يقضى ذلك القانون على حرية الصحافة ، أى على حرية التفكير والحياة . هذا ما حققته وزارة الداخلية خلال ٢٨ سنة من الاحتلال (تصفيق) .

لم يكن ممكنا ان يتردى الوضع الى هذا الدرك فى ظل الادارة المحلية . لقد كان بوسعنا أن نكافح الجرائم وان نقلل من عددها ، اولا : بنشر التعليم العام ، وثانيا : بالاختيار الجيد لموظفى الادارة ، وثالثـا : باستبعاد المفتشين الانجليز الذين لا يمتون بصلة للادارة الا اسميا فقط . وكان يمكننا أن نقلل من الجنايات بجعل المصريين يختارون بانفسهم عمد القرى بينما تتولى الحكومة حاليا اختيار عمد القرى عن طريق رجالها . وكان بوسعنا ادخال تحسينات أكبر بالاختيار الجيد لرجال القضاء والادارة . واذا كانت انجلترا قد اقامت مدرسة لتعليمهم فقد كان من الافضل أن توفر لهم التعليم الفنى على غرار التعليم السائد فى لندن وبروكسل ولوزان وباريس .

وقد استمعتم – حول موضوع ادارة السجون – الى تقارير مفصلة عن نظام السجون السيء . ولو كانت لدينا حكومة افضل لحصلنا على نتائج كثيرة .

ولننتقـل الان الـى وزارة المالية .

لقد استمعتم الى التقارير المفصلة والى تقرير لجنة الزراعة ايضا – وقد اتضح لكم مدى التبذير الهائل الناتج عن الاحتلال .

ولذا فانى ارى أن يطالب المؤتمر بالابقاء على الرقابة على صندوق الدين العـام . فانتم تعلمون ان مصر مدينة لأوروبا .

وقد تكونت لجنة ، تسمى لجنة الدين العام ، للاشراف على المالية المصرية . وتشارك كل الدول الكبرى فى هذه الرقابة . ولذا فانى اطالب بالحفاظ على رقابة صندوق الدين العام حتى تسديد الدين لمنع التبذير .

فمنذ ٢٨ سنة ، كان الدين المصرى ١٠٠ مليون جنيه عند دخول الاحتلال . ولم يسدد منه حتى الان سوى ٤ أو ٥ ملايين من الجنيهات فقط .

ولذا فانى اطالب باتخاذ اجراءات لوقف التبذير وتخفيض دين الدولة . وأود أن الفت النظر هنا الى المضاربات التى يقوم بها المجلس المالى بأموال الخزينة العامة . فقد ضاربت الحكومة على اسهم الترانسفال مما ادى الى خسارة قدرها ١٨ مليون فرنك . واذا قيل للانجليز أنه لا يجوز لحكومة أن تضارب بالاموال العامة فانهم يردون قائلين اننا اطفال لا نفهم فى امور الادارة . هكذا يردون علينا .

وانتم تعلمون أن القوانين من وضع الحكومة وانها القائمة على تنفيذها ، لانه لاتوجد لدينا سلطة منتخبة . وهناك جمعية تشريعية ولكنها استشارية فقط ولا يحق لها اقتراح القوانين . وتعد الحكومة القوانين وتقترحها دون أن تأخذ فى اعتبارها رأى الجمعية التشريعية . ولو كانت الحكومة البريطانية حسنة النية لما تعرضنا لهذا الموضوع . لكن الحكومة البريطانية تستخدم هذه السلطة فى خدمة سياستها . ويؤسفنى جدا أن اضطر الى ذكر بعض الوقائع الناجمة عن قيام ذلك النظام . فقد شكلت بعد الاحتلال محكمة مخصوصة للنظر فى الجنايات والجنح التى قد

يرتكبها مصريون ضد حكومة الاحتلال . وتتألف هذه المحكمة من ضابطين انجليزيين ورئيس محكمة الدرجة الاولى واثنين من مستشارى محكمة الاستئناف . ولا يحد من اختصاصات هذه المحكمة أى قانون اجراءات أو أى قانون جنائى . ومن حقها أن تنعقد فى أى وقت ، والا تتقيد بأى ضمان من ضمانات قانون الاجراءات . كما أن احكامها لا تستأنف ولم تضع الحكومة أى حدود لهذه المحكمة بل قالت لهم : يمكنكم أن تحاكموا أى شخص . وهكذا فقد يحكم بالاعدام على جندى مصر اذا صفع ضابط انجليزى . وقد شكلت هذه المحكمة فى قضية دنشواى الشهيرة ، التى تعرفونها كلكم على الارجح . فقد دخل بعض الضباط الانجليز قرية لصيد الحمام ، ولما ابدى بعض الاهالى اعتراضهم للضباط الانجليز ، فقد أحيلو أمام هذه المحكمة المخصوصة التى حكمت على اربعة منهم بالاعدام ، وعلى عدد كبير بالسجن المؤبد والجلد .

أما تنفيذ الحكم فقد تم بصورة أفظع . لقد شنقوا الرجال أمام منازلهم والنساء ينتحبن ، وحضرت امهات شنق ابنائهن ، ورأى اطفال لا يفهمون شيئا آباءهم معلقين فاعتقدوا أنهم يداعبونهم من بعيد (همهمات) .

تلك هى نتيجة منح الحكومة سلطة سن القوانين وسلطة خرقها .

وقانون الاتفاق الجنائى من ثمار هذا النظام ايضا . وانى اخاطب هنا اخلاصكم وتحرركم . لقد اصدروا هذا القانون على غرار القوانين المعمول بها فى أوروبا ضد الفوضويين ، أى ضد الجمعيات التى تدعو الى نشر الفوضى . أما فى مصر ، فقد اتخذوا من تلك القوانين الاوربية مبررا لاصدار قانون لا يتعرض فقط للجمعيات السرية ، بل يتعرض لمجرد التواطؤ بين شخصين . فاذا دعا شخص فردا آخر لعمل شىء ما فانه قد يقع تحت طائلة هذا القانون التعسفى الذى يعاقب بالاشغال الشاقة المؤبدة أو الاعدام .

صوت : انه قانون سافل !

لطفى بك : هذا القانون يحاكم على مجرد النيات ، يعاقب على الفكرة . لا يوجد فى العالم باسره قانون يصل الى هذا المدى .

اما فيما يختص بالمحاكم ، فان استقلاليتها معدومة . كان رجال القضاء غير قابلين للعزل بمقتضى القانون المعمول به قبل الاحتلال البريطانى . وقد غير الاحتلال كل ذلك . فلم يعد يتمتع بهذا الحق سوى مستشارى محاكم الاستئناف ، والحكومة هى التى تدفع مرتباتهم . ولكن هل تعرفون ماذا تفعل الحكومة الانجليزية لاستمالة رجال القضاء والقضاء على استقلاليتهم؟ انها تختار وزراءها من محاكم الاستئناف . فكل رجل قضاء يريد ان يعمل فى المجال السياسى يجد امامه منصب وزير . وهكذا لم يعد هناك وجود لاستقلالية القضاء .

اما الاقتراح الذى اقدمه لوزارة العدل فهو ان يتقاضى رجال القضاء مرتباتهم فى مقابل ادائهم لوظيفتهم والا تسمح لهم بتقلد مناصب وزارية لصون استقلاليتهم .

ولكن هناك ما هو ادهى من ذلك : فالحكومة تتاجر بالعدالة ، ذلك ان العدالة تدر ايرادا طيبا . هل تعرفون مقدار ما تنفقه الحكومة من هذا الايراد على العدالة؟ انها لا تنفق سوى ايرادات التقاضى فقط كمرتبات للقضاة ، وقلم الكتاب ، وتضع الثلثين فى جيبها . أننى اطالب بتحسين احوال رجال القضاء بمنحهم مرتبات افضل ، هذا الى جانب تخفيض مصاريف التقاضى .

واصل الان الى الخاتمة . لقد استعرضنا كل مجالات الادارة المصرية . لقد الغى الانجليز الدستور المصرى الصادر فى عام ١٨٨٣ بحجة اننا غير جديرين بحكم انفسنا .

وقد اثبت لكم أن الادارة الانجليزية سيئة ، وانه لو ابقى على الادارة المصرية لحققت بعض التحسينات .

وقد قالت الحكومة الانجليزية : سأتولى تربيتكم اثناء الاحتلال لكى تصبحوا اهلا لحكم انفسكم . غير اننى واثق من أنكم ترون معى ان الوسيلة الوحيدة لحصول الانسان على خبرة الحكم تتمثل فى اتاحة الفرصة له لكى يحكم .

لا توجد اى مدارس تطبيقية خاصة لتعليم الرجال الحكم . ولكن هناك وسيلة لاعداد الرجال ليحكموا انفسهم وهى تعليمهم . ولو كانت الحكومة البريطانية قد فعلت شيئا من اجل تعليمنا لفهمت وجهة نظرنا . ولكنها لم تفعل اى شىء . هل تعتقدون ان الادارة البريطانية يجب ان تستمر فى حكمنا بعد ان اوضحت لكم مدى افلاسها ؟

اصوات من مقاعد مختلفة : ابدا

هذا يعنى انه قد آن الاوان لوضع دستور وايجاد حكم ذاتى وانى لاطلب من المؤتمر أن يدلى بصوته فى القرارات التالية :

١ ــ الاحتلال الانجليزى غير مشروع .

٢ ــ الحكم الذاتى ضرورى .

٣ ــ الغاء قانون الصحافة فورا .

٤ ــ الغاء قانون النفى الادارى .

٥ ـ الابقاء على رقابة صندوق الدين العام »

واطلب من السيد الرئيس ان يأخذ الاصوات على هذه الاقتراحات ·

السيد الرئيس : هل هناك اعتراض من احد على الحلول التى قدمها السيد لطفى بك ؟

السيد لطفى جمعة : انا أوافق تماما على اعلان عدم مشروعية الاحتلال الانجليزى وضرورة اقامة الحكم الذاتى ، وبناء عليه فانى اقترح ان تضيف ان جلاء القوات البريطانية شرط ضرورى · يجب ان يعاد العمل فورا بالدستور المصرى الذى الغى ، والغاء قانون الصحافة مسألة اساسية ولكنها يجب ان تتبع جلاء الجيش الانجليزى عن مصر · فالجلاء يجب ان يسبق أى شىء اخر »

السيد الرئيس : هل يعترض أحد على هذا التصويت ؟

ـ لا · · · لا !

السيد ح · هيكل يتكلم باللغة العربية · وهو يطالب بأن نضيف الى القرارات الغاء قانون الاتفاق الجنائى ·

السيد الرئيس : يجب ان يصاغ كل ذلك بشكل ايجابى ·

احد الاعضاء : لا يجب الابقاء على الامتيازات ومحاكمة الاجانب امام المحاكم المختلطة ·

السيد الرئيس : الظروف غير مواتية ·

نفس العضو : اطالب باضافة نظام المحلفين بالنسبة للقضايا الجنائية ·

السيد الرئيس : موافق ·

عضو آخر : اود ان الفت النظر الى اننا الوحيدون فى العالم الذين توجد لديهم محكمة جنايات تفصل نهائيا فى القضايا المطروحة عليها · انى اطالب بوجود محلفين فى حالة محاكمة الصحافة · وسيترتب على ذلك الغاء قانون الصحافة الحالى ·

السيد الرئيس : قدم هذا الاقتراح كتابة حتى لايكون هناك اى لبس

وما هى القرارات المقترحة :

١ ـ الاحتلال الانجليزى غير مشروع والجلاء الفورى ضرورى ·

٢ ـ اعادة الدستور الصادر قبل ١٨٨٢ ·

٣ ـ الغاء قانون الصحافة ·

٤ ـ الغاء قانون الاتفاق الجنائى ·

السيد هارديال : وكل القوانين الاستثنائية ·

صوت : هذه الصيغة غير دقيقة

السيد الرئيس :

٥ ـ الحفاظ على لجنة مراقبة الدين العام بكل اختصاصاتها ·

٦ ـ الابقاء على اشراف اللجنة الدولية حتى انقضاء الدين العام ·

(وقد تمت الموافقة بالاجماع على هذه القرارات)

السيد الرئيس : قبل ان ننتهى ، هناك دراسة قصيرة عن السودان لكى نتخذ قرارا حول بطلان ما يسمى باتفاقية السودان · ·

السيد حسيب : يقرأ دراسة عن السودان

السيد الرئيس : أطالب التصويت على القرار التالى :

يعلن المؤتمر ان الاتفاقية المبرمة بين انجلترا والخديوى فى سنة ١٨٩٩ بخصوص السودان باطلة ·

ـ موافقون · · · موافقون !

هل يعترض احد على هذا القرار ؟ هناك موافقة اجماعية

الكلمة الان للسيد غانم بك فريد باسم الشباب العثمانى

غانم بك فريد : سيداتى ، سادتى ، كان من الانسب ان يكلمكم صوت مزود بتفويض اكبر وان تظهر امامكم وتكلمكم من فوق هذه المنصة باسم الشباب العثمانى ، شخصية انضج لتعبر لكم عن امانيها الخاصة بهذه الحركة التى تعمل من اجل تحرير مصر بكل روعة انكار الذات · ان مصر تعيش فى ظل اكثر النظم طغيانا وسوءا بشكل لم يعرف التاريخ مثله ، ولم تشهد الانسانية قرين له ·

واستطيع ان اقول ان كل كيانى منفعل ومتأثر بالشرعية الواضحة لنشاطكم · وانى لاقدر تماما نبل مقاصد مؤتمركم المجتمع هنا فى بروكسل ، فى هذا البلد المتحرر من اى تأثير ضار بالقانون الطبيعى ، والمؤيد لكل القضايا العادلة · لا شك ان حضورى لا يسد الفراغ الناجم عن عدم تواجد اخوتى فى الوطن الذين استحالت عليهم الاستجابة الشخصية للدعوة اللطيفة التى وجهتها اليهم لجنة تنظيم المؤتمر الوطنى المصرى · وبوصفى المترجم لافكار كل الشباب العثمانى فى باريس ، الذى سيقود الامبراطورية العثمانية فى المستقبل ، فانى اعلن باعلى صوتى اننا نتتبع بكل اهتمام الحركة الوطنية المصرية وان جهودنا تتجه نحو خلق تضامن وثيق بين شباب بلدينا ، ذلك الشباب الذى ورث ماضيا بغيضا يزيد عن ربع قرن من الزمن ، افسد المجد الغابر لاسلافنا

الشجعان الكرام • فنحن نتألم مثلكم تماما للوضع الراهن فى مصر ، فهو نتاج تصرف خسيس من جانب السلطان المخلوع •

لقد ادى حكمه الملطخ بالبقع السوداء والحمراء ، الى ضياع ممتلكاتنا التى حصلنا عليها بدماء الاف والاف المحاربين العثمانيين ، بل وادى الى تحطيم القلوب وقطع الصلات الودية المختلفة التى اقمناها بكل حرص وعناية • وقد حضرت جلسات المؤتمر وانا متأثر لان الغرض منها هو توصيل اصواتنا الى اسماع المدافعين عن الانسانية وتحريك عواطفهم المتجهة نحو العدالة والحرية ودعوتهم الى التفكير فى الوضع المحزن الذى تتردى فيه مصر المضطهدة والواقعة تحت حكم الارهاب ، ذلك الوضع الذى تتحمل تركيا الجانب الاكبر من المسئولية فى وقوعه • نعم انى اعترف لكم بذلك بكل صراحة ولكننا نحن الاتراك والمصريين كنا ضحايا لنفس الشقاء •

وبالرغم من ان ايدينا لا تزال مقيدة ، الا اننا حصلنا على جزء من حريتنا بالمثابرة والتضحية والاخلاص للقضية التي تفصل بيننا وبين رجل يخافه العالم بأسره •

ولكن الوضع عندكم يختلف •

ايها الاخوة المصريون ، يجب ان تنتزعوا دستوركم واستقلالكم الذى انتهكته القوة الغاشمة، تلك الدولة المغتصبة التى استقرت فى عقر داركم بقوة البارود والحراب • يجب الا تخافوا او تتراجعوا مهما كانت صعوبة مهمتكم . لقد قدم لنا التاريخ امثلة لا تحصى ولا تعد ، وتؤكد لنا ان اغلب الانتصارات الجيدة بدأت بلا شيء • لقد تم ما حققناه فى ٢٤ يوليو على يد مجموعة صغيرة بطلة من المخلصين الذين ستخلد ذكراهم الى الابد فى تاريخ تركيا ، ان لم يكن فى تاريخ العالم •

وانتم يا ابناء مصر العظيمة ويا شباب مصر المتقد عزما والمستعد للبذل • ايجوز انتظلوا متفرجين صامتين امام هذا المثل الرائع ؟ لا ان احتشادكم الهائل فى هذا المؤتمر لدليل على ان حماسكم للانتصار لا يقل عن حماسهم •

وفى اليوم الذى ستبزغ فيه شمس الحرية على قمم الاهرامات ، ستصبح اراضى وادي النيل اخصب •• وفى هذا اليوم ستطوق جباهكم اكاليل عرفان وطنكم الناهض !

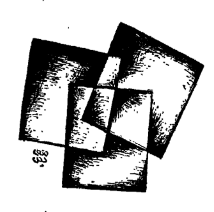
السيد الرئيس : ايها السادة ، لقد انتهى مؤتمرنا واشكركم على مساهمتكم جميعا فيه ، وارجو ان نجتمع فى العام القادم لا للمطالبة بالدستور بل للاحتفال بحصولنا عليه (تصفيق)

عاشت مصر ، عاش الدستور ، عاشت بلجيكا (تصفيق متواصل) •

انهى المؤتمر اعماله ورفعت الجلسة لكى ننتقل الى الحفل •

وقد انتهت الجلسة فى الساعة السابعة ».

« تمت »




Bibliotheca Alexandrina
0535789